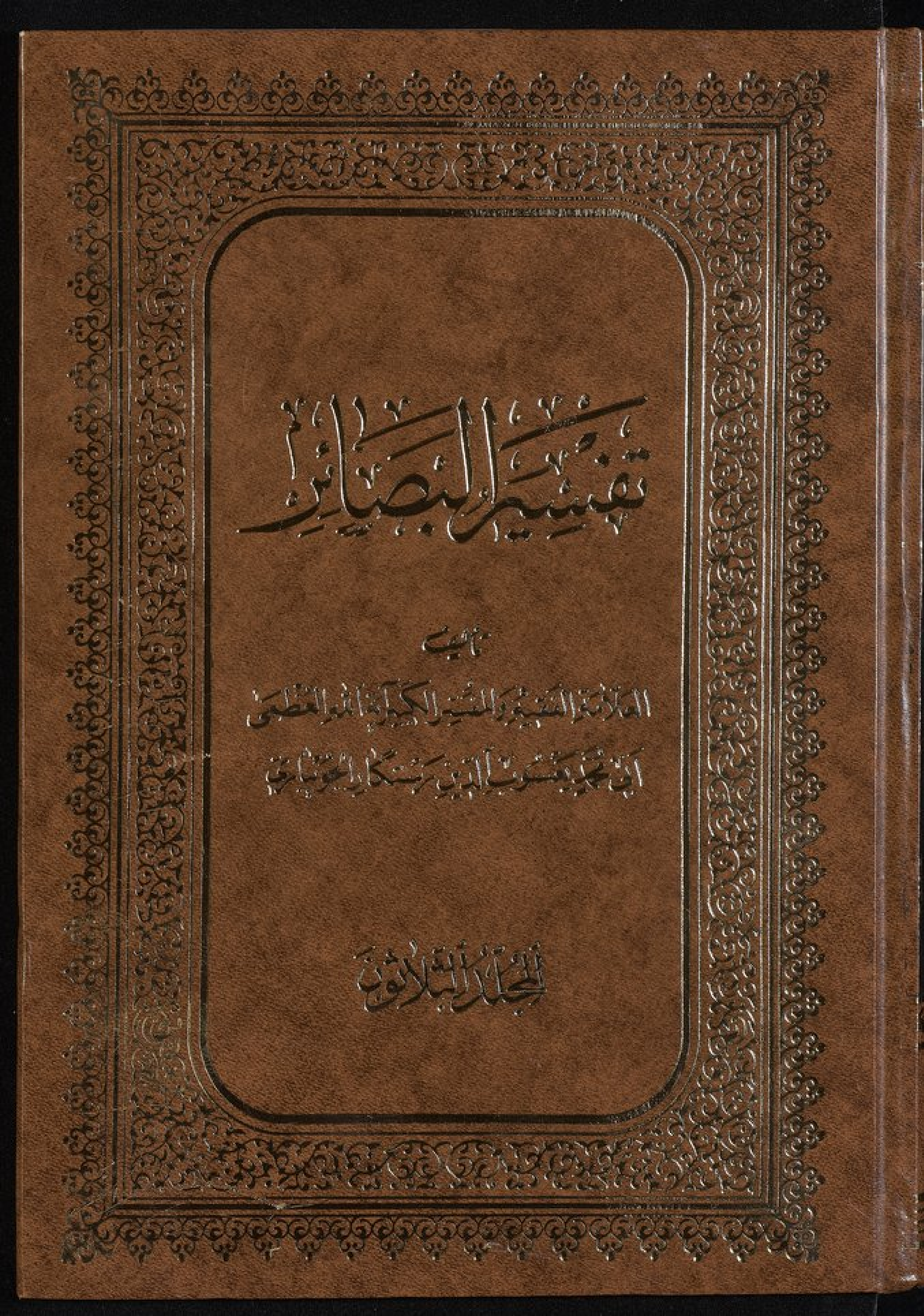
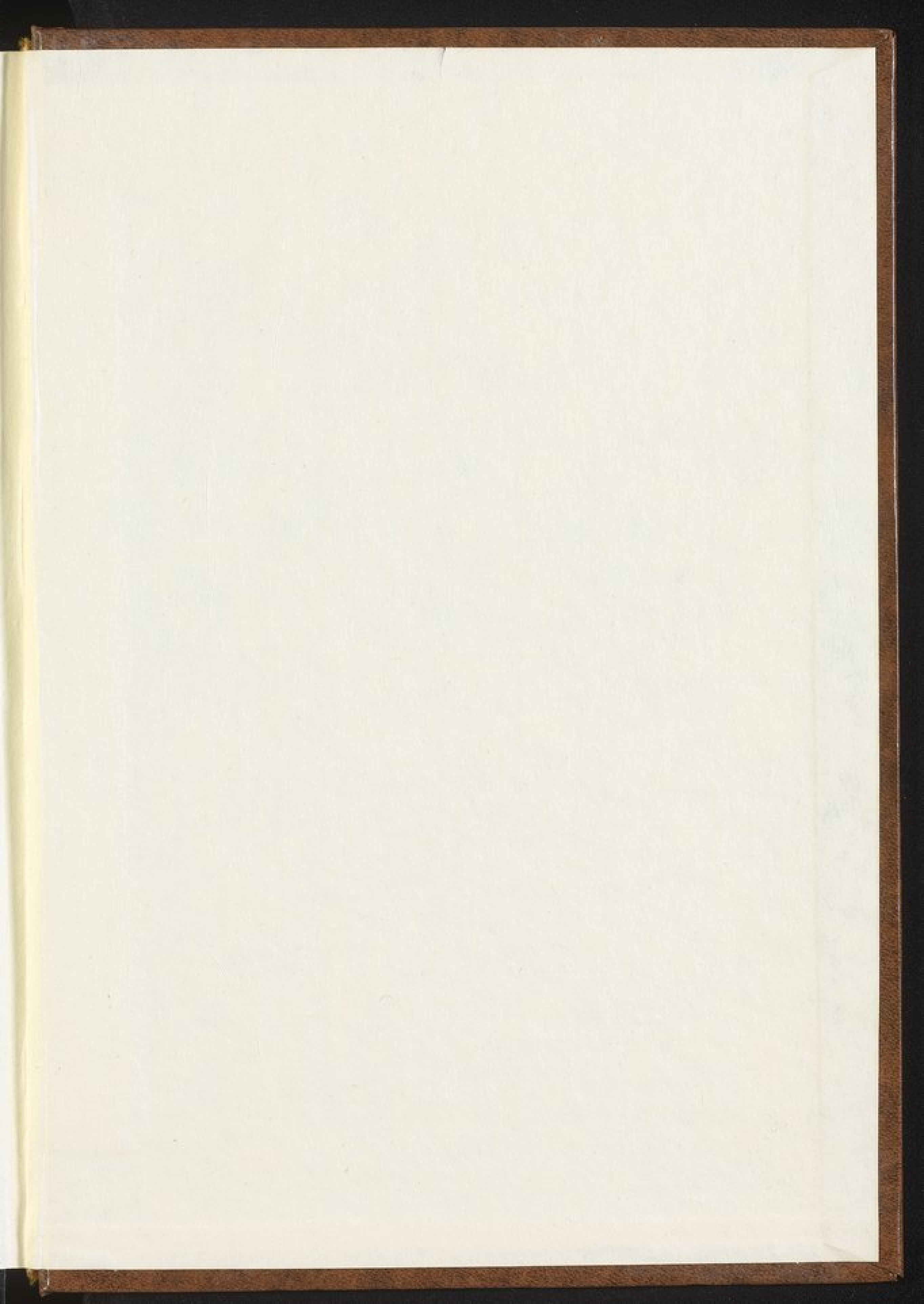
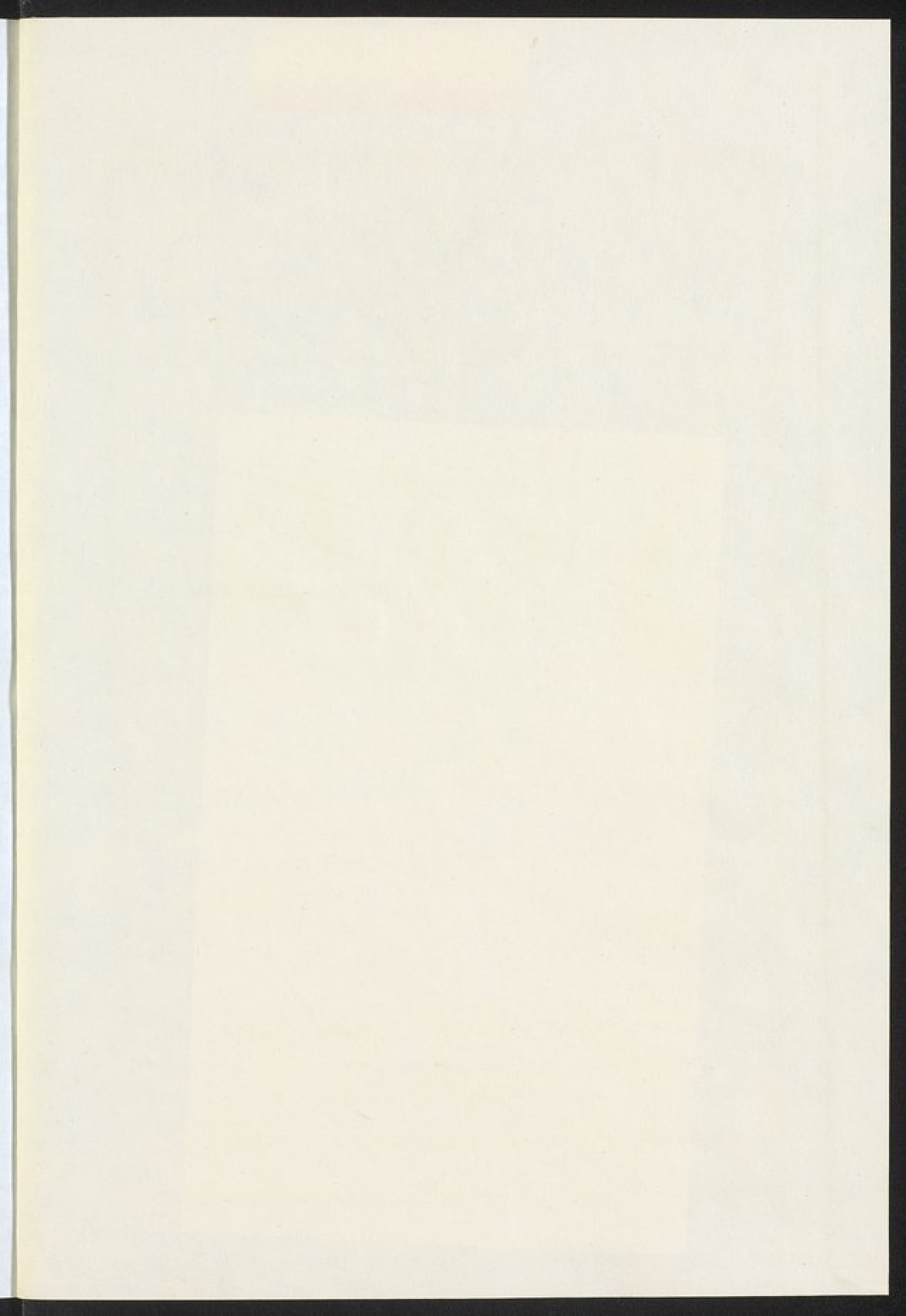

تفسير البصائر
تأليف
العلامة الفقيه والمفسر الكبير آية الله العظمى
الحاج محمد يعسوب الدين رستگار الجويباري
المجلد الثلاثون







المجلد الثلاثون

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

العلامة الفقيه والمفسر الكبير آية الله العظمى

ابي محمد يعسوب الدين رستگار الجويباري

ايران - قم المقدسة

۱۳۸۱ هجری شمسی ۱۴۲۳ هجری قمری

* هوية الكتاب:

الكتاب:	تفسير البصائر
المجلّد:	الثلاثون
المؤلّف:	المفسّر الكبير آية‌اللّه‌العظمیٰ يعسوب‌الدّين رستگار الجويباری
النّاشر:	مكتب المؤلّف
المطبعة:	سپهر
الكميّة:	۲۲۰۰ نسخة
سنة الطّبع:	۱۴۲۳ هجری قمری
السّعر:	۷۵۰۰ توماناً
الطّبعة:	الاولى
التّوزيع:	ايران، قم، رقم الهاتف: ۷۷۴۲۹۷۲

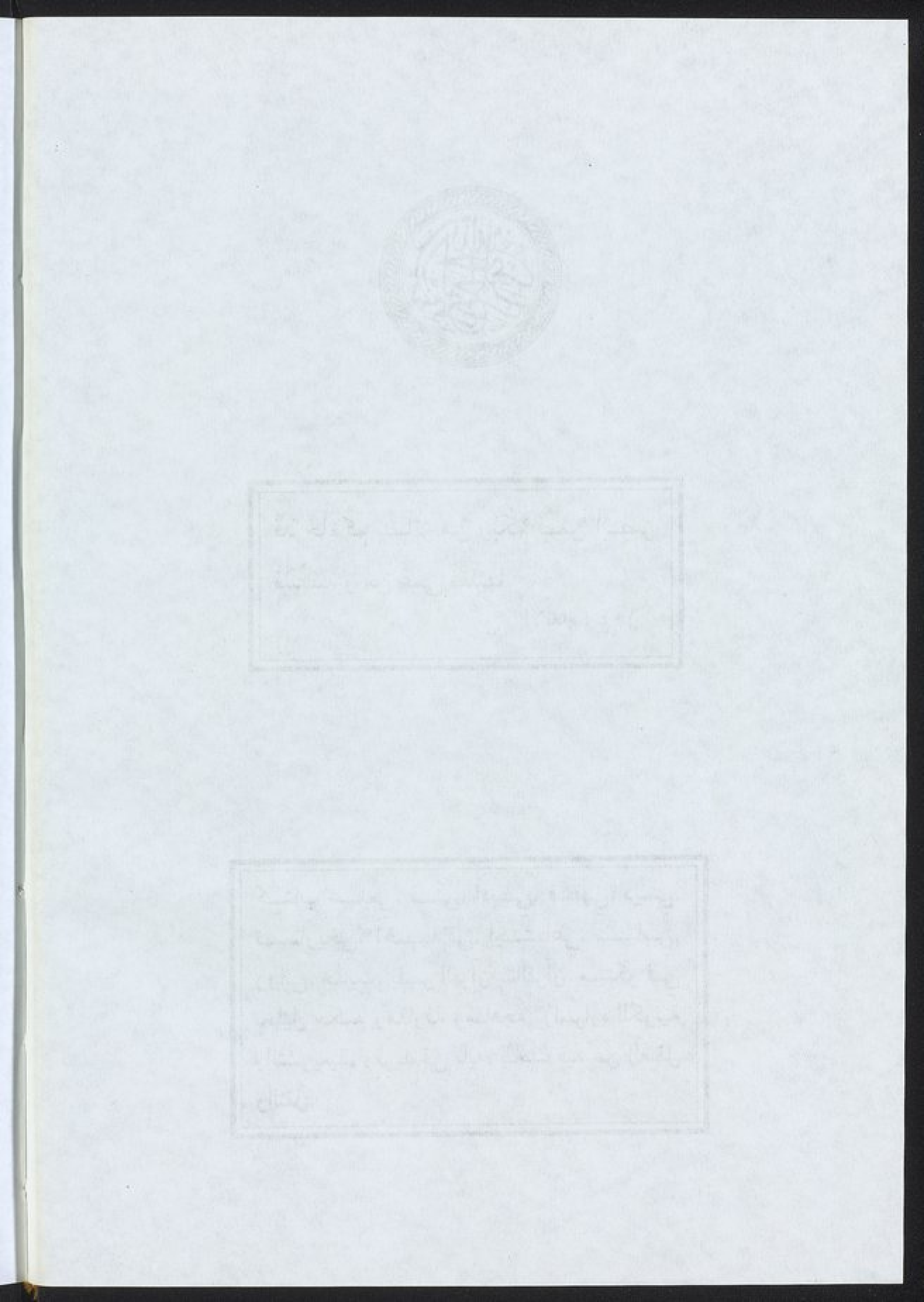
شابک: ۰ - ۲۵ - ۵۹۲۷ - ۹۶۴ ISBN: 964-5927-25-0



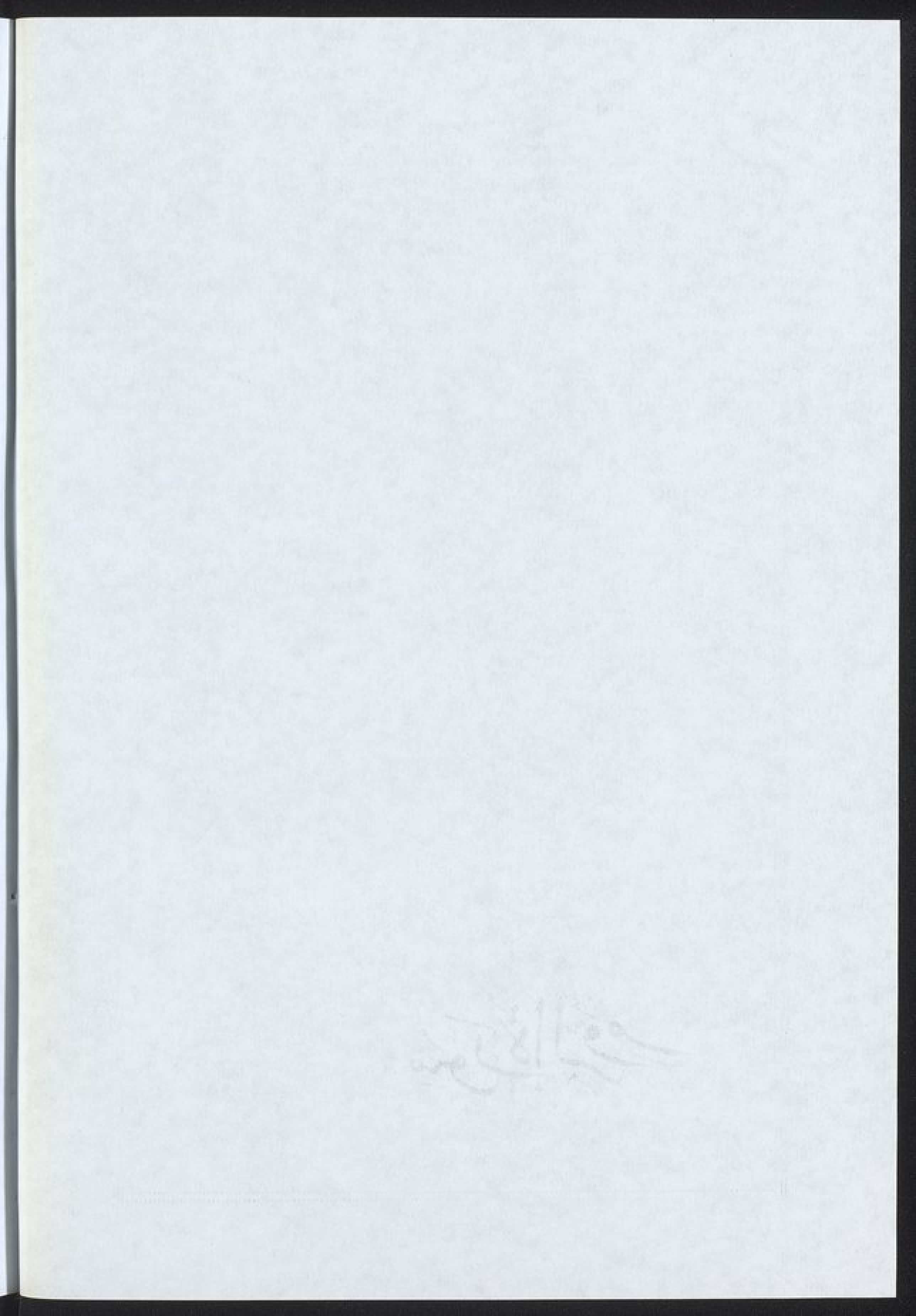
قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها.

الانعام : ١٠٤

كتاب علمي، فنّي، أدبي، فقهي، ديني، تاريخي، أخلاقي، اجتماعي، سياسي، روائي، حديث، يفسر القرآن بالقرآن، مبتكر في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه، واسراره الكونية والتشريعية، وفريد في بابه، يبحث فيه عن العقل والنقل.



سُورَةُ الرُّومِ



سُورَةُ الرُّومِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ
مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾
وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ
﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ

أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ
ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ
شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ
تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى
مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ

أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾
وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا
ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا
لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ

تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم
مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ

فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ
خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ
مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾
وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ
﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ
مُدۡبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا
مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم
مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ
قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾
وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ
كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ
لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ
وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ

ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا
لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ
لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

«فضلها و خواصّها»

روى الصّدوق رحمة الله تعالى عليه في «ثواب الأعمال» بأسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله «عليه السلام» قال: «من قرأ سورة «العنكبوت» و «الرّوم» في شهر رمضان ليلة ثلاثة و عشرين فهو والله يا أبا محمّد من أهل الجنّة لا أستثني فيه أبداً و لا أخاف أن يكتب الله عَلَيَّ في يميني إثماً، و إنّ لهاتين السّورتين من الله مكاناً».

أقول: رواه الشّيخ الطّوسي في مصباح المتهجّد، و الشّيخ الطّبرسي المازندراني في المجمع و جوامع الجامع، و البحراني في البرهان، و الحويزي في نور الثّقلين، و الشّيخ الحرّ العاملي في وسآئل الشّيعة، و المجلسي في البحار، و الدّيلمي في أعلام الدّين، و الكفعمي في المصباح و البلد الأمين، و غيرهم...

و في التّهذيب و المقنعة عن الحسن بن عليّ عليهما السّلام مثله.

و ذلك أنّ من قرأ هاتين السّورتين في ليلة ثالثة و عشرين من شهر رمضان خاصّة عسى أن تكون ليلة القدر، و في غيرها متدبّراً آياتها، مؤمناً بها و عمل الصّالحات فهو من أهل الجنّة إن شآء الله تعالى.

قال الله عزّوجلّ: «و من جاهد فإنّما يجاهد لنفسه إنّ الله لغنيّ عن العالمين و الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات لنكفّرنّ عنهم سيّئاتهم و لنجزينّهم أحسن الّذي كانوا يعملون ـ

و الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات لنبوّئنّهم من الجنّة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين ـ و الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا و إنّ الله لمع المحسنين» العنكبوت: ٦ ـ ٧ و ٥٨ ـ ٥٩ و ٦٩).

و قال: «فأمّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات فهم في روضة يحبرون ـ فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون» الرّوم: ١٥ و ٣٠).

و في رواية: «انّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلّى بأصحابه الصّبح فقرأ فيها سورة الرّوم».

و في الدّرّ المنثور: عن أبي روح قال: صلّى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصّبح، فقرأ سورة الرّوم، فتردّد فيها فلمّا انصرف، قال: «إنّما يلبس علينا صلاتنا قوم يحضرون الصّلاة بغير طهور، من شهد الصّلاة فليحسن الطّهور».

و في المجمع: أُبيّ بن كعب عن النّبيّ «صلى الله عليه وآله» قال: «و من قرأها كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كلّ ملك سبّح لله ما بين السّمآء و الأرض، وأدرك ما ضيّع في يومه و ليلته».

أقول: رواه في جوامع الجامع، و الكفعمى في المصباح، و أبوالفتوح الرّازي في تفسيره عن أبي أمامة عن أُبيّ بن كعب، و في خواصّ القرآن: «يسبّح الله تعالى» بدل «سبّح لله».

و ذلك لقوله عزّوجلّ: «فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون و له الحمد في السّموات و الأرض و عشيّاً و حين تظهرون» الرّوم: ١٧ ـ ١٨).

و في عوالي اللّئالي: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من قرأ حين يصبح: «فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون و له الحمد في السّموات و الأرض و عشيّاً و حين تظهرون يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون» أدرك مافاته في يومه، و إن قالها حين يمسى أدرك مافاته في ليلته».

و في ثواب الأعمال: بأسناده عن الحارث عن أميرالمؤمنين «عليه السلام» قال: «من قال

حين يمسي ثلاث مرّات: «فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون و له الحمد في السّموات و الأرض و حين تظهرون» لم يفته خير يكون في تلك الليلة، و صرف عنه جميع شرّها، و من قال مثل ذلك حين يصبح، لم يفته خير يكون في ذلك اليوم، و صرف عنه جميع شرّه».

أقول: رواه الصّدوق رحمةالله تعالى عليه في أماليه، و المجلسي في البحار، و الحرّ العامليّ في الوسآئل، و الحويزي في نور الثّقلين، و ابن الفتّال النيسابوري في روضة الواعظين و غيرهم.

و **في مصباح الكفعمي:** عن رسول الله «صلّى الله عليه و آله»: «من قال حين يمسي و حين يصبح: «فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون ـ إلى قوله ـ و كذلك تخرجون» لم يفته خير يكون في تلك اللّيلة أو ذلك اليوم، و صرف الله عنه جميع شرّهما».

و **في جوامع الجامع:** و عن النّبيّ «صلّى الله عليه و آله»: «من سرّه أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل: «فسبحان الله حين تمسون ـ إلى قوله ـ و كذلك تخرجون».

قوله «صلّى الله عليه و آله»: «القفيز»: المكيال.

و **في البرهان:** روي عن رسول الله «صلّى الله عليه و آله»: «و من كتبها و جعلها في منزل من أراد، اعتلّ جميع من في الدّار، و لو دخل في الدّار غريب اعتلّ أيضاً مع أهل الدّار».

و قال رسول الله «صلّى الله عليه و آله»: «من كتبها و جعلها في منزل من أراد من النّاس، اعتلّ جميع من في ذلك المنزل».

و قال «صلّى الله عليه و آله»: «و من كتبها في قرطاس، و محاها بمآء المطر و جعلها في ظرف مطيّن، كلّ من شرب من ذلك المآء يصير مريضاً، و كلّ من غسل وجهه من ذلك المآء يظهر في عينه رمد كاد أن يصير أعمى».

و **في المصباح:** قال الصّادق «عليه السلام»: «من جعلها في إنآء زجاج ضيّق الرّأس في منزل

قوم، اعتلّ من فيه، فإن دخل إليه غريب اعتلّ».

و **عن خواصّ القرآن:** عن الصّادق «عليه السلام»: «و إذا ذُوّبت بمآء المطر و جعلت في إنآء فخّار، و سقي من أراد من الأعدآء مرضوا بقدرة الله تعالى».

أقول: و لا يبعد أن يكون من خواصّ السّورة و آثارها على أعدآء المؤمنين ما ورد في تلك الرّوايات...

إذ قال الله تعالى فيها: «لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشآء و هو العزيز الرّحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ـ فانتقمنا من الّذين أجرموا و كان حقّاً علينا نصر المؤمنين ـ فاصبر إنّ وعد الله حقّ و لا يستخفّنّك الّذين لا يوقنون» الرّوم: ٤ ـ ٥ و ٤٧ و ٦٠).

و قال سبحانه: «و ننزّل من القرآن ما هو شفآء و رحمة للمؤمنين و لا يزيد الظّالمين إلاّ خساراً» الإسرآء: ٨٢).

«الغرض»

موضوع السّورة هو البشارة العظمى و الوعد الكريم من الله عزّ وجلّ للمؤمنين بنصره تعالى لدينه و نصره للحقّ في أعلى منازله، و غلبتهم على مشركي مكّة، و فرح المؤمنين يومئذ بذلك، إذ غلب يومئذ التّوحيد على الشّرك، و الايمان على الكفر، و الحقّ على الباطل كلّه، و هو نصر للحياة و للإنسانيّة كلّها، و حقّ له أن يضاف إلى الله سبحانه: «و يومئذ يفرح المؤمنون».

و قد قدّم عليه الإخبار الحياديّ بغلبة الرّوم المغلوب على الفرس الغالبة في بضع سنين من حين نزول هذه السّورة المباركة ليستدلّ بإنجاز هذا الوعد على إنجاز ذلك الوعد، و ليحتجّ به و من طريق العقل السّليم على أنّ الله تعالى سينجز ميعاده و وعده الأكبر بيوم القيامة لاريب فيه.

ثمّ يندّد بالمشركين و كلّ من يسلك مسالكهم في كلّ ظرف من الظّروف الّذين يهتمّون للامور العابرة و الشّئون الظّاهرة من متاع الدّنيا و شهواتها، و يغترّون بزخارفها، و يغفلون عن المهمّ الخطير و عن الآخرة، و يذكّرهم بمن قبلهم، و يؤكّد بمجيئ الآخرة، و يبيّن مصير المؤمنين و المشركين فيها، و ينزّهه جلّ وعلا عن الشّركاء، و يقرّر سلسلة رائعة في مشاهد قدرة الله و آياته و نواميسه في كونه بصدد البرهنة على كمال علمه و

حكمته، على تدبيره و قدرته، و على جلاله و عظمته في نظام الكون و نواميس الوجود.

ثمّ يشير إلى فطرة التّوحيد الّتي فطر النّاس عليها، و إن كان أكثرهم لايعرفون حقيقتها، و إلى اختلاف طبايعهم في الجزع عند الشّدّة و البطر حين الفرح، دون شكر و لاصبر، و إلى قصّة فدك و أداء حقّ صاحبها...

و في ختام السّورة تقرير لما يجب على المؤمنين في تلك الحالات، و تثبيت لهم، و تطمين و وعد متكرّر لهم بالنّصر، و توكيد بتحقيق الوعد الرّبّانيّ.

«النّزول»

سورة «الرّوم» مكّيّة، نزلت بعد سورة «الانشقاق» و قبل سورة «العنكبوت» و هي السّورة الرّابعة و الثّمانون نزولاً، و الثّلاثون مصحفاً، و تشتمل على (٦٠) آية، سبقت عليها (٤٤٤٨) آية نزولاً، و (٣٤٠٩) آية مصحفاً على التّحقيق، و مشتملة على (٨١٩) كلمة، و قيل: (٨٠٧) كلمة، و على (٣٥٣٤) حرفاً، و قيل: (٣٥٣٠) حرفاً على ما في بعض التّفاسير.

و قد سمّيت السّورة بالرّوم لاشتمالها على قصّة الرّوم، و ابتدائها بها ليكون تذكرة للمؤمنين في كلّ ظرف من الظّروف.

في تفسير القمّي: بأسناده عن أبي عبيدة عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: سئلته عن قول الله: «الٓمٓ غلبت الرّوم في أدنى الأرض» قال: يا أباعبيدة إنّ لهذا تأويلاً لا يعلمه إلاّ الله و الرّاسخون في العلم من الأئمّة عليهم السّلام، إنّ رسول الله «صلى الله عليه و آله و سلم» لمّا هاجر إلى المدينة، و قد ظهر الإسلام كتب إلى ملك الرّوم كتاباً، و بعث إليه رسولاً يدعوه إلى الإسلام، و كتب إلى ملك فارس كتاباً، و بعث إليه رسولاً يدعوه إلى الإسلام، فأمّا ملك الرّوم فإنّه عظّم كتاب رسول الله «صلى الله عليه و آله و سلم» و أكرم رسوله، و أمّا ملك فارس فإنّه مزّق كتابه و استخفّ برسول الله «صلى الله عليه و آله و سلم».

و كان ملك فارس يقاتل يومئذ ملك الرّوم، و كان المسلمون يهوون أن يغلب ملك الرّوم ملك فارس، و كانوا لناحية ملك الرّوم أرجى منهم لملك فارس، فلمّا غلب ملك

فارس ملك الرّوم بكى لذلك المسلمون، و اغتمّوا فأنزل الله «الٓمٓ غلبت الرّوم في أدنى الأرض» يعني: غلبتها فارس في أدنى الأرض و هي الشّامات و ما حولها، ثمّ قال: و فارس من بعد غلبهم الرّوم سيغلبون في بضع سنين.

و قوله: «لله الأمر من قبل» أن يأمر «و من بعد» أن يقضى بما يشآء، و قوله: «و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشآء» قلت: أليس الله يقول: «في بضع سنين» و قد مضى للمسلمين سنون كثيرة مع رسول الله«ﷺ» و في إمارة أبي‌بكر، و إنّما غلبت المؤمنون فارس في إمارة عمر؟ فقال«؏»: ألم أقل لك: إنّ لهذا تأويلاً و تفسيراً و القرآن يا أباعبيدة ناسخ و منسوخ؟ أما تسمع قوله: «لله الأمر من قبل و من بعد» يعني: إليه المشيّة في القول أن يؤخّر ما قدّم، و يقدّم ما أخّر إلى يوم يحتم القضآء بنزول النّصر فيه على المؤمنين، و ذلك قوله: «يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشآء» أي يوم يحتم القضآء بالنّصر.

قوله«؏»: «يعني غلبتها فارس» إضافة الغلبة إلى الضّمير من إضافة المصدر إلى مفعوله أي مغلوبيّة روم من فارس.

و قوله«؏»: «و فارس من بعد غلبهم الرّوم سيغلبون في بضع سنين» أي الرّوم و إن غلبت عليها الفرس، و لكنّ الفرس من بعد كونهم غالبين في تلك الأوان، سيصيرون مغلوبين في إمارة عمر بن الخطّاب.

أقول: رواه الكليني رحمة الله تعالى عليه في روضة الكافي عن الإمام الباقر«؏» و فيه بعد قوله: «و ما حولها» «و هم يعني فارس من بعد غلبهم الرّوم سيغلبون يعني يغلبهم المسلمون في بضع سنين قال: فلمّا غزا المسلمون فارس و افتتحوها فرح المسلمون بنصر الله عزّوجلّ».

و أمّا البضع لمّا كان بحسب اللّغة إنّما يطلق على ما بين الثّلاث إلى العشر و كان تمام الغلبة على فارس في السّابع عشر أو أواخر السّابع عشر من الهجرة فعلى المشهور بين المفسّرين من نزول الآية بمكّة قبل الهجرة فلابدّ من أن يكون بين نزول الآية و بين الفتح ستّ عشرة سنة، و على ما هو الظّاهر من الخبر من كون نزول الآية بعد مراسلة قيصر و

كسرى، و كانت على الأشهر في السّنة السّادسة، فيزيد على البضع أيضاً بقليل، فلذا اعترض السّائل عليه«عليه السلام» بذلك، فأجاب«عليه السلام» بأنّ الآية مشعرة باحتمال وقوع البدآء حيث قال: «لله الأمر من قبل و من بعد» أي لله أن يقدّم الأمر قبل البضع و يؤخّره بعده كما هو الظّاهر من تفسيره«عليه السلام».

و **في المناقب** لابن شهرآشوب السّرويّ المازندرانيّ رضوان الله تعالى عليه: «الزّبيرى و الشّعبيّ: إنّ قيصر حارب كسرى، فكان هوى المسلمين مع قيصر لأنّه صاحب كتاب و ملّة و أشدّ تعظيماً لأمر النّبيّ«صلى الله عليه و آله» و كان وضع كتابه على عينه، و أمر كسرى بتمزيقه – حين أتاهما كتابه يدعوهما إلى الحقّ، فلمّا كثر الكلام بين المسلمين و المشركين، قرأ الرّسول«صلى الله عليه و آله»: «الم غلبت الرّوم...» الآية، ثمّ حدّد الوقت في قوله: «في بضع سنين» ثمّ آكده في قوله: «وعد الله» فغلبوا يوم الحديبيّة، و بنواالرّوميّة. و روي عنه لفارس نطحة أو نطحتان، ثمّ قال: لافارس بعدها أبداً، و الرّوم ذات القرون، كلّما ذهب قرن خلف قرن هبهب إلى آخر الأبد».

الرّوميّة: بلد بالمدائن، خرب.

و **قال بعض المفسّرين**: لمّا سُرّ المسلمون بظفر الرّوم على العجم ـ و إن كان الكفر يجمعهم ـ إلاّ أنّ الرّوم اختصّوا بالايمان ببعض الأنبيآء، شكرالله لهم و أنزل فيهم قوله تعالى: «غلبت الرّوم...» الآيات فكيف بمن يكون سروره لدين الله و حزنه و اهتمامه لدين الله؟

و **قال بعضهم**: إنّ أهل الرّوم كانوا أهل كتاب، و كان المسلمون يرجون إسلامهم و أهل فارس كانوا مجوساً، فكان المسلمون لا يرجون إسلامهم، و كانوا يحزنون لغلبة فارس عليهم، فنزل: «الم غلبت الرّوم في أدنى الأرض...»

و **في التبيان**: «و السّبب في ذلك معروف، و هو أنّ الرّوم لمّا غلبهم فارس فرح مشركوا قريش بذلك من حيث إنّ أهل فارس لم يكونوا أهل كتاب، و سآء ذلك المسلمين، فأخبر الله تعالى أنّ الرّوم، و إن غلبهم فارس، فإنّ الرّوم ستغلب في ما بعد فارس «في بضع سنين» أي في ما بين ثلاث سنين إلى عشر، فكان كما أخبر، و كان ذلك معجزة ظاهرة باهرة

للنّبيّ«ﷺ»».

و فيه: و روي أنّ سبب ذلك أنّ الرّوم لمّا غلبتها فارس، فرح المشركون بذلك، و قالوا: أهل فارس لاكتاب لهم غلبوا أهل الرّوم و هم أهل كتاب، فنحن لاكتاب لنا نغلب محمّداً الّذي معه كتاب، فأنزل الله تعالى هذه الآيات تسلية للنّبيّ«ﷺ» و المؤمنين.

و إنّ الرّوم و إن غلبها فارس، فانّها ستغلب فارس في ما بعد في بضع سنين. و قال أبوسعيد الخدري: كان النّصر يوم بدر للفريقين للنّبيّ«ﷺ» و الرّوم على فارس، ففرح المؤمنون بالنّصرين».

و قال الرّازي: نزلت الآيات لبيان أنّ الغلبة لاتدلّ على الحقّ، إذ قد يبتلى المحبوب، و يعجل عذابه ليسلم في الأجل».

و في تفسير ابن كثير: نزلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشّام و ماوالاها من بلاد الجزيرة و أقاصي بلاد الرّوم، فاضطرّ هرقل ملك الرّوم حتّى ألجأ إلى القسطنطنيّة و حاصره فيها مدّة طويلة، ثمّ عادت الدّولة لهرقل».

و في أسباب النّزول للواحدي النّيسابوري: قال المفسّرون: بعث كسرى جيشاً إلى الرّوم، و استعمل عليهم رجلاً يسمّى شهريران، فسار إلى الرّوم بأهل فارس و ظهر عليهم، فقتلهم و خرّب مدآئنهم و قطع زيتونهم، و كان قيصر بعث رجلاً يدعى يحنس، فالتقى مع شهريران بأذرعات و بصرى و هي أدنى الشّام إلى أرض العرب، فغلب فارس الرّوم، و بلغ ذلك النّبيّ«ﷺ» و أصحابه بمكّة، فشقّ ذلك عليهم، و كان النّبيّ«ﷺ» يكره أن يظهر الأُميّون من أهل المجوس على أهل الكتاب من الرّوم، و فرح كفّار مكّة و شمتوا، فلقوا أصحاب النّبيّ«ﷺ» فقالوا: إنّكم أهل كتاب و النّصارى أهل كتاب، و نحن أُميّون، و قد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الرّوم، و إنّكم إن قاتلتمونا لنظهرنّ عليكم، فأنزل الله تعالى: «الٓمٓ غلبت الرّوم في أدنى الأرض...» إلى آخر الآيات...

و فيه: عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا كان يوم بدر ظهرت الرّوم على فارس، فأعجب المؤمنون بظهور الرّوم على فارس».

و في جوامع الجامع: عن أبي سعيد الخدري قال: التقينا مع رسول الله«ﷺ» و

مشركوا العرب، و التقت الرّوم و فارس، فنصرنا الله على مشركي العرب، و نصرالله الرّوم على المجوس، ففرحنا بنصرالله إيّانا على المشركين، و نصر أهل الكتاب على المجوس، فذلك قوله: «و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» و هو يوم بدر من قبل و من بعد أي في أوّل الوقتين و آخرهما حين غلبوا و حين يغلبون يعني أنّ كونهم مغلوبين أوّلاً و غالبين آخراً ليس إلاّ بأمر الله و قضآئه، و يومئذ و يوم يغلب الرّوم و فارس يفرح المؤمنون بنصر الله و تغليبه من له كتاب على من لا كتاب له».

و في **أحكام القرآن لابن العربيّ**: روى الترّمذي و غيره ـ و اللفظ له ـ عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا كان يوم بدر ظهرت الرّوم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت: «الٓمٓ غلبت الرّوم في أدنى الأرض...» إلى قوله: «يفرح المؤمنون بنصر الله» قال: ففرح المؤمنون بظهور الرّوم على فارس».

و في **المجمع**: عن الزّهري قال: كان المشركون يجادلون المسلمين و هم بمكّة يقولون: إنّ الرّوم أهل كتاب و قد غلبهم الفرس، و أنتم تزعمون أنّكم ستغلبون بالكتاب الّذي أنزل إليكم على نبيّكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الرّوم، و أنزل الله تعالى: «الٓمٓ غلبت الرّوم ـ إلى قوله ـ في بضع سنين».

قال: فأخبرني عبدالله بن عتبة بن مسعود: أنّ أبابكر ناحَبَ ـ أي راهن ـ بعض المشركين قبل أن يحرم القمار على شيئ: إن لم تغلب فارس فى سبع سنين، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: لِمَ فعلت؟! فكلّ ما دون العشرة بضع، فكان ظهور فارس على الرّوم في تسع سنين، ثمّ أظهر الله الرّوم على فارس زمن الحديبيّة، ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب.

و روى أبوعبدالله الحافظ بالاسناد عن ابن عبّاس في قوله: «الٓمٓ غلبت الرّوم» قال: قد مضى كان ذلك في أهل فارس و الرّوم و كانت فارس قد غلبت عليهم، ثمّ غلبت الرّوم بعد ذلك، و لقي نبيّ الله مشركي العرب و التقت الرّوم و فارس، فنصر الله النّبيّ ﴿ﷺ﴾ و من معه من المسلمين على مشركي العرب، و نصر أهل الكتاب على مشركي العجم، ففرح المسلمين بنصر الله إيّاهم، و نصر أهل الكتاب على العجم.

و قال سفيان الثّوري: سمعت أنّهم ظهروا يوم بدر. و قال مقاتل: فلمّا كان يوم بدر غلب

المسلمون كفّار مكّة و أخبر رسول الله «ﷺ»: أنّ الرّوم غلبت فارساً ففرح المؤمنون بذلك. و روي أنّهم استردّوا بيت المقدس، و أنّ ملك الرّوم مشى إليه شكراً و بسطت له الرّياحين، فمشي عليها، و قال الشّعبي: لم تمض تلك المدّة الّتي عقدها أبوبكر مع أُبيّ بن خلف حتّى غلبت الرّوم فارساً، و ربطوا خيولهم بالمدآئن و بنوا الرّومية ـ بلداً ـ فأخذ أبوبكر الخَطَر من ورثته، و جاء به إلى رسول الله «ﷺ» فتصدّق به.

و روي: أنّ أبابكر لمّا أراد الهجرة تعلّق به أبي و أخذ إبنه عبدالله بن أبي بكر كفيلاً، فلمّا أراد أن يخرج أُبيّ إلى حرب أُحد تعلّق به عَبدالله بن أبي بكر و أخذ منه ابنه كفيلاً و جُرِحَ أُبيّ فى أُحد و عاد إلى مكّة فمات من تلك الجراحة جرحه رسول الله «ﷺ».

و جآئت الرّواية عن النّبيّ «ﷺ»: أنّه قال لفارس نطحة أو نطحتان، ثمّ قال: لافارس بعدها أبداً و الرّوم ذات القرون كلّما ذهب قرن خلف قرن هبهب إلى آخر الأبد، و المعنى: أنّ فارس تنطح نطحة أو نطحتين، فيبطل ملكها و يزول أمرها» انتهى كلامه.

و في **الدّرّ المنثور**: عن ابن مسعود قال: كان فارس ظاهرين على الرّوم، و كان المشركون يحبّون أن تظهر فارس على الرّوم، و كان المسلمون يحبّون أن تظهر الرّوم على فارس لأنّهم أهل كتاب و هم أقرب إلى دينهم، فلمّا نزلت «الٓمٓ غلبت الرّوم في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين» قالوا: يا أبابكر أنّ صاحبك يقول: إنّ الرّوم تظهر على فارس في بضع سنين؟ قال: صدق، قالوا: هل لك إلى أن نقامرك، فبايعوه على أربعة قلائص إلى سبع سنين، فمضى السّبع سنين، و لم يكن شئ، ففرح المشركون بذلك، و شقّ على المسلمين.

و ذكر ذلك للنّبيّ «ﷺ» فقال: ما بضع سنين عندكم؟ قالوا: دون العشر، قال: اذهب فزايدهم و ازدد سنتين في الأجل، قال: فما مضت السّنتان حتّى جائت الرّكبان بظهور الرّوم على فارس، ففرح المؤمنون بذلك، و أنزل الله: «الٓمٓ غلبت الرّوم ـ إلى قوله ـ وعد الله لايخلف الله وعده».

و **قال بعض المفسّرين**: إنّ هذه الآيات نزلت في ظرف كان فيه حرب بين الرّوم و الفرس في البلاد المتاخمة للجزيرة العربيّة في الشّام، و جزيرة الفرات، و انتصر الفرس فيها

على الرّوم ففرح مشركوا مكّة بذلك، و أظهروا شماتتهم بالمسلمين الّذين كانوا يقولون بوحدة المنبع و الجوهر الّتي تجمع بينهم و بين الكتابيين الّذين منهم الرّوم النّصارى، و إنّ هذا الموقف قد شقّ على المؤمنين، و أحزنهم فبشّرهم الله تعالى بهذه الآيات و اطمأنهم.

و هناك روايات عديدة أُخر مختلفة المضامين عن تشادّ بين المسلمين و المشركين و مراهنة بينهم على صدق ما بشّرت الآيات من غلبة الرّوم بعد انكسارهم...

فمنها: ما يذكر أنّ المقامرة كانت بين أبي بكر و أُبيّ بن خلف.

و منها: أنّها كانت بين المسلمين و المشركين، و كان أبوبكر من قِبَل المسلمين، و أُبيّ من قبل المشركين.

و منها: أنّها كانت بين الطّائفتين.

و منها: أنّها كانت بين أبي بكر و بين المشركين و لم يغلب الرّوم فخسر أبوبكر الرّهان، و يلحظ أنّ ذلك يقتضي أن تكون السّورة أو الآيات نزلت قبل الهجرة بسنين كثيرة مع أنّها كانت على ما يدلّ من ترتيب نزولها المتّفق عليه تقريباً في التّراتيب المرويّة من قبل آخر ما نزل من القرآن الكريم في مكّة حيث هاجر رسول الله «ﷺ» و أصحابه إلى المدينة بعد نزولها بمدّة قليلة.

ثمّ اختلفت الرّوايات في الأمد المضروب، ففي بعضها ثلاث سنين، و في بعضها خمس، و في بعضها ستّ، و في بعضها سبع سنين، و في بعضها أنّ الأجل المضروب أوّلاً انقضى بمكّة، هو سبع سنين، فمادّهم أبوبكر سنتين بأمر من رسول الله «ﷺ» فغلبت الرّوم و في بعضها خلافه، ثمّ في بعضها أنّ الأجل الثّاني انقضى بمكّة، و في بعضها أنّه انقضى بعد الهجرة، و كانت غلبة الرّوم يوم بدر، أي بعد الهجرة بسنتين تقريباً، و في بعضها أنّ ذلك كان في ظروف واقعة الحديبيّة الّتي اضطرّ فيها زعماء قريش إلى التهادن مع رسول الله «ﷺ» و المسلمين في السّنة السّادسة بعد الهجرة.

وكان ذلك فتحاً مبيناً على ما وصفته الآية الاولى من سورة الفتح: «إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً» فكان نصر المسلمين على المشركين الّذين كان هواهم مع المجوس لأنّهم غير كتابيّين في نفس الظّرف الّذي كان فيه نصر الرّوم الكتابيّين على المجوس، فكانت فرحة المسلمين

مزدوجة و تحقّقت بذلك نبوءة من نبوءات القرآن الكريم.

و في بعض الرّوايات: أنّ أبابكر لمّا قامَرهم على غلبة الرّوم أخذ منهم الخطر و هو مأة قلوص و جآء به إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ فقال: إنّه سحت تصدّق به.

و ما اتّفقت عليه الرّوايات: أنّ أبابكر قامر مشركي مكّة، و كان القمار بإشارة رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و وجّه ذلك بأنّه كان قبل تحريم القمار، فإنّه حرّم مع الخمر في سورة المائدة، و قد نزلت في آخر عهد رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾.

و قد تحقّق في تفسير آية الخمر و الميسر: أنّ الخمر كانت محرّمة من أوّل البعثة، و كان من المعروف من الدّين أنّه يحرّم الخمر و الأنصاب و الأزلام و الزّنا و ما إليها...

على أنّ الخمر و الميسر من الإثم بنصّ الكتاب: «يسئلونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير» البقرة: ۲۱۹) و الإثم محرّم بنصّه أيضاً: «قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و الإثم و البغي» الأعراف: ۳۳) و سورة الأعراف من العتآئق النّازلة بمكّة فمن الممتنع أن يشير رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ بالمقامرة و هي محرّمة.

و على تقدير تأخّر الحرمة إلى آخر عهد رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ يشكل قوله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ لأبي بكر لمّا أتى بالخطر إليه إنّه سحت، ثمّ قوله ﴿صلى الله عليه و آله﴾: «تصدّق به» فلا سبيل إلى تصحيح شئ من ذلك بالموازين الفقهيّة، و قد تكلّفوا في توجيه ذلك بما لا يزيد إلاّ تكلّفاً و إشكالاً.

ثمّ إنّ ما في بعض الرّواية: أنّ الفرس كانوا عبدة الأوثان لا يوافق ما كان عليه القوم، فإنّهم و إن كانوا مشركين ولكنّهم كانوا لا يتّخذون أوثاناً كما كان مشركوا مكّة يتّخذونها آلهة يعبدونها.

و أمّا وحدة المنبع و الجوهر الّتي من أجلها حزن المسلمون من انكسار الرّوم و فرحوا بانتصارهم فهى مؤيّدة بآيات كثيرة وردت في سور عديدة:

منها: ما تضمّن خبر فرح الكتابيّين بما كان ينزل على رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ من الوحي القرآنيّ كقوله تعالى: «و الّذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أُنزل إليك...» الرّعد: ۳٦).

و منها: ما تضمّن تقرير يقينهم بأنّه منزّل من عندالله سبحانه كقوله عزّوجلّ: «أفغير الله أبتغي حكماً و هو الّذي أنزل إليكم الكتاب مفصّلاً و الّذين آتيناهم الكتاب يعلمون

أنّه منزّل من ربّك بالحقّ» الأنعام: ١١٤).

و منها: ما تضمّن خبر ايمانهم صراحة كقوله جلّ وعلا: «الّذين آتيناهم الكتاب من قبله به يؤمنون و إذا يتلى عليهم قالوا آمنّا به إنّه الحقّ من ربّنا إنّا كنّا من قبله مسلمين» القصص: ٥٢ - ٥٣).

و منها: ما تضمّن وحدة الجوهر بين الشّريعة الإسلاميّة و الشّرآئع النّبويّة السّابقة كقوله تعالى: «شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً و الّذي أوحينا إليك و ما وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدّين و لاتتفرّقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه» الشّورى: ١٣) و غيرها من الآيات النّازلة في هذا الموضوع.

و قد كان كلّ هذا ممّا يثير مشركي مكّة، و لاسيّما أنّ القرآن الكريم كان يندّد بهم لشركهم بالله سبحانه، و تكذيبهم برسول الله «ﷺ» و كفرهم بكتاب الله جلّ وعلا على رغم ماكان من ايمان كثير من أهل الكتاب و تصديقهم، فلمّا انتصر الفرس على الرّوم، فرح مشركوا مكّة و شمتوا، و حزن المسلمون و اغتمّوا.

و هذا لاينافي ما جاء في بعض الآيات المكّيّة و المدنيّة من وقوف فريق من أهل الكتاب و بخاصّة اليهود في الحجاز من النّبيّ «ﷺ» و القرآن الكريم موقف الجحود و المناوأة ممّا ذكره أسبابه المؤيدة بالنّصوص القرآنيّة في محلّها المناسب، كما لاينافي ما استجد فيما بعد من موقف العدآء و الحرب بين رسول الله «ﷺ» و الرّوم حيث امتدّ إلى ما بعد رسول الله «ﷺ» إذ اعتدى عمّال الرّوم على رسل النّبيّ الكريم «ﷺ» و اعتدت القبآئل العربيّة النّصرانيّة على قوافل المسلمين، فأدّى هذا إلى ذاك، بأنّ جهة الرّوم كانت هي البادئة في العدوان، و صار من حقّ المسلمين و واجبهم أن يدفعوا العدوان.

هذا! و لمّا كان القرآن المجيد يستهدف من الأخبار و القصص، الموعظة و التّدعيم، فقد اقتضت حكمة التّنزيل أن تكون هذه الحادثة وسيلة إلى ذلك أيضاً، فاحتوت الآيات بشرى عامّة بنصر الله تعالى و وعده بالنّصر والفرح للمؤمنين، و تنديداً بالنّاس الّذين يهتمّون للامور العابرة و الشّئون الظّاهرة و يغترّون بها، و يغفلون عن المهمّ الخطير كما سبق في بحث الموضوع لهذه السّورة المباركة.

و في أسباب النّزول للسّيوطي: و أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: تعجّب الكفّار من إحيآء الله الموتى، فنزلت: «و هو الّذي يبدأ الخلق ثمّ يعيده و هو أهون عليه».

و في تفسير القمي: و أمّا قوله: «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم ممّا ملكت أيمانكم من شركآء في ما رزقناكم» فإنّه كان سبب نزولها أنّ قريشاً و العرب كانوا إذا حجّوا يلبّون، و كانت تلبيتهم: «لبّيك اللّهمّ لبّيك لبّيك لاشريك لك لبّيك إنّ الحمد و النّعمة لك، و الملك لك لاشريك لك» و هي تلبية إبراهيم «عليه السلام» و الأنبيآء، فجآءهم إبليس في صورة شيخ، فقال: ليست هذه تلبية أسلافكم، قالوا: و ما كانت تلبيتهم؟ فقال: كانوا يقولون:

«لبّيك اللّهمّ لبّيك لبّيك لاشريك لك إلاّ شريك هو لك» فنفرت قريش من هذا القول، فقال لهم إبليس على رسلكم حتّى آتي على آخر كلامي، فقالوا: ما هو؟ فقال: «إلاّ شريك هو لك تملكه و ما يملك» ألا ترون أنّه يملك الشّريك و ما ملكه، فرضوا بذلك، و كانوا يلبّون بهذا قريش خاصّة، فلمّا بعث الله رسوله «صلى الله عليه وآله» فأنكر ذلك عليهم، و قال: هذا شرك، فأنزل الله: «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم ممّا ملكت أيمانكم من شركآء في ما رزقناكم فأنتم فيه سوآء» أي ترضون أنتم فيما تملكون أن يكون لكم فيه شريك، فإذا لم ترضوا أنتم أن يكون لكم فيما تملكونه شريك فكيف ترضون أن تجعلوا لي شريكاً فيما أملك؟».

و في البحار: ـ باب ما ورد في أصناف آيات القرآن ـ حديث طويل ـ عن أمير المؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» ـ «... أنّ قريشاً كانوا إذا حجّوا وقفوا بالمزدلفة، و لم يقفوا بعرفات، و كان تلبيتهم إذا أحرموا في الجاهليّة: «لبّيك اللّهمّ لبّيك، لبّيك لاشريك لك لبّيك إنّ الحمد و النّعمة لك»

فجآءهم إبليس في صورة شيخ، و قال لهم: ليس هذا تلبية أسلافكم، قالوا: كيف كانت تلبية أسلافنا؟ فقال: كانت: «اللّهمّ لبّيك لبّيك إنّ الحمد و النّعمة لك، و الملك لك لاشريك لك إلاّ شريكاً هو لك».

فنفرت قريش من قوله، فقال: لاتنفروا من قولي و على رسلكم حتّیٰ آتي آخر كلامي، فقالوا له: قل، فقال: إلاّ شريك لك هو لك، تملكه و ما ملك. ألا ترون أنّه تملك الشّريك، و الشّريك لايملكه، فرضيت قريش بذلك، فلمّا بعث الله سبحانه رسوله «صلّى الله عليه و آله» نهاهم عن ذلك، و قال: إنّ هذا شريك، فقالوا: ليس بشريك لأنّه لايملكه و ما ملك، فأنزل الله سبحانه: «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم ممّا ملكت أيمانكم من شركآء فيما رزقناكم فأنتم فيه سوآء» إلى آخر الآية، فأعلمهم أنّهم لايرضون بهذا فكيف ينسبون إلى الله؟»

و في الدّرّ المنثور: عن ابن عبّاس قال: كان يلبّي أهل الشّرك: «لبّيك اللّهمّ لبّيك لبّيك لاشريك لك إلاّ شريك هو لك تملكه و ما ملك» فأنزل الله: «هل لكم ممّا ملكت أيمانكم من شركآء؟».

و في المجمع: قال سعيد بن جبير: لأنّه كانت تلبية قريش: «لبّيك اللّهمّ لبّيك لاشريك لك إلاّ شريكاً هو لك تملكه و ما ملك» فأنزل الله تعالى الآية: «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم...» ردّاً عليهم و إنكاراً لقولهم».

و في شواهد التّنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن ابن عبّاس قال: لمّا أنزل الله: «و آت ذاالقربى حقّه» دعا رسول الله «صلّى الله عليه و آله» فاطمة و أعطاها فدكاً، و ذلك لصلة القرابة».

و فيه: باسناده عن أبي سعيد قال: لمّا نزلت هذه الآية: «و آت ذاالقربى حقّه» دعا النّبيّ «صلّى الله عليه و آله» فاطمة و أعطاها فدكاً».

و في جوامع الجامع: عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: لمّا نزلت الآية أعطى رسول الله «صلّى الله عليه و آله» فاطمة فدكاً و سلّمه إليها» و هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السّلام.

و في المجمع: و روى أبوسعيد الخدري و غيره أنّه لمّا نزلت هذه الآية على النّبيّ «صلّى الله عليه و آله» أعطى فاطمة عليها السّلام فدكاً و سلّمه إليها و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.

عن ابن عبّاس: أنّ قوله تعالى: «و ما آتيتم من رباً ليربوا في أموال النّاس فلايربوا عند

اللهو ما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون» نزل في هبة الثّواب بأن يريد الرّجل هديّة الشّئ أن يثاب أفضل منها، فذلك الّذي لايربو عند اللهو لايـؤجر صاحبه.

و عنه أيضاً قال: نزلت هذه الآية في قوم يعطون قراباتهم و إخوانهم على معنى نفعهم و تمويلهم و التفضّل عليهم و ليزيدوا في أموالهم على وجه النّفع لهم.

و عن السّدّي: نزلت هذه الآية في ربا ثقيف لأنّهم كانوا يعملون بالرّبا و تعمله فيهم قريش».

و في الدّرّ المنثور: عن ابن عبّاس قال: نزلت هذه الآية في دعآء النّبيّ«ﷺ» لأهل بدر: «إنّك لاتسمع الموتى و لاتسمع الصّمّ الدّعاء إذا ولّوا مدبرين».

«القراءة»

قرأ أبوجعفر «الٓمٓ» بالسّكت على الحروف، و قرأ أبوسعيد الخدري و ابن عمر «غَلَبَت»: ٢) بفتح الغين و اللّام مبنيّاً للفاعل، و «سيُغْلَبُون» مبنيّاً للمفعول، و قرأ جميع القُرّآء «غُلِبَت» بضمّ الغين و كسر اللّام، مبنيّاً للمفعول، و «سيغلبون» بفتح اليآء، مبنيّاً للفاعل.

و في القرآءة الأخيرة وجهان: **أحدهما** ـ أن يكون المعنى: أنّ الرّوم غُلِبوا في ظروف البعثة ثمّ غَلَبُوا على الفرس. **ثانيهما** ـ أن يكون المعنى: أنّ الرّوم من بعد غلبهم فارس، سيغلبهم المسلمون.

و قرأ أبوعمرو «غِلابهم» و قرأ الكلبي «غَلْبِهِمْ» و قرأ جميع القُرّآء «غَلَبِهِمْ».

و قرأ أبوجعفر «آثاروا»: ٩) بالمدّ بعد الهمزة و الباقون: «أثاروا» بغير مدّ. و قرأ أبوعمرو «رُسْلهم»: ٩)بسكون السّين، و الباقون بضمّها.

قرأ عاصم و حمزة و ابن عامر «عاقبة»: ١٠) بالنّصب على أنّها خبر «كان» فقدّمت على إسم «كان» كقوله تعالى: «وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين» الرّوم: ٤٧) و في اسم «كان» وجهان: **أحدهما** ـ أن يكون «السّوآى» إسمها، فتقديره: ثمّ كان السّوآى عاقبة الّذين...

ثانيهما ـ أن يكون «أن كذّبوا» بعد انسباكه بالمصدر إسم «كان» تقديره: ثمّ كان التكذيب عاقبة الّذين أسآؤا...

و قرأ الباقون بالرّفع، و في اسم كان أيضاً وجهان: **أحدهما** ـ أن يكون «السّوآى»

خبرها. ثانيهما ـ أن يكون «أن كذّبوا» خبرها، و تقديره: ثمّ كان عاقبة المسيئ التكذيب بآيات الله تعالى أي لم يظفر في شركه و كفره بشئ إلاّ بالتكذيب، فيكون «السّوآى» منصوباً على المصدر.

و قرأ ابن مسعود «السّوء»: ١٠) بالتّذكير.

قرأ أبوعمرو و عاصم «يُرْجَعون»: ١١) بياء الغيبة مضمومة، لأنّ ما قبلها: «يبدؤا الخلق» غيبة، و الخلق هم المخلوقون في المعنى، و جآء قوله تعالى: «ثمّ يعيده» على لفظ الخلق، و جآء قوله سبحانه: «يرجعون» على المعنى، و لم يرجع على لفظ الواحد. و قرأ الباقون «تُرجعون» بتآء الخطاب مبنيًّا للمفعول، و هي القرآءة المشهورة لأنّ في الكلام التفاتاً من الغيبة إلى الخطاب.

قرأ نافع و أبوجعفر «لم يكن»: ١٣) بياء الغيبة، و الباقون بتآء الغيبة تأنيثاً، و إنّ «الشّفعآء» إسم «تكن» على كلتا القرآئتين.

قرأ حفص و نافع «الميّت»: ١٩) بكسر اليآء و تشديدها، و الباقون بسكونها مخفّفة.

قرأ حمزة و الكسآئي «تخرجون»: ١٩) بفتح التّآء مبنيًّا للفاعل على وجه الخطاب كقوله تعالى: «و إليه تقلبون» العنكبوت: ٢١).

و قرأ الباقون «يُخرجون» بضمّ اليآء و فتح الرّآء مبنيًّا للمفعول على وجه الخبر كقوله تعالى: «يخرجون من الأجداث» القمر: ٧).

و قرء شاذاً «يخرجون» بالغيبة مبنيًّا للفاعل.

قرأ حفص «للعالِمين»: ٢٢) بكسر اللّام، على أنّ الآيات اسندت إلى العلمآء، فإنّهم الّذين ينظرون فيها و يعتبرون بها كقوله تعالى: «هدى للمتّقين» البقرة: ٢) لأنّهم المنتفعون بها دون غيرهم كقوله عزّوجلّ: «و ما يعقلها إلاّ العالمون» العنكبوت: ٤٣) فكأنّ الآيات خلقت لهم دون غيرهم، و إن كانت لجميع المكلّفين، و قرأ الباقون بفتح اللاّم و هي القرآءة المشهورة، على أنّ الآيات اسندت إلى جميع المكلّفين الّذين يتمكّنون على الاستدلال لها و الاعتبار بها، سوآء أكانوا عالمين بها أم لا، لأنّ الاستعداد لجميعهم حاصل بالقوّة، و فيه دلالة على وضوح الآيات و عدم خفائها على أحد من الخلق كافّة إن تدبّرها، و هذا أعظم فائدة.

قرأ ابن كثير و أبوعمرو «يُنْزِل»: ٢٤) من باب الإفعال، و قرأ الباقون «يُنَزِّلُ» من باب التّفعيل، و الفعل مبنيّ للفاعل على كلتا القرآئتين.

قرأ ابن عامر و أبوعمرو و ابن كثير و نافع «تخرجون»: ٢٥) بضمّ التّاء و فتح الرّآء مبنيًّا للمفعول، حملاً على قوله تعالى: «يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده» الإسرآء: ٥٢) و الباقون بالعكس، مبنيًّا للفاعل.

قرأ أبوعمرو «يفصّل»: ٢٨) بياء الغيبة رعياً لـ«ضرب» إذ هو مسند لما يعود للغائب، و قرأ الباقون «نفصّل» بنون جمع التكلّم تعظيماً للحمل على «رزقناكم».

قرأ حمزة و ابن عامر و الكسآئي «فارقوا»: ٣٣) من باب المفاعلة أي فارقوا دينهم الّذي اُمروا باتّباعه، و قرأ الباقون «فرّقوا» من باب التّفعيل أي اختلفوا في دينهم. و قرأ حمزة «لَدَيهِمْ» بضمّ الهاء، و الباقون بكسرها.

قرأ أبوعمرو و الكسآئي «فَهْوَ»: ٣٥) بسكون الهآء و الباقون بضمّها.

و قرأ أبوعمرو و الكسآئي «يقنِطون»: ٣٦) بكسر النّون، و الباقون بفتحها. قرأ ابن كثير «أتيتم»: ٣٩) ثلاثياً أي ما جئتم به من عطآء ربا، و قرأ الباقون «آتيتم» من باب الإفعال أى أعطيتم ما أعطيتموه لتعوضوا ما هو أكثر منه و تكافئوا أزيد منه.

قرأ نافع و أبوجعفر «لتُرْبُوا»: ٣٩) بضمّ التّآء و البآء، و سكون الواو على الجمع، و قرأ الباقون «ليَرْبُوَا» بفتح الياء و ضمّ البآء، و فتح الواو على الإفراد.

قرأ حمزة و الكسائي «تشركون»: ٤٠) بتآء الخطاب، و قرأ الباقون بياء الغيبة، و الفعل على كلتا القرائتين من باب الإفعال.

قرأ ابن كثير و أبوعمرو «لنذيقهم»: ٤١) على وجه الإخبار من الله تعالى عن نفسه أنّه الّذي يذيقهم، و قرأ الباقون «ليذيقهم» أي ليذيقهم الله عقوبة بعض الّذي عملوا.

قرأ ابن كثير و حمزة «الرّيح»: ٤٨) بالإفراد على إرادة معنى الجمع لقوله تعالى «مبشّرات» أي بالمطر، و قرأ الباقون «الرّياح» بالجمع.

قرأ ابن عامر و أبوجعفر «كِسْفاً» بسكون السّين، جمع كسفة، مثل سدرة و سدر و قرأ الباقون «كِسَفاً» بفتح السّين.

قرأ ابن كثير و أبوعمرو «يُنْزَلُ»: ٤٩) من باب الإفعال، و قرأ الباقون «يُنَزَّل» من باب التّفعيل، و الفعل على كلتا القرائتين مبنيّ للمفعول.

قرأ نافع و ابن كثير و أبوعمرو و عاصم و أبوجعفر «أثر رحمة الله»: ٥٠) بالإفراد، و قرأ الباقون «آثار رحمة الله» بالجمع.

قرأ أبو عمرو «لايَسْمَعُ»: ٥٢) بياء الغيبة، و قرأ ابن كثير «لاتَسْمَعُ» بتاء التأنيث، و «الصّمّ» بالرفع على كلتا القرآئتين، و قرأ الباقون «لاتُسْمِعُ» من باب الإفعال، خطاب لرسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ و «الصُّمَّ» بالنّصب، على المفعول به و هذه قرآئة مشهورة.

قرأ حمزة «تهدى»: ٥٣) بالفعل المضارع ثلاثياً، خطاب للنّبيّ ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ و «العمى» بالنّصب، على المفعول به، و الباقون «بهاد العمى» باسم الفاعل المضاف إلى «العمى».

قرأ ابن كثير و حفص و ابن عامر و أبوعمرو و أبوجعفر «ضُعْفٍ»: ٥٤) بضمّ الضّاد في الثّلاثة، و الباقون بفتحها فيهنّ، و هما لغتان كالكُرْه و الكَرْه. و قيل: الضّمّ في الجسم، و الفتح في العقل و الرّأى.

قرأ أبوعمرو و ابن عامر و حمزة و الكسآئي و أبوجعفر «لبثتم»: ٥٦) بالادغام.

قرأ نافع و ابن كثير و ابن عامر و أبوعمرو «لاتنفع»: ٥٦) بالتّاء لأنّ لفظ المعذرة لفظ تأنيث، و قرأ الباقون «لاينفع» بياء الغيبة لأنّ تأنيث المعذرة غير حقيقيّ مع وقوع الفصل بين الفعل و فاعله، و الفصل يحسن التّذكير.

قرأ أبوعمرو و ابن عامر و حمزة و الكسآئي «و لقد ضربنا»: ٥٨) بالإدغام.

قرأ ابن كثير «القرآن»: ٥٨) بنقل حركة الهمزة و حذفها.

«الوقف و الوصل»

«الٓمٓ قف» علامة الوقف المستحبّ، و لابأس في الوصل، و «الرّوم لا» لتعلّق ما بعدها «في أدنى» على ما قبلها: «غلبت لا» و «سيغلبون لا» كالسّابق، و «سنين ط» لتمام الكلام و الاستئناف التّالي، و «و من بعد ج» لتمام الكلام و عطف التّالي، و «المؤمنون لا» لتعلّق ما بعده: «بنصر الله» على ما قبله: «يفرح» و «بنصر الله ط» لتمام الكلام، و استئناف التّالي، و «من يشآء ط» كالسّابق، و «وعدالله ط» كالسّابق أيضاً، و «الدّنيا ج» لعطف الجملتين المختلفتين، و الوصل أولى.

و «في أنفسهم قف» «و مسمّى ط» لتمام الكلام و استئناف التّالي، و «من قبلهم ط» كالسّابق، و «بالبيّنات ط» كالمتقدّم أيضاً، و «يظلمون ط» لأنّ «ثمّ» لترتيب الأخبار، و «يستهزؤن ى ع» «ى» علامة العشر توضع عند انتهآء عشر آيات: ١٠) و «ع» علامة انتهاء الرّكوع، و هو الحصّة اليوميّة لمن يريد حفظ القرآن الكريم في عامين.

«موتها ج» لتمام الكلام و عطف التّالي، و «رحمة ط» لاستئناف التّالي، و «ألوانكم ط» كالسّابق، و «من فضله ط» كالمتقدّم أيضاً، وكذلك «بعد موتها ط» و «بأمره ط» لأنّ «ثمّ» لترتيب الأخبار، و «دعوة ق» علامة الوقف الّذي قال به بعض العلمآء ولكن الصّواب هنا «دعوة لا» لأنّ «من الأرض» متعلّق بـ «دعاكم» و «الأرض ط» لتمام الكلام و استئناف التّالي، و «هو أهون عليه ط» و السّابق، و «الأرض ط» كالمتقدّم أيضاً.

«من أنفسكم ط» لانتهآء الاخبار إلى الاستفهام، «كخيفتكم أنفسكم ط» لتمام الكلام

و استئناف التّالي، و «بغير علم ج» لابتداء الاستفهام مع الفآء، و «أضلّ الله ط» لتمام الاستفهام و ابتدآء النّفي، و «حنيفاً ط» لتمام الكلام و استئناف التّالي، و «عليها ج» لتمام الكلام و تعليل التّالي، و «لخلق الله ج» كـالسّابق، و «القيّم لا» للاستدراك التـالي «لا يعلمون لا»: ۳۰).

قيل: الوقف أوضح لبعد العامل عن المعمول، بل التّقدير: كونوا منيبين بدليل قوله تعالى: «و لاتكونوا من المشركين».

«من المشركين لا» لأنّ «من الّذين...» كالبدل ممّا قبله، و «شيعاً ط» لتمام الكلام و استئناف التّالي، و «يشركون لا»: ۳۳) لتعلّق ما بعده: «ليكفروا» بـ«يشركون» و «آتيناهم ج» لتمام الكلام، و احتمال الفاء التّالية، للعطف و الاستئناف، و «فرحوا بها ط» فصلاً بين النّقيضين، و «و يقدر ج» لتمام الكلام، و لاحتمال التّالي تعليلاً و استئنافاً.

«و ابن السّبيل ج» كالسّابق، و «وجه الله ز» علامة الوقف المجوّز، و إن كان الوصل أولى، و «عندالله ج» لعطف جملتي الشّرط، و «يحييكم ط» لاستفهام التّالي، و «من شئ ط» لتمام الكلام و استئناف التّالي، و «يشركون ى ع» ٤٠).

«من قبل ط» لتمام الكلام و استئناف التّالي، و «كفره ج» لتمام الكلام و عطف التّالي، و «يمهدون لا» لتعلّق ما بعده به، و «من فضله ط» لتمام الكلام و استئناف التّالي، و «أجرموا ط» كالسّابق، و «خلاله ج» للشّرط مع الفاء، و «موتها ط» لتمام الكلام و استئناف التّالي، و «الموتى ج»: ٥٠) لاتّفاق الجملتين مع العدول عن بيان الحال إلى بيان القدرة.

«عن ضلالتهم ط» لتمام الكلام و استئناف التّالي، و «شيبة ج» لاحتمال التّالى استئنافاً و حالاً و خبراً، و «يشآء ج» لاحتمال التّالى استئنافاً و حالاً، و «المجرمون لا» لأنّ ما بعده جواب القسم، و «ساعة ط» لتمام الكلام و استئناف التّالي، و «البعث ز» الأوّل لاختلاف الجملتين مع اتّحاد المقول، و «من كلّ مثل ج» لتمام الكلام و عطف التّالي، و «حق صلى» علامة على جواز الوصل عند البعض، و عدم جوازه عند بعض الآخرين من القرّآء، و «لا يوقنون ى»: ٦٠).

﴿ اللّغة ﴾

٢٦ ـ الغلبة ـ ١٠٩٥

غلبه فلان و غلب عليه ـ لازم و متعدٍّ ـ يغلب غُلْباً و غَلَباً و غَلَبَةً و مَغْلَبَةً و مَغْلَباً ـ من باب ضرب ـ: قهره و استولى و اعتزّ عليه قهراً و امتنع، فهو غالب و الآخر مغلوب. و قد يتعدّى باللاّم. قال الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «له الإحاطة بكلّ شيءٍ، و الغلبة لكلّ شيءٍ».

و غُلِبَ على الشّيءُ ـ مجهولاً ـ: أخذ منه بالغلبة، و هي القهر.

قال الله تعالى: «غُلِبَتِ الرّوم في أدنى الارض و هم من بعد غلبهم سيغلبون» الرّوم: ٢ ـ ٣) الغَلَب: مصدر كالطَّلَب أو هو غَلَبَة، فحذفت الهاء عند الإضافة كالتآء في عِدة في قول الشّاعر: «و أخلفوك عِدَ الأمر الّذي وعدوا» أي عدة الأمر.

و من المعنوى: غلب فلان على نفسه: أكرهها على التقوى. و يقال: غَلَبَ الكَرَمُ على فلان: إذا كان أكبر خصاله، فكأنّه أصبح لا يستطيع إلاّ أن يكون كريماً.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ ـ في وصف المتّقين ـ: «فاتّقى عَبْدٌ رَبَّهُ، نَصَحَ نَفْسَهُ، و قدّم توبته و غَلَبَ شَهْوَتَهُ...».

و في الحديث: «كلّما غلب الله فهو أولى بالعذر» و في حديث قدسي: «إنّ رحمتي تغلب غضبي» هو إشارة إلى رحمة الله الواسعة و شمولها للخلق.

و في الدّعآء: «و أعوذبك من غلبة الرّجال» أي تسلّطهم و استيلاءهم هرجاً و مرجاً. و ذلك كغلبة العوام و الأشرار على العلمآء و المؤمنين.

و في الحديث: «ما اجتمع حلال و حرام إلاّ غَلَبَ الحرامُ الحلالَ» أي إذا امتزج الحرام بالحلال، و تعذّر تميزهما كالمآء و الخمر و نحوهما صار الجميع حراماً.

الغلبة: مصدر و هي القهر، جمعها: غلبات.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيين الإمام عليّ﴿؏﴾: «أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى أو فِتَنِ الدّنيا».

الغالب: اسم فاعل، جمعه: غالبون و غلبة.

قال الله تعالى: «و الله غالب على أمره» يوسف: ٢١)

و قال: «فإنّ حزب الله هم الغالبون» المائدة: ٥٦)

و قولهم: «غالباً و في الغالب» أي في أكثر الأحوال و الأوقات.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿؏﴾: «ما ظَفِرَ مَن ظَفِرَ الإثمُ به، و الغالبُ بالشّرّ مغلوب».

و غالب: موضع نخل دون مصرحماها الله تعالى.

رَجُلٌ غُلَّبَة: يغلب سَريعاً. الغَلاّب: الكثير الغلبة. جمعها: غلاّبون. و رَجُلٌ غُـلُبّة و غَلُبَّة: غالب كثير الغلبة. المَغْلَبَة: مكان الغلبة.

غَلِبَ الرّجلُ غَلَباً ـ من باب علم ـ: غلظ عُنُقُهُ، مع قصر فيه أو ميل يكون ذلك من دآء أو غيره فهو أغلب، و هي غلبآء، و الجمع: غُلْب.

من المادّي ـ من هذه المادّة ـ: هضبة غَلْبآء: عظيمة مشرفة. حديقة غَلْبآء: عظيمة متكاثفة ملتفّة. و الجمع: غُلْب.

قال الله تعالى: «و حدآئق غلباً» عبس: ٣٠) أى ملتفّة الشّجر أو غلاظ أعناق النّخل.

و الغلب: الغلاظ. الغَلْبآء: القبيلة العزيزة الممتنعة. و عزّة غلبآء: وثيقة قويّة.

الغَلَب: غِلَظ العنق و عظمها، و يصفون السّادة بغلظ الرّقبة و طولها. الواحد: أغلب و هي غلبآء، و يصفون به الحيوان أيضاً، فيقولون: أسد أغلب أي عظيم الرّقبة. و أنثاه: غلبآء. و يستعملونه في النّبات كذلك.

الأغلب: أيضاً اسم تفضيل. و منه قولهم: على الأغلب، و في الأغلب أي على الأكثر و

في الأكثر. و بَعيرٌ غُلالِب: يغلب بسيره.

تَغْلِب: أبو قبيلة. و قولهم: تغلب بنت وآئل إنّما يذهبون بالتّأنيث إلى معنى قبيلة، و كانت تغلب تسمّى الغلبآء، و النّسبة إليها تغلبيّ ـ بكسر اللاّم على الأصل ـ و منهم من يفتح استيحاشاً لتوالي الكسرتين مع يآء النّسبة. و بنو تغلب: قوم من مشركي العرب، طالبهم عمر بن الخطّاب بالجزية فأبوا فصولحوا على أن يعطوا الصّدقة مضاعفة فرضوا.

غَلَّبَهُ و غَلَّبَ عليه ـ من باب التفعيل ـ: جعله يغلبه، و غَلَّبَ فلاناً على بلد كذا: جعله يتغلّب عليه. المُغَلَّب: المغلوب مراراً كثيراً... و المحكوم له بالغلبة. ضدّ. و في الحديث: «أهل الجنّة الضّعفآء المُغَلَّبون».

غالبه مغالبة و غِلاباً ـ من باب المفاعلة ـ: قاهره و نازعه.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» ـ في الكبرآء المتكبّرين ـ: «... و جاحدوا الله على ما صنع بهم، مكابرة لقضآئه، و مغالبة لآلآئه...».

تَغَلَّبَ على بلد كذا: استولى عليه قهراً.

استغلب عليه الضّحك: اشتدّ.

اغتلب الرّجل و غلب عليه: قهره و استولى و اعتزّ عليه.

تغالبوا على البلد: غالب بعضهم بعضاً عليه.

اغلولب العَشَبُ: تكاثف، و اغلولب النّبت: بلغ كلّ مبلغ و التفّ. و اغلولب القومُ: تكاثروا. و اغلولبت الأرض: إذا التفّت عشبها.

١ ـ الرّوم ـ ٦١٣

رام الشّيْ يرومه رَوْماً و مراماً ـ أجوف واويّ ـ من باب نصر ـ مثل قال ـ: قصده و أراده و طلبه فهو رآئم، جمعه: رُوَّم و رُوّام. يقال: هم رُوَّم و روّام له، غير نُوَّم عنه.

الرَّوم: القصد.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ «عليه السلام» ـ في وصف الأنبيآء عليهم صلوات الله ـ: «... و لو كانت الأنبيآء أهل قوّة لاتُرام، و عزّةٍ لاتُضام...» أي لاتُقصَد و لاتُطْلَب.

و فيه: من كتاب سيّد الوصيّين الإمام علي «عليه السلام» إلى معاوية بن أبي سفيان عليها الهاوية و النّيران: «... و قد رام أقوام أمراً بغير الحقّ، فتأوّلوا على الله فأكذبهم...» أي و قد قصد و طلب.

الرّوم: جيل من النّاس يسكنون شمالي البحر المتوسّط.

قال الله تعالى: «غُلِبَتِ الرُّومُ» الرّوم: ٢) الواحد: «رُوميّ» كما يقال في واحد الزّنج زنجيّ. و فرقة من النّصرانيّة. الرّوميّ أيضاً: شراع السّفينة الفارغة.

رومة المكرمة: من أشهر مدن الدّنيا و أقدمها، و هي مقرّ الخلافة البطرسيّة. و يقال: رُومَيّة بتثقيل الياء و تخفيفها و النّسبة إليها رومانيّ على غير القياس.

بحر الرّوم: البحر المتوسّط، و يقال له: البحر الأبيض أيضاً. روم و روميّ كزنج و زنجيّ بين الواحد و الجمع إلاّ الياء المشدّدة كما لا تكون بين الواحد و الجمع في تمر و تمرة إلاّ الهاء.

الرّامة: مستنقع، يجتمع فيه المآء. و رامة: موضع بالبادية، و قد يثنّونه باعتبار طرفيه. و منه المثل: «تسئلني برامتين سَلْجَماً» يُضرَب لمن يطلب الشئ حيث لا يوجد، و أكثر استعماله بلفظ التّثنية في الشّعر. و من ذلك قول الشّاعر: لمن الدّيار برامتين فعاقلٍ...

الرّام: شجر، و أصله: رَوَم. الرُّوم. الرَّوْم: شراب كحوليّ يستخرج من تخمير ثُفْل قصب السّكّر و تقطيره، جمعه: الأروام.

الرَّوْم: شحمة الأذُن، و حركة مختلسة مخفاة لضرب من التخفيف، و هي أكثر من الإشمام لأنّها تسمع.

الرُّوم: شَحْمة الأذُن أيضاً.

الرُّومة ـ بالضّمّ ـ: الغِرآء يُلصَقُ به ريش السّهم، و رُومة و رومية: مدينة في ايطاليا، و النّسبة إليها رومانيّ. الرومنطيقيّة أو الرّومانسيّة: مذهب أدبيّ يتغلّب فيه الشّعور و الخيال على العقل تسيطر فيه الفرديّة «فرنسيّة». بئر رومه: بئر بوادي العقيق و ماؤها عذب.

المرام ـ مصدر ميميّ ـ: المطلب. يقال: هو ثَبْتُ المقام، بعيد المرام. جمعه: مرامات.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام علي «عليه السلام»: «فما يُدْرَاك بكم ثارٌ، و لا يُبْلَغ بكم مَرام».

و فيه: من كتاب إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» إلى معاوية بن أبي سفيان: «... و ترقّيت إلى مَرْقَبَةٍ بعيدة المَرام، نازحة الأعلام...».

و لايخفى على الأديب الأريب من الفرق بين الرّوم و الطّلب، حيث إنّ الرّوم هو طلب الشّئ ابتداءً، و لايقال: رمت إلاّ لما تجده قبل. و يقال: طلبت في الأمرين. و لهذا لايقال: رمت الطّعام و المآء. و إنّ الرّوم لايستعمل في الحيوان و الإنسان. فلايقال: رمت زيداً، و لارمت فرساً. و إنّما يقال: رمت أن يفعل زيد كذا، فيرجع الرّوم إلى فعله و هو الرّوم و المرام لا إلى نفسه.

روّم الرّجُلُ: لبث، و فلاناً و بفلان: جعله يطلب الشّئ، و رأيه: همّ بشئ بعد شئ.

تَرَوَّمَ الرَّجلُ بفلان: تهزّأ به.

في المفردات: الرّوم: يقال مرّة للجيل المعروف، و تارة لجمع روميّ كالعجم.

٤٣ ـ البضع ـ ١٢٧

بَضَعَهُ يَبْضَعُهُ بَضْعاً ـ من باب منع ـ: قطعه. و بَضَعَ العَرَقُ: سال. لازم و متعدّ. يقال: بَضَعْتُ اللّحمَ: قطعته و شققته بالمِبْضَع، و بضعتُ الجرحَ: شققته، و بَضَعَ الدّمعُ: صار في الشّفر و لم يفِض. و بَضَعَ الكلام بُضُوعاً: فهمه، و بَضَعَ الكلامُ نَفْسُهُ: تبيّن. و بَضَعَ من فلان: سئم منه، و بَضَعَ من المآء بُضُوعاً و بَضْعاً: رَوِيَ و امتلأ. و أبضعني المآء: أرواني.

البِضْع: هو قطعة من العدد، و هو ما بين الواحد و العشرة غالباً، و قد يطلق على أكثر منها، مأخوذ من البَضع و هو القطع يستوي فيه المذكّر و المؤنّث، يقال: بضع سنين، و بضع عشرة رجلاً، و بضع عشر إمرأة.

قال الله تعالى: «في بضع سنين» الرّوم: ٤).

و في الخبر: «أُهدِيَ إلى رسول الله «صلّى الله عليه و آله» هريسة من هرآئس الجنّة فزادت في قوّته بضع أربعين رجلاً».

و جمعه: بِضَع، و بضعات كتمر و تمرات.

و في البِضع أقوال أُخر: ١ ـ هو ما بين الثّلاث إلى التّسع. ٢ ـ ما بين الواحد و التّسع. ٣ ـ

ما بين الثّلاث إلى الخمس. ٤ـ ما بين الواحد إلى السّتّ. ٥ ـ ما بين الواحد و الأربع. ٦ـ ما بين الأربع إلى التّسع. ٧ ـ ما بين الواحد إلى السّبع. ٨ ـ لا يذكر البضع إلاّ مع العشرة و العشرين إلى التّسعين. ٩ ـ ما بين العقدين من واحد إلى عشرة، و من أحد عشر إلى عشرين. ١٠ ـ البضع من العدد غير معدود.

البِضْع ـ بفتح الباء و كسرها ـ: طائفة من اللّيل.

البَضْعة ـ بالفتح و قد تكسر ـ: القطعة من اللّحم. و فلان بَضعة من فلان: كقطعة و جزء منه.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «ألا إنّ اللسان بَضْعَة من الإنسان» و في الحديث المتواتر عن الفريقين قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «فاطمة بَضعة منّي يريبني ما رابها و يؤذيني ما آذاها» أي أنّها سلام الله عليها جزء منّي كما أنّ القلب جزء من الإنسان، و اللسان جزء من الإنسان.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «لقد عُلّقَ بنياط هذا الإنسان بَضْعة هي أعجب ما فيه و ذلك القلب».

جمع البَضعة: بَضْع، و بَضَع، و بِضاع و بضعات.

البَضيع: اللحم، البضيع: العَرَق لأنّه يسيل من الجسد و يقطع منه، البضيع: البحر. البضيع: الجزيرة في البحر، و قد غلب على بعضها. البضيع: الماء النمير كالباضع.

البضيع: الشّريك، يقال: هو بضيعي و شريكي. يقال: دابّة كثيرة البضيع، و رجل حاظي البضيع: أي سمين.

البُضع ـ بالضّمّ ـ: يطلق على عقد النّكاح، و على الجماع، و على الفرج، و على نفس الأُنوثيّة، و على مهر المرأة، و على الطّلاق، فهو ضدّ، و على ملك الوليّ للمرأة. و في حديث أبي أمامة: «أنّ رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أمر بلالاً أن ينادي في النّاس يوم صبح خيبر: ألا مَن أصاب حبلى فلا يقربنّها فإنّ البُضع يزيد في السّمع و البصر» أي الجماع. و يقال: ملك فلان بُضع فلانة: إذا ملك عقدة نكاحها و هو كناية عن موضع الغشيان.

وجمع **البُضع:** بضوع، و أبضاع. و في الحديث: «تُستأمر النّسآء في أبضاعهنّ».

والأبضاع: هو أن يدفع الإنسان إلى غيره مالاً ليبتاع به متاعاً، و لاحصّة له في ربحه بخلاف المضاربة.

البِضاعة: السّلعة، و أصلها: القطعة من المال الّذي يتّجر فيه.

قال الله تعالى حكاية عن إخوة يوسف النّبيّ«ع»: «هذه بضاعتنا ردّت إلينا ـ و جئنا ببضاعة مزجاة» يوسف: ٦٥ و ٨٨) و المراد بها هنا الّتي شروا بها الطّعام.

جمع البضاعة: بضآئع.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«ع»: «و إيّاك و الاتّكال على المُنىٰ فإنّها بَضآئع النُّوكىٰ».

البُضاعة ـ بالضّمّ ـ: هي دار بني ساعدة بالمدينة، و بئرها معروفة، و فيها أفتى النّبيّ«ص» بأنّ المآء طهور مالم يتغيّر» و بها مال لأهل المدينة من أموالهم. و بئر بُضاعة: بئر بالمدينة لقوم خزرج.

الباضع: مَن يحمل بضائع الحيّ و يجلبها، فيقال مثلاً: جآء باضع الحيّ، و الباضع: السّيف القطّاع، و المآء النّمير، و السّيف القاطع. جمعه: بَضَعَة.

الباضعة: الشّجّة الّتي تشقّ اللحم، و لاتبلغ العظم، و لايسيل منهادم، فإن سال فهي الدّامية. و في الحديث: «و في الباضعة بعيران».

المِبْضَع: المِشْرَط و الآلة يشقّ بها الجلد و الأديم و نحوهما.

أبضعه الكلامَ ـ من باب الإفعال ـ: بيّنه له بياناً شافياً كائناً ما كان. و أبضع الشّئ: جعله بضاعة، و أبضع فلاناً عن المسئلة: شفاه. أَبْضَعَ المرأةَ: زوّجها و جامعها.

يقال: أبضعت المرأة إبضاعاً: إذا زوّجتها و جامعتها.

الأبضع: المهزول من الرّجال.

باضع الرّجل امرأته مباضعة و بِضاعاً: باشرها و جامعها. المباضعة: المجامعه. و في الحديث: «الكحل يزيد في المباضعة».

بضّعه تبضيعاً: قطّعه فتقطّع. مطاوع.

تبضّع العَرَقُ: نبع قليلاً قليلاً من اصول الشّعر. تبضّع: اتّخذ البضاعة. و تبضّع الرّجل

الشّئ: جعله له بضاعة.

ابتضع الشّئ و الأمر: تبيّن.

انبضع: انقطع. مطاوع.

استبضع الشّئ: جعله بضاعة، و منه المثل: «كمستبضع التّمر إلى هجر» و قد عُدّي بـ«إلى» لأنّه في معنى حامل.

و الاستبضاع: نوع من نكاح الجاهليّة، و هو استفعال من البُضع: الجماع.

و ذلك أنّ المرأة قد تطلب جماع الرّجل لتنال منه الولد فقط. كان الرّجل منهم يقول لأمته أو امرأته: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، و يعتزلها فلا يمسّها حتّى يتبيّن حملها من ذلك الرّجل، و إنّما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد. و منه الحديث: «أنّ عبدالله بن عبدالمطلب أبا النّبيّ (ﷺ) مرّ بامرأة فدعته إلى أن يستبضع منها».

۸۸ ـ السّنة ـ ۷٤۷

سنت النّار تسنوسَناً و سَنْواً و سَناوَةً و سُنُوّاً و سِناية ـ ناقص واوي ـ مثل دعا يدعو ـ و قيل: واويّ يائيّ ـ من باب نصر ـ: علا ضوءها. و سنت الأرضُ: سقت، و السّمآء: مطرت، و سنا القوم لأنفسهم: استقوا. و منه حديث الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها: «لقد سَنَوْتُ حتّى اشتكَيْتُ صدري» أي سقيت. و المسنويّة: البئر الّتي يستق منها.

سناها الغيث يسنوها فهي مَسْنُوّة و مسنيّة: سقاها. قلبوا الواو ياءً كما قلبوها في قِنية. و في حديث الزّكاة: «ما سُقِيَ بالسّواني ففيه نصف العُشر» السّواني: جمع سانية و هي النّاقة الّتي يستق عليها. و منه حديث البعير الّذي شكا إليه، فقال أهله: إنّا كنّا نسنوا عليه أى نستق.

يقال: سَنَوْتُ البابَ: فتحته، و سنا البرق: لمع و أضآء. السّنا: ضوء النّار و البرق.

قال الله تعالى: «يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار» النّور: ٤٣).

السّنآء: الرّفعة و القدر و المنزلة عند الله جلّ وعلا. و السّناء: نبت يتداوى و يكتحل به.

السّنة: العام، و أصلها: سنوة بالواو، فحذفت الواو. و قيل: قلبت الواو تاءً، و قيل: الهاء عوض عن الواو. و قيل: التّاء للوقف نحو كتابيه و حسابيه.

و السّنة من الأسماء الغالبة نحو الدّابّة في الفرس، و المال في الابل، و تجمع على سنين بكسر السّين تنبيهاً على أنّها خرجت عن بابها إلى الجمع بالواو و النّون، أو كسرت لكسرة ما بعدها، فتعرب إعراب جمع المذكّر السّالم «سنون» رفعاً، و «سنين» نَصْباً و جرّاً.

قال الله تعالى: «في بضع سنين» الرّوم: ٤)

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين يعسوب الدّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «ما أسرع السّاعات في اليوم، و أسرع الأيّام في الشّهر، و أسرع الشّهور في السّنة، و أسرع السّنين في العمر».

و فيه: قال سيّد الوصيّين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس، إذ أحبط عمله الطّويل، و جهده الجهيد، و كان قد عبدالله ستّة آلاف سنة لايُدرى أمن سني الدّنيا أم من سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة».

السّنة الدّنيويّة: هي تمام دورة الشّمس، و تمام ثنتي عشرة دورة للقمر. و انّ السّنة الشّمسيّة هي ثلاثمأة يوم و خمسة و ستّون يوماً و ثلثا يوم، و السّنة القمريّة هي ثلاثمأة يوم و أربعة و خمسون يوماً و ثلث عشر يوم، فتكون السّنة الشّمسية زائدة على القمريّة بأحد عشر يوماً و جزء من أحد و عشرين جزء من يوم. و السّنة الشّمسية هي مقدار قطع الشّمس البروج الاثنى عشر.

السّنة الضّوئيّة: هي المسافة الّتي يجتازها الضّوء في سنة كاملة أي (٩٤٦٨) مليارد كيلومتراً. و أقرب نجم إلينا يبعد عنّا أكثر من أربع سنوات ضوئيّة.

السّنة الانقلابيّة أو الاستوائيّة: هي الزّمن الفاصل بين مرور الشّمس في نقطة الإعتدال الرّبيعيّ مرّتين متتابعتين قيمتها (٣٦٥،٢٤٢٢) يوماً شمسيّاً معدّلاً أي (٣٦٥ يوماً ٥ س ٤٨ د ٤٦ ث).

و **السّنة النّجوميّة أو المداريّة**: هي الزّمن اللاّزم لدوران الأرض حول الشّمس دورة كاملة بحيث ترى من مركز الشّمس على اجتماع بنجم ما مرّتين متتاليتين. قيمتها

(٣٦٥،٢٥٦٤) يوماً شمسياً معدّلاً أى (٣٦٥ يوماً ٦س ٩د، ٥، ٩ث).

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿ﷺ﴾: «و جعل شمسها آية مبصرة لنهارها، و قمرها آية مَمْحُوَّةً من ليلها، فأجراهما في مناقل مجراهما، و قدّر سيرهما في مدارج دَرَجِهما، ليميّز بين اللّيل و النّهار بهما، و ليُعْلَمَ عَدَدُ السّنين و الحسابُ بمقاديرهما...».

و لايخفى على الأديب الأريب من الفروق بين السّنة و العام:

منها: أنّ السّنة أطول من العام، و العام يطلق على الشّهور العربيّة بخلاف السّنة.

و منها: أنّ استعمال السّنة في الحول الّذي فيه الشّدّة و القحط و الجدب، و العام الّذي فيه الرّخآء و الخصب، و بهذا تظهر النكتة في قوله تعالى: «و لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً» العنكبوت: ١٤) حيث عبّر عن المستثنى بالعام، و عن المستثنى منه بالسّنة لأنّ الخمسين سنة مضت قبل بعثته، و قبلها لم يحصل له أذى من قومه، و أمّا من بعثته فهي شدّة عليه، و غلبت السّنة على عام القحط و الشّدّة و الجدب، فإذا أطلقَت تبادر منها.

و منها: أنّ العام جمع أيّام، و السّنة جمع شهور، ألاترى أنّه لمّا كان يقال: أيّام الزّنج، قيل: عام الزّنج، و لمّا لم يقل: شهور الزّنج، لم يقل: سنة الزّنج.

و منها: أنّ العام يفيد كونه وقتاً لشيء، و السّنة لاتفيد ذلك، و لهذا يقال: عام الفيل، و لايقال: سنة الفيل. و يقال في التّأريخ: سنة مأة، و سنة خمسين. و لايقال: عام مأة و لا عام خمسين إذ ليس وقتاً لشيء ممّا ذكر من هذا العدد، و مع هذا، فإنّ العام هو السّنة، و السّنة هي العام، و إن اقتضى كلّ واحد منهما ما لايقتضيه الآخر لما ذكر، كما أنّ الكلّ هو الجمع، و الجمع هو الكلّ، و إن كان الكلّ إحاطة بالأبعاض، و الجمع إحاطة بالأجزآء... و غيرها من الفروق...

و قد يعنى بالسّنة: الجَدْب و الشّدّة و القحط. يقال: أرض بني فلان سنة أي مجدبة. و أصابتهم السّنة: الجدب و الشّدّة و القحط. و تجمع على سنوات على حذف الواو، و على السّنين.

قال الله تعالى: «و لقد أخذنا آل فرعون بالسّنين» الأعراف: ١٣٠) أي الجدب و الشّدّة.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ ـ في خطبته في الاستسقآء ـ «... اللّهمّ فاسقنا غيثك، و لاتجعلنا من القانطين، و لاتهلكنا بالسّنين...».

و في الحديث: «اللّهمّ أعنّي على مُضَر بالسَّنَة» و هي الجَدْب و الشّدّة و القحط.

و في الدّعآء على قريش: «أعنّي عليهم بسنين كسني يوسف» و هي الّتي ذكرها الله تعالى في قوله: «ثمّ يأتي من بعد ذلك سبع شداد» يوسف: ٤٨) أي سبع سنين فيها قحط و جَدْب و شدة.

و في الحديث: «أنّ رسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ نهى عن بيع السّنين» بأن يبيع ثمرة نخله أو غيرها من الغلاّت لأكثر من قيمتها يوجب القحط و الشّدّة و الجَدْب.

أسناه إسناآءً: أرفعه.

سنّاه تسنيواً: أرفعه.

ساناه سيناآءً و مساناةً: عاهده و استأجره لسنة. ساناه: راضاه، و سانيت الرّجل: راضيته و داريته و أحسنت معاشرته. المساناة: المداراة و الملاينة في المطالبة و المصانعة.

في المفردات: السّنة في أصلها طريقان: أنّ أصلها: سَنَهَة لقولهم: سانهت فلاناً أي عاملته سنةً فسنةً، و قولهم: سُنَيْهة. قيل: و منه: «لم يتسنّه» أي لم يتغيّر بمرّ السّنين عليه، و لم تذهب طراوته. و قيل: أصله من الواو لقولهم: سنوات، و منه: سانيتُ. و الهاء للوقف نحو كتابيه و حسابيه. و أكثر ما تستعمل السّنة في الحول الّذي فيه الجدب. يقال: أسْنَتَ القومُ: أصابتهم السَّنَةُ».

و **في مجمع البحرين:** و في نقصان السّنة وجهان: **أحدهما** ـ حذف الواو، أصله «سنوة» لأنّك تقول في الجمع: سنوات. و الثّاني: حذف الهاء، و أصلها: «السّنهة» مثل الجبهة لأنّها من سنهت النّخلة و تسنهت إذا أتت عليها السّنون.

و **في النّهاية:** و منه حديث عمر: «أنّه كان لايجيز نكاحاً عام سنة» أي عام جَدْب. يقول: لعلّ الضّيق يحملهم على أن يُنكِحُوا غير الأكفاء».

أقول: و هذا خلاف ما يقول الله تعالى: «إن يكونوا فقرآء يغنهم الله من فضله و الله واسع عليم» النّور: ٣٢)

۷٦ ـ العمر ـ ۱۰٤۱

عَمَرَ فلانٌ الدّار يعمرها عَمْراً و عُمْراً و عِمارة ـ من باب نصر ـ: بناها، فصارت مسكونة فهو عامر، جمعه: عُمّار. و عَمَرَ المنزلُ بأهله: سكنوا فيه، و عَمَرَ المكانَ أهْلُهُ: سكنوه، و عَمَرَ بالمكان: أقام به فهو معمور. لازم و متعدٍّ. قال الله تعالى: «والبيت المعمور» الطور: ٤).

و عَمَرَ الرّجُلُ بيتَه: سكنه و لزمه. و عَمَرَ رَبَّهُ: عبده و خدمه و صلّى و صام. المعمور: المخدوم. دار معمورة: يسكنها الجنّ. و عَمَرَ فلانٌ أرضه: أهّلها و مهّدها للزّراعة و نحوها بعد خرابها.

قال الله عزّوجلّ: «و أثاروا الأرض و عمروها أكثر ممّا عمروها» الرّوم: ۹).

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ ـ في وصف آدم ﴿عليه السلام﴾ ـ: «فأهبطه بعد التّوبة ليعمر أرضه بنسله، و ليقيم الحجّة به على عباده».

و عَمِرَ يَعْمَرُ عَمْراً و عَمَراً و عَمارةً ـ من باب علم و ضرب ـ: عاش زمناً طويلاً.

و من المادّة: العمر ـ بالفتح و الضمّ مع سكون الميم و بضمّتين ـ: إسم لمدّة عمارة البدن بالحياة.

قال الله تعالى: «و ما يعمّر من معمّر و لاينقص من عُمُره إلاّ في كتاب» فاطر: ۱۱)

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «جعل لكم أسماعاً لتعي ما عناها، و أبصاراً لتجلو عن عشاها، و أشلاءً جامعةً لأعضائها، ملائمة لأحنائها في تركيب صورها و مُدَدِ عُمُرها بأبدان قائمة بأرفاقها...» الخطبة الغرّاء: ۸۲).

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «فإن تكن السّنة من عمرك فإنّ الله تعالى سيؤتيك في كلّ غدٍ جديد ما قسم لك، و إن لم تكن السّنة من عمرك فما تصنع بالهمّ لما ليس لك...».

عَمَرَ الرّجُلُ عَمْراً: بقي زماناً طويلاً، و عمر اللهُ فلاناً: أبقاه، و عمر اللّهُ منزلَ فلان عمارة: جعله أهلاً، و عمر الرّجلُ مالَهُ و بيتَه عمارة و عُمُوراً و عُمْراناً: لزمه، و عَمَرَ المالُ عَمارة: صار عامراً أي كثيراً وافراً. عَمَرْتُهُ كذا: جعلته له طول عمري أو عمره.

العُمْر: الحياة، و المسجد، و البيعة و الكنيسة، سمّيت باسم المصدر لأنّه يعمر فيها أي يعبد.

و العُمْر: لحم ما بين الأسنان. و قيل: لحم اللّثة و نخل السّكّر كالعَمْر بالفتح.

كان يناهز العُمْرَين أي الثّمانين لأنّ العمر عندهم أربعون سنة، و بعد الأربعين ينقص، فكأنّ ما زاد على الأربعين ليس من العمر.

العُمُر: الحياة و ما طال منها.

العَمْر: الحياة. و قيل: العَمْر دون البقآء لأنّه اسم لمدّة عمارة البدن بالحياة. و البقآء: ضدّ الفنآء، و قد يوصَف البارئ تعالى بالعَمْر. جمعه: أعمار.

و في القسم استعملوه بفتح العين و السّكون فقط، فقالوا: لعمري، و لعمرك أي حياتى و حياتك.

يقال: عمرك الله و عمر الله ما فعلت كذا. أصله: عمّرتك الله تعميراً، و أعمرك الله أن تفعل تحلفه بالله و تسئله بطول عمره. أو عمرك الله أي أُذكّرك الله تذكيراً. و عمرك الله تأتي أيضاً بمعنى سئلت الله أن يطيل عمرك. و لايكون المراد بها القسم و هو منصوب انتصاب المصادر، و إذا أدخلته اللاّم و قلت: لعمرالله. رفعته بالابتداء، و اللاّم لتوكيد الابتداء، و الخبر محذوف. و التقدير: لعمر الله قسمى، و لعمر الله ما اقسم به. و معنى لعمر الله و عمر الله: أحلف بدوام الله و بقآءه. و إذا قلت: عمرك الله فكأنّك قلت: بتعميرك الله أي بإقرارك له بالبقآء.

قال الله تعالى: «لعمرك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون» الحجر: ۷۲) أي حياتك يا محمّد و مدّة بقائك. و عمرك الله أي نشدتك بالله. و عمرك: اسم لمدّة الحياة. و لعمري: مبتداء، محذوف الخبر وجوباً، تقديره: قسمي أو يميني.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾: «و لعمري لو كنّا نأتي ما آتيتم ما قام للدّين عمود، و لا اخضرّ للايمان عود، و أيم الله لتحتلبنّها دماً و لتُتبِعُنّها نَدَماً».

العَمْر: الدِّين، و منه لَعَمْري في القسم أي لديني. و العَمْر: لحم ما بين الأسنان أو لحم اللثة، جمعه عُمُور. العمور: منابت الأسنان و اللّحم الّذي بين مغارسها.

و منه الحديث: «أوصاني جبرئيل بالسّواك حتىّ خشيت على عُموري».

و العَمْر: الشَّنَف، و كلّ مستطيل بين سنّتين، و الشّجر الطّوال. الواحدة: عَمْرَة. و نخل السُّكَّر.

العَمْرَة: المرّة و كلّ شيءٍ على الرّأس من عمامة و قلنسوة و تاج و ما إليها.

و العَمْرَتان: عَظمان صغيران في أصل اللسان لهما شعبتان يكتنفان الغلصمة من باطن.

و أبوعَمْرَة: كنية الإفلاس و الجوع.

العَمْرو: من الأعلام تلحق به الواو رفعاً و جرّاً، للفرق بينه و بين عُمَر، و تسقط الواو نصباً لأنّ الألف تخلفها. جمعه: عَمْرون و أعْمُر و عُمُور.

و عَمْرو: إسم شيطان. و أُمّ عَمْرو: الضّبع. العَمْران: عمرو بن جابر و بدر بن عمرو، واللحمتان المتدلّيتان على اللّهاة. عمرويّة: اسم رجل مركّب كسيبويه.

و أبو عَمْرو العَمْري: ثقة جليل مكنّى بأبي عمرو السّمان من أصحاب الإمام الجواد«عليه السلام» وكان من وكلآء الإمام الحسن العسكريّ«عليه السلام» و هو الرّاويّ دعآء السّمات المعروف.

و ابن أبي عُمَيْر من أوثق ثقات رواة الحديث من اصحاب الامام الكاظم«عليه السلام» رأى الصادق«عليه السلام» و روى عنه.

العمرويّة: فرقة من المعتزلة، مثل الواصليّة في الأحكام إلاّ أنّهم فسّقوا الفريقين في قصّتي عثمان، و هم منسوبون إلى عمرو بن عبيد و كان من رواة الحديث.

و **العَمْريّ**: نسبة إلى عمرو.

عُمَر: اسم رجل، ممنوع من الصّرف، للعلميّة و العدول عن عامر. و العُمَران: أبوبكر ابن أبي قحافة، و عمر بن الخطّاب.

العَمَر ـ محرّكة ـ: مصدر، و الدِّين، و المنديل تغطّى به الحرّة، رأسها أوان لايكون لها خمار و لاصوقعة، تغطّى رأسها، فتُدخِلُ رأسها في كمّها، ثمّ استعمل لطرفي الكمّين.

و في الحديث: «و لا بأس أن يصلّي الرّجل في عَمْرَيْه» و هما طرفا الكمّين.

عَمَرٌ: جبَلٌ يُصَبّ في مسيل مكّة المكرّمة.

العُمْرى: ما يُجْعَلُ لك طول عمرك أو عمره، و هي إسم من أعْمَرَ. يقال: أعمرته الدّار. العُمْرى: جعلتها له يسكنها مدّة عمره أو عمري، فإذا مات من علقت عليه المدّة رجع ذلك الشيء إلى المالك أو الوارث. و منه قولهم: «ما الدّنيا إلاّ عُمْرى و لاخلود إلاّ في الأُخرى».

العُمْران: إسم للبنيان، و لما يُعْمَرُ به المكان، و تحسن حاله بواسطة الفلاحة و كثرة الأهالي، و نجح الأعمال و التمدّن. يقال: العدل أساس العُمْران.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿؈﴾: «فإنّ العُمْران مُحتمل ما حمّلته».

آل عِمْران: إسم السّورة الثّالثة من القرآن الكريم مصحفاً. و عِمران: إسم أبي موسى النّبيّ﴿؈﴾ و أبي مريم أمّ عيسى عليهما السّلام.

قال الله تعالى: «إذ قالت امرأة عِمران ربّ إنّي نذرت لك ما في بطني محرّراً» آل عمران: ٣٥).

و **في نهج البلاغة:** قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ﴿؈﴾: «و لقد دخل موسى ابن عمران و معه أخوه هارون صلّى الله عليهما على فرعون...».

من الحسّيّ: العمارة من الإنسان: الصّدر، و منه في تقسيمهم الجموع البشريّة، مسمّاة بأعضاء من الجسم الإنساني. العمارة: جماعة يأهل بهم المكان فيعمر. و العمارة: ما يعمر به المكان.

قال الله تعالى: «و عمارة المسجد الحرام» التّوبة: ١٩) و عمارة المسجد بما يناسبه من إقامة الشّعآئر و العبادة و الزّيارة و حفظ البنآء و نظافته و تعميره...

العِمارة ـ مصدر ـ: نقيض الخراب، و عمارة المساجد تشمل رمها و كنسها و نظافتها، و الإسراج فيها و فرشها و شغلها بالعبادة و إكثار زيارتها، و تنحية أعمال الدّنيا، و اللهو و اللغط، و عمل الصّنآئع و ما إليها.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب﴿؈﴾: «فإنّي اوصيك بتقوى الله ـ أي بُنيّ ـ و لزوم أمره، و عمارة قلبك بذكره و الاعتصام بحبله».

العِمارة: أخصّ من القبيلة، و هو الحيّ العظيم الّذي يقوم بنفسه، و بعدها البطن،

فالأفخاذ... العِمارة: اسم لجماعة بهم عمارة المكان.

العَمارة ـ مصدر ـ: ريحانة كان الرّجل يحيّي بها الملك مع قوله: «عمرك الله».

العَمارة: رقعة مزيّنة تُخاط في المظلّة، وكلّ شيئ على الرّأس من عمامة و قلنسوة و تاج و غيرها، جمعها: عَمار. و العَمارة: طائفة من السّفن الحربيّة تكون معاً.

العَمارِيّة: هودج يُجلَس فيه، و يُوضع فيه جسد الميّت لتدفينه في المقابر.

العَمار: التّحيّة و الرّيحان، وكلّ ما يضعه الرّئيس على رأسه عِمارة لرئاسته و حفظاً له ريحاناً كان أو عمامة أو تاجاً و نحوها.

العُمارة: اسم رجل، و أُجرة العِمارة.

العامر ـ اسم فاعل ـ: من يعمر الخروب.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «و عجبت لعامر دار الفنآء، و تارك دار البقآء».

العامر: المقيم. يقال: و تركتهم عامراً بمكان كذا أي مقيمين مجتمعين.

و قد يأتى العامر بمعنى المعمور، يقال: مكان عامر أي معمور. مثل مآء دافق أي مدفوق. العامر ـ أيضاً ـ: جرو الضّبع. اُمّ عامر: الضّبع، أبوعامر الرّاهب، هو أبوحنظلة، غسيل الملائكة، و حنظلة من خواصّ رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ قتل معه يوم اُحد، وكان جنباً، فغسلته الملائكة، فسمّي بذلك.

العامران: ابن مالك و ابن الطّفيل.

العُمّار ـ جمع عامر ـ: سكّان البيوت من الجنّ. و العُمّار: المعتمرون. و منه حديث الأسود، قال: «خرجنا عُمّاراً فلمّا انصرفنا مررنا بأبي ذرّ فقال: أحلقتم الشَّعَثَ و قضيتم التَّفَث».

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ ـ في المجاهدين في سبيل الله تعالى ـ: «سيماهم سيما الصّدّيقين، و كلامهم كلام الأبرار، عُمّار الليل و منار النّهار...».

العَمّار: فعّال للمبالغة، يقال: رجل عَمّار: إذا كان كثير الصّلاة و كثير الصّوم، و القويّ في الايمان، الثّابت في أمره، الثّخين الورع، الصّبور على العمل، و الطّيّب الثّنآء، و الطّيّب

الرّوآئح، و المجتمع الأمر، اللاّزم للجماعة، الحدِب على السّلطان، و الحليم الوقور في كلامه، والرّجل يجمع أهل بيته و أصحابه على أدب شريعة الله، و القآئم بالأمر و النّهي إلى أن يموت.

عمّار بن ياسر، إسم رجل من كبار صحابة رسول الله «ﷺ» و أميرالمؤمنين الإمام عليّ «؏».

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين عليّ بن أبيطالب «؏» في عمّار و أمثاله: «أين إخواني الّذين ركبوا الطّريق، و مضوا على الحقّ؟ أين عمّار؟ و أين ابن التّيهان؟ و أين ذو الشّهادتين؟...»

العَمير من الأماكن: المعمور، فعيل بمعنى مفعول، و ثوب عمير: صفيق. كثيرٌ بجيرٌ عميرٌ: أتباع.

عُمَيرة: عِلْمٌ للكفّ.

العُمَيران: العُمْرتان للعظمين المذكورين، و كذلك العُمَيرتان و العُمَيْمرتان.

العَميرة: كوّارة النّحل، و البطن. و قيل: حيّ عظيم يطيق الانفراد عن قومه. و العَميرة: خلايا النّحل مجموعة. جمعها: عمآئر.

عوامر البيوت: الحيّات، واحدها: عامر و عامرة، و سمّيت عوامر لطول أعمارها.

المَعْمَر: المنزل الكثير المآء و الكلأ و النّاس. المَعْمَر: المسكن مادام عامراً بسكّانه.

المِعْمار: البنّاء. المِعْماريّ: عَمَلُ البنّآء و شكل البناء، المعماريّة: نسبة إلى المعمار.

المَعْمَريّة: فرقة من المعتزلة أتباع مَعْمَر بن عبّاد السلمي.

اليعمور: الجدي، و الصّغير من الضّأن، جمعه: يعامير كقوله: «مثل الذّميم على قَزْم اليعامير» أي يَنسل اللبن منها كأنّه الذّميم الّذي يذمّ من الأنف. و اليعامير ـ أيضاً ـ: موضع.

اليعمورة: شجرة.

أعمره إعماراً: أهّله و أصلحه بعد خرابه، و يقال: أعمرته داراً أو أرضاً أو إبلاً: أعطيته إيّاها. أعمر الله منزلك: جعله أهلاً، و أعمر فلان، الأرض: وجدها عامرة، و أعمر

فلاناً: أغناه، و جعله يعتمر و أعانه على أدآء العمرة، و أعمر فلان على امرأته: بنى عليها في أهلها، و أعمرته الدّار: جعلت له سكناها عمرة.

عَمَّرَ فلان تعميراً: عاش زماناً طويلاً. التعمير: إعطآء العمر بالفعل أو بالقول على سبيل الدّعآء، و عَمَّرَ نفسه: قدّر لها قدراً محدوداً من العمر، و عَمَّرَ الثّوبَ: أجاد نسجه أو غزله. و عَمَّرَ الله فلاناً: أبقاه مدّة معيّنة.

في نهج البلاغة: قال الإمام يعسوب الدّين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» في رسول الله«صلى الله عليه و آله»: «و عمّر فيكم نبيّه أزماناً حتّى أكمل له و لكم فيما أنزل من كتابه دينه الّذي رضي لنفسه» و عَمَّرَ المنزلَ: جعله أهلاً، و عَمَّرَه أرضاً: جعلها له طول عمره، و عَمَّرَ الرّجل: عاش زمناً طويلاً.

المُعَمَّرون من الأنبيآء«عليهم السلام» و هم في قيد الحياة حتّى اليوم أربعة: الخضر و إلياس و هما في الأرض، و عيسى و إدريس و هما في السّمآء.

اعتمر بالمكان اعتماراً: قصده وزاره، و اعتمر الأمر: أمّه و قصده. يقال: جآء فلان معتمراً: زائراً. و الاسم: العمرة. العُمْرة: طاعة الله تعالى اسم من الاعتمار.

العُمْرَة: ـ في اللغة ـ: القصد إلى مكان عامر أو الزّيارة الّتي فيها عمارة الودّ. و في الشّرع: أفعال مخصوصة، تسمّى بالحجّ الأصغر. و واجباتها ثمانية: ۱ ـ النّيّة. ۲ ـ الإحرام. ۳ ـ طواف الكعبة. ٤ ـ صلاة الطواف. ٥ ـ السّعي بين الصّفا و المروة. ٦ ـ التّقصير أو الحلق. ۷ ـ طواف النّسآء ۸ ـ صلاة طواف النّسآء.

جمع العُمْرة: عُمَر و عُمُرات كغرفة و غُرَف و غرفات.

و قد خصّ بذلك لأنّه قصد لعمل مخصوص في موضع عامر، و تحسن العمرة في أيّ وقت من السّنة و أفضلها شهر رجب المرجّب ثمّ رمضان المبارك.

قال الله تعالى: «فمن حجّ البيت أو اعتمر ـ و أتمّوا الحجّ و العمرة لله» البقرة: ۱٥۸ و ۱۹٦).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و حجّ البيت و اعتماره فإنّهما ينفيان الفقر و يرحضان الذّنب».

يقال: اتّخذنا نادياً نعتمره أي مجلساً نجلس فيه. المُعْتَمِر: الزّائر و القاصد للشّئ لغة، و

قاصد الكعبة شرعاً بشرآئط مخصوصة مذكورة في الفقه.

العُمرة: أن يبنى الرّجل على امرأته في أهلها، فإن نقلها إلى بيته فذلك العرس.

تعمّر: جآء بالعُمرة. و انتسب إلى بني عمرو بن الحارث.

استعمره في المكان: جعله يعمره، و استعمر الله عباده في الأرض: طلب منهم العمارة فيها. قال الله تعالى: «هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها» هود: ٦١) أي أذن لكم في عمارتها و جعلكم سكّانها.

الاستعمار: أن تمتلك دولة بلاد غيرها كلّها أو جزءاً منها قهراً، يقال: استعمرت دولةٌ بلاد غيرها استعماراً: جعلتها مُسْتَعْمَرَةً لها، فهي مُسْتَعْمِرَة، جمعها: مستعمرات. و هو مستعمر، جمعه: مستعمرون.

في اللسان: العَمْر و العُمُر و العُمْر: الحياة. يقال: قد طال عَمْرُهُ و عُمْرُهُ، لغتان فصيحتان، و جمعه: أعمار. و عمّار: الرّجل يجمع أهل بيته و أصحابه على أدب رسول الله «ﷺ» و القيام بسنّته. مأخوذ من العَمَرات و هي اللحمات الّتي تكون تحت اللّحى.

العِمارة: هي فوق البطن من القبآئل أوّلها: الشّعْب، ثمّ القبيلة، ثمّ العمارة، ثمّ البطن، ثمّ الفخذ. و أبو عُمَيْر كنية الفَرْج.

و في **القاموس و شرحه:** عمر الرّجلُ ـ كفرح و نصر و ضرب ـ عَمْراً و عَمارة و عَمَراً: عاش و بقي زماناً طويلاً. و أبو عُمَيْر ـ كزبير ـ: كنية الذَّكَر. و جلد عُمَيرة كناية عن الاستمناء باليد. عُمَيْرة: مستعارة للكف من أعلام النّسآء.

٢ ـ الحبر ـ ٢٩٠

حَبَرَ الأمرُ فلاناً يحبره حَبْراً و حَبْرَةً ـ من باب نصر ـ: سرّه، و حَبَرَ الشّيْءَ: زيّنه، و حَبَرَ الأمر: حسّنه و وشّاه، و حَبَرَني هذا الأمر: سرّني و فرحني.

قال الله تعالى: «فهم في روضة يحبرون» الرّوم: ١٥) أي يُنَعَّمُون، و يُكرمون، و يسرّون و يفرحون حتّى يظهر عليهم حَبار نعيمهم.

و في الحديث: «مَن عزى حزيناً كسى في الموقف حلّة يُحْبَرُ بها» أي يُسَرُّ بها.

حَبِرَ الرّجل يحبر حَبَراً و حبوراً ـ من باب عَلِمَ ـ: فرح و سرّ. و حَبِرَ الجرْحُ: بَرِئَ، و قد بقيت له آثار، و حَبِرَتِ الأرضُ: كثر نباتها. و حَبِرَتِ الأسنانُ: اصفرّت. الحبور: صفرة الأسنان.

حُبِرَ الجلد ـ على المجهول ـ: ضُرِبَ، فبقي أثره، و حُبِرَ فلان: بقي بجلده أثر من قرح. وحُبِرَتِ اليد: برئت على عقدة في العظم من ذلك.

الحَبْر ـ بالفتح ـ: مصدر، و الرّجل العالم، و قيل: الصّالح من العلمآء إلاّ أنّ الكسر أفصح لأنّه يجمع على أفعال. الحَبْر: رئيس من رؤسآء الدّين. الحَبْر: صفرة تخالط بياض الأسنان، و السّرور وسعة العيش و النّعمة. يقال: فلان حسن الحَبْر و السَّبْر: جميل حسن الهيئة. و قد سمّي عبدالله بن عباس حَبْراً لحسن جماله، و قيل: لعلمه.

الحَبْر الأعظم: البابا، رئيس البيعة الكاثوليكيّة، و رئيس كهنة اليهود، جمعه: أحبار و حُبُور.

أحبار اليهود: كهنتهم، و الأحبار: البطرك و الأُسقف، واحد أحبار اليهود، و هو القآئم الّذي صناعته تحبير المعاني، و تخليط ما ليس من الدّين في الدّين كمخالطة الصّفرة لبياض الأسنان.

قال الله تعالى فيهم: «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم و قد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثمّ يحرّفون من بعد ما عقلوه و هم يعلمون ـ فويل للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم ممّا كتبت أيديهم و ويل لهم ممّا يكسبون» البقرة: ۷۵ ـ ۷۹).

و قال: «من الّذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه» النسآء: ٤٦).

كعب الأحبار: هو كعب بن ماتع، كنيته أبو إسحق، و كان جاسوساً من علمآء اليهود، تظاهر بالإسلام في عهد عمر بن الخطّاب، و اختلط معه، و اتّخذه عمر بن الخطّاب استاذاً لنفسه و كان يستمع منه الأحاديث الموضوعة و المفتريات...

في تفسير ابن كثير الدّمشقي (ج ٤ ص ١٧ ط مصر): «كان عمر يستفيد من كعب الأحبار و وهب بن منبه، و يحرّص النّاس على الاستفادة منها ـ إلى أن قال ـ فإنّه لمّا أسلم

في الدّولة العمريّة، جعل يحدث عمر ـ ابن الخطاب ـ عن كتبه قديماً، فربّما استمع له عمر، فترخّص النّاس في استماع ما عنده و نقلوا ما عنده عنه غثّها و سمينها، و ليس لهذه الاُمّة حاجة إلى حرف واحد ممّا عنده...».

و لابن كثير الدّمشقي في تفسيره و لمحمود ابوريّة في كتابه (أضواء على السّنّة المحمّديّة: ص ١٤٧ ـ ١٤٩) و لغيرهما، و لنا في تفسير سورة «الصّافّات» ج ٣٤ ص ٧٠٨ ـ ٧١٦) كلام في كعب الأحبار و تلميذه عمر بن الخطّاب فراجع.

و قد جاوز كعب الأحبار المائة، و سكن الشّام، و توفّي سنة (٣٢) للهجرة بحمّص في عهد عثمان بن عفّان.

الحِبْر ـ بالكسر ـ: المداد يُكتب به، و سمّي الحبر مداداً لأنّه ممّا تُحْبَر به الكتب أي تحسن، أو لتحسينه الخط و تبيينه إيّاه، أو لتأثيره في الموضع الّذي يكون فيه.

الحِبْر: الرّجل العالم، و قيل: الصّالح من العلمآء، و الأثر المستحسن، و أثر النّعمة و البهآء و الحسن و الوشي، و صفرة تشوب بياض الأسنان، و الحِبْر: المِثل و النّظير. يقال: ليس له حِبْرٌ أي مثل و نظير. و ذهب حِبْرُهُ و سِبْرُهُ: حسنه و هيئته.

الحِبْرة: صفرة تخالط بياض الأسنان. حِبْرَة: اُطُمٌ بالمدينة المنوّرة و هي لليهود في دار صالح بن جعفر، ممنوع بالعلميّة و التّأنيث.

الحَبَر ـ محرّكة ـ: مصدر، و الأثر.

الحَبِر ـ ككتف ـ: النّاعم الجديد. يقال: شيٌ حَبِرٌ: ناعم جديد.

حُبْرُ حُبْرٌ: دعاء للشّاة إلى الحلب. الحُبْرَة: عقدة من الشّجر تقطع و تُخْرَط منها الآنية، جمعها: حُبَر.

حَبْرُون ـ كزيتون ـ: إسم مدينة إبراهيم خليل الرّحمن عليه السلام بالقرب من بيت المقدّس، و بها غار، يقال له: غار حَبْرُون فيه قبر إبراهيم و إسحق و يعقوب عليهم السلام و قد غلب على اسمها الخليل.

الحَبْرة: السّرور، و النّعمة وسعة العيش و كذلك الحبور. و في ذكر أهل الجنّة: «فرأى ما فيها من الحَبْرة و السّرور» أي النّعمة وسعة العيش.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين يعسوب الدّين الإمام عليّ«عليه السلام» ـ في ذمّ الدّنيا ـ: «لاتدوم حَبْرَتُها ـ لم يكن امرؤ منها في حَبْرَة إلاّ أعقبته بعدها عَبْرَة».

الحَبَرَة و الحِبَرَة: ضرب من برود اليمن، قطن أو كتان مخطّط، و ملاءه سودآء تلبسها نساء محجّبات مصر إذا خرجن من بيوتهنّ. جمعها: حَبَرات و حِبَرات و حِبَر.

الحُبورة: الإمامة مأخوذ من الحِبْر بمعنى الرّئيس في الدّين.

الحبير: النّاعم الجديد، و منه: «ليس حَبير الحبُور، و جَلَسَ على سرير السّرور».

الحبير: السّحاب المنمّر، و البرد المُوَشّىٰ المخطّط، ثوب حبير: محُسّن و منه حديث أبي ذرّ الغفاري رضوان الله تعالى عليه: «الحمدلله الّذي أطعمنا الخمير و ألبسنا الحبير». جمعه: حُبُر و حِبَرات. و في الحديث قال رسول الله«صلى الله عليه و آله»: «مثل الحواميم في القرآن كمثل الحِبَرات في الثّياب».

المِحْبَر: موضع الحبر.

المِحبار: الأرض السّريعة النّبات الحسنة. و منه: لنا جبال، و حِمىً مِحْبار. جمعه: محابير.

المِحْبَرة و المَحْبَرة: موضع الحِبْر الّذي يكتب به، و المَحْبَرَة: الدّواة. جمعها: محابر. المَحْبَرَة: المَظِنّة للسّرور و الحبور. و منه حديث عبدالله «آل عمران غِنيً، و النّسآء مَحْبَرَة» أي مَظِنّة للحبور و السّرور.

الحابور: مجلس الفُسّاق. جمعه: حوابير.

الحابورة: مقعد اليهود في مجامعهم.

الحَبار ـ بالفتح و الكسر ـ: الأثر. يقال: بجلده حَبار الضّرب، و في يده حِبار العَمَل: أثره. جمعه: حِبارات.

الحُبارىٰ: طآئر معروف، أكبر من الدّجاج الأهلي و أطول عنقاً، على شكل الأوزة، برأسه و بطنه غبرة، و لون بطنه و جناحه كلون السّماني غالباً. جمعها: حُبارَيات. و هذا الطّائر يضرب به المَثَل في الحمق و البلاهة. يقال: «فلان أبله من الحُبارىٰ، و كلّ شيئ يحبّ ولده حتىّ الحُبارى» قيل لها ذلك لأنّها إذا غيرت عُشّها ذهلته و حضنت بيض غيرها. و «مات كَمَدَ الحُبارىٰ» مَثَلٌ لأنّها إذا رأت ريش صاحبتها نبت قبل ريشها ماتت كَمَداً.

و «سَلْح الحُبارى سُلاحها» مَثَلٌ لأنّه يقال إذا أراد الصّيّاد أن يتناولها بيده رَمَتْ بسلحها عليه فينفر عنها و يتركها. و يقال: إنّها إذا تبعها الصّقر سلحت في وجهه فشغلته.

و في الحديث: «لا بأس بأكل الحبارى» و في الخبر: «إنّ أكله جيّد للبواسير، و وجع الظّهر، و هو ممّا يعين على كثرة الجماع».

و **الحبارى**: من أشدّ الطّير طَيَراناً و أبعدها شوطاً، و أكثر الطّير حيلة في تحصيل الرّزق، و مع ذلك يموت جوعاً. الحُبارى: أنواع كثيرة.

و في الحديث: «إنّ الحبارى لتموت هزلاً بذنب بني آدم» يعني أنّ الله يحبس عنها القطْر بعقوبة ذنوبهم، و إنّما خصّها بالذّكر لأنّها أبعد الطّير نُجعةً، فربّما تُذبَحُ بالبصرة، و يُوجَد في حوصلتها الحبّة الخضرآء، و بين البصرة و بين منابتها مسيرة أيّام كثيرة.

الحُبُّور: فرخ الحُبارى. جمعه: حبابير. الحُبْرور و الحِبرير ـ أيضاً ـ فرخ الحُبارى. جمعه: حبارير.

الحبّار و الحِبْريّ: بائع الحِبْر. على أنّ فعّالاً كما يكون للمبالغة يكون للنّسب و الدّلالة على الحِرَف، و الصّنائع كالتّجّار و البزّاز.

الحبّار: جنس حيوانات من الرّخويّات جسمها، بيضويّ مغطّى بغلاف صدفيّ تفرز سائلاً أسود يستعمل للصّباغة.

أحْبَرَ زيداً إحباراً: سرّه و أكرمه و نعّمه، و أحْبَرَ به: ترك به أثراً، و أحْبَرَتِ الأرض: كثر نباتها.

حَبَّرَ الدّواةَ: وضع فيها الحِبْر، و حَبَّرَ الشّعرَ و الكلام و الخطَّ: حسّنه و زيّنه. و منه حديث وصفه سبحانه: «كلّ دون وصفه تحبير اللغات» أي تحسينها و تزيينها و تخليطها بالصّواب و الخطأ و الحق و الباطل، و الحسن و القبيح. و فيه نفي لأقاويل المشبّهة حيث شبّهوه سبحانه بالسّبيكة و البلورة و نحوها.

في نهج البلاغة: من كتاب سيّد الوصيّين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» إلى معاوية بن أبي‌سفيان عليهما الهاوية و النّيران: «أمّا بعد فقد أتتني منك موعظة مُوَصَّلَة، رسالة مُحَبَّرَة، و نمّقتها بضلالك، و أمْضَيْتَها بسوء رأيك».

حُبِّرَ ـ على المجهول ـ: قرصت البراغيث جلده، و بقي فيه أثرٌ فهو مُحَبَّر.

الُمحَبِّر ـ إسم فاعل ـ: لقب طفيل الغنويّ، لتحسينه الشّعر في الجاهليّة. قِدْحٌ مُحَبَّرٌ: أُجيد بريُهُ. شاة مُحَبَّرَة: في عينيها تحبير من سواد و بياض.

تَحَبَّرَ: تزيّن و تحسّن، و تَحَبَّرَ السَّحابُ: ظهر و انتشر.

٣٦ ـ المسآء و الإمسآء ـ ١٤٣٤

مسا في البيع يَمْسُوا مَسْواً ـ ناقص واويّ ـ مثل دعا ـ من باب نصر ـ: لم يزدو لم ينقص. و مسا الحمار: وقف و لم ينقد، و مسا بالمكان: لزمه و لم يفارقه. و مسى فلان على النّاقة: إذا أدخل يده في حيائها أو رحمها، فنقّاه من ماء الفحل أو الولد كراهة أن تحمل. يقال: ركب فلان مساء الطّريق: إذا ركب وسط الطّريق.

المسآء: خلاف الصّباح، و هو بعد الظّهر إلى قبل الفجر، و قيل: ما بين الظّهر إلى صلاة المغرب، و قيل: إلى نصف اللّيل.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ ـ في وصيّته لشُرَيح ابن هانئ لمّا جعله على مقدّمته إلى الشّام ـ: «اتّق الله في كلّ صباح و مسآء».

يقال: أتيته مساء أمْس. أي أمس عند المسآء. يقال: يأتينا صباح مسآءٍ، بالإضافة أي في كلّ صباح.

و العرب إذا تطيّروا من أحد قالوا: مسآء الله لامساؤك بالرّفع و النّصب فيهما، فالرفع على تقدير: لنا. و النّصب على تقدير: نرجو. لأنّ العرب يكنون بالمسآء عن الشّرّ و الويل، و بالصّباح عن الخير و السّرور.

جمع المسآء: أمسية. المَسْيُ: إخراج النّطفة أو الولد من الرّحِم. يقال: مَسَيْت النّاقة: إذا سطوت عليها و أخرجت ولدها، و هو إذا أدخلت يدك في رحمها فاخترجت ماء الفحل و الولد من رحمها.

المُسَيُّ و المُسَيّان: تصغير المسآء. يقال: أتيته مُسَيّا و مُسَيّاناً: جآء مُسَيّانات أي مُغيربانات، و هي جمع مُسَيّان لايستعمل إلاّ ظرفاً.

مِشْيا: المسيح.

الأُمْسِيَّة: خلاف الأُصبوحة، يقال: أتيته أُمْسِيَّة أمس أي امس مساءً.

المُمْسىٰ ـ مصدر ميميّ ـ: المكان الّذي يُمسىٰ فيه. كقوله: «منارة مُمْسىٰ راهب متبتّل» يريد صومعته حيث يمسي فيها.

و في الدّعآء: «الحمدلله ممسٰانا و مصبحنا» مثل: بالله نصبح و بالله نمسي.

أمسى الرّجل إمسآءً: دخل في المسآء، خلاف الصّباح.

و يستعمل ناقصاً مثل «كان» يقال: «أمسى زيد ضاحكاً» أي اتّصف بالضّحك في المسآء أو اتّصف بالضّحك مطلقاً.

و يستعمل تامّاً.

قال الله تعالى: «فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون» الرّوم: ١٧) أي اذكروا الله تعالى في هذين الوقتين.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين أميرالمؤمنين الإمام عليّ«؏» ـ في وصف المتّقين ـ: «... يُمسي و همّه الشّكر، و يُصبح و همّه الذّكر...».

يقال: كيف أمسيتَ أي كيف أنت في وقت المسآء.

أمساه إمساءاً: وعده بأمر ثمّ أبطأ عنه. و في الحديث: «أصحاب أبي الخطاب يمسون بالمغرب» أي يؤخّرونها حتّى تشتبك النّجوم.

الإمسآء: خلاف الصّبح و الصّباح.

المُمْسيٰ و المِسْيٰ: اسمان من الإمسآء. يقال: أتيته مُسْيَ أمسٍ، و مِسْيَةُ أي امس مساءاً. و يقال: أمسينا و أمسى الملك لله أي دخلنا في المسآء، و صرنا نحن و جميع الملك لله.

مسّاه تمسيةً: دعا له أن يكون مساؤه خيراً. و مسّى الرَّجُلُ: وعد بأمر ثمّ أبطأ عنه.

يقال: مسّاك الله بالخير: دعاء له أي جعل مسائه خيراً. مثل: صبّحك الله بالخير.

مسّى به اللّيل: إذا جآء مسآءً. يقال: يأتينا صَباحَ مَسآءَ. مبنيّين على الفتح بتقدير العطف كخمسة عشر. أي صباحاً و مسآءاً.

إمتسى ما عند فلان امتساءاً: أخذه كلّه.

۷۹ ـ الحنيف ـ ۳٦۷

حَنَفَ الشَّيْءُ يَحْنَفُ حَنْفاً ـ من باب مَنَعَ ـ: مال، و حَنَفَ رِجْلَهُ: جَعَلَهَا حُنَفاء. لازم و متعدٍّ.

و حَنِفَ الرَّجلُ حَنَفاً ـ من باب علم ـ: اعوجّت رِجْلُهُ إلى داخل منه. و منه: «و الله لولا حَنَفٌ برجله ما كان في فتياتكم مثله» و حَنِفَ الرَّجلُ: انقلب ظهر القدم حتّى صار بطناً فهو أحنف، و هي حَنْفآء. و الحَنْفآء ـ أيضاً ـ: الفرس، و مآء.

أصل الحَنَف: الميل، و منه: «بُعِثْتُ بالحنيفية السّمحة السّهلة» أي المستقيمة المائلة عن الباطل إلى الحقّ، عن الشّرك إلى التّوحيد، عن الشّرّ إلى الخير، و عن المعصية إلى الطّاعة. و مثله: «أحبّ دينكم إلى الله الحنيفيّة» أي الطّريقة المستقيمة الّتي لاضيق و لااعوجاج فيها.

الحنيف: الموحّد المخلص الّذي أسلم لأمر الله تعالى، المآئل إلى الدّين المستقيم و تحرّيه فلم يلتو في شيءٍ من دينه، جمعه: حُنَفاء.

قال الله تعالى: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم و لكنّ أكثر النّاس لايعلمون» الرّوم: ۳۰)

الحنيف: المتمسّك بالإسلام، و الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم «عليه السلام» موحّداً، مستقيماً في دينه.

قال الله تعالى: «إنّ إبراهيم كان امّة قانتاً لله حنيفاً و لم يك من المشركين ـ ثمّ أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً و ما كان من المشركين» النّحل: ۱۲۰ ـ ۱۲۳).

الحنيف: و هى الحنيفة، الصحيح الميل إلى الإسلام الثّابت عليه.

قال الله عزّوجلّ: «و من أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله و هو محسن و اتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً» النّسآء: ۱۲٥).

و قال: «فاجتنبوا الرّجس من الأوثان و اجتنبوا قول الزّور حنفآء لله غير مشركين به» الحجّ: ۳۰ ـ ۳۱) أي مائلين عن جميع الأديان إلى دين الإسلام مسلمين مؤمنين بالله تعالى و رسله أجمعين، غير مشركين به سبحانه.

قال الله عزّوجلّ: «ما كان إبراهيم يهوديًّا و لانصرانيًّا و لكن كان حنيفاً مسلماً و ما كان من المشركين» آل‌عمران: ٦٧) أي إنّ إبراهيم ﴿ﷺ﴾ حَنَفَ إلى الله تعالى وحده و دين الإسلام.

الحنيف: المسلم الّذي يتحنّف عن الأديان كلّها أي يميل إلى الدّين الحقّ، و هو الّذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملّة إبراهيم ﴿ﷺ﴾ مخلصاً مسلماً لأمر الله تعالى مستقيماً على دينه، و هذا الدّين هو دين الفطرة الإنسانيّة الّذي يؤيّده العقل السّليم و دعا إليه جميع الأنبيآء و المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

و في الحديث القدسي: «خلقت عبادي حنفآء» أي مستعدّين لقبول الحقّ بفطرتهم، و هو في معنى: «كلّ مولود يولد على الفطرة».

الحنيف: و كانت العرب تسمّى كلّ من حجّ أو اختتن حنيفاً تنبيهاً أنّه على دين إبراهيم ﴿ﷺ﴾.

الحنيف: القصير، و الحذّآء، و المستقيم نحو يهديكم طريق لايجوربكم، و حنيف: إسم وادٍ. حنيف أي حديث إسلاميّ أي قديم له.

الحَنَف: الاستقامة، و منه قوله: «دين محمّد حنيف» أي مستقيم لاعوج فيه.

و حَنُفَ يَحْنُفُ حَنافةً: ـ من باب كرم ـ: بمعنى حَنِفَ.

حُنيف الحَناتم ـ مصغّرة ـ: رجل من بني تيم اللات بن ثعلبة، يُضرَب به المَثَل في رعاية الإبل، و حسن القيام عليها.

و عثمان بن حُنيف الأنصارى هو من أصحاب أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿ﷺ﴾ و هو عامله على البصرة، و قدكتب له الإمام عليّ ﴿ﷺ﴾ كتاباً: «أمّا بعد! يا بن حُنيف فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها ـ فاتّق الله يا ابن حُنيف، و لتكفك أقراصك ليكون من النّار خلاصك».

الأحنف: الّذي تميل قدماه كلّ واحدة إلى أُختها بأصابعها، و علَم لرجل من كبار التّابعين يُضرَب به المَثَل في الحلم.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿ﷺ﴾ لأحنف: «يا أحنف كأنّي به،

و قد سار بالجيش الّذي لايكون له غُبارٌ و لاجَبٌ...»

و **الأحنف**: من في رِجْله ميل. و قيل: سمّي بذلك على التّفاؤل بالاستقامة. و قيل: استُعير للميل المجرّد.

الحنْفآء: القوس، و الموسى، و شجرة، و الأمة المتلوّنة تكسل مرّة، و تنشط اخرى، و الحِرْبآء، و السّلحفاء، و سمكة بحريّة، يقال لها: الأُطوم.

الحَنَفِيّة: أنبوبة ذات لَوْلب تُرَجُّ في ثقب من الحوض لاستفراغ الماء منه عند الحاجة.

الحَنَفية: هي أمّ محمّد بن عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» و لذا يعرف بابن الحنفيّة، و كنيته أبوالقاسم، و لد سنة (٢٦) و توفّي بالمدينة في المحرّم سنة (٨١) و هو ابن خمس و خمسين سنة، و دفن بالبقيع.

الحنيفيّة: مؤنّث الحنيفيّ، و الحنيفيّة في الإسلام: الميل إليه، و الإقامة على عقده. و في الحديث: «السّواك من الحنيفيّة» أي من السّنن الحنيفيّةو هي عشر سُنَنٍ.

بنو حنيفة: حيّ و هم قوم مسيلمة الكذّاب. و قيل: حيّ من ربيعة.

السّيوف الحنيفيّة: منسوبة إلى الأحنف ابن قيس، و اسمه صخر، لأنّه أوّل من أمر باتّخاذها. و القياس: أحنفيّة. قيل: سمّي الأحنف إذ كان في رِجْله حَنَفٌ أي ميل.

حنيفة: أبو حيّ من العرب، و هو حنيفة بن لجيم بن صعب بن بكر بن وآئل.

أولاد الأحناف: هم الاخوة من أمّ واحدة و آبآء متعدّدة.

أبوحنيفة: كنية عشرين رجلاً من العامّة أشهرهم النّعمان بن ثابت، و هو من المبتدعين الأربعة لمذاهب العامّة، ولد سنة (٨٠) و قيل: (٦١) و توفّي سنة (١٥٣) و قيل: (١٥١).

و كان أبوحنيفة من تلاميذ الإمام جعفر بن محمّد الصّادق «عليه السلام» و هو يقول: «لولا السّنتان لهلك النّعمان» ثمّ خالف أُستاذه في الرّأى و القياس و الفتاوى المعروفة في الفقه.

في الكنى و الألقاب للمحدّث الجليل، و المؤرّخ الخبير، الشّيخ عبّاس القمّي رضوان الله تعالى عليه ما لفظه: «و روى عن الإمام مالك قال: ما ولد في الإسلام مولود أضرّ على أهل الإسلام من أبي حنيفة، و قال: كانت فتنة أبي حنيفة أضرّ على هذه الأمّة

من فتنة إبليس. و أخرج عن عبدالرّحمن بن مهدي قال: ما أعلم في الإسلام فتنة بعد فتنة الدّجّال أعظم من رأي أبي حنيفة. و عن الأوزاعي قال: عمد أبوحنيفة إلى عرى الإسلام فنقضه عروة عروة. و أخرج عن أبي صالح الفرّاء قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: ردّ أبوحنيفة على رسول الله أربعمأة حديث أو أكثر. و قال: لو أدركني النّبيّ و أدركته لأخذ بكثير من قولي، و هل الدّين إلاّ الرّأي الحسن. و أخرج عن عليّ بن صالح البغوي، قال: أنشدني أبوعبدالله محمّد بن زيد الواسطى لأحمد ابن المعدل:

إن كنت كاذبة بما حدّثتني فعليك إثم أبي حنيفة أوزفر
المائلين (المائلين خ) إلى القياس تعمّداً و الرّاغبين عن التمسّك بالخبر

و روي أنّه كان رأس المرجئة، و أنّه سُئِلَ من مسئلة فأجاب فيها، ثمّ قيل له: إنّه يروى عن النّبيّ (ﷺ) فيها كذا و كذا، قال: دعنا من هذا. و في رواية اخرى: قال: حك هذا بذنب خنزيرة. إلى غير ذلك ممّا ليس مقام نقله، و كان الأليق تركه و الإضراب عنه».

الحنيفيّ: تابع مذهب أبي حنيفة. جمعه: حَنَفِيّة و أحناف.

حنّفه: جعله أحنف.

تحنّف الرّجل: صار حنيفيًّا أو عمل عمل الحنفيّة. يقال: شافعيّ تحنّف.

تحنّف: تعبّد. «أقام الصّلاة العابد المتحنّف». تحنّف إليه: مال إليه. و تحنّف فلان: تحرّى طريق الاستقامة. و تحنّف: اختتن أو اعتزل عبادة الأصنام، و تعبّد. المتحنّف: المتعبّد المتديّن.

في المفردات: الحَنَف: هو ميل عن الضّلال إلى الاستقامة. و الجَنَف: ميل عن الاستقامة إلى الضّلال.

و **في النّهاية:** الحنَف: إقبال القدَم بأصابعها على القدم اخرى.

٩٩ ـ الإنابة ـ ١٥٧٤

ناب فلان عن زيد في كذا ينوب نَوْباً و نَوْبةً و مَناباً و نِياباً و نِيابةً ـ أجوف واويّ ـ مثل

قال ـ من باب نصر ـ: نزل و قام فيه مقامه، ففلان نائب، و زيد منوب عنه، و الأمر منوب فيه.

و ناب إليه: رجع إليه مرّة بعد اخرى، و ناب إلى الله تعالى: تاب، و ناب فلان: لَزِمَ الطّاعة لله عزّوجلّ: فلازم و متعدٍّ. و نابه أمر نَوْباً و نَوْبة: أصابه.

يقال: فلان ينوب الجنّة: يَتَعَهّد إليها ينالها.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» ـ في أهل الجنّة ـ: «و لايتغيّر لهم الحال، و لاتنوبهم الأفزاع» أي لاتصيبهم الأفزاع.

يقال: «نابت السّباع إلى المنهل، و النّحل تنوب إلى الخلايا» أي ترجع مقارّها مرّة بعد اخرى.

المناب: مصدر. يقال: ناب فلانٌ مناب القاضي، و الرّئيس و السّلطان، و نحو ذلك، و المناب: الطّريق إلى المآء.

النّآئب: اسم فاعل، و من قام مقام غيره في أمر أو عمل كنائب القاضي و نائب الأمير و نائب السّلطان، و عمله النّيابة، جمعه: نَوْب و نُوّاب. خير نائب: كثير عوّاد.

النُّوّاب: من ينتخبه الشَّعْب لينوب عنه في سنّ قوانين البلاد و في المحافظة على حقوقه، و مَن كانت رتبته العسكريّة تماثل رتبة «أدجودان».

النّائبة: مؤنّث النّائب، بمعنى النّازلة، و المصيبة، و المهمّة و الحادثة و الواقعة، لأنّها تنوب النّاس لوقت معروف. و منه حديث الجهاد: «و يأخذ ـ يعني الإمام المعصوم «عليه السلام» ـ الباقي ليكون ذلك أرزاق أعوانه على دين الله و في مصلحة ما ينوب من تقوية الإسلام» أي ينزل به و يحدث من المهمّات.

و في حديث خيبر: «قسمها ـ الغنائم ـ نصفين: نصفاً لنوآئبه و حاجاته، و نصفاً بين المسلمين».

في اصول الكافي: بإسناده عن أبي بصير قال: سمعت أباعبدالله «عليه السلام» يقول: «إنّ الحرّ حرّ على جميع أحواله، إن نابته نائبة صبر لها...» أي إن أصابته مصيبة أو حادثة أو

شدّة و ما إليها صبر لها.

و جمع النّائبة: نآئبات و نوآئب و هي الوقائع و الحوادث و المصائب و الشّدآئد...

في نهج البلاغة: قال يعسوب الدّين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «لا ينال امرؤ من غضارتها ـ الدّنيا ـ رَغَباً إلاّ أرهقته من نوآئبها تَعَباً ـ بل أرهقتهم بالقوادح، و أهنتهم بالقوارع، و ضَعْضَعَتْهم بالنّوآئب...».

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «و ليصبر نفسه على الحقوق و النّوائب ابتغآء الثّواب...».

و في اصول الكافي: بإسناده عن أبي النّعمان عن أحدهما عليهما السلام: «قال: من لايُعدُّ الصّبر لنوآئب الدّهر يعجز».

نوآئب الرّعيّة: ما يضرّبه عليهم السّلطان من الحوآئج كإصلاح القناطر و الطّرق و سدّ البثوق و ما إليها...

«احتاطوا لأهل الأموال في النّائبة و الواطئة» أي الأضياف الّذين ينوبونهم و ينزلون بهم.

الحمّى النّائبة: الّتي تأتي كلّ يوم.

النِّيابة: مصدر، و إسم من المناوبة كالنّوبة، يقال: «جآئت نيابتك» المجلس النّيابي: المكان الّذي يجتمع فيه نُوّاب الشَّعْب.

النَّوْب: مصدر، الواحد «نوبيّ» و منه حديث وصف الإمام ﴿عليه السلام﴾: «بأبي ابن النّوبيّة الطيّبة» لأنّ أُمّه كانت نوبيّة. و جمع النّائب، و ما كان منك مسيرة يوم و ليلة، و القُوّة، و القُرب خلاف البُعد.

النَّوْبة: مصدر، و الفرصة، و الدّولة، و الجماعة من النّاس، و اسم من المناوبة. يقال: جآئت نوبتك. جمعها: نُوَب. و النَّوْبَة عند الأطبّآء: زمان أخذ الحمّى. و يقال: أصبحتَ لا نَوْبة لك: لاقوّة لك، و كذلك: تركته: لانَوْبة له: لاقوّة له.

النّوابة: من قرى مخلاف سنجار باليمن.

النُّوب: جيل من السّودان، الواحد نُوبِيٌّ. النُّوب: النّحل، واحده: نائب. قيل: لأنّها

ترعى و ترجع إلى مكانها مرّة بعد اخرى.

النُّوبة: النّازلة و المصيبة. جمعها: نُوَب، و الإسم من قولهم: «نابه أمر و انتابه» و جيل من السّودان، و بلاد واسعة لهم بجنوب الصّعيد. و مدينة النُّوبة اسمها: نقلة، و هي منزل الملك على ساحل النّيل، و بلدهم أشبه شيئ باليمن، و منها بلال بن رباح الحبشي رضوان الله تعالى عليه مؤذّن رسول الله «صلّى الله عليه و آله» قديم الإسلام و الهجرة، و قد شهد المشاهد كلّها، و قد نفاه عمر بن الخطّاب من المدينة إلى مصر، و مات سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة، و قبره بدمشق.

أناب فلان إلى الله تعالى ينيب إنابة فهو منيب ـ من باب الإفعال ـ: رجع إليه سبحانه. و هو مأخوذ من النّوبة كأنّ العبد برجوعه إلى الله جلّ وعلا يدخل في نوبة الحقّ و الهُدى. و الخير و الفلاح، و رجوع العاصى إلى الله بالتّوبة، و التنصّل من الذّنب، و رجوع غيره إليه عزّوجلّ بأن يعتمد عليه فيما ينزل به.

و كان إبراهيم الخليل «عليه السلام» منيباً يرجع إلى الله تعالى في اموره كلّها...

قال الله سبحانه: «إنّ إبراهيم لحليم أوّاه منيب» هود: ۷۵) أي كثير الإقبال بالقلب و الإخلاص إلى الله تعالى.

و قال: «دعا ربّه منيباً إليه» الزّمر: ۸) أي راجعاً إليه جلّ وعلا بالتّوبة و الاستغفار و إخلاص العمل.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «اللّهمّ إنّي أوّل من أناب و سمع و أجاب، لم يسبقني إلاّ رسول الله «صلّى الله عليه و آله» بالصّلاة».

و فيه: قال الإمام عليّ «عليه السلام»: «و أتوكّل على الله توكّل الإنابة إليه».

و ما وردت هذه المادّة في القرآن الكريم إلاّ من باب الإفعال.

قال الله تعالى: «منيبين إليه و اتّقوه و أقيموا الصّلاة و لاتكونوا من المشركين ـ و إذا مسّ النّاس ضرّ دعوا ربّهم منيبين إليه» الرّوم: ۳۱ ـ ۳۳) أي راجعين إلى الله تعالى.

أناب زيد عن فلان وكيلاً في أمره: أقامه فيه مقامه، فزيد منيب، و الوكيل مناب، و الأمر مناب فيه. يقال: أنَبْتُه منابي: أقمته مقامي. و أناب إلى الله رجع إليه مرّة بعد اخرى و

أقبل و تاب و آمن و أخلص. و يقال: أتاني فلان فما أنبْت له أو إليه: لم أحفل به.

و لايخفى على الأديب و الأريب من الفرق بين الرّجوع و الإنابة، حيث إنّ الإنابة هي الرّجوع إلى الطّاعة، فلا يقال لمن رجع إلى معصية: إنّه أناب.

المنيب ـ اسم فاعل ـ اسم مدح كالمؤمن و المتّق. و المنيب: المطر الغزير الجَوْد، و الحسن من الرّبيع.

نَوَّب له تنويباً: جعل له نَوْبة. و نُوِّبَ فلان ـ على المجهول: جُعِلَت له النّوبة.

ناوبه مُناوبة: عاقبه و داوله و ساهمه.

تناوب القوم على المآء: تنازلوا عليه و تقاسموه على حصاة القسم. يقال للجماعة في السّفر: يتناولون، و يتنازلون، و يتطاعمون أي يأكلون عند هذا نُزْلةً، و عند هذا نُزلةً. و النُّزلة: الطّعام يصنعه لهم حتّى يشبعوا.

و تناولوا على الأمر: تداولوه بينهم، يفعله هذا مرّة، و هذا مرّة. و يقال: المنايا تَتَناوَبُنا: تأتي كلّاً منّا لنوبته. و تناوبوا الخَطَب و الأمر: قاموا به نوبةً بعد نوبة.

انتاب انتياباً: أتى مرّة بعد مرّة. يقال: انتابهم: أتاهم مرّة بعد اخرى، و وصلت نوبته إليهم، و انتاب فلاناً أمر: أصابه، و انتاب زيد عمراً: قصد إليه. يقال: هو منتاب: مغاد مراوح. المنتاب: الزّآئر. منتاب: حِصْن باليمن من حصون صنعآء.

و في الدّعآء: «يا أرحم من انتابه المسترحمون» انتابت السّباع المنهل: رجعت إليه مرّة بعد اخرى. و منه الحديث: «لعن الله المانع الماء المنتاب» أي المباح الّذي يؤخذ بالنّوبة، هذا مرّة، و هذا اخرى.

استناب استنابة: طلب، استنابه: طلبه تآئباً عنه.

١٩ ـ القُرْب و القُرْبىٰ ـ ١٢١١

قَرُبَ الشّيُ أو الشّخصُ يَقْرُبُ قُرْباً ـ من باب كَرُمَ ـ: دنا فهو قريب في المكان أو الزّمان أو ذو قرابة في النّسب أو في العلم و القدرة و الولاية.

قال الله تعالى: «و إذا سئلك عبادي عنّي فإنّي قريب» البقرة: ١٨٦) و المراد بقربه

سبحانه إحاطة علمه بأحوالهم، و قدرتهم عليهم، و إجابة سئوالهم...

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين عليّ بن أبيطالب«ع»: «و قَرُبَ في الدُّنُوِّ فلا شيئ أقرب منه، فلا استعلاؤه باعده عن شيئ من خلقه، و لاقُرْبُه ساواهم في المكان به...» الخطبة: ٤٩).

و فيه: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ«ع»: «لم يَقْرُب من الأشيآء بالتصاق، و لم يبعد عنها بافتراق...» الخطبة: ١٦٢).

و يدلّ على القرب الزّمانيّ قوله سبحانه: «ألا إنّ نصرالله قريب» البقرة: ٢١٤)

و على القرب المكانيّ قوله جلّ وعلا: «و اُخذوا من مكان قريب» سبأ: ٥١).

القُرْبىٰ: أخصّ الخواصّ من الأقارب، حيث إنّ القُرْبىٰ: القُرْب الخاص من الرّحم، و القرابة تشمل الدّنوّ في النسب، و الأقارب أعمّ منها، فالقربى أخصّ من القرابة، و القرابة أخصّ من الأقارب.

قال الله تعالى: «فآت ذا القربى حقّه» الرّوم: ٣٨) و قد نزلت الآية الكريمة في قصّة فدك و ايتآئها رسول الله «ص» للصّديقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء عليها آلاف التحيّة و الثّناء، فلاتشمل لغيرها، كما أنّ القربى في قوله عزّوجلّ: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» الشّورى: ٢٣) تختصّ بأهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و لاتشمل لأهل بيت النّبيّ«ص» من أزواجه و قرابته من بني عبدالمطّلب و أقاربه...

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ«ع»: «وا عَجَبا أتكون الخلافة بالصّحابة، و لاتكون بالصّحابة و القرابة؟!»

و رُوِي له«ع» شعر في هذا المعنى و هو:

فإن كنتَ بالشّورى ملكتَ اُمورهم فكيف بهذا و المشيرون غُيّبُ
و إن كنتَ بالقُربىٰ حَجَجْتَ خصيمهم فغيرك أولى بالنّبيّ و أقربُ

و فيه: قال الإمام عليّ«ع» ـ في القرابة بالولاية: «إنّ وليّ محمّد من أطاع الله و إن بَعُدَت لُحْمَته، و إنّ عدوّ محمّد من عصى الله و إن قربت قَرابَتُهُ».

قَرِبَ الشّيَ يقربه قِرْباناً ـ من باب علم ـ: دنامنه أو فعله.

قال الله تعالى: «و لاتقربا هذه الشّجرة» البقرة: ٣٥) أي لاتدنوا منها.

و قال: «لاتقربوا الصّلاة و أنتم سكارى» النّسآء: ٤٣) أي لاتصلّوا.

و قال: «و لاتقربوهنّ حتّى يطهرن» البقرة: ٢٢٢) أي لاتباشروهنّ.

و قال: «فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا» التّوبة: ٢٨) أي لايدخلوا الحرم.

قَرَبَ السَّيْفَ قَرْباً ـ من باب نصر ـ: أدخله في القِراب، و اتّخذ له قِراباً فهو قارب، و السّيفُ مقروب. و قَرَبَ الضَّيفَ: أطعمه الأقراب، و قَرَبَ الإبِلَ قرابةً: ساربها ليلاً لوِرْد الغد أوساربها إلى الماء، و بينها و بينه ليلة. و يقال: فلان يَقْرُبُ أمراً: يغزوه. و ذلك إذا فعل شيئاً أو قال قولاً يَقرُبُ به أمراً يغزوه. و قَرَبَ الرَّجُلُ امرأته قُرباناً: غشيها. المقاربة و القِراب: المشاغرة و هي رفع الرَّجَل للجماع.

قَرِبَه و قَرُبَ منه و إليه قَرْباً و قُرْباناً و قِرْباناً ـ من بابي علم و كرم ـ: دنا منه فهو قريب.

قَرِبَ الرَّجُلُ قَرَباً: اشتكى قُرْبَهُ. و قال بعضهم: إنّ الفرق بين البابين: أنّ «لا تَقْرَبُ» من باب «عَلِمَ» بمعنى لاتلتبس بالفعل، و من باب «كَرُمَ» بمعنى لاتدن.

و لايخفى على الأديب اللبيب من الفرق بين القُرْب و الدّنوّ، حيث إنّ الدّنوّ لايكون إلاّ في المسافة بين شيئين غالباً، فتقول: داره دانية و مزاره دانٍ، و إنّ القرب عام في ذلك و في غيره، تقول: قلوبنا تتقارب، و لاتقول: تتدانى، و تقول: هو قريب بقلبه، و لايقال: دان بقلبه إلاّ على بُعد.

القَرابة: القريب في الرَّحِم، و أهل القرابة: هم الّذين يقدّمون الأقرب، فالأقرب من ذوي الأرحام، جمعها: قَرابات.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«ع»: «و قد علمتم موضعي من رسول الله«ص» بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة...» الخطبة القاصعة: ٢٣٤).

و فيه: قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«ع»: «و إنّ القتل ليدور على الآبآء و الأبنآء و الإخوان و القَرابات...».

القِرابة: سير اللّيل لِوِرْد الغد.

القُرابة: القريب، يقال: ما هو بشبيهك و لابقُرابة منك أي و لابقريب منك. قُرابة الشّيْ: ما قارب قدره. و سُئلَ أعرابيّ قطع الواديّ، فقال: «المآء قُرابة الرّكبتين» قُرابة المؤمن: فِراسته.

القِرْبة: الوعاء يجعل فيه المآء أو اللبن، و قد تكون للمآء يستق بها. جمعها: قِرْبات و قِربات و قِرَبات و قِرَب. و في المثل: «لقيت منه عرَقَ القِرْبة» أي لقيت منه الشّدّة.

القُرْب: خلاف البُعد، القُرْب ـ أيضاً ـ و القُرُب: الخاصرة أو من الشّاكلة إلى مراق البطن. جمعه: أقراب. القُرْب. يُسْتَعْمَلُ في الزّمان و المكان و النّسبة و الحظوة، و الرّعاية و القدرة.

ذات قَرْب: موضع له يوم من أيّام حروب العرب.

القَرَب: سير اللّيل لوِرْد الغد، و منه: «ليلة القَرَب» و هي الليلة الّتي يصبحون فيها على المآء، ثمّ اتُّسِعَ فيه، فقيل: فلان يَقرُبُ حاجته أي يطلبها. القَرَب: البئر القريبة المآء، فإذا كانت بعيدة المآء فهي النّجاء.

القِرْبان: كناية عن الجماع، قِرْبان المرأة: غشيانها.

القَرْبان: جليس الملك الخاصّ، و ما قارب الامتلاء من الآنية. يقال: إناء قَرْبان و قصعة قَرْبیٰ. جمعها: قِراب.

القُرْبان: كلّ ما يتقرّب به إلى الله تعالى من عبادة و ذبيحة و إحسان خالصاً لوجه الله سبحانه. القُربان ـ في الأصل ـ: مصدر، و لهذا يستوي فيه المفرد و الجمع، و المذكّر و المؤنّث يقال: فلان قربان الملك، و من قربان الملك. و القربان: جليس الملك الخاصّ، جمعه: قرابين.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «الصّلاة قُرْبان كلّ تقيّ» أي الأتقيآء من النّاس يتقرّبون بها إلى الله عزّوجلّ أي يطلبون القرب منه سبحانه بها.

و **في الحديث القدسيّ:** قال الله سبحانه: «مَن تَقَرَّبَ إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً» المراد بقرب العبد إلى الله تعالى القُرْب بالذّكر و الصّلاة و العمل الصّالح لاقرب الذّات و

المكان لأنّ ذلك من صفات الأجسام، و الله تعالى منزّه عن ذلك و مقدّس، و المراد بقرب الله سبحانه من العبد قرب نعمه و ألطافه و برّه و إحسانه إليه، و ترادف مننه و فيض مواهبه عليه.

و **القربان** ـ عند اليهود ـ: ما يقدّمونه من التقدمات، و ما يقدّسه الكاهن من الخبز و الخمر. و لا يخفى على القارئ الخبير من الفرق بين البرّ و القربان، حيث إنّ القربان هو البرّ الّذي يتقرّب به إلى الله تعالى بالإخلاص، و أمّا البرّ فهو عامّ.

القَريب: خلاف البعيد، جمعه قريبون، و أقارب و أقربآء.

في نهج البلاغة: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «بنصرة الحَفَدَة و الأقربآء، و الأعزّة و القرناء، فهل دفعت الأقارب أو نفعت النّواحب...» الخطبة الغرّاء: ٨٢).

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» ـ في الموتى ـ: «مُتدانون لا يتزاورون، قريبون لا يتقاربون...» الخطبة: ١١٠).

و مؤنّث القريب: قريبة، جمعها: قرآئب.

القريب: اسم بحر من أبحر الشّعر، مختصّ بالعجم، وزنه: مفاعيلن، مفاعيلن فاعلات مرّتين.

القريب: السّمك المملوح مادام في طراوته. أبي قُرَيْب: كنية الأصمعي. و قريب إسم رئيس للخوارج.

و قد يطلق القريب على المفرد و الجمع و المذكّر و المؤنّث.

قال الله تعالى: «إنّ رحمة الله قريب من المحسنين» الأعراف: ٥٦) و لم يقل: «قريبة» إمّا لهذا الاطلاق، و إمّا أراد تعالى بالرّحمة الإحسان، أو لأنّ ما لا يكون تأنيثه حقيقيًّا جاز تذكيره، أو أنّ الرّحمة و الغفران و العفو و الإحسان في معنى واحد.

القُرْبة و القُرُبة: ما يتقرّب به إلى الله تعالى من عبادة أو عمل صالح و إخلاص.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «لا قُرْبة بالنّوافل إذا أضرّت بالفرآئض». و جمعها: قُرَب و قُرُبات.

قال الله تعالى: «ومن الأعراب من يؤمن بالله و اليوم الآخر و يتّخذ ما ينفق قُرُبات

عند الله و صلوات الرّسول ألا إنّها قُرْبَة لهم» التّوبة: ٩٩) أي عمل صالح يقربهم إلى الله تعالى. ويقال: جآؤا قُرابى: متقاربين و هو جمع قريب على غير قياس.

القُرْبَة: القَرابة، و القُرْب في الرّحم. يقال: في الإنآء قُرْبَة: إذا قارب الامتلاء.

القَراب: القُرْب. يقال: إفعل ذلك بقَراب أي بقُرْب.

القِراب: الغَمَد. و قيل: هو وعاء يكون فيه السّيف بغمده و حمالته، جمعه: قُرُب و أقرِبة. قِراب الشّيْ: ما قارب قدره. القِراب ـ أيضاً ـ: مقاربة الأمر كقوله: «يزدن على العديد قِراب شهر» و كذلك إذا قارب أن يمتلئ الدّلو.

القُراب: القريب. يقال: إفعل ذلك عن قريب و قُراب. و قُراب الشّيْ ـ كقِراب الشّيْ ـ: ما قارب قدره. و قُرابُ المؤمن: فِراسته.

و في الحديث: «اتّقوا قُراب المُؤمن فإنّه ينظر بنور الله» و روي: «قُرابة المؤمن» أي فِراسته و ظنّه الّذي هو قريب من العلم و التحقّق لصدق حدسه و إصابته.

«إنّ الفرار بقُراب أكيس» مَثَلٌ يُضرَب في الرّضا باليسير و القناعة به مع سلامة العرض. و قُراب: اسم فرس عبدالله بن الصِّمّة.

القارب: طالب المآء ليلاً، و لايقال لطالب المآء نهاراً. و في حديث أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «و ما كنت إلّاكقارب ورِد، و طالب وجد».

و القارب: السّفينة الصّغيرة تكون مع أصحاب السّفن الكبيرة تستخفّ لقضآء حوآئجهم. جمعه: قوارب.

القَوْرَب: المآء لايطاق لكثرته.

أقرب المستقي الإنآءَ إقراباً: قرّبه للامتلاء. و أقْرَبَ الحاملُ: قرب ولادها فهي مُقرِبٌ. و أقْرَبَ المهرُ و الفصيل: دنا للاثنآء. و أقْرَبَ الرّاعي الإبلَ: سرى بها ليلاً لوِرد الغد فهو قارب. أقرب قِراباً: عمله.

أقرب: اسم تفضيل من القرب، قال الله عزّوجلّ: «و أن تعفوا أقرب للتقوى» البقرة: ٢٣٧) و جمعه الأقربون.

قال الله تعالى: «و أنذر عشيرتك الأقربين» الشّعرآء: ٢١٤) أي ذو القرابة في الرّحم.

و أقربآء الرّجل و أقاربه و أقربوه: عشيرته الأدنون.

الأقرُب: هي سُفُن صغار تكون مع السّفن الكبار البحريّة كالجنآئب لها، واحدها: قارب. و في حديث الدّجّال: «فجلسوا في أقْرُب السّفينة» و قيل: أقْرُب السّفينة: أدانيها. أي ما قارب إلى الأرض منها.

المُقْرَبة: الفرس الّتي يُقرّب مربطها و معقلها لكرامتها. و المُقْرَبَة: النّاقة الّتي حُزِمَتْ للرّكوب.

المَقْرَبَة: القرابة، و الطّريق المختصر. و طريق صغير يَنْفُذُ إلى طريق كبير، قال الله تعالى: «يتيماً ذا مقربة» البلد: ١٥) جمعها: مَقارِب.

المُقْرِب: من الحوامل الّتي قَرُبَ ولادها. جمعه: مَقارِب و مَقاريب.

المَقْرَب: الطّريق المختصر، و سير الليل.

قَرَّبَ قرباناً لله: قدّمه تقرّباً إلى الله تعالى.

قال الله سبحانه: «إذ قرّبا قرباناً» المائدة: ٢٧) أي قدّماه تقرّباً إلى الله جلّ وعلا.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام» ـ في أحبّ عباد الله ـ «فقرّب على نفسه البعيد، و هوّن الشّديد».

القُربان: الذّبيحة و نحوها يتقرّب بها إلى الله تعالى.

قَرَّبه إليه تقريباً: أدناه منه.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ«عليه السلام» «و إنّ الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر لخُلُقان من خُلق الله سبحانه و إنّهما لا يُقرّبان من أجل، و لا ينقصان من رزق».

و يقال: قَرَّبت إليّ فلاناً: أدنيته منّي، و جعلته موضع عطفي و رعايتي.

قال الله عزّوجلّ: «و قرّبناه نجيّا» مريم: ٥٢) أي أدنيناه منّا و جعلناه موضع عطفنا و رعايتنا.

قَرَّب فلان: اشتكى قُرْبَه. و قَرَّبَ الفَرَسُ: عدا تقريباً. و هو ضَرْبٌ من العدو دون الإسراع. و قَرَّبَ فلاناً: قال له: حيّاك الله. و قَرَّبَ دارك. و قَرَّبَ الأميرُ فلاناً: قدّمه في خدمته و جعله من خواصّه.

المُقرَّب: مَن يحظى بمنزلة رفيعة عندالله جلّ وعلا. جمعه المقرَّبون.

قال الله تعالى: «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً و لا الملائكة المقرَّبون» النّسآء: ١٧٢) أي الّذين يحظون بمنازل رفيعة عند الله تعالى.

قاربه مقاربة: داناه. و قارب الفرس الخطو: داناه.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ «عليه السلام» ـ في طالب الدّنيا دون الآخرة ـ: «و قارَبَ مِن خَطْوِه، و شمّر من ثوبه...».

و قارب فلانٌ فلاناً: ناغاه بكلام حسن أي حادثه به. و قارب الرّجل في أمره: ترك الغلوّ، و قصد السّداد و الصّدق فيه. شيءٌ مُقارب: وسط بين الجيّد و الرّديّ أي المتوسّط الحال، و المنحي: مستقيم بعده عن نقطة من المنحى يدنو من صفر إذا ابتعدت النقطة إلى اللّانهاية. و في التمثيل البياني يكون المُقارب اُفقيًّا أو شاقوليًّا أو مائلاً حسبما يكون موازياً لمحور السّينات أو الصّادات أو مائلاً عليهما.

و المُقارَب من المتاع: رخيص.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «مُقارَبَة النّاس في أخلاقهم أمْنٌ من غوآئلهم».

المُقارَبة: مصدر قارب، و هي الجماع. و أفعال المقاربة: كاد و أخواتها، ترفع الإسم، و تنصب الخبر، و قارب الإبِلَ: جمعها حتّى لاتتبدّد.

اقترب الأمر: دنا دنوّاً شديداً محقّقاً. اقترب الوعد: دنا.

قال الله تعالى: «اقتربت السّاعة و انشقّ القمر» القمر: ١).

يقال: اقترب العبد إلى ربّه: تقرّب إليه، و سعى في رضاه بالعمل الصّالح. و الأمر منه: اِقْتَرِبْ. اقترب الشّيئان: تقاربا.

تَقَرَّبَ إلى الله بالقربان تَقَرُّباً و تِقِرّاباً: أتى إليه تعالى به، و طلب القربة عنده.

في نهج البلاغة: من وصيّة الإمام عليّ «عليه السلام» لأصحابه: «تعاهدوا أمر الصّلاة و حافظوا عليها و استكثروا منها، و تقرّبوا بها...»

و فيه: قال الإمام عليّ «عليه السلام» ـ في المنافقين ـ: «فتقرّبوا إلى أئمّة الضّلالة و الدّعاة إلى النّار بالزّور و البهتان...».

و تقرّب الرّجل: وضع يده على قُرْبه، و تناول القربان. و تَقَرَّبْ يا رجل: أي اعجل. و قيل: هو خاصّ لأمر. تقرّبات المآء: تباشيره، و هي حصى صغيرة إذا رآها من ينبط المآء استدلّ بها على قرب المآء. خرج إلينا متقرّباً: متخصّراً آخذ بقُربه.

تقاربت إبل فلان: قلّت و أدبرت. و تقارب الزّرع: دنا إدراكه. و في الحديث: «إذا تقارب الزّمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب» قيل: المراد استواء الليل و النّهار.

و قيل: المراد آخر الزّمان، و اقتراب السّاعة لأنّ الشّئ إذا قلّ تقاصرت أطرافه.

و في حديث الإمام المهدي المنتظر ﴿عليه السلام﴾: «يتقارب الزّمان حتّى تكون السّنة كالشّهر...» أي يطيب الزّمان حتّى لايستطال.

المُتَقارِب: الرّجل القصير، و بحر من أبحر الشّعر، وزنه فعولن ثماني مرّات. سمّي بذلك لأنّه ليس من أبنية الشّعر شئ، تقرب أوتاده من أسبابه كقُرْب المتقارب.

استقرب الشّئ: ضدّ استبعد.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ ـ في المتّقين ـ: «و استقربوا الأجل فبادروا العمل، و كذّبوا الأمل، فلاحظوا الأجل...»

تقارب: ضدّ تباعد، و تقارباه: داناه.

في التّهذيب: و القَريب: نقيض البعيد، يكون تحويلاً، فيستوى في الذّكر و الانثى، و الفرد و الجميع كقولك: هو قريب، و هي قريب، و هم قريب و هنّ قريب. ابن السّكّيت: تقول العرب: هو قريب منّي و هما قريب منّي و هم قريب منّي، و كذلك المؤنّث: هي قريب منّي، و هي بعيد منّي، و هما بعيد، و هنّ بعيد منّي، و قريب، فتوحّد قريباً و تذكّر لأنّه إن كان مرفوعاً فإنّه في تأويل: هو في مكان قريب منّي.

و **في القاموس** و **شرحه:** تاج العروس: و تقارب الزّرع إذا دنا إدراكه، و منه الحديث الصحيح المشهور: «إذا تقارب الزّمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب» المراد آخر الزّمان، أو المراد استواء الليل و النّهار، أو المراد من خروج الإمام القائم الحجّة المهديّ ﴿عليه السلام﴾ حين يتقارب الزّمان حتّى تكون السّنة كالشّهر، و الشّهر كالجمعة، و الجمعة كاليوم كما ورد في الحديث أراد بطيب الزّمان حتّى لايستطال و يستقصر لاستلذاذه».

٩ ـ الرّباء ـ ٥٣٧

ربا الشّيئ يربو رُبُوًّا و رِبآءً ـ ناقص واويّ ـ مثل دعا ـ من باب نصر ـ: زاد و نما و ارتفع و علا، فهو رابٍ و هي رابية.

ربا المالُ: زاد و نما، و ربا فلان الرّابية: علاها، و ربا الولد في حِجْرها يربو رَبْواً و رُبُوّاً: نشأ. و ربا في بني فلان: نشأ فيهم، و ربا الفرس رَبْواً: انتفخ من عدو أو فزع، و أخذه الرَّبْوُ و أخذ فلانٌ السّويقَ: صبّ عليه الماء فانتفخ.

قال الله تعالى: «اهتزّت و ربت» الحجّ: ٥) أي زادت زيادة المتربّي حتّى انتفخت. و «اهتزّت النّبات» أي إرتفعت. و في الحديث: «قوآئم منبر رسول الله ﴿ﷺ﴾ ربت في الجنّة» أي نشأت.

الرّبا: الزّيادة على رأس المال، ولكن خصّ في الشّرع بالزّيادة على وجه معيّن، و باعتبار الزّيادة كذلك أُخِذَ الرّبا الحرام.

قال الله جلّ وعلا: «و ما آتيتم من ربا ليربوا في أموال النّاس فلايربوا عند الله» الرّوم: ٣٩) أي من اعطى يبتغى الزّيادة من ذلك فلا أجر له عندالله فيه. و نبّه بقوله: «يمحق الله الرّبا و يربى الصّدقات» البقرة: ٢٧٦): أنّ الزّيادة المعقولة المعبّر عنها بالبركة مرتفعة عن الرّبا، ولذلك قال في مقابلته: «و ما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون» الرّوم: ٣٩).

و قال: «الّذين يأكلون الرّبا لايقومون إلاّ كما يقوم الّذي يتخبّطه الشّيطان من المسّ» البقرة: ٢٧٥).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿ع﴾: «قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: يا عليّ إنّ القوم سيفتنون بعدي بأموالهم ـ إلى أن قال ـ «فيستحلّون الخمر بالنّبيذ، و السّحت بالهدية، و الربّا بالبيع».

و فيه: قال سيّد الوصيّين عليّ بن أبيطالب ﴿ع﴾: «من اتّجر بغير فقه فقد ارتطم في الرّبا».

الرّبا: العينة، اسم من الرَّبْو، فلامه واو، والنسبة إليه رِبَويّ، و مثنّاه: رِبَوان، و رِبَيان:

الزّيادة و الفضل. و في الشّرع: الزّيادة على أصل المال من دون عَقْد تبايُع.

الرَّباء: الطَّوْل و المِنّة و الفضل. يقال: لفلان عليك رَباء أي فضل.

الرَّبْو: النَّفَسُ العالي، و الرّابية، و الجماعة، جمعه: أرباء. الأربآء: الجماعات من النّاس، واحدهم رَبْوٌ. الرَّبْو: علّة معروفة، و الرَّبْو: الانبهار، سمّي بذلك تصوّراً لتصعّده، و لذلك قيل: هو يتنفّس الصّعدآء.

الرُّبَة: عشرة آلاف درهم.

الرُّبْيَة: نوع من الحشرات و السّنّور. الرُّبْية: لغة من الرّبا.

و في كتابه «عليه السلام» في صلح نجران: «أنّه ليس عليهم رُبِّيَة و لا دمٌ» الرُّبِّيَة: رُبْيَةٌ من الرّبا.

الرُّبْوَة ـ مثلّثة الرّآء ـ التّلّة، و ما ارتفع و علا من الأرض، فهو زائد على ما يحيط به.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام»: «لايخفى عليه من عباده شُخُوص لحظة، و لاكرور لفظة، و لا ازدلافُ رَبْوَة...» الخطبة: ١٦٢).

و في الخبر: «الفردوس رَبْوَة الجنّة» أي أرفعها.

و فيه أيضاً: «الصّدقة تربو في كفّ الرّحمن» أي يعظم أجرها أو جثّتها حتّى تثقل الميزان، و أراد بالكفّ كفّ السّائل، أُضيف إلى الرّحمن إضافة ملك.

قال الله تعالى: «كمثل جنّة بربوة أصابها وابل فآتت أُكُلها ضعفين» البقرة: ٢٦٥).

جمع الرَّبْوة: رُبىً، و رُبِيّ.

الرَّبْوَة: انتفاخ الجوف، و علّة تحدث في الرّئة، فتصيّر التنفّس صَعْباً.

و في الحديث: «من أبى فعليه الرَّبْوَة» أي من امتنع عن أدآء الزّكاة فعليه الزّيادة في الفريضة الواجبة عليه كالعقوبة له. و في الحديث أيضاً: «من أقرّ بالجزية فعليه الرّبوة» أي من امتنع عن الإسلام لأجل الزّكاة كان عليه من الجزية أكثر ممّا يجب عليه بالزّكاة.

الرَّبْوَة: عند الحُسّاب: عشر كرّات (ميليون) و الكرَّة: مأة ألف. و الرَّبْوَة: موضع بدمشق، به مسجد مشهور يُزار.

الرَّبْوَة: الجماعة العظيمة، نحو عشرة آلاف. يقال: «مرّت بنا رِبْوَةٌ من النّاس و رِبىً منهم».

الإرْبَيان: سمك أبيض كالدّود يكون بالبصرة.

الرّابي ـ اسم فاعل ـ: العالي و الزآئد.

قال الله تعالى: «فاحتمل السّيل زبداً رابياً» الرّعد: ۱۷) أي طافياً فوق المآء.

الرّابية ـ مؤنّث الرّابي ـ: ما ارتفع من الأرض، و الزّآئدة في الشّدّة.

قال الله سبحانه: «فعصوا رسول ربّهم فأخذهم أخذة رابية» الحاقّة: ۱۰) أي شديدة زائدة في الشّدّة على الأخذات كما زادت قبآئحهم في القبح.

الرّابية: الّتي أخذها الرَّبْوُ و هو النّهيج و تواتر النَّفَس الّذي يعرض للمسرع في مشيه و حركته. و رَبَوْت الرّابية. علَوْتها. و أرض مربية: طيّبة.

جمع الرّابية: رواب.

و الرّباة و الرَّباوَة ـ بتثليث الرّآء ـ: الرّابية. و يقال: «فلان في رَباوة قومه» في اشرافهم.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «ثمّ لم يدع جُرُز الأرض الّتي تقصر مياه العيون عن روابيها...»

أربىٰ: إسم تفضيل.

قال الله تعالى: «أن تكون أمّة هي أربى من أمّة» النّحل: ۹۲) أي أكثر عدداً و قوّة.

و منه سمّي «الرّبى» أي إذا كان بينكم و بين أمّة عقد أو حلف نقضتم ذلك و جعلتم مكان أمّة هي أكثر عدداً و قوّة.

الأُربيّة: أصل الفخذ أو ما كان بين أعلاها و البطن. و منه: «نفضت أُرْبِيّتاه». والأُربيّتان: لَحْمَتان ناتئتان في اصول الفخذين من باطن. قيل: الأُربيّة: قريبة من العانة. والأُربيّة: أهل بيت الرّجل، و بنو عمّه. يقال: جآء في أُرْبيّة قومه. و فلان في أُربيّة صدق أي في محتد رضا.

أربى الشّيَّ يُربيه إرباَءً: نمّاه. أربى إربآءً: أخذ أكثر ممّا أعطى، و أربى الشّئَ: جعله يربو. و أربى زيداً: أمّله. تقول: أربى عليه في كذا و ارتباه ارتباءً: زاد. و أربى الرّجل: دخل في الرّبا. و أربى عليه في كذا: زاد عليه، و أربى عليه: أشرف عليه.

في نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام»: «و إذا أُسديت إليك يَدٌ فكافئها بما يُربي عليها». قال الله تعالى: «يمحق الله الرّبا و يُربي الصّدقات» البقرة: ١٧٦) أي يُنمي المال الّذي أُخرِجَتْ منه الصّدقة.

و في الخبر: «مثلي و مثلكم كرجل ذهب يُربي أهله» أي يحفظهم من عدوّهم. و الاسم: الرّبية و هو العين الّذي ينظر للقوم لئلاّ يدهمهم عدوّ، و لا يكون إلاّ على جبل أو شرف و في حديث الأنصار يوم أُحد: «لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنُرْبينّ عليهم في التّمثيل» أي لنزيدنّ و لنضاعفنّ.

المُرْبي ـ اسم فاعل ـ: من يأتي الرّبا.

ربّاه يربّيه تربية: نمّاه و نشّأه، و جعله يربو و غذّاه و هذّبه. و عن فلان: نَفّسَ من خناقه.

و ربّيته تربية: غذوته، و هو لكلّ ما ينمي من الوَلَد و الزّرع و الورد و ما إليها.

قال الله تعالى: «و قل ربّ ارحمها كما ربّياني صغيراً» الإسراء: ٢٤).

و قال: «قال ألم نربّك فينا وليداً و لبثت فينا من عمرك سنين» الشعراء: ١٨).

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام» ـ في وصف الطّاووس ـ فهو كالأزاهير المبثوثة لم تُربّها أمطار ربيع و لا شموس قيظ...» الخطبة: ١٦٤).

و فيه: قال أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: ـ في مدح الأنصار ـ: «هم والله رَبّوا الإسلام كما يُرَبَّى الفَلُوُّ مع غنائهم بأيديهم السّباط، و ألسنتهم السّلاط».

ربّا الأُترجَ بالعسل، و الوَرْدَ بالسّكّر: عقده. قيل: أصله: رَبَّبَهُ. فقلبت الباء ياءً للتخفيف.

المُرَبّي ـ اسم فاعل ـ: من بيده تربية الشّيْ حسّياً أو روحيًّا.

المُرَبّىٰ ـ اسم مفعول ـ: رُبٌّ. المُرَبّىٰ: حلواء معروفة تكون إمّا بالفواكه تعقد بالسُّكّر و إمّا من النشاء المعقود بالسّكّر أو غير ذلك.

الزّنجبيل المُرَبّىٰ: معروف.

رابَاه مراباة: داراه، و أعطى ماله بالرّبا، فهو مُرابٍ.

تربّاه: ربّاه.

١٠ ـ الضّعف ـ ٩٠٢

ضَعُفَ يَضعُفُ ضَعْفاً و ضَعَافةً و ضَعَافِية ـ من باب كرم ـ: ضدّ قوي و شدّ.

يقال: فلان قد ضَعُفَ عن الشّيْ: عجز عن احتماله، فهو ضعيف.

قال الله تعالى: «ضَعُفَ الطالب و المطلوب» الحجّ: ٧٣) أي عجز، إذ كلّ قويّ غير الله تعالى ضعيف، عاجز.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿ﷺ﴾: «و كلّ قويّ غيره ضعيف».

وفيه: قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿ﷺ﴾ ـ في التّوحيد ـ «و لاضَعُفَ ما قوّاه».

و ضَعَفَ الرَّجُل ضَعْفاً و ضُعْفاً ـ من باب نصر ـ: عجز.

و ضَعَفَ فلان القَوْمَ ضَعَفاً ـ من باب منع ـ: كثّرهم، فصار له و لأصحابه الضِّعف عليهم، و ضَعَفَ الشّئ: ضاعفه، ثمّ يسمّى المضعوف ضِعْفاً و كذلك المضعوف به. رجل مضعوف: ضعيف الرّأى، شئ مضعوف: مضاعف.

جمع الضّعيف: ضُعَفآء، و ضَعْفىٰ، و ضِعَاف، و ضَعَافىٰ، و ضَعَفَة من الرّجال.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين الإمام عليّ ﴿ﷺ﴾: «إنّ الله تعالى فرض على أئمّة الحقّ أن يُقدّروا أنفسهم بضَعَفَة النّاس كيلا يتبيّغ بالفقير فَقْرُهُ».

و ضعيفات و ضعآئف و ضِعاف في النّسآء.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين عليّ بن أبيطالب ﴿ﷺ﴾ ـ في النّسآء ـ «فإنّهنّ ضعيفات القوى و الأنفس و العقول...»

من المادّي: أضعاف الجسد: أعضآئه، و عظامه. الواحد: ضِعْف. ثمّ قالوا: أضعاف الكتاب: أثناء سطوره و أوساطه... يقال: وقع خلاف في أضعاف كتابه أي في أثنآء سطوره و حاشيته و أوساطه.

و لعلّه من هذه الأجزآء و العظام قيل: ضَعُفَ: أُصيب ضِعْفُه أي عظمه، فكان من ذلك الضّعْف: خلاف القوّة.

قال الله تعالى: «الله الّذي خلقكم من ضَعْف ثمّ جعل من بَعْد ضَعْف قوّة ثمّ جعل من بعد قوّة ضَعْفاً و شيبة يخلق ما يشآء و هو العليم القدير» الرّوم: ٥٤).

انّ الضّعف الثّاني غير الأوّل، و كذا الثّالث، و ذلك أنّ قوله تعالى: «خلقكم من ضعف» أي من نطفة أو من تراب، و الثّاني هو الضّعف الموجود في الجنين و الطفل، و الثّالث الّذي بعد الشّيخوخة، و هو المشار إليه بأرذل العمر، و القوّتان الاولى هي الّتي تُجعَل للطّفل من التحرّك و هدايته و استدعآء اللبن و دفع الأذى عن نفسه بالبكآء، و القوّة الأخيرة هي الّتي بعد البلوغ، و يدلّ على أنّ كلّ واحد من قوله: «ضعف» إشارة إلى حالة غير الحالة الاولى.

و في الحديث: «رأيت في أضعاف الثّياب طيناً» أي في أثنائها.

قال الله تعالى: «لاتأكلوا الرّبا أضعافاً مضاعفة» آل عمران: ١٣٠) أي أمثالاً كثيرة متزايدة.

قيل أتى باللفظين على التّأكيد على النّهي عن الرّبا. و قيل: بل المضاعفة من الضَّعْف لامن الضُّعف. و المعنى: ما يعدّونه ضِعْفاً فهو ضَعْف أي نقص كقوله تعالى: «و ما آتيتم من ربا ليربوا في أموال النّاس فلا يربوا عند الله» الرّوم: ٣٩) و قوله: «يمحق الله الرّبا و يربي الصّدقات» البقرة: ٢٧٦) و من التصرّف في الأضعاف قالوا: ضَعَّفَ الشّيْ‌ءَ: أطبق بعضه على بعض و ثنّاه، فصار كأنّه ضِعْف، و صارت طاقات الشّيْ‌ء متماثلات، فقيل: الضِّعف أي المثل.

و لم يبعد أن يَرْجع معنيا المادّة ـ و هما خلاف القوّة و زيادة مثل الشّيْ‌ء ـ إلى أصل واحد، و إن ظهرا متباينين، فذلك غير بعيد في الانتقالات اللغويّة الّتي قد تكون العلاقة فيها التضادّ بما فيه من إثارة الشّيْ‌ء و تداعيه ذكر المضادله.

و هي دقّة لغويّة توجد منها في هذه المادّة ـ ض ع ف ـ نفسها دلالتها على المعنيين المتقابلين فيها: نقص القوّة في الشّيْ‌ء، و زيادة الشّيْ‌ء على أصله، إذ يقال: أضعف أضعافاً أي زاد على أصل الشّيْ‌ء، فجعله مثلين أو أكثر كما يقال: أضعفه: صيّره ضعيفاً. و يقال: ضعّف تضعيفاً أي زاد على أصل الشّيْ‌ء فجعله مثلين أو أكثر كما يقال: ضعّفه: وجده ضعيفاً فركبه بسوء.

فيمكن أن يرد مثل هذا التّقابل الّذي يبدو غريباً إلى اصول مطردة في بنآء العربيّة، مثل تقريرهم ذلك في الهمزة و التضعيف بأنّ زيادة الهمزة في «أفعل» تكون لجعل الشّيْ‌ء

نفسه أصله أو صيرورته ذا أصله أو نحو ذلك، كما تكون الهمزة نفسها عند الزّيادة للسّلب و الإزالة.

فمن الأوّل: قولك: ألحم أي صار ذالحم، و أطْفَلَتْ أي صارت ذا طفل، إلى كثير من ذلك.

و من الثّاني: فمثال السّلب و الإزالة بالهمزة: أشكيته أي أزلت شكايته، و على هذا يمكن أن يقال في ضَعْف أي صار غير ذي قوّة، أضعفته أي صيّرته ضعيفاً لجعله نفس أصله، كما يقال: أضعفه أي زاد على أصله بمعنى جعله ذا أصله، و تصييره كذلك، أو بمعنى سلب الضَّعْف عنه كما في أشكيته، و تكون إزالة ضعفه بزيادته على أصله.

و هكذا يقرّر مثل ذلك في التّضعيف، فيقال: حزّنته أي أدخلت فيه الحزن كما يقال: مرّضته أي أزلت مرضه، فيقال ـ أيضاً ـ: ضعّفَ تضعيفاً: صيّره ضعيفاً، و ضَعّفَ تضعيفاً أي زاده على أصله أو أكثر، و من هذا تجيئ الصّيغ و المعاني من المادّة.

فالفعل: ضَعُفَ ـ ككرم ـ و المصدر: الضَعْف و الضُّعْف و الضعَف و الضَّعْف ـ و قد يخصّ الضّمّ بالجسد، و الفتح بالرّأى و العقل، فالفتح قد يكون في النّفس و في البدن و في الحال.

قال الله تعالى: «و علم أنّ فيكم ضَعْفاً» الأنفال: ٦٦).

و منه قوله تعالى: «فإن كان الّذي عليه الحقّ سفيهاً أو ضعيفاً» البقرة: ٢٨٢).

فالفرق بين الضَّعْف و الضُّعْف: أنّ الضُّعْف ـ بالضّمّ ـ يكون في الجسد خاصّة، و بالفتح يكون في الجسد و الرّأى و العقل، يقال: في رأيه ضَعْف، و لا يقال: فيه: ضُعْف، كما يقال: في جسمه ضَعْفٌ و ضُعْف.

و أضْعَفَ الرّجل: ضَعُفَتْ دابّته فهو مُضْعِف، و المُضْعِف كذلك: الدّاخل في التّضعيف أي ذو الأضعاف من الحسنات، و أضعف الرّجل: فَشَتْ ضيعته و كثرت فهو مُضعِف.

و من معنى الزّيادة ـ ضَعّفَ و ضاعَفَ. و قد يقال: إنّ ضاعَفَ أبلغ من ضَعَّفَ، و لهذا قرأ أكثرهم: «يضاعف لهم العذاب» الفرقان: ٦٩) «و إن تك حسنة يضاعفها» النّسآء: ٤٠).

و منه الضِّعْف: مثل الشّيئ إلى ما زاد، فضِعْف الشّيئ هو الّذي يثنّيه، فإذا أُضيف إلى عدد، اقتضى ذلك العدد و مثله، نحو ضِعْف العشرة، فيكون عشرين، و ضِعْف المأة فيكون

مأتين، فإذا لم يضعف، فقيل: ضِعْفَيْن، فيجرى مجرى الزّوجين في أنّ كلّ واحد منهما يزاوج الآخر، فيقتضى ذلك اثنين.

و يجمع الضِعْف على أضعاف، و هم يتكلّمون به مثنى أكثر ممّا يفردونه، و ربّما أفردوا الضّعْف و هم يريدون معنى الضّعْفَيْن.

و قد وردت المادّة في القرآن الكريم بالمعنيين: خلاف القوّة، و زيادة الشّيْ.

١ ـ فمّا هو خلاف القوّة. قال الله تعالى: «الله الّذي خلقكم من ضَعْف» الرّوم: ٥٤)

٢ ـ و من زيادة مثل الشّيْ إليه أو أكثر قال جلّ وعلا: «لكلّ ضِعْف» الأعراف: ٣٨)

الضَّعَفَة: ضَعْفُ الفؤاد، و قلّة الفطنة، و شرذمة من العرب.

الضَّعُوف: ذو الضّعْف، و ذات الضّعْف. يقال: رجل ضَعُوف، و امرأة ضَعُوف لأنّه فعول بمعنى فاعل يستوى فيه المذكّر و المؤنّث.

الضّعيف: ذو الضّعْف، و الضّعيف: خلاف القويّ.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «القويّ عندي ضعيف حتىّ آخذ الحقّ منه».

و في حديث الجنّة: «كلّ ضعيف مُتَضَعَّف» أي الّذي يتضعّفه النّاس، و يتجبّرون عليه في الدّنيا للفقر و رثاثة الحال.

الضّعيف: الأعمىٰ و الأبله.

في توقيع الإمام أبي الحسن العسكريّ«عليه السلام» ـ وقد سُئِلَ عن الضّعيف ـ فقال: «الضّعيف من لم تدفع إليه حجّة و لم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف» و على هذا فالضعيف: الأبله. و في الحديث: «إنّ الله ليبغض المؤمن الضّعيف» قيل: المراد: الضّعيف الايمان. و المعنى: أنّه يعامله معاملة المبغض.

و في الحديث: «اتّقوا الله في الضّعيفين» أي اليتيم و المرأة، أو المملوك و المرأة. و يقال: فلان ضعيف مُضعَف، يعنى ضعيفاً في بدنه، مضعفاً في دابّته.

قال الله تعالى: «ليس على الضّعفآء» التوبة: ٩١).

و قوله عزّوجلّ: «و خلق الإنسان ضعيفاً» النّسآء: ٢٨) لكثرة حاجاته حدوثاً و بقاءً و

قوله سبحانه: «إنّ كيد الشّيطان كان ضعيفاً» فضعف كيده إنّما هو مع ماقال سبحانه في عباد الله المذكورين في قوله تعالى: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان» الحجر: ٤٢)

الضّعيفة: المرأة، و ذو الضّعْف، و كلام ضَعيف: ما انحطّ عن درجة الاعتبار و الفصاحة.

الضّعيف: المريض، و الضُّعَيْف ـ مصغراً ـ: لقب رجل.

ضِعْف الشّيْ: مثله في المقدار، و ضِعْفاه: مِثلاه.

قال الله تعالى: «لأذقناك ضِعْف الحياة و ضِعْف المات» الإسرآء: ٧٥) يعني عذاب الدّنيا و عذاب الآخرة متضاعفين. و الضِّعْف من أسمآء العذاب، و منه قوله تعالى: «لكلّ ضِعْف» الأعراف: ٣٧) أي لكلّ تابع و متبوع عذاب مُضاعف لأنّهم دخلوا في الكفر جميعاً، فلكلّ عذاب مضاعف.

و في الحديث: «كان يونس في ضِعْف الحوت» يريد في جوفه.

الضَّعَف: ضدّ القوّة، و الضَعْف: خلاف الشّدّة.

الضُّعف: المرض.

الضَّعْفان: ذو الضّعف، جمعه: ضعافى.

و قد يكون الضِّعْف فيما زاد على المِثل، فليس الضّعف مقصوراً على المثلين. و أقلّ الضِّعْف في الواحد، و أكثره غير محصور. فقولهم: لك ضِعْفه أي لك مثله أو ثلاثة أمثاله أو أكثر. و يقال: هذا ضِعْف هذا أي مثله، و هذا ضِعْفاه أي مِثلاه.

أما لو قال في الوصيّة: «اعطوه ضِعْف نصيب ولدي» لأُعطِيَ مثليه. و لو قال: «ضِعْفَيْه» لأُعطِيَ ثلاثة أمثال، حتىّ حصل للإبن مأة لأُعطِيَ مأتين في الضِّعْف، و الثلاثمأة في الضِّعْفَيْن، و على هذا جرى عرف النّاس في محاوراتهم، و الوصيّة تحمل على العرف لا على دقائق اللغة.

أضعفه: ضاعفه، و أضْعَفَ المَرَضُ فلاناً: جعله ضعيفاً، و أضعفه: جعله ضِعْفَيْن.

المُضْعِف: من فَشَتْ ضيعته و كثرت، و من ضعفت دابّته، يقال: هو ضعيف مُضْعِف فالضّعيف في بدنه، و المُضعِف في دابّته. كما يقال: «قويّ مُقوٍ».

ضَعَّفَهُ: عدّه ضَعيفاً، و ضَعَّفَ السَّفَرُ: صيّره ضعيفاً، و ضَعَّفَ الشّيْءَ: جعله ضِعْفَيْن. و ضَعَّفَ الحديث: نسبه إلى الضَّعف سنداً أو دلالة أو جهةً. أرض مضعّفة: أصابها مطر ضعيف. و يقال: الثّياب المضعّفة. و التضعيف: حُملان الكيمياء أي غشّها.

ضاعفه: جعله ضِعْفَيْن و هو أبلغ من ضَعَّفَه.

في نهج البلاغة: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و جعل جزآءهم عليه مضاعفة الثّواب تفضّلاً منه و توسّعاً بما هو من المزيد أهْلُهُ».

المُضاعف في اصطلاح الصّرفيّين: ما ضُوعِفَ فيه الحرف مثل مدّ.

يقال: بقرة ضاعف: في بطنها حمل كأنّها صارت بولدها مضاعفة.

مضاعف: عدد صحيح و هو حاصل ضرب في عدد صحيح. و المضاعف الأصغر للعدد هو أصغر مضاعفاته. و المضاعف المشترك: بين عدّة أعداد صحيحة، عدد يكون مضاعفاً لجميعها.

المضاعفة: الدّروع الّتي ضُوعِفَ حلقها و نُسِجَتْ حلقتين حلقتين.

تضعّفه: عدّه ضعيفاً، فركبه بسوء. المتضعّف: المعدود ضعيفاً.

تضاعف الشّئ: صار ضِعْف ما كان. و تضاعيف الكتاب: أضعافه و أثنآئه.

استضعفه: رآه ضعيفاً، و استضعف الشّيْ: عدّه ضعيفاً. و استضعفته: وجدته ضعيفاً. المستضعف: هو الّذي لايستطيع حيلة الكفر، فيكفر و لايهتدى سبيلاً إلى الايمان كالصّبيان، و من كان من الرّجال مثل عقول الصّبيان، مرفوع القلم عنهم.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و لايقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أذُنه و وعاها قلبه».

و قال بعض المحقّقين: المستضعف من لايعتقد الحقّ و لايعاند أهله، و لايوالي أحداً من الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و لا من غيرهم، و ليس من قسم المستضعف من يعتقد الحقّ، و لايعرف دليله التّفصيلي، فإنّ ذلك من جملة المؤمنين، و لعدم كونه منافقاً. و في الخبر: «سئل عن المستضعفين، فقال: البلهآء في خدرها و الخادم، تقول لها: صلي فتصلي لاتدري إلاّ ما قلت لها، و الكبير الفاني، و الصّبيّ الصّغير».

٢٢ ـ الودق ـ ١٦٥٥

وَدَقَ المطر يَدِقُ وَدْقاً ـ معتلّ الفاء الواويّ ـ مثل وعد ـ من باب ضرب ـ: قطر. و دَقَتِ السّحابة: أمطرت. و منه: «فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها»

الوَدْق ـ مصدر ـ: المطر كلّه، شديده و هيّنه. و قيل: الوَدْق و الوَدَق: موضوع فى الأصل لشيْ يشبه الغبار فى وسط المطر، ثمّ استعمل للمطر مجازاً.

قال الله تعالى: «اللّه الّذي يرسل الرّياح فتثير سحاباً فيبسطه في السّمآء كيف يشآء و يجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله» الرّوم: ٤٨).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ«عليه السلام» ـ في خطبة الاستسقآء ـ: «يُدافِعُ الوَدْقُ منها الوَدْقَ...»

و في حديث الاستسقآء أيضاً: «بركة من الوابل تدافع الوَدْقُ بالودقِ» و مثله: «غيثاً وَدْقاً مطفاحاً».

ذات وَدْقين: الدّاهية أي ذات وجهين كأنّها جآئت من وجهين. و سحابة ذات وَدْقَيْن أي مَطَرَيْن شديدتين. حَرْبٌ ذات وَدْقين: شديدة شبّهت بسحابة ذات مطرتين شديدتين.

قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»:

فإن هلكتُ فَرَهْنٌ ذمّتي لهم   بذات وَدْقَيْن لا يعفولها أثر

أي حرب شديد، و هو من الوَدْق و الوِداق: الحرص على طلب الفحل لأنّ الحرب توصف باللقاح.

وَدَق إلى الشّيْ وَدْقاً و وُدُوقاً: دنامنه و أمكنه. و وَدَقَ البعيرُ إلى المآء: دنامنه. مَثَلٌ يُضْرَبُ لمن خضع لشيْ بعد الإبآء حرصاً عليه. «مارَسْنا بني فلان فما ودقوا لنا بشيْ» أي ما بذلوا. و المعنى: ما قرّبوا لنا شيئاً من مأكول أو مشروب.

وَدَق بالشّيْ: استأنس، و وَدَقَ بَطْنُهُ: اتّسع ودنا من السّمن أو استطلق.

وَدَقَ السّيفُ: حدّ، و وَدَقَتْ سُرَّتُهُ: سالت و استرخت أو خرجت كأنه أبجر. و وَدَقَ الصّيد: إذا دنا منك.

وَدَقَتْ ذات الحافر تدق، و وَدِقَتْ تَوْدَق ـ من بابى ضرب و علم ـ و ودُقَتْ تَوْدُق وَدَقاً

و وُدُقاً و وَداقاً و وَدَقاناً ـ من باب كرم ـ: إذا ظهرت رطوبة عند إرادة الفحل، فهي وادق، و ودق و وديق. و الإسم: الوِداق. و وَدِقَتْ عينه وَدَقاً ـ من باب علم ـ: ظهر فيها الوَدَق.

أتان وديق، و فرس وديق: إذا حرصت على الفحل.

و في حديث ابن عباس ـ في إلقاء عصى موسى ﴿ﷺ﴾: «و إنّ فرعون كان على فرس ذنوب حصان، فتمثّل له جبرئيل على فرس وديق، فتقحم خلفها» هي الّتي تشتهي الفحل.

الوَدْق ـ بالفتح أيضاً ـ و الوَدَق محرّكة ـ: نُقَط حُمُر تخرج من العين من دم تشرق به، أو لحمة تعظيم فيها أو مرض فيها ترم منه الأُذُن. الواحدة: وَدْقة. يقال: في عينه وَدْقَة خفيفة: فيها بَثْرَة أو نقطة شرقت بالدّم.

عين وَدِقَة: بها وَدَقٌ. يقال: فلان يحمى الحقيقة، و ينسل الوديقة أي ينسل نسلاناً في وقت الحرّ، نصف النّهار، يقال للرّجل المشمّر القويّ.

الوديقة: ما يبدو في الهواء عند شدّة الحرّ، و الموضع فيه بَقْل أو عَشَبٌ، جمعها: ودآئق. قيل: سمّيت بذلك لأنّها ودقت إلى كلّ شيءٍ وصلت إليه. يوم ذي وديقة: حرّ شديد، أشدّ ما يكون من الحرّ بالظّهآئر.

الوادق: الحديد من السّيف و غيره. يقال: إنّه لوادق السّنة أي كثير النّوم في كلّ مكان. رجل وادق السُّرّة: شاخصها.

الوَداق و الوِداق: الحديد.

المَوْدِق: الموضع الّذي فيه الوَدَق، أي موضع ودق البعير. و المَوْدِق: معترك الشّرّ، والحآئل بين الشّيئين، و موقف الظّبي حيث يتناول الشّجر.

مودق الحُمُر مأتاها.

أودَقَتِ السّمآء ايداقاً: أمطرت.

٥٤ ـ الشّيب و الشّيبة ـ ٨٢٧

شاب الرّجل يشيب شَيْباً و شَيْبَةً و مَشيباً ـ أجوف يائيّ ـ مثل باع ـ من باب ضرب ـ:

ابيضّ قليلاً أو كثيراً، تدريجاً أو دفعة، فهو أشيب على غير قياس، لأنّ هذا النّعت إنّما يكون من باب فَعِلَ يَفْعَلُ، و لا فعلاء له و شرطه أن يدلّ على العيوب أو الألوان. فيقال: رجل أشيب، و لا يقال: امرأة شيبآء، فلا تُنْعَت به المرأة، اكتفوا بالشّمطآء عن الشّيبآء.

و جمعه: شِيب و شُيُب. و الشّيب: مصدر شاب، و الشّيب إسم للشّعر الأبيض نفسه.

قال الله سبحانه: «فكيف تتّقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً» المزمّل: ١٧) و هو تمثيل لشدّة الهول. قال الله تعالى عن زكريّا ﴿عليه السلام﴾: «و اشتعل الرّأس شَيْباً» مريم: ٤) أي انتشر الشّعر الأبيض في الرّأس أو انتشر الشّيب الرّأس.

الرّجل شائب، و المرأة شائبة.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ ـ في عبدالملك ابن مروان الفاسق ـ: «... حتّى شابت عليه مَفارِقُه...».

و فيه: قال يعسوب الدّين أمير المؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «فتاهم عارم، و شآئبهم آثم، و عالمهم منافق...».

الشّيْبَة: مصدر، و الكهولة.

قال الله تعالى: «ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و شَيْبة» الرّوم: ٥٤)

الشّيب: ابيضاض الشّعْر، و الشّعْر شَيْب شآئب: مبالغة كليل لائل. و جمع الشّائبة: شُيَّب. يقال: باتت المرأة بليلة شيبآء إذا افتُضّت، و بليلة حرّة إذا لم تُفْتَضّ. و قيل: باء شيبآء بدل من الواو لأنّ مآء الرّجل شاب مآء المرأة. و ليلة شَيْبآء: آخر ليلة من الشّهر.

الشّيْبة: المرّة، و اسم من شاب، و نبات نافع يُعرَف غالباً بالاحسنتين، سمّيت بـه لبياضٍ في أُفقيّة ورقها. و شيبة الحمد هو عبد المطّلب بن هاشم المطعم طير السّمآء، لأنّه لمّا نحر فدآء ابنه عبدالله مأة بعير، فرّقها رؤوس الجبال فأكلها الطّير.

و بنوشيبة: قبيلة معروفة، منهم سدنة الكعبة بإذن رسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾.

الأشيب: الرّجل الّذي ابيضّ شعره.

الشّيب: سير السّوط، و حكاية أصوات مشافر الإبل عند الشّرب، و ولد الضّبع من الذّئب و هو أشرّ الضّواري، و الجبال الّتي ابيضّت بالثّلج و الصّقيع. و يقال: شابت رؤوس

الآكام أي ابيضّت بالثّلج. و منه الحديث: «إذا نظر إلى الشّيب ناقلى أقدامهم» و فيه: «له شعر علاه الشّيب» يقال: هو شعر معدود أربع عشرة شعرة.

و الشِّيب و شَيِّب و شابه: جبلان معروفان.

المَشيب: ابيضاض الشّعر. الشّيب و المشيب واحد. و عن الأصمعي: الشيب: بياض الشَّعْر، و المشيب: دخول الرّجل في حدّ الشّيب.

يوم شَيْبان و أشيب: فيه برد و غيم و صُراد. و يوم أشيب كيوم شَيْبان.

شَيْبان ـ و قد يُكسر ـ: شهر كانون الأوّل و الثّاني. و ذلك لابيضاض الأرض فيه بالثّلج و الصّقيع، و هما عند طلوع العقرب و النّسر.

الشَّيْبانيّة: أتباع شَيْبان بن سلمة، قالوا بالجبر و نفي القدر.

أشاب الرّجل إشابة: شاب أولادُه، و أشاب الحُزْنُ رأسه، و به إشابة: بيّضه.

شيّب الحُزنُ فلاناً و بفلان: جعله يشيب، و رأسَه و برأسه: بيّضه. مطاوع.

و في الخبر قال رسول‌الله«ﷺ»: «شيّبتني هود و الواقعة» لما فيهما من أهوال يوم القيامة و فزعه و أنواع عذابه، و من المثلات بالنّوازل بالأمم الماضية، حتّى شبّت قبل أوانه.

في نهج البلاغة قال سيّد الوصيّين أمير المؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام» ـ فيما نزل عليه«عليه السلام» بعد وفاة رسول الله«ﷺ» من ناحية أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة الهتّاكين لأهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام و غاصبي حقوقهم ـ: «... و طفِقْتُ أرتأي بين أن أصول بيد جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يَهْرَم فيها الكبير و يشيب فيها الصّغير...» الخطبة الشقشقيّة: ۳).

٤١ـ الخفّة و الخفاف ـ ٤٢٩

خَفَّ الشّيْ يَخِفُّ خَفّاً و خِفّةً و خَفَّةً ـ مضاعف مثل فرّ ـ من باب ضرب ـ: ضدّ ثَقُلَ فهو خفيف. و الخفيف ضدّ الثّقيل.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»: «و ما

الجليل و اللطيف، و الثقيل و الخفيف، و القويّ و الضّعيف في خلقه إلاّ سوآء...»

و جمع الخفيف: خِفاف، و أخفّآء و أخفاف.

و خَفَّ الرَّجُلُ: حَمُقَ و طاشَ، و قَلَّ ماله، و في سفره و حضره: قلّ ثقله و أولاده و عياله، و خَفَّ القومُ عن وطنهم خَفّاً و خِفَّةً و خُفُوفاً: ارتحلوا مسرعين، و قلّوا، و قد خفّت زحمتهم. و خَفَّ فلان إلى العدوّ خفوفاً: أسرع.

و في حديث خطبة رسول الله «ﷺ» في مرضه: «أيها النّاس قد دنا منّي خُفُوف من بين أظهركم» أي حركة و قرب ارتحال يريد الإنذار بموته.

و خَفَّ المطر: نقص.

قال الله تعالى: «و من خَفَّت موازينه» الأعراف: ٩) كناية عن قلّة الأعمال الصّالحة أو فقدها.

في نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين الإمام عليّ «ﷺ»: «لا يتخفّ ميزان تُوضعان ـ شهادتان ـ فيه، و لا يثقل ميزان تُرْفعان ـ شهادتان ـ منه» الخطبة: ١١٣).

الخفيف أيضاً ـ: السّريع في عمله أو سيره. يقال: فلان خفيف اليد: سريع العمل، وفلان خفيف الرِّجل: سريع السّير. و خفيف الرّوح: لطيف رقيق العِشرة، و خفيف الظّهر: قليل الأولاد و العيال، و خفيف القلب: ذكيّ، و خفيف العقل: أحمق، و خفيف اللبّ: سفه و أبله و بليد، و خفيف العارضين: قيل الشّعر في الوجه. و الخفيف ـ ايضاً ـ بَحْرٌ من أبحر الشِّعْر سُمّي بذلك لخفّته. وزنه: فاعلاتن، مستفعلن، فاعلاتن. و منه: كلام خفيف على اللسان، و ثقيل على الميزان.

قال الله تعالى: «فلمّا تغشّاها حملت حملاً خفيفاً» الأعراف: ١٨٩) يعني أوّل الحمل.

و خفَّتِ الأُتُنُ لعيرها: أطاعته، و خَفَّتِ الضّبع خَفّاً: صاحت.

قال بعض اللغويّين: الخفيف: خلاف الثّقيل على خمسة أوجه:

ألف: يقال: هذا خفيف باعتبار مضايفة الزّمان نحو: فرس خفيف، و فرس ثقيل إذا عدا أحدهما أكثر من الآخر في زمان واحد.

ب: باعتبار المضايفة بالوزن، و قياس شيئين أحدهما بالآخر، نحو: درهم خفيف و درهم ثقيل.

ج: خفيف فيما يستحليه النّاس، و ثقيل فيما يستوخمه، فيكون الخفيف مدحاً، و الثّقيل ذمّاً. و منه قوله تعالى: «الآن خفّف الله عنكم» الأنفال: ٦٦).

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و قد يخفّفه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبّروا أنفسهم، و وثقوا بصدق موعود الله لهم».

د: خفيف فيمن يطيش، و ثقيل فيما فيه وقار، فيكون الخفيف ذمّاً، و الثّقيل مدحاً.

هـ: خفيف في الأجسام الّتي من شأنها أن تَرْجَحْنَ إلى أسفل كالأرض و المآء.

الخفيفة: ضدّ الثّقيلة.

في نهج البلاغة: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ«عليه السلام» ـ في وصف المتّقين ـ: «قلوبهم محزونة، و شرورهم مأمونة، و أجسادهم نحيفة، و حاجاتهم خفيفة و أنفسهم عفيفة...».

الخُفاف: الخفيق القلب المتوقّد. و خُفاف: اسم رجل، و هو خُفاف بن نُدبة السُّلمي أحد غِرْبان العرب. الخُفاف في التّوقّد و الذّكآء.

الخِفّ: كلّ شيْ خَفَّ مَحْمَلُهُ. و الخِفّ: الخفيف كقوله: «يزلّ الغلامُ الخِفُّ عن صهواته» و الخِفّ: الجماعة القليلة. يقال: فلان خرج من خِفٍّ من أصحابه أى في جماعة منهم. خِفٌّ ضاحك أي مخرّق تلوح القَيْدَم من خلاله.

الخِفّة: ضدّ الثّقل، و الرّجوح تكون في الجسم و العقل و العمل، فتكون الخِـفّة في الحسّيّات و المعنويّات.

الخُفّ: الملبوس، و هو للبعير و النّعام بمنزلة الحافر لغيرهما، جمعه: أخفاف و خفاف، و أخِفّآء إلاّ أنّ الثّاني قليل.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ«عليه السلام» ـ فى الشّيطان و أتباعه ـ: «و قام لوآئه فى فتن داستهم بأخفافها، و وطئتهم باظلافها...» الخطبة الثانية).

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام علىّ«عليه السلام» ـ في أهل النّهروان ـ: «... و أنتم معاشر أخِفّآء الهام، سفهاء الأحلام...» الخطبة: ٣٦).

يقال: جآءت الابل على خُفٍّ، و على وظيف واحد: إذا تبع بعضها بعضاً.

الخُفّ ـ أيضاً ـ: الإبل. و قيل: الجَمَل المسن. و قيل: الضّخم. و منه الحديث: «لم ترفع راحلتك خُفّاً إلاّ كتب لك كذا» و مثله: «صدقة الخُفّ تُدْفع إلى المتجمّلين» يريد بالخف الابل كما في الحديث: «لا سبق إلاّ في خُفّ أو نُصل أو حافر» أي في ذي خُفٍّ، و في ذى نُصل و في ذي حافر.

في نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» ـ في وصف الكعبة المعظّمة ـ: «... لا يزكوا بها خُفٌّ و لا حافر و لا ظِلْفٌ...».

و في الحديث: «لم يُعْرَف للنبيّ «صلى الله عليه وآله» خُفٌّ إلاّ خُفّاً أهداه له النّجاشي» و **الخُفّ**: ما يستر ظهر القدمين سواء كان له ساق أو لم يكن. **الخُفّ**: واحد الخِفاف الّتي تُلبَس في الرّجل، سُمّيَ بذلك لخفّته. و **الخُفّ**: الأرض الغليظة، و من الإنسان: ما أصاب الأرض من باطن قدمه.

الخَفّاف: بائع الأخفاف.

خفّان: موضع كثير الغياض، قرب الكوفة و هو مأسدة. و منه قوله: «هصور له في غيل خفّان أشبُلُ» أى أسد له أولاد في هذه الأرض.

الخَفّوف: الضّبع. الخفُوف: و لد الأتان إذا سمن. **الخُفُوف**: سُرعة السّير من المنزل. يقال: حان الخُفُوف.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» ـ في وصف الطّاووس ـ: «و منع بعضها بعَبالة خلقه أن يَسْمُوَ في الهوآء خُفُوفاً...» أي سريعاً.

تخفّف تخفّفاً خُفّاً: لبسه و تخفّف: ضدّ تثقّل.

فى نهج البلاغة: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «تخفّفوا تلحقوا».

تخافّ الرّجل تخافّاً: ضدّ تثاقل. و في الحديث: «إذا سجدتَ فتخافّ» أي ضَعْ جبهتك على الأرض وضعاً خفيفاً.

أخفّ فلانٌ إخفافاً: خَفّتْ حاله ورقّت، و أخَفّ القومُ: هانوا. و أخفّ فلاناً و خفّفه: أزال حلمه، و حمله على الخِفّة، و منه «لاتغتابنّ عندي الرّعيّة فإنّه لا يُخِفّني» و أخفّ

الرّجل: كان قليل المتاع و الثّقل في سفره أحضره. و منه الحديث: «إنّ بين أيدينا كئوداً لايجوزها إلاّ المخفّ».

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و اعلم أنّ أمامك عقبة كؤوداً، المُخِفّ فيها أحسن حالاً من المثقل، و البطيء عليها أقبح حالاً من المسرع».

و أخَفَّ الرَّجُلَ: عابه و ذكر قبيحه.

خَفَّفَ عنه تخفيفاً: ضدّ ثَقَّلَ عليه تثقيلاً. و خفّف الحرْف: ضدّ شدّده و خَفَّف الثَّوْب: جعله رقيقاً. و في الحديث: «خفّفوا الخرْص» أي لاتستقصوا عليهم فيه.

التّخفيف: التّسهيل حسّيّاً و معنويّاً.

في نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام»: «حَمَّلَ كلَّ امرىء منكم مجْهوده، و خَفَّفَ عن الجَهَلة...»

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام» ـ فيما كتبه لمالك الأشتر النّخعي رضوان الله تعالى عليه لمّا ولاّه على مصر ـ: «... فإن شكوا ثِقْلاً أو عِلّةً أو انقطاع شِرْبٍ أو بالّةٍ أو إحالة أرض اغتمرها غَرَقٌ أو أجْحَفَ بها عطش، خَفَّفْتَ عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم...».

استخفّه استخفافاً ـ في الحسّيّات ـ: وجد حمله خفيفاً عليه، ضدّ استثقله. و استخفّ به: استهان.

في فروع الكافي: قال الإمام السّادس جعفر بن محمّد الصّادق«عليه السلام»: «لاينال شفاعتنا من استخفّ بالصّلاة» أي من استهان بها و لم يعبأ بها.

و في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين الإمام عليّ«عليه السلام»: «أشدّ الذّنوب ما استخفّ به صاحِبُهُ». و استخفّ الطربُ فلاناً: حمله على الخلاعة، و فلاناً عن رأية: حمل على الجهل و الخِفّة، و أطربه، و أزاله عمّا كان عليه من الصّواب. و استخفّه: أزالهُ عن الحقّ و الصّواب. و استخفّه: استجهله.

استخفّه ـ في المعنويّات ـ: استضعف عقله أو أزاله عمّا كان عليه من الحقّ و الصّواب.

قال الله تعالى: «فاصبر إنّ وعد الله حقّ و لايستخفنّك الّذين لايوقنون» الرّوم: ٦٠)
وقال: «فاستخفّ قومه فأطاعوه» الزّخرف: ٥٤) أي دعا فرعون، بنى إسرائيل إلى الخِفّة والطيش و الجهالة و الانحطاط و... فأطاعوه أو وجدهم طائشين أو وجدهم خِفافاً في أبدانهم و عزآئمهم...

و منه: خَفَّتِ الأُتُن لعيرها: إذا أطاعته، و خَفَّتِ الأُنثى للفحل: ذلّت له و انقادت.

«النّحو»

١ـ (الٓمٓ)

اسم مبنيّ يعبّر عنه و نحوه بالحروف المقطّعة، و مفاتح السّور، و في موضعه وجوه ستأتي في سورة «لقمان».

٢ـ (غلبت الرّوم)

الفعل، فعل ماض، مبنيّ للمفعول، و «الرّوم» اسم جنس، قام مقام الفاعل، و هو إسم لقوم سمّوا على اسم أبيهم: روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم ﴿ﷺ﴾ كما قيل.

٣ـ (في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون)

«أدنى» اسم تفضيل، اُضيف إلى «الأرض» مجرور بـ«في» متعلّق بـ«غلبت» و في اللّام وجهان: **أحدهما** ـ عوض عن المضاف إليه، إمّا الظّاهر أي أرض العرب، و إمّا الضّمير أي أرضهم إلى عدوّهم، و قيل: تقديره: في أدنى الأرض منهم.

و الواو عاطفة، و «هم» مبتداء، و «بعد» مجرور بـ«من» متعلّق بـ«سيغلبون» و «بعد» اُضيف إلى «غلب» و هو مصدر اُضيف إلى مفعوله: «هم» بحذف الهاء من الغلبة للإضافة كما حذفت من قوله: «و إقام الصّلاة» النّور: ٣٧) للإضافة و إنّما الكلام «و إقامة الصّلاة» و قيل: اُضيف إلى فاعله. و هذان الوجهان إذا كان «غلبت» مبنيّاً للمفعول، و «سيغلبون»

مبنياً للفاعل، على الأوّل، و العكس على الثّاني.

فالمعنى على الأوّل: من بعد أن غلبهم الفرس، هم يغلبون الفرس. فالمصدر مضاف إلى المفعول، و قد حذف الفاعل كأنّ المشركين سرّتهم غلبة الفرس على الرّوم.

و المعنى على الثّاني: غلبت الرّوم على أدنى ريف الشّام، فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل أي من بعد أن غلبوا على الرّيف، و الرّيف: السّواد. و يجوز أن تكون الضّمآئر الثّلاثة راجعة إلى «الرّوم» والمعنى: و الرّوم من بعد مغلوبيّتهم سيغلبون. و هذا بناء على أن يكون الغلب من المصدر المبنيّ للمفعول.

و «سيغلبون» السّين للتسويف، و الفعل، مضارع لجمع المذكّر الغائب، في موضع رفع، خبر «هم» و الجملة معطوفة على «غلبت الرّوم» لا محلّ لها.

٤ـ(في بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون)

«بِضْع» إسم لقطعة من العدد، اُضيف إلى «سنين» مجرور بـ«في» متعلّق بـ«سيغلبون» أيضاً بحذف مضاف أي في مدى بضع سنين.

و لا يخفى على الأديب اللبيب: أنّ الأصل في «سنة» ألاّ تجمع باليآء و النّون نصباً و جرّاً، و بالواو والنّون رفعاً لأنّ الواو و النّون لمن يعقل، و لكن يجوز ذلك في «سنة» و إن كانت ممّن لا يعقل للحذف الّذي دخلها، لأنّ أصلها: «سَنَوَة» لجمعها على سَنَوات، فكسرت السّين في «سنين» لتدلّ على أنّه جمع على غير الأصل لأنّ كلّ ما جمع، جمع السّلامة لا يتغيّر فيه بنآء الواحد، فلمّا تغيّر بنآء الواحد في هذا الجمع كُسِرَ أوّله، و قد كان مفتوحاً في الواحد، عُلِمَ أنّه جمع على غير أصله، و نحوه قوله تعالى: «غسلين» الحاقّة: ٣٦).

و «لله» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و «الأمر» مبتداء مؤخّر، و الجملة اعتراضيّة لا محلّ لها، كأنّها جواب لسؤال مقدّر و هو: أيّ فائدة في ذكر قوله تعالى: «من بعد غلبهم» لأنّ قوله سبحانه: «سيغلبون» لا يكون إلاّ بعد الغلبة؟

فأجيب عنه: أنّ فائدته إظهار تمام القدرة، و بيان أنّ ذلك بأمر الله تعالى وحده.

و «من قبل» متعلّق بمحذوف، و هو حال، و كذلك «من بعد» معطوف على «من قبل» و

«قبل» و «بعد» هما ظرفا زمان بُنيا على الضّمّ لقطعهما عن الإضافة لفظاً لا معنى، ثمّ جرّا بـ«من» و بقيا على ضمّهما، أي من قبل أن تُغلَبَ الرّومُ و من بعد أن تَغْلِبَ الرّوم. و الظّرفان متعلّقان بالخبر المحذوف.

و هما ظرفان، أصلهما الإعراب، و قد بُنيا لأنّهما تعرّفا بغير ما تتعرّف به الأسمآء، و ذلك أنّ الأسمآء تتعرّف إمّا بالألف و اللّام كالرّجل، و إمّا بالإضافة إلى المعرفة كغلام زيد، و إمّا بالإضمار، أو بالإشارة و بالعهد، و ليس في «قبل و بعد» شيئ من ذلك، فلمّا تعرّفا بخلاف ما تعرّف به الأسمآء، و هو حذف ما أُضيفا إليه، خالفا الأسمآء، و شابها الحروف، فبُنيا كما تبنى الحروف، مع أنّ المضاف و المضاف إليه بمنزلة كلمة واحدة، فلمّا اقتطع عن الإضافة الّتي هي الغاية نزلت منزلة بعض الكلمة، و بعض الكلمة مبنيّ.

و كان أصلهما أن يُبنيا على السّكون لأنّه أصل البنآء، و لكن لمّا كان قبل حرف آخر «قبل و بعد» و هما الباء و العين ساكنين حرّك حرف آخرهما لوجهين.

أحدهما ـ لئلاّ يلتق السّاكنان. **ثانيهما** ـ تمييزاً له على ما بني، و ليس له حالة إعراب، مثل «من» و «كم» و «ما» و نحوها...

و قد حرّكا بالضّمّ دون الفتح و الكسر لوجوه:

أحدها ـ أنّهما أشبها المنادى المفرد الّذي يُعرَب إذا أُضيف أو نُكّر.

ثانيها ـ أنّهما بنيا على الضّمّ تعويضاً عن المضاف إليه المحذوف لأنّ الضّمّ أقوى الحركات.

ثالثها ـ أنّ الفتح و الكسر يدخلان «قبل و بعد» و لا يدخلهما الرّفع، فلو بُنيا على الفتح أو الكسر لا لتبست حركة الإعراب بحركة البنآء، فبُنيا على الضّمّ لئلاّ تلتبس حركة الإعراب بحركة البنآء، مع أنّ الضّمّة أدلّ على البنآء من غيرها.

الواو عاطفة، و «يومئذ» «يوم» ظرف زمان منصوب، أُضيف إلى مثله: «إذ» متعلّق بـ«يفرح» و التّنوين في آخره عوض عن جملة محذوفة أي يوم تغلب الرّوم، و «يفرح» فعل مضارع، و «المؤمنون» فاعله، و جملة «يفرح...» معطوفة على «غلبت الرّوم» لا محلّ لها.

۵ـ(ينصر الله ينصر من يشآء و هو العزيز الرّحيم)

«نصر» مصدر، اُضيف إلى فاعله، مجرور بالبآء، متعلّق بـ«يفرح» و «ينصر» فعل مضارع، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» و الجملة مستأنفة لا محلّ لها أو تعليليّة. و «من» اسم موصول في موضع نصب، مفعول به، و «يشآء» صلة الموصول لا محلّ لها، والواو عاطفة، و «هو» مبتداء، و «العزيز» خبره، و «الرّحيم» خبر ثانٍ. و الجملة معطوفة على جملة «ينصر» من عطف الجملة الاسميّة على الفعليّة لا محلّ لها.

٦ـ(وعد الله لايخلف الله وعده و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون)

«وعد» مفعول مطلق لفعل محذوف، مؤكّد لمضمون الجملة قبله، و هي قوله: «سيغلبون ـ و يفرح المؤمنون» و يقال له: المؤكّد لنفسه لأنّ ما قبله في معنى الوعد، و عامله محذوف وجوباً، فالوعد مصدر بدل من اللفظ بفعله، كأنّه قيل: وعدهم الله تعالى النّصر وعداً.

«وعد» مصدر اُضيف إلى فاعله: «الله» و جملة: «وعدهم الله وعداً» مستأنفة لا محلّ لها. و «لا» نافية، و «يُخْلِفُ» فعل مضارع من باب الإفعال، و «الله» فاعله، و «وعده» مفعول به، و في جملة «لا يخلف الله وعده» وجهان: **أحدهما** ـ مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها. **ثانيهما** ـ في موضع نصب، حال من المصدر: «وعد» و المعنى: وعد الله غير مخلف.

و في الواو وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة، و «لكنّ» حرف استدراك، و «أكثر» إسمها، اُضيف إلى «النّاس» و «لايعلمون» في موضع رفع، خبرها، و مفعول به، محذوف أي لايعلمون وعده تعالى الحتميّ بنصرهم. و جملة «لكنّ...» معطوفة على جملة «لا يخلف الله» لا محلّ لها.

ثانيهما ـ حاليّة، و الجملة في موضع نصب، حال لما قبلها.

۷ـ(يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا و هم عن الآخرة هم غافلون)

«يعلمون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، و في الجملة وجهان: **أحدهما** ـ مستأنفة

لا محلّ لها أو تعليليّة. **ثانيهما** ـ في موضع رفع، بدل من قوله: «لايعلمون» و في هذا الإبدال من النّكتة أنّه أبدله منه، و جعله بحيث يقوم مقامه و يسدّ مسدّه ليعلمك أنّه لا فرق بين عدم العلم الّذي هو الجهل، و بين وجود الجهل الّذي لايتجاوز الدّنيا.

و «ظاهراً» مفعول به، و «من الحياة» متعلّق بـ «ظاهراً» و «الدّنيا» نعت لـ «الحياة» والواو حاليّة، و «هم» الأوّل مبتدأ، و «عن الآخرة» متعلّق بـ «غافلون» و «هم» الثّاني توكيد للأوّل، و جملة «هم... غافلون» في موضع نصب، حال. و يجوز أن يكون «هم» الثاني، مبتداء ثانياً، خبره «غافلون» و الجملة خبر لـ «هم» الأوّل.

٨ـ (أولم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السّموات و الأرض و ما بينهما إلاّ بالحقّ و أجل مسمّى و إنّ كثيراً من النّاس بلقآء ربّهم لكافرون)

الهمزة للاستفهام الإنكاريّ، و الواو عاطفة على مقدّر يقتضيه السّياق، و «لم» حرف جَحْد و قلب و جزم، و «يتفكّروا» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب التفعّل، مجزوم بـ «لم» و الجملة معطوفة على استئناف مقدّر لا محلّ لها، تقديره: أجهلوا و لم يتفكّروا...؟!

و «في أنفسهم» متعلّق بـ «يتفكّروا» و «ما» نافية، و «خلق» فعل ماض، و «الله» فاعل الفعل، و «السّموات» مفعول به، و الواو عاطفة، و «الأرض» معطوفة على «السّموات».

و في جملة «ما خلق الله...» وجهان: **أحدهما** ـ مستأنفة لأنّ الكلام قبلها تمام، فلا تعلّق لها بما قبلها، فلا محلّ لها. **ثانيهما** ـ في موضع نصب، حال من مفعول به لفعل التّفكّر المعلّق بالنّفي.

و «ما» إسم موصول في موضع نصب، مفعول به، و «بينهما» ظرف، منصوب، متعلّق بمحذوف، صلة «ما» و «ما» معطوف على «السّموات» و «إلاّ» أداة حصر، و «بالحقّ» متعلّق بمحذوف، حال من فاعل «خلق» و يجوز أن يكون حالاً من مفعول «خلق» أي مصحوبة بالحقّ. و الواو عاطفة، و «أجل» معطوف على «الحق» و «مسمّى» اسم مفعول من باب التفعيل، نعت لـ «أجل» و علامة الجرّ هي الكسرة المقدّرة.

في الواو وجهان: **أحدهما** ـ حاليّة، و الجملة المؤكّدة التّالية في موضع نصب، حال. **ثانيهما** ـ استئنافية، و «إنّ» حرف تأكيد، مشبّهة بالفعل، و «كثيراً» إسمها، و «من النّاس» متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ«كثيراً» و «بلقآء ربّهم» متعلّق بـ«كافرون» و اللام المزحلقة و «كافرون» خبر «إنّ» و الجملة المؤكّدة مستأنفة لا محلّ لها.

۹ـ (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوّة و أثاروا الأرض و عمروها أكثر ممّا عمروها و جآءتهم رسلهم بالبيّنات فما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون)

«أو لم يسيروا» مثل «أو لم يتفكّروا» في الآية السّابقة، و الجملة معطوفة على استئناف مقدّر، تقديره: أقعدوا في منازلهم و لم يسيروا؟!

و الفاء عاطفة، و «ينظروا» معطوف على «يسيروا» و «كيف» اسم استفهام، في موضع نصب، خبر مقدّم لـ«كان» و «عاقبة الّذين» إسم «كان» و الجملة: «كان عاقبة الّذين...» في موضع نصب، مفعول به لفعل النّظر بمعنى التفكّر المعلّق بالاستفهام: «كيف» و «من قبلهم» متعلّق بمحذوف، صلة الموصول: «الّذين» و «كانوا» فعل ماضٍ ناقص و الواو إسمها، و «أشدّ» خبرها، و «منهم» متعلّق بـ«أشدّ» و جملة «كانوا أشدّ منهم» مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها. و «قوّة» تمييز، منصوب.

و في الواو وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة، و مدخولها معطوفة على جملة «كانوا...» لا محلّ لها. **ثانيهما** ـ حاليّة، و مدخولها في موضع نصب، حال بتقدير «قد».

و «أثاروا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب، و «الأرض» مفعول بها، و الواو عاطفة، و «عمروا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب، و «ها» في موضع نصب، مفعول بها، راجعة إلى «الأرض» و الجملة معطوفة على «أثاروا» و محلّها تابع لمحلّ معطوفها.

و «أكثر» مفعول مطلق، نائب عن المصدر، فهو صفة أي عمارة أكثر من عمارتهم، و «ما» موصولة، و «عمروها» صلة الموصول الحرفي لا محلّ لها، و المصدر المؤوّل: «ما عمروها» في موضع جرّ بـ«من» متعلّق بـ«أكثر».

و في الواو وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة، و «جآءت» فعل ماضٍ، و «هم» في موضع نصب، مفعول به، و «رسل» جمع رسول، اُضيف إلى الضمير: «هم» فاعل «جائت» و تأنيث الفعل باعتبار جماعة فاعله، والجملة معطوفة على جملة «عمروها» الاولى. **ثانيهما** ـ حاليّة، و مدخولها في موضع نصب، حال، بتقدير «قد» و «بالبيّنات» جمع البيّنة، متعلّق بمحذوف، هو حال من الرّسل.

و في الفآء وجهان: **أحدهما** ـ استئنافيّة. **ثانيهما** ـ عاطفة. و في الكلام حذف، تقديره: فكذّبوا بالرّسل، و جحدوا بالبيّنات، فأهلكهم الله بأنواع العذاب.

و «ما» نافية، و «كان» فعل ماضٍ ناقص، و «الله» إسمها، و اللّام لام الجحود، و «يظلم» فعل مضارع، و «هم» في موضع نصب، مفعول به. و «يظلم» منصوب بـ«أن» مضمرة بعد لام الجحود، و جملة «يظلم» صلة الموصول الحرفي: «أن» المضمرة لامحلّ لها، و المصدر المؤوّل: «أن يظلم» في موضع جرّ باللّام، متعلّق بمحذوف، هو خبر «كان».

و في الواو وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة. **ثانيهما** ـ حاليّة، و «لكن» حرف استدراك مهمل، و «كانوا» فعل ماضٍ ناقص مع اسمها، و «أنفسهم» مفعول به، مقدّم، و «يظلمون» في موضع نصب، خبر «كانوا» و جملة «كانوا...» معطوفة على جملة «ماكان الله...» لا محلّ لها.

١٠ـ (ثمّ كان عاقبة الّذين أسآؤا السّوای أن كذّبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزؤن)

«ثمّ» حرف عطف للتّراخي الحقيقيّ، حيث إنّ عذابهم في الدّار الآخرة بعد هلاكهم في الحياة الدّنيا، و «كان» فعل ماضٍ ناقص، و «عاقبة» منصوب، مقدّم، خبر «كان» اُضيفت إلى «الّذين» و «أسآؤا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب من باب الإفعال، صلة الموصول لا محلّ لها، و جملة «كان عاقبة الّذين...» معطوفة على جملة «ما كان الله ليظلمهم».

و في «السّوای» وجوه: **أحدها** ـ نعت لمصدر «أسآؤا» أي أساؤا الإساءة السّؤى. **ثانيها** ـ إسم كان، مؤخّر مرفوع، و علامة الرّفع هي الضّمّة المقدّرة على الألف. **ثالثها** ـ

مفعول مطلق، عامله «أسآؤا». **رابعها ـ** مفعول به، عامله «أسآؤا» بحذف موصوف أي أساؤا الفعلة السّؤىٰ. و «السُّؤاى» مؤنّث الأسوأ كالحسنى مؤنّث الأحسن. اسم تفضيل من ساء الثّلاثيّ، وزنه فُعْلىٰ بضمّ فسكون.

و «أن» حرف مصدريّ، و «كذّبوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب التفعيل، صلة الموصول الحرفي: «أن» لامحلّ لها، و في المصدر المؤوّل: «أن كذّبوا» وجوه: **أحدها ـ** في موضع جرّ، بحرف جرّ محذوف، و هو اللاّم أي لأن كذّبوا فيكون مفعولاً له أو الباء أي بأن كذّبوا، أو يكون في موضع جرّ بتقدير الجار أي لتكذيبهم، متعلّق بـ«عاقبة». **ثانيها ـ** في موضع رفع، بدلاً من «السُّؤاى» إذا كان «السّواى» إسماً لـ«كان».

ثالثها ـ في موضع رفع، اسماً لـ«كان» و «السّواى» مفعول لـ«أساؤا». **رابعها ـ** في موضع رفع، خبراً لمحذوف، تقديره: هو أن كذّبوا. و «بآيات» اُضيفت إلى «الله» متعلّق بـ «كذّبوا».

و الواو عاطفة، و جملة «كانوا» معطوفة على جملة «كذّبوا» و «بها» متعلّق بـ «يستهزؤن» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب الاستفعال، في موضع نصب، خبر «كانوا».

۱۱ـ(الله يبدؤا الخلق ثمّ يعيده ثمّ إليه ترجعون)

«الله» مبتداء، و «يبدؤا» فعل مضارع، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» و جملة «يبدؤا» في موضع رفع، خبر المبتداء، و جملة «الله يبدؤا» مستأنفة لا محلّ لها، و «الخلق» مفعول به، و «ثمّ» حرف عطف للتراخيّ الحقيقيّ، و «يعيد» فعل مضارع من باب الإفعال، و «ه» في موضع نصب، مفعول به، و جملة «يعيده» في موضع رفع، معطوفة على جملة «يبدؤا» و «ثمّ» كالسّابق، و «إليه» متعلّق بـ«ترجعون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مبنيّ للمفعول، و جمعه باعتبار معناه أو للالتفات من الغيبة إلى الخطاب المؤذن للمبالغة، و جملة «إليه ترجعون» في موضع رفع، معطوفة على جملة «يبدؤا».

١٢ـ(و يوم تقوم السّاعة يبلس المجرمون)

الواو عاطفة، و «يوم» ظرف زمان، منصوب، متعلّق بـ«يبلس» أُضيف إلى جملة «تقوم السّاعة» فالجملة في موضع جرّ بإضافة «يوم» إليها، و «يبلس» فعل مضارع من باب الإفعال، و «المجرمون» إسم فاعل لجمع المذكّر من باب الإفعال، فاعل «يبلس» و جملة «يوم...» معطوفة على المستأنفة لا محلّ لها.

١٣ـ(و لم يكن لهم من شركآئهم شفعآؤا و كانوا بشركآئهم كافرين)

الواو عاطفة، و «لم» حرف جحد و قلب و جزم، و «يكن» فعل مضارع ناقص، مجزوم بـ«لم» و «لهم» متعلّق بمحذوف، هو خبر «يكن» و «من شركآئهم» متعلّق بمحذوف، هو حال لأنّه كان نعتاً لـ«شفعآء» في الأصل، و تقدّم عليه، و «شفعآء» جمع شفيع، إسم «يكن» و جملة «لم يكن لهم...» معطوفة على جملة «يبلس» لا محلّ لها.

و الواو عاطفه، و «بشركآئهم» جمع شريك، متعلّق بـ«كافرين» و «كافرين» خبر «كانوا» و جملة «كانوا...» معطوفة أيضاً بـ«يبلس» لا محلّ لها.

١٤ـ(و يوم تقوم السّاعة يومئذ يتفرّقون)

الواو عاطفة، و «يوم» ظرف زمان، منصوب، متعلّق بـ«يتفرّقون» و جملة «تقوم السّاعة» في موضع جرّ، مضاف إليه، و جملة «يوم...» معطوفة على المستأنفة السابقة لا محلّ لها، و في «يومئذ» وجوه: أحدها ـ تأكيد لفظيّ للظّرف السّابق. ثانيها ـ بدل عن الظّرف السّابق، و التّنوين عوض عن جملة محذوفة أي يوم إذ يبلس المجرمون. ثالثها ـ ظرف لـ«تقوم».

و «يتفرّقون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب من باب التّفعّل لا محلّ لها، و الجملة معطوفة على جملة «يبلس».

۱۵ـ(فأمّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات فهم في روضة يُحبرون)

الفاء تفريعيّة، و «أمّا» حرف شرط و تفصيل، و «الّذين» اسم موصول في موضع رفع، مبتداء، و «آمنوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب الإفعال، صلة الموصول لا محلّ لها، و الواو عاطفة، و «عملوا» معطوف على «آمنوا» لا محلّ لها، و «الصّالحات» مفعول بها، و الفآء رابطة لما في الموصول من رآئحة الشّرط، و «هم» مبتداء، و في «في روضة» وجهان: أحدهما ـ متعلّق بمحذوف، هو خبر «هم» و «يُحبرون» خبر ثانٍ. ثانيهما ـ متعلّق بـ«يحبرون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب، مبنيّ للمفعول، و جملة «يحبرون» خبر «هم» و جملة «هم يحبرون» في موضع رفع، خبر «الّذين» و جملة «الّذين...» مستأنفة لامحلّ لها.

۱٦ـ(و أمّا الّذين كفروا و كذّبوا بآياتنا و لقآء الآخرة فاولئك في العذاب مُحْضَرون)

الواو عاطفة، و «أمّا الّذين» كالسّابق، و «كفروا» صلة الموصول لا محلّ لها، و «كذّبوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب من باب التّفعيل، معطوف على «كفروا» و «بآياتنا» متعلّق بـ«كذّبوا» و «لقآء» اُضيف إلى «الآخرة» معطوف على «آياتنا» و الفاء كالفاء السّابقة الثّانية، و «اولئك» مبتداء، و الكلام في إعراب «العذاب» هو الكلام في إعراب «في روضة» و «مُحْضَرون» إسم مفعول لجمع المذكّر من باب الإفعال، و الكلام في إعرابه هو الكلام في إعراب «يحبرون».

۱۷ـ(فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون)

الفاء الفصيحة استئنافيّة، و «سبحان» مصدر، مفعول مطلق لفعل محذوف، منصوب اُضيف إلى «الله» تقديره: سبّحوا سبحان الله: فالجملة مستأنفه لا محلّ لها.

و «حين» ظرف، منصوب، متعلّق بالمصدر، اُضيف إلى «تمسون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفعال، في موضع جرّ، مضاف إليه، و الواو عاطفة، و «تصبحون»

مثل «تمسون» و الفعلان تامّان أي تدخلون في المسآء و الصّباح.

و اعلم أنّ «تمسون» و «تصبحون» و «تظهرون» من الأفعال النّاقصة ترفع إسمها و تنصب خبرها، و قد تستعمل للتام، و الفرق بين النّقص و التّمام في الأفعال النّاقصة: أمران: **أحدهما** ـ أنّ معنى التمام فيها هو دلالتها على الحدث و الزّمان، و معنى النّقص فيها هو سلب الدّلالة على الحدث و التّجرّد للدّلالة على الزّمان. **ثانيهما** ـ أنّ معنى التمام هو الاستغنآء بالمرفوع عن المنصوب، و معنى النّقص هو عدم الاستغنآء بالمرفوع عن المنصوب.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ لـ«أصبح و أمسى و أظهر» ثلاثة معان: **أحدها** ـ أن تقرن مضمون الجملة بالأوقات الخاصّة الّتي هي الصّباح و المسآء و الظّهر على طريقة كان.

ثانيها ـ أن تفيد معنى الدّخول في هذه الأوقات كأظهر و اعتمّ و هي في هذا الوجه تكون تامّة تكتفي بمرفوعها. **ثالثها** ـ أن تكون بمعنى صار كقولك: أصبح زيداً غنيّاً، و أمسى فقيراً تريد أنّه صار كذلك مع قطع النّظر عن وقت مخصوص.

١٨ـ(و له الحمد في السّموات و الأرض و عشيّاً و حين تظهرون)

الواو اعتراضيّة، و «له» متعلّق بمحذوف، خبر مقدم، و «الحمد» مبتداء مؤخّر، و الجملة اعتراضيّة لا محلّ لها، و التّقدير: و حين تصبحون و عشيّاً. فأخّر «عشيّاً» و اعترض بالجملة: «له الحمد» ويجوز أن تكون الواو حالية، فدخولها في موضع نصب، حال و في «في السّموات» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ«الحمد». **ثانيهما** ـ متعلّق بمحذوف، هو حال من «الحمد» و «الأرض» معطوف على «السّموات» و «عشيّاً» ظرف منصوب، متعلّق بـ«سبحان» فهو معطوف على محلّ «حين تمسون» و «حين» الثّالث معطوف على محلّ «حين تمسون» اُضيف إلى جملة «تظهرون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفعال في موضع جرّ، مضاف إليه.

١٩ـ(يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون)

«يخرج» فعل مضارع من باب الإفعال، و فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» و «الحيّ» مفعول به، و «من الميّت» متعلّق بـ «يخرج» و في الجملة وجهان: **أحدهما** ـ مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيهما** ـ حاليّة في موضع نصب، حال من «الله» و الواو عاطفة، و «يخرج» الثّاني كالأوّل، و الكلام في موضع «يخرج» الثّانيّ هو الكلام في موضع «يخرج» الأوّل.

و الواو عاطفة، و «يحي» فعل مضارع من باب الإفعال، و الجملة معطوفة على جملة «يخرج» الثّانيّة و «الأرض» مفعول به، و «بعد» ظرف اُضيف إلى «موت» اُضيف إلى ضمير تأنيث الأرض: «ها» متعلّق بـ «يحي» و الواو عاطفة، و في «كذلك» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بمحذوف، هو مفعول مطلق، عامله: «تخرجون» أي تخرجون إخراجاً من القبور كذلك الإخراج المتقدّم. **ثانيهما** ـ نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الاخراج تخرجون، و «تخرجون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفعال، مبنيّ للمفعول، و جملة «كذلك تخرجون» معطوفة على جملة «يحي» و محلّها تابع لمحلّ «يخرج» الأوّل.

٢٠ـ(و من آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون)

الواو عاطفة، و «من آياته» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و «أن» حرف مصدريّ، و «خلق» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» و «كم» في موضع نصب، مفعول به، و «من تراب» متعلّق بـ«خلق» و المصدر المؤوّل: «أن خلقكم» في موضع رفع، مبتداء مؤخّر. و تقديره: «و خلقكم من تراب من آياته» و الجملة معطوفة على جملة «يخرج الحيّ» من عطف الإسميّة على الفعلية، و الكلام في محلّها هو الكلام في محلّها. و «ثمّ» حرف عطف للتّراخي، و «إذا» فجائيّة، و «أنتم» مبتداء، و «بشر» خبره، و جملة «أنتم بشر» معطوفة على جملة صلة الموصول الحرفيّة: «أن خلقكم» لا على الموصول وصلته جميعاً كما زعمه بعضهم، و قال بعضهم: إنّ الجملة «إذا أنتم بشر...» معطوفة على قوله: «و من آياته أن خلقكم».

و «تنتشرون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، من باب الافتعال، و في محلّ الجملة وجوه: **أحدها** ـ في موضع رفع، نعت لـ«بشر». **ثانيها** ـ في موضع رفع، خبر ثانٍ للمبتداء: «أنتم». **ثالثها** ـ في موضع نصب، حال من «أنتم».

٢١ـ (و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّة و رحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون)

الواو عاطفة، و «من آياته» كالسّابقة، و في «لكم» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ«خلق» **ثانيهما** ـ متعلّق بحال من «أزواجاً» و «من أنفسكم» متعلّق بـ«خلق» و في «من» وجهان: **أحدهما** ـ تبعيضيّة، فإنّ أصل «أزواجاً» حوآء من ضلع آدم ﴿ﷺ﴾ متضمّن لخلقهنّ «من أنفسكم» فالأنفس بمعناها الحقيقيّ. **ثانيهما** ـ ابتدائيّة، و الأنفس مجاز عن الجنس أي حكم لكم من جنسكم لا من جنس آخر، و هو الأنسب بقوله عزّوجلّ: «لتسكنوا إليها» فإنّ الجنس إلى الجنس أسكن و أوفق. و «أزواجاً» جمع زوج، مفعول به، و جملة «من آياته...» معطوفة على جملة «من آياته...» السّابقة.

و اللّام للتّعليل، و «تسكنوا» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، منصوب بـ«أن» مضمرة بعد اللّام، و علامة النّصب، حذف النّون، و «إليها» متعلّق بـ«تسكنوا» و المصدر المؤوّل: «أن تسكنوا...» في موضع جرّ باللّام متعلّق بـ«خلق» و الواو عاطفة، و «جعل» فعل ماضٍ، و «بينكم» ظرف، منصوب، و فيه وجوه: **أحدها** ـ متعلّق بمحذوف، مفعول به ثانٍ، عامله «جعل». **ثانيها** ـ في موضع نصب، مفعول ثانٍ لـ«جعل». **ثالثها** ـ متعلّق بـ«جعل» على أنّه بمعنى خلق أو أوجد. و «مودّة» مفعول به ثانٍ، و «رحمة» معطوفة على «مودّة» و جملة «جعل...» معطوفة على جملة «خلق لكم...».

«إنّ» حرف توكيد، تشبه بالفعل، و «في ذلك» متعلّق بمحذوف، خبر «إنّ» و اللام للتّوكيد، و «آيات» جمع آية، اسم «إنّ» مؤخّر، منصوب، و علامة النّصب هي الكسرة و «لقوم» متعلّق بمحذوف هو نعت لـ«آيات» و «يتفكّرون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب

من باب التفعّل، و الجملة في موضع جرّ، نعت لـ«قوم».

۲۲ـ(و من آياته خلق السّموات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين)

جملة «من آياته خلق السّموات...» معطوفة على جملة «من آياته أن خلقكم من تراب...» و «اختلافُ» معطوف على «خَلْقُ السّموات» أُضيف إلى «ألسنة» جمع لسان، أُضيفت إلى «كم» و «ألوان» جمع لون، أُضيف إلى «كم» معطوف على «ألسنتكم» و جملة «إنّ في ذلك...» كالجملة المؤكّدة السّابقة، و «للعالمين» جمع العالم، متعلّق بمحذوف نعت لـ«آيات».

۲۳ـ(و من آياته منامكم بالليل و النّهار و ابتغآؤكم من فضله إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون)

الواو عاطفة، و «من آياته» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و «منام» مصدر أُضيف إلى فاعله: «كم» مبتداء مؤخّر، و «بالليل» متعلّق بالمصدر، و «النّهار» معطوف على «الليل» و جملة «من آياته منامكم...» معطوفة على جملة «من آياته أن خلقكم من تراب...» و «ابتغآء» مصدر أُضيف إلى فاعله: «كم» معطوف على «منامكم» و «من فضله» متعلّق بـ«ابتغاؤكم» و جملة: «إنّ في ذلك لآيات» كالسّابقة، و «لقوم» متعلّق بمحذوف، نعت لـ«آيات» و «يسمعون» في موضع جرّ، نعت لـ«قوم».

۲٤ـ(و من آياته يريكم البرق خوفاً و طمعاً و ينزّل من السّمآء مآءً فيحي به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

الواو عاطفة و في «آياته» هنا وجوه: أحدها ـ متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و «يُري» فعل مضارع، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» لا محلّ لها، و الحرف المصدري: «أن» مقدّرة قبله، قياساً على ما تقدّر من أفعال، و المصدر المؤوّل مبتدء مؤخّر. فالفعل نزّل منزلة المصدر، و لم يصدّر بالحرف المصدريّ كما صدّر به قوله تعالى: «أن خلقكم»

وقوله: «أن خلق لكم» لأنّ تنزيل الفعل منزلة المصدر لغة عربيّة جيّدة، فيكون الاسم في صورة الفعل، فيريكم بمعنى الرّؤية. و عليه يحمل المثل السّائر: «و تسمع بالمُعَيْدي خير من أن تراه».

ثانيها ـ متعلّق بمحذوف، و هو حال من «البرق» والتقدير: و يريكم البرق حالكون البرق من آياته أو كائناً من آياته. إلاّ أنّ حقّ الواو أن تدخل هنا على الفعل، و لكن لمّا قدّم الحال و كانت من جملة المعطوف، أولاها الواو و حسن ذلك أنّ الجار و المجرور في حكم الظّرف، فهو كقوله تعالى حكاية عن المؤمنين المخلصين: «ربّنا آتنا في الدّنيا حسنة و في الآخرة حسنة» البقرة: ٢٠١) فالجملة حينئذٍ فعليّة، معطوفة على الجملة الاسميّة: «من آياته أن خلقكم من تراب...». **ثالثها** ـ أن يكون المضاف محذوفاً، تقديره: «و من آياته آية أن يريكم البرق». **رابعها** ـ على تقديره: و من آياته آية البرق. ثمّ استونف، فقيل: يريكم البرق. **خامسها** ـ أنّ من آياته متعلّق بـ «يريكم» و التّقدير: و يريكم من آياته البرق. **سادسها** ـ أن يكون الموصوف محذوفاً أي و من آياته آية يريكم فيها أو بها البرق فحذف الموصوف و العائد.

سابعها ـ أن يكون التّقدير: و من آياته شئ أو سحاب. و يكون فاعل «يريكم» ضمير الشئ أو السّحاب المحذوف. **ثامنها** ـ أن يكون التقدير: و يريكم البرق خوفاً و طمعاً. و من آياته. فيكون عطفاً لجملة على جملة. و قوله: «خوفاً و طمعاً» منصوبان على تقدير اللام. تقديره: «لتخافوا خوفاً و لتطمعوا طمعاً. أو هما مفعولان مطلقان لفعلين مخاوفين يكونان حالين أي تخافون خوفاً و تطمعون طمعاً. **تاسعها** ـ أن يكون «من آياته» خبراً لمحذوف أي من آياته ما يذكر أو ما يتلى عليكم. ثمّ قيل: يريكم البرق. بياناً لذلك. **عاشرها** ـ تقديره: أنّه يريكم... و «كم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و «البرق» مفعول ثانٍ، و «خوفاً» مفعول لأجله، منصوب، و «طمعاً» معطوف على «خوفاً». و قد اعترض على هذا الإعراب بأنّ من حقّ المفعول له أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلّل، و الخوف و الطّمع ليسا كذلك. و قد أُجيب عنه بأجوبة: **منها**: أن يكون المضاف هنا مقدّراً أي إرآئة الخوف و إرائة الطمع، فحذف المضاف، و أُقيم المضاف إليه

مقامه. و منها: أن يكون «خوفاً و طمعاً» حالين أى خآئفين و طامعين. و منها: أن يكون النصب هنا على المصدر أي تخافون خوفاً و تطمعون طمعاً على أن تكون الجملة حالاً.

و الواو عاطفة،و «ينزّل» فعل مضارع، معطوف على «يري» و «من السّمآء» متعلّق بـ «ينزّل» و «مآءً» مفعول به، و الفاء عاطفة، و «يحي» فعل مضارع من باب الإفعال، معطوف على جملة «ينزّل» و «به» متعلّق بـ«يحي» و يجوز أن يكون متعلّقا بمحذوف و هو حال. و إعراب الجملة المؤكّدة معلوم من إعراب الجملة المؤكّدة السّابقة.

٢٥ـ(و من آياته أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره ثمّ إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون)

الواو عاطفة، و «من آياته» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و «أن» حرف مصدريّ، و «تقوم» صلة الموصول الحرفي لا محلّ لها، و «السّمآء» فاعل الفعل، و المصدر المؤوّل: «أن تقوم السّمآء» في موضع رفع، خبر مبتداء مؤخّر، و «الأرض» معطوف على «السّمآء» و «بأمره» متعلّق بمحذوف، حال من «السّمآء و الأرض» و جملة «من آياته...» معطوفة على «من آياته أن خلقكم من تراب...» و «ثمّ» حرف عطف للتّراخي، و «إذا» ظرف للزّمن المستقبل، متضمّن معنى الشّرط، متعلّق بضمون الجواب.

و «دعا» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» و «كم» في موضع نصب، مفعول به، و «دعوة» مفعول مطلق، منصوب، و جملة «إذا دعاكم دعوة» في موضع جرّ، مضاف إليه. و في «من الأرض» وجوه: **أحدها** ـ متعلّق بـ«دعاكم» لا بـ«تخرجون» لأنّ ما بعد «إذا» لايعمل فيما قبلها. **ثانيها** ـ متعلّق بمحذوف، هو نعت للنكرة. و تقديره:دعاكم دعوة كائنة من الأرض إذا أنتم تخرجون. **ثالثها** ـ متعلّق بمحذوف، هو حال من «كم».

و «إذا» فجائيّة نابت مناب الفاء في الجزاء لاشتراكها في التّعقيب. و في عطف الجملة الشّرطيّة وجهان: **أحدها** ـ معطوفة على «أن تقوم...» على تأويل مفرد كأنّه قيل: و من

آياته قيام السّمآء و الأرض بأمره ثمّ خروجكم من قبوركم بسرعة إذا دعاكم. **ثانيهما** ـ معطوفة على قوله سبحانه: «و من آياته أن تقوم السّمآء...» و ذلك على اسلوب «مقام إبراهيم و من دخله كان آمناً» آل عمران: ٩٧).

«أنتم» مبتداء، و «تخرجون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، في موضع رفع، خبر المبتداء، و جملة «أنتم تخرجون» جواب شرط غير جازم لا محلّ لها.

٢٦ـ(و له من في السّموات و الأرض كلّ له قانتون)

الواو عاطفة، و «له» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و «من» اسم موصول، و «في السّموات» متعلّق بمحذوف، صلة الموصول، و «الأرض» معطوف على «السّموات» و جملة «له من في السّموات...» معطوفة على جملة «من آياته أن تقوم» و «كلّ» مبتداء، و تنوينه عوض عن محذوف، مضاف إليه، أي كلّ مخلوق، و «له» متعلّق بـ«قانتون» و «قانتون» جمع قانت، إسم فاعل، خبر المبتداء، و جملة «كلّ له قانتون» مستأنفة لا محلّ لها.

٢٧ـ(و هو الّذي يبدؤا الخلق ثمّ يعيده و هو أهون عليه و له المثل الأعلى في السّموات و الأرض و هو العزيز الحكيم)

الواو عاطفة، و «هو» مبتداء و «الّذي» موصولة، في موضع رفع، خبره و «يبدؤا» فعل مضارع، صلة الموصول لا محلّ لها، و فاعله ضمير مستتر فيه، و «الخلق» مصدر بمعنى المخلوق، و هو استخدام لإعادة الضّمير في «يعيده» عليه، و «الخلق» مفعول به، و جملة «هو الّذي...» معطوفة على جملة «له من في السّموات و الأرض...» و «ثمّ» حرف عطف للتّراخي، و «يعيد» فعل مضارع من باب الإفعال، و «ه» في موضع نصب، مفعول به، والجملة معطوفة على جملة «يبدؤ».

و في الواو وجوه: **أحدها** ـ اعتراضيّة، و «هو» مبتداء راجع إلى «الخلق» أو البعث أو الرّجوع أو الإعادة المفهومة من السّياق: «يعيده» و تذكير الضمير باعتبار كونها ردّاً و إرجاعاً أو مراعاة للخبر و هو «أهون» و «أهون» اسم تفضيل قصد به الوصف دون

التّفضيل، خبر المبتداء، و «عليه» متعلّق بـ «أهون» و الضّمير في «عليه» راجع إلى الله سبحانه. و قيل: راجع إلى المخلوق لأنّه في الابتداء نقل من نطفة إلى علقة، إلى غير ذلك، و في البعث يكمل دفعة واحدة. و جملة «هو أهون عليه» اعتراضيّة لا محلّ لها. **ثانيها** ـ حاليّة، و الجملة في موضع نصب، حال. **ثالثها** ـ عاطفة و الجملة معطوفة على جملة «هو الّذي يبدؤا الخلق.».

و الواو عاطفة، و «له» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و «المثل» مبتداء مؤخّر، و «الأعلى» وصف لـ «المثل» و «في السّموات» متعلّق بمحذوف، هو حال من الضّمير في «الأعلى» و «الأرض» معطوف على «السّموات» و جملة «له المثل الأعلى...» معطوفة على جملة «هو الّذي...» و الواو عاطفة، و «هو» مبتداء و «العزيز» خبره و «الحكيم» خبر ثانٍ، و الجملة معطوفة على جملة «هو الّذي ...».

٢٨ـ (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركآء في ما رزقناكم فأنتم فيه سوآء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون)

«ضرب» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» و الجملة مستأنفة لا محلّ لها، و في «لكم» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ «ضرب». **ثانيهما** ـ متعلّق بمحذوف، هو مفعول به ثانٍ بتضمين «ضرب» معنى «جعل» و «مثلاً» مفعول به أوّل. و «من أنفسكم» متعلّق بمحذوف، نعت لـ «مثلاً» و «من» لابتدآء الغاية. فالمعنى: مثلاً منتزعاً و مأخوذاً أو كائناً من أنفسكم، فإنّها أقرب شيئ منكم، و أبين من غيرها عندكم، فإذا ضرب لكم المثل بها في بطلان الشّرك كان أظهر دلالة و أعظم وضوحاً.

و «هل» حرف استفهام للإنكار، و «لكم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و «ما» موصولة نوعيّة، مجرورة بـ «من» تبعيضيّة، أو نوعيّة متعلّق بمحذوف، هو حال «من شركآء» و «ملكت» فعل ماضٍ، و «أيمانكم» فاعل الفعل، و الجملة صلة الموصول: «ما» لا محلّ لها، و «شركآء» جمع شريك، مجرور لفظاً، مرفوع محلّاً، مبتداء مؤخّر، فـ «من» زيادة

لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النّفي، و جملة «هل لكم...» في موضع نصب، بدل من «مثلاً».

و في «ما» وجهان: **أحدهما** ـ موصولة مجرورة بـ«في» متعلّق بـ«شركآء» و «رزقنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير، صلة الموصول: «ما» لا محلّ لها. **ثانيهما**: نكرة موصوفة، فـ«رزقنا» في موضع جرّ، نعت لها. و «كم» في موضع نصب، مفعول به، و الفآء عاطفة، وقعت في جواب الاستفهام، و «أنتم» مبتداء، و «فيه» متعلّق بـ«سوآء» و هو خبر المبتدآء، و في الجملة وجهان: **أحدهما** ـ معطوفة على جملة «هل لكم...». **ثانيهما** ـ في موضع نصب، جواب الاستفهام أي هل لكم فتستووا.

و «تخافون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، و «هم» في موضع نصب، مفعول به، و في الجملة وجهان: **أحدهما** ـ في موضع رفع، خبر ثانٍ للمبتداء: «أنتم». **ثانيهما** ـ في موضع نصب، حال من ضمير الفاعل في «سوآء» أي فتساووا خائفاً بعضكم من بعض مشاركته له في المال.

و «خيفة» مصدر أُضيف إلى فاعله: «كم» مجرور بالكاف، متعلّق بمفعول مطلق محذوف، تقديره: تخافونهم خيفة كخيفتكم أنفسكم، و «أنفسكم» مفعول به للمصدر: «خيفتكم» و «كذلك» متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق، عامله «نفصّل» تقديره: نفصّل الآيات تفصيلاً كذلك أي مثل ذلك التفصيل، و «نفصّل» فعل مضارع للتكلّم مع الغير من باب التّفعيل، و جملة «نفصّل» مستأنفة لا محلّ لها، و «الآيات» مفعول بها، و «لقوم» متعلّق بـ«نفصّل» و «يعقلون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب في موضع جرّ، نعت لـ«قوم».

٢٩ـ (بل اتّبع الّذين ظلموا أهوآءهم بغير علم فمن يهدي من أضلّ الله و ما لهم من ناصرين)

«بل» حرف عطف للإضراب الانتقالي، و «اتّبع» فعل ماضٍ من باب الافتعال، و «الّذين» موصولة في موضع رفع، فاعل «اتّبع» و «ظلموا» صلة الموصول لا محلّ لها، و «أهوائهم» مفعول به، و جملة «اتّبع الّذين...» مستأنفة لا محلّ لها، و «بغير» أُضيف إلى

«علم» متعلّق بمحذوف، و هو حال من الموصول: «الّذين».

و الفاء عاطفة، و «من» اسم استفهام إنكاريّ في موضع رفع، مبتداء، و «يهدي» في موضع رفع، خبره، و جملة «من يهدي» معطوفة على المستأنفة لا محلّ لها، و «من» الثّاني إسمْ موصول في موضع نصب، مفعول به، عامله «يهدي» و «أضلّ» فعل ماضٍ من باب الإفعال، و «الله» فاعله، و الجملة صلة الموصول لا محلّ لها، و العائد محذوف أي أضلّه الله أو أضلّهم الله.

و الواو عاطفة، و في «ما» وجهان: **أحدهما ـ** نافية، و «لهم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و «من» زائدة لتأكيد النفي، و «ناصرين» مجرور لفظاً، و مرفوع محلاًّ، مبتداء مؤخّر. **ثانيهما ـ** حجازيّة عند من يجيز تقديم خبرها على اسمها، و في الجملة: «مالهم من ناصرين» وجهان: **أحدهما ـ** معطوفة على صلة الموصول: «ظلموا...» أو «أضلّهم الله» فلا محلّ لها. **ثانيهما ـ** في موضع نصب، حال من العائد المحذوف أى من أضلّهم الله حالكونهم غير منصورين.

۳۰ـ (فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم و لكنّ أكثر النّاس لايعلمون)

الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر، و تقديره: إذا ثبت أنّ الخلق و الأمر و التّدبير لله وحده، و سيبعث و يحاسب، و لا نجاة لمن أعرض عنه جلّ وعلا، و أقبل على غيره، فأقم...أو يكون تقديره: إن ضلّ بعض النّاس على خلاف الفطرة الإنسانيّة فأقم وجهك... «أقم» فعل أمر من باب الإفعال، و أصله «أقْوِمْ» فثقلت الكسرة على الواو، فنقلت إلى ما قبلها، فالتقتت السّاكنان، فخذفت الواو، فصار «أقِمْ» فاعله ضمير مستتر فيه وجوباً، راجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» و جملة «أقم» في موضع جزم، جواباً لشرط مقدّر، و «وجهك» مفعول به، و «للدّين» متعلّق بـ«أقم».

و في «حنيفاً» وجوه: **أحدها ـ** منصوب، حال من فاعل «أقِمْ». **ثانيها ـ** حال من

المفعول: «وجهك». **ثالثها** ـ حال من «للدّين». و في «فطرة الله» وجوه: **أحدها** ـ مفعول به، لفعل محذوف على الإغراء أى ألزِموا أو ابتغوا أو أعني أو اتّبع فطرت الله... و جملة «ألزموا... فطرت الله» مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيها** ـ منصوب على المصدر، تقديره: فطركم الله أو فطر الله الخلق فطرةً لما دلّ عليه ما بعدها: «فطر النّاس». **ثالثها** ـ بدل من «حنيفاً».

و «الّتي» اسم موصول في موضع نصب، نعت لـ«فطرت الله» و «فطر» صلة الموصول لا محلّ لها، و فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» و «النّاس» مفعول به، و «عليها» متعلّق بـ«فطر» و «لا» نافية للجنس، و «تبديل» إسمها المبنيّ على الفتح، و «لخلق الله» متعلّق بمحذوف، خبر «لا» و جملة «لاتبديل لخلق الله» تعليليّة لا محلّ لها، و «ذلك» مبتداء، و في «الدّين» وجوه: **أحدها** ـ خبر لـ«ذلك» و «القيّم» نعت لـ«الدّين» و أصل «القيّم» قيوم، فاجتمعت الواو و اليآء، و سبقت إحداهما بالسّكون، و قلبت الواو ياءً و ادغمت الياء فيها.

ثانيها ـ بدل من «ذلك» و «القيّم» خبر «ذلك». **ثالثها** ـ بدل من «ذلك» و «القيّم» نعت لـ«الدّين» و الخبر محذوف، تقديره: ذلك توحيد الله... و جملة «ذلك الدّين القيّم» تعليل ثان لا محلّ لها و في الواو وجوه: **أحدها** ـ عاطفة، و «لكنّ» حرف استدراك، و «أكثر» اسم تفضيل، اُضيف إلى «النّاس» إسمها، و «لا» نافية، و «يعلمون» في موضع رفع، خبر «لكنّ» و جملة «لكنّ أكثر النّاس» معطوفة على جملة «ذلك الدّين...» لا محلّ لها. **ثانيها** ـ حاليّة، و مدخولها في موضع نصب، حال من «النّاس». **ثالثها** ـ استئنافية، و مدخولها مستأنفة لا محلّ لها.

٣١ـ(منيبين إليه و اتّقوه و أقيموا الصّلاة و لاتكونوا من المشركين)

«منيبين» جمع «منيب» اسم فاعل لجمع المذكّر من باب الإفعال، و في إعرابه وجوه: **أحدها** ـ حال من فاعل «ألزموا...» المقدّر، و علامة النّصب اليآء، والمعنى: ألزموا...

فطرة الله حالكونكم تنيبون إلى الله تعالى. **ثانيها** ـ حال من فاعل «أقم» لعمومه للأمّة، فما بينهما اعتراض. و تقديره: فأقيموا وجوهكم منيبين إليه. أو تقديره: فأقم أنت يا محمّد وجهك و من معك. كقوله عزّوجلّ: «فاستقم كما أُمرتَ و من تاب معك» هود: ١١٢)

ثالثها ـ حال من «النّاس». **رابعها** ـ حال من ضمير «لايعلمون» على معنى: أنّ أكثر النّاس لايعلمون أنّهم ينيبون إلى الله سبحانه حال الضّرّآء حين انحرفوا عن الفطرة حال السّرّآء، و حالكونهم لايعلمون أنّ ذلك ليس إلاّ بمقتضى فطرتهم. **خامسها** ـ متعلّق بمضمر أي كونوا منيبين لقوله تعالى بعد: «و لا تكونوا من المشركين». **سادسها**ـ على تقدير: أنيبوا إلى الله منيبين، و لذا عطف عليه فعل الامر: «و اتّقوه» و «إليه» متعلّق بـ «منيبين» و الواو عاطفة، و «اتّقوا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفتعال، و «ه» في موضع نصب، مفعول به، و الجملة معطوفة على «ألزموا...» او «أنيبوا» المقدّرة لا محلّ لها، و الواو عاطفة، و «أقيموا» فعل امر لجمع المذكّر المخاطب من باب الافعال، و أصله: «أقْوِموا» فثقلت الكسرة على الواو، فنقلت إلى ما قبلها، فانقلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها، و «الصّلاة» مفعول به، و الجملة معطوفة على «ألزموا...» لا محلّ لها.

و الواو عاطفة، و «لا» ناهية جازمة، و «تكونوا» فعل مضارع ناقص لجمع المذكّر المخاطب، مجزوم بحذف النّون، و «من المشركين» خبر «تكونوا» و الجملة معطوفة على جملة «ألزموا...» لا محلّ لها.

٣٢ـ(من الّذين فرّقوا دينهم كانوا شيعاً كلّ حزب بما لديهم فرحون)

في «من الّذين» وجهان: **أحدهما** ـ بدل من «المشركين» بإعادة الجار، تحذيراً عن الانتمآء إلى حزب من أحزاب المشركين، ببيان أنّ الكلّ على الضّلال المبين. و المعنى: و لاتكونوا من المشركين من جملة الّذين فرّقوا دينهم. **ثانيهما** ـ ابتداء، تقديره: الّذين تفرّقوا و كانوا شيعاً بأن أوقعوا في دينهم الاختلاف، فصار و اذوي مذاهب مختلفة و أحزاب متضادّة... و من المحتمل أن يكون «من الّذين فرّقوا...» بدلاً من «المشركين».

و «فرّقوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب، صلة الموصول لا محلّ لها، و «دينهم» مفعول به، و «كان» فعل ماضٍ ناقص، و واو الجمع إسمها، و «شيعاً» جمع الشّيعة، خبرها، والجملة معطوفة على جملة «فرّقوا دينهم» لا محلّ لها.

و «كلّ حزب» مبتداء، و«ما» اسم موصول، مجرور بالبآء متعلّق بـ«فرحون» و هو خبر المبتداء، و «لديهم» ظرف مبنيّ على السّكون في موضع نصب، متعلّق بمحذوف، صلة الموصول لا محلّ لها، و في جملة «كلّ حزب...» وجوه: **أحدها** ـ مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيها** ـ في موضع نصب على أنّها نعت لـ«شيعاً» بتقدير العائد أي كلّ حزب منهم. **ثالثها** ـ في موضع نصب، حال. **رابعها** ـ أنّ «فرحون» نعت لـ«كلّ» و «من الّذين فرّقوا» المتقدّم خبره، فيكون «من الّذين...» منقطعاً عمّا قبله.

٣٣ـ (و إذا مسّ النّاس ضرّ دعوا ربّهم منيبين إليه ثمّ إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربّهم يشركون)

الواو استئنافية، و «إذا» ظرف مستقبل، متضمّن لمعنى الشّرط، و «مسّ» فعل ماضٍ في موضع جرّ، مضاف إليه، و «النّاس» مفعول به مقدّم، و «ضرّ» فاعل، مؤخّر، و جملة «إذا مسّ النّاس ضرّ» مستأنفة لا محلّ لها، و «دعوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب، جواب شرط غير جازم لا محلّ لها، و «ربّهم» مفعول به، و «منيبين» حال من فاعل «دعوا» و «إليه» متعلّق بـ«منيبين» و «ثمّ» حرف عطف للتّرتيب و التّراخي، و «إذا» الثّانية شرطيّة أيضاً، و «أذاق» فعل ماضٍ للمفرد المذكّر الغائب من باب الإفعال، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «ربّهم» و «هم» في موضع نصب، مفعول به، و الجملة في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليها.

و «منه» متعلّق بمحذوف، حال من «ربّهم» لأنّ «منه» كان في الأصل نعتاً لـ«رحمة» و لمّا قدّم عليها، صار حالاً، و «رحمة» مفعول به ثانٍ، و «إذا» الثّالثة فجائيّة، و هي رابطة لجواب «إذا» الاولى بشرطها، فهي تخلف الفاء في الرّبط، و «فريق» مبتداء و «منهم»

متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ«فريق» و «بربّهم» متعلّق بـ«يشركون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب الإفعال، خبر لـ«فريق» و جملة «فريق...» جواب شرط غير جازم لا محلّ لها.

٣٤ـ (ليكفروا بما آتيناهم فتمتّعوا فسوف تعلمون)

في اللام وجهان: **أحدهما** ـ لام العاقبة و الصّيرورة و المآل بمعنى «كى» و «يكفروا» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب، منصوب بـ«أن» مضمرة بعد اللام، و جملة «يكفروا» صلة الموصول الحرفيّ لا محلّ لها، و المصدر المؤوّل: «أن يكفروا» في موضع جرّ باللام، متعلّق بـ«يشركون». **ثانيهما** ـ لام الأمر، و تفيد التهديد و الوعيد، والفعل مجزوم بها، و مثله بمعنى التّهديد و الوعيد قوله: «تمتّعوا».

و «ما» إسم موصول، مجرور بالباء متعلّق بـ«يكفروا» و «آتينا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من باب الإفعال، صلة الموصول لا محلّ لها، و «هم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و مفعول به ثانٍ محذوف، تقديره: إيّاه. و هو عائد الصّلة.

و في الفاء وجوه: **أحدها** ـ استئنافيّة، و «تمتّعوا» فعل أمر لجمع المذكر المخاطب من باب التفعّل، و الجملة مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيها** ـ عاطفة، و جملة «تمتّعوا» معطوفة على جملة «ليكفروا». **ثالثها** ـ تفريعيّة، متفرّعة على ما قبلها. **رابعها** ـ سببيّة.

و في الفاء الثّانية وجهان: **أحدهما** ـ تعليليّة، و «سوف» حرف استقبال و تسويف، و «تعلمون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، و مفعوله محذوف أي عاقبة تمتّعكم، وجملة «سوف تعلمون» تعليليّة لا محلّ لها. **ثانيهما** ـ واقعة في جواب الأمر.

٣٥ـ (أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون)

«أم» حرف عطف منقطعة، فهي بمعنى «بل» و الهمزة الّتي للإنكار، و «أنزلنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير، و «عليهم» متعلّق بـ«أنزلنا» و «سلطاناً» مفعول به، و جملة «أنزلنا...» مستأنفة لا محلّ لها.

و الفاء عاطفة، و «هو» مبتداء و «يتكلّم» فعل مضارع للمفرد المذكّر الغائب من باب التفعّل، في موضع رفع، خبر «هو» و الجملة معطوفة على جملة «أنزلنا» لا محلّ لها. و في «ما» وجهان: **أحدهما** ـ اسم موصول، مجرور بالباء، متعلّق بـ «يتكلّم» و «كانوا» فعل ماضٍ ناقص و اسمها، و «به» متعلّق بـ «يشركون» في موضع نصب، خبر «كانوا» و جملة «كانوا...» صلة الموصول لا محلّ لها. **ثانيهما** ـ مصدريّة، و المصدر المؤوّل: «كانوا...» مجرور بالباء متعلّق بـ «يتكلّم».

٣٦ـ (و إذا أذقنا النّاس رحمة فرحوا بها و إن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون)

الواو عاطفة، و «إذا» ظرف مستقبل، متضمّن لمعنى الشرط، أُضيف إلى جملة «أذقنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من باب الإفعال، في موضع جرّ، مضاف إليه، و جملة «إذا أذقنا» معطوفة على جملة «إذا مسّ النّاس ضرّ» و «النّاس» مفعول به أوّل، و «رحمة» مفعول به ثانٍ، و «فرحوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب، جواب شرط غير جازم لا محلّ لها، و «بها» متعلّق بـ «فرحوا» و «إن» حرف شرط جازم، و «تصب» فعل مضارع من باب الإفعال، مجزوم بحرف الشرط: «إن» و علامة الجزم حذف عين الفعل: «الياء» و «هم» في موضع نصب، مفعول به، و «سيّئة» فاعل الفعل، و الجملة معطوفة على جملة «أذقنا...» و يجوز أن تكون معطوفة على جملة «إذا مسّ النّاس ضرّ».

و في «ما» وجهان: **أحدهما** ـ اسم موصول، مجرور بالبآء، متعلّق بـ «تصب» و «قدّمت» فعل ماضٍ من باب التّفعيل، و «أيديهم» فاعل الفعل، و الجملة صلة الموصول لا محلّ لها.

ثانيهما ـ مصدريّ، و المصدر المؤوّل: «ما قدّمت أيديهم» مجرور بالبآء متعلّق بـ «تصب» و «إذا» فجائيّة، و «هم» مبتداء، و «يقنطون» في موضع رفع، خبر المبتداء، و يجوز أن تكون «إذا» خبر ثانٍ. و المعنى: و بالحضرة هم قانطون. و جملة «هم يقنطون» في موضع جزم، جواب الشّرط المقترن بـ «إذا» الفجائيّة الّتي نابت عن الفاء في ربط الجواب

بالشّرط.

ف«إذا» بمنزلة الفاء لأنّها لا يبتدأ بها كما لا يبتدأ بالفاء، فلا يبتدأ بـ«إذا» الفجائيّة دون «إذا» الشرطيّة، الّتي يبتدأ بها و لا تكون جواباً للشرط، فإذا الفجائيّة تشبه بالفاء دون «إذا» الشرطية، و لذلك وقعت «إذا» الفجائيّة موقع الفاء و صارت جواباً للشرط، دون «إذا» الشّرطيّة، و قد تدخل الفاء على «إذا» الفجائيّة في جواب الشّرط للتأكيد. فتأمّل واغتنم.

۳۷ـ (أولم يروا أنّ الله يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

الهمزة للاستفهام الإنكاري المفيد للتّقرير، و الواو عاطفة على محذوف يقتضيه السّياق و «لم» حرف جحد و قلب و جزم، و «يروا» فعل مضارع، مجزوم بـ«لم» و علامة الجزم، حذف نون الرّفع، و جملة «لم يروا» معطوفة على جملة مستأنفة مقدّرة أي أغفلوا و لم يروا؟!

و «أنّ» حرف توكيد، و «الله» اسمها، و «يبسط» فعل مضارع في موضع رفع، خبر «أنّ» و المصدر المؤوّل: «أنّ الله يبسط» في موضع نصب، سدّ مسدّ مفعولي «يروا» و «الرّزق» مفعول به، و «من» اسم موصول، مجرور باللام، متعلّق بـ«يبسط» و «يشآء» صلة الموصول لا محلّ لها، و «يقدر» عطف على «يشآء» و «إنّ» حرف توكيد، و «في ذلك» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و اللّام في «لآيات» لام الابتداء، للتوكيد، و «آيات» إسم «إنّ» و «لقوم» متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ«آيات» و «يؤمنون» في موضع جرّ، نعت لـ«قوم».

۳۸ـ (فآت ذا القربى حقّه و المسكين و ابن السّبيل ذلك خير للّذين يريدون وجه الله و اولئك هم المفلحون)

الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر، و «آت» فعل أمر من باب الإفعال في موضع جزم، جواب الشّرط المقدّر، و تقديره: إن كان الرّزق بيد الله تعالى فآت....

و «ذا» اُضيف إلى «القربى» مفعول به أوّل، و «حقّه» مفعول به ثانٍ، و «المسكين» و «ابن السّبيل» معطوفان على «ذا القربى» و «ذلك» مبتداء، و «خير» خبره، و الجملة مستأنفة أو تعليليّة لا محلّ لها، و «للّذين» متعلّق بـ«خير» و «يريدون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب، صلة الموصول لا محلّ لها، و «وجه الله» مفعول به.

و في الواو وجهان: **أحدهما ـ** عاطفة، و «اولئك» مبتداء، و «هم» ضمير فصل، و «المفلحون» خبر المبتداء، و جملة «اولئك...» معطوفة على جملة «ذلك...» لا محلّ لها. **ثانيهما ـ** حاليّة، و «اولئك» مبتداء، و «هم» ضمير منفصل، مبتداء ثانٍ، و «المفلحون» خبر الثّاني، و جملة «هم المفلحون» خبر «اولئك» و جملة «اولئك...» في موضع نصب، حال من فاعل «يريدون».

٣٩ـ (وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال النّاس فلا يربوا عندالله و ما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المفلحون)

في الواو وجهان: **أحدهما ـ** عاطفة. **ثانيهما ـ** استئنافية. و «ما» شرطيّة في موضع نصب، مفعول به مقدّم لـ«آتيتم» فعل ماضٍ لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفعال، في موضع جزم، فعل الشّرط، و في «من ربا» وجهان: **أحدهما ـ** متعلّق بمحذوف، حال من «ما». **ثانيهما ـ** تمييز لـ«ما» و اللام للتّعليل، و «يربوا» فعل مضارع، منصوب بـ«أن» مضمرة بعد اللام لا محلّ لها، و المصدر المؤوّل: «أن يربوا» في موضع جرّ باللام، متعلّق بـ«آتيتم» و «في أموال النّاس» متعلّق بـ«يربوا».

الفاء رابطة لجواب الشّرط، و «لا» نافية، و «يربوا» فعل مضارع، مرفوع في موضع رفع، خبر لمبتداء محذوف. تقديره: هو يربوا. و الجملة الاسميّة في موضع جزم، جواب الشّرط مقترنة بالفاء، و «عند» ظرف منصوب، متعلّق بـ«يربوا» اُضيف إلى «الله» و الواو عاطفة، و «ما آتيتم» الثّانية كالاولى، و معطوفة على الاولى.

و في «تريدون» وجهان: **أحدهما ـ** في موضع نصب، حال من فاعل «آتيتم». **ثانيهما ـ** في موضع جرّ، نعت لـ«زكاة» و الرّابط محذوف أي تريدون وجه الله بها. و الفاء

رابطة لجواب الشّرط المقدّر، و جملة «اولئك هم المضعفون» كجملة «اولئك هم المفلحون».

٤٠ـ (الله الّذي خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم هل من شركآئكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه و تعالى عمّا يشركون)

«الله» مبتداء، و «الّذي» اسم موصول، و «خلق» فعل ماضٍ صلة الموصول لا محلّ لها، و جملة «الّذي...» في موضع رفع، خبر «الله» و يجوز أن يكون «الّذي» نعتاً للفظ الجلالة، و الخبر هو جملة «هل من شركآئكم من يفعل» و الرّابط هو «من ذلكم» و الإشارة إلى أفعاله تعالى و جملة «الله الّذي...» مستأنفة لا محلّ لها، و «كم» في موضع نصب، مفعول به، و «ثمّ» في المواضع الثّلاثة حرف عطف للتّراخي، و «رزقكم» و «يميتكم» و «يحييكم» معطوفات على «خلقكم» لا محلّ لها.

و «هل» حرف استفهام للإنكار، و «من شركآئكم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و «من» اسم موصول، في موضع رفع، مبتداء مؤخّر، و جملة «هل من شركآئكم مَن يفعل» مستأنفة لا محلّ لها، و «يفعل» صلة الموصول لا محلّ لها، و «من ذلكم» متعلّق بمحذوف، حال من «شيْ» لأنّه كان في الأصل صفة له، و «من» زائدة، زيدت له لأنّ النكرة في حيّز الاستفهام المتضمّن لمعنى النّفي، و «شيْ» مجرور لفظاً، منصوب محلاً، مفعول به، لـ«يفعل».

و «سبحانه» مفعول مطلق لفعل محذوف، منصوب، تقديره: نسبّح سبحانه... و الجملة مستأنفة سيقت للدّعاء لا محلّ لها، و «تعالى» فعل ماضٍ، و الجملة معطوفة على المستأنفة لا محلّ لها، و «ما» موصولة، مجرورة بـ«عن» متعلّق بـ«تعالى» و «يشركون» صلة الموصول لا محلّ لها، و العآئد محذوف أي يشركونه.

٤١ـ (ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدى النّاس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون)

«ظهر» فعل ماضٍ، و «الفساد» فاعله، و الجملة مستأنفة لا محلّ لها، و «في البرّ» متعلّق

بـ«ظهر» و «البحر» معطوف على «البرّ» و في «ما» وجهان: **أحدهما** ـ مصدريّة، و «كسبت» فعل ماضٍ، و «أيدي» جمع يد أُضيفت إلى «النّاس» فاعل «كسبت» و المصدر المؤوّل: «ما كسبت...» مجرورة بالباء السّببيّة متعلّق بـ«ظهر».

ثانيها ـ اسم موصول، و «كسبت...» صلة الموصول لا محلّ لها، و العائد محذوف أى كسبته أيدي النّاس. و اللام للغاية، و «يذيق» فعل مضارع من باب الإفعال، منصوب بـ«أن» مضمرة بعد اللام، و الفاعل ضمير مستتر يعود على الله، و المفهوم من السّياق، و جملة «يذيق» صلة الموصول الحرفيّ لا محلّ لها، و المصدر المؤوّل: «أن يذيقهم» في موضع جرّ باللام، متعلّق بـ«ظهر» و «هم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و «بعض» أُضيف إلى «الّذي» مفعول به ثانٍ، و جملة «عملوا» صلة الموصول لا محلّ لها.

و «لعلّ» حرف ترجّ، تعمل عمل «إنّ» و «أنّ» و «هم» في موضع نصب، إسمها، و «يرجعون» في موضع رفع، خبرها، و جملة «لعلّهم يرجعون» مستأنفة لا محلّ لها.

٤٢ـ (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبل كان أكثرهم مشركين)

«قل» فعل أمر، و الجملة مستأنفة لا محلّ لها، و «سيروا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، في موضع نصب، مقول القول، و «في الأرض» متعلّق بـ«سيروا» الفاء عاطفة، و «انظروا» فعل أمر في موضع نصب، معطوف على «سيروا» و «كيف» إسم استفهام في موضع نصب، خبر «كان» و «عاقبة الّذين» إسم «كان» و جملة «كان عاقبة...» في موضع نصب، مفعول به لفعل النّظر المعلّق بالاستفهام.

و «قبل» إسم ظرفيّ مبنيّ على الضّمّ في موضع جرّ بـ«من» متعلّق بمحذوف، صلة الموصول: «الّذين» و «كان» فعل ماضٍ ناقص، و «أكثرهم» اسمها، و «مشركين» خبرها، و الجملة مستأنفة لا محلّ لها.

٤٣ـ (فأقم وجهك للدّين القيّم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله

يومئذ يصّدّعون)

الفاء فصيحة تفصح عمّا قبلها أي إذا كان الشّرك بالله سبحانه، والكفر بآياته بهذه المثابة، و له وبال سيلحق بمن يتلبّس به «فأقم» فعل أمر من باب الإفعال، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و «وجهك» مفعول به، و «للدّين» متعلّق بـ«أقم» و «القيّم» نعت لـ«الدّين» و في «من قبل» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ«أقم». **ثانيهما** ـ متعلّق بمحذوف هو حال. و «أن» حرف مصدريّ، و «يأتي» صلتها لا محلّ لها، والمصدر المؤوّل: «أن يأتي» في موضع جرّ، مضاف إليه، متعلّق بـ«أقم» و «يوم» فاعل «يأتي».

و «لا» نافية للجنس، و «مردّ» مصدر ميميّ بمعنى الرّدّ، و الرّد بمعنى الرّادّ، إسم «لا» و «له» متعلّق بمحذوف، هو خبر «لا» و «من الله» متعلّق بمحذوف يدلّ عليه «مردّ» و يجوز أن يكون متعلّقاً بـ«يأتي» أي يأتي من الله يوم لا مردّله، والجملة في موضع رفع، نعت لـ«يوم».

و في «يومئذ» وجهان: **أحدهما** ـ ظرف، منصوب، متعلّق بـ«يصّدّعون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب التفعّل، و فيه إبدال تاء التفعّل صاداً لمجيئها قبل الصّاد، أصله: يتصدّعون. على وزن يتفعّلون. **ثانيهما** ـ ظرف مبنيّ على الفتح لإضافته إلى ظرف مبنيّ هو «إذ» و التنوين فيه تنوين عوض عن المضاف إليه. تقديره: يوم إذ يأتي.

٤٤ ـ (من كفر فعليه كفره و من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون)

«من» اسم شرط جازم، في موضع رفع، مبتداء و «كفر» فعل ماضٍ في موضع رفع، فعل الشّرط، و جملة «من كفر» مستأنفة لا محلّ لها، والفاء رابطة لجواب الشّرط، و «عليه» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و «كفره» على حذف مضاف أي: جزاء كفره. مبتداء مؤخّر. و جملة «عليه كفره» في موضع جزم، جواب الشّرط، مقترنة بالفاء.

و الواو عاطفة، و «مَنِ» الثّاني كالأوّل، و «عمل» فعل ماضٍ، في موضع رفع، خبر «مَنِ» الثّاني، و في «صالحاً» وجهان: **أحدهما** ـ مفعول به. **ثانيهما** ـ نعت لمصدر محذوف أي عملاً صالحاً، و جملة «من عمل صالحاً» معطوفة على جملة «من كفر» لا محلّ لها. و الفاء الثّانية كالاولى، و «لأنفسهم» متعلّق بـ«يمهدون» في موضع رفع، خبر لمبتداء محذوف،

تقديره: فهم يمهدون لأنفسهم. و الجملة الاسميّة في موضع جزم، جواب الشّرط.

و قدّم الظّرفان: «عليه» و «لأنفسهم» للدّلالة على الاختصاص، كلّ على شاكلته و موجب عمله.

٤٥ـ (ليجزي الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات من فضله إنّه لايحبّ الكافرين)

اللام للتعليل و الغاية، و «يجزي» فعل مضارع، منصوب بـ«أن» مضمرة بعد اللام لا محلّ لها، و فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى «الله» و هو المستفاد من السّياق، و المصدر المؤوّل: «أن يجزى» في موضع جرّ باللام، و في تعليقه وجوه: **أحدها** ـ متعلّق بـ«يمهدون». **ثانيها** ـ متعلّق بـ«يصّدّعون» في الآية (٤٣) والمعنى: يتفرّقون ليجزى المؤمنين من فضله، و الكافرين بعد له. **ثالثها** ـ متعلّق بمحذوف، و هو خبر لمبتداء محذوف. تقديره: ذلك كائن ليجزى.

و «الّذين» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و «آمنوا» صلة الموصول لا محلّ لها، و الواو عاطفة، و «عملوا» عطف على «آمنوا» و «الصّالحات» مفعول بها، و «من فضله» متعلّق بـ«يجزي» و «إنّ» حرف توكيد، و «ه» في موضع نصب، اسمها، و «لا» نافية، و «يحبّ» فعل مضارع من باب الإفعال، فاعله ضمير مستتر راجع إلى «الله» و «الكافرين» مفعول به، و جملة «لايحبّ» في موضع رفع، خبر «إنّ» و جملة «إنّه لايحبّ...» لا محلّ لها، لأنّها تعليل لمقدّر. أي يجزي الكافرين لأنّه لايحبّهم.

٤٦ـ (و من آياته أن يرسل الرّياح مبشّرات و ليذيقكم من رحمته و لتجرى الفلك بأمره و لتبتغوا من فضله و لعلّكم تشكرون)

الواو استئنافية، و «من آياته» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و المصدر المؤوّل: «أن يرسل» في موضع رفع، مبتداء مؤخّر، و «الرّياح» مفعول به، و جملة «من آياته (إرسال الرّياح» مستأنفة لا محلّ لها، و «مبشّرات» حال منصوبة من «الرّياح» و علامة النّصب

فيها الكسرة، و الواو عاطفة، و المصدر المؤوّل: «أن يذيقكم» في موضع جرّ باللام، و في تعليقه وجوه: **أحدها** ـ متعلّق بفعل مقدّر أي يرسلها ليذيقكم. **ثانيها** ـ متعلّق بما تعلّق به ما عُطِف عليه مقدّر أي يرسل الرّياح مبشرات بالمطر لتشربوا منه و ليذيقكم. **ثالثها** ـ جملة «ليذيقكم» معطوفة على «مبشّرات» لأنّ الحال و الصّفة تتعاوران فى افهام العلّة، فكان التّقدير: يرسل الرّياح ليبشّركم بها و ليذيقكم... **رابعها** ـ متعلّق بمحذوف، تقديره: و ليكون كذا و كذا أرسلناها و ليذيقكم...

و «من رحمته» متعلّق بـ«يذيقكم» والواو عاطفة، وجملة «لتجرى» معطوفة على ما عطفت عليه جملة «ليذيقكم» و «الفلك» فاعل «تجري» و «بأمره» متعلّق بـ«تجري» و «لتبتغوا» مثل «لتجري» و «من فضله» متعلّق بـ«تبتغوا» والواو عاطفة، و «لعلّ» حرف ترجٍّ، و «كم» في موضع نصب، إسمها، و «تشكرون» في موضع رفع، خبرها، و جملة «لعلّكم...» لا محلّ لها، معطوفة على تعليل مقدّر أى: فعل ذلك كلّه لعلّكم تفلحون و لعلّكم تشكرون.

٤٧ـ (و لقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجآؤهم بالبيّنات فانتقمنا من الّذين أجرموا و كان حقّاً علينا نصر المؤمنين)

الواو استئنافية، و اللام لام القسم المقدّر، و «قد» حرف تحقيق، و «أرسلنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً، وجملة «أرسلنا» جواب القسم المقدّر لامحلّ لها، وجملة القسم المقدّرة و جوابه و ما عطف عليه مستأنفة اعتراضيّة لا محلّ لها. و في «من قبلك» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بمحذوف، هو حال من «رسلاً». **ثانيهما** ـ متعلّق بـ«أرسلنا» و «رسلاً» مفعول به، و «إلى قومهم» متعلّق بـ«أرسلنا».

الفاء عاطفة، و «جآؤا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب، و «هم» في موضع نصب، مفعول به، و في «بالبيّنات» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ«جاؤا». **ثانيهما** ـ متعلّق بمحذوف، هو حال من فاعل «جآؤا» و جملة «جآؤا» معطوفة على «أرسلنا» لا محلّ لها. والفاء عاطفة، و «انتقمنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً من باب الانفعال، و في عطف

جملة «انتقمنا» وجهان: **أحدهما** ـ معطوفة على جملة «جآؤهم» لا محلّ لها. **ثانيهما** ـ معطوفة على محذوف، تقديره: فكذّبوهم فاستحقّوا العذاب فانتقمنا، و «من الّذين» متعلّق بـ«انتقمنا» و «أجرموا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب الإفعال، صلة الموصول لا محلّ لها.

و في الواو وجهان: **أحدهما** ـ استئنافية، فمدخولها مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيهما** ـ عاطفة و مدخولها معطوفة على جملة القسم المقدّرة لا محلّ لها. و «حقّاً» خبر «كان» و «علينا» متعلّق بـ«حقّاً» و «نصر» أُضيف إلى «المؤمنين» اسم «كان» و في إعراب الجملة وجوه أُخر لا فائدة لذكرها.

٤٨ـ (الله الّذي يرسل الرّياح فتثير سحاباً فيبسطه في السّمآء كيف يشآء و يجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشآء من عباده إذا هم يستبشرون)

«الله» مبتدأ، و «الّذي» موصولة، و «يرسل» صلة الموصول لا محلّ لها، و «الرّياح» مفعول به، و جملة «الّذي...» في موضع رفع، خبر المبتدإ، و جملة «الله الّذي...» مستأنفة لا محلّ لها، و الفاء ـ في المواضع الأربعة ـ عاطفة، و «تثير» فعل مضارع من باب الإفعال، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الرّياح» و «سحاباً» مفعول به، و جملة «تثير» معطوفة على «يرسل» و جملة «يبسط» معطوفة على جملة «تثير» و الضّمير: «ه» في موضع نصب، مفعول به راجع إلى «سحاباً» و «في السّمآء» متعلّق بـ«يبسط».

و «كيف» اسم شرط و تعليق، غير جازم في موضع نصب، و فيه وجهان: **أحدهما** ـ حال بالفعل بعده، عامله «يشآء» و جوابه محذوف دلّ عليه ما قبله. تقديره: كيف يشآء بسطه يبسطه في السّمآء. فحذف «بسطه» لأنّه مفعول «يشآء» و مفعوله يحذف غالباً. ثمّ حذف «يبسطه» لدلالة «يبسطه» الأوّل عليه. و المعنى: على أيّ حال يشآء الله تعالى بسطه يبسطه. **ثانيهما** ـ مفعول مطلق لـ«يشآء» فتقديره: أيّ مشيّئة يشآء بسطه يبسطه. و جملة «يشآء» في موضع نصب، حال من فاعل «يبسطه».

الواو عاطفة، و جملة «يجعل» معطوفة على جملة «يبسط» و الضمير: «ه» في موضع

نصب، مفعول به أوّل، و «كسفاً» جمع كِسْفة، مفعول به ثانٍ، و جملة «ترى» معطوفة على جملة «يجعل» و «الودق» مفعول به، و «يخرج» في موضع نصب، حال من «الودق» لأنّ الرّؤية هنا بصريّة، و «من خلاله» متعلّق بـ«يخرج» و «إذا» ظرف مستقبل، متضمّن لمعنى الشّرط، و جملة «أصاب» فعل ماضٍ من باب الإفعال، في موضع جرّ بإضافة الظّرف إليها، و «به» متعلّق بـ«أصاب» و «من» إسم موصول، في موضع نصب، مفعول به، و «يشآء» صلة الموصول لامحلّ لها.

و في «من عباده» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بمحذوف، هو حال من العائد المحذوف أي يشآء إصابته من عباده. **ثانيهما** ـ هو تمييز الموصول: «من» و «إذا» فجائيّة واقعة في جواب «إذا» الشّرطيّة الاولى، و «هم» مبتداء، و «يستبشرون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب من باب الاستفعال، و الجملة في موضع رفع، خبر المبتدأ، و جملة «هم يستبشرون» جواب شرط غير جازم لامحلّ لها.

٤٩ـ (و إن كانوا من قبل أن ينزّل عليهم من قبله لمبلسين)

في الواو وجهان: **أحدهما** ـ حاليّة. **ثانيها** ـ عاطفة، و «إن» مخفّفة من الثّقيلة، مهملة أو عاملة في ضمير شأن محذوف، و «كانوا» فعل ناقص و اسمها، و جملة «كانوا...» في موضع نصب، حال، على الوجه الأوّل، و معطوفة على ما قبلها فلا محلّ لها على الوجه الثّاني و في «من قبل» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بمحذوف، حال. **ثانيها** ـ متعلّق بـ «مبلسين» و «أن» حرف مصدريّ، و «ينزّل» فعل مضارع من باب التفعيل، مبنيّ للمفعول، صلة الموصول الحرفيّ لامحلّ لها، و نائب الفاعل ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الودق» و «عليهم» متعلّق بـ«ينزّل» و المصدر المؤوّل: «أن ينزّل» في موضع جرّ لإضافة «قبل» إليه.

و في «من قبله» وجوه: **أحدها** ـ تكرير و توكيد لـ«من قبل» الاولى. **ثانيها** ـ أنّ الأوّل: من قبل إنزال المطر. و الثّاني من قبل إرسال الرّياح أو من قبل السّحاب.

فالضّيمر في «قبله» راجع إلى «السّحاب» لأنّ السّحاب جمع سحابة، فجرى مجرى

النّخل و الحبّ. قال الله تعالى: «يزجي سحاباً ثمّ يؤلّف بينه» النّور: ٤٣) و السّحاب يجوز تذكيره و تأنيثه. **ثالثها** ـ أي من قبل السّحاب، من قبل رؤية السّحاب. و فيه وجوه أُخر لا فائدة لذكرها. و اللام للفارقة، و «مبلسين» خبر «كانوا».

٥٠ـ (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إنّ ذلك لمحي الموتى و هو على كلّ شيءٍ قدير)

الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر، و «انظر» فعل أمر في موضع جزم، جواب للشّرط المقدّر، تقديره: إن أرسل الله الرّياح فانظر إلى آثار... أو إذا أردت أن تعرف ما يترتّب على إنزال المطر فانظر إلى آثار رحمة الله... و «آثار» جمع أثر، أُضيف إلى «رحمة» أُضيفت إلى «الله» مجرور بـ«إلى» متعلّق بـ«انظر» و «كيف» اسم استفهام في موضع نصب على الحال، و هي معلّقة لـ«انظر» عن العمل، و عامله «يحي» فعل مضارع من باب الإفعال، و «الأرض» مفعول به، و جملة «يحي الأرض» في موضع نصب، حال من لفظ الجلالة: «الله».

و أصل المعنى: انظر إلى آثار رحمة الله بكيفيّة إحيآء الأرض. فاسم الاستفهام: «كيف» كما يبدو منصوب على نزع الخافض، و لكن صحّ الإعراب أعلاه بالتقدير. و قيل: الجملة بدل من «آثار رحمة الله» فهي في حيّز النّصب بنزع الخافض، و المعنى: بعد كلّ هذا فانظر إلى إحيآئه البديع للأرض بعد موتها. و «بعد» ظرف، منصوب، متعلّق بـ«يحي» أُضيف إلى «موتها».

«إنّ» حرف توكيد تشبه بالفعل، و «ذلك» في موضع نصب، اسمها و اللام المزحلقة، و «محي» اسم فاعل أُضيف إلى «الموتى» خبرها، و جملة «إنّ ذلك...» مستأنفة لا محلّ لها، والواو عاطفة، و «هو» متبدأ، و «على كلّ شيءٍ» متعلّق بـ«قدير» و هو خبر «هو» و جملة «هو...» معطوفة على جملة «إنّ ذلك...» لا محلّ لها.

٥١ـ (و لئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفرّاً لظلّوا من بعده يكفرون)

في الواو وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة، و مدخولها معطوفة على ما قبلها. **ثانيهما** ـ استئنافية، و مدخولها مستأنفة لا محلّ لها، و اللام موطئة للقسم دخلت على حرف شرط جازم: «إن» و «أرسلنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً في موضع جزم، فعل الشّرط، في معنى «نرسل» لوقوعه في حيّز الشّرط، و «ريحاً» مفعول به، و الفاء فصيحة عاطفة، و «رأوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب، معطوفة على «أرسلنا» لا محلّ لها، و الضّمير: «ه» في موضع نصب، مفعول به، و «مُصْفَرّاً» اسم مفعول، حال من الضّمير: «ه» راجع إلى «ريحاً» أو إلى الزّرع أو السّحاب، أو النّبات المفهوم من السّياق.

و اللام واقعة في جواب القسم، و «ظلّوا» فعل ماضٍ ناقصٍ، و الواو إسمها، و وضع الماضى موضع المستقبل. تقديره: ليظلّنّ. لأنّ الكلام بمعنى المجازاة، و المجازاة لاتكون إلاّ بمستقبل، و لأنّ جميع ماجآء في القرآن الكريم على هذا الوجه منها قوله تعالى: «و لئن جئتهم بآية ليقولنّ الّذين كفروا» الرّوم: ۵۸).

و جملة «ظلّوا» جواب القسم لا محلّ لها، و جواب الشّرط محذوف دلّ عليه جواب القسم، و أغنى عنه حسب القاعدة المشهورة:

و احذف لدى اجتماع شرط و قسم جـواب مـا أخّـرت فـهو مـلتزم

و في «من بعده» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ«يكفرون» و الضّمير في «بعده» راجع إلى إرسال الرّيح. **ثانيهما** ـ متعلّق بمحذوف، حال، و الضّمير راجع إلى اصفرار زرعهم أو من بعد كونهم راجين مستبشرين. و «يكفرون» في موضع نصب، خبر «ظلّوا».

۵۲ـ(فإنّك لاتسمع الموتى و لاتسمع الصّمّ الدّعآء إذا ولّوا مدبرين)

الفاء تعليليّة، و «إنّ» حرف توكيد، تشبه بالفعل، و الكاف في موضع نصب، إسمها، و «لا» نافية، و «تسمع» فعل مضارع للمفرد المذكّر المخاطب من باب الإفعال، في موضع رفع، خبر «إنّ» و «الموتى» مفعول به ثانٍ، و جملة «إنّك لاتسمع الموتى» تعليل لمحذوف، تقديره: لاتجزع و لاتحزن على كفرهم، فإنّهم بكفرهم صاروا صُمّاً كالموتى، و جملة

«لاتسمع» الثّانيّة معطوفة على جملة «لاتسمع» الاولى، و «الصّمّ» مفعول به أوّل ل «تسمع» الأوّل، و «الدّعاء» مفعول به ثانٍ ل«تسمع» الثاني، و يجوز أن يكون المفعول الثّاني ل«تسمع» الأوّل ضمير يعود على المفعول الثّاني ل«تسمع» الثّاني على سبيل التّنازع.

و «إذا» ظرف مستقبل، متعلّق ب«تسمع» و «ولّوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب، مبنيّ على الضّمّ المقدّر على الألف المحذوفة لالتقآء السّاكنين، و الواو فاعل، و «مدبرين» حال مؤكّدة للعامل: «ولّوا» منصوب، و جملة «ولّوا» في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليها، و جواب الشّرط محذوف دلّ عليه ما قبله، و يجوز تجريده من معنى الشّرط، و حينئذ يتعلّق ب«تسمع» المتقدّم.

٥٣ـ (و ما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون)

الواو عاطفة، و «ما» نافية حجازيّة، تعمل عمل «ليس» و «أنت» ضمير منفصل، اسم «ما» و «هاد» اسم فاعل، مجرور بالباء الزائدة لفظاً، و منصوب محلاً، خبر «ما» و علامة الجرّ هي الكسرة المقدّرة على ما قبل اليآء المحذوفة رسماً مراعاة لقراءة الوصل، و جملة «ما أنت...» معطوفة على جملة «إنّك لاتسمع...» لامحلّ لها، و «عن ضلالتهم» متعلّق ب«هاد» بتضمينه معنى صارف.

و «إن» نافية، و «تسمع» كالسّابق، و جملة «إن تسمع...» مستأنفة أو تعليليّة لا محلّ لها، و «إلاّ» أداة حصر، و«من» اسم موصول في موضع نصب، مفعول به، و «يؤمن» صلة الموصول لامحلّ لها، و «بآياتنا» متعلّق ب«يؤمن» و الفاء عاطفة، و «هم» مبتداء و «مسلمون» خبره، و جملة «هم مسلمون» في موضع رفع، معطوفة على جملة «يؤمن».

٥٤ـ (الله الّذي خلقكم من ضعف ثمّ جعل من بعد ضعف قوّة ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و شيبة يخلق ما يشآء و هو العليم القدير)

«الله» مبتدأ و «الّذي» موصولة، و «خلق» فعل ماضٍ صلة الموصول لا محلّ لها، و

«كم» في موضع نصب، مفعول به، و جملة «الّذي خلقكم» في موضع رفع، خبر «الله» و جملة «الله الّذي...» مستأنفة لا محلّ لها، و«من» ابتدائيّة، و «ضعف» مجرور بها، متعلّق بـ«خلق» و «ثمّ» حرف عطف للتراخيّ، و جملة «جعل» معطوفة على جملة «خلقكم» لامحلّ لها، و «من بعد ضعف» متعلّق بمحذوف، مفعول به ثانٍ لـ«جعل» الاولى، و «قوّة» مفعول به ثانٍ.

و «ثمّ» عاطفة، و جملة «جعل» الثّانيّة معطوفة على جملة «جعل» الاولى و «من بعد قوّة» متعلّق بمحذوف، مفعول به أوّل، و «ضعفاً» مفعول به ثانٍ.

و «شيبة» عطف تفسيريّ على «ضعفاً» و «يخلق» فعل مضارع، و في موضعه وجوه: **أحدها** ـ مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيها** ـ في موضع رفع، خبر ثانٍ لـ«الله». **ثالثها** ـ في موضع نصب، حال من «الله».

و «ما» اسم موصول في موضع نصب، مفعول به، و «يشآء» صلة الموصول لا محلّ لها، والعائد محذوف، وفي الواو وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة، و «هو» مبتداء و «العليم» خبره، و «القدير» خبر ثانٍ، و جملة «هو...» معطوفة على جملة «يخلق...» و إعرابها كإعرابها. **ثانيها** ـ حاليّة، و جملة «هو...» في موضع نصب، حال من فاعل «يخلق».

۵۵ـ (و يوم تقوم السّاعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون)

الواو استئنافية، و «يوم» ظرف زمان، منصوب، متعلّق بـ«يقسم» فعل مضارع من باب الإفعال، و جملة «تقوم السّاعة» في موضع جرّ بإضافة الظّرف إليها، و «المجرمون» فاعل «يقسم» و جملة «يقسم المجرمون...» مستأنفة لا محلّ لها، و «ما» نافية، و «لبثوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب لا محلّ لها لأنّها وقعت في جواب القسم المقدّر، و «غير ساعة» ظرف منصوب متعلّق بـ«لبثوا».

و في «كذلك» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق، عامله «يؤفكون». **ثانيها** ـ نعت لمصدر محذوف أي يصرفون عن الحقّ و هو الصّدق كما صرفوا عن الحقّ و

هو البعث. و «كانوا» فعل ماضٍ ناقص، و اسمها، و «يؤفكون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب، مبنيّ للمفعول، في موضع نصب، خبر «كانوا» و جملة «كانوا...» مستأنفة لا محلّ لها.

٥٦ـ (و قال الّذين اوتوا العلم و الايمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث و لكنّكم كنتم لاتعلمون)

الواو عاطفة، و «قال» فعل ماضٍ، و «الّذين» موصولة في موضع رفع، فاعل «قال» و جملة «قال الّذين» معطوفة على جملة «يقسم المجرمون» و «اوتوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب، مبنيّ للمفعول، صلة الموصول لا محلّ لها، و الواو في «اوتوا» مفعول به أوّل، ناب مناب الفاعل، و «العلم» مفعول به ثانٍ، و «الايمان» عطف على «العلم» و اللام لام جواب لقسم مقدّر، و «قد» حرف تحقيق، و «لبثتم» فعل ماضٍ لجمع المذكّر المخاطب، و جملة «قد لبثتم...» جواب القسم المقدّر، و جملة القسم المقدّر في موضع نصب، مقول القول: «قال».

و في «في كتاب الله» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بمحذوف، حال أي محسوبة في علم الله و قدره. **ثانيهما** ـ متعلّق بـ«لبثتم» بحذف مضاف أي في تقدير كتاب الله. و «إلى يوم البعث» متعلّق بـ«لبثتم» و في الفاء وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة،و مدخولها معطوفة على ما قبلها، فالتّعقيب ذكري أو تعليليّة. **ثانيهما** ـ رابطة لجواب شرط مقدّر فالفاء فصيحة، تفصح عن الشّرط المقدّر، تقديره: إن كنتم منكرين للبعث، فهذا يوم البعث. أي فقد تبيّن لكم بطلان إنكاركم. و جملة «هذا يوم البعث» في موضع نصب، معطوفة على جملة مقول القول.

و في الواو وجهان: **أحدهما** ـ حاليّة، و مدخولها في موضع نصب، حال من فاعل «لبثتم». **ثانيهما** ـ عاطفة و مدخولها في موضع نصب، معطوفة على جملة مقول القول. و «لكنّ» حرف استدراك، و «كم» في موضع نصب، اسمها، و «لاتعلمون» في موضع نصب، خبر «كنتم» و جملة «كنتم لاتعلمون» في موضع رفع، خبر «لكنّ».

۵۷ـ(فيومئذ لاينفع الّذين ظلموا معذرتهم و لا هم يستعتبون)

الفاء عاطفة، و تفصيل أيضاً لما قبلها ممّا يفهم من أنّ تقليل مدّة اللبث، و فصيحة أيضاً، و «يوم» ظرف مبنيّ هنا لإضافته إلى «إذ» المبنيّ، متعلّق بـ«ينفع» و التنوين عوض عن الجملة المضاف إليها المحذوفة. تقديره: يوم إذ قامت السّاعة... و «لا» نافية، و «ينفع» فعل مضارع، و «الّذين» موصولة في موضع نصب، مفعول به مقدّم، و «ظلموا» صلة الموصول لا محلّ لها، و «معذرتهم» فاعل «ينفع» و جملة «لاينفع...» معطوفة على جملة «يقسم المجرمون» لا محلّ لها.

و الواو عاطفة، و «لا» نافية، و «هم» مبتدأ و «يستعتبون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب، مبنيّ للمفعول من باب الاستفعال، و الجملة في موضع رفع، خبر «هم» و جملة «لاهم يستعتبون» معطوفة على جملة «لاينفع» لا محلّ لها.

۵۸ـ(و لقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل و لئن جئتهم بآية ليقولنّ الّذين كفروا إن أنتم إلاّ مبطلون)

الواو استئنافية، و اللام موطّئة للقسم، و «قد» حرف تحقيق، و «ضربنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً، و «للنّاس» متعلّق بـ«ضربنا» و جملة «قد ضربنا» جواب قسم مقدّر لا محلّ لها، و جملة القسم المقدّرة استئنافية لا محلّ لها، و في «هذا» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ«ضربنا». **ثانيهما** ـ متعلّق بمحذوف، حال، و في «القرآن» وجهان: **أحدها**ـ بدل من «ذا». **ثانيها**ـ عطف بيان. و في «من كلّ مثل» وجوه: **أحدها**ـ متعلّق بـ«ضربنا». **ثانيها**ـ متعلّق بمحذوف، نعت لمفعول به، محذوف أي موعظة أو قصّة كائنة من كلّ مثل. **ثالثها** ـ «من» تبعيضيّة، و «من كلّ مثل» في موضع نصب، على أنّه مفعول «ضربنا» أي وصفنا لهم كلّ صفة كأنّها مثل في غرابتها و طرافتها.

و الواو عاطفة، و اللام موطّئة للقسم، و «إن» حرف شرط جازم، و «جئتهم» فعل و فاعل و مفعول به، في موضع جزم، فعل الشّرط، وجملة «جئتهم» معطوفة على جملة القسم المقدّرة لا محلّ لها، و في «بآية» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ«جئتهم». **ثانيهما** ـ متعلّق بمحذوف، حال من فاعل «جئت».

و اللام واقعة في جواب القسم، و «يقولنّ» فعل مضارع، مبنيّ على الفتح لاتّصاله بنون

التّوكيد الثّقيلة، و «الّذين» موصولة في موضع رفع، فاعل «يقول» و «كفروا» صلة الموصول لا محلّ لها، و جملة «يقولنّ الّذين...» جواب القسم المقدّر الثّاني لا محلّ لها، و «إن» نافية، و «أنتم» مبتدأ و «إلاّ» أداة حصر، و «مبطلون» خبر «أنتم» و جملة «إن أنتم...» في موضع نصب، مقول القول.

٥٩ـ (كذلك يطبع الله على قلوب الّذين لايعلمون)

في «كذلك» وجهان: أحدهما ـ متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق، عامله: «يطبع» ثانيهما ـ نعت لمصدر محذوف. أي مثل ذلك الطّبع يطبع الله، و جملة «يطبع الله» اعتراضيّة أو استئنافية لا محلّ لها، و «على قلوب» متعلّق بـ«يطبع» و «قلوب» أُضيفت إلى «الّذين» موصولة، و «لا» نافية، و «يعلمون» صلة الموصول لا محلّ لها.

٦٠ـ (فاصبر إنّ وعد الله حقّ و لايستخفّنّك الّذين لايوقنون)

الفاء فصيحة، رابطة لجواب شرط مقدّر، و تفصح عنه، و «اصبر» فعل أمر، وجملة «اصبر» في موضع جزم، جواب الشّرط المقدّر، تقديره: إن قال الكافرون ذلك أو إذا علمت أنّ حالهم بهذه المثابة فاصبر، و «إنّ» حرف توكيد، و «وعد الله» اسمها، و «حقّ» خبرها، وجملة «إنّ وعد الله حقّ» تعليليّة للأمر بالصّبر لا محلّ لها.

الواو عاطفة، و «لا» ناهية جازمة، و «يستخفّنّ» فعل مضارع، مبنيّ على الفتح لاتّصاله بنون التّوكيد الثّقلية، في موضع جزم بـ«لا» النّاهية، و الكاف في موضع نصب، مفعول به، و «الّذين» موصولة في موضع رفع، فاعل «يستخفّنّ» و جملة «لا يستخفّنّك الّذين...» معطوفة على جملة «اصبر» و محلّها كمحلّها، و «لا» نافية و «يوقنون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب الإفعال، صلة الموصول لا محلّ لها.

﴿البيان﴾

١ـ(الٓمٓ)

رمز من رموز الوحي السّماويّ، و سرّ من الأسرار الإلهيّة الّتي بين الله جلّ وعلا و أهل بيت وحيه المعصومين الّذين هم الرّاسخون في العلم صلوات الله عليهم أجمعين، و لما فيه من التّنبيه والاسترعاء ما لايخفى على من نوّر الله تعالى قلبه بنور القرآن المجيد، كما لايخفى عليه أنّ هذه السّورة قد افترقت عن أخواتها المبدوّة بالأحرف المقطّعة في أنّها قد استرسلت بالبحث في موضوع سوى القرآن العظيم، و التّنويه به - بعد الأحرف المقطّعة أعني «الٓمٓ» من دون فاصل، و ذلك أنّ جُلّ هذه السّورة تعقّب البحث و الحديث عن القرآن الكريم مباشرة بعد هذه الاحرف الشّريفة، فتأمّل جيّداً.

٢ـ(غُلِبت الرّوم)

إخبار بانكسار الرّوم في البلاد المتاخمة للحجاز، إذكانت الوقعة ـكما ورد ـبين الاردن و فلسطين، فغلب كسرى ملك الفرس، جيش قيصر ملك الرّوم في عهد رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾.

٣ـ(في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون)

فيه دلالة على غاية ضعفهم، و قلّة جيشهم و قواهم، حيث غُلِبُوا قرب عاصمتهم، و

مقرّ ملكهم و حكومتهم، إلى أن وصل عدوّهم إلى طريق الحجاز وكسروهم و هم في بلادهم، و على قوّة عدوّهم و كثرة عَدَدهم و عُدَدهم و تجهيزهم... و المراد بالأرض، أرض الرّوم لذكرهم، و الأقربيّة بالنّظر إلى عدوّهم أعني الفرس لحديث المغلوبيّة أي أقرب أرض الروم إلى أرض فارس بالجزيرة التق فيها الجيشان، و البادي بالغزو الفرس.

و هذا لاينافي وقوع الوقعة بين الاردن و فلسطين ـ كما ورد ـ و هي أقرب البلاد إلى أرض الحجاز يوم ذاك.

و **لايخفى على أهل البيان:** ما بين الدّنوّ و القرب من الفرق، حيث إنّ الدّنوّ لايكون إلاّ فى المسافة بين الشّيئين، تقول: داره دانية، و مزاره دان. و القرب عام في المسافة و غيرها، تقول: قلوبنا تتقارب، و لاتقول: تتدانى. و تقول: هو قريب بقلبه، و لايقال: دان بقلبه إلاّ على بُعد. و من الفرق بين الأدنى و الأقرب، حيث إنّ نقيض الأدنى، الأقصى، و نقيض الأقرب، الأبعد.

و **قوله تعالى:** «و هم من بعد غلبهم سيغلبون» إخبار بما لم يقع بعد، فوقع كما أخبر بأنّ الرّوم سيغلبون فارس، غلبة عظيمة بعد ذلك الضّعف العظيم والهزيمة الفاضحة، بتجديد القوى و تكثير العَدَد و العُدَد... فغلبوا على الفرس حتّى وصلوا إلى المدآئن و بنوا هنالك الرّوميّة، و في ذلك تأكيد لما يفهم من السّين في «سيغلبون» و لكون مغلوبهم من كان غالبهم... و في بنآء الجملة على الضّمير: «هم من بعد غلبهم...» تقوية للحكم أي ستغلب الرّوم على الفرس قطعاً.

٤ـ(في بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون)

تحديد لوقت يقع فيه هذا الخبر، و فائدة الإبهام تفخيم لأمر هذه الغلبة، و إدخال رهبة في قلوب المشركين، و إشعار بأنّ زهوهم بأنفسهم و اعتدادهم بقوّتهم ليس إلاّ حين يطول أو يقصر، و لكنّه آيل إلى انتهآء، و مفضٍ إلى العاقبة الوخيمة الحتميّة و هي الارتداد و الانتكاس، و إشارة إلى ما سوف يكون بعدئذٍ من فرح المؤمنين، فإن شقّت على المؤمنين، غلبة الفرس على الرّوم، فصاروا محزونين فبشّرهم الله تعالى بهذه الآيات الكريمة و

اطمأنهم: أنّه سيقع أمر هو أهمّ و أعظم من غلبة الرّوم على الفرس و هو غلبة المؤمنين على المشركين من جهة، و على الفرس من جهة اخرى إذ أخبر بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد أن مزّق كسرى كتابه «صلى الله عليه وآله» و غلبة المسلمين على الرّوم من جهة ثالثة، حيث يمدّهم الله تعالى بنصره و يمنحهم عونه و تأييده، فتمتلئ بالفرحة صدورهم، و تخفق بالرّضا والسّرور قلوبهم، و تهديد للمشركين و اضطراب قلوبهم و اغتمامهم بذلك من جهة رابعة، و لتصديق خبر الله تعالى و خبر رسوله «صلى الله عليه وآله» من جهة خامسة، و لكونه مقدّمة لنصر المؤمنين على المشركين من جهة سادسة.

و **قوله تعالى**: «لله الأمر من قبل و من بعد» في تقديم الخبر على المبتداء حصر أي لله وحده أمرهم، حالكونهم مغلوبين، و كونهم غالبين، فليس شيء منها إلاّ بقضآء الله جلّ وعلا، فالأمر كلّه لله عزّوجلّ، و يوم غلبة الرّوم على الفرس يفرح المؤمنون لظهور صدق خبر الله تعالى و خبر رسوله «صلى الله عليه وآله» و لكونه مقدمة لنصر المؤمنين على المشركين أوّلاً، و على الرّوم ثانياً و على الفرس ثالثاً.

٥ـ (بنصر الله ينصر الله من يشآء و هو العزيز الرحيم)

تقرير لما يفرح به المؤمنون، و هو نصر الله تعالى لهم على الكافرين، و في تعليق فرحة المؤمنين على نصر الله عزّوجلّ لهم يوم غلبة الرّوم على الفرس دلالة على أنّ النّصر الّذي يفرح به المؤمنون حقّاً هو نصرهم على مشركي مكّة الّذين سخروا منهم، و صبّوا عليهم ألوان البلاء، و أخرجوهم من ديارهم بغير حقّ، و هذا هو نصر الله الّذي وعدهم به، و وقّت له غلبة الرّوم على الفرس، و لعلّ هذا هو السّرّ الّذي جآء عليه النّظم القرآني من التّعبير عن الصّراع بين الرّوم و الفرس بالغَلَب و التّغالب على حين جآء التّعبير عن غلبة المؤمنين على المشركين بكلمة «النّصر» و إضافتها إلى الله تعالى: «بنصر الله».

فهو نصر لدين الله جلّ وعلا، و نصر للحقّ في أعلى منازله... إنّه صراع بين توحيد خالص، و شرك صريح، و بين ايمان صادق و كفر واضح... فإذا غلب التّوحيد على الشّرك، والايمان على الكفر، و الحقّ على الباطل و... فهو نصر للحياة كلّها، و للإنسانيّة جميعها، و

حقّ له أن يضاف إلى الله «بنصر الله» «و يومئذ يفرح المؤمنون».

أمّا الصّراع الّذي كان دائراً بين الرّوم و الفرس، فلم يكن قتالاً في سبيل الله، و لا انتصاراً لدين الله تعالى، و إنّماكان قتالاً على سلطان، و تقاتلاً على سلطة، تتنازعها الدّول منذ قرون طويلة...

و أمّا التفات الدّعوة الإسلاميّة إلى هذا الصّراع، فلم يكن إلاّ ردّاً على ما يُنادي به المشركون في مكّة، و ما استقبلوا به أخبار انتصار الفرس و هزيمة الرّوم، فاتّخذوا من الفرس جبهة لهم على حين عدّوا جبهة الرّوم المهزومة جبهة للمسلمين، و لهذا جآء قوله سبحانه:

«غلبت الرّوم...» جآء خبراً حِيادياً، يحدث عن الواقع الّذي سيقع بعد بضع سنين، ليقطع على المشركين فرحتهم الّتي اصطنعوها من هذا الخبر الّذي جآءهم بنصر الفرس، و ليقول لهم: لاتفرحوا الأمر تستقبلون أوّله، و لاتدرون ما يقع في آخره... فهذا الغَلَب الّذي تفرحون به، هو غَلَبٌ موقّت، ستعقبه هزيمة خلال بضع سنين، و لهذا جاء قوله سبحانه بعد ذلك: «و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون...».

فالنّصر مختصّ بغلبة المؤمنين على أعدآء الله جلّ وعلا، و أمّا غلبة الكافرين على أمثالهم، أو على المؤمنين فليس بنصر، و إنّما هو ابتلاء و قد يسمّى ظفراً.

و قوله تعالى: «ينصر الله من يشآء» مستأنف بيانيّ لإظهار صدق المؤمنين، و موضع تعليل و تأكيد لقوله سبحانه: «لله الأمر...» بأنّ النّصر بيد الله عزّوجلّ وحده ليس لأحد شركة مع الله فيه، و قوله جلّ و علا: «و هو العزيز الرّحيم» مبالغة في العزّة و الغلبة لأوليآئه على أعدآئه فينتقم بهم منهم، فيعزّهم بعزّته، لأنّه ذو القوّة و البأس، و مبالغة في الرّحمة الخاصّة بعباده المؤمنين، فيرحم بهم في الدّنيا و الآخرة. و تقديم وصف «العزيز» على «الرّحيم» لتقدّمه عليه في الاعتبار.

٦ـ (وعد الله لا يخلف الله وعده و لكنّ اكثر النّاس لايعلمون)

تقرير و توكيد بأنّ نصر المؤمنين، وعد ربّانيّ، و بأنّ الله تعالى لا يخلف وعده أي

وعدهم الله النّصر و لايخلف وعده. و قيل: تأكيد و تقرير للوعد السّابق في قوله تعالى: «سيغلبون» و «يفرح المؤمنون» كما أنّ قوله: «لا يخلف الله وعده» تأكيد و تقرير لقوله: «وعد الله».

أقول: و الأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق.

و قوله سبحانه: «لا يخلف الله وعده» مستأنف بيانيّ لتقرير معنى المصدر: «وعد الله» و إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار للتّعليل الحكمي و تفخيمه. و في الجملة تنديد بالكفّار و المشركين و الفجّار و المستكبرين، و الفسّاق و المجرمين في كلّ ظرف من الظّروف لجهلهم عن هذه الحقيقة، و هي قوله تعالى: «وعد الله لا يخلف الله وعده» و لغفلتهم عن الآخرة و حسابها و جزآئها، و منشأها غلبة طبيعتهم على فطرتهم و استغراقهم في زخارف الدّنيا و انهماكهم في شهواتها...

و قوله سبحانه: «و لكن أكثر النّاس لايعلمون» تعقيب واقع على قوله عزّوجلّ: «وعد الله لا يخلف الله وعده» و فيه إشارة من طرف خفيّ إلى قِصَر أنظار الكفّار و المشركين و من إليهم في كلّ ظرف من الظّروف، و أنّهم لا يمدّون أبصارهم إلى أبعد من مواقع أقدامهم، و لو أنّهم أحسنوا النّظر إلى هذا النّبأ الّذي جآءهم بغلبة الفرس لما استبدّ بهم الفرح، و لعلموا أنّ الغَلَب قد تعقبه هزيمة، و أنّ الهزيمة قد يتلوها غَلَبٌ ابتلاء... هكذا تجرى الامور بين النّاس في هذه الحياة الدّنيا.

قال الله تعالى: «و تلك الأيّام نداولها بين النّاس و ليعلم الله الّذين آمنوا...» آل عمران: ١٤٠)

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ لابن عباس: «واعلم بأنّ الدّهر يومان: يوم لك و يوم عليك، و أنّ الدّنيا دار دُول...»

و لكنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف من الظروف لجهلهم بنظام الكون و نواميس الوجود، و غلبة طبايعهم على فطرتهم، و عمى أبصارهم لايقفون من امور الدّنيا إلاّ عند ظواهرها، و لا يأخذون منها إلاّ ما يلقاهم على يومهم... و هذا شأنهم في دينهم الّذي يدينون به...

إنّهم أخلَوْا أنفسهم فكلّ شيْ يشغلهم عن حياتهم الدّنيا، فهي اليوم الّذي لا يوم لهم بعده... أمّا الآخرة فلا شأن لهم بها فإنّهم عن غفلة عن كلّ أمر يصلهم بها، و في صَمَم عن كلّ حديث يُلقىٰ إليهم عنها.

٧ـ(يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا و هم عن الآخرة هم غافلون)

مستأنف بيانيّ لتقرير مبلغ علم المشركين و المستكبرين و من إليهم بأنّ علمهم محصور فيما يتعلّق بظاهر الدّنيا و ما هم فيه من لهو و متاع بها و شهواتها، أو بدل من قبلها ايذاناً بأنّ عدم العلم الّذي هو الجهل، و وجود العلم الّذي لايتجاوز عن زخارف الدّنيا سيّان.

و **قوله تعالى:** «ظاهراً» في التّنكير تحقير و تخسيس دون الوحدة. فالمعنى: يعلمون ظاهراً حقيراً خسيساً من الدّنيا و متاعها، و فائدة التنكير هنا تقليل معلومهم حتّى بظاهر الدّنيا فضلاً عن حقائقها و أسرارها و ماورآئها من الآخرة، و تقليله يقربه من النّفي حتّى يطابق المبدل منه و هو قوله: «لايعلمون» و هذا ما يرجّح البدليّة، فلا يناقض قوله تعالى: «لايعلمون» لقوله: «يعلمون ظاهراً...» كما زعم بعض المتفسّرين، حيث إنّ ذلك ورد مورد المبالغة لهم بالذمّ لتضييعهم على ما يلزمهم من أمر الله كأنّهم لايعلمون شيئاً من الحقآئق، و أنّ كلّ ما يعلمونه هو بعض امور ظاهرة من شئون الحياة الدّنيا حين أنّهم غافلون عن حقائق نظام الكون و نواميس الوجود و أسرار الحياة الدّنيويّة مع ما هي عليه من خطورة الشّأن فضلاً عن الآخرة.

و **قوله عزّوجلّ:** «و هم عن الآخرة هم غافلون» تقرير لجهالتهم و تشبيه لهم بالبهآئم المقصور إدراكها من الدّنيا ببعض ظواهرها الخسيسة دون أحوالها و أسرارها الّتي هي مبادىء العلوم بامور الآخرة و معارفها: ففيه إشعار بأنّ العلم بظواهر الدّنيا كلا علم إذا لم يعلم حقآئقها... فالعلم المذكور: «يعلمون» و عدم العلم: «لايعلمون» هما سيّان.

و ذلك أنّ العلم في ذاته سواء كان علماً بالشّريعة و أمر المعاد، أو بالطّبيعة و أمر المعاش

هو مطلوب لكل أمر يعالجه الإنسان، و يكشف له معالم الطريق إلى الحقّ و الهدى و إلى الخير و الفلاح و... هذا إذاكان العلم قائماً على نظر سليم و إدراك صحيح، وكان حاكماً على الإنسان، و إلاّ فهو سراب يخدع صاحبه، و يُضلّه عن سوآء السّبيل، و يستخدمه لكلّ إثم و معصية، و بغي و جناية، و جُرم و خيانة و...

و علم هؤلآء المشركين مع أنّه مقصور على هذه الحياة الدّنيا هو علم يقف عند ظاهر بعض الامور فيها، و لا ينفذ إلى الصّميم منها... و من هنا ينخدع هؤلآء المستكبرون بهذا العلم الّذي لا يمسك من الأشيآء إلاّ ببريقها و لمعانها، فيندفعون به إلى مواقع الهلاك كما يندفع الفراش إلى النّار، مأخوذاً بضوئها، مبهوراً بألسنة لهيبها...

و أمّا العلم بِحكَم الحياة الدّنيا وكونها ظرفاً للكمال الإنسانيّ و بما فيها من آيات الله المبثوثة في كلّ ذرّة من ذرّاتها، و ما أودع الله تعالى في الكائنات من أسرار و معارف... فذلك علم من شأنه أن يفتح مغالق العقول، و يضيئ جوانب البصيرة، و يهدي صاحبه إلى كلّ ما هو حقّ و صواب، و خير و رشاد... و بهذا العلم يرى العالِم قدرة الله جلّ وعلا و يتعرّف إلى بعض ما له من علم و حكمة، و تدبير و عظمة... فيؤمن بالله عزّ وجلّ، و يؤمن بما أنزل الله تعالى من كتب، و يؤمن بما أرسل الله سبحانه من رسل، و يؤمن بالدّار الآخرة و حسابها و ثوابها و عقابها، و نعيمها و جحيمها... و بهذا العلم يصل العالم بين الدّنيا و الآخرة، فيعمل فى الدّنيا لآخرته، و ينال بسعادتها... إذ لاتعارض بين الدّنيا و الآخرة عند من يعلم حقيقة الدّنيا، و مكانها من الآخرة.

و قوله عزّوجلّ: «و هم عن الآخرة هم غافلون» فيه من فنّ التّعطّف ما لا يخفى على أهل البيان و هو إعادة اللفظة بعينها في الجملة من الكلام أو البيت من الشّعر، فقد ردّد «هم» للمبالغة في تأكيد غفلتهم عن الآخرة، مع ما فيه من تقرير جهالتهم و تشبيههم بالبهآئم المقصور إدراكها من الدّنيا ببعض ظواهرها الخسيسة دون أحوالها الّتي هي مبادىء العلوم بامور الآخرة، و من إشعار بأنّ العلم بظواهرها كلاعلم إذالم يعلم أسرارها و حقائقها...

فالعلم المذكور: «يعلمون ظاهراً» و عدم العلم: «لايعلمون» هما سيّان.

و قوله سبحانه: «هم غافلون» في تكرير «هم» تأكيد لفظيّ لها دافع للتجوّز وعدم الشمول، والفصل بمعمول الخبر و إن كان خلاف الظّاهر و لكن حسنه وقوع الفصل في التلفّظ والاعتناء بالآخرة، و فيه إشارة أيضاً إلى أنّ الغفلة منهم، و إلاّ فأسباب التّذكرة حاصلة، و في ايثار الاسميّة دلالة على استمرار غفلتهم و دوامها مادام علمهم مقصوراً بظاهر الحياة الدّنيا، حيث إنّ ظاهر الدّنيا لدنائتها توجب غفلة الإنسان و دوامها، فالغفلة معلول لذلك أو مسبّب عنه.

٨ـ (أولم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السّموات والأرض و ما بينهما إلاّ بالحقّ و أجل مسمّى و إنّ كثيراً من النّاس بلقاء ربّهم لكافرون)

عطف على مقدّر يقتضيه المقام، على طريق الاستفهام الإنكاريّ و الاستقباح و التّعجّب لقصر نظر هؤلاء المشركين على ما ذكر من العلم القليل بظاهر الحياة الدّنيا مع الغفلة عن الآخرة، من جهة، و تنديد بهم بسبب عدم تفكّرهم منطقيّاً و هادئاً يجعلهم يدركون أنّ الله سبحانه لايُعقَل أن يكون قد خلق السّموات و الأرض و ما بينهما عبثاً، بل لحكمة جليلة تقوم على الحقّ و لأمد معيّن في علمه من جهة اخرى، و دعوة لهم إلى التفكّر في أنفسهم، و ما قام عليه خَلْقُهم... أن يتفكّروا كيف كان الإنسان تراباً، ثمّ نطفة إلى أن صار إنساناً كاملاً من جهة ثالثة.

و ذلك أنّ أقرب شئ إلى الإنسان هو ذاته، و هذا يوجب عليه أن يتعرّف إلى أقرب قريب إليه قبل أن يمدّ بصره إلى ماورآئه.

و **قوله تعالى:** «في أنفسهم» ظرف للتفكّر، و ذكره مع أنّ التفكّر لايكون إلاّ في النّفس لتحقيق أمره، و لزيادة تصوير حال المتفكّرين كما في قولك: «اعتقده في قلبك و أبصره بعينك» مع أنّ الاعتقاد لا يكون إلاّ في القلب، و لا الإبصار إلاّ بالعين.

و **قوله سبحانه:** «إلاّ بالحقّ و أجل مسمّى» بيان لغرض الخلقة و حكمتها و مآل أمرها.

و **قوله عزّوجلّ:** «و إنّ كثيراً من النّاس بلقاء ربّهم لكافرون» تذييل لتقرير ما قبله

ببيان أنّ كثيراً من النّاس غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن أحوال الآخرة و الإعراض عن التّفكّر فيما يرشدهم إلى معرفتها من خلق أنفسهم، و أسرارها، و من خلق السّموات و الأرض و ما بينهما من المصنوعات و معارفها و حِكَمها، بل هم منكرون ليوم البعث، و جاحدون بلقاء حساب ربّهم و جزآئه...

و في الجملة المؤكّدة إشارة إلى سبب عدم تفكّرهم في أنفسهم، و عدم تدبّرهم في نظام الكون و نواميس الوجود، و هو كون كثير من النّاس في كلّ ظرف من الظّروف لا يؤمنون بلقآء ربّهم، و لا يوقنون بيوم البعث و الحساب و الجزآء، فينصرفون عن هذا التدبّر و التفكّر، فيكفرون بالله سبحانه و فيه تنبيه للنّاس أجمعين في كلّ ظرف على وجه الاستدلال بخلق أنفسهم و السّموات و الأرض و ما بينهما من أصناف خلقه على المبدإ و المعاد.

إن تسئل: إنّ الله تعالى قال ههنا: «و إنّ كثيراً من الناس» و قد قال قبل ذلك: «و لكنّ أكثر الناس» فما وجهها؟

تجيب عنه: أنّ الله تعالى قد ذكر دليلاً على الاصول، و لاريب أنّ الايمان بعد الدّليل يكون أكثر من الايمان قبل الدّليل، فلا يبق الأكثر كما هو، فعبّر عن الباقي بالكثير.

إن تسئل: كيف يعلم الإنسان المتفكّر في نفسه، و في خلق السّموات و الأرض و ما بينها: أنّ الله تعالى لم يخلق شيئاً إلاّ بالحقّ؟ و كيف يعلم بالدّار الآخرة و حسابها و جزآئها؟

تجيب عنه: أنّ الانسان إذا تفكّر في نفسه علم أنّه مُحدَث مخلوق إذ قد أتاه حين من الدّهر لم يكن هو فيه شيئاً مذكوراً، فكان بعد أن لم يكن، و علم أنّ له مُحدِثاً قديماً، قادراً عالماً حيّاً، و أنّه حكيم لا يصدر عنه لغو و لاقبيح، و لا لعب و لا لهو، و علم أنّه سبحانه لم يخلقه عبثاً، و أنّه خلقه لغرض، و هو التّعريض للثّواب، و ذلك لا يتمّ إلاّ بالتكليف، فلابدّ إذاً من الثّواب، فإذا لم يوجد في الحياة الدّنيا فإنّها دار عمل، فلابدّ من دار اخرى و هي دار حساب، يجازى فيها.

فقال: «ما خلق الله السّموات و الأرض و ما بينهما إلاّ بالحقّ» أي بما عند الله تعالى من

حقآئقها و أجل مسمّى لأنّ وجودها الطّبيعى متجدّد زمانيّ مؤجّل بأجل مسمّى، و مقدّر بقدر معلوم و قال: «الله يبدؤا الخلق ثمّ يعيده» الرّوم: ١١) أي في عالَم الخلق و التّقدير، ثمّ يعيده إلى عالَم القيامة عند الله سبحانه «ثمّ إليه ترجعون» بفنآء الكلّ.

و قال: «و من آياته أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره» الرّوم: ٢٥) لأنّ قوامها بمبادئها و صورها العقليّة «ثمّ إذا دعاكم دعوة من الأرض» بانقطاع الآجال و نفادها «إذا أنتم تخرجون».

و قال: «و له من في السّموات و الأرض» الرّوم: ٢٦) أي هويّاتها المفارقة عن الموادّ، حاضرة عند الله «كلّ له قانتون» بالعبوديّة التّامّة و الرّجوع الذّاتي و الانخراط الوجودى.

و قال فيه: «و هو الّذي يبدؤا الخلق ثمّ يعيده» الرّوم: ٢٧) في سلسلتي البدو و الرّجوع «و هو أهون عليه» لأنّ الرّجوع إلى الفطرة الأصلية أنسب من الخروج عنها «و له المثل الأعلى في السّموات و الأرض» لأنّ كلّ ذي روح و نفس و جسم يتحقّق فيه مثال البدو و الإعادة، و لكنّه «هو العزيز الحكيم» الّذي «ليس كمثله شيئ» الشورى: ١١) و قال: «و ما خلقكم و لا بعثكم إلّا كنفس واحدة» لقمان: ٢٨).

فلو تفكّر الإنسان في نفسه، و عرفها، لعرف بمعرفتها حقآئق الموجودات و أسرارها، فانيها و باقيها، و عرف بها حكمة خلق السّموات و الأرض و ما بينهما من المصنوعات، و عرف بها ربّه جلّ و علا و لما أنكر البعث الّذي هو لقآء ربّه.

٩ـ (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوّة و أثاروا الأرض و عمروها أكثر ممّا عمروها و جآءتهم رسلهم بالبيّنات فما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون)

الهمزة لتقرير المنفيّ، و الواو للعطف على مقدّر يقتضيه المقام كالسابق، تقديره: أقعدوا في منازلهم و بيوتهم، و حسبوا أنفسهم في حوائط أماكنهم و بلادهم و لم يسيروا في نقاط مختلفة من الأرض؟!

تقرير لسيرهم و نظرهم إلى آثار المدمّرين من عاد و ثمود و قوم لوط و غيرهم من

الأُمم الباغية الطّاغية العاتية... و تقريع لعدم تفكّرهم في الآثار، و توبيخ لهم بعدم تأمّلهم لمواقع الاعتبار، و تنديد بهم بعدم اتّعاظهم بمشاهدة أحوال أمثالهم الدالّة على وخامة عاقبتهم، و سوء مآل أمرهم...

و في الجملة تحريض للنّاس عامّة، و حثّ للمؤمنين خاصّة في كلّ ظرف من الظّروف على السّير في أكناف الأرض و الاعتبار من مشاهدها و مناظرها و وقآئعها...

و قوله تعالى: «فينظروا» في موضع تعليل على سبيل العطف على «يسيروا» داخل في حكم التقرير و التقريع و التّوبيخ و التّنديد بهم أيضاً: فإذا كانوا لا يتفكّرون في أنفسهم، و في خلق السّموات و الأرض و ما بينهما، فهل لم يتجولوا في أنحآء الأرض و يروا عاقبة الّذين من قبلهم، و يعرفوا أخبارهم... فيتّعظوا بها؟ فقد كان الّذين قبلهم أشدّ منهم قوّة و عِدّة و عُدّة، و اعماراً و استغلالاً للأرض فلمّا جآئتهم رسل الله تعالى بالمعجزات و الدّلآئل الواضحة على صدق رسالتهم، قفوا منهم موقف المكذّب المستهزىء، و لم يتورعوا عن ارتكاب السّيّئات فجازاهم الله تعالى سوءاً بسوء، و لم يكونوا في ذلك مظلومين، و إنّما كانوا هم الّذين جنوا على أنفسهم بالكفر و الطّغيان، و الإثم و العدوان، و البغي و العصيان حتى انتهت عاقبتهم إلى العذاب و النيران.

و قوله سبحانه: «كانوا أشدّ منهم قوّة» وصف لحالهم، و بيان لكيفيّة كانوا هم عليها. أي انّهم كانوا أقدر منهم على التّمتّع بالحياة الدّنيا و شهواتها و زخارفها... حيث كانوا أشدّ منهم قوّة.

و قوله عزّوجلّ: «و أثاروا الأرض و عمروها أكثر ممّا عمروها» كمّاً و كيفاً و زماناً، و لا يبعد أن يكون ذكر اسم تفضيل: «أكثر» تهكّماً بمشركي مكّة إذ لا يقاسواهم باولئك الامم الماضية، فإنّهم كانوا معروفين بالنّهاية في القوّة و الشّوكة، و كثرة العِدّة و العُدّة، و العمارة و الحضارة و طول الأعمار... و قد كان مشركو مكّة ضعفآء، قصيرى الأعمار، ملجئين إلى وادٍ غير ذي زرع، خائفين أن يتخطّفهم النّاس، فلا يقاسواهم بهم إلاّ أن تكون العمارة بمعنى الإقامة.

و قوله تعالى: «أنفسهم يظلمون» قدّم «أنفسهم» على «يظلمون» رعاية للفاصلة،

أو يكون للحصر بالنّسبة إلى الرّسل الّذين كانوا يدعونهم.

و في الآية الكريمة: تذكير و ضرب مثل بالإضافة إلى التّقريع و التّنديد: أنّ السّامعين كانوا يعرفون ممّا وصل إليهم من أخبار، و وقعت عليه عيونهم من مشاهد أثناء رحلاتهم أنّ أهل البلاد الّتي كانوا يرحلون إليها ممّا هو في جزيرة العرب أو جوارها هلكوا و دمّرت بلادهم بعذاب ربّانيّ، و كانوا أقوى منهم و أشدّ، و من هنا يأتي التّنديد و التّذكير ملزمين مستحكمين موجّهين إلى القلب و العقل معاً. فهذه دعوة لهؤلاء المشركين خصوصاً و للنّاس عموماً في كلّ ظرف من الظّروف إلى التأمّل في مصآئر الغابرين، و هم ناس من النّاس، و خلق من خلق الله تكشف مصآئرهم الماضية عن مصائر خلفآئهم الآتية، فسنّة الله جلّ وعلا هي سنّة الله في الجميع، و سنّة الله حقّ ثابت يقوم عليه هذا الوجود بلا محاباة لجيل من النّاس، و لاهوى يتقلّب، فتقلّب معه العواقب حاشا لله ربّ العالمين!

ففي الآية الكريمة دعوة إلى إدراك حقيقة هذه الحياة و روابطها على مدار الزّمان، و حقيقة هذا الإنسان و مصيره في مدار الزّمان لكيلا ينعزل جيل من النّاس بنفسه و حياته و قيمه و تصوّراته، فيغفل عن الصّلة الوثيقة بين أجيال البشر جميعاً، و عن وحدة السّنّة الّتي تحكم على الإنسان في كلّ ظرف و مكان...

فالقرآن الكريم يدعو الإنسان أن يسير في أكناف الأرض و يتدبّر في حوادثها و ما وقع فيها و يتدبّر «عاقبة الّذين كانوا من قبلهم...» و أن يدرك أنّ سنّة الله واحدة و أنّها لا تحابي أحداً، و أن يوسع أفق فكره و تدبّره، فيدرك وحدة البشريّة، وحدة الدّعوة، وحدة الفطرة، و إن كانت الطبائع مختلفة، و وحدة العاقبة في أجيال البشرية كلّها هذا هو التّصوّر الّذي يحرص الإسلام على أن يطبع به قلب الإنسان و حياته.

١٠ـ (ثمّ كان عاقبة الّذين أساؤا السّوآى أن كذّبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزئون)

تأكيد لما سبق على سبيل الإخبار و الشّروع ببيان مآل أمرهم، و عاقبة كفرهم و نتيجة طغيانهم في الدّار الآخرة بعد بيان هلاكهم في الدّنيا للاعتبار و الإنذار.

قوله تعالى: «عاقبة الّذين» خبر كان، قدّم على الاسم لإفادة الحصر، و لإثارة حبّ الاستطلاع إليه بحجبه قليلاً ورآء الخبر، فإذا طلع على أهله لم يجدوا فيه إلاّ ما يسوء، و وضع الموصول موضع الضّمير للتسجيل عليهم بالإساءة و الإشعار بعلّة الحكم، والدلالة على أنّ الجزاء من جنس العمل. و المعنى: ثمّ كان عاقبتهم العقوبة السوآى.

و **قوله سبحانه:** «السوآى» مصدر وصف للعقوبة المقدّرة مبالغة كالبشرى و الذّكرى كأنّها نفس السّوء من باب زيد عدل. أى الفعلة أو الخصلة أو العقوبة السّوآى. و ذلك أنّ من أذنب ذنباً، و لم يقلع عنه استجرّه إلى معاودة مثله، و الانهماك فيه، وارتكاب ما هو أكبر منه حتّى استولى عليه الذّنوب و تأخذ بمجامع قلبه، فيستغرق في المعاصي و لا يبالي مستحسناً إيّاها، معتقداً أن لا لذّة سواها، مبغضاً لمن يمنعه عنها، مكذّباً لمن ينصحه فيها.

و يجوز أن تكون «السّوآى» تأنيث الأسوأ كالحسنى تأنيث الأحسن، و سمّيت «السوآى» لكونها تسوء صاحبها، و هي أسوأ العقوبات، و أفظعها يوم القيامة و هي جهنّم.

و **قوله عزّوجلّ:** «أن كذّبوا بآيات الله» بيان لما أساؤا، و تعليل لما أشير من تعذيبهم الدّنيوي و الاخروى. أي جوزوا به لأنّهم كذّبوا بآيات الله و لم يقفوا عند حدّ التكذيب بها بل اتّخذوها هزءاً و سخريّة، و مادّة للعبث و البذآءة، كان هذا جزاؤهم السّيىء.

و **قوله سبحانه:** «و كانوا بها يستهزؤن» عطف على «كذبوا...» داخل معه في علّة الحكم، و ايراد الاستهزاء بالمضارع للدّلالة على استمراره و تجدّده.

۱۱ـ(الله يبدؤا الخلق ثمّ يعيده ثمّ إليه ترجعون)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير المبدإ والمعاد والمنتهى إليه الإنسان، على طريق برهان خطابيّ بأنّ الله الّذي كان المشركون يعترفون بأنّه تعالى خلق الكون و الخلق بدءاً فهو قادر على إعادة خلقها ثانية، فبدء الخلق وعودهم بيد الله تعالى و رجوع الكلّ في النّهاية إليه للحساب و الجزآء ثواباً و عقاباً. و قد تكرّر هذا البرهان في المناسبات المماثلة في

مواضع من القرآن الكريم، و قدّم المعمول: «إليه» للتخصيص، و في الالتفات من الغيبة إلى خطاب المشركين لمكافحتهم بالوعيد و مواجهتهم بالتّهديد، و ايهام أنّ ذلك مخصوص بهم، فهو التفات للمبالغة في الوعيد و التّرهيب.

هذا! و لايبعد أن تكون الآية الكريمة ـ كما قيل ـ تعقيباً على ما دعت إليه الآيات السّابقة، من التّفكّر في النّفس أي في الذّات الإنسانيّة، و ما أودع الله الخالق العظيم في الإنسان من قوى و ملكات... ثمّ النّظر في خلق السّموات و الأرض و ما بينهما من أصناف المخلوقات... ثمّ السّير في أنحاء الأرض، و الوقوف على أطلال الأُمم الغابرة ليروا ما حلّ بالظّالمين من بأس الله و عذابه.

فهذا التّفكر و النّظر و التّدبّر في داخل النّفس و خارجها، من شأنه أن يفتح للإنسان طريقاً إلى الحقّ، و أن يدلّه على الله تعالى و ما له عزّوجلّ من قدرة لا يعجزها شئ، فكان قوله سبحانه: «الله يبدأ الخلق ثمّ يعيده ثمّ إليه ترجعون» هو الحكم الّذي يقضى به النّظر في هذا الوجود، و الّذي إن لم يستدلّ عليه الإنسان بنظره، ثمّ جاءه من يحدثه به، كان جديراً بأن يقبله، إذا كان على امتداد النّظر و في مواجهة الفكر... فإن أنكر الإنسان معطيات حواسّه و مدركات عقله، ثمّ كذّب ما يُحدّثه به أهل الصّدق والعلم، فلن يهتدي إلى حقّ أبداً، و لن يحصل، على خير قطّ، و لن يصير إلّا إلى أسوإ مصير.

فغاية الأكوان تنتهي إلى خالقها الّذي أوجدها في عالَم الخلق و التّقدير، و إنّما أتى بصيغة المضارع: «يبدؤا ـ يعيد ـ ترجعون» لما علمت أنّ وجود كلّ خلق مسبوق بعدم زمانيّ، ثمّ يعيدهم إلى عالَم القيامة عندالله تعالى ثمّ إليه ترجعون بفناء الكلّ. حيث إنّ مجيىء الإنسان إلى الدّنيا هو النّزول من عالَم الكمال إلى ظرف الكمال، و من عالَم الفطرة المحضة إلى عالم الطّبيعة، ثمّ الذّهاب من الدّنيا إلى ظرف بروز الكمال و عالَم الفطرة مع ما اكتسبه من عالَم الطّبيعة، من خير أو شرّ.

۱۲ـ(و يوم تقوم السّاعة يبلس المجرمون)

تقرير لما يكون وقت الرّجوع، أُعيد لتهويله و تفظيع ما يقع فيه، و فيه تهديد و إزعاج

لهؤلآء المشركين، و كلّ من يسلك مسالكهم في الشّرك و الطغيان، و الكفر و العصيان، و الإثم والعدوان، و في إنكار البعث و الحساب و الجزآء، و جحد آيات الله تعالى و تكذيب رسله عليهم السلام، و لم يتلقّوا دعوة الله تعالى بالقبول و الايمان... فكلّهم مشتركون في الجرم، و المجرمون هم الّذين يرضون بالحياة الدّنيا و يطمئنّون بزخارفها و شهواتها و هم غافلون عن الآخرة و حسابها و جزآئها، و هم سيلقون يوم القيامة هواناً و بلاءً، فيحيط بهم الهول و الفزع ممّا يرون عذاب الله تعالى و قهره و غضبه عليهم.

فيومئذٍ يبلسون أي يجمدون في مواقفهم، و تجمد حواسّهم ممّا يطلع عليهم من أهوال و مفزعات، فيسكتون بها متحيّرين آيسين، إذ لا حجّة لهم على ما كانوا من جرمهم و لا عذر لهم فيه. من أبلس الرّجل: إذا سكت لانقطاع حجّته، و لم يؤمل أن تكون له حجّة بعد. و المبلس: السّاكت المنقطع عن حجّته، اليأس من أن يهتدى إليها، فلا عذر له فيما ارتكب من الأجرام... فلذلك يبقى ساكتاً يائساً متحيّراً.

قوله تعالى: «يبلس المجرمون» وصف الجرم شامل لكلّ من العالِمين بظاهر الحياة الدّنيا، و الغافلين عن الآخرة، والكافرين بلقآء ربّهم، و من الظّالمين و المسيئين و المكذّبين بآيات الله و المستهزئين بها و هم الّذين سبق ذكرهم في الآيات السّابقة... و وضع الظّاهر موضع ضمير: (هم) للتّسجيل عليهم بهذا الوصف الشّنيع بأنّهم كلّهم جميعا يشتركون فيه، و للإشعار بعلّة الحكم.

في تلخيص البيان: للسّيّد الرّضيّ رضوان الله تعالى عليه قال ـ في قوله تعالى: «و يوم تقوم السّاعة يبلس المجرمون»: «و هذه استعارة، و المراد بقيام السّاعة حضور وقتها، و الأجل المضروب لها، و على هذا قولهم: قد قامت السّوق أي حضر وقتها الّذي يتحرّك فيه أصحابها، و يستمرّ بيعها و شراؤها، و على هذا المعنى سمّيت القيامة. و قد يجوز أيضاً أن تكون تسميتها بذلك لقيام النّاس فيها على إقدامهم. قال سبحانه: «يوم يقوم النّاس لربّ العالمين».

فأمّا قوله في هذه السّورة: «و من آياته أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره» فمعناه أنّها تتماسك بأمره في مناطاتها، و تقف على مستقرّاتها، و مثل ذلك قول القائل: إنّما يقوم أمر

فلان بكذا يريد أنّه إنّما يتماسك به، و ليس هناك في الحقيقة قيام يشار إليه. فأمّا قوله تعالى في هذه السّورة: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً» فالمراد به: اتّبع طرآئق الدّين قاصداً إلى سمته، غير منحرف عنه إلى غيره. و منه قول العرب: قد استقام المنسم: إذا سارت الابل في طريق واضح لاجوانح له و لا معادل فيه، و المعنى: قوّم وجهك على الدّين اللاحب، و منهج الحقّ الواضح.

و قوله تعالى في هذه الآية دليل على أن الدّين القيّم راجع في المعنى إلى ما ذكرناه. و المراد به أنّه مستقيم بغير اعوجاج، و منتصب بغير اضطراب. و قوله تعالى من بعد: «و أقيموا الصّلاة و لاتكونوا من المشركين» قريب في المعنى ممّا تقدّم لأنّ المراد بذلك لا يخلو من أحد الأمرين: إمّا أن يكون أراد تعالى بإقامة الصّلاة القيام لأوقاتها لأنّ القيام من أعظم أركان الصّلاة، و إمّا أن يكون أراد تأديتها على واجبها و إخلاصها من كلّ ما يعود بفسادها...

و ذلك كقولهم: أقام فلان قناة الدّين أي أظهر أمره، و والى قصره، و رمى الأعداء عنه، و رقم الأضداد دونه، و جميع هذه الألفاظ المذكورة نظائر، و هي بأجمعها استعارات لا حقآئق... و إنّما أوردناها في نسق واحد لاتّفاق ورودها في سورة واحدة، انتهى كلامه و رفع مقامه.

١٣ـ(و لم يكن لهم من شركآئهم شفعآؤا و كانوا بشركآئهم كافرين)

إشارة إلى وجه الإبلاس، و إدخال اليأس على المشركين من الشّفعآء و الشّركآء الّذين كانوا يشركونهم مع الله سبحانه بعد بيان يأسهم من ناحية أعمال أنفسهم، و ذلك أنّه لمّا كان السّاكت قد يغنيه غيره عن الكلام نفى ذلك، فلا يكون لهؤلآء المجرمين المشركين و الكافرين... من شفيع يشفع لهم و يجيرهم من أهوال القيامة و عذابها، و أنّ معبوداتهم الّتي كانوا يعبدونها من دون الله قد ضلّت عنهم، و قد كانوا من قبل على اعتقاد بأنّهم سيشفعون لهم عند الله تعالى.

و الايثار بالمضارع المنفيّ بحرف الجحد «لم» الّتي تقلبه ماضياً للتّحقّق، و صيغة الجمع

لوقوعها في مقابلة الجمع أي لم يكن لواحد منهم شفيعاً أصلاً.

و قوله سبحانه: «و كانوا بشركآئهم كافرين» بيان لحالهم مع الشّفعآء يوم القيامة، فيكفرون بإلهيّتهم و يجحدونها حيث يئسوا منهم و وقفوا على كنه أمرهم، و ايثار الماضي: «كانوا» للدّلالة على تحقّقه و استمراره لا محالة.

۱٤ـ(و يوم تقوم السّاعة يومئذ يتفرّقون)

بيان لتميز المشركين من الموحّدين، و الكافرين من المؤمنين، و المجرمين من المطيعين، والخبيثين من الطّيّبين يوم القيامة كما يدلّ عليه ما قبله من عموم الخلق، و ما بعده من التفضيل، و بيان للتّفرقة و انقطاع الصّلة بين المشركين و آلهتهم من جهة، و تقطّع جميع الأسباب بين المشركين أنفسهم من جهة اخرى، فلايلتفت المعبودون إلى عابديهم، و لا ينظر عابد في وجه عابد أو معبود، بعد ما كان بينهم ولآء، و هو ولآء التّابع للمتبوع كما كان بين بعضهم و بعض، اجتماع و ائتلاف على عبادة تلك المعبودات و الدّفاع عنها، و دفع كلّ يد أو لسان يمتدّ إليها بسوء كما تدلّ عليه الآيات السّابقة.

و بيان لتميز المشركين من الموحّدين من جهة، و التّفرقة بين المشركين و آلهتهم من جهة اخرى، و تقطّع الأسباب بين المشركين أنفسهم من جهة ثالثة كما يدلّ عليه ظاهر الإطلاق فهو لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدّم من مبدإهم و مرجعهم و إعادتهم لا المجرمون خاصّة.

و قوله تعالى: «يومئذٍ» توكيد لما قبله.

و في الآية الكريمة و الآيات الثلاث قبلها حمل المشركين و من إليهم على الإرعوآء والتّفكير قبل الحسرة و النّدم، و نهاية الحثّ على الاستعداد و التأهّب لذلك المقام.

۱٥ـ(فأمّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات فهم في روضة يحبرون)

تفصيل و بيان لأحوال ذينك الفريقين المتضادّين: فريق التّوحيد و الايمان، و فريق الشّرك و الإلحاد، فريق الحقّ و الهدى، و فريق الباطل و الضّلالة، فريق الخير و الصّلاح و

فريق الشّرّ و الفساد، فريق الطّاعة و الإخلاص، و فريق المعصية و النّفاق... و قدّم تعالى الفريق الاولى في الذّكر لتقدّم الفطرة الإنسانيّة الّتي هم آمنوا و عملوا بمقتضاها ذاتاً على الطبيعة الإنسانيّة الّتي غلبت على الفريق الثّانية الّذين كفروا و كذّبوا عَرَضاً.

و **قوله تعالى**: «في روضة» تنكيرها لإبهام أمرها و تفخيمه، و المراد بها الجنّة، و قد خصّ ذكر الرّوضة ـ ههنا ـ لأنّه لم يكن عند العرب شيئ أحسن منظراً، و لا أطيب ريحاً من الرّياض.

قال الأعشى:

ما روضة من رياض الحَزْن مُعْشِبَة	خضراء جاد عليها مُسْبَلٌ هَطِلُ
يُضاحِك الشّمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ	مُؤَزَّر بعميم النّبت مُكْتَهَلُ
يوماً بأطيب منها نشر رائحة	ولا بأحسن منها إذا دنا الأصل

و **قوله سبحانه**: «يحبرون» في ايثار المضارع ايذان بتجدّد السّرور و استمراره لهم، ففي كلّ ساعة يأتيهم ما يسرّون به من متجدّدات الملاذ و أنواعها المختلفة بغير انقطاع.

١٦ـ(و أمّا الّذين كفروا و كذّبوا بآياتنا و لقآء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون)

بيان لأحوال الكفّار و المكذّبين بآيات الله و لقآء الآخرة و كلّ من سلك مسالكهم بحسب طبيعتهم المضادّة لفطرتهم، و لم يقدّموا ليوم هذا شيئاً، فليس لهم في الآخرة اِلاّ النّار.

و **قوله تعالى**: «و لقآء الآخرة» في تصريح ذلك مع اندراجه في تكذيب الآيات للاعتنآء بشأنه و أمره، و يجوز أن يكون «بآياتنا» متعلّقاً به «كفروا» و «لقاء الآخرة» متعلّقاً بـ«كذّبوا» على نحو التّرتيب. فالمعنى: كفروا بآياتنا، و كذّبوا بلقآء الآخرة.

و **قوله سبحانه**: «فاولئك» إشارة إلى الموصول: «الّذين» باعتبار اتّصافه بما في حيّز الصّلة من الكفر و التكذيب بآيات الله تعالى و بلقآء الأخرة ايذاناً بكمال تميّزهم بذلك عن غيرهم، و انتظامهم في سلك المشاهدات... و معنى البُعد فيه مع قرب العهد بالمشار إليه

إشعار ببعد منزلتهم في الشّرّ، فاولئك الموصوفون بما ذكر من القبآئح الّتى تبعتها أن يُساقوا يوم القيامة إلى العذاب سوقاً، و يُدفعوا إلى أعظم البلاء دفعاً، إنّهم يودّون أن يفرّوا من هذا البلاء الّذي بين أيديهم، لكن هناك من يمسك بهم على هذا البلاء و يدفعهم إليه في قوّة قاهرة مذلّة لايملكون لها دفعاً، فلايغيبون عن هذه القوّة القاهرة، و لايخفّف عنهم هذا العذاب.

و قوله عزّوجلّ: «محضرون» تهديد و ترهيب و إرعاب شديد حيث إنّ لفظة الإحضار لاتستعمل إلاّ فيما يكرهه الإنسان، و منه حضور الوفاة. و الإحضار هو إجبار المرء على الحضور. و يقال: أحضر فلان مجلس السّلطان أو محكمة القضآء إذا جيىء به بما لايؤثره، و الإحضار: ايجاد ما به يكون الشّيْ حاضراً إمّا بايجاد عينه كإحضار المعنى فى النّفس و إمّا بايجاد غيره كايجاد ما به يكون الإنسان حاضراً.

إن تسئل: إنّ الله تعالى وصف الفريقين و بيّن مآل أمرهما: فريق الايمان و الكفر، و لم يصف المنا فقين و الفسقة، و المجرمين و الفجرة، و المفسدين و الظّلمة... و لامآل أمرهم، أفهم من زمرة المؤمنين أم من جنود الكافرين؟ أم هم كلّهم فريق ثالث ترك ذكرهم ههنا؟

تجيب عنه: أنّهم من جملة المجرمين سبق ذكرهم آنفاً، و هم داخلون في الكفر و الطّغيان، في الاثم و العدوان، و في البغي و العصيان... و لاثالث.

۱۷ـ (فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون)

مستأنفة بيانيّة تُبينُ و تفصح عمّا تقدّم من عظمة الله و قدرته، و علمه و حكمته و كمال تدبيره في خلقه ابتداءً، و قيام السّاعة انتهاءً. إخبار في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى و الثّناء عليه فهذا تسبيح من الله تعالى لذاته المقدّسة، إرشاداً لعباده إلى تسبيحه في الوقتين الدّالّين على كمال قدرته و عظيم سلطانه، وقت المساء و هو إقبال الليل بظلامه، و حين الصّباح و هو إسفار النّهار بضيآئه.

فالمعنى: فإذا تبيّن لكم ذلك فسبّحوا الله تعالى و عظّموه تنزيهاً عمّا لايليق بساحة قدسه، و عمّا لايجوز عليه من صفات نقص أو ينافي عظمته، سبّحوه وقت المسآء و حين

الصّباح. و في تخصيص التسبيح بالمسآء و الصّباح لظهور القدرة الكاملة، و العظمة الإلهيّة فيهما أظهر من غيرهما، حيث إنّ المسآء وقت ظهور الظّلمة، و إنّ الصّباح وقت بروز النّور، فيناسب تنزيهه عن النّقآئص، و يناسب التسبيح في الوقتين.

و قيل: لايبعد أن يكون تخصيص هذين الوقتين للتّسبيح إشارة إلى ما يجب عمله في تحصيل المعاش و جلب الرّزق، فإنّ الإسلام دين الجدّ و العمل، لادين الرّهبة و الكسل.

و ايثار المضارع على سبيل الإخبار دون الأمر للاستمرار، و لكون الإخبار في المورد هو أبلغ من الأمر بالإنشآء، و في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب للمؤمنين ايذان إلىٰ أنّه لاشأن لغيرهم من الكفّار و المشركين و الفجّار و المجرمين أن يخاطبوا ما داموا على الشّرك و الطغيان و الجرم و العصيان... و يؤمروا بالتسبيح مساءً و صباحاً.

و قيل: ليس في الخطاب التفات، بل هو تعميم للخطاب الّذي لرسول الله «ﷺ» منذ شرعت السّورة.

و المعنى: فإذاكان الأمر على هذه السّبيل فالله منزّه حينما دخلتم أنتم معاشر النّاس في مسآء و حين دخلتم في صباح. و نظير هذا التّعميم ما في قوله سابقاً: «و إليه ترجعون» و لاحقاً في قوله: «كذلك تخرجون».

و هذا قياس مع فارق، حيث إنّ الخطاب في «تمسون» و «تصبحون» خطاب تكليف و اختيار، و ليس الخطاب في «ترجعون» و «تخرجون» كذلك.

و لايخفى على أهل الأدب و البيان: أنّ «تمسون» و «تصبحون» من الأفعال النّاقصة، قد تجيىء للتّام، و معنى التّمام عند أكثر أهل البيان هو دلالتها على الحدث و الزّمان، و معنى النّقصان عندهم هو سلب الدّلالة على الحدث، و التجرّد للدّلالة على الزّمان، و معنى التمام عند أصحاب الأدب هو الاستغناء بالمرفوع عن المنصوب، و معنى النّقصان عندهم هو عدم الاستغناء بالمرفوع من المنصوب.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ لـ «أمسى و أصبح و أضحى» ثلاثة معانٍ: **ألف:** أن تقرن مضمون الجملة بالأوقات الخاصّة الّتي هي المسآء و الصّباح و الضّحى على طريقة «كان».
ب: أن تفيد معنى الدّخول في هذه الأوقات كأظهر و اعتمّ، و هي في هذا الوجه تكون تامّة

يسكت على مرفوعها. ج: أن تكون بمعنى صار كقولك: أصبح زيد غنيّاً، و أمسى فقيراً تريد أنّه صار كذلك مع قطع النّظر عن وقت مخصوص.

و في الآية الكريمة و تاليها تنزيه لله جلّ وعلا و تقرير لاستحقاقه الحمد و التّقدّس بذاته في كلّ وقت و في كلّ مكان: مساءً و صباحاً و عشيّاً و ظهراً في السّموات و في الأرض جميعاً. و هذا من باب صحّة التّقسيم و فنّ المقابلة، و هي أن يريد المتكلّم أقساماً، فأتى بكلام يجمعها، حيث إنّ الآيتين الكريمتين تشملان لجميع الأزمان النّهاريّة و الليليّة من أوّل النّهار و وسطه و آخره، و أوّل الليل و وسطه و آخره، و لجميع أقسام الأمكنة العلويّة و السّفليّة كلّها...

فالآيتان الكريمتان من أعجب الآيات القرآنيّة في صحّة التّقسيم و فنّ المقابلة.

١٨ـ(و له الحمد في السّموات والأرض و عشيّاً و حين تظهرون)

قوله تعالى: «له الحمد» قدّم الخبر على المبتداء لإفادة الاختصاص، و القصر فيه حقيقيّ.

و لايخفى على القارئ الخبير: ما بين المسآء و العشآء من الفرق، حيث إنّ المساء بدوّ الظّلام بعد المغيب، و العشآء آخر النّهار عند ميل الشّمس للمغيب، و هو مأخوذ من عشى العين و هو نقص النّور من النّاظر كنقص نور الشّمس. و لايبعد أن يكون تغيير السّياق في قوله تعالى: «وعشيّاً» لكون العشيّ لم يبن منه فعل من باب الإفعال، بخلاف المسآء و الصّباح و الظّهيرة، حيث بنى منها الإمسآء، و الإصباح و الإظهار بمعنى الدّخول في المسآء و الصّباح و الظهيرة.

قيل: تخصيص هذه الأوقات من بين سآئرها لما فيها من التّبدّل الظّاهر في أجزآء الزّمن و الانتقال من حال إلى اخرى على صورة واضحة كالانتقال من الضّيآء إلى الظّلام في المسآء، و من الظّلام إلى النّور في الصّباح، و من ضيآء تامّ وقت الظّهر إلى اضمحلال لذلك الضّيآء وقت العشى، و هكذا.

و في تخصيص ذكر الإنسان بهذه الأوقات مع دوام التسبيح و التّحميد من الملائكة في

قوله تعالى: «يسبّحون اللّيل و النّهار لايفترون» الأنبيآء: ٢٠) و قوله سبحانه: «وترى الملائكة حافّين من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم» الزّمر: ٧٥) لأنّ الإنسان لايمكنه في الحياة الدّنيا أن يصرف جميع أوقاته إلى التّسبيح لاحتياجه إلى النّوم و الاستراحة، واللبس و الرّكوب و الأكل و الشّرب و تحصيلها... فأشار تعالى إلى أوقات أمرهم أن يأتوه فيها، و هى أوّل النّهار و وسطه و آخره و أوّل اللّيل.

و قيل: تخصيص هذه الأوقات بالذّكر كناية عن استغراق زمان العبد، و هو أن يكون ذاكراً ربّه، واصفه بما يجب له على كلّ حال.

١٩ـ(يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون)

مستأنفة بيانيّة لتقرير بعض ما يدلّ على بديع صنع الله تعالى و كمال قدرته على المعاد الجسمانيّ، و فيها دعوة للنّاس في كلّ ظرف من الظّروف إلى القراءة الواعية و النّظر العميق في صحف الطّبيعة، و ما فيها من آيات الخلّاق العظيم... ففي كلّ نظرة يلقيها الإنسان على أيّ موقع من مواقع الحياة، يرى حياةً تخرج من موات، و مواتاً يخرج من حياة... الشّئ و ضدّه، يتبادلان موقفها... فالميّت يأخذ مكان الحيّ، والحيّ يحلّ مكان الميّت، حتّى لكأنّهما كائن واحد لافرق بينهما، في حالي الحياة و الموت، و هذا من عجيب قدرة الله تعالى، و بسط سلطانه على المخلوقات...

و قد وقع العكس بين الحيّ و الميّت بأن قدّم الحيّ و أخّر الميّت، ثمّ عكس، فقدّم الميّت و أخرّ الحيّ و هما متعلّقان بالفعلين في جملتين.

و قوله سبحانه: «و كذلك تخرجون» فيه إشارة إلى أنّ خروج الموتى من القبور يوم البعث، لايخرج عن أن يكون صورة من تلك الصّور الّتي تخرج فيها الحياة من عالم الموات... و أقرب مثل لهذا، الأرض الجرداء الجديب، ينزل عليها المآء، فتهتزّ وتربو، و تنبت من كلّ زوج بهيج... فهل تعجز قدرة الله أن تنفخ في هذا التّراب الهامد الّذي احتوى أجساد الآدميّن، فإذاهم بشر ينتشرون؟

والله عزّوجلّ: «والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثمّ يعيدكم فيها و يخرجكم إخراجاً» نوح: ۱۷ ـ ۱۸).

فلِمَ ينكر المنكرون البعث؟ و لِمَ يجادلون فيه؟ إنّه ليس عن إنكار لقدرة الله تعالى، فما ينكر عاقل على هذه القدرة أيّ شيء... و لكنّه هروب من المسئوليّة، و فرار من مواجهة الحساب يوم القيامة، و إخلاء النّفس من مشاعر الايمان بالحياة الآخرة، لتنطلق كما تشآء، لاهية عابثة لاغية، تنفق كلّ شيء في سبيل حظوظها الدّنيويّة و شهواتها، منطلقة العنان، لاتستبق للآخرة شيئاً، فتفدى كلّ شيء للاشيء... و هكذا يغرر المرء بنفسه، و يخدع عقله، و يستجيب لداعي هواه، فلايرى من حقآئق الامور إلاّ ما يتّفق و هواه...

۲۰ـ(و من آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون)

انّ الآية الكريمة و ما يليها من الآيات السّبع بيان لما يليق به الله جلّ وعلا أن يسبّح و يُحمد من آثار وحدانيّة الله تعالى في خالقيّته و ربوبيّته و اُلوهيّته، في جلاله و عظمته، و علمه و حكمته، و في تدبيره و قدرته على الإبداع و الإعادة يوم القيامة للحساب و الجزاء، و دعوة للنّاس كلّهم في كلّ ظرف من الظّروف إلى المبدإ و المعاد.

دعوة لهم أن يتفكّروا في تلك الأدلّة و الحجج الواضحة، و يتعقّلوا في أنفسهم و في نظام الكون و نواميس الوجود، حتّى يتبيّن لهم أنّه جلّ وعلا هو الحقّ، هو وحده الخالق العليم، هو الرّب الكريم، هو الرّازق الحكيم، هو وحده المدبّر الخبير، و هو وحده مصدر كلّ نعمة و رحمة يدركها و يقنع بها مَن حسنت نيّته و صفا قلبه، و تفكّر و تعقّل و رغب في تدبّر الأمور و معرفة الحقّ و إدراك الحقيقة، و إليه وحده ترجع الامور كلّها... فلابدّ من يوم لذلك.

و قد جآئت هذه الآيات باسلوب قويّ نافذ تتناوله أفهام النّاس كلّهم على اختلاف طبقاتهم و يتّسق مع الآثار المحسوسة المماثلة، و الواقعة تحت مشاهداتهم، و النّهايات الّتي انتهت بها كلّ آية مثل: «يتفكّرون» و «للعالمين» و «يسمعون» و «يعقلون» تدلّ على أنّها موجّهة إلى العقول و القلوب معاً، و بخاصّة إلى الطّبقة الّتي ترغب في الحقّ و إدراك الحقيقة،

و لاتصمم على العناد و اللجاجّ و الكفر و المكابرة، و البغي و الضّلالة، مع استهدافها الإهابة بالسّامعين المجرمين ليرجعوا إلى ضمآئرهم و أنفسهم ليتدبّروا ما فيها من حقّ وقوّة...

و إطلاق الكلام في تلك الآيات الكريمة يجعل توجيهها و هدفها لكلّ جيل في كلّ وقت و مكان، و يتضمّن فيما يتضمّنه حثّ النّاس في كلّ جيل في كلّ زمان و مكان على التفكّر في خلق الله تعالى و آلآئه، و التعقّل في نظام الكون و نواميس الوجود.

٢١ـ (و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّة و رحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون)

بيان دليل ثانٍ نفسيّ على المبدإ و المعاد، خطاب للنّاس كلّهم: رجالاً و نساءً، لا الرّجال وحدهم كما توهّم بعض المتفسّرين، فكما أنّ الله تعالى خلق للرّجال من جنسهم أزواجاً، خلق للنّسآء من جنسهنّ أزواجاً، فكان الوفاق و الائتلاف بين المتزاوجين من جنس واحدة، و هذا من شانه أن يؤلف بين الزّوجين، و أن يجمع بينهما على الأُنس و المودّة... فإنّ الكآئن الحيّ ينجذب بطبيعته إلى ما يشاكله من الأحيآء، فكلّ جنس يميل إليْ جنسه، و يجد الطّمأنينة و الأمن و السّكنية في جواره، انساناً كان أم حيواناً على أنواعه، أو النّبات على أصنافه و حتّى الجماد على أنحآئه...

و قوله تعالى: «لتسكنوا إليها» فيه إشارة إلى هذه النّعمة، و كشف عن وجه الحكمة فيها، و هي أنّه باجتماع الإنسان إلى الإنسان، و الذّكر إلى الأُنثى، تستريح النّفس، و تسكن المشاعر، و تطمئنّ القلوب، و أنّه لانعمة أجلّ و لاأعظم من نعمة تفيض على الإنسان الأمن و السّكينة.

و قوله عزّوجلّ: «و جعل بينكم مودّة و رحمة» أي بين الأزواج على تغليب الرّجال على النّسآء في الخطاب أو على حذف ظرف معطوف على الظّرف المذكور أي جعل بينكم و بينهنّ، أو بين أفراد الجنس أي بين الرّجال و النّسآء، ولكن إذا تحقّق الزّواج بالعقد لاعلى الإطلاق كما توهّم بعض المتفسّرين الضّالّين المضلّين...

و ذلك أنّ في قوله سبحانه: «جعل...» إشارة إلى أنّ المودّة و الرّحمة أمران يتولّدان من

الأُلفة و السّكن الحاصلين بالعقد، و أنّه لو لا العقد لما حصلت الأُلفة و السّكن، و لو لاهما لما قامت مودّة و رحمة، كما لاتوجد بين الزّاني و الزّانية أُلفة و لاسكن، و لاتقوم مودّة و رحمة... لهذا جآء النّظم القرآنيّ مفرقاً بين الأمرين، فجعل المشاكلة في الطّبيعة البشريّة، ذكوراً و إناثاً، خلقاً أي في أصل الخلقة، على حين جعل المودّة و الرّحمة حكماً من أحكام الشريعة و ثمرة من ثمراتها، فعبّر عنها بلفظ «جعل...».

و هذا إعجاز من إعجاز القرآن الكريم الّذي يتجلّى في روعة أُسلوبه، و جلال صدقه... إذ ليس كلّ لقآء بين طبيعتين متماثلتين يحدث الرّحمة و المودّة، و إن كان من شأنه أن يجمع و يقرب، فإنّ المودّة و الرّحمة ثمرة شريعة بالعقد بين الطبيعتين المتماثلتين...

و **قوله سبحانه:** «إنّ في ذلك...» في معنى البُعد مع قرب العهد بالمشار إليه إشعار بِبُعد منزلته.

و **قوله جلّ وعلا:** «لآيات» تنكيرها للتّفخيم أي لآيات عظيمة لايكتنه كنهها، كثيرة لايقادر قدرها.

و **قوله تعالى:** «لقوم يتفكّرون» إلتفات من الخطاب إلى الغيبة للتّعميم، ففيه دعوة للنّاس عامّة أن يتفكّروا في خلق الإنسان من تراب، ثمّ انتشار نوعه في الأرض، و في خلق الأزواج لماذا خلقت؟ و لأيّ شيْ خلقت؟ و مَن خلقها؟ و من أنعم بها؟ و مَن جعلها على الأحوال الّتي يعظم السّرور بها؟ و لِمَ لايقدر أحد من الخلآئق على ذلك؟ و ذلك من أعظم البراهين القاطعة، و الحجج السّاطعة، و الأدلّة الواضحة على أنّ لها خالقاً واحداً، مخالفاً لها، و موجداً عليماً قديراً مدبّراً يستحقّ التسبيح و التّحميد و لايستحقّها غيره.

و دعوة للزّوجين خاصّة أن يتفكّرا في الأُصول التكوينيّة الّتي تجذب المرء إلى جنسه و في الأُصول التّدوينيّة الّتي توجد بينهما المودّة و الرّحمة و الأُلفة و السّكن، و بها يمتاز الإنسان من الحيوان...

و انّ الآية الكريمة رآئعة المدى و التّلقين المستمرّ، فالله عزّوجلّ إنّما جعل لكلّ نفس زوجاً منها ليميل كلّ جنس إلى جنسه، و جعل العقد بين الزّوجين ليسهل سكن كلّ منهما لزوجه و توادّهما و تراحمهما فيما بينهما، فمن واجب الإنسان، و من باب أولى من واجب

المسلم، و خاصّة المؤمن ذكراً أم انثى أن ينظر إلى الرّابطة الزّوجيّة على هذا الاعتبار، و أن يبذل جهده في عدم الحيدان عنه، و في هذا إلى ذلك ما فيه من إعارة القرآن عناية كبرى لهذه الرّابطة.

٢٢-(و من آياته خلق السّموات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين)

في الآية الكريمة إشارة إلى الآيات الآفاقيّة و الأنفسيّة معاً، ممّا يشاهد من الأكوان و العوالم السّماويّة و ما فيها، و الأقطار الأرضيّة، و من اختلاف الألوان البشريّة و لغاتهم الّتي لاحصر لها مع كونهم من أب واحدو أمّ واحدة.

و قد نظم اختلاف الألسنة و الألوان في سلك الآيات الآفاقيّة من خلق السّموات و الأرض مع كونه من الآيات الأنفسيّة الحقيقة بالانتظام في سلك ما سبق من خلق أنفسهم و أزواجهم ايذاناً باستقلاله، و الاحتراز عن توهّم كونه من متمّمات خلقهم... مع ما في الجمع بين خلق السّموات و الأرض، و اختلاف الألسنة و الألوان إشارة إلى هذه الظّاهرة الّتي لايكاد يلتفت إليها النّاس من اختلاف ألسنتهم و ألوانهم... إنّها - و هي الّتي لايكاد يلتفت إليها أحد - لاتقلّ عن خلق السّموات و الأرض و ما فيها من أجرام و عوالم في الدّلالة على وحدانيّة الخالق و ربوبيّته، على جلاله و عظمته، على علمه و حكمته، و على تدبيره و قدرته...

إنّ الله سبحانه قد خالف بين الألوان و الألسنة حتّى ما تكاد تسمع منطقين متّفقين في جرس واحد، و لاجهارة واحدة، و حتّى ما تكاد ترى صورتين متشابهتين تمام التشابه في الألوان و السّمات و القسمات لحصول التّعارف، و إلاّ فلو كانت على مسلاخ واحد و بلون واحد، و تقاسيم و تقاطيع واحدة لحصل الخلل و الالتباس، و لانعدم التميز بينهما جميعاً حتّى أنّ التوأمين مع توافق موادّهما و أسبابهما و الامور الملاقية لهما في التّخليق يختلفان في شئ من ذلك لامحالة مهما يتقاربا في وجوه الشّبه.

فكلّ إنسان من النّاس هو عالَم قائم بذاته في ظاهره و باطنه، جميعاً، فإنّ في كلّ إنسان

آية متفرّدة من آيات الخلق، و قدرة الخالق... فعلى حين يبدو النّاس، و كأنّهم ثمار شجرة واحدة، إذاهم ثمار مختلفة الطّعوم و الألوان و الأشكال... كلّ ثمرة لها طعمها و لونها و ريحها...

إنّ العين لتأخذ النّاس جميعاً، و كأنّهم كائن واحد، فاذا أعاد النّظر إليهم، فرداً فرداً، كان كلّ واحد كآئناً قآئماً بذاته، بماله من سِمات و مميّزات و خصآئص... فلكلّ إنسان نبرات صوته، و مخارج كلماته و طبقات أنغامه، و أنحاء ألحانه... الّتي تميزه من غيره، فلا تختلط نبرة بنبرة، و لا يشتبه مخرج بمخرج، و لا تتماثل طبقة مع طبقة، ولا لحن بلحن... و إن بدا في ظاهر الأمر أنّ هناك تماثلاً و تشابهاً، بين صوت و صوت، و نغم و نغم، و لحن و لحن...

و لكنّ الحقيقة غير هذا حيث توجد فروق دقيقة و خطوط هندسيّة في غاية الدّقّة، تفصل بين صوت و صوت، و تحجز بين نغم و نغم، و تبين بين لحن و لحن... و كذلك الشّأن في الألوان و الأشكال و الصّور... إنّ يدالقدرة القادرة المحكمة قد أقامت كلاًّ منها في موضعه، و جعلت بينها حاجزاً، فلايبغى بعضها على بعض.. تماماً كما حجزت بين البحرين:

هذا في ظاهر الإنسان، أمّا ما في باطنه، فالأمر أعجب و أغرب، فمنازع التّفكير، و مناحي العواطف، و مسارب المشاعر، و خلجات الضّمآئر، و وساوس الأهوآء - إنّها أمواج متدافعة على صدر محيط لاحدود له، و مع هذه فلا تختلط موجة بموجة، و لا يضيع تيار في عباب تيار...

و **قوله عزّوجلّ**: «إنّ في ذلك لآيات للعالمين» تخصيص بالعلمآء لأنّهم المنتفعون بهادون غيرهم، فكأنّها خلقت لهم دون غيرهم، و ذلك أنّ الباحثين عن العالم الكبير و هو السّموات كلّها و الأرض جميعها، و عن العالَم الصّغير و هو الإنسان وحده يعثرون على آيات دقيقة دالّة على أنّ الصّنع و الايجاد مع النّظام الجاري فيه لايقوم إلاّ بالله تعالى و لاينتهى إلاّ إليه.

و لايخفى على الباحثين الخبرآء: أنّ السّموات و الأرض و ما بينهما كلّه عالَم كبير، و أنّ

الإنسان وحده عالَم صغير، و لكنّه مع صغره أكبر من العالَم الكبير، و العالم الكبير مع كبره هو أصغر من العالَم الصّغير لما في العالَم الصّغير جميع ما في العالَم الكبير، مضافاً إلى ما في العالَم الصغير ما ليس في العالَم الكبير و إلى ذلك أشار مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾:

أتزعم أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالَم الأكبر

و في قوله سبحانه: «إنّ ذلك لآيات للعالمين» إشارة إلى أنّ عين العلم هنا هي الّتي تكشف هذه الأسرار، و تطّلع على تلك الآيات، فمن لم يطّلع عليها فهو ليس بعالم، و إن عرف الاصطلاحات العلميّة ما عرف.

٢٣ـ(و من آياته منامكم باللّيل و النّهار و ابتغاؤكم من فضله إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون)

دليل آخر نفسيّ مقترن للدّليل الآخر الآفاقيّ على وحدانيّة الخالق و ربوبيّته، و جلاله و عظمته، و علمه و حكمته، و تدبيره و قدرته على البعث و الإعادة.

و قال بعض أهل البيان: لفّ و ضمّ بين الزّمانين و الفعلين بعاطفين إشعاراً بأنّ كلّاً من اللّيل و النّهار و إن اختصّ بأحدهما ولكنّه صالح للآخر عند الحاجة كما يؤيّده سائر الآيات الكريمة الواردة فيه كقوله تعالى: «و جعلنا الليل لباساً و جعلنا النّهار معاشاً» النّبأ: ١٠ ـ ١١). فالتقدير: منامكم بالليل، و ابتغاؤكم فضل الله و رزقه في النّهار. و ذلك أنّ الله عزّوجلّ قدّر الليل لينام النّاس و يسكنوا و يستريحوا، و قدّرالنّهار ليكدّوا فى سبيل الرّزق و ابتغاء فضل الله و قضاء مصالحهم و حاجاتهم المختلفة. و في تقديم المنام على الابتغاء إشعار بأنّ الاستراحة مطلوبة لذاتها، و أمّا الطّلب فلا يكون إلاّ لحاجة. و قد فصّل بين القرينتين الاوليين بالقرينتين الأُخريين لأنّهما زمانان، و الزّمان و الواقع فيه كشئ واحد مع إعانة اللفّ على الاتّحاد يعني كأنّه لم يعطف النّهار على الليل، و لا الابتغاء على النّوم. و يجوز أن يعطف «ابتغاؤكم» على «منامكم» بتكرار اللّيل و النّهار أي منامكم و ابتغاؤكم من فضله باللّيل و النّهار لأنّ الإنسان كثيراً ما يطلب الرّزق في اللّيل و ينام في النّهار، و بالعكس. فتقديره: منامكم ليلاً و نهاراً لأنّ الإنسان قد ينام في النّهار لاستراحة

القوى النّفسانيّة، و تقوى القوى الطّبيعيّة، و ابتغاؤكم من فضله تعالى أيضاً ليلاً و نهاراً لأنّ الإنسان قديسعى لرزقه في اللّيل.

و في اقتران الفضل بالابتغاء إشارة إلى أنّ العبد ينبغي أن لايرى الرّزق من نفسه و بحذقه، بل يرى كلّ ذلك من فضله تعالى الواسع من غير استحقاق العبدله.

و قال بعضهم: إنّ توسيط اللّيل و النّهار ـ و إن كان في نيّة التّأخير ـ للاهتمام بشأنهما لأنّهما من الآيات في الحقيقة لاالمنام و الابتغآء مع تضمّن توسيطهما مجاورة كلّ لما وقع فيه.

و في تقديم النّوم على اليقظة الّتي يدلّ عليها قوله سبحانه: «و ابتغاؤكم من فضله» إلفات إلى نعمة النّوم الّتي قلّ أن يلتفت إليها أكثر النّاس، حيث إنّ في النّوم عزلاً للإنسان عن الحياة، و قطعاً للصّلة بينه و بين ذاته حتّى لكأنّه قد فقد وجوده، و من هنا كانت نظرة أكثرهم إلى النّوم على أنّه عارض دخيل على الإنسان، أشبه بالآفات الّتي تعرض للجسد... و هذا فهم خاطىء لهذه النّعمة العظيمة الّتي تفيضها يد الرّحمة الإلهيّة على الإنسان!

و ندع النّظر إلى النّوم ـ كظاهرة جسديّة ـ و إلى وظيفته العضويّة في كيان الجسد الإنسانيّ، و ننظر إلى ما يقع للإنسان في رحلة النّوم، و ما يصادفه على طريقه من رؤىً و أحلام، حيث تنطلق قوى الإنسان الخفيّة، و تسبح في عوالمها، و تحقّق قليلاً أو كثيراً من مطالبها الّتي أمسكتها عنها يقظة الجسد و قيدتها دونها جوارحه... ففي رحلة النّوم، و فيما بين اليقظة و النّوم يَسْبَح الإنسان بعقله و روحه فيما ورآء هذا العالم المادّي... حيث لاقيود و لاسدود... و حيث يحقّق الإنسان في هذا العالَم ما عجز عن تحقيقه في عالمه المادّي، فيجد في هذا ما يجد الجوعان بعد الشّبع و الظمآن بعد الرّيّ.

فكم من محروم، طعم في نومه من كلّ طيّب كانت تشتهيه نفسه، و تقصر عنه يده؟ و كم من مظلوم اكتوى بنار الظّلم من يد ظالمه، ثمّ جآء إليه في عالَم الأحلام، صاغراً ذليلاً، فكال له الصّاع صاعين، و شفى ما بنفسه من قسوة الظّلم و مرارته؟ و كم من محبّ باعد الزّمن بينه و بين حبيبه و انقطع بينهما حبل اللقآء بغربة في عالَم الأحيآء أو عالم الموتى... و إذاهما في الكَرَى على لقآء يتساقيان كئوس الحبّ مترعة، و يرتشفان راحة المودّة صافية؟

و كم من عالم وقف به علمه أمام معضلة لم يجد لها حلاً حتّى دبّ اليأس في صدره، و غربت شمس الرّجآء من اُفقه، و إذا هواتف الرّؤيا تناديه و تبوح إليه في نومه بما ضنّت به عليه في يقظته... و إذا الحقيقة بين يديه سافرة، و المعضلة بديهة!! و كم؟ و كم؟ و كم؟ ويستطيع الإنسان في عالَم النّوم أن يجني من الثّمرات العقليّة و الرّوحيّة و النّفسية مالا يحصل في يقظته بمدركاته و حواسّه... و ذلك أنّ النّوم إذا قطع صلة الإنسان بعالَم الحسّ وصله بعالم الرّوح... و كما يأخذ جسده حظّه من طعام و شراب من عالمه المادّى، فإنّ روحه و نفسه و عقله يتزوّد في رحلة النّوم من عالَم الرّوح بكلّ ما يستطيع الوصول إليه منه.

فالنّوم ليس إلّا حبساً للجسد، و إطلاقاً للرّوح... و هو بهذا إنّما يُعطِي الجانب الرّوحي من الإنسان حظّه من التحرّر و الانطلاق من كثافة المادّة و ضغوطها و ظلامها... و إلّا فإنّه لو ظلّت الرّوح حبيسة في كيان الجسد تقوم على حراستها في داخل هذا السّجن المظلم ـ الحواسّ و المدركات ـ لاحتنقت، و انطفأ نورها و مات شعاعها...

و ماذا يبق للإنسان أو من الإنسان إذا عطبت روحه، و انطفأ هذا المصباح الإلهي المشتعل في كيانه؟ إنّه لا إنسان بغير روح، و إنّه لا وجود لإنسانية، فقد روحها، و إن لم تفقد حياتها... و من هنا يُفهم قول رسول «ﷺ»: «النّاس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»

فالّذين يستخفّون بالنّوم و يعدونه ضرورة من الضّرورات الثّقيلة المفروضة على الطبيعة البشريّة، و يحسبونه دآء من تلك الأدوآء الّتي تلحق الإنسان و تطغى على وجوده كالطّفولة و الشّيخوخة ـ هؤلآء مخطئون أشدّ الخطأ إمّا لجهلهم الّذي يقصر بهم عن إدراك ما لا تلمسه أيديهم و تذوق أفواههم، و إمّا لأنّهم مادّيّون لا يرون إلّا المادّة، و لا يتعاملون إلّا بها، و لا يجدون في الإنسان إلّا أنّه حيوان، مغلف بهذا الغلاف المادّي من العظم و اللحم.

و إذا كان النّوم نعمة جليلة فإنّ الله تعالى قد جعل الليل الّذي هو الظّرف الطّبيعيّ للنّوم ـ نعمة جليلة أيضاً ـ كما قال عزّوجلّ: «قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النّهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون» القصص: ٧٢).

فالليل ستار يغشى الكائنات الحيّة، و منها الإنسان، فيُسلِمها ذلك إلى السّكن، ثمّ

النّوم! إنّ للّيل سلطاناً قاهراً كسلطان النّهار على الأحيآء... هذا للنّوم و ذاك لليقظة، ذلك للموت و هذا للبعث: «و هو الّذي يتوفّاكم بالليل و يعلم ماجرحتم بالنّهار ثمّ يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمّى ثمّ إليه مرجعكم» الأنعام: ٦٠).

و ذلك أنّ الإنسان إذا نام ورآى في منامه رياضاً و أشجاراً و مناظر مبتهجة، و قصوراً مشيّدة و أشخاصاً كريمة أو أشيآء مكروهة موهشة سودآء مظلمة و هو في منامه يمكن أن يبق في تلك الحالات ساعة أو أكثر، فماذا ينكر أنّ هذا الوجود الّذي ينبأله في منامه كلّ ما أُدرك يبق متجسّداً على تلك الهيئة، فحينئذٍ يتحقّق في الجنّة و نعيمها، و يكون ذلك وجوداً مكوّناً له، فالقادر على التّكوين في زمان يسير قادر على التكوين في زمان كثير.

و **قوله تعالى:** «إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون» استدعاء السّمع هنا دون حواس الإنسان و ملكاته الاخرى ايذان إلى أنّ السّمع الّذي يحقّق إدراكاً و يعطي فهماً، ثمّ يعطى لهذا الفهم و ذلك الإدراك ثمرة، هو السّمع الّذي يخلى له الإنسان حواسّه كلّها، و يعطيه وجوده كلّه على ما يكون عليه الإنسان في اللّيل، و قد اشتمل عليه، و أمسك كلّ حواسّه، فلم يبق الإنسان إلّاسمعه المرهف الموجّه إلى العالم الخارجيّ و ما يجيء منه... و ذلك ما يكون عليه الإنسان، حين يقع تحت حكم الآية الكريمة: «و من آياته منامكم بالليل و النّهار و ابتغاؤكم من فضله» فيحتويه اللّيل و يبسط عليه سلطانه.

٢٤ـ(و من آياته يريكم البرق خوفاً و طمعاً و ينزّل من السّمآء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

دليل آخر آفاقيّ على التّوحيد و البعث، و في ايثار المضارع إشعار على استمرار ذلك، فإنّ الله عزّوجلّ هو الّذى يرسل البرق فيخيف به النّاس من جهة، و يؤملهم برحمته من جهة اخرى حيث ينزل المآء على أثره من السّمآء فيحيي به الأرض بعد جفافها، و موتها.

و ذلك أنّ رؤية البرق إشارة دالّة على الرّحمة المرسلة من عند الله تعالى وحده على يدهذا السّحاب الّذي ينطلق البرق من خلاله، فإذا لمع البرق توقع النّاس الغيث، و اختلفت توقّعاتهم له بين يأس و رجآء، و خوف و طمع...

و ذلك أنّ البرق و إن كان رسولاً من رسل الغيث إلاّ أنّه قد يجيء بالغيث، و قد لايجييء فهناك برق يسمّى برق الخُلَّب، و هو الّذى يبرق و لا يصحبه مطر، و من هنا كان قوله سبحانه: «خوفاً و طمعاً» إشارة إلى أنّ لمعان البرق و إن طلع على النّاس بما يبشّر بالغيث، فإنّه يضع المشاعر المترقّبة للمطر المتلهّفة عليه في موضع متأزم بين الخوف والرّجآء...

بل إنّ الخوف ليغلب على الرّجآء، و خاصّة إذا كانت الحاجة إلى المطر شديدة، و الطّلب له ملحاً، و هذا هو بعض السّرّ في تقديم الخوف على الطّمع... إذ كانت الآية الكريمة متّجهة أوّلاً إلى من يقيمون حياتهم على مآء المطر كسكّان الصّحارى و نحوها... فهؤلآء إذا تأخّر نزول المطر أيّاماً و أمسكت السّمآء رحمتها قليلاً عنهم، فزعوا و اضطربوا، و تعلّقت أنظارهم بالسّمآء يرقبون السّحب، و يرصدون مسيرتها، فإذا لمع البرق، بدالهم منه الوجه الضّاحك المبشّر بالخير، ففرحوا و استبشروا...

و لكن سَرْعان ما يطلع عليهم شعور أسود كالح، يقطع عليهم هذه الفرحة كأنّه يقول لهم: و ما يدريكم أنّ وراء هذا البرق مطراً؟ ألا يجوز أن يكون برقاً خُلَّباً، و هنا يأخذ الخوف مكان الصّدارة على مشاعرهم شأن الحريص على الشّيئ المتلهّف إليه، يغلب عليه الخوف على فقده أكثر من الطّمأنينة إلى بقآئه.

و **قوله تعالى**: «إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون» فإنّهم ينظرون في الآفاق نظرة تأمّل و اعتبار في بدائع الأكوان ليتوصّلوا إلى معرفة مدبّرها و خالقها الّذى أحسن كلّ شي خلقه ثمّ هدى و إلى معرفة مآل أمرها و أمرهم، فكأنّ غيرهم كالأنعام لاعقل لهم بل هم أضلّ سبيلاً إذا لايعرفون المبدأ و لا المعاد.

و ذلك أنّ الآيات جمع الآية و هى العلامة الظّاهرة و حقيقتها أنّ كلّ شئ ظاهر هو ملازم لشئ لايظهر مظهره فتى أدرك مُدرك الظّاهر منها بالتعقّل علم أنّه أدرك الآخر الّذي لايدركه بذاته إذكان حكمها سوآء، و ذلك ظاهر في المحسوسات و المعقولات، فمن علم ملازمة العلم للطريق المنهج عقلاً ثمّ وجد العلم علم أنّه وجد الطّريق، و كذا إذا علم شيئاً مصنوعاً علم أنّه لابدّ له من صانع.

و اشتقاق الآية إمّا من أيّ، و هي الّتي تبين أيّاً من أيّ أو من قولهم: آوى إليه أي يرجع إليها لمعرفة ذي العلامة.

۲۵ـ(و من آياته أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره ثمّ إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون)

دليل آخر من الأدلّة الآفاقيّة على التّوحيد و البعث بأنّ نظام الكون و نواميسه في السّموات و الأرض تقوم بأمره جلّ وعلا على أتمّ وجه، و أحكمه حتّى إذا حان الوقت الّذي في علمه تعالى دعى النّاس إليه فلبّوا الدّعوة، و خرجوا من باطن الأرض بلا تلبّث، فقيامهما بأمره سبحانه هو حفظ نظامهما و الإمساك بهما على هذا النّظام الّذى أوجدهما الله تعالى، و ثبوتهما على حالهما من حركة و سكون و تغيّر و ثبات بأمره عزّوجلّ.

و ذلك أنّ القيام ـ في الأصل ـ: مقابل القعود، و لمّا كان أعدل حالات الإنسان حيث يقوى به على عامّة أعماله استعير لثبوت الشّيئ و استقراره على أعدل حالاته كما يستعار لتدبير الأمر في قوله تعالى: «أفمن هو قائم على كلّ نفس بما كسبت» الرّعد: ۳۳).

و **قوله عزّوجلّ**: «أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره» بلا دعامة تدعمها، و لا علاقة علّق بها، و في التّعبير بالأمر مبالغة في كمال القدرة و الغنى عن الآلة من عمد يراها الإنسان، إنّ الله تعالى يمسك السّموات و الأرض أن تزولا حالاً بعد حال على نظام خاصّ، و هى أعظم دلالة و أوضح برهان على أنّه لايقدر على ذلك سوى الخالق الواحد القادر الحكيم، و لو اجتمعت الجنّ و الإنس على إمساك تبنة في الهواء أو إثبات ترية على المآء لعجزوا.

بنى السّمآء فسواها بلا عمد و لم تمد باطناب و لاعمد

و **قوله تعالى**: «ثمّ إذا دعاكم دعوة من الأرض» كلام مسوق للإخبار بوقوع البعث و وجوده بانقطاع الآجال و نفادها، و انقضآء الأحوال و تمامها...

إن تسئل: كيف صحّ توجيه الدّعوة إليهم بالخروج و هم موتى؟

تجيب عنه: إنّ الله تعالى يأمر إسرافيل بالنّفخ في الصّور، فتخرج الخلآئق من

قبورهم، فالنفخة هي الدّعآء لأنّ إسرافيل يقول في نفخته: أجيبوا داعى الله جلّ وعلا فيدعوهم بأمره تعالى فيخرجون من القبور بغتة. و في الجملة إشارة إلى أنّ أمرالله تعالى و سلطانه الّذى تقوم به السّموات و الأرض أن تُدعَوْا من القبور بعد موتكم دعوة واحدة، فإذا أنتم قيام تنظرون... و هذا يعني أنّ البعث بعد الموت، نظام قآئم في هذا الوجود أشبه بنظام دوران الكواكب في أفلاكها، و الليل و النّهار في فلكها: «لا الشّمس ينبغي لها أن تدرك القمر و لا الليل سابق النّهار و كلّ في فلك يسبحون» يس: ٤٠).

و قوله عزّوجلّ: «ثمّ إذا أنتم تخرجون» فيه تشبيه سرعة ترتّب حصول الخروج لدى الأمر بالخروج بغير توقّف و لاتلبّث كما يجيب المدعوّداعيه المطاع، و تقول: دعوت زيداً من أعلى الجبل فنزل عَلَيَّ، و دعوت من أسفل الجبل فطلع إليّ.

و قال بعضهم: إنّ في الكلام استعارة تمثيليّة أو تخييليّة و مكنيّة بتشبيه الموتى بقوم يريدون الذّهاب إلى محلّ ملك عظيم، متهيّئين لذلك، و إثبات الدّعوة لهم قرينتها أو هي تصريحيّة تبعيّة في قوله سبحانه: «دعاكم...».

و في العطف بـ«ثمّ» إشارة إلى أنّ هذه الدعوة الّتي يُدعىٰ بها الموتى لم يجيء وقتها بعد، و أنّها أمر مستقبل لايعلم أحد متى يكون إلاّ الله تعالى، و إن كان من المعلوم أنّها لاتقع إلاّ بعد أن يموت النّاس كلّهم، و انقضت آجال الحياة الدّنيا.

و في تصدير الجملة الخبريّة: «إذا أنتم تخرجون» بأداة المفاجأة: «إذا» إشارة إلى أنّ البعث من القبور سَيَعقَب الدّعوة مباشرة، بلامَهَل... كما قال الله عزّوجلّ: «و نفخ في الصّور فإذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون» يس: ٥١) و الفُجاءة إنّما تقع على اولئك الّذين لايرجون بعثاً، و لايؤمنون بالدّار الآخرة، و لذا فهم إذا بُعِثوا أخذهم الدّهش و العجب، و قالوا ما حكاه القرآن الكريم عنهم: «ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا» يس: ٥٢).

٢٦ـ(و له من في السّموات و الأرض كلّ له قانتون)

تقرير لمملوكيّة الأكوان كلّها و خضوعها لأمر الله تعالى، و استجابتها لدعوته، و أنّ الموتى إذادُعوا من قبورهم لايملكون إلاّأن يستجيبوا لما دعاهم إليه تعالى، فهم محشورون

إليه، و ذلك أنّ وجودهم حدوثاً و بقاءاً قائم بخالقهم وحده قيام فقر و حاجة، فلا استقلال و لااستغنآء لهم عنه بوجه من الوجوه، و هذا هو الملك الحقيقيّ الّذى أثره جواز تصرّف المالك في ملكه كيف يشآء، فله سبحانه أن يتصرّف في مملوكيه بنقلهم من عالَم كسب الكمال إلى عالَم بروز الكمال، كما نقلهم من العدم إلى عالم الوجود للكمال.

و في التّعبير عمّا في السّموات و الأرض من مخلوقات بلفظ «من» و كذلك لفظة «قانتون» الّتي للعقلآء إشارة إلى أنّ هذه الموجودات محكومة بنظام، مسيّرة بحكمة و علم للكمال نفسيّاً أو تسبيباً، حتّى لكأنّ في كلّ كائن منها عقلاً مدبّراً و موجّهاً، فهي بهذا الاعتبار عاقلة مدركة، و لايبعد أن يكون الاستغراق حقيقيّاً.

٢٧ـ(و هو الّذى يبدؤا الخلق ثمّ يعيده و هو أهون عليه و له المثل الأعلى في السّموات و الأرض و هو العزيز الحكيم)

تقرير دليل آخر بديع على إثبات قدرة المبدإ على المعاد لشدّة إنكارهم للمعاد، حيث إنّ بدء الشيئ: إنشآؤه ابتداء من غير مثال سابق، و إعادته: إنشاؤه بعد إنشآء، فإعادة الخلق بعد إبدآئهم أسهل على الله تعالى من البدء بالنّظر لما يفعله البشر ممّا يقدرون عليه، فإنّ إعادة شيئ من مادّته الاولى أهون عليهم من ايجاده ابتداءً.

و المراد بذلك هو التّقريب لأفهام الجهلة المنكرين للبعث و الحساب و الجزآء، و إلاّ فكلّ الممكنات بالنّظر إلى قدرة الله جلّ وعلا سواء، فإعادة الخلق هو أهون عليه سبحانه من بدئه بالإضافة إلى أعمالكم و بالقياس إلى أقداركم... و إلاّ فالبدء و الإعادة عنده تعالى سواء في السّهولة، و هيّن محض، غير مخلوط بصعوبة و لامشقّة بخلاف ما عند النّاس!

و لايلزم منه أن يكون في الإنشآء صعوبة أو مشقّة على سبحانه لأنّ الصّعوبة و المشقّة في الفعل تتبع قدرة الفاعل بالتعاكس، فكلّما قلّت القدرة كثرت الصّعوبة، و العكس بالعكس، حتّى إذا كانت القدرة غير متناهية انعدمت الصّعوبة و المَشَقّة من رأس، و من البداهة أنّ قدرة الله عزّوجل غير متناهية، فلايشقّ عليه فعل أصلاً و هو المستفاد من

قوله تعالى: «يخلق الله ما يشآء إنّ الله على كلّ شيءٍ قدير» النّور: ٤٥) فإنّ القدرة إذا جاز تعلّقها بكلّ شيءٍ لم تكن إلّا غير متناهية.

و لايخفى على أصحاب البيان: أنّ في الآية الكريمة فنّين من الفنون:

ألف: فنّ الإستخدام، و هو فنّ دقيق، رفيع عميق، غامض المسلك في باب البلاغة. وفي تعريفه قولان عند أهلها:

١ـ أن يأتي المتكلّم بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكاً أصليّاً، متوسّطة بين قرينتين، أو متقدّمة عليهما أو متأخّرة عنهما، يستخدم كلّ قرينة منهما في معنى من معنيي تلك الكلمة المشتركة، سوآء كان الإستخدام بضمير كقوله تعالى: «و هو الّذي يبدؤا الخلق ثمّ يعيده...» حيث إنّ الخلق في الأصل مصدر، و لكنّه أعاده الضّمير في «يعيده» عليه بمعنى المخلوق، فهو استخدام، أم كان الاستخدام بغير ضمير كقوله عزّوجلّ: «لكلّ أجل كتاب يمحوا الله ما يشآء و يثبت» الرّعد: ٣٨ ـ ٣٩).

فإنّ لفظة «كتاب» تحتمل الأجل المحتوم، و الكتاب المكتوب، و قد توسّطت بين لفظي «أجل» و «يمحو» اذ استخدمت أحد مفهوميها و هو الأجل بقرينة ذكر الأجل، و استخدمت المفهوم الآخر، و هو المكتوب بقرينة «يمحو».

٢ـ إنّه إطلاق لفظ مشترك بين معنيين مطلقاً، فيريد بذلك اللفظ أحد المعنيين ثمّ يعيد عليه ضميراً يريد به المعنى الآخر أو يعيد عليه ضميرين، يريد بأحدهما أحد المعنيين، و بالآخر المعنى الآخر بعد استعماله في معناه الثّالث، كالآية الكريمة إذ أعاد الضّمير و هو قوله تعالى: «و هو أهون عليه» على الخلق بمفهومه الآخر و هو المخلوق لابمفهومه الأوّل و هو المصدر.

ب: فنّ المذهب الكلامي، و هو احتجاج المتكلّم على ما يريد إثباته بحجّة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام، و منه نوع منطقيّ، تستنتج فيه النّتائج الصّحيحة من المقدّمات الصّادقة.

و قال بعض أصحاب الكلام: هو إخراج الكلام مخرج الشّكّ للمبالغة في العدل و المظاهرة في الاحتجاج على الخصم.

و هو من ظريف البديع، أن يسترسل الشّاعر في تغزّله، و الخطيب في تفكّهه، فيستطرف في اسلوب بيانه، يقترب من مطلوبه شيئاً فشيئاً، و يدنو إليه على طريقة أهل الاستدلال في خُطئ حثيثة متواصلة، بتمهيد مقدّمات منتهية إلى النّتيجة المتوخّاة، فيأتي بشواهد و دلآئل، و يقيس الفقيه المتكلّف، و يبرهن على شاكلة الحكيم المتفلسف، و هكذا يقترب من مقصوده مليّاً... و هو فنّ من أساليب البيان، دقيق مسّه، عميق فهمه، رقيق رمسه، قلّ من يتوفّق لمثله في قدرة الاستحواذ على مشاعر من سمع الخطاب: «إنّ مِن البيان لسحراً».

قال الله تعالى: «و هو الّذى يبدؤا الخلق ثمّ يعيده و هو أهون عليه» على فرض التسليم أنّ أحدهما أهون من الآخر فيما يسبق إلى نفوس العقلآء... و هذه طريقة عقلانية يتسلّمها العقلآء عند المقايسة، و قد كان الخصم معترفاً بأنّ الله تعالى هو الّذى بدأ الخلق، إذاً فالإعادة أهون من البداءة لأنّها من شيئ، و تلك لا من شيئ.

و **قوله تعالى:** «و له المثل الأعلى» إثبات و صف لله تعالى ليس لغيره ما يقاس به فضلاً عمّا يساويه أو يدانيه أو يشاركه فيه غيره.

و ذلك أنّ كلّ صفة من صفات الكمال اتّصف بها شيئ ممّا في السّموات و الأرض فلها في حدّ نفسها ما يقابلها، فإنّها ممّا أفاضه الله سبحانه عليه، و هو في نفسه خالٍ عنه، فالحيّ منها ميّت في ذاته، و القادر منها عاجز في ذاته، و العالم منها جاهل في ذاته، و هكذا سآئر الصّفات، و لذلك كان الوصف فيها محدوداً مقيّداً بشيئ دون شيئ، و حال دون حال.

فالعلم فيها مثلاً ليس مطلقاً غير محدود، بل محدود مخلوط بالجهل بماورآئه، و كذلك الحياة و القدرة و الملك و التّدبير و الجود و الكرم و الغنى و العظمة و الكبريآء و غيرها من الصّفات، فإنّ الله تعالى هو المفيض لهذه الصّفات من فضله، و الّذي له من معنى هذه الصّفات مطلق غير محدود، و محض غير مخلوط، فلا جهل في مقابل علمه، و لا ممات يقابل حياته، و هكذا فللّه عزّوجلّ من كلّ صفة يتّصف به الموجودات السّماويّة و الأرضيّة ـ و هي صفات غير ممحّضة و لامطلقة ـ ما هو أعلاها أي مطلقها و محضها.

فكأنّه قيل: هذا تفهّم قاصر، و عقل ناقص إذ صفاته تعالى عجيبة، و قدرته عامّة، و

حكمته تامّة، فكلّ شيءٍ عندالله تعالى بدءاً و إعادة و ايجاداً و إعداماً على حدّ سواء، و لامثل له سبحانه و لاندّ: «ليس كمثله شيءٌ» الشّورى: ١١).

لمّا كان المثَل ممّا فيه غرابة استعير لفظه للحال أو الصّفة أو القصّة إذا كان لها شأن عجيب و نوع غرابة.

و **قال بعضهم:** إنّ نسبة كلّ ما يطلق عليه الغير إلى الله سبحانه كنسبة الأمواج إلى البحر الزّخّار، فإنّ الموج لاشكّ أنّه غير المآء عند العقل من حيث إنّه عرض قآئم بالمآء، و أمّا من حيث الوجود فليس فيه شيءٌ غير المآء، فمن وقف عند الأمواج الّتي هي وجودات الحوادث و صورها، و غفل عن البحر الزّخّار الّذي بتموّجه يظهر من غيبه إلى شهادته، و من باطنه إلى ظاهره هذه الأمواج، يقول بالامتياز بينها، و يثبت الغير، و من نظر إلى البحر و عرف انتهآء أمواجه (حيث إنّ الأمواج لاتحقّق لها بأنفسها) قال: بأنّها أعدام ظهرت بالوجود، فليس عنده إلاّ الحقّ تعالى، و ما سواه عدم يخيّل إليه أنّه موجود متحقّق، فوجوده خيال محض، و المتحقّق هو الحقّ لاغير.

و في هذا قيل:

البحر بحر على ما كان في قدم   إنّ الحوادث أمواج و أنهار

لايحجبنّك أشكال، يشكّلها   عمّن يشكّل فيها، فهي أستار

إن تسئل: إنّ قوله تعالى: «و هو أهون عليه و له المثل الأعلى» اسم تفضيل يقتضي المشاركة و الزّيادة، و الله سبحانه لايشاركه شيءٌ؟

تجيب عنه: أنّه قد يقصد بأفعل تجاوز صاحبه و تباعده عن غيره في الذّات و الفعل و الصّفة لابمعنى تفضيله بعد المشاركة في أصل الذّات أو الفعل أو الصّفة، فيفيد عدم وجود مثل ذاته أو فعله أوصفته في غيره: «ليس كمثله شيءٌ» في الذّات و الصّفة و الفعل، فيحصل كمال التّفضيل بل عينه، و هذا المعنى الأوضح في أفعل في ذاته و فعله و صفاته.

فكلّ ذي روح و نفس و جسم يتحقّق فيه مثال البدو و الإعادة ولكنّه هو العزيز الحكيم الّذى ليس كمثله شيءٌ.

و **قوله عزّوجلّ:** «و هو العزيز الحكيم» في مقام التّعليل لقوله تعالى: «و له المثَل

الأعلى» أي إنّه جلّ وعلا عزيز واحد لكلّ ما يفقده غيره، ممتنع من أن يمتنع عليه شئ، حكيم لايعرض فعله فتور، و لو لم تكن صفة من صفاته مثلاً أعلى ممّا عند غيره من الممكنات كانت محدودة غير مطلقة، و مخلوطة غير محضة و لاخالية من النّقص و القصور، فاستذلّه ذلك القصور، فلم يكن عزيزاً على الإطلاق، وأحدث ذاك النّقص في فعله ثلمة و فتوراً، فلم يكن حكيماً على الإطلاق.

۲۸ـ (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركآء فيما رزقناكم فأنتم فيه سوآء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون)

مستأنف بيانيّ سيق ـ على سبيل التمثيل و التّشبيه في معرض الإفحام و التقريب، وموجّه للسّامعين المشركين في كلّ ظرف من الظّروف ـ للاحتجاج عليهم في إثبات التّوحيد، و بطلان ما كانوا يزعمون أنّ الله سبحانه ممّا خلق شركآء في أصل الوجود أو في ايجاد العالَم، أوفي تدبير نظام الكون و نواميس الوجود، أو في العبادة ـ، فيسئلهم سئوال إنكار و تقريع عمّا إذاكانوا يرضون أن يكون مماليكهم من العبيد و الإمآء شركآء لهم في أموالهم و تدبير امورهم يحسبون حسابهم في تصرّفاتهم و سياساتهم، و يخافون محاسبتهم لهم أو مقاساتهم أو مناظرتهم...

فهم بغير شكّ لا يرضون أبداً أن يكون مماليكهم شركآء في أموالهم، و أنداداً في شئون حياتهم، مع أنّهم بشر مثلهم في الطّبيعة و الخلقة، فكيف يصحّ في عقولهم أن يجعلوا لله شركآء و أنداداً من خلقه، أن يزعموا أنّ الله سبحانه يرضى بهذا!

فالمعنى: يا أيّها المشركون بالله سبحانه في أيّ نحو من أنحاء الشّرك! إذا لم ترضوا و لن ترضوا في عبيدكم و إمائكم أن يكونوا شركآء لكم في أموالكم و أملاككم و شئون حياتكم... فكيف ترضون لخالقكم أن يكون له شركآء، حالكونهم مماليك لكم تملكونهم و ما في أيديهم، بحيث تخافونهم في التّصرّف في أموالكم، و الدّخالة في تدبير اموركم بغير إذن منهم رضىً كما تخافون الشّركآء الأحرار من نوع أنفسكم؟!

لايكون ذلك أبداً، و لايجوز أن يكون العبد شريكاً لمولاه في ماله و تدبير أمره، و إنّ العبد و ما في يده كان لمولاه، و إذا لم يجز ذلك فكيف يجوز أن يكون نوع من أنواع خلق الله سبحانه كالملائكة و الجنّ، و هم عبيده المملوكون كأنفسكم شركآء له فيما يملك من مخلوقيه، أو كالأشجار و الأحجار... بل مصنوع مخلوقه، حيث تصنعونه بأيديكم، و تتّخذونه آلهة لكم تعبدونها من دون الله.

فهذا مثل ضربه الله تعالى من واقع الإنسان، و على مستوى وجوده فيه، ليرى من خلال هذا المثل ما ينبغي لله تعالى من كمال و جلال... مثل للّذين يجعلون لله سبحانه أنداداً، يعبدونهم، و يتّخذونهم أرباباً يحبّونهم كحبّ الله، بل و يؤثرونهم بالحبّ والولآء...!

و بهذا المثل يدعو المشركين إلى أن ينظروا في أنفسهم نظرة دقيقة، و تأمّل عميق، و أن يتفكّروا في الوضع الّذي بينهم و بين عبيدهم، و ما ملكت أيمانهم... أيرضى هؤلآء السّادة أن يسلّموا لما ليكهم ـ و هم بشر مثلهم ـ أن يشاركوهم فيما أتاهم الله من مال و متاع، و جاه و مقام...؟ و أن يقفوا منهم موقف النّدّ و الشّريك؟ و أن يحاسبوهم فيما يجرون عليه من تصرّفات في هذا المال و ذلك المتاع و من سياسات في ذاك الجاه و المقام...؟

أيقبل مولى أن يكون لعبده يد على ما ملكت يده، فلايتصرّف في شئ حتّى يأخذ رضاه و موافقته؟ ذلك ما لايرضاه مولىً، و لايقبله سيّد! و إلاّ فأين السّيادة؟ و أين سلطانها المبسوط على ما بين يديها؟

هذا و الأمر يجري بين مخلوقين لله جلّ و علا من سادة و عبيد، و في مال الله و فيما رزق و أنعم من نعم! فكيف إذا خرج هؤلآء المشركون و من يسلك مسالكهم في أيّ ظرف من الظّروف، عن دائرة أنفسهم، ينقلب هذا المنطق، حتّى تنعكس هذه الصّورة، و حتّى يجعلوا خلقاً من خلق الله و عبداً من عبيده شريكاً له سبحانه فيما ملك، ملك خالص له، لم يفده من أحد، و لم يتلقه من مخلوق؟ كيف يقبل هذا الضّلال عقل؟ و كيف يطمئنّ إليه عاقل!

و قوله تعالى: «هل لكم ممّا ملكت أيمانكم...» بيان و تصوير للمثل المضروب، والاستفهام للإنكار.

و قوله سبحانه: «فأنتم فيه سوآء...» الفاء جواب الاستفهام بمعنى النّفي، و محقّقه لمعنى الشّركة بينهم و بين العبيد و الإمآء المملوكين لهم في أموالهم و أملاكهم، و بيان لكونهم و شركآئهم متساوين في التّصرّف فيما ذكر من مزيد لهم عليها إلاّ بالمالكيّة الاعتباريّة، فللمالك ملكيّة مجازيّة بأيّام، و ليس هذه للعبيد.

فالمعنى: هل ترضون لأنفسكم، حالكون عبيدكم و إمآئكم أمثالكم في البشريّة أن يساووكم في التّصرّف بمارزقناكم من الأموال، و يشاركوكم فيها من غير فرق بينكم و بينهم، فهم بشر مثلكم، معارون لديكم بأيّام...

و قوله جلّ وعلا: «تخافونهم كخيفتكم أنفسكم» الكاف نعت لمصدر محذوف أي تخافونهم خيفة كخيفتكم أنفسكم. أي كما تخافون الأحرار المشابهين لكم في الحرّيّة و ملك الأموال و جواز التّصرّف و التّدبير.

و المقصود نفي الأشيآء الثّلاثة: ۱ ـ الشّركة بينهم و بين مماليكهم. ۲ ـ نفي استواء المماليك مع سادتهم في التّصرّف و التّدبير. ۳ ـ خوف الأحرار من المشابهين لهم في الحريّة.

و ليس المراد ثبوت الشّركة، و نفي الاستوآء و الخوف كما زعم بعض المتفسّرين.

فالمراد: إقامة الحجّة على المشركين، و إلزامهم على أن يقولوا: لانرضى بذلك، فيقال لهم: فكيف تنزهون أنفسكم عن مشاركة المملوكين لكم، و هم أمثالكم في البشريّة، و تجعلون عبيدالله تعالى شركآء له سبحانه، فإذا أبطلت الشّركة بين العبيد و سادتهم فيما يملكه السّادة بطلت الشّركة بين الله تعالى و بين خلقه، فإنّ الخلق كلّهم عبيدالله عزّوجلّ، فلم يبق إلاّ أنّه الرّبّ وحده لاشريك له تعالى في شئ من شئون خالقيّته و اُلوهيّته و ربوبيّته و تدبيره و عظمته و جلاله...

و قوله عزّوجلّ: «لقوم يعقلون» ايماء إلى أنّ هذا التّمثيل ممّا لايكشف منه المعاني والحقآئق و المعارف إلاّ لمن رغب في معرفة الحقّ، و استعمل عقله في تدبّره و اتّبعه، و خالف هواه، حيث إنّ التّمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس و إبراز لأوابد المدركات على هيئة المأنوس، و قد خصّ العقلآء بالذّكر مع عموم تفصيل الآيات للكلّ لأنّهم المنتفعون بها، و يهتدون بهداها، يتلقّون العبرة و العظة منها، و غيرهم كالبهآئم لايعقلون...

۲۹ـ (بل اتّبع الّذين ظلموا أهوآءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله و ما لهم من ناصرين)

بيان لواقع أمر المشركين، و سبب شركهم، و عبادتهم لآلهتهم الموهومة، على سبيل الإضراب عمّا يتلقّونه من الآيات المفصّلة، سفهاً من أنفسهم، و جهلاً من دون برهان لاح لهم، فهم لعمى بصآئرهم وزيغ قلوبهم لم يروا في هذا البيان الواضح المبين، و لا في تلك الحجّة الدّامغة القاطعة لهم طريقاً إلى الله تعالى، فلم ينتفعوا بها و لم يجنوا من ثمرها المبارك الطّيّب شيئاً، بل هم يظلّون على ما هم عليه من شرك و ضلال، و يصرّون على كفرهم و عنادهم، و على بغيهم و فسادهم... إنّهم منقادون لأهوآءهم الّتي غلبت عليهم، وسلطت على عقولهم، و أخمدت شعورهم...

و من كان هذا شأنه، فلن ينقاد إلاّ بمقود هواه، و لا يستجيب إلاّ لندآءِ شيطان نفسه الأمّارة بالسّوء، و لن يجد له من بعده نصيراً و لاحامياً.

فهم في عقآئدهم و تقاليدهم يتّبعون أهوآء النّفس، و لا يستندون إلى عقل و علم و منطق، و لذلك لايجدي فيهم الدّليل و البرهان، و لا الاقناع و الأمثال... فإنّهم قد انحرفوا عن طريق الحقّ و الهدى و اتّبعوا أهواءهم بغير علم فأضلّهم الله أي حرمهم من التّوفيق والسّداد، فلن ينالوا عندالله فوزاً و لانجاحاً.

و كان مقتضى الظّاهر أن يقال: «بل اتّبع الّذين أشركوا» و إنّما بدّله من قوله: «بل اتّبع الّذين ظلموا» لأنّ الشّرك لظلم عظيم، فوصفهم بالظّلم ليتعلّل به ما سيصفهم بالضّلال في قوله تعالى: «فمن يهدى من أضلّ الله» فإنّ الظّلم يستتبع الإضلال الإلهي كما يستتبع العذاب الإلهي.

و وضع الموصول: «الّذين» موضع ضميرهم للتّسجيل عليهم بأنّهم في ذلك الاتّباع ظالمون، فإنّهم وضعوا الشّيْ في غير موضعه، إذ كفروا بالله سبحانه و آمنوا بالطّاغوت، و كذّبوا رسل الله تعالى و اتّبعوا أهوآءهم... و حرموا بشركهم و ضلالهم أنفسهم عمّا ينبغي أن تتنعّم من الجنّة و نعيمها، و عرضوها لجهنّم و عذابها الخالد.

و في الإضراب إعراض عن مخاطبتهم، و محاولة إرشادهم إلى الحقّ و الهدى، و إلى

الخير و الصّواب، بضرب المثل و تفصيل الآيات الآفاقيّة و الأنفسيّة، و التكوينيّة و التّدوينيّة، و استعمال المقدّمات الحقّة المعقولة، و بيان لاستحالة تبعتهم للحقّ و الهدى بسبب شركهم و إصرار هم على اتّباعهم لأهوآءهم... كأنّه قيل: إنّهم لم يعقلوا شيئاً من الآيات المفصّلة، بل اتّبعوا أهوآء هم الزّآئغة.

و قوله تعالى: «بغير علم» إشارة إلى أنّ هذا الهوى المتسلّط على هؤلآء المشركين هوهوى أعمى عمىً مطبقاً لاتنفذ إليه شعاعه من ضوء النّهار السّاطع... فقد يكون الإنسان متّبعاً لهواه، ثمّ إذا نُبِّهَ تنبّه، و إذا أُرشد رَشَد... شأن كثير من المشركين الّذين عاشوا في شرك الجاهليّة، مستسلمين لأهوآءهم، فلمّا أدركهم الإسلام، و طلعت عليهم شمسه، صَحَوا من نومهم، و استقبلوا نور الله، فأبصروا من عمىً و اهتدوا من ضلال.

و قوله سبحانه: «فمن يهدي من أضلّ الله» الاستفهام للإنكار الإبطالي، و المعنى فيه على النّفي و ما بعده منفيّ، و مدلوله الإياس من نعمة الهداية المشركين المتّبعين لأهوآءهم و إصرارهم على اتّباع الأهواء مع ظهور الحقّ لمكان ظلمهم الموجب لبقاءهم على ظلمة ضلالتهم و بقآءهم عليها و عدم صميمهم على الهداية. و المعنى لايهديهم الله تعالى لإصرارهم على اتّباع أهوآءهم، و بقآءهم على الشّرك و الضّلالة و الكفر و الغواية.

و في الجملة إشارة إلى أنّ هؤلآء المشركين بالله سبحانه و المنكرين للبعث والحساب والجزاء جمدوا على شركهم و ضلالهم و أقاموا على إنكارهم و جهلهم، و أنّهم لن يتزحزحوا عمّاهم عليه من كفرو عناد، و لن يخرجوا عمّا هم فيه من شرك و فساد، و لذلك أركسهم الله تعالى في هذا الكفر و الضّلال و أغرقهم في هذا الشّرك و الفساد، فتركهم في طغيانهم يعمهون، و خلّى بينهم و بين أهوآءهم: «فنذر الّذين لايرجون لقآئنا في طغيانهم يعمهون» يونس: ۱۱)

فإنّهم باتّباع أهوآءهم: «فنذر الّذين لايرجون لقآئنا في طغيانهم يعمهون» يونس: ۱۱)

فإنّهم باتّباع أهواءهم و سوء اختيارهم لن يقبلوا الحقّ و أعرضوا عن الهدى، و لن يطبّ لدآئهم طبيب، و هكذا كانوا يعيشون في بغيهم و ضلالهم، و يموتون على كفرهم و لجاجهم، فمالهم من ناصر يخلصهم من الكفر و الضّلالة، و يحفظهم عن آفاقها... حتّى إذا جآء وعدالله

تعالى و وقفوا موقف الحساب و المسئلة لم يكن لهم من جزآء إلاّ النّار و عذابها، و مالهم من ناصر يدفع عنهم بأس الله سبحانه و شديد انتقامه.

و قوله جلّ و علا: «و مالهم من ناصرين» بيان لعدم نجاتهم بنصرة ناصرلهم من غيرهم بعد مالم ينالوا النّجاة من الضّلال و تبعاته من عند أنفسهم لإضلال الله تعالى لهم باتّباعهم الأهوآء و إصرارهم على اتّباعها، و «من» زائدة لتأكيد النّفي، و في نفي الجمع دلالة على أنّ من لم يصرّ على الشّرك و الضّلال و الكفر و الفساد ترجى هدايته، و في الجملة تسلية لرسول الله ﴿ﷺ﴾ و توطئة لأمره بقوله تعالى:

۳۰ـ (فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم و لكنّ أكثر النّاس لايعلمون)

الفاء تفريع على ما تحصّل من الآيات الآفاقيّة و الأنفسيّة السّابقة المفصّلة المثبتة للمبدإ و المعاد. فالمعنى: إذا تبيّن لك الحقّ و ثبت المبدأ و المعاد بتلك الأدلّة الواضحة والبراهين السّاطعة: أنّ الخلق والتّدبير لله تعالى وحده لاشريك له، و أنّه سيبعث النّاس يوم القيامة و يحاسبهم كلاًّ على ما عمل به و أخلص، و أنّه لانجاة من الضّلالة و الانحطاط لمن أعرض عن الله تعالى و أقبل على غيره، و لامن الهاوية وعذابها لمن أنكر البعث و الحساب و الجزاء، فاقم وجهك للدّين و ألزمه، فإنّه الدّين الّذي تدعوا إليه الخلقة الإلهيّة الأولى و هي الفطرة.

فالجملة استعارة تمثيليّة لإقباله ﴿ﷺ﴾ على الدّين و استقامته و ثباته عليه، و التّوجّه التّامّ و عدم الميل عنه دون ما اعوجاج و لاتردّد، و الإهتمام به اهتماماً مصحوباً بجدّ و ترتيب أسبابه... فإنّ من اهتمّ بشئ محسوس بالبصر عقد عليه طرفه، و سدّد إليه نظره، و قوّم له وجهه، مقبلاً به عليه. فالمعنى: فقوّم وجهك للدّين و عدله غير ملتفت يميناً و شمالاً، و امض على طريقه، و دع هؤلآء المشركين.

و من المحتمل أن يكون تفريعاً على معنى التّسلية المستفادة من الآيات السّابقة الدّالّة على ما هو الحقّ و الصّواب و إقامة الوجه للدّين هي اتّجاه القاصد إليه بتمام كيانه من دون

إلتفات إلى شئ غيره. و الخطاب و إن كان متوجّهاً لرسول الله «عَلَيْهِ‌وَآله» ولكنّه عام يدخل فيه كلّ مؤمن، و خاصّة العلمآء الدّينيّة...

و **قوله تعالى**: «حنيفاً» حال من فاعل «أقم» أي حالكونك غير ملتفت عن الدّين. و هذا من بقيّة التّمثيل.

و قد سبق منّا أنّ علم البديع و أسراره تنقسم إلى قسمين:

أحدهما ـ ما يكون متعلّقاً بالفصاحة اللفظيّة، و هي على عشرة ضروب:

منها ـ الاشتقاقي و هو أن تتّفق الكلمتان في معنى واحد يجمعها. و منه قوله تعالى: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها».

ثانيهما: ما يكون متعلّقاً بالفصاحة المعنويّة، و هى أيضاً على عشرة أنواع:

منها: الالتهاب و التّهييج، و هما عبارتان عن الحثّ على الفعل لمن لايخلو عن الإتيان به، و على ترك الفعل لمن لايتصوّر منه تركه. و من هذا القسم أيضاً قوله سبحانه «فأقم وجهك للدّين حنيفاً» إذ فيه حثّ لرسول الله «عَلَيْهِ‌وَآله» على الفعل الّذى لايتصوّر منه تركه.

وقوله سبحانه: «فطرت الله» بيان للدّين الحنيف، و نصبها بفعل محذوف، تقديره: أعني أو أُريد أونحوهما... فالدّين الحنيف و هو الإسلام الولآئي هو فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها، و خلقهم على استعداد فطريّ لقبول هذا الدّين، و هذا هو أولى من نصب «فطرت الله» على الإغراء بتقدير: ألزم فطرت الله أو نحو هذا... لأنّ ذلك يقطع الصّلة بين الدّين الحنيف و فطرت الله، و يجعل كلّاً منها كياناً مستقلّاً على حين يجعلها التقدير السّابق شيئاً واحداً و هو الأولى.

و فطرة الله هى ما أودع الله عزّوجلّ في ذات الإنسان من قوىً عاقلة في أصل الخلقة تقبل الايمان بالله تعالى و تنفّر من الكفر، و هذا هو ملاك أمر الدّين، دين الله الّذي ارتضاه لعباده... و هذا هو الإسلام الولآئي إذ قال: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلام دينا» المائدة:۳).

و الخطاب في «أقم» و إن كان لرسول الله «عَلَيْهِ‌وَآله» و لكنّه يعمّ الكلّ، كما يفصح عنه قوله تعالى: «منيبين» و الإفراد في «أقم» لأنّ رسول الله «عَلَيْهِ‌وَآله» إمام الأمّة و قآئدهم،

فأمره«عليه‌السلام» مستتبع لأمرهم، و المراد بلزوم الفطرة الجريان على مقتضاها و عدم الاخلال به باتّباع الهوى و تسويل الشياطين.

و **قوله عزّوجلّ:** «الّتي فطر النّاس عليها» نعت لفطرت الله، توكيد لوجوب الإمتثال بالأمر، فإنّ خلق الله تعالى النّاس على فطرته الّتي هي عبارة عن استعدادهم بقبول الحقّ، و تمكّنهم من إدراك الهدى و إنّما قبول الحق و درك الهدى في عمق ذاتهم.

و **قوله تعالى:** «لاتبديل لخلق الله» في موضع تعليل للأمر بلزوم الفطرة أو لوجوب الإمتثال به، و فيه إشارة إلى ثبات اقتضآئها و استحالة تغيّرها.

فلا تتبدّل الفطرة و لاتتغيّر بالإخلال بموجبها باتّباع الهوى و قبول وسوسة الشّيطان. و هذا خبر في معنى النّفي كأنّه قيل: لاتبدّلوا فطرة التّوحيد بالشّرك و لايقدر أحد أن يغيّرها باتّباع الهوى و خطوات الشّياطين من الإنس و الجنّ.

و **قوله سبحانه:** «ذلك الدّين القيّم» إشارة إلى الدّين المأمور بإقامة الوجه له أو إلى لزوم الفطرة المستفادة من الإغرآء، أو إلى الفطرة إن فسّرت بالملّة. و الدّين القيّم هو الدّين المستقيم على فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لافكاك بينها، و تذكير الإشارة بتأويل المذكور أو بإعتبار الخبر، و بُعدها لبُعْد منزلتها.

و **قوله عزّوجلّ:** «ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون» استدراك عموم «النّـاس» و في ايثار إسم التّفضيل دلالة على أنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف من الظّـروف لايـدركون حقيقتهم، و هم يعمون أن يروا فطرتهم، و أن يقع لعلمهم أنّ هذا الدّين هو الدّين المطلوب للفطرة المتجاوب معها كأنّها هى بعينه، و الدّين الحقّ هو بعينها.

و انّ الآية الكريمة بصدد التّنبيه على الالتزام بتوحيد الله الّذى فطر النّاس كلّهم عليه و هو الدّين الحقّ الثّابت الّذي لايصحّ عليه تعديل و لاتبديل و إن كان أكثرهم تخلّفوا عنه بإتّباعهم الأهوآء و خطوات الشّياطين...

٣١ـ(منيبين إليه و اتّقوه و أقيموا الصّلاة و لاتكونوا من المشركين)

تعميم لخطاب المؤمنين بعد تخصيصه برسولهم«عليه‌السلام» دعوة تشريعيّة للّذين لم

يتخلّفوا عن فطرتهم الّتي تدعوهم تكويناً إلى التّوحيد بأن يجعلوا إنابتهم إلى الله تعالى وحده في كلّ زمان و مكان، وأن يتّقوه بصالح الأعمال و اجتناب المعاصي، و إقامة الصّلاة، و تحذيرهم عن مخالفتهم عن نظامي التكوين و التشريع و أن لايكونوا من المشركين الّذين تخلّفوا عنهما.

و اختصاص الصّلاة من بين سائر العبادات بالذّكر للإعتنآء بشأنها، فإنّها تنهى أهلها حقّاً عن الفحشآء و المنكر، و أنّها عمود الدّين و معراج المؤمنين، فليس فوقها عبادة، فإن قوبلت قوبل ما سواها فإن ردّت ردّ ما سواها، كما أنّ النّهي عن الشّرك من باب سآئر المحرّمات بالذّكر لأنّ الشّرك أكبر الكبآئر الموبقة ليس فوقه ذنب فلايغفر، و يُغفر دون ذلك.

و قوله تعالى: «و لاتكونوا من المشركين» فيه دلالة على أنّ العبادة لاتنفع إلاّ بالإخلاص في التّوحيد.

و من المحتمل أن يكون «منيبين إليه...» كلاماً مستأنفاً، جواباً عن سئوال مقدر، دلّ عليه ما قبله، و هوقوله سبحانه: «لاتبديل لخلق الله» لأنّه خبر يراد به الأمر أي لاتبدّلوا خلق الله، و لذلك وقع في نفس الّذين سمعوا هذا الأمر، و أرادوا الإستجابة له، سئوال و هو: كيف نتصرّف حتّى لانبدّل خلق الله؟ فجآء الجواب: أنيبوا إلى الله و اتّقوه و أقيموا الصّلاة...

فقوله عزّوجلّ: «منيبين» في قوّة فعل الأمر أو معطوف على فعل أمر مقدّر... و قُدِّم الأمر بالتّقوى على إقامه الصّلاة لأنّ التّقوى و هي خوف الله وخشيته لاثمرة للصّلاة إلاّ بها، فالصّلاة و أيّة عبادة من العبادات أو قربة من القربات لامحصّل لها إلاّ إذا كانت عن ايمان بالله حقّاً، و ولاء و خشوع لجلاله و عظمته، و هذا ما يشير إليه قوله سبحانه: «قد أفلح المؤمنون الّذين هم في صلاتهم خاشعون» المؤمنون: ۱ ـ ۲)

و قوله تعالى: «قد أفلح من تزكّى و ذكر اسم ربّه فصلّى» الأعلى: ۱٤ ـ ۱٥)

٣٢ـ(من الّذين فرّقوا دينهم و كانوا شيعاً كلّ حزب بما لديهم فرحون)

بيان إجماليّ في موضع تعليل للنّهي في قوله تعالى «و لاتكونوا من المشركين» و فيه تعريفهم بأقبح صفاتهم و أسوأها في دينهم إذ يوجب هدم أساس الدّيانة، و سقوط الإنسانيّة و انحطاط المجتمع البشري، و هو تفرّقهم في دينهم و تحزّبهم أحزاباً مختلفة، يفرح كلّ حزب بما عندهم من الدّين، و السّبب في ذلك كلّه هو اتّباع الأهوآء أشار تعالى إليه سابقاً في قوله: «بل اتّبع الّذين ظلموا أهوآءهم...» إذ ظلموا الله جلّ وعلا بهتك حرماته، حيث خالفوه في تكوينه و تشريعه، و ظلموا أنبيائه و رسله و أوليآئه عليهم السّلام و دعاة الدّين و المصلحين، إذ هدروا سعيهم، و ظلموا أنفسهم، إذ عرضوها على الذّلّة و الدّمار، و على العذاب و النّار، و ظلموا الإجتماع البشري كلّهم إذ صدّوهم عن الدّين القيّم و الصّراط المستقيم...

كلّ ذلك أنّهم بنوا دينهم على أساس الأهواء النّفسانيّة الّتي لاتجتمع على شيئ واحد، حيث إنّ هوى النّفس لايتّفق في النّفوس، بل و لايثبت على حال واحدة، دون أن يختلف باختلاف الأحوال... و إذا كان الهوى أساس الدّين، فلايتوجّه إلاّ بتوجيه الأهوآء و لاينزل إلاّ بما تنزله، و لافرق في ذلك بين الدّين الباطل، و الدّين الحقّ الموجّه بالهوى، فالنّهي عن تفرّق الكلمة في الدّين نهي في الحقيقة عن بنآء الدّين على أساس الهوى و توجيهه، دون العقل السّليم و مقتضى الفطرة البشريّة.

فعلى هذا البيان، ففي الآية الكريمة دلالة على أنّ المتفرّقين في الدّين و المشركين على شرع سوآء.

فكلّ فرقة من فِرَق هذه الأمّة المسلمة تخالف الدّين الحقّ القيّم الّذي أمر الله تعالى باتّباعه و إقامة الوجه له، فهم داخلون في زمرة المشركين في الحقيقة، و على طريقهم و فرقهم المختلفة و إن كانوا مسلمين ظاهراً، يعامَلون معاملة المؤمنين.

و لايبعد أن يكون قوله تعالى: «من الّذين فرّقوا دينهم...» بدلاً من قوله سبحانه: «من المشركين» باعادة الجارّ. أي و لاتكونوا من المشركين الّذين فرّقوا دينهم باختلافهم فيه بسبب اتّباعهم أهوآءهم المختلفة، حتّى تفرّقوا أحزاباً بحسب اختلاف أهواءهم، فيدينون

بالباطل، و للباطل وجوه كثيرة، و طرق متشعّبة، فبعضهم يعبدون الأصنام المصنوعة من الأحجار و الأخشاب... و بعضهم يعبدون النّار المشتعلة، و فريق يعبدون الملائكة و الجنّ و طائفة يعبدون الطّواغيت و الشّياطين، و فرقة يعبدون الشّمس و القمر و النّجوم... و هكذا!

و لكلّ جماعة مع معبودها أسلوب عبادة و طقوس صلوات و قربات، و هي عند نفسها أنّها على الهدى و الصّواب: «و هم يحسبون أنّهم يحسنون صُنعاً» الكهف: ١٠٤) و أنّ كلّ ماسواها في ضلال و خسران...

و ليس هكذا الحقّ، فإنّ له وجهاً واحداً، و طريقاً واحداً و منهجاً واحداً.

و فائدة الإبدال: هي التّحذير عن الانتمآء إلى حزب من أحزاب المشركين، ببيان أنّ كلّهم على الضّلال المبين.

في تلخيص البيان: في قوله تعالى: «من الّذين فرّقوا دينهم...» قال: «و هذه استعارة لأنّ الدّين على الحقيقة لايتأتّى فيه التّفريق، و إنّما المراد ـ والله أعلم ـ أنّهم لمّا افترقوا في دينهم بمذاهب مختلفة و طرائق متباينة كانوا كأنّهم قد فرّقوه فرقاً، و جعلوه شيعاً فحسن وصفهم بذلك» انتهى كلامه.

و قوله سبحانه: «و كانوا شيعاً» إشارة إلى نتيجة تفرّقهم و اختلافهم في الدّين أي و صاروا فِرَقاً يجتمع كلّ فريق منها على مذهب، خلاف مذهب الفريق الآخر، و شيعة الحقّ هم الّذين اجتمعوا على الحقّ كماكان إبراهيم خليل الرّحمن «عليه السلام» من شيعة نوح النّبيّ «عليه السلام» في قوله تعالى: «و إنّ من شيعته لإبراهيم» الصافّات: ٨٣) و كذلك شيعة مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» و هم الّذين اجتمعوا معه «عليه السلام» على الحقّ، إذ كان الحقّ معه، يدور معه حيثما دار.

و في الآية الكريمة تلقين مستمرّ المدى بتقبيح التّفرّقة و الإختلاف في امور الدّين، اصولها و فروعها، نتيجة لأهوآء النّفوس و مآربها، و تمسّك كلّ فرقة برأيها تمسّك التّعصّب الأعمى، والنّهي عنه، و هذا لاينافي الإجتهاد فيما لاصراحة فيه من الكتاب و السّنّة الثّابتة عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، إذ هو أمر طبيعيّ، و

واجب كلّ إنسان مؤهل له على شرط أن لايكون فيه انحراف عن الفطرة الإنسانيّة، و عن الأسس و المبادىء المحكمة في الكتاب و السّنّة، و لايكون ناشئاً عن هوى أو هادفاً إلى تأييده.

٣٣ـ (و إذا مسّ النّاسَ ضرّ دعوا ربّهم منيبين إليه ثمّ إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربّهم يشركون)

مستأنف بيانيّ لتصوير فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها، و الإقرار بالتّوحيد و بطلان الشّرك، منهم عند الضّرّ و البلآء، و تصوير لطبيعتهم المتقلّبة و ظهور تقلّبها من بعضهم حين الرّحمة و السّرّآء...

فالفطرة هي حظّ مقسوم في النّاس جميعاً يولدون بها كما يولدون على صورة الإنسان و ما فيها من جوارح و ما في كيانها من قوى عقليّة و نفسيّة و روحيّة... فهناك حال واحدة تأخذ فيها الفطرة مكانها في النّاس كلّهم، حتّى الّذين يُولَدون من الكفّار و المشركين، و الفجّار و المستكبرين، و الفسّاق و المنافقين... و الّذين يكفرون من بعد ذلك، و إذا نزل بهم من بلاء و كرب... ففي تلك الحال يعود الإنسان إلى فطرته، أو تعود إليه فطرته، و إذا هو ـ من غير حساب أو تقدير، و على غير وعى أو إدراك ـ يفزع إلى الله جلّ وعلا، و يلوذ به من وجه هذا البلاء المطل عليه...

و في هذه التجربة الّتي يمرّ بها كلّ إنسان مرّات كثيرة في حياته، شاهد يقوم في كيان الإنسان، يشهد بأنّ الله سبحانه في ضمير كلّ إنسان، و في وجدان كلّ كافر و مشرك، و فاجر و مستكبر... و إن كان هو ينكر ذلك و لايعترف به... ولكن إذا مسّه الضرّ و كربه الكرب، أخذته صحوة كصحوة الموت، و إذا نفسه قد أشرقت بنور الحقّ، فعرف الله عزّوجلّ و مدّيده إليه سبحانه، ولكن قد يطغى على بعضهم ظلام كثيف، حين تزال عنه هذه الغاشية، و تزايله تلك الصّحوة، و إذا هو على ما عهد عليه نَفْسَه من كفر و ضلال و بغي و فساد...

فالنّاس جميعاً عند الشّدّة و الضّرّ يرجعون إلى فطرتهم الّتي تدعوهم إلى التّوحيد،

ولكن فريق منهم عند الرّحمة و السّرّيتاثّرون من طبيعتهم المتقلّبة الّتي تـدعوهم إلى الشّرك بالله سبحانه.

فقوله تعالى: «و إذا مسّ النّاس ضرّ دعوا ربّهم منيبين إليه» تقرير لاتّحاد النّاس جميعاً على الفطرة، و اختلافهم في الطّبيعة، حيث إنّ كلّهم: مؤمنهم و كافرهم، صالحهم و فاسدهم... على سوآء في اللجأ إلى الله تعالى و الضّراعة إليه، حين ينزل بهم الضّرّ، و يحتويهم البلآء... ثمّ تختلف بهم الحال بعد هذا كما كانت حالهم مختلفة قبل ذلك، حيث إنّ المؤمنين الصّادقين على اتّصال بالله سبحانه في السّرّآء و الضّرّآء، و على ايمان به و ولآء له في اليسر و العسر... و أمّا غيرهم فإنّهم لايعرفون الله تعالى و لايؤمنون به، و لايلجاؤن إليه إلاّحين تضطرب بهم سفينة الحياة و يغشاهم الموج من كلّ مكان... هنالك يدعون الله مخلصين له الدّين، كما دعا فرعون ربّه و آمن به حين أدركه الغرق!

قال الله تعالى: «حتّى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنّه لا إله إلاّ الّذي آمنت به بـنو إسرائيل و أنا من المسلمين الآن و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين» يونس: ۹۰ـ۹۱).

و في التّعبير بالمسّ دلالة على القلّة و الخفّة كما أنّ في تنكير «ضرّ» و «رحمة» دلالة عليهما مع كون «ضرّ» تعليلا لظهور فطرتهم، و «رحمة» تعليلاً لتقلّبهم.

و قوله سبحانه: «ثمّ إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربّهم يشركون» تصوير لحال غير المؤمنين حقّاً، حين يُرفع عنهم البلاء، و تتداركهم رحمة الله جلّ وعلا... إنّهم لايكادون يخرجون من يد الهلاك و الدّمار، حتّى ينسوا ربّهم الّذي دعوه من قبل، و كأنّهم لم يكن بينهم و بينه شئ.

و في العطف بـ«ثمّ» للتّراخي بين الفزع إلى الله تعالى و بين الغوث، و استجابة الدّعآء، إشارة إلى أنّه ليس في كلّ غوث يغاث المستغيثون... فذلك مرهون بتقدير الله تعالى و حكمته، و فيما قضى به في عباده، ثمّ إنّ الاستجابة إذا وقعت لاتقع على حسب تقدير الإنسان لحدود زمانها، و لا للصّورة الّتي تقع عليه... فذلك أيضاً، مرهون بتقدير الله جلّ وعلا و علمه و حكمته... و هذا ممّا يبتلى به العباد... فالمؤمنون يدعون الله تـعالى تضرّعاً و خفية، و لاييأسون من روح الله عزّوجلّ و رحمته أبداً...حتّى أنّه إذا لم يستجب

لهم، و وقع ما يكرهون، أصبح هذا المكروه عندهم محبوباً مستساغاً لأنّه من عندالله و بتقدير الله و بارادته فيهم، و أمّا الّذين لايؤمنون بالله تعالى، فلايزيدهم ذلك إلاّكفراً بالله سبحانه و بُعداً عنه...

و قوله عزّوجلّ: «أذاقهم...» شبّه إدراك الرّحمة بإدراك الطّعم فسمّاه ذوقاً.

و قوله تعالى: «إذا فريق...» «إذا» هنا فجائيّة، و هي ذات دلالتين:

اولاهما ـ مبادرة المشركين و الضّالّين، و إسراعهم إلى ما كانوا عليه من شرك و ضلال و بغي و فساد و كفر و عناد...

و ثانيهما ـ أنّ ذلك خروج على غير المنتظر، من قوم كانوا إلى لحظات قليلة يتّجهون إلى الله جلّ وعلا، ثمّ إذا هم يحوّلون وجوههم عنه لالسبب إلاّ ما ساق إليهم الله من خير، و ما أذاقهم من رحمة!! و هذا أمر يثير العجب و الدّهش و الاستغراب... أفهكذا يقابل الإحسان، و يستقبل الفضل؟ ولكن متى كان للعمى أن يبصروا، و للصّمّ أن يسمعوا، و للأنعام أن تعقل؟.

و قوله تعالى: «منهم» في تخصيص هذا الفعل القبيح ببعضهم دلالة على أنّ غيرهم ليسوا كذلك و المراد بالفريق، غير المؤمنين حقّاً.

و قوله سبحانه: «بربّهم» في إضافة المشركين إلى «ربّهم» إشارة إلى فداحة هذا الظّلم الّذي ركبه هؤلآء المشركون، فجحدوا نعمة ربّهم الّذي استجاب لهم، و دفع البلاء عنهم.

و في الآية الكريمة إشارة تنديديّة إلى ما يبدو من غير المؤمنين حقّاً من تناقض، فإذا أصابهم ضرر و بلاء لجأوا إلى الله تعالى وحده بحسب فطرتهم، يدعونه لكشف ما نزل بهم، ثمّ إذا كشف النّازلة عنهم، و نالوا خيراً و رحمة جنحوا بحسب طبيعتهم إلى الشّرك بالله سبحانه و اعتقاد تأثير الغير فيما نالوه!

٣٤ـ (ليكفروا بما آتيناهم فتمتّعوا فسوف تعلمون)

اللام للعاقبة و الصّيرورة و المآل كقوله تعالى: «ليكون لهم عدوّاً و حزناً» القصص: ٨)

أو للأمر التّهديديّ، تهديد لهؤلآء المشركين عند إذاقة الرّحمة، فإنّ إشراكهم غير الله دليل على كفرهم بنعمته، ورجوعهم عن الإخلاص له، فليكفروا ما شآؤا و ليتمتّعوا بما نالوه ردحاً من الزّمن لسوف يرون نتآئج سوء هذا الكفر و شؤمه عليهم، كما يقول السّيّد لعبده متوعّداً إذا رآه قد خالف أمره: أعصني ما شئت، وسوف ترى سوء أعمالك و تبعات مخالفتك.

و من المحتمل أن تكون اللام للأمر التّعليليّ بأنّ شركهم بالله سبحانه هو علّة كفرهم بما آتاهم الله من نعمه، فهم بهذا الشّرك ينكرون نعم الله عليهم و لا يضيفونها إليه، بل يجعلونها لمعبوداتهم الّتي يعبدونها من دون الله.

و **قوله تعالى:** «فتمتّعوا» الفاء تفريع على ما سبق، و الإلتفات من الأمر الغائب إلى الأمر الحاضر للمبالغة في زجرهم من جهة، حيث يواجه هؤلآء المشركون بهذا الوعيد من ربّهم... فليتمتّعوا بما هم فيه وسوف يعلمون ما يجرّه عليهم كفرهم و طغيانهم، و شركهم و عصيانهم من بلاء شديد، و عذاب أليم، و لثوران الوجد و السّخط من تفريطهم في جنب الله واستهانتهم بأمره من جهة اخرى، فقد بلغ منهم ذلك أن يتضرّعوا عند الضّرّ و يكفروا إذا كشف.

٣٥ـ (أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير التّساؤل الاستنكاريّ عمّا إذا كانوا يستندون في شركهم إلى برهان و وحي ربّانيّ، كأنّه قيل: إذا تقرّرت الحجج المذكورة على نفي الشّرك و بطلان الكفر، فماذا يقولون: أيتّبعون أهوآءهم في شركهم و ضلالهم بغير علم؟ أم لهم دليل آخر على أقاويلهم الباطلة و عقائدهم السّخيفة: بأنّا أنزلنا عليهم برهاناً؟!

مجاز عقليّ كما تقول: كتابه ناطق بكذا، و هذا ممّا نطق به القرآن. و معناه الدّلالة والشّهادة فهو يشهد بصحّة شركهم أو بالّذي يشركون به. فالمراد بالإنزال: الإعلام أو التّعليم مجازاً.

و المراد بالتكلّم: الدّلالة أو الشّهادة مجازاً. فالمعنى: ما علّمناهم برهاناً و لا أقمناهم

شاهداً يدلّ أو يشهد على ما كانوا به يشركون أو بشركهم؟!

إنكار عليهم لما اختلقوه من عبادة غيره بلا دليل و لابرهان، على سبيل الإلتفات و الإضراب عن خطابهم، و عن الحديث إليهم و إبعادهم من مقام الحضور، ايذاناً بالإعراض عنهم، و تعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة بعد أن تلقوا هذا الوعيد الشّديد.

و من المحتمل أن يكون التفاتاً عن المشركين، و التفاتاً إلى من هم أهل للخطاب من المؤمنين الصّادقين ليحاكم هؤلاء المشركين أمام هؤلآء المؤمنين... إنّهم أشركوا بالله سبحانه فما الحجّة الّتي بين أيديهم على هذا الشّرك؟ أأنزل الله عليهم كتاباً ينطق بشركهم الّذي هم فيه؟ أم قام فيهم رسول من عند الله يدعوهم إلى هذا الّذي يدينون به؟ ما برهانهم على هذا؟ و ما الحجّة الّتي بين أيديهم، و الّتي يعبدون تلك المعبودات؟!

إنّهم مطالبون بأن يقيموا على هذه المعبودات حجّة من عقل سليم أو كتاب سماويّ، او رسول من عندالله جلّ وعلا و الّا فهو الضلال المبين، و المصير المشئوم... «و من يدع مع الله إلهاً آخر لابرهان له به فإنّما حسابه عند ربّه إنّه لايفلح الكافرون» المؤمنون: ١١٧).

في تلخيص البيان، في قوله تعالى: «أم أنزلنا عليهم سلطاناً...» قال: و هذه استعارة، و المراد بالسّلطان ههنا البرهان على أحد التأويلين و هو الحقّ الّذي يتسلّط به الإنسان على مخالفه، و يظهر على منازعه، و إنّما وصفه سبحانه بالكلام لظهور حجّته و قوّة دعوته، فكأنّه ناطق، و مدافع مناضل». انتهى كلامه.

٣٦ـ (و إذا أذقنا النّاس رحمة فرحوا بها و إن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون)

إشارة تنديديّة اخرى إلى ما يبدو من طبيعة النّاس أيضاً من فرح و بطر في حالة اليسر و النّعمة، و قنوط و حزن في حالة الشّدّة و الضّرّآء.

فالآية الكريمة بصدد بيان طبيعة الإنسان من حيث هو إنسان، و النّاس فيها درجات متفاوتة، بخلاف الفطرة البشريّة فإنّ النّاس كلّهم فيها على وتيرة واحدة، فالمؤمنون

باتّباعهم لفطرتهم على حال غير حال غيرهم من الكفّار والمشركين، و الفجّار و المستكبرين و الفسّاق و المنافقين... الّذين يتّبعون أهوآءهم، و يتأثّرون من طبيعتهم...

ثمّ إنّ المؤمنين ليسوا على حال واحدة، بل هم درجات... و الدّرجة الّتي يتحقّق بها ايمان المؤمن على صورة سويّة محمودة هي ألاّ يستبدّ به الفرح إذا لبسته نعمة، و ألاّ يدخل عليه اليأس و القنوط من رحمة الله تعالى إذا مسّه ضرّ و أصابه سوء، فهو على رجآء أبداً من رحمة الله جلّ وعلا و إنّه ـ و هو في البلاء ـ ليستسيغ طعمه، و يُنزله منزل الرّضا و التّسليم من نفسه، مفوّضاً أمره إلى الله تعالى، راضياً بما قسم الله له. و التّعبير بـ«إذا» الشّرطيّة أوّلاً، و المقابلة بين «إذا» في إذاقة الرّحمة، و «إن» في إصابة السّيّئة لتحقّق الرّحمة وكثرتها دون مقابلها لأنّ السّيّئة قليلة احتماليّة، و في نسبة الرّحمة إلى الله تعالى دون السّيّئة تعليم للعباد أن لا يضاف إليه سبحانه الشّرّ أبداً.

و عدم بيان سبب إذاقة الرّحمة، و بيان سبب إصابة السّيّئة إشارة إلى أنّ الأوّل تفضّل من دون استحقاقهم للرّحمة إلاّ وجودهم، و الثّاني عدل لاستحقاقهم العقوبة بأفعالهم.

و قوله تعالى: «بما قدّمت أيديهم» و لم يقل: «بما قدّموا» على التغليب للأكثر الأظهر، لأنّ أكثر العمل و أظهره لليدين، و العمل بالقلب و إن كان كثيراً فهو أخفى، و إنّما يغلب الأظهر، و التّعبير بالمضارع في قوله تعالى:«إذا هم يقنطون» لرعاية الفاصلة، و الدّلالة على حدوث القنوط و استمراره، و تمثيل حالهم.

فالنّاس بحسب طبيعتهم لايعدو نظرهم ظاهر ما يشاهدونه من النّعمة و النّقمة إذا وجدوا فرحوا بها من غير أن يعقلوا و يتبصّروا أنّ الأمر بيد غيرهم و بمشيّة من ربّهم إذا لم يشأ لم يكن، و إذا فقدوا قنطوا كأن ليس ذلك بإذن من ربّهم، و إذا لم يشأ لم يأذن فتح باب النّعمة و بهذا يتّضح أن لاتدافع بين هذه الآية و بين قوله السّابق: «و إذا مسّ النّاس ضرّ دعوا ربّهم منيبين إليه...» حيث إنّ هذه الآية بصدد بيان طبيعة النّاس المختلفة، و الآية السّابقة بصدد تصوير فطرتهم الواحدة الّتي فطر النّاس عليها، فلا اختلاف بينهم فيها، فإنّ النّاس متّحدون في فطرتهم، و مختلفون في طبيعتهم...

٣٧ـ (أولم يروا أنّ الله يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

تساؤل فيه معنى التّعقيب و التّقرير لما تقتضيه الفطرة من التّوحيد، و دعوة النّاس جميعاً إليه بأنّ الحالتين المختلفتين الظاهرتين المشاهدتين من شخصين أو من شخص واحد في زمانين هما من الله تعالى وحده فإنّه الّذي يبسط الرّزق لمن يشآء أحياناً و يضيقه على مَن يشآء أحياناً و هو ما ينبغي أن يكون مفهوماً، فإنّه مألوف مشاهد، و لأنّ فيه آيات و حكمها ربّانيّة يفهمها و يسلم بها الّذين يلتزمون فطرتهم الّتي تدعوهم إلى التّوحيد، فيؤمنون بالله وحده، فإنّهم يستدلّون بها على وحدانيّته، و على كمال علمه و حكمته، و تدبيره و قدرته.

و نعم ما قال الشّاعر:

نكد الأريب وطيب عيش الجاهل قد أرشداك إلى حكيم كامل

و قال الآخر:

كم من أريب فهم قلبه مستكمل العقل مقلّ عديم
و من جهول مكثر ماله ذلك تقدير العزيز العليم

و قال آخر:

يُعطي التيوس رزقاً بلا عدد واهل الفصاحة رزقهم مكنونُ
فإن كان رزقي لأجل فصاحتي فياليتني من التيوس أكونُ

و لايبعد أن تكون الرّؤية هنا بصريّة ظاهرة و قلبيّة علميّة معاً أي أنّها رؤية بالنّظر في وجوه حياة النّاس و أحوالهم المختلفة... و من هذه الرّؤية يجيء العلم الّذي يرى منه المبصرون أنّ الله تعالى بعلمه و حكمته لم يجعل النّاس على سوآء فيما قدّرلهم من أرزاق في هذه الحياة الدّنيا و لم يبسطه لهم جميعاً كما قال تعالى: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً» الزّخرف: ٣٢).

و قال: «و لو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض و لكن ينزّل بقدر ما يشآء إنّه بعباده خبير بصير» الشورى: ٢٧).

فهذا العلم الّذي يجيىء به النّظر في أحوال النّاس، و في اختلاف أرزاقهم يدلّ على أنّ ذلك لم يكن إلاّ بإرادة الله تعالى و مشيّته، و علمه و حكمته و تدبيره و قدرته، و عن تقدير لما لك الملك، المتصرّف في العباد... فيبسط الله الرّزق و يوسعه لبعض النّاس، و يضيّقهُ و يقدره لآخرين بحكمة و تقدير... فالأرزاق بيد الله تعالى يعطي منها ما يشآء لمن يشآء... ذلك ما يعرفه مَنِ التزم فطرته، و خالف طبيعته، و آمن بالله تعالى و رضي بما قسم الله له... فلا يبطر المؤمن إذا أصابته نعمة و لا ييأس و لا يحزن إذا قدر الله عليه رزقه «إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون».

و أمّا غيرهم فلمخالفتهم عن فطرتهم، و اتّباعهم لأهوآئهم، و غلبة طبيعتهم عليهم، فلايرون لله تعالى في ذلك شيئاً، و إنّما هي الدّنيا يقتتل فيها النّاس، و يتخاطفون ما عليها كما تتخاطف الذّئاب فريسةً وقعت لها... فمن وقع ليده أو فمه ما يشبعه رضي و اطمأنّ، و من لم يقع ليده أو لفمه شيئ اغتمّ و حزن، و مات أسيً و حسرة!

فمن نظر بعينه و قلبه في أحوال الدّنيا و تقلّبات الأيّام و تداولها بين النّاس و تبدّل أحوالهم... و اتّعظ و اعتبر بها، كان له من ذلك موقف رشيد حكيم مع ما يبتلى الله تعالى عباده من نعم و نقم... فإذا ساق الله عزّوجلّ إليه مزيداً من النّعم و الإحسان، لم يستبدّ به الفرح، و لم يأخذه الغرور، لأنّه يعلم أنّ ذلك إلى تبديل و تحويل و زوال...

و أنّه إذا مسّه سوء و أصابه ضرّ لم يجزع و لا يخنقه اليأس و لا يقنط... لأنّه يعلم بايمانه بالله تعالى: أنّ تلك الأحوال لاتدوم أبداً، و أنّ مع العسر يُسراً، و أنّ بعد الضّيق و الشّدّة فرجاً وسعة...

فالآية الكريمة تدعو النّاس إلى ما تدعوهم فطرتهم إليه و هو التّوحيد من جهة، و تنكر على الّذين غلبت عليهم طبيعتهم و تدعوهم إلى الشّرك بالله سبحانه من جهة اخرى، و تبيّن خطأهم في المبادرة إلى الفرح و السّرور عند إذاقة الرّحمة، و إلى اليأس والقنوط حين إصابة السّيئة من جهة ثالثة.

و ذلك أنّ الرّزق في سعته وضيقه تابع لمشيّة الله جلّ وعلا، فعلى الإنسان أن يعلم أنّ الرّحمة الّتي أذاقها الله تعالى إيّاه، و السّيّئة الّتي أصابته إمّا بما كسبت بيديه، و إمّا ابتلاء،

ممكنة الزّوال بمشيّة الله عزّوجلّ، فلا موجب للفرح بما لايؤمن فقده، و لا للقنوط ممّا يرجى زواله، فيجب عليه بحسب الفطرة و الشّريعة معاً من دون فكاك بينهما أن ينيب إلى الله تعالى في الشّدّة و الرّخآء، و لايعوقه بحسب طبيعته و هواه عن الإنابة إلى الله نعمة تبطره، و لا شدّة تحدّث في قلبه، بل يكن في السّرّآء و الضّرآء منيباً إلى الله جلّ وعلا.

٣٨ـ (فآت ذاالقربى حقّه و المسكين و ابن السّبيل ذلك خير للّذين يريدون وجه الله و اولئك هم المفلحون)

خطاب لرسول الله «ﷺ» لأنّه المقصود بالأصالة في ايتآء حقّ ذي قرباه، فيجب على المؤمنين استمرار الحكم تبعاً، و لذلك لم يخاطبهم، و لم يكرّر الأمر: «آت».

قوله تعالى: «حقّه» في إضافة الحقّ إلى الضّمير المفرد العائد إلى «ذاالقربى» و في تقديم المفعول الثّاني: «حقّه» على العطف، و في العدول عن «فآت ذاالقربى و المسكين و ابن السّبيل حقّهم أو حقوقهم» و في التّعبير عن القريب بذى القربى، و لم يعبّر عن المسكين بذى المسكنة ، دلالة على خصوصيّة الفرد، و خصوصيّة حقّه.

فالمراد بالفرد يكون فرداً خاصّاً، و بالحقّ، حقّاً خالصاً له، و لذلك لم يضفه إلى «المسكين و ابن السّبيل» فلهذا الفرد الخاص حقّ خالص في ذمّة رسول الله «ﷺ» أمره الله تعالى بإيتائه إيّاه، فلاتبرأ الذّمّة إلاّ بأدآئه.

و **قوله تعالى:** «و المسكين و ابن السّبيل» في تخصيص الصّنفين بعد «ذى القربى» بالذّكر من بين الأصناف دلالة على أنّهما أولى بالإشفاق عليهما من سآئر الأصناف...

و **قوله تعالى:** «و اولئك هم المفلحون» حصر حقيقيّ على أنّ المتّصفين بالايتاء المذكور استطراداً و إرادة وجه الله تعالى و الخلوص، هم الّذين التزموا لفطرتهم و خالفوا طبيعتهم، فآمنوا بالله حقّاً و ائتمروا بأوامره و انتهوا عن نواهيه، و عكس غيرهم من الكفّار و المنافقين، و الفجّار و المستكبرين... و في هذه الجملة و ما قبلها من تعليق حكم الخيريّة و الفلاح على إرادة وجه الله سبحانه ما لايخفى.

فشتّان مابين الفريقين: فريق التزموا لفطرتهم الواحدة و عملوا بمقتضاها المـؤيّد بالشّريعة السّماويّة، و فريق اتّبعوا أهواءهم فغلبت عليهم طبيعتهم المختلفة، فصاروا هم و البهآئم على شرع سوآء بل هم أضلّ سبيلاً!!!

٣٩ـ (و ما آتيتم من رباً ليربوا في أموال النّاس فلايربوا عند الله و ما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون)

مستأنف بيانيّ مسوق لتقرير أنّ الله تعالى هو الّذي يعطي، و هو الّذي يمنع، و أنّ على المؤمنين الّذين يدركون أنّ المال مال الله سبحانه أن لايبطروا و لايستغلّوا أموالهم فيما لا خير فيه و لاأجر لهم، و أن يساعدوا الفئات المحتاجة لوجه الله جلّ وعلا و ابتغآء فضله و أجره.

هذا بناءً على أنّ المراد بالرّبا ههنا أن يقرض الرّجل أخاه قرضاً، طمعاً أن يزيده و يعوّضه باكثر ممّا يأخذه بلاشرط بينهما، فهذا مباح لاثواب له.

و **قوله تعالى**: «ليربوا في أموال النّاس» سمّيت العطيّة أو الهدية رباً مجازاً لأنّها سبب للزّيادة. و فيه كناية لأنّ الزّيادة الّتي يأخذها المرابي من أموال النّاس بشرطها حرام لايملكها أصلاً، فالظّرفيّة في موضع الكناية. و المراد بالزّكاة: الصّدقات...

و **قوله سبحانه**: «فاولئك هم المضعفون» التفات عن الخطاب إلى الغيبة للتّعظيم، فهو أمدح من أن يقول لهم: فأنتم المضعفون. و فيه حذف المفعول به أى ثوابهم.

كأنّه قال: اولئك الّذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون أجرهم عند الله تعالى. و في الآية الكريمة تنبيه تعقيبيّ على أنّ الرّبح الحقيقيّ ليس فيما يعطيه المرء لغير من مال بقصد استغلاله و تكثيره و إن كان بغير شرط، فليس لهذا عند الله سبحانه أجر، و إنّما الرّبح الحقيقيّ هو في الصّدقات الّتي تعطى للمحتاجين لوجه الله تعالى بدون مقابل و لا قصد استغلال و استثمار و لا تكثّر في الدّنيا، فالّذين يفعلون ذلك هم الّذين يربحون أضعافاً مضاعفة بما يكون لهم عند الله تعالى من الأجر العظيم، و ما لهم من بركات في أموالهم...

٤٠ـ (الله الّذي خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم هل من شركآئكم من يفعل من ذلكم من شيْ سبحانه و تعالى عمّا يشركون)

مستأنف بيانيّ مسوق لتقرير أدلّة التّوحيد حسب ما تقتضيه الفطرة البشريّة تدعو الإنسان إليه على سبيل الخطاب للنّاس جميعاً، و للمشركين خصوصاً في كلّ ظرف من الظّروف... فإنّ الآية الكريمة تقرّر لهم و لهم: أنّ الله تعالى هو الّذي خلقكم بدءاً، و هو الّذي يرزقهم، ثمّ هو الّذي يميتهم، و هو قادر على إحيآئهم بعد موتهم، فتبيّن لهم المبدأ و المعاد معاً، ثمّ وجّهت إلى المشركين خصوصاً سئوالاً فيه تنديد و تحدّ عمّا إذا كان أحد من شركآئهم يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك، ثمّ قرّرت تنزيه الله جلّ وعلا و تقديسه عما يشركونه معه من شركآء...

و **قوله تعالى:** «هل من شركآئهم من يفعل من ذلكم من شيْ» استفهام إنكاريّ توبيخاً و تحقيراً للمشركين الّذين يعبدون الآلهة و الأصنام الّتي لاتخلق و لاترزق و لا تحيي و لاتميت، و تعجيزاً لها و تجهيلها... و «من» في «من شيْ» زائدة لتأكيد الاستغراق، و فيه طلب الإنصاف منهم، حيث وضعهم موضع المسئلة مرّة اخرى لتكشف لهم عمّا هم فيه من سفه و ضلال... و أنّهم و قد طولبوا من قبل أن يأتوا بحجّة و برهان على ما يعبدون من دون الله في قوله سبحانه: «أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون»؟ و أما و قد خلت أيديهم من هذا السلطان المطالبين به، من كتاب سماويّ أو رسول إلهيّ ـ فقد جآئتهم آيات الله تدعوهم إلى أن يبحثوا عن هذا السّلطان في داخل أنفسهم، و أن يديروا عقولهم ـ إن كانت لهم عقول ـ إلى مظاهر الوجود و حقآئقه... فإنّ في كلّ مظهر من مظاهره، و في كلّ حقيقة من حقآئقه، سلطاناً و برهاناً على المعبود الحقّ الّذي يجب أن يُعبَد... إنّه الله الّذي خلق الخلق كلّهم و رزقهم جميعاً، و إنّه الله الّذي يميتهم ثمّ يحييهم ... فهل من معبودات المشركين في كلّ ظرف من الظّروف من يفعل شيئاً من ذلك؟ هل من آلهتهم تلك مَن له مشاركة في خلقهم؟ و هل من آلهتهم تلك، من له مشاركة في رزقهم؟ و هل تملك آلهتهم تلك، إماتتهم أو بعثهم بعد موتهم؟؟؟!!!

هذه أسئلة عن المشركين لابدّ و أن يجيبوا عنها، فإن كان جوابها إيجاباً ـ و هيهات ـ

كان ذلك حجّة لهم، و برهاناً مبيناً، يعبدون به تلك الآلهة عليه، و يعطون و لآءهم خالصاً لها... و إن كان الجواب سلباً و هو ـ الواقع ـ فقد سقطت الحجّة و بطل البرهان، و كان عليهم أن ينفضّوا أيديهم من تلك الآلهة، و أن يُجلوها عن عقولهم، و أن يلفظوها من مشاعرهم.... و إلاّ فهو الضّلال و العمىٰ و هو الضّياع و الهلاك...

إنّها قضيّة منطقيّة قامت مقدّمتها على فَرْض، هو: أنّ الالوهيّة لمن يخلق و يرزق و يميت و يحيى... و الله عزّوجلّ هو الّذي يخلق و يرزق و يميت و يحيى... فهل من معبوداتكم من يفعل شيئاً من هذا؟! إنّها لا تفعل شيئاً... و إذن فلا مدخل لها إلى الاُلوهيّة... و إذن فالله وحده المتفرّد بها لا شريك له.

و **قوله تعالى:** «سبحانه و تعالى عمّا يشركون» تنزيه و تقديس لذاته عن الشّريك لله سبحانه، على سبيل الإلتفات تجهيلاً و تحقيراً للمشركين في كلّ ظرف من الظّروف... و التّعبير بالمضارع لما في الشّرك من الغرابة من جهة، و للإشعار باستمراره و تجدّده منهم و أضرابهم من جهة اخرى.

فالآية الكريمة من أبين الآيات الدّالّة على وحدانيّة الله تعالى و بطلان الشّرك مطلقاً على سبيل القضيّة المنطقيّة.

٤١ـ (ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي النّاس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون)

مستأنف بيانيّ سيق لبيان نتائج الشّرك و الطّغيان و الكفر و العصيان... و سوء آثارهم في المجتمع الإنسانيّ، و أنّ الشّرك... سبب لظهور الفساد الّذي هو ضدّ الصّلاح فى شتّىٰ أبعاد الشئون الاجتماعيّة و الفرديّة، في مختلف أنحآء الأرض برّها و بحرها...

و في ايثار الماضي إشعار بتحقّق الفساد حتماً بالشّرك و إشاعة الفحشآء و المعاصي... والحكم مستمرّ المدى باستمرار سببه: «بما كسبت أيدي النّاس» لأنّهم خلفآء على الأرض و أصحاب الإرادات العاملة فيها، و إنّ كلّ ما على هذه الأرض من كائنات إنّما تتحرّك حركة منبعثة من طبيعتها الّتي أودعها الله تعالى فيها دون أن تخرج عليها... و لهذا

كان كلّ نوع من الكائنات على طريق واحد لا اختلاف فيه بين فرد و فرد، و إنّ الإنسان وحده هو الّذي يعيش في الجماعة الإنسانيّة ذاتاً مستقلّة، لها تفكيرها، و لها اسلوبها في الحياة...

و من هنا كان التّغيير و التّبديل في المجتمعات الإنسانيّة و كانت الحروب الدّائرة بينها و كانت تلك الإنحرافات و الضّلالات في العقائد و الأفكار و المعاملات... من شرك بالله سبحانه و كفر بالآخرة، و تكذيب النّبيّ ﴿ﷺ﴾ و كذب و غشّ و خداع و نفاق و كبر و عناد و طغيان... و ما إليها ممّا تمتلىء به دنيا النّاس من مساوىء و مقابح...

فالفساد الطّارىء على هذه الأرض من جانب الإنسان، و ليس معنى هذا أنّ الإنسان هو عنصر الفساد في هذه الأرض، إذ لو كان كذلك لما استحقّ أن يكون خليفة الله فيها، و إنّما فساده فيها ناش عن تخلّفه لفطرته، و غلبة طبيعته عليه و استخدامه لها، فإذاً يتّخذ كثيراً من أدوات الأرض الصّالحة النّافعة لأهلها أدوات للإفساد فيها و تدمير أهلها، و أمّا إذا اتّبع فطرته، و غلب على طبيعته و استخدمها لنفسه، فيستخدم أدواتها لصلاحها و نفع أهلها...

ففي قوله سبحانه: «بما كسبت أيدي النّاس» إشارة إلى أنّ هذا الفساد و الاعوجاج والانحطاط... الّذي ظهر على وجه هذه الأرض، هو ممّا كسبته أيدي النّاس الخائنة... فهو من صنعهم و من فعل إرادتهم الحرّة، و لهذا فهم محاسبون عليه، مؤاخذون به.

و قوله عزّوجلّ: «ليذيقهم بعض الّذي عملوا» تقرير لهذه الحقيقة و هي أنّ ما يعمله النّاس، هو محسوب عليهم، مجزيّون به، من خير أو شرّ... وليس كذلك ما تعمله الكائنات الاخرى الّتي تعيش مع النّاس على هذه الأرض... إنّ ما تعمله لا إرادة لها فيه، شأنها في هذا شأن البذرة تُدفن في الثّرى، فيخرج منها ما في طبيعتها من زهرة و ثمرة... و إنّ الكائنات خلقت للنّاس، مسخّرة، مستخدمه لهم...

و من هنا كانت مسئوليّة الإنسان عن كلّ عمل يعمله، ليذوق ثمرة ما يعمل، حلواً كان أو مرّاً: «و أن ليس للإنسان إلاّ ما سعى و أنّ سعيه سوف يرى» النّجم: ٣٩ ـ ٤٠).

و الآية الكريمة هنا إنّما تنبه إلى الأعمال السّيئة الّتي من شأنها، الإفساد في الأرض، و

الّتي كان من شأن الإنسان العاقل أن يتجنّبها، و يعمل ما هو خير و صلاح، و ما هو حسن و كمال...

و في قوله جلّ و علا: «ليذيقهم بعض الّذي عملوا» إشارة إلى أنّ الله تعالى ـ فضلاً منه و كرماً و إحساناً ـ لم يجز النّاس بكلّ ما عملوا من شرّ، بل ببعض ما كسبوا منه، حتّى يكون لهم من ذلك زاجر يزجرهم، و أدب سماويّ يأخذون منه العبرة و العظة، و ليحملهم على الإرعواء، و الرّجوع عن الشّرك إلى التّوحيد، و عن المعصية إلى الطاعة من قريب، و يستقيموا على طريق الحقّ و الهدى، و الخير و الصّلاح، و الصّواب و الرّشاد...

و لو يؤاخذ الله النّاس بما كسبوا لأهلكهم جميعاً، بل و أهلك معهم كلّ دابّة تدبّ على ظهر الأرض... و إنّه ليكفى أن يدين بعض النّاس بغير دين الله تعالى، و أن يتّخذوا من دونه أوليآء، و أن يدعوا له ولداً أو شريكاً من أنحآء الشّرك... فذلك ذنب عظيم: «تكاد السّموات يتفطّرن منه و تنشقّ الأرض و تخرّ الجبال هدّاً أن دعوا للرّحمن ولداً» مريم: ۹۰ـ ۹۱).

و في قوله سبحانه: «ليذيقهم بعض الّذي عملوا» تهديد لهم بإذاقة بعض الوبال الدّنيوي لا كلّه، و لا الوبال الاخرويّ إن رجعوا عن الشّرك إلى التّوحيد، و عن الطّغيان إلى الطّاعة، و إلّا كان تهديداً لهم بإذاقة الوبال الدّنيويّ كلّه، و بالوبال الاخروي تمامه. والمراد بإذاقة بعض ما عملوا إذاقة جزآء أعمالهم، فهم بذواق جزآء بعض أعمالهم السّيّئة كأنّهم ذاقوا بعض نفس أعمالهم. و هذا من الحذف الحسن لأنّه حذف المسبّب و إقامة السّبب الّذي أدى إليه مقامه.

و قوله تعالى: «لعلّهم يرجعون» تعليل للإذاقة بأنّه عزّ و جلّ يفعل بهم هذا ليرجعوا إلى الله تعالى و يؤمنوا به و يصلحوا.

٤٢ـ (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبل كان أكثرهم مشركين)

مستأنف بيانيّ سيق لتأكيد تسبّب المعاصي لغضب الله تعالى و نكاله، فأمر رسوله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ بتحدّي مشركي مكّة بالتّجوّل في أنحآء الأرض، فيسيروا فيها، فينظروا

عاقبة الطّغاة الفجرة، و مصير العتاة الجبابرة، و وخامة أمرالبغاة الظلمة و يعلموا كيف أهلك الله تعالى الأُمم الطّاغية، الماضية و أذاقهم سوء العاقبة بذنوبهم... فيتحقّقوا صدق ما تقدّم... فالآية الكريمة بصدد الإستشهاد لمضمون الآية السّابقة.

و قوله عزّوجلّ: «كان أكثرهم مشركين» مستأنف بيانيّ مسوق لبيان أنّ ما أصابهم و قد حلّ فيهم ما حلّ كان لفشوّ الشّرك في أكثرهم و الفساد و المعاصي في أقلّهم... و فيه دلالة على أنّ الشّرك وحده لم يكن سبباً تامّاً لتدمير جميعهم، بل هو سبب تدمير أكثرهم، و إنّ ما دونه من المعاصي و الذّنوب يكون سبباً لتدمير غيرهم من أصحاب المعاصي...

و فيه إشارة إلى أنّ الّذين ورد عليهم الهلاك من الأُمم السّالفة كان يغلب عليهم الشّرك و الضّلال و الكفر و الفساد، و قليل منهم من آمنوا بالله تعالى و استجابوا لرسل الله.

و من المحتمل أن تكون الجملة الإخبارية بياناً بأنّ الشّرك هو سبب الفساد، فوصلت نارشركهم أذيال غيرهم، حيث إنّ الشّرك فتنة لاتصيب الّذين ظلموا منهم خاصّة. ففيه تهويل لأمر الشّرك و تهديد لمشركي مكّة، و لكلّ من يسلك مسالكهم في كلّ ظرف من الظّروف، بأنّ مصيرهم هو مصير الكفّار و المشركين من قبلهم، و ما أخذهم الله به من عذاب، و ما ارسل عليهم من مهلكات، فخربت ديارهم، و عفت آثارهم، و بادوا عن آخرهم، و انقطع دابرهم بأنواع من النّوائب و البلايا... كان أكثرهم مشركين، فأذاقهم الله تعالى بعض ما عملوا ليعتبر به المعتبرون، فيرجعوا إلى الله تعالى و طاعته. و فيه من تعليق الحكم على الوصف ما لايخفى.

٤٣ـ (فأقم وجهك للدّين القيّم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله يومئذ يصّدّعون)

تفريع على ما سبق أي فإذا ظهر لك فساد الشّرك، و وباله الّذي سيلحق بالمتلبّس به و فساد سائر الملل و النّحل «فأقم وجهك للدّين القيّم» و إن كان باقامة وجوههم للدّين إلتفاتاً إلى رسول الله (ﷺ) بالأصالة، و إلى المؤمنين بالتبع، و لكنّ المستفاد من السّياق أنّ المؤمنين هم المأمورون والدّين القيّم هو الإسلام الّذي هو أصل كلّ دين سماويّ، و منبع كلّ

شريعة إلهيّة، و بهذا كانت له القيموميّة على كلّ دين، و الهيمنة على كلّ شريعة، و على كلّ كتاب...

و **قوله تعالى:** «فأقم ـ القيّم» داخل في النّوع الإشتقاقيّ من باب التّجنيس من علم البديع، إذ يجمع اللفظين: «أقم» و «القيّم» الإشتقاق، و هو توافق الكلمتين في الحروف الاصول مرتّبة، و الاتّفاق في أصل المعنى، فإنّ «أقم» و «القيّم» كلاهما مشتقّان من قام يقوم.

و **قوله تعالى:** «يومئذ يصّدّعون» بيان لإختلاف أحوال النّاس يوم القيامة بحسب اختلاف أعمالهم في الحياة الدّنيا، فهم في الآخرة يتفرّقون، ففريق من فزع يومئذٍ و أهوال يوم القيامة آمنون، و إلى الجنّة و نعيمها يساقون، و فريق من أهوال يوم القيامة يفزعون، و إلى النّار و عذابها يساقون.

و في الآية الكريمة و تاليها تنبيه للنّاس و إنذار للكفّار و المشركين، و تنويه للأخيار والمؤمنين، فالعلاج الوحيد لاتّقاء غضب الله و بلائه هو الإخلاص في الاتّجاه إليه وحده، فذلك الدّين المستقيم الّذي لايتأتّى فيه عوج...

٤٤ـ(من كفر فعليه كفره و من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون)

مستأنف بيانيّ، تعقيباً على قوله تعالى: «فأقم وجهك للدّين القيّم» فمن أقام وجهه للدّين القيّم و ائتمر بأوامره و انتهى عن نواهيه، فقد مهّد لنفسه مهاداً طيّباً مباركاً، و أعدّ الدّار الّتي ينزلها في الآخرة، أمّا من أعرض عنه، و كفر به فعليه وزر إعراضه و كفره.

و من المحتمل أن تكون الآية بياناً لوجه تفرّق النّاس يوم القيامة أُشير في قوله: «يومئذٍ يصّدّعون» حيث إنّ «من كفر فعليه كفره» أي وبال كفره و هو النّار عليه لا على غيره، «و من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون» يسوّون منزلاً في الجنّة، و في تقديم الظّرف: «عليه» دلالة على اختصاص الجزاء و العقاب و الوبال بمن كفر، و في تقديم «فلأنفسهم» دلالة على اختصاص الثّواب بمن آمن و عمل صالحاً.

قوله تعالى: «من كفر فعليه كفره» من باب ما يتعلّق بالفصاحة اللفظيّة في علم

البديع، من نوع مقابلة اللفظ بمثله، من وجه مقابلة المفرد بالمفرد.

و **قوله سبحانه:** «فعليه كفره» فيه مضاف مقدّر أي وبال كفره و هي النّار المؤبّدة، أو الكفر مجاز عن جزائه، بل عن جميع المضارّ الّتي لا ضرر ورآئها... و إفراد الضّمير باعتبار لفظ «من» تنبيهاً إلى قلّة قدرهم عند الله تعالى و حقارتهم مع ما علم من كثرة عددهم، و جمعه في قوله عزّوجلّ: «و من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون» باعتبار معنى «من» و فيه مع رعاية الفاصلة إشارة إلى كثرة قدرهم و عِظم شأنهم عند الله جلّ وعلا.

و مقابلة «من كفر» بـ«من عمل صالحاً» دون «من آمن» للتّنويه بشأن الايمان بناءً على أنّه المراد بالعمل الصّالح، و إمّا لمزيد الإعتناء بشأن المؤمن العامل بناءً على أنّ المراد بالعمل الصّالح ما يشمل العمل القلبي و القالبي معاً، و يشعر بأنّ المراد بمن عمل صالحاً هو المؤمن العامل، مع أنّ العمل الصّالح لايصلح و لايتصوّر إلاّ بالايمان، على أنّ الايمان مذكور في الآية التّالية و من المحتمل أن يكون ذكر العمل الصّالح بدل الايمان تحريضاً للمكلّف عليه، و به يكمل الايمان، و أمّا الكفر فلازِنة للعمل معه، و أن يكون إفراد الضّمير في الكفر و جمعه في الايمان إشارة إلى أنّ الرّحمة أعمّ من الغضب، فتشمل المؤمن و أهله و ذرّيّته، و أمّا الغضب فمسبوق بالرّحمة، لكنّه لازم لِمن أسآء.

في تلخيص البيان: في قوله تعالى: «و من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون» قال: «و هذه استعارة و معنى يمهدون أي يوطئون لجنوبهم، و يمكنون لأقدامهم عند مصارع الموت و مواقف البعث، و ذلك كناية عن تقديم العمل الصّالح، و المتجر الرّابح تشبيهاً بمن وطأ لمضجعه بالفرش الوثيرة و النّمارق الكثيرة» انتهى كلامه.

٤٥ـ (ليجزي الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات من فضله إنّه لايحبّ الكافرين)

تعليل لقوله تعالى: «يمهدون» مع ما فيه إشارة إلى تفرّقهم يوم القيامة بأنّ المؤمنين يتفرّقون من الكافرين ليجازي تعالى المؤمنين بالحسنى من فضله، و لايحبّ الكافرين أي يبغضهم، و ذلك يستدعى عقابهم، و فيه من التهديد و الوعيد ما لايخفى. و من المحتمل أن

يكون تعليلاً لقوله: «يصدّعون» و في الاقتصار بذكر جزاء المؤمنين إشعار بأنّه هو المقصود بالذّات، و اكتفى من ذكر جزاء الكافرين بالفحوى، حيث إنّ عدم المحبّة كناية عن البغض عرفاً، و هو يقتضي الجزاء بموجبه، فكأنّه قيل: و ليعاقب الكافرين و أُقيم الموصول مقام الضّمير تنويهاً بهم، بذكر الصّفات الطيّبة الّتي اتّصفوا بها، و الّتي كانت سبباً في رضا الله تعالى عنهم، و إسباغ فضله و إحسانه عليهم، ففيه تعليل للجزآء.

لما أنّ الموصول في معنى المشتق، و التّعليق به يفيد عليّة مبدإ الاشتقاق، ففيه تعليق على الوصف مشعراً بعليّة الوصف في الحكم، و تنبيهاً إلى أنّ الفلاح و الفوز عند الله عزّوجلّ للمؤمن الصّالح فقط.

و **قوله تعالى**: «من فضله» فيه دلالة على أنّ الإثابة تفضّل محض، و فيه معنى عدم الإستحقاق، و هذا كما قال بعض المعاصرين: لا ينافي عدّ ما يؤتى المؤمنين الصّادقين جزآء - و فيه معنى المقابلة - و ذلك لأنّهم بأعيانهم و ما يصدر عنهم من أعمالهم ملك طلق لله عزّوجلّ، فلا يملكون لأنفسهم شيئاً حتّى يستحقّوا به أجراً، و أين العبوديّة من الملك و الإستحقاق، فما يؤتونه من الجزآء تفضّل من مالك الملوك لهم بغير استحقاق.

و لكنّ الله تعالى بفضله و رحمته اعتبر لهم ملكاً لأعمالهم في أنّه يملكهم و يملك أعمالهم، فجعل لهم بذلك حقّاً يستحقّونه، و جعل ما ينالونه من الجنّة و الزّلفى أجراً مقابلاً لأعمالهم، و هذا الحقّ المجعول أيضاً فضل آخر منه جلّ وعلا، و منشأ ذلك حبّه تعالى لأنّهم لمّا أحبّوا ربّهم أقاموا وجوههم للدّين القيّم، و اتّبعوا الرّسول «صلى الله عليه و آله» فيما دعا إليه، فأحبّهم الله كما قال: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله» آل عمران: ۳۱).

و لذا كانت الآية تعدّ ما يؤتيهم الله من الثّواب جزآءً، و فيه معنى المقابلة و المبادلة، و تعدّ ذلك من فضله نظراً إلى أنّ نفس هذه المقابلة و المبادلة فضل من الله تعالى، و منشاه حبّه تعالى لهم كما يؤمي إليه تذييل الآية بقوله: «إنّه لا يحبّ الكافرين».

و من هنا يظهر أنّ قوله تعالى: «إنّه لا يحبّ الكافرين» يفيد التّعليل بالنّسبة إلى جانبي النّفي و الإثبات جميعاً أي إنّه تعالى يخصّ المؤمنين العاملين للصّالحات بهذا الفضل، و يحرم الكافرين منه لأنّه يحبّ المؤمنين و لا يحبّ الكافرين.

و في قوله عزّوجلّ: «إنّه لايحبّ الكافرين» إبعاد لهم عن مواقع فضل الله تعالى و إحسانه لأنّه سبحانه لايحبّهم و لايقرّبهم منه، على حين أحبّ المؤمنين الصّالحين و أنزلهم منازل القرب و الرّضوان.

و من المحتمل: أنّ قوله تعالى: «إنّه لايحبّ الكافرين» تقرير بعد تقرير على الطّرد و العكس، و يعني بذلك: كلّ كلامين يقرّر الأوّل الثّاني، و بالعكس، سوآء كان صريحاً و إشارة أو مفهوماً و منطوقاً.

و ذلك أنّ قوله تعالى: «ليجزي الّذين آمنوا» يدلّ بمنطوقه على ما قرّر على اختصاصهم بالجزآء التكريميّ، و بمفهومه على أنّهم أهل الولاية و الزّلفى. و قوله عزّوجلّ: «إنّه لايحبّ الكافرين» لتعليل الإختصاص يدلّ بمنطوقه على أنّ عدم المحبّة يقتضي حرمانهم، و بمفهومه على أنّ الجزاء لأضدادهم موفر، فهو تعالى محبّ المؤمنين.

و قال بعضهم: إنّ قوله جلّوعلا: «فأقم وجهك للدّين القيّم...» بتمامها كالمورد للسّئوال و الخطاب لكلّ أحد من المكلّفين، و قوله سبحانه: «من كفر فعليه كفره...» وارد على الإستئناف، منطوٍ على الجواب، فكأنّه لمّا قيل: أقيموا على الدّين القيّم قبل مجيء يوم يتفرّقون فيه. فقيل: ما للمقيمين على الدّين؟ و ما على المنحرفين عنه؟ و كيف يتفرّقون؟ فأُجيب: «من كفر فعليه كفره...» و أمّا قوله تعالى:«ليجزي الّذين آمنوا...» فينبغي أن يكون تعليلاً للكلّ ليفصل ما يترتّب على مالهم و ما عليهم لكن يتعلّق بـ«يمهدون» وحده لشدّة العناية بشأن الايمان و العمل الصّالح، و عدم الإعباء بعمل الكافر و لذلك وضع موضعه «إنّه لايحبّ الكافرين».

و قال بعضهم: «إنّ في الآية الكريمة لطيفة بيانيّة، و هي أنّ الله تعالى لمّا أسند الكفر و الايمان إلى العباد، قدّم الكافر، و عند ما أسند الجزآء إلى نفسه قدّم المؤمن لأنّ قوله سبحانه: «من كفر» وعيد للمكلّف ليمتنع عمّا يضرّه لينقذه تعالى من الشّرّ و الفساد، و قوله عزّوجلّ: «و من عمل صالحاً» تحريض له و ترغيب في الخير ليوصله إلى الثّواب، و الإنقاذ مقدّم عند الحكيم الرّحيم، و أمّا عند الجزآء فابتدأ تعالى بالإحسان إظهاراً للكرم و الرّحمة هذا و لمّا ذكر جلّوعلا ظهور الفساد و الهلاك بسبب الشّرك و المعاصي، ذكر ظهور

الصّلاح، و لم يذكر تعالى: أنّه بسبب الايمان و العمل الصّالح لأنّ الكريم يذكر لعقابه سبباً لئلّا يتوهّم منه الظّلم، و لا يذكر ذلك لإحسانه فقال:

٤٦ـ(و من آياته أن يرسل الرّياح مبشّرات و ليذيقكم من رحمته و لتجري الفلك بأمره و لتبتغوا من فضله و لعلّكم تشكرون)

مستأنف بيانيّ مسوق ـ على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ـ للتّنبيه على بعض آيات الله تعالى الدّالّة على وحدانيّته و ربوبيّته و علمه و حكمته، و جلاله و عظمته، و تدبيره و قدرته، و ما فيها من أفضاله تعالى على السّامعين... في كلّ ظرف من الظّروف... فهو الّذي يسوق الرّياح مبشّرة بالأمطار الّتي فيها لهم الرّحمة و البركة، و هو الّذي يحرّكها أيضاً لتسيير المراكب البحريّة في البحار حتّى يقوموا عليها بأسفارهم الّتي يبتغون بها رزق الله و فضله، ففي ذلك كلّه لآيات دالّة على استحقاقه لاتّجاههم إليه وحده و شكرهم على أفضاله عليهم...

و هم يعيشون فيها، و لايكادون يلتفتون إليها، كانت نعماً عامّة شاملة، تسع النّاس جميعاً: كالماء و الهوآء و النّور و غيرها... فهذه النّعم إذ كانت حظّاً مشاعاً في النّاس، لا يتكلّفون لها ثمناً، بل تأتيهم عفواً صفواً بلا حساب ـ إذ كانت كذلك ـ فإنّهم قلّ أن يلتفتوا إليها، و أن يعدوها نعمة من نعم الله تعالى عليهم... إنّ الإنسان إنّما ينظر إلى نفسه خاصّة، و يلتفت إلى الأشيآء الّتي تعنيه وحده، و تقع ليده دون غيره، و يكاد يستأثر بها أو تلك الّتي يتمايز فيها النّاس، و تختلف حظوظهم منها، و الّتي هى مجال تنافس بينهم.

و قوله تعالى: «و من آياته أن يرسل الرّياح مبشّرات و ليذيقكم من رحمته» إشارة إلى هذه النعمة العظيمة، العامّة الشّاملة، و هى الرّياح الّتى يرسلها الله تعالى مبشّرات تسوق بين يديها السّحاب الّذي يحمل الحياة للنّاس و الدّوابّ و الأنعام و الأرض بما ينزل منه من ماء... فهو الرّحمة الّتي يُنْزِلها الله عزّوجلّ على عباده، و يذيقهم منها طعوم فضله و إحسانه.

و قوله سبحانه: «مبشّرات» في موضع تعليل لإرسال الرّياح فكأنّ التّقدير: ليبشّركم بنزول الغيث.

في تلخيص البيان: في قوله تعالى: «و من آياته أن يرسل الرّياح مبشّرات» قال: «و هذه استعارة و المراد بها ما جرت به العادة من هبوب الرّياح أمام الغيوث، و أنّ ذلك يقوم مقام النّطق البشار و الوعد بالأمطار المتوقّعة بين يدي الرّحمة، و الرّحمة في كثير من الآيات كناية عن الغيث».

و قد سمّاها «مبشّرات» لكونها بمنزلة النّاطقة إذا بشّرت بأنّه يجيء مطر يحيي به الأرض لما فيها من إظهار هذا المعنى، و دلالتها على ذلك بجعل جاعل لأنّه من طريق العادة الّتي أجراها الله عزّوجلّ.

و في عطف «ليذيقكم من رحمته» على «مبشّرات» إشارة إلى أنّ البشرى الّتي تحملها الرّياح إلى النّاس فيها سعادة و رضاً، و تهيّؤ لاستقبال هذا الخير الوافد... و في قوله تعالى: «ليذيقكم» استعارة مكنيّة، و في «من رحمته» مجاز مرسل علاقته الحالية لأنّ الرّحمة تحلّ في الخصب و المطر...، فأُطلق الحالّ و اريد المحلّ. و انّ المراد من إذاقة الرّحمة إصابة أنواع النّعم المترتّبة على جريان الرّياح من تخفيف الحرارة، و تلقيح الأشجار، و دفع العفونات و تصفية الجوّ و غير ذلك...

و قوله عزّوجلّ: «و لتجري الفلك بأمره» آية أُخرى من آيات الله جلّ وعلا، والمراد «بأمره» مطلق، يشمل الرّياح و الطّاقة و كلّ دافع و محرّك لأنّه تعالى خالق كلّ شيْ، فبأمره عزّوجلّ و قدرته تسير السّفن على وجه البحار و تحتها...

و قوله سبحانه: «و لتبتغوا من فضله» آية رابعة من آيات هذه الآية الكريمة تدلّ على قدرة القادر العظيم، و ما يحصله الّذين يركبون هذه السّفن من منافع تجاريّة و بحريّة...

و قوله تعالى: «و لعلّكم تشكرون» تحريك لألسنة العباد و قلوبهم و عقولهم بحمد الله تعالى و الثّناء عليه، و إقامة مشاعرهم على الولآء له، و إفراده بالعبوديّة، و الإقرار بوحدانيّته و علمه و حكمته، و جلاله و عظمته، و تدبيره و قدرته... و لكن أكثر النّاس لايقيمون وجوههم إلى الله تعالى و لايذكرون له هذه النّعم... و هذا هو السّرّ في تصدير الشّكر بحرف الرّجآء: «لعلّ» الّذي يفيد الدّعوة إلى هذا الأمر المحبوب المطلوب، و لكن قليل هم أُولئك الّذين يقع لهم أو منهم... هذا الأمر.

و انظر في وجه هذه الآية الكريمة تارة أُخرى، و تأمّل هذه «الواوات» الّتي تقوم على كلّ مقطع من مقاطعها، وكأنّها رسل من رسل الله تعالى يحمل كلّ رسول منها الآية المرسَلَ بها في هذا العرض العَظيم لآيات الله جلّ وعلا، و كأنّه يقول لمن يمرّ به: قِف، و خذ حظّك من النّظر فيما أحمل إليك من آيات ربّك! «و من آياته... و لعلّكم تشكرون» ألا خسيء و خسر من لا يسجد لجلال الله، و لا يعنو لعظمته، و لا ينقاد لدعوته!!

و قال بعض المعاصرين: و قوله تعالى: «و لعلّكم تشكرون» إشارة إلى غاية معنويّة كما أنّ الغايات المذكورة قبل، غايات صوريّة، و الشّكر هو استعمال النّعمة بنحو ينبيء عن إنعام منعمه أو الثّنآء اللّفظيّ عليه بذكر إنعامه، و ينطبق بالأخرة على عبادته، و لذلك جييء بـ«لعلّ» المفيدة للرّجآء، فإنّ الغايات المعنويّة الاعتباريّة ربّما تخلّف.

و في التبيان: قال: «و إنّما اتى بلفظ «لعلّكم» تلطّف في الدّعآء إلى الشّكر كالتلطّف في الدّعآءِ إلى البرّ في قوله: «من ذا الّذي يقرض الله قرضاً حسناً» البقرة: ٢٤٥).

٤٧ـ (و لقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجآؤهم بـالبيّنات فـانتقمنا من الّذين أجرموا و كان حقّاً علينا نصر المؤمنين)

مستأنف بيانيّ سيق ـ على سبيل التّأكيد بالقسم ـ تسليةً لرسول الله ﴿ﷺ﴾ و تأنيساً له و ايذاناً بالنّصر، و مواساة له فيما يلق من قومه من كفر و ضلال، و جحود و صدود، و تذكيراً له بأنّ الله تعالى قد أرسل من قبله رسلاً إلى أقوامهم بالدّلآئل الواضحات على صدقهم في نبوّتهم و رسالتهم إليهم، فنهم من استجاب لهم و منهم من كفر بهم تعنّتاً و عناداً فانتقم الله تعالى من المجرمين و أصابهم ببلآئه و أخذهم الله بذنوبهم، و ما كان لهم من واق، و نصر المؤمنين لأنّه يعتبر نصر المؤمنين عليه حقّاً، فليس وحده هو الّذي كُذِبَ من بين رسل الله جميعاً... بل إنّ رسل الله كلّهم قد كُذِّبوا من أقوامهم و أُوذوا من سفهآئهم... و المراد بـ«قومهم» أقوامهم، و الإفراد للإختصار حيث لا لبس.

و قوله تعالى: «فانتقمنا من الّذين أجرموا» تهديد للمشركين و عرض لهم على المصير الّذين هم صآئرون إليه... فكما انتقم الله من المجرمين الضّالّين في الأمم الماضية، سينتقم كذلك من هؤلآء المجرمين الضّالّين... و في الجملة إشعار بأنّ الإنتقام من المجرمين

لأجل المؤمنين، فإنّه من النّصر. و في وضع الموصول موضع ضميرهم إشعار بالعلّة، و التّنبيه على مكان المحذوف، مع ما فيه من تعليق الحكم على الوصف.

و **قوله عزّوجلّ**: «و كان حقّاً علينا نصر المؤمنين» وعد كريم من الله تعالى لرسوله «ﷺ» و بشارة بنصره و نصر المؤمنين معه، فعلى حين يخزي الله الكافرين و يكتب المجرمين الضّالّين، فإنّه جلّ وعلا ينصر المؤمنين و يعزّهم، و يجعل العاقبة لهم... فقد أوجب الله سبحانه على نفسه ـ فضلاً و كرماً ـ أن ينصر المؤمنين، و يجعل لهم الغلب على أعدائهم كما يقول تعالى: «كتب الله لأغلبنّ أنا و رسلي إنّ الله قويّ عزيز» المجادلة: ٢١).

و في هذا ـ فضلاً عن التّشجيع و التّثبيت و التّطمين ـ معنى تكريميّ عظيم للمؤمنين و رفع لشأنهم، و تأهيل لكرامة سنيّة، و إظهار فضل سابقة و مزيّة، حيث جعلهم مستحقّين أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم و يظفرهم على أعدآئهم...

و إنّ إطلاق الجملة يجعلها شاملة لكلّ زمان و مكان أيضاً، فالمؤمن المستقيم يجب أن يظلّ دائماً مطمئناً إلى أنّ الله تعالى قد وعده بالنّصر و التّأييد و جعل ذلك حقّاً عليه تعالى، و أنّه لن يخلف وعده، و لو اشتدّت عليه الخطوب، و عظمت عليه الكروب أحياناً، و في هذا ما فيه من التّلقين القرآنيّ الجليل، فالحكم مستمرّ المدى.

ففي اللآية الكريمة: وعد و بشارة بالظّفر للمؤمنين على أعدائهم، و تنظيم لأمرهم، و تأهيلهم للكرامة و استحقاق الإثابة و النّصر، و في تعريف المؤمن تنويه بهم، و إلماع إلى أنّ من تخلّف عن مراتبهم لا يستحقّ هذه المنّة الكبرى، و فيها وعيد و نكال و خسران بالمآل لمن كذّب به من قومه، و أيضاً تحذير عن الإخلال بمواجب الشّكر.

٤٨ـ (الله الّذي يرسل الرّياح فتثير سحاباً فيبسطه في السّمآء كيف يشآء و يجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشآء من عباده إذا هم يستبشرون)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير ما اجمل فيما سبق من ذكر الرّياح و أحوالها الّتي تتشكّل من حركة الرّياح، و ما تثير من أمواج و بخار و سحاب، و ما ينزل من السّحاب من مآء، و ما

يدخل منه على النّاس من بِشر و غبطة، بعد يأس و وجوم!

و ذلك ـ على ما قال بعضهم، تنقيحاً منّا ـ أنّه يلاحظ في الآية السّابقة قد جآء ذكر الرّياح و ما تسوق من بشريات: «و من آياته أن يرسل الرّياح مبشّرات...» و قد يبدو لمن لا يحسّ نقد الكلام و لا تذوق البلاغة أنّ هذا من التكرار الّذي يعاب على أرباب البيان، و يُعدّ قصوراً في البلاغة، و فقراً في المعاني الّتي يملكها الأديب... و لكن أهكذا ـ حقّاً ـ يكون حساب التكرار إذا ورد في القرآن الكريم؟!

لندع المشاعر الدّينيّة حتّى يمكن أن نجيب على هذا السّؤال، جواباً قائماً على ميزان النقد البلاغي، و على اعتبار أنّ هذا كلام لا يقوم ورآئه سلطان العقيدة و لا تزكّيه مشاعر الايمان...

و نعرض أوّلاً الآيتين في سياق واحد... هكذا:

«و من آياته أن يرسل الرّياح مبشّرات و ليذيقكم من رحمته و لتجرى الفلك بأمره و لتبتغوا من فضله و لعلّكم تشكرون».

«الله الّذي يرسل الرّياح فتثير سحاباً فيبسطه في السّماء كيف يشآء و يجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشآء من عباده إذا هم يستبشرون».

و إذا ننظر فيهما نجد:

أوّلاً: انّه يمكن أن تتّصل تلاوتهما معاً، دون أن يحسّ القاريء أو السّامع أنّ هناك تكراراً في الصّورة، و أنّ الآيتين تحقّقان معاً صورة واحدة لهذه الظّاهرة الرّائعة من ظواهر الطّبيعة... و مع هذا فقد فصل النّظم القرآنيّ بين الآيتين بآية اخرى، ليس فيها لون من ألوان تلك الصّورة الّتي رسمتها الآيتان...

و ثانياً: أنّا ـ في الآية الاولى من الآيتين ـ نرى «الرّياح» آية من آيات الله تعالى، مندرجة مع تلك الآيات تولّدت عنها، فكانت آيات قائمة بذاتها... فما أن تظهر آية الرّياح، حتّى تختفي، و تأخذ آية اخرى مكانها... و إذا الّذي كلّ ما للرّياح في هذه الآية هو قوله سبحانه: «و من آياته أن يرسل الرّياح...»

و ثالثاً: في الآية الثّانية نرى «الرّياح» الّتي لمحناها في الآية السّابقة لمحاً، و أنّها مجرّد

شيئ منطلق ـ نراها هنا ـ و قد اهتزّت و ربت، فكانت منها الآيات الرّآئعة المعجبة... انظر: الرّياح... تثير سحاباً، فيبسطه الله في السّماء كيف يشآء و يجعله كسفاً أي قطعاً متراكمة و سرعان ما يتفتّق هذا السّحاب عن ودق أي مطر، يَدَق الأرض، و يترك عليها آثاره... و إذا الّذين يستقبلون هذا المطر قد لبسوا ثوب البِشر، و نزعوا ما كانوا قد لبسوا من قبل، من همّ و كرب!

«الله الّذي يرسل الرّياح فتثير سحاباً...»

إنّ الرّياح هنا هي الّتي أثارت السّحاب، و هي الّتي قبل أن تثيره قد أثارت وجه البحار و حركت أمواجها، و حملت ما على وجهها من أبخرة إلى السّمآء، فإذا هي ضباب و سحاب... ثمّ ضربت هذه السّحاب بعضه ببعض، فانقدح منه هذا الشّرر الّذي ولد الرّعد و البرق و المطر!

هذه هي آية الرّياح الّتي أشارت إليها الآية الاولى، قد كشفت عن وجهها في الآية الثّانية، فكانت هذا العطاء الجزيل من آيات الله تعالى و دلائل قدرته و تدبيره و علمه و حكمته...

و على هذا يمكن أن يرجع البصر كرّة اخرى إلى تلك الآيات في قوله تعالى: «و ليذيقكم من رحمته و لتجرى الفلك بأمره و لتبتغوا من فضله...» ففي كلّ آية، آيات، لو وجدت النّظر الّذي ينظر إليها و يكشف عن بعض معطياتها...

ففي قوله سبحانه: «وليذيقكم من رحمته» تتمثّل تلك الصّورة الّتي يفعلها المطرحين ينزل الأرض، فيُسفر به وجهها، و يهتزّله كيانها، و إذا هي و قد كانت جردآء، ميتة موحشة، قد لبست أثواباً قشبية مختلفة الألوان و الأصباغ، و إذا هي حياة دافقة، و شباب نضير... و هكذا في جريان الفلك، و في الابتغآء من فضل الله... فيها مجال فسيح للنّظر، و مَراد واسع للفكر، و مَسْبَح رآئع للخاطر...

و **قوله تعالى**: «إذا هم يستبشرون» و ما بعده إعلام بسرعة تقلّب قلوب النّاس من الإبلاس إلى الاستبشار، و ذلك أنّ من قبل أن ينزل عليهم المطر يحتمل الفسحة في الزّمان، فجآء «من قبله» للدّلالة على الاتّصال و دفع ذلك الاحتمال.

و بالجملة أنّ في الآية الكريمة و ما يليها إشارة إلى مشهد من مشاهد قدرة الله تعالى في الرّياح و الأمطار، و تدليل به على قدرة الله على إحيآء الموتى... و ذلك أنّ الله جلّ وعلا يرسل الرّياح، فتحرك السّحاب و تسوقه من مكان إلى مكان حتّى يكون قطعاً متراكمة بعضها على بعض، فلا تلبث أن تتساقط من خلالها المياه، و حينما ينزل المطر في مكان يستبشر أهله برحمة الله تعالى و يتبدّل ما كان من حزنهم و قلقهم و يأسهم قبل نزوله فرحاً و أملاً بما كان من آثار رحمة الله في إحيآء الأرض بعد موتها و جفافها، و في هذا عبرة تسترعى النّظر و التّدبّر.

و المستفاد من روح الآيات و فحواها: أنّه حدث في ظروف البعثة النّبويّة أن انحبس المطر ثمّ أرسل، و أن جزع المشركون ثمّ فرحوا، فجعل الحادث مناسبة للتّذكير و التّنبيه و تدعيم السّياق، و للتّدليل على قدرة الله تعالى على بعث النّاس بعد الموت.

في تلخيص البيان: في قوله تعالى: «الله الّذي يُرسل الرّياح فتثير سحاباً فيبسطه في السّمآء كيف يشآء» قال: «و هذه استعارة، و المراد بإثارتها السّحاب: أنّها تلفق قِطعَه، و توصل منقطعه، و تستخرجه من غيوبه، و تظهره بعد غيوضه تشبيهاً بالقانص (القابض خ) أي ينهضه من مجاثمه، و يبرزه عن مكانه لتراه عينه، فيتأتى لقنصه، و يتمكّن من فرصه» انتهى كلامه.

٤٩ـ(و إن كانوا من قبل أن ينزّل عليهم من قبله لمبلسين)

إشارة إلى ما يكون عليه النّاس، حين تنقطع عنهم موارد المآء، و يغبرّ وجه الأرض، و يتهدّدهم القحط و الموت... في هذه الحال يغشى النّاسَ هَمٌّ ثقيل، و ينزل بهم كرب كارب، فإذاهم و قد أبلسوا، و جمدوا في أماكنهم، فلا حسّ و لا حركة... قد أسلموا أنفسهم ليأس قاتل... فإذا طلعت عليهم رحمة الله تعالى بُعِثوا بَعْثاً جديداً، و سرت في أوصالهم ريح العافية، فانتشؤا نشوة صاحية، ذاقوا منها حلاوة النّعمة و عرفوا قدرها...

و **قوله تعالى:** «من قبله» تكرير للتّاكيد، و ايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه، و الظّرف متعلّق بـ«ينزل» لإفادة سرعة تقلّب قلوبهم من اليأس إلى

الإستبشار مع تقارب زمانيهما على اتّصال اليأس بالتّنزيل المتّصل بالإستبشار لمكان «إذا» الفجائيّة، و اللّام في «لمبلسين» لام فارقة للتّأكيد.

٥٠ـ (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إنّ ذلك لمحي الموتى و هو على كلّ شئ قدير)

الفاء للتفريع و الفصيحة، و تفيد سرعة ترتّبها ترتّب الآثار على المطر من أنواع النبات، و صنوف الأشجار، و أقسام الثّمار... تقديره: إذا أردت أن تعرف ما يترتّب على إنزال المطر فانظر نظر استبصار و استدلال إلى إحيائه البديع للأرض بعد موتها... و المراد من الأمر: «فانظر» تنبيه على عظيم قدرة الله تعالى و سعة رحمته في نظام الكون و نواميس الوجود، مع ما فيه من التّمهيد لما يعقبه من أمر البعث و المعاد.

فالله الّذي أحيي الأرض برحمته الواسعة بعد أن كانت جافّة خامدة كالميتة قادر بالبداهة على إحيآء الموتى، فالمشهدان متقاربان وكلاهما بالنّسبة لقدرته على سوآء.

في قوله تعالى: «فانظر» إلتفات من الغيبة إلى الخطاب لرسول الله ﴿ﷺ﴾ تعظيماً له، و المراد به النّاس كلّهم في كلّ ظرف من الظّروف أي أيّها النّاس استدلّوا بذلك على أنّ من قدر عليه فهو قادر على إحيآء الموتى. و فيه استشهاد بالشّاهد على الغائب.

فالأمر هنا دعوة لكلّ ذي نظر في كلّ ظرف إلى أن ينظر إلى آثار هذه الرّحمة الواسعة المنزلة من الله تعالى، مع هذا الماء المنزل من السّمآء... و ليست الدّعوة إلى النّظر بمجرّد النّظر، و إنّما هي دعوة إلى نظر متدبّر، متأمّل، يأخذ العبرة و العظة ممّا يقع فيه... فمن هذه الرّحمة المنزّلة من السّماء تغيّر وجه الأرض، و سرت الحياة في أوصالها الميتة، و إذا هي أمّ وَلود، تلد مواليد عجباً من كلّ جنس، من كلّ نوع، من كلّ صنف، و من كلّ لون... ثمّ إذا امتدّ نظر الإنسان إلى أبعد من هذا وجد أنّ هذه الحياة الّتي قامت من هذه التّراب الهامد ليس بالمستغرب و لا المستبعد أن تلبس هذه الأجسام الّتي ضمّها التّراب في كيانه، و جعلها بعضاً منه... «إنّ الّذي أحياها لمحي الموتى» فصّلت: ٣٩) فهذا من ذاك سوآء بسوآء...

و قوله تعالى: «إنّ ذلك» الإشارة بـ«ذلك» إلى الله سبحانه بماله من الرّحمة الّتي من آثارها إحيآء الأرض بعد موتها... إشارة إلى كمال قدرته و تدبيره، إلى غاية علمه و

حكمته، إلى جلاله و عظمته، و إلى مقامه و تفرّده وحده جلّ وعلا بهذا الأمر و هو إحيآء الموتى... و بُعد الإشارة مع قرب عهدها للتفخيم و التّعظيم. أى ذلك العظيم الشّأن.

و **قوله سبحانه:** «لمحى الموتى» دلالة على المماثلة بين إحيآء الأرض الميتة و إحيآء الموتى، إذ في كلّ منهما موت و سقوط آثار الحيآة من شئ محفوظ، و حياة هي تجدّد تلك الآثار بعد سقوطها، و قد تحقّق الإحيآء في الأرض و النّبات، و حياة الإنسان و غيره من ذوي الحياة مثلها، و حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد. فإذا الإحيآء في بعض هذه الأمثال و هو الأرض و النّبات و الإنسان... فإذا جاز الإحياء في بعض تلك الأمثال و هو الأرض و النّبات فليجز في البعض الآخر.

و **قوله عزّوجلّ:** «و هو على كلّ شئ قدير» تعليل لما سبق، و تقرير و توكيد للإحيآء المذكور ببيان آخر و هو عموم القدرة، فإنّ القدرة غير محدودة و لامتناهيّة، فتشمل الإحيآء بعد الموت، و إلاّ لزم تقيّدها، و قد فرضت مطلقة غير محدودة. و في «قدير» مبالغة في القدرة على جميع الأشيآء الّتي من جملتها إحيآؤهم و إعادتهم لما أنّ نسبة قدرته تعالى إلى الكلّ سوآء، فتشمل الإبداء و الإعادة.

۵۱ـ (و لئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفرّاً لظلّوا من بعده يكفرون)

اللام توطئة للقسم دخلت على حرف الشّرط، و الجملة مستأنفة بيانيّة لتقرير تزلزل غير المؤمنين و تذبذبهم و اضطرابهم و تقلّب أحوالهم... على أنّهم بأدنى سبب يكفرون بنعمة الله تعالى.

و ذلك أنّ هذه الرّياح الّتي أرسلها الله تعالى بُشراً بين يدى رحمته، و ساق بها الحياة إلى عباده، يمكن أن يسوقها إليهم، و قد صَفِرت يداها من كلّ خير و نعمة، بل ربّما حملت معها السّموم و الغُبار... فهذا و ذاك كلاهما بأمر الله جلّ وعلا، و قد كان من الإيمان بالله تعالى و الرّضا بمقدوره أن يستقبل النّاس هذه الرّيح العقيم بالصّبر على قضآء الله سبحانه و بالطّمع في رحمته الّتي تعقب هذا البلاء... إمّا امتحاناً و إمّا استحقاقاً... و لكن كثيراً من النّاس بل أكثرهم ينكرون الله جلّ وعلا أو يكفرون بنعمته في تلك الأحوال، و يسخطون على ما أصابهم به!

و **قوله تعالى:** «فرأوه» الضّمير الجمع راجع إلى هؤلآء النّاس حيث يغلب عليهم في تلك الأحوال، اليأس و القنوط من رحمة الله تعالى.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿ﷺ﴾: «في تقلّب الأحوال علم جواهر الرّجال» وقليل منهم من يعتصم بإيمانه، و يرضى بما أراد الله تعالى له.

و **قوله عزّوجلّ:** «مصفرّاً» يدلّ على حدوث الصّفرة، و لذا لم يقل: «اصفرّ» و هي الرّيح المحملة بالسّموم، قد ذهبت حرارتها بكلّ ما في الجوّ من بخار الماء، فاصفرّت كما يصفر الزّرع حين يجفّ مآؤه و تذهب خضرته...

و **قوله سبحانه:** «لظلّوا» جواب سدّ مسدّ الجزآء، و لذلك فسّر بالإستقبال.

و **في الآية الكريمة:** ناعية على غير المؤمنين حقّاً من الكفّار و المشركين، و الفجّار والمستكبرين، و الفسّاق و المنافقين، و الطّغاة و المجرمين... بقلّة تثبّتهم و عدم تدبّرهم و سرعة تزلزهم في عقآئدهم، و فيها مبالغة فى احتقارهم لعدم تفكّرهم و سوء رأيهم.

و ذلك أنّ النّظر السّويّ يقتضي أن يتوكّلوا على الله تعالى و يلتجؤا إليه بالإنابة و التوبة و الإستغفار إذا احتبس عنهم القطر، فلاييأسوا من رحمة الله جلّ وعلا، و أن يبادروا إلى الشّكر و الدّعآء، و أن يستديموا بالطّاعة إذا أصابهم برحمته، و لم يفرطوا في الإستبشار، و أن يصبروا على بلآئه إذا ضرب زروعهم بالاصفرار و لايكفروا بنعمه...

ففيها توبيخ لهم بسرعة تقلّبهم في النّعمة و النّقمة، و في الشّدّة و الرّخآء، و تنديد لهم لما يظهرونه من جزع و كفر حينما ينحبس المطر، فلقد تقتضي حكمة الله جلّ وعلا أحياناً أن تهب الرّياح و تتحرّك بدون مطر، فإذا ما هبت على هذا الوجه فاصفرّ الزّرع أظهر الّذين لا يؤمنون بالله تعالى جزعاً و قنوطاً، فهم يعبدون الله على أساس الرّبح، فإذا محصوا بالبلاء ارتابوا بالخالق و حكمته، و تدبيره و قدرته...

٥٢ـ (فإنّك لاتسمع الموتى و لاتسمع الصّمّ الدّعاء إذا ولّوا مدبرين)

الفاء تعليليّة، و الجملة المؤكّدة تعليليّة لمحذوف ـ على طريق الإلتفات من الغيبة إلى

الخطاب لرسول‌الله«ﷺ» تسلية له«ﷺ» على ما يراه من التّمادي في الإعراض عن الحقّ و الهدى، و كثرة اللجاج و العناد، و غاية الضّلال و الفساد... ـ تقديره: اصرف نظرك عن هؤلآء المشركين، و دَعْهم و ما هم فيه من شرك و ضلال، و كفر و عناد، و لاتحزن لعدم اهتدآئهم بتذكيرك، و لا تجزع عن تحوّل أحوالهم الإنسانيّة إلى الحيوانيّة من اتّباع العقل و غلبة الفطرة السليمة على طبيعتهم، إلى اتّباعهم أهوآءهم و غلبة طبيعتهم على فطرتهم، فإنّهم موتى روحاً، و إن كانوا أحيآءً جسماً يتحرّكون كالبهآئم...

هذا تمثيل حيث سدّوا عن درك الحقّ مشاعرهم... فهؤلآء بسبب اتّباعهم أهواءهم غلبت طبيعتهم الحيوانيّة على فطرتهم الإنسانيّة، فصاروا كالموتى، موتى المدركات و المشاعر... لايحسّون شيئاً، و بمثابة الصُّمّ لايسمعون كلاماً إذ لايدركون الحقّ، حيث سدّوا عن دركه مشاعرهم، فيجادلون فيه و يكابرون و يضجّون و يصخبون... و النّبيّ الكريم«ﷺ» غير مكلّف بتغيير طبيعتهم، فيجعل الميّت حيّاً يحسّ، و الأصم سميعاً يسمع، و إنّما عليه أن يتمّ الحجّة عليهم...

فأبان تعالى لرسوله«ﷺ» أنّ هؤلآء المشركين قد جعلوا أنفسهم بسوء اختيارهم بمثابة الموتى، فأنّى لك أن تسمعهم، و جعلوها كالصُّمّ فكيف دعاءك حتّى يستجيبوا لك؟

و إن أردت أن تحسبهم في الأحيآء بما لهم من صور آدميّة متحرّكة ـ فإنّهم صمّ لايسمعون، لأنّ ما يُلقىٰ إليهم من كلمات الله جلّ وعلا لاتصغى إليه آذانهم، و لاتقبله عقولهم... لقد تعطّلت منهم حاسّة السّمع فلايسمعون خيراً و لا يستجيبون لحقّ...

ثمّ إنّه قد لا يستمع الإنسان لغيره، و لا يتقبّل نصح ناصح، و لا هداية هادٍ، و يكون له مع ذلك، نظر يهديه، و يكشف له معالم الطّريق إلى الحقّ و الهدى و إلى الخير و الرّشاد... و لكن هؤلآء المشركين، عُمْيٌ لايبصرون شيئاً، و لا يُسلمون أيديهم إلى المبصرين، حتّى يأخذوا بهم إلى طريق مستقيم، فلايضلّون و لا يتعثّرون...

و **قوله تعالى**: «إذا ولّوا مدبرين» تعليل لنفي السّمع، و تنبيه إلى شدّة إعراضهم عن الحقّ و الهدى لأنّ الأصمّ إذا أقبل ربما فهم بالإشارة، و هؤلآء لايفهمون الحقّ، و لا يدركون الصّواب بأيّ طريق.

٥٣ـ(و ما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون)

تقرير لما على رسول‌الله«ﷺ» من موقفهم هذا من شئ، بأنّه غير مكلّف بفعل المستحيل فلا يجب عليه إسماعهم و هدايتهم إجباراً، و ما يجب عليه«ﷺ» أن يسمع الرّاغبين في الحقّ و الهدى و الايمان و الرّشاد الّذين يقوا على استعداد لإسلام أنفسهم لله تعالى و ايمانهم به بالتّعقّل في حجج الله عزّوجلّ. فأهل الضّلال و العمى على صنفين: صنف يطلب الحقّ و الخير و الهدى فهو يجدها عندك. و صنف لايطلبها فليس فيه حيلة أن يقبلها.

و في تعدّي اسم الفاعل: «هاد» بحرف المجاوزة: «عن» تنبيه على أنّ هؤلآء المشركين عاكفون على الشّرك و الفساد و الكفر و الضّلال، لايتحوّلون عنها أبداً و لايتجاوزون حدودها، و لهذا ضُمّن الفعل: «هدى» معنى الفعل، صَرَف أو أبعد أو نحوهما ممّا يحتاج إلى مدافعة و معاناة... و هذا يعني أنّه ليس من شأن رسول‌الله«ﷺ» أن يحمل هؤلآء العمى حملاً على أن ينقادوا له، و لهذا جآء قوله سبحانه بعد ذلك: «إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا» محدّداً وظيفة رسول‌الله«ﷺ» و ضابطاً منهج دعوته... و هو أن يعرض دعوته، و يتلو آيات ربّه على النّاس، و يُسمع كلام الله تعالى بإبلاغه إلى النّاس فيسمع كلمات الله و يستجيب لها مَن هو مستعدّ للإيمان، لم تغلب طبيعته الحيوانيّة على فطرته الإنسانيّة، و لم يختم الله على سمعه و قلبه، و لم يجعل على بصره غشاوة.

و لهذا أيضاً جاء قوله جلّ وعلا: «فهم مسلمون» تعقيباً على قوله سبحانه: «إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا» ليكشف عن السّبب في استماعهم لآيات الله تعالى و ايمانهم بها، و هو أنّهم مسلمون بفطرتهم و استعدادهم، قبل أن يلتقوا بالدّعوة النّبويّة، و قبل أن يُدعَوْا إلى الإسلام، فلمّا التقوا رسول‌الله«ﷺ» و بدعوة الإسلام صافح الإسلامُ الّذي في فطرتهم الإسلامَ الّذي دُعُوا إليه... فمعنى قوله تعالى: «إن تسمع...»: لاتسمع إلاّ من هو مستعدّ بفطرته للإيمان، المندسّ في كيانه، و أمّا من غلبت طبيعته على فطرته باتّباع هواه، فلن تجاوز كلمات الله أذُنه.

و في عود الضّمير على الاسم الموصول: «مَن» مفرداً و هو فاعل «يؤمن» ثمّ عوده إليه جمعاً هكذا: «إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون» إشارة إلى أنّ الايمان شأن من شئون الإنسان خاصّة، فهو الّذي يحصّل الايمان بنظره الفطري و بتقديره الذّاتي، و بما يقع له من اقتناع عقليّ، و اطمئنان قلبيّ... فإذا آمن، شارك غيره في صفة الايمان، و كان واحداً من جماعة المؤمنين يدخل معهم فيما تحمل شريعة الإسلام إلى المسلمين من أوامره و نواهيه... فيكون واحداً في صفوف المصلّين، أو جنديّاً في جيش المجاهدين... إنّه منذ دخل في الإسلام لم يعد كائناً مفرداً مستقلاً بذاته، منعزلاً بدينه، بل هو منذ أوّل يوم يدخل فيه في الإسلام، يصبح لَبِنَة في نبأ الجماعة الإسلاميّة، و عضواً في الجسد الاجتماعيّ الّذي يجمع المسلمين جميعاً.

فالمسلم إذ يدخل الإسلام، يدخله مفرداً، بعد أن ينظر ببصره و بصيرته، و يدركه بعقله، و يستشعره بوجدانه، و يفتح باب قبله بيده، من غير أن يكون واقعاً تحت إكراه أو إغرآء، و من غير أن يكون متابعاً بلاحجة و لا برهان... فإذا دخل الإسلامَ على تلك الصّفات أصبح مسلماً مؤمناً، و أصبح بهذا صالحاً لأن يكون في جماعة المسلمين و في زمرة المؤمنين...

٥٤ـ (الله الّذي خلقكم من ضعف ثمّ جعل من بعد ضعف قوّة ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و شيبة يخلق ما يشآء و هو العليم القدير)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير الأدلّة النفسيّة على المبدإ و المعاد، و فيها تنبيه و تذكير بأطوار خلق الله للنّاس، فقد خلقهم ضعفآء أوّلاً، و ذلك زمن طفولتهم، ثمّ جعلهم أقويآء، و ذلك زمن شبابهم و كهولتهم، ثمّ جعلهم ضعفآء بعد القوّة و شيباً، و ذلك زمن شيخوختهم و هرمهم، فهو يخلق ما يشآء على الوجوه و الأطوار و الأدوار الّتي تقتضيها حكمته، و هو العليم بالمقتضيات، القدير على خلق كلّ شئ بحسبها... فقدرة الله تعالى تتجلّى في تطوّرات خلقة النّاس و أعمارهم أيضاً، و في كلّ ما يفعله حكمةً و غايةً.

ففيها تعرض دلائل قدرة الله عزّوجلّ على النّاس جميعاً: من مؤمنين و كافرين، فيجد

فيها المؤمنون نظراً مجدّداً إلى قدرة الله تعالى و تدبيره، إلى جلاله و عظمته، و إلى علمه و حكمته... فيزداد ايمانهم تمكيناً في قلوبهم، و إشراقاً في نفوسهم، على حين تقوم على المشركين و الضّالّين من هذه الآيات حجّة اخرى إلى جانب ما قام عليهم من حجج بكفرهم و ضلالهم...

و **قوله تعالى:** «ضعف» استعارة مكنيّة، حيث شبّه بالأساس و المادّة، و في إدخال «من» عليه تخييل. و في تنكير «ضعف» و «قوّة» و «شيبة» دلالة على الإبهام، و عدم تعيّن المقدار لإختلاف الأفراد فيها و لما فيه من مراتب و درجات...

إن تسئل: كيف قال الله سبحانه: «الله الّذي خلقكم من ضعف» و الضّعف صفة الشّئ الضّعيف، فكيف يخلق الإنسان من تلك الصّفة مع علمنا أنّه خلق من عين و هو الماء أو التّراب لا من صفة؟

تجيب عنه بوجوه: منها: أنّ الضّعف مصدر، أراد به اسم الفاعل، و هو الضّعيف كقولك: زيد عدل أي عادل. و نحوه. فالمعنى: خلقكم من ضعيف و هو النّطفة. و منها: أنّ معنى «من ضعف» على ضعف فـ «من» بمعنى «على» كقوله تعالى: «و نصرناه من القوم الّذين كذّبوا بآياتنا» الأنبياء: ٧٧) أي على القوم. و المراد به ضعف جثّة الطّفل حال طفولته.

و في الآية الكريمة صورة من الصّور الحسّيّة الّتي يعيش فيها النّاس، و يمرّ بها كلّ فرد من أفرادهم على اختلاف أجناسهم و ألوانهم و ألسنتهم و أوطانهم... فبدء حياة الإنسان تكون صورة باهتة من صور الحياة، لايكاد يرى ظلّها إلاّ البصر النّافذ، حيث يبدأ خلق الإنسان من نطفة لاتبدو في مرأى العين أكثر من سائل مختلط، أشبه بالمخاط... ثمّ يتدرّج الإنسان من نطفة إلى علقة، إلى مضغة، إلى عظام، إلى لحم يكسو هذا العظام... ثمّ إلى وليد ينشقّ عنه رحم الأمّ، و إذا هو إنسان يأخذ مكانه في المجتمع البشريّ، و يتدرّج في مدارج الحياة من الطّفولية إلى الصّبا، إلى الشّباب و الكهولة، ثمّ ينحدر إلى الشيخوخة و الهرم.

هذا هو بعض ما لله تعالى في الإنسان... فلينظر الإنسان ممّ خلق؟ ثمّ لينظر كيف دار دورته في الحياة كما يدور القمر في دورته من الهلال إلى المحاق!

٥٥ـ(و يوم تقوم السّاعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كـانوا يؤفكون)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير أحوال النّاس يوم القيامة، و اشتباه الأمر على الكفّار و المجرمين في أمر الفصل بين الدّنيا و يوم الفصل حتّى ظنّوه ساعة من ساعات الدّنيا كما اشتبه عليهم أمر البعث في الحياة الدّنيا فظنّوه باطلاً باتّباعهم لأهوآءهم، و اغترارهم بمتاع الدّنيا و زخارفها... و انّ الكلام مسوق للتعجّب من اغترارهم بزينة الدّنيا، و تحقير ما يتمتّعون به من مباهجها و لذّاتها كي يقلعوا عن الكفر و العناد، و الجرم و الفساد، و يرجعوا إلى سبيل الحقّ و الرّشاد، و كأنّه قيل: مثل ذلك التكذيب العجيب كانوا يكذبون في الحياة الدّنيا اغتراراً بما هو قصير الأمد من اللذّات و زخارف الحياة... و الآية الكريمة توكيد للبعث و الحساب و الجزآء، و إنذار للكفّار و المشركين، و الفجّار و المجرمين بأهوال يوم القيامة، فلسوف تقوم السّاعة، و لسوف يقف المجرمين أمام الله سبحانه للحساب و الجزآء، و لسوف يذهلون و يندهشون، و يقسمون أنّهم لم يكد يمرّ على مفارقتهم للدّنيا إلاّ ساعة، و لقد سمّيت القيامة ساعة إمّا لأنّها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدّنيا، و إمّا لأنّها تقع بغتة و بديهة، وجرت علماً لها بالغلبة كالنّجم للثّريآء، و الكوكب للزّهرة، و المراد بقيامها و جودها أو قيام الخلآئق فيها.

قوله تعالى: «و يوم تقوم السّاعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة» في علم البديع من باب ما يتعلّق بالفصاحة اللفظيّة، من نوع التّجنيس، و هو على تنوّعه عبارة عن اتّفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيهما، و هو عظيم الموقع في البلاغة، جليل القدر في الفصاحة، و لو لا ذلك لما أنزل الله تعالى كتابه المجيد على هذا الاسلوب، و اختاره له كغيره من سآئر أساليب الفصاحة، ثمّ ينقسم إلى كامل و ناقص، فالكامل هو أن تتّفق الكلمتان في الوزن و الحركات و السّكنات، و يقع الإختلاف في المعاني...

و لم يقع في كتاب الله عزّوجلّ تجنيس كامل إلاّ في هذه الآية الكريمة. و ذلك أنّ يوم القيامة و إن طال فهو عند الله تعالى كالسّاعة الواحدة عند أحدنا، وحينئذ فـإطلاق السّاعة عليه مجاز، كقولك: رأيت أسداً، و زيد أسد. إذا أردت بالأوّل حيواناً مفترساً، و بالثّانى رجلاً شجاعاً.

و قوله تعالى: «كذلك كانوا يؤفكون» بيان لتقلّبهم من الحقّ إلى الباطل، و من الهدى إلى الضّلال، و ايذان لدوام الضّلال عليهم و ملازمته لهم حتّى قيام السّاعة، فإنّهم كانوا في الحياة الدّنيا يُدعَوْن إلى الحقّ و الهدى و تقام عليه الآيات الكونيّة الآفاقيّة و الآنفسيّة و الحجج القاطعة، فيظنّونها باطلاً من القول، و خرافة من الرّأى، فنبّه في الجملة على استدامة هذا الظّنّ القبيح منهم حتّى بعد موتهم إلى يوم البعث، فإنّهم يومئذٍ يظنّون أنّهم لم يلبثوا في قبورهم فيما بين الموت و البعث غير ساعة من نهار، فاشتبه عليهم أمر البعث كما اشتبه عليهم كلّ حقّ، فظنّوه باطلاً، فهم متمادون في الشّرك و تكذيب الرّسول« ﷺ » و إنكار البعث، و مصرّون على الكفر و الضّلال، و على الباطل و الفساد...

و هذا الإنسان الّذي خُلِقَ من ضعف، و الّذي تعهّدته القدرة الإلهيّة، فأخرجت من هذا الضّعف قوّة و عقلاً و سمعاً و بصراً ـ هذا الإنسان قد كفر بخالقه، و أبى أن يجعل و لآنه له وحده فاتّخذ من دونه شركآء، و إذا حشود كثيرة في جميع الأزمان و الأمكنة تجتمع على الكفر بالله تعالى، و تعيش في هذا الضّلال، لا تعمل ليوم الحساب و الجزآء، و لا تؤمن به، حتّى إذا جآءتهم السّاعة بغتة، و راجعوا حسابهم مع دنياهم الّتي أفنوا حياتهم فيها، وجدوا أنّها لم تكن إلاّ لحظة عابرة، بل لقد بلغ بهم الأمر أن أيقنوا هذا و تحقّقوا منه، فأقسموا أنّهم لم يلبثوا غير ساعة.

و لا شك أنّ هذا غير الواقع، و أنّ الوهم هو الّذي يخيّل لهم قِصَرَ الزّمن الّذي مضى... فقد عاش كلّ منهم سنين في الدّنيا لا ساعة و لا يوماً و لا أُسبوعاً و لا شهراً... و لكن هكذا الدّنيا الّتي اتّخذها الضّالّون و المشركون لهواً و لعباً، فلم يعمروها بالايمان و التّقوى و الإخلاص و الأعمال الصّالحة... و لهذا جآء قوله عزّوجلّ: «كذلك كانوا يؤفكون» مكذّباً مقولتهم تلك، و إنّها إفك من إفكهم، و ضلال من ضلالهم الّذي كانوا عليه في الحياة الدّنيا.

و ذلك أنّهم ـ و هم في الدّنيا ـ قد رأوا الحقّ باطلاً، و الهدى ضلالاً، و الخير شرّاً، و الصّلاح فساداً... و وقع في وهمهم أنّهم على الحقّ ما يمسّكون به من ضلال هو الهدى... و قد صحبهم هذا الإفك في حياتهم الآخرة، فأقسموا هذا الكتاب الكاذب، أنّهم ما لبثوا في دنياهم غير ساعة!

٥٦ـ (و قال الّذين اوتوا العلم و الإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث و لكنّكم كنتم لاتعلمون)

إخبار من الله تعالى عن ردّ العلمآء المؤمنين ـ مؤكّداً باليمين ـ على هؤلآء المجرمين المنكرين ليوم البعث و الجزآء الّذين أقسموا على أنّهم ما لبثوا غير ساعة، و في هذا الرّد تصحيح لما وهموه من لبثهم في الدّنيا و ما بعد الموت إلى يوم البعث، و إطّلاع لهم على الحقيقة، مع ما فيه من توبيخ و تفضيح و تهكّم بهم... و هذا التّصحيح... إنّما يجيئهم من أهل العلم و الايمان الّذين يقولون لهم: «لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث» كتاب حدّد فيه آجال النّاس و أزمانهم، و ما هو كائن في هذا الوجود.

و في قرن العلم بالايمان تنبيه على أنّ العلم الّذي لايكون معه الايمان لا قيمة له، و كثير من الّذين اوتوا العلم لايؤمنون بالله بل تغلب عليهم طبيعتهم الحيوانيّة، و يصبح العلم الّذي علموه حجّة عليهم، فيضاعف لهم به العذاب.

قال الله تعالى فيهم: «و إذ أخذ الله ميثاق الّذين اوتوا الكتاب لتبيّننّه للنّاس و لا تكتمونه فنبذوه ورآء ظهورهم ـ فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب و لهم عذاب أليم» آل عمران: ١٨٧ ـ ١٨٨).

فالعلم الّذي لايكون صاحبه مؤمناً و لايعمل بمقتضى ما علم، هو شؤم و وبال و عذاب شديد على صاحبه، لأنّه لايهتدى معه إلى خير أبداً على خلاف الّذي لاعلم عنده، فإنّه قد يطلب العلم، و قد يجد الهدى ممّا علم.

و قوله تعالى: «فهذا يوم البعث» الفاء للفصيحة لأنّها تفصح عن شرط مقدّر كأنّه قال: إن كنتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث، إذ تبيّن اليوم بطلان قولكم و جزاف قسمكم في إنكار البعث كما كان شأنكم في الحياة الدّنيا لأنّكم انصرفتم عن التّفكير في الآخرة، ففوجئتم بها، و أنّكم لبثتم أمواتاً طيلة الأمد الّذي قدره الله تعالى، و أنّكم الآن في يوم البعث الّذي وعدتموه، و لو أنّكم لم تدركوا حقيقة أمركم و موقفكم ممّا اعتراكم من دهشة و ذهول؟!

فقوله سبحانه: «فهذا يوم البعث» خبر يراد به التّقريع و النّخس لهؤلآء المنكرين

المجرمين، فهم يعرفون أنّ هذا اليوم الّذي هم فيه هو يوم البعث، و إخبارهم به هو تذكير لهم بما كان منهم من إنكار له، و سخريّة و استهزآء بمن كانوا يحدّثونهم به، و الّذين كانوا يغرسون في الدّنيا ليجنوا ثمار ماغرسوا في الآخرة، و في ذلك ما يزيد في آلام المنكرين ويضاعف حسرتهم.

و قوله عزّوجلّ: «و لكنّكم كنتم لاتعلمون» تقريع بعد تقريع على منكري البعث، و نخسة بعد نخسة لهم، و تجهيلهم.

و في الآية الكريمة دلالة على فضل العلمآء المؤمنين دون غيرهم...

٥٧ـ (فيومئذٍ لاينفع الّذين ظلموا معذرتهم و لا هم يستعتبون)

الفاء تفصيل لما قبلها ممّا يفهم من أنّ تقليل مدّة البعث لاينفعهم، فهي فصيحة أيضاً أي إذ قامت السّاعة و قد حلف المجرمون المنكرون للبعث، و ردّ عليهم العلمآء المؤمنون لاينفع...

فيه إلتفات من الخطاب إلى الغيبة تحقيراً لهم بأنّهم سقطوا عن مرتبة الخطاب، إخبار من الله تعالى: أنّه لن ينفع الظّالمين ما يقدمون من أعذار، و لن يطلب منهم الاستعتاب و لا التّوبة و الطّاعة إذ حقّ عليهم العذاب لما كان منهم من كفر و ضلال، و ظلم و فساد من شرك و عناد، و جرم و لجاج... لقد جلّ الأمر عن العتاب إذ أنّه إنّما يعاتب من يُرجى منه إصلاح ما أفسد... و أما و أنّه لا عمل بعد اليوم، فإنّه لا عتاب، و إنّما حساب و جزآء.

و في الآية الكريمة تهديد و وعيد شديد، و إرعوآء، و إخبار عن أهوال يوم القيامة، و شدّة أحوال الكفرة و الظّلمة، و الفجرة والفسقة فيها.

٥٨ـ (و لقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل و لئن جئتهم بآية ليقولنّ الّذين كفروا إن أنتم إلاّ مبطلون)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير أنّ القرآن الكريم مشحون بقصص وأخبار كلّها كالمثل في غرابتها و حسن مواقعها، و إشارة إلى أحوال المجرمين المنكرين للبعث، المصروفين عن

الحقّ ـ مؤكّداً باليمينين ـ تجاهها: بأنّه تعالى ضرب للنّاس المكلّفين في القرآن الّذي أنزله على رسوله محمّد﴿ﷺ﴾ من كلّ مثل بمختلف الأساليب لتفهيمهم و إرشادهم وحثّهم بها على الحقّ و اتّباع الهدى... و أنّه لاينفعهم مثل يقرّب الحقّ من قلوبهم، فإنّها مطبوع عليها، فيرون كلّ حقّ باطلاً، و كلّ هدى ضلالاً، و العكس بالعكس، و لذا عقّبه بقوله تعالى: «و لئن جئتهم بآية...»

خطاب لرسول الله﴿ﷺ﴾ بأنّه إذا تلا عليهم آية من آيات الله تعالى سارعوا إلى تكذيبه، و القول: إنّ ما جآء به باطل، و هذا هو شأن الجاهل الضّالّ المتغلق قلبه، و المعمية بصيرته.

و فيه بيان لإنقطاع عذر المعتذرين، و عتاب المستعتبين الّذين يطلبون المعاتبة...

و ذلك لما جآءهم في دنياهم من آيات الله تعالى، و ما حمل إليهم القرآن الكريم من دلائل واضحة و براهين قاطعة بين يدي دعوتهم إلى الايمان بالله تعالى و اليوم الآخر، و قد ضُرِبَت لهم الأمثال على وجوه مختلفة، فما انتفعوا بها، و لا اخذوا العبرة و العظة من مَهلِك القوم الظّالمين في الأمم الغابرة...

و قوله تعالى: «ليقولنّ الّذين كفروا...» في وضع الموصول و الصّلة موضع الضّمير دلالة على سبب القول و هو الكفر بالله جلّ وعلا.

و قوله سبحانه حكاية عنهم: «إن أنتم إلاّ مبطلون» التفات من الخطاب لرسول الله﴿ﷺ﴾ إلى الخطاب للمؤمنين معه إذ افرد في قوله: «و لئن جئتهم...» على ما اقتضاه الظّاهر، ثمّ جآء بالجمع في قولهم: «إن أنتم» لئلاّ يبقى بزعمهم له﴿ﷺ﴾ شاهد من المؤمنين حيث جعلوا الكلّ مدّعين... و لايبعد أن تكون لطيفة توحيد الخطاب في «جئتهم» و جمعه في «أنتم»: أنّ الله تعالى قال: إن جئتم بكلّ آية جآئت بها الرّسل عليهم السّلام.

و هذا إخبار عن غاية عناد هؤلآء المشركين، و تكذيبهم بآيات الله تعالى، فهم لايطلبون الحقّ و الهدى، و لايستجيبون له﴿ﷺ﴾ إذا دُعوا لما غلبت طبيعتهم الحيوانيّة على فطرتهم الإنسانيّة.

٥٩ـ(كذلك يطبع الله على قلوب الّذين لايعلمون)

تصوير لشدّة عناد هؤلآء المجرمين الجهلة، و غاية لجاج المنكرين للبعث و سوء نواياهم و عدم الجدوى منهم بسبب ذلك، و فيه تسلية لرسول الله «ﷺ» و تثبيت للمؤمنين، و إنذار للمجرمين و تنديد بهم أيضاً.

أي مثل ذلك الطّبع يطبع الله تعالى على قلوب الجهلة الّذين يصرّون على جهلهم و ارتيابهم و على كفرهم و ضلالهم، و لايطلبون العلم، فهم في طغيانهم يعمهون، فإنّهم على خرافات اعتقدوها، و ترهات ابتدعوها، إذ الجهل المركّب يمنع إدراك الحقّ و الهدى، و يوجب تكذيب المحقّ...

فالإشارة هنا إلى ما تضمّنته الآية السّابقة من استغلاق مدارك المشركين الجهلة، و مشاعر المجرمين الفجرة عن أن يدخل عليها هدى، و ذلك لأنّ الله تعالى لإصرارهم على الكفر و الضّلالة و الشّرك و الجهالة... قد طبع على قلوبهم... و إنّه مع ما ضرب الله تعالى من أمثال، و ما حملت تلك الأمثال من شواهد واضحة و آيات بيّنة لإبراز خفيّات الدّقائق، و رفع الأستار عن الحقائق... ولكن أهل الضّلالات و الأهوآء لم ينتفعوا بها، و لم يروا إشارة مضيئة من إشاراتها، تعدل بهم عن طريق الكفر الّذي يركبونه إلى طريق الايمان الّذي يُدْعَون إليه...

و هذا شأن كلّ جاهل يصرّ على جهله، و كلّ كافر يقيم على كفره، و كلّ ضالّ يديم على ضلاله أبداً مع كلّ آية من آيات الله جلّ و علا، و هذا لايكون إلاّ باتّباع الهوى، و عن غلبة الطّبيعة على الفطرة، و عن عمى بصيرة، و عن زيغ القلب و طبعه... و هذا ما عليه حال اولئك الّذين شغلتهم دنياهم عن أن يقفوا على آيات الله و أن ينظروا فيها، و أن يحصلوا علماً منها، فخذ لهم الله و خلّى بينهم و بين أنفسهم كما قال تعالى: «فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم و الله لايهدي القوم الفاسقين» الصّف: ٥).

و قوله سبحانه: «يطبع الله على قلوب الّذين لايعلمون» وضع الموصول موضع ضميرهم للنّعي بما في حيّز الصّلة. و قد أسند الله سبحانه الطّبع إلى نفسه، بإعتبار أنّ الله عزّوجلّ هو الّذي أقدرهم على ذلك، و جعل لهم الإختيار في الرّفض و القبول، تحقيقاً

لحكمة التّكليف و الإختبار، و في الحقيقة أنّه إخبار عن واقعيّة سودآء هم عـملوا في تكوينها، و في تمهيد أسباب وجودها بمرورهم على الكفر و الطّغيان، و إصرارهم على الإستكبار عن قبول الحقّ، و إعراضهم عن ذكر الله تعالى و نسيان الآخرة.

و في الآية الكريمة و نظآئرها الكثيرة ما يشف عن هذا الجانب السّلبي في ذوات الكفّار و المجرمين، و الفجّار و المستكبرين، و الفسّاق و المنافقين، و البغاة و الظّالمين... كان هو السّبب العامل لتكوين الحالة الجافّة الجافية الّتي تعرض نفوسهم...

فجاء التّعبير: «الطّبع» استعارة و مجازاً عن تلك الحالة القاسية الّتي انطوت عـليها قلوبهم الجافّة هم عملوا في تكوينها و تربيتها في نفوسهم العاتية ممّا خطيئاتهم اغرقوا.

٦٠ـ(فاصبر إنّ وعدالله حقّ و لايستخفّنّك الّذين لايوقنون)

الفاء فصيحة، و الأمر من الله تعالى لرسوله﴿صلى الله عليه وآله﴾ دعوة إلى الصّبر على ما يلقى من قومه من مكاره و أذاهم، و عدم الإلتفات إلى كفرهم و عنادهم، و تكذيبهم و ضلالهم... أي إذا علمت أنّ حالهم بهذه المثابة فاصبر مستعيناً بالله تعالى على احتمال المكروه و الأذى، إلى أن يتحقّق وعد الله الحقّ لا محالة، و على ترك مجال لهؤلآء الكفّار المعاندين، و الفجّار المستكبرين ليستخفّوك و يحملوك على العجلة في أمرك. و لا يبعد أن يكون في قوله تعالى: «و لا يستخفّنّك الّذين لا يوقنون» إشارة لافتة إلى ما قد يرد على رسول الله﴿صلى الله عليه وآله﴾ من تلك الخواطر الّتي تساور بعض النّفوس من المؤمنين الّذين اشتدّ عليهم و طأة البلاء، و طال بهم الانتظار لملاقاة ما وعدهم الله تعالى من نصر، ففي ساعات الضّيق و العسرة، قد يتسرّب إلى الضّعفآء من المؤمنين شئ من القلق، و ربّما شئ من الشّك و الرّيب...

فهذه حال قد تعرض لبعض المؤمنين، و لن يعصمهم منها إلاّ التّمسّك بالعروة الوثق، و الصّبر على الأذى، و احتمال المكاره، و اللّياذ باليقين الّذي يدفع كلّ شكّ في قدرة الله تعالى و في تحقيق ما وعد الله تعالى المؤمنين به من نصر و عافية ممّا هم فيه من بلاء في قوله: «و يومئذ يفرح المؤمنين بنصر الله» الرّوم: ٤ ـ ٥) و قد بدئت هذه السّورة الكريمة بالوعد، و ختمت بالوعد، و الوعدان جميعاً بالنّصرة، و هذا الاسلوب من أحسن البلاغة عـند

أصحاب البيان، و هو أن يتأنّق في أوّل الكلام لأنّه أوّل ما يقرع السّمع، فإن كان محرراً أَقبَلَ السّامع، قَبِلَ الكلام و وعاه، و إلاّ أعرض عنه، و كذلك ختامه مع ايذان السّامع بانتهآءِ الكلام حتّى لا يبقى معه للنّفوس تشوّق إلى ما يذكر بعد، فقال الله سبحانه في بدئها: «غلبت الرّوم في أدنى الأرض و هم مِن بعد غلبهم سيغلبون ـ وعد الله لا يخلف الله وعده» و في ختامها: «فاصبر إنّ وعد الله حقّ...».

ففي بين تعبير «وعد الله حقّ» و الأمر بالصّبر إلى أن يتحقّق، و نفس التّعبير في أوآئل السّورة: «بنصر الله ينصر من يشآء و هو العزيز الرّحيم وعد الله لا يخلف وعده» لحمة صلة بين بدئها و ختامها.

و لقد جآء في السّورة وعد الله بنصر المؤمنين أيضاً حيث يكون في ذلك قرآئن على ترابط فصول السّورة و انعقادها في جملتها على بشرى المؤمنين بالنّصر.

و لا يبعد أن يكون في السّورة إرهاص بالنّصر الّذي كان يوشك أن يتمّ لرسول الله ﴿ﷺ﴾ و المسلمين فيما اعتزموا عليه من الهجرة إلى المدينة حيث نزلت هذه السّورة في ظروف التّهيّيء لها، فنزلت في ظروف الاتّصال الأوّل الّذي تمّ بينه ﴿ﷺ﴾ و بعض زعمآء الأوس و الخزرج أو الاتّصال الثّاني الّذي آمن فيه عدد كبير منهم، و وعدوه فيه بالنّصرة، و التّرحيب بهجرته، و هجرة أصحابه إلى المدينة، و لعلّه كان يفكر في التّعجيل بالهجرة فثبّته الله تعالى و صبّره حتّى تتكامل الأسباب أو يشرف على هجرة أصحابه قبله. و الله تعالى هو أعلم بمراده.

﴿الإعجاز﴾

و اعلم أنّ لهذه السّورة الكريمة كسائر السّور القرآنيّة و جوهاً من الإعجاز لايسع المقام لذكر جميعها و نحن على جناح الإختصار:

فمنها احتواؤها على الخبر و الإنشآء على وجه بليغ:

و ينبغي ـ قبل الخوض فيها ـ أن نبيّن حدّهما إجمالاً:

و ذلك أنّ أصحاب البيان اتّفقوا على انحصار الكلام فيهما بلا ثالث لهما، بناء على أنّ الطّلب عندهم داخل في الإنشاء.

أمّا حدّ الخبر فيكون موضوعاً ليستعمل في حكاية ثبوت معناه في موطنه، و لذلك يحتمل الصدق و الكذب، و إخباره تعالى على أقسامه لايكون إلاّ صادقاً.

و أمّا الإنشاء فيكون موضوعاً ليستعمل في قصد تحقّقه و ثبوته، و لذلك لايحتمل الصّدق و الكذب. و من أقسام الخبر: الوعد و الوعيد، و قد جآءا بمواضع من هذه السّورة.

ثمّ اعلم أنّ الإخبار عن الغيوب في القرآن الكريم على قسمين:

أحدهما ـ الأخبار الماضية كالإخبار عن قصص الأنبيآء و المرسلين ﴿عليهم السلام﴾ و أخبار الأُمم السالفة... و الإخبار عن أحوال القرون الماضية، و الأقوام الهالكة، و الشّرآئع الدّاثرة... ممّا كان لايعلم منه القصّة الواحدة بواقعها إلاّ الفذّ من أحبار أهل الكتاب الّذي قطع عمره في تعلّمها، و قد أورد القرآن الكريم من القصص ما أوردها على واقعها، و يأتي بها على نصّها، فيعترف العالم الخبير بذلك بصحّتها و صدقها، و إنّ مثلها لايمكن أن

ينال بها بتعليم.

و قد علم المشركون و أهل الكتاب بل النّاس جميعاً أنّ رسول اللّه «صلى الله عليه و آله» كان أُمّيّاً لايقرأ، و لايكتب: «الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الأمّيّ الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة و الإنجيل» الأعراف: ١٥٧) «و ماكنت تتلوا من قبله من كتاب و لاتخطّه بيمينك» العنكبوت: ٤٨).

كما لم يشتغل «صلى الله عليه و آله» بمدارسة و لابمثاقبة، و لم يغب عنهم و لاجهل حاله «صلى الله عليه و آله» أحد منهم، و قد كان أهل الكتاب كثيراً ما يسئلونه «صلى الله عليه و آله» عن هذا، فينزل عليه القرآن الكريم ما يتلو عليهم منه كقصص الأنبيآء «عليهم السلام» مع أقوامهم... و بدء الخلق، و ما في التّوراة و الإنجيل و الزّبور و صحف إبراهيم و موسى «عليهما السلام» ممّا صدّقه فيه العلمآء بها، و لم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها، بل كانوا يذعنون لها، فمن وفق آمن بما سبق له من خير، و من كتم الحقّ و هو يعرفه فهو معاند حاسد قد ضل عن طريق الهدٰى و سلك مسالك الرّدٰى.

قال اللّه تعالى: «و لمّا جآءهم كتاب من عنداللّه مصدّق لما معهم و كانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا فلمّا جآءهم ما عرفوا كفروا به ـ الّذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنآءهم و إنّ فريقاً منهم ليكتمون الحقّ و هم يعلمون» البقرة: ٨٩ و ١٤٦).

و مع هذا فلم يُحكَ عن واحد من أهل الكتاب، و خاصّة اليهود مع شدّة عداوتهم له «صلى الله عليه و آله» و حرصهم على تكذيبه و طول احتجاجه عليهم بما في كتبهم و تقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم، و كثرة سئوالهم له «صلى الله عليه و آله» و تعنيتهم إيّاه عن أخبار أنبيآئهم و أسرار علومهم، و مستودعات سيرهم، و إعلامهم بمكنون شرائعهم، و مضمّنات كتبهم، مثل سئوالهم عن الرّوح و ذي القرنين و أصحاب الكهف و عيسى و حكم الرّجم و ما حرّم إسرائيل على نفسه، و ما حرّم عليهم من الأنعام، و من طيّبات كانت أُحلّت لهم، فحرّمت عليهم ببغيهم....

قال اللّه تعالى: «فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا عليهم طيّبات أُحلّت لهم» النّساء: ١٦٠).

و قال: «و على الّذين هادوا حرّمنا كلّ ذي ظفر و من البقر و الغنم حرّمنا عليهم

شحومهما إلاّ ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم و إنّا لصادقون» الأنعام: ١٤٦) و قال: «ذلك مثلهم في التّوراة و مثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزّرّاع ليغيظ بهم الكفّار» الفتح: ٢٩).

و غير ذلك من أُمورهم الّتي نزل بها القرآن الكريم فأجابهم و عرفهم بما أوحي إليه من ذلك...انّه أنكر ذلك أو كذّب، بل أكثرهم صرّح بصحّة نبوّته و صدق مقاله، و اعترف بأمانته مع حسدهم إيّاه «صلى الله عليه وآله» كأهل نجران و ابن صوريا و ابن أخطب و ابن سلام و غيرهم....

و مَن باهَتَ في ذلك بعض المباهتة، و ادّعى أنّ فيها عندهم لما حكاه مخالفة دُعِى إلى دليل و إقامة حجة و كشف دعوته، فقيل له: «فأتوا بالتّوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فمن افترى على اللّه الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظّالمون» آل عمران: ٩٣ ـ ٩٤) فقرع و وبّخ... و دعا إلى إخبار ممكن غير ممتنع، فمن معترف ما جحده، و متواقع باقٍ على فضيحته من كتابة يده، و لم يؤثر أنّ واحداً منهم أظهر خلافَ قوله من كتبه، و لابدأ بَدْءاً صحيحاً و لاسقيماً من صحفه، قال اللّه تعالى: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً ممّا كنتم تخفون من الكتاب و يعفو عن كثير قد جآءكم من اللّه نور و كتاب مبين» المائدة: ١٥)

و لقد جآء في هذه السّورة الكريمة من قصص الانبيآء و الأمم الماضية على سبيل الإجمال بقوله تعالى: «أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوّةً و أثاروا الأرض و عمروها أكثر ممّا عمروها و جآئتهم رسلهم بالبيّنات فما كان اللّه ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون ثمّ كان عاقبة الّذين أساؤا السّوآى أن كذّبوا بآيات اللّه و كانوا بها يستهزؤن ـ و لقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلي قومهم فجاؤهم بالبيّنات فانتقمنا من الّذين أجرموا و كان حقّاً علينا نصر المؤمنين» الرّوم: ٩ ـ ١٠ و ٤٧).

ثانيهما ـ الأخبار المستقبلة كالإخبار عمّا يكون من الكآئنات، فكان كما أخبر عنها عن الوجه الّذي أخبر عنها تفصيلاً من دون تعلّق بما يستعان به على ذلك من تلقين ملقّن، و لا إرشاد مرشد أو حكم بتقويم أو رجوع إلي حساب كالكسوف و الخسوف، و من غير اعتماد على اصطرلاب و لاطالع نجم و هبوب ريح... و من ذلك قوله عزّوجلّ: «غُلبت

الرّوم في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين للّه الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه» الرّوم: ٢ ـ ٥) ففيها إخبار بما لم يقع بعد، فوقع كما أخبر من حيث لم يقع فيه خلاف بين المفسّرين، و المحدّثين و المؤرّخين....

في البحار: ـ كتاب القرآن ـ باب ما ورد في أصناف آيات القرآن الكريم عن أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» ـ حديث طويل ـ قال «عليه السلام»: «...و أمّا ما تأويله بعد تنزيله فهي الأمور الّتي أخبر اللّه عزّ و جلّ رسوله «صلى الله عليه و آله»: أنّها ستكون بعده مثل ما أخبر به من أُمور القاسطين و المارقين و الخوارج، و قتل عمّار جرى ذلك المجرى، و أخبار السّاعة و الرّجعة و صفات القيامة مثل قوله تعالى: «هل ينظرون إلاّ أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربّك أو يأتي بعض آيات ربّك يوم يأتي بعض آيات ربّك لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً...» الأنعام: ١٥٨) ـ إلى أن قال ـ: و قوله: «الٓمٓ غلبت الرّوم في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين» فنزلت هذه الآية و لم يكن غلبت، و غلبت بعد ذلك...» الحديث.

في المجمع: قال الطّبرسيّ المازندرانيّ رضوان اللّه تعالى عليه في قوله عزّ و جلّ: «غلبت الرّوم»: قال المفسّرون: غلبت فارس الرّوم، و ظهروا عليهم على عهد رسول اللّه «صلى الله عليه و آله» و فرح بذلك كفّار قريش من حيث إنّ أهل فارس لم يكونوا أهل كتاب و سآء ذلك المسلمين، و كان بيت المقدس لأهل الرّوم كالكعبة للمسلمين فدفعتهم فارس عنه».

و قوله: «في أدنى الأرض» أي في أدنى الأرض من أرض العرب عن الزّجاج. و قيل: في أدنى الأرض من أرض الشّام إلي أرض فارس، يريد الجزيرة و هي أقرب أرض الرّوم إلي فارس من مجاهد. و قيل: يريد أذرعات و كسكر عن عكرمة. «و هم» يعني الرّوم «من بعد غلبهم سيغلبون» أي من بعد غلبة فارس إيّاهم سيغلبون فارس «في بضع سنين» و هذه الآيات الدّالّة على أنّ القرآن من عند اللّه عزّوجلّ لأنّ فيه إنباء ماسيكون، و ما يعلم ذلك إلاّ اللّه عزّوجلّ. «للّه الأمر من قبل و من بعد» أي من قبل أن غلبت الرّوم و من بعد أن غلبت، فإن شآء جعل الغلبة لأحد الفريقين على الآخر، و إن شآء جعل الغلبة للفريق الآخر عليهم، و إن شآء أهلكهما جميعاً «و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه» أي و يوم

يغلب الرّوم فارساً يفرح المؤمنون بدفع الرّوم فارساً عن بيت المقدّس لابغلبة الرّوم على بيت المقدّس فإنّهم كفّار، و يفرحون أيضاً لوجوه أُخر و هو اغتمام المشركين بذلك، و لتصديق خبر اللّه عزّوجلّ و خبر رسوله «عَلَيْهِ السَّلَامُ» و لأنّه مقدّمة لنصرهم على المشركين.

«ينصر من يشآء» من عباده «و هو العزيز» في الإنتقام من أعدآئه «الرّحيم» بمن أناب إليه من خلقه «وعد اللّه» أي وعد اللّه لك «لايخلف اللّه وعده» بظهور الرّوم على فارس «و لكن أكثر النّاس» يعني كفّار مكّة «لايعلمون» صحّة ما أخبرناه لجهلهم باللّه تعالى» إنتهى كلامه.

و **في جوامع الجامع**: قال: «و هذه من الآيات الشّاهدة على صحّة نبوّة نبيّنا «عَلَيْهِ السَّلَامُ» و أنّ القرآن من عند اللّه سبحانه لأنّه أنبأ بما سيكون و هو الغيب الّذي لايعلمه إلاّ اللّه عزّ و جلّ».

و **من المفسّرين**: من قال: أي غلب كسرى ملك الفرس جيش قيصر ملك الرّوم في أرض الأُردن و فلسطين و هي أقرب البلاد من جزيرة العرب، و حدث ذلك في عهد رسول اللّه «عَلَيْهِ السَّلَامُ» و كان المسلمون يحبّون أن تظهر الرّوم على فارس لأنّهم مثلهم أصحاب كتاب، و المشركون يودّون أن تظهر فارس على الرّوم لأنّهم مثلهم أصحاب أصنام، و لمّا جائت الأخبار بانتصار الفرس شقّ ذلك على المسلمين، و فرح المشركون، فنزلت هذه الآيات تبشر المسلمين بأنّ الرّوم ستنتصر على الفرس في جولة ثانية، و إلى هذا أشار سبحانه بقوله: «و هم» أي الرّوم «من بعد غلبهم سيغلبون» الفرس.

«في بضع سنين» و البضع أقلّ من عشرة و أكثر من ثلاثة، و قد حدث ذلك بالفعل، و هنا يكمن سرّ الإعجاز حيث أخبر القرآن على سبيل اليقين باستئناف الحرب، و حدّد وقتها، و بأنّ الدّائرة تدور على فارس، فكان كما قال علاّم الغيوب، و فرحت قلوب المسلمين و زلزلت قلوب المشركين».

أقول: قوله: «لأنّهم مثلهم أصحاب أصنام» خطأ لأنّ الفرس و إن كانوا مشركين، و لكنّهم ما كانوا عبدة الأوثان كمشركي مكّة.

و **قال بعض الأعلام من المحقّقين**: و من إعجاز القرآن الكريم: أنّ الفرس غلبت

الرّوم على مملكة الجزيرة، فسرّت قريش بذلك مخالفة لرسول اللّه «ﷺ» و حزن «ﷺ» و أصحابه لميلهم إلى الرّوم لأنّ هرقل، قبل كتاب رسول اللّه «ﷺ» و كسرى مزّقه، فأنزل اللّه عزّوجلّ «الٓمٓ غلبت الرّوم في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ـ و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه» فجآئت الرّوم و غلبت فارس بعد سبع سنين، و حقّق اللّه قوله، و سرّ المؤمنون بذلك، فهذا ما نزل في القرآن قبل أن كان، ثمّ صحّ بعد ذلك و هذا في حياته «ﷺ» إنتهى كلامه.

و قال بعضهم: قد التقى الجيشان في السّنة السّابعة من اللقآء الأوّل، و غلبت الرّوم فارس مصداقاً لقول العزيز الحكيم».

و قال بعضهم: «ظهرت الرّوم على فارس يوم الحديبيّة».

و قال بعضهم: اتّفق المؤرّخون من المسلمين و أهل الكتاب على أنّ ملك فارس غزا بلاد الشّام، و فتح دمشق و بيت المقدس. الأولى سنة (٦١٣) و الثّانية سنة (٦١٤) أي قبل الهجرة النبويّة بسبع سنين، و بلغ الخبر مكّة، فـفرح المشركون و شتموا (شمتوا خ) بالمسلمين إذ قالوا: أنتم النّصارى و أهل الكتاب، و نحن و فارس و ثنيّون، فقد ظهر إخواننا على إخوانكم، و لنظهرنّ عليكم، فنزلت سورة الرّوم، فتليت على المشركين، فأحال بعضهم وقوع ذلك، و لمّا مضى سبع سنين بعد الإخبار فقد نظم هرقل جنود الرّوم و غزابهم بلاد فارس سنة (٦٢١) أي قبل الهجرة بسنة، فدوّخها و اضطرّ ملكها للهرب و عاد هرقل بالغنآئم الوافرة، و ذلك من أعظم معجزات القرآن الكريم.

حيث أخبر عن الغيب، فوقع مصداقه، و أفاد المؤمنين فرحاً عظيماً و أبطل شماتة أعدآئهم، و دلّ على أنّ العاقبة للمتّقين، و هذا من أعظم مقاصد القرآن، و فيه إعلام ظهور الإسلام على الدّين كلّه، و زهوق الباطل و علوّ الحقّ. ما ألطف ما قال الزّبير الكلائي: «رأيت غلبة فارس الرّومَ، ثمّ رأيت غلبة الرّوم فارس، ثمّ رأيت غلبة المسلمين فارس و الرّوم، كلّ ذلك في خمس عشرة سنة من أواخر غلبة فارس إلى أوائل غلبة المسلمين.

و قوله سبحانه: «يومئذ»: يوم تغلب الرّوم على فارس «يفرح المؤمنون» بإظهار صدق نبيّهم فيما أخبر به، و ذلك يوم نصر المؤمنين ببدر، فنزل به جبرئيل، فـفرحوا

بنصرين: نصر المؤمنين، و غلبة الرّوم على فارس بإخبار رسول الله ﴿ﷺ﴾ و هذا أيضاً نصر للمؤمنين. و بالجملة: نصر علميّ، و نصر حربيّ بالفتح و الغلبة».

و في الإرشاد: قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى: «الٓمٓ غلبت الرّوم في أدنى الأرض و هم بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين»: ذلك من عجيب آيات رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال عند غلبة فارس الرّومَ: «الٓمٓ غلبت الرّوم ...» فكان الأمر في ذلك كما قال.

و قال بعضهم: إنّ سورة الرّوم تعرض مشهداً من الواقع، و تخبر عن حدث مشهود يراه المسلمون و المشركون يومئذ، و هو تلك الحرب الّتي وقعت بين الرّوم و الفرس، و الّتي انتصر فيها الفرس و هم عبدة أوثان، على الرّوم و هم أهل كتاب، كان ذلك، و الحرب على أشدّها بين المشركين و المسلمين في مكّة، و قد كانت الدّولة للمشركين، حيث كانوا هم الكثرة و أصحاب القوّة و الجاه، على حين كان المسلمون قلّة قليلة، أغلبها من المستضعفين من الإمآء و العبيد، و كان أقوى المسلمين قوّة، و أعزّهم نفراً من يستطيع أن يفلت من يد القوم، و يخرج فارّاً بدينه، تاركاً كلّ شئ ورآئه!

في هذا الوقت جآئت الأنبآء إلىٰ أهل مكّة تحدّث بتلك الحرب الدّائرة بين الفرس و الرّوم، و بأنّ الغلبة كانت للفرس، و كان لذلك فرحة في نفوس المشركين لم يستطيعوا أن يمسكوا بها في كيانهم، بل انطلقوا يردّدونها فيما بينهم، و يديرون أحاديثها على أسماع المسلمين، إستهزاءً و سخريّة و شماتةً إذ كان المسلمون يمثلون الرّوم الّذين يؤمنون بكتاب سماويّ، على حين كان المشركون يمثلون الفرس، عبدة النّار ... و أما و قد غلب عَبَدَة النّار أهلَ الكتاب، فإنّ عبدة الأصنام المشركين ستكون لهم الغلبة دائماً على الّذين اتّبعوا محمّداً ﴿ﷺ﴾ و آمنوا بالكتاب الّذي معه، و أنّ مايعدهم به الكتاب الّذي في أيديهم من نصر و عزّة ليس إلاّ خداعاً و وهماً كاذباً، و أنّ فيما وقع بين الفرس و الرّوم، و ماكان من انتصار الفرس على الرّوم لهو شاهد بيّن، لاتُدفع شهادته ...

و إذن فإنّ ما يُدّعى بأنّه كتب سماويّة من عندالله تعالى ـ قديماً و حديثاً ـ هو مجرّد كذب و افترآء ... إذ لو كانت هذه الكتب من عند الله لما خُذِل أتباعها أبداً ... و إلاّ فأين

اللّٰه و قد خُذِل أتباع كتبه؟ هكذا كان تفكير المشركين و تقديرهم.

و قد وجد المسلمون في أنفسهم شيئاً من الأسى لتلك الهزيمة الّتي حلّت بالرّوم، ثمّ ضاعف ذلك الأسى، و زاد في مرارته ما كان يلقاهم به المشركون من كلمات ساخرة، و نظرات شامتة ... ذلك و المسلمون قد كانت تنزف جراحاتهم دماً من طعنات المشركين لهم في أجسامهم و مشاعرهم على السّوآء.

و في كلّ موقف يشتدّ فيه البلآء على المؤمنين، و تضيق فيه عليهم الأرض بما رحُبَت، تطلع عليهم آية من آيات اللّٰه جلّ وعلا، فتمسّك بسفينتهم المضطربة، و تنتزعها من يد العاصفة المجنونة المشتملة عليها، و إذا الأمن و السّلامة يحفّان بهم، و إذا هم و قد ظفروا و غنموا و انقلبوا بنعمة من اللّٰه و فضل لم يمسسهم سوء!!

و من هذه الآيات الاولى الّتي تنزّلت بها سورة «الرّوم» وجد المسلمون ريحَ رحمة اللّٰه تعالى، في هذا الوعد الكريم، و في تلك البشرى المسعدة الّتي ساقتها إليهم بين يديها.

و حقّاً قد غُلبت الرّوم في هذه المعركة، و ليس بالمستبعد أن يغلب المؤمنون في معركة أو أكثر من معاركهم مع المشركين، و لكنّ العاقبة أبداً للمؤمنين، و لقد غُلبت الرّوم في هذه المعركة، و لكنّ الصّراع لم ينته بعد، فهناك معركة غير منظورة، يعلمها اللّٰه، و ستقع بعد بضع سنين، و فيها يكون النّصر للرّوم، و بهذا النّصر يُحسم الأمر بينهم و بين الفرس، فلن تقوم للفرس قائمة بعد هذا اليوم، بل و لن تكون لهم دولة، حيث يستولي المسلمون على هذه الدّولة، و تصبح بعضاً من دولة الإسلام، بل صارت محوراً للدّول الإسلاميّة و اسوة لها في الإيمان و الدّين و العلم و العمل الإسلاميّ، و في المودّة لأهل بيت النّبوّة صلوات اللّٰه عليهم أجمعين.

و **قال بعضهم**: ـ تنقيحاً منّا ـ إنّه في هذا الجوّ الخانق الكئيب الّذي كان يتنفّس فيه المسلمون سموم الشّماتة من أفواه المشركين، لهذه الهزيمة الّتي لحقت بالرّوم على يد الفرس ـ في هذا الجوّ تلقّ المسلمون في مكّة هذه الآيات من مطلع سورة «الرّوم» فوجدوا في أنفاسها المطهّرة، أرواحاً طيّبة، سرت في كيانهم، ففتحت لها قلوبهم، و انتعشت بها مشاعرهم، و زغردت لها أرواحهم ...! إنّهم تلقوا من اللّٰه سبحانه وعداً كريماً بنصر الرّوم، و إنّهم ليجدون هذا الوعد واقعاً محقّقاً، قبل أن يقع، إنّهم مؤمنون بربّهم، مستيقنون بما

يعدهم به...

و حين يرى المشركون هذه الحال الّتي لبست المسلمين من الرّضا و الطّمأنينة يتساءلون فيما بينهم ... ما ذا جرى؟ و أيّ شيئ بدّل حال المسلمين، فأصبحوا على غير ما أمسوا عليه؟ و تجيئهم الأنبآء بأنّ محمّداً﴿ﷺ﴾ تحدث إليهم بما اعتاد أن يلقاهم به من حديث يقول: إنّه تلقّاه من ربّه، و أنّ ما حدثهم به اليوم، هو أنّ الرّوم و إن غُلِبوا في تلك المعركة الّتي دارت بينهم و بين الفرس منذ قليل، فإنّهم سيغلبون الفرسَ، و أنّ ذلك سيكون بعد بضع سنين!!

أهكذا الأمر إذن؟ و ألهذا كانت تلك الفرحة الّتي تعلو وجوه المؤمنين؟ ألا ما أخفّ أحلامهم؟ و ما أفضل عقولهم؟! ألمثل هذا الكلام ينخدعون؟ و على مثل هذا الكلام يبنون قصوراً من الأمانيّ و الآمال؟ ألا يزالون على ضلالهم القديم، ينخدعون بما يحدثهم محمّد﴿ﷺ﴾ به من أحاديث لاتعدو أن تكون وعوداً معلّقة بالمستقبل البعيد أو القريب، لايمسك المرء منها بشيئ في يومه أو غده؟ فأين البعث؟ و أين الحساب؟ و أين الجنّة و النّار؟؟؟!!!

لقد أكثر محمّد﴿ﷺ﴾ من تلك الأحاديث إلينا، و صدّع بها رؤوسنا، و ما نرى لذلك ظلاًّ، و ما نشهد له أثراً! ثمّ‌ها هي ذي تبلغ الجراة بمحمّد﴿ﷺ﴾ فينتقل من الرّجم بالغيب في أحشآء الزّمن البعيد، المضاف إلىٰ ما بعد موت النّاس جميعاً إلىٰ أن يرجم بالغيب في واقع حياتنا، ممّا لايجاوز مداه بضع سنين؟ إنّها عشرة قاتلة، و لن نقيل محمّداً منها، فهيا أمسكوا به، متلبّساً بهذا الكذب المفضوح و اضربوه الضّربة القاضية، و قد سنحت لكم الفرصة فيه!!

هكذا أدار المشركون الحديث حول هذه الآيات، و وجدوا ـ حسب زعمهم ـ أنّ فيها فرصتهم للنّيل من محمّد﴿ﷺ﴾ و بضربته ضربة في الصّميم من دعوته ...

إنّها السنوات معدودة: «في بضع سنين» تنحصر فيما بين ثلاث و عشر، و بعدها ينكشف الأمر، فما ذا لو ظلّت الحال على ما هي عليه، فلم تقع حرب بين الرّوم و الفرس خلال هذه السّنوات المعدودات؟ و ما ذا لو وقعت حرب بينهما، ثمّ دارت الدّائرة فيها على الرّوم مرّة

أُخرى؟ أيكون لمحمّد وجه يلق به النّاس بعد هذا؟ أو يجد محمّد «ﷺ» بعد هذا أُذناً تسمع له، أو انساناً يصدق له قولاً؟

و الحقّ أنّ هذا صحيح ... فلو أنّه لم تقع حرب بين الفرس و الرّوم خلال هذه المدّة المحدودة المحصورة في بضع سنين، ثمّ لو وقعت هذه الحرب و لم يكن النّصر و الغلب للرّوم على الفرس فيها ـ لو أنّه لم يحدث هذا لما كان لمحمّد «ﷺ» و لا لدعوته «ﷺ» مكان في هذه الدّنيا، و لذهب كلّ شيء، و لاختفى كلّ اثر لمحمّد، و لدعوته «ﷺ» إلى الأبد! إنّها دعوة قائمة على أنّها من عند اللّه تعالى و أنّ محمّداً «ﷺ» يتلق آياتها و كلماتها من ربّه ... و هذا يعني أنّها الصّدق الّذي لاتعلق به شائبة من كذب و لا فرية ... و أنّها الحقّ الّذي لايلمّ به الباطل أبداً، فإذا طاف بهذا الكلام طائف من الكذب أو علّق به و لو ذرّة من شك أو ارتياب كان ذلك واقعاً بين أمرين لا ثالث لهما:

إمّا أن يكون هذا الكلام من عمل محمّد «ﷺ» و من مقولاته الّتي يتصيّدها من هنا و هناك ... كما زعم المشركون: «و قال الّذين كفروا إن هذا إلاّ إفك افتراه و أعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً و زوراً و قالوا أساطير الأوّلين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة و أصيلاً» الفرقان: ٤-٥) و إذن فهو كاذب فيما يدّعيه من أنّه رسول اللّه «ﷺ» و أنّه يتلقّ هذا القرآن الكريم وحياً من ربّه: «و إنّك لتلقّ القرآن من لدن حكيم عليم» النمل: ٦) «و إنّه لتنزيل ربّ العالمين نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين» الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤) و إذن فقد بطلت دعواه بأنّه رسول من عند اللّه جلّ وعلا ... و إمّا أن يكون هذا الكلام وحياً كما يقول محمّد «ﷺ» و لكنّه ليس وحياً من عند اللّه، و إنّما هو ممّا تلقيه الشّياطين على بعض النّاس كالعرافين و الشّعراء، و قد نفاه إذ قال: «و ما تنزّلت به الشّياطين» الشعرآء: ٢١٠) و إذن فقد بطلت دعواه أيضاً بأنّ ما يحدّثهم به هو وحي من عند اللّه عزّوجلّ لأنّ اللّه سبحانه لايكذب و لايفترى!

و الحقّ أيضاً أنّ هذه الآيات، و ما حملت من هذا الغيب الّذي أذاعته في النّاس جميعاً و الّذي تردّدت أنباؤه على أسماع النّاس في الجزيرة العربيّة، و ما فيها من مشركين و أهل كتاب، بل و ربما جاوزت الجزيرة العربيّة إلى فارس و الرّوم ... الحقّ أنّ هذا كان تحدّياً

للنّاس كلّهم، بهذه المعجزة المادّيّة المحسوسة ... و قد كان ذلك فيما يبدو ـ في ظاهر الأمر ـ مغامرة انتحاريّة من محمّد كما كان فرصة للّذين يرصدون دعوة محمّد رسول اللّه «صلى الله عليه وآله» و يريدون أن يعرفوا على وجه اليقين، مبلغ صدقه أو كذبها...

و كعادة المشركين الضّالّين الّذين استقبلوا الدّعوة الإسلاميّة من أوّل يومها بإعلان الحرب عليها من قبل أن ينظروا في وجهها، و أن يتبيّنوا دلآئل الحقّ الّتي بين يديها ـ كعادتهم في مواجهة الدّعوة الإسلاميّة بالكفر و العناد، استقبلوا هذه الآيات بالهزء و السّخريّة، و أقبلوا إلىٰ المسلمين يسلقونهم بألسنة حداد بما عرف فيهم من لجاج و لدَدٍ في الخصومة... فما هذا الخبر الّذي حملته الآيات... إلّا وعداً كتلك الوعود الكثيرة الّتي أوسع لها محمّد «صلى الله عليه وآله» في الأجل، فجعلها في عالَم آخر، نصب فيه موازين الحساب و الجزآء، و أقام في ساحاته الجنّة و النّار...

و إذا كان في هذا الوعد الجديد شيْ، فهو في قرب الأجل المضروب له ... و هذا القرب هو في ذاته دليل على كذبه، و أنّه ليس من عند اللّه... إذ لو كان عن إرادة نصر من عنده لأهل الكتاب على الفارس ـ لكان ذلك أمراً منجّزاً، و لما كان للّه أن يؤخّره بضع سنين... إذ لا داعية لهذا التّأخير مادامت قدرة اللّه حاضرة قادرة أبداً... بل و أكثر من هذا، فإنّ هذا النّصر لو كان إرادة اللّه لما وقعت الهزيمة أصلاً بالرّوم، و لكان نصرهم قبل هزيمتهم أوقع و أقرب من نصرهم بعد الهزيمة!

هكذا لقي المشركون المسلمين بهذه المقولات و أمثالها، حتّى لقد أدّى الأمر إلىٰ أن تقوم مخاطرات بين المسلمين و المشركين على وقوع هذا الخبر أو عدم وقوعه، خلال هـذه السّنوات: «بضع سنين» و تمضى الأيّام، و تتحرّك الأحداث، و يهاجر رسول اللّه «صلى الله عليه وآله» و المسلمون إلىٰ المدينة، و يلتقى المسلمون و المشركون في موقعة بدر في السّابع عشر من رمضان، للسّنة الثّانية من الهجرة، و ينتصر المسلمون نـصراً كـاملاً مـؤزراً، و يُهـزم المشركون هزيمة نكرآء، فيقتل منهم سبعون رأساً من رؤوسهم و يؤسر سبعون...

و في هذا الوقت الّذي كانت تدور فيه معركة بدر بين المسلمين و المشركين، و تدور فيها الدّآئرة على الشّرك و أهله، كانت هناك معارك دائرة بين الرّوم و الفرس، و فيها ينهزم

الفرس هزيمة إلىٰ الأبد، فلا تقوم لها بعدها دولة، فما هي إلاّ سنوات بعد هذه الهزيمة الّتي حلّت بهم، حتّىٰ تدخل جيوش المسلمين بلادَ فارس و تستولي عليها، و تضمّها إلىٰ الدّولة الإسلاميّة، و ليس هذا رجماً بالغيب، و لا استملاء من أساطير الأوّلين كما يتخرّص المتخرّصون عن القصص القرآنيّة...

و هذه صحف التّاريخ الّتي سجّلت هذه الأحاديث في وقتها، لاتزال بين يدي أهلها الّذين ليس لهم مصلحة في أن يقيموا تاريخهم على ما يطابق أخبار القرآن، و يجيىء مصدّقاً له...».

و في **تفسير الطنطاوي**: قال: «ملخّص هذا التّاريخ: إنّ الرّوم غلبتها فارس في أقرب الأرض إليها، ثمّ غلبتها الرّوم بعد ذلك بعد سبع سنين، و أنّ الرّوم المالكة لتلك البلاد قد غلبها المسلمون بعد نزول الآية بتسع سنين، و لاجرم أنّ الأمرين معجزة، و لاينافي أحدهما الآخر، فإنّ الرّوم غلبوا الفرس، و غلبهم المسلمون، و لذلك قرئت الآية بوجهين» إنتهى كلامه.

و في **تفسير اللاهيجي**: عن كتاب الإستغاثة للبحراني قال: «من جملة علوم الأئمّة عليهم السلام و أسرارهم: أنّهم أخبروا بأنّ اُميّة الّذي هو جدّ بني اُميّة لم يكن من قريش، بل كان غلاماً روميّاً تبنّاه عبد الشّمس بن عبد المناف أخو هاشم، و يكون تأويل قوله تعالى: «الٓمٓ غلبت الرّوم...» في شأن بني اُميّة بأنّهم غلبوا ابتداءً و لكنّهم سيغلبون بأيدي بني العباس».

أقول: رواه الحقّي في تفسير روح البيان ايضاً.

و في **تفسير بيان السّعادة**: مرويّاً عن الأئمّة عليهم السّلام ذلك، ثمّ قال: صحّ تفسير الرّوم ببني اُميّة بناءً على تشبيههم بأهل الرّوم في الكثرة أو في الإهتمام بالدّنيا و اعتباراتها و في أخذ المذهب محض الرّسم و الملّة».

وجه آخر من وجوه إعجاز هذه السّورة:

و اعلم أنّ من البداهة عند أصحاب الحكمة و البيان، و البلاغة و الكلام: أنّ من وجوه إعجاز القرآن المجيد اشتماله على جميع أنواع البراهين القاطعة، و الأدلّة الواضحة على كلا

قسمي الآفاقيّة و الأنفسيّة... إذ ما من برهان و دلالة، و لا تقسيم و تحديد يُبنىٰ من كلّيّات المعلومات العقليّة و السّمعيّة إلاّ و كتاب الله القرآن الكريم قد نطق به، و لكن أكثرها على عادة العرب دون دقآئق طرق المتكلّمين لأمرين:

أحدهما ـ لقوله عزّوجلّ: «و ما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبيّن لهم» ابراهيم: ٤).

ثانيهما ـ أنّ المائل إلىٰ دقيق المحاجّة هو العاجز عن إقامة الحجّة و البرهان بالجليل من الكلام، فإنّ من استطاع أن يُفهم بالأوضح الّذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلىٰ الأغمض الّذي لايعرفه إلاّ الأقلّون، و لم يكن مُلغِزاً فأخرج تعالى مخاطباته في محاجّة خلقه في أجلى صورة، ليفهم العامة من جليلها ما يقنعهم و يلزمهم الحجّة، و تفهم الخواصّ من أثنآئها ما يُربي على ما أدركه فهم الخطبآء...

و قد يوجد شئ من المذهب الكلاميّ في القرآن الكريم للخواصّ، و تعريفه أنّه احتجاج المتكلّم على ما يريد إثباته بحجّة تقطع المعاندة فيه على طريقة أرباب الكلام، و منه نوع منطقيّ تستنتج منه النّتائج الصّحيحة من المقدّمات الصّادقة.

و قد جمع الطّريقين قوله تعالى: «و هو الّذي يبدؤا الخلق ثمّ يعيده و هو أهون عليه و له المثل الأعلى...» الرّوم: ٢٧) و قوله عزّوجلّ: «اللّه الّذي خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ يحييكم...»: ٤٠) و قد سبق وجهها في البحث البيانيّ فراجع.

و أمّا الطّريق الأُولى فذهبت بها ثلاث عشر آية من آيات هذه السّورة.

و قد استدلّ تعالى بآيات من هذه السّورة على المعاد الجسماني بضروب:

منها: قياس الإعادة على الإبتداء كقوله سبحانه: «اللّه يبدؤا الخلق ثمّ يعيده ثمّ إليه ترجعون»: ١١)

و منها: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر و النّبات... كقوله عزّوجلّ: «يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون»: ١٩ و ٥٠)

و منها: قياس الإعادة على خلق السّموات و الأرض بطريق الأولى كقوله جلّ وعلا:

«و هو الّذي يبدؤا الخلق ثمّ يعيده و هو أهون عليه و له المثل الأعلى في السّموات و الأرض...»: ۲۷) و غيرها من الأقيسة و أنواع البراهين السّاطعة على المبدإ و المعاد.

وجه آخر من وجوه إعجازها:

و من وجوه إعجاز القرآن الكريم ضرب الأمثال فيه، و هي على نوعين: **أحدهما ـ** ظاهر مصرّح به. **ثانيهما ـ** مضمر كامن لاذكر للمثل فيه.

قال اللّه تعالى: «و لقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل» الرّوم: ۵۸) فامتنّ عليهم بذلك لما تضمّن من الفوائد الكثيرة...

و قال رسول اللّه﴿ﷺ﴾ «إنّ القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال، فاعملوا بالحلال، و اجتنبوا الحرام، و اتّبعوا المحكم، و آمنوا بالمتشابه، و اعتبروا بالأمثال».

و عن بعض أصحاب البلاغة و البيان: أنّ من أعظم عِلْم القرآن عِلْمَ أمثاله، و النّاس بل و الخواصّ في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال، و إغفالهم الممثّلات، و المثل بلا ممثّل كالفرس بغير لجام، و النّاقة بلا زمام.

و قال بعضهم: ممّا يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن الكريم معرفةُ ما ضُرِبَ فيه من الأمثال الدّوالّ على طاعته، المبنيّة لاجتناب معصيته.

و قال بعضهم: إنّما ضرب اللّه تعالى الأمثال في القرآن المجيد تذكيراً و وعظاً، فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب أو على إحباط عمل، أو على مدح أو ذمّ أو نحوه... فإنّه يدلّ على الأحكام...

و قال بعضهم: ضرب الأمثال في القران المجيد يستفاد منه أُمور كثيرة: التّذكير و الوعظ و الحثّ و الزّجر و الإعتبار و التّقرير، و تقريب المراد للعقل، و تصويره بصورة المحسوس، فإنّ الأمثال تصوّر المعاني بصورة الأشخاص، لأنّها أثبت في الأذهان لاستعانة الذّهن فيها بالحواسّ، و من ثمّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفيّ بالجليّ، و الغائب بالشّاهد.

و تأتي أمثال القرآن الكريم مشتملة على بيان تفاوت الأجر و على المدح و الذّمّ، و على الثّواب و العقاب، و على تفخيم الأمر أو تحقيره، و على تحقيق أمر أو إبطاله.

و قال بعضهم: و من حكمة الأمثال تعليم البيان، و هو من خصائص هذه الشّريعة.

و قال بعضهم: التّمثيل إنّما يصار اليه لكشف المعاني، و إدنآء المتوهّم من المشاهد، فإن كان المتمثّل له عظيماً كان المتمثّل به مثله، و ان كان صغيراً كان المتمثّل به كذلك.

و قال بعضهم: لضرب العرب الأمثال، و استحضار العلمآء المثالَ و النظائر شيئ ليس بالخفيّ في إبراز خفيّات الدّقآئق، و رفع الأستار عن الحقآئق، تريك به المتخيّل في صورة المتحقّق، و المتوهّم في معرض المتيقّن، و الغآئب كانّه مشاهد، و في ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشّديد الخصومة، و قمْعٌ لسَوْرة الجامح الأبيّ، فإنّه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيئ في نفسه، و لذلك أكثر اللّه تعالى في كتابه المجيد و فَشَتْ في كلام رسوله «ﷺ» و بيان أهل بيت وحيه المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

و قد جآء كلا القسمين من الأمثال في هذه السّورة الكريمة:

أمّا الأوّل: فكقوله تعالى: «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم ممّا ملكت أيمانكم من شركآء فيما رزقناكم فأنتم فيه سوآء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون» الرّوم: ٢٨) و قد سبق وجهه في البحث البيانيّ فراجع.

و **أمّا الثاني:** فكقوله : «و هم عن الآخرة هم غافلون» الرّوم : ٧) و قد سبق وجهه أيضاً في البحث البيانيّ فراجع.

و ما يجري مجرى المثَل، و هذا هو النّوع البديعي المسمّى بإرسال المثل، قوله تعالى في هذه السّورة: « كلّ حزب بمالديهم فرحون ـ ظهر الفساد في البرّ و البحر » ٣٢ و ٤١).

وجه آخر من وجوه إعجازها:

هو قضيّة بدء خلق الإنسان و استمرار حياته إلىٰ حين الموت، ثمّ بين الموت و البعث من عالم البرزخ إذ قال اللّه تعالى: «و من آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّة و رحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون ـ فطرت اللّه الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق اللّه ـ اللّه الّذي خلقكم من ضعف ثمّ جعل من بعد ضعف قوّة ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و شيبة يخلق ما يشآء و هو العليم القدير و يوم تقوم السّاعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير

ساعة كذلك كانوا يؤفكون و قال الّذين اوتوا العلم و الايمان لقد لبثتم في كتاب اللّه إلى يوم البعث فهذا يوم البعث و لكنّكم لكنتم لاتعلمون» الرّوم: ٢٠ ـ ٢١ و ٣٠ و ٥٤ ـ ٥٦).

و ذلك أنّ قضيّة خلق الإنسان تلتقي مع العقل السّليم في كلّ طور من أطواره صعوداً و نزولاً و هذه حقيقة لايستعلى عليها العقل في أعلى منازله، و لا يستغني عن الأخذ بها.

و هذه الآيات و نظائرها ممّا جاء في خلق الإنسان و حياته و موته، و عالَم برزخه و بعثه، تضع العقل أمام قضايا و مقرّرات كلّها تحدث عن خلق الإنسان، و بعضها واضح جليّ يعرف بأدنى نظر، و بعضها دقيق خفيّ لاينال إلاّ بنظر عميق و إدراك سليم مع قدر كبير من العلم و المعرفة.

و مع هذا فإنّ التقاء هذه الآيات في أيّ عقل مؤمن لايحدث صداماً بينها، و لايدعو إلى انفصال في وحدتها، و ذلك بحمل الخفيّ عليه منها على الجليّ، و المتشابه ـ عنده ـ على المحكم... ثمّ يبقى مع هذا للعقل ـ على امتداد الزّمن ـ مكانه من الآيات الخفيّة، ينظر في وجهها، و يدور باحثاً عن أسرارها... و في كلّ يوم يجد العقل من هذه الآيات جديداً من العلم، و مزيداً من المعرفة و كثيراً من الأسرار و الحِكَم...

و ذلك أنّ التراب و الطّين و الصّلصال و الحمأ المسنون و الماء و النّبات، و المنيّ... و كلّ هذه الموادّ الّتي تحدث عنها القرآن الكريم في خلق آدم و بنيه... هي العناصر الّتي شكلت هذا المخلوق العجيب، و الّتي أقام منها الخالق العظيم، هذا البناء في أحسن تقويم... و حتّى ليجيء العلم الحديث متخاضعاً بين يدي القرآن الكريم مستسلماً و مسلماً لما ضمّت عليه آيات اللّه تعالى من معارف و حقائق و أسرار و حِكَم... لم ير هذا العلم بكلّ وسآئله إلاّلمحات منها، فيما قرّرته علوم الحياة من تلك الصّلة الوثيقة الّتي تصل الإنسان بالأحياء، و تجعله حلقة من حلقات سلسلتها الممتدّة، الضّاربة في أعماق الطّبيعة...

«التّكرار و أسراره»

و اعلم أنّ البحث في المقام يدور حول سبعة عشر أمراً:

أحدها ـ أنّ سورتين يشتمل كلّ واحدة منها على ستّين آية على التّرتيب التّالي نزولاً: ١ـ سورة «الذّاريات» لأنّ رقمها (٦٧) نزولاً، و (٥١) مصحفاً. ٢ـ سورة «الرّوم» لأنّ رقمها (٨٤) نزولاً، و (٣٠) مصحفاً.

ثانيها ـ أنّ آيات سورة «الرّوم» ختمت على ثلاثة أحرف: ١ـ الميم. ٢ـ النّون. ٣ـ الرّآء.

أمّا الأولى: ففي أربع آيات كقوله تعالى: «الٓمٓ ـ الرّوم ـ الرّحيم ـ الحكيم».

و أمّا الثّانية: ففي (٥٤) آية كقوله سبحانه: «سيغلبون... لا يوقنون».

و أمّا الثّالثة: ففي آيتين كقوله عزّوجلّ: «قدير ـ القدير».

ثالثها ـ قال بعض المحقّقين: إنّ في القرآن الكريم (٧٥٠) آية كلّها في الكلام على خلق العوالم العلويّة و السّفليّة كقوله تعالى: «أو لم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق اللّٰه...» الرّوم: ٨).

رابعها ـ أنّ اللّٰه عزّوجلّ قدّم في قوله: «أو لم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق اللّٰه...» الرّوم: ٨) دليل الأنفس على دليل الآفاق، و عكس في قوله: «سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم...» فصّلت: ٥٣)!

أمّا وجه التّقديم في سورة «الرّوم» فإنّ الإنسان قلّما يذهل عن نفسه، و أنّ نفسه أقرب الأشياء إليه كقوله سبحانه: «الّذين يذكرون اللّٰه قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكّرون

في خلق السّموات و الأرض» آل‌عمران: ١٩١) أي يعرفون اللّٰه بدلآئل الأنفس في سائر الأحوال، و يتفكّرون في خلق السّموات و الأرض بدلآئل الآفاق...

و أمّا وجه التّأخير في سورة «فصّلت» لأنّ الإرآئة إنّما يفتقر إليها في معرفة الأبعد الأخفى كأنّه قال: «سنريهم آياتنا» الآفاقيّة، فإن لم يفهموها فآيات الأنفس معلومة، و هذا التّرتيب لايناسب التفكّر، بل الفكر يصوّر دليل الأنفس أوّلاً ثمّ يرتقي إلى دليل الآفاق، فظهر أنّ كلّ آية وردت على ما اقتضته الحكمة و البلاغة.

خامسها ـ أنّ اللّٰه تعالى قال في هذه السّورة: «أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم...»: ٩) و في سورة «فاطر»: ٤٤) و في أوائل سورة «المؤمن»: ٢١) بالواو، و في أواخر سورة «المؤمن»: ٨٢) بالفاء لأنّ ما قبل آية سورة «الرّوم»: «أولم يتفكّروا» و كذلك ما بعدها: «و أثاروا» بالواو فوافق ما قبلها و ما بعدها، و في «فاطر» أيضاً وافق ما قبله و ما بعده، فإنّ قبله: «و لن تجد لسنّة اللّٰه تحويلاً» و بعدها: «و ما كان اللّٰه» و كذلك أوّل المؤمن، قبله: «و الّذين يدعون من دونه» و أمّا آخر المؤمن فوافق ما قبله و ما بعده، و كان بالفاء و هو قوله: «فأيّ آيات اللّٰه تنكرون» و بعده: «فما أغنى عنهم».

و قوله تعالى: «كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أشدّ قوّة» إنّ «من قبلهم» متّصل بكون آخر مضمر، و قوله سبحانه: «كانوا أشدّ منهم قوّة» إخبار عمّا كانوا عليه قبل الإهلاك، و خصّت هذه السّورة بهذا النّسق لما يتّصل به من الآيات بعده، و كلّه إخبار عمّا كانوا عليه، و هو «و أثاروا الأرض و عمروها» و في فاطر: «كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم و كانوا» بزيادة الواو لأنّ التقدير: «فينظروا كيف أهلكوا و كانوا أشدّ منهم قوّة» فخصّت هذه السّورة به لقوله: «و ما كان اللّٰه ليعجزه من شيء...».

و في أوائل سورة «المؤمن» «كيف كان عاقبة الّذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشدّ منهم قوّة»: ٢١) فأظهر «كان» العامل في «من قبلهم» و زاد «هم» لأنّ في هذه السّورة وقعت في أوائل قصّة نوح ﴿عليه السلام﴾ و هي تتمّ في ثلاثين آية، فكان اللائق به البسط، و في أواخر سورة «المؤمن» «كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أكثر منهم» فلم يبسط القول، لأنّ أوّل السّورة يدلّ عليه.

سادسها ـ قال اللّٰه تعالى في هذه السّورة: «يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ» الرّوم: ۱۹) و في سورة آل‌عمران: «تخرج الحىّ من الميّت و تخرج الميّت من الحىّ»: ۲۷) و في سورة الأنعام: «يخرج الحىّ من الميّت و مخرج الميّت من الحىّ»: ۹۵) و ذلك أنّ ما في سورة الأنعام وقعت بين أسمآء الفاعلين و هو: «فالق الحبّ و النّوى ـ فالق الإصباح»: ۹۵ ـ ۹٦) و اسم الفاعل يشبه الإسم من وجه، فيدخله الألف و اللام و التّنوين و الجرّ و غيرها، و يشبه الفعل من وجه آخر، إذ يعمل عمل الفعل، و لا يثنّى و لا يجمع إذا عمل، و غيرها و لهذا جاز العطف عليه بالإسم كقوله تعالى: «إنّ المصدّقين و المصدّقات و أقرضوا اللّٰه قرضاً حسناً»: الحديد: ۱۸) و جاز عطفه على الفعل كقوله سبحانه: «سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون» الأعراف: ۱۹۳) فلذا وقع بينهما ذكر «يخرج الحىّ من الميّت» بلفظ الفعل، و «مخرج الميّت من الحىّ» بلفظ الإسم عملاً بالشّبهين، و أخّر لفظ الإسم لأنّ الواقع بعده اسمان: «فالق الإصباح ـ خالق كلّ شيئ» الأنعام: ۹٦ ـ ۱۰۲) و المتقدّم: «فالق الحبّ» اسم واحد، بخلاف ما في سورة آل‌عمران لأنّ ما قبله و ما بعده أفعال، و كذلك في سورة يونس: ۳۱) و سورة الرّوم: ۱۹) أفعال، فروعيت في الأفعال و الأسماء حسن الجوار فتأمّل جيّداً فإنّه من معجزات القرآن الكريم.

سابعها ـ أنّ قوله تعالى: «و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً...» الرّوم: ۲۱) ختم بقوله سبحانه: «يتفكّرون» لأنّ الفكر يؤدّي إلى الوقوف على المعاني الّتي خُلِقت لها من التّآنس و التّجانس، و سكون كلّ واحد منهما إلى الآخر، و ختم قوله عزّوجلّ: «و من آياته خلق السّموات و الأرض...» بقوله جلّ‌وعلا: «للعالمين» الرّوم: ۲۲) لأنّ الكلّ تظلّهم السّمآء، و تُقِلهم الأرض، و كلّ واحد منفرد بلطيفة في صورته يمتاز بها عن غيرها، حتّى لاترى اثنين في ألف يتشابه صورتاهما و لا صوتاهما، و يلتبس كلاهما، و كذلك ينفرد كلّ واحد بدقيقة في صورته، يتميّز بها من بين الأنام، فلاترى اثنين يشتبهان، و هذا يشترك في معرفته النّاس جميعاً، فلهذا قال: «لآيات للعالمين».

و من حمل اختلاف الألسن على اللغات، و اختلاف الألوان على السّواد و البياض، و الشُّقرة و السّمرة، فالإشتراك في معرفتها أيضاً ظاهر. و من قرأ «للعالمين» بكسر اللام و

هي قراءة حفص، فقد أحسن لأنّ بالعلم يمكن الوصول إلى معرفة ما سبق ذكره.

ثامنها ـ أنّ قوله سبحانه: «و من آياته منامكم باللّيل و النّهار...» ختم بقوله تعالى: «يسمعون»: ٢٣) لأنّ من سمع أنّ النّوم من صنع الله الحكيم لايقدر أحد على اجتلابه إذا امتنع، و لاعلى دفعه إذا ورد، تيقّن أنّ له صانعاً مدبّراً. و قيل: «يسمعون» بمعنى: يستجيبون إلى ما يدعوهم إليه الكتاب. و قد ختم قوله عزّوجلّ: «و من آياته يريكم البرق...» بقوله جلّ و علا: «يعقلون»: ٢٤) لأنّ العقل هو ملاك الأمر في هذه الأبواب، و هو المؤدّي إلى العلم، فختم بذكره.

تاسعها ـ أنّ الله تعالى ذكر في الإعادة هنا بقوله: «و هو أهون عليه» الرّوم: ٢٧) و في سورة مريم: «هو عليّ هيّن»: ٩ و ٢١) و كذلك تقديم الجار: «عليّ» على متعلّقه، و تأخيره: «عليه» عليه أمّا وجه الإختلاف في التّعبير فإنّ اللّـه تعالى أراد في سورة «مريم» الإختصاص بأنّ خلق الولد بين هرم و عاقر لايهون إلاّ عَلَيَّ، و أمّا المقام في سورة الرّوم فالأمر مبنيّ على المعقول بين الإنسان من أنّ المعاد أهون من المبدإ.

و أمّا وجه التقديم فهو الحصر، و لم يرده في مورد التأخير لأنّ المقصود ما نحن فيه هنا خلاف المقصود هناك، فإنّه اختصاص الله بالقدرة على ايلاد الهرم و العاقر، و أمّا المقصد هنا فلا معنى للاختصاص فيه، كيف و الأمر مبنيّ على ما يعتقدونه في المشاهد من أنّ الإعادة أسهل من الإبتداء، فلو قدّمت الصّلة لتغيّر المعنى، و هذا سؤال مشهور تعورف بينهم، و هو أنّه كيف قال الله سبحانه: «و هو أهون عليه» و الأفعال كلّها بالنّسبة إلى قدرته تعالى متساوية في السّهولة؟ و ايضاحه أنّ الأمر مبنيّ على ما ينقاس على اصولكم و يقتضيه معقولكم من أنّ الإعادة للشيّ أهون من ابتدآئه لأنّ من أعاد منكم صنعة شيّ كانت أسهل عليه و أهون من إنشآئها، فالإعادة محكوم عليها بزيادة السّهولة.

و هناك جواب آخر و هو أن تكون أهون ليست للتفضيل، بل هي صفة بمعنى هيّن.

و قد كرّر قوله تعالى: «الله يبدؤا الخلق ثمّ يعيده» الرّوم: ١١) في قوله سبحانه: «و هو الّذي يبدؤا الخلق ثمّ يعيده» الرّوم: ٢٧) لزيادة التّقرير، و التّمهيد لما بعده من قوله عزّ و جلّ: «و هو أهون عليه».

عاشرها ـ أنّ قوله تعالى: «فأقم وجهك للدّين القيّم» الرّوم: ٤۳) توكيد لقوله سبحانه: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً» الرّوم: ۳۰) تنبيهاً على أنّ المأمورين بـإقامة الوجـه هـم المؤمنون.

الحاديعشر ـ أنّ اللّٰه تعالى قال: «و إذا مسّ النّاس ضرّ دعوا ربّهم منيبين إليه ثمّ إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربّهم يشركون» الرّوم: ۳۳) ثمّ قال: «و إذا أذقنا النّاس رحمة فرحوا بها و إن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون» الرّوم: ۳٦) فمدلول الآية الأولى: أنّهم إذا وجدوا فرحوا، و إذا فقدوا دعوا اللّٰه و هم قانطون من غير اللّٰه، منيبون إليه تعالى، عكس الآية الثّانية فإنّ مدلولها: أنّهم إذا وجدوا فرحوا، و إذا فقدوا قنطوا من اللّٰه سبحانه.

فوجه التّوفيق بينهما: أنّ المراد من النّاس في الأولى غيرهم في الثّانية.

و قد قال تعالى: «إذا فريق منهم بربّهم يشركون» الرّوم: ۳۳) و قال في سورة العنكبوت: «إذا هم يشركون»: ٦٥) لأنّ الكلام هناك مع المشركين، و ههنا مع النّاس جميعاً، و ليس كلّ النّاس كذلك.

و هناك أجوبة أُخرى:

منها: لو فرض اتّحادهما لما كان ما ذكر من دعآئهم في حال قنوطهم في حال أُخرى.

و منها: أنّ الدّعاء لسانيّ جار على العادة، و لا ينافي القنوط الّذي هو أمر قلبيّ.

و منها: أنّ المراد من قنوطهم فعلهم فعل القانطين كالإهتمام بجمع الذّخآئر أيّام الغلآء...

و منها: أنّ الآية الثّانية بصدد بيان أنّ النّاس لا يعد و نظرهم ظاهر ما يشاهدونه من النّعمة و النّقمة، و في الشّدّة و الرّخآء، إذا وجدوا فرحوا بها من غير أن يتبصّروا و يعقلوا أنّ الأمر بيد غيرهم و بمشيّة ربّهم، إذا لم يشأ لم يكن، و إذا فقدوا قنطوا كأن ليس ذلك بإذن من ربّهم، و إذا لم يشأ لم يأذن، و فتح باب النّعمة أنّهم ظاهريّون سطحيّون.

و منها: أنّ الأولى بصدد بيان أنّ النّاس كافرون بالنّعمة بطبيعتهم، و إن اعترفوا بها عند الضّرّ بفطرتهم، و قد أخذ لذلك فريق منهم لأنّ منهم من ليس كذلك. فالمعنى: إذا

أصاب النّاس شيئ من الضّرّ و لو قليلاً ماكمرض و فقر و شدّة دعوا ربّهم و هو اللّه تعالى حالكونهم معرضين عن غيره، ثمّ إذا أذاقهم اللّه تعالى من عنده رحمة إذا فريق من هؤلآء النّاس بربّهم الّذي كانوا يدعونه و يعترفون بربوبيّته يشركون باتّخاذ الأنداد و الشّركآء خلاف فطرتهم.

الثّاني عشر: أنّ اللّه تعالى قال في هذه السّورة: «أو لم يروا أنّ اللّه يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر...»: ۳۷) و قال في سورة الزّمر: «أو لم يعلموا أنّ اللّه يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر...»: ۵۲) و ذلك أنّ بسط الرّزق ممّا يشاهد و يرى، فجآء في سورة «الرّوم» على ما يقتضيه اللفظ و المعنى، و في سورة «الزّمر» اتّصل بقوله تعالى: «اوتيته على علم»: ۴۹) و بعده: «و لكنّ أكثر النّاس لايعلمون»: ۴۹) فحسن: «أولم يعلموا».

الثّالث عشر: قال اللّه تعالى في هذه السّورة: «فآت ذا القربى حقّه...»: ۳۸) بالفاء رابطة لجواب شرط مقدّر، و قال في سورة «الإسراء»: «و آت ذا القربى حقّه...»: ۲۶) بالواو الإستئنافية، على أنّ آية الرّوم تأكيد لآية الإسرآء لاهتمام الأمر بالإيتآء، لأنّ سورة «الإسرآء» مقدّمة على سورة «الرّوم» نزولاً و مصحفاً، حيث إنّ سورة «الإسرآء» خمسون نزولاً و سبع عشر مصحفاً، و سورة «الرّوم» (۸۴) نزولاً و (۳۰) مصحفاً.

الرّابع عشر: قال اللّه تعالى: «و من آياته أن يرسل الرّياح ـ اللّه الّذي يرسل الرّياح» الرّوم: ۴۶ و ۴۸) بجمع «الرّياح» و قال: «و لئن أرسلنا ريحاً»: الرّوم: ۵۱) بالإفراد. و ذلك أنّ الأولى للمنافع فهي كثيرة الإفراد و الأنواع، فجمعها إذ كلّ يوم و ليلة تهب نفحات من الرّياح النّافعة بخلاف الثّانية و هي الضّارّة لأنّها لا تهب إلاّ عند الإضرار، و لا يقع إلاّ قليلاً.

الخامس عشر: أنّ اللّه تعالى قال في سورة «الرّوم»: «و لتجري الفلك بأمره»: ۴۶) و في سورة «الجاثية»: «لتجري الفلك فيه بأمره»: ۱۲) بزيادة «فيه» إذ لم يتقدّم في سورة «الرّوم» مرجع، و قد تقدّم في سورة «الجاثية» للضّمير مرجع، و هو «البحر» حيث قال: «سخّر لكم البحر».

السّادس عشر: أنّ اللّٰه عزّو جلّ قال في سورة «الرّوم»: «و لا هم يستعتبون»: ٥٧) و في سورة «فصّلت»: «و إن يستعتبوا فما هم من المعتبين»: ٢٤) فجعلهم مرّة طالبين الإعتاب، و أُخرى مطلوباً منهم الإعتاب؟

إنّ وجه الجمع بينهما: أنّ معنى قوله تعالى: «و لا هم يستعتبون»: و لا هم يقالون عثراتهم بالرّدّ إلى الدّنيا، و معنى قوله: «و إن يستعتبوا فما هم من المعتبين»: إن يستقيلوا فما هم من المقالين.

السّابع عشر: أن نشير في المقام إلى صيغ أربع عشرة لغة ـ أوردنا معانيها اللغويّة على سبيل الإستقصآء في بحث اللغة من هذه السورة ـ الصّيغ الّتي جآئت في هذه السورة و في غيرها من السّور القرآنيّة

١ – جآئت كلمة (الغلبة) على صيغها في القرآن الكريم نحو: (٣١) مرّة:

٢ – جآئت كلمة (الرّوم) في القرآن المجيد مرّة واحدة و هي في سورة «الرّوم»: ٢)

٣ – جآئت كلمة (البضع) على صيغها في القرآن المجيد نحو: سبع مرّات:

١ – سورة الرّوم: ٤) ٢ـ سورة يوسف: ١٩ و ٤٢ و ٦٢ و ٦٥ و ٨٨)

٤ – جآئت كلمة (السّنة) في القرآن المجيد نحو: (٢٠) مرّة:

٥ – جآئت كلمة (العمر) في القرآن المجيد نحو: (٢٧) مرّة:

٦ – جآئت كلمة (الحبر) في القرآن المجيد نحو: (٦) مرّات:

١ – سورة الرّوم: ١٥) ٢ – سورة الزّخرف: ٧٠) ٣ – ٤ – سورة المائدة: ٤٤ و ٦٣) ٥ – ٦ – سورة التوبة: ٣١ و ٣٤)

٧ – جآئت كلمة (المساء) في القرآن الكريم نحو: مرّة واحدة و هي في سورة الرّوم: ١٧)

٨ – جآئت كلمة (الحنيف) على صيغها في القرآن الكريم نحو: (١٢) مرّة:

٩ – جآئت كلمة (الإنابة) على صيغها في القرآن الكريم نحو: (١٨) مرّة:

١٠ – جآئت كلمة (القرب و القربى) على صيغها في القرآن الكريم نحو: (٩٦) مرّة:

١١ - جآئت كلمة (الرّبا) على صيغها في القرآن الكريم نحو: (٢٠) مرّة:

١٢ - جآئت كلمة (الضّعف) على صيغها في القرآن الكريم نحو: (٥٢) مرّة:

١٣ - جآئت كلمة (الودق) على صيغها في القرآن الكريم نحو: مرتين: ١ - سورة الرّوم: ٤٨) ٢ - سورة النّور: ٤٣)

١٤ - جآئت كلمة (الشيب و الشيبة) على صيغها في القرآن الكريم نحو: ثلاث مرّات: ١ - سورة الرّوم: ٥٤) ٢ - سورة مريم: ٤)٣ - سورة المزّمّل: ١٧)

«التناسب و جهاته»

واعلم أنّ البحث في المقام يدور على جهات ثلاث:

أحدها ـ التّناسب بين هذه السّورة و ما قبلها نزولاً:

ثانيها ـ التّناسب بين هذه السّورة و ما قبلها مصحفاً:

ثالثها ـ التّناسب بين آيات هذه السورة نفسها:

أمّا الأولى: فإنّ هذه السّورة نزلت بعد سورة «الإنشقاق» فالتّناسب بينهما موضوعاً: أنّه لمّا كان غرض سورة «الإنشقاق» بياناً لما في واقع الإنسان من السّعي في الحياة الدّنيا و و ما يُلاقيه فيها و في الدّار الآخرة، متعقّباً بأقسام ربّانية للتأكيد و التقريع و الإنذار على الكفّار و المفسدين بالخزي و الهوان، و النّار و العذاب، مع البشارة للمؤمنين بأجر لاينقطع، و هو ثمرة ايمانهم و صالح أعمالهم...

جائت سورة «الرّوم» موضوعها البشارة العظمى من اللّه تعالى للمؤمنين بنصره تعالى لدينه و نصره للحقّ في أعلى منازله و غلبتهم على مشركي مكّة، و فرح المؤمنين يومئذ بذلك.

و **أمّا الثّانية:** فمناسبة هذه السّورة بما قبلها مصحفاً و هي سورة «العنكبوت» فبوجوه:

منها: أنّ اللّه تعالى لمّا ختم سورة «العنكبوت» بقوله: «و الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا»: ٦٩) أردفه بسورة «الرّوم» لتثبيت ما وعده في سورة «العنكبوت» فسورة الرّوم

متضمّنة لنصر المؤمنين بدفع شماتة أعدآئهم المشركين، و هم لم يزالوا مجاهدين في اللّه تعالى و لأجله و لوجهه و إن لم يكونوا مجاهدين بالسّيف عند النّزول.

و منها: لمّا بدئت سورة «العنكبوت» بالجهاد بأنّ النّاس يمتحنون بالجهاد و العمل تارة، و بالمصائب و الشّدآئد تارة أُخرى، و بالمال و غيره ثالثة، و ختمت بالجهاد، بدئت سورة «الرّوم» على ذلك النّسق فهذه السّورة كالمتمّمة لما قبلها و المفصّلة لما اجمل فيما قبلها.

و منها: أنّ ما في هذه السّورة: «الرّوم» من الحجج القاطعة و البراهين السّاطعة على المبدإو المعاد، و على النّظر في الآفاق و الأنفس... مفصّل لما جآء في سورة «العنكبوت» إذ قال فيها: «فانظروا كيف بدأ الخلق...»: ٢٠) و هنا بيّن ذلك، فقال: «أولم يسيروا في الأرض...» و «اللّه يبدؤا الخلق ثمّ يعيده...».

و منها ـ أنّ سورة «العنكبوت» لمّا حملت دعوة للمسلمين إلى أن يوطّنوا أنفسهم على ما يصيبهم من بلاء و فتن على طريق الايمان، و آذنتهم بأنّهم مبتلون بكثير من الشّدآئد و المحن و المصآئب... و أنّ ما يبتلون به الهجرة و فراق الأهل و الدّيار... ثمّ كان ختامها هذا الوعد الّذي تلقوه من اللّه عزّ و جلّ بأنّه سيهديهم الطّريق المستقيم، سبيل اللّه، و أنّه معهم يمدّهم بأمداد نصره و تأييده...

جآئت سورة «الرّوم» لتعرض مشهداً من الواقع، و تخبر عن حدث مشهود يراه المسلمون و المشركون يومئذ، و هو الحرب الّذى وقع بين الرّوم و الفرس، حيث انتصر فيها الفرس حينما كانت نائرة الحرب قائمة على قدم و ساق بين المشركين و المسلمين في مكّة، و قد كانت الدّولة للمشركين حيث كانوا هم الكثرة و أصحاب القوّة و الجاه بينما كان المسلمون قلّة قليلة أغلبها من المستضعفين من الإمآء و العبيد، و كان أقوى المسلمين قوّة و أعزّهم نفراً من يستطيع أن يفلت من يد القوم و يخرج فارّاً بدينه، تاركاً كلّ شئ ورآئه!

و في هذا الوقت جآئت سورة «الرّوم» بشارةً بغلبة الرّوم على الفرس، ثمّ غلبة المسلمين على الكل...

و منها: أنّ اللّه تعالى لمّا أمر المؤمنين في سورة «العنكبوت» بمداراة أهل الكتاب و

أخبر بإيمان كثير منهم في القرآن الكريم، أبغضهم المشركون، و قاتل الفرس الروميين الكتابيين فانتصروا عليهم و فرح المشركون بانتصار الفرس فأنزل الله تعالى سورة الرّوم مفتتحاً بكلمة تجذب القلوب، و وجّهها إلى استماع الإخبار من الله عزّوجلّ في ذلك بشارة رسوله الأعظم «صلى الله عليه وآله» و المؤمنين، عكس ما توهّمه المشركون.

و منها: أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمّا كان يقول للكفّار و المشركين و الفجّار و المستكبرين... ما أمر الله تعالى به من قوله سبحانه: «صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون» وكان يحقّر آلهتهم و ينسبها إلى العجز و عدم النّفع و الضّرّ، وكان أهل الكتاب يوافقون المسلمين في الإله، و في كثير من الأحكام... و لذلك قال: «و لا تجادلوا أهل الكتاب ـ و إلهنا و إلهكم واحد و نحن له مسلمون» العنكبوت: ٤٦) فلا جرم أبغض المشركون أهل الكتاب، و تركوا مراجعتهم في الأمور فاتّفق أن بعث كسرى جيشاً إلى الرّوم فظفر عليهم و قتلهم و خرّب مدآئنهم و ديارهم، ففرح المشركون بذلك، أنزل الله تعالى سورة «الرّوم» لبيان أنّ الغلبة لاتدلّ على الحقّ، إذ قد يبتلى المحبوب، و يعجل عذابه ليسلم في الآجل، ثمّ بيّن أنّ الرّوم سيغلبون الفرس غلبة عظيمة، كلّ ذلك دليل على أنّ الأمر بيد الله جلّ وعلا من قبل الغلبة و من بعدها، و قد وقع كما أخبر، فغلبت الرّوم على الفرس حتّى وصلوا إلى المدائن و بنوا هنالك الرّوميّة.

و منها: أنّ سورة «العنكبوت» لمّا بدئت بالجهاد و ختمت به، فردّ عجزها على صدرها، إذ بدئت بأنّ النّاس لم يخلقوا في الأرض ليناموا على بساط الرّاحة، و إنّما خلقوا ليجاهدوا لتزكية أنفسهم و كما لها حتّى يلاقوا ربّهم، و أنّهم في هذا السّير و المصير يلاقون مصائب و شدآئد و مصائب من الأهل و الأصحاب و الأمم الّتي يعايشونها، و قصّت ما جرى لنوح و ابراهيم و لوط و هود و صالح و موسى و ما كان من صبر الأنبيآء عليهم السّلام و خذلان الكافرين، و ضرب لهم من العنكبوت و وهن ما تتخذه من البيوت مثلاً كيما يعتبر من أراد الإعتبار، و بيّنت لهم أنّ مدار الكمال الإنسانيّ على العقل و الحكمة و الفهم و العلم و العمل بالقرآن الكريم، و زهّدتهم في الدّنيا و أمرتهم بالصّبر و التّوكّل على الله جلّ وعلا و أنّ الله تعالى قد تكفّل برزقهم كما تكفّل برزق سائر الخلق.

بدئت سورة «الرّوم» بأنّ محمّداً ﴿ﷺ﴾ يسلك ما سلك الأنبياء و المرسلون قبله ﴿ﷺ﴾ فإذا كان الأنبيآء عليهم السّلام قد جاهدوا و صبروا ثمّ نصروا و فازوا فإنّ محمّداً ﴿ﷺ﴾ قد جاهد و صبر و نصر و فاز.

فإذا كان آخر السّورة السّابقة هو ملخّص ما فيها أي إنّ قوله سبحانه: «و الّذين جاهدوا فينا...» هو ملخّص ما جآء فيها، فإنّ أوّل سورة «الرّوم» يفيد أنّ محمداً ﴿ﷺ﴾ مثلهم، ألاترى أنّه أخبر بأنّ الرّوم سيغلبون بعد أن غلبهم الفرس، و أيضاً أُمّته ستغلب الفرس في تلك الجهة.

فهنا نصران: نصر نبويّ علميّ، و نصر حربيّ بالفتح، فأصبحت سورة «الرّوم» متمّمة لسورة «العنكبوت» و لمّا كان رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ على دين جدّه ابراهيم خليل الرّحمن ﴿ع﴾ أخذ يقرّر و يفصّل ما ذكره ابراهيم ﴿ع﴾ في السّورة السّابقة: «فانظروا كيف بدأ الخلق...» فههنا أخذ يبيّن ذلك، فقال: «أولم يسيروا في الأرض...» و قال «اللّه يبدأ الخلق ثمّ يعيده...» و فصّل ذلك بأبهج بيان و أجمل تفصيل، فقال: «و من آياته أن خلقكم من تراب...» إذن سورة «الرّوم» مفصّلة لبعض ما أجمل في سورة «العنكبوت» تارة، و مكمّلة لتاريخ الأنبياء بذكر خاتمهم و نصره تارة أُخرى. و اللّه جلّ وعلا هو أعلم.

و **أمّا الثّالثة**: ففصول السّورة مترابطة ممّا يبرز القول: إنّها نزلت دفعة واحدة أو متتابعة. و ما بين بدئها و ختمها من التّناسب ما لايخفى على القاريء الخبير إذ في أوآئلها الوعد من اللّه تعالى: «و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه ينصر من يشآء و هو العزيز الرّحيم وعد اللّه لايخلف الله وعده...» ٤ - ٦) و اختتمت بوعد النّصر لرسول اللّه ﴿ﷺ﴾: «فاصبر إنّ وعد اللّه حقّ...»: ٦٠).

و أمّا التّناسب بين آيها: فإنّها لمّا بدئت بحروف الألف و اللام و الميم: «الٓمٓ»: ١) للاسترعآء أعقبها خبر بوقوع مالم يقع بعد من إنكسار الرّوم في البلاد المتاخمة للحجاز، و بشرى بنصر يحرزونه خلال مدّة محدودة: «غُلِبت الرّوم ـ في بضع سنين»: ٢ - ٤).

ثمّ بيّن تعالى أنّ هذا الأمر بقضآء اللّه تعالى وحده: «للّه الأمر من قبل و من بعد» ثمّ أخبر بأنّ المؤمنين عند وقوع المخبر عنه يفرحون: «يومئذ يفرح المؤمنون»: ٤) ثمّ أشار إلى

سبب فرحهم و هو النّصر من اللّه جلّ وعلا: «بنصر من اللّه...»: ٥).

ثمّ أكّد هذا النّصر بأنّه وعد ربّانيّ متحقّق لامحالة، و إن كان أكثر النّاس لايعلمون أنّه لا خلف في وعده لأنّهم بله في أُمور الدّين و في درك حقآئق الكون و أسرار نواميس الوجود، و لذلك لا يؤمنون: «وعد اللّه لا يخلف اللّه وعده...»: ٦).

ثمّ بيّن سبب جهلهم بأُمور الدّين و حقآئق الكون، و سبب كفرهم و طغيانهم و ذمّهم بقصر علمهم في شهوات الدّنيا و زخارفها بقوله تعالى: «يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا و هم عن الآخرة هم غافلون»: ٧).

ثمّ حثّهم على التفكّر في الآيات الأنفسيّة و الآفاقيّة الدّالّة على وحدانيّة اللّه تعالى و كمال قدرته، وسعة علمه و غاية حكمته، فلا إله غيره، و لا ربّ سواه، و أنّ هذا الكون لم يخلق سدى و لا باطلاً، بل خُلِقَ بالحقّ، و أنّه مؤجّل إلى أجل مسمّى و هو يوم القيامة: «أولم يتفكّروا في أنفسهم...» و لمّا ذكر دليل النّفس الّذي لايقع الذّهول عنه إلاّ ندرة إرتقى إلى دليل السّموات و الأرض الّذي يقع الذّهول عنه في كثير من الأحوال لكنّه لايحتاج إلى التفات ذهنيّ، ثمّ أشار إلى نتآئج السّوء لعدم تفكّرهم فيها، فلو فكّروا فيها لآمنوا باللّه تعالى و برسوله ﴿ﷺ﴾ و بيوم القيامة أو أنّ الكفر بلقآء ربّهم سبب لعدم التفكّر فيها... «و إنّ كثيراً من النّاس بلقآء ربّهم لكافرون»: ٨).

إنّ اللّه تعالى لمّا حثّ المشركين على التفكّر في الآيات الدّالّة على التّوحيد، حثّهم على السّير في أنحآء الأرض و أقطارها للنّظر فيما يدلّ على صدق النّبوّة و رسالة الرّسل عليهم السّلام من المعجزات و الدّلائل الواضحة على صدقهم، و في آثار هلاك المكذّبين بهم من دون ظلم في ذلك عليهم بقوله تعالى: «أولم يسيروا في الأرض فينظروا...»: ٩).

ثمّ بيّن سبب هلاكهم، و وخامة عاقبة أمرهم بأنّهم لمّا جآئتهم رسل اللّه بالبيّنات وقفوا منهم موقف المكذّب المستهزئ، و لم يتورّعوا عن ارتكاب السّيّئات فجازاهم اللّه سوءاً بسوء، و لم يكونوا في ذلك مظلومين، و إنّما كانوا هم الّذين جنوا على أنفسهم فقال: «ثمّ كان عاقبة الّذين أسآؤا السّوآى...» ١٠).

إنّ اللّه عزّوجلّ لمّا ذكر أدلّة التّوحيد و النّبوّة إجمالاً، و في ختامها نبّه على أنّ عاقبة

الكافرين وخيمة، و كان ذلك يستلزم الإعادة و الحشر أخذ بذكر الأدلّة الّتي تدلّ على المعاد، مبتدأً بأنفسهم بأن يتفكّروا في أنفسهم في إثبات البعث و المعاد كما أمرهم بالتفكّر في أنفسهم في التّوحيد و النّبوّة، فقال: «اللّه يبدؤا الخلق ثمّ يعيده...»: ١١).

ثمّ بيّن ظهور حالتي المؤمنين الموحّدين، و الكافرين و المشركين المختلفتين يوم البعث و ما يحدث يومئذ من الفزع و الأهوال للكافرين، و الأمن و السّكينة للمؤمنين فقال: «و يوم تقوم السّاعة...»: ١٢) و لا يخفى أنّ ذكر المعاد بعد المبدإ و الرّسالة أنّ يوم البعث يوم ظهور الحقائق و كشف ما في القلوب و تجسّم الأعراض من الايمان و الكفر، من التصديق و التكذيب و من الإخلاص و النّفاق...

ثمّ بيّن وجه إبلاس المجرمين المشركين الّذين اتّخذوا الأصنام آلهة يعبدونها لتكون لهم شفعاء يوم القيامة لو كان بحسبهم ـ ببيان حال آلهتهم معهم، و حالهم مع آلهتهم، بأنّ كلاً منهما يتبرّأ من الآخر، يوم القيامة، فقال: «و لم يكن لهم من شركآئهم شفعآء و كانوا بشركآئهم كافرين»: ١٣).

إنّ اللّه تعالى لمّا بيّن حال المشركين مع آلهتهم و بالعكس، في منظر الأشهاد يوم القيامة وقت الحساب، ذكر أنّه جلّ وعلا يميّز المؤمنين من الكافرين، و المخلصين من المشركين بعد الحساب فيتفرّقون تفرّقاً لا يجتمعون بعده أبداً: «و يوم تقوم السّاعة يومئذ يتفرّقون»: ١٤).

ثمّ فصّل حال الفريقين: المؤمنين و الكافرين، و كيفيّة تفريقهم و مآل أمرهم، و قدّم المؤمنين و حسن حالهم لأنّ الايمان مقدّم على الكفر، و الوعد سابق على الوعيد، و أنّ الإنسان خُلِقَ للجنّة و نعيمها، لا للنّار و عذابها... فقال: «فأمّا الّذين آمنوا...»: ١٥)

ثمّ أخبر عن حال الكافرين، و سوء عاقبة أمرهم بسبب سوء اختيارهم بقوله تعالى: «و أمّا الّذين كفروا و كذّبوا بآياتنا...»: ١٦).

و في مناسبة قوله تعالى: «فسبحان اللّه حين تمسون و حين تصبحون»: ١٧) لما قبلها وجوه:

منها: أنّ اللّه عزّوجلّ إثر ما بيّن حال فريقي المؤمنين و الكافرين و مآل أمرهما من

الثّواب و العقاب أرشد النّاس كلّهم أو المؤمنين أو المشركين خاصّة إتماماً للحجّة عليهم إلى ما ينجي من الثّاني، و يفضي إلى الأوّل من تنزيه اللّه تعالى عن كلّ ما لايليق بساحة قدسه، و من حمده و الثّنآء عليه، و وصفه بما هو أهله من الصّفات الجميلة، و الشّئون الجليلة... و به ينالون إلى السّعادة الأبديّة...

و منها: أنّ اللّه تعالى لمّا ذكر الوعد و الوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد، و ينجي من الوعيد.

و منها: أنّ اللّه عزّوجلّ لمّا ذكر عظمته في المبدإ بقوله سبحانه: «أو لم يتفكّروا في أنفسهم...»: ٨) و في المعاد بقوله: «اللّه يبدؤا الخلق ثمّ يعيده ـ و يوم تقوم السّاعة...»: ١١ - ١٤) و كرّر ذكر قيام السّاعة للتّأكيد و التخويف أراد أن ينزّه نفسه عن كلّ سوء، و يثبت لذاته كلّ حمد ليعلم أنّه منزّه عن طاعات المطيعين، محمود عن كلّ ما يوصل إلى المكلّفين، مذكور على لسان أهل السّموات و الأرضين...

و منها: أنّ اللّه جلّ وعلا لمّا بيّن أنّ في دار الخلقة تدبيراً إلهيّاً، متقناً صالحاً جميلاً على أجمل ما يكون، و أنّ للإنسان على توالي الأزمنة و الدّهور آثاماً و خطيئات من العقيدة الباطلة في حقّ ربّه و اتّخاذ الشركآء له سبحانه على أنحاء الشّرك، و إنكار لقائه إلى سآئر المعاصي و السّيّئات... ذيّل الكلام بتسبيحه كلّما تجدّد حين بعد حين، و تحميده على صنعه و تدبيره في نظام الكون و نواميس الوجود، فهو تعالى منزّه عن تلك الإعتقادات الباطلة و الأعمال الفاسدة، و محمود في جميع ما خلقه، و دبّره في السّموات و الأرض...

و منها: أنّ اللّه سبحانه لمّا بيّن كمال قدرته تعالى في خلق السّموات و الأرض بالحقّ، و هو ابتداء العالم، ثمّ ذكر مصير الإنسان في الكون إلى الجنّة أو النّار، و هي حالة انتهاء العالم أمر عزّوجلّ بتنزيهه عن كلّ ما لا يليق بساحة قدسه في كلّ وقت من أوقات اللّيل و النّهار تنبيهاً على أنّ من كان كذا فهو وحده يليق للعبادة، و ما سواه مخلوق، خلق بقدرته و إرادته، لايليق أن يُعبَد أو يُجعل شريكاً للّه سبحانه، فقال: «فسبحان اللّه حين تمسون...»: ١٧).

ثمّ خصّص الحمد كلّه لذاته: «و له الحمد في السّموات و الأرض...»: ١٨) و قدّم

التّسبيح على التّحميد لتقدّم التخلية و التّطهير على التّحلية و الطّهارة كما في كلمة التّوحيد: «لا إله إلاّ اللّه» و في قوله تعالى: «فمن يكفر بالطّاغوت و يؤمن باللّه فقد استمسك بالعروة الوثقى...» البقرة: ٢٥٦).

ثمّ بيّن بعض صفات ذلك الإله المستحقّ للتقديس و الحمد و الثّنآء، فقال: «يخرج الحيّ من الميّت...»: ١٩).

لمّا ذكر إخراج الحيّ من الميّت و بالعكس، و إحيآء الأرض بعد موتها لبيان وحدانيّته وكمال قدرته، أخذ بذكر خلق الإنسان و بعض عوارضه، ايضاحاً لما سبق، فإنّ دلالة بدإ خلقهم على إعادتهم أظهر و أوضح من دلالة إخراج الحيّ من الميّت و بالعكس، و من دلالة إحيآء الأرض بعد موتها عليها فقال: «و من آياته أن خلقكم من تراب...»: ٢٠).

ثمّ إنّ اللّه تعالى لمّا بيّن خلق الإنسان «من تراب» أردفه بذكر بعض عوارضه اللازمة و المفارقة الاخرى، و لم يكن ممّا يبقى على مرّ الزّمان و الدّهور منّ عليهم بأن جعل نوع الإنسان باقياً بتعاقب الأشخاص، فقال: «و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً...» و ختم الآية الكريمة بقوله سبحانه: «إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون»: ٢١).

و ذلك أنّ خلق الإنسان من الأبوين آية، و جعل أحدهما ذكراً و الآخر انثى آية أخرى، و خروج الولد الضّعيف من الموضع الضيّق آية ثالثة، و جعل التوادد و الرّحمة بين الزّوجين من دون صلة رحم آية رابعة لمن تفكّر و تدبّر فيها و لم يغفل عنها، حيث إنّ الفكر يؤدّي إلى الوقوف على المعاني المطلوبة من التآنس و التجانس بين الأشيآء كالزّوجين...

و بعبارة أخرى: إنّ اللّه تعالى لمّا بيّن الخلقة الأولى لنوع البشر: «من تراب» انتقل إلى بيان الحياة المشتركة بين جنسي البشر: الذّكر و الأنثى بقوله سبحانه: «و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم...» و النّاس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، و تشغل أعصابهم و مشاعرهم تلك الصّلة بين الجنسين، و تدفع خطأهم و تحرّك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الإنماط و الإتّجاهات بين الرّجل و المرأة، و لكنّهم قلّما يتذكّرون يد اللّه سبحانه الّتي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً، و أودعت في أنفسهم هذه العواطف و المشاعر، و جعلت في تلك الصّلة سكناً للنّفس و العصب، و راحة للجسم و القلب، و

استقراراً للحياة و المعاش، و اُنساً للأرواح و الضّمآئر، و اطمئناناً للرّجل و المرأة على السّوآء.

فصوّرت الآية الكريمة هذه العلاقة تصويراً موحياً كانّما يلتقط الصّورة من أعماق القلب، و أغوار الحسّ: «لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّة و رحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» فإنّهم بالتفكّر يدركون حكمة الخالق في خلق كلّ من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر، ملبّياً لحاجته الفطريّة نفسيّة و عقليّة و جسديّة بحيث يجد عنده الرّاحة و الطّمأنينة و الإستقرار، و يجدان في اجتماعهما السّكن و الإكتفآء و المودّة و الرّحمة لأنّ تركيبهما النّفسيّ و العصبيّ و العضوي ملحوظ فيه تلبية رغآئب كلّ منهما في الآخر و ائتلافهما و امتزاجهما في النّهاية لإنشآء حياة جديدة تتمثّل في جيل جديد.

و من المحتمل أنّه لمّا كان القصد من خلق الأزواج و السّكون إليها، و جعل المودّة و الرّحمة بين الزّوجين ليس مجرّد قضآء الشّهوة الّتي يشترك بها البهائم، بل تكثير النّسل و بقآء نوع المتفكّرين الّذين يؤدّيهم إلىٰ المعرفة و العبادة الّتي ما خلق اللّٰه تعالى الجنّ و الإنس إلاّ لها ناسب كون المتفكّرين فاصلة هنا.

لمّا ذكر تعالى دلآئل الأنفس على وحدانيّته وكمال قدرته و تدبيره و علمه و حكمته، و جلاله و عظمته أتبعها براهين الآفاق، و أظهرها و أوضحها و أعظمها خلق السّموات و ما فيها من عجآئب خلقه من النّجوم و الشمس و القمر... و خلق الأرض و ما فيها من الجبال و البحار و الأشجار و الأنهار... و ذكر خلقها لأنّ خلق المركّبات قد يسنده بعض الجهلة السّفلة إلىٰ ما في العناصر من الكيفيّات، و إلى ما في السّموات من الحركات و الإتّصالات... و أمّا السّمآء و الأرض فلا يجد بدّاً من أن يقول: إنّهما بقدرة اللّٰه جلّ وعلا. فقال تعالى: «و من آياته خلق السّموات و الأرض»: ۲۲).

ثمّ أعاد إلىٰ ذكر أحوال الأنفس و عوارضها... و من جملتها اختلاف الألسنة لا جرمها، فإنّ التّباين بين أجرامها ليس يبلغ إلىٰ حدّ يُعدّ آية، بل وصفها و هو النّطق و تقطيع الأصوات اللّذان بهما يمتاز بعض الأصناف و الأشخاص عن بعض، و اختلاف الألوان و الحلى، فبذلك يقع التّفاوت و يرتفع الإشتباه، فحسّ البصر يدرك اختلاف

الصّور، و حسّ السّمع يدرك اختلاف الأصوات، و أمّا اللمس و الشمّ و الذّوق، فلا حكم لها ظاهراً في باب التميز بين الأشخاص الإنسانيّة.

كلّ ذلك لإظهار كمال قدرته و سعة علمه و غاية حكمته الّتي يشاهدها الإنسان في كلّ آن من الآيات... و هم عنه تعالى غافلون.

و ختم الآية الكريمة بقوله تعالى: «للعالمين»: ٢٢) فإنّ الكلّ تظلّهم السّمآء و تقلّهم الأرض، و كلّ منهم متميّز بلطيفة يمتاز بها عن غيره و هذا مشترك في معرفته جميع العالمين، أو أنّ الباحثين عن نظام الكون و نواميس الوجود يعثرون على آيات دقيقة دالّة على أنّ الصّنع و الإيجاد مع النّظام الجاري فيه لا يقوم إلاّ بالله جلّ وعلا و لا ينتهي إلاّ إليه.

إنّ الله عزّوجلّ لمّا ذكر بعض عوارض لازمة للإنسان، أخذ بذكر بعض عوارضه المفارقة، فقال: «و من آياته منامكم باللّيل و النّهار و ابتغاؤكم من فضله...» قدّم المنام على الإبتغاء لأنّ الإستراحة مطلوبة لذاتها، و الطلب لا يكون إلاّ لحاجة، مع أنّ الطلب و السّعي مع الملالة النّاشئة عن فقد النّوم لا يفيد، و ختم الآية بقوله تعالى: «لقوم يسمعون»: ٢٣).

و ذلك أنّ من يسمع سماع تدبّر: أنّ النّوم من صنع الله تعالى الحكيم لا يقدر على اجتلابه إذا امتنع، و لا على دفعه إذا ورد، يعلم أنّ له صانعاً مدبّراً.

ثمّ أشار إلى بعض عوارض الأكوان و الآفاق بقوله: «و من آياته يريكم البرق...» و ختم الآية الكريمة بقوله سبحانه: «لقوم يعقلون»: ٢٤).

لأنّ العقل هو ملاك الأمر الّذي يؤدّي إلى العلم فيما ذكر و غيره، أو لمّا كان ما ذكر تمثيلاً لإحيآء النّاس و إخراج الموتى، و كان التّمثيل لإدنآء المتوهّم إلى المعقول، و إرائة المتخيّل في صورة المتحقّق ناسب أن تكون الفاصلة «لقوم يعقلون».

و قد رتّبت فواصل الآيات الأربع أعني قوله تعالى: «يتفكّرون» «للعالمين» «يسمعون» «يعقلون» على هذا التّرتيب لأنّ الإنسان إذا تفكّر في نظام التّكوين يصير عالماً، ثمّ إذا سمع شيئاً من حقائق التّدوين و وعاه يعقله.

كما أنّها رتّبت آخذةً من بدء خلق الإنسان: «و من آياته أن خلقكم من تراب...» ثمّ

تصنّفه صنفين: الذّكر و الانثى، ثمّ ارتباط وجوده بالسّمآء و الأرض، و اختلاف ألسنتهم و ألوانهم، ثمّ السّعي في طلب الرّزق و سكونهم بالمنام، ثمّ إرآئة البرق و تنزيل الأمطار حتّى تنتهي إلى قيام السّمآء و الأرض إلى أجل مسمّى ليتمّ لهذا النّوع الإنسانيّ ما قدّر له أمد الحياة، و يعقب ذلك البعث كلّ ذلك لإثبات المبدإ و المعاد، و لا يؤمن بهما إلاّ من تفكّر و علم، و سمع و عقل.

ثمّ ذكر دليلاً آخر من بعض لوازم الآفاق على المبدإ و المعاد، فقال: «و من آياته أن تقوم السّمآء و الأرض...»: ۲٥).

إنّ الله تعالى لمّا بيّن الأدلّة الآفاقيّة و الأنفسيّة على المبدإ و المعاد، ذكر أنّ الأكوان كلّها مملوكة لله تعالى، و خاضعة لأمره تكويناً، تنبيهاً على أنّ الإنسان كما أنّ تكوينه ليس باختيار، كذلك بعثه بعد موته للحساب و الجزاء ليس باختياره، فكيف يكفر بخالقه، و ينكر بعثه بعد موته باختياره؟ فقال: «و له من في السّموات و الأرض كلّ له قانتون»: ۲٦).

ثمّ أعاد الكلام على المبدإ و المعاد، و أقام الأدلّة الأنفسيّة و الآفاقيّة عليهما لإصرار المشركين على الشّرك بالله سبحانه، و إنكارهم للبعث، فقال: «و هو الّذي يبدؤا الخلق ثمّ يعيده...»: ۲۷).

ثمّ أقام الدّليل القاطع على بطلان الشّرك ـ على سبيل التّمثيل و التّشبيه ـ إذ بالتّمثيل تكشف المعاني لأرباب العقول... بقوله: «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم...»: ۲۸).

و ختم الآية الكريمة بقوله عزّ و جلّ: «لقوم يعقلون» لأنّ العقلآء هم يستعملون عقولهم في تدبّر الأمثال و ينتفعون بها.

ثمّ بيّن سبب الشّرك، و هو اتّباع المشركين لأهوآئهم سفهاً من أنفسهم و جهلاً، و لذلك لا يجدي فيهم البرهان و الإقناع و الأمثال... بقوله تعالى: «بل اتّبع الّذين ظلموا أهوآءهم بغير علم...»: ۲۹).

ثمّ أشار إلىٰ ما يترتّب على اتّباعهم لأهوآءهم و إصرارهم على شركهم و ضلالهم من حرمانهم من التّوفيق و السّداد للهداية و لا نجاة لهم من الضّلالة بقوله: «فمن يهدي من أضلّ الله و ما لهم من ناصرين»: ۲۹).

إنّ اللّه تعالى لمّا أقام الأدلّة الآفاقيّة و الأنفسيّة المتنوّعة الدّالّة على وحدانيّة المبدإ و إثبات المعاد، و على بطلان الشّرك و تقبيح ما يوجب الشّرك و الضّلالة و هو اتّباع الهوىٰ، و ما يترتّب عليه من إضلال اللّه سبحانه من دون نجاة لهم منها أمر رسوله «ﷺ» بإقامة وجهه للدّين الحنيف و اتّباع الفطرة الّتي فطر النّاس عليها، و إن كان أكثرهم يخالفونها بسوء اختيارهم، و بالإعراض عنهم و عدم الإعتناء بهم... فقال: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً...»: ٣٠).

ثمّ أشار إلىٰ علّة وجوب الإمتثال بقوله سبحانه: «لا تبديل لخلق اللّه» ثمّ ذكر سبب نفي التبديل، فقال: «ذٰلك الدّين القيّم» ثمّ بيّن أنّ أكثر النّاس لايعلمون حقيقة ذاتهم و إنسانيّتهم أنّها غير منفكّة عن هذا الدّين، بحيث لو لم يكن لهم هذا الدّين لما كان لهم حظّ من الإنسانيّة أصلاً.

إنّ اللّه تعالى لمّا بيّن أنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف من الظّروف يغفلون عن حقيقتهم، و يفقدون انسانيّتهم لإعراضهم عن الدّين القيّم الفطري الّذي لا فكاك بينه و بين إنسانيّة الإنسان، دعا المؤمنين إلىٰ استمرارهم على انسانيّتهم بالانقطاع إلىٰ اللّه تعالى عن غيره بالايمان و الإخلاص، أو بالتّوبة و الطّاعة مرّة بعد مرّة أُخرى... فقال: «منيبين إليه و اتّقوه و أقيموا الصّلاة و لا تكونوا من المشركين»: ٣١).

إنّ اللّه سبحانه لمّا نهى عن الشّرك، أخذ ببيان سبب النّهي، و مفاسد الشّرك و تعريف المشركين بأخصّ صفاتهم، و هو تفرّقهم في الدّين، و اختلافهم في جميع شئون حياتهم الإنسانيّة و سقوطهم عنها و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، فقال: «من الّذين فرّقوا دينهم...» ٣٢).

إنّ اللّه تعالى لمّا أشار ـ فيما سبق من كلامه ـ إجمالاً إلىٰ أنّ فطرة النّاس جميعاً تدعوهم إلىٰ التّوحيد و رفض الشّرك و هي منشأ وحدتهم في كلّ زمان و مكان و بها إنسانيّتهم، و عكسها طبيعتهم إذ تدعوهم إلىٰ الشّرك و رفض التّوحيد، و هي منشأ تفرّقهم في كلّ ظرف من الظّروف، و بها سقوطهم عن الإنسانيّة، أخذ ببيان ظهور الفطرة و الطّبيعة منهم في حالتي الضّرّ و الرّخاء، و الرّحمة و البلاء، و اختلافهم فيهما بأنّ فريقاً منهم تظهر فطرتهم

على طبيعتهم بحسن اختيارهم و اتّباعهم لعقولهم في كلتا الحالتين، فينيبون إلىٰ اللّٰه جلّ و علا فيها، و فريقاً منهم تغلب فطرتهم على طبيعتهم عند الرّحمة و الرّخآء، و بالعكس حين الشّدّة و البلاء بسوء اختيارهم و اتّباعهم لأهوآئهم، فيشركون باللّٰه سبحانه، فقال: «و إذا مسّ النّاس ضرّ دعوا ربّهم...»: ٣٣).

ثمّ بيّن ما يترتّب على شركهم من كفرانهم بنعم اللّٰه تعالى، ثمّ أمرهم أمر تهديد، و ما يجرّ عليهم كفرانهم من بلآء و شدّة و عذاب أليم بقوله تعالى: «ليكفروا بما آتيناهم فتمتّعوا فسوف تعلمون»: ٣٤).

إنّ اللّٰه تعالى لمّا أبطل الشّرك عقلاً، أخذ بإبطاله نقلاً، فلا حجّة للمشركين على شركهم عقلاً و لا نقلاً بقوله سبحانه: «أم أنزلنا عليهم سلطاناً...»: ٣٥).

إنّ اللّٰه سبحانه لمّا ذكر الشّرك و المشركين أردف ذلك بذكر آثار الشّرك و أحوال المشركين في البطر عند النّعمة و الرّخآء، و اليأس و القنوط عند الشّدّة بخلاف فطرتهم، فإذا أذاقهم اللّٰه تعالى رحمة من عنده و أنعم عليهم بضروب النّعم ظاهرها و باطنها، فهم يسرّون به، ثمّ أخبر عن طبيعتهم بأنّه إن أصابهم عذاب من اللّٰه عزّوجلّ جزآءً له ما كسبته أيديهم إذاً هم ييأسون من رحمة اللّٰه عزّوجلّ فقال: «و إذا أذقنا النّاس رحمة فرحوا بها»: ٣٦).

إنّ اللّٰه عزّوجلّ لمّا بيّن الحالتين المختلفتين للمشركين من الفرح و القنوط عند الشّدّة و الرّخآء حسب طبيعتهم، أنكر عليهم هاتين الحالتين بقوله تعالى: «أولم يروا أنّ اللّٰه يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر...»: ٣٧).

فما لهم لا يشكرون للّٰه تعالى عند الرّحمة و الرّخآء و لا يصبرون في السّرّآء و الضّرّآء كالمؤمنين حسب فطرتهم، حيث يرون الكلّ من اللّٰه تعالى، فإنّهم في الرّخآء يشكرون، و في الضّرّآء يصبرون، و هذه مرتبة المؤمن الموحّد، فلذلك ختم الآية الكريمة بقوله: «لقوم يؤمنون»: ٣٧).

إنّ اللّٰه تعالى لمّا بيّن كيفيّة التّعظيم لأمر اللّٰه سبحانه أمر نبيّه ﴿صلى الله عليه و آله﴾ بإيتاء ذي حقّ خاص حقّه الخاص، و بإحسان المسكين و ابن السّبيل، و نوّه بما في ذلك من خير و قربى

عند اللّه جلّ وعلا لمن يريد رضاه، ثمّ قرّر بأنّ الّذين يعملون ذلك هم المفلحون الفائزون برضائه، فقال: «فآت ذا القربى حقّه...»: ٣٨).

إنّ اللّه سبحانه لمّا ذكر ما يراد به وجهه من ايتاء ذي حقّ حقّه، والإحسان بالمسكين و ابن السّبيل، و يثيب عليه، و هذا هو الرّبح حقّاً أراد أن يعظم أمر الزّكاة و الصّدقة يراد بها أيضاً وجهه، و ضمّ إلىٰ ذلك أمر الرّبا استطراداً بأنّ الرّبح ليس فيما يعطيه المرء من مال بقصد استثماره و استغلاله و تكثيره إذ ليس لهذا عند اللّه تعالى أجر، و انّما الرّبح الحقيقيّ هو في الزّكاة و الصّدقة المفروضة أو المستحبّة الّتي تعطي للمحتاجين لوجه اللّه تعالى بغير مقابل و لا قصد استثمار و لا تكثّر في الدّنيا، فالّذين يفعلون ذلك فهم الّذين يربحون أضعافاً مضاعفة بما يكون لهم عند اللّه تعالى من الأجر العظيم و الثّواب الجميل.

فقال: «و ما آتيتم من ربا ليربو في أموال النّاس...»: ٣٩).

ثمّ عاد الكلام إلىٰ تقرير الأدلّة الواضحة مرّة أُخرى على وحدانيّة اللّه تعالى و ربوبيّته، و على جلاله و عظمته، وكمال تدبيره و قدرته، و غاية علمه و حكمته، و على إثبات المعاد بأنّ اللّه تعالى هو الّذي خلقكم بدءاً، و هو الّذي يرزقكم، ثمّ هو الّذي يميتكم، و هو وحده قادر على إحيائكم بعد موتكم للحساب و الجزاء: «اللّه الّذي خلقكم...»: ٤٠).

فلمّا أثبت لنفسه لوازم الألوهيّة و نفاها رأساً عمّا سواه من الشركآء الّتي اتّخذ المشركون معبودين لهم، وجّه الكلام إليهم لإبطال الشّرك، مؤكّداً بالإنكار على ما دلّ عليه البرهان، و تشهد به العيان و وقع عليه الوفاق بقوله: «هل من شركآئكم من يفعل من ذلكم من شيْءٍ»؟ سئوال فيه تنديد و تحدّ عمّا إذا كان أحد من شركآئهم يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك، و قد أضاف الشّركآء إليهم إذ كانوا هم يسمّونهم بالآلهة و الشّركآء، و يجعلون لهم من أموالهم...

ثمّ استنتج من ذلك تقدّسه تعالى عن أن يكون له شريك بقوله عزّوجلّ: «سبحانه و تعالى عمّا يشركون»: ٤٠).

إنّ اللّه تعالى لمّا أبطل الشّرك بيّن أنّ الشّرك سبب ظهور الفساد في البرّ و البحر بقوله سبحانه: «ظهر الفساد في البرّ و البحر...» فكما أنّ التّوحيد يوجب صلاح الفرد و المجتمع و

البشريّة كلّها، كذلك الشّرك يؤدّي إلىٰ فساد الفرد و المجتمع و الإنسانيّة كلّها... و ذلك لقلّة المنافع و كثرة المضار، و محق البركات من كلّ شيءٍ... ثمّ بيّن أنّه تعالى يذيق النّاس شيئاً من وبال ما أشركوا و أساؤا... ليكون لهم فيه عبرة و تذكير لعلّهم يرجعون عن شركهم و آثامهم... فقال: «ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون»: ٤١).

ثمّ استشهد لمضمون هذه الآية، فأمر رسوله﴿ﷺ﴾ أن يبالغ في الوعظ و النّصيحة للنّاس في كلّ ظرف من الظّروف ـ بصور الأمر ـ أن يسيروا في أنحاء الأرض... فينظروا كيف كان عاقبة الّذين أفسدوا فيها بشركهم، فأهلكهم و أصابت فتنة إفسادهم غيرهم، فحلّ بهم بلاء و تدمير... فقال: «قل سيروا في الأرض...» ثمّ بيّن أنّه فعل ذلك بهم لكون أكثرهم مشركين، حيث إنّ الشّرك يوجب لفساد الأرض، المؤدّي إلىٰ هلاك أهلها... فقال: «كان أكثرهم مشركين»: ٤٢).

ثمّ أمر رسوله﴿ﷺ﴾ بإقامة وجهه للدّين القيّم و ذهابه على سبيل الفطرة بقوله تعالى: «فأقم وجهك للدّين القيّم...»: ٤٣).

بأن يدعو النّاس إلىٰ هذا الدّين الّذي تدعوهم إليه فطرتهم لمنع ظهور فساد الشّرك و الطّغيان في أنحآء الأرض... فكأنّه قال: و إذ قد ظهر لك فساد الشّرك في البرّ و البحر فادع النّاس إلىٰ التّوحيد لدفع فساد الشّرك، و إن كانوا هم في استجابتهم لدعوتك في خيارٍ، قبل يوم القيامة، ثمّ ذكر حال النّاس يومئذ فقال: «يومئذ يصّدّعون»: ٤٣).

ثمّ بيّن وجه تفرّق النّاس يوم القيامة، و أنّ ما يناله كلّ من الفريقين من الجزآء كان نتيجة حتميّة لعمله، فمن كفر فجزآئه جزاءاً وفاقاً، و من آمن فجزآئه ما يناسبه، فقال: «من كفر فعليه كفره...»: ٤٤).

ثمّ ذكر العلّة لقوله تعالى: «يمهدون» أو لقوله سبحانه: «يصّدّعون» على ما سبق في البحث البيانىّ، فقال: «ليجزي الّذين آمنوا...»: ٤٥).

إنّ الله تعالى لمّا بيّن أنّ الشّرك هو سبب ظهور الفساد في البرّ و البحر، المؤدّي إلىٰ هلاك أهلها و دمارهم، أخذ ببيان ما هو سبب ظهور الصّلاح في أنحآء الأرض الموجب لسعادة أهلها و هو التّوحيد، فقال: «و من آياته أن يرسل الرّياح مبشّرات... و لعلّكم تشكرون»: ٤٦).

إذ تنبّههم فيها إلىٰ دلآئل وحدانيّته بما يشاهدونه أمامهم من إرسال الرّياح، و بالأمطار، فتحي بها الأرض بعد موتها، و تجرى بأمره تعالى الفلك في البحار حاملة لما هم في حاجة إليه ممّا فيه غذآؤهم، و عليه مدار حياتهم و استمرارها، فيشكرونه على أفضاله عليهم، فيعبدونه وحده.

لمّا ذكر اللّه تعالى أدلّة التّوحيد الّذي به صلاح الأرض و سعادة أهلها، ذكر الرّسالة الّتي لا يمكن بيان أدلّة التّوحيد و معرفة اللّه جلّ وعلا حقّاً إلاّ بها، حيث إنّ الإنسان و إن كان بفطرته موحّداً، و لكنّه بطبيعته يكون مشركاً، فلا بدّ من الرّسالة ذي العصمة عن الخطأ و الزّلل لتبيّن للنّاس مقتضى فطرتهم و طبيعتهم، و هم بينهما في خيار، فقال: «و لقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلىٰ قومهم فجآؤهم بالبيّنات».

ثمّ بيّن أنّه تعالى ينتقم ممّن كذّب رسله، فيهلكهم و يدمّرهم لأنّهم بشركهم و طغيانهم يفسدون في الأرض، فيستحقّون الهلاك و الدّمار... بقوله: «فانتقمنا من الّذين أجرموا».

ثمّ وعد أنّه عزّوجلّ ينصر المؤمنين، فإنّهم بايمانهم يصلحون الأرض و أهلها، فيستحقّون النّجاة و الفلاح... فقال: «و كان حقّاً علينا نصر المؤمنين»: ٤٧).

إنّ اللّه تعالى ذكر إرسال الرّسل بالبيّنات، و نصر المؤمنين بالرّسل، بعد إرسال الرّياح مبشّرات، و إنزال المطر لإحياء الأرض بعد موتها، كلّها من رحمة اللّه جلّ وعلا تتبع سنّة اللّه تعالى في نظامي التكوين و التّدوين، حيث إنّ بين نظام الكون من إرسال الرّياح لبشارة المطر لإحيآء الأرض بعد موتها، و استمرار الحياة فيها، و بين رسالات الرّسل بالهدى و نصر المؤمنين صلة وثيقة كلّها من آيات اللّه تعالى و من نعمته و رحمته الّتي بها تتعلّق بها حياتهم...

فمثل إرسال الرّسل بالبيّنات لحياة أرواح النّاس و كمالها، مثل إرسال الرّياح مبشّرات برحمته تعالى لحياة أجسادهم، و فضل الأوّل على الثّاني كفضل الرّوح على الجسم.

إنّ اللّه تعالى لمّا أشار إلى الصّلة الوثيقة بين التّوحيد و الرّسالة، أشار إلىٰ ما هو كالتّوطئة لإثبات المعاد بما يشاهد من مشاهد قدرة اللّه جلّ وعلا في الآفاق من الرّياح و الأمطار... مع ما فيها بيان لما اجمل فيما سبق من أحوال الرّياح... و التّدليل بها على قدرة

اللّه تعالى على إحيآء الموتى... بقوله سبحانه: «اللّه الّذي يرسل الرّيـاح ـ مـن قـبله لمبلسين»: ٤٨ ـ ٤٩).

و ذلك أنّ اللّه عزّوجلّ هو الّذي يرسل الرّياح فتحرّك السّحاب، و تسوقه من مكان إلىٰ مكان حتّىٰ يكون قطعاً متراكمة بعضها فوق بعض، فلا تلبث أن تتساقط من خلالها الأمطار... و حينما ينزل المطر في مكان يستبشر أهله برحمة اللّه تعالى، و يتبدّل ماكان من حزنهم و قلقهم و يأسهم قبل نزوله فرحاً و أملاً بما كان من آثار رحمة اللّه في إحيآء الأرض بعد موتها و جفافها، و قد أشار في ضمن ذلك البيان إلىٰ عجز الإنسان و قلّة ثباته و ضعف توكّله على اللّه تعالى.

ثمّ دعا تعالى كلّ ذي نظر إلىٰ أن ينظر نظر تدبّر و تأمّل إلىٰ آثار رحمة اللّه المنزلة من السّمآء فيأخذ العبرة و العظة ممّا يقع له من تغيّر وجه الأرض بالمطر، و سريان الحياة في أوصالها الميتة، و إذا هي أمّ ولود تلد مواليد عجباً من كلّ جنس و لون و لسان... ثمّ إذا امتدّ نظر الإنسان إلىٰ أبعد من هذا وجد أنّ هذه الحياة الّتي قامت من هذا التّراب الهامد ليس بالمستغرب و لا المستبعد أن تلبس هذه الأجسام الّتي ضمّها التّراب في كيانه، و جعلها بعضاً منه، فمن أحيى الأرض برحمته بعد ماكانت جافّة خامدة كالميتة قادر بالبداهة على إحيآء الموتى... بقوله جلّ وعلا: «فانظر إلىٰ آثار رحمة اللّه كيف يحي الأرض بعد موتها» ثمّ صرّح بالمقصود، فقال: «إنّ ذٰلك لمحي الموتى و هو على كلّ شيءٍ قدير»: ٥٠).

ثمّ أكّد تزلزل غير المؤمنين، و تذبذبهم و سوء اضطرابهم في عقيدتهم، و سرعة تقلّبهم في النّعمة و النّقمة، و أنّهم بأدنى سبب يكفرون بنعمة اللّه تعالى، فقال: «و لئن أرسلنا ريحاً فرآوه مصفرّاً لظلّوا من بعده يكفرون»: ٥١).

ثمّ علّل لما سبق، مع ما فيه تسلية لرسول اللّه ﴿ﷺ﴾ على ما يراه من المشركين من غلبة طبيعتهم على فطرتهم، و من سقوطهم عن الإنسانيّة بسبب الشّرك و الطّغيان، و الكفر و العصيان، و من موت مدركاتهم و مشاعرهم بحيث لا يحسّون شيئاً من الحقآئق، و لا يسمعون كلام حقّ فإنّهم أعرضوا عنه، و لجّوا في طغيانهم يعمهون فلا رجآء لهدايتهم بقوله تعالى: «فإنّك لا تسمع الموتى...»: ٥٢).

ثمّ أكّد ذلك بأنّ من غلبت طبيعتهم على فطرتهم، فإنّك لا تهديهم إلىٰ الحقّ و الهدى، إذ عمت قلوبهم الّتي في الصدور، فلجّوا في كفرهم و ضلالهم، و إنّما تهدي من يستعدّ بفطرته للايمان فقال: «و ما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون»: ٥٣).

ثمّ عاد الكلام إلىٰ بيان الأدلّة النفسيّة على المبدإ و المعاد، فذكر خلق الأنفس في أطوارها المختلفة من ضعف إلىٰ قوّة، ثمّ انتكاسها و تغيير حالها من قوّة إلىٰ ضعف، ثمّ إلىٰ شيخوخة و هرم، و بيّن أنّه العليم بها في مختلف أحوالها، القدير علىٰ تغييرها و اختلاف أشكالها... كلّ ذلك دليل قاطع و برهان ساطع علىٰ وحدانيّة الخالق و علمه و حكمته و علىٰ قدرته و تدبيره في الخلق بدءاً و إعادةً، فقال: «اللّه الّذي خلقكم من ضعف... و هو العليم القدير»: ٥٤). فلا يبعد أنّ الآية قد جآءت داعمة و رادفة لسابقاتها... بأنّ قدرة اللّه تعالى تتجلّى في تطوّرات خلقة النّاس و أعمارهم أيضاً، و في كلّ ما يفعله حكمة و غاية، فلا موجب للظّنّ إذا انحبس المطر أو هطل أو تأخّر البعث، أنّ ذلك بدون حكمة و لا أن يؤدّي هذا إلىٰ الشكّ في قدرة اللّه جلّ وعلا.

ثمّ بيّن حال الكفّار و المجرمين، و اشتباه الأمر عليهم فيما بين الموت و البعث من عالم البرزخ حتىّ ظنّوه ساعة من ساعات الدّنيا، فهذا استقلال منهم لمدّة لبثهم في البرزخ علىٰ طولها، و هم قد صُرِفوا في الآخرة عن معرفة مدّة مكثهم في هذه المدّة الطّويلة... فقال: «و يوم تقوم السّاعة...»: ٥٥).

ثمّ أخبر تعالى عن ردّ العلمآء المؤمنين يوم البعث علىٰ هؤلآء الكفّار و المجرمين إذ زعموا أنّهم لم يمرّ بهم بعد موتهم إلىٰ يوم البعث إلاّ ساعة من ساعات الدّنيا، فإنّهم لا نهاكهم في شهوات الدّنيا و زخارفها يرون عالم البرزخ محكوماً بنظام الدّنيا، فقدّروه بمقدار قليل من الزّمان و هو السّاعة، و هذا مبلغ علمهم بالآخرة فإنّهم «يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا و هم عن الآخرة هم غافلون» الرّوم: ٧).

و عندئذ يقول العلماء المؤمنون لهؤلآء المنكرين ليوم البعث و الحساب و الجزآء

توبيخاً لهم و تهكّماً بهم: إنّ قسمكم هذا جزاف و لغو كما كان شأنكم في الحياة الدّنيا إذ انصرفتم عن التفكير في الآخرة ففوجئتم بها، و انّكم لبثتم أمواتاً طيلة الأمد الّذي قدّره اللّه جلّ و علا، و انّكم الآن في يوم البعث الّذي وعدتموه و إن كنتم في غفلة عن ادراك واقع حالكم و حقيقة أمركم و موقفكم هذا ممّا اعتراكم من دهشة و ذهول: «لقد لبثتم في كتاب اللّه إلىٰ يوم البعث فهذا يوم البعث و لكنّكم كنتم لاتعلمون»: ٥٦).

ثمّ أفصح عمّا سبق من أنّ العلم بالبعث يوم البعث لاينفعهم كما لايقبل منهم الإعتذار بأن يقولوا: ما علمنا أنّ هذا اليوم كائن، و لا أنّنا نبعث فيه، و لايطلب منهم يومئذ الرّجوع إلىٰ الحقّ و الهدى، فإنّ اليوم يوم حساب و لا عمل، فقال: «فيومئذ لاينفع الّذين ظلموا معذرتهم و لا هم يستعتبون»: ٥٧).

إنّ اللّه تعالى لمّا ذكر أنّ معذرة الظّالمين لاتنفعهم يوم القيامة، و لايطلب منهم يومئذ الرّجوع إلىٰ الحقّ و الهدى، و لا تقبل منهم التّوبة، بيّن وجه ردّ اعتذارهم و معاتبتهم، فإنّ هذا القرآن الكريم نزل عليهم في الحياة الدّنيا، و حمل إليهم من الأدلّة الآفاقيّة و الأنفسيّة علىٰ المبدإ و المعاد، و أخبرهم بقصص الأنبيآء و المرسلين عليهم السّلام، و أحوال أقوامهم، و ضرب لهم الأمثال علىٰ وجوه مختلفة، فلم ينتفعوا بها، و لم يأخذوا العبرة و العظة من مهلك القوم الظّالمين في الامم الغابرة، فقال: «و لقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل».

بل كانوا يستهزؤن بآيات اللّه تعالى: «و لئن جئتهم بآية ليقولنّ الّذين كفروا إن أنتم إلاّ مبطلون»: ٥٨) ثمّ أخبر بأنّ اللّه تعالى يطبع علىٰ قلوب الّذين يصرّون علىٰ جهلهم و عنادهم، و يستهزؤن بآيات اللّه و لا يفهمونها عن اللّه جلّ و علا، و لا يستدلّون بها علىٰ المبدإ و المعاد و الرّسالة، و لا ينتفعون بها علىٰ خيرهم و صلاحهم، و علىٰ فلاحهم و سعادتهم... فقال: «كذلك يطبع اللّه علىٰ قلوب الّذين لايعلمون»: ٥٩).

ثمّ أمر رسوله «ﷺ» بالصّبر علىٰ ما يواجهونه به من الشّرك باللّه سبحانه، و إنكار

البعث و تكذيب الرّسالة و الإستهزاء بآيات اللّٰه تعالى و إصرارهم على الجهل و العناد... فقال: «فاصبر إنّ وعد اللّٰه»: أنّه ينصرك علىٰ الكافرين «حقّ» لاريب في تحقّقه «و لايستخفنّك الّذين لايوقنون»: ٦٠) بوعد اللّٰه تعالى، فبدئت السّورة بالوعد، و ختمت به، و الوعدان جميعاً بالنّصر.

«النّاسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه»

في تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي قال ما لفظه: «و اختلف في هذه الآية: «فآت ذالقربى حقّه...» فقيل: إنّها منسوخة بآية المواريث. و قيل: لا نسخ، بل للقريب حقّ لازم في البرّ علىٰ كلّ حال، و هو الصّحيح. قال مجاهد و قتادة: صلة الرّحم فرض من اللّٰه عزّوجلّ، حتّىٰ قال مجاهد: لا تُقبل صدقة من أحد، و رَحِمُهُ محتاجة و قيل: المراد بالقربى: أقربآء النّبيّ«ﷺ» و الأوّل أصحّ، فإنّ حقّهم مبيّن في كتاب اللّٰه عزّوجلّ في قوله: «فأنّ للّٰه خمسه و للرّسول و لذي القربى».

أقول: إنّ القرطبيّ من أعلام مفسّري العامّة و متعصّبيهم، و قد ثبت عن الفريقين أنّ هذه الآية الكريمة و آية الإسرآء: «و آت ذا القربى حقّه...»: ٢٦) نزلتا مرّة بعد مرّة تأكيداً في قضيّة فدك إذكانت هي حقّاً للصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء بنت رسول اللّٰه«ﷺ» آتاها رسول اللّٰه«ﷺ» و إن كان حقّ أقربآء النّبيّ«ﷺ» مبيّناً في كتاب اللّٰه تعالى، فلما ذا مُنِعوا من الخمس في تلك الأيّام القليلة من بعد وفاته«ﷺ» حتّىٰ اليوم؟ فن كان من هؤلآء الأقربآء أقرب من الصدّيقة الطّاهرة سلام اللّٰه عليها إلىٰ رسول اللّٰه«ﷺ»؟

و قيل: إنّ قوله عزّوجلّ: «فاصبر إنّ وعد اللّٰه حقّ و لا يستخفّنّك الّذين لا يوقنون»: ٦٠) منسوخة بآية السّيف، و هي قوله عزّوجلّ: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم...» التّوبة: ٥).

أقول: إنّ الآية الكريمة تصبير لرسول اللّٰه«ﷺ» و وعد محتم بالنّصر، و وعيد للمشركين، كلّ ذلك ممّا لا ينسخ.

﴿تحقيق عميق في الأقوال﴾

١ـ (الٓمٓ)

في هذه الحروف المقطّعة أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي يقول الله: أنا الله أعلم. ٢ـ عن الضّحّاك: إنّ الألف إشارة إلى «الله» و اللام إشارة إلى جبرئيل ﴿عليه السلام﴾ و «ميم» إشارة إلى محمّد ﴿صلى الله عليه وآله﴾. و المعنى: أنّ القرآن نزل من عند الله بواسطة جبرئيل ﴿عليه السلام﴾ على محمّد ﴿صلى الله عليه وآله﴾. ٣ـ قيل: إنّ الحروف المقطّعة في السّورة إشارة إلى ابتداء الكلام و انتهائه. ٤ـ قيل: إشارة إلى حقائق المخلوقات و أسبابها و نتآئجها و نظامها. ٥ـ قيل: الله أعلم بمراده فإنّه من المتشابهات و المبهمات الّتي استأثر الله بعلمها، و لايعلم تأويلها غير الله، و الرّاسخين في العلم.

٦ـ قيل: إشارة إلى التحقّق من علم الحكمة. ٧ـ قيل: إنّ الألف إشارة إلى اُلفة طبع المؤمنين، و اللّام إلى لؤم طبع الكافرين، و الميم إلى مغفرة ربّ العالمين جلّ وعلا. ٨ـ قيل: قسم، أقسم الله تعالى به. ٩ـ قيل: الألف إشارة إلى أنّه ألف صحبتنا من عرف عظمتنا، و أنّه ألف بلائنا من عرف كبريائنا، و اللاّم إشارة إلى أنّه لزم بابنا من ذاق محابّنا، و لزم بساطنا من شهد جمالنا، و الميم إشارة إلى أنّه مُكّنَ من قربنا من قام على خدمتنا و مات على وفآئنا من تحقّق بولآئنا. ١٠ـ قيل: رمز بين الله تعالى و أهل بيت وحيه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و غيرها من الأقوال حتّى انتهت إلى ثلاثين قولاً.

أقول: إنّ مفاتيح السّور القرآنيّة رموز إلهيّة، و أسرار سماويّة بين الله تعالى و بين الرّاسخين في العلم، و هم أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من دون تناف بينه و بين ما ورد عن طريقهم عليهم السّلام من بعض معانيها على طريق الرّمز، فتدبّر جيّداً و اغتنم جداً.

٢ـ(غُلِبت الرّوم)

في «الرّوم» أقوال: ١ ـ قيل: هي قبيلة عظيمة من ولد رومي بن علجان بن يافث بن نوح «عليه السلام». ٢ ـ قيل: من ولد يافان بن يافث. ٣ ـ قيل: من ولد رعويل ابن عيص بن إسحق بن إبراهيم «عليه السلام». ٤ ـ قيل: الرّوم اُمّة عظيمة من ولد روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم «عليه السلام» صارت لها وقعة مع فارس على عهد رسول الله «صلى الله عليه و آله» فغلبتها و قهرتها فارس، ثمّ غلبتها و قهرتها الرّوم. ٥ ـ قيل: الرّوم: اسم أطلقه العرب على البيزنطيين، و يطلق اليوم على المسيحيّين الشّرقيّين الملكيين من كاثوليك و اُرثوذكس، و الإمبراطوريّة الرّومانيّة الشّرقيّة عرفت بالبيزنطية نسبة إلى بيزنطية اسم القسطنطنيّة القديم، سمّى العرب سكّانها الرّوم، و أوّل أباطرة البيزنطيين قسم أبوه ثيودوسيوس الإمبراطوريّة إلى غربيّة و عاصمتها روما، و إلى شرقيّة و عاصمتها القسطنطنيّة.

٦ ـ قيل: الرّوم: اسم عجميّ لهذا الجيل من النّاس، و سمّوا باسم جدّهم و هو روم بن عَيْصو بن إسحق بن إبراهيم «عليه السلام».

أقول: ليس لنا دليل عقليّ و لا نقليّ قطعيّ على تعيين أحد الأقوال و صحّته، فالله تعالى هو أعلم.

٣ـ(في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون)

في قوله تعالى: «في أدنى الأرض» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي قهرت الفارس، الرّوم في أدنى الأرض ممّا يلى الفارس، حالكون أهل الرّوم من بعد غلبة الفرس عليهم سيغلبون الفرس. و ذلك أنّ الفرس غلبوا الرّوم، و ظهروا عليهم في عهد رسول الله «صلى الله عليه و آله»

ففرح بذلك كفّار قريش من حيث إنّ أهل الفرس لم يكونوا أهل كتاب، و سآء ذلك المسلمين و كانت بيت المقدس لأهل الرّوم كالكعبة للمسلمين، فدفعهم الفرس عنه.

٢ـ قيل: إنّ المراد بالأرض أرض الحجاز، فاللّام للعهد. إذ وقعت بين الرّوم و بين الفرس حرب عوان في بعض نواحي الشّام، قريب من الحجاز، فغلبت الفرس على الرّوم و انهزمت. فالمعنى: إنّ الفرس غلبوا على الرّوم في أدنى الأرض أي من أرض الشّام إلى أرض فارس، حالكون الرّوم من بعد مغلوبيّتهم من فارس، سيغلبون على فارس. عن قتادة: أي أدنى أرض الشّام. و عن ابن عمر أي على ريف الشّام إلى أرض فارس.

٣ـ قيل: أي أدنى أرض الرّوم إلى فارس، فإنّ أهل الرّوم من بعد غلبة فارس إيّاهم في أرضهم، سيغلبون فارس في أدنى أرض الرّوم إلى فارس. ٤ ـ قيل: إنّ المراد بالأرض أرض أهل الرّوم، على أنّ الأل نائبة مناب الضّمير المضاف إليه، و لكنّ الأقربيّة بالنّظر إلى أهل مكّة لأنّ الكلام معهم و يساق إليهم الحديث. ٥ ـ قيل: إنّ المراد بالأرض أرض مكّة و نواحيها لأنّها الأرض المعهودة عندهم، و الأقربيّة بالنّظر إلى الرّوم. و عن الزّجاج: أي أقرب أرضهم من أرض العرب. و المعنى: غلبت الرّوم في أدنى أرض العرب منهم و هي أطراف الشّام و نواحيها.

٦ـ عن ابن عبّاس أيضاً و مقاتل و السّدي: أدنى الأرض هي الأُردن و فلسطين. ٧ـ قيل، أي في أدنى الأرض بقسطنطنيّة لأنّ هرقل ملك الرّوم انهزم في ورآء القسطنطنيّة، و هي مقرّ السّلطنة و عاصمة الرّوم. ٨ـ قيل: هي أرض الرّوم لذكرهم، و الأقربيّة بالنّظر إلى عدوّهم و هم فارس لحديث المغلوبيّة، و أنّ الحرب وقع بين أذرعات و بصرى و هي ما بين بلاد العرب و الشّام. ٩ ـ عن مجاهد: أي بأرض الجزيرة العمريّة لا جزيرة العرب. و المعنى: أقرب أرض الرّوم إلى فارس بالجزيرة التق فيها الجيشان، و البادي بالغزو، الفرس. ١٠ ـ قيل: هي أرض كسكر.

١١ ـ قيل: هي أدنى بلاد الشّام إلى أرض العرب و العجم. ١٢ ـ قيل: أدنى الأرض، موضع بين العراق و الشّام. ١٣ ـ قيل: هي أقرب الأرض إلى أرض فارس. ١٤ ـ قيل: عن ابن عطيّة: إن كانت الوقعة بأذرعات فهي من أدنى الأرض بالقياس إلى مكّة، و إن كانت

الوقعة بالجزيرة، فهي أدنى بالقياس إلى أرض كِسْرى، و إن كانت الوقعة بالأُردن فهي أدنى الأرض إلى أرض الرّوم. ١٥ ـ عن عكرمة: هي أذرعات و كسكر. ١٦ ـ قيل: أي في أقرب أرض الرّوم بالنّسبة إلى أرض العرب، فإنّ الوقعة كانت بين الأُردن و فلسطين، و هي أقرب البلاد إلى جزيرة العرب، و حدث ذلك في عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾.

١٧ ـ قيل: هي كناية عن البلاد المتاخِمة للحجاز. ١٨ ـ قيل: إنّها جزيرة الفرات لأنّ الرّوم انكسروا أمام الفرس في بلاد جزيرة الفرات، ثمّ في بلاد الشّام في عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾. ١٩ ـ قيل: هي أقرب البلاد من مملكة الرّوم الشّاسعة إلى جزيرة العرب، و هي تلك البلاد الواقعة في المناطق الشرقيّة من مملكة الرّوم... كدمشق و بيت المقدس و غيرها...

أقول: و على التّاسع أكثر المفسّرين، من دون تنافٍ بينه و بين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٤ـ(في بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون)

في قوله تعالى: «في بضع سنين» أقوال: ١ ـ قيل: هو تحديد للوقت الّذي يقع فيه هذا الخبر. و البضع: القطعة من العدد: ما بين الثّلاث إلى العشر، و من السّنين: ما بين الثّلاث إلى العشر. ٢ ـ قيل: البضع: ما بين الثّلاث إلى خمس سنين. ٣ ـ قيل: ما بين الثّلاث إلى سبع سنين. ٤ ـ عن أبي عبيدة: البضع: من واحد إلى أربعة. ٥ ـ عن القتبي: البضع: ما فوق الثّلاثة إلى دون العشرة. ٦ ـ عن مجاهد: البضع: ما بين الثّلاث إلى التّسع. ٧ ـ عن المبرّد: البضع: ما بين العقدين في جميع الأعداد... و قد تحقّقت غلبة الرّوم على الفرس بعد سبع سنين من غلبة الفرس على الرّوم.

٨ ـ قيل: البضع: ما بين الواحد إلى التّسعة. ٩ ـ قيل: هو ما فوق الخمس، و دون العشر. ١٠ ـ عن ابن عبّاس: البضع: عند رأس سبع سنين. ١١ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: البضع ما بين السّبع إلى العشرة. ١٢ ـ قيل: ما بين خمس إلى سبع. ١٣ ـ قيل: البضع: ما دون العشرة. ١٤ ـ قيل: ما بين اثنى عشر إلى عشرين.

أقول: و الأوّل هو المرويّ عن رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾.

و في قوله سبحانه: «لله الأمر من قبل و من بعد» أقوال: ١ ـ قيل: أي و لله وحده الأمر من قبل غلبة الرّوم على الفرس و من بعدها، فيحكم بما يشآء، و يأمر بما يريد. ٢ ـ قيل: أي له الأمر حين غُلِبُوا و حين يَغْلِبون. أي من قبل كونهم غالبين و هو وقت كونهم مغلوبين، و من بعد كونهم مغلوبين و هو وقت كونهم غالبين. فالمعنى: لله وحده الأمر وقت كون الرّوم مغلوبين من الفرس، و وقت كونهم غالبين عليهم. فليس شئ منهما إلاّ بقضآئه، فإنّ الأمر كلّه لله وحده من قبل الغَلَب، و من بعده، فما غلب الغالبون إلاّ بأمر الله تعالى و عن إرادته و مشيئته، و ما سيغلب المنهزمون إلاّ بأمر الله تعالى وحده و عن إرادته و مشيئته: «قل كلّ من عند الله» النّسآء: ٧٨) فمن غلب فهو بأمر الله و قضآئه و قدره كما قال: «تلك الأيّام نداولها بين النّاس» آل عمران: ١٤٠) فهو يقتضي في خلقه بما يشآء، و يحكم بما يريد، و يُظهر من شآء منهم على مَن أحبّ إظهاره عليه.

٣ ـ قيل: أي لله وحده الأمر من قبل أن يأمر به، و له الأمر من بعد أن يأمر به، يقضي بما يشآء أي و من بعد أن يقضى بما يشآء.

٤ ـ قيل: إذا أُطلِقَ «قبل» انتظم الأزل، و إذا أُطلِقَ «بعد» دلّ على الأبد. فالمعنى: الأمر الازليّ لله وحده، و الأمر الأبديّ لله وحده لأنّ الرّب الأزليّ و السّيد الأبديّ هو الله تعالى وحده. ٥ ـ قيل: أي لله الأمر يوم العرفان، و لله الأمر يوم الغفران. يقال: لي الأمر من قبل، و قد عَلِمْت ما تفعلون، فلا يمنعني أحد من تحقيق عرفانكم، ولي الأمر من بعد، و قد رأيتُ ما فعلتم، فلا يمنعني أحد من غفرانكم. ٦ ـ قيل: أي لله الأمر حين القسمة و لا حين، و لله الأمر عند النّعمة و ليس أيّ معين. ٧ ـ قيل: أي لله الأمر من قبل بتحقيق وُدّكم، و لله الأمر من بعد بحفظ عهدكم. ٨ ـ قيل: أي لله وحده الأمر من قبل أن يغلب المسلمون الرّوم، و من بعد أن يغلبوهم يأخذ بعض مدائنهم لأنّ الله تعالى يداول الأيّام بين النّاس.

٩ ـ قيل: أي لله وحده إنفاذ الأحكام من قبل هذه الغلبة و من بعدها. ١٠ ـ قيل: أي من قبل كلّ شئ و من بعد كلّ شئ. ١١ ـ عن ابن عبّاس: أي لله النّصرة و الدّولة لمحمّد ﴿صلى الله عليه و آله﴾ من قبل غلبة فارس على الرّوم، و من بعد غلبة فارس على الرّوم. ١٢ ـ قيل:

أي لله الأمر: العلم و القدرة و المشيئة من قبل إبداء الخلق و من بعد فناء الخلق. ۱۳ ـ قيل: أي كان الله آمراً قبل المأمورين، و من بعد المأمورين، و كذلك كان خالقاً من قبل المخلوقين، و رازقاً من قبل المرزوقين، و خالقاً و رازقاً بعد المخلوقين و المرزوقين، و كذلك كان مالكاً من قبل المملوكين، و مالكاً من بعد المملوكين كقوله تعالى: «مالك يوم الدّين».

۱٤ ـ قيل: أي لله وحده الأمر من قبل هذه المدّة: «بضع سنين» و من بعدها بأنّه تعالى إذا أراد أن يغلبهم، غلبهم قبل بضع سنين، و إن أراد أن يغلبهم بعد هذه المدّة، غلبهم بعدها، فما قدر الله تعالى هذه المدّة لعجز و إنّما هي إرادة نافذة. ۱٥ ـ قيل: أي لله وحده الأمر فإنّ كلّ حركة و نأمة، و كلّ حادثة و حالة، و كلّ نشأة و عاقبة، و كلّ نصر و هزيمة... مرتبط برباط وثيق، محكوم بقانون دقيق لا سبيل لأحد لما سواه إليه.

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق، و هو المؤيّد بالرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و في قوله عزّوجلّ: «و يومئذ يفرح المؤمنون» أقوال: ۱ ـ قيل: أي يوم تغلب الرّوم على الفرس يسرّ المؤمنون تفاؤلاً بأن يغلبواهم على المشركين يوماً. ۲ ـ قيل: أي في الوقت الّذي يقع فيه هذا الخبر، و هو غلبة الرّوم على الفرس، سيقع أمر أهمّ و أعظم، و هو انتصار المسلمين على المشركين، حيث يمدّهم الله تعالى بنصره و يمنحهم عونه و تأييده، فتمتلئ بالفرحة صدورهم و تخفق بالرّضا و السّرور قلوبهم...

اليوم إرجافُ السّرور و إنّما	يوم اللقآء حقيقة الإرجاف

اليوم تَرَحٌ، و غداً فَرَحٌ، اليوم عَبْرَةٌ، و غداً خبرة، اليوم أسفٌ، و غداً لطفٌ، اليوم بكآء، و غداً لقآء.

۳ ـ قيل: أي و يومئذٍ يفرح المؤمنون لما يرجون من إسلام أهل الرّوم. ٤ ـ قيل: أي يفرح المؤمنون بتصديق وعد الله عزّوجلّ، و كان ذلك عام الحديبيّة، فغفر له ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر، فبايعوه مبايعة الرّضوان، و وعد لهم غنآئم خيبر، و ظهر الرّوم على فارس و كان تصديقاً لهذه الآية. ٥ ـ قيل: أي و يوم إذ يغلب الرّوم على الفرس يفرح المؤمنون بنصر الله تعالى الرّوم.

٦ـ قيل: إنّ قوله تعالى: «و يومئذ» عطف على قوله: «من قبل» و المراد به شمول سلطنته تعالى لجميع الأزمنة الثّلاثة: الماضي و المستقبل و الحال، كأنّه قيل، لله الأمر من قبل و من بعد، و يومئذ، ثمّ ابتدأ و قيل: يفرح المؤمنون بنصر الله. قيل: و فيه إبطال لإنسجام الآية و انقطاع آخرها عن أوّلها. ٧ـ قيل: أي يوم يغلب المسلمون الرّوم يفرح المؤمنون. ٨ـ قيل: أي و يوم يغلب الرّوم فارساً يفرح المؤمنون بدفع الرّوم فارساً عن بيت المقدّس لا بغلبة الرّوم على بيت المقدّس، فإنّهم كفّار، و يفرحون أيضاً لوجوه اُخر و هو اغتنام المشركين بذلك، و لتصديق خبر الله عزّوجلّ و خبر رسوله «صلى الله عليه وآله» و لأنّه مقدّمة لنصرهم على المشركين.

٩ـ قيل: أي يوم غلبة الرّوم على فارس، و نصره النّبيّ «صلى الله عليه وآله» على أهل مكّة و كان ذلك يوم بدر. و قيل: يوم الحديبيّة.

أقول: و التعميم غير بعيد عن السّياق فتأمّل جيّداً.

٥ـ (بنصر الله ينصر من يشآء و هو العزيز الرّحيم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن مجاهد: أي بنصر الله الرّوم على الفرس، يفرح المؤمنون. فبناء على هذا القول: «بنصر الله» متعلّق بـ «يفرح» و المعنى: و يوم يغلب الرّوم يفرح المؤمنون بنصر الله الرّوم على الفارس. ثمّ استأنف، و قال: «ينصر من يشاء» تقريراً لقوله تعالى: «لله الأمر من قبل و من بعد». فالمعنى: ينصر من يشآء من أوليآئه على أعدائه و يغلّبه عليه على مقتضى السّنن الّتي وضعها في الخليقة، لأنّ نصره تعالى مختصّ بغلبة أوليآئه لأعدآئه، فأمّا غلبة أعدآئه لأوليآئه فليس بنصر، و إنّما هو ابتلاء و قد يسمّى ظفراً، و هو العزيز في نقمته، الرّحيم لأهل طاعته.

٢ـ قيل: أي بنصر الله المسلمين على المشركين و هو يوم بدر. و ذلك أنّ خبر الكسر لم يصل إليهم في ذلك اليوم بعينه، فلا يكون فرحهم يومئذ، بل الفرح يحصل لهم بعده. و قيل: هو يوم الحديبيّة. و ذلك أنّ الفرس غلبت على الرّوم و ظهروا عليهم على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ففرح بذلك كفّار قريش من حيث إنّ أهل فارس كقريش لم يكونوا أهل

الكتاب، و سآء ذلك المسلمين، و كان بيت المقدس بيتاً لأهل الرّوم كالكعبة للمسلمين، فدفعتهم فارس عنه، ثمّ ظهرت الرّوم على فارس يوم الحديبيّة. «و هو العزيز» في الانتقام من أعدآئه... «الرّحيم» بمن أناب إليه من خلقه، فلايعاجلهم بالإنتقام على ذنوبهم كما قال: «و لو يؤاخذ الله النّاس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابّة و لكن يؤخّرهم إلى أجل قريب» فاطر: ٤٥).

٣ ـ قيل: إنّما المراد بنصر الله تعالى استيلائه بعضهم على بعض، بأنّه تعالى ولّى بعض الظّالمين بعضاً و فرّق كلمتهم، حتّى تناقضوا و تحاربوا، و قلّل كلّ منهما شوكة الآخر، و في ذلك قوّة للإسلام. ٤ ـ عن ابن عبّاس: أي بنصر الله محمّداً «صلى الله عليه وآله وسلم» على أعدائه، و بدولة الرّوم على فارس، فإنّ الله ينصر من يشآء من عباده على من يشآء من عباده و هو نصر محمّد رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» على المشركين، و هو تعالى العزيز، شديد انتقامه من أعدائه لا يمنعه مانع، و لا يحول بينه و بينه حائل، الرّحيم بمن تاب من عباده، و رجع إلى طاعته. ٥ ـ قيل: إنّ المراد بنصر الله أنّ النّصرة بيد الله، و لا يكون المراد بيان وقوع النّصرة كقوله تعالى: «و ما النّصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم» آل عمران: ١٢٦).

٦ ـ قيل: إنّ المراد «بنصر الله» هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبر به نبيّهم «صلى الله عليه وآله وسلم» من غلبة الرّوم على الفرس. فالمراد بنصر الله ظهور المعجزة النّبويّة بتحقيق هذا الخبر و زيادة اليقين.

٧ ـ قيل: أي بنصر الله الرّوم على الفرس، قد فرح المؤمنون بذلك، و علموا به يوم بدر بنزول جبرئيل بذلك مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه. و قيل: ليس المراد نصر الرّوم على الفرس، و إن توافق النّصران زماناً، فكأنّه قيل: إنّ الرّوم سيغلبون في بضع سنين، و يوم يغلبون، و يغلب المؤمنون على المشركين، فيفرحون بنصر الله إيّاهم. و قيل إنّ هذا المعنى لا يلآئم قوله بعد: «ينصر من يشآء».

٨ ـ قيل: هو انتصار المسلمين على الكفّار و المشركين إطلاقاً من يوم بدر أو الحديبيّة أو يوم الفتح و غيرها حيث يمدّهم الله تعالى بنصره و يمنحهم عونه و تأييده، فتمتلىء بالفرحة صدورهم و تخفق بالرّضا و السّرور قلوبهم، فالنّصر بيد الله وحده «ينصر من

يشآء» من عباده المؤمنين ليس لأحد شركة مع الله سبحانه فيه، و «هو العزيز»: ذو القوّة و البأس «الرّحيم» الّذي يوسع من رحمته لعباده المؤمنين، فيعزّهم بعزّته. ۹ ـ قيل: أي بغلبة من له كتاب على من لاكتاب له. ۱۰ ـ قيل: أي بغيظ الشّامتين بهم من كفّار مكّة.

۱۱ ـ قيل: أي بفتح الله تعالى ينصر من يشآء يعني نصر الله محمّداً و أصحابه، و هو العزيز الغالب على المشركين، الرّحيم بالمؤمنين حين نصرهم. ۱۲ ـ قيل: أي بنصر الله ينصر هؤلآء تارة، و هؤلآء تارة أُخرى، و هو العزيز ينتقم من عباده بالنّصر عليهم تارة، الرّحيم يتفضّل عليهم بنصرهم اخرى، فينصر من يشاء نصره على مقتضى الحكمة و النّواميس الّتي سنّها الله تعالى في نظام الخليقة: «تلك الأيّام نداولها بين النّاس» آل عمران: ۱٤٠) و قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمومنين عليّ بن أبيطالب﴿ﷺ﴾: «الدّهر يومان: يوم لك و يوم عليك». «و هو العزيز» ينتقم ممّن يستحقّون الإنتقام بالنّصر عليهم، «الرّحيم» بالمؤمنين رحمة خاصّة، و إن كانت رحمته العامّة تعمّ كلّ مخلوق.

عن الزّبير الكلابي: قال: رأيت غلبة فارس الرّوم، ثمّ رأيت غلبة الرّوم فارسَ، ثمّ رأيت غلبة المسلمين فارسَ و الرّوم، و ظهورهم على الشّام و العراق، كلّ ذلك في خمس عشرة سنة. فإذا سلّط العدوّ على الحبيب فلعزّته و استغنآئه عن العالمين، و إذا نصر الحبيب فلرحمته عليه. أو أنّ نصر المحبّ فلعزّته و استغنآئه عنه، و رحمته في الآخرة واصلة إليه، «و هوالعزيز» المبالغ في العزّة و الغلبة، فلايعجزه من يشآء أن ينصر عليه كائناً ما كان، «الرّحيم» المبالغ في الرّحمة، فينصر من يشآء أن ينصره أيّ فريق كان.

۱۳ ـ قيل: إنّ قوله: «بنصره» متعلّق بقوله «المؤمنون» دون «يفرح» و يدلّ بالملازمة المقاميّة أنّ غلبة الرّوم بنصر من الله. قيل: و فيه: أنّ لازمه أن يفرح المؤمنون يوم غلبة الفرس و يوم غلبة الرّوم جميعاً، فإنّ في الغلبة نصراً، و كلّ نصر من الله تعالى إذ قال: «و ما النّصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم» آل عمران: ۱۲٦) فقصر فرح المؤمنين بالنّصر بيوم غلبة الرّوم ترجيح بلا مرجّح. ١٤ ـ قيل: أي و إذ يوم تغلب الرّوم فارس يفرح المؤمنون بنصر الله و تغليبه من له كتاب على من لاكتاب له، و غيظ ما شمتوا من كفّار مكّة، و أنّه سيكون فألاً حسناً لغلبة المؤمنين على المشركين.

أقول: و على الأوّل أكثر المحقّقين، من دون تنافٍ بينه و بين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٦ـ(وعد الله لايخلف الله وعده و لكنّ أكثر النّاس لايعلمون)

في قوله تعالى: «وعد الله لايخلف الله وعده» أقوال: ١ـعن ابن عبّاس: أي وعد الله بالنّصرة و الدّولة لمحمّد«ﷺ» لا يخلف الله تعالى وعده لنبيّه بالنّصرة و الدّولة. ٢ـقيل: أي وعد الله تعالى المؤمنين بنصره لهم على الرّوم وعداً لايخلف وعده لامتناع الكذب عليه سبحانه. ٣ـقيل: أي إنّ الله وعد المؤمنين أنّ الرّوم سيغلبون الفرس، لا يخلفهم وعد ذلك إذ ليس في مواعيده خلف. ٤ـ قيل: أي إنّ الله وعد المسلمين بظهورهم على الرّوم و الفرس و المشركين وعداً يتعلّق بامور الدّنيا و شئون الآخرة لما في خلفه من النـقص المستحيل على الله سبحانه.

٥ـقيل: و هو أن يجرى المسبّبات على أسبابها، و النّتائج على مقدّماتها، و لا شئ عنده يحدث صدفة و لا جزافاً، و إلاّ لصدق قول الجاحدين بأنّ الكون وجد صدفة. ٦ـقيل: أي الكريم لايخلف وعده و لا سيّما الصّدق نعته، و كلامه صدق و قوله حق. ٧ـقيل اى انتظروا وعد الله إذ لا يخلف الله تعالى وعده، حيث وعد لهم غلبة الرّوم، و أنّ خلف الوعد يلازم النّقص دائماً، فيستحيل عليه تعالى النّقص، على أنّه أخبر في كلامه بأنّه لايخلف الميعاد، و هو أصدق الصّادقين، و لايقول إلاّ الحق: «الحقّ أقول» ص: ٨٤).

٨ـقيل: إنّ «وعد الله» مفعول به لفعل محذوف، تقديره: صدّقوا وعد الله أو استيقنوا وعد الله و نحو ذلك من الجنّة و نعيمها. و يقول المؤمنون: منّا يوم الميثاق وَعْدٌ بالايمان والطّاعة، و منه تعالى اليوم وعد بالجنّة و الرّضوان.

أقول: و الرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق فتدبّر.

و **في قوله عزّوجلّ:** «و لكنّ أكثر النّاس لايعلمون» أقوال: ١ـعن ابن عبّاس: أي و لكن أهل مكّة لايعلمون أنّ الله لايخلف وعده لنبيّه«ﷺ». ٢ـقيل: أي و لكنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف من الظّروف لايعلمون أنّ الله سبحانه لايخلف وعده لأنّهم بله في امور

الدّين و المعاد لاشتغالهم بامور الدّنيا و المعاش. ٣ـقيل: أي أكثر قريش الّذين يكذبون بأنّ الله منجز وعده المؤمنين من أنّ الرّوم تغلب فارسَ لايعلمون أنّ ذلك كذلك، و أنّه لايجوز أن يكون في وعده خلف، و ذلك من الامور الّتي تحتاج إلى دقّة و نظر و بحث و علم لا تمكن إدراكها إلاّ بالتّعقّل و التّدبّر، و هم يعقلون و لايتدبّرون لغلبة طبيعتهم على فطرتهم، و هوى أنفسهم على عقولهم...

٤ـقيل: أي كفّار مكّة لايعلمون وعده تعالى بنصر المؤمنين لجهلهم بشئونه تعالى و عدم تفكّرهم فيما يجب له جلّ وعلا و ما يستحيل عليه سبحانه. ٥ ـ قيل: أي لايعلم مشركو العرب ما سبق من شئونه، و لا يعلمون شيئاً من حقائق الكون و نواميس الوجود. ٦ـقيل: أي و لكنّ أكثر النّاس في كلّ زمان و مكان ليسوا من اولى العلم في امور الدّين حتّى يعلموا أنّ الله تعالى لايخلف وعده. ٧ـقيل: أي و لكنّ أكثر النّاس و هم الكفّار على فرقهم في كلّ ظرف لايعلمون صحّة ما أخبرناه لجهلهم بشئونه سبحانه و عدم تفكّرهم في النّواميس و السّنن الّتي وضعها الله تعالى في الكون، فإنّه قد جعل من تلك النّواميس أنّ وعده لايخلف إذ هو مبنيّ على مقدّمات و وسآئل هو يعلمها، و قد رتّب عليها تلك العِدَة الّتي وعدها... و قد جعل قانون الغَلَب في الامم و الأفراد مبنيّاً على الإستعداد النّفسي: «و لاتهنوا و لاتحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين بل الله مولاكم و هو خير النّاصرين ـ سنلقي في قلوب الّذين كفروا الرّعب» آل عمران: ١٣٩ ـ ١٥١).

«و لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» النّساء: ١٤١).

و على الاستعداد الحربيّ: «و أعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة و من رباط الخيل تُرهبون به عدوّ الله و عدوّكم و آخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم» الأنفال: ٦٠).

فلاتغلب أُمّة اخرى إلاّ بما أُعدّت لها من وسآئل الظّفر بها، و كان لها من صفات تكفّل لها هذا الظّفر من أناة و صبر و تضحية بما تملك من عزيز لديها من مال و نفس، و هكذا حكم الفرد فهو لاينجح في الحياة إلاّ إذا كان معه أسلحة يغالب بها عوامل الأيّام حتّى يغلبها بسعيه وجدّه و كدّه، فهذه الأمور و أمثالها تحتاج إلى دقّة و نظر لايدركها إلاّ ذوو البصآئر... ٨ـقيل: أي و لكنّ أكثر النّاس لايعلمون أمر الآخرة، و لايعرفون الحقآئق فهم

جهلآء بشئونه سبحانه لايثقون بوعده، و يقيسونه إلى أمثالهم ممّن يصدّق و يكذّب، و ينجّز و يخلف. ۹ ـ قيل: أي لايعلمون هذه الحقيقة و هي أنّ الله تعالى لايخلف وعده، و المراد بأكثر النّاس ههنا الكفّار و المشركون، و الفجّار و المستكبرون الّذين لايؤمنون بالله جلّ وعلا، فهؤلآء هم أكثريّة النّاس في كلّ ظرف من الظّروف، و هم لايصدقون ما تتحدّث به إليهم آيات الله عن الله لأنّهم لايقدرون الله سبحانه حقّ قدره، و لايعلمون ما ينبغي أن يكون له تعالى من صفات الكمال و الجلال.

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتدبّر جيّداً.

۷ـ(يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا و هم عن الآخرة هم غافلون)

في قوله تعالى: «يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا» أقوال: ۱ ـ عن ابن عبّاس و ابن زيد و الحسن و قتادة و عكرمة و أبي العالية: أي يعلمون أمر معايشهم و دنياهم من منافعها و مضارّها... متى يغرسون؟ و متى يزرعون؟ و متى يحصدون؟ وكيف يبنون؟ و ما إليها ممّا لايكون لهم منه أثر في الدّار الآخرة. ۲ ـ عن ابن عبّاس أيضاً و الضّحّاك: أي يعرفون عمران الدّنيا و بنيان قصورها و تشقيق أنهارها و غرس أشجارها... و هم في أمر الآخرة جهّال. ۳ـ عن ابن عبّاس أيضاً: إنّ أهل مكّة يعلمون معاملة الدّنيا من الكسب و الصّناعة و التّجارة و الزّراعة و البناء و الغرس و البيع و الشّرآء و الحساب من واحد إلى ألف، و ما يحتاجون من واحد إلى ألف، و ما يحتاجون إليه في الصّيف و الشّتآء... و يقال: هم في أمر التّجارة كانوا أكيس النّاس، و هم عن أمر الآخرة هم غافلون، جاهلون بها تاركون لعملها.

٤ ـ عن عكرمة أيضاً: أي يعلمون معايشهم و ما يصلحهم. ٥ ـ عن قتادة أيضاً: أي يعلمون تجارة الحياة الدّنيا و حرفتها و بيعها و تصرّفها و بغيتها. ٦ ـ قيل: إنّهم بصرآء بأُمور الدّنيا، يعلمون منافعها و مضارّها، غافلون عن امور الدّين و المعاد. و عن الحسن: بلغ و الله من علم أحدهم و حذقه بأمر دنياه أنّه يقلّب الدّرهم على ظُفره و ظهر يده فيخبرك بوزنه، ما يحسن أن يصلّي. ۷ ـ عن سعيد بن جبير: أي يعلمون ما تلقيه الشّياطين

إليهم من امور الدّنيا عند استراقهم السّمع من سمآء الدّنيا. و عنه أيضاً: هو ما علموه من قبل الكهنة ممّا تسترقه الشّياطين و ليس بشيْ.

٨ ـ قيل: أي يعلمون الظّاهر و الباطن كما قال تعالى في موضع آخر: «أم بظاهر من القول» الرّعد: ٣٣). ٩ ـ عن ابن خالويه: أي ما كان أعرفهم سياسة دنياهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا. ١٠ ـ قيل: هو ما يحسّون به من زخارف الدّنيا و ملاذها و سآئر أحوالها الموافقة لشهواتهم الملآئمة لأهوآئهم المستدعية لانهماكهم فيها و عكوفهم عليها. ١١ ـ عن الكرماني: كلّ ما يعلم بأوآئل الرويّة فهو الظّاهر، و ما يعلم بدليل العقل فهو الباطن.

و قيل: الظّاهر هو الّذي يصحّ أن يدرك من غير كشف عنه، فالله تعالى ظاهر بالأدلّة، باطن عن حواسّ خلقه، و الأُمور كلّها ظاهرة لها جلّ وعلا لأنّه يعلمها بغير كشف عنها، و لا دلالة تؤدّيه إليها، و كلّما يعلم بأوآئل العقول فهو ظاهر، و كلّما يعلم بدليل العقل فهو باطن، حيث إنّ دليل العقل يجري مجرى الكشف عن صحّة المعنى ـ في صفته ـ و الغفلة عنها ذهاب المعنى عن النّفس كحال النّآئم، و نقيضه اليقظة، و هي حضور المعنى للنّفس كحال المنتبه، و نقيضه السّهو. ١٢ ـ قيل: هو هنا التّمتّع بزخارف الدّنيا و التّنعّم بملاذها، و تعقب بأنّهما ليسا ممّا علموه منها، بل من أفعالهم المرتّبة على علمهم...

١٣ ـ قيل: إنّ المراد بالظّاهر، مقابل الباطن، و تنوين «ظاهراً» للتّحقير و التّخسيس أي يعلمون ظاهراً حقيراً خسيساً. ١٤ ـ قيل: الظّاهر ههنا بمعنى الزّآئل الذّاهب، و المعنى: يعلمون أمراً ظاهراً زائلاً لابقاء له، و لا عاقبة من الحياة الدّنيا. ١٥ ـ قيل: ظاهر الدّنيا: ملاذها و ملاعبها، و باطنها: مضارّها و متاعبها.

قال الشّاعر:

هي الدّنيا تقول بملء فيها ‎ ‎ ‎ حذار حذار من سفكي و فتكي

فلا يغرركم طول ابتسامي ‎ ‎ ‎ فقولي مضحك و الفعل مبكي

١٦ ـ قيل: أي هؤلآء المكذّبون بحقيقة خبر الله تعالى: أنّ الرّوم ستغلب فارس، و يغلب المسلمون الرّومَ و الفارسَ و المشركين جميعاً، و هم يعلمون ظاهراً من حياتهم الدّنيا و تدبير معايشهم فيها و ما يصلحهم، و هم عن أمر آخرتهم، و ما لهم فيه النّجاة من عقاب

الله هنالك غافلون لايفكرون فيه. عن عكرمة: هم الخرّازون و السرّاجون. ۱۷ ـ قيل: أي كلّ ما يعرفونه هو بعض امور ظاهرة من شئون الحياة الدّنيا، في حين أنّهم غافلون عن الآخرة: مع ما هي عليه من خطورة الشّأن... ۱۸ ـ قيل: أي يعلمون ما يشاهدون من الحياة الدّنيا.

۱۹ ـ قيل: أي انّهم يرون الظّواهر و هم عن الحقآئق و الواقع غافلون إذ رأوا غلبة فارس على الرّوم بظاهر الحال، و هم غافلون بأنّ الغلبة بالمآل للرّوم على الفرس، و إن كانت الآن مع الفرس. ۲۰ ـ قيل: أي تمدّ أعينهم بزخارف الدّنيا و ما يشاهدون من زينتها و شهواتها، و هم غافلون عن حقيقتها من المضارّ و المتاعب إذا افرط فيها. ۲۱ ـ قيل: أي يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا، و لا يعلمون أنّ وعد الله تعالى حقّ، و أنّ لله الأمر من قبل و من بعد، و أنّه سبحانه ينصر المؤمنين على الكافرين.

۲۲ ـ قيل: أي يرون حاضر الدّنيا و هو الّذي يناله حواسّهم الظّاهرة من زينة الحياة، فيرشدهم إلى اقتنآئها و العكوف عنها و الإخلاد إليها، و نسيان ماورآئها من الحياة الآخرة و المعارف المتعلّقة بها، و الغفلة عمّا فيه خيرهم و نفعهم بحقيقة معنى الكلمة.

و ذلك أنّ استغراقهم في الاشتغال بمتاع الدّنيا و زخارفها و انهماكهم في تعليق القلب بها، منعهم عن العلم بالآخرة، و قيمة كلّ امرئ علمه بالله تعالى و أوّل العلم معرفة الجبّار، و آخر العلم تفويض الأمر إليه. و قال الإمام عليّ(عليه السلام): «أهل الدّنيا على غفلة من الآخرة».

أقول: و على الأوّل أكثر المفسّرين و في معناه أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

و في قوله سبحانه: «و هم عن الآخرة هم غافلون» أقوال: ۱ ـ قيل: أي و هم عن العلم بالآخرة و العمل لها هم غافلون، إذ حلّت الدّنيا في أعينهم، فأعمتهم عن الآخرة. فللّه درّ القائل:

و من البليّة أن ترى لك صاحباً — في صورة الرّجل السّميع المُبصرِ
فَطِنٌ بكلّ مصيبة في ماله — و إذا يصاب بدينه لم يشعُرِ

۲ ـ عن ابن عبّاس: أي و هم جهّال بأمر الآخرة، و له مضيّعون إذ عمروا دنياهم و

خربوا آخرتهم. ۳ـ قيل: أي و هم عن الآخرة الّتي هي الغاية القصوى، و المطلب الأسنى، هم غافلون عنها لاتخطر ببالهم، فكيف يتفكّرون فيها، و فيما يؤدّي إلى معرفتها من الدّنيا و أحوالها، فهم كالبهآئم المقصور إدراكها على ظواهر الدّنيا الخسيسة دون أحوالها الّتي هي من مبادى العلم بامور الآخرة، و هي باطن الحياة الدّنيا.

فأكثر النّاس يعرفون مالديهم من أُمور الحياة الدّنيا كتدبير معايشهم و إحسان مساكنهم، و تنمية متاجرهم و تصرّفهم في مزارعهم على النّحو الّذي يجعلها تزدهم و تفي بحاجة المجتمع، و أمّا أنّ نفوسهم لها بقاء بعد الموت و أنّهم هناك لايموتون، بل هم ستلبسون ثوباً آخر في حياة اخرى، و ستنال إذ ذاك جزآء ماقدّمت من خير أو شرّ، و لو لم تكن النّفوس تتوقّع هذه الحياة لكانت آلام الدّنيا و متاعبها لاتطاق، و لاتجد النّفوس لإحتمالها سبيلاً، و هي ما قبلت تلك الآلام و احتملتها إلاّ لأنّها توقن بسعادة اخرى ورآء ما تقاسي من المتاعب في هذه الحياة، و كلّ ذلك غائب عنهم، مع أنّه باطن الحياة الدّنيا، فهذه الحياة لو لم تكن ورآئها حياة اخرى لما كانت لها فائدة بل كان عدمها خيراً من وجودها، فهم عاكفون عليها، و لايحسّون بالاخرى لأنّها لاتقع تحت حواسّهم...

٤ـ قيل: أي و هم عن الآخرة الّتي هى غاية الخلقة، و المقصود منها، هم غافلون عنها لاتخطر ببالهم لانهماكهم في الشّهوات و ظواهر الدّنيا، فغفلوا عن الحقآئق. ٥ـ قيل: أي و هم يتغافلون عن الآخرة. ٦ـ قيل: أي و هم لايؤمنون بالآخرة. ۷ـ قيل: أي و هم عن أمر الآخرة و ما وُعِدوا فيها من الأهوال و الفزع و العذاب هم غافلون و غافلون: أنّ لهم في الآخرة مسكناً و لهم هناك ثوباً آخر و عيشاً آخر.

أقول: و المعاني متقاربة و المآل واحد فتأمّل جيّداً.

۸ـ (أولم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السّموات و الأرض و ما بينهما إلاّ بالحقّ و أجل مسمّىً و إنّ كثيراً من النّاس بلقآء ربّهم لكافرون)

في قوله تعالى: «أو لم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السّموات و الأرض و ما بينهما» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي أو لم يتفكّر كفّار مكّة فيما بينهم ما خلق الله السّموات و

الأرض و ما بينهما من الخلق و العجآئب إلاّ للحقّ و الأمر و النّهي لا للباطل. ٢ـ قيل: أي أو لم يتفكّر النّاس في كلّ ظرف من الظّروف في خلق الله أنفسهم، و لم يكونوا شيئاً مذكوراً، ثمّ في تصريفهم أحوالاً و تارات حتّى صاروا كاملي الخلق، و كاملي العقل، فكلّ واحد منهم مُحدَث يحتاج إلى مُحدِث قديم، حيّ، قادر عليم حكيم، فيعلموا أنّ الّذي فعل ذلك فهو قادر أن يعيدهم بعد فنآئهم خلقاً جديداً.

ثمّ يجازى المحسن منهم بإحسانه، و المسيىء منهم بإسآئته، لا يظلم أحداً منهم، فيعاقبه بدون جرم صدر منه، و لا يحرم أحداً منهم جزآء عمله، لأنّه العدل الّذي لا يجور، فهو ما خلق السّموات و الأرض و ما بينهما إلاّ بالعدل و إقامته، و بالحقّ و إحقاقه إلى أجل مؤقت مسمّى، فإذا حلّ الأجل أفنى ذلك كلّه، و بدّل الأرض غير الأرض، و برزوا يوم القيامة للحساب و الجزاء جميعاً. و إنّ كثيراً من النّاس بلقآء ربّهم لكافرون لأنّهم لم يتفكّروا في أنفسهم، و لو تفكّروا فيها و درسوا عجآئبها لأيقنوا بلقآء ربّهم، و أنّ معادهم إليه بعد فنآئهم.

فمن نظر حقّ النّظر، و وضع النّظر موضعه، أثمر له العلم واجباً بأنّ الله تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً، بل خلقه لغاية مطلوبة لاتعود إلى نفسه سبحانه لغناء المطلق، و إنّما تعود إلى الإنسان، و هو الثّواب، و لايكون إلاّ للإيمان الصّادق، و العمل الصّالح، فلابدّ من دين مشرّع يميّز التّوحيد من الشّرك، و الايمان من الكفر، و الحقّ من الباطل، و العمل الصّالح من السّيىء، فلا بدّ من دار يمتحنون فيها و هي الدّنيا، و دار يثابون فيها و هي الآخرة، فإذا استبصر بنور اليقين أحكام الغائبات، و علم موعوده الصّادق في المستأنف، نجا عن كدّ التّردّد و التّجويز، فسبيل من صحاعقلهُ ألاّ يجنح إلى التّقصير فيا به كمال سكونه.

٣ـ قيل: أي أو لم يحدثوا التفكّر في أنفسهم... ٤ـ قيل: أي أو لم يتفكّروا في حال الخلوة لأنّ في تلك الحالة يتمكّن الإنسان من نفسه و يحضره ذهنه. ٥ ـ قيل: أي أو لم يحدثوا التفكّر في قلوبهم الفارغة، فيكون كما تقول لتحقيق أمر التفكّر، و زيادة تصوير حال المتفكّر: «اعتقده في قلبك، و أضمره في نفسك» مع أنّ الإعتقاد لايكون إلاّ في القلب، و الإضمار إلاّ في النّفس. هذا بنآء على تعلّق الظّرف: «في أنفسهم» بالفعل: «لم يتفكّروا» و أمّا

بناء على تعلّق الجار بالفعل كقولك: «تفكّر في امورك» فإنّه إذا تفكّر في نفسه الّتي هي أقرب الأشياء إليه، وقف على غرآئب الحِكم، و دقائق الصّنع الّتي أودعها الله تعالى فيها كما يكفل بيان بعضها على التّشريح، فجرّه ذلك إلى العلم بأنّ الله تعالى لم يخلق السّموات و الأرض و ما بينهما إلاّ متلبّساً بالغرض الصّحيح الّذي أودعه الله فيها، و بتقدير أجل مسمّى، هو وقت الحساب و الجزاء.

٦ـ قيل: إنّ التفكّر في أنفسهم استعارة كنائيّة عن فراغ البال و حضور الذّهن كأنّهم عند اشتغالهم بامور الدّنيا و سعيهم للمعاش و تشوّش البال يغيبون عن أنفسهم، فيكونون عند حضور الذّهن حاضرين مستقرّين في أنفسهم، فيكون تفكّرهم حينئذٍ مجتمعاً غير متفرّق، فيهديهم إلى الحقّ و يرشدهم إلى الواقع، فيجب عليهم أن يمعنوا النّظر في أنفسهم أنّ الله تعالى ما خلق هذا العالَم كلاًّ و لا بعضاً إلاّ خلقاً ملابساً للحقّ أو مصاحباً للحقّ. ٧ـ قيل: إنّهم لم يؤمروا أن يتفكّروا في خلق أنفسهم، بل اُمروا أن يستعملوا التفكّر في خلق السّموات و الأرض و أنفسهم حتّى يعلموا أنّ الله لم يخلق السّموات و غيرها إلاّ بالحقّ ففى الكلام حذف. أى حتّى يعلموا لدلالة الكلام عليه.

٨ـ قيل: أي أو لم يتفكّروا في أمر أنفسهم فإنّها أقرب إليهم من غيرها، و أنّها مرآة يتجلّى للمستبصر ما يتجلّى له في سآئر المخلوقات ليتحقّق لهم قدرة مبدعها على إعادتها قدرته على إيداعها، فأنفسهم مرآة لهم يقدرون أن يروا وجوه الآفاق و الكون كلّها فيها، لأنّ في النّفس انموذجاً من كلّ شيْ.

و إلى ذلك أشار مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ بقوله:

أتزعم انّك جرم صغير   و فيك انطوى العالَم الأكبر

و كما قيل: إنّ عالَم الأنفس وحدها يطابق عالَم الآفاق كلّها... و لذلك أمر الله تعالى الإنسان بالتفكّر في نفسه، ثمّ ذكر خلق السّموات و الأرض لأنّ الإنسان إذا تفكّر في نفسه و علم أنّه خلق من نطفة حاصلة من الغذآء الصّالح من الأسباب السّماوية و الأرضيّة جزم بأنّ الله تعالى خالق السّموات و الأرض.

٩ـ قيل: أي أو لم يتفكّروا في ذواتهم و أنفسهم الّتي هي أقرب المخلوقات إليهم، و هم

أعلم بشئونها، و أخبر بأحوالها منهم بأحوال ماعداها، فيتدبّروا ما أودعها الله تعالى ظاهراً و باطناً من غرآئب الحِكم الدّالّة على التّدبير دون الإهمال، و أنّه لابدّ لها من انتهآء إلى وقت يجازيها الحكيم الّذي دبّر أمرها على الإحسان إحساناً، و على الاسآئة مثلها حتّى يعلموا عند ذلك أنّ سآئر الخلائق كذلك أمرها جارٍ على الحكمة و التّدبير، و أنّه لابدّ لها من الانتهآء إلى ذلك الوقت، و تعقب بأنّ أمر معاد الإنسان و مجازاته بما عمل من الإسآئة و الإحسان هو المقصود بالذّات و المحتاج إلى الإثبات فجعله ذريعة إلى إثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الإجزآء تعكيس الأمر.

أقول: و الثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق، و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

و في **قوله عزّوجلّ:** «إلاّ بالحقّ» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي إلاّ للحقّ و للأمر والنّهي، لا للباطل. ٢ ـ عن الفرّآء: أي إلاّ للحقّ يعني الثّواب و العقاب. ٣ ـ قيل: أي مصاحباً بالحقّ. ٤ ـ قيل: أي بالحكمة. ٥ ـ قيل: أي أنّه هو الحقّ، و للحقّ خلقها، و هو الدّلالة على توحيده و قدرته. ٦ ـ قيل: أي بالعدل. ٧ ـ قيل: أي إلاّ بإقامة الحقّ و إحقاقه.

٨ ـ عن الزّجّاج: أي لإقامة الحقّ، و معناه للدّلالة على الصّانع و التّعريض للثّواب.

٩ ـ قيل: أي ما خلق الله تعالى الكون كلّه من المشاهد و الغيوب إلاّ و هو ملتبس بالحقّ، مقترن به، و ذلك أنّ جملة العالَم المشهود و المغيب لم تخلق عبثاً لا غاية لها ورآئها بأن يوجد و يُعدم ثمّ يوجد ثمّ يُعدم و هكذا بغير غرض و لا غاية، و إنّما خلقها لغاية تترتّب عليها، ثمّ إنّ العالَم بأجزآئه ليس بدآئم الوجود، غير منقطع الآخر، حتّى يحتمل كون كلّ جزء لاحقاً للجزء السّابق، و كلّ آت خلفاً لماضيه، بل هو بأجزآئه فانٍ بائد، فهناك غاية مقصودة من خلقه ستظهر بعد فنآئه: «كلّ من عليها فانٍ» الرّحمن: ٢٦) و هذا المعنى هو المراد بتقييد قوله: «ما خلق الله السّموات و الأرض و ما بينهما» بقوله: «و أجل مسمّى» بعد تقييده بقوله: «إلاّ الحقّ».

١٠ ـ قيل: أي ملابساً للحقّ أي لغاية حقيقيّة لا عبثاً لا غاية له، و إلى أجل معلوم، فلا يبقى شيءٌ من هذا الكون إلى ما لا نهاية له، بل يفنى و ينقطع، و إذا كان كلّ جزء من أجزآئه

و المجموع مخلوقاً ذا غاية تترتّب عليها، و ليس شئ منها دآئم الوجود كانت غايته مترتّبة عليه بعد انقطاع وجوده و فنائه، و هذا هو الآخرة الّتي ستظهر بعد انقضآء أمد الدّنيا و فنآئها. ۱۱ ـ قيل: إنّ «بالحقّ» متعلّق بالعلم الحاصل من التّفكّر الّذي يدلّ عليه.

۱۲ ـ قيل: إنّ «بالحقّ» متعلّق بالقول الّذي يترتّب عليه كما في قوله تعالى: «و يتفكّرون في خلق السّموات و الأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً» أي أعلموا ظاهر الحياة الدّنيا فقط أو أقصروا النّظر على ذلك و لم يحدثوا التّفكّر في قلوبهم، فيعلموا أنّه تعالى ما خلق السّموات و الأرض و ما بينهما من المخلوقات الّتي هم من جملتها ملتبسة بشئ من الأشيآء إلاّ ملتبسة بالحقّ أو يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه أثر ما عملوه.

و المراد بالحقّ هو الثّابت الّذي يحقّ أن يثبت لا محالة لابتنائه على الحِكَم البالغة الّتي من جملتها استشهاد المكلّفين بذواتها و صفاتها و أحوالها على وجود صانعها و وحدته و علمه و قدرته و اختصاصه بالمعبوديّة، و صحّة إخباره الّتي من جملتها إحياءهم بعد الفنآء بالحياة الأبديّة و مجازاتهم بحسب أعمالهم عمّا يتبيّن المحسن من المسيىء، و يمتاز درجات أفراد كلّ من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم و اعتقاداتهم المترتّبة على أنظارهم فيما نصب في المصنوعات من الآيات و الدّلآئل و الأمارات و المخايل...

أقول: و على التّاسع أكثر المحقّقين، من دون تنافٍ بينه و بين بعض الأقوال الأُخر فتدبّر.

في قوله سبحانه: «و أجل مسمّى» أقوال: ۱ ـ عن ابن عبّاس: أي لوقت معلوم يقتضي فيه. ۲ ـ قيل: أي و لوقت معلوم توفى فيه كلّ نفس ما كسبت. ۳ ـ عن الجبائي: أي خلق الله تعالى العالَم المشهود كلّه في أوقات قدرها اقتضت المصلحة خلقها فيها و لم يخلقها عبثاً. ٤ ـ قيل: أي خلق ما خلق في وقت سمّاه لأن يخلق ذلك الشّئ فيه. ٥ ـ قيل: أي و بتقدير أجل معيّن لابدّ أن ينتهي و هو قيام السّاعة و وقت الحساب و الجزآء.

أقول: و الخامس هو الأنسب بظاهر السّياق.

و في قوله عزّوجلّ: «و إنّ كثيراً من النّاس بلقاء ربّهم لكافرون» أقوال: ۱ ـ قيل: إنّ المراد بلقاء الربّ هو الرّجوع إليه في المعاد و يوم البعث للحساب و الجزآء، و قد عبّر عنه

باللقآء ليزداد كفرهم به عجباً، فكيف يمكن أن يبتدؤا منه، ثمّ لاينتهوا إليه و لذلك أكّده بحرف التأكيد: «إنّ» تنبيهاً إلى أنّ الكفر بالمعاد من شانه في نفسه أن لايصدّق به. ٢ ـ قيل: هذا تذييل مقرّر لما قبله ببيان أنّ أكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة من أحوال الآخرة و الإعراض عن التفكّر فيما يرشدهم إلى معرفتها من خلق السّموات و الأرض و ما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون لقاء حسابه تعالى و جزآئه بالبعث، و هم القائلون بأبديّة الدّنيا كالفلاسفة على المشهور.

٣ ـ قيل: إنّ المراد بلقاء ربّهم هو الأجل المسمّى فلايعترفون به.

أقول: و لكلٍّ وجه من دون تنافٍ بينها فتأمّل جيّداً.

٩ـ (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوّة و أثاروا الأرض و عمروها أكثر ممّا عمروها و جآءتهم رسلهم بالبيّنات فما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون)

في قوله تعالى: «و أثاروا الأرض» أقوال: ١ ـ عن مجاهد و السّدي و الكلبي: أي قلبوها و حرثوها لعمارتها و استغلوها. ٢ ـ عن الضّحّاك: أي أثاروا جنان الأرض و أنهارها و زروعها. و قال الفرّآء: إثارة الأرض: قلبها للزّراعة. يقال: أثاروا الأرض: حرثوها و قلبوها للزّراعة و الغرس أكثر ممّا حرث أهل مكّة. ٣ ـ قيل: أي قلّبوا وجوه الأرض و استخرجوا خبأها. ٤ ـ قيل: أي و قلّبوا وجه الأرض لإستنباط المياه و استخراج المعادن و زرع البذور و غيرها... لأنّ إثارة الأرض: قلبها ظهر البطن للحرث و التّعمير. ٥ ـ عن ابن عبّاس و مقاتل: أي ملكوا الأرض و عمروها. ٦ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي هم أشدّ طلباً للأرض و أبعد ذهاباً في السّفر للكسب و التّجارة. ٧ ـ قيل: أي و بقوا فيها آثاراً.

أقول: و المعاني متقاربة من دون تنافٍ بينها فتدبّر.

و **في قوله سبحانه:** «و عمروها أكثر ممّا عمروها» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي بقوا فيها أكثر ممّا بقي فيها أهل مكّة، إذ كانوا هم أكثر أموالاً و أطول أعماراً و أكثر أعداداً،

فحفروا الأنهار، و غرسوا الأشجار، و بنوا الدّور، و شيّدوا القصور، ثمّ تركوها، و صاروا إلى القبور، و إلى الهلاك و التّبور. ٢ ـ قيل: أي و عمروا الأرض أكثر ممّا عمروها من عمارة أهل مكّة إيّاها، فإنّهم أهل وادٍ غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها، فهم أضعف حالاً فيها.

٣ ـ عن الضّحّاك: أي عاشوا في الأرض أكثر من عيش هؤلآء الغافلين فيها. ٤ ـ قيل: أي و عمروها بفنون العمارات و الزّراعات و غرس الأشجار و الأبنية و غيرها... أكثر من عمارة هؤلآء إيّاها، فالأكثريّة باعتبار الكمّ و الكيف معاً.

٥ ـ قيل: أي أقاموا بها إقامة أكثر زماناً من إقامة هؤلآء بها. ٦ ـ قيل: أي و أوجدوا فيها العمران من فنون العمارات، و انواع الزّراعات، و غرس أنحآء الأشجار و غيرها ممّا يعدّ عمارة لها من الشّوارع العريضة و المناظر المبهجة.

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتدبّر.

و في قوله عزّوجلّ: «و جآئتهم رسلهم بالبيّنات» أقوال: ١ ـ قيل: أي بالحجج الواضحات: و الآيات الظّاهرات، و الدّلآئل السّاطعات من عند الله تعالى. ٢ ـ عن ابن عبّاس: أي بالأمر و النّهي و العلامات... ٣ ـ قيل: أي بالمعجزات. ٤ ـ قيل: أي بالأحكام...

أقول: و لكلٍّ وجهٌ من دون تناف بينها فتأمّل جيّداً.

١٠ ـ (ثمّ كان عاقبة الّذين أساؤا السّوآى أن كذّبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزؤن)

في قوله تعالى: «ثمّ كان عاقبة الّذين أساؤا السّوآى» أقوال: ١ ـ قيل: أي ثمّ كان آخر أمر الّذين أشركوا بالله سبحانه، عذاب النّار لتكذيبهم بآيات الله عزّوجلّ الّتي جائت بها الرّسل، و «السّوآى» ههنا جهنّم كما أنّ الحسنى: الجنّة، و كانوا بآيات الله يستهزؤن. ٢ ـ قيل: إنّ المراد بـ«السّوآى» الحالة السّيّئة. و المعنى: كانت السّوآى عاقبة المسيئين لأنّهم كذّبوا بآيات الله، و كانوا بها يستهزؤن. ٣ ـ قيل: أي أسآء الإسائة

السّوآى. ٤ـقيل: أي الفعلة السّوآى. ٥ ـقيل: أي العقوبة السّوآى و هي أسوأ العقوبات يوم القيامة و هي جهنّم.

٦ـقيل: أي ثمّ كان العذاب عاقبتهم: أمّا في الدّنيا فلهم البوار و الهلاك، و أمّا في الآخرة فالنّار لايخرجون منها، و لا هم يستعتبون و ما ذاك إلاّ لأنّهم كذّبوا بحجج الله و آياته، و هم أنبياؤه و رسله عليهم السّلام، و سخروا منهم عنتاً و كبراً. يقال: من زَرَع الشّوك لم يحصد الوردَ، و من استنبت الحشيشَ لم يقطف الثّمار، و من سلك طريق الغي لم يَحْلُل بساحة الرّشد. ٧ ـقيل: أي ثمّ كان عاقبة الّذين اقترفوا الخطيئة العقوبة أن طبع الله على قلوبهم حتّى كذّبوا بالآيات و استهزؤا بها. ٨ـقيل: أي المعاصي ساقتهم إلى الكفر بتكذيب آيات الله و الاستهزآء بها.

٩ـقيل: أي عملوا السّوء. و السّوآى: الخلّة و الخصلة الّتي تسوء صاحبها إذا أدركها. و المراد بـ«السّوآى» العذاب. و المعنى: ثمّ كان سوء العذاب هو الّذي انتهى إليه أمر اولئك الّذين عملوا السّوء لم تكن لهم عاقبة غيرها لتكذيبهم بآيات الله و استهزآئهم بها. و عن ابن عبّاس و قتادة: أي الّذين كفروا جزآءهم عذاب النّار. و المعنى: ثمّ كان عاقبة الّذين أسآؤا إلى أنفسهم بالكفر بالله سبحانه، و تكذيب رسله، و ارتكاب معاصيه. ١٠ ـعن عبّاس أيضاً: «أسآؤا» أي أشركوا بالله. و «السّوآى» أي النّار في الآخرة.

١١ـقيل: إنّ المراد بـ«السّوآى» العاقبة السّيئة الّتي هي أسوأ العواقب في الآخرة و هي النّار الّتي اُعدّت للكافرين، و كانت النّار عاقبتهم لتكذيبهم بآيات الله و استهزآئهم بها، و هي ضدّ الحسنى. كما يقول الشّاعر:

أنّى جزوا عامراً سوءاً بفعلهم   أم كيف يجزونني السّوءى من الحسنى؟

و المعنى: ثمّ كانت السّوآى عاقبة الّذين أسآؤا... أي جزاهم الله سوءاً لفعلهم السّيّىء كما قال جلّ وعلا: «و جزاء سيّئة سيّئة مثلها» الشّورى: ٤٠) و هو من باب المقابلة، و ذلك لأنّ ما يجزون به، إنّما هو سوء بالنّسبة لهم لأنّه يسؤهم و يؤذيهم... أمّا الجهة الّتي توجّهت به إليهم، فهو ليس منها، و إنّما هو فعلهم، عاد إليهم، فالأمر لايعدو أن يكون فعل، و ردّ فعل! لأنّهم كذّبوا بآيات الله و لم يقفوا عند حدّ التكذيب بها، بل اتّخذوها هزءاً و سخريّة،

و مادة للعبث و البذاءة ـ كان هذا جزآؤهم السّيّيء.

۱۲ـ قيل: أي إنّهم حفروا الأنهار و غرسوا الأشجار، و شيّدوا البنيان، و صاروا إلى الهلاك على أسوإحال بالعصيان، و لم يفكروا في الموت، و إنّهم يخرجون من الدّنـيا و يصيرون إلى الحساب و الجزآء. ۱۳ ـ عن مجاهد: إنّ المراد بـ«السّوآى»: الإساءة و هي جزآء المسيئين.

١٤ـ قيل: إنّ العاقبة إطلاقها يختصّ بالثّواب كقوله تـعالى: «و العـاقبة للـمتّقين» الأعراف: ۱۲۸) و بالإضافة قد تستعمل في العقوبة نحو قوله سبحانه: «ثمّ كـان عـاقبة الّذين...» كما أنّ العقبى غالباً تستعمل في الثّواب، و قد تستعمل في العقاب أيضاً كقوله عزّوجلّ: «تلك عقبى الّذين اتّقوا و عقبى الكافرين النّار» الرّعد: ٣٥).

١٥ـ قيل: أي «ثمّ كان مآل أمر الّذين أساؤا السّوآى...» فإنّ الإصرار على المعاصي طريق إلى الكفر بالله سبحانه و تكذيب آياته و الاستهزآء بها.

أقول: و الأخير هو الأنسب بظاهر السّياق فتدبّر جيّداً.

و **في قوله عزّوجلّ:** «أن كذّبوا بآيات الله» أقوال: ۱ ـ عن ابن عبّاس و الكلبي: أي كذّبوا بمحمّد «صلى الله عليه وآله» و القرآن. ۲ ـ عن مقاتل: أي كذّبوا بالعذاب أن ينزل بهم. ۳ ـ عن الضّحّاك: أي كذّبوا بمعجزات رسول‌الله «صلى الله عليه وآله». ٤ ـ قيل: أي جحدوا أدلّته الواضحة و البراهين القاطعة على التّوحيد و العدالة و الرّسالة و الإمامة و المعاد، و لم يؤمنوا بها، و كانوا يسخرون منها و يستهزؤن بها. ٥ ـ قيل: أي كذّبوا بحجج الله تعالى و آياته، و هم أنبيآؤه و رسله و ما جاؤا به أقوامهم من آيات الله تعالى الدالّة على المبدإ و المعاد، وصدق رسالتهم من المعجزات، و استهزؤا بها، و سخروا منهم عنتاً و كبراً و بغياً.

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتأمّل جيّداً.

۱۱ـ (الله يبدؤا الخلق ثمّ يعيده ثمّ إليه ترجعون)

في الآية الكريمة أقوال: ۱ ـ عن ابن عبّاس: أي الله يبدؤا الخلق ـ أي المخلوقين ـ من النّطفة، ثمّ يعيده يوم القيامة، ثمّ إليه تردّون أيّها النّاس في الدّار الآخـرة، فـيجزيكم

بأعمالكم. ٢ـ قيل: أي ينشئ خلق النّاس، ثمّ يحييهم بعد الموت في القبر لسؤال نكير و منكر، ثمّ إليه تعالى ترجعون يوم القيامة للعدل و الحساب و الجزآء. ٣ـ قيل: أي الله يخلق الإنسان ابتدآء ثمّ يعيده بالبعث بعد الموت إحياءً كما كان، ثمّ إليه ترجعون أيها المنكرون للبعث و الحساب و الجزآء و الغافلون عنها، فيجازيكم يوم القيامة بأعمالكم إن خيراً فخيراً و إن شرّاً فشرّاً.

٤ ـ قيل: أي مَنْ خلق النّاس بالقدرة و الإرادة لا يعجز عن الرّجعة و الإعادة.

٥ ـ قيل: أي الله يبدؤا الخلق ابتداءً، فيوجدهم بعد أن كانوا معدومين على وجه الاختراع ثمّ يميتهم و يفنيهم بعد وجودهم، ثمّ يعيدهم ثانياً كما بدأهم أوّلاً، ثمّ ترجعون إلى الله يوم القيامة ليجازيهم على أفعالهم على الطّاعات بالثّواب و على المعاصي بالعقاب. ٦ـ قيل: أي الله يبتدأ خلق النّاس، ثمّ يعيدهم إذا أماتهم في زمان الرّجعة، ثمّ إليه ترجعون يوم القيامة. ٧ـ قيل: أي الله يبدأ الخلق على ما يشآء، ثمّ يعيده إذا ما شآء على ما يشآء. ٨ـ قيل: أي فمن يبدأ خلق الكون و خلق الإنسان بدءاً فهو قادر على إعادة خلق الإنسان ثانية للحساب و الجزاء.

أقول: و على الخامس أكثر المفسّرين، و في معناه بعض الأقوال الأخر فتدبّر.

١٢ـ(و يوم تقوم السّاعة يبلس المجرمون)

في قوله تعالى: «يبلس المجرمون» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي ييئس المجرمون من كلّ خير و خلاص و نجاة من أهوال يوم القيامة و عذابه. ٢ ـ قيل: أي أيسوا من إقامة الحجّة، و لا يأملون أن تكون لهم حجة على كفرهم و طغيانهم... قال الزّجّاج: المبلس: السّاكت لانقطاع حجّته، فيسكت عن يأس. و الإبلاس: أن يبقى ساكتاً يائساً متحيّراً. و ذلك أنّ شهودهم ما جحدوه في الدّنيا عياناً، ثمّ ما ينضاف إلى ذلك من اليأس بعد ما كانوا يعرفون قطعاً هو الّذي يفتت أكبادهم و به تتمّ محنتهم، فيسكتون لإنقطاع حجتهم على ما فعلوه، و لشدّة الأهوال، و انقطاع الأخبار عنهم.

٣ ـ قيل: أي ييئس المجرمون من أن يهتدوا. الإبلاس: اليأس من رحمة الله و نعمه الّتي

يفيضها على المؤمنين، و في اليأس كلّ الشّقآء. ٤ـ قيل: أي يندم المجرمون يوم القيامة بما اكتسبوا في الحياة الدّنيا من الجرم و الجناية. ٥ ـ قيل: أي يتحيّرون. الإبلاس: التّحيّر عند لزوم الحجّة، فالمجرم يتحيّر يومئذ لظهور جلآئل آيات الآخرة الّتي تقع عندها على الضّرورة، فيتحيّر أعظم الحيرة.

٦ـ عن مجاهد: أي يفتضح المجرمون يوم القيامة. الإبلاس: الفضيحة. ٧ ـ عن مجاهد أيضاً: أي يكتئب المجرمون. ٨ ـ قيل: أي يجمد المجرمون في أماكنهم، و تجمد حواسّهم، ممّا يطلع عليهم من أهوال و مفزعات و هوان و بلاء، فيشتمل عليهم الأهوال... ممّا يرون من غضب الله سبحانه و عذابه، فيتبيّن لهم و لغيرهم إفلاسهم في ذلك اليوم. ٩ ـ عن قتادة: أي ييلس المجرمون في النّار.

أقول: و لكلٍّ وجهٌ من دون تناف بينهما، فتدبّر جيّداً و لا تغفل.

۱۳ـ (و لم يكن لهم من شركآئهم شفعآؤا و كانوا بشركآئهم كافرين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي و لم يكن لعبدة الأوثان من آلهتهم شفعآء أحد يشفع لهم من عذاب الله، وكانوا بعبادتهم لآلهتهم جاحدين، إذ يقولون: «و الله ربّنا ما كنّا مشركين». ٢ ـ قيل: أي و لم يكن لهم من شركآئهم شفعآء أي ممّن أشركوا هم بالله سبحانه شافعين يجيرونهم من عذاب الله كما كانوا يزعمون، و كانوا بشركآئهم يكفرون بآلهتهم حيث يئسوا منهم أو كانوا في الدّنيا كافرين بالله سبحانه بسببهم. و المعنى: إنّ شفعآءهم لم يشفعوا لعبيدهم مع أنّهم سبب كفرهم و ضلالهم في الدّنيا. ٣ ـ قيل: أي و لم يكن لهؤلآء المشركين ممّا كانوا يعبدونه من دون الله سبحانه من الآلهة المختلفة من الرّؤسآء و الملائكة و الأصنام و الأوثان و ما إليها من الأخشاب و الأشجار و الأحجار... شفعآؤا و كانوا هم بشركآئهم كافرين فيتبرّؤن منهم و يقولون: ليسوا بآلهة لنا، كما أنّ الشّركآء يتبرّؤن منهم.

٤ـ قيل: أي و لم يكن للمشركين ممّن أشركوهم بالله سبحانه في الوجود، و الإيجاد، و التّدبير و في العبادة أو ريآءً، و لذا أُضيفوا إليهم. ٥ ـ قيل: إنّ الإضافة لإشراكهم إيّاهم بالله

سبحانه في أموالهم، و المراد بالشركآء، الأوثان إذ كانوا يجعلون لها نصيباً من أموالهم: «و يجعلون لما لا يعلمون نصيباً ممّا رزقناهم» النّحل:٥٦). ٦ـعن مقاتل: الشّركآء: الملائكة. ٧ـقيل: الشّركآء: الشّياطين. ٨ـقيل: الشّركآء رؤسآؤهم: «و قالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا و كبرآءنا فأضلّونا السّبيلا» الأحزاب:٦٧) «اتّخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله» التّوبة: ٣١) لم يكن لواحد منهم شفيع أصلاً، و كانوا بألوهيّتهم و شركهم كافرين حيث يئسوا منهم، و وقفوا على كنه أمرهم.

٩ـعن الجبآئي و أبي مسلم: أي لم يكن من أوثانهم الّتي كانوا يعبدونها ليشفعوا لهم شفعآء تشفع لهم عند الله، أو تدفع عنهم عذاب الله كما زعموا: إنّا نعبدهم ليقرّبونا إلى الله زلفى، و كان المشركون يوم القيامة يتبرّؤن من الأوثان و الأصنام و ينكرون كونها آلهة لهم، و يقرّون بأنّ الله لا شريك له. ١٠ ـقيل: أي لم يكن لهؤلآء المجرمين من شركآئهم الّذين كانوا يتّبعونهم على ما دعوهم إليه من الضّلالة، فيشاركونهم في الكفر بالله سبحانه و المعاونة على أذى رسله شفعآء يشفعون لهم عند الله، فيستنقذوهم من عذابه، و كانوا بشركآئهم في الضّلالة و المعاونة في الدّنيا على أوليآء الله الكافرين، يجحدون ولايتهم، و يتبرّؤن منهم كما قال تعالى: «إذ تبرّأ الّذين اتّبعوا من الّذين اتّبعوا و رأوا العذاب و تقطّعت بهم الأسباب و قال الّذين اتّبعوا لو أنّ لنا كرّة فنتبرّأ منهم كما تبرّؤا منّا» البقرة: ١٦٦ـ١٦٧).

١١ـقيل: أي لم يكن لهؤلآء الغافلين عن الآخرة من شافع يشفع لهم يومئذ، و يجيرهم من عذاب الله، و أنّ معبوداتهم الّتي كانوا يعبدونها من دون الله قد ضلّت عنهم، و قد كانوا من قبل على يقين بأنّهم سيشفعون لهم عند الله كما قال تعالى حكاية عنهم: «و يعبدون من دون الله ما لا يضرّهم و لا ينفعهم و يقولون هؤلآء شفعآؤنا عند الله» يونس: ١٨) و كان هؤلآء المشركون من أهل الكفر و الضّلالة، و البغي و الغواية، و الجرم و الجناية بما اشركوا هؤلآء الّذين عبدوهم من دون الله... فهم بعبادة تلك المعبودات لبسوا ثوب الكفر، و كانوا من الكافرين.

١٢ـقيل: أي لم يكن في أوثانهم الّتي كانوا يعبدونها من دون الله، و يزعمون أنّها تشفع لهم عند الله من يشفع لهم، يجحدون شركآئهم، و ذلك اليوم، إذ تحصل لهم المعرفة بالله تعالى ضرورة.

۱۳ـ قيل: أي و لم يكن لهم من شركآئهم شفعآء من الملائكة و الأصنام و الأهوآء، و كانوا بشركآئهم كافرين، أي تبرّأت منهم الملائكة، و تبرّأت عنهم الأصنام...

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق و الإضافة فتأمّل جيّداً.

۱٤ـ(و يوم تقوم السّاعة يومئذ يتفرّقون)

في قوله تعالى: «يومئذ يتفرّقون» أقوال: ۱ ـ قيل: أي الخلآئق من الإنسان و الحيوان و الجنّ و الشّياطين... يصنفون فِرقاً قبل الحساب. ۲ ـ قيل: أي النّاس يصنفون ثلاثة أصناف: أصحاب اليمين، و أصحاب الأعراف، و أصحاب الشّمال، فالأوّلون هم أهل الجنّة، و الآخرون، هم أهل النّار، و أصحاب الأعراف بين الجنّة و النّار متوقّفون، حتّى تجيىء الشّفعآء فيشفعون لهم.

۳ـ عن ابن عبّاس: أي النّاس يوم القيامة يتفرّقون بعد الحساب، ففريق في الجنّة و فريق في النّار، فيتميّز يومئذٍ المؤمنون من الكافرين، و لزوم هذا التفرّق في الوجود هو الّذي أخذه الله تعالى حجّة على ثبوت البعث و الحساب و الجزاء إذ قال: «أم حسب الّذين اجترحوا السّيّئات أن نجعلهم كالّذين آمنوا...» الجاثية: ۲۱).

و من البداهة: أنّ العلاقات بين النّاس في الحياة الدّنيا متنوّعة كثيرة، و مختلفة عديدة: اعتقاديّة رحميّة، و اقتصاديّة مادّية، فطريّة ثابتة، و طبيعيّة متلوّنة، و سياسيّة و ثقافيّة، و حزبيّة و قوميّة، و ما إليها من العلاقات... أمّا في الدّار الآخرة فلا شيْ من ذلك على الإطلاق حيث يذهب كلّ إنسان بعد الحساب إلى مقرّه: إمّا إلى جنّة، و إمّا إلى نار و لا ثالث.

ففريق منهم أهل الوصلة، و فريق هم أهل الفرقة، فريق للجنّة و المنّة، و فريق للعذاب و المحنة، فريق في السّرور و الحبور، و فريق في السّعير و الجحيم، فريق في الثّواب، و فريق في العذاب، فريق في التلاقي و الوفاق، و فريق فى العداوة و الفراق...

عن قتادة: اى فرقة و الله لااجتماع بعدها. ٤ ـ قيل: أي لايلوى واحد منهم على حاجة غيره و لايلتفت إليه، و في ذلك نهاية الحثّ على الاستعداد و التّأهّب لذلك المقام. ٥ ـ قيل:

أي إذا كان بين هؤلآء المشركين و بين معبوداتهم ولاء، هو ولاء التّابع للمتبوع ـ ثمّ كان بين بعضهم و بعض اجتماع و ائتلاف على عبادة هذه المعبودات، و الدّفاع عنها، و دفع كلّ يد أو لسان يمتدّ إليها بسوء ـ فإنّه يوم القيامة ستنقطع بينهم جميعاً الأسباب، فلا يلتفت المعبودون إلى عابديهم، و لا ينظر عابد في وجه عابد أو معبود: «لكلّ امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» عبس: ٣٧) «و لا يسئل حميم حميماً» المعارج: ١٠) ٦ ـ قيل: أي و يوم تجيىء السّاعة الّتي يحشر فيها الخلق إلى الله تعالى، فيومئذ يتفرّق أهل الايمان بالله و أهل الكفر به، فأمّا المؤمنون، فيؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنّة و نعيمها، و أمّا الكافرون فيؤخذ بهم ذات الشّمال إلى النّار و جحيمها، فهنالك يميّز الله الخبيث من الطّيّب، و المسيىء من المحسن، و المشرك من الموحّد، فيصير المؤمنون أصحاب اليمين و المشركون أصحاب الشّمال، فيتفرّقون تفرّقاً لا يجتمعون بعده أبداً. و عن الحسن: لئن كانوا اجتمعوا في الدّنيا ليتفرّقنّ يوم القيامة: هؤلآء في أعلى علّيّين، و هؤلآء في أسفل السّافلين. فالمراد بتفرّقهم اختلافهم في الأحوال و المآل و المحالّ، و ليس ذلك باعتبار كلّ فرد، بل باعتبار كلّ فريق، و هذا التّفرّق بعد تمام الحساب.

٧ ـ قيل: أي يتفرّق المجرمون بعضهم من بعض، و كلّ فرد منهم عن الآخر، فالمراد بالتّفرّق هنا باعتبار كلّ فرد من المجرمين، و هكذا المؤمنون، إذ لكلّ فرد من الفريقين مكان خاصّ في الجنّة و في النّار. ٨ ـ قيل: إنّ المراد بالتّفرّق باعتبارين: بأن يتفرّق المؤمنون و الكافرون أوّلاً، ثمّ يتفرّق كلّ فرد من الفريقين عن الآخر، إذ لكلّ فرد، مكان خاصّ في الجنّة و في النّار.

أقول: و على الثّالث أكثر المفسّرين، و في معناه بعض الأقوال الأخر فتأمّل جيّداً.

١٥ـ(فأمّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات فهم في روضة يحبرون)

في قوله تعالى: «في روضة يحبرون» أقوال: ١ ـ عن مجاهد و مقاتل و قتادة: أي فهم في بستان من بساتين الجنّة ينعّمون و يكرمون. ٢ ـ عن ابن عبّاس و الضّحّاك: أي فالّذين صدقوا بالله و رسوله و أدّوا الفرآئض و السّنن فيما بينهم و بين ربّهم، فهم في روضة لا يقدر

قدرها أحد يكرمون بالتّحف. ٣ ـ قيل: أي يتبيّن عليهم أكثر النّعيم. و منه قيل: كلّ حبرة تتبعها عبرة. ٤ ـ عن أبي مالك أي في بساتين الجنّة يغبطون. ٥ ـ عن السّدي: الرّوضة: البستان المتناهي منظراً أو طيباً أو هما معاً، فهم فيها يفرحون حتّى يظهر عليهم حبار نعيمهم. الحبر: هو الأثر المستحسن و الفرح و السّرور.

٦ ـ عن القتبي: أي يسرّون سروراً تبيّن أثره عليهم. و منه الحبرة و هي المسرّة. و منه الحبر: العالم، و التّحبير: التّحسين الّذي يسرّ به، و إنّما خصّ ذكر الرّوضة ـ ههنا ـ لأنّه لم يكن عند العرب شيئ أحسن منظراً و لا أطيب ريحاً من الرّياض كما قال الشّاعر:

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشّمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النّبت مكتهل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة و لا بأحسن منها إذ دنا الأصل

و الحبرة: هي السّرور و الغبطة. قال العجاج:

فالحمد لله الّذي أعطى الحبر موالي الحقّ إنّ المولى شكر

و الرّوضة عند العرب: كلّ أرض ذات نبات و ماء. و في المثل: أحسن من بيضة في روضة. يريدون بيضة النّعامة.

٧ ـ قيل: الحبَر و الحبور: السّرور و الغبطة و الرّضوان. و الرّوضة: الجنّة. فالمعنى: فأمّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات لايحزنهم هذا اليوم، و لا يضرّهم التّفرّق إذ كان مع كلّ مؤمن عمله الّذي يؤنسه، و يذهب وحشته، و يملأ قلبه طمأنينة و أمناً بما يرى من بشريات الإيمان و الأعمال الصّالحة الّتي بين يديه، فالمؤمنون ينزلون يومئذ أكرم منزل، إنّهم في روضات الجنّات، ينعمون بما أعدّ الله تعالى فيها من موائد فضله و إحسانه.

٨ ـ عن الزّجاج: أي يحسنون إليهم، يقال للعالم: حِبْرٌ، و للمداد: حِبْرٌ لأنّه يحسن به الكتابة. ٩ ـ عن مجاهد أيضاً و يحيي ابن أبي كثير: هو لذّة السّماع في الجنّة أي يسمعون الأغاني و أصوات المغنّيات... ١٠ ـ قيل: أي فهم في أرض ذات أزهار و أنهار و أشجار يسرّون سروراً تهلّلت له وجوههم و ينعّمون و يكرمون بالتّحف. ١١ ـ عن أبي بكر بن عبّاس: أي يتوّجون على رؤسهم. ١٢ ـ عن ابن كيسان: أي يحلون.

أقول: و على الأوّل أكثر المفسّرين، و في معناه و لوازم معناه الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

١٦ـ(و أمّا الّذين كفروا و كذّبوا بآياتنا و لقآء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون)

في قوله تعالى: «و أمّا الّذين كفروا و كذّبوا بآياتنا و لقآء الآخرة» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي و أمّا الّذين كفروا بالله و كذّبوا بمحمّد«ﷺ» و القرآن، و بالبعث بعد الموت. ٢ـ قيل: أي و أمّا الّذين كفروا بالله و كذّبوا بمحمّد«ﷺ» و بالبعث و الحساب و الجزآء. ٣ـ قيل: أي و أمّا الّذين كفروا بالله و كذّبوا بالقرآن، و يوم القيامة. ٤ ـ قيل: أي و أمّا الّذين جحدوا توحيد الله و كذّبوا رسله، و أنكروا البعث بعد الموت و النّشور للدّار الآخرة.

٥ ـ قيل: أي و أمّا الّذين كفروا بالله و رسله، و كذّبوا بدلآئلنا الدّالة على المبدإ و المعاد و الرّسالة، و بالبعث يوم القيامة.

أقول: و على الأوّل أكثر المفسّرين و هو الأنسب بظاهر السّياق فتدبّر.

و في قوله سبحانه: «في العذاب محضرون» أقوال: ١ ـ قيل: أي مساقون إلى نار جهنّم سوقاً، و يدفعون إلى عذابها دفعاً. و الإحضار هو إجبار المرء على الحضور. فهم بسبب كفرهم و تكذيبهم يحضرهم الله تعالى و يجمعهم فيها ليذوقوا العذاب الّذي كانوا في الدّنيا يكذبون. ٢ ـ قيل: أي مقرنين. ٣ ـ قيل: أي يجتمعون هم و آلهتهم في عذاب جهنّم. ٤ ـ قيل: أي هم مدخلون في عذاب الله، و لا يغيبون عنه، و لا يخفّف عنهم فهم في بوار و هلاك و عذاب دآئم، فالمراد دوام عذابهم.

٥ ـ قيل: إنّ الله تعالى يخرج الخلآئق يوم الحشر من الأجداث، و يجمعهم لما يريد من مسئلتهم كما قال: «إن كانت إلّا صيحة واحدة فإذاهم جميع لدينا محضرون» يس: ٥٣). ٦ـ قيل: أي فيه محصلون. ٧ ـ قيل: أي في العذاب مقيمون. ٨ ـ قيل: أي فيه مجموعون. ٩ ـ عن ابن عبّاس: أي في النّار معذّبون. ١٠ ـ عن ابن شجرة: أي في العذاب نازلون. و منه قوله تعالى: «إذا حضر أحدكم الموت»: البقرة: ١٨٠) أي نزل به.

أقول: و على الأوّل أكثر المحقّقين من دون تناف بينه و بين أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

١٧ـ (فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أمر بتنزيه الله تعالى عمّا لا يليق بساحة قدسه، و لا يجوز عليه من صفات نقص أو ينافي عظمه، و ما اختصّ به من صفات الجمال و الكمال، و الثّنآء عليه مساءً و صباحاً. أي سبّحوا الله و عظّموه، و أقيموا وجوهكم إليه بالدّعآء و العبادة.

و إنّ الخطاب دعوة للنّاس جميعاً: مؤمنين و كافرين، أمّا المؤمنون فقد رأوا الجنّة و نعيمها، و أمّا الكافرون فقد عاينوا النّار و لظاها، فالمؤمنون يسبّحون الله ليبقى عليهم ما أراهم من رحمته، و الكافرون يسبّحون الله ليدفع عنهم ما أراهم من عذابه.

الإمسآء: الدّخول في المسآء و هو مجيء الظّلام باللّيل ،و الإصباح: نقيضه و هو الدّخول في الصّباح و هو مجيء ضوء النّهار.

و قوله تعالى: «حين تمسون» أي تدخلون في المسآء «و حين تصبحون» أي تدخلون في الصّباح. فالمعنى: نزّهوا الله جلّ وعلا وقت المسآء حين إقبال اللّيل و ظلامه، و وقت الصّباح حين إسفار النّهار بضيآئه.

من كان صباحه لله بورك له في يومه، و من كان مسآؤه بالله بورك له في ليله

و إنّ صباحاً نلتقي في مسآئه صباح على قلب الغريب حبيب

شتّان بين عبد، صباحه مفتتح بعبادته، و مسآؤه مختتم بطاعته، و بين عبد صباحه مفتتح بمشاهدته، و رواحه مفتتح بعزيز قربته!

٢ـ عن مجاهد و ابن عبّاس و سعيد بن جبير و الضّحّاك و قتادة: إنّ المراد بـ«حين تمسون» صلاة المغرب و العشآء، و «حين تصبحون» صلاة الفجر. فالمعنى: صلّوا لله تعالى صلاتي المغرب و العشآء، و صلاة الفجر.

هذا بنآء على أنّ الآية الكريمة و تاليها تتضمّن الصّلوات الخمس، و إرادة الحقّ من

أوليآئه بأن يجدّدوا العهد في كلّ يوم و ليلة، خمس مرّات، فتقف على بساط المناجاة، و تستدرك مافاتك فيما بين الصّلاتين من طوارق الزّلآت... و في تسمية الصّلاة بالتّسبيح لما تضمّنها من ذكر التسبيح من الرّكوع و السّجود، مع أنّ التّسبيح مأخوذ من السُّبحة و هي الصّلاة، و منه قول رسول الله (ﷺ): «تكون لهم سُبْحة يوم القيامة» أي صلاة.

۳ـ قيل: إنّ المراد بالتّسبيح إنشآء تنزيه منه تعالى لا من غيره حتّى يكون المعنى: قولوا: سبحان الله. و في الخطاب تعميم. و المعنى: فإذا كان الأمر على هذه السّبيل فالله منزّه حينما دخلتم أنتم معاشر النّاس في مسآء، و حينما دخلتم في صباح. ٤ ـ قيل: خطاب للمؤمنين بالأمر بالتّسبيح في تلك الأوقات...

أقول: و الأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق من دون تنافٍ بينه و بين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

۱۸ـ(و له الحمد في السّموات و الأرض و عشيّاً و حين تظهرون)

في قوله تعالى: «و له الحمد في السّموات و الأرض» أقوال: ۱ ـ قيل: و لله وحده الالوهيّة في السّموات و الأرض كقوله تعالى: «و هو الّذي في السّمآء إله و في الأرض إله» الزّخرف: ٨٤). ٢ ـ قيل: أي له الحمد على أهل السّموات و أهل الأرض لأنّهم في نعمته، فيجب عليهم الحمد و الثنآء له تعالى وحده. ۳ ـ قيل: إنّ المراد بالتحميد هو إنشآء ثنآء و حمد منه تعالى لا من غيره كقوله: «الحمد لله الّذي أنزل على عبده الكتاب» الكهف: ۱).

٤ـ قيل: تقديره: و قولوا: الحمد لله. ٥ ـ قيل: إنّ جملة قوله تعالى: «و له الحمد...» معترضة بين المعطوف و المعطوف عليه، تنبيهاً على أنّ منافع تسبيحهم كلّها ترجع إلى أنفسهم لا إلى الله سبحانه، فيجب عليهم أن يحمدوه إذا سبّحوه لأجل نعمة هدايتهم إلى التّوفيق للإيمان و صالح الأعمال كقوله تعالى: «يمنّون عليك أن أسلموا قل لاتمنّوا علىّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان» الحجرات: ۱۷) و أنّ الحمد لله تعالى من نوع تعظيم الله جلّ وعلا و الحضّ على عبادته و دوام نعمته.

و قوله تعالى: «و عشيّاً و حين تظهرون» معطوفان على محلّ «حين تمسون» لا على

قوله: «في السّموات و الأرض» حتّى يختصّ المسآء و الصّباح بالتّسبيح و السّموات و الأرض و العشيّ و الظّهيرة بالتّحميد بل الأوقات و ما فيها للتّسبيح، و الأمكنة و فيها للتّحميد.

ففي السّياق إشارة إلى أنّ ما في السّموات و الأرض من خلق و أمر هو كلّه لله وحده يستدعي بحسنه حمداً و ثناء لله تعالى، و أنّ للإنسان على مرّ الدّهور، و تغيّر الأزمنة و الأوقات من الشّرك و العصيان ما يتنزّه عنه ساحة قدسه تعالى.

نعم ههنا اعتبار آخر يتداخل فيه التّسبيح و التّحميد و أنّ الأزمنة و الأوقات مع تغيّرها و تصرّمها من جملة ما في السّموات و الأرض، فهي بوجودها يسبّح لله تعالى، بل كلّ ما في السّموات و الأرض بفقرها إليه جلّ وعلا في بدء وجوداتها و إدامة حياتها و ذلّتها دونه، و نقصها بالنّسبة إلى كماله تعالى تسبّحه كما قال: «و إن من شيءٍ إلاّ يسبّح بحمده» الإسراء: ٤٤) و لكن هذا الإعتبار غير منظور إليه فيما نحن فيه من هاتين الآيتين الكريمتين.

فالله تعالى هو المحمود بذاته من جميع خلقه تكويناً في سكّان السّموات من الملائكة، و في الأرض من أصناف أهلها.

٦ـ قيل: أي الصّلاة له تعالى لإختصاصها بقراءة الحمد. ٧ ـ عن ابن عبّاس: أي له تعالى الشّكر و الطّاعة على أهل السّموات و الأرض.

أقول: و على الخامس أكثر المفسّرين.

و في قوله عزّوجلّ: «و عشيّاً و حين تظهرون» أقوال: عن ابن عبّاس و مجاهد و قتادة و ابن زيد: «و عشيّاً» أي صلاة العصر، «و حين تظهرون» أي صلاة الظّهر. أي في حين تدخلون في الظّهيرة. و قيل: و قد خصّ صلاة اللّيل بإسم التّسبيح، و صلاة النّهار باسم الحمد لأنّ الإنسان في النّهار متقلّب في أحوال توجب الحمد لله عليها، و في اللّيل على أحوال توجب تنزيه الله تعالى من الأسوآء فيها، فلذلك صار الحمد في النّهار أخصّ، فسمّيت به صلاة النّهار، و التّسبيح بالليل أخصّ، فسمّيت به صلاة الليل.

٢ـ قيل: وقت العشيّ حين اشتداد الظّلام، و وقت الظّهيرة حين اشتداد الضّيآء كما قال تعالى: «و النّهار إذا جلاّها و اللّيل إذا يغشاها» الشّمس: ٣ ـ ٤) و قال: «و اللّيل إذا يغشى و

النّهار إذا تجلّى» اللّيل: ١ ـ ٢) و العشيّة من صلاة المغرب إلى العتمة، و «حين تظهرون» أي حين تدخلون في الظّهيرة و هي نصف النّهار، و إنّما خصّ تعالى العشيّ و الإظهار في الذّكر بالحمد و إن كان الحمد واجباً في جميع الأوقات لأنّها أحوال تذكر بإحسان الله، و ذلك أنّ انقضآء إحسان أوّل إلى إحسان يقتضي الحمد عند تمام الإحسان و الأخذ في الآخر كما قال تعالى: «و آخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين» يونس: ١٠).

٣ ـ قيل: العشيّ و العشآء من زوال الشّمس إلى طلوعها. لقول الشّاعر:

غدونا غدوة سحراً بليل عِشاء بعد ما انتصف النّهار

و قيل: الفرق بين المسآء و العشآء: أنّ المسآء بدوّ الظّلام بعد مغيب الشّمس، و العشآء آخر النّهار عند ميل الشّمس للغروب و هو مأخوذ من عشى العين، و هو نقص النّور من النّاظر كنقص نور الشّمس. ٤ ـ قيل: أي وقت العشيّة و هي من بعد الظّهر إلى المغرب.

أقول: و على الأوّل أكثر المفسّرين، و في معناه الرّابع.

١٩ ـ (يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون)

في قوله تعالى: «يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ» أقوال: ١ ـ عن مجاهد و الحسن و قتادة: أي يخرج المؤمن الحيّ من الكافر الميّت، و يخرج الكافر الميّت من المؤمن الحيّ.

قال الله تعالى: «أو من كان ميتاً فأحييناه و جعلنا له نوراً يمشي به في النّاس» الأنعام: ١٢٢).

٢ ـ عن ابن عبّاس و ابن مسعود: أي يخرج الإنسان و هو الحيّ من النّطفة و هي الميتة، و يخرج الميتة و هي النّطفة من الإنسان و هو الحيّ.

فالله تعالى قادر على خلق الأشيآء المتقابلة بعضها من بعض، فيخرج الإنسان من النّطفة، و الطّآئر من البيضة كما يفعل ضدّ هذا، فيخرج النّطفة من الإنسان، و البيضة من الطّائر، و في هذا دلالة على كمال قدرته و بديع صنعه، و كون البيضة و النّطفة كائناً حيّاً

لاتعرفه العرب و لاتعترف به.

٣ ـ قيل: أي و يُظهر أوقاتاً من بين أوقات كالقبض من بين أوقات البسط، و البسط من بين أوقات القبض. ٤ ـ قيل: أي يخرج ذوي الحياة من الأرض الميتة، ثمّ يبدّل ذوي الحياة أرضاً ميتة. ٥ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي يخرج النّسمة و الدّواب من النّطفة، و الطّير من البيضة، و النّخل من النّواة، و يخرج النّطفة من النّسمة و الدّوابّ و البيض من الطّير، و النّواة من النّخيل. ٦ ـ قيل: أي يعقب الحياة بالموت و بالعكس. ٧ ـ قيل: أي يخرج العالم من الجاهل، و يخرج الجاهل من العالم.

٨ ـ قيل: إنّ المراد من إخراج الحيّ من الميّت، و الميّت من الحيّ هو اليقظان و النّائم لقوله تعالى: «و كذلك تخرجون» أي من القبور، فتنبيه النّائم بعد اليقظة يشبه الإعادة، و كذلك ردّ الأرض إلى حالة الخضرة و النّضرة بعد ذبولها. فالمعنى: يخرج الإنسان من شبه الموت و هو النّوم عند الإصباح، إلى شبه الوجود و هو اليقظة، ثمّ يخرج الإنسان عند العشآء من اليقظة إلى النّوم. ٩ ـ قيل: أي يخرج الإنسان بالصّلاة و التّسبيح و التّحميد من موت القلب إلى حياته، و من حياة النّفس إلى موتها.

أقول: و على الثّاني أكثر المفسّرين، و الباقي من باب الجري و الانطباق من دون تناف بينها فتأمّل جيّداً و اغتنم جداً.

و في قوله سبحانه: «و يحي الأرض بعد موتها» أقوال: ١ ـ قيل: أي يحي الله تعالى الأرض بالنّبات بعد جدوبها، و يخرج زرعها بعد خرابها. و ليس المراد من إحيآء الأرض حقيقة معناه كما لايكون الإنسان أسداً حقيقة إذا قيل: فلان أسد. فإنّ المراد بذلك هو التّشبيه و الإستعارة، فكذلك إحيآء الأرض بعد موتها، كأنّها تحيا بالنّبات و الزروع الّتي فيها، فحياة الأرض و موتها مجازان. ٢ ـ قيل: أي يحي الله الأرض بالمطر، و يأتي بالرّبيع بعد وحشة الشّتآء، و إحيآء الأرض بعد موتها هو انتعاش الأرض و ابتهاجها بالنّبات في الرّبيع و الصّيف بعد خمودها في الخريف و الشّتآء.

٣ ـ قيل: أي ينبت النّبات من الأرض بالمطر بعد يبسها. ٤ ـ عن ابن عبّاس: أي و يحي الأرض بعد قحطها. ٥ ـ قيل: أي يحي أرض النّفس بنبات الهيئات الفاضلة و الملكات

الحسنة بعد موتها بالملكات الرّذيلة و الهيئات الخبيثة و بالعكس.

أقول: و على الأوّل جمهور المحقّقين و في معناه أكثر الأقوال الأُخر.

و في قوله عزّوجلّ: «و كذلك تخرجون» أقوال: ۱ ـ قيل: أي مثل ما يخرج النّبات من الأرض كذلك يخرجكم الله من قبوركم بإحيآء جديد بعد أن لم يكن كذلك، كذلك تخرجون إلى دار الدّنيا بعد أن لم تكونوا، و يعيدكم منها يوم القيامة بعد أن كنتم قد أعدمكم الله فيها، فيوم النّشور يحي الخلآئق بعد الموت، فلا يشقّ عليه ذلك كما لا يشقّ عليه هذا.

۲ ـ قيل: أي و يحييكم بالمطر الّذي يمطر من البحر المسجور كالمني فتحيون به.

۳ ـ قيل: أي كما أحيى الأرض بإخراج النّبات بعد همودها كذلك يحييكم بالبعث من بعد موتكم، فيخرجكم أحيآء من قبوركم إلى موقف الحساب.

أقول: و على الأوّل أكثر المفسّرين و في معناه الثّالث.

۲۰ ـ (و من آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون)

في الآية الكريمة أقوال: ۱ ـ عن مقاتل و قتادة: أي و من علامات الرّب أنّه واحد، و إن لم يروه، و عرفوا توحيده بصنعه: أن خلق أصلكم و أباكم آدم من تراب، و أنتم ولده، ثمّ إذا أنتم نسله و ذرّيّته من بعده بشر من دم و لحم، تنبسطون في أطراف الأرض، و تتقلّبون على ظهرها و تتفرّقون في أكنافها...

فخلق الله تعالى آدم من التّراب، ثمّ خلق من آدم ﴿عليه السلام﴾ ذرّيّته، فذكّرهم نسبتهم لئلاّ يُعْجَبوا بأحوالهم و طبآئعهم المختلفة... و يقال: الأصل تُربة، و لكنّ العبرة بـالتّربية لا بالتّربة. فهلاّ دلّكم ذلك على أنّه لا يقدر على ذلك غيره تعالى؟ و أنّه تعالى وحده هو الّذي يستحقّ التّسبيح و التحميد و العبادة دون غيره من جميع خلقه.

۲ ـ قيل: إنّ المراد بالخلق من تراب، هو إنتهاء خلقة الإنسان إلى الأرض، فإنّ مراتب تكوّن الإنسان من ماء مهين و نطفة أو من مضغة أو علقة أو غيرها مركّبات أرضيّة تنتهي إلى العناصر الأرضيّة... و معنى الآية الكريمة: و من الآيات الدّالّة على وحدانيّة الله جلّ و علا في ربوبيّته و الوهيّته، على جلاله و عظمته، على علمه و حكمته، و على تدبيره و

قدرته: أن خلقكم معاشر النّاس من تركيبات أرضيّة المترقّبة منها كينونة أرضيّة ميتة اخرى مثلها، لكن يفاجئكم دفعة: أنّكم تصيرون بشراً ذوي حياة و شعور عقليّ تنتشرون في الأرض في سبيل تدبير أمر الحياة.

فقوله تعالى: «ثمّ إذا أنتم تنتشرون» في معنى قوله: «ثمّ أنشأناه خلقاً آخر» المؤمنون: ١٤) و إنّ «ثمّ» للتّراخي الرّتبي أي بعد تلك الأطوار الّتي قصّها علينا في موضع آخر من كوننا نطفة، ثمّ مضغة، ثمّ عظماً مجرّداً، ثمّ عظماً مكسوّاً لحماً، فاجأ البشريّة بالإنتشار أي أنّكم إنّما تصيرون بشراً بعد أطوار كثيرة.

٣ـقيل: أي و من حججه الدّالّة على أنّه القادر على ما يشآء من إنشآء و إفنآء، و ايجاد و إعدام، و من إخراج الحيّ من الميّت، و إخراج الميّت من الحيّ، و من إحيآء الأرض بعد موتها، و من إخراج النّاس من قبورهم بعد موتهم: أن خلقكم من تراب بتغذيتكم إمّا بلحوم الحيوان و ألبانها و أسمانها، و إمّا من النّبات، و الحيوان غذاؤه النّبات، و النّبات من التّراب، فإنّ النّواة لاتصير شجرة إلاّ بالتّراب الّذي ينضمّ إليه أجزآء مائيّة تجعلها صالحاً للتّغذية، ثمّ بعد إخراجكم منه إذا أنتم بشر تنتشرون في الأرض، تتصرّفون فيها في أغراضكم المختلفة و أسفاركم البعيدة، تكدحون و تجدّون لتحصيل أرزاقكم من فيض ربّكم، و واسع نعمه عليكم.

٤ـقيل: أي و من آياته أن خلقكم معاشر النّاس كلّكم من تراب، و ذلك أنّ التّراب أبعد الأشيآء عن درجة الأحيآء لكثافته و برودته و يبسه، و الحياة بالحرارة و الرّطوبة، و لكدورته، و الرّوح نيّر، و لثقله و خفّة الأرواح و لسكونه، و الحيّ متحرّك حسّاس. و هذا لاينافي قوله عزّوجلّ: «خلق من المآء بشراً» الفرقان: ٥٤) لأنّه أراد الأصل الثّاني الّذي هو النّطفة، أو أراد أنّ أصل البشر في الظّاهر هو التّراب، و أمّا النّار فللانضاج، و الهوآء فللاستبقآء كالزّقّ المنفوخ يقوم بالهوآء. و «ثمّ» لتبعيد الرّتبة، و «إذا» للمفاجأة أي ثمّ فاجأتم وقت كونكم بشراً.

و فيه إشارة إلى مسئلة حِكميّة و هي أنّ الله تعالى يخلق أوّلاً إنساناً، فيتبعه أنّه حيوان تامّ، لا أنّه يخلق أوّلاً حيواناً ثمّ يجعله إنساناً، فخلق الأنواع هو المراد الأوّل، ثمّ تكون

الأنواع فيها الأجناس بتلك الإرادة الاولى.

و قوله سبحانه: «بشراً» يشير إلى القوّة المدركة الّتي بُشِّرَ بها البشر، و بها يمتاز عن غيره من أنواع الحيوان...

و قوله عزّوجلّ: «تنتشرون» يشير إلى القوّة المتحرّكة الّتي بها الحيوان حيوان، فكأنّه أشار إلى فصله و جنسه، و كان الاولى تقديم الجنس على الفصل إلاّ أنّه عكس التّرتيب لأنّه كأنّه قال: العجب غير مختصّ بالإنسان، بل الحيوان المنتشر من التّراب السّاكن عجيب أيضاً. و الإنتشار إمّا بمعنى التردّد في الحوآئج كقوله تعالى: «فانتشروا في الأرض و ابتغوا من فضل الله» الجمعة: ١٠) و إمّا بمعنى البثّ و التّفريق كقوله سبحانه: «و بثّ منهما رجالاً كثيراً و نسآءً» النّسآء: ١).

٥ـ قيل: أي و من آياته الباهرة الدّالّة على أنّكم تبعثون دلالة أوضح من دلالة ما سبق ـ حيث إنّ دلالة بدء خلق الإنسان على إعادته أظهر من دلالة إخراج الحيّ من الميّت، و إخراج الميّت من الحيّ، و من دلالة إحيآء الأرض بعد موتها عليها ـ: أن خلقكم: معاشر النّاس في ضمن خلق آدم«عليه السلام» حيث إنّ خلقه«عليه السلام» منطو على خلق ذرّيته انطواياً إجماليّاً ـ من تراب لم يشمّ رآئحة الحياة قطّ، و لا مناسبة بينه و بين ما أنتم عليه في ذاتكم و صفاتكم... ثمّ إذا أنتم بشر في الأرض تتصرّفون في أغراضكم و أسفاركم...

٦ـ قيل: أي و من آياته أن خلقكم من تراب في هذه الحال بتغذيتكم من النّبات، و النّبات يتغذى من التّراب و الهواء و المآء، و أكثر الموادّ المركّبة فيكم مخلوط مركّب من التّراب و الماء و عناصر اخرى، ثمّ فاجأكم وقت كونكم بشراً تنتشرون في أقطار الأرض...

٧ـ عن ابن عبّاس: أي و من علامات وحدانيّته و قدرته و نبوّة رسوله«صلى الله عليه وآله وسلم»: أن خلقكم من آدم، و آدم من تراب، و أنتم معاشر النّاس أولاده، ثمّ إذا أنتم تتمتّعون على وجه الأرض.

٨ـ قيل: أي و من آياته أن خلقكم من تراب كما خلق آدم«عليه السلام» منه حيث إنّ كلّ إنسان من عناصره التّرابيّة. ٩ ـ قيل: أي خلقكم معاشر النّاس من تراب حيث إنّكم

خُلِقتم من ماء منويّ لقوله تعالى: «ألم يك نطفة من منيّ يمنى» القيامة: ٣٧) و قوله سبحانه: «ألم نخلقكم من ماء مهين» المرسلات: ٢٠) و هذا الماء من الدّم، و الدّم من الغذآء، و الغذآء يرجع جملتها إلى النّبات، و النّبات من الأرض، فخلق النّاس كلّهم من تراب بإعتبار مبدإ الحياة و هو أصلها و أساسها.

أقول: و لكلٍّ وجهٌ مع تداخل بعضها في بعض بالمآل فتدبّر جيّداً و لاتغفل.

٢١ـ (و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّة و رحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون)

في قوله تعالى: «و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً» أقوال: ١ـ عن قتادة: أي خلقت حوّآء من ضلع آدم ﴿عليه السلام﴾. و المعنى: و من حجج الله تعالى و أدلّته على المبدإ و المعاد: أن خلق لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن إليها، إذ خلق حوّآء من ضلع من أضلاع آدم، فتخلّقت حوّآء من ضلع آدم، و سآئر النّاس من نطف الرّجال و النّسآء. فكأنّه قال: أن خلق لأجلكم من أنفسكم أزواجاً، فإنّ خلق أصل أزواجكم حوّآء من ضلع آدم ﴿عليه السلام﴾ متضمّن لخلقهنّ من أنفسكم. فـ«مِن» تبعيضيّة، و الأنفس بمعناها الحقيقيّ.

و قيل: النّفس ـ في الأصل ـ: الذّات، ثمّ يستعمل على وجه التّأكيد لقولهم: رأيت زيداً نفسه. و قد يعبّر بها عن الرّوح و غيرها.

٢ ـ عن أبي مسلم: أي خلق لكم من شكل أنفسكم و جنسها أزواجاً لا من جنس آخر. فـ«من» ابتدائيّة، و الأنفس مجاز عن الجنس. و انّ الشّكل إلى الشّكل أميل، و انّ الجنس إلى الجنس أسكن. و هذا ردّ المثل إلى المِثل، و رَبْطُ الشّكل بالشّكل، لما بين الإثنين من جنس واحد من الالف و السّكون، و ما بين خلق الجنسين المختلفين من التّنافر.

٣ـ عن الجبآئي و البلخي: أي خلق أزواجكم من نطفكم. و يدلّ على ذلك قوله تعالى: «هو الّذي خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها ليسكن إليها فلمّا تغشّاها حملت حملاً خفيفاً» الأعراف: ١٨٩) أنّه يريد بعض الخلق دون بعض. و الزّوجة: هي المرأة الّتي وقع عليها عقد النّكاح، و الزّوج: هو الرّجل الّذي وقع له عقد النكاح. و قد يقال للمرأة

أيضاً: زوج إذا لم يلبس للإشعار بأنّهما نظيران في عقد النّكاح عليهما. قال الله تعالى: «اسكن أنت و زوجك الجنّة» البقرة: ۳۵).

٤ـ قيل: أي و من علامات وحدانيّة الله تعالى و قدرته على البعث و الإعادة بعد موتكم: أن خلق لأجلكم أو لينفعكم ـ من جنسكم قرائن... و ذلك أنّ كلّ واحد من الرّجل و المرأة مجهّز بجهاز التّناسل تجهيزاً يتمّ فعله بمقارنة الآخر، و يتمّ بمجموعهما أمر التّوالد و التّناسل، فكلّ واحد منهما ناقص في نفسه، مفتقر إلى الآخر، و يحصل من المجموع واحد قام له أن يلد و ينسل و لهذا النّقص و الإفتقار يتحرّك الواحد منهما إلى الآخر حتّى إذا اتّصل به سكن إليه لأنّ كلّ ناقص مشتاق إلى كماله، و كلّ مفتقر مائل إلى ما يزيل فقره، و هذا هو الشّبق المودع في كلّ من هذين القرينين.

٥ـ قيل: أي أن خلق لكم من بعضكم بعضاً. ٦ـ عن ابن عبّاس: أي أن خلق لكم من أنفسكم آدميّاً مثلكم. ٧ـ قيل: أي أن خلق لكم من أنفسكم نسآء تسكنون إليها من نطف الرّجال، و من جنسكم، تبادلكم عطفاً بعطف. ٨ـ قيل: أي و من آياته الدّالّة على البعث و الحساب و الجزآء بعد الموت أن خلق لأجلكم من أنفسكم أزواجاً أي تولد الأزواج منكم بأنّ الذّكر و الانثى يولدان منكم. و قيل: أي منتزعاً من أحوال أنفسكم.

أقول: و على الثّاني جمهور المحقّقين و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

و في قوله سبحانه: «لتسكنوا إليها» أقوال: ١ـ قيل: أي لتميلوا إليها و تألفوا بها. يقال: سكن إليه: إذا مال إليه، فإنّ الجنسيّة علّة للضّمّ، و المجانسة من دواعي النّظام و التّعارف، كما أنّ المخالفة و الإختلاف من أسباب التّفرّق و التّنافر، فبين الإثنين من جنس واحد ألف و سكون، و ما بين الجنسين المختلفين تنافر و تفرّق. ٢ـ قيل: أي لتسكنوا إليها سكون أُنس و طمأنينة بأنّ الزّوجة من النّفس إذ هي من جنسها و من شكلها فهو أقرب إلى الألفة و الميل بالمودّة منها لو كانت من غير جنسها و شكلها، فجعل سكون البعض إلى البعض، و هذا في الأشباح و الصّور، و أمّا الأرواح فصحبتها للأشباح كَرْهٌ لا طَوْعٌ، و أمّا الأسرار فعتقة لا تساكن الأطلال، و لا تتدنّس بالأعلال.

٣ـ قيل: أي لتستقرّ قلوبكم عندها لأنّ الرّجل إذا طاف البلدان لا يستقرّ قلبه، فإذا

رجع إلى أهله، اطمأنّ و استقرّ. ٤ ـ قيل: أي لتوافقوها. ٥ ـ عن ابن عبّاس: أي ليسكن الرّجل إلى زوجته.

أقول: و لكلّ وجهٌ، مع أنّ المعاني متقاربة و المآل واحد فتدبّر.

و في قوله عزّوجلّ: «و جعل بينكم مودّة و رحمة» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس و مجاهد و الحسن و عكرمة: أي و جعل بينكم جماعاً و ولداً بواسطة الزّواج. فالمودّة كناية عن الجماع، و الرّحمة كناية عن الولد. و المعنى: و جعل بين الأزواج إمّا على تغليب الرّجال على النّسآء في الخطاب كأكثر الخطابات في القرآن الكريم، أو على حذف ظرف معطوف على الظّرف المذكور أي جعل بينكم و بينهنّ كما في قوله تعالى: «لانفرّق بين أحد من رسله» البقرة: ٢٨٥). أو بين أفراد الجنس أو بين الرّجال و النّسآء.

٢ـ قيل: المودّة: هي حالة حاجة نفسه إليها، و الرّحمة: هي حالة حاجة صاحبته إليه، و قد تفضى المودّة إلى مجرّد الرّحمة، و ذلك إذا خرجت عن محلّ الشّهوة بكبر أو مرض، أو خرج عن إمكان رعاية حقّها بكبر أو زمانة أو فقر. ٣ ـ قيل: أي جعل بينكم جميعاً رقّة التّعطّف إذكلّ واحد من الزّوجين يرقّ على الآخر رأفة العطف عليه بما جعله الله قلب كلّ واحد لصاحبه ليتمّ سروره. ٤ ـ قيل: المودّة كأنّها الحبّ الظّاهر أثره في مقام العمل، فنسبة المودّة إلى الحبّ كنسبة الخضوع الظّاهر أثره في مقام العمل إلى الخشوع الّذي هو نوع تأثّر نفسانيّ عن العظمة و الكبريآء... و أمّا الرّحمة فنوع تأثّر نفسانيّ عن مشاهدة حرمان المحروم عن الكمال، و حاجته إلى رفع نقيصته يدع الرّاحم إلى إنجآئه من الحرمان و رفع نقصه.

و من أجلى موارد المودّة و الرّحمة المجتمع المنزلي، فإنّ الزّوجين يتلازمان بالمودّة و الرّحمة و هما معاً و خاصّة الزّوجة يرحمان الصّغار من الأولاد لما يريان ضعفهم و عجزهم عن القيام بواجب العمل لرفع الحوآئج الحيويّة، فيقومان بواجب العمل في حفظهم و حراستهم و تغذيتهم و كسوتهم و ايوآئهم و تربيتهم... و لو لا هذه الرّحمة لانقطع النّسل و لم يعش النّوع قطّ. و نظير هذه المودّة و الرّحمة مشهود في المجتمع الكبير المدنيّ بين أفراد المجتمع، فالواحد منهم يأنس بغيره بالمودّة، و يرحم المساكين و العجزة و الضّعفآء الّذين

لايستطيعون القيام بواجبات الحياة...

٥ ـ قيل: أي جعل الله تعالى بينكم الرّجال و النّسآء، التوادّ بسبب الزّواج، فيحصل الإلف بين الزّوجين، و يكون الشّبق في حال القوّة مدعاة لميل كلّ منهما إلى الآخر، سوآء أكان ذلك وقت إرادة النّسل أم في غيره لتدوم الحياة المنزليّة على أتمّ نظام.

و لمّا كان الشّباب يتوارى تدريجاً، و الجمال يتبعه تحقيقاً كان كلّما ولى الشّباب توارى معه الجمال، فلا يزال الشّباب في إدبار، و الجمال في تغيّر حتّى تجيء الشّيخوخة، و قد نفذت القوّة في الرّجال، و الجمال في النّسآء، و استبدل الضّعف، و تجعد الوجه بهما، و لمّا كان ذلك قانوناً مسنوناً خلق الله تعالى منهما الذّرّيّة، و ذكوراً و اناثاً ليحصل بينهما التّفاهم و التّحابّ و المودّة للأمر الأشراف و هو التّربية و المحافظة على الذّرّيّة و حينئذ تظهر أنوار الرّحمة الّتي كانت متوارية ورآء ظلمة الشّبق و الشّهوة، فلاتزال الرّحمة تظهر، و الشّهوة تختفي حتّى تظهر شمس الحقيقة الواضحة و هي الرّحمة الخالصة بين الزّوجين بعد زوال ذلك الظّلام الحالك الّذي غشى عليهما.

و ذلك أنّ محبّة الزّوج لزوجته أوّلاً تكون لمجرّد الشّهوة ألاترى أنّهما يقتتلان إذا لم يصيباها و يتخاصمان و يفترقان، فإذا وجدها مريضة أو قبيحة، أورأته هو كذلك حصل النّفور بدل المودّة، فأمّا إذا كبرا لاسيّما إذا كان لهما ذرّيّة فإنّه يحبّها، و تحبّه، و لو كان بهما مرض، و قد تحقّق كلّ منهما أنّ صاحبه لا جمال فيه و لا قوّة، فهذا هو الحكمة في التّعبير بالرّحمة بعد المودّة. و المعنى: و من آيات الله تعالى أنّه خلق لكم أيّها الرّجال من أنفسكم نسآء، أنتم و هنّ سوآء في الإنسانيّة و في الطّباع العامّة و الغرآئز، كلّ بحسبه خلقهنّ الله سبحانه بهذا الوصف لتسكنوا إليهنّ فإنّ النّفس ميّالة إلى ما يوافقها و يلائمها، و يلتقي معها في الغرض العام، و هذا معنى قوله عزّوجلّ: «من أنفسكم» و الإنسان الّذي يجتمع مع المرأة في الحلال يدرك بوضوح معنى السّكنى إليها، و الميل لها و الهدؤ النّفسيّ عند ما يزورها، و من هنا سمّى المكان الّذي يلتقي فيه الرّجل بالمرأة سكناً و مسكناً لأنّ فيه تسكن النّفس و تهدأ و يطمئنّ الرّجل و يستريح من وعثاء الطّريق، و مشاقّ الحياة الكادحة.

٦ ـ قيل: المودّة: عطف قلوبهم بعضهم على بعض، و الرّحمة: الحبّ بين الزّوج و المرأة و

لم يكن بينهما قرابة، و يحبّ كلّ واحد منهما صاحبه. ٧ـ قيل: أي و جعل منكم مودّة للصّغير على الكبير، و رحمة للكبير على الصّغير. ٨ـ قيل: أي و جعل بينكم مودّة و رحمة أي الولدان. ٩ـ قيل: تواداً و تراحماً بعد أن لم يكن بينكم معرفة، و لا سبب يوجب التّحابّ و التّعاطف في القرابة و الرّحم. ١٠ـ عن ابن عبّاس: أي و جعل بين المرأة و زوجها محبّة للمرأة على زوجها، و رحمة للرّجل على زوجته فهما يتوادّان و يتراحمان، و ما شئ أحبّ إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما.

و قال: المودّة: حبّ الرّجل إمرأته، و الرّحمة: رحمته إيّاها أن يصيبها بسوء. و يقال: إنّ الرّجل أصله من الأرض، و فيه قوّة الأرض، و فيه الفرج الّذي منه بُدِىءَ خلقه، فيحتاج إلى سكن، و خُلِقت المرأة سكناً للرّجل. قال الله تعالى: «و من آياته أن خلقكم من تراب...» و قال: «و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها» فأوّل إرتفاع الرّجل بالمرأة سكونه إليها ممّا فيه من غليان القوّة، و ذلك أنّ الفرج إذا تحمل فيه هيج ماء الصّلب إليه، فإليها يسكن و بها يتخلّص من الهياج، و للرّجال خُلِقَ البُضع منهنّ قال الله تعالى: «و تذرون ما خلق لكم ربّكم من أزواجكم» فأعلم الله تعالى الرّجال أنّ ذلك الموضع خلق منهنّ للرّجال فعليها بذله في كلّ وقت يدعوها الزّوج، فإن منعته فهي ظالمة، و في حرج عظيم.

١١ـ عن السّدي: المودّة: المحبّة، و الرّحمة: الشّفقة. و المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزّواج قطعاً أي جعل بينكم بالزّواج الّذي شرعه لكم تواداً و تراحماً من غير أن يكون بينكم سابقة معرفة، و لا مرابطة مصحّحة للتّعاطف من قرابة أو رحم. ١٢ـ قيل: المودّة و الرّحمة من الله تعالى، و الفرك و هو بغض أحد الزّوجين الآخر من الشّيطان. ١٣ـ قيل: أي مودّة للشّابّة، و رحمة للعجوز. ١٤ـ قيل: هما اشتباك الرّحِم. ١٥ـ قيل: إنّ المراد بالمودّة و الرّحمة: التّعاون قلباً واحداً، و يداً واحدة على خير الاسرة لتحياحياة طيّبة صالحة لامشكلات فيها، و لامشاحنات، و على أيّة حال، فإنّ الحياة الزّوجيّة لاتكون هنيئة مرضيّة عند الزّوجين إلاّ إذا نظر كلّ منهما إلى الآخر على أنّه شئ يذكر.

أقول: و على الخامس أكثر المفسّرين و في معناه بعض الأقوال الاُخر فتأمّل جيّداً.

و في قوله جلّ و علا: «إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» أقوال: ١ ـ قيل: أي إنّ في صنع الله عزّوجلّ لدلالات واضحات على وحدانيّة الله تعالى و علمه و حكمته لقوم يتذكّرون في حجج الله و أدلّته، فيعلمون ما في ذلك من الحِكم، و أنّه الإله الّذي لا يعجزه شئ أراده، و لا يتعذّر عليه فعل شئ شآئه. ٢ ـ قيل: أي إنّ في خلق الإنسان من الوالدين آية، و جعل أحدهما ذكراً و الآخر انثى آية اخرى، و خروج الولد الضّعيف من الموضع الضّيّق آية ثالثة، و جعل المودّة و الرّحمة بين الزّوجين من دون صلة رحم بينهما آية رابعة و سكون أحدهما بالآخرة آية خامسة.

٣ـ قيل: أي إنّ في خلق الأزواج مشاكلة للرّجال لدلالات واضحات لقوم يتفكّرون في ذلك و يعتبرون به، و إنّ الفكر و الإعتبار و النّظر واحد، فالفكر في أنّ الأزواج لأيّ شئ خلقت؟ و مَن خلقها؟ و من أنعم عليها؟ و من جعلها على الأحوال الّتي يعظم السّرور بها؟ و كيف لا يقدر أحد من العباد على ذلك؟ و ذلك من أعظم الدّلالات على أنّ لها خالقاً مخالفاً لها، و منشأ حكيماً يستحقّ العبادة و لا يستحقّها غيره.

٤ـ قيل: أي إنّ فيما سلف من خلقكم من تراب، و خلق أزواجكم من أنفسكم، و إلقآء المودّة و الرّحمة في قلوبكم لعبرة لمن تفكّر و تأمّل في تضاعيف تلك الأفعال المبنيّة على الحِكم و المصالح... بأنّها لم تخلق عبثاً، و إنّما خلقت لأغراض شتّى تحتاج إلى الفكر و التأمّل حتّى يصل إلى معرفتها ذوو الذّكَنِ و العقل الرّاجح و القلب السّليم.

٥ـ عن ابن عبّاس: أي إنّ فيما خلق الله لعبراً لقوم يتفكّرون.

٦ـ قيل: أي إنّ فيما ذكر لعلامات لوحدانيّته لقوم يتفكّرون أنّي خالقهم. ٧ـ قيل: أي إنّ في الآيات التكوينيّة و التّدوينيّة، و الآفاقيّة و الأنفسيّة لعلامات و دلالات على المبدإ و المعاد، فإنّهم إذا تفكّروا في الاصول التّكوينيّة و التّشريعيّة... الّتي تبعث الإنسان إلى عقد المجتمع من الذّكورة و الأنوثة الدّاعيتين إلى الاجتماع المنزلي، و المودّة و الرّحمة الباعثتين على الإجتماع المدنيّ، ثمّ ما يترتّب على هذا الإجتماع من بقآء النّوع و استكمال الإنسان في حياته الدّنيا و الاخرى، عثروا من عجآئب الآيات الإلهيّة في تدبير أمر هذا النّوع على ما يبهر به عقولهم، و تدهش به أحلامهم...

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتدبّر جيّداً.

٢٢ـ(و من آياته خلق السّمٰوات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين)

في قوله تعالى: «و من آياته خلق السّموات و الأرض» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي و من دلائل وجوده تعالى و وحدانيّته، و آيات قدرته على البعث بعد الموت: خلقه تعالى السّموات المزدانة بالكواكب و النّجوم الثّوابت و السّيّارة المرتفعة السّموك، الواسعة الأرجآء، و خلق الأرض ذات الجبال الشّامخات و الوديان و البحار و الأنهار و القفار و الحيوان و أنحاء الأشجار و الأزهار... ٢ ـ قيل: أي و من آيات التّوحيد: خلق السّموات و الأرض، و أنتم تعلمون ذلك، لأنّهم مقرّون أنّ الله تعالى هو خالق الأشيآء كلّها... لقوله تعالى: «و لئن سئلتهم من خلق السّموات و الأرض ليقولنّ الله» لقمان: ٢٥) «ذلكم الله ربّكم لا إله إلاّ هو خالق كلّ شيئ» الأنعام: ١٠٢).

٣ ـ قيل: أي و من دلالات واضحات على وحدانيّة الله جلّ وعلا: خلق السّموات في علوّها، و الأرض في دنوّها، هذه بنجومها و كواكبها، و شمسها و قمرها، و جوّها و شهابها... و هذه بأقطارها و مناكبها، و مآءها و مَدَرها، و أنهارها و أشجارها، و نباتها و جمادها... ٤ ـ قيل: أي و من حججه و أدلّته أيضاً على أنّه لايعجزه شيئ، و أنّه إذا شآء أمات من كان حيّاً من خلقه، ثمّ إذا شآء أنشره و أعاده كما كان قبل إماتته إيّاه: خلقه السّموات بغير عمد ترونها، و خلق الأرض من غير شيئ أحدث ذلك منه، بل بقدرته الّتي لايمتنع معها عليه شيئ أراده: «أو ليس الّذي خلق السّموات و الأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى و هو الخلاّق العليم إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ٨١ـ٨٢).

٥ ـ قيل: أي و من آياته الدّالّة على توحيده، و وجوب إخلاص العبادة و التّسبيح و التّحميد له، و على قدرته على البعث و الإعادة بعد الموت لفصل القضآء: خلق السّموات و الأرض و ما فيهما من عجآئب خلقه و بدآئع صنعه من النّجوم و الكواكب و الشّمس و القمر و جريانها في مجاريها على غاية الاتّساق و الحكمة و النّظام الّذي يعجز كلّ أحد

عنها، و في الأرض من أنواع الحيوان و أقسام الأشجار و النّبات، و أصناف الجمادات الّتي ينتفع بها، و فنون النّعم الّتي يكثر الإنتفاع بها...

أقول: و المعاني متقاربة، و المآل واحد.

و في قوله سبحانه: «و اختلاف ألسنتكم» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي و في اختلاف النّاس و الأُمم في اللغات اختلافاً لا حدّ له من العربيّة و العجميّة، و من الفارسيّة و التركيّة، من الانجليزيّة و الاردويّة، من الرّوميّة و الفرنسيّة و من الصينيّة و غيرها ممّا لا حصر لها و لا يعلمها إلاّ خالق اللغات... بأنّ الله تعالى علّم كلّ صنف و قوم لغتهم أو ألهمهم وضعها و أقدرهم عليها.

٢ـ قيل: أي و في اختلاف النّاس و الأُمم في ألسنتهم من جهة الألحان و النّغم و نحو التكلّم و النطق و اللهجة، و الصّوت الّتي يميّز بها فرد من غيره، و قبيلة من غيرها، و قوم من غيرهم، فإذا تكلّم رجلان أو أكثر بلغة واحدة، فيعرف أحدهما من الآخر، حتّى أنّ من كان محجوباً عنهما و لا يبصرهما، فيقول: هذا صوت فلان، و هذا كلام آخر، و فيه حكمة بالغة، و ذلك أنّ الإنسان ـ فرديّاً أو جمعيّاً ـ في حاجة شديدة إلى ما يميّز به بين الأشخاص ليعرف صاحب الحقّ من غيره، و العدوّ من الصّديق... و ذلك قد يكون بالبصر، فخلق الله تعالى اختلاف الصّور، و قد يكون بالسّمع فخلق اختلاف الأصوات...

و قد أنشأ الله تعالى الألسنة مختلفة في الشّكل و الهيئة و التّركيب... فتختلف نغماتها و ألحانها و أصواتها حتّى أنّه لا يشتبه صوتان من نفسين هما توأمان، فلا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفيّة من كلّ وجه. فالمراد بإختلاف الألسنة: اختلاف وصفها و هو النّطق و اللحن و اللهجة و تقطيع الأصوات و ما إليها ممّا يمتاز به بعض الأصناف و الأشخاص عن بعض.

٣ـ قيل: أي و في اختلاف لغات أهل الأرض، و اختلاف تسبيحات الملائكة الّذين هم سكّان السّموات السّبع، و اختلاف لغات أهل الأرض من الجنّ و الإنس. و لا شئ من أنواع الحيوان تتفاوت لغاتها كتفاوت لغات الإنسان و غيره من الملائكة و الجنّ، فإن كانت اللغات توقيفيّة من قبل الله تعالى فهو الّذي فعلها و ابتدأها، و إن كانت مواضعة من

قبل العباد فهو جلّ وعلا الّذي يسّرها. ٤ ـ قيل: أي و في اختلاف الألسنة الّتي بناها الله تعالى، و هيئاتها مختلفة في الشّكل و الهيئة، و تأتي الحروف بها، فالمراد بإختلافها اختلاف مخارجها الّتي لايمكن الكلام إلاّ بكونها كذلك.

٥ـ قيل: أي و في اختلاف لغاتكم و أجناس نطقكم و أشكاله، لا اختلاف جرمها، فإنّ التّباين بين أجرامها ليس إلى حدّ يعدّ آية.

أقول: و على الأوّل أكثر المفسّرين، و في معناه بعض الأقوال الأُخر، و لكنّ التّعميم غير بعيد، فتأمّل جيّداً و اغتنم جدّاً.

و **في قوله عزّوجلّ:** «و ألوانكم» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي و في اختلاف النّاس و الأُمم في ألوانهم في الصّور من الحمرة و البياض، و الصّفرة و السّواد، و السّمرة و الشّقرة و غيرها فلايشبه أحد أحداً مع التشاكل في أصل الخلقة، و ما ذلك إلاّ للتّراكيب البديعة و اللطآئف العجيبة الدّالّة على كمال قدرة الله تعالى و غاية حكمته حتّى لايشتبه إثنان من النّاس و لايلتبسان مع كثرتهم... ٢ ـ قيل: أي و في اختلاف كلّ فرد من أفراد النّاس بحسب اللون لو دقّق فيه النّظر، و في اختلاف الأفراد في الملامح و الأصوات، و صمة الأصابع... فليس المراد من اختلاف الألوان، اختلافاً بين الألوان المختلفة كالبياض و السّواد مثلاً، بل المراد أنّ في لون واحد، فيه أيضاً إختلافاً كما ترى أنّ النّوع الأبيض من الإنسان يتّفقون جميعاً في البياض، ولكن يستحيل أن يكون بياض زيد كبياض عمرو، بل لكلّ واحد منهما في لونه هيئة تخالف لون الآخر، و هذا هو الآية الإلهيّة.

٣ـ قيل: أي و في اختلاف أنواعكم و أشكالكم اختلافاً به أمكن التّمييز بين الأشخاص في الأصوات و الألوان، و هذا ممّا لا غنى عنه في منازع الحياة و مختلف أغراضها، فكثيراً ما تميّز الأشخاص بالأصوات، و بذا يعرف الصّديق من العدوّ، فيتّخذ ما يلزم من العُدّة لكلّ منهما كما يميّز بلغاتها، فيعرف من أيّ الأجناس هي؟ ٤ـ قيل: إنّ المراد بالألوان: الضّروب و الأنواع... كما يقال: ألوان الحديث، و ألوان الطّعام... و المعنى: و في اختلافكم في تصوير الأعضآء و هيئاتها و ألوانها و حلاها بحيث وقع التّمايز بين

الأشخاص حتیٰ أن التوأمين مع توافق موادّهما و أسبابهما و الأُمور الملاقية لهما في التّخليق يختلفان في شيءٍ من ذلك لامحالة، و إن كانا في غاية التّشابه. ٥ ـ قيل: أي و في اختلاف صوركم و تخطيطها و اختلاف ألوانكم و تنويعها.

أقول: و على الأوّل أكثر المفسّرين، و في معناه بعض الأقوال الأُخر، و لكنّ التّعميم غير بعيد كالسّابق فتدبّر.

و في قوله عزّوجلّ: «إنّ في ذلك لآيات للعالمين» أقوال: ١ ـ قيل: أي إنّ في خلق السّموات و الأرض و اختلاف الألسن و الألوان لعلامات واضحات للعلمآء الخبرآء في علوم الطّبيعة، فإنّهم يعتبرون بالبحث و التّفكّر في نظام الخلقة على آيات دقيقة دالّة على أنّ الصّنع و الإيجاد مع النّظام الجاري فيه لايقوم إلاّ بالله جلّ وعلا، و لاينتهي إلاّ إليه، و إنّهم المنتفعون بها دون غيرهم، فكأنّها خلقت لهم دون غيرهم كما قال الله تعالى: «هدىً للمتّقين» البقرة: ١) و إن كان الكتاب المجيد هدى لجميع المكلّفين.

هذا بنآء على قراء كسر اللام في «للعالمين». ٢ـ عن ابن عبّاس: أي إنّ فيما ذكر من اختلاف الألسنة و الألوان لعلامات للجنّ و الإنس. و هذا بنآء على قراءة فتح اللام. ٣ـ قيل: أي إنّ في ما سبق لدلالات على التّوحيد لجميع النّاس من البرّ و الفاجر، و المؤمن و الكافر... ٤ـ قيل: أي إنّ في ذلك لأدلّة واضحة للمكلّفين.

٥ـ قيل: أي إنّ في اختصاص كلّ شيءٍ من أهل السّموات و الأرض بحكم، شاهد عدل، و دليل صدق على أنّها تناجي أفكار المتيقّظين، و تنادي على أنفسها... أنّها جميعها من تقدير العزيز العليم. ٦ـ قيل: أي إنّ فيما ذكر لدلآئل لائحة لاولي العلم الّذين يفكّرون فيما خلق الله تعالى، فيعلمون أنّه لم يخلق الخلق عبثاً، بل خلقه لحكمة بالغة فيها عبرة لمن اعتبر، و تذكر لمن تذكّر. ٧ـ قيل: أي إنّ في خلق جميع ذلك لدلالات واضحات لجميع خلقه الّذين خلقهم و أكمل عقولهم.

أقول: و على الأوّل جمهور المحقّقين، من دون تنافٍ بينه و بين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٢٣ـ(و من آياته منامكم باللّيل و النّهار و ابتغاؤكم من فضله إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي و من آيات الله الدّالّة على المبدإ و المعاد: منامكم في الزّمانين لإستراحة البدن و طلب معاشكم و رزقكم فيهما. و إنّ النّوم و المنام واحد. و المراد من ابتغاء الفضل: طلب الرّزق. و الفضل: الزّيادة على مقدار الحاجة، و يطلق على العطيّة لأنّ المعطي إنّما يعطي ما فضل من مقدار حاجته. و إنّ النّوم باللّيل، و طلب الرّزق بالنّهار أمران معتادان، و أمّا النّوم نهاراً فكنوم القيلولة، و أمّا الكسب ليلاً فكما يقع من بعض المكتسبين، و أقلّ الحرف من السّعى، و العمل ليلاً لاسيّما في اللّيالي الطّويلة، و عدم وفاء نهارهم بأغراضهم، و من ذلك حراسة الحوانيت بالأجرة، و كذا قطع البراري في الأسفار ليلاً للتّجارة و كالّذين يعيشون في قطبي الشّمال و الجنوب و غيرهم...

٢ ـ قيل: أي و من حجج الله تعالى على توحيده: منامكم باللّيل، و ابتغاؤكم فضل الله و رزقه بالنّهار، فلفّ و نشر، و ضمّ بين الزّمانين، و الفعلين بعاطفين إشعاراً بأنّ كلاً من الزّمانين و إن اختصّ بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة. ٣ ـ قيل: أي و من علامات قدرته تعالى على البعث بعد موتكم: نومكم ليلاً و استقراركم فيه، حتّى لاتكون حركة و لاحسّ، و سعيكم للأرزاق نهاراً بمزاولة أسباب المعاش و وسآئله... فقدر الله تعالى اللّيل للنّوم للسّكون و الإستراحة، و قدر النّهار للكدّ في سبيل الرّزق، و قضاء المصالح و الحوآئج المختلفة... إنّ في فعل الله تعالى ذلك لعبراً و أدلّة لمن يسمعون مواعظه، فيتّعظون بها، و يفهمون حججه عليهم على أنّ صانع ذلك لايعجزه بعث النّاس و إعادتهم بعد موتهم.

٤ ـ قيل: أي و من آياته الدّالّة على توحيده و إخلاص العبادة له: نومكم باللّيل و النّهار لأنّ في النّوم راحة للأجساد من الكدّ الّذي يلحقها، و التّعب الّذي يصيبها، و طلبكم المعاش و ما ينفعكم ممّا يتفضّل الله به عليكم، إنّ في ذلك لعلامات على وحدانيّة الله تعالى و إخلاص العبادة له، لقوم يسمعون المواعظ و يعتبرون بها. ٥ ـ عن البلخي: إنّ المراد بالإبتغاء: المبتغا، فلذلك كان دلالة عليه دون فعل العباد، و إنّما يكون فعل الله دلالة عليه

لما كان بإقداره و إهدآئه إلى مراشده، و ترغيبه فيه و تسهيله له، إنّ في خلق الله تعالى لدلالات واضحات على توحيده لقوم يسمعون ذلك سماع تفهّم و اعتبار و استبصار، و يفكرون فيه، و يقبلونه لأنّ من لايفكر فيه و لاينتفع به كانّه لم يسمعه.

و قيل: جيىء بقوله: «لقوم يسمعون» لأنّ أكثر النّاس منسدحون باللّيل كالأموات، و متردّدون بالنّهار كالبهآئم لايدرون فيم هم؟ و لِمَ ذلك؟ لكن من ألقى السّمع و هو شهيد يتنبّه لوعظ الله تعالى، و لايصغى إليه لأنّ مرّ الليالي و كرّ الدّهور يناديان بلسان الحال: الرّحيل، الرّحيل من دار الغرور إلى دار القرار كما قال الله سبحانه: «وهو الّذي جعل اللّيل و النّهار خلفة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكوراً» الفرقان: ٦٢).

و قيل: إنّ من الأشيآء ما يحتاج في معرفته إلى موقف يوقف عليه، و مرشد يرشد إليه، فيفهم إذا سمع من ذلك المرشد، و لمّا كان المنام و الإبتغآء قد يقع لكثير أنّهما من أفعال العباد، فيحتاج معرفة أنّهما من آياته تعالى إلى مرشد يعين الفكر، قيل: «لقوم يسمعون» فكأنّه قيل: «لقوم يسمعون» و يجعلون بالهم إلى كلام المرشد الّذي يعين الفكر في آن الليل و النّهار من آيات الله الدّالّة على وحدانيّته و قدرته على الإعادة بعد الموت.

٥ ـ عن ابن عبّاس: أي و من علامات وحدانيّته و قدرته بيتوتتكم باللّيل لإستراحة القوى النّفسانيّة و تقوى القوى الطّبيعيّة، و ابتغآؤكم من رزقه بالنّهار، و إنّ فيما ذكرت من اللّيل و النّهار لعلامات و عبراً لقوم يسمعون آياته و يطيعونه. و قيل: أي يسمعون الحقّ فيتّبعونه. و قيل: أي يسمعون الوعظ فيخافونه. و قيل: أي يسمعون القرآن، فيصدّقونه. و قيل: أي شأنهم أن يسمعوا الكلام سماع تدبّر و تعقّل، و فيه إشارة إلى ظهور الأمر بحيث يكفي فيه مجرّد السّماع لمن له فهم و بصيرة، و لا يحتاج إلى مشاهدة و إن كان مشاهداً.

٦ ـ قال الزّمخشري: هذا من باب اللفّ، و ترتيبه: و من آياته منامكم و ابتغآؤكم من فضله باللّيل و النّهار، إلاّ أنّه فصّل بين القرينتين الاولين بالقرينتين الاخريين لأنّهما زمانان، و الزّمان و الواقع فيه كشيئ واحد مع إعانة اللفّ على الاتّحاد. و هذا موافق لقوله تعالى: «و جعلنا اللّيل لباساً و جعلنا النّهار معاشاً» النبأ: ١٠ ـ ١١).

٧ ـ قيل: أي و في خلق الإنسان ذا قوى فعّالة تبعثه إلى طلب الرّزق و رفع حوآئج

الحياة للبقاء بالحركة و السّعى، ثمّ هدايته إلى الإستراحة و السّكون لرفع متاعب السّعي و تجديد تجهيز القوى و تخصيص اللّيل و النّهار المتعاقبين للسّعي و السّكون و التّسبيب إلى وجود اللّيل و النّهار بأوضاع سماويّة قائمة بالأرض و الشّمس لآيات نافعة لمن له سمع واع يعقل ما يسمع، فإذا وجده حقّاً اتّبعه. ٨ ـ قيل: أي و من آياته منامكم ليلاً و نهاراً لأنّ الإنسان قد ينام فى النّهار للرّاحة، و ابتغاؤكم من فضله تعالى أيضاً ليلاً و نهاراً لانّ الانسان قد يسعى لرزقه في اللّيل.

٩ ـ قيل: أي و من دلآئل التّوحيد: النّوم الّذي جعله الله راحة لأبدانكم ليلاً، و قد تنامون نهاراً فإذا انتبهتم انتشرتم لطلب رزق الله تعالى، إنّ في ذلك لدلالات واضحات على التّوحيد لقوم يسمعون ذلك سماع تدبّر، و يتفكّرون فيه فيؤمنون بالمبدإ و المعاد و الحساب و الجزآء يوم القيامة، فمن لايسمع ذلك سماع تدبّر و لايتفكّر فيه فكأنّه لم يسمعه أبداً. ١٠ ـ قيل: أي و من حججه سبحانه عليكم أيها النّاس تقديره تعالى السّاعات و الأوقات، و مخالفة بين اللّيل و النّهار، فجعل لكم اللّيل سكناً تسكنون فيه، و تنامون فيه، و جعل النّهار مضيئاً لتصرّفكم في معاشكم و طلبكم فيه من رزق ربّكم، إنّ في ذلك لعلامات واضحات على وحدانيّة الله و جلاله و عظمته، و علمه و حكمته، و على تدبيره و حكمته لمن يسمعون حجج الله تعالى سماع تفهّم و استبصار فيؤمنون بالله عزّوجلّ و رسوله «صلى الله عليه وآله» و بما جآءهم به من عند الله جلّ وعلا و باليوم الآخر.

أقول: و لكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها فتدبّر جيّداً.

٢٤ـ (و من آياته يريكم البرق خوفاً و طمعاً و ينزّل من السّمآء مآءً فيحيي به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن قتادة و الضّحّاك: أي و من آيات الله على التّوحيد و البعث: أن يريكم البرق خوفاً للمسافر من الصّواعق إذا كنتم بأرض قفر، و طمعاً في المطر للمقيم، و ينزّل من السّمآء مطراً، فيحيي بالمطر الأرض بالنّبات بعد موت الأرض إنّ في ذلك لعلامات لقوم يعقلون عن الله تعالى فيوحّدونه. و ذلك أنّهم يستعملون عقولهم في

استنباط أسبابها و كيفيّة تكوّنها ليظهر لهم كمال قدرة الصّانع و علمه و حكمته و تدبيره.

٢ ـ قيل: أي و من آياته الدّالّة على عظيم قدرة الله تعالى: أنّه هو الّذي يرسل البرق، فيخيف به النّاس من جهة، و يؤملهم برحمته من جهة اخرى، حيث ينزل المآء على أثره من السّمآء فيحيى به الأرض بعد جفافها، إنّ في ذلك لآيات لأهل التعقّل، فإنّهم يفهمون أنّ هناك عناية متعلّقة بهذه المصالح، فليس مجرّد اتّفاق و صدفة.

٣ ـ قيل: و من دلالاته على البعث بعد الموت: أنّه تعالى يريكم البرق، فتخافون ممّا فيه من الصّواعق أو من الأخلاف، و تطمعون فيما يجلبه من المطر الّذي ينزل من السّمآء، فيحيى الأرض الميتة الّتي لا زرع فيها و لاشجر و لانبات، إنّ فيما ذكر لبرهاناً قاطعاً و دليلاً واضحاً على البعث بعد الموت، فإنّ أرضاً هامدة لانبات فيها و لا شجر يجيئها المآء، فتهتزّ و تربو و تنبت من كلّ زوج بهيج لهي المثال الواضح، و الدّليل القاطع على قدرة من أحياها على إحيآء الإنسان بعد موته حين يقوم النّاس لربّ العالمين.

٤ ـ قيل: إنّ البرق نار تحدث في السّحاب، بيّن تعالى أنّه إنّما يخلقه ليخافوا من عذابه بالنّار على معصيته و الكفر به، و يطمعوا في أن يتعقّب ذلك مطر، فينتفعون به، و ينزل من السّمآء غيثاً و مطراً، فيحي به الأرض بعد انقطاع المآء عنها وجدوبها و يبسها و دروسها.

٥ ـ قيل: أي خوفاً من المطر في السّفر، و طمعاً فيه في الحضر، إنّ في خلق الله ذلك دلالات واضحة لقوم يفكرون فيه، لأنّ من لا يفكر فيه و لا ينتفع به و إن كان عاقلاً فكأنّه لا عقل له.

٦ ـ قيل: أي خوف سكّان الصّحاري من الصّواعق، و طمعاً للحاضرين من المطر.

٧ ـ عن قتاده أيضاً: و من دلالاته أن يريكم النّار تنقدح من السّحاب، يخافه المسافر، و يطمع فيه المقيم. ٨ ـ عن أبي مسلم: أي خوفاً من أن يخلف و لايمطر، و طمعاً في المطر، و ينزل من السّمآء غيثاً و مطراً، فيحي بذلك المآء الأرض بعد انقطاع الماء عنها وجدوبها، إنّ في ذلك لآيات للعقلآء المكلّفين. ٩ ـ عن يحيى بن سلام: أي خوفاً من البرد أن يهلك الزّرع، و طمعاً في المطر أن يحي الزّرع. ١٠ ـ عن ابن بحر: أي خوفاً أن يكون البرق برقاً خُلَّباً لا يمطر. البرق الخُلَّب: الّذي لا غيث فيه كأنّه خادع، و طمعاً أن يكون ممطراً.

١١ ـ عن ابن عبّاس: أي و من علامات وحدانيّة الله و قدرته: يريكم البرق من السّمآء خوفاً للمسافر من المطر أن يبلّ ثيابه، و طمعاً للمقيم في المطر أن يسق حروثه، و ينزّل من السّمآء مطراً فيحي بالمطر الأرض بعد قحطها و يبوستها، إنّ فيما ذكرت من المطر لعلامات و عبراً لقوم يصدقون أنّه من الله.

أقول: و على العاشر أكثر المفسّرين، من دون تنافٍ بينه و بين بعض الأقوال الأخر فتأمّل جيّداً.

٢٥ـ (و من آياته أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره ثمّ إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن قتادة: أي و من آيات التّوحيد: أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره أي قامتا بأمره بغير عمد، ثمّ إذا دعاكم من السّمآء، فتخرجون من الأرض.

٢ ـ قيل: قيام السّمآء و الأرض بأمرالله هو حفظ نظامها و إمساكها بغير عمد بأمره أي بقوله تعالى: «كونا قائمين» أو قوما على هذا النّظام الّذي أوجدهما الله تعالى عليه، و أمر الله تعالى هو سلطانه و قدرته، ثمّ إذا دعاكم هذا الأمر الّذي قام به السّموات و الأرض من القبور بعد موتكم دعوة واحدة، فإذا أنتم قيام تنظرون، فالبعث بعد الموت نظام قائم في هذا الوجود أشبه بنظام دوران الكواكب في أفلاكها، و اللّيل و النّهار في فلكها.

٣ ـ قيل: إنّ قيامها بإقامته لها و إرادته لقيامها دون الزّوال، ثمّ خروجكم من القبور بغتة إذا دعاكم من الأرض دعوة واحدة بلاتوقّف. ٤ ـ قيل: أي و من آياته الدّالّة على البعث بعد الموت أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره بغير دعامة تدعمها و لا علاقة تعلّق بها، بل لأنّ الله تعالى يسكنها حالاً بعد حال لأعظم دلالة على أنّه لايقدر عليه سواه، ثمّ إذا أخرجكم من الأرض من قبوركم بعد أن كنتم أمواتاً يبعثكم ليوم الحساب، فعبّر عن ذلك بما هو بمنزلة الدّعاء، و بمنزلة «كن فيكون» في سرعة تأتي ذلك، و امتناع التعذّر عليه، و إنّما ذكر هذه المقدورات على اختلافها، و عظم شأنها ليدلّ على أنّه القادر الّذي لايعجزه شئ.

۵ ـ قيل: أي و من الدّلآئل الواضحة على قدرته تعالى على ما يشآء قيام السّمآء و الأرض، فتثبتا بلاعمد بإقامته و تدبيره و حكمته، و إنّ تلك العوالم ليست في مكان واحد، بل هي تجري في الفضآء، فالأرض تجري، و السّحاب يجرى حولها، و الهوآء تبع لها، و هي القمر و السّيّارات يجرين حول الشّمس، و الشّمس و لواحقها تجرى حول كواكب أُخرى، و هكذا... و بالجملة أنّ إمساك تلك العوالم و إقامتها و تدبيرها و إحكامها من الآيات الّتي تدلّ على إله واحد، يدبّرها، و لا يزال الأمر هكذا حتّى ينتهي أجل الدّنيا، و يختلّ نظام العالَم، فتبدّل الأرض غير الأرض، و تدكّ الجبال دكّاً و حينئذ تخرجون من قبوركم سراعاً حينما يدعوكم الداعي دعوة، فيقول: أيّها الموتى اخرجوا من قبوركم أينما تكونوا. لقوله تعالى: «أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إنّ الله على كلّ شئ قدير» البقرة: ۱۴۸).

۶ ـ قيل: إنّ المراد بقيام السّمآء و الأرض بأمر من الله تعالى ثبوتها على وضعها الطّبيعيّ، و حالها العادية ملائمتين لحياة النّوع الإنسانيّ المرتبطة بهما من حركة و سكون و تغيّر و ثبات بأمره تعالى، و قد عرّف أمره بقوله تعالى: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ۸۳). فنظام الكون و نواميسه في السّموات و الأرض يقوم بأمره على أتمّ وجه و أحكمه حتّى إذا حان الوقت الّذي في علمه دعى النّاس إليه فلبّوا الدّعوة و خرجوا من باطن الأرض.

۷ـ قيل: أي و من آياته الدالّة على البعث: أن تقوم السّمآء فوق رؤسكم بغير عمد لا يناله شئ و تقوم الأرض على المآء تحت أقدامكم بقدرته، ثمّ إذا دعاكم على صخرة بيت المقدس في الصّور دعوة واحدة من الأرض: يا أهل القبور أخرجوا من قبوركم فإذا أنتم تخرجون. ۸ ـ عن ابن عبّاس: أي و من علامات وحدانيّته و قدرته أن تكون السّمآء و الأرض بإذنه، ثمّ إذا دعاكم الله تعالى يوم القيامة على لسان إسرافيل دعوة من القبور إذا أنتم تخرجون من القبور. و ذلك بأن ينفخ إسرافيل في الصّور بعد ما يصور الصّور في القبور، فيخرج الخلآئق كلّهم من قبورهم إذا أنتم تخرجون من الأرض أحيآء... فخروجهم منها بدعوة من آياته تعالى.

و قيل: إنّه تعالى جعل النّفخة دعاءً لأنّ إسرافيل يقول: أجيبوا داعي الله فيدعو بأمر

الله عزّوجلّ. و قيل: أي أخرجكم من قبوركم بعد أن كنتم أمواتاً فيها، فعبّر عن ذلك بالدّعآء إذ هو بمنزلة الدّعآء، و بمنزلة «كن فيكون» في سرعة تأتي ذلك و امتناع التّعذّر.

٩ ـ قيل: بأمره أي بفعله و إمساكه إلاّ أنّ أفعال الله تعالى تضاف إليه بلفظ الأمر لأنّه أبلغ في الإقتدار. ١٠ ـ قيل: إنّ المراد بأمره هنا قوانين الطّبيعة و نواميسها لأنّه هو الّذي طبّعها و قنّنها كقوله تعالى: «ممّا عملت أيدينا أنعاماً» يس: ٧١) حيث أطلق أيديه تعالى على الأسباب الطّبيعيّة الّتي تنتهي إليه. ١١ ـ قيل: أي و من آياته قيام السّمآء و الأرض على هيئتها بأمره تعالى إلى أجل مسمّى قدره الله عزّوجلّ لقيامها، ثمّ إذا دعاكم بعد انقضآء الأجل في الأرض و أنتم في قبوركم دعوة واحدة بأن قال سبحانه: أيها الموتى أخرجوا، فجاءتم الخروج منها.

١٢ ـ قيل: أي قيامها و استمساكها بقدرته بغير عمد، و التّعبير عن القدرة بالأمر للدّلالة على كمال القدرة و الغنى عن المبادي و الأسباب، و ليس المراد بإقامتها إنشائها لأنّه قد بيّن حاله بقوله تعالى: «و من آياته خلق السّموات و الأرض» و لا إقامتها بغير مقيم محسوس كما قيل، فإنّ ذلك من تتمّات إنشآئها، و إن لم يصرّح به تعويلاً على ما ذكر في موضع آخر من قوله سبحانه: «خلق السّموات و الأرض بغير عمد ترونها» لقمان: ١٠) بل قيامها و ثباتها على ما هما عليه إلى أجلها الّذي أشير إليه بقوله تعالى فيما قبل: «ما خلق السّموات و الأرض و ما بينهما إلاّ بالحقّ و أجل مسمّى». قيل: بأمره أي بتدبيره و حكمته أي يمسكها بغير عمد لمنافع الخلق. و قيل: أي بإذنه. و قيل: أي أمره دائم لا يتغيّر لكمال قيموميّته و جلال قدسه و وفور فيضه وسعة جوده و سبق رحمته.

أقول: و على الخامس جمهور المفسّرين، و في معناه أكثر الأقوال الأخر فتدبّر جيّداً.

٢٦ـ(و له من في السّموٰات و الأرض كلّ له قانتون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: و لله تعالى خاصّة مَن في السّموات من الملائكة و مَن لانعلمهم، و في الأرض من الملك و الجنّ و الإنس و غيرهم من أنواع الحيوان و أصناف النّبات، و أقسام الجماد... كلّ له مطيعون خاضعون تكويناً، و يعترفون بلسان الحال أو

المقال بأنّ الله تعالى وحده خالقهم و ربّهم و رازقهم... حتى الكفّار و المشركين و الملحدين عند انقطاع رجائهم عمّا سواه و عند خطر الموت. ٢ ـ قيل: اريد به الخصوص، فالمعنى: كلّ مؤمن له قانت من الملك و الجنّ و الإنس، سوآء أكان في السّمآء أو في الأرض، فيطيعون أمره تعالى دون غيرهم. ٣ ـ عن ابن عبّاس: أي مطيعون لله تعالى في الحياة و النّشور، و الموت، و هم عاصون له فيما سوى ذلك من العبادة. فالمعنى: و لله تعالى وحده كلّ من في السّموات والأرض من ملك و جنّ وإنس، عبيد و ملك له، مطيعون له في الحياة و البقآء، و الفنآء و البعث، و النّشور لايمتنع عليه شيئ من ذلك و إن عصاه بعضهم في غير ذلك من العبادات و الأفعال الاختياريّة.

٤ ـ عن عكرمة و أبي مالك و السّدي: أي و له من في السّموات و الأرض من الخلق جميعاً كلّ له مقرّون بالعبوديّة إمّا قالة، و إما دلالة، فيعلمون أنّ الله تعالى ربّهم. ٥ ـ قيل: أي كلّ له خاضعون لايقدرون أن يغيّروا أنفسهم عمّا خلقهم، فكلّ من في السّموات و الأرض، و الحالة هذه خاضع له. ٦ ـ قيل: أي في كلّ شيئ دليل على ربوبيّته و اُلوهيّته، و هذا أيضاً من آياته، و لكنّه لم يذكر لأنّه قد سبق ذكره مرّات، فكأنّه يقول: و من آياته أنّ له وحده من في السّموات و الأرض كلّ له منقادون لأفعاله تعالى فيهم لايمتنعون عليه سبحانه.

و فيه إشارة إلى إحاطة ملكه الحقيقيّ لجميع من في السّموات و الأرض و هم المحشورون إليه، و ذلك لأنّ وجودهم من جميع الجهات قائم به تعالى قيام فقر و حاجة لا إستقلال و لا إستغناء لهم عنهم بوجه من الوجوه، و هذا هو الملك الحقيقيّ الّذي أثره جواز تصرّف المالك في ملكه كيف يشآء فله تعالى أن يتصرّف في مملوكيه بنقلهم من النّشأة الدّنيا إلى النّشأة الآخرة.

و قوله تعالى: «كلّ له قانتون» تأكيد لما قبله، و إنّ القنوت هو لزوم الطّاعة التكوينيّة مع الخضوع دون الطّاعة التشريعيّة الّتي ربّما تخلّفت، و ذلك أنّهم الملائكة و الجنّ و الإنس، فأمّا الملائكة فليس عندهم إلاّ خضوع الطّاعة، و أمّا الجنّ و الإنس فهم مطيعون منقادون للعلل و الأسباب الكونيّة، و كلّما احتالوا في إلغاء أثر علّة من العلل أو سبب من الأسباب

الكونيّة توسّلوا إلى علّة اخرى، و سبب آخر كونيّ، ثمّ علمهم و إرادتهم كاختيارهم جميعاً من الأسباب الكونيّة، فلايكون إلاّ ما شآء الله أي الّذي تمّت علله في الخارج و لايتحقّق ممّا شآؤا إلاّ ما أذن فيه و شآءه فهو المالك و لما يملكونه.

٧ـ قيل: أي إنّ من في السّموات و الأرض من خلق الله مطيع له فيما أراد به من حياة أو موت، من سعادة أو شقآء، من حركة أو سكون و ما إليها، و إن عصاه بقوله أو فعله فيما يكسبه باختياره و يؤثره على غيره. ٨ ـ قيل: أي إنّ له من في السّموات و الأرض من العقلآء فإنّه يملكهم و يملك التّصرّف فيهم، و ليس لأحد منعه منه، و الإعتراض، و خصّ العقلآء بذلك لأنّ ما عداهم في حكم التّبع. ٩ ـ عن مجاهد أي إنّ جميع من في السّموات و الأرض له مطيعون طاعة انقياد. ١٠ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي مصلّون. ١١ ـ عن الحسن: أي كلّ له قائم بشهادة. أي هم قائمون له تعالى بالشهادة على وحدانيّته جلّ وعلا. و قال الإمام عليّ «عليه السلام»:

و في كلّ شئ له آية تدلّ على أنّه واحد

١٢ ـ قيل: القانت: الدّآئم على أمر واحد، فالملائكة و غيرهم من المؤمنين دائمون على أمر واحد في الذّلّة لله تعالى في لزوم الطّاعة له سبحانه، و الكافرون و غيرهم من الفسّاق و المنافقين دآئمون على أمر واحد في الذّلّة لله تعالى إلاّ أنّ منهم من هو بخلقته، و فعله، و منهم من هو بخلقته دون فعله. ١٣ ـ عن النّحاس: أي مطيعون لله طاعة انقياد لوجود أفعاله فيهم. ١٤ ـ عن الرّبيع بن أنس: أي قائم يوم القيامة للحساب كما قال تعالى: «يوم يقوم النّاس لربّ العالمين». ١٥ ـ عن سعيد بن جبير: أي مخلصون.

١٦ ـ قيل: أي كلّ له مطيعون تكويناً، و إن كان أكثرهم عاصين له تشريعاً. ١٧ ـ قيل: أي و لله تعالى خاصّة كلّ من في السّموات و الأرض من الملائكة و الثّقلين خلقاً و ملكاً و تصرّفاً ليس لغيره تعالى شركة في ذلك بوجه من الوجوه، كلّ له جلّ وعلا لا لغيره منقادون لفعله لايمتنعون عليه سبحانه في شأن من الشّئون، و إن لم ينقد بعضهم لأمره تعالى، فالمراد طاعة الإرادة لا طاعة الأمر بالعبادة. ١٨ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي و له عبيد من في السّموات و الأرض كلّ له مطيعون غير الكفّار.

أقول: و على الأوّل جمهور المحقّقين و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً.

۲۷ــ(و هو الّذي يبدؤا الخلق ثمّ يعيده و هو أهون عليه و له المثل الأعلى في السّموٰات و الأرض و هو العزيز الحكيم)

و **في قوله تعالى:** «و هو الّذي يبدؤا الخلق ثمّ يعيده» أقوال: ۱ ــ عن ابن عبّاس: أي و هو الّذي يبدؤا الخلق من النّطفة ثمّ يحييه يوم القيامة. ۲ ــ قيل: أي و هو الّذي يبدؤ خلق آدم من تراب، ثمّ بدأ خلق أولاده من نطفة و لم يكونوا شيئاً، ثمّ يبعثهم جميعاً في الآخرة أحيآء، فبدء الخلق إنشاؤه ابتداء من دون مثال سابق، و الإعادة إنشآء بعد إنشآء. ۳ ــ قيل: أي و هو تعالى الّذي يخلق الخلق ابتداء و يخترعهم و ينشئهم إنشاءً، ثمّ يعيدهم يوم القيامة لفصل القضآء بعد أن أعدمهم بعد موتهم، فجعل تعالى ما ظهر ما ابتدأ خلقه دليلاً على ما خفي من إعادته استدلالاً بالشاهد على الغائب.

۴ ــ قيل: إنّ المراد بالخلق هنا المخلوقات كلّها، و هذا يعني أنّ هذا الوجود كلّه في حركة دائمة، و في هدم و بنآء مستمرّين، و أنّ هذا النّظام الموجود في أيّة لحظة هو على غير صورته في اللّحظه السّابقة أو اللّاحقة، و هذا ما يشير إليه قوله سبحانه: «كلّ شئ هالك إلاّ وجهه» القصص: ۸۸).

فمعنى الهلاك هنا هو التّحوّل و التّبدّل و تغاير الصّور و الأشكال، و ليس معنى الهلاك، الفنآء المطلق... فإنّ المادّة لاتفنى، و إنّما تتبدّل و تتحوّل، و تأخذ قوالب مختلفة... و كذلك ماجآء في قوله عزّوجلّ: «كلّ من عليها فانٍ» الرّحمن: ۲۶) هو من هذا المعنى، و أنّ الفنآء هو زوال صور الأشيآء و قوالبها و أخذها صوراً و قوالب اخرى...

فعمليّة الخلق مستمرّة دأباً، و تقابلها من جهة أُخرى عمليّة الموت أو البلى أو الفنآء أو الهلاك... وكلّها هنا بمعنى واحد، و هو التّحوّل و التّبدّل، لا الفنآء المطلق الأبدي، و إلى هذا المعنى أشار تعالى بقوله: «كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين» الأنبيآء: ۱۰۴).

أقول: و على الثّاني أكثر المفسّرين من دون تنافٍ بينه و بين الأوّل و الثّالث فتدبّر.

و **في قوله تعالى:** «و هو أهون عليه» أقوال: ۱ ــ عن ابن عبّاس و الحسن و الرّبيع بن

خيثم: ليس معنى «أهون» تفضيلاً، بل بمعنى «هيّن» إذ لا يتصوّر في خلق الله تعالى شيئاً هيّناً له تارة و أهون أُخرى، بل كلّ شيئ عليه هيّن. كما يقال: الله أكبر أي كبير لا يدانيه أحد في كبريائه. ٢ ـ عن ابن عبّاس أيضاً و عكرمة و مجاهد و قتادة: أي إعادة الخلق بعد فنائهم أهون على الله تعالى و أسهل و أيسر من ابتداء خلقهم. ٣ ـ قيل: أي و هو في المثل أهون عليه عندكم لأنّ ابتداء الشيئ أشدّ من إعادته، و البداية على الله هيّن.

٤ ـ عن ابن عبّاس أيضاً و الضّحّاك: و هو أهون عليه بالنّسبة إليكم بأن لو كان هذا من فعلكم، فالثّاني كان أهون لكم من الاولى فبالإضافة إلى قدرتكم و نظركم و عقولكم، و القياس على اصولكم من أنّ الإعادة أهون من الابدآء، و إلاّ فهما عليه سوآء لا تفاوت في قدرته القاهرة عليهما حتّى يقع التّفضيل على حدّه كقوله عزّوجلّ: «لخلق السّموات و الأرض أكبر من خلق النّاس» غافر: ٥٧) أي بالإضافة إلى عقول البشر و إذعانها بأنّها خلق عظيم لا يقادر قدره، و خلق النّاس بالقياس إليه شيئ قليل مهين، و إلاّ فالخلقان عند قدرته تعالى على حدّ سوآء. فالمعنى: و هو أهون عليه عندكم لأنّكم أقررتم بأنّه يبدؤ الخلق، فإعادة الشيئ عند المخلوقين أهون من ابتدآئه، فكأنّه قال لهم: كيف تقرّون بما هو أصعب عندكم و تنكرون ما هو أهون عندكم؟!

٥ ـ عن ابن عبّاس: أيضاً أي و هو أهون على الخلق أي المخلوق لأنّ الإنشآء أوّلاً من نطفة إلى علقة و من علقة إلى مضغة، ثمّ لحماً ثمّ عظاماً على التّدريج، و في الإعادة و الآخرة حال واحدة، يعادون دفعة واحدة، و ذلك هو أهون عليه من هذا. ٦ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي هيّن عليه إعادته كابدآئه. ٧ ـ قيل: إنّ الضّمير في «عليه» راجع إلى «الخلق» و هو بمعنى المخلوق. فالمعنى: و الإعادة على المخلوق أهون من النّشأة الاولى إذ يقال له في الإعادة: «كن فيكون» و في النّشأة الاولى كان نطفة ثمّ مضغة ثمّ عظاماً ثمّ كسيت العظام لحماً ثمّ نفخ في الصّور فهذا على المخلوق أصعب و الإنشآء يكون أهون عليه.

٨ ـ قيل: ليس المراد بأهونيّة الفعل أقربيّته إلى الوجود بإعتبار كثرة الامور الدّاعية للفاعل إلى ايجاده، و قوّة اقتضآئها لتعلّق قدرته به، بل أسهليّة تأتّيه و صدوره عنه عند تعلّق قدرته بوجوده و كونه واجباً بالغير، و لا تفاوت في ذلك بين أن يكون ذلك التّعلّق

بطريق الايجاب أو بطريق الإختيار.

أقول: و على الرّابع أكثر المحقّقين، و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

و في قوله عزّوجلّ: «و له المثل الأعلى في السّموات و الأرض» أقوال: ۱ ـ عن ابن عبّاس: أي و له الوصف البديع في السّموات و الأرض، إذ «ليس كمثله شيْ» تعالى عن الشّبيه و النّظير. ۲ ـ عن قتادة: أي هو قول: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. فإنّه دآئم في السّموات و الأرض تقول الثّانية فيه كما تقول الاولى. لقوله عزّوجلّ: «و هو الّذي في السّمآء إله و في الأرض إله» الزّخرف: ۸٤). و لذا قيل: و له الصّفة العليا لأنّها دائمة يصفه بها الثّاني كما يصفه بها الأوّل.

۳ ـ قيل: أي له الوصف العجيب الشّأن الّذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه.

٤ ـ عن الفرّاء: في الكلام تقدير: و تقديره: إنّ النّشأة الثّانية يا أهل الكفر ينبغي أن تكون أهون عليه، ثمّ قال: «و له المثل الأعلى» فذلك دليل على أنّه مثل ضربه الله تعالى.

٥ ـ قيل: أي و له الصّفة العليا في الوجود بحقّ القِدم، و في الجود بنعت الكرم، و في القدرة بوصف الشّمول، و في النّصرة بوصف الكمال، و في العلم بعموم التعلّق، و في الحكم بوجوب التحقّق. و في المشيّة بوصف البلوغ، و في القضيّة بحكم النّفوذ، و في الجبروت بعين العزّ و الجلال، و في الملكوت بنعت المجد و الجمال.

٦ ـ قيل: إنّ في الجملة: «و له المثل الأعلى...» إشارة إلى قوله سبحانه: «و هو أهون عليه» هو من قبيل التّمثيل بضرب هذا المثل لله، منتزعة صورته من أفعال الخلق، و تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، فهو سبحانه «العزيز» الّذي تعنو لعزّته و سلطانه كلّ عزّة و كلّ سلطان، و يستجيب لقدرته كلّ موجود في هذا الوجود «الحكيم» الّذي تقوم عزّته، و يعمل سلطانه، و يمضى حكمه ـ بالحكمة و العدل و الإحسان. ۷ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي و له الصّفة العليا بالقدرة على أهل السّموات و الأرض.

۸ ـ قيل: أي كلّ وصف كماليّ يمثّل به شيْ في السّموات و الأرض كالحياة و القدرة، و العلم و الحكمة، و الملك و العزّة، و الجود و الكرم و العظمة و الكبريآء و غيرها، فللّه أعلى ذلك الوصف و أرفعها من مرتبة تلك الموجودات المحدودة كما قال جلّ وعلا: «و لله الأسمآء

الحسنى» الأعراف: ١٨٠) فكلّ صفة كماليّة يتّصف بها شيءٌ ممّا في السّموات و الأرض من جمال و كمال، فإنّ لله تعالى أعلاها أي مطلقها من غير تقييد، و محضها من غير شوب، و صرفها من غير خلط... فهي جميع ما اختصّ به الله تعالى من الصّفات العلى الّتي لايشاركه فيها سواه و الأسمآء الحسنى الّتي تفيد التّعظيم كالقادر و القاهر و الرّب و الإله...

٩ـ قيل: أي هذا مثل مضروب لكم في الأرض، و له المثل الأعلى من هذا المثل، و من كلّ مثل يضرب فى السّموات فيما بين الملائكة كما قال: «و لقد ضربنا للناس».

أقول: و على الثامن جمهور المحقّقين و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

و **في قوله عزّوجلّ:** «و هو العزيز الحكيم» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي و هو العزيز في ملكه و سلطانه، الحكيم في أمره و قضآئه. ٢ ـ قيل: أي و هو القادر الّذي لايعجز عن إبدآء و إعادة، الحكيم الّذي يجرى الأفعال على مقتضى حكمته. ٣ ـ قيل: أي و هو العزيز في انتقامه من أعدآئه، الحكيم في تدبيره لخلقه. ٤ ـ قيل: أي و هو العزيز لايغالب و لا يُغلَب، الحكيم في تدبيره و تصريف شئونه فيما أراد وفق الحكمة و السّداد.

٥ ـ قيل: إنّ الجملة تعليل لقوله تعالى: «و لله المثل الأعلى» أي إنّه سبحانه عزيز واجد لكلّ ما يفقده غيره ممتنع من أن يمتنع عليه شيءٌ، حكيم لايعرض فعله فتور، و لو لم تكن صفة من صفاته مثلاً أعلى ممّا عند غيره من الممكنات كانت محدودة غير مطلقة، و مخلوطة غير صرفة، غير خالية من النّقص و القصور، فاستذلّه ذاك القصور، فلم يكن عزيزاً على الإطلاق، و أحدث ذاك النّقص في فعله ثلمة و فتوراً فلم يكن حكيماً على الإطلاق.

أقول: و لكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها بحسب الإعتبارات فتأمّل جيّداً.

٢٨ـ (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركآء في ما رزقناكم فأنتم فيه سوآء تخافونهم كخيفتكم كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون)

في قوله تعالى: «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم...» أقوال: ١ ـ قيل: أي وصف لكم شبهاً متّخذاً من أنفسكم، منتزعاً من الحالات الّتي لديكم: هل لكم من نوع ما ملكت

أيمانكم من العبيد و الإمآء من شركآء فيما رزقناكم من الأموال و غيرها، فأنتم و عبيدكم في الرّزق سوآء. فالخطاب: «أنتم» شامل للمالكين و المملوكين على سبيل التّغليب. ٢ ـ عن السّدي: هذا مثل ضربه الله تعالى في الميراث للآلهة يقول: هل لكم مماليك شركآء في الميراث الّذي ترثونه من آبآئكم، و أنتم تخافون أن يدخل معكم مملوككم في ذلك الميراث كما تدخلون أنتم فيه، فكما لا يكون للمملوك أن يدخل في مواريثكم، فكذلك لا يكون لهذا الوثن الّذي تعبدونه من دون الله سبحانه أن يدخل في ملكي و إنّما هو خلقي و عبيدي.

٣ ـ قيل: هذا مثل ضربه الله تعالى لبيان بطلان ما يزعم المشركون أنّ لله سبحانه ممّا خلق شركآء في الأُلوهيّة و الرّبوبيّة، و قد أُلقي المثل في صورة التّمثيل الإنكاري: هل يوجد بين مماليككم من العبيد و الإمآء من يكونون شركآء لكم في الأموال الّتي رزقناكم، حالكونهم مملوكين لكم تملكونهم و ما بأيديهم، بحيث تخافونهم في التّصرّف في أموالكم بغير إذن منهم و لا رضىً كما تخافون الشّركآء الأحرار من نوع أنفسكم؟! لا يكون ذلك أبداً، و لا يجوز أن يكون المملوك شريكاً لمولاه في ماله، و إذا لم يجز فكيف يجوز أن يكون بعض مَن خلقه الله تعالى كالملائكة و الجنّ و هم عبيده المملوكون شركآء له فيما يملك من مخلوقيه و آلهة و أرباباً من دونه؟.

٤ ـ قيل: إنّ «ضرب» هنا بمعنى «جعل» و المعنى: جعل لكم أيّها المشركون مثلاً كائناً من أنفسكم، و انتزعه من أقرب شيئ منكم و هو: هل شركآء فيما رزقناكم كائنون من النّوع الّذي ملكت أيمانكم، مستقرّون لكم من مماليككم من شركآء لكم فيما رزقناكم من الأموال و غيرها. ٥ ـ عن قتادة: هذا مثل ضربه الله لمن عدل به شيئاً من خلقه. يقول: أكان أحد منكم مشاركاً مملوكاً في ماله و نفسه و فراشه و زوجته، فكذلك لا يرضى الله سبحانه أن يعدل به أحد من خلقه في شأن من شئونه... فالمعنى: كما لا ترضون أن يكون عبيدكم شركآؤكم في فراشكم و أزواجكم... كذلك لا ترضوا في ربّكم الّذي خلقكم أن يعدل به أحد من خلقه فيشرك بينهما في العبادة.

٦ ـ قيل: أي بيّن الله عزّوجلّ إثبات وحدانيّته بما يكشفها من ذلك المثل المنتزع من أحوال أنفسكم و أطوارها الّتي أقرب الأُمور إليكم، و به يستبين مقدار ما أنتم فيه من

الضّلال بعبادة الأوثان و الأصنام، فتسرعون إلى الإقلاع عن عبادة من لايملك لنفسه نفعاً و لا ضرّاً، هل أنتم أيها الأحرار تشركون معكم عبيدكم و إمآئكم في أموالكم، فيساوونكم في التصرّف فيها من غير تفضّل و لا فضل للأحرار على العبيد؟ لا، لا يتصرّفون فيها إلاّ بإذنكم خوفاً من لائمة تلحقهم منكم كما يخاف بعضكم بعضاً، و إذاكنتم لاترضون بذلك لأنفسكم و أنتم و هم عبيد الله، فكيف ترضون لربّ الأرباب و مالك الرّقاب من العبيد و الأحرار أن تجعلوا بعض عبيده شركآء له في عبادتكم إيّاه، و أنتم و هم عبيدي و مماليكي، و أنا مالك جميعهم؟! فأحدكم يأنف أن يساويه عبيده في التّصرّف في أمواله، فكيف تجعلون لله أنداداً من خلقه؟.

٧ ـ قيل: هذا مثل ضربه الله لمشركي مكّة به، العابدين معه غيره، الجاعلين له شركآء، و هم معترفون بأنّ شركآءه من الأصنام و الملائكة و الجنّ كلّهم عبيده و ملكه إذ كانوا يقولون في التّلبية و الدّعاء حين أدآء مناسك الحجّ: «لبّيك اللّهمّ لبيك، لا شريك لك إلاّ شريكاً هو لك تملكه و ما ملك». ٨ ـ عن ابن عبّاس: أي بيّن لكم أيها الكفّار شبهاً لحالكم ذلك المثل من أنفسكم آدميّاً مثلكم: هل لكم من ما ملكت أيمانكم من عبيدكم و إمآئكم من شركآء فيما أعطيناكم من الأولاد و الأهل و الأموال و الأملاك و النّعم، هل يشاركونهم فيها و أنتم و هم فيها شرع سواء.

٩ ـ قيل: إنّ «ضرب» هنا بمعنى «أخذ» كأنّه قال: أخذ مثلاً و انتزعه من أقرب شيء من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم؟ فيجب عليكم أن يقولوا: ليس عبيدنا شركآئنا فيما رُزِقنا؟ فيقال لهم: فكيف يتصوّر أن تنزّهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم و تجعلوا عبيدي شركآئي في خلقي؟! فهذا حكم فاسد و قلّة نظر و عمى قلب، فإذا بطلت الشّركة بين العبيد و سادتهم فيما تملكه السّادة و الخلق كلّهم عبيد لله جلّ وعلا، فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكاً لله سبحانه في شيء من أفعاله، فلم يبق إلاّ أنّه واحد يستحيل أن يكون له شريك، فإنّ الشّركة تقتضي المعاونة، و نحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضاً بالمال و العمل و الفكر... و القديم الأزليّ منزّه عن ذلك كلّه.

١٠ ـ قيل: أي من يكون له مملوك لايكون شريكاً له في ماله، و لايكون له حرمة

كحرمة سيّده فكيف يجوز أن يكون عباد الله شركآء له سبحانه أو شفعاء عنده بغير إذنه؟ وكيف يجوز أن يكون لهم عظمة مثل عظمة الله حتّى يعبدوا كعبادته على أنّ مملوكهم ليس مملوكاً لهم في الحقيقة، ليس إلّا اختصاص المبايعة، و لهذا لا حكم لهم عليهم بالقتل و القطع و المنع من الفرآئض و قضآء الحاجة و النّوم و الأكل و الشّرب و ما إليها... و قد يزول الإختصاص بالبيع و العتق، و مملوك الله لا خروج له من ملكه بوجه من الوجوه... و في قوله تعالى: «فيما رزقناكم» إشارة إلى أنّ الّذي هو لكم ليس في الحقيقة لكم، و إنّما الله استخلفكم فيه و رزقكموه من فضله.

١١ ـ قيل: أي مَثَلَ لكم أيها القوم ربّكم مثلاً من أنفسكم: هل لكم ممّا ملكت أيمانكم من مماليككم من شركآء فيما رزقناكم من مال، فأنتم فيه سوآء. ١٢ ـ عن ابن يزيد: أي هل تجد أحداً يجعل عبده شريكاً في ماله، فكيف تعمد أيّها المشرك أنت، و أنت تشهد أنّهم عبيدي و خلقي، و تجعل لهم نصيباً في عبادتي كيف يكون هذا؟!

أقول: و التّاسع هو الأنسب بظاهر السّياق، و في معناه أكثر الأقوال الأُخر، فتدبّر جيّداً.

و **في قوله سبحانه:** «فأنتم فيه سوآء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس و مقاتل: أي أتخافون عبيدكم أمثالكم: بشر كبشر، و عبيد كعبيد، أن يرثوكم بعد الموت كما تخافون أن يرثكم الأحرار أمثالكم في الحريّة؟ فقالوا: لا، فقال: أترضون لله سبحانه شريكاً في ملكه و تكرهونه لأنفسكم، و أنتم تأنفون و ترفضون أن يكون العبد الّذي تملكونه شريكاً لكم فيما رزقكم الله من مال و عقار، فكيف تجعلون لله شركآء و أنداداً من مخلوقاته؟ تكرهون الشّريك و هو مخلوق مثلكم، و ترضونه لله الخالق المحيي و المميت.

٢ ـ قيل: أي و هل تخافون أن يشارككم مماليككم فيما ترثونه من آبائكم، و فيما حصل لكم من أموالكم تخافون من أحراركم و ذوي قرابتكم لأنّ الرّجل يخاف شريكه الحرّ في المال الّذي يكون بينهما أن ينفرد دونه فيه بأمر كما يخاف الرّجل شريكه في الميراث أن يشاركه لأنّه يحبّ أن ينفرد به فهو يخاف شريكه، و معنى «أنفسكم»: أمثالكم من

الأحرار... ٣ـ قيل: أي و أنتم و عبيدكم سوآء في المخلوقيّة، و مع ذلك لا ترضونهم شركآء في رزقكم، و هل رضيتم في الله سبحانه شريكاً له في خلقه و ملكه؟! ٤ ـ قيل: أي فهل أنتم و عبيدكم و إمآؤكم فيما أعطيناكم سوآء، حالكونكم تخافون كخيفتكم أنفسكم أي كما يخاف الأحرار بعضهم من بعض، فتكرهون المساواة في الأموال بينكم و بين العبيد. ٥ ـ قيل: أي فهل تهابون العبيد حين تتصرّفون في أموالكم و أملاككم كما تهابون الأحرار لو كانوا شركآء معكم في الأموال و الأملاك...؟!

٦ ـ عن الزّجاج: أنّه قال: في الكلام تقدير: أي في ملك ما ملكناكم تخافون تسوية عبيدكم لكم في الملك. و لا يكون المعنى ـ كما زعم بعض: تخافون مكايدتهم أو بأسهم لأنّ ذلك غير مأمون منهم. فالمعنى: تخافون تسوية عبيدكم إيّاكم في الملك كخيفتكم المساواة بينكم. فهو من باب «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» البقرة: ١٩٤) لأنّ التّسوية بين الأحرار قائمة واقعة. أي تخافون المماليك كما تخافون الأحرار في الملك و المال. فالمراد بـ «أنفسكم»: الأحرار أمثالهم... كقوله تعالى: «ظنّ المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيراً» النّور: ١٢) أي بأمثالهم... و المعنى: أنّه كما لا يشارك العبدُ الحرَّ في الملك و المال، كذلك لا تشارك هذه الأصنام المنحوتة المخلوقة الخالق القادر المتعال، و كما أنّكم لا ترضون من عبيدكم أن يكونوا شركآءكم في أموالكم و أملاككم، فكيف تجعلون لربّكم الّذي خلقكم أن يكون له شركآء في العبادة؟! ٧ ـ عن الكلبي: أي هل لكم ممّا ملكت أيمانكم من أموالكم و عبيدكم و إمآئكم، فأنتم و هم فيها سوآء يتصرّفون فيها كتصرّفكم مع أنّهم بشر مثلكم، و أنّها معارة لكم، تخافونهم أن تستبدّوا بتصرّف فيها بدون رأيهم، خيفة كائنة أنفسكم مَن هو من نوعكم يعني الأحرار المساهمين لكم، أي يخاف الرّجل إبنه و عمّه و أقاربه...؟ قالوا: لا، قال: فأنتم لا ترضون هذا لأنفسكم أن يكونوا فيما تملكون يشاركونكم في أموالكم، فكيف ترضون لله ما لا ترضون به لأنفسكم!

٨ ـ قيل: أي تخافون المماليك الشّركآء أن تستبدّوا في تصرّف المال المشترك من غير إذن منهم و رضى كما تخافون أنفسكم من الشّركآء الأحرار... ٩ ـ قيل: أي فتساووا خائفاً

بعضكم من بعض مشاركته له في المال، خيفة خيفتكم. ١٠ ـ عن أبي مخلد: أي تخافون عبيدكم أن يشاركوكم في أموالكم كما تخافون الشّريك من نظرآئكم... ١١ ـ قيل: أي تخافون كخيفتكم أنفسكم في اتلاف المال بإنفاقه. ١٢ ـ قيل: أي تخافون هؤلآء الشّركآء ممّا ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم كما يقاسم بعضكم بعضاً. ١٣ ـ عن ابن عبّاس: أي فأنتم و عبيدكم و إمآئكم فيما رزقناكم شرك: تخافون لآئمتهم كلآئمة آبآئكم و أبناءكم و إخوانكم إذا لم تؤدّوا حقوقهم في الميزان؟ فقالوا: لا. قال: أفترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم تشركون عبيدى في ملكي، و لا تشركون عبيدي فيما رزقناكم.

أقول: و لكلٍّ وجهٌ، مع تقارب المعاني، و التّعميم غير بعيد فتأمّل.

و في قوله عزّوجلّ: «كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي هكذا نبيّن العلامات الدّالّة على التّوحيد لقوم يعقلون الأمثال، و يصدّقون بأمثال القرآن فيوحّدون الله تعالى. ٢ ـ قيل: أي كما ميّزنا لكم هذه الأدلّة نفصّلها لقوم يعقلون، فيتدبّرون ذلك، و يفكرون فيها. ٣ ـ قيل: أي كذلك نبيّن الأمثال، فإنّ التّمثيل ممّا يكشف المعاني و يوضحها لقوم يستعملون عقولهم في تدبّر الأمثال. و قيل: في تدبّر الأمور كلّها، و يدخل فيها الأمثال دخولاً أوّليّاً، و خصّهم بالذّكر مع عموم تفصيل الآيات للكلّ لأنّهم المنتفعون بها.

٤ ـ قيل: أي مثل هذا التّفصيل الواضح نبيّن الآيات و نوضحها، لا تفصيلاً أدنى منه، فإنّ التّمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس، و إبراز لأوابد المدركات على هيئة المأنوس، فيكون في غاية الإيضاح و البيان لقوم يعقلون الأمثال إذ بها تكشف المعاني لأرباب العقول دون غيرهم.

٥ ـ قيل: أي كما بيّنّا لكم أيّها القوم حججنا في هذه الآيات من هذه السّورة على قدرتنا ما نشآء: من إنشآء ما نشآء، و إفنآء ما نحبّ، و إعادة ما نريد إعادته بعد فنآئه، و دللنا على أنّه لا تصلح العبادة إلّا للواحد القهّار الّذي بيده ملكوت كلّ شيّ كذلك نبيّن حججنا في كلّ حقّ لقوم يعقلون، فيتدبّرونها إذا سمعوها و يعتبرون فيتّعظون بها.

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتدبّر.

٢٩ـ (بل اتّبع الّذين ظلموا أهوآءهم بغير علم فمن يهدي من أضلّ الله و ما لهم من ناصرين)

في قوله تعالى: «بل اتّبع الّذين ظلموا أهوآء بغير علم» أقوال: ١ ـ قيل: أي بل اتّبع الّذين ظلموا بالكفر و الشّرك لله سبحانه هم اتّبعوا أهوآءهم في الشّرك و الكفر، جاهلين ببطلان ما أتوا منكبين عليه لا يصرفهم عنه صارف، لا يكفّهم شيئ، فإنّ العالم إذا اتّبع هواه فقد يردعه علمه، و إلاّ هو و الجاهل على حدّ سوآء يهيم كلّ على وجهه كالبهيمة الّتي لا يكفّها شيئ كما قال الله عزّوجلّ: «مثل الّذين حمّلوا التّوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً» الجمعه: ٥) و قال: «و اتل عليهم نبأ الّذي آتيناه آياتنا ـ و اتّبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث» الأعراف: ١٧٦).

٢ ـ قيل: إنّ هؤلآء المشركين لم يتفكّروا في آيات الله الدّالّة على التّوحيد، و لا انتفعوا بها في خيرهم و سعادتهم، بل اتّبعوا أهوآءهم و شهواتهم بغير علم منهم بصحّة ما اتّبعوه.

٣ ـ قيل: أي و لكن الّذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله، اتّبعوا أهوآءهم جهلاً منهم لحقّ الله تعالى عليهم، فأشركوا الآلهة و الأوثان في عبادته، و لو قلّبوا وجوه الرّأي و استعملوا العقل في آيات الله تعالى له بما ردّهم إلى معرفة الحقّ، و وصلوا إلى سبيل الرّشد، و لكن أنّى لهم ذلك؟

٤ ـ قيل: أي بل اتّبع الّذين كفروا أهوائهم بعبادة الأوثان و الأصنام و غيرها من الآلهة بغير علم جائهم من الله تعالى يعلمونه.

٥ ـ قيل: أي بل اتّبع الّذين ظلموا أنفسهم بالكفر و الشّرك و المعاصي... هم اتّبعوا أهوآءهم ممّا اشتهت أنفسهم بغير علم بعاقبة اتّباعهم لأهوآئهم... و قيل: أي بغير علم بأصل الإتّباع، بأنّهم قلّدوا سادتهم و آبائهم، و هم يحسبون أنّهم مهتدون. و قيل: أشدّ الظّلم متابعة الهوى لأنّه قريب من الشّرك. ٦ ـ عن ابن عبّاس: أي بل اتّبع الّذين كفروا و هم اليهود و النّصارى و المشركون اتّبعوا أهوآءهم، أي ما هم عليه من اليهوديّة و النّصرانيّة و الشّرك بلا علم و لا حجّة. ٧ ـ قيل: في الكلام تقدير: أي و هؤلآء المشركون لم

يبنوا شركهم على التّعقّل و التفكّر و التّدبّر، بل اتّبعوا في ذلك أهوآءهم بغير علم من الله تعالى بالوحي، و لا من حجّة في ذاتهم من العقل، فلا حجّة لهم في شركهم بالله سبحانه من داخلهم و هي العقل، و لا من خارجهم و هي الوحي، فلا نجاة لهم من عذاب الله تعالى.

أقول: و على الأخير أكثر المحقّقين، و في معناه أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

و **في قوله سبحانه:** «فمن يهدي من أضلّ الله» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي فمن يرشد إلى دين الله من أضلّ الله عن دينه. ٢ ـ قيل: أي فمن يقدر على هداية من أضلّ الله تعالى، فلا أحد يهديهم، إذ لا يقدر أحد على هداية من أضلّه الله بترتيب الضّلالة على كفرهم، و ابتعادهم عن نور الفطرة بسوء اختيارهم، فوقعوا في ظلمة الطّبيعة باتّباع أهوآءهم... ٣ ـ قيل: أي فمن يهدي من خلق الله فيه الضّلال و جعله كاسباً له باختياره لسوء استعداده و ميله بالفطرة إليه، و علم الله فيه ذلك؟

أقول: هذا مذهب جبريّ سيأتي بحثه في محلّه إن شآء الله تعالى فانتظر.

٤ ـ عن الجبائي: فمن يهدي إلى الثّواب و الجنّة من أضلّه الله عن ذلك. ٥ ـ قيل: أي من يهدى إلى الثّواب من أضلّه الله عنه. ٦ ـ قيل: أي من يحكم بهداية من حكم الله بضلالته.

٧ ـ قيل: أي و من يهدي الّذين أضلّهم الله لاتّباعهم أهوآءهم مع ظهور الحقّ لهم حيث إنّ اتّباع الهوى يوجب الظّلم الموجب للإضلال الإلهيّ. ٨ ـ قيل: أي فمن يهدي إلى توحيد الله من أضلّه الله و خذله و طرده، و من يرشد إلى الحقّ من خذله الله عزّوجلّ و لم يلطف به لعلمه أنّه ممّن لا لطف له، فمن يقدر على هداية مثله. و يدلّ على أنّ المراد بالإضلال هو الخذلان قوله تعالى: «و ما لهم من ناصرين».

٩ ـ عن أبي مسلم: أي من أضلّ عن الله الّذي هو خالقه و رازقه، و المنعم عليه ما نصبه له من الأدلّة، فمن يهديه بعد ذلك. و هو من قولهم: أضلّ فلان بعيره أي ضلّ بعيره عنه.

١٠ ـ قيل: أي من رآه الله ضالاًّ في واقعه و حقيقته، لا من رآه النّاس ضالاًّ من ظاهر تصرّفاته، و هو في واقعه من المهتدين.

أقول: و على الثّاني أكثر المفسّرين، و في معناه السّابع، من دون تنافٍ بينهما و بين بعض الأقوال الأُخر فتدبّر.

و في قوله عزّوجلّ: «و ما لهم من ناصرين» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي و ما لليهود و النّصارى و المشركين من مانعين من عذاب الله. ٢ ـ قيل: أي و ما للظّالمين التّابعين لأهوآئهم من ناصرين يخلصونهم من الضّلالة، و يحفظونهم عن آفاتها... ٣ـ قيل: أي ليس لمشركي مكّة من ينصرهم من الخزي و الدّمار و الهلاك في الحياة الدّنيا، و لايدفع عنهم عذاب الله إذا حلّ بهم يوم القيامة. ٤ ـ قيل: أي و ليس لهم ناصر ينقذهم من بأس الله و شديد انتقامه إذا حلّ بهم لأنّه ما شاء كان، و ما لم يشأ لم يكن. ٥ ـ قيل: أي و ما لهم من ناصر يخلصهم من الظّلمة و الضّلالة و العذاب كمن ابتعد عن الهادي فوقع في ظلمة اللّيل، فلا نجاة له من خطر السَّبُع أو اللصّ...

أقول: و التّعميم هو الأنسب من ظاهر الإطلاق فتأمّل جيّداً.

٣٠ـ (فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون)

في قوله تعالى: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً» أقوال: ١ ـ قيل: إنّ تقديره: إذا تبيّن لك الحقّ و ظهرت الوحدانيّة و ثبت أمر المعاد فأقم أي فاقبل على دين الإسلام، و الإستقامة و الثّبات عليه، و الإهتمام بترتيب أسبابه، حالكونك غير ملتفتٍ عنه، و معتدلاً مائلاً عن جميع الأديان المحرّفة المنسوخة و الباطلة... فهذا تمثيل للإقبال و الإستقامة على الدّين الإسلامي و الإهتمام به، و الإعراض عن غيره، فإنّ من اهتمّ بشئ قوّم له وجهه و سدّد إليه نظره و أقبل عليه بكلّه.

٢ ـ قيل: إنّ الكلام متفرّع على معنى التّسلية المفهوم من سياق البيان السّابق الدّالّ على ما هو الحقّ، و أنّ المشركين لظلمهم اتّبعوا الأهوآء، و أعرضوا عن التّعقّل الصحيح، فأضلّهم الله تعالى و لم يأذن لناصر ينصرهم بالهداية، و لامنقذ ينقذهم من الكفر و الضّلالة لاأنت و لاغيرك، فاستيئس منهم، و اهتمّ بخاصّة نفسك، و من تبعك من المؤمنين و أقم وجهك و من تبعك للدّين، و المراد بإقامة الوجه للدّين الإقبال عليه بالتّوجّة من غير غفلة منه كالمقبل على الشئ بقصر النّظر فيه بحيث لايلتفت عنه يميناً و لا شمالاً، و

المراد بالحنف هو الإعتدال.

٣ ـ عن ابن عبّاس: أي فأقم نفسك و عملك للدّين مسلماً، و أخلص دينك و عملك لله، و استقم على دين الإسلام. ٤ ـ قيل: أي فأقم قصدك للدّين. و المعنى: كن معتقداً للدّين. ٥ ـ قيل: أي فقوّم وجهك للدّين و عدّله، و أثبت و دُم على الإستقامة غير ملتفت عنه يميناً و شمالاً. ٦ ـ عن سعيد بن جبير: أي فأخلص دينك الإسلام. ٧ ـ قيل: أي فأقبل بوجهك إلى الدّين و أقم عليه طاهراً. ٨ ـ قيل: أي سدّد عملك، فإنّ الوجه ما يتوجّه إليه، و عمل الإنسان و دينه ما يتوجّه إليه الإنسان لتسديده و إقامته. إنّ الله تعالى أمر بالتّوجّه التّامّ إلى الدّين القيّم، و الإعراض عن جميع الأديان الباطلة و الآرآء الفاسدة.

٩ ـ قيل: يذكر الوجه و يراد به، فكأنّه قال: فأقم الدّين مخلصاً، و إقامة الوجه هو تقويم المقصد و القوّة على الجدّ في أعمال الدّين، و خصّ الوجه بالذّكر لأنّه جامع حواسّ الإنسان و أشرفه. و الدّين الحنيف هو الإسلام. و قيل: الدّين هو التّوحيد. و المعنى: أقم للتّوحيد مخلصاً مائلاً إليه، معرضاً عن غيره. ١٠ ـ قيل: أي فسدّد وجهك نحو الوجه الّذي وجّهك إليه ربّك يا محمّد لطاعته، و هي الدّين، مستقيماً لدينه و طاعته. ١١ ـ قيل: إنّ الله تعالى أمر النّاس جميعاً أى يوجّهوا عبادتهم إليه جلّ وعلا على الإستقامة دون الإشراك في العبادة، و إنّ الخطاب و إن كان متوجّهاً إلى رسول الله «ﷺ» ظاهراً، ولكنّه عام يدخل في كلّ مؤمن لقوله تعالى في الآية التّالية: «منيبين...».

١٢ ـ قيل: أي أخلص قصدك إلى الله، و احفظ عهدك مع الله، و أفرد عملك في سكناتك و حركاتك و جميع تصرّفاتك... حيث إنّ إقامة الوجه للدّين هي اتّجاه القاصد إليه بكلّ كيانه من غير إلتفات إلى شئ غيره. و قيل: أي فهّدوا و أعدّوا وجهك لتبليغ أحكام الدّين مخلصاً.

أقول: و الأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق من دون تنافٍ بينه و بين أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

و في قوله سبحانه: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها» أقوال: ١ ـ عن مجاهد و ابن زيد و الزّجّاج و الضّحّاك: فطرة الله هي دين الله و هو الإسلام. و المعنى: اتّبع دين الله و هو

دين الفطرة الإنسانيّة الصّافية الّتي فطر الله تعالى النّاس عليها في بطون امّهاتهم، و هي فطرة التّديّن و فكرة الله و وحدانيّته، و إسلام النّفس إليه و سمّيت الفطرة ديناً لأنّ النّاس خُلِقوا له لقوله تعالى: «و ما خلقت الجنّ و الإنس إلاّ ليعبدون» الذاريات: ٥٦) فكلّ مولود مبدأ خلقته على الجبلّة السّليمة المتهيّئة لقبول الدّين، فلو ترك عليها لاستمرّ على لزومها لأنّ هذا الدّين حسنه موجود في العقول السّليمة، و إنّما يعدل عنه من عدل إلى غيره من ناحية التّربيّة أو التّعليم أو المحيط المؤثّر أو التّقليد الباطل. ٢ ـ قيل: أي اتّبع ملّة الله و طاعته و عصمته. ٣ ـ عن أبي مسلم: أي اتّبع فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها لأنّ الله تعالى خلق الخلق للإيمان. و المعنى: خلق الله سبحانه الخلق للتّوحيد و الإسلام، و اتّبع من الدّين ما دلّك عليه فطرة الله و هو ابتداء خلقه للأشياء لأنّه عزّوجلّ خلقها و ركّبها و صوّرها على وجه يدلّ على أنّ لها صانعاً قادراً عليماً حيًّا قديماً واحداً لا يشبه شيئاً و لا يشبهه شيئ.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «فتعالى الّذي أقامها على قوآئمها، و بناها على دعآئمها لم يشركه في فطرتها فاطر، و لم يُعِنْه على خلقها قادر، و لو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلّتك الدّلالة إلاّ على أنّ فاطر النّملة هو فاطر النّحلة لدقيق تفصيل كلّ شيئ، و غامض اختلاف كلّ حيّ...» الخطبة: ٢٢٧).

٤ ـ قيل: الفطرة هي الخلقة و تقدير الكلام: ألزموا خلقة الله الّتي خلق البشر عليها. و قيل: عليكم بها أوّلها أو عليها. ٥ ـ قيل: أي فطر الله النّاس و خلقهم قابلين للتّوحيد و الإسلام، غير منكرين لها، لأنّ التّوحيد مجاوب للعقل، مساوق للنّظر الصّحيح حتّى لو تركوه لما اختاروا عليه ديناً آخر، فخلق الله تعالى النّاس مركوزاً فيهم معرفته كما أشار إليه بقوله عزّوجلّ: «و لئن سئلتهم من خلق السّموات و الأرض ليقولنّ الله» الزّخرف: ٩) و عن مكحول: إنّ الفطرة هي معرفة الله. ٦ ـ قيل: إنّ الفطرة إشارة إلى أخذ الميثاق من الذّرّ، و هي التّوحيد الّذي تشهد به العقول السّليمة و النّظر الصّحيح. و ذلك أنّ الله تعالى خلق النّاس و صنعهم على استعداد فطريّ لقبول هذا الدّين الإسلاميّ مذ خلقهم الله من آدم جميعاً، يقرّون بذلك لقوله تعالى: «و إذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم و

أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا» الأعراف: ١٧٢) و هـذا قـول الله عزّوجلّ: «كان النّاس أمّة واحدة فبعث الله النّبيّين مبشّرين و منذرين» البقرة: ٢١٣). و قيل: أي اتّبع يوم الميثاق.

٧ ـ قيل: الفطرة هى الطّريقة الّتي أوجب تعالى على النّاس السّير عليها، فأمر الله سبحانه رسوله «ﷺ» أن يمضى على طريقه و أن يدع هؤلآء المشركين و ما اركسوا فيه.

٨ ـ قيل: الفطرة هي ما أودع الله تعالى في الإنسان من قوى عاقلة و طبيعة سليمة في أصل الخلقة، تقبل الطّيّب، و تنفر من الخبيث، و هذا هو ملاك أمر هذا الدّين الّذي ارتضاه لعباده يوم الغدير إذ قال تعالى لهم: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً» المائدة: ٣).

و هذه تعرض لها عوارض كثيرة تشوّه معالمها أو تفسد طبيعتها، شأنها في هذا شأن حواسّ الإنسان من سمع و بصر و ذوق و لمس و سمّ، و كما أنّه إذا عرضت للحواس آفات دواء تداوى به كذلك جعل الله تعالى للفطرة ما تتداوى به إذا هي أصيبت بآفة من الآفات، و ذلك بما يحمله رسل الله تعالى من آيات الله جلّ وعلا و ما في هذه الآيات من هدى و نور...

٩ ـ قيل: تقدير الكلام: أثبتهم على الفطرة قبل أن يُوجد منهم فعل و لا كسب، ولاشرك و لا كفر، و كما ليس منهم ايمان و طاعة و إحسان، فليس منهم كفر و معصية و إسآئة، فاعرف بهذه الجملة، ثمّ إفعل ما اُمِرت به، و احذر ما نُهيت عنه. و المعنى: أعْرِف و اعلم أنّ فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها: تجرّدهم عن أفعالهم ـ كالمآء الصّافي العذب الزّلال قبل صبّ اللون أو الملح أو المرّ و نحوها فيه ـ ثمّ اتّصافهم بما يكسبون، و إن كان هذا أيضاً بتقدير الله سبحانه، فطر كلّ أحد على ما عَلِمَ أنّه يكون في السّعادة أو الشّقاوة، و لاتبديل لحكمه و لاتحويل لما فطره عليه، فمن علم أنّه يكون سعيداً أراد سعادته و أخبر عن سعادته، و خلقه في حكمه سعيداً، و من عَلِمَ شقاوته أراد أن يكون شقيّاً و أخبر عن شقاوته، و خلقه في حكمه شقيّاً و لاتبديل لحكمه، هذا هو الدّين المستقيم و الحقّ الصّحيح.

١٠ ـ عن أبي بكر الورّاق: فطرة الله هي الفقر و الفاقة، فإنّ الإنسان منذ يولد إلى حين

يموت فقير محتاج إلى الله تعالى، و في الآخرة أيضاً. ١١ ـ قيل: إنّ تحديد الدّين بالفطرة يتّضح بهذا البيان: كلّ إنسان حتّى أكثر الخلق شرّاً و فجوراً يودّ تلقآئيّاً و بدافع من أعماقه أن يصون النّاس دمه و ماله و عرضه، و لايمسّه أحد بسوء، و أيضاً يحبّ بغريزته أن يحسنوا إليه، و يتعاونوا معه على خيره و صلاحه. و معنى هذا أنّه يطلب من جميع النّاس أن يكونوا متديّنين من حيث لايشعر لأنّ مهمّة الدّين القويم أن يحمل كلّ فرد من أفراد الإنسان على أن يستجيب لهذه الفطرة في معاملاته و تصرّفاته... بحسن و لايسيئ، و يتعاون مع الآخرين، و لايتهاون في شيئ من حقوقهم تماماً كما يريد أن لايتهاون أحد في حقوقه.

١٢ ـ قال بعض المعاصرين: الفطرة بناء نوع من الفطر بمعنى الايجاد و الابداع، و «فطرة الله» منصوب على الإغراء أي ألزم الفطرة، ففيه إشارة إلى أنّ هذا الدّين يجب إقامة الوجه له هو الّذي يهتف به الخلقة، و يهدى إليه الفطرة الإلهيّة الّتي لاتبديل لها.

و ذلك أنّه ليس الدّين إلاّ سنّة الحياة و السّبيل الّتي يجب على الإنسان أن يسلكها حتّى يسعد في حياته، فلا غاية للإنسان يتبعها إلاّ السّعادة، و قد هدى كلّ نوع من أنواع الخليقة إلى سعادته الّتي هي بغية حياته فطرته و نوع خلقته، و جهّز في وجوده بما هو يناسب غايته من التجهيز قال الله تعالى: «ربّنا الّذي اعطى كلّ شيئ خلقه ثمّ هدى» طه: ٥٠) و قال: «الّذي خلق فسوّى و الّذي قدّر فهدى» الأعلى: ٣) فالإنسان كسائر الأنواع المخلوقة مفطور بفطرة تهديه إلى تتميم نواقصه و رفع حوآئجه، و تهتف له بما ينفعه و ما يضرّه في حياته قال تعالى: «و نفس و ما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها» الشّمس: ٨) و هو مع ذلك مجهّز بما يتمّ له به ما يجب له أن يقصده من العمل قال تعالى: «ثمّ السّبيل يسّره» عبس: ٢٠).

فللإنسان فطرة خاصّة تهديه إلى سنّة خاصّة في الحياة و سبيل معيّنة ذات غاية مشخّصة ليس له إلاّ أن يسلكها خاصّة و هو قوله: «فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها» و ليس الإنسان العائش في هذه النّشأة إلاّ نوعاً واحداً لايختلف ما ينفعه و ما يضرّه بالنّظر إلى هذه البنية المؤلّفة من روح و بدن، فما للإنسان من جهة أنّه إنسان إلاّ سعادة واحدة و شقآء واحد، فمن الضّروريّ حينئذ أن يكون تجاه عمله سنّة واحدة ثابتة يهديه إليها هاد

واحد ثابت، وليكن ذاك الهادي هو الفطرة نوع الخلقة، و لذلك عقّب قوله: «فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها» بقوله: «لا تبديل لخلق الله».

فلو اختلفت سعادة الإنسان بإختلاف أفراده لم ينعقد مجتمع واحد صالح يضمن سعادة الأفراد المجتمعين، و لو اختلفت السّعادة بإختلاف الأقطار الّتي تعيش فيها الأُمم المختلفة بمعنى أن يكون الأساس الوحيد للسّنّة الاجتماعيّة أعني الدّين هو ما يقتضيه حكم المنطقة كان الإنسان أنواعاً مختلفة باختلاف الأقطار، ولو اختلفت السّعادة بإختلاف الأزمنة بمعنى أن تكون الأعصار و القرون هي الأساس الوحيد للسّنّة الدّينيّة اختلفت نوعيّة كلّ قرن وجيل مع من ورثوا من آبآئهم أو أخلفوا من أبنآئهم، ولم يسر الإجتماع الإنسانيّ سير التّكامل، ولم تكن الإنسانيّة متوجّهة من النّقص إلى الكمال إذ لا يتحقّق النّقص و الكمال إلاّ مع أمر مشترك ثابت محفوظ بينهما.

و ليس المراد بهذا إنكار أن يكون لإختلاف الأفراد أو الأمكنة أو الأزمنة بعض التّأثير في انتظام السّنّة الدّينيّة في الجملة بل إثبات أنّ الأساس للسّنّة الدّينيّة هو البنية الإنسانيّة الّتي هي حقيقة واحدة ثابتة مشتركة بين الأفراد فللإنسانيّة سنّة واحدة ثابتة بثبات أساسها الّذي هو الإنسان، و هي الّتي تدير رحى الإنسانيّة مع ما يلحق بها من السّنن الجزئيّة المختلفة بإختلاف الأفراد أو الأمكنة أو الأزمنة...

و فيه خلط بين الفطرة و العقل، حيث إنّ إنسانيّة الإنسان و سيرته بفطرته و روحه الخاصّ معاً: «و نفخت فيه من روحي» ص: ٧٢) و في ذاتها العلم و المعرفة و التّوحيد و الولاية، و العقل هو المبرز لما في كمون الإنسان و هاديه إليهامن داخله، و الشّرع هو الهادي من خارجه، كما أنّ حيوانيّة الإنسان و صورته بطبيعته و روحه الحيوانيّ العامّ و في ذاتها الجهل و السّفاهة و الشّرك و العداوة، و هوى النّفس هو الدّاعي إليها من داخلها، و الشّيطان على صوره المختلفة، هو المحرّك من خارجها...

و لذلك كان النّاس امّة واحدة في فطرتهم و روحهم الخاص و سيرتهم، و مختلفين في طبيعتهم و روحهم العام و صورهم بإختلاف صورهم في كلّ ظرف من الظّروف... و هذا لاينافي كون كلّ شئ و منه الإنسان مفطوراً على التّوحيد تكويناً، حيث إنّ المايز بين

الإنسان و غيره هو الرّوح الخاص الإلهي المقتضي للعقل و الشّرع، فتأمّل جيّداً و اغتنم جدّاً و لاتكن من الغافلين فإنّ المقام، مزالّ الأقدام...

أقول: و على الأوّل أكثر المفسّرين و في معناه أكثر الأقوال الأُخر معنى التزامياً و تضمّنياً فتدبّر جيّداً.

و في قوله عزّوجلّ: «لاتبديل لخلق الله» أقوال: ١ ـ عن سعيد بن جبير و ابن عبّاس و مجاهد و قتادة و ابن زيد و عكرمة و الضّحّاك و إبراهيم النّخعي: أي لاتغيير و لاتبديل و لاتعديل لدين الله الّذي أمركم به توحيده و عدله و إخلاص العبادة له، و أمركم بالثّبات عليه. و انّ «لا» ههنا بمعنى النّهي. و المعنى: فلاتتبدّلوا دين الله تعالى بأن تشركوا بالله سبحانه. و لايصلح ذلك، و لاينبغي أن يفعل. ٢ ـ قيل: أي عند ما خلق الله الخلق لم يكن لأحد أن يغيّر خلقته. و المعنى: لاتبدّلوا خلقه الّذي فطركم عليه، لكن الايمان الفطرى غير كافٍ.

٣ ـ قيل: هذا خبر يراد به الأمر، و تقديره: لاتبدّلوا خلق الله و هو الفطرة، و لاتفسدوا هذا الخلق السّويّ بما تدخلون عليه من أهوآء، بل عليكم بحراسة هذه النّعمة و عرضها على هدى الله تعالى إذا طاف بها طائف من الضّلال. ٤ ـ قيل: إنّ المراد نفي الخطأ. ٥ ـ قيل: أي هذه الفطرة لاتبديل لها من جهة الخالق، و لايجئ الأمر على خلاف هذا بوجه، فلا يشقى من خلقه سعيداً، و لايسعد من خلقه شقيًّا فالخلق بمعنى التقدير و القضآء. فالمعنى: لاتبديل لقضآء الله و قدره. ٦ ـ عن عمر بن الخطّاب و ابن عبّاس و عكرمة: أي لاتغيير لخلق الله من البهآئم أن تخصى فحولها، فيكون معناه النّهي عن خصآء الفحول من الحيوان.

٧ ـ قيل: هذا تسلية لرسول الله ﴿ﷺ﴾ حيث لم يؤمن قومه، فكأنّه قال: إنّهم أشقيآء، و من كتب شقيًّا لم يسعد. ٨ ـ قيل: أراد أنّ الخلق لاخروج لهم عن عبوديّته بخلاف مماليك الإنسان فإنّهم يخرجون من أيديهم بالبيع و العتق. ٩ ـ قيل: أي لاصحّة و لا إستقامة لتبديل فطرة الله تعالى بالإخلال بموجبها و عدم ترتيب مقتضاها عليها باتّباع الهوى، و قبول وسوسة الشّياطين. ١٠ ـ قيل: أي لايقدر أحد على أن يغيّر خلق الله تعالى و فطرته سبحانه. فلابدّ من حمل التّبديل على تبديل نفس الفطرة بإزالتها رأساً، و وضع فطرة

اخرى مكانها، غير مصحّحة لقبول الحقّ و التمكّن من إدراكه، إذ دلّت عليه الفطرة، فلا يمكن فيه التّبديل أجل للإنسان أهوآء غير مشروعة، و كثيراً ما تصطدم مع الفطرة، و تتغلّب عليها ولكن لاتمحوها و تستأصلها من الجذور.

١١ ـ قيل: إنّ الكلام متعلّق بالكفرة كأنّه قيل: فأقم وجهك للدّين حنيفاً و ألزم فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها فإنّ هؤلآء الكفرة خلق الله سبحانه لهم الكفر و لاتبديل لخلق الله أي إنّهم لايفلحون. ١٢ ـ عن أبي مسلم: أي لاتبديل لخلق الله فيما دلّ عليه بمعنى أنّه فطرة الله على وجه يدلّ على صانع حكيم، فلا يمكن أن يجعله خلقاً لغير الله حتّى يبطل وجه الإستدلال. ١٣ ـ قال الرّازي في تفسيره: «و يحتمل أن يقال: خلق الله الخلق لعبادته و هم كلّهم عبيده «لاتبديل لخلق» أي ليس كونهم عبيداً مثل كون المملوك عبداً للإنسان فإنّه ينتقل عنه إلى غيره و يخرج عن ملكه بالعتق بل لاخروج للخلق عن العبادة و العبوديّة. و هذا البيان فساد قول من يقول: العبادة لتحصيل الكمال، و العبد يكمل بالعبادة، فلايبق عليه تكليف، و قول المشركين: إنّ الناقص لاتصلح لعبادة الله، و إنّما الإنسان عبدالكواكب، و الكواكب عبيدالله، و قول النّصارى: إنّ عيسى كان يحلّ الله فيه، و صار إلهاً، فقال: «لاتبديل لخلق الله» بل كلّهم عبيد لاخروج لهم عن ذلك» إنتهى.

و رُدّ: أنّه مغالطة بين الملك و العبادة التّكوينيّين، و الملك و العبادة التّشريعيّين، فإنّه ملكه تعالى الّذي لايقبل الإنتقال و البطلان ملك تكوينيّ بمعنى قيام وجود الأشيآء به تعالى، و العبادة الّتي بإزآئه عبادة تكوينيّة، و هو خضوع ذوات الأشيآء له تعالى، و لاتقبل التّبديل، و التّرك كما في قوله: «و إن من شيئ إلاّ يسبّح بحمده» الإسراء: ٤٤) و أمّا العبادة الدينيّة الّتي تقبل التبديل و التّرك فهي عبادة تشريعيّة بإزآء الملك التّشريعيّ المعتبر له تعالى.

و لو دلّ قوله: «لاتبديل لخلق الله» على عدم تبديل الملك و العبادة و العبوديّة لدلّ على التكوينيّ منهما، و الّذي يبدّله القائلون بإرتفاع التكليف عن الإنسان الكامل أو بعبادة الكواكب أو المسيح فإنّما يعني به التّشريعيّ منهما».

١٤ ـ قيل: إنّ هذا خبر في معنى النّهي التّشريعيّ كأنّه سبحانه قال: لاتبدّلوا دين الله

بالشّرك و التحريف... و ذلك أنّ العقل الإنسانيّ كصحيفة بيضآء، قابلة لنقش ما يراد أن يكتب فيها كالأرض تقبل كلّ ما يغرس فيها، فهي تُنْبِتُ حنظلاً و فاكهة و دوآءً و سمّاً، و النّفس يُردّ عليها الدّيانات و المعارف فتقبلها، و الخير أغلب عليها من الشّرّ كما أنّ أغلب نبات الأرض يصلح للرّعي، و القليل منه سمّ لا ينتفع به، لاتغيّر بالآرآء الفاسدة إلاّ بمعلّم يعلمها ذلك كالأبوين اليهوديّين أو النّصرانيّين، و لو ترك الطّفل و شأنه لعرف أنّه الإله واحد، و لم يُسقه عقله إلى غير ذلك فإنّ البهيمة لاتجدع إلاّ بمن يجدعها من الخارج، هكذا صحيفة العقل لاتغيّر إلاّ بمؤثّر خارجيّ يضلّها بعد علم.

و فيه خلط بين الفطرة و العقل و النّفس من جهة، و خطأ في ذاتها و مقتضياتها من جهة اخرى، و جهل بين الأمر التكوينيّ و التّشريعيّ من جهة ثالثة، و إنّ الفطرة ليست كالأرض، و إنّما هي كالشّمس المضيئة الثّابتة غير المتغيّرة في حال من الأحوال، و إنّ العقل هو الموصل لضوء الشّمس إلى نفوسنا الّتي تكون مستعدّة لقبول الضّوء و عدمه، فليس في الفطرة و العقل ضلالة أبداً.

أقول: و التّاسع هو الحقّ و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً و اغتنم جدّاً فإنّ المقام مزالّ الأقدام...

و في قوله تعالى: «ذلك الدّين القيّم» أقوال: ١ ـ قيل: أي التّوحيد و هو الدّين المستقيم على فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها. ٢ ـ قيل: أي ما بيّناه من التّوحيد و العدل و إخلاص العبادة لله هو الدّين المستقيم الّذي يجب اتّباعه. ٣ ـ عن ابن عبّاس: أي ذلك القضآء القيّم المستقيم. ٤ ـ قيل: أي الحقّ المستقيم لاعوج فيه عن الإستقامة من الحنيفيّة إلى اليهوديّة و النّصرانيّة و غيرهما من الضّلالات و البدع المحدثة. ٥ ـ عن مقاتل: أي ذلك الحساب البيّن. ٦ ـ عن بريدة: أي ذلك الحساب القيّم.

٧ ـ قيل: أي ذلك الدّين المأمور باقامة الوجه له هو الدّين المستوي الّذي لاعوج فيه، و لا انحراف عن الحقّ بوجه من الوجوه. ٨ ـ قيل: إشارة إلى لزوم فطرة الله تعالى المستفاد من الإغرآء. ٩ ـ قيل: أي ذلك الفطرة هو الدّين القيّم. و تذكير «ذلك» بإعتبار الخبر أو بتأويل المشار إليه بمذكّر. ١٠ ـ قيل: أي ذلك الدّين القيّم الّذي ينسجم مع الفطرة، و كلّ ما

ينفصل عنها و يصطدم معها فما هو من الدّين القيّم في شيئ.

أقول: و العاشر هو التّحقيق و الصّواب فتدبّر.

و في قوله جلّ وعلا: «ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون» أقوال: ۱ ـ قيل: أي كفّار مكّة لايعلمون بتوحيد الله لأنّهم عموا أن يروا هذه الحقيقة، و أن يقع لعلمهم أنّ هذا الدّين هو الدّين المطلوب للفطرة المتجاوب معها. ۲ ـ قيل: أي ولكنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف من الظّروف لايعلمون صحّة ذلك الدّين القيّم لعدولهم عن النّظر فيه. ۳ ـ قيل: أي لايعلمون استقامة هذا الدّين. ٤ـ قيل: أي لايعلمون أنّ دين الله هو الإسلام لعدم تدبّرهم في البراهين القاطعة الدّالّة عليه، و لو علموا ذلك حقّاً لاتّبعوه و ما صدّوا النّاس عن الإقتباس من نور و ماسدلوا الحُجُب الّتي تحجب عنهم ضيآءه.

۵ـ قيل: أي لايتفكّرون فيعلمون أنّ لهم خالقاً معبوداً، و إلهاً قديماً سبق قضآؤه و نفذ حكمه. ٦ ـ قيل: أي إنّ الكفّار و المشركين و الفجّار و المستكبرين و الفسّاق و المجرمين في كلّ زمان و مكان لإنحرافهم عن الحقّ و الهدى، و ميلهم عن الصّواب و الرّشاد لايعلمون أنّ الدّين الّذي أمرتك يا محمّد(ﷺ) به بقولي: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً» هو الدّين الحقّ دون سآئر الأديان و غيره. ۷ ـ قيل: أي لايعلمون ذلك فيصدّون عنه صدوداً. ۸ ـ قيل: أي لاعلم لهم أصلاً، و لو علموا لعلموا ذلك على أنّ الفعل منزل منزلة اللازم. ۹ ـ قيل: أي ولكنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف من الظّروف لايعلمون أنّ فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها هي الدّين الحقّ الثّابت الّذي لايعتريه باطل أبداً و لاتبديل فيه أصلاً، و هو الإسلام الّذي أكمله الله تعالى يوم الغدير و ارتضاه.

أقول: و التّاسع هو الحقّ فتدبّر.

۳۱ـ(منيبين إليه و اتّقوه و أقيموا الصّلاة و لاتكونوا من المشركين)

في الآية الكريمة أقوال: ۱ ـ عن ابن عبّاس: أي كونوا مؤمنين أي مقبلين إلى الله بالطّاعة، و أطيعوه فيما أمركم به، و أتمّوا الصّلوات الخمس، و لاتكونوا مع المشركين على دينهم.

٢ ـ قيل: أي ألزموا راجعين إلى الله تعالى من الشّرك إلى التّوحيد، و الكفر إلى الإيمان، و من المعصية إلى الطّاعة و اتّقوا عقابه، و أتمّوا الصّلوات الخمس و لاتكونوا من المشركين على دينهم. ٣ ـ قيل: أي راجعين إلى الله سبحانه عن غيره لعلمهم بعدم قدرة غيره على كشفه. ٤ ـ عن قتادة: أي تائبين إلى الله من الذّنوب. ٥ ـ قيل: «منيبين» حال من «النّاس» في قوله تعالى: «فطر النّاس» على أنّه جلّ وعلا فطرهم منيبين تكويناً، فدعاهم إليه تشريعاً وفقاً بين التّكوين و التّشريع، أو أنّه أخبر بأنّهم عند الشّدّة و البلاء ينيبون إليه.

٦ ـ قيل: أي راجعين إلى الله عزّوجلّ بالتّوبة و إخلاص العمل مرّة بعد اخرى. و منه النّوب أي النّحل سمّيت بذلك لرجوعها إلى مقرّها. تقديره: فأقم وجهك أيّها الرّسول «صلى الله عليه و آله و سلم» أنت و من اتّبعك، حنفآء لله راجعين إليه. و تعميم الخطاب بعد تخصيصه برسول الله «صلى الله عليه و آله و سلم».

فيخاطب الرّئيس بلفظ الجماعة لأنّ له أتباعاً، و إنّما يراد به هو أتباعه... نظير قوله تعالى: «يا أيّها النّبيّ إذا طلّقتم النّسآء» الطّلاق: ١) و قوله: «فاستقم كما امرت و من تاب معك و لاتطغوا» هود: ١١٢) و المعنى: أقيموا وجوهكم راجعين إلى كلّ ما اُمرتم به مع التقوى و أدآء الفرآئض من دون الإشراك لله سبحانه.

٧ ـ قيل: أي راجعين إلى الله تعالى بالكلّيّة من غير أن تبق باقية، متّصفين بوفاقه، منحرفين بكلّ وجه عن خلافه، متّقين صغير الإثم و كبيره، قليله و كثيره، مؤثرين يسير وفاقة و عسيره، مقيمين الصّلاة بأركانها و سننها و آدابها جهراً، متحقّقين بمراعاة فضآئلها سرّاً. ٨ ـ قيل: أي ارجعوا إلى هذا الدّين الإنسانيّ الفطريّ و اعملوا بجميع أحكامه...

٩ ـ قيل: أي منقطعين إلى الله تعالى. مأخوذ من النّاب: السّنّ خلف الرّباعيّة لما يكون بها من الإنقطاع ما لايكون بغيرها. و فيه حيث إنّ النّاب يائيّ، و هذا واويّ. و اتّقوا الله من مخالفة أمره عزّوجلّ، ولاتكونوا من المشركين بترك الصّلاة. ١٠ ـ عن عبدالرّحمن بن زيد: أي مطيعين لله تعالى و لأوامره، راجعين عمّا كانوا من قبل ذلك من الشّرك و المعصية. ١١ ـ عن يحيى بن سلام و الفرّآء: أي مقبلين إلى الله تعالى و خافوه و امتثلوا ما أمركم الله تعالى به، و أدّوا الصّلاة في أوقاتها...

۱۲ ـ قيل: تتمّة من كلام سابق أي يا أيّها النّبيّ«صلى الله عليه و آله» لاتعتن بشرك المشركين و ضلالهم فإنّهم ينيبون إلى الله تعالى يوم الضّرّ و الضّيق، و ذلك دليل على كون فطرة الإنسان هو التّوحيد.

۱۳ ـ قيل: تقديره يا أيّها المؤمنون لاتحزنوا من شرك المشركين فإنّهم ينيبون يوم الشّدّة و البلاء إلى الله تعالى.

أقول: و السّادس هو الأنسب بمعناه اللغوي، من دون تنافٍ بينه و بين أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيداً.

۳۲ـ(من الّذين فرّقوا دينهم و كانوا شيعاً كلّ حزب بما لديهم فرحون)

في قوله تعالى: «من الّذي فرّقوا دينهم» أقوال: ۱ ـ عن ابن عبّاس و مقاتل: أي تركوا دين الإسلام الّذي أُمِروا به، فجعلوه أدياناً مختلفة لإختلاف أهوآءهم، و قلّة عقولهم، و قصور إدراكهم، إذ سوّلت لهم أنفسهم أنّ الإختلاف في بعض الفروع يوجب الإختلاف في الاصول، فصاروا فرقاً: اليهود و النّصارى و سائر أهل الملل و النّحل... و النّاس كانوا أُمّة واحدة، و هي الفطرة المستقيمة، فلمّا انعوجت فطرتهم بالمعاصي و اتّباع الأهوآء صنعوا ديناً بقدر اعوجاج فطرتهم. ۲ ـ قيل: أي اختلفوا في اصول دينهم. ۳ـ قيل: أي اختلفوا في فروع دينهم مع اتّحادهم في اصول دينهم. ٤ـ قيل: أي فرّقوا دينهم في اعتقاداتهم مع اتّحاد معبودهم.

۵ ـ قيل: إنّ قوله تعالى: «من الّذين» بدل من قوله: «من المشركين» بإعادة الجار. وفائدة الإبدال: التّحذير عن الانتمآء إلى حزب من أحزاب المشركين ببيان أن الكلّ على الضّلال المبين. و المعنى: إنّ المشركين اختلفوا فيما كانوا يعبدونه على إختلاف أهوآءهم من الأوثان و الأصنام على أشكال مختلفة، و من الملائكة و غيرهم من الشّمس و النّار و ما إليها حسب مشتهياتهم... ٦ـ عن قتادة و مَعْمَر: أي افترقت اليهود إحدى و سبعين فرقة، و النّصارى اثنتين و سبعين فرقة، و المسلمون ثلاثة و سبعين فرقة. ۷ ـ عن قتادة أيضاً و الفرّآء: تقدير الكلام: و لاتكونوا من المشركين من جملة الّذين فرّقوا دينهم و بدّلوه و

خالفوه ففارقوا و كانوا أحزاباً كاليهود و النّصارى.

٨ ـ قيل: أي أقاموا في دنياهم على خمار الغفلة، و عناد الجهل و الفترة، فركنوا إلى ظنونهم، و استوطنوا مركب أوهامهم، و تموّلوا من كيس غيرهم، و ظنّوا أنّهم على شئ، فإذا انكشف صباب وقتهم، و انقشع سحاب جحدهم، انقلب فرحهم ترحاً، و استيقنوا أنّهم كانوا في ضلالة، و لم يعرجوا إلاّ في أوطان الجهالة. ٩ ـ قيل: كلّ من خالف دين الحقّ الّذي أمر الله تعالى به فهو داخل فيه.

١٠ ـ قيل: تقديره: الّذين تفرّقوا. و التّفريق: جعل أحد الشيئين مفارقاً لصاحبه، و ضدّه الجمع، و هو جمع أحد الشيئين إلى صاحبه، فتفريق الدّين: جعل أحدهما ليس مع الآخر في معنى ما يدعوا إليه العقل، و هو منكر لمخالفته داعي العقل، و الدّين هو العمل الّذي يستحقّ به الجزآء، و دين الإسلام: هو العمل الّذي عليه الثّواب، و لو جمعوا دينهم في أمر الله و نهيه لكانوا مصيبين، ولكنّهم فرقوا بإخراجه عن حدّ الأمر و النّهي من الله، و كانوا بذلك مبطلين خارجين عن الحقّ الّذي أمرالله به.

١١ ـ قيل: أي من المشركين الّذي بدّلوا دين الفطرة و غيّروه و كانوا في ذلك فرقاً مختلفة كلّها جانبت الحقّ، و ركنت إلى الباطل كاليهود و النّصارى و المجوس و عبدة الأوثان و سآئر الأديان الباطلة، ففي الجملة تعريف المشركين بأخصّ صفاتهم في دينهم و هو تفرّقهم في دينهم و عودهم فرقة فرقة، و حزباً و حزباً يفرح و يسرّ كلّ فرقة و حزب بما عندهم من الدّين الباطل، و السّبب في ذلك ما ذكره قبيل هذا بقوله تعالى: «بل اتّبع الّذين ظلموا أهوآءهم فمن يهدي من أضلّ الله و ما لهم من ناصرين».

فبيّن أنّهم بنوا دينهم على أساس الأهوآء، و أنّه عزّوجلّ لايهديهم و لاهادي غيره، و من المعلوم أنّ هوى النّفس لايتّفق في النّفوس، بل و لايثبت على حال واحدة دون أن يختلف باختلاف الأحوال، و إذا كان هو الأساس للدّين لم يلبث دون أن يسير بسير الأهوآء، و ينزل بنزولها، و لا فرق في ذلك بين الدّين الباطل، و الدّين الحق المبنيّ على أساس الهوى، و من هنا يظهر أنّ النّهي عن تفرّق الكلمة في الدّين نهي في الحقيقة عن بناء الدّين على أساس الهوى دون العقل.

١٢ ـ قيل: هذا النّهي لأهل القبلة من أصحاب الهوى و البدع. فـ«من الّذين» منقطع عمّا قبله. و المعنى: من المفارقين دينهم، كلّ حزب بصفة كذا.

أقول: و على الحادي عشر أكثر المفسّرين و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

و في قوله سبحانه: «و كانوا شيعاً» أقوال: ١ ـ عن الكلبي: أي و كانوا فرقاً مختلفة كأهل البدع في هذه الأُمّة يخالف كلّ فرقة فرقة اخرى. و الشيع: الفرق الّتي يجتمع كلّ فريق منها على مذهب، خلاف مذهب الفريق الآخر، وشيعة الحقّ هم الّذين اجتمعوا على الحقّ، و كذلك شيعة أمير المؤمنين«ﷺ» هم الّذين اجتمعوا معه على الحقّ و شيعة الباطل هم الّذين اجتمعوا على الباطل كسائر الفرق الإسلاميّة من شيعة أصحاب السّقيفة...

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام عليّ«ﷺ» فيهم: «حتّى يكون بعضكم أئمّة لأهل الضّلالة و شيعة لأهل الجهالة». ٢ ـ قيل: أي فرقاً تشايع كلّ منها أمامها الّذي مهّد لها دينها، و أضلّ دينها و قرّره و وضع اصوله.

٣ ـ قيل: أي انقسموا شيعاً و أهوآءً في أمر الدّين، فمنهم المعترف بالله مع إشراك غيره به من ملائكة و غير ملائكة، و منهم الوثني، و منهم عابد الكواكب، و منهم عابد النّار و غيرها... كلّها نتيجة لاتّباع أهوآء النّفوس و مآربها، و تمسّك كلّ فرقة برأيها تمسّك التّعقّب الأعمى و النّهي عنه. ٤ ـ قيل: أي تركوا دينهم الحقّ و صاروا فرقاً: اليهود و النّصارى و المجوس.

أقول: و على الثّالث أكثر المفسّرين، و إن كان التّعميم غير بعيد.

و في قوله عزّوجلّ: «كلّ حزب بما لديهم فرحون» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي كلّ أهل دين بما عندهم من الدّين مُعْجَبُون يرون أنّه حقّ. ٢ ـ قيل: أي كلّ حزب بما اختاروه من المسالك و الطّرق مسرورون لاعتقادهم أنّه الحقّ، و ما سواهم هو الباطل.

٣ ـ قيل: أي كلّ حزب بمالديهم من الدّين المعوج المؤسس على الرّأي الزّائغ، و الزّعم الباطل، مسرورون ظنّاً منهم أنّه حقّ، إذ لم يتبيّنوا الحقّ، و عليهم أن يتبيّنوه. ٤ ـ عن مقاتل: أي كلّ أهل دين بما عندهم من الدّين راضون، و كلّ قوم تشاكلت قلوبهم و

أعمالهم فهم أحزاب، و إن لم يلق بعضهم بعضاً.

۵ ـ قيل: أي كلّ فريق بما لديهم فرحون من الإعتقاد الّذي يعتقدونه يسرّون بـه لاعتقادهم أنّه الحقّ دون غيره. ٦ ـ قيل: أي كلّ طائفة من هؤلآء الّذين فارقوا دينهم الحقّ، و أحدثوا من البدع ما أحدثوا فرحون بما هم به مستمسكون، و يحبّون أنّ الصّواب لايعدوهم إلى غيرهم من الملل و النّحل و المذاهب الاخرى لأنّهم كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، و اطمأنّوا ممّا علموا ككثير من رؤسآء الطّوآئف في الأمّة الإسلاميّة اليوم.

٧ ـ قيل: كان هذا قبل أن تنزل الفرآئض. ٨ ـ قيل: أي انّ العاصي لله جلّ وعلا قد يكون فرحاً بمعصيته، فكذلك الشيطان و قطّاع الطّريق، و حكّام الجور و غيرهم. ٩ ـ قيل: أي أوقعوا في دينهم الإختلاف و صاروا ذوي أديان مختلفة، فبعضهم يعبد الدّنيا، و بعضهم يعبد الهوى، و بعضهم يريد الجنّة، و بعضهم يريد الخلاص من النّار و هكذا.

أقول: و على الأخير أكثر المفسّرين و في معناه أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٣٣ ـ (و إذا مسّ النّاس ضرّ دعوا ربّهم منيبين إليه ثمّ إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربّهم يشركون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن الحسن: أي و إذا أصاب هؤلآء المشركين مرض أو فقر أو شدّة أو قحط أو جدب، دعوا الله وحده، منقطعين عن غيره، راجعين إليه جلّ وعلا، مخلصين له تعالى في الدّعآء، ثمّ إذا أذاقهم الله سبحانه من فضله، رحمة، خلاصاً من تلك الشّدآئد بأن يعافيهم من المرض أو يغنيهم من الفقر أو ينجيهم من الشّدة أو من الخوف أو الاضطراب، نعمة منه تعالى عليهم إذاً جماعة منهم أي فاجأوا الإشراك بـربّهم الّـذي عافاهم، فيعودون إلى عبادة غير الله من الأوثان و الأصنام و غيرها بخلاف ما يقتضيه العقل في مقابلة النّعمة بالشّكر، فهؤلآء المشركون عند الشّدّة و البلاء يتضرّعون إلى الله جلّ وعلا و ينيبون إليه، و إذا خلصوا منها، ففريق منهم يرجعون إلى شنشنتهم الاولى، و يشركون به الأوثان و الأصنام و الكواكب و النّجوم و الملائكة و ما إليها من الآلهة المختلفة...

۲ ـ قيل: إنّ الآية الكريمة بصدد بيان فطرة النّاس و هي التّوحيد، و طبيعتهم و هي الشّرك، بأنّ النّاس جميعاً مؤمنيهم و كافريهم كلّهم عند الشّدّة و البلاء يرجعون إلى ما تقتضيه فطرتهم و هو التّوحيد و الطّاعة و الإخلاص، فيتضرّعون إلى الله تعالى وحده ليكشف عنهم الضّرّ، و إذا خلصوا من البلايا... فالكافرون منهم يرجعون إلى ما تقتضيه طبيعتهم و هو الشّرك و الطّغيان و الضّلال.

۳ ـ قيل: أي إذا أظلّت الكفّار و المستكبرين، و الفجّار و المجرمين... المحنة، و نالتهم الفتنة، و مسّتهم البليّة رجعوا إلى الله بأجمعهم، به مستعينين، و بلطفه مستجيرين، و عن محنتهم مستكشفين، فإذا جاد عليهم بكشف ما نالهم و نظر إليهم باللطف و الرّحمة فيما أصابهم، فإذا جماعة منهم لا كلّهم يشركون بربّهم، فيعودون إلى عاداتهم المذمومة في الكفر و العصيان، و يقابلون إحسانه بالغفلة و النّسيان، هؤلآء ليس لهم عهد و لا وفآء، ولا في مودّتهم صدق و صفآء...

٤ ـ عن ابن عبّاس: أي إذا أصاب كفّار مكّة شدّة ينقلبون إلى الله سبحانه وحده دون الأصنام لعلمهم بأنّه لا فرج عنها، ينقلبون إليه تعالى لرفع الشّدّة و كشف ما نزل بهم، ثمّ إذا أصابهم من الله عزّ وجلّ نعمة من سعة في الرّزق، و عافية في الجسم، و خصب و رخاء... تركوا ربّهم في الرّخآء، و قد وحّدوه في الضّرّآء، و يعدلون به الأصنام...

٥ ـ قيل: إنّ المراد بالنّاس المؤمنون. ٦ ـ قيل: لمّا وقع على مشركي مكّة بلاء و هو انحباس المطر، خافوا فدعوا الله تعالى وحده، فلمّا انكشف عنهم بنزول المطر، فجماعة منهم عادوا إلى شركهم السّابق، أو قدموا القرابين إلى أوثانهم عند هطوله. ۷ ـ قيل: إنّ المراد بالنّاس طائفة من المشركين لا كلّهم بأنّ طائفة منهم يرجعون عند البلآء إلى الله عزّ وجلّ، و طائفة اخرى منهم يقنطون من رحمة الله عند الشّدة و البلاء...

أقول: و الثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق فتدبّر جيّداً.

٣٤ـ (ليكفروا بما آتيناهم فتمتّعوا فسوف تعلمون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي حتّى يكفروا بما أعطيناهم من النّعمة

فعيشوا يا أهل مكّة في الدّنيا، فسوف تعلمون ماذا يفعل بكم في الآخرة. فاللاّم في «ليكفروا» بمعنى «حتّى». ٢ـ عن مقاتل: أي أذاقهم الله تعالى رحمة منه لئلاّ يكفروا بالّذي أعطاهم من الخير، فتمتّعوا قليلاً إلى آجالكم فسوف تعلمون ما يفعل بكم يوم القيامة.

٣ـ قيل: إنّ النّعمة كانت سبيلاً لكفرهم، فكأنّه أعطاهم لذلك كقوله تعالى: «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً و حزناً» القصص: ٨) فالمعنى: فليكفروا ما شآء لهم كفرهم، و ليتمتّعوا بما نالوه ردحاً من الزّمن لسوف يرون نتيجة هذا الكفر و شؤمه عليهم و وبال تمتّعهم.

٤ـ قيل: اللاّم للتعليل، بنآء على أنّ شركهم هو علّة لكفرانهم بما آتاهم الله تعالى من نعمه، فهم بهذا الشّرك ينكرون نعم الله سبحانه عليهم، و لا يضيفونها إليه جلّ وعلا، بل يجعلونها لمعبوداتهم الّتي يعبدونها من دون الله، فليتمتّعوا بما هم فيه، و سوف يعلمون ما يجرّه عليهم كفرهم و شركهم من بلاء شديد و عذاب أليم. ٥ ـ قيل: أي عن قريب سيحدث بهم مثل ما أصابهم، ثمّ إنّهم يعودون إلى التّضرّع، و يأخذون فيما كانوا عليه بدءاً من التّخشّع، فإذا أشكاهم و عافاهم رجعوا إلى رأس خطاياهم...

٦ـ قيل: إنّ قوله تعالى: «ليكفروا بما آتيناهم» بيان لشركهم بالله سبحانه بأنّ فريقاً من النّاس يشركون بالله جلّ وعلا ليكفروا بما آتاهم الله عزّ وجلّ من نعمه، ثمّ هدّدهم بقوله: «فتمتّعوا» أي انتفعوا بهذه النّعم الدّنيويّة كيف شئتم فسوف تعلمون ما فيه من كفركم و معصيتكم أي تصيرون في العاقبة إلى عذاب الله و أليم عقابه، فسوف تعلمون عاقبة تمتّعكم. ٧ـ قيل: إنّ اللام بمعنى «كي» و المعنى: فليجحدوا نعمي عليهم و إحساني إليهم كيف شاؤا كقوله تعالى: «فمن شآء فليؤمن و من شآء فليكفر» الكهف: ٢٩) و قوله سبحانه: «إعملوا ما شئتم إنّه بما تعملون بصير» فصّلت: ٤٠).

فإنّ لهم يوماً نحاسبهم فيه، يوم يؤخذون بالنّواصي، و يجرّون بالسّلاسل و الأغلال، و يقال لهم: «ذوقوا ما كنتم تعملون» العنكبوت: ٥٥) فتمتّعوا بما آتيناكم من الرّخآء وسعة النّعمة في الحياة الدّنيا، فما هي إلاّ أويقات قصيرة تمضي كلمح البصر، فسوف تعلمون إذا وردتم عليّ ما يصيبكم من شديد عذابي، و عظيم عقابي على كفركم بي في الدّنيا.

٨ـ قيل: اللاّم للأمر الغائب، و قوله: «فتمتّعوا» متفرّع على «ليكفروا» و هو أمر آخر،

و الأمران جميعاً للتهديد.

أقول: ولكلّ وجهٌ فتأمّل جيّداً.

۳۵ـ(أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون)

في الآية الكريمة أقوال: ۱ ـ عن قتادة و الضّحّاك و الرّبيع بن أنس: أي أأنزلنا على هؤلآء المشركين كتاباً من السّمآء فهو ينطق بشركهم أو فيه تصديق لما يقولون، و إرشاد إلى حقيقة ما يدّعون؟! و اللفظ استفهام، ولكنّ المراد به النفي أي و لم ينزّل عليهم كتاباً بما يقولون، و لا اُرسِلَ به رسول من عندالله سبحانه، و إنّما هو شيءٌ افتعلوه اتّباعاً لأنفسهم الأمّارة بالسّوء و أهوآءهم... ۲ ـ قيل: أي هل أنزلنا عليهم رسولاً يتكلّم بأنّا أرسلناه بما يدّعونه من الإشراك مع الله سبحانه في العبادة؟ فإنّهم لا يقدرون على ذلك ولايمكنهم إدّعاء رسالة رسول إلى ذلك، و إنّما هو شيءٌ افتعلوه و اختلقوه اتّباعاً منهم لأهوآئهم...

كأنّه قال: إذا تقرّرت لهم الحجج المذكورة على التّوحيد، فماذا يقولون في شركهم بالله سبحانه؟ أيتّبعون أهوآءهم في شركهم بغير علم؟ أم لهم دليل على ذلك؟ فإذا لم يكن لهم دليل عليه، فهم يتّبعون أهوآءهم في ذلك لجهلهم، فنشأ اتّباعهم لأهوآءهم هو جهلهم و سفاهتهم. و إنّ الكلام و إن خرج مخرج الإستفهام ولكنّ المراد به التّبكيت.

۳ ـ قيل: أي بل أأنزلنا عليهم ملكاً فهو يتكلّم بالبرهان الّذي كانوا بسببه يشركون أو هو يتكلّم بشركهم. فالمراد بالسّلطان: ذو السّلطان و هو الملك أو من معه برهان. و بناء على هذا المعنى فلا مجاز في الإنزال و التّكلّم. ٤ ـ قيل: أي أعلمنا هؤلآء المشركين برهاناً فهو يدلّ أو يشهد على ما كانوا به يشركون أو بشركهم؟ هذا بنآءً على أنّ «أم» منقطعة، و المراد بالإنزال هو الإعلام أو التّعليم مجازاً. و المراد بالسّلطان: البرهان، و بالتكلّم: الدّلالة و الشّهادة مجازاً عقليّاً كما تقول: كتابه ناطق بكذا. و هذا ممّا نطق به القرآن. كقوله تعالى: «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ» الجاثية: ۲۹).

٥ ـ قيل: أي أم أنزلنا عليهم عذراً بأنّ الّذي هم عليه حقّ و صواب. ٦ ـ عن ابن عبّاس: أي هل أنزلنا على أهل مكّة كتاباً فيه العذر و البرهان من السّمآء، فهو يشهد و

ينطق بما كانوا بالله يشركون أي يعدلون أنّ الله أمرهم بذلك. ٧ ـ عن ابن عبّاس و الضّحّاك أيضاً: أي بل أنزلنا عليهم برهاناً و حجّة يتسلّطون بذلك على ما ذهبوا إليه، فذلك البرهان كأنّه يتكلّم بصحّة شركهم و يحتجّ لهم به؟! و المعنى: إنّهم لايقدرون على تصحيح ذلك و لايمكنهم إدّعاء برهان و لاحجّة عليه. ٨ ـ قيل: أي أنزلنا عليهم آية تدلّ على صحّة شركهم بالله سبحانه و كفرانهم بنعمه تعالى.

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتأمّل جيّداً.

٣٦ ـ (و إذا أذقنا النّاس رحمة فرحوا بها و إن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي إذا أذقنا كفّار مكّة و غيرهم رحمة فرحوا بها، و الرّحمة هي المطر و الصّحّة، و الغنى و السّعة في الرّزق، و إن تصبهم سيّئة و هي الجوع و الجدب و الفقر و المرض و الشّدّة بسبب معاصيهم جزآء لذنوبهم إذا هم آيسين من الرّزق و الرّحمة. فالكفّار في كلّ ظرف من الظّروف فهم يفرحون و يبطرون في حالة اليسر و النّعمة و يقنطون و يحزنون في حالة الشّدّة و الضّرّآء، فتستميلهم طورق طواق أحوالهم، فإن كانت نعمة فإلى فرح، و إن كانت شدّة فإلى قنوط و ترح، و ليس وصف المؤمنين الصّادقين كذلك: «لكيلا تأسوا على مافاتكم و لاتفرحوا بما آتاكم» الحديد: ٢٣).

٢ ـ قيل: النّاس هنا، هم مطلق النّاس، فإنّ من شأن الإنسان من حيث هو إنسان إذا أذاقه الله تعالى من رحمته، و أفاض عليه من نعمه، فرح و رضى و بطر... و إن أصابه سوء تكرّه و سآء ظنّه و طاف به طآئف اليأس و القنوط... لقوله تعالى: «إنّ الإنسان خلق هلوعاً إذا مسّه الشّرّ جزوعاً و إذا مسّه الخير منوعاً إلاّ المصلّين الّذين هم على صلاتهم دائمون» المعارج: ١٩ ـ ٢٣).

و النّاس في هذا درجات متفاوتة... فالمؤمنون منهم على حال، غير حال الكفّار و المشركين، و الفجّار و المستكبرين، و الفسّاق و المنافقين، و البغاة و الظّالمين، و الطّغاة و المجرمين... منهم.

ثمّ إنّ المؤمنين ليسوا كلّهم على حال واحدة، بل هم درجات... و الدّرجة الّتي يتحقّق بها إيمان المؤمن على صورة سويّة محمودة، هي ألاّ يستبدّ به الفرح إذ البسته نعمة، و ألاّ يدخل عليه اليأس و القنوط من رحمةالله تعالى إذا مسّه ضرّ و أصابه سوء فهو على رجآء أبداً من رحمة الله عزّوجلّ و إنّه ـ و هو في البلاء ـ ليستسيغ طعمه، و ينزل منزل الرّضا و التّسليم من نفسه... مفوّضاً أمره إلى الله، راضياً بما قسم الله له... فمن شأن المؤمن أن يشكر عند النّعمة، و يرجو ربّه عند الشّدّة.

٣ ـ قيل: أي و إذا أذقنا النّاس رحمة من عندنا بأن تنعم عليهم بضروب النّعم، و نصحّ أجسامهم، و ندرّ أرزاقهم، و نكثر مواشيهم و غير ذلك من النّعم و إنّهم يفرحون بذلك، و يسرّون، و إن أصابهم عذاب من الله تعالى جزآء على ماكسبته أيديهم إذا هم ييأسون من رحمة الله تعالى.

و ذلك أنّ الإنسان قد ركب في طبيعته الفرح و البطر حين تصيبه النّعمة كما حكى الله تعالى عنه: «ليقولنّ ذهب السّيّئات عنّي إنّه لفرح فخور» هود: ١٠).

و إذا أصابته شدّة بجهله بسنن الحياة و عصيانه أوامر الدّين قنط من رحمة الله و آيس منها فهو كما قيل:

كحمار السّوء إن أعلفته   رمح النّاس و إن جاع نهق

إلاّ الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات فإنّهم راضون بما قسمه لهم ربّهم من خير أو شرّ، علماً منهم أنّ الله حكيم لايفعل إلاّ ما فيه خير للعبد و في الحديث الصّحيح: «عجباً للمؤمن لايقضي الله له قضآء إلاّكان خيراً له: إن أصابته سرّآء شكر، فكان خيراً له، و إن أصابته ضرّآء صبر فكان خيراً له».

٤ ـ قيل: إنّ المراد بالنّاس في هذه الآية فريق آخر، غير الفريق المراد بالنّاس في الآية السّابقة، و لو فرض اتّحادهما لكان ما ذكر من دعآئهم في حال، و قنوطهم فى حال اخرى.

و المعنى: و إذا فرقنا فريقاً من النّاس رحمة أي النّعمة و الصّحّة و الثّروة و القوّة بطروا بسببها، وإن تصبهم شدّة بسبب شؤم معاصيهم لسنن الحياة إذا هم فاجأوا القنوط من رحمته. ٥ ـ عن ابن عبّاس: أي و إذا أصبنا كفّار مكّة نعمة أعجبوا بها غير شاكرين بها و

إن تصيبهم شدّة ضيق و قحط و مرض بما عملت أيديهم في الشّرك إذاهم ييأسون من رحمة الله غير صابرين بها.

عن يحيي بن سلام: «رحمة» أي خِصْبٌ و سعة و عافية. و عن النّقاش: أي نعمة و مطر. و قيل: أمن ودعة. «و إن تصبهم سيّئة» عن مجاهد: أي بلاء و عقوبة. و عن السّدي: أي قحط و انقطاع المطر و شدّة. و سمّيت سيّئة لأنّها تسوء صاحبها. بما قدّمت أيديهم: أي بما عملوا من المعاصي إذا هم ييأسون من الرّحمة و الفرج. و عن الحسن: إنّ القنوط: ترك الفرآئض لله سبحانه في السّر. و عن الجبائي: أي و إن أصابهم بلاء و عقوبة بذنوبهم الّتي قدّموها. و سمّيت سيّئة توسّعاً لكونه جزآء على السّيّئة.

٦ ـ إنّ الآية صفة للكافر الّذي يقنط عند الشّدّة، و يبطر عند النّعمة، و كثير ممّن لم يرسخ الإيمان في قلوبهم بهذه المثابة، و أمّا المؤمن حقًّا فيشكر ربّه عند النّعمة، و يرجو فضله عند الشّدّة و البلاء.

أقول: و الثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق بناءً على أنّ الآية الكريمة بصدد بيان طبيعة الإنسان بما أنّه إنسان و إن كان المؤمن على خلاف الكافر، على أنّ فطرة المؤمن باتّباعه لعقله غالبة على طبيعته، و أنّ طبيعة الكافر باتّباعه لهواه غالبة على فطرته فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً و لاتغفل.

٣٧ـ (أولم يروا أن الله يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ أي ألم يشاهد هؤلآء المشركون و لم ينظروا و لم يعلموا أنّ بسط الرّزق و قدره من الله تعالى؟ فما بالهم لم يشكروا في السّرّآء، و لم يحتسبوا في الضّرّآء كما يفعل المؤمنون؟ فإنّ من فطر هذا الكون لايُنزل الشّدّة بعباده إلاّ لما هم فيها من الخير كالتّأديب و التّذكير و الإمتحان، فهو جلّ وعلا كما يربي عباده بالرّحمة يربيهم بالتّعذيب، فلو أنّهم شكروا لله جلّ وعلا حين السّرّآء، و تضرّعوا إليه سبحانه في الضّرّآء لكان خيراً لهم، فيجب عليهم أن ينيبوا إليه في الشّدّة و الرّخآء، و لا يعوقهم عن الإنابة إليه نعمة

تبطرهم ولاشدّة تحدث في قلوبهم اليأس، و بل يكونون في الحالين منيبين إليه.

إنّ في ذلك البسط على مَن بُسط له، و القدر على مَن قدر عليه لدلالة واضحة لقوم يؤمنون بالله تعالى، و يصدّقون بحجج الله إذا عاينها، و يستدلّون بها على كمال علمه و حكمته، و تدبيره و قدرته، فيوسّع الرّزق أو يضيّقه تبعاً لأسبابه السّائغة شرعاً و عقلاً، و أمّا المال الحرام فليس من رزق الله سبحانه في شئ.

٢ ـ قيل: أي أو لم يفكر النّاس جميعاً في كلّ زمان و مكان فيعلموا أنّ الله يوسّع الرّزق لمن يشآء، يرى صلاحه في ذلك، و يضيق على من يشآء، يرى صلاحه في ذلك.

و بسط الرّزق: الزّيادة على مقدار الفوت منه بما يظهر حاله، و أصل البسط: نشر الشئ بما يظهر به طوله و عرضه، و بسط الرّزق مشبه به. إنّ في بسط الرّزق لقوم، و تضييقه لقوم آخرين لدلالات لقوم يؤمنون بالله تعالى لأنّهم يعلمون أنّ البسط و الضيق من فضل الله الّذي لايعجزه شئ.

و ذلك أنّهم يعلمون بل كأنّهم يرون أنّ الرّزق الّذي يناله الإنسان أو يكتسبه متوقّف على آلاف من الأسباب و الشّرآئط، ليس الإنسان الّذي يراه لنفسه إلاّ أحد تلك الأسباب، و لا السّبب الّذي يركن إليه و يطيب به نفساً إلاّ بعض تلك الأسباب، و أنّ الأسباب كلّها تنتهي إلى الله جلّ وعلا، فهو الّذي يعطي و يمنع، و هو الّذي يوسّع و يضيّق، فلاينبغي للإنسان ـ في البسط و الضّيق ـ أن يعلق قلبه بغير الله تعالى لأنّ ما يسؤه ليس زواله إلاّ بالله سبحانه، و ما يسرّهم ليس وجوده إلاّ من الله تعالى، فالبسط الّذي يسرّهم و يؤنسهم منه وجوده، و القبض الّذي يسؤهم و يوحشهم من الله وصوله، فالواجب لزوم ساحة الأسرار، و قطع الأفكار عن الأغيار.

٣ ـ عن ابن عبّاس: أي أو لم يخبر كفّار مكّة في الكتاب: أنّ الله يوسع المال على من يشآء و هو مكر منه سبحانه، و يقتر على من يشآء و هو نظر منه، إنّ في البسط و التقتير لعلامات و عبراً لقوم يؤمنون بمحمّد ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و بالقرآن. ٤ ـ قيل: أي أو لم ير هؤلآء الّذين يفرحون عند الرّخآء يصيبهم و الخصب، و ييأسون من الفرج عند شدّة تنالهم بعيون قلوبهم، فيعلموا أنّ الشّدّة و الرّخآء بيد الله تعالى.

أقول: و على الثّانيّ أكثر المحقّقين فتدبّر.

٣٨ـ (فآت ذا القربى حقّه و المسكين و ابن السّبيل ذلك خير للّذين يريدون وجه الله و اولئك هم المفلحون)

في قوله تعالى: «فآت ذاالقربى حقّه و المسكين و ابن السّبيل» أقوال: ١ ـ عن مجاهد و السّدي: خطاب لرسول الله «ﷺ» خاصّة ليعطي أقاربه حقوقهم الّتي جعلها الله لهم من الأخماس.

و المعنى: أعط أيها النّبيّ «ﷺ» ذوى قرباك حقوقهم الّتي جعلها الله لهم في الأخماس.

٢ ـ قيل: إنّ الخطاب و إن كان متوجّهاً إلى رسول الله «ﷺ» ولكنّه متوجّه إلى جميع المكلّفين... و ذو القربى: صاحب القرابة من الأرحام، و في إضافة الحقّ إلى الضّمير دلالة على أنّ لذي القربى حقًّا ثابتاً، و ظاهر الآية بما تحتفّ به من القرآئن: أنّ المراد بها الخمس، و التكليف للنّبيّ «ﷺ» و يتبعه غيره ممّن كلّف بالخمس. و القرابة: قرابة النّبيّ «ﷺ» كما في آية الخمس و آية المودّة.

٣ ـ قيل: أي فآت أيها الرّسول «ﷺ» ذا القرابة الخاصّة منك، حقّه الخاصّ عليك و هو فدك لفاطمة الزّهرآء سلام الله عليها. و عن ابن عبّاس عن أبي سعيد الخدري: لمّا نزلت هذه الآية أعطى النّبيّ «ﷺ» فاطمة الزّهرآء سلام الله عليه فدكاً و سلّمها إليها.

٤ ـ قيل: خطاب لمن بسط الله تعالى له من الرّزق كما تدلّ عليه الفآء. أي فليأت كلّ واحد من المسلمين الأغنياء حقوق ذوى قربائهم و المسكين و ابن السّبيل. ٥ ـ قيل: أي فاعط ذا القربى حقّه، و حقّ القرابة هو البرّ و العطف وصلة الرّحم، و الصّدقة و سآئر المبرّات... و أعط المسكين أي السّائل حقّه، و حقّه أن يتصدّق عليه بشيئ، و أعط ابن السّبيل و هو الضّيف النّازل، و حقّه أن تحسن طلبه. و قيل: المسكين هو السّائل و ابن السبيل هو المسافر ذو الحاجة و الضّيف النّازل.

٦ ـ قيل: أمر موجّه للسامع بوجوب ايتاء ذي القربى و المساكين و أبنآء السّبيل حقوقهم و الإحسان إليهم. و المسلمين أسوأ حالاً من الفقير، و ابن السّبيل: هو المسافر ذو الحاجه في سفره و إن كان غنيًّا فى بلده. ٧ ـ قيل: الفآء فصيحة تفصح عن مقدّر، تقديره: إن

سفره و إن كان غنيّاً في بلده. ٧ـ قيل: الفآء فصيحة تفصح عن مقدّر، تقديره: إن عرفت أنّ السّيّئة أصابتهم بسبب ما أسلفوا من الذّنوب فآت... و إنّ القرابة على قسمين: قرابة النّسب، و قرابة الدّين، و الثّانية أمسّ و أحقّ بالمواساة من الاولى، و إذا كان الرّجل مشتغلاً بالعبادة غير متفرّغ لطلب المعيشة، فالّذين لهم ايمان بحاله، و إشراف على وقته يجب عليهم القيام بشأنه بقدر ما يمكنهم ممّا يكون له عون على الطّاعة و فراغ القلب من كلّ علّة، فاشتغال الرّجل بمراعاة القلب يجعل حقّه آكد، و تفقّده أوجب. ٧ـ عن الحسن: إنّ المراد بالقربى: قرابة الرّجل و هو أمر بصلة الرّجل بالمال و النّفس. و عنه أيضاً: «حقّه»: المواساة في اليسر، و قول ميسور في العسر.

٧ـ قيل: أي أيها الرّسول«ﷺ» و من تبعك من المؤمنين الأقارب الفقرآء جزءاً من مالك صلة للرّحم، و برّاً بهم لأنّهم أحقّ النّاس بالشّفقة، و أحسنوا إلى ذوي الحاجات من المساكين و أبنآء السّبيل، فإنّه إذا بسط الرّزق لم ينقصه الإنفاق، و إذا قدر لم يزده الإمساك.

إذا جادت الدّنيا عليك فَجُدْ بها ... على النّاس طُرّاً إنّها تتقلّب

فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ... و لا البخل يبقيها إذا هي تذهب

٨ـ قيل: إنّ المراد بالحقّ هو الزّكاة المفروضة. ٩ـ قيل: إنّ المراد بالحقّ، الحقّ المالي، و المراد بذي القربى: بنو هاشم و بنو عبدالمطّلب، أمرالله تعالى رسوله«ﷺ» أن يؤتيهم حقّهم من الغنيمة و الفيئ. ١٠ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي فأعط يا محمّد ذا القربى في الرّحم صلته، و أعط المسكين الكسوة و الطّعام، و أكرم الضّيف النّازل بك ثلاثة أيّام فما فوق ذلك فهو صدقة معروف.

أقول: و الثّالث هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فراجع إلى بحث النّزول، و سيأتيك البحث الرّوائي، و بحث حول فدك تفصيلاً فانتظر.

و في قوله سبحانه: «ذلك خير للّذين يريدون وجه الله» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي ذلك الّذي ذكرت من الصّلة و العطيّة و الإكرام خير ثواب و كرامة في الآخرة للّذين يريدون وجه الله بعطيّتهم. ٢ ـ قيل: أي ذلك الايتاء خير من غيره. ٣ ـ قيل: أي ذلك

الايتآء خير في نفسه من دون مقايسة إلى غيره بأنّ ذلك خير عند الله لمن يريد رضائه. ٤ـ قيل: إن «خير» هنا لايكون لمعنى التّفضيل. بأنّ الإعطآء خير للّذين يطلبون ثواب الله بأعمالهم. ٥ ـ قيل: أي ذلك الايتاء خير من المنع للّذين يريدون ذاته أو جهة قربته، فإنّ من أنفق اُلوفاً من أمواله رئاءً أو سمعة لم ينل درجة من أنفق رغيفاً لوجه الله.

٦ ـ قيل: أي إعطاء الحقّ ذويه أفضل من الإمساك إذا اُريد بذلك وجه الله و التّقرّب إليه. ٧ ـ قيل: أي الّذي وصف من صلة القرابة و المسكين و ابن السّبيل ذلك خير من الإمساك عندهم، خير للّذين يريدون بذلك رضا الله تعالى. فالإنفاق في هذا الوجه هو خير مدّخر للّذين يريدون بما أنفقوا وجه الله، و يبتغون مرضاته بامتثال أمره، و هم يقصدون بمعروفهم إيّاه تعالى خالصاً أو يقصدون جهة التّقرّب إلى الله لاجهة اخرى، و هؤلآء هم المؤمنون بالله... أمّا غير المؤمنين فإنّهم إذا أنفقوا في هذا الوجه فلاينالون بما أنفقوا خيراً لأنّهم لم ينفقوا ما أنفقوا و هم ناظرون إلى الله، مؤمنون به، ممتثلون أمره، و إنّما انفقوا ما أنفقوا إرضاءاً لنزعات نفوسهم و وساوس خواطرهم...

أقول: و الثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق فتدبّر جيّداً.

و في قوله عزّوجلّ: «و اولئك هم المفلحون» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي هم النّاجون من السّخط و العذاب. ٢ ـ قيل: أي هم الباقون في النّعمة، و يسمّى السّحور فلاحاً لأنّه يبقى للصّائم قوّة. ٣ ـ قيل: أي هم الفآئزون بمطلوبهم من الثّواب في الآخرة، حيث حصّلوا بما بسط لهم النّعيم المقيم في الجنّة.

٤ ـ قيل: أي هم الفائزون برضائه لأنّهم يريدون بما أنفقوا وجه الله تعالى، فيتقبّل الله سبحانه منهم ما أنفقوا، و يضاعف لهم الجزآء الطّيّب عليه كما قال جلّ وعلا: «إنّما يتقبّل الله من المتّقين» المائدة: ٢٧) و قال: «للّذين أحسنوا الحسنى و زيادة و لا يرهق وجوههم قتر و لاذلّة اولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون» يونس: ٢٦) و قال: «و ما أموالكم و لا أولادكم بالّتي تقرّبكم عندنا زلفى إلاّ من آمن و عمل صالحاً فاولئك لهم جزآء الضّعف بما عملوا و هم في الغرفات آمنون» سبأ: ٣٧).

أقول: و على الرّابع أكثر المحقّقين فتأمّل جيّداً.

٣٩ـ(و ما آتيتم من رباً ليربوا في أموال النّاس فلايربوا عند الله و ما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون)

في قوله تعالى: «و ما آتيتم من رباً ليربوا في أموال النّاس فلايربوا عند الله» أقوال:

١ ـ عن ابن عبّاس و سعيد بن جبير: أي أن يدفع الإنسان شيئاً ليعوّض ما هو أكثر منه، و هذا ليس بحرام، ولكن لا ثواب له لمن زاد على ما أخذ. و المعنى: و ما أعطيتم من عطيّة أو هديّة أو هبة لتعطوا أكثر منها، فلا ثواب لكم عندالله إذ لم تردوا بها طاعة الله.

و ذلك أنّ الرّبا على قسمين: **أحدهما ـ** حرام و هو كلّ قرض بشرط أن يؤخذ به أكثر منه أو تُجرّ به منفعة فحرام، فإنّه زيادة خالية عن العوض في عقد المعاوضة. **ثانيهما ـ** ليس بحرام و هو أن يهبه الإنسان يستدعى به ما هو أكثر أو يهدى هديّة ليُهدىٰ به ما هو أكثر منها.

فالمراد بالرّبا هنا أن يهب الرّجل غيره هبة أو يهدى إليه هديّة على قصد أن يعوّضه أكثر منها، و ليس في ذلك أجر و لا وزر، و إنّما سماه رباً لأنّه مدفوع لإجتلاب الرّبا و هو الزّيادة، فكان سبباً لها، فسمّى بإسمها.

عن ابن عبّاس: الرّبا رَبوان: ربا لايصحّ و هو ربا البيع، و ربا لابأس به و هو هديّة الرّجل يريد فضلها و إضعافها. و عن عكرمة: الرّبا رَبوان: ربا حلال و ربا حرام، فأمّا الرّبا الحلال فهو الّذي يُهدى يلتمس ما هو أفضل منه. و عن الضّحّاك: قوله سبحانه: «و ما آتيتم من ربا...» هو الرّبا الحلال الّذي يُهدىٰ ليثاب ما هو أفضل منه، لا له و لا عليه، ليس له أجر، و ليس عليه فيه إثم. و عن ابن طاووس عن أبيه: إذا اهدى الرّجل هديّة ليُهدىٰ له أفضل منها، فليس فيه أجر و لا وزر، و كلّما فعله الفاعل على أنّه حسن للشّهوة، فليس فيه حدّ و لا أجر، و شهوته و شهوة غيره في هذا سواء، فلا خير في هديّة إذا لم يرد بها وجه الله.

و قيل: أي و ما أعطيتم شئ هبة أو عطيّة أو هديّة ليطلب أكثر منه، فسمّي بإسم المطلوب من الزّيادة في المعاملة ليزيد في أموال المعطين، فلايزكو عندالله لاثواب له

للمعطين، و ما آتيتم من صدقة تريدون بها وجه الله فاولئك هم المضعفون ثوابهم بما أرادوه.

٢ـ عن الحسن و الجبائي: إنّ المراد به الرّبا المحرّم، و الخطاب لدافعي الرّبا لا لآخذيه. و عن السّدي: إنّ الآية نزلت في ربا ثقيف كانوا يربون و كذا كانت قريش.

و المعنى: و ما أعطيتم آكلة الرّبا من زيادة لتربوا و تزكوا في أموالهم، فلا تزكوا بها عند الله و لا يبارك فيها كقوله تعالى: «يمحق الله الرّبا و يربي الصّدقات» البقرة: ٢٧٤) لا فرق بينهما. هذا على قراءة المدّ، و أمّا القصر فمعناها: و ما فعلتم من إعطاء ربا كما تقول: أتيت خطأ و أتيت صواباً أي فعلت.

في تلخيص البيان: قال السّيّد الشّريف الرّضي رضوان الله تعالى عليه: «على قراءة من قرأ «ليربو» بالياء و هذه استعارة، و المراد بالرّبا ههنا المال الّذي يعطيه الإنسان غيره ليعطيه أكثر منه على الوجه المنهيّ عنه. و أصل الرّبو: الزّيادة و الكثرة، و إنّما سمّي المال المعطىٰ الّذي يلتمسون به الزّيادة رباً لأنّه جعل غرضه لطلب الزّيادة، و وصلته إليها علّة لها، فحسن تسميته بذلك للسّبب الّذي ذكرناه.

و معنى قوله تعالى: «ليربو في أموال النّاس» أي ليزيد في أموال النّاس، و ليس قوله سبحانه ههنا بمعنى ليكون مدداً لأموال النّاس، فتزيد به. و إنّما المعنى: ليزيد هو بدخوله في أموال النّاس، و دخوله فيها هو أنّ صاحبه يعطيه النّاس ليأخذ منهم أكثر منه، فإذا ما كره و أراد التّعويض عنه بالقدر الزّائد عليه كان كأنّه قد ربا أي كثر بحصوله في أموال النّاس لأنّ كثرته و إضعافه كان السّبب فيها كونه في أموال النّاس على الوجه الّذي بيّنّاه و هذا من غوامض المعاني، و من الشّواهد على بيان ربا بالمعنى الزّيادة و الكثرة في كلامهم قول يزيد بن مفرغ الحميري:

و كم عطايا له ليست مكدّرة لا بل تفيض كفيض المسبل الرّابي

يريد البحر فسمّاه رابياً لكثرة مائه و ارتفاع أمواجه» انتهى كلامه و رفع مقامه.

٣ـ قيل: أي ما أعطيتم أيها النّاس بعضكم بعضاً من عطيّة لتزداد في أموال النّاس برجوع ثوابها إليه ممّن أعطاه ذلك، فلا يزداد ذلك عندالله لأنّ صاحبه لم يعطه من أعطاه

مبتغياً به وجهه تعالى. فالمراد: إنّما آتيتم هديّة إلى رجل منكم لتثيبوا منه أفضل منها، فلا يربوا عندالله إذ ليس فيه أجر و لاوزر لأنّكم أعطيتم الهديّة مجازاة لا لوجه الله. ٤ـ عن ابن عطيّة: أنّ المراد أنّ الرّجل يعطي المحتاج إليه قرضاً لالطلب أجر من الله تعالى، بل طمعاً أن يعينه بنفسه و يخدمه، و يعود عليه نفعه، و ما جراها مجراها ممّا يصنعه بعض الثّراة أو أكثر الأغنيآء ليجازي عليه كالسّلام و الإحترام و التّعظيم و المدح و الثنآء و ما إليها، و إن كان لا إثم فيه، فلا أجر فيه و لازيادة عند الله تعالى.

٥ ـ قيل: أي إنّ الرّجل يعطي ماله إلى صديقه ليكثر به ماله لا لطلب الأجر من الله تعالى كما كان في الجاهليّة يعطى أحدهم ذا القرابة المال يكثر به ماله. ٦ ـ قيل: إنّ بعض النّاس يعطى من ماله، من يريد الرّئاسة و الجاه و الحكومة و ما إليها كالرّؤساء الجماهير و الوكلآء و من إليهم من أصحاب السّياسة في الانتخابات لتقدّمهم على رقبآئهم... لينتفعوا بهم بعد ما نالوا من الرئاسة و الوكالة و نحوهما... فالمعنى: و ما أعطيتم من عطيّة أو هدية أو إعانة ماليّة لتلتمسوا بها الزّيادة كما يفعل أصحاب الفرص الّذين يعينون السّياسيّين في الإنتخابات و يقوّونهم بأموالهم لينالوا بالزّيادة بعد أن نالوا هم بالرئاسة... و هذا دأب أكثر أصحاب الثّروة في كلّ ظرف من الظّروف...

٧ ـ عن ابن عبّاس أيضاً و مجاهد و محمّد بن كعب القرظي: أي و من أهدى هديّة يريد فضلها و أضعافها بأن تردّ بأكثر منها، فلا ثواب له عندالله، و قد حرّم الله تعالى ذلك على رسوله «ﷺ» على الخصوص كما قال سبحانه: «و لا تمنن تستكثر» المدّثر: ٦) أي و لا تعط العطآء تريد أكثر منه. و المعنى: و ما آتيتم من هديّة تتوقّعون بها مزيد مكافأة لينمو و يزكو يزيد بذلك الرّبا في أموال النّاس الّذين آتيتموهم إياه ثمّ يرجعون إليهم، فلايثاب عليه من عندالله.

٨ ـ قيل: المعنى في الآية: التّزهيد في الرّبا، و التّرغيب في إعطآء الزّكاة. ٩ ـ عن الجبائي أيضاً: أي و ما آتيتم من ربا لتربوا بذلك أموالكم، و تقصدوا بالرّبا زيادة المال، فلايربوا لأنّه لايملكه المرابي بل هو لصاحبه، و لا يربوا عندالله لأنّه يستحقّ به العقاب من الخسران و النّيران، و إعطاء المال قد يقع على وجوه كثيرة: فمنه إعطآؤه على وجه الصّدقة، و منه

إعطآؤه على وجه الهدية، و منه الصّلة، و منه الودآئع، و من ذلك قضآء الدّين، و منه البرّ، و منه الزّكاة، و منه القرض، و منه النّذر و غير ذلك.

١٠ ـ قيل: إن الرّبا ـ في اللغة ـ: نماء المال و زيادته، و ـ في الشّرع ـ: هو القرض في مقابل العوض، و قوله: «ليربوا...» يشير إلى وجه التّسمية بأنّ ربا المال إنّما يربو و يزداد بما يأكل من أموال النّاس... لأنّه إنّما يربوا و يزداد من أموال من أخذوه، و يرعى في أموالهم و يلتهمها التهاماً... فهو آفة تدخل على الّذين يأخذونه فيغتالها و يعيث فساداً فيها، و يرعى كلّ صالحة منها، و الّذين يقترضون بالرّبا إنّما يجنون على أنفسهم بهذا الوبآء الّذي يُدخلونه عليهم و يخلطونه بأموالهم...

فالمراد أنّ المال الّذي آتيتم النّاس ليزيد في أموالهم لا إرادة لوجه الله ـ بقرينة ذكر إرادة الوجه في مقابله ـ فليس يزيد و ينمو عندالله فلايقبله الله و لايزكّيه أي لاتثابون عليه لعدم قصد الوجه، و قد سمّى هذا المال المعطئ ربا ًلأنّه اعطى و هو منظور إليه على أنّه يربو و يزيد ثمّ يعود إلى صاحبه أضعافاً مضاعفة. و المراد بالزّكاة مطلق الصّدقة أي إعطاء المال لوجه الله من دون تبذير. و المضعف: ذو الضّعف. و المعنى: و ما أعطيتم من المال صدقة تريدون وجه الله فاولئك هم الّذين يضاعف لهم مالهم أو ثوابهم.

فالمراد بالرّبا و الزّكاة بقرينة المقابلة و ما احتفّ بهما من الشّواهد الرّبا الحلال و هو العطيّة من غير قربة، و الصّدقة و هي إعطآء المال مع قصد القربة. هذا كلّه على تقدير كون الآية مكّيّة، و أمّا على تقدير كونها مدنيّة فالمراد بالرّبا الرّبا الحرام، و بالزّكاة هي الزّكاة المفروضة. و هذه الآية و الّتي قبلها أشبه بالمدنيّات منها بالمكّيّات، و لا اعتبار بما يدّعى من الرّواية أو الإجماع المنقول.

١١ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي و ما أعطيتم من عطيّة لتكثّروا أموالكم بأموال النّاس بأن يعطوا أفضل ممّا تعطون فلايكثر عندالله بالتّضعيف و لا يقبلها فإنّها ليست لله تعالى. و قيل: إنّ المعنى: و ما أعطيتم من عطيّة تتوقّعون بها مزيد مكافأة ليربوا بذلك أموال النّاس بأن يعطي الرّجل غيره عطيّة ليثيبه أفضل منها، فهذا جائز لاحرمة فيها، ولكن لاثواب له يوم القيامة. و هذا معنى قوله تعالى: «فلا يربوا عندالله» أي فلا يكثر عندالله بالتّضعيف و

لايقبله فإنّ ذلك ليس خالصاً لله، و يلحق بذلك الرّجل يلتزق بالرّجل فيخدمه و يسافر معه، فيجعل له ربح ماله لالتماس عونه لالوجه الله تعالى، فهذا لاثواب له، و أمّا ما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله فيضاعف لهم الثّواب، فيعطون بالحسنة عشر أمثالها.

۱۲ ـ عن ابن عبّاس أيضاً و النّخعي: إنّ الآية نزلت في قوم يعطون قراباتهم و إخوانهم على معنى نفعهم و تمويلهم، و التّفضيل عليهم، و ليزيدوا في أموالهم على جهة النّفع لهم. فالمراد بالرّبا: العطيّة الّتي تعطى للأرقاب للزّيادة في أموالهم... و وجه تسميتها رباً لأنّها سبب للزّيادة. و قيل: إنّ المعنى على تفسير الرّبا بالعطيّة ليزيد بذلك الرّبا في جذب أموال النّاس و جلبها كما هو معلوم في القرعة بعناوين مختلفة لإختلاس الأموال... ۱۳ ـ قيل: أي ليزيد ذلك الرّبا بسبب أموال النّاس، و حصول شئ منها لكم بواسطة العطيّة.

أقول: و الأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و في معناه أكثر الأقوال الأخر فتأمّل جيّداً.

و في قوله سبحانه: «و ما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله» أقوال: ۱ ـ عن ابن عبّاس و مجاهد: أي و ما أعطيتم من صدقة، المساكين و المحتاجين تريدون بها وجه الله خالصاً فاولئك من الّذين يضاعف لهم الثّواب و الجزآء كما قال سبحانه: «من ذا الّذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة» البقرة: ۲٤٥). ۲ ـ قيل: أي و ما أخرجتموه من مالكم على وجه الزّكاة، و أعطيتموه أهله تريدون بذلك وجه الله و ثوابه و رضاءه، و لاتطلبون بها المكافأة و لا الرّبا، فاولئك يضاعف لهم الثّواب و الحسنات كقوله تعالى: «من جآء بالحسنة فله عشر أمثالها» الأنعام: ۱٦۰).

۳ ـ قيل: ايتاء الزّكاة بأن تريد بها وجه الله، و ألاّ تستخدم الفقير لما تبرّه به من رافقه، بل أفضل الصّدقة على ذي رحم مبغض عدوّ حتّى يكون إعطاءه لله تعالى مجرّداً عن كلّ نصيب لك فيه، فهؤلآء هم الّذين يُضاعِفُ أجرَهم: قَهْرُهم لأنفسهم حيث يخالفونها، و فَوْزُهم بالعِوَض من قِبَل الله تعالى، ثمّ الزّكاة هي التّطهير، و تطهير المال معلوم ببيان الشّريعة في كيفيّة إخراج الزّكاة و أصناف المال و أوصافه... و أمّا زكاة البدن و زكاة القلب و زكاة السّرّ... فكلّ ذلك يجب القيام به.

٤ ـ قيل: أي ما يعطى من مال قرضاً حسناً بلا مقابل و لاعوض هو عمل من أعمال البرّ يتقبّله الله تعالى و يضاعفه للمقرضين، فيبارك عليهم هذا المال في الدّنيا، و يجزيهم الجزآء الحسن عليه في الآخرة، هذا إذا كان مراداً به وجه الله، و مُعطئ من يد مؤمنة بالله، تريد بهذا القرض، تفريج كرب المكروبين، و سدّ حوائج المحتاجين... أمّا إذا كان القرض لغير هذا الوجه فلا مكان له في الصّالحات من الأعمال عند الله عزّوجلّ.

أقول: و لكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها فتدبّر جيّداً.

و في قوله عزّوجلّ: «فاولئك هم المضعفون» أقوال: ١ ـ قيل: أي فاولئك الّذين يتصدّقون بأموالهم ملتمسين بذلك وجه الله هم المضعفون، فلهم الضّعف من الأجر و الثّواب. ٢ ـ قيل: «المضعفون» ذووا الأضعاف من الثّواب في الآجل، و من المال في العاجل. و قيل: أي ذووا الأضعاف من الحسنات. و هو إلتفات عن الخطاب إلى الغيبة للتعظيم فهو أمدح من أن يقال لهم: فأنتم المضعفون. و المفعول به محذوف. أي ثوابهم.

٣ ـ عن الكلبي: أي تضاف أموالهم في الدّنيا، فالمضعف ذو الأضعاف من الحسنات كما أنّ الموسر: ذو اليسار، و المُقوي: ذو القوّة. ٤ ـ قيل: المضعفون: الواجدون من الضّعف.

٥ ـ عن ابن عبّاس: أي فاولئك هم الّذين أضعفت صدقاتهم في الآخرة، و أكثرت أموالهم في الدّنيا بالحفظ و البركة.

أقول: و على الخامس أكثر المحقّقين، و في معناه بعض الأقوال الاُخر فتأمّل.

٤٠ ـ (الله الّذي خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم هل من شركآئكم من يفعل من ذلكم من شيءٍ سبحانه و تعالى عمّا يشركون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: خطاب للمشركين عامّة أي الله تعالى هو الّذي خلقكم في بطون اُمّهاتكم و صوّركم فيها، ثمّ أخرجكم منها، و طلب منكم الايمان بالله تعالى و العبادة له وحدة، ثمّ رزقكم الطّيّبات من الرّزق، ثمّ طلب منكم الصّبر و الطّمأنينة في شئون حياتكم، ثمّ يميتكم عند انقضآء مدّتكم و طلب منكم الإستعداد للموت، ثمّ يحييكم للبعث بعد الموت، و طلب منكم الحجّة و البرهان، هل من بين شركآئكم الّذين

تعبدونهم أحد يفعل من ذلك الأفعال من شئ، تنزّه الله أيها الرّسول ﴿ﷺ﴾ و تقدّسه عمّا يشرك به المشركون في كلّ ظرف... ۲ ـ عن ابن عبّاس: خطاب لمشركي مكّة يعرّفهم بفساد عقيدتهم و خبث صنيعهم أي الله الّذي خلقكم بدءاً أيها المشركون و لم تكونوا موجودين، ثمّ هو الّذي رزقكم من أنواع الملاذ و ملككم التّصرّف فيها و أباحها لكم، ثمّ هو الّذي يميتكم بعد ذلك إذا شآء ليصحّ ايصالكم إلى ما عوضكم له من الثّواب، ثمّ هو الّذي يحييكم بعد موتكم لفصل القضآء بين العباد، فيجازيكم على أفعالكم على الطّاعات بالثّواب، و على المعاصي بالعقاب.

إذا كان لله سبحانه شركآء بزعمكم، فهل أحد من شركآئكم الّذين تعبدونهم من دون الله و تشركونهم به يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك أو يقدر عليه، فيجوز لذلك، الإشراك به، و توجّه العبادة إليه؟ هل من شركآئكم تلك من له مشاركة في خلقكم؟ و هل من معبوداتكم تلك من له مشاركة في ذاته فيكونان إلهين اثنين مستقلّين؟ و هل من آلهتكم من له مشاركة في رزقكم؟ و هل من تملك شركآئكم تلك إماتكم أو بعثكم بعد موتكم؟؟؟

فإنّ هؤلآء المشركين لايقدرون على أن يقولوا: نعم، آلهتنا، شركآئنا، و معبوداتنا... تقدر على شئ من تلك الأعمال، و إنّما هم يعترفون بعجزها عن ذلك، فيعلموا عند ذلك أنّ تلك الآلهة المنحوتة، و تلك المعبودات المختلقة، و تلك الشّركآء المزعومة لاتكون شريكاً لله سبحانه في وجوده، و لا في ايجاد العالم، و لا في تدبير نظام الكون، و لاتستحقّ العبادة. و قد أضاف الشّركآء إليهم: «من شركآئهم» لأنّهم كانوا يسمّونهم بالآلهة و الشّركآء و يجعلون لهم نصيباً من أموالهم...

قال الله تعالى: «إن هي إلاّ أسمآء سمّيتموها أنتم و آبآؤكم» النّجم: ۲۳).

و قال: «و يجعلون لما لايعلمون نصيباً ممّا رزقناهم» النّحل: ٥٦).

و قال: «و جعلوا لله ممّا ذرأ من الحرث و الأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم و هذا لشركآئنا» الأنعام: ۱۳٦).

إرتفع و تبرّأ عما يشرك به المشركون من الأصنام و الأوثان إذ لامدخل لها إلى

الالوهية، و إذن فالله وحده هو المتفرّد بها لاشريك له.

٣ـ قيل: خطاب للنّاس كافّة أي الله تعالى هو الّذي خلقكم أيّها النّاس و لم تكونوا شيئاً مذكوراً، ثمّ رزقكم بعد انعقاد نطفكم في بطون امّهاتكم من دم الطّمث إلى أن أخرجكم منها، فيسّر لكم أسباب الأكل و الشّرب من ألبان امّهاتكم، ثمّ من فنون الطّعام، ثمّ أرزاق القلوب و العقول، و السّرآئر و الأفكار من الإيمان و العرفان، و أرزاق التّوفيق من العبادات و صالح الأعمال، و أرزاق اللسان من الأذكار و ما إليها، ثمّ يميتكم بسقوط شهواتكم، و يميتكم عن شواهدكم، ثمّ يحييكم بحياة قلوبكم ثمّ يحييكم بربّكم، فلا مكنة لكم في تبديل خلقكم، و لا قدرة لكم على تعسّر أرزاقكم، المُوَسَّع عليه رِزقُه بفضله تعالى لابمناقب نفسه، و المُقْتَر عليه رِزقُه بحكمه سبحانه لابمعاتب نفسه...

هل من شركآء هؤلآء المشركين الّذين أثبتوهم من الأصنام و الأوثان، أو توهّموهم من جملة الأنام من يفعل شيئاً من ذلك؟ تنزيهاً له، و تقديساً عمّا يشركون به سبحانه من الأنداد و الأضداد، و من الصّاحبة و الأولاد...! فلا تذهبوا أيّها النّاس إلى ما ذهبوا إليه هؤلآء المشركون.

٤ـ خطاب للمؤمنين بأنّ الله عزّوجلّ هو الّذي اتّصف بالخالقيّة و الرّازقيّة، و بالإماتة و الإحيآء، وصفاً من أوصاف الالوهيّة و الرّبوبيّة، فاسئلوا أيّها المؤمنون هؤلآء المشركين: هل من الآلهة الّذين تدّعون أنّها آلهة لكم تعبدونها أحد منها أن يفعل شيئاً من الخلق و الرّزق و الإماتة و الإحيآء بعد الموت؟ و إذ ليس منها أحد أن يفعل شيئاً من تلك الأفعال... فالله تعالى هو إلهكم و ربّكم لا إله إلاّ هو، فهو منزّه أن يشرك معه في الخلق و الإيجاد و التّدبير، و مقدّس أن يتّخذ معه في العبادة سواه، فلا شريك له فى الوجود و الايجاد و التّدبير و لا في العبادة.

فهو الّذي خلق و أعطى، و هو الّذي أمات و أحيى، و هو الخافض و الرّافع، و الضّارّ و النّافع، و ما من أحد سواه يقدر على ذلك، إذ كلّ ماسواه مخلوق له تعالى و هو خالق كلّ شئ فكيف تقبلون أيّها المشركون على غيره، و تتذلّلون تذلّل العبوديّة لمخلوق مثلكم؟!

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتدبّر جيّداً.

٤١ـ (ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي النّاس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون)

في قوله تعالى: «ظهر الفساد في البرّ و البحر» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي ظهر نقصان البركة فيها بفساد أعمال العباد كي يتوبوا. ٢ ـ عن ابن عبّاس أيضاً و مجاهد و عكرمة: أي تبيّنت المعصية في البرّ من قتل قابيل أخاه هابيل، و في البحر من جلندا الأزدي إذ أخذ كلّ سفينة غصباً. و قال مجاهد: البرّ: ظهر الأرض، و البحر هو المعروف لأنّه يؤخذ فيه كلّ سفينة غصباً. ففساد البرّ هو قتل قابيل، هابيل. و الفساد بمعنى القتل كقوله تعالى: «ليفسدوا في الأرض» الأعراف: ١٢٧) أي ليقتلوا أبنآء أهل مصر. و فساد البحر: هو أخذ الملك السّفن غصباً. و قيل: أوّل فساد البرّ: كان من قابيل حيث قتل أخاه هابيل، و أوّل فساد البحر: كان من جلندا ملك عمان إذ أخذ كلّ سفينة غصباً.

٣ ـ قيل: أي ظهر حكّام الجور و ولاة السّوء في البرّ و البحر. ٤ ـ قيل: فساد البرّ: هو ما يحصل فيه من المخاوف المانعة من سلوكه، و يكون ذلك بخذلان الله تعالى لأهله، و العقاب به، و فساد البحر: اضطراب أمره حتّى لايكون للعباد منصرف فيه، و كلّ ذلك ليرتدع الخلق عن معاصيه... ٥ ـ عن قتادة و السّدي: أي ظهر الفساد في أهل البرّ و البحر، فأهل البرّ أهل البادية، و أهل البحر فأهل القرى الّذين على الأنهار العظيمة. و سبب الفساد هنا هو الشّرك و هو أعظم الفساد كما قال الله تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا» الأنبيآء: ٢٢) حيث نفى الله سبحانه الشّرك بقوله: «سبحانه و تعالى عمّا يشركون».

٦ ـ قيل: البرّ: الأرض القفر، و البحر: المجرى الواسع للمآء عذباً كان أو ملحاً، و سمّي البرّ برّاً لأنّه يبرّ بصلاح المقام فيه، خلاف البحر، و منه البرّ لأنّه يبرّ بصلاحه في الغذآء أتمّ الصّلاح.

٧ ـ عن أبي العالية: البرّ: ظهر الأرض، و البحر معروف، و الفساد فيهما: ارتكاب المعاصي فيهما. فالفساد: المعاصي لقوله تعالى: «والله لايحبّ الفساد» البقرة: ٢٠٥) أي لايحبّ المعصية.

٨ـ قيل: تقديره: ظهر عقاب الفساد في البرّ و البحر. و الظّهور هو خروج الشيء إلى حيث يقع عليه الإحساس، و العلم به بمنزلة الإدراك له، و قد يظهر الشيء بخروجه عن وعاء أو وجوده عن عدم أو ظهوره بدليل. و قيل: بالعدل ينبت الله الزّرع، و يدرّ الضّرع، و بالظّلم يكون القحط و ضيق الرّزق. ٩ـ عن قتادة أيضاً: البرّ: الفيافي و مواضع القبآئل و أهل الصّحاري و العمود، و البحر: المدن. و عن عكرمة أيضاً: إنّ العرب تسمّى الأمصار بحاراً لسعتها. و التّقدير: مدن البحر كقوله تعالى: «واسئل القرية» يوسف: ٨٢) أي أهلها. و المراد بالفساد: المعاصي من قطع الطّريق و الظّلم و غيرهما. و اللاّم في «الفساد» و «البرّ و البحر» كلّها للجنس أي ظهر جنس الفساد في جنس البرّ و البحر. قال قتادة: هذا قبل أن يبعث محمّد﴿ﷺ﴾ رجع راجعون من النّاس.

١٠ ـ عن الحسن: أي أفسدهم الله بذنوبهم في بحر الأرض و برّها بأعمالهم الخبيثة. و المراد بالبحر: مدن البحر و قرآء الّتي على شاطئه، و البرّ: معروف. ١١ ـ قيل: البرّ: اللسان، و البحر: القلب لظهور ما على اللسان، و خفآء ما في القلب. ١٢ ـ أي إذا كان الأمر كما وصفت ظهرت معاصي الله من قطع السّبيل و الظّلم في كلّ مكان من برّ و بحر بسبب ذنوب النّاس و انتشر الظّلم فيهما. ١٣ ـ عن الضّحّاك: كانت الأرض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة إلاّ وجد عليها ثمرة، و كان مآء البحر عذباً، و كان لا يفترس الأسد البقر، و لا الذّئب الغنم، فلمّا قتل قابيل أخاه هابيل اقشعرّ ما في الأرض و شاكت الأشجار و صار مآء البحر ملحاً زعاقاً، و قصد الحيوان بعضه بعضاً.

١٤ ـ عن مجاهد أيضاً: البرّ: البلاد البعيدة من البحر: السّواحل و المدن الّتي عند البحر و الأنهار. ١٥ ـ عن زيد بن رفيع: الفساد في البرّ: فساد الحيوان إذا لم تمطر، و كذلك هلاك دوابّ البحر بذلك إذ كثرت الذّنوب و المعاصي. و عن عطيّة العوفي: ظهور الفساد في البرّ: قحوط المطر، و فساد البحر: إذا قلّ المطر قلّ الغوص. ١٦ ـ قيل: أي ظهر الفساد في العالَم بالحروب و الغارات و الجيوش و الطّيّارات و السّفن الحربيّة و الغوّاصات الخارقة للسّفن، و الطّوربيد و قطع الأسلاك البرقيّة أيّام الحرب و ما إليها من الأسلحة المبيدة... ١٧ ـ عن السّدي أيضاً: البرّ: كلّ قرية نائية عن البحر مثل مكّة و المدينة، و البحر: كلّ قرية على

البحر مثل كوفة و البصرة و الشّام.

۱۸ ـ عن عطآء: البحر: الجزآئر... و المراد بظهور الفساد في البرّ و البحر: هو ظهور الحوادث و الوقائع و المصآئب و البلايا و الشّدآئد و ما إليها من الزّلازل و السّيل المخرّب و قطع الأمطار و السّنين و الأمراض السّارية، و غير القابلة للعلاج، و الموات الفاجئة، و الحروب و الغارات، و الأساطيل الحربيّة و شاحنات الجيوش و أسلحة الدّمار و الإبادة، و ارتفاع الأمن و نحوها من كلّ ما يفسد النّظام الصّالح الجاري على بسيط الأرض، سواء كان مستنداً إلى اختيار بعض النّاس أو غير مستند إليه، فكلّ ذلك فساد ظاهر يستوعب الكرة الأرضيّة من دون اختصاص بزمان دون زمان، و لابمكان دون مكان، و لا بواقعة دون واقعة... فالمراد بالبرّ و البحر معنا هما المعروف، و يستوعبان بسيط الأرض كلّها...

۱۹ ـ قيل: البرّ: القفار الّتي لايجرى فيها نهر، و البحر: كلّ قرية على شاطئ نهر عظيم.

۲۰ ـ قيل: البرّ: أرض مكّة لما وقع فيها القحط إثر دعاء رسول الله «ﷺ» على قريش لمّا لجّوا في شركهم و أصرّوا على لجاجهم، و داموا على عنادهم... قيل: كان ذلك أوآئل البعثة. و ذلك أنّ كفّار قريش فعلوا ما فعلوا من المعاصي و الإصرار على الشّرك و ايذاء رسول الله «ﷺ» فدعا «ﷺ» عليهم، فقحطوا و حلّ بهم من البلاء ما حلّ، فأخبر الله تعالى أنّ ذلك بسبب شركهم و عنادهم و طغيانهم و معاصيهم ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون. و قيل: كان في زمان سابق على زمان النّزول أعمّ من أن يكون الزّمان الّذي قبيل البعثة أو بعيدها.

فليس المراد بالبرّ و البحر هنا كلّ برّ و بحر في الدّنيا، بل المراد به حيث ظهر القحط بدعاء النّبيّ الكريم «ﷺ». فالمعنى: ظهرت عقوبة فساد قريش في مكّة بالقحط و البلاء و الشّدّة...

۲۱ ـ قيل: البرّ: الفيافي و مواضع القبآئل، و البحر: السّواحل و المدن الّتي عند البحر و النّهر. و الفساد: المفسدة: ضدّ المصلحة. ۲۲ ـ قيل: إنّ في البرّ إشارة إلى النّفس، و في البحر إشارة إلى القلب، و فساد البرّ بأكل الحرام و ارتكاب المحرّمات، و فساد البحر من الغفلة و الأوصاف الذّميمة مثل سوء العزم و الحسد و الحقد و إرادة الشّرّ و الفسق و النّفاق و ما

إليها من رذائل الأخلاق و مفاسدها، و عقد الإصرار على المخالفات من أعظم فساد القلب كما أنّ العزم على الخيرات قبل فعلها من أعظم الخيرات... و من جملة الفساد: التّأويلات بغير حقّ و الانحطاط إلى الرّخص في غير قيام بجد، و الإغراق في الدّعاوي من غير استحياء من الله تعالى.

۲۳ ـ قيل: أي ظهر ما يعمّ في مختلف أنحاء الأرض: برّها و بحرها بسبب آثام أهلها من مفسدة و ظلم و لهو و لعب وسائر ما يطلق عليه الفساد الّذي هو ضدّ الصّلاح. ۲٤ ـ قيل: فساد البرّ: عدوان الأسد على البقر و الغنم بعد قتل هابيل، و لم يكن من قبل كذلك، و فساد البحر: ملوحة مياه البحار بعد أن كانت عذبة، و خلوّ أصداف اللؤلؤ من اللؤلؤ. ۲٥ ـ قيل: فساد الأرض: قحط المطر و نقص الثّمار للنّاس، و نقص النّبات للدّوابّ و الوحوش، حيث لا يجري نهر، و البرّ: هو البوادي، و فساد البحر: أي فساد القرى و الأرضين ينقصان الثّمار و الزّرع، سمّى القرى و المدائن بحراً لما يجرى فيها من الأنهار. و البحر: كلّ قرية على شاطئ نهر عظيم. و قيل: البحر: نفسه لأنّه إذا لم يكن مطر فلا يخرج منه اللؤلؤ.

۲٦ ـ عن قتادة أيضاً: أي امتلأت الضّلالة و الظّلم، و الشّرك و المعاصي في وجه الأرض كلّها. ۲۷ ـ عن أبي العالية: البرّ: الأعضاء، و البحر: القلوب. و المعنى: ظهر الفساد في أعضاء النّاس و في قلوبهم. ۲۸ ـ قيل: الفساد هنا بمعنى الخراب كقوله تعالى: «إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها» النّمل: ٣٤) أي خرّبوها. و قيل: الفساد هنا بمعنى الهلاك لقوله تعالى: «لتفسدنّ في الأرض مرّتين» الإسرآء: ٤) أى لتهلكنّ في الأرض مرّتين. كما يسمّى العذاب سوءاً و إن كان ذلك حكمة و عدلاً.

۲۹ ـ قيل: أي ظهرت المعاصي و الفحشاء و المنكرات و الضّلالة و الظّلم و الجناية في برّ الأرض و بحرها. و المراد بالبرّ: الفلوات، و بالبحر: الأمصار و القرى الّتي على المياه و الأنهار لأنّ العرب تسمّى الأمصار بحراً، فيفعلون فيها ما تشتهيه أنفسهم من المعاصي و الذّنوب.

۳۰ ـ قيل: البرّ: ظهر الأرض من الأمصار و البلاد و القرى، و البحر معروف كما يفعل أهل الشهوات الفحشاء في البرّ صيفاً، و في البحر شتاءً. ۳۱ ـ قيل: أي ظهر الفساد في البرّ

و البحر من الجدب و القحط، و قلّة الرّيع في الزّراعات، و قلّة الرّبح في التّجارات و المعاملات، و وقوع الموتان في النّاس و الدّوابّ، و كثرة الحرق و الغرق و التّصادفات و مفاجأة الموتات و إخفاق الغاصّة، و قلّة صيد الأسماك، و حرمان الصّيّادين عن الصّيد، و محقّ البركات من كلّ شيءٍ، و قلّة المنافع و كساد التّجارة، و كثرة المضارّ و الإفلاس، و ندآء أصحاب الأسواق بعدم الرّبح و كثرة الدَّين و الضّرر و كساد الأسعار و قلّة المعاش.

۳۲ ـ قيل: أي ظهر الفساد في القرى تلي البحر و في سواحله، و في البحر نفسه. ۳۳ ـ قيل: أي ظهر الفساد بموت البهآئم و القحط و الجدوبة و نقص الثّمرات و النّبات في السّهل و الجبل و البادية و المفازة، و في البحر أي في الرّيف و القرى و العمران. ۳٤ ـ عن الفرّآء: أي أجدب البرّ و انقطعت مادّة البحر و تموّج بمآئه، بسبب ذنوبهم. و قيل: إذا انقطع القطر عميت دوابّ البحر، و كان ذلك ليذوقوا الشّدّة في العاجل. و قيل: البرّ: البَرية، و البحر: الرّيف و المواضع الخصبة، و أصل البَرّ من البِرّ لأنّه يبرّ بصلاح المقام فيه، و كذلك البُرّ لأنّه يبرّ بصلاحه في الغذآء أتمّ صلاح، و أصل البحر: الشّقّ لأنّه شقّ في الأرض ثمّ كثر فسمّي المآء الملح بحراً. أنشد ثعلب:

و قد عاد عَذْبُ المـاء بَحـراً فـزادني ‌ ‌ ‌ ‌ على مَرَضي أن أبْحَرَ المَشْرَبُ العَذْبُ

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر السّياق فتدبّر جيّداً.

و في قوله سبحانه: «بما كسبت أيدي النّاس» أقوال: ۱ ـ عن ابن عبّاس: أي بسبب ما كسبت أيدي كفّار مكّة من الشّرك و الظّلم. ۲ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي بسبب قتل قابيل هابيل، و بغصب جلندا سفن النّاس في البحر. ۳ ـ قيل: أي بشؤم معاصي النّاس أو بكسبهم إيّاه و كفرهم، و كثرة المطامع و انتهاك الحرمات و عدم مراقبة الخلاق، و طرح الأديان ورآء ظهورهم و نسيان يوم الحساب، و أطلقت النّفوس من عقالها و عاشت في الأرض فساداً، إذ لارقيب من وازع نفسيّ و لاحسيب من دين يدفع عاديتها و يمنع أذاها... حيث إنّ بين أعمال النّاس و الحوادث الكونيّة رابطة مستقيمة يتأثّر إحداهما من صلاح الأخرى و فسادها.

٤ ـ عن السّدي: أي يخلي الله بينهم و بين المعاصي جزآءً على ما سبق منهم من

المعاصي...

قيل: من أذنب ذنباً فجميع الخلآئق من الجنّ و الإنس و الدّوابّ و الوحوش و الطّيور و النّبات و الجماد كلّها خصمآؤه يوم القيامة لأنّه يمنع المطر بمعصيته، فيضرّ بأهل البرّ و البحر جميعاً. و لذا قيل: من أكل حراماً فقد خان النّاس جميعاً كما أنّ من قتل نفساً فكأنّما قتل النّاس جميعاً، و لا يستجاب دعآؤه. ٥ ـ قيل: أي جزآء ما فعله النّاس من المعاصي... و الكفر و الفسق... و الكسب: هو فعل الشيئ لإجتلاب نفع إلى نفس الفاعل أو دفع ضرر عنه، فالقادر لنفسه يقدر على مثله في الحالتين لإجتلاب نفع إلى غيره أو دفع ضرر عنه، غير أنّه لا يوصف بهذه الصّفة و إن قدر على مثله.

٦ ـ قيل: أي بما كسبت أيدي النّاس ما نهاهم الله تعالى عنه، و ارتكبوا المعاصي و الذّنوب، و انهمكوا في الشّهوات، و تركوا ما أمرهم الله تعالى من الطّاعات و صالح الأعمال...

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتأمّل.

و في قوله عزّوجلّ: «ليذيقهم بعض الّذي عملوا» أقوال: ١ ـ قيل: أي ليذوقوا شيئاً من وبال ما اقترفوه و ليكون لهم فيه عبرة و تذكير. فالمعنى: يعذّبهم ببعض ذنوبهم في الدّنيا، و يدّخر البعض في الآخرة. و الذّوق: كناية عن التّعذيب، فكأنّه يقول: يعذّبهم بالجوع و القحط و البلاء... في الدّنيا. ٢ ـ قيل: ليذيقهم الله وبال بعض أعمالهم في الدّنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة. ٣ ـ عن ابن عبّاس: أي لكي يصيبهم ببعض الّذي عملوا من المعاصي... و إنّ الله تعالى يوقعه على بعض العصاة كسوط يؤدّبه و يوقظه عن غفلته.

٤ ـ قيل: أي ليصيبهم الله بعقوبة بعض أعمالهم الّتي عملوها من المعاصي... فإنّ تمامه في الآخرة فأذاقهم الله جزآءً بعض ما عملوا من المعاصي و الآثام...

٥ ـ قيل: اللاّم للغاية أي ظهر ما ظهر من الفساد فيهما لأجل أن يذيقهم الله وبال بعض أعمالهم السّيّئة، بل ليذيقهم نفس ما عملوا، و قد ظهر على صورة الوبال، و إنّما كان بعض ما عملوا لأنّ الله تعالى برحمته يعفو عن بعض كما قال: «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير» الشّورى: ٣٠) فالآية ناظرة إلى الوبال الدّنيوي، و إذاقة بعضه

لاكلّه من غير نظر إلى وبال الأعمال الأُخرويّ. فما قيل: إنّ المراد: إذاقة الوبال الدّنيوي و تأخير الوبال الأخرويّ إلى يوم القيامة لا دليل عليه، و لعلّه جعل تقدير الكلام: «ليذيقهم بعض جزآء ما عملوا» مع أنّ التّقدير: «ليذيقهم جزآء بعض ما عملوا» لأنّ الّذي يحوجنا إلى تقدير المضاف ـ لو أحوجنا ـ هو أنّ الرّاجع إليهم ثانياً في صورة الفساد هو جزآء أعمالهم لا نفس أعمالهم، فالّذي أُذيقوا، هو جزآء بعض ما عملوا لابعض جزآء ما عملوا.

و فيه أنّ قوله تعالى: «لعلّهم يرجعون» يدلّ على تأخير الوبال الأُخرويّ إلى يوم القيامة بأنّهم لو لم يرجعوا بعد هذه الإذاقة الدّنيويّة لذاقوا الوبال الأُخرويّ، و قد صرّح تعالى بذلك في قوله سبحانه: «و لنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلّهم يرجعون» السّجدة: ۲۱) و قد أفسد تعالى أسباب دنياهم و محقها وبال بعض أعمالهم السّيّئة في الدّنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة.

٦ ـ قيل: أي ليذيقهم الله بعض الّذي عملوا من سقوط تعظيم الشّرع من القلب، و عدم التّأسّف على ما فاته من الحقّ.

أقول: و على الأوّل جمهور المحقّقين و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

و **في قوله جلّ وعلا:** «لعلّهم يرجعون» أقوال: ۱ ـ عن ابن عبّاس و الحسن: أي لكي يرجعوا عن الكفر و المعاصي و الذّنوب، فيكشف عنهم العذاب. ۲ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي لعلّهم يتوبون إلى الله و ينيبون إلى الحقّ، و يتركون معاصي الله، و لايعودون إلى آثامهم... و عن عبدالله و إبراهيم: أي لعلّهم يتوبون يوم بدر، و يرجعون إلى الحقّ. ۳ ـ قيل: أي ليرجع من يأتي بعدهم عن المعاصي.... فلايذهبوا إلى ما ذهبوا إليه من الشّرك و الطّغيان و الكفر و العصيان...

٤ ـ قيل: أي ليرجعوا عن المعاصي في المستقبل. تقديره: فعل الله تعالى القحط و الشّدآئد و الجدب و قلّة الثّمار و هلاك النّفوس عقوبة على معاصيهم ليذيقهم بذلك عقاب بعض ما عملوا من المعاصي ليرجعوا عنها في المستقبل، ليذيقهم عقابه غير أنّه أُجري على بعض العمل لأنّهم بذواقهم جزآءه كأنّهم ذاقوه. و هذا من الحذف الحسن لأنّه حذف المسبّب و إقامة السّبب الّذي أدّى إليه مقامه، ثمّ بيّن تعالى أنّه فعل بهم هذا ليرجعوا عن

معاصيه إلى طاعته.

٥ ـ قيل: أي لعلّهم يرجعون عمّا هم عليه من الشّرك و الضّلالة، و البغي و الغواية إلى التّوحيد و الهداية، و الإيمان و الطاعة، و يثوبون إلى رشدهم، و يتذكّرون أنّ هناك يوماً يحاسب النّاس فيه على أعمالهم... إن خيراً فخيراً و إن شرّاً فشرّاً، فخيّم العدل على المجتمع البشري، و يشفق القويّ على الضّعيف، و يكون النّاس سواسيّة في المرافق العامّة، و حاج المجتمع بقدر الطّاعة البشّريّة.

أقول: و على الأوّل أكثر المفسّرين و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتدبّر.

٤٢ـ(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبل كان أكثرهم مشركين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي قل يا محمّد«ﷺ» لأهل مكّة: سافروا في الأرض فتفكّروا كيف كان جزآء الّذين كانوا من قبلكم؟ كيف أهلكهم الله عند تكذيبهم الرّسل، كان كلّهم مشركين بالله. ٢ ـ قيل: أي قل يا أيّها الرّسول«ﷺ» لهؤلآء المشركين بالله من قومك: سافروا في الأرض، فانظروا كيف كان آخر أمر من كان من قبلكم كقوم نوح و لوط و قوم عاد و ثمود و قوم فرعون... كيف أهلكهم الله و دمّر عليهم، كان أكثرهم مشركين فاعتبروا بذلك. و إنّ النّظر على وجهين: **أحدهما ـ النّظر** إلى شئ: إذا نظر إليه بعينه. **ثانيهما ـ النّظر** في شئ: إذا تفكّر فيه. و قال تعالى هنا: «**فانظروا**» و لم يقل: إليه و لا فيه، فهو على الأمرين جميعاً.

٣ ـ قيل: أي قل لكفّار قريش: سيروا بالإعتبار بمن قبلكم، و اطلبوا الحقّ بنعت الأفكار، فانظروا كيف كانت حال من تقدّمكم من الأشكال و الأمثال، فأهلكوا بإشراكهم و شؤم معصيتهم، فتروا مساكنهم و منازلهم خاوية، ثمّ قيسوا عليها حكمكم في جميع الأحوال... كانوا هم أكثرهم عدداً، ولكن كانوا في التّحقيق أقلّهم وزناً و قدراً. و قيل: كان المشركون أكثر من أهل سآئر الأديان و الملل الباطلة كالمعطّلة و المجسّمة و أضرابهم...

٤ ـ قيل: أي قل أيها النبيّ«صلى الله عليه وآله» للمشركين عامّة: سيروا في البلاد، فانظروا إلى مساكن الكفّار و المشركين، و الفجّار و المستكبرين من قبلكم الّذين كذّبوا رسل الله و جحدوا بآياته، كيف أهلكناهم بأنواع العذاب منّا، و جعلناهم عبرة و تذكرة لمن بعدهم؟ كان أكثرهم مشركين، فما حلّ بهم من العذاب كان جزاءً وفاقاً لشرك أكثرهم، و معصية بعضهم، و سكوت الآخرين فأهلكنا جميعهم...

٥ ـ قيل: أي قل أيها الرّسول«صلى الله عليه وآله» للنّاس جميعاً: اقرؤا التّاريخ، فانظروا نظر تعقّل و اعتبار فيه، كيف كان عاقبة الطّغاة الجبابرة، و البغاة الظّلمة، و العتاة الكفرة و الملوك العاتية و القرون العاصية... من قبلكم، كيف أهلكهم الله و دمّرهم تدميراً؟ كيف صارت قصورهم قبورهم، و محاضرهم قبورهم، فلم يبق لهم عين و لا أثر؟ كان أكثرهم مشركين بالله. ٦ ـ قيل: أي قل يا أيها النّبيّ«صلى الله عليه وآله» لهؤلآء المشركين و المكذّبين و المنافقين المذبذبين حولك سيروا في البلاد و القرى و الصّحاري، فانظروا مساكن الّذين كفروا بالله من قبلكم، خاوية عروشها، كيف كان عاقبتهم ألم نهلكهم بعذاب منّا؟ و لم نجعلهم عبرة لمن بعدهم؟ كان أكثرهم مشركين بالله، فإن لم تؤمنوا بالله تعالى نفعل بكم كما فعلنا بهم.

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتدبّر.

٤٣ـ (فأقم وجهك للدّين القيّم من قبل أن يأتي يوم لامردّ له من الله يومئذ يصّدّعون)

في قوله تعالى: «فأقم وجهك للدّين القيّم» أقوال: ١ ـ قيل: أي اجعل وجهك اتّباع الدّين القيّم البليغ الإستقامة. و المراد أمّته. ٢ ـ قيل: التفات إلى رسول الله«صلى الله عليه وآله» و إلى أن يلتفت إلى نفسه، و إلى المؤمنين معه، و ألاّ يشغله أمر هؤلآء المشركين عن طلب النّجاة لنفسه و لمن معه قلباً و قالباً، بالإقبال على الله و إخلاص العمل له، و ذلك ليكون مستعداً للقآء ربّه على ما يُرضئ ربّه من قبل أن يجيئ يوم الحساب و الجزآء. ٣ ـ عن الحسن: الدّين القيّم: الطّاعة لله وحده. ٤ ـ عن قتادة: الدّين القيّم: هو الإسلام. ٥ ـ قيل: تفريع على ما سبق أي إذا كان الشّرك و الكفر بالحقّ بهذه المثابة، و له وبال سيلحق بالمتلبّس به فأقم

وجهك للدّين القيّم.

٦ ـ قيل: أي استقم للدّين المستقيم بصاحبه إلى الجنّة أي لايعدل عنه يميناً و لاشمالاً، فإنّك متى فعلت ذلك أدّاك إلى الجنّة، و هو نظير قوله تعالى: «ثمّ انصرفوا صرف الله قلوبهم» التّوبة: ١٢٧) مجانس فيه للبلاغة، و منه قوله: «يوماً تتقلّب فيه القلوب و الأبصار» النّور: ٣٧) و منه: «يمحق الله الرّبا و يربي الصّدقات» البقرة: ٢٧٦).

٧ ـ قيل: الدّين القيّم: البليغ الإستقامة الّذي لايتأتّى فيه عوج عن الحقّ و الهدى.

٨ ـ قيل: أي فاسلك أيّها الرّسول «صلى الله عليه و آله و سلم» الطّريق الّذي رسمه لك ربّك بطاعته، و اتّباع نهجه القويم، الّذي لاعوج فيه و لا أمت. ٩ ـ قيل: أي أخلص قصدك و صِدْقَ عَزمِك للدّين القيّم بالموافقة و الاتّباع دون الإستبداد بالأمر على وجه الابتداع، فمن لَم يتأدّب بمن هو إمام وقته، و لم يتلقف الأذكار ممّن هو لسان وقته كان خسرانه أتمّ من ربحه، و نقصانه أعمّ من نفعه. ١٠ ـ قيل: أي أخلص دينك الإسلام و هو الدّين المستقيم ١١ ـ قيل: أي أقبل: بوجهك إلى هذا الدّين. ١٢ ـ قيل: أي أثبت على هذا الدّين.

عن ابن عبّاس: أي فأقم نفسك و عملك للدّين القيّم أي أخلص دينك و عملك لله و كن على دين الحقّ المستقيم.

١٣ ـ قيل: أي أقبل و توجّه بكلّك على الدّين السّليم و اعمل به و جاهد في سبيله.

١٤ ـ عن الزّجاج: أي أقِم قصدك و اجعل جهتك اتّباع الدّين القيّم يعني الإسلام.

١٥ ـ قيل: أي أوضح الحقّ و بالغ في الإعذار، و اشتغل بما أنت فيه، و لاتحزن عليهم.

أقول: و على الثّاني أكثر المحقّقين، من دون تنافٍ بينه و بين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

و في قوله سبحانه: «من قبل أن يأتي يوم لامردّ له من الله» أقوال: ١ ـ قيل: أي من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له، لمجيئه لأنّ الله تعالى قد قضى بمجيئه فهو لامحالة جاءٍ. ٢ ـ قيل: أي من قبل أن يجيئ ذلك اليوم الّذي لايقدر أن يردّه فلا يملك أحد ردّ هذا اليوم و لا تأخيره عن وقته الموقوت له. ٣ ـ قيل: أي يأتي من الله يوم لا يردّه أحد كقوله تعالى: «بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلايستطيعون ردّها» الأنبياء: ٤٠) ٤ ـ قيل: أي يوم لامردّ له من الله

تعالى. أي من قبل أن يأتي يوم لا يردّه الله عنهم، فإذا لم يردّه الله فلم يتهيّأ لأحد دفعه. و قيل: أي لا يردّه هو بعد أن يجيئ به، فلا ردّ له من جهته، فلا يقدر عليه على ردّه فلا دافع له أصلاً.

٥ ـ قيل: أي من قبل أن يأتى يوم لا خلف لذلك الوعد من الله. ٦ ـ عن ابن عبّاس: أي من قبل أن يأتي يوم القيامة لا مانع له من عذاب الله. ٧ ـ قيل: أي قبل أن تقف بين يديه تعالى لنقاش الحساب.

أقول: و على الرّابع أكثر المفسّرين، و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل.

و في قوله عزّوجلّ: «يومئذ يصدّعون» أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس و ابن زيد و قتادة: أي يوم القيامة يتفرّق النّاس فرقتين: فريق فى الجنّة يتنعّمون بنعيمها، و فريق فى السّعير يذوقون عذابها. التّصدّع ـ في الأصل ـ: تفرّق أجزآء الأواني، ثمّ استعمل في مطلق التفرّق. فيتفرّق النّاس يوم القيامة بحسب عقآئدهم و سرآئرهم و أعمالهم، ففريق في الجنّة يؤتى ثمرة عمله، و فريق يُزجىٰ إلى النّار بما اجترح من الآثام و بماران قلبه ممّا كسبت يداه.

٢ ـ قيل: إنّ المراد بتفرّق النّاس يوم القيامة: تفرّقهم بأشخاصهم لا تفرّق الفريقين كما صرّح بذلك في قوله تعالى: «و امتازوا اليوم أيّها المجرمون» يس: ٥٩) و قوله: «يوم يكون النّاس كالفراش المبثوث» القارعة: ٤). ٣ ـ قيل: أي يمتاز كلّ فرد من النّاس عن الآخر إذ لكلّ مقام معلوم إمّا في الجنّة و إمّا في النّار. فيوم القيامة تتفرّق جماعاتهم فلا يلتفت أحد منهم إلى أحد لقوله عزّوجلّ: «يوم يفرّ المرء من أخيه و أُمّه و أبيه و صاحبته و بنيه لكلّ امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» عبس: ٣٤ ـ ٣٧).

أقول: و الآيتان التّاليتان تؤيّدان القول الأوّل، فتأمّل جيّداً.

٤٤ ـ (من كفر فعليه كفره و من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي من كفر بالله و جحد نعمه، فعليه جزاء كفره و عقوبته و هي خلود النّار، لا على غيره إذ لا يعاقب أحد بذنب غيره لقوله تعالى: «و لا تزر وازرة وزر اخرى» الأنعام: ١٦١) و من وحّد و آمن بالله و عمل بالطّاعة فثواب ذلك

واصل إليهم، و تتمهّد أحوالهم الحسنة عندالله. و هذا توسّع يقال: من أصلح عمله فكأنّه فرش لنفسه في القبر و القيامة و سوّى مضجعه و مثواه. ٢ ـ قيل: و من كفر فهو يحمل وزر نفسه و لن يحظى بحبّ الله و لا رضآئه، و من آمن بالله و أخلص في الاتّجاه إليه وحده و عمل عملاً صالحاً، فإنّما يكونون بذلك قد مهّدوا لأنفسهم طريق النّجاة، و نالوا جزآء الله الحسن و فضله.

٣ ـ قيل: أي فمن أقام وجهه للدّين القيّم، فقد مهّد لنفسه مهاداً طيّباً، و أعدّ الدّار الّتي ينزلها في الآخرة، أمّا من أعرض و كفر فعليه ورز إعراضه و وبال كفره و هو النّار المؤبّدة. ٤ ـ قيل: أي من كفر بالله فعليه نفس كفره الّذي سينقلب عليه ناراً يخلد فيها. و هذا أحد الفريقين، و من عمل صالحاً بعد الايمان فلأنفسهم يوطّئون ما يعيشون به، و يجمعون الثّواب و الكرامة في الجنّة و يستقرّون فيها.

٥ ـ قيل: أي من كفر بالله و دسّى نفسه بما عمل من المعاصي، واجترح من الآثام فعليه وحده أوزار كفره و جحوده، و كفرانه بنعمه، و من عمل صالحاً و أطاع الله فيحابه أمر، و عنه نهى، فقد أعدّ لنفسه العدّة، و وطأ نفسه الفراش حتّى لا ينقضّ عليه مضجعه، و لا يقع في عذاب السّعير. فهم يوطّئون لأنفسهم في الآخرة فراشاً و مسكناً و قراراً بالعمل الصّالح كما يسوّي الرّاقد مضجعه كيلا يصيبه في مضجعه ما ينغّص عليه مرقده، من بعض ما يؤذيه، و تمهيد الأُمور تسويتها و إصلاحها، و تمهيد العذر: بسطه و قبوله.

عن مقاتل: أي فلأنفسهم يقدمون. و عن مجاهد: أي فلأنفسهم يفرشون في القبر، و يسوّون المضاجع فيه. و قيل: أي فلأنفسهم يفرشون في الجنّة، و يسوّون منازلهم فيها. و قيل: أي فلأنفسهم يعملون. و قيل: أي فلأنفسهم يستعدّون. من مهد فراشه: وطّأه حتّى لا يصيبه ما ينغص عليه مرقده من بعض ما يؤذيه. و قيل: أي فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم في المشفق: أُمّ فرشت فأنامت، و ذلك أنّ الإشفاق يلزمه التّمهيد عرفا و عادة.

و قيل: أي فلانفسهم يوطّئون منازلهم ليسلموا من عقاب ربّهم، و ينجوا من عذابه، هذا في الحياة الدّنيا لأنّ العمل الصّالح يستعدّ الإنسان ليستريح في حياته الدّنيا و يلتذّ بما أنعمه الله تعالى قليلاً أو كثيراً، و له الأمن، و الرّاحة و العيش و الفرح. و ليس للكافر

عيش هنيئ، طيّب و لا أمن و لا راحة و لا فرح و إن كان له مالاً كثيراً في الحياة الدنيا، فلا راحة و لا أمن و لا عيش في الحياة الدّنيا و لا في القبر و لا في الآخرة. و قيل: أي إنّهم يهدون لأنفسهم الجنّة بسبب أعمالهم الصّالحة كما أنّهم يهدون فراشهم ليوطئوها و ألاّ يصيبهم في مضجعهم ما ينغّص عليهم مرقدهم من نتوء و غيره. و قيل: أي و من عمل صالحاً فلنفسه طلب الخير، و لها مهّد مقعداً كريماً، و هيّأ لها مسكناً مناسباً مع ما قدّم من العمل الصّالح ليستريح فيه إلى الأبد.

أقول: و لكلٍّ وجهٌ و المعاني متقاربة فتأمّل جيّداً.

٤٥ـ (ليجزي الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات من فضله إنّه لا يحبّ الكافرين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: عن ابن عبّاس: أي ليجزي الله الّذين آمنوا بمحمّد (ﷺ) و بالقرآن، و عملوا الطّاعات فيما بينهم و بين ربّهم من ثوابه و كرامته في الجنّة، إنّه سبحانه لا يرضى دين الكافرين. ٢ ـ قيل: أي ليجزيهم على قدر استحقاقهم، و يزيدهم من فضله. فالفضل هو الزّيادة على الثّواب. و قيل: أي بسبب فضله لأنّه تعالى خلق الإنسان و هداه و مكّنه و أزاح علّته حتّى استحقّ الثّواب. و قيل: أي فضلاً من فضله و ثواباً لا ينقطع، و إنّه تعالى لا يحبّ الكافرين، فلا رحمة و لا نعمة من جهته سبحانه عليهم، فلا خلاص لهم من عذابه و لا مناص من عقابه. فكأنّه قيل: ليعاقب الكافرين.

٣ ـ قيل: أي إنّ الله ليجزي الّذين يطيعون الله عزّوجلّ و يجتنبون معاصيه ثواب الجنّة من فضله على خلقه. و إنّ الفضل هنا: الإعطاء، إنّه تعالى لا يريد منافع الكافرين و لا ثوابهم و لا كرامتهم، و إنّما يريد عقابهم جزآء على كفرهم و طغيانهم. ٤ ـ قيل: أي إنّ النّاس يوم القيامة يتفرّقون ليجازي الله تعالى المؤمنين بالحسنى من فضله، فيكافئ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمأة ضعف إلى ما شآء الله من المنح و العطايا، إنّه عزّوجلّ يبغض الكافرين، و ذلك يستدعي عقابهم بنار جهنّم، هم فيها خالدون. اكتفى عن ذكر جزآئهم بالفحوى. ٥ ـ قيل: أي النّاس يتفرّقون يوم القيامة لكي يجزي الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات من رزقه. و قيل: من ثوابه، لا يرضى دين الكافرين فيعاقبهم. و قيل: الإثابة

تفضّل محض.

أقول: و على الثّاني أكثر المحقّقين فتأمّل جيّداً.

٤٦ـ(و من آياته أن يرسل الرّياح مبشّرات و ليذيقكم من رحمته و لتجري الفلك بأمره و لتبتغوا من فضله و لعلّكم تشكرون)

و في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس و مجاهد و قتادة: أي و من علامات وحدانيّة الله و قدرته أن تعرفوا يا أهل مكّة توحيده بصنعه: أي يرسل الله الرّياح مبشّرات لكم بالمطر.

قيل: أي يستبشركم بها، فإذا كان الإستبشار بالمطر نسب الفعل به، و ليصيبكم من نعمته و هو المطر و الخصب، و لتجري السّفن في البحر بالرّياح عند هبوبها... و إنّما زاد «بأمره» لأنّ الرّياح قد تهبّ و لاتكون مواتية، فلابدّ من إرسآء السّفن و الإحتيال بحبسها، و ربّما عصفت فأغرقتها بأمره، و لتطلبوا بركوب السّفن في البحر من رزقه. و قيل: أي لتطلبوا بالأمطار فيما تزرعونه من فضل الله. كلّ ذلك بالرّياح بإذن الله، و لكي تشكروا يا أهل مكّة، ربّ هذه النّعم الإلهيّة فتوحّدوه و تطيعوه.

٢ ـ قيل: أي و من أعلام كمال قدرته أن يرسل الله تعالى رياح الرّجآء على قلوب عباده، فتكنس عن قلوبهم غبار الخوف، و غثاء اليأس، ثمّ يرسل عليها أمطار التّوفيق، فتحملهم إلى بساط الجهد و تكرمهم بقوى النّشاط، و يرسل رياحَ البسط على أرواح الأوليآء فيطهّرها من وحشة القبض و ينشر فيها إرادة الوصال، و يرسل رياحَ التّوحيد، فتهبّ على أسرار الأصفيآء فيطهّرها من آثار العنآء، و يبشّرها بدوام الوصال، فذلك ارتياح به و لكن بعد اجتياح عنك.

٣ ـ قيل: أي و من دلآئل التّوحيد أن يرسل الرّياح إليكم أيّها المشركون بالله سبحانه لتبشّركم بالأمطار، و ليصيبكم أنواع النّعم المترتّبة على جريان الرّياح كتلقيح الأشجار و دفع العفونات، و تصفية الأجوآء و ما إليها من النّعم الجارية على الخلآئق... و لتجرى السّفن بها في البحار بأمره تعالى، و لتطلبوا بالتّجارة في البحار من رزقه الّذي هو من

فضله، و لعلّكم تشكرون، فتستعملوا هذه النّعم على نحو ينبيء على إنعام منعمها من جهة و تشكروه بألسنتكم و تذكروه بذكر نعمه عليكم.

٤ ـ قيل: أي و من الأدلّة القاطعة على وحدانيّة الله تعالى و البراهين السّاطعة على أنّه ربّ كلّ شيئ: أنّه وحده يرسل الرّياح إليكم أيّها النّاس من حين إلى آخر مبشّرات لكم بالمطر الّذي به تحيا الأرض بعد موتها، فتنبت الأشجار و النّبات و تنموا الثّمار و الزّروع، فتأكلون منها مالذّوطاب، و تعيشون أنتم و دوابكم و أنعامكم فضلاً من ربّكم، و تجرى السّفن ماخرة للبحار، حاملة للأقوات و الأمتاع و أنواع الثّمار، منتقلة من قطر إلى قطر، فتأتي بما في أقصى المعمور من الشّرق إلى أقصاه في الغرب، و العكس بالعكس، فلا تُحتَجَن الثمرات و الأقوات في أماكنها و تكون وقفاً على قوم بأعيانهم... و ليعدّكم لشكره كفاء ما أسدى إليكم من نعمه الوفيرة، و خيراته العميمة الّتي لاتحصىٰ كما قال الله تعالى: «و إن تعدّوانعمة الله لا تحصوها» إبراهيم: ٣٤).

٥ ـ قيل: أي و من الأدلّة الواضحة على وحدانيته تعالى و قدرته، و على وجوب إخلاص العبادة لله أن يرسل الرّياح إليكم أيّها المؤمنون تبشّركم بالغيث و إرسال الرّياح: تحريكها و إجرآءها في الجهات المختلفة: تارة جنوباً، تسمّى القبليّة، و مهبّها من مطلع سهيل إلى مطلع الثّريّا، و اخرى شمالاً، تسمّى الشّماليّة، و مهبّها من بنات النّعش إلى مسقط النّسر الطآئر، و ثالثة صبا، و هي شرقيّة، و مهبّها من مطلع الثّريّا إلى بنات النّعش، و رابعة دبوراً، و هي غربيّة، و مهبّها من مسقط النّسر الطآئر إلى مطلع سهيل.

و انّ الثّلاثة الأوّل رياح رحمة و نعمة، و انّها تلقح السّحاب الماطر و تجمعه، فلذاكانت رحمة للخلآئق جميعاً، و الرّابعة و هي الرّيح الغربيّة، و هي ريح نقمة و عذاب و بلاء. و عن أبي عبيدة: انّ ريح الجنوب للأمطار و الأنداء، و ريح الشّمال للرّوح، و تقوية الجسم، و ريح الصّبا للإلقاح الأشجار، و ريح الدّبور للعذاب و البلاء و أهونه أن تثير غباراً عاصفاً يقذى العيون، و هي أقلهنّ هبوباً.

و قيل: و قد جمعت الرّياح إمّا لأنّ الله تعالى أراد الجنوب و الشّمال و الصبا، و هي رياح الرّحمة دون الدّبور الّتي هي للعذاب و النّقمة، و إمّا لأنّ أكثر الرّياح نافعة، و الضارّة منها

كالسّموم قليلة جداً لاتهبّ إلاّ حيناً، و إمّا لأنّ الرّياح إذا اجتمعت و تزاحمت و تراكمت حتّى صارت ريحاً واحداً أضرّت بالأشجار و النّبات و الزّروع، و الأبنية فقلعت الأشجار، و اصفرّت النّبات و جفّت الزّروع، و خربت الأبنية... و إذا تفرّقت و صارت رياحاً اعتدلت و نفعت.

فيرسل الله تعالى الرّياح إليكم على حسب ما يريده، و يعلم فيه من المصالح، و ذلك لايقدر عليه غيره سبحانه لأنّ العباد إن قدروا على جنس الحركة، فلو اجتمع جميع الخلائق من الجنّ و الإنس على أن يردّوا الرّيح إذا هبت شمالاً إلى كونها جنوباً و بالعكس، أو إذا هبت صبا إلى كونها دبوراً و بالعكس لما قدروا عليه، فمن قدر على ذلك يعلم أنّه قادر لنفسه لايعجزه شيء، مستحقّ للعبادة خالصة له، و ليذيقكم من رحمته العامّة، و لتجري الفلك بها في البحار بإرادته، و لتطلبوا من رزقه بالتّجارة في البحر لتشكروا الله تعالى أيّها المؤمنون على نعمه عليكم بقلوبكم و ألسنتكم في كلّ حال من الأحوال...

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فيشمل السّامعين في كلّ ظرف من الظّروف فتأمّل جيّداً.

٤٧ـ(و لقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجآؤهم بالبيّنات فانتقمنا من الّذين أجرموا و كان حقّاً علينا نصر المؤمنين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي و لقد أرسلنا من قبلك يا محمّد«ﷺ» رسلاً إلى أقوامهم الكافرين بالمعجزات الباهرة، فكذّبوهم و جحدوا بالمعجزات، فاستحقّوا العذاب، فأوجبنا على أنفسنا أن ننصر المؤمنين من عبادنا و ننجيهم من العذاب و إهلاك مخالفيهم... ٢ ـ أي و لقد أرسلنا من قبلك يا محمّد«ﷺ» رسلاً إلى أقوامهم، فجآؤهم بالأمر و النّهي و الوعد و الوعيد، و بالبشارة و الإنذار فكذّبوهم كما كذّبك قومك، فانتقمنا بالعذاب و البلاء و الهلاك من الّذين كفروا، و كان واجباً علينا نصر المؤمنين بالنّجاة مع رسولهم، و إنّما هو وجوب الكرم لا وجوب اللزوم.

٣ ـ قيل: أي و لقد بعثنا أيّها الرّسول«ﷺ» رسلاً من قبلك إلى أقوامهم المشركين كما

أرسلناك إلى قومك عابدي الأوثان و الأصنام و الآلهة المصنوعة، المنحوتة و المتوهّمة من دون الله، فجاؤهم بالحجج الواضحة على أنّهم من عند الله تعالى، و بالبراهين القاطعة على بطلان شركهم بالله سبحانه، فكذّبوهم كما كذّب قومك، و ردّوا عليهم ما جآؤهم به من عنده كما ردّوا عليك ما جئتهم به، فانتقمنا من الّذين أشركوا بالله سبحانه، و اجترموا الآثام، و اكتسبوا السّيئات من أقوامهم بالتّدمير و الهلاك، و نجّينا الّذين آمنوا بالله تعالى و صدقوا رسله، و نحن فاعلو ذلك بمجرمي قومك من المشركين، و بمن آمن بك سنّة الله الّتي شرعها لعباده و لن تجد لسنّة الله تبديلاً.

٤ ـ قيل: أي و لقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى عبادنا، فمن قابلهم بالتّصديق وصل إلى خلاصة التّحقيق، و من عارَضَهم بالجحود أذقناهم عذاب الخلود، فانتقمنا من الّذين أجرموا و أخذناهم من حيث لم يحتسبوا و شوّشنا عليهم ما أمّلوا، و نقضنا عليهم ما استطابوا و تنعّموا، و أخذنا بخناقهم فحاق بهم ما مكروا و كان حقّاً علينا نصر المؤمنين بتوطئتهم بأعقاب أعدآئهم، و لم يلبثوا إلاّ يسيراً حتّى رقيناهم فوق رقابهم، و خرّبنا أوطان أعدآئهم، و هدّمنا بينانهم، و أخذنا نيرانهم، و عطّلنا عنهم ديارهم، و محَوْنا بقَهْر التّدمير آثارهم، فظلّت شموسهم كاسفة، و مكيدة قهرنا لهم بأجمعهم خاسفة.

٥ ـ عن ابن عبّاس: أي و لقد بعثنا من قبلك يا محمّد ﴿ﷺ﴾ رسلاً إلى قومهم، فجاؤهم بالأمر و النّهي و العلامات، فلم يؤمنوا فانتقمنا بالعذاب من الّذين أشركوا و كان واجباً علينا نصر المؤمنين مع الرّسل بنجاتهم و هلاك أعدآئهم... ٦ ـ قيل: أي و لقد أرسلنا من قبلك أيّها الرّسول رسلاً إلى قومهم فجاؤهم بالمعجزات الواضحات و الآيات الباهرات و الحجج النّيّرات على صدق رسالتهم إليهم، فكذّبوهم و جحدوا بآ ياتنا فاستحقّوا العذاب، فعاقبناهم بتكذيبهم و أهلكناهم، و دفعنا السّوء و العذاب عن المؤمنين، و كان واجباً علينا نصرهم بإعلاء الحجّة و دفع الأعدآء عنهم، و إنجآئهم من الهلاك و التّدمير و العذاب.

٧ ـ قيل: أي بالدّلائل على صدقهم و نبوّتهم، فكذّبوهم تعنّتاً و عناداً، فأخذهم الله

بذنوبهم، و مالهم من واق. ٨ ـ قيل: أي جآء كلّ قوم رسولهم بما يخصّه من البيّنات... فموسى «عليه السلام» بإبطال السّحر و آيات التّسع البيّنات، و صالح «عليه السلام» بإخراج النّاقة من الجبل، و عيسى «عليه السلام» بإحيآء الموتى و هكذا كما جئت قومك بالقرآن الكريم المعجزة الخالدة و غيرها من المعجزات المتعلّقة بزمانك، فآمن بعض، و كذّب بعض، فانتقمنا من الّذين كذّبوا رسولهم بتدميرهم، و كان الانتقام منهم حقّاً و عدلاً، و كان علينا نصر المؤمنين لا ظلماً حيث جعلوا مستحقّين على الله تعالى أن ينصرهم، فكان الإنتقام لأجل المؤمنين فيشمل الرّسل عليهم السلام.

أقول: و المعاني متقاربة من دون تناف بينها فتأمّل جيّداً.

٤٨ـ (الله الّذي يرسل الرّياح فتثير سحاباً فيبسطه في السّمآء كيف يشآء و يجعله كِسَفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشآء من عباده إذا هم يستبشرون)

في قوله تعالى: «فتثير سحاباً فيبسطه في السّمآء كيف يشآء» أقوال: ١ ـ قيل: أي الرّياح تدفع السّحاب و تهيّجه، فيبسط الله تعالى السّحاب في جوّ السّمآء كيف يشآء، إن شآء بسطه مسيرة يوم أو أكثر أو أقل، و يجريه إلى أيّ جهة شاء و إلى أيّ بلد شآء. ٢ ـ عن ابن عبّاس: فترفع هذه الرّياح سحاباً ثقالاً بالمطر، فتمرّ به السّحاب فتدرّ كما تدرّ النّاقة، و ثجاج مثل العزالي غير أنّه متفرّق. من ثار الغبار: إذا ارتفع. ٢ ـ قيل: أي فتحرّك الرّياح، و تنشر سحاباً. و إنشار السّحاب و إن كان من فعل الله تعالى، و لكن لمّا كان السّحاب سبباً منه جاز أن يسند إليها.

٣ ـ عن السّدي: أي الرّياح تأتي بالسّحاب من بين الخافقين، طرف السّماء أي جهة العلوّ من الجوّ، حين يلتقيان، فتخرج الرّياح سحاباً ثمّ تنشره، فيبسطه الله في السّمآء كيف يشآء، فيسيل المآء على السّحاب، ثمّ يمطر السّحاب بعد ذلك. ٤ ـ عن قتادة: أي تزعج السّحاب فيجمعه. ٥ ـ قيل: أي هو الّذي يرسل الرّياح تهبّ، و الشّمس تبخر مآء البحار،

فترتفع الرياح بهذا البخار إلى الجوّ، ثمّ تجذبه الأرض إليها. ٦ ـ قيل: أي فيبسطه في السّمآء كيف يشآء سائراً و واقفاً، مطبّقاً و غير مطبّق من جانب دون جانب إلى غير ذلك. ٧ـ قيل: أي فيبسطه في السّمآء كيف يشآء من قلّة و كثرة. ٨ـ قيل: أي فيبسط تعالى ذلك السّحاب كيف شآء في السّمآء من كثافة ورقّة و غير ذلك. ٩ ـ قيل: أي فيبسطه في السّمآء بسطاً تامّاً متّصلاً تارة في سمت السّمآء لا في نفس السّمآء كقوله تعالى: «و فرعها في السّمآء» إبراهيم: ٢٤) أي في جهة السّمآء.

١٠ ـ قيل: أي الله الّذي يرسل رياح عطفه وجوده مبشّرات بوَصله وجوده، ثمّ يُمطِرُ جود غيبه على أسرار عباده بلطفه، و يطوي بساط الحشمة عن ساحات قُرْبه، و يضرب قباب الهيبة بمشاهد كشفه، و ينشر عليهم أزهار اُنسه، ثمّ يتجلّى لهم بحقآئق قدسه، و يسقيهم بيده شراب حبّه، و بعد ما محاهم عن أوصافهم أصحاهم ـ لا بهم ـ و لكن بنفسه، فالعبارات عن ذلك خُرس، و الإشارات دونها طُمس. هذا من تأويل الآية الكريمة.

أقول: و على الأوّل أكثر المفسّرين و في بعض الأقوال الأُخر تأمّل، فتدبّر.

و **في قوله عزّوجلّ:** «و يجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله» أقوال: ١ ـ عن قتادة: أي و يجعل الله هذا السّحاب قطعاً متفرّقة تارة اخرى، فترى القطر يخرج من بين السّحاب في التّارتين. ٢ ـ عن الجبائي: أي و يجعل الله هذا السّحاب قطعات متراكبة متراكمة بعضه فوق بعض حتّى يغلظ، فترىٰ أيّها الرّائي، المطر يخرج من بين السّحاب. ٣ ـ قيل: أي يبسطه تارة، اخرى يجعله قطعاً متكاثفاً بعضه على بعض، ثمّ تقسمه إلى قطع، و تدفع بكلّ قطعة إلى بلد، فإذا وصلت إليه تساقط المآء على البلد المقصود. ٤ ـ عن أبي مسلم: أي فيبسطه قطعاً تغطّي ضوء الشّمس، فترى أيّها الرّسول ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ يخرج القطر من بين السّحاب. عن الضّحّاك، أي فيجعله سمآء دون سمآء. و قيل: إنّ الله تعالى جعل السّحاب غربالاً للمطر حيث كان قبل نوح ﴿عليه السلام﴾ ينزل المطر متّصلاً.

أقول: و على الثّالث أكثر المفسّرين من دون تنافٍ بينه و بين الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

و **في قوله سبحانه:** «فإذا أصاب به من يشآء من عباده إذا هم يستبشرون» أقوال:

١ ـ قيل: أي فإذا أصاب الله بالمطر من يشآء من عباده يعني بلادهم و أراضيهم إذا هم يستبشرون أي فاجؤا بمجيء الخصب. ٢ ـ قيل: أي فإذا أصاب به بعض عباده فرحوا به لحاجتهم إليه. ٣ ـ قيل: أي يفرحون و يبشر بعضهم بعضاً به. ٤ ـ قيل: أي يفرحون بنزول المطر عليهم بعد اليأس و القنوط.

أقول: و لكلٍّ وجهٌ فتدبّر.

٤٩ـ(و إن كانوا من قبل أن ينزّل عليهم من قبله لمبلسين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن قتادة و الضّحّاك: أي و إن كان النّاس من قبل أن ينزل عليهم المطر، من قبل إرسال الرّياح إليهم لقانطين من المطر. ٢ ـ عن ابن عبّاس: أي و قد كان كفّار قريش من قبل أن ينزل عليهم المطر آئسين من نزوله، فلمّا جآءهم على فاقة و حاجة، وقع منهم موقعاً عظيماً إذ كانوا يترقّبونه في إبّانه، فتأخّر، ثمّ مضت فترة، فترقبوه فيها فتأخّر، ثمّ جآء بغتة بعد اليأس و القنوط، و بعد أن كانت أرضهم هامدة أصبحت، و قد اهتزّت و ربت و أنبتت من كلّ زوج بهيج. ٣ ـ قيل: تقديره: من قبل تنزيل المطر من قبل المطر.

٤ ـ قيل: و إن كان المشركون من قبل أن ينزّل عليهم المطر، من قبل إنزاله كانوا آئسين. فـ«من قبله» تأكيد لـ«من قبل أن ينزّل عليهم» و فائدة التّأكيد هي الإعلام بسرعة تقلّب قلوبهم من اليأس إلى الإستبشار. و في التّأكيد دلالة على أنّ عهدهم بالمطر قد تطاول، و بعد فاستحكم يأسهم، و تمادى إبلاسهم، فكان الإستبشار على قدر اغتمامهم بذلك. ٥ ـ قيل: تقديره من قبل تنزيل المطر من قبل أن يزرعوا كانوا مكتئبين حزينين، قد ظهر الحزن عليهم لإحتباس المطر عنهم. و دلّ على الزّرع المطر إذ بسببه يكون، و دلّ عليه أيضاً: «فرأوه مصفرّاً». ٦ ـ قيل: أي من قبل السّحاب، من قبل رؤية السّحاب و بسطه كانوا قانطين، و ذلك أنّ عند رؤية السّحب و هبوب الرّياح قد يرجى المطر، فلايتحقّق الإبلاس.

أقول: و على الرّابع أكثر المفسّرين من دون تنافٍ بينه و بين بعض الأقوال الأُخر

فتأمّل.

٥٠ـ (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إنّ ذلك لمحي الموتى و هو على كلّ شئ قدير)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي فانظر أيّها الرّائي في أيّ ظرف من الظّروف إلى آثار الغيث الّذي أنبت به ما أنبت من الزّرع و الأشجار و الثّمار، فإنّها أدلّة قاطعة و براهين ساطعة على قدرة الله جلّ وعلا على إحيآء الموتى لفصل القضآء بينهم، و إذ ثبتت قدرته على إحيآء الميّت من الأرض بالغيث ثبتت قدرته على إحيآء الأجسام بعد موتها و تفرّقها و تمزّقها إرباً إرباً، فإنّ حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لايجوز واحد. ٢ ـ قيل: أي فانظر أيّها السّامع إلى آثار رحمة الله تعالى يعني النّبات فإنّه أثر المطر. ألوان النّبات منه الأخضر و الأحمر و الأصفر و غيرها من الألوان المختلفة... كيف يحيي الله تعالى الأرض بعد موتها، حين لم يكن فيها نبات، و من فعل هذا فهو الّذي يحيي الموتى يوم القيامة. و المراد بالموتى: موتى الإنسان.

٣ ـ قيل: إنّ برحمة الله المطر المنازل من السّحاب الّذي بسطته الرّياح، و آثارها ما يترتّب على نزول المطر من النّبات و الأشجار و الأثمار و هي بعينها آثار حياة الأرض بعد موتها و جفافها، فحياة الأرض بعد موتها من آثار الرّحمة. و المراد بالموتى: موتى الإنسان و غيره من ذوي الحياة لقوله تعالى: «و إذا الوحوش حشرت» التّكوير: ٥). ٤ ـ قيل: أي فانظر أيّها الرّسول«ﷺ» إلى آثار رحمة الله الّتي أصاب الله بها مَن أصاب بها من عباده كيف يحيي الأرض بالنّبات بعد جدوبها، إنّ مثل ذلك يحيي الله الموتى بعد أن كانوا جماداً.

٥ ـ عن ابن عبّاس: أي فانظر يا محمّد«ﷺ» إلى قدام المطر و بعد المطر كيف يحيي الأرض بعد قحطها و يبوستها، إنّ الّذي يحيي الأرض بعد موتها لمحي الموتى للبعث و هو على كلّ شئ من الموت و الحياة و البعث للخلق قدير. ٦ ـ قيل: أي فانظر أيّها المنكر للبعث و الحساب بعد الموت إلى نعمة الله تعالى بالمطر كيف يحيي الأرض بعد يبسها بأن تنبت شجراً و مرعى، جعل الله اليبس و الجدوبة بمنزلة الموت و ظهور النّبات فيها بمنزلة الحياة توسّعاً إنّ الله تعالى يفعل ما ترون و هو الله تعالى ليحيي الموتى في الآخرة بعد كونهم رفاتاً.

٦ ـ قيل: أي فانظر أيها السّامع إلى آثار رحمة الله الواسعة كيف يحيي الأرض بأزهارها و أنوارها عند مجيء الأمطار ليخرج زرعها و ثمارها، و يحيي النّفوس بعد نَفْرَتها، و يوفّقها للخيرات بعد فترتها، فتعمر أوطان الرّفاق بصادق إقدامهم، و تندفع البلايا عن الأنام ببركات أيّامهم و يحيي القلوب بعد غفلتها بأنوار المحاضرات، فتعود إلى استدامة الذّكر بحسن المراعاة، و يهتدى بأنوار أهلها أهل العسر من أصحاب الإرادات، و يحيى الأرواح بعد حَجبَتِها بأنوار المشاهدات، فتطلع شموسها عن بُرْج السّعادة، و يتّصل بمشام أسرار الكافّة نسيم ما يفيض عليهم من الزّيادات، فلايبق صاحب نَفَس إلاّ حَظِيَ منه بنصيب، و يحيي الأسرار ـ و قد تكون لها وقفةً في بعض الحالات ـ فتنتفي بالكلّية آثار الغيريّة، و لا يبق في الدّار ديّار، و لا من سكّانها آثار... فسطوات الحقآئق لاتثبت لها ذرّة من صفات الخلآئق، هناك الولاية لله تعالى سقط المآء و القطرة، و طاحت الرّسوم و الجملة.

٧ ـ قيل: تقديره: إذا أردت أن تعرف ما يترتّب على إنزال المطر، فانظر إلى إحيآئه البديع للأرض بعد موتها و جفافها. ٨ ـ قيل: تقديره: فانظر إلى أثر رحمة الله محيية للأرض بعد موتها، إنّ ذلك الشّأن العظيم لقادر على احيائهم بعد موتهم لأنّه إحداث لمثل ماكان في موادّ أبدانهم من القوى الحيوانيّة، كما أنّ إحيآء الأرض إحداث لمثل ماكان فيها من القوى النّباتيّة. و قيل: يحتمل أن يكون النّبات الحادث من أجزآء نباتيّة تفتّتت و تبدّدت و اختلطت بالتّراب الّذي فيه عروقها في بعض الأعوام السّالفة، فيكون كالإحيآء بعينه بإعادة الموادّ و القوى لا بإعادة القوى فقط. و قيل: هذا احتمال باطل واهيّ.

أقول: و على الأوّل أكثر المحقّقين و في معناه أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٥١ ـ (و لئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفرّاً لظلّوا من بعده يكفرون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس و الحسن: أي أُقسم بالله إن أرسلنا إلى هؤلآء المشركين ريحاً ضارّة حارّة أو باردة على الزّرع الّذي زرعوه و نما و استوى على سوقه، فرأوا الزّرع و النّبت الّذي كان من أثر رحمة الله، قد اصفرّ من الحرّ أو البرد ـ بعد

خضرته و نضرته ـ لصاروا من بعد ذلك الاستبشار و الرّجآء يجحدون نعم الله السّابقة عليهم. ۲ ـ قيل: أي و لئن أرسلنا ريحاً باردة مؤذية بالهلاك فرأوا السّحاب مصفرّاً لأنّه إذا كان كذلك كان غير ممطر لصاروا من بعد أن كانوا راجين مستبشرين يكفرون بالله تعالى و بنعمته، و لم يرضوا بقضآء الله سبحانه فيه، فعل من جهل صانعه و مدبّره، و لا يعلم أنّه تعالى حكيم لا يفعل إلاّ الأصلح، فيشكر عند النّعمة، و يصبر على الشّدّة.

۳ ـ قيل: أي و لئن أرسلنا ريحاً حارّة، فضربت زروعهم و أشجارهم بالصّفار ورأوه لظلّوا بعده كافرين بنعمه، من غير تلعثم نعمة الله تعالى لعدم تثبّتهم و سرعة تزلزلهم بين طرفي الإفراط و التّفريط، حيث كان الواجب عليهم أن يتوكّلوا على الله تعالى في كلّ حال، و يلجؤا إليه تعالى بالإستغفار إذا احتبس عنهم المطر، و لا ييأسوا من روح الله سبحانه و يبادروا إلى الشّكر بالطاعة إذا أصابهم الله برحمته، و لا يفرطوا في الإستبشار و أن يصبروا على بلآئه إذا اعترى زرعهم آفة، و لا يكفروا بنعمآئه عزّوجلّ، و لكنّهم عكسوا الأمر فأبوا ما يجديهم، و أتوا بما يؤذيهم.

٤ ـ قيل: أي فرأوا النّبات، فالضّمير راجع إلى النّبات المفهوم من السّياق. ٥ ـ قيل: أي فرأوا الرّيح. فالضّمير يعود على الرّيح، فإنّه يذكّر و يؤنّث. ٥ ـ قيل: أي فرأوا أثر رحمة الله الّتي هي الغيث و أثره النّبات. ٦ ـ قيل: أي إنّهم مستبشرون إذا رأوا الغيث، و يكفرون إذا انقطع عنهم النّبات، و يقيمون على الكفر بالله و بنعمته، فهم يعبدون الله على أساس الرّبح فإذا محصوا بالبلاء ارتابوا بالخالق و حكمته.

۷ ـ قيل: أي و لئن أرسلنا ريحاً مفسدة ما أنبته الغيث الّذي أنزلناه من السّمآء فرأى هؤلآء الّذين أصابهم الله بذلك الغيث الّذي حييت به أرضوهم، و أعشبت و نبتت به زروعهم ما أنبتته أرضوهم بذلك الغيث من الزّرع مصفرّاً قد فسد بتلك الرّيح الّتي أرسلناها، فصار من بعد خضرته مصفرّاً لظلّوا من بعد استشارهم و فرحتهم به يكفرون بربّهم، و قيل: من بعد إرسال الرّيح. و قيل: من بعد اصفرار زرعهم يجحدون ما سلف من النّعمة بالمطر.

أقول: و السّابع هو الأنسب بظاهر السّياق و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل

جيّداً.

٥٢ـ(فإنّك لاتسمع الموتى و لا تسمع الصمّ الدّعآء إذا ولّوا مدبرين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي فلا تشتغل و لا تحزن أيها الرّسول ﴿ﷺ﴾ بهؤلآء الّذين تتبدّل بهم الأحوال من إبلاس و قنوط، و استبشار و فرح و كفر بالله و كفران بنعمه جلّ و علا و من عدم تعقّلهم فيها، فإنّهم موتى روحاً، و صمّ قلباً و أنت لاتقدر على إسماعهم ما تدعوهم إليه إذا هم أعرضوا عنه إعراضاً لا رجوع عنه. ٢ـ قيل: أي فكما لا يسمع الموتى النّدآء، فكذلك لايسمع الكفّار الدّعآء إذا دُعوا إلى الحقّ و الهدى و الايمان، و لايسمع الأصمّ إذا كان مقبلاً فكيف يسمع إذا ولّى مدبراً، فكذلك الكفّار لايسمعون إذ كانوا يتصامّون على الكفر و الضّلالة عند القراءة و الدّعوة، فإنّهم بمثابة الموتى و الأصمّ لا يحسّون روحاً و لا يرون قلباً و لا يسمعون حقّاً و لا يدركون ذلك، فيجادلون و يكابرون و يضجّون و يصخبون.

فالكفّار كالموتى لمّا سدّدوا عن الحقّ و الهدى مشاعرهم، و كالصمّ لايسمعون الدّعآء إذا أعرضوا عنها إعراضاً دائماً. قيل: قيّد الحكم: «ولّوا» بـ«مدبرين» ليكون أشدّ استحالة فإنّ الأصمّ المقبل، و إن لم يسمع الكلام تفطّن منه بواسطة الحركات شيئاً.

٣ـ قيل: أي كما أنّك يا محمّد ﴿ﷺ﴾ لا تسمع الميّت لتعذّر استماعه، فكذلك لاتسمع الكفّار ما في القرآن الكريم من حكمة و موعظة كما لاتسمع الأصمّ المدبر عنك لأنّه لايعمل به. ٤ـ قيل: أي إنّك لاتقدر أن تفهم هؤلآء المشركين الّذين قد ختم الله على قلوبهم، و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة، فسلبهم فهم ما يتلى عليهم من مواعظ تنزيله كما لاتقدر أن تفهم الموتى الّذين سُلِبُوا أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعهم، و لاتقدر أن تهدي من تصامّوا عن فهم آيات كتابه فتجعلهم يسمعونها و يفهمونها كما لاتقدر أن تسمع الصمّ الدّعآء إذا ولّوا عنك مدبرين. ٥ـ عن ابن عبّاس: أي فإنّك لاتفقه الموتى كأنّه ميّت، و لاتسمع المتصامم دعوتك إلى الحقّ و الهدى إذا أعرضوا عن الحقّ و الهدى.

٦ـ قيل: أي لاتحزن أيها الرّسول ﴿ﷺ﴾ و لا تجزع على عدم ايمان كفّار مكّة المشركين

بالله سبحانه فإنّهم موتى و صمّ، فإنّ مَن فقد الحياة الأصليّة لم يعش بالرُّقى و التّمآئم، و إذا كان في السّريرة طَرَشٌ عن سماع الحقيقة، فسمع الظّاهر لايفيده آكد الحجّة. فشبّه تعالى هؤلآء الكفّار في ترك تدبّرهم فيما يدعوهم إليه رسول الله «ﷺ» تارة بالأموات، و أخرى بالصّمّ لأنّهم لايريدون أن ينتفعوا بدعآء الدّاعي فكأنّهم لايسمعونه أصلاً إذا أعرضوا عن أدلّتها ذاهبين إلى الكفر و الضّلال و الشّرك و الفساد، غير سالكين سبيل الحقّ و الرّشاد... ٧ ـ قيل: أي إذا وضحت الحجج يا محمّد «ﷺ» لكنّهم لإلفهم تقليد الأسلاف في الكفر و الضّلال ماتت عقولهم، و عميت بصآئرهم، فلايتهيّأ لك إسماعهم و هدايتهم...

أقول: و لكلّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها فتدبّر جيّداً.

٥٣ ـ (و ما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي و ما أنت أيّها الرّسول «ﷺ» أن تهدي عمى القلوب و تردعهم عن الضّلالة إلى الهدى، و عن الباطل إلى الحقّ، لاتسمع سماع تدبّر و اعتبار و تعقّل و استبصار، و تأمّل و قبول إلاّ من يريد الايمان بالحقّ لوجه الله تعالى و الحقّ، أمّا الانتهازيّون فدينهم في بطونهم و جيوبهم لا في رؤوسهم و قلوبهم. ٢ ـ عن ابن عبّاس: أي و ما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم إلى الهدى. قيل: سمّاهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقيّ من الإبصار. ما تسمع دعوتك إلاّ من يؤمن بكتابنا و رسولنا، فهم يصغون إلى أدلّة المبدإ و المعاد، فهم مخلصون له تعالى التّوحيد و العبادة.

٣ ـ قيل: أي ليس في طوقك أن تهدي من أضلّه الله، فتردّه عن ضلالته، بل ذلك إليه وحده، فإنّه يهدي من يشآء و يضلّ من يشآء، و ليس ذلك لأحد سواه، فإنّك لاتسمع السّماع الّذي ينتفع به سامعه، فيتّبعه إلاّ من يؤمن بآياتنا لأنّه هو الّذي إذا سمع كتاب الله تدبّره و فهمه و عمل بما فيه، و انتهى إلى حدوده الّتي حدّها، فهو مستسلم خاضع له، مطيع لأوامره، و تارك لنواهيه... ٤ ـ قيل: أي و ما أنت يا محمّد «ﷺ» بهادي العمى عن

ضلالتهم إذ ليس فيهم حيلة أن يقبلوا الهداية، فإنّهم كالعمى لا يهتدون بالأدلّة، و لا تقدر على ردّهم عن العمى إذ لم يطلبوا الاستبصار، فإنّك لا تسمع إلاّ من طلب البصيرة و الهدى، و يصدّق بأدلّتنا لأنّهم المنتفعون بدعآئك و إسماعك، فهم مسلمون لك ما تدعوهم إليه، و ما تأمرهم به و تنهاهم عنه، فإنّهم يتلقّون الألفاظ و يتدبّرون المعاني، و يعقلون الحجج و يصدّقونها.

٥ ـ قيل: أي و ما أنت بهادي العمى إلى الايمان، و لا تقدر أن توفّقهم و هم لا يرغبون في طلب الحقّ و طاعتي، ما تسمع إلاّ من يؤمن بالقرآن فهم مخلصون. قيل: أي إنّك لا تسمع إلاّ من يشرف للإيمان. و قيل: أي بعد الايمان، فإنّ ايمانه يدعوه إلى تلقّي اللفظ و تدبّر المعنى، فهم مسلمون لما تأمرهم به، و ما تنهاهم عنه.

٦ ـ قيل: أي و ما أنت يا محمّد (ﷺ) بسدّد ما أعماه الله عن الإستقامة، و محجّة الحقّ، فلم يوفّقه لإصابة الرّشد، فصارفه عن ضلالته الّتي هو عليها و ركوبه الجآئر من الطّرق إلى سبيل الرّشاد، فليس ذلك بيدك و لا إليك، و لا يقدر على ذلك أحد دون الله ما تسمع إلاّ من يستعدّ للإيمان بآياتنا فهم خاضعون لله تعالى بطاعته، متذلّلون لمواعظ كتابه.

أقول: و المعاني متقاربة فتدبّر.

٥٤ـ (الله الّذي خلقكم من ضعف ثمّ جعل من بعد ضعف قوّة ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و شيبة يخلق ما يشآء و هو العليم القدير)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي الله الّذي خلقكم أيها النّاس ضعفآء إذ كنتم نطفاً، فحوّلكم إلى أن صرتم أحيآء أطفالاً لا قدرة لكم على دفع الذّباب عنكم و لا على الأكل و المشيء و البطش، ثمّ جعل لكم من بعد هذا الضّعف قوّة إذا شبتم و ترعرعتم و كملتم، ثمّ جعل لكم من بعد قوّة، ضعفاً و شيبة في حال الشيخوخة و الشيب و بياض الشّعر الأسود، يخلق الله كيف يشآء، و هو العليم بما فيه من مصالح خلقه، قادر على فعله، فهو يفعل بحسب ما يعلمه من مصالحهم و ما تقتضيه حكمته.

٢ ـ عن ابن عبّاس و قتادة: أي الله الّذي خلقكم أيها المشركون المنكرون للبعث بعد

موتكم، من أصل ضعيف و هو نطفة منتنة ضعيفة، ثمّ جعل من بعد ضعف هذا، شدّة بتمام خلقه و هو بلوغكم الأشدّ أي رجلاً شابّاً قويّاً، ثمّ جعل من بعد الشّباب، الهرم و الشّمط، إذا أخذ منكم السّنّ، يحوّل الخلق كيف يشآء من الصّورة و هو العليم بتحويل الخلق، القادر على ذلك. ففيه إخبار عن خلق أنفسهم ليتفكّروا فيه و يعتبروا و يعلموا أنّ الّذي خلقهم من ضعف يعيدهم بعد موتهم.

۳ـ قيل: أي الله الّذي خلقكم ضعفآء أوّلاً و ذلك زمن طفولتكم و صغركم، ثمّ جعلكم أقويآء، و ذلك زمن شبابكم و كهولتكم، ثمّ جعلكم ضعفآء بعد القوّة و شيباً، و ذلك زمن شيخوختكم و هرمكم، فهو يخلق ما يشآء على الوجوه و الأطوار الّتي تقتضيها حكمته من ضعف و قوّة و شيبة، فيحوّل خلقه كما يشآء من حال إلى حال، و هو العليم بالمقتضيات، القدير على خلق كلّ شيئ بحسبها. و في الآية تذكير بأطوار خلق الله للنّاس، و تنبيه على قدرة الله جلّ وعلا إذ تتجلّى في تطوّرات خلقة النّاس و أعمارهم أيضاً، و في كلّ ما يفعله حكمة و غاية.

٤ ـ قيل: أي الله الّذي خلقكم أيها الكافرون من ماء مهين، و جعل لكم السّمع و الأبصار و الأفئدة، ثمّ جعل لكم قوّة على التّصرّف من بعد ضعف الصّغر و الطّفولة، ثمّ أحدث لكم الضّعف بالهرم و الكبر بعد أن كنتم أقويآء في شبابكم، يخلق الله ما يشآء من ضعف و قوّة و شباب و شيبة، و هو العليم بتدبير خلقه، القدير على ما يشآء لا يمتنع عليه شيئ أراده، فمن كان قادراً على أطوار خلقكم و تطويل عمركم فهو قادر على إعادتكم و بعثكم بعد موتكم لفصل القضآء بينكم.

٥ ـ قيل: أي الله الّذي أظهركم على ضعف الصّغر و الطّفوليّة، ثمّ بعده قوّة الشّباب، ثمّ ضعف الشيب ثمّ:

آخـــر الأمـــر تـــرى القـبر و اللـحد و الثّرى

كذلك في ابتداء أمركم يظهركم على وصف ضعف البداية في نعت التّردّد و الحيرة في الطّلب، ثمّ بعد قوّة الوصل في ضعف التّوحيد. ٦ـ قيل: أي الله الّذي خلقكم من ضعف العقل لأنّه بشرط البرهان و تأمّله، ثمّ قوّة البيان في حال العرفان لأنّه بسطوة الوجود ثمّ

بعده ضعف الخمود، لأنّه الخمود يتلوا الوجود و لايبق معه أثر.

٧ـ قيل: أي الله الّذي خلقكم من حال ضعف من حيث الحاجة، ثمّ بعده قوّة الوجود ثمّ بعده ضعف المسكنة. قال رسول الله﴿ﷺ﴾ «أحيني مسكيناً و أمتني مسكيناً و احشرني في زمرة المساكين». ٨ـ قيل: أي الله الّذي ابتدأكم ضعفاء إذ قال: «خلق الإنسان ضعيفاً» النّسآء: ٢٨) فجعل بنيتكم مجبولة على الضّعف، و الضّعف هو أساس أمركم، ثمّ جعل من بعد ضعف قوّة إذا بلغتم الحلم ـ و قيل: أي بتعلّق الرّوح بأبدانكم ـ ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و شيبة، ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و هو الهرم و هو تمام النّقصان، يخلق ما يشآء من قوّة و ضعف، و هو العليم أي المبالغ في العلوم بتدبيره، القدير: المبالغ في القدرة على ارادته. و قيل: أي خلقه من الأشيآء الّتي من جملتها ما ذكر من الضّعف و القوّة و الشيبة، و خلقها إمّا بمعنى خلق أسبابها أو محاها و إمّا ايجادها أنفسها.

٩ـ قيل: أي الله الّذي خلقكم من ضعف و هو ضعف الإدراك و الجسم في الأطفال، ثمّ جعل من بعد ضعف، قوّةً و هي قوّة الشّباب و زهرة الحياة و رشد الفكر و بلوغ العقل، ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و هي ضعف الهرم و فتور الشيخوخة و الكهولة، و الغرض من هذا البيان أنّ الإنسان يمرّ بالعديد من الأطوار و الأدوار و كلّها تذهب بسرعة مع الرّيح، و العاقل ينتهز فرص الخير و العمل الصّالح ليوم الخوف الأكبر و حسابه و جزآئه.

١٠ـ قيل: أي الله الّذي أوجدكم أيها النّاس من تراب، ثمّ بعد مضيّ الزّمان جعلكم من بعض ضعف آخر و هو الضّعف الموجود في الجنين و الطّفل قوّة يتحرّك بها الطّفل في بطن امّه، و يشرب دم الطّمث، ثمّ بعد الولادة يمصّ الثّدي و يدفع الأذي عن نفسه بالبكآء إلى أن يقدر على أكل الغذآء بنفسه، ثمّ يمشيْ بغير إعانة إلى أن يصل إلى القوّة و البسط في الجسم، ثمّ جعل من بعد قوّة الشّباب ضعفاً آخر و هو ضعف الكهولة و الكبر و الشيخوخة و شيبة. و الشّيب و المشيب: بياض الشّعر الأسود.

١١ـ قيل: أي الله الّذي خلقكم من ضعف في البداية و هو ضعف العقل، ثمّ جعل من بعد ضعف، قوّة في العقل بالبراهين و الحجج، ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و شيبة في الايمان لمن كان العقل عقيله، فيعقله بعلاقات المعقولات، فينظر فيها بداعية الهوى بنظر مشوب

بآفة الوهم و الخيال، فيقع في ظلمات الشّبهات، فتزلّ قدمه عن الصّراط و الدّين القيّم.

١٢ ـ قيل: أي الله الّذي خلقكم من ضعف التّردّد و التّحيّر في الطّلب، ثمّ جعل من بعد ضعف، قوّة في صدق الطّلب، ثمّ جعل من بعد قوّة في الطّلب ضعفاً في حمل القول الثّقيل و هو كلمة التّوحيد: «لا إله إلاّ الله» يخلق الله ما يشآء من الأشيآء الّتي من جملتها ما ركب من الضّعف و القوّة و الشّباب و الشّيبة، فليس هذا طبيعيّة بل كلّها بمشيئة الله تعالى و إرادته و هو العلم بخلقه، القدير بتحويله من حال إلى حال. و لا يخفى عليك أنّ النّفس لمّا كانت أقرب الإعتبار من نفس غيرهم من الكآئنات، أخبر تعالى عن خلق أنفسهم في أطوار مختلفة ليتغيّروا و يتقلّبوا من معرفة هذا التّغيّر و التّقلّب إلى معرفة الصّانع الكامل بالعلم و القدرة، المنزّه عن الحدوث و الإمكان، فيصرفوا قواهم إلى طاعة ربّهم.

١٣ ـ قيل: إنّ الضّعف الأوّل هو ضعف المزاج في فهم أرباب العموم و الخصوص جميعاً، و القوّة بعد الضّعف هي قوّة المزاج بحسب مفهومها الظّاهر عندهم جميعاً، و ينضاف إلى مفهومها الظّاهر في فهم أرباب الخصوص قوّة الحال و هي الّتي تقتضي التّصرّف و التّأثير في العالم بالهمّة، و الضّعف الثّاني ضعف المزاج، بموجب مفهومه الظّاهر عند الجميع، و ينضاف إليه في فهم أرباب الخصوص ضعف المعرفة بالله أي ضعف حصل بسبب المعرفة، فتضعفه و تخرجه عن قوّته العرضيّة و تردّه إلى ضعفه الأصليّ حتّى تلصقه بالتّراب الّذي هو أصله و تلحقه به، فيرجع إلى ضعفه الأوّل، فلا يقدر على شئ بالتّصرّف و التّأثير بقوّة الهمّة.

فيصير في نفسه أي في حدّ ذاته مع قطع النّظر عن ظهور الصّفات الإلهيّة منه عند نفسه أي في نظره و اعتقاده كالصّغير عند أمّه الرّضيع، فكما أنّه لا يرى لنفسه قوّة و لا قدرة و يكل أمره بالكلّيّة إلى أمّه الّتي ترضعه و تربّيه، و كذلك المؤمن العالم حقّاً يأوي إلى الله تعالى و هو خالقه و رازقه و مدبّره و مربّيه، و لذلك قال لوط النّبيّ «عليه السلام»: «لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد» هود: ٨٠) يريد القبيلة. و قال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «رحم الله أخي لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد» يريد «صلى الله عليه و آله» ضعف المعرفة، فـ«ركن شديد» هو الحقّ سبحانه مدبّره و مربّيه.

١٤ ـ قيل: أي الله تعالى خلقكم ضعفآء حملاً في بطون الامّهات، ثمّ أطفالاً لا تملكون لأنفسكم نفعاً و لا ضرّاً، ثمّ جعلكم أقويآء ثمّ أعطاكم من الإستطاعة و العقل و الدّراية للتّصرّف في إختلاف المنافع و دفع المضارّ، ثمّ جعلكم ضعفآء في حال الشيخوخة كقوله سبحانه: «و من نعمّره ننكّسه في الخلق» يس: ٦٨) و قوله تعالى: «و منكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً» النّحل: ٧٠) فيبقى مسلوب القوى و الفهم كالصّبيّ، بل حاله دون حال الصّبيّ لأنّ الصّبيّ في زيادة من القوى و الفهم من حين الولادة إلى الكمال جسماً وروحاً، و هذا يزداد على البقآء ضعفاً جسماً و روحاً، و لذلك سمّاه الله عزّوجلّ: «أرذل العمر» و جعل الشّيب قريناً للضّعف بقوله: «ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و شيبة» و هو كقوله جلّ وعلا حاكياً عن نبيّه زكريا ﴿ﷺ﴾: «ربّ إنّي وهن العظم منّي و اشتعل الرّأس شيباً» مريم: ٤).

أقول: و على الثّاني أكثر المفسّرين، و لكن التّعميم في بُعدي الجسمي و الرّوحي، و الظّاهري و الباطنيّ غير بعيد فتأمّل جيّداً و اغتنم جدّاً.

٥٥ـ (و يوم تقوم السّاعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كـانوا يؤفكون)

في قوله تعالى: «و يوم تقوم السّاعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة» أقوال: ١ ـ عن الكلبي و ابن عبّاس و مقاتل: أي و يوم تقوم القيامة يحلف المشركون ما أقاموا في قبورهم بعد الموت غير قطعة قليلة من الزّمان قدر ساعة واحدة. و سمّيت القيامة بالسّاعة لأنّها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدّنيا أو لأنّها تقع بغتة و بديهة، و جرت علماً كالنّجم للثّريّا، و الكواكب للزّهرة. و «غير ساعة» استقلال منهم لمدّة مكثهم في البرزخ على طولها، و هم قد صرفوا في الآخرة عن معرفة مدّة مكثهم في ذلك الحين. إنّما كان ذلك لأحد أمرين، إمّا لأنّهم كانوا أمواتاً... و الميّت لا إحساس له، و إمّا لأنّهم عدّوا ما لقوا من عذاب القبر بالإضافة إلى ما يرون ذلك اليوم يسيراً، و إنّ أهل التّحقيق يخبرونهم عن طول لبثهم تحت الأرض، و إنّ ذلك الّذي يقولونه من جملة ما كانوا يظهرون من جَحْدهم على موجب

جهلهم، ثمّ لا يُسْمَع عُذرُهم، و لا يُدْفَع ضُرّهم. و قيل: استقلّوا مدّة مكثهم في القبور كذباً.

۲ ـ قيل: أي و يوم تجييء ساعة البعث، فيبعث الله الخلق من قبورهم يقسم المجرمون الّذين يكفرون بالله سبحانه و ينكرون البعث بعد موتهم، و يكتسبون الآثام في الحيآة الدّنيا، ما لبثوا في الدّنيا غير قدر ساعة، استقلّوا مدّة لبثهم فيها فإنّهم يومئذ يذهلون و يندهشون لما يرون من أهوال السّاعة و فزعها، فيحلفون أنّهم لم يكد يمرّ على مفارقتهم للدّنيا إلاّ قدر ساعة. و قيل: عدّوا مدّة بقآئهم في الدّنيا ساعة لعدم انتفاعهم بها في أمر آخرتهم، و الكثير بغير نفع، قليل كما أنّ القليل مع النّفع كثير، فالكلام في موضع تأسّف و تحسّر على إضاعتهم أيّام حياتهم و فرصهم...

و عن قتادة: إنّهم يعنون في الدّنيا لزوالها و انقطاعها كما قال تعالى: «كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشية أوضحاها» النّازعات: ٤٦) كأن لم يلبثوا إلاّ ساعة من نهار و إن كانوا قد أقسموا على غيب و على غير ما يدرون، و استقلّوا أجل الدّنيا لما عاينوا الآخرة. فالمعنى: يحلف المجرمون أنّهم لم يمكثوا في الدّنيا غير قدر ساعة لاستقلالهم مدّة الدّنيا. ۳ ـ قيل: أي يوم تقوم السّاعة يحلف كفّار قريش أنّهم ما لبثوا بين فناء الدّنيا إلى يوم البعث و هو ما بين النّفختين، و إنّما قدّروا وقت لبثهم بينهما ساعة على وجه الإستقصار له. و قد ورد: «أنّ ما بين فنآء الدّنيا إلى البعث أربعون» من غير تعيين بأربعين ساعة أو يوم أو أُسبوع أو شهر أو سنة. و قيل: ينسون لماعراهم من هول المطلع. و قيل: يخمّنون.

قيل: هذا القسم منهم يوم القيامة قبل إكمال عقولهم. و قيل: قبل الإلجآء أن يقع منهم قبيح. و قيل: إنّ المراد أنّه منذ ما انقطع عن عذاب القبر. و عن الجبائي: أي يحلفون ما لبثوا بعد انقطاع عذاب القبر عنهم غير ساعة. و قيل: يكون استقلالهم تلك المدّة بالإضافة إلى مدّة عذابهم يومئذ، و لا يبعد علمهم بها سوآء كان هذا القول في أوّل وقت الحشر أو في أثنآئه أو بعد دخول النّار. و قيل: أي ما لبثوا بعد حلفهم إلاّ ساعة ثمّ يسوقون إلى النّار. وقيل: لابدّ من خمدة قبل يوم القيامة، فعلى هذا قالوا: ما لبثنا غير ساعة.

إن تسئل: كيف يحلفون كاذبين مع أنّ معارفهم يوم القيامة ضروريّة؟

تجيب عنه بأجوبة:

منها: عن أبي عليّ و أبي هاشم: أنّهم يحلفون على الظّنّ، و هم لا يعلمون لبثهم في القبور، فكأنّهم قالوا: ما لبثنا غير ساعة في ظنوننا.

و منها: أنّهم استقلّوا الدّنيا لما عاينوا من أمر الآخرة فكأنّهم قالوا: ما الدّنيا في الآخرة إلاّ ساعة فاستقلّوا حيث اشتغلوا في المدّة اليسيرة بما أوردهم تلك الأهوال الكثيرة...

و منها: عن أبي بكر بن الأخشيد: أنّ ذلك يجوز أن يقع منهم قبل إكمال عقولهم.

أقول: و على الثّاني أكثر المفسّرين، و لكنّ التّعميم غير بعيد فتأمّل جيّداً.

و في قوله سبحانه: «كذلك كانوا يؤفكون» أقوال: ١ ـ قيل: أي كذبوا في قولهم: ما لبثنا في الحياة الدّنيا غير قدر ساعة كما كانوا في الدّنيا يحلفون على الكذب و هم يعلمون.

٢ ـ قيل: أي يصرفون عن الحقّ و الهدى و الخير و الرّشاد إلى الباطل و الضّلالة و الشّرّ و الفساد، فيدعون إلى الحقّ... و تقام عليهم الحجج الواضحة و البراهين السّاطعة، فيظنّونها باطلة من القول، و خرافة من الرّأي. ٣ ـ قيل: أي مثل ذلك التّصرّف عن الصّدق و التحقيق كانوا يصرفون في الدّنيا عنهما و يبنون أمرهم على خلافهما، فيرون الأشياء على غير ما هي عليه و يجحدون بالبعث و النّشور و الحساب و الجزاء مثل ما حلفوا أنّهم لم يلبثوا فيها إلاّ ساعة.

٤ ـ قيل: تقديره: كما كذبوا في الدّنيا بالبعث كذلك يكذبون بقولهم: ما لبثنا في القبور غير ساعة. ٥ ـ عن ابن عبّاس: أي كما كانوا يكذبون في الآخرة كانوا يكذبون في الدّنيا.

٦ ـ قيل: أي مثل ذلك الإفك العجيب الشّأن كانوا يؤفكون في الدّنيا اغتراراً بما عدّده ساعة استقصاراً. و الصّارف لهم هو الله سبحانه أو الشّيطان أو الهوى، و أيّاً ما كان فليس ذاك إلاّ لسوء اختيارهم و خبث سريرتهم. ٧ ـ قيل: أي يصرفون عن البعث الحقّ كما صرفوا عن الحقّ الصّدق في مدّة اللبث.

٨ ـ قيل: أي كما صرفوا عن الحقّ في حلفهم أنّهم ما لبثوا غير ساعة في الدّنيا، كذلك كانوا يصرفون عن الحقّ في الدّنيا. قال الله تعالى: «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم و يحسبون أنّهم على شيءٍ ألا إنّهم هم الكاذبون» المجادله: ١٨) و قال: «ثمّ لم تكن فتنتهم إلاّ أن قالوا و الله ربّنا ما كنّا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم و ضلّ

عنهم ما كانوا يفترون» الأنعام: ۲۳ ـ ۲٤).

۹ ـ قيل: أي يصرفون صرفهم جهلهم عن الحقّ في الدّارين.

أقول: و على الثّاني أكثر المفسّرين، و في معناه بعض الأقوال الأخر فتأمّل جيّداً.

٥٦ـ (و قال الّذين أُوتوا العلم و الإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث و لكنّكم كنتم لاتعلمون)

في قوله تعالى: «و قال الّذين اوتوا العلم و الإيمان» أقوال: ۱ ـ قيل: هم العلمآء المؤمنون الصّادقون من هذه الأُمّة، أعطاهم الله العلم بكتابه و هو القرآن الكريم، و وفّقهم للإيمان، و آتاهم العلم بما نصب لهم من الأدلّة الموجبة للعلم، و نظروا فيها نظر تدبّر و إعتبار، و نظر تفهّم و استبصار فحصل لهم العلم بالمبدإ و المعاد، فلذلك أضاف «كتاب» إلى نفسه لما كان هو النّاصب للأدلّة الدّالّة على العلوم و التّصديق بالله تعالى و رسوله ﴿صلى الله عليه و آله و سلم﴾.

۲ ـ قيل: هم أهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين.

۳ ـ عن ابن عبّاس: أي أكرموا بالعلم و هو اليقين بالله تعالى و آياته، و الإيمان و هو الإلتزام بمقتضى اليقين. ٤ ـ عن مقاتل و قتادة و السّدي: في الآية تقديم و تأخير. أي و قال الّذين أُوتوا العلم بكتاب الله تعالى و هم الّذين يعلمون بما في كتاب الله من العلوم، و الإيمان و هم ملك الموت و أعوانه، و هم الّذين يقولون لهؤلآء المنكرين للبعث: إن قسمكم هذا جزاف كما كان شأنكم في الدّنيا لأنّكم انصرفتم عن التّفكير في البعث و الحساب و الجزاء يوم القيامة، ففوجئتم بها. ٥ ـ قيل: هم الملآئكة و غيرهم من الإنس و الجنّ. ٦ ـ قيل: هم الأنبيآء و المرسلون و الأوصيآء و المقرّبون. ۷ ـ قيل: هم علمآء الأمم... ۸ ـ قيل: هم جميع المؤمنين من الأُمم جميعاً. ۹ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: هم الملائكة. ۱۰ ـ قيل: هم المخلصون في ايمانهم.

أقول: و الثّاني هو المرويّ عن مهبط الوحي عليهم السّلام فانتظر.

و في قوله سبحانه: «لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث» أقوال: ۱ ـ قيل: أي إنّ لبثكم أيّها المجرمون مذكور ثابت في كتاب بيّنه الله و ثبته فيه، فصار من أجل أنّ بيانه في

كتابه كأنّه في الكتاب كما تقول: كلّما يكون فهو في اللوح المحفوظ أي هو مبين فيه. ٢ـقيل: أي لقد لبثتم في قبوركم على ما في علم كتاب الله. ٣ـقيل: أي في خبر كتاب الله. ٤ـقيل: هذا ردّ من العلمآء المؤمنين يوم القيامة على هؤلآء المجرمين المنكرين للبعث بأنّكم لبثتم على وجه الأرض و في بطنها منذ وُلدتم إلى هذا اليوم الّذي بعثتم فيه، كلّ ذلك ثابت في كتاب الله و لكنّكم لاتعلمون ذلك.

٥ـقيل: يردّ أهل بيت الوحي المعصومون عليهم صلوات الله على الكفّار و المخالفين و الفجّار و المعاندين و الفسّاق و المنافقين أنّكم لبثتم في الحياة الدّنيا و في عالَم البرزخ كلّ ذلك ثابت في كتاب الله تعالى و هو القرآن الكريم و لكنّكم لاتعلمون ذلك. ٦ـقيل: هم الّذين حكم لهم الكتاب بالعلم. ٧ـقيل: أي في حكم الله تعالى. ٨ـعن ابن عبّاس: أي لقد لبثتم فيما كتبه الله في سابق علمه في قبوركم، و هو قوله تعالى: «و من ورآئهم برزخ إلى يوم يبعثون» المؤمنون: ١٠٠).

٩ـقيل: أي يقول الله تعالى لهم: لقد لبثتم في كتاب الله الّذي أخبرنا به و هو القرآن لا غيره. و البعث لايكون إلاّ في المكان كما لايكون السّكون إلاّ فيه، و البقاء قد يكون لا في مكان، و لذلك يوصف الله بالباقي و لا يوصف باللاّبث، و «إلى يوم البعث» يعني يوم يبعث الله فيه خلقه و يحشرهم. و أصل البعث هو جعل الشيء جارياً في أمر. و منه: انبعث المآء: إذا جرى، و انبعث من بين الأموات: إذا خرج خروج المآء. و يوم البعث يوم إخراج النّاس من قبورهم إلى أرض المحشر.

١٠ ـ عن الرّبيع بن أنس و الزّجاج: أي لقد لبثتم في علم الله المثبت و هو اللوح المحفوظ، و قضآئه و ما أوجبه لكم و كتبه بحكمته لايعلم متى علم وقت السّاعة إلاّ الله، و هذا اللبث في البرزخ إلى يوم القيامة. ١١ـقيل: أي فيما كتب الله تعالى. ١٢ـقيل: أي إنّكم لبثتم من يوم مماتكم إلى يوم البعث في قبوركم أمواتاً طيلة الأمد الّذي قدّره الله في كتابه و هو الكتب السّماويّة كلّها.

أقول: و الخامس هو المرويّ أيضاً.

و **في قوله عزّوجلّ:** «فهذا يوم البعث و لكنّكم كنتم لاتعلمون» أقوال: ١ ـ قيل:

يقول الله تعالى لهؤلآء المجرمين المنكرين للبعث يوم القيامة: إن كنتم تنكرون البعث في الحياة الدّنيا، فهذا يوم البعث و لكنّكم كنتم لاتعلمون ذلك في الحياة الدّنيا و لاتعترفون به، فلذا صار مصيركم إلى النّار. ٢ ـ قيل: أي يقول هؤلآء العلمآء المؤمنون لاولئك الكفّار و المشركين: فهذا يوم البعث و لكنّكم كنتم لاتعلمون صحّة ذلك و لاتصدّقون به، و كنتم شاكّين فيه، جاهلين لا علم لكم بهذا اليوم و لذلك اشتبه عليكم أمر البعث.

٣ ـ عن الحسن: أي يقول الله سبحانه: لقد قدّرنا آجالكم إلى يوم البعث الّذي أنكرتموه في الدّنيا، و لكنّكم لاتعلمون أنّ البعث حقّ، لتفريطكم في النّظر و غفلتكم عن الأدلّة المتظاهرة عليه، فكنتم تستعجلون به استهزاءً، فهذا اليوم قد تبيّن لكم بطلان إنكاركم.

٤ ـ قيل: أي لا تصدّقون بهذا اليوم في الحياة الدّنيا. ٥ ـ قيل: أي إنّكم الآن في يوم البعث الّذي وعدتموه، و لو أنّكم تدركوا حقيقة أمركم موقفكم ممّا اعتراكم من دهشة و ذهول.

٦ ـ قيل: أي يقول أهل بيت الوحي المعصومون عليهم السّلام لهؤلآء المنكرين للبعث و المخالفين: فهذا يوم البعث الّذي أنكرتموه، و لكنّكم لاتعلمون وقوعه في الدّنيا، فلم ينفعكم العلم به الآن.

أقول: و السّادس هو المستفاد من الرّوايات...

٥٧ ـ (فيومئذ لاينفع الّذين ظلموا معذرتهم و لا هم يستعتبون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: تقديرها: يوم إذ قامت السّاعة و حلف المشركون كاذبين، و ردّ عليهم الّذين اُوتوا العلم والايمان، لا ينفع الظّالمين معذرتهم، إذ لا يقبل يومئذ من المعتذرين عذر، و لايطلب منهم أن يقيموا عذراً لما كان منهم من كفر و ضلال، و شرك و فساد، و جرم و إنكار و بغي و عناد، و ظلم و لجاج... و إصرارهم على ذلك، و انهماكهم في غيّهم. و المعذرة هي: إظهار ما يسقط اللّائمة، و إنّما لاتقبل معذرتهم يومئذ لأنّهم ملجئون فيه و لايصحّ اعتذارهم.

٢ ـ قيل: أي فيوم القيامة لا تنفع هؤلآء المجرمين معاذيرهم عمّا فعلوا كقولهم: ما علمنا

أنّ هذا اليوم كائن، و لا أنّا نبعث فيه، و لا هم يرجعون إلى الدّنيا ليتوبوا لأنّ التّوبة لا تقبل يومئذ، فإنّه وقت حساب و جزآء لا وقت عمل. ٣ ـ قيل: أي فيوم القيامة لا ينفع الظّالمين معذرتهم عن ظلمهم، و لا يطلب منهم أن يزيلوا العتاب عن أنفسهم أي لا يدعون إلى ما يقتضي إعتابهم أي إزالة عتبهم من التّوبة و الايمان و الطّاعة كما دعوا إليها في الدّنيا من قولهم: استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته، فلا يطلب منهم الرّجوع إلى ما يرضى به عنهم.

٤ ـ عن ابن عبّاس: أي فيوم القيامة لا ينفع الّذين أشركوا بالله سبحانه عذرهم من شركهم و لا يطلب منهم الرّجوع عنه في ذلك اليوم ليرجعوا إلى التّوحيد و الطّاعة، و إلى الحقّ و الهدى، فلاهم يرجعون عن سيّئة و لا يردّون إلى الدّنيا. ٥ ـ قيل: أي فيومئذ لا يمكّنون من الإعتذار و لو اعتذروا لم يقبل معذرتهم، و لا يقال لهم: ارضوا ربّكم بتوبة و ايمان و طاعة و صالح الأعمال، إذ ليس يوم القيامة يوم توبة تزيل الجريمة، و لا تقبل لأنّها لا تقبل منهم. ٦ ـ قيل: أي فيوم القيامة لا عذر يدفع، و لا حميم ينفع أبداً لا شئ إلاّ العمل الصّالح، و هم يستقيلون ربّهم، فلا يقيلهم، فالمراد بالاستعتاب هنا: الإقالة.

٧ ـ قيل: أي فيومئذ لا يعاتبون على سيّئاتهم بل يعاقبون. ٨ ـ قيل: أي فيوم يبعثون من قبورهم لا ينفع المنكرين للبعث في الدّنيا معذرتهم بأن يقولوا: ما علمنا أنّه يكون، و لا أنّا نبعث، و لا هم يسترجعون يومئذ عمّا كانوا ينكرونه و يكذّبون به في الدّنيا. ٩ ـ قيل: أي فيوم القيامة لا ينفع الظّالمين العلم بالقيامة و لا الاعتذار. ١٠ ـ قيل: لمّا ردّ عليهم العلمآء المؤمنون سئلوا الرّجوع إلى الدّنيا و اعتذروا، فلم يعذروا، و لا حالهم حال من يستعتب و يرجع. ١١ ـ قيل: أي فيوم القيامة لا يقبل عذر المشركين بأن يقولوا: إنّا كنّا تبعاً لكبراءنا و أشياخنا و آبائنا على الشّرك و الضّلالة: «و إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آبآءنا و الله أمرنا بها...» الأعراف: ٢٨) فإنّه لا ينفعهم يوم القيامة، يوم يتبرّأ المتّبعون من أتباعهم و يفرّ القآئدون من مقلّديهم، و الرّؤسآء من المرؤسين: «إذ تبرّأ الّذين اتّبعوا من الّذين اتّبعوا و رأوا العذاب...» البقرة: ١٦٧ ـ ١٦٨).

أقول: و على الأوّل أكثر المفسّرين و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٥٨ـ (و لقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل و لئن جئتهم بآية ليقولنّ الّذين كفروا إن أنتم إلاّ مبطلون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي و لقد بيّنّا للنّاس في هذا القرآن من كلّ وجه، و لئن جئتهم بآية من السّماء كما طلبوا ليقولنّ كفّار مكّة: ما أنتم يا معشر المؤمنين إلاّ كاذبون. ٢ ـ قيل: أي و لقد ضربنا للنّاس المكلّفين في هذا القرآن الّذي أنزلناه على نبيّنا محمّد «صلی الله علیه و آله» من كلّ مثل، صرف فيه الكلام بمختلف الأساليب لتفهيمهم و إرشادهم و حثّهم به على الحقّ و اتّباع الهدى، و على قبول الصّواب و الرّشاد... ثمّ قال لرسوله «صلی الله علیه و آله»: و لئن جئتهم يا محمّد «صلی الله علیه و آله» بمعجزة باهرة دالّة على صدق الرّسالة ليقولنّ الّذين كفروا منهم لك يا محمّد «صلی الله علیه و آله» و للمؤمنين بك: ما أنتم يا محمّد و المؤمنون بك إلاّ مبطلون في دعواكم البعث و النّشور و الحساب و الجزآء عناداً و استكباراً و جحداً للأُمور الواضحة الظّاهرة، فإنّ من كذّب الدّليل الواضح اللاّئح لا يصعب عليه تكذيب غيره من الدّلآئل:

قد تنكر العين ضوء الشّمس من رمد و ينكر الفمّ طعم المآء من سَقَمٍ

٣ ـ قيل: أي و لقد وصفنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ شبه و صفة، و لئن جئتهم بآية كما سئلوا ليقولنّ مشركو مكّة: ما أنت يا محمّد إلاّ كاذب، و ليس هذا من الله كما كذبوا بانشقاق القمر: «و انشقّ القمر و إن يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمرّ و كذّبوا و اتّبعوا أهوآءهم و كلّ أمر مستقرّ» القمر: ١ ـ ٣) و ما أنتم يا معشر المؤمنين بمحمّد «صلی الله علیه و آله» إلاّ كاذبون، فما جئتمونا فهو باطل، و لا تتّبعون إلاّ الباطل و السّحر... لماذا الأنبيآء و المرسلون، و الدّعاة و المصلحون مبطلون؟ لأنّهم يقطعون سبل الظّلم و الجناية، و الإستثمار و الخيانة، و الغيّ و المعصية، و البغي و طلاقة العنان على الطّغاة و المستكبرين، و السّيطرة على الضّعاف المعذّبين...

٤ ـ قيل: أي و لقد أوضحنا للنّاس الحق و طريق الهدى، و ضربنا لهم الأمثال الدّالّة على المبدإ و المعاد و صدق الرّسالة في هذا القرآن، و لئن جئتهم بأيّة آية من الآيات

القرآنيّة أو بأيّة معجزة من المعجزات الباهرة لايؤمنوا بها و ليقولنّ الّذين كفروا من فرط عنادهم، و غاية لجاجهم، و قسوة قلوبهم و شدّة عداوتهم: ما أنتم يا محمّد و المؤمنون بك إلاّ مزوّرون.

٥ ـ قيل: أي و لقد وصفنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ صفة أو موعظة أو قصّة عجيبة الشّأن كصفة المبعوثين يوم القيامة و قصّتهم كأنّها مثل في غرابتها و طرافتها، و لئن جئتهم بآية من آيات القرآن ليقولنّ الّذين كفروا منهم: ما أنتم يا محمّد و أصحابك إلاّ على أساطير الأوّلين.

٦ ـ قيل: أي و لقد جعلنا لكفّار قريش في هذا القرآن من كلّ مثل تنبيهاً لهم على المبدإ و المعاد، و احتجاجاً عليهم وعظة لهم على ما هم عليه من الشّرك و الفساد، و لئن جئتهم يا محمّد «صلى الله عليه وآله» بأيّة معجزة قاهرة من معجزات رسلنا و أنبيآءنا مثل العصا و اليد البيضآء، و خلق البحر و غيرها لموسى «عليه السلام» و إخراج النّاقة من الجبل لصالح النّبيّ «عليه السلام» و إحيآء الموتى لعيسى «عليه السلام» و ما إليها من المعجزات الباهرة لأنبيآئنا عليهم السلام ليقولنّ الّذين كفروا منهم لك و للمؤمنين بك: ما أنتم يا محمّد و المؤمنون بك إلاّ أصحاب الأباطيل و سحر مبين.

٧ ـ قيل: أي و لقد بالغنا في البيان للمكلّفين في هذا القرآن الّذي أنزلناه على نبيّنا من كلّ مثل يدلّهم على ما يحتاجون إليه، و يدعوهم إلى التّوحيد، و ينبّههم على الإيمان و صدق الرّسالة، و على وقوع البعث، و لئن جئتهم بأيّة معجزة قاهرة ممّا اقترحوها منك ليقولنّ الّذين كفروا منهم: إن أنتم إلاّ أصحاب الأباطيل... ٨ ـ قيل: أي و لقد قصصنا عليهم كلّ قصّة عجيبة الشّأن كقصص الأنبيآء و المرسلين عليهم السّلام مع أقوامهم و كقصّة المبعوثين يوم القيامة و ما كانوا يقولون في إنكارهم للبعث، و ما يقال لهم يوم البعث، و ما لاينفع من اعتذارهم، و لايسمع من استعتابهم... و لئن جئتهم بآية من آيات القرآن المجيد أو بكلّ معجزة من معجزات الرّسل عليهم السّلام لإثبات المبدإ و المعاد و صدق الرّسالة ليقولنّ الّذين كفروا: ما أنت يا محمّد و لا الّذين ادّعوا الرّسالة إلاّ مبطلون.

أقول: و على الثّاني أكثر المفسّرين، و لكنّ التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق، فتدبّر

جيّداً.

٥٩ـ (كذلك يطبع الله على قلوب الّذين لايعلمون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن ابن عبّاس: أي هكذا يختم الله على قلوب الّذين لايعلمون توحيد الله و لا يصدقون بالقرآن، و لا يؤمنون بمحمّد«ﷺ». ٢ ـ قيل: أي مثل ذلك الطّبع يطبع الله على قلوب الجهلة الّذين يجهلون بالله تعالى و بآياته، و منها البعث لفصل القضآء بين عباده، و هم يصرّون على جهلهم و ارتيابهم، فيمنعهم الله ألطافه الشّافية للصّدور حتّى سمّوا المحقّقين مبطلين، و الحقّ باطلاً، و الخير شرّاً، و الهدى ضلالة...

٣ ـ قيل: أي مثل ما طبع على قلوب هؤلآء المجرمين بأن حكم عليهم بأنّهم لا يؤمنون كذلك حكم في كلّ من لا يؤمن. قيل: الطّبع علامة يجعلها الله تعالى في قلوب الكافرين يفصل بها الملائكة بينه و بين المومن. ٤ ـ قيل: أي كذلك يختم الله على قلوب الّذين لايعلمون حقيقة ماتأتيهم به من العبرة و العظات و الآيات البيّنات، فلايفقهون عن الله حججه الدّالة على وحدانيّته على عظمته و جلاله، و علمه و حكمته و على تدبيره و قدرته... و لايفهمون ما يتلى عليهم من آيات القرآن المجيد لخبث سريرتهم و اتّباعهم لأهوآئهم، و سوء اختيارهم، و لما دسّوا به أنفسهم من سوء القول و العمل فهم في طغيانهم يعمهون.

٥ـ قيل: أي مثل ذلك الطّبع الفضيع يطبع الله على قلوب الّذين لايطلبون العلم، و لا يتحرّون الحقّ، بل يصرّون على خرافات اعتقدوها، و ترهات ابتدعوها، فهم على جهل مركّب يمنعهم من إدراك الحقّ، و يوجب تكذيب الحقّ و أهله. و ما ألطف ما قيل:

قال حمار الحكيم تو مـا	لو أنصفوني لكنت أركب
لأنّـــني جـاهل بسـيط	و صاحبي جاهل مركّب

٧ـ قيل: أي كذلك يطبع الله على قلوب الّذين ليسوا من أهل العلم. و الطّبع حالة تعرض على القلب الإنسانيّ عند الإصرار على الكفر و المعصية. ٨ ـ قيل: أي لايعلمون بأنّ جميع النّاس على مستوى واحد في الحقوق و الواجبات، و أنّه لا استعلاء و لا سيطرة على الإطلاق، بل و لا فضل و لا إمتياز لأحد إلاّ بما يقدم من عمل صالح و مفيد لأخيه

المؤمن. ٩ ـ قيل: أي مثل ما طبع الله على قلوب هؤلآء الكافرين الّذين سمّوا المحقّين مبطلين، يطبع الله على قلوب الّذين لايعلمون توحيداً.

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتأمّل.

٦٠ـ(فاصبر إنّ وعدالله حقّ و لايستخفّنّك الّذين لايوقنون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ عن الجبائي: أي إذا علمت أنّ حالهم بهذه المثابة فاصبر على أذى كفّار قومك إنّ وعد الله بالعذاب و التّنكيل لأعدائك حقّ لابدّ من إنجازه و لايحملنّك كفرهم على الخفّة و العجلة لشدّة الغضب عليهم لكفرهم بآ ياتك، فتفعل خلاف ما امرت به من الصّبر، فإنّهم لايوقنون بما تتلو عليهم من الآيات البيّنات...

٢ ـ قيل: أي فاصبر يا محمّد﴿ﷺ﴾ على أذى هؤلآء الكفّار و مقامهم على كفرهم و طغيانهم إنّ وعد الله حقّ فيما وعدك به من النّصر و إعزاز دينك و إظهار على الدّين كلّه حقّ لابدّ من إنجازه، و لا يستفزّنّك الّذين لا يوقنون في عقآئدهم. فالاستخفاف ـ أصله من الخفّة ـ: طلب الخفّة. و المراد به التّحوّل من حال إلى حال، و الإنتقال من وضع إلى وضع، عند كلّ خاطرة و لأيّة مسّة... فإنّ الخفيف من الشيئ هدف سهل لكلّ عارض يعرض له، و يريد زحزحته عن موضعه الّذي هو عليه. و قيل: «لا يستخفّنّك» أي لاتدعهم يؤثروا فيك فيحرّ كوك و يعجلوك في أمرك، فأمر الله تعالى نبيّه﴿ﷺ﴾ بعدم التّأثر من أهوآءهم و القلق في إبلاغ الرّسالة، و بعدم ترك مجال لهؤلآء الكفّار ليستخفّوه و يحملوه على العجلة في أمره. و قيل: أي لايغضبك.

٣ ـ قيل: أي فاصبر يا محمّد﴿ﷺ﴾ إنّ وعد الله حقّ فيما وعدلكم من النّصر على عدوّكم و إظهار دين الإسلام، و لايستنزلنّك عن البعث الّذين لايصدّقون به. و قيل: أي لا يفتننّك الّذين لايوقنون و لم يكونوا أحقّ بك من المؤمنين. على أنّه مجاز عن ذلك لأنّ من فَتَنَ أحداً: استماله إليه حتّى يكون أحقّ به من غيره. ٤ ـ قيل: أي فاصبر إنّ وعد الله صدق في العذاب و التّنكيل لأعدآئك و النّصر و التأييد لك و لدينك، و لايحملنّك تكذيبهم و ايذآئهم لك و أباطيلهم الّتي من جملتها قولهم: «إن أنتم إلاّ مبطلون» على الخفّة و القلق و

الاضطراب في تبليغ رسالتك فإنّهم شاكّون ضالّون و لا يستبدع أمثال ذلك منهم. أي كن حليماً صبوراً وقوراً. و قيل: «لا يستخفّنّك» فتدعو عليهم بتعجيل العذاب، فيهلك الّذين لا يوقنون بالعذاب. و قيل: أي لا يوقنون بأنّ وعد الله حقّ.

٥ ـ قيل: أي فاصبر أيّها الرّسول «صلّى الله عليه و آله» على ما يواجهونك و من تبعك به من قولهم: «إن أنتم إلاّ مبطلون» و سآئر تهكّماتهم، إنّ وعد الله أنّه ينصرك حقّ كما أومأ إليه بقوله: «و كان حقّاً علينا نصر المؤمنين» و لا يستخفّنّك الّذين لا يوقنون بوعد الله. ٦ ـ قيل: فاصبر يا محمّد «صلّى الله عليه و آله» على ما ينالك و المؤمنين بك من أذى مشركي مكّة وكلّ من يسلك مسالكهم في كلّ ظرف من الظّروف بعدك، و بلّغهم رسالة ربّك، فإنّ وعده الّذي وعدك من النّصر عليهم و الظّفر بهم، و تمكينك و تمكين أصحابك الصّادقين و أتباعك الصّالحين في الأرض حقّ لاشكّ فيه، و ليكوننّ لا محالة، و لا يحملنّك و لا يستخفّنّ حلمك و رأيك الّذين لا يوقنون بالميعاد و لا يصدّقون بالبعث بعد الممات على الخفّة و القلق فيثبطوك على أمر الله و القيام بما كلّفك به من تبليغ رسالته.

٧ ـ قيل: أي فاصبر على أذى مشركي مكّة فإنّ الله ينصرك عليهم، و لا يستفزّوك عن دينك الّذين لا يوقنون. هو النّضر بن الحارث. و الخطاب لرسول الله «صلّى الله عليه و آله» و المراد أمّته. يقال: استخفّ فلان فلاناً: استجهله حتّى حمله على اتّباعه في الغيّ. ٨ ـ قيل: أي فاصبر على عداوة الكفّار و المشركين إنّ وعد الله بنصرك و إظهار دينك على الأديان كلّها حقّ، و لا يحملنّك على الخفّة و الجزع من كفرهم و عنادهم قوم ظانّون لا يوقنون بأنّهم يبعثون.

٩ ـ عن ابن عبّاس: أي فاصبر يا محمّد «صلّى الله عليه و آله» إنّ وعد الله بالنّصرة و الدّولة لك و بهلاك أعدآءك حقّ كائن صدق، و لا يستنزلنّك عن الإيمان بيوم القيامة الّذين يصدقون به و هم أهل مكّة.

أقول: و على الثّاني أكثر المحقّقين من دون تنافٍ بينه و بين أكثر الأقوال الأُخر، فتدبّر جيّداً.

«التفسير و التأويل»

۱ـ (الٓمٓ)

رمز من الرّموز، و سرّ من الأسرار ـ كسائر مفاتيح السّور القرآنيّة ـ بين الله جلّ و علا، و من عنده علم الكتاب و هم أهل بيت الوحي المعصومون: محمّد و أهل بيته الطّاهرة صلوات الله عليهم أجمعين، فلايعلم تأويله إلاّ الله سبحانه و الرّاسخون في العلم.

قال الله تعالى: «هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ اُمّ الكتاب، و اُخر متشابهات، فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغآء الفتنة و ابتغآء تأويله و ما يعلم تأويله إلاّ الله و الرّاسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا و ما يذّكّر إلاّ اولوا الألباب» آل عمران: ۷).

و ما ورد في بعض الرّوايات لو سلّمنا صحّتها فمن باب الجري و الانطباق، فتأمّل و لاتغفل.

۲ـ (غلبت الرّوم)

غُلِبت أهل الرّوم من أهل فارس في عهد رسول الله «ﷺ» و الرّوم: جيل من النّاس على ساحل البحر الأبيض بالمغرب، كانت لهم إمبراطوريّة وسيعة منبسطة إلى الشّامات، فوقعت بينهم و بين الفرس حرب عوان في بعض البلاد المتاخمة للحجاز، فغلب كِسْرى ملك الفرس، قيصر ملك الرّوم فانهزمت جيشه.

۳ـ (في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون)

غلبت جيش كِسْرى ملك الفرس، جيش قيصر، ملك الرّوم في أدنى الأرض من البلاد

المتاخمة للجزيرة العربيّة في الشّام و جزيرة الفرات إلى أرض فارس، و أهل الرّوم من بعد غلبة أهل فارس إيّاهم، سيغلبون أهل فارس ألبتّة.

٤ـ(في بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون)

تغلب أهل الرّوم على أهل الفرس لا محالة بين الثّلاث إلى العشر من السّنين بعد أن غلبت أهل الفرس على أهل الرّوم، لله تعالىٰ وحده الأمر حين غلبت أهل الفرس على أهل الرّوم، و حين غلبت أهل الرّوم على أهل الفرس، و يفرح المؤمنون يوم غلبة الرّوم على الفرس فإنّها مقدّمة لما سيقع أمرهم و هو أهمّ و أعظم من غلبة الرّوم على الفرس، و هو غلبة المؤمنين على المشركين، و على الفرس و الرّوم كلّهم... قال الله تعالى: «قل إنّ الأمر كلّه لله» آل عمران: ١٥٤) و قال: «ألاله الخلق و الأمر» الأعراف: ٥٤).

٥ـ(بنصر الله ينصر من يشآء و هو العزيز الرّحيم)

يفرح المؤمنون بنصر الرّوم على الفرس إذ كانت غلبة الرّوم على الفرس تمهيداً و تفاؤلاً لماسيقع ما أمرهم و هو أهمّ و أعظم من غلبة الرّوم على الفرس، و هو نصر المؤمنين على الكفّار و المشركين، و نصر أوليآء الله تعالى على أعدآئه، و نصر عباد الله الصّالحين على الفجّار و المستكبرين... و إنّ النّصر بيد الله جلّ وعلا: «و ما النّصر إلاّ من عند الله إنّ الله عزيز حكيم» الأنفال: ١٠) ينصر الله من يشآء من عباده المخلصين على الفجّار و المنافقين: «و الله يؤيّد بنصره من يشآء إنّ في ذلك لعبرة لاولى الأبصار» آل عمران: ١٣).

«و هو العزيز»: ذو القوّة و البأس و الإنتقام من المجرمين المعاندين «الرّحيم» بالمجاهدين في سبيل الله تعالى بأموالهم و أنفسهم...

قال الله تعالى: «فانتقمنا من الّذين أجرموا وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين» الرّوم: ٤٧). و قال: «و الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا و إنّ الله لمع المحسنين» العنكبوت: ٦٩).

٦ـ(وعد الله لا يخلف الله وعده و لكنّ أكثر النّاس لايعلمون)

وعد الله تعالى أوليآئه المؤمنين بالنّصر على أعدآئه الكافرين في كلّ ظرف من

الظّروف، في الحياة الدّنيا، و وعدهم بالمغفرة و الرّضوان في الدّار الآخرة وعداً حتماً مقضيّاً، فإنّ الله سبحانه لا يخلف وعده قطّ.

قال الله تعالى: «إنّا لننصر رسلنا و الّذين آمنوا في الحياة الدّنيا و يوم يقوم الأشهاد» غافر: ٥١) و قال: «كتب الله لأغلبنّ أنا و رسلي إنّ الله قويّ عزيز» المجادلة: ٢١).

و قال: «فلا تحسبنّ الله مُخلف وعده رسله إنّ الله عزيز ذو انتقام» إبراهيم: ٤٧).

و قال: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا و لا تحزنوا و أبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدّنيا و في الآخرة» فصلت: ٣٠ ـ ٣١) و قال: «و لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» النّساء: ١٤٠). «و لا تهنوا و لاتحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» آل عمران: ١٣٩).

و قال: «إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعداً عليه حقّاً في التّوراة و الإنجيل و القرآن و من أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الّذي بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم» التّوبة: ١١١).

و قال: «وعد الله حقّاً و من أصدق من الله قيلاً» النّساء: ١٢٢).

و قال: «وعد الرّحمن عباده بالغيب إنّه كان وعده مأتيّاً» مريم: ٦١).

و **قوله تعالى:** «و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون» و لكنّ أكثر النّاس من الكفّار و المنافقين، و الفجّار و المستكبرين، و الفسّاق و المجرمين و البغاة و الظّالمين... في كلّ ظرف من الظّروف لايعلمون أنّ النّصر الإلهي مشروط بالاستعداد النّفسي من الإيمان و الإخلاص، و بالاستعداد الحربيّ و الجهاد في سبيل الله تعالى بالأموال و الأنفس، و بسلامة الفطرة و اتّباع العقل السّليم، و استخدام الطّبيعة للفطرة و ترك الهوى...

و ذلك أنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف، بسبب اتّباعهم لأهوآءهم لا يجيبون نداء فطرتهم و لا يستجيبون لدعوة عقولهم... فتغلب طبيعتهم على فطرتهم، و هوى أنفسهم على عقولهم و أفكارهم، فإذاً لا يشعرون و لا يعقلون... فلا يؤمنون.

قال الله تعالى: «و كذلك مكنّا ليوسف في الأرض و لنعلّمه من تأويل الأحاديث و الله غالب على أمره و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون» يوسف: ٢١).

و قال: «أرأيت من اتّخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً» الفرقان: ٤٣ ـ ٤٤).

و قال: «إنّه الحقّ من ربّك و لكنّ أكثر النّاس لا يؤمنون» هود: ١٧).

و قال: «و ما يخدعون إلاّ أنفسهم و ما يشعرون ـ ألا إنّهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون ـ ألا إنّهم هم السّفهآء و لكن لا يعلمون ـ اولئك الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم و ما كانوا مهتدين» البقرة: ٩ ـ ١٦).

٧ـ (يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا و هم عن الآخرة هم غافلون)

إنّ أكثر النّاس و هم الكفّار و المستكبرون، و الفجّار و المجرمون، و الفسّاق و المنافقون، و البغاة و الظّالمون... في كلّ ظرف من الظّروف... هم يعلمون ظاهراً حقيراً خسيساً من الدّنيا و متاعها، و زخارفها و ملاذها، و سآئر أحوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لأهوآئهم المستدعية لانهماكهم فيها و عكوفهم عليها، و هم بذلك عن حكمة خلقتها و مآل أمرها، و عن الآخرة و أهوالها و حسابها و جزآئها هم غافلون.

غافلون أنّ الدّنيا خلقت للإنسان و هي ظرف لكماله، فإنّها دار عمل له و لا حساب، و لم يخلق الإنسان للدّنيا و ليست هى كمالاً له، و غافلون أنّهم خُلِقُوا للجنّة، و أنّ الآخرة دار حساب و جزآء، و ظرف لبروز كمالهم و انحطاطهم اللّذين اكتسبوهما في الحياة الدّنيا، و هم غافلون أنّ حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة، و الإشتغال بها يوجب نسيان الآخرة...

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾: «إنّ أوليآء الله هم الّذين نظروا إلى باطن الدّنيا إذا نظر النّاس إلى ظاهرها، و اشتغلوا بآجلها إذا اشتغل النّاس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، و تركوا منها ما علموا أنّه سيتركهم، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً، و دركهم لها فوتاً، أعدآء ما سالم النّاسُ، و سِلْم ما عادى النّاس...».

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «أيّها الغافلون غير المغفول عنهم، و

التّاركون المأخوذ منهم، ما لي أراكم عن الله ذاهبين، و إلى غيره راغبين؟! كأنّكم نَعَمٌ أراح بها سائم إلى مَرْعىً وَبيٍّ، و مشربٍ دَوِيٍّ، إنّما هي كالمعلوفة للمدى، لا تعرف ماذا يراد بها إذا أُحسن إليها، تحسب يومها دهرها، و شِبَعَها أمرها...» الخطبة: ١٧٤).

و فيه: قال يعسوب الدّين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾: «ألا فما يصنع بالدّنيا من خُلِقَ للآخرة؟ و ما يصنع بالمال مَن عمّا قليل يُسْلَبُهُ، و تبقى عليه تبعته و حسابه...» الخطبة: ١٥٦).

و فيه: قال إمام المتّقين﴿عليه السلام﴾: «و اعملوا للجنّة عملها فإنّ الدّنيا لم تخلق لكم دار مقام، بل خُلِقَتْ لكم مجازاً لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار...» الخطبة: ١٣٢).

و فيه: قال أمير المؤمنين﴿عليه السلام﴾: «أيها النّاس! إنّما الدّنيا دار مجاز، و الآخرة دار قرار، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، و لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، و أخرجوا من الدّنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم، و لغيرها خلقتم...» من كلامه﴿عليه السلام﴾: ١٩٤).

و فيه: قال الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «الدّنيا خُلِقَتْ لغيرها، و لم تخلق لنفسها».

قال الله تعالى في هؤلآء الغافلين و سبب غفلتهم عن الآخرة: «الّذين يستحبّون الحياة الدّنيا على الآخرة و يصدّون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد» إبراهيم: ٣).

و قال: «إنّ هؤلآء يحبّون العاجلة و يذرون ورآءهم يوماً ثقيلاً» الإنسان: ٢٧).

و قال: «بل تؤثرون الحياة الدّنيا» الأعلى: ١٦).

و قال في انكشاف غفلتهم يوم القيامة عن الآخرة و اعترافهم بها: «و اقترب الوعد الحقّ فإذا هي شاخصة أبصار الّذين كفروا يا ويلنا قد كنّا في غفلة من هذا بل كنّا ظالمين» الأنبياء: ٩٧).

و قال: «و نفخ في الصّور ذلك يوم الوعيد و جائت كلّ نفس معها سائق و شهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطآءك فبصرك اليوم حديد» ق: ٢٠ ـ ٢٢).

٨ـ (أولم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السّموات و الأرض و ما بينهما إلاّ بالحقّ و أجل مسمّى و إن كثيراً من النّاس بلقآء ربّهم لكافرون)

أو لم يتفكّر هؤلآء الغافلون عن حكمة خلقة الدّنيا و ما فيها، و عن حكمة الآخرة و أهوالها و أحوالها... في أنفسهم الّتي هي مرآة يرى فيها الإنسان كمال عظمة الله و جلاله، و غاية تدبيره و قدرته، و سعة علمه و حكمته...؟ أو لم يتفكّروا في أنفسهم، فيعلموا أنّ الّذي ساوى بينهم في الايجاد من العدم، و طوّرهم في أطوار الصّور، و فاوت بينهم في القوى و القدر، و بيّن أحوالهم في الطّول و القصر...؟ أو لم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق السّموات والأرض و ما بينهما إلاّ بالحقّ؟

أو لم يتفكّروا في الأيات الأنفسيّة و الأفاقيّة ليرجعوا عن غفلتهم بأنّ طبيعتهم التكوينيّة و طبيعة هذا الكون تنادي معاً بأعلى صوته بأنّ هذا الوجود كلّه قآئم على الحقّ، ثابت على النّاموس، لا يضطرب، و لا تتفرّق به السّبل، و لا تتخلّف دورته، و لا يصطدم بعضه ببعض، و لا يسير وفق المصادفة العميآء، و لا وفق الهوى المتقلّب، إنّما يمضي في نظامه الدّقيق المحكم المقدّر تقديراً؟ أو لم يتفكّروا في خلق السّموات و الأرض و ما بينهما من العوالم العجيبة الظّاهرة لنا، و العوالم المحجوبة عنّا فيعتبروا: أنّ الله تعالى لم يخلقها إلاّ بالحقّ و لا الباطل و لا العبث، و لأجل ينتهي إليه، و وقت معلوم، و موعد مقدّر؟؟؟!!! قال الله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» فصّلت: ٥٣) فمن نظر إلى نفسه نظراً سليماً واعياً عرف بعض ما لخالقه تعالى من جلال و عظمة، من علم و حكمة، و من تدبير و قدرة... حتّى يخرج من هذا التّراب الهامد هذا الإنسان العاقل، المدرك المتفكّر المتكلّم... و بهذا يعلم أنّ هذا النّظام المشهود في أرضه و سمآئه، و فيما بينهما لم يخلق إلاّ بالحقّ، و لم يخلق باطلاً و لا لهواً و لا عبثاً بغير غرض: «الّذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكّرون في خلق السّموات و الأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً» آل عمران: ١٩١) و هذا هو الفكر الّذي قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ فيه: «تفكّر ساعة خير من عبادة سبعين سنة».

قال الله تعالى: «و ما خلقنا السّمآء و الأرض و ما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الّذين كفروا»

ص: ٢٧). و قال: «أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً و أنّكم إلينا لا ترجعون» المؤمنون: ١١٥).

و أنّ كلّ مخلوق في هذا النّظام، هو بعض منه، و أنّه لم تنتقض لبنة من بناء هذا الوجود أبداً... فكلّ كائن فيه ـ و إن صغر ـ دوره الّذي يقوم به في وحدة النّظام الممسك بالوجود، و له فلكه الّذي يدور فيه كما تدور الشّمس و القمر و النّجوم في أفلاكها... تشرق و تغرب لها أجل مسمّى تنتهي إليه عند انتهاء حياة الإنسان في هذا النّظام الّذي خلق للانسان، قال الله تعالى: «هو الّذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً» البقرة: ٢٩) و قال: «و سخّر لكم ما في السّموات و ما في الأرض جميعاً منه إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» الجاثية: ١٣).

فالنّظام الموجود باقٍ مادام الإنسان حيّاً في هذا الوجود المشهود، فإذا انتهت حياة الإنسان فيه، انتهى بقاء النّظام، و أمّا الإنسان فهو باقٍ في عالم آخر لا يفنى، فإنّه خلق لهذا العالَم فهو باق ببقائه و ليس له أجل مسمّى.

قال الله تعالى: «و إنّ الدّار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون» العنكبوت: ٦٤).

فلا تنتهي حياة هذا الإنسان بتلك الدّورة القصيرة الّتي يدورها في فلك الوجود، و الّتي هي سنوات معدودة يقتضيها في هذه الدّنيا، فإنّه لم يخلق على تلك الصّورة العجيبة الّتي استحقّ بها أن يكون خليفة الله في أرضه لهذه الدّنيا الدّنيئة، فلن تنتهي حياته. بهذه الدّورة القصيرة على الكوكب الأرضي، و إنّما له حياة أُخرى أعظم و أبق...

و ذلك أنّ من مقتضيات هذا الحقّ الّذي يقوم عليه هذا النّظام أن تكون هناك آخرة يتمّ فيها الجزآء على العمل، و يلق الإيمان و الكفر، الحقّ و الباطل، الخير و الشّرّ، و الإحسان و الإسائة... عاقبتها كاملة إذ كلّ شئ إلى أجله المرسوم وفق الحكمة المدبّرة، و كلّ أمر يجيء في موعده لا يستقدم لحظة و لا يستأخر، و إن لم يعلم الإنسان متى تكون السّاعة، إذ ليس معناه أنها لا تكون: «يومئذ يصدر النّاس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرّة شراً يره» الزّلزال: ٦ ـ ٨).

و إن كثيراً من النّاس في كلّ ظرف من الظّروف لا يؤمنون بالبعث و الحساب و الجزآء بعد الموت، فلا يصدقون أنّهم ملاقون ثواب ربّهم و عقابه، يوم يقوم النّاس لربّ العالمين، يجحدون صحّة ذلك و لا يعترفون به، فيكفرون بالمبدإ و المعاد، حيث نشأ كفرهم من

جهلهم بأنفسهم، فإذا عرفوا أنفسهم أيقنوا بتوحيد الله تعالى و لقاء ثوابه و جزآئه يوم القيامة إذ «من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

٩ـ (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوّة و أثاروا الأرض و عمروها أكثر ممّا عمروها و جآءتهم رسلهم بالبيّنات فما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون)

فإذا كان هؤلآء المشركون بالله سبحانه، و المكذّبون برسوله ﴿صلّى الله عليه و آله و سلّم﴾ و الجاحدون بآياته، و الغافلون عن الآخرة من كفّار مكّة، و من يسلك مسالكهم في كلّ ظرف من الظّروف... لا يتدبّرون في نظام الكون و نواميس الوجود، و عجزوا عن السّير في معرفة النّفس... أقعدوا في منازلهم، و احتسبوا في بيوتهم، و احتجبوا في أماكنهم... و لا يتجولون في أقطار الأرض، و لا يسافرون في أنحائها، و لا يسيحون في برّها و بحرها، و لا يسيرون في البلاد الّتي يسلكونها تجرأليروا ببصآئرهم و قلوبهم، و ينظروا إلى آثار عظمة الله تعالى و جلاله، إلى آثار علمه و حكمته، و إلى آثار تدبيره و قدرته على الامم المكذّبة الهالكة من قبلهم كعاد و ثمود و قوم فرعون و قوم لوط و غيرهم الّذين بين أيديهم و تحت أبصارهم و مرآهم و منظرهم من بقايا الامم الماضية الّتي كانت تعمر تلك الأطلال البالية، و هذه القرى الغارقة في أحضان البلى؟

كيف كان عاقبة أمرهم في كفرهم و ضلالهم، و تكذيبهم و طغيانهم... كانوا هم أشدّ من هؤلآء الكفّار الغافلين قوّة جسمانيّة و أشدّ بأساً و أكثر أموالاً و عَدَداً و عُدَداً، و أطول أعماراً و أحسن حضارة من العرب، و أقدر منهم على التّمتّع بمتاع الدّنيا و شهواتها... فيعرفوا أخبارهم، و يتفكّروا فيها و يتّعظوا بها، و يعتبروا بهم لعلمهم أنّهم أهلكوا بتكذيبهم رسل الله الّذين أرسلهم الله تعالى إليهم بالدّلائل الواضحة و البراهين القاطعة على المبدإ و المعاد، و على صدقهم من عند الله تعالى، فوقفوا منهم موقف المكذّب المستهزىء، فجحدوا بآيات الله تعالى بسوء اختيارهم و اتّباع أهوآءهم، و فرحوا بما اوتوا، و لم يتورّعوا عن ارتكاب السّيّئات... فلم تتفتّح بصآئرهم لهذه البيّنات، و لم يؤمنوا

بها حتّى تتصل ضمآئرهم بالنّور الّذي يكشف الطريق، فمضت فيهم سنّة الله تعالى في المكذّبين، و لم تنفعهم قوّتهم و لم يغن عنهم علمهم و لاحضارتهم، فلقوا جزآءهم العادل الّذي يستحقّونه «فما كان الله ليظلمهم».

فجازاهم الله سوءاً بسوء، و أُخذوا بذنوبهم بأنواع العذاب، ودمّرهم تدميراً، فصاروا كأمس الدّابر و المثل الغابر، فلم يقدروا على الإمتناع من شدّة قواهم ممّا نزل بهم من غضب الله و بأسه و عقابه، و لا نفعتهم عمارتهم و حضارتهم و شوكتهم، و لاعِدّتهم و عُدَّتهم و لا طول مدّتهم... فأصبحوا لاترى إلاّ مساكنهم...

قال الله تعالى: «و عاداً و ثمودا و قد تبيّن لكم من مساكنهم و زيّن لهم الشّيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل و كانوا مستبصرين ـ فكلاًّ أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليهم حاصباً و منهم من أخذته الصّيحة و منهم من خسفنا به الأرض و منهم من أغرقنا و كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون» العنكبوت: ٣٨ ـ ٤٠).

و قال: «و كم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلاّ قليلاً و كنّا نحن الوارثين و ماكان ربّك مهلك القرى حتّى يبعث في امّها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا و ما كنّا مهلكي القرى إلاّ و أهلها ظالمون» القصص: ٥٨ ـ ٥٩).

و قال: «و لقد أهلكنا ما حولكم من القرى و صرّفنا الآيات لعلّهم يرجعون» الأحقاف: ٢٧).

و قال: «أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إنّ في ذلك لآيات أفلا يسمعون» السّجده: ٢٦).

و قال: «و سكنتم في مساكن الّذين ظلموا أنفسهم و تبيّن لكم كيف فعلنا بهم و ضربنا لكم الأمثال» إبراهيم: ٤٥).

و **قوله تعالى:** «فما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون» فما كان الله سبحانه ليظلم هؤلآء الكفّار و المستكبرين، و الفجّار و المكذّبين من الأمم السّالفة بأن يهلكهم من غير جرم، ويدمّرهم بدون تذكير و لا إرسال رسول، و لا إقامة حجّة، و يعذّبهم بلا استحقاق ابتداء، فلم يكونوا في ذلك مظلومين، و إنّما كانوا هم يظلمون أنفسهم

إذ جحدوا نعم الله تعالى عليهم و أشركوا بالله سبحانه، و كذّبوا رسله، و كفروا بآياته و عصوه بأنواع المعاصي و الطّغيان حتّى استحقّوا العقاب عاجلاً و آجلاً.

و قد جنوا على أنفسهم إذ حادوا بها عن طريق الحقّ و الهدى، و الخير و الصّلاح، و الفلاح و النّجاة، و وضعوها موضع خسيس و هو عبادة الأصنام، و أوردوها موارد الخزى و الهوان، و الذّلة و الدّمار و العذاب و النّار.

ألا يخشى كفّار مكّة و مشركوا العرب و من يسلك مسالكهم في كلّ ظرف من الظّروف أن يصيبهم ما أصاب الّذين هم أقوى و أرقى؟

و ما ورد في المقام: فمن باب التّأويل.

و من التّأويل: أنّ سير النّفوس في أقطار الأرض و مناكبها لأدآء العبادات، و سير القلوب بجَولان الفكر في جميع المخلوقات، و غايته الظَّفَرُ بدقآئق العلوم الّتي توجب ثلج الصّدر ـ ثمّ تلك العلوم على درجات، و سير الأرواح في ميادين الغيب بنعت حرق سرادقات الملكوت، و قصاراه الوصول إلى محلّ الشّهود و استيلآء سلطان الحقيقة، و سير الأسرار بالتّرقّي عن الحِدْثان بأسرها، و التّحقّق أوّلاً بالصّفات، ثمّ بالخمود بالكلّية عمّا سوى الحقّ.

١٠ـ (ثمّ كان عاقبة الّذين أسآؤا السُّوآى أن كذّبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزؤن)

انّ هؤلآء الكفّار و المستكبرين، و الفجّار و المكذّبين بآيات الله تعالى و رسله من الامم السّالفة أُخِذوا بذنوبهم، و عُذِّبوا بأنواع العذاب، و أُهلِكوا و دُمِّروا تدميراً في الحياة الدّنيا قبل الآخرة، ثمّ كان عاقبة كلّ من سلك مسالك اولئك في الإسآئة من هذه الأُمّة، عقوبة سيّئة و هي عذاب جهنّم يوم القيامة، و كانت إسآئتهم: أنّهم كذّبوا بآيات الله تعالى الدّالّة على المبدإ و المعاد، و على العدالة الإلهيّة و صدق الرّسالة، و صدق ما ينوب منابها من الإمامة، و كانوا يستهزئون بها، حيث إنّ جزاء سيّئة، سيّئة مثلها.

قال الله تعالى: «و جزآؤا سيّئة سيّئة مثلها» الشّورى: ٤٠).

و قال: «و الّذين كسبوا السّيّئات جزآء سيّئة بمثلها» يونس: ٢٧).

و قال: «بلى من كسب سيّئة و أحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون» البقرة: ٨١).

و لمّا كان الكفر بالله سبحانه و تكذيب رسله، و جحد آياته أسوأ الخطايا و أقبح المعاصي... كانت عقوبتها أسوأها و أشدّها.

قال الله تعالى: «و قال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلّكم تغلبون فلنذيقنّ الّذين كفروا عذاباً شديداً و لنجزينّهم أسوأ الّذي كانوا يعملون ذلك جزآء أعدآء الله النّار لهم فيها دار الخلد جزآءً بما كانوا بآياتنا يجحدون» فصّلت: ٢٦ ـ ٢٨).

١١ـ(الله يبدؤا الخلق ثمّ يعيده ثمّ إليه ترجعون)

الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق، منفرداً بإنشآئه من دون شريك و لا ظهير، فيحدثه من غير شيئ، بل بقدرته و ارادته ثمّ يعيده إلى ما كان من قبل أن يكون شيئاً مذكوراً ثمّ إلى الله تعالى بعد إفنائه و إعدامه تردّون أيّها النّاس كما بدأكم خلقاً سويّاً، فتحشرون يوم القيامة لفصل القضآء بينكم، ليجزى الّذين كفروا بالله و كذّبوا برسله و جحدوا بآياته أسوأ الّذي كانوا يعملون منكم، و يجزي الّذين أحسنوا منكم بالحسنى.

قال الله تعالى: «أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثمّ يعيده إنّ ذلك على الله يسير قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثمّ الله ينشئ النّشأة الآخرة إنّ الله على كلّ شيئ قدير يعذّب من يشآء و يرحم من يشآء و إليه تقلبون» العنكبوت: ١٩ ـ ٢١).

و قال: «إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنّه يبدؤا الخلق ثمّ يعيده ليجزي الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات بالقسط و الّذين كفروا لهم شراب من حميم و عذاب أليم بما كانوا يكفرون» يونس: ٤).

و قال: «منها خلقناكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة اخرى» طه: ٥٥).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿ﷺ﴾: «أنشأ الخلق إنشاءً، و ابتدأه ابتدآءً بلا رويّة أجالها، و لا تجربة استفادها، و لا حركة أحدثها، و لا همامة نفس

اضطرب فيها...» الخطبة الاولى.

و فيه: قال سيّد الوصيّين أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام»: «... و عجبت لمن أنكر النّشأة الاخرى و هو يرى النّشأة الاولى...».

و فيه: قال يعسوب الدّين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»: «أما بعد! فاوصيكم بتقوى الله الّذي ابتدأ خلقكم، و إليه يكون معادكم، و به نجاح طلبتكم، و إليه منتهى رغبتكم، و نحوه قصد سبيلكم و إليه مرامي مفزعكم...» الخطبة: ۱۸۹).

۱۲ـ(و يوم تقوم السّاعة يبلس المجرمون)

و اذكر أيّها النّبيّ الكريم«صلى الله عليه و آله» للنّاس جميعاً يوم تقوم السّاعة الّتي فيها يفصل الله بينهم بعد نشرهم من قبورهم و حشرهم إلى موقف الحساب: «و امتازوا اليوم أيها المجرمون ـ اليوم نختم على أفواههم و تكلّمنا أيديهم و تشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» يس: ٥۹ ـ ٦٥) يسكت المجرمون الّذين أشركوا بالله سبحانه، و كذّبوا برسله، و جحدوا بآياته و استهزؤا بها، و اجترحوا في الحياة الدّنيا مساوي الأعمال، و غفلوا عن الآخرة و حسابها و جزآئها... فهم يومئذ ساكتون سكوت يأس من رحمة الله عزّوجلّ و فرجه من أهوال يوم القيامة و مفزعاتها، متحيّرون فيما يفعل بهم، و قد انقطعت حجتهم، و ما كانوا يستطيعون أن يعتذروا بما فعلوا، و لا يجحدون نصيراً يدفعون به عن أنفسهم ما سيحلّ بهم من النّكال و الوبال.

قال الله تعالى: «و يوم نحشر من كلّ امّة فوجاً ممّن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون حتّى إذا جاؤا قال أكذّبتم بآياتى و لم تحيطوا بها علماً أمّا ذا كنتم تعملون و وقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون» النّمل: ۸۳ ـ ۸٥).

و قال: «و لو ترى إذ فزعوا فلا فوت و اُخذوا من مكان قريب» سبأ: ٥۱).

۱۳ـ(و لم يكن لهم من شركآئهم شفعآؤا و كانوا بشركآئهم كافرين)

و لم يكن لهؤلآء المشركين المجرمين يوم القيامة من شركآئهم المختلقة و آلهتهم المتنوّعة

من الأصنام و الأوثان و الأنداد، و من الملائكة و الجنّ و الشياطين، و من الأحبار و الرّهبان و الرّؤساء و الأهوآء، و ما إليها من الّذين كانوا يتّخذونهم آلهة لهم يعبدونها من دون الله سبحانه، شفعآء يشفعون لهم عند الله، أو ينصرونهم من عذاب الله، فلاتنفعهم آلهتهم، و لا يستنقذونهم من أهوال يوم القيامة و لا من عذاب النّار، و لمّا يئسوا من شفاعة آلهتهم، و استبان لهم جهلهم و خطؤهم إذ كانوا يقولون: «هؤلآء شفعآؤنا عند الله» كانوا عندئذ بشركائهم كافرين، فيكفرون بإلهيّتهم و يجحدونها و يتبرّؤن منها، كما تتبرّأ منهم و من عبادتهم لها يومئذ.

و لا يخفى على القاريء الخبير: أنّه ما كان للمشركين موقف واحد في شركهم، كما لم يكن شركهم نحواً واحداً، و لا إلهم دون الله واحداً، فإنّهم في موقف ينكرون الشّرك بالله سبحانه، و في موقف آخر يعترفون بشركهم، و في موقف يكفرون بآلهتهم، و يتبرّؤن منها كما أنّها تتبرّأ منهم و من عبادتهم و شركهم، و تارة يقولون: إنّ الله سبحانه أمرهم بالشّرك، و اخرى يقولون: إنّهم يقتدون بآبائهم في الشّرك... و هكذا.

قال الله تعالى: «إنّه لا يفلح المجرمون و يعبدون من دون الله ما لا يضرّهم و لا ينفعهم و يقولون هؤلآء شفعآؤنا عند الله قل أتنبّئون الله بما لا يعلم في السّموات و لا في الأرض سبحانه و تعالى عمّا يشركون ـ و يوم نحشرهم جميعاً ثمّ نقول للّذين أشركوا مكانكم أنتم و شركآؤكم فزيّلنا بينهم و قال شركآؤهم ما كنتم إيّانا تعبدون فكفى بالله شهيداً بيننا و بينكم إن كنّا عن عبادتكم لغافلين» يونس: ١٧ ـ ١٨ و ٢٨ ـ ٢٩).

و قال: «و يوم نحشرهم جميعاً ثمّ نقول للّذين أشركوا أين شركآؤكم الّذين كنتم تزعمون ثمّ لم تكن فتنتهم إلاّ أن قالوا و الله ربّنا ما كنّا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون ـ و شهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين ـ سيقول الّذين أشركوا لو شآء الله ما أشركنا و لا آباؤنا و لا حرّمنا من شيْ» الأنعام: ٢١ ـ ٢٤ و ١٣٠ و ١٤٨).

و قال: «قالوا نعبد أصناماً فنظلّ لها عاكفين – قالوا بل وجدنا آبآئنا كذلك يفعلون» الشعرآء: ٧١ – ٧٤).

و قال: «قال الّذين استكبروا للّذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جآءكم بل كنتم مجرمين و قال الّذين استضعفوا للّذين استكبروا بل مكر الليل و النّهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله و نجعل له أنداداً ـ و يوم يحشرهم جميعاً ثمّ يقول للملائكة أهؤلآء إيّاكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم بهم مؤمنون» سبأ: ٣٢ ـ ٣٣ و ٤١).

و قال: «و الّذين تدعون من دون الله ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعآءكم و لو سمعوا مااستجابوا لكم و يوم القيامة يكفرون بشرككم» فاطر: ١٣ ـ ١٤).

و قال: «و قال الشّيطان لما قضى الامر – إنّي كفرت بما أشركتمونى من قبل» ابراهيم: ٢٢).

و قال: «ثمّ قيل لهم أين ماكنتم تشركون من دون الله قالوا ضلّوا عنّا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضلّ الله الكافرين» غافر: ٧٣ ـ ٧٤).

و قال: «و الّذين اتّخذوا من دونه أوليآء ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى ـ أم اتّخذوا من دون الله شفعآء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً و لا يعقلون» الزّمر: ٣ و ٤٣).

و قال: «و يوم يناديهم أين شركائي قالوا آذنّاك ما منّا من شهيد و ضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل و ظنّوا ما لهم من محيص» فصّلت: ٤٧ ـ ٤٨).

و قال: «و من أضلّ ممّن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة و هم عن دعآئهم غافلون و إذا حشر النّاس كانوا لهم أعدآءً و كانوا بعبادتهم كافرين» الأحقاف: ٥ ـ ٦).

١٤ـ(و يوم تقوم السّاعة يومئذ يتفرّقون)

و اذكر أيّها النّبيّ الكريم ﴿ﷺ﴾ للنّاس: أنّهم يوم تقوم السّاعة يتفرّقون فريقين: فريق الإيمان و الإخلاص و العمل الصّالح، و فريق الكفر و النّفاق، و العمل الفاسد... فيتميّز الكافر من المؤمن، و الخبيث من الطّيّب، و المنافق من المخلص، و المفسد من المصلح، و الفاجر من البارّ... أمّا المؤمن فيؤخذ به ذات اليمين في الجنّة و نعيمها، و أمّا الكافر فيؤخذ

به ذات الشّمال إلى النّار و عذابها.

قال الله تعالى: «و كذلك أوحينا إليك قرآناً عربيّاً لتنذر امّ القرى و من حولها و تنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنّة و فريق في السّعير» الشّورى: ٧).

و قال: «مثل الفريقين كالأعمى و الأصمّ و البصير و السّميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكّرون» هود: ٢٤).

و قال: «يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فأمّا من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه ـ و أمّا من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه و لم أدرما حسابيه...» الحاقة: ١٨ ـ ٢٦).

و قال: «يا أيّها الإنسان إنّك كادح إلى ربّك كدحاً فلاقيه فأمّا من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً و ينقلب إلى أهله مسروراً و أمّا من اوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبوراً و يصلى سعيراً» الانشقاق: ٦ ـ ١٢).

و قال: «فأمّا من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية و أمّا من خفّت موازينه فأمّه هاوية و ما أدراك ماهيه نار حامية» القارعة: ٦ ـ ١١).

و قال: «ثمّ كان من الّذين آمنوا و تواصوا بالصّبر و تواصوا بالمرحمة اولئك أصحاب الميمنة و الّذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة» البلد: ١٧ ـ ٢٠).

و أمّا السّابقون المقرّبون فهم غير داخلين في الفريقين لقوله عزّوجلّ: «و كنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة و أصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة و السّابقون السّابقون اولئك المقرّبون ـ فأمّا إن كان من المقرّبين فروح و ريحان و جنّت نعيم و أمّا إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين و أمّا إن كان من المكذّبين الضّالين فنزل من حميم و تصلية جحيم» الواقعة: ٧ ـ ١١ و ٨٨ ـ ٩٤).

و ذلك أنّ النّاس بالقياس إلى الكمال الإنسانيّ و سلوك الآخرة على درجات عديدة و مقامات كثيرة يرجع كلّها إلى ثلاثة أقسام كما أشارت إليها آيات الواقعة، و غيرها من الآيات القرآنيّة الكثيرة منها قوله عزّوجلّ: «فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات» فاطر: ٣٢) و السّابق بالخيرات هم السّابقون المقرّبون، و هم أهل التّوحيد

الخالص، و العلمآء العاملون الأحرار، الصّائنون لأنفسهم، و الحافظون لدينهم، المخالفون على أهوآئهم، المطيعون لمولاهم الحقّ، غلبت فطرتهم على طبيعتهم، و المنزّهون عن الطّريق و السّلوك، لوصولهم إلى المقصود، بل هم مقصد السّالكين...

قال الله تعالى فيهم: «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء» فاطر: ۲۸).

و قال: «و اصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم بالغداوة و العشيّ يريدون وجهه و لا تعد عيناك عنهم» الكهف: ۲۸).

في نهج البلاغة: قال مولى الموّحدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿ع﴾: «إن شهد لم يُعرَف، و إن غاب لم يُفتَقَد، اولئك مصابيح الهدى و أعلام السُّرى، ليسوا بالمساييح، و لا المذاييع البُذُر، اولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته و يكشف عنهم ضرّآء نقمته...» الخطبة: ۱۰۲).

و فيه: قال سيّد الوصيّين، يعسوب الدّين الإمام عليّ﴿ع﴾ ـ في وصيّته لكميل ابن زياد النّخعيّ ـ: «... يا كميل ابن زياد! هلك خزّان الأموال و هم أحيآء، و العلمآء باقون ما بقي الدّهر، أعيانهم مفقودة، و أمثالهم في القلوب موجودة...».

و أمّا أصحاب اليمين، فهم أهل السّلوك، و أصحاب العمل الصالح و هم الأبرار، و لهم مراتب على حسب درجات ايمانهم و مراتب صالح أعمالهم، و لهم درجات في مثوباتهم على حسب درجات الجنان: «و لكلّ درجات ممّا عملوا» الأحقاف: ۱۹).

و أمّا أصحاب الشّمال فهم الأشرار، و المقيّدون بالسّلاسل و الأغلال، و لهم أيضاً دركات بحسب دركات الجحيم، و كلّهم في العذاب مشتركون.

قال الله تعالى فيهم: «لكلّ ضعف و لكن لا تعلمون» الأعراف: ۳۸).

و قال: «فإنّهم يومئذ في العذاب مشتركون» الصّافات: ۳۳).

و كلّ من الفرق الثّلاث لابدّ و من أن يرد الجحيم: «و إن منكم إلاّ واردها كان على ربّك حتماً مقضيّاً» مريم: ۷۱) و لكنّ السّابقين المقرّبين يمرّون على الصّراط كالبرق الخاطف من غير أن يصل إليهم أثرحّرها، و كذلك أصحاب اليمين، و أمّا أصحاب الشّمال فيقيّدون فيها و يتعلّقون بسلاسلها: «ثمّ ننجي الّذين اتّقوا و نذر الظّالمين فيها جثيّاً» مريم: ۷۲).

١٥ـ (فأمّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات فهم في روضة يحبرون)

فأمّا الّذين آمنوا بالله تعالى و رسوله (ﷺ) و باليوم الآخر، و عملوا بما أمرهم الله جلّ وعلا به، و انتهوا عمّا نهاهم عنه، و فعلوا بالخيرات... فهم في روضة، و أيّة روضة من رياض الجنّة و غياضها الّتي لايقدر قدرها أحد، و ما رأيت عين، و لا سمعت أُذن يمرحون، و بألوان الزّهر و السّندس الأخضر يتمتّعون، و بالسّماع و العيش الطّيّب الهني يتلذّذون، و بأنهار اللبن و الماء و العسل ينعّمون، و بالأشجار و أنواع ثمارها يتفكّهون، و بالحور و القصور يفرحون، و بأنواع المسارّ في كلّ لحظة يسرّون، و رضوان من الله تعالى أكبر من ذلك يكرمون.

قال الله تعالى: «و الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات في روضات الجنّات لهم ما يشآؤن عند ربّهم ذلك هو الفضل الكبير» الشّورى: ٢٢).

و قال: «فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرّة أعين جزآءً بما كانوا يعملون» السّجدة: ١٧).

و قال: «يا عباد لا خوف عليكم اليوم و لا أنتم تحزنون الّذين آمنوا بآياتنا و كانوا مسلمين ادخلوا الجنّة أنتم و أزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب و فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين و أنتم فيها خالدون و تلك الجنّة الّتي اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون» الزّخرف: ٦٨ ـ ٧٣).

١٦ـ (و أمّا الّذين كفروا و كذّبوا بآياتنا و لقآء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون)

و أمّا الّذين كفروا بالله سبحانه، و كذّبوا بآياتنا من محمّد رسول الله و القرآن الكريم، و بالبعث و الحساب و الجزآء بعد الموت، فاولئك الموصوفون بالكفر و التكذيب بآيات الله عزّوجلّ و لقآء الآخرة، هم يومئذ يساقون إلى نار جهنّم سوقاً، و يدفعون فيها دفعاً، و لا يغيبون عن عذابها أبداً، فيجازون فيها على سوء عقآئدهم و أقوالهم و أفعالهم...

قال الله تعالى: «فوربّك لنحشرنّهم و الشّياطين ثمّ لنحضرنّهم حول جهنّم جثيّاً» مريم: ٦٨).

و قال: «و الّذين يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون» سبأ: ۳۸).

۱۷ـ(فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون)

فإذا كان الأمر كذلك و تبيّن لكم معاشر النّاس بالآيات الكونيّة وحدانيّة الله جلّ وعلا و عظمته، و جلاله و كماله، و علمه و حكمته، و تدبيره و قدرته... فسبّحوه تسبيحاً يليق بساحة قدسه، و نزّهوه عن كلّ ما ينافي تعظيمه من صفات النّقص، سبّحوه حين تدخلون المساء، و حين تدخلون الصّباح.

و اعلم أنّ الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «إنّا أرسلناك شاهداً و مبشّراً و نذيراً لتؤمنوا بالله و رسوله و تعزّروه و توقّروه و تسبّحوه بكرة و أصيلاً» الفتح: ۸ ـ ۹).

و قوله عزّوجلّ: «سبحانه و تعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً» الإسراء: ۴۳).

۱۸ـ(و له الحمد في السّموات و الأرض و عشيّاً و حين تظهرون)

و لله تعالى وحده الحمد كلّه في السّموات و الأرض، فانّه تعالىٰ حميدٌ بذاته، و يحمد له من في السّموات من الملائكة، و أصناف أهل الأرض. قال الله تعالىٰ: «تسبّح له السّموات السّبع و الأرض و من فيهنّ و إن من شيئ إلاّ يسبّح بحمده ـ و قل الحمد لله الّذي لم يتّخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له وليّ من الذّلّ و كبّره تكبيراً» الإسراء: ۴۴ و ۱۱۱).

و قال: «و هو الله لا إله إلاّ هو له الحمد في الاولى و الآخرة و له الحكم و إليه ترجعون» القصص: ۷۰).

و قال: «إن تكفروا أنتم و من في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيّ حميد» إبراهيم: ۸).

و قال: «يا أيّها النّاس أنتم الفقرآء إلى الله و الله هو الغنيّ الحميد» فاطر: ۱۵).

فاحمدوا معاشر النّاس لله تعالى وحده في كلّ حال على جميع نعمه و آلآئه عليكم، فإنّ منافع الحمد و فوائده الدّنيويّة و الاخرويّة كلّها ترجع إلى أنفسكم لغنى الله جلّ وعلا عن ما سواه، و افتقار ما سواه إليه في كلّ آن و لحظة، و سبّحوه وقت العصر و حين تدخلون في الظّهيرة.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿ﷺ﴾: «و لا يَحْمَدْ حامِدٌ إلاّ رَبَّهُ...» الخطبة: ١٦).

و فيه: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿ﷺ﴾: «الحمد لله كلّما وقب ليل و غَسَقَ: و الحمد لله كلّما لاح نجم و خفق، و الحمد لله غير مفقود الإنعام و لا مكافأة الإفضال...» الخطبة: ٤٨).

و فيه: قال سيّد الوصيّين أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿ﷺ﴾: «اللّهمّ لك الحمد على ما تأخذ و تعطي، و على ما تعافي و تبتلي، حمداً يكون أرضى الحمد لك، و أحبَّ الحمد إليك، و أفضل الحمد عندك، حمداً يملأ ما خلقت و يبلغ ما أردت، حمداً لا يُحْجَبُ عنك، و لا يقصر دونك، حمداً لا ينقطع عدده و لايفنى مددهُ...» الخطبة: ١٥٩).

و قوله تعالى: «و عشيّاً و حين تظهرون» و سبّحوا الله جلّ وعلا وقت العصر و حين تدخلون في الظّهيرة.

١٩ـ(يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون)

إنّ الله تعالى يخرج الإنسان الحي من التّراب الميّت ثمّ من الماء و هي النطفة و المؤمن الحيّ من الكافر، و الطّائر من البيضة، و النّخل من النّواة، و يخرج الماء الميت و هي النّطفة من الإنسان الحيّ و يخرج الكافر من الميت المؤمن الحيّ، والبيض من الطير، و النّواة من النّخل... ذلكم الله ربّكم فأنّى تؤفكون أيّها المشركون.

و الجملة في معنى قوله تعالى: «إنّ الله فالق الحبّ و النّوى يخرج الحيّ من الميّت و مخرج الميّت من الحيّ ذلكم الله فأنّى تؤفكون ـ أو من كان ميتاً فأحييناه و جعلنا له نوراً» الأنعام: ٩٥ و ١٢٢).

و قوله تعالى: «و يحي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون» و يحي الله الأرض بالمطر بعد موتها، فينبتها و يخرج زرعها بعد خرابها و جدوبها بعد أن كانت صعيداً جرزاً، مثل ذلك الإخراج البديع يحييكم من بعد موتكم، فيخرجكم أحياء من قبوركم إلى

موقف الحساب لفصل القضآء و الجزآء.

قال الله عزّوجلّ: «و هو الّذي يرسل الرّياح بشراً بين يدي رحمته حتّى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميّت فأنزلنا به المآء فأخرجنا به من كلّ الثّمرات كذلك نخرج الموتى لعلّكم تذكّرون» الأعراف: ٥٧).

وقال: «و آية لهم الأرض الميتة أحييناها و أخرجنا منها حبّاً فمنه يأكلون» يس: ٣٣).

و قال: «و الّذي نزّل من السّمآء مآءً بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون» الزّخرف: ١١).

و إنّ هذا العمل دائب لا يكف، و لا يني لحظة واحدة من لحظات اللّيل و النّهار في كلّ مكان على سطح الأرض، و في أجواز الفضآء و أعماق البحار... ففي كلّ لحظة و آن يتمّ و يحصل هذا التّحوّل بل هذه معجزة خارقة لا نتنبه إليها لطول الألفة و التّكرار، ففي كلّ لحظة يخرج الحيّ من الميّت، و العكس، و في كلّ لحظة يتحرّك برغم ساكن من جوف حبّة أو نواة، فيفلقها، و يخرج إلى وجه الحياة، و في كلّ لحظة يجفّ العود أو الشّجرة تستوفى أجلها، فتحوّل إلى هشيم أو حطام، و من خلال الهشيم و الحطام توجد الحبّة الجديدة السّاكنة المتهيّئة للحياة و الإنبات، و يوجد الغاز الّذي ينطلق في الجوّ أو تتغذّى به التّربة و تستعدّ للإخصاب...

و في كلّ لحظة تدبّ الحياة في جنسين: إنسان أو حيوان، في البرّ و البحر، و الجوّ و الجثّة الّتي ترمى في الأرض، و تختلط بالتّربة و تشحنها بالغازات الّتي هي مادّة جديدة للحياة و غذاء جديد للنّبات... فالحيوان و الإنسان و مثل هذا يتمّ في أغوار البحار، و في أجواز الفضآء على السّوآء أنّها دورة دائبة عجيبة رهيبة لمن يتأمّلها بالحسّ الواعي، و القلب البصير، و يراها على هدى القرآن الكريم و نوره السّاطع، مستمدّاً من نور الله جلّ وعلا.

و كذلك تخرجون، حيث إنّ الأمر عاديّ واقعي لا غرابة فيه، و ليس بدعاً ممّا يشهده الكون في كلّ لحظة من لحظات اللّيل و النّهار في كلّ مكان.

قال الله تعالى: «أو لم يروا أنّا نسوق المآء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم و أنفسهم أفلا يبصرون» السّجدة: ٢٧).

٢٠ـ(و من آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون)

و من الأدلّة الواضحة و البراهين القاطعة و الحجج السّاطعة على المبدإ و المعاد: أن خلقكم الله تعالى معاشر النّاس من أصل ميّت ترابيّ لم يشمّ رآئحة الحياة، و لا مناسبة بينه و بين ما أنتم عليه في ذاتكم و صفاتكم من العقل و النّطق و الشّعور و الإرادة و الإختيار و التّحرّك... حيث إنّ الإنسان الحيّ العاقل النّاطق المتحرّك نشأ من التّراب الميّت السّاكن... و فيه إشارة إلى التّأمّل في صنع الله تعالى و قدرته على إعادة الإنسان بعد موته، و استجاشة الضّمير للتّحميد و التّسبيح لله تعالى وحده، و تحريك القلب لتمجيد الصّانع المتفضّل الكريم المتعال.

قال الله تعالى: «يا أيّها النّاس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغة مخلّقة و غير مخلّقة لنبيّن لكم ـ و ترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها المآء اهتزّت و ربت و أنبتت من كلّ زوج بهيج» الحج: ٥).

و قال: «هو الّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ يخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً و منكم من يتوفّى من قبل و لتبلغوا أجلاً مسمّى و لعلّكم تعقلون هو الّذي يحي و يميت فإذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون» غافر: ٦٧ ـ ٦٨).

و اعلم أنّ لخلقة الإنسان في القرآن الكريم أطواراً و صوراً خرج بها الإنسان إلىٰ هذا العالَم، و من تلك الصّور و الأطوار: أنّه تعالى خلقه من الأرض: «و الله أنبتكم من الأرض نباتاً» نوح: ١٧).

و منها: أنّه خلقه من تراب الأرض: «و من آياته أن خلقكم من تراب» الرّوم: ٢٠).

و منها: أنّه خلقه من طينها: «و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين» المؤمنون: ١٢).

و منها: أنّه «خلق الإنسان من صلصال كالفخّار» الرّحمن: ١٤).

و منها: أنّه تعالى قال: «و لقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون» الحجر: ٢٦).

و منها: أنّه جلّ و علا قال: «ألم نخلقكم من مآء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون» المرسلات: ٢٠ ـ ٢٣).

فمن قدر على ذلك فهو قادر على بعث الإنسان بعد الموت لفصل القضآء.

و قد قالت الحكمآء: إنّ الإنسان مركّب من العناصر الأربعة و هي: **ألف ـ** التّراب. ب ـ المآء. ج ـ الهواء. د ـ النّار.

أمّا التّراب: فتأثيره في الإنسان هو الثّبات. و **أمّا المآء:** فللاستمساك، فإنّ التّراب من غير المآء يتفتّت بسرعة. و **أمّا الهوآء:** فللاستقلال كالزّقّ المنفوخ، يقوم بالهوآء، و لولاه لما كان فيه استقلال و لا انتصاب. و **أمّا النّار:** للنّضج و الالتئام بين الثّلاثة.

أقول: و لاينافي بين هذا القول، و بين ما يقال: إنّ في الإنسان عناصر كثيرة حتّى انتهت إلى أكثر من ألف، حيث إنّ تلك العناصر كلّها ترجع إلى هذه العناصر الأربعة الّتي هي محور غيرها و مدارها...

إن تسئل: لو كان الإنسان مركّباً من العناصر الأربعة لماذا لم يصرّح الله تعالى بها، و قد صرّح باثنين منها: **أحدهما ـ** التّراب: «خلقكم من تراب» **ثانيهما ـ** الماء: «و خلقناكم من ماء مهين»؟

تجيب عنه بأجوبة:

منها: أنّ التّراب و الماء كانا قبل الهواء و النّار، ثمّ جآء الهوآء للاستقلال، و النّار للنّضج بعد امتزاج التّراب بالمآء، و لذلك خصّهما دون الهوآء و النّار.

و **منها:** أنّ التّراب و المآء ظاهران، و أنّ الهوآء و النّار لايشاهد إلاّ آثارهما...

و **منها:** أنّ الله تعالى قد أشار إلى النّار و الهواء بقوله سبحانه: «خلق الإنسان من صلصال كالفخّار» الرّحمن: ١٤) و قوله عزّوجلّ: «و لقد خلقنا الإنسان من صلصال من حماء مسنون» الحجر: ٢٦) و ذلك أنّ الله تعالى بدأ بالخلق و هو إخراج من العدم الصّرف إلى المادّة و هي التراب: «خلقكم من تراب» هذا مجرّد إعطاء الوجود بايجاد المادّة الخاصّة، ثمّ عدّ مبدء خلق الإنسان الأوّل الطّين: «و بدء خلق الإنسان من طين» السّجده: ٨).

و ذلك بتعجين التّراب بالمآء، ثمّ ترك ذلك الطّين حتّى تغيّر و استرخى، فصار حمأً مسنوناً، حيث إنّ الحمأ هو الطّين المتغيّر، و المسنون ما صبّ عليه المآء حتّى خلص عن الأجزآء الصّلبة الخشنة غير المعتدلة المنافية لقبول الصّورة الّتي يراد تصويرها منه، و

الصّلصال ما تخلخل منه بالهوآء، و تجفّف بالحرارة، فصار كالخزف الّذي يصوّت إذا نقربه، و بهذا البيان قد ظهر تركّب الإنسان بالعناصر الأربعة الممتزجة.

فهذا الإنسان البديع الصّنع الجميل الوجه الواسع العقل الحسن الاتقان لم يكن إلاّ من تراب جمعت فيه خواصّ الأرض كلّها: سهلها و جبلها، برّها و بحرها، عذبها و أُجاجها... و عجن بمآء و امتزج بالهوآء و النّور، فبإرسال نور الشّمس و دورانها حالاً بعد حال سويت خلقته و نظمت أعضآئه... فكلّ ذلك مقدّمات و أسباب جعلت لإبداع النّظام و إظهار الحسن و الجمال في صور الإنسان.

قال الله تعالى: «و لقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» الأعراف: ١١).

و قال: «الله الّذي جعل لكم الأرض قراراً و السّماء بنآءً و صوّركم فأحسن صوركم و رزقكم من الطّيّبات ذلكم الله ربّكم فتبارك الله ربّ العالمين» غافر: ٦٤).

فانظروا أيّها النّاس في كلّ ظرف من الظّروف، و في كلّ حال من الأحوال، و في كلّ مكان من الأماكن... فانظروا إلى نعم الله تعالى و آلآئه ظاهرها و باطنها عليكم، كيف نقلكم من تلك القلّة و الذّلّة و الخسّة و القذارة و الحقارة... إلى هذه الرّفعة و الكرامة و العزّة و السّيادة، فصرتم موجودين بعد العدم، و أحيآء بعد الموت، و ناطقين بعد البكم، و ذوى البصيرة بعد العمى، و أقويآء بعد الضّعف، و عالمين بعد الجهل، و مهتدين بعد الضّلالة، و قادرين بعد العجز، و أغنيآء بعد الفقر، فكنتم في ذواتكم لا شئ: «هل أتى على الإنسان حين من الدّهر لم يكن شيئاً مذكوراً» الإنسان: ١).

و أيّ شئ أخسّ من لا شئ؟ و أي قلّة أقلّ من العدم المحض، ثمّ صار بالله جلّ وعلا شيئاً و إنّما «خلقكم من تراب» ميّت ذليل، و ماء مهين، و نطفة قذرة بعد العدم المحض، لتعرفوا خسّة موادّ طبايعكم، فتعرفوا بها انفسكم، و انّما اكمل الله تعالى نعمه عليكم لتعرفوا بها ربّكم، و تعلموا بها عظمته و جلاله، و علمه و حكمته، و تدبيره وقدرته...

و قوله **تعالى**: «ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون» لم تلبثوا أن كثرتم، و انتشرتم في أطراف الأرض تتصرّفون فيما هو قوام معاشكم، فلم يخلقكم الله سبحانه، عبثاً: «أفحسبتم انّما

خلقناكم عبثاً و أنّكم إلينا لاترجعون» المؤمنون: ۱۱۵).

قال الله تعالى: «و ما خلقنا السّمآء و الأرض و ما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النّار» ص: ۲۷).

و قال: «و ما خلقنا السّموات و الأرض و ما بينهما إلاّ بالحقّ و إنّ السّاعة لآتية فاصفح الصفح الجميل» الحجر: ۸۵).

و قال: «الّذي خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً» الملك: ۲).

و قال: «و خلق الله السّموات و الأرض بالحقّ و لتجزى كلّ نفس بما كسبت و هم لايظلمون» الجاثية: ۲۲).

۲۱ـ (و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّة و رحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون)

و من آياته الدّالّة على المبدإ و حججه القاطعة على المعاد: أن خلق الله تعالى لكم من جنسكم و أنفسكم أزواجاً لتستأنسوا بها، و يطمئنّ كلّ زوج بزوجه، و يسكن كلّ لقرينه سكون أُنس و ألفة وطمأنينة، و حيث إنّ الزّوجة من النّفس إذ هي من جنسها و من شكلها فهو أقرب إلى الألفة و الميل بالمودّة منها لو كانت من غير جنسها و شكلها لأنّ استيناس الجنس بالجنس أكثر من استيناس بغير جنسه و شكله، فلو كان أحد الزّوجين من غير جنسه و شكله لما كانا يستأنسان و لا يأتلفان...

قال الله تعالى: «هو الّذي خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها ليسكن إليها» الأعراف: ۱۸۹).

و قال: «و الله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً و جعل لكم من أزواجكم بنين و حفدة و رزقكم من الطّيّبات» النّحل: ۷۲).

و قال: «خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها زوجها ـ ذلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّى تصرفون» الزّمر: ۶).

و **قوله تعالى**: «و جعل بينكم مودّة و رحمة» و جعل الله تعالى بين الزّوج و زوجته

مودّة تتوادّون بها، و تتواصلون من أجلها، و جعل بين الأزواج رحمة بالمصاهرة و الختونة، بخلاف سائر الحيوانات نظماً لأمر المعاش، مع أنّ تعيّش الإنسان متوقّف على التّعارف و التّعاون المحوج إلى التّوادّ و التّراحم، و ليس ذلك بين الحيوانات، و لولا الزّواج و العقد الدّائم الّذي هو نوع تعهّد و ميثاق بين الزّوجين في الانسانيّة لما حصلت المودّة و الرّحمة، فإنّ الجماع و إدفاع الشّهوة بالمتعة لا يوجب ذلك فعطف بعضكم بذلك على بعض، إذ كلّ واحد من الزّوجين بالعقد الدّائم يرقّ على الآخر رأفة التعطّف عليه بما جعله الله عزّوجلّ في قلب كلّ واحد لصاحبه ليتمّ سروره و نظام حياتهما المنزليّة و الاجتماعيّة...

و قوله سبحانه: «إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» إنّ فيما سبق من الآيات التكوينيّة و التّدوينيّة و الآيات الآفاقيّة و الأنفسيّة، و ما ذكر من خلق النّاس من تراب ميّت، و في خلق أزواجهم من أنفسهم، و في خلق الأزواج مشاكلة للرّجال، و في جعل المودّة و الرّحمة بينهم، لآيات عظيمة لا يكتنه كنهها كثيره لا يقادر قدرها، و مشتملة على آيات شتّى كلّها تدلّ على وحدانيّة الله تعالى و جلاله و عظمته، و علمه و حكمته، و تدبيره و قدرته على الاعادة و البعث بعد الموت لفصل القضاء لقوم يتفكّرون في تضاعيف تلك الأفاعيل المبنيّة على الحِكم و الأسرار، و يعتبرون بها بأن لأيّ شئ خلقت الأزواج؟ و من خلقها؟ و من أنعم بها؟ و من جعل بينهم على الأحوال الّتي يعظم السّرور بها؟؟؟

٢٢ـ (و من آياته خلق السّموات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين)

و من آيات الله التكوينيّة الآفاقيّة الواضحة على وحدانيّة الله تعالى و جلاله و عظمته، و علمه و حكمته، و تدبيره و قدرته... لا ينكرها حتّى الكافرين: خلق السّموات و ما فيها من النّجوم و الكواكب و الشّهاب... و جريها في مجاريها على غاية الاتّساق و أكمل النّظام... و خلق الأرض و ما فيها من البحار و الأنهار، و الجبال و الأشجار، و أنواع النبات و الحيوان، و أصناف الجماد و فنون النّعم...

قال الله تعالى: «و لئن سئلتهم من خلق السّموات و الأرض و سخّر الشّمس و القمر

ليقولنّ الله فأنّى تؤفكون» العنكبوت: ٦١).

و قال: «و لئن سئلتهم من خلقهم ليقولنّ الله فأنّى يؤفكون» الزّخرف: ٨٧).

و قال: «قل لمن الأرض و من فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكّرون قل من ربّ السّموات السّبع و ربّ العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتّقون قل من بيده ملكوت كلّ شيءٍ و هو يجير و لا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنّى تسحرون» المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩).

و قال: «قل من يرزقكم من السّمآء و الأرض أمّن يملك السّمع و الأبصار و من يخرج الحيّ من الميّت و من يخرج الميّت من الحيّ و من يدبّر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتّقون فذلكم الله ربّكم الحقّ فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال فأنّى تصرفون» يونس: ٣١ ـ ٣٢).

و **قوله سبحانه**: «و اختلاف ألسنتكم» من آيات الله التكوينيّة الأنفسيّة القاطعة على التّوحيد: اختلاف لغاتكم... و قد ثبت عند الباحثين الخبرآء في اللغات نحو خمسة آلآف لغة مستقلة إلى يومنا هذا، و لكنّها في روايات أئمّتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين: «سبعون ميليوناً يتكلّم كلّ لغة بخلاف لغة صاحبها» و أمّا اختلاف الألسنة في أجناس النّطق و التكلّم، و في جهات الصّوت و النّغم، و أنواع اللحن و أنحآء اللهجة... فبعدد أفراد النّسمة في كلّ ظرف من الظّروف...

فليس المراد باختلاف الألسنة اختلاف اللغات فقط كما زعمه أكثر المفسّرين، بل المراد به الاختلاف في النّطق و التّكلّم... فلا يشبه نطق أحد، نطق الآخر، فترى اللغة واحدة كالعربيّة مثلاً و لكن لاترى لسانين يتّحدان منطقاً، فلا يسمع ناطقان متّفقان في همس واحد، و لا جهارة واحدة، و لا حدّة و لارخاوة و لا فصاحة و لا لكنة و لا لحن و لا نظم و لا اسلوب، و لا غير ذلك من صفات النّطق و أحواله... و لا أحد من النّاس يشبه صوته صوت الآخر مع اتّفاق لغتها، و لا كلامه و لهجته كلام الآخر و لهجته... مع أنّ كلّ سكّان الأرض من اصل واحد و من أب واحد، و امرأة واحدة، فمن الّذي أوجد اختلاف اللغات و اللهجات... بينهم؟ بل يمتاز كلّ امرىءٍ في لحنه و صوته و هيئة كلامه... كما امتاز في لونه و إن شارك النّاس في البياض و الصّوت و الكلام... و لولا ذلك لما ميّزنا

الأشخاص، فإنّهم بألحانهم الخاصّة، و أصواتهم الخاصّة و لهجات حديثهم يختلفون، و باختلافهم في ذلك كلّه نميّزهم و نعيش معهم، و هذه هي الحكمة الإلهيّة المتقنة الدالّة على وحدانيّة الله تعالى و جلاله و عظمته، على تدبيره و قدرته، و على علمه و حكمته...

و **قوله عزّوجلّ:** «و ألوانكم» و من آيات الله التّكوينيّة الأنفسيّة الاخرى الدالّة على التّوحيد: اختلاف ألوانكم و صوركم... بحيث لا رجل و لا امرأة على بسيط الأرض في شرقها و غربها، و جنوبها و شمالها يشبه لونه و سمته، لون الآخر و سمته، فترى اللون واحداً كالبياض مثلاً و لكن لاترى وجهين يتّحدان بياضاً، و هكذا سمة الوجوه و خطوطها، و شكل الأعضاء و رسومها... حتّى التّوأمين يختلف أحدهما الآخر قطعاً.

فكما لاتوجد صوتان متماثلان من جميع الوجوه بحكم مظهريّة الأحديّة، و مظهريّة اسم «من» «ليس كمثله شئ» كذلك لا توجد صورتان متماثلتان على هذا المثال.

إنّ الله عزّوجلّ خالف بين الصّور و تخطيطها، و بين الألوان و تنويعها من الأحمر و الأبيض، من الأسود و الأصفر، و من الأسمر و الأشقر... و غيرها من أقسام الألوان... و لاختلاف ذلك وقع التّعارف بين النّاس في كلّ زمان و مكان، إذ لو اتّفقت الألوان و تشاكلت و كانت ضرباً واحداً لوقع التّجاهل و الالتباس بينهم، و لتعطّلت مصالحهم الفرديّة و الاجتماعيّة...

و في ذلك كلّه آيات دالّة على أنّ الصّنع و الايجاد مع النّظام الجاري في هذا العالم الشّاسع لا يقوم إلا بالله جلّ وعلا، و لا ينتهي إلاّ إليه تعالى.

فالانسان كما اختلفت طبايعه و تمايلاته و استعداده و لغاته، و جميع أحواله... اختلفت ألوانه بعدد أفراده في كلّ ظرف، و جرت الألوان شوطاً كجرى الطبائع و التمايلات و الاستعداد و اللغات و جميع الأحوال كلّها...

و **من دعاء الإمام السّادس جعفر بن محمّد الصّادق** «عليه السلام» في اللّيلة الأخيرة من شعبان المعظّم، و اللّيلة الاولى من رمضان المبارك: «... أحصيت أعمالهم، و قسمت أرزاقهم، و جعلتهم مختلفة ألسنتهم و ألوانهم خلقاً بعد خلق...» فألوانهم من البياض و

السّواد، من الحمرة و الصّفرة، و من الزّرقة و الخضرة... مع كونهم من أولاد رجل واحد، و أمّ واحدة، و يجمعكم نوع واحد و هو الإنسانيّة، و فصل واحد و هو النّاطقيّة، حتّى صاروا متميّزين في ذات بينهم، فلا يلتبس بعضهم من بعض، و هذا من بديع القدرة ما لا يعقله إلاّ العالمون بنظام الكون، و لا يفهمه إلاّ المتفكّرون في نواميس الوجود.

و قوله جلّ وعلا: «إنّ في ذلك لآيات للعالمين» إنّ فيما ذكر من خلق السّموات و الأرض، و اختلاف الألسنة و الألوان لآيات عظيمة و دلالات متينة على المبدإ الواحد المتعال، و على المعاد بعد الموت للعلمآء المتفكّرون لا النّاس كلّهم لأنّ اكثرهم لا يعقلون فلا يعلمون كما قال الله عزّوجلّ: «و تلك الأمثال نضربها للنّاس و ما يعقلها الاّ العالمون خلق الله السّموات و الأرض بالحقّ إنّ في ذلك لآية للمؤمنين ـ بل أكثرهم لا يعقلون» العنكبوت: ٤٣ ـ ٤٤ و ٦٣).

و قال: «ما خلق الله ذلك إلاّ بالحقّ يفصّل الآيات لقوم يعلمون ـ إنّ الّذين لا يرجون لقآئنا و رضوا بالحياة الدّنيا و اطمأنّوا بها و الّذين هم عن آياتنا غافلون» يونس: ٥ ـ ٧).

و ذلك أنّ العلمآء المتفكّرين في نظام الكون و نواميس الوجود، الباحثين في الآيات التكوينيّة الآفاقيّة و الأنفسيّة... منها خلق السّموات و الأرض، و اختلاف اللغات و الألحان... و اختلاف الصّور و الألوان...

اولئك هم الّذين يذوقون جمال هذا النّظم البديع، و تتأثّر به نفوسهم، فيرون ورآء هذا الجمال و النّظام و الإبداع إشراقاً به أبدعت هذه العجآئب و تنوّعت الحركات، و اختصّ كلّ مخلوق بصفات بحيث يمتاز عن سواه، فهم حينئذ يدهشون، إذ يرون هذا التّمايز و التّغاير الجزئي جعل لأجل أن تميّز الأفراد بعضها من بعض، فالاختلاف إنّما جآء لهدايتنا المعرفة، و فصل الأشيآء بعضها من بعض، فالنّتيجة من ذلك كلّه هداية عقولنا لمعرفة الأشيآء، و معرفتنا بأنفسنا حتّى نعرف ربّنا.

قال الله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» فصّلت: ٥٣).

٢٣ـ(و من آياته منامكم باللّيل و النّهار و ابتغاؤكم من فضله إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون)

و من آيات الله التكوينيّة الأنفسيّة واضحة الدّلالة على وحدانيّة الله تعالى و قدرته على البعث و الإعادة بعد الموت لفصل القضآء و الجزآء: أن ألبسكم لباس النّوم باللّيل و النّهار ليجد فيه جسمكم سكنه و راحته ممّا يعالج في يقظته من أعمال، و ما يحمل من أعبآء...

قال الله تعالى: «و هو الّذي جعل لكم اللّيل لباساً و النّوم سباتاً و جعل النّهار نشوراً» الفرقان: ٤٧).

و قال: «و جعلنا نومكم سباتاً و جعلنا اللّيل لباساً و جعلنا النّهار معاشاً» النّبأ: ٩ـ١١).

فكان النّوم و اليقظة خِلفةً يدوران في فلك الإنسان كما يدور اللّيل و النّهار في فلك الوجود «و هو الّذي جعل اللّيل و النّهار خلفة لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكوراً» الفرقان: ٦٢).

و بهذا التّوارد للإنسان على موارد النّوم و اليقظة يعرف نعم الله تعالى عليه و إحسانه إليه، و يجد للنّوم طعمه الهنيئ في كيانه كما يجد لليقظة مساغها العذب في كلّ جارحة من جوارحه... و طلبكم المعاش و ما يتفضّل الله به عليكم ليلاً و نهاراً «هو الّذي جعل لكم اللّيل لتسكنوا فيه و النّهار مبصراً إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون» يونس: ٦٧) سماع تفهّم و تدبّر، و سماع تفكّر و استبصار، فإنّ الحكمة فيه واضحة ساطعة... ثمّ إنّ غلبة النّوم بغير اختيار صاحبه، ثمّ انتباهه من دون اكتساب له بوُسْعه يدلّ على موته و بعثه بعد ذلك، وقت نشوره، ثمّ في حال منامه يرى ما يسرّه و يحزنه، و ما ينفعه و يضرّه... و على أوصاف كثيرة أمره... كذلك الميّت في قبره... الله تعالى هو أعلم كيف حاله في قبره، و ما يلقاه فيه من خيره و شرّه ، و من نفعه و ضرّه؟

فالنّوم دليل على الموت، و ما يرى في المنام دليل على ما يلقاه في عالَم البرزخ، و التّصرّف بالنّهار دليل على البعث بعد الموت...

قال الله تعالى: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها و الّتي لم تمت في منامها فيمسك الّتي قضى

عليها الموت و يرسل الاخرى إلى أجل مسمّى إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» الزّمر: ٤٢).

و قال: «و هو الّذي يتوفّاكم باللّيل و يعلم ما جرحتم بالنّهار ثمّ يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمّى ثمّ إليه مرجعكم ثمّ ينبّئكم بما كنتم تعملون» الأنعام: ٦٠).

٢٤ـ(و من آياته يريكم البرق خوفاً و طمعاً و ينزّل من السّمآء ماءً فيحي به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

و من آيات الله التّكوينيّة الآفاقيّة الدّالّة على وحدانيّة الله تعالى و تدبيره و قدرته على البعث و الإعادة بعد موتكم: أن يريكم البرق تخافون خوفاً من الصّواعق، و المطر السّوء، و القحط و عدم نزول المطر، و تطمعون طمعاً في المطر النّافع، و ينزّل الله عزّوجلّ من السّمآء مطراً نافعاً فيحيي به الأرض بعد يبسها و جفافها.

البرق: هو الشّرارة الكهربائيّة الّتي تظهر في الجوّ، و خاصّة عند السّحب، و ينشأ عنها الرّعد. قال الله تعالى: «هو الّذي يريكم البرق خوفاً و طمعاً و ينشئ السّحاب الثقال و يسبّح الرّعد بحمده و الملائكة من خيفته و يرسل الصّواعق فيصيب بها من يشآء و هم يجادلون في الله و هو شديد المحال» الرّعد: ١٢ ـ ١٣).

و قال: «ألم تر أنّ الله يزجى سحاباً ثمّ يؤلّف بينه ثمّ يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله و ينزّل من السّمآء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشآء و يصرفه عن من يشآء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار» النّور: ٤٣).

و قال: «وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها المآء اهتزّت و ربت و أنبتت من كلّ زوج بهيج ذلك بأنّ الله هو الحقّ و أنّه على كلّ شئ قدير و أنّ السّاعة آتية لاريب فيها و أنّ الله يبعث من في القبور» الحجّ: ٥ ـ ٧).

و **قوله تعالى:** «إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون» إنّ في إرآئة البرق خوفاً و طمعاً، و تنزيل المآء من السّمآء، و إحيآء الأرض به بعد موتها لدلالات واضحات على المبدإ و المعاد لمن تعقّل فيها، فإنّهم ينظرون في الآيات التكوينيّة الآفاقيّة نظرة تعقّل و اعتبار، و

تفهّم و استبصار، و تدبّر في نظام الكون و بدآئعه ليتوصّلوا بها إلى معرفة صانعها الّذي أحسن كلّ شيءٍ خلقه ثمّ هدى، و إلى معرفة مآل أمرها و مآل أمرهم، فكأنّ غيرهم كالبهآئم لا عقل لهم بل هم أضلّ سبيلاً إذ لا عقل للبهآئم، و لهم عقول لا ينتفعون بها.

قال الله تعالى: «هو الّذي يريكم آياته و ينزّل لكم من السّمآء رزقاً و ما يتذكّر إلاّ من ينيب» غافر: ١٣) و قال: «لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم أعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضلّ اولئك هم الغافلون» الأعراف: ١٧٩).

و قال بعض أصحاب التّأويل: إنّه يُلقى في القلوب من الرّجآء و التّوقّع في الامور، ثمّ يختلف بهم الحال، فمن عبد يحصل مقصوده، و من آخر لا يتّفق مراده، و الأحوال اللطيفة كالبروق، و إنّها لوآئح، ثمّ لوامع، ثمّ طوالع، ثمّ شوارق، ثمّ متوع النّهار أي استمرار العطاء الإلهيّ و الكشف الرّبانيّ بتمديد وقت النّهار إلى اللّيل حتّى ينعدم اللّيل. فاللوآئح في أوآئل العلوم، و اللوامع من حيث المفهوم، و الطّوالع من حيث المعارف، و الشّوارق من حيث التوحيد و الله أعلم.

٢٥ـ (و من آياته أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره ثمّ إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون)

و من آيات الله التكوينيّة الآفاقيّة الدّآلّة على المبدإ و المعاد: أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره جلّ وعلا خضوعاً له بالطّاعة بغير عمد ترونها، إذ لهما عمد غير مرئيّة و هي إمساكها على هذا النّظام الجاري بأمره تعالى و أنتم عاجزون عن إدراكها و لا تقدرون على روٌيتها، بل و لكلٍّ عماد غير مرئيّ. فصدر الآية الكريمة في معنى قوله سبحانه: «الله الّذي رفع السّموات بغير عمد ترونها» الرّعد: ٢).

و قوله عزّوجلّ: «و يمسك السّمآء أن تقع على الارض الاّ بإذنه» الحج: ٦٥).

و قوله جلّ وعلا: «إنّ الله يمسك السّموات و الأرض أن تزولا و لئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» فاطر: ٤١).

فالله تعالى وحده هو يقيمها و يثبتها حالاً فحالاً على هذا النّظام، فإنّه وحده خلقها و

يثبتها إذ لا يوجد حادث إلاّ بإيجاده و لا يبق إلاّ بإبقائه إذ لا موجد و لا مبقٍ في نظام الكون إلاّ الله تعالى وحده، فإنّ ما سواه يحتاج إلى موجد في وجوده، و إلى مبقٍ في بقآئه، فالله جلّ وعلا وحده يمنع و يحفظ و يبق أن تضطرب السّموات من أماكنها فترتفع أو تنخفض، و يمنع الأرض كذلك، فيحفظها من أن تقعا و تزولا. فالأجرام هي سابحة في الفضآء تدور حول نفسها، و حول الشمس «كلّ في فلك يسبحون» يس: ٤٠) بسرعة توجب الدّهشة.

و قوله تعالى: «ثمّ إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون» ثمّ إذا دعاكم الله تعالى بعد انقضآء الأجل دعوة واحدة من الأرض أينما تكونوا، كما يدرككم الموت أينما تكونوا و لو كنتم في بروج مشيّدة، فيقال: أيها الموتى اخرجوا من الأرض، فاجأتم الخروج منها سراعاً.

قال الله تعالى: «فيذرها قاعاً صفصفاً لاترى فيها عوجاً و لا أمتاً يومئذ يتّبعون الدّاعي لا عوج له و خشعت الأصوات للرّحمن فلا تسمع إلاّ همساً» طه: ١٠٦ ـ ١٠٨).

و قال: «يوم تشقّق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير» ق: ٤٤).

و قال: «يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنّهم إلى نصب يوفضون» المعارج: ٤٣).

و قال: «يوم يدع الدّاع إلى شيء نكر خشّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنّهم جراد منتشر» القمر: ٦ ـ ٧).

و من التّأويل أنّه تعالى يُفني هذه الأدوار، و يغيّر هذه الأطوار، و يبدّل أحوالاً غير هذه الأحوال، إماتة ثمّ إحيآء، و إعادة و قبلها إبداءً، و قبر ثمّ نشر، و معاتبة في القبر، ثمّ محاسبة بعد النّشر.

٢٦ـ(و له من في السّموات و الأرض كلّ له قانتون)

كيف يكفرون بالله سبحانه و ينكرون البعث بعد الموت لفصل القضآء، حالكون هذا الوجود في سمآئه و أرضه و ما فيها هو في بُعد فطرته، خاضع لأمر الله تعالى، مستجيب له، و أنّ الموتى إذا دُعوا من الأرض اينما كانوا لايملكون الاّ انّ يستجيبوا لما دعاهم اليه: «انّ

كلّ من في السّموات و الأرض إلاّ آتي الرّحمن عبداً لقد أحصاهم و عدّهم عدّاً و كلّهم آتيه يوم القيامة فرداً» مريم: ٩٣ ـ ٩٥).

و في التّعبير عمّا في السّموات و الأرض من مخلوقات بلفظ «من» الّتي لذوي العقول إشارة إلى أنّ كلّ مخلوق بما أنّه مخلوق، فهو في بُعد فطرته الّتي فطره عليها، خاضع، مطيع، مستجيب له جلّ وعلا حتّى لكأنّ في كلّ كائن منها عقلاً مدبّراً و موجّهاً، فهي بهذا الاعتبار عاقلة مدركة مطيعة محكومة بنظام، مسيّرة بحكمة و علم... فللّه تعالى وحده من في السّموات و الأرض ملكاً و خلقاً و عبيداً، و منه تلك الأشياء كلّها بدْءاً، و به ايجاداً و إليه رجوعاً. القانت: الخاضع المطيع المستجيب لله تعالى طوعاً في بُعد فطرته، و إن كان بعضهم مخالفاً له في بُعد طبيعته.

قال الله عزّوجلّ: «و لله المشرق و المغرب فأينما تولّوا فثمّ وجه الله إنّ الله واسع عليم و قالوا اتّخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السّموات و الأرض كلّ له قانتون بديع السّموات و الأرض و إذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون ـ حافظوا على الصّلوات و الصّلاة الوسطى و قوموا لله قانتين» البقرة: ١١٥ ـ ١١٧ و ٢٣٨).

٢٧ـ(و هو الّذي يبدؤا الخلق ثمّ يعيده و هو أهون عليه و له المثل الأعلى في السّموات و الأرض و هو العزيز الحكيم)

و الله تعالى هو الّذي يبدؤا الخلق من غير أصل له و لا شئ، فينشئه بعد أن لم يكن شيئاً، ثمّ يفنيه بعد ذلك بالموت، ثمّ يعيده بعد موته كما بدأه لفصل القضآء يوم القيامة.

قال الله عزّوجلّ: «يوم نطوي السّمآء كطيّ السّجلّ للكتب كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين» الأنبيآء: ١٠٤)

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»: «أنشأ الخلق إنشاءً، و ابتدأه ابتداء بلاروية أجالها، و لا تجربة استفادها، و لا حركة أحدثها، و لا همامة نفس اضطرب فيها...» الخطبة الاولى.

و فيه: قال سيّد الوصيّين يعسوب الدّين أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام»: «خلق

الخلآئق على غير مثال خلا من غيره، و لم يستعن على خلقها بأحد من خلقه ـ فلا شئ إلاّ الله الواحد القهّار الّذي إليه مصير جميع الامور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها، و بغير امتناع منها كان فنائها و لو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها، لم يتكأده صُنْعُ شئ منها إذ صنعه، و لم يؤده منها خَلْقُ ما براه و خلقه...» الخطبة: ٢٢٨).

و **قوله تعالى:** «و هو أهون عليه» و هذه الإعادة هي أمر هيّن على الله عزّوجلّ كما كان الإبداء هيّناً عليه، فالإبدآء و الإعادة عنده تعالى على حدّ سوآء.

قال الله سبحانه: «أو لم يسيرو اكيف يبدىء الله الخلق ثمّ يعيده انّ ذلك على الله يسير» العنكبوت: ١٩) و قال: «زعم الّذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى و ربّي لتبعثنّ ثمّ لتنبّؤن بما عملتم و ذلك على الله يسير» التّغابن: ٧).

فكلّ شئ في قدرة الله جلّ وعلا و قبضته لا يعجزه سبحانه شئ في الأرض و لا في السّمآء... لا يتكلّف تعالى لأمر جهداً: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ٨٢) يستوى في هذا، كبير الامور و صغيرها، السّموات و الأرض، و من فيهنّ، هي تحت حيطة قدرة الله عزّوجلّ كالذّرّة أو البعوضة: «ما خلقكم و لا بعثكم إلاّ كنفس واحدة» لقمان: ٢٨).

فهذا التّفضيل: «أهون» منظور فيه إلى قدرة الإنسان، و إلى ما يقوم على صنعه من أشيآء... حيث إنّ اختراع الشئ لا يتوصّل إليه الإنسان إلا بعد جهد و معاناة و تبديل و تغيير و تسوية و حذف و إضافة و تفكّر... حتّى يستقرّ الشئ على الصّورة الّتي يرتضيها، فإذا انتهى الإنسان إلى تلك الصّورة كان حلّها و تركيبها أمراً هيّناً عنده لا يتكلّف له جهداً... إنّ مثال الصّورة قآئم بين يديه، و حاضر في تفكيره، و ما عليه إلاّ أن يضع الأجزآء الّتي تناثرت أشلاؤها في هذا القالب، فإذا الصّورة قائمة على ما كانت.

فالإعادة أسهل على الله سبحانه على حسب ما يدور في عقول المنكرين للبعث، من أنّ مَن فعل شيئاً مرّة كانت الإعادة أسهل عليه في ظنّهم و تقديرهم، فإنّ إعادة شئ من مادّته الاولى أهون عليهم من ايجاده ابتداءً، فالمراد بذلك، هو التّقريب لعقول الجهلة المنكرين للبعث، و إلاّ فكلّ الممكنات بالنّظر إلى قدرة الله جلّ وعلا سوآء، حيث إنّ السّهولة و

الوعورة على الحقّ المتعال لا تجوز أبداً، إذ له تعالى الصّفة العليا الّتي لا يشاركه فيها أحد من خلقه إذ صرّح بذلك:

في قوله تعالى: «و له المثل الأعلى في السّموات و الأرض» و له جلّ وعلا خاصّة الوصف العجيب الشّأن كالقدرة العامّة، و الحكمة التّامّة، و سائر صفات الكمال و الجمال الأعلى الّذي ليس لغيره ما يدانيه فضلاً عمّا يساويه، إذ كلّ شيء بدءاً و إعادة و ايجاداً و إعداماً عنده على شرع سواء، فلا مثل له و لا ند: «ليس كمثله شيء» الشّورى: ١١) فليس له مثل في ذاته و لا في شيء من صفاته من الوحدانيّة و العلم و الحكمة من الجلال و العظمة، من الجمال و العزّة، و من التدبير و القدرة...

في دعاء الجوشن الكبير: «يا من له المثل الأعلى، يا من له الصّفات العليا...»

و في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «و تولّهت القلوب إليه لتجرى في كيفيّة صفاته، و غمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصّفات لتنال علم ذاته...»

و قوله سبحانه: «و هو العزيز الحكيم» و هو وحده القادر الّذي لا يعجز عن بدء ممكن و إعادته، الحكيم الّذي لا يفعل إلاّ ما فيه الحكمة و المصلحة و الصّواب و السّداد.

٢٨ـ (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركآء في ما رزقناكم فأنتم فيه سوآء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون)

ضرب الله تعالى لكم أيّها المشركون بالله سبحانه، و المنكرون للبعث، بعد موتكم، ضرب لكم مثلاً يتبيّن به بطلان شرككم بالله جلّ وعلا، منتزعاً هذا المثل من أنفسكم و أحوالها لأنّها أقرب الأشيآء إليكم، و أعرفها لديكم، و أظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الأولويّة:

و هو قوله تعالى: «هل لكم من ما ملكت أيمانكم...»: هل لكم يا معشر المشركين الأحرار... ممّا ملكت من مماليككم من شركآء فيما رزقناكم من العقار و المنقول و النّقد و

الدّور و المواشئ و ما إليها من الثّرى... هل يرضى أحدكم أن يكون مملوكه شريكاً له في ماله الّذي رزقه الله تعالى، فتكونون أنتم المالكون و مماليككم في الأموال و الأملاك... مستوين، فيتصرّفون فيها كما أنتم تتصرّفون فيها؟!

و **قوله عزّوجلّ**: «تخافون كخيفتكم أنفسكم» حالكونكم خائفين مماليككم أن يستبدّوا بالتّصرّف فيها بدون رأيكم و لا إذنكم و لا رضاكم كما يخاف الأحرار منكم بعضهم من بعض، فإذاكان لكم مما ليك لا ترضون بالمساواة بينكم و بينهم في الأموال و في تصرّف الأملاك، و أنتم و هم متشاكلون بكلّ وجه ـ إلاّ أنّكم في حكم الشّرع مالكوهم مالكيّة اعتباريّة ـ فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم و أنتم الأحرار و هؤلآء المماليك جميعاً عبيد لله تعالى حقيقة، فكيف ترضون لربّ الأرباب و مالك الرّقاب أن تجعلوا عبيده له شركآء أيّ نحو من أنحآء الشّرك: الشّرك في أصل الوجود، و ايجاد العالَم و في تدبير نظام الكون، و في العبادة مستقلّة أورئاءاً، من غير استواء بينه سبحانه، و بينهم في شيءٔ؟!

هل يجوز أن يقدّر في وصفه جلّ وعلا أن يساويه عبيده؟ و هل يجوز أن يكون مملوكه شريكه و هو في الأصل مخلوق و عبد له تعالى؟ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

و **قوله جلّ وعلا**: «كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون» مثل ذلك التّمثيل الواضح المُبَيَّن نبيّنها و نكشف معانيها لقوم يستعملون عقولهم في تدبّر الأمثال، و كانت عنان أنفسهم بأيدي عقولهم، و كانت فطرتهم حاكمة على طبيعتهم، و أهوآء نفوسهم مغلوبة لعقولهم، فإنّهم الّذين يستجيبون لدعوة عقولهم، و يتّبعون ما تقتضيه فطرتهم من التّوحيد و أمّا غيرهم فيتّبعون أهوآءهم:

٢٩ـ (بل اتّبع الّذين ظلموا أهوآءهم بغير علم فمن يهدي من أضلّ الله و ما لهم من ناصرين)

إنّ هؤلآء المشركين، و كلّ من سلك مسالكهم في كلّ ظرف من الظّروف، لم يستعملوا عقولهم في آيات الله تعالى و لم ينتفعوا بها، و لم يعتبروا بأمثال الله جلّ وعلا و لم يجنوا من ثمرها المبارك الطّيّب شيئاً من العلم بحقآئق الكون و نواميس الوجود، و من المعرفة بالله

عزّ وجلّ، بل ظلّوا على ما كانوا عليه من الجهل و السّفاهة، فانقادوا الأهوآء هم الّتي دعتهم إلى الشّرك و الضّلالة و الكفر و الغواية، و إلى الإفساد و الفتنة في الأرض، و غلبت أهوآءهم على عقولهم و سلّطت طبيعتهم على فطرتهم، و من كان هذا شأنه فلن ينقاد إلاّ بمقود هواه و لا يستجيب إلاّ لندآء شيطان نفسه الأمارة بالسّوء.

قال الله تعالى: «فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنّما يتّبعون أهوآءهم و من أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدى من الله إنّ الله لا يهدي القوم الظّالمين» القصص: ۵۰).

بل اتّبع الّذين أهوآءهم عن جهل، هم الّذين ظلموا الله جلّ وعلا بالشّرك حيث جعلوه سبحانه مساوياً لعبيده، و هم لا يرضون بذلك لأنفسهم، و هذا ظلم عظيم: «إنّ الشّرك لظلم عظيم» لقمان: ۱۳).

و ظلموا أنفسهم بالشّرك إذ استحقّوا به الخزى و الهوان، و الهلاك و الدّمار في الحياة الدّنيا، و النّار و العذاب في الدّار الآخرة.

قال الله تعالى: «و من يشرك بالله فكأنّما خرّ من السّمآء فتخطفه الطّير أو تهوي به الرّيح في مكان سحيق» الحجّ: ۳۱).

و قال: «سبحان الله عمّا يشركون ـ و إنّ للّذين ظلموا عذاباً دون ذلك و لكنّ أكثرهم لا يعلمون» الطّور: ۴۳ ـ ۴۷).

فهم قد انحرفوا بالشّرك ـ المستتبع عن الهوى النّاشئ عن الجهل ـ عن طريق الحقّ و الهدى، و عن الرّشد و النجاة: «و من يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً» النّسآء: ۱۱۶) فحرّمهم الله تعالى به من التّوفيق و السّداد، و الصّواب و الرّشاد، فقال: «و ما يضلّ به إلاّ الفاسقين» البقرة: ۲۶) و قال: «و يضلّ الله الظّالمين» إبراهيم: ۲۷).

و ظلموا بالشّرك المجتمع البشري بالإفساد و الفتنة فيه و صدّ النّاس عن الخير و الصّلاح، و عن الكمال و السّعادة...

قال الله تعالى: «سبحانه و تعالى عمّا يشركون ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي النّاس» الرّوم: ۴۰ ـ ۴۱).

و قال حكاية عن مؤمن آل فرعون: «و يا قوم مالي أدعوكم إلى النّجاة و تدعونني إلى

النّار تدعونني لأكفر بالله و اشرك به ما ليس لي به علم» غافر: ۴۱ ـ ۴۲).

و منشأ هذه الظلامات الثّلاث هو اتّباع المشركين لأهوآءهم النّاشئ عن جهل و سفاهة حيث خيل إليهم أنّ الحقّ فيما يهوون، و العدل فيما يشتهون، و هذا هو الجهل بالجهل، فلا علم لهم و لا حجّة لشركهم، لا من داخلهم و هي الفطرة الّتي فطر النّاس عليها، و لا من خارجهم و هي الوحي السّماوي، فمنشأ الشّرك هو الجهل المؤدّي إلى الشّرك الموجب لهذه الظّلامات و تبعاتها... قال الله تعالى: «أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون» الرّوم: ۳۵).

و **قوله سبحانه**: «فمن يهدى من أضلّ الله» فلا يقدر أحد على هداية من اتّبع هواه عن جهل، فأشرك بالله سبحانه، حيث إنّ الشّرك لظلم عظيم يستتبع إضلال الله جلّ و علا: «فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال» يونس: ۳۲).

قال الله تعالى: «يثبّت الله الّذين آمنوا بالقول الثّابت في الحيآة الدّنيا و في الآخرة و يضلّ الله الظّالمين» إبراهيم: ۲۷).

و قال: «أتريدون أن تهدوا من أضلّ الله و من يضلل الله فلن تجد له سبيلاً» النّسآء: ۸۸).

و قال: «و ما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم» الرّوم: ۵۳).

فالجهل هو الموجب لاتّباع الإنسان لهواه، و اتّباع الهوى هو المؤدّى إلى الظّلم المستتبع لإضلال الله جلّ و علا، و إنّ العالم التّابع لهواه و الجاهل المحض على شرع سوآء.

و **قوله عزّ و جلّ**: «و ما لهم من ناصرين» فلا نجاة لهم من الضّلالة و الفتنة و الفساد في الحياة الدّنيا ماداموا على الجهل الموجب لاتّباع أهوآءهم، المؤدّي إلى الشّرك بالله سبحانه و هو الظّلم العظيم المستتبع للإضلال الإلهي، و لا ناصر ينصرهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة.

قال الله تعالى: «إنّما اتّخذتم من دون الله أوثاناً مودّة بينكم في الحيآة الدّنيا ثمّ يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضاً و مأواكم النّار و ما لكم من ناصرين» العنكبوت: ۲۵).

٣٠ـ (فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم و لكنّ أكثر النّاس لايعلمون)

إذا تبيّن لك الحقّ أيها الرّسول«ﷺ» و مَن تبعك قلباً و قالباً معاً بالآيات الآفاقيّة و الأنفسيّة، و بالآيات المفصّلة و الأمثال النّازلة عليك و ثبت المبدأ و وحدانيّته و كبريآئه، و جلاله و عظمته، و علمه و حكمته، و تدبيره و قدرته، و وضح أمرا المعاد لفصل القضآء بين العباد، فاقبل على هذا الدّين بتمام وجودك، و قوّم له وجهك و سدّد إليه نظرك، مائلاً عن غيره من الأديان المحرّفة المنسوخة و الباطلة، و العقآئد الفاسدة، و المذاهب المختلفة، و الآرآء الكاسدة كلّها و هذا الدّين هو دين التّوحيد و العدالة، و دين الرّسالة و الإمامة، و دين المعاد و الجزآء، و هو الدّين الإسلاميّ الّذي أكمله الله تعالى يوم الغدير بولاية مولى الموحّدين سيّد الوصيّين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب«ﷺ» و ارتضاه ديناً لهذه الامّة المسلمة، إذ بولايته«ﷺ» يعرف الله جلّ وعلا، و تبلّغ رسالة رسوله«ﷺ».

قال الله تعالى: «إنّ الدّين عند الله الإسلام ـ أفغير دين الله يبغون ـ و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين» آل عمران: ١٩ و ٨٣ و ٨٥).

و قال: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً ـ يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٣ و ٦٧).

و قوله عزّوجلّ: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها» فأقم يا أيّها الرّسول«ﷺ» بتمام وجودك لبيان هذا الدّين غير ملتفتٍ إلى غيره لأنّ حقيقة هذا الدّين و اصولها هي التّوحيد و العدل الإلهي، و الرّسالة المحمّديّة«ﷺ» و الولاية العلويّة«ﷺ» و المعاد لفصل القضآء، بُنيت على فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها جميعاً، فلا انفكاك بين شريعة الإسلام و فطرة الإنسان، بل لاانفكاك بين شريعة اللإسلام و خلقة العالَم و نظام الكون، و لذلك كان العالَم كلّه بأرضه و سمآئه مسلماً تكويناً.

قال الله تعالى: «و له أسلم من في السّموات و الأرض طوعاً و كرهاً و إليه يرجعون» آل‌عمران: ٨٣).

كماكان الأنبيآء و المرسلون من آدم إلى خاتم صلوات الله عليهم أجمعين كلّهم مسلمين،

يدعون في كلّ ظرف من الظّروف اممهم إلى الإسلام الّذي بُنِيَ على فطرتهم، و بُـنِيَت فطرتهم عليه و فقاً بين نظامي التكوين و التشريع.

إنّ الله تعالى لمّا خلق النّاس على فطرة التّوحيد و شرع لهم الدّين سمّاهم المسلمين إذ قال: «هو سمّاكم المسلمين من قبل و فى هذا ليكون الرّسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على النّاس» الحج: ٧٨) وفقاً بين نظامي التكوين و التّشريع.

و قد قال الانسان بانسانيّته: «إنّي تبت إليك و إنّي من المسلمين» الأحقاف: ١٥).

قال الله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم (عليه السلام): «ربّنا و اجعلنا مسلمين لك و من ذرّيتنا امّة مسلمة لك ـ و وصّىٰ بها إبراهيم بنيه يعقوب يا بنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدّين فلا تموتنّ إلاّ و أنتم مسلمون أم كنتم شهدآء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلٰهك و إلٰه آبائك إبراهيم و اسمعيل و إسحق إلٰهاً واحداً و نحن له مسلمون تلك امّة قد خلت» البقرة: ١٢٨ ـ ١٣٤).

و قال سبحانه حكاية عن يوسف (عليه السلام) «توفّني مسلماً و ألحقني بالصّالحين» يوسف: ١٠١).

و قال: «و قال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكّلوا إن كـنتم مسـلمين» يونس: ٨٤) و قال فرعون حين الغرق: «آمنت أنّه لا إله إلاّ الّذي آمنت به بنوا إسرآئيل و أنا من المسلمين» يونس: ٩٠).

و قال تعالى: «إنّا أنزلنا التّوراة فيها هدى و نور يحكم بها النبيّون الّذين أسلموا...» المائدة: ٤٤).

و قال في اسلام بلقيس: «قالت كأنّه هو و اوتينا العلم من قبلها و كنّا مسلمين ـ قالت ربّ إنّي ظلمت نفسي و أسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين» النّمل: ٤٢ ـ ٤٤).

و قال في إسلام الحواريّين: «و إذ أوحيت إلى الحواريّين أن آمنوا بي و برسولي قالوا آمنّا و اشهد بأنّنا مسلمون» المائدة: ١١١).

و قال: «إنّ الدّين عند الله الإسلام ـ فإن حاجّوك فقل أسلمت وجهى لله و من اتّبعن و قل للّذين اوتوا الكتاب و الامّيّين ءأسلمتم، فإن أسلموا فقد اهتدوا ـ قل يا أهل الكتاب

تعالوا إلى كلمة سوآء بيننا و بينكم ألاّ نعبد إلاّ الله و لا نشرك به شيئاً و لا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون ـ ما كان إبراهيم يهوديّاً و لا نصرانيّاً و لكن كان حنيفاً مسلماً و ما كان من المشركين إنّ أولى النّاس بإبراهيم للذين اتّبعوه و هذا النّبيّ و الّذين آمنوا و الله وليّ المؤمنين» آل عمران: ١٩ ـ ٢٠ و ٦٤ ـ ٦٨).

و قال: «قل إنّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً ـ و أنا أوّل المسلمين» الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٣) و قال تعالى حكاية عن حبيب النّجار: «و مالي لا أعبد الّذي فطرني و إليه ترجعون» يس: ٢٢) فزمن تشريع الإسلام يعود على زمن تكوين الإنسان و العكس بالعكس، حيث إنّ الدّين الإسلامي في عمق ذات الإنسان كوّن به من دون فكاك بينهما آناًما، و قد أكمله تعالى بولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» و بلّغها رسول الله «صلى الله عليه و آله» يوم الغدير، فمن زعم غير هذا فهو خارج عن مدار الإنسانيّة و مخالف لخلقة أصله و لأصل خلقته، و معارض لنظام الكون و نواميس الوجود و ذئب على نفسه، و منحطّ و جرثومة فساد في الأرض.

و قوله عزّوجلّ: «لا تبديل لخلق الله» لا تغيير لخلق الله جلّ وعلا و هو فطرة التّوحيد الّتي فطر النّاس جميعاً عليها من دون اختلاف بينهم فيها، و لا يمكن الإخلال بموجبها و عدم ترتيب مقتضاها عليها باتّباع الهوى و قبول وسوسة الشّياطين... و إنّ الفطرة كالشّمس المضيئة لا يمنعها شيئ من إضائتها، و إن كانت السّحاب المتراكمة تمنع من ايصال ضوءها و نورها و حرارتها إلى الأشيآء أيّاماً... و انّ النّاس كلّهم متّفقون على التّوحيد بفطرتهم بحيث لو اجتمعوا جميعاً في مكان واحد في كلّ ظرف من الظّروف لما اختلف الإثنان منهم فيها، و هم مختلفون بطبيعتهم بعدد أفرادهم بحيث لو اجتمعوا كلّهم في مكان واحد لما اتّفق الإثنان منهم على أمر واحد، و قد أرسل الله تعالى رسله المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ليدعوا النّاس إلى ما تقتضيه فطرتهم من التّوحيد و الطاعة، و ينهوهم عمّا تقتضيه طبيعتهم من الشّرك و الطغيان، فقال: «كان النّاس امّة واحدة فبعث الله النّبيّين مبشّرين و منذرين و أنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين النّاس فيما اختلفوا فيه...» البقرة: ٢١٣) و تبرز هذه الفطرة عند البلاء و الشّدّة... قال الله تعالى: «فإذا ركبوا في

الفلك دعوا الله المخلصين له الدّين...» العنكبوت: ٦٥).

و إنّ فطرة الله تعالى هي صبغة الله جلّ وعلا صبغت بها خلقة الإنسان لن يذهب لونها أبداً: «صبغة الله و من أحسن من الله صبغة و نحن له عابدون» البقرة: ١٣٨).

و لذلك لن ترغب العقول إلى غيره جلّ وعلا حتّى عقول الكفّار و المشركين، و الفجّار و الملحدين و الطغاة و المستكبرين، و البغاة و المجرمين... كما قال الله عزّوجلّ: «و لئن سئلتهم من خلق السّموات و الأرض و سخّر الشّمس و القمر ليقولنّ الله» العنكبوت: ٦١) و حين قال إبراهيم الخليل ﷺ: «فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب» البقرة: ٢٥٨) لم ينكره نمرود، بل «فبُهِتَ» لأنّ فطرته حاكمة بأنّ القادر على ذلك ليس إلاّ هو.

و ذلك أنّ الكلّ مفطور بذاته على العلم البسيط بخالقه، و أنّ هنا كاملاً يخضع الكلّ دونه، و فطروا على محبّته و طلبه، كيف لا؟ و العالَم كلّه و منه الإنسان متحرّك إلى خالقه، و مريد للكمال و الفضائل و الفواضل طرّاً من جنابه: «يا أيّها الإنسان إنّك كادح إلى ربّك كدحاً فملاقيه» الانشقاق: ٦).

و ذلك أنّ الله جلّ وعلا هو مطلوب الإنسان الكامل و معروفه، و لا يمكن كمال الإنسان إلاّ بما كوّنه الله تعالى عليه من فطرة التّوحيد، و بما شرّعه عزّوجلّ من الدّين القيّم، فهما كشيءٍ واحد لا يكمل الإنسان إلاّ بهما معاً، و الإنسان الكامل هو مطلوب الكلّ، فإنّه مركز تدور عليه الجميع و كنز مخفيّ يطلبون معرفته.

و **قوله جلّ وعلا**: «ذلك الدّين القيّم» فطرة التّوحيد غير المتغيّرة هو الدّين القيّم الثّابت، المنسجم معها، فكأنّها هو، و هو هي إذ لا فكاك بينهما، و بزوال أحدهما زوال الآخر، فهذا الدّين ثابت لا يبطل بالأوهام و الخرافات... «و تمّت كلمة ربّك صدقاً و عدلاً لا مبدّل لكلماته» الأنعام: ١١٥).

قال الله تعالى: «إن الحكم إلاّ لله أمر ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه ذلك الدّين القيّم» يوسف: ٤٠).

و **قوله سبحانه**: «و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون» أنّ فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لها إذ في تبديلها تبديل الإنسانيّة، و في زوالها، زوالها، كيف، و هي الدّين الحق المستقيم الّذي لا انحراف له و لا اعوجاج فيه، و هو الثّابت الّذي لا تشوبه شائبة و إن لم

يؤمن به أكثر النّاس حقّاً: «و ما آمن معه إلاّ قليل» هود: ٤٠) حتّى ظهر هذا الدّين القيّم على الأديان كلّها بظهور الحجّة بن الحسن المهديّ الإمام الثّاني عشر عجّل الله تعالى فرجه الشّريف و أرواحنا له الفدآء: «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متمّ نوره و لو كره الكافرون هو الّذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدّين كلّه و لو كره المشركون» الصّفّ: ٨ ـ ٩).

٣١ـ (منيبين إليه و اتّقوه و أقيموا الصّلاة و لا تكونوا من المشركين)

فأقم أيّها النّبيّ «صلى الله عليه و آله و سلم» أنت و من اتّبعك قلباً و قالباً حنفآء لله جلّ وعلا راجعين متّجهين إليه، مقيمين وجوهكم لدينه الفطريّ الحقّ الثّابت، مجافين كلّ دين، غيره، عالمين أنّه عزّوجلّ واحد أحد لا شريك له، و هو قادر على البعث و الإعادة بعد الموت لفصل القضآء بين عباده كما كان قادراً على خلق السّموات على ارتفاعها و اتّساعها و ما فيها من الكواكب و النّجوم و الشّمس و القمر... و قادراً على خلق هذه الأرض على انخفاضها و طولها و عرضها و جبالها و بحارها... و قادراً على خلق النّاس بفطرة التّوحيد و هو الدّين القيّم.

و خافوه تعالى فلا تشركوا به سبحانه، و اجتنبوا معاصيه، و راقبوا أن تفرطوا في طاعته و ترتكبوا معصيته، فخافوا عقابه، و داوموا على إقامة الصّلاة فإنّها عمود الدّين، و هي الّتي تذكّر المؤمن ربّه، و تجعله يناجيه في اليوم خمس مرّات، و تنهاه عن الفحشآء و المنكر لأنّها تعوّد النّفس الخضوع، و الإخبات له، و مراقبته في السّرّ و العلن، و حافظوا في امتثال أوامره و اجتناب نواهيه... و لا تكونوا من زمرة المشركين بالله سبحانه غيره من أيّ نحو من أنحاء الشّرك: الشّرك في أصل الوجود، و الشّرك في ايجاد العالَم، و الشّرك في تدبير نظام الكون، و الشّرك في العبادة أن تعبدوا غيره بالاستقلال، أو تريدوا بها سواه رياءً.

و الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «أفلم يروا إلى ما بين أيديهم و ما خلفهم من السّمآء و الأرض ـ إنّ في ذلك لآية لكلّ عبد منيب» سبأ: ٩).

و قوله سبحانه: «و الّذين اجتنبوا الطّاغوت أن يعبدوا و أنابوا إلى الله لهم البشرى ـ و أنيبوا إلى ربّكم و أسلموا له» الزّمر: ۱۷ و ۵۴).

و قوله عزّوجلّ: «و ما اختلفتم فيه من شيءٍ فحكمه إلى الله ذلكم الله ربّي عليه توكّلت و إليه أُنيب فاطر السّموات و الأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً و من الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيءٌ» الشّورى: ۱۰ ـ ۱۱).

و قوله جلّ وعلا: «هو الّذي يريكم آياته و ينزّل لكم من السّمآء رزقاً و ما يتذكّر إلاّ من ينيب فاعوا الله مخلصين له الدّين و لو كره الكافرون» غافر: ۱۳ ـ ۱۴).

و قوله تعالى: «و اتّبع سبيل من أناب إليّ ثمّ إليّ مرجعكم فأنبّئكم بما كنتم تعملون» لقمان: ۱۵).

۳۲ـ(من الّذين فرّقوا دينهم و كانوا شيعاً كلّ حزب بما لديهم فرحون)

و لا تكونوا أيّها المؤمنون كالمشركين الّذين تركوا دين الفطرة الّتي فطر الله تعالى النّاس عليه و دعاهم إلى هذا الدّين الّذي بني على أساس الفطرة البشريّة و هو الإسلام الّذي أكمله بولاية مولى الموحّدين سيّد الوصيّين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» يوم الغدير، فلا تكونوا من زمرة المشركين الّذين جعلوا أهوآءهم آلهة مختلفة لهم حسب اختلاف أهوآءهم، و صاروا فرقاً مختلفة، كلّ فرقة منهم بما عندهم من الدّين المختلق مسرورون.

إنّ الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «و لا تتّبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل و أضلّوا كثيراً و ضلّوا عن سوآء السّبيل» المائدة: ۷۷).

و قوله سبحانه: «و أنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه و لا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون ـ إنّ الّذين فرّقوا دينهم و كانوا شيعاً لست منهم في شيءٍ إنّما أمرهم إلى الله ثمّ ينبّئهم بما كانوا يفعلون» الأنعام: ۱۵۳ ـ ۱۵۹).

و قوله عزّوجلّ: «أأرباب متفرّقون خير أم الله الواحد القهّار ما تعبدون من دونه إلاّ أسمآء سمّيتموها أنتم و آبآؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلاّ لله أمر ألاّ تعبدوا إلاّ

إيّاه ذلك الدّين القيّم و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون» يوسف: ٣٩ ـ ٤٠).

و قوله جلّ وعلا: «و اتّخذوا من دون الله آلهة ليكون لهم عزّاً كلاّ سيكفرون بعبادتهم و يكونون عليهم ضدّاً» مريم: ٨١ ـ ٨٢).

و قوله تعالى: «و اتّخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً و هم يخلقون و لا يملكون لأنفسهم ضرّاً و لا نفعاً و لا يملكون موتاً و لا حياة و لا نشوراً» الفرقان: ٣).

و قوله سبحانه: «و اتّخذوا من دون الله آلهة لعلّهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم و هم لهم جند محضرون» يس: ٧٤ - ٧٥).

و قوله عزّ وجلّ: «و إنّ هذه امّتكم امّة واحدة و أنا ربّكم فاتّقون فتقطّعوا أمرهم بينهم زبراً كلّ حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتّى حين» المؤمنون: ٥٢ ـ ٥٤).

و قوله جلّ وعلا: «إنّهم اتّخذوا الشياطين أوليآء من دون الله و يحسبون أنّهم مهتدون» الأعراف: ٣٠).

٣٣ـ (و إذا مسّ النّاس ضرّ دعوا ربّهم منيبين إليه ثمّ إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربّهم يشركون)

و إذا أصاب النّاس في كلّ ظرف من الظّروف، شيئ من الضّرّ و لو قليلاً كمرض ما، و فقرما، و جدب مّا، و قحط مّا، و شدّة مّا، و بلاء مّا، و فاقة مّا دعوا لكشفها و رفعها بفطرتهم ربّهم الله تعالى، حالكونهم منقطعين كلّهم عن غيره، راجعين جميعاً إليه وحده، و أخلصوا لربّهم التّوحيد، فعند الشّدّة و البلاء تبرز الفطرة الإنسانيّة و هي التّوحيد.

ثمّ إذا استجاب دعآئهم و رفع شدآئدهم، و كشف عنهم ضرّهم، و أذاقهم من فضله رحمة: من صحّة و عافية في الجسم، و سعة في الرّزق، و خلاصاً من البلاء و نجاة من الهلاك، و أمناً في العيش، و راحة في الرّوح و غيرها من السّرّآء و الرّخآء... حينئذ طائفة من هؤلآء النّاس الّذين كانوا يدعون الله تعالى وحده، و يعترفون بربويّته بفطرتهم عند الشّدّة و البلاء، هم يشركون بربّهم، فيتّخذون الأنداد و الشّركآء لله سبحانه بطبيعتهم لغلبتها على فطرتهم عند إذاقة النّعمة و كشف الضّرّ، و إصابة السّعة و الرّخآء، فيعبدون معه

سبحانه آلهة مختلفة من الأوثان و الأصنام و ما إليها... كأنّهم ما كانوا يدعون الله تعالى وحده عند البلآء...

قال الله تعالى: «و إذا مسّ الإنسان الضّرّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قآئماً فلمّا كشفنا عنه ضرّه كأن لم يدعنا إلى ضرّ مسّه كذلك زُيّنَ للمسرفين ما كانوا يعملون» يونس: ۱۲)

و قال: «و ما بكم من نعمة فمن الله ثمّ إذا مسّكم الضّرّ فإليه تجئرون ثمّ إذا كشف الضّرّ عنكم إذا فريق منكم بربّهم يشركون» النّحل: ٥٣ ـ ٥٤).

و قال: «و إذا مسّكم الضّرّ في البحر ضلّ من تدعون إلاّ إيّاه فلمّا نجّاكم إلى البرّ أعرضتم و كان الإنسان كفوراً أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البرّ أو يرسل عليكم حاصباً ثمّ لا تجدوا لكم وكيلاً أم أمنتم يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الرّيح فيغرقكم بما كفرتم ثمّ لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً» الإسراء: ٦٧ ـ ٦٩).

و قال: «و إذا غشيهم موج كالظّلل دعوا الله مخلصين له الدّين فلمّا نجّاهم إلى البرّ فمنهم مقتصد و ما يجحد بآ ياتنا إلاّ كلّ ختّار كفور» لقمان: ۳۲).

و قال: «و إذا مسّ الإنسان ضرّ دعا ربّه منيباً إليه ثمّ إذا خوّله نعمة منه نسى ما كان يدعوا إليه من قبل و جعل لله أنداداً ليضلّ عن سبيله ـ فإذا مسّ الإنسان ضرّ دعانا ثمّ إذا خوّلناه نعمة منّا قال إنّما اوتيته على علم بل هي فتنة و لكنّ أكثرهم لا يعلمون» الزّمر: ٨ و ٤٩).

٣٤ـ (ليكفروا بما آتيناهم فتمتّعوا فسوف تعلمون)

قال الله تعالى لهؤلآء الجماعة الّذين أشركوا بالله سبحانه بعد أن كشف الله تعالى عنهم الضّرّ، أشركوا كى يجحدوا بنعم الله تعالى الّتي أنعمها عليهم، فتمتّعوا أيّها المشركون بالّذي آتيناكم من السّعة و الرّخآء، و الخصب و الرّفاه في هذه الحياة الدّنيا، و انتفعوا بنعيمها الفاني كيف شئتم، فسوف تعلمون عاقبة شركم بالله سبحانه و كفرانكم نعم الله جلّ وعلا عليكم، فلا غرض لهم في شركهم إلاّ كفران نعم الله تعالى عليهم.

قال الله تعالى: «و من كفر فأمتّعه قليلاً ثمّ أضطرّه إلى عذاب النّار و بئس المصير» البقرة: ١٢٦).

و قال: «و من كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبّئهم بما عملوا إنّ الله عليم بذات الصّدور نمتّعهم قليلاً ثمّ نضطرّهم إلى عذاب غليظ» لقمان: ٢٣ ـ ٢٤).

و قال: «ذرهم يأكلوا و يتمتّعوا و يلههم الأمل فسوف يعلمون» الحجر: ٣).

و قال: «و الّذين كفروا يتمتّعون و يأكلون كما تأكل الأنعام و النّار مثوى لهم» محمّد ﴿ﷺ﴾: ١٢).

٣٥ـ (أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون)

كأنّه خطاب للمؤمنين ليحاكم هؤلآء المشركين أمامهم... انّهم أشركوا بالله سبحانه، فما الحجّة الّتي بين أيديهم على شركهم؟ أ أنزل الله تعالى عليهم كتاباً و وحياً ربّانيّاً ينطق بهذا الشّرك الّذي هم فيه؟ أم أرسل الله عزّوجلّ رسولاً إليهم يدعوهم إلى هذا الشّرك؟ أم أقام لهم برهاناً يستدلّون به على شركهم؟ ما برهانهم على هذا؟ و ما الحجّة لهم على تلك المعبودات الّتي يعبدونها؟ انّهم مطالبون بأن يقيموا على هذه المعبودات حجّة من عقل، أو كتاب أو رسول، و إلاّ فهو الضّلال المبين و المصير المشئوم...

قال الله تعالى: «و من يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به» المؤمنون: ١١٧).

و قال: «و أن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً و أن تقولوا على الله ما لا تعلمون» الأعراف: ٣٣).

و قال: «و يعبدون من دون الله ما لم ينزّل به سلطاناً و ما ليس لهم به علم» الحجّ: ٧١).

و قال: «أفرأيتم اللات و العزّى و مناة الثّالثة الاخرى ـ إن هي إلاّ أسماء سمّيتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتّبعون إلاّ الظّن و ما تهوى الأنفس و لقد جآءهم من ربّهم الهدى» النّجم: ١٩ ـ ٢٣).

فهم بنوا طريقهم على غير التّوحيد الّذي هو أصل فطرتهم، و اتّبعوا فيما ابتدعوه أهوآئهم، و على غير شرع من الله تعالى أو حجّة قاطعة أو بيان واضح أسّسوا مذاهبهم، فهم خالفوا فطرتهم فغلبت عليهم طبيعتهم، و تركوا عقولهم الّتي هي حجّة عليهم من داخلهم، و اتّبعوا أهوآءهم، و جادلوا شريعتهم الّتي هي حجّة عليهم من خارجهم، و

استجابوا دعوة الشّياطين الجنّ و الإنس، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً.

قال الله تعالى: «شياطين الإنس و الجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ـ و إنّ الشّياطين ليوحون إلى أوليآءهم ليجادلوكم و إن أطعتموهم إنّكم لمشركون» الأنعام: ١١٢ و ١٢١).

٣٦ـ (و إذا أذقنا النّاس رحمة فرحوا بها و إن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون)

و إذا أذقنا هؤلآء المشركين وكلّ من يسلك مسالكهم في كلّ ظرف من الظّروف رحمة: من صحّة و عافية في الجسم، أو سعة في الرّزق، أو أمن و دعة و ما إليها من متاع الحياة الدّينا و زخارفها... بطروا بها، و فرحوا بحسب طبيعتهم، و دون أن يذكروا بحسب فطرتهم: أنّ هذه الرّحمة من عند الله تعالى و يشكروا له جلّ وعلا، و إن تصبهم مصيبة تسوءهم من شدّة و بلاء، من فاقة و ضيق عيش، و من جدب و قحط و مرض... بسبب ما أسلفوا من سيّىء الأعمال بينهم و بين الله تعالى، و ركبوا من المعاصي... إذا هم ييأسون من الفرج و الخير كلّه، فيعدّون المصآئب، و ينسون المواهب و ينكرونها...

و هذه حال غير المؤمنين من الكفّار و المشركين، و الفجّار و المستكبرين، و الفسّاق و المنافقين، و البغاة و الظّالمين، و الطّغاة و المجرمين... لغلبة طبيعتهم على فطرتهم، و أمّا المؤمنون الصّادقون فيشكرون ربّهم عند السّرّآء، و يصبرون على الضّرّاء، و يرجون فضله تعالى عند الشّدّة و البلآء لغلبة فطرتهم على طبيعتهم.

قال الله تعالى: «و لئن أذقنا الإنسان منّا رحمة ثمّ نزعناها منه إنّه ليؤس كفور و لئن أذقناه نعمآء بعد ضرّآء مسّته ليقولنّ ذهب السّيّئات عنّي إنّه لفرح فخور إلاّ الّذين صبروا و عملوا الصّالحات اولئك لهم مغفرة و أجر كبير» هود: ٩ ـ ١١).

و قال: «و إنّا إذا أذقنا الإنسان منّا رحمة فرح بها و إن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم فإنّ الإنسان كفور» الشّورى: ٤٨).

و قال: «و لئن أذقناه رحمة منّا من بعد ضرّآء مسّته ليقولنّ هذا لي و ما أظنّ السّاعة

قائمة و لئن رُجعتُ إلى ربّي إنّ لى عنده للحسنى»فصّلت: ٥٠).

و قال: «و من يقنط من رحمة ربّه إلاّ الضّالّون» الحجر: ٥٦).

و قال: «و الّذين كفروا بآيات الله و لقآئه اولئك يئسوا من رحمتي و اولئك لهم عذاب أليم» العنكبوت: ٢٣).

٣٧ـ (أو لم يروا أنّ الله يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

يا أيّها النّبيّ الكريم«ﷺ»! ألم يعلم هؤلآء المشركون الضّالّون، هؤلآء المستكبرون الطّاغون، و هؤلآء المجرمون الباغون الّذين كشفنا عنهم الضّرّ، و بدّلناه نعمة منّا تفضّلاً عليهم، فقالوا: إنّما اوتيناه على علم من عندنا، و إن أصابتهم سيّئة جزاءً وفاقاً، فهم إذن يقنطون؟ ألم يعلموا أنّ الشّدّة و الرّخآء و السّعة و البلاء، و الفقر و الغنى بيد الله تعالى دون ما سواه؟ ألم يعلموا أنّ الله عزّوجلّ وحده يبسط الرّزق لمن يشآء فيوسعه عليه امتحاناً، و يقدره على من يشآء من عباده، فيضيقه ابتلاءً كلّ ذلك لمصالحهم...؟؟؟

فيوسّع رزقه لمن يشآء و فضله على من يشآء من عباده، و يبسط له و يكثر ماله و يغنيه ابتلاءً تارة و إملاءً تارة اخرى، و يقتر على من يشآء منهم، فيضّيقه و يفقر ابتلاءً تارة و استحقاقاً تارة اخرى، فالله جلّ وعلا يبسط لحكمة، و يقبض بحسب السّنن و النّواميس الّتي وضعها بين عباده في هذه الحياة الدّنيا.

قال الله عزّوجلّ: «إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً» الكهف: ٧).

و قال: «و هو الّذي جعلكم خلآئف في الأرض و رفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم» الانعام: ١٦٥).

و قال: «و الله فضّل بعضكم على بعض في الرّزق» النّحل: ٧١).

و قال: «له مقاليد السّموات و الأرض يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر إنّه بكلّ شئ عليم ـ و لو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض و لكن ينزّل بقدر ما يشآء إنّه بعباده خبير بصير» الشّورى: ١٢ و ٢٧).

و قال: «و لنبلونّكم بشيءٍ من الخوف و الجوع و نقص من الأموال و الأنفس و الثّمرات و بشّر الصّابرين» البقرة: ١٥٥)

و قال: «فلا تعجبك أموالهم و لا أولادهم إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدّنيا و تزهق أنفسهم و هم كافرون» التّوبة: ٥٥)

و قال: «أيحسبون أنّما نمدّهم به من مال و بنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون» المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦).

و قوله سبحانه: «إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون» إنّ في بسط الرّزق و تقتيره لحجج الله جلّ وعلا على عباده ليعتبروا به و يتذكّروا و يعلموا أنّ الرّغبة إليه و الرّهبة منه دون الآلهة المزعومة، و الأصنام المنحوتة... و لعبراً و دلالات على تفرّده عزّ وجلّ بالالوهيّة، و توحّده على الرّبوبيّة لقوم يتدبّرون آياته، و يتفكّرون فيها، و ينتفعون بها، فيؤمنون بالحقّ، و يعلمون أن الّذي يبسط الرّزق و يقدر هو الله تعالى دون ما سواه.

و يعلمون أنّ البسط قد يكون استدراجاً كما أنّه قد يكون اختباراً، و أنّ القبض قد يكون رفعة و إعظاماً كما أنّه قد يكون ابتلاءً فليس البسط لعلم الكاسب بوجوه المكاسب، و لا القبض لجهله عنها، فإنّ كثيراً ما يكون العاقل المتدبّر القادر ضعيف الرّزق، و يكون الجاهل العاجز ذا سعة و بسطة في المال، و يعلمون أنّ الرّازق هو الله تعالى وحده و بيده رزق كلّ دابّة و منها هذا الإنسان و أكثر النّاس لا يعلمون ذلك.

إنّ الآية الكريمة في معنى قوله سبحانه: «أو لم يعلموا أنّ الله يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون» الزّمر: ٥٢).

و قوله جلّ وعلا: «قل إنّ ربّي يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون» سبأ: ٣٦).

٣٨ـ (فآت ذا القربى حقّه و المسكين و ابن السّبيل ذلك خير للّذين يريدون وجه الله و اولئك هم المفلحون)

فآت أيّها النّبيّ الكريم (صلّى الله عليه و آله و سلّم) ذا قرابتك الخاصّة منك، حقّه الخاصّ عليك، و ذو

القربى هنا كذي القربى في آيتي الخمس و المودّة: «و اعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه و للرّسول و لذي القربى» الأنفال: ٤٠) و «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» الشورى: ٢٣)، و المؤمنون مأمورون بالايتآء تبعاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

و أعط أيّها الرّسول (صلى الله عليه وآله) و من تبعك حق المسكين و هو أسوأ حالاً من الفقير، و أعط ابن السّبيل ما يحتاج إليه فيه سفره، فإنّهما أحقّ النّاس بالشّفقة و العطف و الإعانة، و ذلك الايتاء و الإعطآء و الإعانة خير في نفسها للمؤمنين الصّادقين الّذين يريدون بذلك، رضا الله تعالى فحسب: «و ما لأحد عنده من نعمة تجزى إلاّ ابتغاء وجه ربّه الأعلى و لسوف يرضى» اللّيل: ١٩ ـ ٢١).

و قال: «إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزآء و لا شكوراً» الإنسان: ٩).

و إنّ المريد لوجه الله سبحانه هو الّذي يؤثر حقّ الله تعالى على حظّ نفسه، فإيثار المريد وجه الله عزّوجلّ أتمّ من مراعاته حال نفسه، فهمّته في الإحسان إلى ذوي القربى و المساكين و أبنآء السّبيل تتقدّم على نظره لنفسه و عياله، و ما يهمّه من خاصّته.

و **قوله تعالى:** «و اولئك هم المفلحون» اولئك المتّصفون بالإيتاء، المريدون به وجه الله سبحانه هم الفائزون برضا الله جلّ وعلا، و رضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم.

قال الله تعالى: «لكن الرّسول و الّذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم و أنفسهم اولئك لهم الخيرات و اولئك هم المفلحون أعدّ الله لهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم» التّوبة: ٨٨ ـ ٨٩).

و قال: «و من يطع الله و رسوله و يخش الله و يتّقه فاولئك هم الفائزون» النّور: ٥٢).

و قال: «و لا يجدون في صدورهم حاجة ممّا اوتوا و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة و من يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون» الحشر: ٩).

٣٩ـ (و ما آتيتم من رباً ليربوا في أموال النّاس فلا يربوا عند الله و ما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون)

و ما أعطيتم أيّها المؤمنون مؤمناً أو مسلماً من هبة أو هديّة أو عطيّة أو قرض و نحوها

طمعاً ـ بغير شرط زيادة و إلاّ كان رباً حراماً قطعاً ـ لتعطوا أكثر أو أفضل منها، أو تتوقّعوا من المعطى له... خدمة أو سلاماً أو احتراماً زائداً عن اللياقة أو إعانةً و نحوها... فلا ثواب لكم عند الله تعالى فيها إذ لم تردوا بها طاعة الله و ابتغاء وجهه جلّ و علا.

و ما أعطيتم الفقرآء و المساكين و أبناء السّبيل و أمثالهم من المحتاجين... من صدقة تريدون بها وجه الله تعالى خالصاً، فاولئك هم الّذين أضعفت صدقاتهم في الدّار الآخرة، و كثرت أموالهم في الحياة الدّنيا بالحفظ و البركة.

إنّ الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ و الأذىٰ كالّذي ينفق ماله رئاء النّاس و لا يؤمن بالله و اليوم الآخر، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شئ ممّا كسبوا و الله لا يهدي القوم الكافرين و مثل الّذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله و تثبيتاً من أنفسهم كمثل جنّة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلّ و الله بما تعملون بصير ـ و ما تنفقوا من خير فلأنفسكم و تنفقون إلاّ ابتغاء وجه الله ـ الّذين ينفقون أموالهم باللّيل و النّهار سرّاً و علانية فلهم أجرهم عند ربّهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون» البقرة: ٢٦٤ ـ ٢٦٥ و ٢٧٢ و ٢٧٤).

و قوله سبحانه: «الّذي يؤتي ماله يتزكّى و ما لأحد عنده من نعمة تجزى إلاّ ابتغاء وجه ربّه الأعلى و لسوف يرضى» اللّيل: ١٨ ـ ٢١).

٤٠ـ (الله الّذي خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم هل من شركآئكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه و تعالى عمّا يشركون)

الله جلّ و علا هو الّذي خلقكم أيّها النّاس و أنشأ خلقكم و لم تكونوا شيئاً مذكوراً: «هل أتى على الإنسان حين من الدّهر لم يكن شيئاً مذكوراً» الإنسان: ١) أي قد أتى...

ثمّ أطعمكم ما عشتم في الحياة الدّنيا من أنواع نعمه: «و لقد كرّمنا بني آدم و حملناهم في البرّ و البحر و رزقناهم من الطّيّبات» الإسرآء: ٧٠) «فكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيّباً و اشكروا نعمة الله إن كنتم إيّاه تعبدون» النّحل: ١١٤) «و آتاكم من كلّ ما سئلتموه و إن

تعدّوا نعمت الله لاتحصوها» إبراهيم: ٣٤).

و **قوله تعالى:** «ثمّ يميتكم» هو الّذى يميتكم أيها النّاس عند انقضآء آجالكم من دون اختيار لكم فى موتكم و لا علمكم به: «و ماكان لنفس أن تموت إلاّ بإذن الله كتاباً مؤجّلاً ـ فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين» آل عمران: ١٤٥ و ١٦٨) «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيّدة» النّسآء: ٧٨) «و ما تدري نفس بأيّ أرض تموت إنّ الله عليم خبير» لقمان: ٣٤).

و **قوله عزّوجلّ:** «ثمّ يحييكم» ثمّ هو الله الّذي يحييكم بعد موتكم يوم القيامة لفصل القضآء بين عباده، فينبّئكم بما عملتم فى الحياة الدّنيا من الثّواب لصالح أعمالكم، و من العقاب لفساد أعمالكم...

قال الله تعالى: «هذا يوم الفصل جمعناكم و الأوّلين» المرسلات:٣٨).

و قال: «يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التّغابن و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً يكفّر عنه سيّئاته و يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم و الّذين كفروا و كذّبوا بآياتنا اولئك أصحاب النّار خالدين فيها و بئس المصير» التّغابن: ٩ ـ ١٠).

و **قوله جلّ وعلا:** «هل من شركآئكم من يفعل من ذلكم من شيئ» فإذا علمتم أيها النّاس عامّة، و المؤمنون خاصّة أمر المبدإ و المعاد، فاسئلوا المشركين في كلّ ظرف من الظّروف: هل من بين شركآئكم الّذين اتّخذتموهم آلهة على صورها و أشكالها، و هيئاتها و هياكلها... أحد أن يفعل من تلك الأفعال الّتي فعلها الله تعالى حتّى يصحّ ما ذهبتم إليه؟! كلاّ ثمّ كلاّ!

و الجملة فى معنى قوله عزّوجلّ: «هل من شركآئكم من يبدؤا الخلق ثمّ يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثمّ يعيده فأنّي تؤفكون» يونس: ٣٤)

و قوله جلّ وعلا: «و الّذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً و هم يخلقون» النّحل: ٢٠).

و قوله سبحانه: «أم جعلوا لله شركآء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق

كلّ شيئ و هو الواحد القهّار» الرّعد: ١٦).

و قوله تعالى: «هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الّذين من دونه» لقمان: ١١)

و قوله عزّوجلّ: «قل ادعوا الّذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرّة في السّموات و لا في الأرض و مالهم فيهما من شرك و ماله منهم من ظهير» سبأ: ٢٢)

و قوله تعالى: «سبحانه و تعالى عمّا يشركون» و إذ ليس من بين تلك الآلهة المزعومة أحد أن يفعل شيئاً ممّا يفعله الله تعالى، فنزّهوه أيّها النّاس عامة و المؤمنون خاصّة و قدّسوه عمّا يشرك به تعالى هؤلآء المشركون من الأنداد و الأشباه و الأضداد و ما إليها...

قال الله تعالى: «قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً سبحانه و تعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً» الإسراء: ٤٢ - ٤٣).

و قال: «ما اتّخذ الله من ولد و ما كان معه من إله إذاً لذهب كلّ إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض سبحانه و تعالى عمّا يصفون عالم الغيب و الشّهادة فتعالى عمّا يشركون» المؤمنون: ٩١-٩٢).

و قال: «فسبحان الّذي بيده ملكوت كلّ شيئ و إليه ترجعون» يس: ٨٣).

٤١ـ (ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي النّاس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون)

شاع و فشا و انتشر الفساد على بسيط الأرض من برّها و بحرها...

و من البداهة: أنّ الفساد: ضدّ الصّلاح، كالباطل: ضدّ الحقّ، و الضّلالة: ضدّ الهداية، و الظّلم: ضدّ العدالة، و الشّرّ: ضدّ الخير، و الكفر: ضدّ الايمان، و الشّرك: ضدّ التّوحيد...

و أنّ الشّرّ و ما إليه مبدأ الأمر غير المنتظم كما أنّ الخير و ما إليه مبدأ أمر المنتظم في الحياة الفرديّة و الاسرويّة و الاجتماعيّة...فإذا ظهر الفساد و الشّرّ من جانب العقيدة من الشّرك و الكفر و الضّلالة و ما إليها أو من ناحية العمل من الظّلم و المعصية، و البغي و الجناية و ما إليها ظهر الأمر غير المنتظم في البرّ و البحر...

و ذلك أنّ منشأ الخير و ما إليه كلّه هو فطرة التّوحيد الّتي فطر الله جلّ وعلا النّاس جميعاً عليها لاخلاف فيها: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم» الرّوم: ۳۰)

بحيث لو اجتمع ناس كلّ زمان و مكان على اختلاف ألوانهم و ألسنتهم و أنواعهم و أصنافهم و طبقاتهم... في مكان واحد و زمان واحد، ليس بين إثنين منهم اختلاف في بُعد فطرتهم لانصباغهم فيها جميعاً بصبغة التّوحيد و هي واحدة: «صبغة الله و من أحسن من الله صبغة و نحن له عابدون» البقرة: ۱۳۹).

فكلّهم فى كلّ ظرف من الظّروف في هذا البعد على كلمة التّوحيد و توحيد الكلمة: «تعالوا إلى كلمة سوآء بيننا و بينكم ألاّ نعبد إلاّ الله و لانشرك به شيئاً و لا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله» آل عمران: ٦٤).

فإذا اتّفقوا على هذه الكلمة تشريعاً كما أنّهم متّفقون عليها تكويناً ينتظم أمر معاشهم و معادهم كلّه، و يتبعهم خير الدّنيا و الآخرة كلّه.

قال الله تعالى: «و لو أنّ أهل القرى آمنوا و اتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السّمآء و الأرض» الأعراف: ٩٦).

و قال: «و لو أنّ أهل الكتاب آمنوا و اتّقوا لكفّرنا عنهم سيّئاتهم و لأدخلناهم جنّات النّعيم و لو أنّهم أقاموا التّوراة و الإنجيل و ما أنزل إليهم من ربّهم لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم» المائدة: ٦٥ ـ ٦٦).

و أنّ منشأ الشّرّ و ما إليه كلّه هو طبيعة الإنسان، و هي على تعداد النّاس أجمعين من الأوّلين و الآخرين لاوحدة بينهم فيها، بحيث لو اجتمعو كلّهم في مكان واحد و زمان لما كان بين الاثنين منهم وفاق فيها، فإذا غلبت طبيعة واحد منهم على فطرته ظهر الأمر غير المنتظم في حياته الفرديّة، و إذا غلبت طبيعة جماعة منهم على فطرتهم ظهر الأمر غير المنتظم في حياتهم الاجتماعيّة...

قال الله عزّوجلّ: «و اتّقوا فتنة لاتصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصّة و قاتلوهم حتّى لاتكون فتنة و يكون الدّين كلّه لله ـ و الّذين كفروا بعضهم أو ليآء بعض إلاّ تفعلوه تكن

فتنة في الأرض و فساد كبير» الأنفال: ٢٥ و ٣٩ و ٧٣).

و قال: «فليحذر الّذين يخالفون عن أمره إن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم» النّور: ٦٣).

و اذا غلبت طبيعة أكثريّة النّاس على فطرتهم ظهر الأمر غير المنتظم على بسيط الأرض في برّها و بحرها: من الجدب و قطع المطر، و القحط، و الحروب و الغارات و الحوادث غير المترقّبة و البلايا و الشّدائد و الزلازل و السّيول المخرّبة و الأمراض المسرية و غير القابلة للعلاج و الموتان الفاجئة، و ارتفاع الأمن، و كثرة الخوف و الحرق و الغرق، و محق البركات من كلّ شيئ و قلّة المنافع و كثرة المضار، و سلطة حكّام الجور و ولاة البغى على النّاس و هضم حقوقهم، و ما إليها من كلّ ما يفسد النّظام الصّالح الجاري على وجه الأرض سواء كان مستنداً إلى اختيار بعض النّاس أو غير مستند إليه، و إن كان سبب الفساد مستنداً إلىٰ اختيار بعضهم أوكلّهم كما أشار إليه:

في قوله تعالى: «بما كسبت أيدي النّاس» بسبب أعمالهم الّتى يعملونها بسوء اختيارهم من الشّرك و الطّغيان، و الكفر و العصيان، و البغي و العدوان... حيث إنّ بين عقآئد النّاس و أعمالهم، و الحوادث الكونيّة رابطة مستقيمة يتأثّر إحداهما من صلاح الاخرى و فسادها...إذ من زكّى نفسه، و أصلح قلبه و كان اعتقاده حقاً و عمله صالحاً، فقد أفلح و سعد و نال بخير الدّنيا و الآخرة و فاز فوزاً عظيماً و من دسّى نفسه و أفسد قلبه و كان اعتقاده باطلاً و عمله فاسداً فقد خاب و شق و عذّب فيهما...

قال الله تعالى: «و إذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث و النّسل والله لايحبّ الفساد» البقرة: ٢٠٥).

و قال: «و نفس و ما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها قد أفلح من زكّاها و قدخاب من دسّاها» الشّمس: ٧ - ١٠).

و قال: «ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» الأعراف: ٩٦)

و قال: «و من أعرض عن ذكري فانّ له معيشة ضنكا و نحشره يوم القيامة أعمى ـ و كذلك نجزي من أسرف و لم يؤمن بآيات ربّه و لعذاب الآخرة أشدّ و أبق» طه: ١٢٤ ـ ١٢٧)

و قوله عزّوجلّ: «ليذيقهم بعض الّذی عملوا» ليذيق الله تعالى هؤلآء الكفّار و المشركين، و الفجار و المستكبرين، و الفسّاق و المجرمين، و البغاة و الظّالمين... يذيقهم في الحياة الدّنيا شيئاً من و بال ما اقترفوه من الشّرك و الطغيان، و الكفر و العصيان، و البغي و العدوان... فيعذّبهم بأنواع العذاب من الجوع و القحط و البلاء و المرض...و الخزى في الدنيا قبل العذاب الأكبر في الدّار الآخرة ليكون لهم فيها عبرة و تذكير... لعلّهم يرجعون بالتّوبة عن الشّرك إلى التّوحيد عن الكفر إلى الايمان، عن الضّلالة إلى الهدى، عن الباطل إلى الحق، عن الغيّ و موقف العناد و اللجاج و الفساد إلى الطاعة و الصّلاح و الفلاح، و عن اتّباع الهوى إلى اتّباع العقل.

قال الله تعالى: «و من النّاس من يجادل في الله بغير علم و لا هدى و لا كتاب منير ثانى عطفه ليضلّ عن سبيل الله له في الدّنيا خزي و نذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدّمت يداك و أنّ الله ليس بظلّام للعبيد» الحجّ: ۸ ـ ۱۰)

و قال: «و لنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلّهم يرجعون» السّجدة: ۲۱)

و قال: «كذّب الّذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لايشعرون فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا و لعذاب الاخرة أكبر لوكانوا يعلمون» الزّمر: ۲۵ ـ ۲۶)

۴۲ـ (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبل كان أكثرهم مشركين)

قل أيّها الرّسول﴿ﷺ﴾ لهؤلآء المشركين، و لكلّ من يسلك مسالكهم في الشّرك و الضّلالة و الكفر و الغواية و البغي و الجناية و الكبر و الجهالة...: سيروا في بلاد الأرض و سافروا في أكنافها... فانظروا نظر اعتبار كيف كانت حال من تقدّمكم من الأشكال و الأمثال...؟ كقوم نوح و إبراهيم، و قوم لوط و عاد و ثمود، و قوم فرعون ذي الأوتاد... فانظروا نظر استبصار كيف أهلكناهم بأنواع العذاب، فترى مساكنهم و منازلهم و عروشهم خاوية؟ و كيف كان أخر أمرهم، فاهلكوا بشركهم بالله سبحانه، و كفرهم

برسله، و جحدهم بآياته، و بشؤم معصيتهم و طغيانهم...؟ ثمّ قيسوا عليها حكمكم في جميع الأحوال...

أهلكناهم جميعاً و جعلناهم عبرة و تذكرة لمن بعدهم... إذ كان أكثرهم مشركين بالله سبحانه، و بعضهم كافرين برسله، و بعضهم جاحدين بآياته، و بعضهم عاصين لله تعالى و كان الآخرون ساكتين عن انتشار الشرك و الكفر و العصيان بين النّاس.

قال الله تعالى: «أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم دمّر الله عليهم و للكافرين أمثالها» محمّد ﴿صلى الله عليه وآله﴾: ۱۰)

و قال: «قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين و لاتحزن عليهم و لاتكن في ضيق ممّا يمكرون و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الّذي تستعجلون» النّمل: ٦۹ ـ ۷۲)

٤۳ـ (فأقم وجهك للدّين القيّم من قبل أن يأتي يوم لامردّ له من الله يومئذ يصّدّعون)

فإذا تبيّن لك فساد الشّرك و وباله الّذى سيلحق بالمتلبس به، و فساد سائر الملل الباطلة و النّحل الفاسدة، و شؤم معاصي النّاس... أقم وجهك أيّها الرّسول ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بالأصالة، و من تبعك من المؤمنين قلباً و قالباً في كلّ ظرف من الظّروف بالتّبع لهذا الدّين الّذي يكون قوام إنسانية الإنسان و هويّته به، و هو دين الفطرة الّتي فطرالله تعالى النّاس عليها «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم» الرّوم: ۳۰) و هو الدّين الإسلامي الّذي أكمله الله جلّ وعلا يوم الغدير بولاية مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾.

قال الله تعالى: «إنّ الدّين عندالله الإسلام ـ و من يتبغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل» آل عمران: ۱۹ و ۸۵)

و قال: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً» المائدة: ۳)

فاستقيموا أيّها المؤمنون على هذا الطّريق المستقيم: «و أنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه و لاتتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون» الأنعام: ١٥٣)

فاستقيموا عليه من قبل يوم القيامة الّذي لامردّ له لتحتّم مجيئه، يومئذ يتفرّق النّاس كلّهم فريقين لا ثالث: فريق هذا الطّريق المستقيم، فهم في الجنّة يتنعّمون بنعيمها، و فريق تلك السّبل، فهم في السّعير يذوقون أنواع عذابها...

قال الله تعالى «و يوم تقوم السّاعة يومئذ يتفرّقون فأمّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات فهم في روضة يحبرون و أمّا الّذين كفروا و كذّبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون» الرّوم: ١٤ ـ ١٦) و من هنا يعلم معنى كون سيّد الوصيّين يعسوب الدّين الإمام عليّ«عليه السلام» قسيم الجنّة و النّار.

٤٤ـ (من كفر فعليه كفره و من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون)

من كفر منكم أيّها النّاس بعد ذلك البيان، و إقامة الحجة و البرهان على المبدإ و المعاد، بالله تعالى و برسوله«صلّى الله عليه و آله» و كتابه، فعلى نفسه يعود جزاء كفره، و وبال طغيانه، فسيلقى الجزآء الّذي يستحقّه من الخزي و الهوان في الدّنيا، و من العذاب و النّار في الآخرة.

قال الله تعالى: «فأمّا الّذين كفروا فاُعذّبهم عذاباً شديداً في الدّنيا و الآخرة و ما لهم من ناصرين» آل عمران: ٥٦).

و **قوله تعالى:** «و من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون» و من عمل منكم أيّها النّاس عملاً صالحاً بعد الايمان، و أقام وجهه للدّين حنيفاً، فلأنفسهم يمهدون من العزّة و الفلاح، و الأمن و النّجاح، و العيش الهنيىء، و الرّاحة و الفرح، و الكرامة و الرّضوان عندالله تعالى في الحياة الدّنيا، و في القبر و عند موقف الحساب و في الجنّة.

قال الله عزّوجلّ: «فمن يعمل من الصّالحات و هو مؤمن فلا كفران لسعيه و إنّا له كاتبون ـ إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها و هم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لايحزنهم الفزع الاكبر و تتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الّذي

كنتم توعدون» الأنبيآء: ٩٤ و ١٠١ - ١٠٣)

و قال: «من آمن بالله و اليوم الآخر و عمل صالحاً فلا خوف عليهم و لاهم يحزنون» المائدة: ٦٩).

و قال: «و لا تهنوا و لاتحزنوا و انتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» آل عمران: ١٣٩).

و قال: «أنكم أشركتم بالله مالم ينزّل به عليكم سلطاناً فأيّ الفريقين أحقّ بالأمن إن كنتم تعلمون الّذين آمنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن و هم مهتدون» الأنعام: ٨١ - ٨٢).

و قال: «من عمل صالحاً من ذكر أو انثى و هو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة و لنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» النّحل: ٩٧).

و قال: «من جآء بالحسنة فله خير منها و هم من فزع يومئذ آمنون» النّمل: ٨٩)

و قال: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا و لاتحزنوا و أبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون نحن أوليآؤكم في الحياة الدّنيا و في الآخرة و لكم فيها ما تشتهي أنفسكم و لكم فيها ما تدّعون» فصّلت: ٣٠ - ٣١).

٤٥- (ليجزي الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات من فضله إنّه لايحبّ الكافرين)

كلّ ذلك ليجزي الله تعالى الّذين آمنوا بالله جلّ وعلا و رسوله «ﷺ» و باليوم الآخر، و عملوا الصّالحات، فائتمروا بأوامر الله سبحانه و انتهوا عن نواهيه... يجزيهم على قدر استحقاقهم حسب مراتب ايمانهم و درجات صالح أعمالهم، و يزيدهم من فضله على ما يشآء، إنّ الله سبحانه لايحبّ الكافرين الّذين ظلموا على الله عزّوجلّ و ظلموا أنفسهم و ظلموا على النّاس فيعذّبهم الله تعالى عذاباً أليماً بكفرهم و طغيانهم و ظلمهم و عصيانهم جزاءً و فاقاً.

إنّ الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «و يستجيب الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات و يزيدهم من فضله و الكافرون لهم عذاب شديد» الشّورى: ٢٦)

و قال: «إنّ الّذين يتلون كتاب الله و أقاموا الصّلاة و أنفقوا ممّا رزقناهم سرّاً و علانية يرجون تجارة لن تبور ليوفّيهم اجورهم و يزيدهم من فضله إنّه غفور شكور ـ و الّذين كفروا لهم نارجهنم لايقضى عليهم فيموتوا و لايخفّف عنهم من عذابها كذلك نجزى كلّ كفور» فاطر: ٢٩ ـ ٣٦).

٤٦ـ (و من آياته أن يرسل الرّياح مبشّرات و ليذيقكم من رحمته و لتجرى الفلك بأمره و لتبتغوا من فضله و لعلّكم تشكرون)

و من الأدلّة الواضحة الآفاقيّة الأنفسيّة الدّالّة على وحدانيّة الله تعالى و جلاله و عظمته، و علمه و حكمته و تدبيره في نظام الكون، و على قدرته على البعث بعد موتكم أن يرسل رياح الرّحمة إليكم أيها السّامعون في كلّ ظرف من الظّروف، رياح رحمته من جهات مختلفة: تارة شمالاً، و اخرى جنوباً، و ثالثة صبا، يرسلها إليكم لتبشّركم بنعمه عزّوجلّ عليكم و ذلك أنّ الرّياح تحرّك السّحاب، و تنشر في السّمآء ثمّ تقسّمه إلى قطع و تدفع بكلّ قطعة إلى بلد، فإذا وصلت إليه تساقط المآء على البلد المقصود، فيهتزّ و يربو و يفرح أهله بعد اليأس و القنوط، فكأنّها ناطقات بالبشارات كما فيها من الدّلالة عليها.

قال الله تعالى: «و هو الّذي يرسل الرّياح بشراً بين يدي رحمته حتّى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميّت فأنزلنا به المآء فأخرجنا به من كلّ الثّمرات كذلك نخرج الموتى لعلّكم تذكّرون و البلد الطيّب يخرج نباته بإذن ربّه و الّذى خبث لايخرج إلاّ نكداً كذلك نصرّف الآيات لقوم يشكرون» الأعراف: ٥٧ ـ ٥٨).

و قال: «و أرسلنا الرّياح لواقح فأنزلنا من السّمآء مآءً فأسقيناكموه و ما أنتم له بخازنين و إنّا لنحن نحيي و نميت و نحن الوارثون» الحجر: ٢٢ ـ ٢٣).

و قال: «و من يرسل الرّياح بشراً بين يدى رحمته أإلهٌ مع الله تعالى الله عمّا يشركون أمّن يبدؤ الخلق ثمّ يعيده و من يرزقكم من السّمآء و الأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» النّمل ٦٣ ـ ٦٤).

و قوله تعالى: «وليذيقكم من رحمته» و ليذيقكم الله عزّوجلّ بسبب هذه الرّياح من

رحمته و هي المطر، و الخصب التّابع لنزول المطر المسبّب عن الرّياح فبها حياة الأرض بعد موتها، و بها تلقيح الأشجار و تذرية الحبوب و تنمية النّبات، و دفع العفونات و اصلاح الأبدان و تصفية الأجوآء و ما إليها من النّعم و الالطاف الإلهيّة المترتّبة على جريان رياح رحمته على الخلآئق...

و **قوله سبحانه:** «و لتجري الفلك بأمره» و لتجرى السّفن في البحار بهذه الرّياح بإرادته جلّ وعلا و جعله الرّيح على اعتدال و قوام، فالفلك مسخّرلكم بأمره جلّ وعلا.

قال الله تعالى: «و سخّر لكم الفك لتجرى في البحر بأمره» إبراهيم: ۳۲).

و **قوله عزّوجلّ:** «و لتبتغوا من فضله و لعلّكم تشكرون» و لتبطلوا رزق ربّكم من فضله بالتّجارة في البحار تارة بنقل الأمتعة من قطر إلى قطر، و النّاس من بلد إلى بلد آخر، و بالغوص للدرّ تارة، و بالصّيد اخرى، مع ما في البحار من عجآئب آياته الدّالّة على وحدانيّة الله تعالى و علمه و حكمته، و جلاله و عظمته، و تدبيره و قدرته، ففي البحار منافع كثيرة: اعتقاديّة و اقتصاديّة، معنويّة و مادّية، و أخلاقيّة و اجتماعيّة، و حربيّة و سياسيّة...

و لتشكروا ربّكم على تسخير البحار و الفلك و الرّياح لكم و تصرّفكم فيها كيف شئتم، و ذهابكم فيها متى أردتم، و على ما أفاض عليكم من هذه النعم و المنافع الكثيرة المتنوّعة... فتأمنوا به و توحّدوه، فتذكّروه بقلوبكم و ألسنتكم، و تعبدون وحده، و تأتمروا بما أمركم به، و تنتهوا عمّا نهاكم عنه و لا تشركوا به شيئاً و لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها.

قال الله تعالى: «و الفلك الّتي تجرى في البحر بما ينفع النّاس» البقرة: ١٦٤).

و قال: «و هو الّذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طريّاً و تستخرجوا منه حلية تلبسونها و ترى الفلك مواخر فيه و لتبتغوا من فضله و لعلّكم تشكرون» النّحل: ١٤).

و قال: «ألم تر أنّ الفلك تجري في البحر بنعمت الله يريكم من آياته إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور» لقمان: ۳۱).

٤٧ـ (و لقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤهم بالبيّنات فانتقمنا من الّذين أجرموا و كان حقّاً علينا نصرالمؤمنين)

أقسم بعزّتي و جلالي إنّا أرسلنا من قبلك يا محمّد«ﷺ» رسلاً في فترات من الازمنة الطّويلة إلى أقوامهم الكفّار و المشركين، و الفجّار و المستكبرين، و الفسّاق و المجرمين و الطّغاة و الظّالمين، فجاءهم رسلنا بالأدلّة الواضحة و البراهين القاطعة و المعجزات الباهرة حسب مقتضيات أحوالهم على صدق رسالتهم و بطلان شرك أقوامهم و كفرهم و ضلالتهم و طغيانهم... لنتمّ الحجّة عليهم، فآمن برسلنا قليل منهم و كذّبهم الآخرون و أصرّوا على شركهم و استمرّوا على ضلالتهم، و أداموا عصيانهم...

قال الله تعالى: «تلك القرى نقصّ عليك من أنبآئها و لقد جآئتهم رسلهم بالبيّنات فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين و ما وجدنا لأكثرهم من عهد و إن وجدنا أكثرهم لفاسقين» الأعراف: ١٠١ ـ ١٠٢)

و قال: «و رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل و رسلاً لم نقصصهم عليك و كلّم الله موسى تكليماً رسلاً مبشّرين و منذرين لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل و كان الله عزيزاً حكيماً» النّسآء: ١٦٤ ـ ١٦٥)

و قال: «ليهلك من هلك عن بيّنة و يحيى من حيّ عن بيّنة» الأنفال: ٤٢).

و قال: «يا أهل الكتاب قد جآءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرّسل تقولوا ما جآءنا من بشير و لانذير فقد جآءكم بشير و نذير ـ و لقد جآئتهم رسلنا بالبيّنات ثمّ إنّ كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون» المآئه: ١٩ و ٣٢).

و قال: «جآئتهم رسلهم بالبيّنات فردّوا أيديهم في أفواههم و قالوا إنّا كفرنا بما أرسلتم به و إنّا لفي شكّ ممّا تدعوننا إليه مريب قالت رسلهم أفي الله شكّ فاطر السّموات و الأرض يدعوكم ليغفرلكم من ذنوبكم و يؤخّركم إلى أجل مسمّى قالوا إن أنتم إلاّ بشر مثلنا تريدون أن تصدّونا عمّا كان يعبد آبآؤنا فأتوا بسلطان مبين ـ فأوحى إليهم ربّهم لنهلكنّ الظّالمين» إبراهيم: ٩ ـ ١٣).

و قال: «و لقد أهلكنا القرون من قبلكم لمّا ظلموا و جآئتهم رسلهم بالبيّنات و ماكانوا

ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ثمّ جعلناكم خلآئف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون» يونس: ۱۳ ـ ۱٤).

و قوله تعالى: «فانتقمنا من الّذين أجرموا» فانتقمنا من الّذين كفروا بالله سبحانه، و كذّبوا برسلنا وجحدوا بآياتنا و طغوا و أفسدوا في الأرض... فانتقمنا منهم بأنواع البلاء، و بالخزى و الهوان، و التّدمير و الهلاك...و نجّينا رسلنا و الّذين آمنوا بهم منها، و نصرناهم على أعدآئهم الكافرين الّذين هم أعدآء الله.

قال الله عزّوجلّ: «فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقيّة ينهون عن الفساد في الأرض إلاّ قليلاً ممّن أنجينا منهم و اتّبع الّذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين و ماكان ربّك ليهلك القرى بظلم و أهلها مصلحون» هود: ۱۱٦ ـ ۱۱۷).

و قال: «و من أظلم ممّن ذكّر بآيات ربّه ثمّ أعرض عنها إنّا من المجرمين منتقمون» السجدة: ۲۲).

و قال: «فهل ينتظرون إلاّ مثل أيّام الّذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين ثمّ ننجّي رسلنا و الّذين آمنوا كذلك حقّاً علينا ننج المؤمنين» يونس: ۱۰۲ - ۱۰۳).

و قوله سبحانه: «وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين» وكان حقّاً علينا أن ننصر المؤمنين الّذين هم ينصرون ديننا في كلّ ظرف من الظّروف كما نصرنا رسلنا و الّذين آمنوا بهم من قبلك. سنّة الله الّتي شرعها و لن تجد لسنّة الله تبديلاً، فلا تحزن أنت أيها الرّسول﴿ﷺ﴾ و الّذين معك قلباً و قالباً من تكذيب الكفّار و المشركين، من وسوسة الفجّار و المستكبرين، من ذبذبة الفسّاق و المنافقين، من ضلالة الجهّال و المجرمين، و من سفاهة السّفلة و المشكّكين...

قال الله تعالى: «قد نعلم إنّه ليحزنك الّذي يقولون فإنّهم لايكذّبونك ولكنّ الظّالمين بآيات الله يجحدون و لقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذّبوا و اوذوا حتّى أتاهم نصرنا و لامبدّل لكمات الله و لقد جآءك من نباىء المرسلين و إن كان كبر عليك إعراضهم» الأنعام: ۳۳ ـ ۳۵).

و قال: «فلا تحسبنّ الله مخلف وعده رسله إنّ الله عزيز ذو انتقام» إبراهيم: ٤٧).

و قال: «إنّ الّذين يحادّون الله و رسوله اولئك في الأذلّين كتب الله لأغلبنّ أنا و رسلي إنّ الله قويّ عزيز» المجادلة: ٢٠ ـ ٢١).

و قال: «و لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنّهم لهم المنصورون و إنّ جندنا لهم الغالبون فتولّ عنهم حتّى حين و أبصرهم فسون يبصرون» الصّافات: ١٧١ ـ ١٧٥).

و قال: «إنّا لننصر رسلنا و الّذين آمنوا في الحياة الدّنيا و يوم يقوم الأشهاد» غافر: ٥١).

و قال: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّ منهم منتقمون أو نرينّك الّذي وعدناهم فإنّا عليهم مقتدرون» الزّخرف: ٤١ ـ ٤٢).

٤٨ـ (الله الّذي يرسل الرّياح فتثير سحاباً فيبسطه في السّمآء كيف يشآء و يجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشآء من عباده إذا هم يستبشرون)

الله تعالى هو الّذي يرسل الرّياح، فتنشئ سحاباً ثقالاً، و تحرّكه و تدفعه و تهيّجه، و تسوقه من مكان إلى مكان، فيبسط الله عزّوجلّ ذلك السّحاب في جهة العلوّ من الجوّ كيف يشآء، و يجعل سبحانه هذا السّحاب قطعات متراكبة متراكمة بعضها فوق بعض، و يجمعها تارة سائراً و اخرى واقفاً، ثمّ تقسّم الرّياح هذا السّحاب بأمرالله تعالى إلى قطعات، و تدفع بكلّ قطعة إلى بلد، فإذا اوصلت إليه، فترى أيّها الرّائي، قطر المطر يخرج من خلال السّحاب، و وسطه، فإذا أصاب الله تعالى بذلك المطر من يشآء من عباده، إذاً أهل البلد المطور يستبشرون بنزول المطر عليهم لأنّه مادّة حياتهم، و حياة الحيوان و النّبات، بل حياة الأرض بعد موتها و جفافها، و يتبدّل ماكان من حزنهم و قلقهم و يأسهم قبل نزوله فرحاً و سروراً و أملاً بما كان فيه من آثار رحمة الله جلّ وعلا عليهم.

قال الله تعالى: «و هو الّذى يرسل الرّياح بشراً بين يدي رحمته حتّى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميّت فأنزلنا به المآء فأخرجنا به من كلّ الثّمرات كذلك نخرج الموتى لعلّكم تذكّرون» الأعراف: ٥٧).

و قال: «ألم تر أنّ الله يُزجي سحاباً ثمّ يؤلّف بينه ثمّ يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله و ينزّل من السّمآء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشآء و يصرفه عن من يشآء» النّور: ٤٣).

و قال: «والله الّذي أرسل الرّياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميّت فأحيينا به الأرض بعد موتها و كذلك النّشور» فاطر: ٩).

٤٩ـ(و إن كانوا من قبل أن ينزّل عليهم من قبله لمبلسين)

و إن كان أهل كلّ بلد من قبل أن ينزّل عليهم المطر، من قبل نزوله لقانطين يائسين من المطر.

قال الله تعالى: «و هو الّذي ينزّل الغيث من بعد ما قنطوا و ينشر رحمته و هو الوليّ الحميد» الشورى: ٢٨).

٥٠ـ(فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحي الأرض بعد موتها إنّ ذلك لمحي الموتى و هو على كلّ شيءٍ قدير)

فانظر أيّها الرّائي ـ في كلّ ظرف من الظّروف ـ نظر تدبّر و اعتبار، نظر تعقّل و استبصار، و نظر تأمّل و استدلال... إلى آثار رحمة الله المترتّبة على تنزيل المطر من أنواع النّبات و الأشجار و أنواع الثّمار و الأزهار كيف يحيى الله الأرض بعد موتها و جفافها، إنّ ذلك العظيم الشّأن الّذي ذكر بعض شئونه كان قادراً على إحيآء الأرض بعد موتها لقادر على إحيآء الموتى لفصل القضآء يوم القيامة، إنّ ذلك العظيم الشّأن الّذي ذكر بعض شئونه كان قادراً على إحيآء الأرض بعد موتها لقادر على إحيآء الموتى لفصل القضآء يوم القيامة، فإنّ نسبة قدرته إلى جميع الممكنات على شرع سوآء، و هو جلّ وعلا على كلّ شيءٍ قدير.

قال الله تعالى: «و من آياته أنّك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها المآء اهتزّت و ربت إنّ الّذي أحياها لمحي الموتى إنّه على كلّ شيءٍ قدير» فصّلت: ٣٩).

و قال: «و نزّلنا من السّمآء ماءً مباركاً فأنبتنابه جنّات و حبّ الحصيد و النّخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد و أحيينابه بلدة ميتاً كذلك الخروج» ق: ٩ ـ ١١).

و قال: «وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها المآء اهتزّت و ربت و أنبتت من كلّ زوج بهيج ذلك بأنّ الله هو الحقّ و أنّه يحيى الموتى و أنّه على كلّ شيءٍ قدير» الحجّ: ٦).

و قال: «و الله أنزل من السّمآء مآء فأحيا به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآية لقوم يسمعون» النّحل: ٦٥).

و قال: «إعلموا أنّ الله يحيى الأرض بعد موتها قد بيّنّا لكم الآيات لعلّكم تعقلون» الحديد: ١٧).

٥١ـ(و لئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفرّاً لظلّوا من بعده يكفرون)

و أقسم بعزّتي و جلالي إنّا إن أرسلنا إلى هؤلآء القانطين اليائسين فبل تنزيل المطر عليهم، و المستبشرين بعد نزوله عليهم ريحاً رابعة و هي ريح العذاب و الدّبور و هي الرّيح الغربيّة الشّؤمة الضّارّة، فرأوا زرعهم بها متغيّراً بعد خضرته و نضرته لصاروا من بعد استبشارهم و فرحتهم به، يكفرون بالله سبحانه و يجحدون بما سلف من النّعمة عليهم بالمطر.

فللكفّار في ذلك حالات ثلاث: ١ ـ أنّهم قبل تنزيل المطر عليهم بالرّياح قانطون. ٢ ـ أنّهم بعد نزوله بالرّياح الثّلاثة المتقدّمة مستبشرون. ٣ ـ أنّهم بإرسال الرّيح الشّؤمة الغربيّة عليهم كافرون بالله سبحانه و بنعمه جاحدون.

و الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «كمثل ريح فيها صرّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته و ما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون» آل عمران: ١١٧).

و قوله: «فلمّا رأوا عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم» الأحقاف: ٢٤).

٥٢ـ(فإنّك لاتسمع الموتى و لاتسمع الصّمّ الدّعآء إذا ولّوا مدبرين)

فيا أيّها الرّسول «صلى الله عليه وآله» لاتحزن و لاتجزع لهؤلآء الكفّار و المشركين من قومك و من

يسلك مسالكهم في كلّ ظرف من الظّروف، الّذين تتبدّل بهم الأحوال من إبلاس و قنوط عند عدم نزول المطر، و من استبشار و فرح عند نزوله، و من كفر بالله سبحانه و الكفران بنعمه عند فساد الزّرع بالرّيح الغربيّة ـ فترتبط أحوالهم بالرّيح ـ فإنّهم موتى روحاً، و صمّ قلباً، و لذلك يصرّون على كفرهم و ضلالهم، و على شركهم و فسادهم، و بغيهم و عنادهم... فختم الله على قلوبهم، و على سمعهم و أبصارهم غشاوة فهم لايؤمنون، فإنّهم أعرضوا عن الحقّ و الهدى و الخير و الصّواب، و أدبروا عن الكمال و الرّشاد إدباراً دائماً كأنّهم لايسمعون أصلاً، فلا تسمعهم سمع اعتبار و استبصار إذا دعوا إلى الايمان، و هم لايسمعون سماع إفهام و قبول، فهم و الأنعام على شرع سوآء فيها، فادعهم إلى الحقّ و الهدى إتماماً للحجّة، فإنّ عليك البلاغ و إن لم يؤمنوا إذ ليس من شرط البلاغ، قبول الدّعوة.

قال الله تعالى: «و منهم من يستمع إليك و جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوا و في آذانهم وقراً و إن يروا كلّ آية لايؤمنوا بها حتّى إذا جاؤك يجادلونك يقول الّذين كفروا إن هذا إلاّ أساطير الأوّلين و هم ينهون عنه و ينأون عنه و إن يهلكون إلاّ أنفسهم و مايشعرون» الأنعام: ۲۵ ـ ۲٦).

و قال: «لهم قلوب لايفقهون بها و لهم أعين لايبصرون بها و لهم آذان لايسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضلّ اولئك هم الغافلون» الأعراف: ۱۷۹).

و قال: «و منهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصّمّ و لو كانوا لايعقلون» يونس: ٤۲).

و قال: «أرأيت من اتّخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً» الفرقان: ٤۳ ـ ٤٤).

و قال: «إنّهم عن السّمع لمعزولون» الشّعراء: ۲۱۲).

و قال: «يسمع آيات الله تتلى عليه ثمّ يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها ـ أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه و أضلّه الله على علم و ختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكّرون» الجاثية: ۸ و ۲۳).

و قال: «قل إنّما أنذركم بالوحي و لايسمع الصمّ الدّعآء إذا ما ينذرون» الأنبيآء: ٤٥).

و قال: «و ما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلاّ نذير» فاطر: ٢٢ ـ ٢٣).

و قال: «و اوحي إليّ هذا القرآن لانذركم به و من بلغ» الأنعام: ١٩).

و قال «فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلاّ البلاغ» الشّوري: ٤٨).

٥٣ـ (و ما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلاّ من يـؤمن بآيـاتنا فهم مسلمون)

و ما أنت يا محمّد(ﷺ) بهادي عمى القلوب الّتي في الصدور عن كفرهم و ضلالتهم إلى الايمان و الهدى، عن شركهم و فسادهم إلى التّوحيد و الصّلاح، عن بغيهم و طغيانهم إلى الطّاعة و التّقوى، و عن اتّباعهم لأهوآئهم إلى التّعقّل في نظام الكون و نواميس الوجود، إذ غلبت طبيعتهم الحيوانيّة على فطرتهم الإنسانيّة، فاستحبّوا العمى على الهدى، و الدّنيا على الآخرة، و العذاب على المغفرة و صمّموا على البقاء على الكفر و العصيان، و أصرّوا على الشّرك و العدوان...

قال الله تعالى: «فإنّها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصّدور» الحجّ: ٤٦).

و قال: «فاستحبّوا العمى على الهدى ـ و الّذين لايؤمنون في آذانهم وقر و هو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد» فصّلت: ١٧ و ٤٤).

و قال: اولئك الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم و ماكانوا مهتدين ـ صمّ بكم عمي فهم لايرجعون ـ و مثل الّذين كفروا كمثل الّذي ينعق بما لا يسمع إلاّ دعآء و نداء صمّ بكم عمى فهم لايعقلون ـ اولئك الّذين اشتروا الضّلالة بـالهدى و العـذاب بالمغفرة» البقرة: ١٦ و ١٨ و ١٧١ و ١٧٥).

و قال: «و منهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمى و لو كانوا لايبصرون» يونس: ٤٣).

و قال: «و إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً» الكهف: ٥٧).

و قال: «الّذين يستحبّون الحياة الدّنيا على الآخرة و يصدّون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً اولئك في ضلال بعيد» إبراهيم ٣).

و قال: «أفانت تسمع الصمّ أو تهدي العمي و من كان في ضلال مبين» الزّخرف: ۴۰).
و قال: «جعلوا أصابعهم في آذانهم و استغشوا ثيابهم و أصرّوا و استكبروا استكباراً» نوح: ۷).

و قوله عزّوجلّ: «إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون» إنّك يا محمّد﴿صلی الله علیه و آله﴾ لاتسمع سماع قبول و إفهام، سماع تعقّل و استبصار، و سماع تدبّر و اعتبار... إلاّ من يستعدّ للاهتداء و استماع الحقّ، و من يستعدّ للاستسلام و الايمان بآياتنا، فهم منقادون لأوامر الله و نواهيه كلّها...

و ذلك أنّ أهل الشّرك و الضّلال و الكفر و العمى على فريقين: فريق يعرضون عن الحقّ و الهدى و يصرّون على الكفر و العمى، فلا حيلة فيهم أن يهتدوا... كما أشار تعالى إليهم في صدر الآية، و قبلها و فريق يطلبون الحقّ و الهدى، و الخير و الرّشاد... و إليهم أشار سبحانه في ذيل الآية، و في:

قوله تعالى: «الّذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و عل جنوبهم و يتفكّرون في خلق السّموات و الأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً ـ ربّنا إنّنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربّكم فآمنّا ربّنا فاغفرلنا ذنوبنا و كفرّ عنّا سيّئاتنا و توفّنا مع الأبرار» آل عمران: ۱۹۱ ـ ۱۹۳).

و قوله سبحانه: «و إذا سمعوا ما أنزل إلى الرّسول ترى أعينهم تفيض من الدّمع ممّا عرفوا من الحقّ يقولون آمنّا فاكتبنا مع الشّاهدين و ما لنا لانؤمن بالله و ما جآءنا من الحقّ و نطمع أن يدخلنا ربّنا مع القوم الصّالحين» المآئدة: ۸۳ ـ ۸۴).

و قوله عزّوجلّ: «ربما يودّ الّذين كفروا لو كانوا مسلمين» الحجر: ۲).

و قوله جلّ وعلا: «و إذا يتلى عليهم قالوا آمنّا به إنّه الحقّ من ربّنا إنّا كنّا من قبله مسلمين» القصص: ۵۳).

۵۴ـ (الله الّذي خلقكم من ضعف ثمّ جعل من بعد ضعف قوّة ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و شيبة يخلق ما يشآء و هو العليم القدير)

الله تعالى هو الّذي خلقكم أيّها النّاس من مراتب الضّعف: من التّراب و الطّين و المآء

المهين، و النّطفة في قرار مكين، ثمّ من ضعف مراحل ظلمات ثلاث في الرّحم حتّى أنشأكم بشراً سوّياً و أخرجكم ضعفآء من بطون اُمّهاتكم... ثمّ جعل لكم من بعد مراحل اُخر من الضّعف و هي ضعف الطّفوليّة جسماً و روحاً إذ لاتقدرون على الأكل و الشّرب و دفع الذّباب و الأذیٰ عنكم، و تظهرون تلك المراحل من الضّعف بالبكآء، و لاتقدرون على الأخذ و المشيء و البطش و غيرها من التّصرّفات مراحل من القوّة جسماً و روحاً من الرّشد و الشّباب و البلوغ والعقل و الأخذ و البطش و الحلّ و العقد و ما إليها من التّصرّفات الفرديّة و الاجتماعية على أبعادها المختلفة المادّيّة و المعنويّة، الاقتصاديّة و الاعتقاديّة و الدّنيويّة و الاخرويّة...

ثمّ جعل لكم من بعد سيركم تلك المراحل من القوّة، ضعف الجسم من الكبر و الشيخوخيّة، و ضعف الرّوح و العقل و العلم من الهرم و الكهولة، و قواكم الظّاهرة و الباطنة... حيث إنّ الضّعف يقابل القوّة الجسميّة و الرّوحيّة معاً.

كلّ ذلك بيد الله جلّ وعلا و إرادته فإنّه تعالى يخلق ما يشآء من الضّعف و القوّة على قسميه الجسميّة و الرّوحيّة بمراتبها و درجاتها و مراحلها... و هو وحده العليم بتدبير خلقه، القدير على ما يشآء، و كيف ما يشآء.

إنّ الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «يا أيها النّاس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغة مخلّقة و غير مخلّقة لنبيّن لكم و نقرّ في الأرحام ما نشآء إلى أجل مسمّى ثمّ نخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم و منكم من يتوفّى و منكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً» الحجّ: ٥).

و قوله سبحانه: «و من نعمّره ننكّسه في الخلق أفلا يعقلون» يس: ٦٨).

و قوله عزّوجلّ: «يخلقكم في بطون اُمّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلاّ هو فأنى تصرفون» الزمر: ٦).

و قوله جلّ وعلا: «هو الّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ يخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً و منكم من يتوفّى من قبل و لتبلغوا أجلاً مسمّى و لعلّكم تعقلون» الغافر: ٦٧)

و قوله تعالى: «و من آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون» الرّوم: ۲۰)

و قوله سبحانه: «فلينظر الانسان ممّ خلق خلق من مآء دافق يخرج من بين الصّلب و التّرآئب إنّه على رجعه لقادر يوم تبلى السّرآئر» الطارق: ۵ ـ ۹).

۵۵ـ (و يوم تقوم السّاعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون)

و اذكر يا محمّد ﴿ﷺ﴾ يوم تقوم السّاعة ـ و هي القيامة و يوم البعث و النّشور لفصل القضاء بين العباد ـ يحلف بعض الكفّار و المشركين و الفجّار و المستكبرين و البغاة و المنكرين للبعث و الحساب... أنّهم لم يلبثوا في حياتهم و موتهم و برزخهم كلّها مع طولها إلى يوم يبعثون بالنّسبة إلى الآخرة إلاّ بمقدار ساعة قصيرة من نهار.

فبعضهم يقولون: إلاّ عشرة أيّام، و بعضهم إلاّ يوماً واحداً و بعضهم، بعض يوم...

قال الله تعالى: «يوم ينفخ في الصّور و نحشر المجرمين يومئذ زُرقاً يتخافتون بينهم ان لبثتم إلاّ عشراً نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلاّ يوماً» طه: ۱۰۲ ـ ۱۰۴).

و قال: «يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده و تظنّون إن لبثتم إلاّ قليلاً» الإسراء: ۵۲).

و قال: «و يوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلاّ ساعة من النّهار يتعارفون بينهم» يونس: ۴۵).

و قال: «قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فسئل العادّين قال إن لبثتم إلاّ قليلاً لو أنّكم كنتم تعلمون» المؤمنون: ۱۱۲ ـ ۱۱۴).

و قال: «و لا تستعجل لهم كأنّهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلاّ ساعة من نهار» الأحقاف: ۳۵).

و قال: «يسئلونك عن السّاعة أيّان مرساها ـ كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشيّة أو ضحاها» النّازعات: ۴۲ ـ ۴۶).

و **قوله عزّ وجلّ**: «كذلك كانوا يؤفكون» فها هم اولآء صرفوا في الدّار الآخرة عن حقيقة مدّة مكثهم في الحياة الدّنيا و عالم برزخهم إلى يوم يبعثون كما كانوا يصرفون عن

حقيقة البعث و الحقّ و الهدى في الحياة الدّنيا. من أفك الرّجل: إذا صرف عن الحقّ و الصّدق و الخير.

٥٦ـ (و قال الّذين اوتوا العلم و الإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث و لكنّكم كنتم لاتعلمون)

و قال الّذين اوتوا العلم بالكتاب و هو القرآن المجيد و فهموه و اوتوا الإيمان بالكتاب، فائتمروا بما أمرهم الله به و انتهوا عمّا نها هم عنه و هم أهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين أوّلاً و بالأصالة، ثمّ العلمآء المؤمنون العاملون و المؤمنون الصّادقون ثانياً و بالتّبع دون غيرهم، فهم يقولون يوم القيامة لغيرهم من الكفّار و المشركين، و الفجّار و المستكبرين، و الفسّاق و المنافقين، و البغاة و الظّالمين...: لقد لبثتم هكذا من السّنين في الحياة الدّنيا، و في عالَم البرزخ إلى يوم البعث كلّها ثابت معلوم لنا من كتاب الله جلّ وعلا، و يقولون لهم: إن كنتم في شكّ منه فهذا يوم البعث الّذي كنتم تكذّبون به ولاتصدّقون في الحياة الدّنيا لجهلكم بالكتاب، و هذا الجهل منشأ شركم بالله سبحانه و كفركم بالله تعالى و تكذيبهم برسوله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و جحدكم بآياته، و إنكاركم للبعث و الحساب و الجزآء و فسادكم في الحرث و النّسل.

قال الله تعالى: «بل هو آيات بيّنات في صدور الّذين اوتوا العلم و ما يجحد بآياتنا إلاّ الظّالمون» العنكبوت: ٤٩).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق و لكن أُخبركم عنه، ألا إنّ فيه علم ما يأتي و الحديث عن الماضي...» الخطبة: ١٥٧).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «فاسئلوني قبل أن تفقدوني فو الّذي نفسي بيده لاتسئلونني عن شيئ فيما بينكم و بين السّاعة و لا عن فئة تهدي مأة و تضلّ مأة إلاّ أنبأتكم بناعقها و قائدها و سآئقها و مناخ ركابها و محطّ رحالها، و من يقتل من أهلها قتلاً و من يموت منهم موتاً...» الخطبة: ٩٢).

و فيه: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «و الله لو شئت أن اخبر كلّ رجل منكم بمخرجه و مولجه و جميع شأنه لفعلت ـ أيها النّاس إنّي والله ما أحثّكم على طاعة إلاّ و أسبقكم إليها و لا أنهاكم عن معصية إلاّ و أتناهى قبلكم عنها» الخطبة: ١٧٤).

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ في أهل بيت الوحي المعصومين ﴿عليهم السلام﴾ ـ: «فيهم كرآئم القرآن، و هم كنوز الرّحمن، إن نطقوا صدقوا و إن صمتوا لم يسبقوا...» الخطبة: ١٥٣)

و فيه: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ في أوليآء الله ـ: «...بهم علم الكتاب و به علموا، و بهم قام الكتاب و به قاموا...»

٥٧ـ (فيومئذ لاينفع الّذين ظلموا معذرتهم و لاهم يستعتبون)

فيوم البعث و الحساب و الجزآء لاينفع الّذين ظلموا على الله سبحانه بالشّرك بالله جلّ وعلا، و تكذيب رسوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و الكفر بآياته، و إنكار البعث، و ظلموا المجتمع الإنسانيّ بإفساد الحرث و النّسل فيه بسبب شركهم و كفرهم... و ظلموا أنفسهم بالخزي و الانحطاط، و الهوان و الهلاك في الحياة الدّنيا، و بالعذاب و النّار في الدّار الآخرة، فلا يقبل منهم اعتذارهم على الشرّك و الفساد، و الكفر و العناد، و لايقبل منهم استرضاءهم على البغي و الجناية و الظّلم و الخيانة، و الغي و الغواية لأنّ التكليف قد زال وقته، حيث إنّ دار الآخرة دارحساب و جزاء لادار توبة و اعتذار و استرضآء فإنّهم ليسوا ممّن يرضى عنهم.

قال الله عزّوجلّ: «يوم لاينفع الظّالمين معذرتهم و لهم اللعنة و لهم سوء الدّار» غافر: ٥٢).

و قال: «يا أيّها الّذين كفروا لاتعتذروا اليوم انّما تجزون ما كنتم تعملون» التّحريم: ٧).

و قال: «ويل يومئذ للمكذّبين هذا يوم لاينطقون و لا يؤذن لهم فيعتذرون» المرسلات: ٣٤ ـ ٣٦).

و قال: «ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون» الزّخرف: ٣٩).

و قال: «و يوم نبعث من كلّ امّة شهيداً ثمّ لايؤذن للّذين كفروا ولاهم يستعتبون» النّحل: ٨٤).

و قال: «يومئذ لاتنفع الشّفاعة إلاّ من أذن له الرّحمن و رضي له قولاً» طه: ١٠٩).

و قال: «فإنّ الله لايرضى عن القوم الفاسقين» التّوبه: ٩٦).

٥٨ـ (و لقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل و لئن جئتهم بآية ليقولنّ الّذين كفروا إن أنتم إلاّ مبطلون)

و أُقسم أيّها الرّسول(ﷺ) بعزّتنا و جلالنا انّا أوضحنا للنّاس جميعاً الحقّ، و بيّنّاه لهم في كلّ ظرف من الظّروف، في مجموع هذا القرآن الكريم من كلّ مثل، و ضربنا لهم الأمثال و ذكرنا الآيات الآفاقيّة و الأنفسيّة الدّالّة على المبدإ و المعاد و صدق الرّسالة.

قال الله تعالى: «و له المثل الأعلى في السّموات و الأرض و هو العزيز الحكيم ضرب لكم من أنفسكم» الرّوم: ٢٧ ـ ٢٨)

و قال: «كذلك يضرب الله الأمثال للّذين استجابوا الربّهم الحسنى و الّذين لم يستجيبوا له لو أنّ لهم ما في الأرض جميعاً و مثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب و مأواهم جهنّم و بئس المهاد» الرّعد: ١٧ ـ ١٨).

و قال: «و لقد صرّفنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل فأبى أكثر النّاس إلاّ كفوراً» الإسراء: ٨٩).

و قال: «و تلك الأمثال نضربها للنّاس و ما يعقلها إلاّ العالمون» العنكبوت: ٤٣).

و قال: «و لقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلّهم يتذكّرون» الزّمر: ٢٧).

و قال: «و تلك الأمثال نضربها للنّاس لعلّهم يتفكّرون» الحشر: ٢١) كلّ ذلك ليستبينوا الحقّ و يهتدوا إليه و يتّبعوه، و يعرضوا عن الباطل و يتركوه.

و **قوله تعالى**: «و لئن جئتهم بآية ليقولنّ الّذين كفروا إن أنتم إلاّ مبطلون» و أقسم بالله جلّ وعلا إنّك أيّها الرّسول(ﷺ) إن جئت النّاس بأيّة آية من الآيات القرآنيّة أو أيّة

آية من الآيات الآفاقيّة و الأنفسيّة، أو أيّة معجزة من المعجزات القاهرة الدّالّة على المبدأ و المعاد و صدق الرّسالة و ما إليها... ليقولنّ الّذين كفروا منهم لفرط عتوّهم و استكبارهم، و شدّة عنادهم و لجاجهم، و قساوة قلوبهم و غلبة طبيعتهم الحيوانيّة على فطرتهم الإنسانيّة مخاطبين لك يا رسول«ﷺ» و للمؤمنين بك: ما أنتم إلاّ أهل الباطل، فلستم بحقّ، و لا ما جئتموه بصدق.

قال الله تعالى: «و ما نرسل المرسلين إلاّ مبشّرين و منذرين و يجادل الّذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحقّ و اتّخذوا آياتي و ما انذروا هزواً و من أظلم ممّن ذكّر بآيات ربّه فأعرض عنها و نسى ما قدّمت يداه إنّا جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه في آذانهم و قراً و إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً» الكهف: ۵۶ ـ ۵۷)

۵۹ـ (كذلك يطبع الله على قلوب الّذين لايعلمون)

مثل ذلك الطبع الفضيح على قلوب هؤلآء الكفّار و المشركين و الفجّار و المجرمين و البغاة و الظّالمين و الطّغاة و المنكرين للبعث الّذين يسمّون المحقّين مبطلين، و الحقّ باطلاً، و الهدي ضلالة، و الصّلاح فساداً، و الخير شرّاً... يطبع قلوب الّذين لايطلبون العلم و لايتفقّهون في الدّين، و لايتفكّرون في الآيات الآفاقيّة و الأنفسيّة، و هم عن حقائق الدّين و معارف القرآن الكريم و حكم الإسلام و أسرار الكون غافلون و على سفاهتهم و جهلهم و ارتيابهم يصرّون، و لايعلمون أنّهم لايعلمون، و لايعلمون إلاّ من ظاهر الحياة الدّنيا، فالجهل هو الموجب لطبع القلوب...

قال الله تعالى: «يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا و هم عن الآخرة غافلون» الرّوم: ۷)

و قال: «بل أكثرهم لايعلمون الحقّ فهم معرضون» الأنبيآء: ۲۴)

و قال: «ألا إنّهم هم السّفهآء و لكن لايعلمون ـ اولئك الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم و ما كانوا مهتدين» البقرة: ۱۳ ـ ۱۶)

و قال: «ذلك بأنّهم استحبّوا الحياة الدّنيا على الآخرة و أنّ الله لايهدي القوم الكافرين اولئك الّذين طبع الله على قلوبهم و سمعهم و أبصارهم و اولئك هم الغافلون لاجرم أنّهم في الآخرة هم الخاسرون» النّحل: ۱۰۷ ـ ۱۰۹)

٦٠ـ(فاصبر إنّ وعد الله حقّ و لايستخفّنّك الّذين لايوقنون)

إذا علمت أيها الرّسول «صلى الله عليه وآله وسلم» حال هؤلآء الكفّار و المشركين، و البغاة و المجرمين، و الطّغاة و الظّالمين، و إصرارهم على كفرهم و ضلالهم، و شركهم و فسادهم، و جهلهم و عنادهم و اتّباعهم لأهوآءهم و طبع قلوبهم... فاصبر مستعيناً بالله تعالى على احتمال المكروه و الأذى و الأقاويل الباطلة منهم إلى أن يتحقّق وعدالله الحقّ لامحالة بالنّصر لك و لمن تبعك حقّاً، و إعزاز دينك و إظهاره على الدّين كلّه... و لايحملنّك الّذين لايوقنون بآيات الله جلّ وعلا، و لايؤمنون بالله و رسوله «صلى الله عليه وآله وسلم» و لابالبعث و الحساب و الجزآء يوم القيامة و لابما جئتهم به، على الخفّة و الطّيش و القلق و الاضطراب في تبليغ الرّسالة بترك الصّبر، فاصبر لحكم ربّك فإنّك بأعيننا كما صبر اولوا العزم من الرّسل و لاتستعجل، و إنّ الله تعالى مع الصّابرين.

قال الله جلّ وعلا: «قد نعلم إنّه ليحزنك الّذي يقولون فإنّهم لايكذّبونك و لكنّ الظّالمين بآيات الله يجحدون و لقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا و أوذوا حتّى أتاهم نصرنا و لامبدّل لكلمات الله و لقد جاءك من نباىء المرسلين و إن كان كبر عليك إعراضهم» الأنعام: ٣٣ ـ ٣٥).

و قال: «فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرّسل و لاتستعجل لهم كأنّهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلاّ ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلاّ القوم الفاسقون» الأحقاف: ٣٥).

و قال: «و اصبر و ما صبرك إلاّ بالله و لاتحزن عليهم و لاتك في ضيق ممّا يمكرون» النّحل: ١٢٧).

و قال: «و اصبر لحكم ربّك فإنّك بأعيننا و سبّح بحمد ربّك حين تقوم و من اللّيل فسبّحه و إدبار النّجوم» الطّور: ٤٨ ـ ٤٩).

و قال: «فاصبر لحكم ربّك و لاتكن كصاحب الحوت إذ نادى و هو مكظوم» القلم: ٤٨).

و قال: «و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً و ذرني و المكذّبين أُولى النّعمة و مهّلهم قليلاً» المزّمّل: ١٠ ـ ١١).

و قال «فاصبر إنّ وعدالله حقّ فإمّا نرينّك بعض الّذي نعدهم أونتوفّينّك فإلينا يرجعون» غافر: ٧٧).

و قال: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون أونرينّك الّذي وعدناهم فإنّا عليهم مقتدرون» الزّخرف: ٤١ ـ ٤٢).

و قال: «و إذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلّمهم أنّ النّاس كانوا بآياتنا لايوقنون» النّمل: ٨٢).

و قال: «و إذا قيل إنّ وعدالله حقّ و السّاعة لاريب فيها قلتم ما ندري ما السّاعة إن نظنّ إلاّ ظنّاً و ما نحن بمستيقنين و بدا لهم سيّئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن» الجاثية: ٣٢ ـ ٣٣).

«جملة المعاني»

٣٤١٠ـ(الٓمٓ)

رمز من الرّموز بين الله تعالى و من عنده علم الكتاب، من آل محمد عليهم صلوات الله و المصلّين.

٣٤١١ـ(غلبت الرّوم)

غُلِبَتِ أهل الرّوم من أهل فارس في زمن النّبيّ الكريم«ﷺ».

٣٤١٢ـ(في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون)

في أدنى الأرض من البلاد المتأخمّة للجزيرة العربيّة في الشّام، و جزيرة الفرات إلى أرض فارس، و أهل الرّوم من بعد غلبة أهل فارس إيّاهم، سيغلبون أهل فارس ألبتّة.

٣٤١٣ـ(في بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون)

تغلب أهل الرّوم على أهل فارس بين الثّلات إلى العشر من السّنين بعد أن غلبت أهل فارس على أهل الرّوم، لله تعالى وحده أمر غلبة أهل فارس على أهل الرّوم أوّلاً، ثمّ غلبة أهل الرّوم على أهل فارس، و يفرح المؤمنون يوم غلبة الرّوم على الفرس، فإنّها مقدّمة لغلبة المسلمين على كليهما و على المشركين جميعاً.

٣٤١٤ـ(بنصرالله ينصر من يشآء و هو العزيز الرّحيم)

ذلك بنصر من الله جلّ وعلا ينصر من يشآء من عباده المؤمنين على الكفّار و المشركين، و هو تعالى ذو القوّة و البأس و الإنتقام من الفجّار و المجرمين، ذوالرّحمة الخاصّة بالمجاهدين في سبيله بأموالهم و أنفسهم.

٣٤١٥ـ(وعدالله لايخلف الله وعده ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون)

وعدالله تعالى حقّ يتحقّق لامحالة فإنّ الله سبحانه لايخلف وعده، ولكنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف لايعلمون أنّ النّصر الإلهيّ مشروط بشرآئط، فإذا تحقّقت الشّرائط لايتخلّف المشروط.

٣٤١٦ـ(يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا و هم عن الآخرة هم غافلون)

هؤلآء النّاس يعلمون ظاهراً حقيراً خسيساً من متاع الدّنيا و شهواتها... و هم عن عالَم الآخرة و أهوالها و حسابها و جزآئها غافلون.

٣٤١٧ـ(أولم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السّمٰوات و الأرض و ما بينهما إلاّ بالحقّ و أجل مسمّى و إنّ كثيراً من النّاس بلقآء ربّهم لكافرون)

أولم يتفكّر هؤلآء الغافلون في أنفسهم الّتي هي مرآة يرى فيها الانسان كمال عظمة الله و جلاله وسعة علمه و حكمته، و تدبيره و قدرته... فيعلموا أنّ الله تعالى ما خلق السّموات و الأرض و ما بينهما إلاّ بالحقّ و لأجل ينتهي إليه؟ و إنّ كثيراً من النّاس في كلّ ظرف من الظّروف بلقاء ربّهم يوم القيامة لكافرون، فلايصدّقون أنّهم ملاقون ثواب ربهم و عقابه يومئذ بما عملوا في الحياة الدّنيا.

٣٤١٨ـ (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوّة و أثاروا الأرض و عمروها أكثر ممّا عمروها و جآءهم رسلهم بالبيّنات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

أولم يسيروا ـ هؤلآء الغافلون ـ عن نظام الكون و نواميس الوجود، في أقطار الأرض و أكنافها فينظروا إلى آثار قدرة الله تعالى على الأُمم المكذّبة الهالكة قبلهم، كيف كان عاقبة أمرهم في كفرهم و ظلمهم، كانوا هم أشدّ من هؤلآء الكفّار الغافلين قوة جسمانيّة، و قلّبوا الأرض للزّراعة و استنباط المياه و استخراج المعادن و ما إليها، و أوجدوا فيها العمران على فنونه و أنواعه... أكثر ممّا عمرها العرب، و جآئتهم رسلهم بالبراهين القاطعة الدّالّة على المبدإ و المعاد و صدق الرّسالة، فكذّبوهم، فأُخذوا بذنوبهم بأنواع العذاب، فما كان الله سبحانه ليظلم هؤلآء المكذّبين بإهلاكهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بسوء اختيارهم إذ كذّبوا الرّسل عليهم السّلام، فاستحقّوا العذاب.

٣٤١٩ـ (ثمّ كان عاقبة الّذين أساؤا السّوآى أن كذّبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزؤن)

ثمّ كان عاقبة كلّ من سلك مسالك اولئك المكذّبين في الإسائة من هذه الامّة عقوبة سيّئة و هي عذاب جهنّم يوم القيامة، و كانت إسآئتهم أنّهم كذّبوا بآيات الله، و كانوا بها يستهزؤن.

٣٤٢٠ـ (الله يبدؤا الخلق ثمّ يعيده ثمّ إليه ترجعون)

الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق، منفرداً بإنشآئه من دون شريك، ثمّ يعيده إلى ما كان من قبل أن يكون شيئاً مذكوراً، ثمّ إلى الله سبحانه بعد إفنآئه إيّاكم تردّون أيّها النّاس.

٣٤٢١ـ(و يوم تقوم السّاعة يبلس المجرمون)

و اذكر أيّها الرّسول«ﷺ» للنّاس جميعاً يوم تقوم السّاعة يسكت المجرمون سكوت يأس من رحمة الله تعالى، متحيّرون فيما يفعل بهم، و قد انقطعت حجّتهم و ما كانوا يستطيعون أن يعتذروا بما فعلوا.

٣٤٢٢ـ(و لم يكن لهم من شركآئهم شفعآؤا و كانوا بشركآئهم كافرين)

و لم يكن لهؤلآء المشركين المجرمين من آلهتهم الّذين اتّخذوها شركآء لله سبحانه شفعآء يشفعون لهم عندالله تعالى، و كانوا هم بشركآئهم يوم القيامة كافرين.

٣٤٢٣ـ(و يوم تقوم السّاعة يومئذ يتفرّقون)

و اذكر أيّها الرّسول«ﷺ» للنّاس: أنّهم يوم القيامة يتفرّقون فريقين: فريق الإيمان، و فريق الكفر و لاثالث.

٣٤٢٤ـ(فأمّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات فهم في روضة يُحبرون)

فأمّا الّذين آمنوا بالله تعالى و رسوله«ﷺ» و باليوم الآخر، و عملوا الصّالحات، فهم في روضة من رياض الجنّة يتنعّمون بنعيمها، و يسرّون بأنواع مسارّها...

٣٤٢٥ـ(و أمّا الّذين كفروا و كذّبوا بآياتنا و لقآء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون)

و أمّا الّذين كفروا بالله سبحانه و كذّبوا بآياتنا، و بالبعث و الحساب و الجزاء، فاولئك الموصوفون بالكفر و التّكذيب و إنكار البعث و الحساب و الجزآء هم يومئذٍ يساقون إلى نار جهنّم سوقاً و لايغيبون عن عذابها أبداً.

٣٤٢٦ـ(فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون)

فإذا تبيّن لكم معاشر النّاس بالآيات الكونيّة وحدانيّة الله و عظمته، فسبّحوه و نزّهوه عن كلّ ما لا يليق بساحة قدسه، و ما ينافي عظمته و جلاله، حين تدخلون المسآء، و حين تدخلون الصّباح.

٣٤٢٧ـ(و له الحمد في السّموٰات و الأرض و عشيّاً و حين تظهرون)

ولله تعالى وحده الحمد كلّه في السّموات و الأرض، و سبّحوا الله تعالى وقت العصر، و حين تدخلون في الظّهيرة.

٣٤٢٨ـ(يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون)

إنّ الله سبحانه يخرج الإنسان الحيّ من التّراب الميّت، و المؤمن الحيّ من الكافر الميّت و بالعكس، و هو تعالى يحيي الأرض بالمطر بعد يبسها و جفافها، و كذلك تبعثون بعد موتكم لفصل القضآء.

٣٤٢٩ـ(و من آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون)

و من الأدلّة الواضحة على المبدإ و المعاد: أن خلقكم الله تعالى معاشر النّاس من أصل ميّت ترابيّ لا حياة له، ثمّ أنتم لم تلبثوا أن كثرتم، و انتشرتم في أكناف الأرض تتصرّفون فيما هو قوام معاشكم.

٣٤٣٠ـ(و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّة و رحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون)

و من آيات الله الدّالّة على وحدانيّته: أن خلق الله تعالى لكم من جنسكم أزواجاً لتستأنسوا بها و جعل سبحانه بين الزّوج و زوجته مودّة تتوادّون بها، و رحمة تتراحمون بها، إنّ فيما سبق من الآيات التكوينيّة و التّدونيّة لعلامات واضحات على المبدإ و المعاد لقوم يتفكّرون فيها.

٣٤٣١ـ(و من آياته خلق السّموٰات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين)

و من آيات الله التّكوينيّة الآفاقيّة الواضحة على وحدانيّة الله جلّ وعلا: خلق السّموات و ما فيها، و خلق الأرض و ما فيها، و اختلاف ألسنتكم في النّطق و التّكلّم، و اختلاف ألوانكم و صوركم... إنّ فيما ذكر لدلالات قاطعة للعلمآء الرّبّانيّين.

٣٤٣٢ـ(و من آياته منامكم باللّيل والنّهار و ابتغآؤكم من فضله إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون)

و من آيات الله جلّ وعلا نومكم باللّيل و النّهار، و طلبكم المعاش من فضله ليلاً و نهاراً، إنّ فيما تقدّم لعلامات لقوم يسمعون الآيات سماع تفهّم و استبصار.

٣٤٣٣ـ(و من آياته يريكم البرق خوفاً و طمعاً و ينزّل من السّمآء مآءً فيحيي به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

و من آيات الله التكوينيّة الآفاقيّة: يريكم البرق تخافون خوفاً من الصّواعق... و

تطمعون طمعاً في المطر... و ينزّل الله تعالى من السّمآء مطراً نافعاً، فيحيى به الأرض بعد يبسها و جدوبها، إنّ في ذكرها لدلالات واضحات لقوم يعقلون فيها.

٣٤٣٤ـ(و من آياته أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره ثمّ إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون)

و من آيات الله تعالى على المبدإ و المعاد: أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره بغير عمد ترونها، ثمّ إذا دعاكم الله تعالى بعد انقضآء الأجل دعوة واحدة من الأرض، فاجأتم الخروج منها سراعاً.

٣٤٣٥ـ(و له من في السّموات و الأرض كلّ له قانتون)

كيف تشركون بالله سبحانه و تنكرون البعث بعد موتكم حالكون هذا النّظام الموجود كلّه خاضع لأمرالله جلّ وعلا طوعاً و كرهاً.

٣٤٣٦ـ(و هو الّذي يبدؤا الخلق ثمّ يعيده و هو أهون عليه و له المثل الأعلى في السّموات و الأرض و هو العزيز الحكيم)

والله جلّ وعلا هو الّذي ينشئ الخلق من دون أصل له و لاشيئ ثمّ يعيده بعد موته كما بدأه لفصل القضآء، و هذه الإعادة هي هيّنة على الله تعالى، ولله سبحانه خاصّة، الوصف العجيب الشّأن في السّموات و الأرض، و هو وحده القادر الّذي لايعجز عن بدء ممكن و إعادته، الحكيم الّذي لايفعل إلاّ ما فيه حكمة إلهيّة و مصالح العباد.

٣٤٣٧ـ(ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من

شركآء فيما رزقناكم فأنتم فيه سوآء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون)

ضرب الله لكم أيها المشركون بالله سبحانه، و المنكرون للبعث بعد موتكم مثلاً من أنفسكم: هل لكم يا معشر المشركين الأحرار ... ممّا ملكت من مماليككم من شركآء فيما رزقناكم، فتكونون أنتم المالكون و مماليككم في الأموال و الأملاك مستوين، حالكونكم خائفين مماليككم أن يستبدّوا بالتّصرّف فيها بدون رأيكم كما يخاف الأحرار منكم بعضهم من بعض، مثل ذلك التّمثيل الواضح نكشف معانيه لقوم يعقلون في الأمثال...

۳٤۳۸ـ(بل اتّبع الّذين ظلموا أهوآءهم بغير علم فمن يهدي من أضلّ الله و مالهم من ناصرين)

بل اتّبع الّذين أهوآءهم عن جهل، هم الّذين ظلموا الله سبحانه بالشّرك، و ظلموا أنفسهم بالشّرك إذ استحقّوا به الخزي و العذاب، و ظلموا المجتمع البشري بالإفسادفيه، فلا يقدر أحد على هداية من اتّبع هواه عن جهل، و ما لهم من ناصر ينصرهم من الخزي و العذاب.

۳٤۳۹ـ(فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون)

إذا تبيّن لك الحقّ فاقبل على هذا الدّين بتمام وجودك، مائلاً عن غيره من الأديان كلّها، لأنّ حقيقة هذا الدّين الإسلامي بُنِيَت على فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها جميعاً لاتغيير لخلق الله و هو فطرة التّوحيد، و فطرة التّوحيد غير المتغيّرة هى الدّين القيّم الثّابت، ولكنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف لايعلمون أنّ فطرة التّوحيد لاتتبدّل.

٣٤٤٠ـ(منيبين إليه و اتّقوه و أقيموا الصّلاة و لاتكونوا من المشركين)

حالكونكم معشر المؤمنين راجعين متّجهين إلى الله جلّ وعلا، و خافوه فلا تشركوا به سبحانه، و داوموا على إقامة الصّلاة و حفظ حدودها و لاتكونوا من زمرة المشركين بالله تعالى.

٣٤٤١ـ(من الّذين فرّقوا دينهم و كانوا شيعاً كلّ حزب بمالديهم فرحون)

من الّذين فرّقوا دينهم حسب اختلاف أهوآءهم، و صاروا فرقاً مختلفة، كلّ فرقة منهم بما عندهم من الدّين المختلق مسرورون.

٣٤٤٢ـ(و إذا مسّ النّاس ضُرّ دعوا ربّهم منيبين إليه ثمّ إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربّهم يشركون)

و إذا أصاب النّاس شيئ من الضّرّ و لو قليلاً دعوا لكشفه ـ بحسب فطرتهم ـ ربّهم الله تعالى، حالكونهم منقطعين عن غيره، راجعين إليه وحده، ثمّ إذا أذاقهم الله من فضله رحمة، إذاً فريق منهم بربّهم يشركون.

٣٤٤٣ـ(ليكفروا بما آتيناهم فتمتّعوا فسوف تعلمون)

هم أشركوا بالله سبحانه لكي يجحدوا بنعم الله تعالى عليهم، فتمتّعوا أيّها المشركون فسوف تعلمون عاقبة شرككم بالله جلّ وعلا.

٣٤٤٤ـ(أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون)

ءأنزلنا على هؤلآء المشركين حجّة على شركهم بالله سبحانه، فهي تنطق بهذا الشّرك الّذي هم فيه.

٣٤٤٥ـ (و إذا أذقنا النّاس رحمة فرحوابها و إن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون)

و إذا أذقنا هؤلآء المشركين، و كلّ من يسلك مسالكهم في كلّ ظرف، رحمة فرحوا بها، و إن تصبهم مصيبة تسؤهم بسبب ما أسلفوا من سيّيء أعمالهم، إذاهم ييأسون من الفرج و الخير كلّه.

٣٤٤٦ـ (أولم يروا أنّ الله يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

ألم يعلم هؤلاء المشركون أنّ الله تعالى يبسط الرّزق لمن يشآء فيوسعه عليه امتحاناً، و يقدره على من يشآء من عباده، فيضيقه ابتلاءً كلّ ذلك لمصالحهم... إنّ في بسط الرّزق و قدره لعلامات دالّة على وحدانيّة الله سبحانه لقوم يؤمنون بها.

٣٤٤٧ـ (فآت ذاالقربى حقّه و المسكين و ابن السّبيل ذلك خير للّذين يريدون وجه الله و اولئك هم المفلحون)

فآت أيّها النبيّ الكريم «صلى الله عليه وآله» ذاقرابتك الخاصّة منك، حقّه الخاصّ عليك، و أعط أيّها الرّسول «صلى الله عليه وآله» و من تبعك حقّ المسكين و ابن السّبيل، ذلك الايتاء و الإعطاء خير للمؤمنين الصّادقين الّذين يريدون بذلك رضا الله تعالى فحسب، و اولئك هم الفائزون برضاء الله جلّ وعلا.

٣٤٤٨ـ (و ما آتيتم من رباً ليربوا في أموال النّاس فلايربوا عندالله و ما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون)

و ما أعطيتم أيّها المؤمنون مؤمناً أو مسلماً من هبة و نحوها طمعاً لتعطوا أكثرمنها فلا

ثواب لكم عندالله فيها، و ما أعطيتم ذوي الحاجات من صدقة تريدون بها وجه الله سبحانه فاولئك هم الّذين أضعفت صدقاتهم في الدّار الآخرة، و أكثرت أموالهم في الحياة الدّنيا بالحفظ و البركة.

٣٤٤٩ـ (الله الّذي خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم هل من شركآئكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه و تعالى عمّا يشركون)

الله الّذي خلقكم معشر النّاس و أنشأ خلقكم، ثمّ رزقكم بأنواع نعمه، ثمّ يميتكم عند انقضآء آجالكم، ثمّ يحييكم بعد موتكم لفصل القضآء، هل من بين شركآئكم على اختلاف أشكالها... أحد أن يفعل فعلاً من تلك الأفعال الّتي فعلها الله تعالى؟ نزّهوه تنزيهاً، و قدّسوه تقديساً عمّا يشركون به.

٣٤٥٠ـ (ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي النّاس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون)

فشا و انتشر الفساد على وجه الأرض من برّها و بحرها بسبب فساد أعمال النّاس ليذيقهم الله تعالى في الحياة الدّنيا بعض و بالها ليكون لهم في هذه الإذاقة عبرة لعلّهم يرجعون بالتّوبة عن الشّرك و المعصية إلى التّوحيد و الطّاعة.

٣٤٥١ـ (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبل أكثرهم مشركين)

قل أيّها الرّسول «صلى الله عليه وآله» لهؤلآء المشركين و أضرابهم: سيروا في بلاد الأرض، فانظروا نظر اعتبار كيف كانت حال من تقدّمكم من الأشكال و الأمثال... و مآل أمرهم، كان أكثرهم مشركين، فاهلكهم الله تعالى بشركهم و معصيتهم.

٣٤٥٢ـ (فأقم وجهك للدّين القيّم من قبل أن يأتي يوم لامردّ له من الله يومئذ يصّدّعون)

فإذا تبيّن لك فساد الشّرك و وباله الّذي سيلحق بالمتلبّس به، أقم وجهك للدّين الّذي يكون قوام إنسانيّة الإنسان و هويّته به، من قبل مجيىء يوم القيامة لامردّله من الله لتحتّم مجيئه، يومئذ يتفرّق النّاس جميعاً فريقين: فريق الكفر و المعصية، و فريق الايمان و الطّاعة.

٣٤٥٣ـ (من كفر فعليه كفره و من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون)

من كفر منكم معاشر النّاس بعد ذلك البيان، فعلى نفسه يعود جزآء كفره، و من عمل منكم صالحاً بعد الايمان فلأنفسهم يمهدون من العزّة و الأمان.

٣٤٥٤ـ (ليجزي الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات من فضله إنّه لايحبّ الكافرين)

كلّ ذلك ليجزي الله تعالى الّذين آمنوا بالله تعالى و رسوله «صلى الله عليه و آله» و باليوم الآخر و عملوا الصّالحات، على قدر استحقاقهم حسب مراتب ايمانهم، و درجات صالح أعمالهم، و يزيدهم من فضله على ما يشآء، إنّ الله عزّوجلّ لايحبّ الكافرين.

٣٤٥٥ـ (و من آياته أن يرسل الرّياح مبشّرات و ليذيقكم من رحمته و لتجري الفلك بأمره و لتبتغوا من فضله و لعلّكم تشكرون)

و من آيات الله الدّالّة على وحدانيّته: أن يرسل رياح الرّحمة إليكم لتبشّركم بنعمه تعالى عليكم، و ليذيقكم الله بسبب هذه الرّياح من رحمته، و لتجري بها السّفن في البحار بأمره سبحانه، و لتطلبوا من فضله رزقكم بالتّجارة في البحار و غيرها، و لعلّكم تشكرون الله تعالى على نعمه عليكم.

۳۴۵۶ـ(و لقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجآؤهم بالبيّنات فانتقمنا من الّذين أجرموا و كان حقّاً علينا نصر المؤمنين)

و اُقسم بعزّتي و جلالي إنّا أرسلنا من قبلك يا محمّد«ﷺ» رسلاً إلى أقوامهم، فجآؤهم بالأدلّة الواضحة على صدق رسالتهم، فآمن بهم قليل منهم، و كذّبهم الآخرون، فانتقمنا من الّذين كفروا و طغوا، و كان حقّاً علينا نصر المؤمنين الّذين هم ينصرون ديننا في كلّ ظرف.

۳۴۵۷ـ(الله الّذي يرسل الرّياح فتثير سحاباً فيبسطه في السّمآء كيف يشآء و يجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشآء من عباده إذا هم يستبشرون)

الله تعالى هو الّذي يرسل الرّياح، فتنشئ سحاباً ثقالاً و تسوقه من مكان إلى مكان، فيبسط الله سبحانه ذلك السّحاب في جوّ السّماء كيف يشآء، و يجعله قطعات متراكمة بعضها فوق بعض، فترى المطر يخرج من خلال السّحاب، فإذا أصاب الله تعالى بذلك المطرمن يشآء من عباده إذا هم يفرحون بنزول المطر عليهم.

۳۴۵۸ـ(و ان كانوا من قبل أن ينزّل عليهم من قبله لمبلسين)

و ان كان هؤلآء المطورون من قبل أن ينزّل عليهم المطر، قبل نزوله لئآئسين من نزول المَطر عليهم.

۳۴۵۹ـ(فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إنّ ذلك لمحي الموتى و هو على كلّ شئ قدير)

فانظر أيّها الرّآئي نظر تدبّر و استبصار إلى آثار رحمة الله المترتّبة على تنزيل المطر من أنواع النبات... كيف يحي الله تعالى الأرض بعد موتها و جفافها، إنّ ذلك العظيم الشّأن كان قادراً على إحيآء الموتى لفصل القضآء و هو على كلّ شئ قدير.

۳٤٦۰ـ(و لئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفرّاً لظلّوا من بعده يكفرون)

و اقسم بعزّتي و جلالي إنّا إن أرسلنا إلى هؤلآء اليا ئسين قبل نزول المطر عليهم، و المستبشرين بعد نزوله عليهم ريحاً رابعة و هى ريح العذاب و النّقمة، فرأوا زرعهم بها متغيّراً بعد خضرته لصاروا من بعد استبشارهم يكفرون بالله سبحانه و يجحدون بما سلف من النّعم عليهم بالمطر.

۳٤٦۱ـ(فإنّك لاتسمع الموتى و لاتسمع الصّمّ الدّعآء إذا ولّوا مدبرين)

فلاتحزن بكفر هؤلآء الكافرين و جحدهم بنعم الله تعالى عليهم، فإنّهم موتى روحاً، وصمّ قلباً، و إنّك لاتسمع الموتى و لاتسمع الصّمّ الدّعآ، إذا أعرضوا عن الحقّ، و أدبروا عن الهدى إدباراً دآئماً.

۳٤٦۲ـ(و ما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون)

و ما أنت أيّها الرّسول«صلى الله عليه و آله» بهادي عمى القلوب عن ضلالتهم إلى الهدى، فإنك لاتسمع سماع تدبّر و استبصار إلاّ من استبصر و آمَنَ بآياتنا، فهم منقادون لأوامر الله و نواهيه كلّها...

۳٤٦۳ـ(الله الّذي خلقكم من ضعف ثمّ جعل من بعد ضعف قوّة ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً و شيبة يخلق ما يشآء و هو العليم القدير)

الله تعالى هو الّذى خلقكم أيها النّاس من مراتب الضّعف، ثمّ جعل من بعد طيّ مراحل الضّعف، قوّة جسماً و روحاً، ثمّ جعل من بعد طيّ مراحل القوّة، ضعف الجسم و العقل من الكِبَر و الكهولة، كلّ ذلك بإرادةالله تعالى فإنّه يخلق ما يشآء من الضّعف و القوّة، و هو وحده العليم بتدبير خلقه، القدير على ما يشآء و كيف ما يشآء.

٣٤٦٤ـ(و يوم تقوم السّاعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون)

و يوم تقوم الساعة لفصل القضآء يحلف المجرمون: أنّهم لم يلبثوا فى حياتهم فى الدّنيا و بعد موتهم إلى يوم يبعثون بالنّسبة إلى يوم القيامة الأبعقدار ساعة قصيرة من نهار، فهؤلاءِ صرفوا يوم القيامة عن حقيقة مدّة مكثهم فى الدنيا و بعدها إلى يوم البعث، كما كانوا يصرفون عن حقيقة البعث فى الحياة الدّنيا.

٣٤٦٥ـ(و قال الّذين اوتوا العلم و الإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث و لكنّكم كنتم لاتعلمون)

و قال الّذين اوتوا العلم بالقرآن الكريم و فهموه و آمنوا به حقّا، لغيرهم من الكفّار و المجرمين: لقد لبثتم هكذا من السّنين فى الحياة الدّنيا و في عالم البرزخ إلى يوم البعث، كلّها ثابت معلوم لنا من كتاب الله تعالى، إن كنتم فى شكّ بَعْدُ، فهذا يوم البعث، و لكنّكم كنتم لاتعلمون الكتاب فتنكرون البعث لجهلكم بكتاب الله تعالى.

٣٤٦٦ـ(فيومئذ لاينفع الّذين ظلموا معذرتهم و لاهم يستعتبون)

فيوم البعث لاينفع الّذين ظلموا فى الحياة الدّنيا معذرتهم، و لا يقبل منهم استرضاء هم على الشّرك والجهل و البغي و الظّلم.

٣٤٦٧ـ(و لقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل و لئن جئتهم بآية ليقولن الّذين كفروا إن أنتم الاّ مبطلون)

و اقسم بعزّتي و جلالي أنّا أوضحنا الحقّ للنّاس جميعاً و بيّنّاه لهم بياناً وافياً في مجموع هذا القرآن المجيد من كلّ مثل لإثبات المبدإ و المعاد و صدق الرّسالة و لئن جئتهم بأيّة آية

من الآيات الالهيّة الدّالّة على ذلك ليقولنّ الّذين كفروا منهم لفرط عتوّهم و شدّة عنادهم، و قساوة قلوبهم: ما أنتم الاّ أهل الباطل، فلستم بحقّ، و لاماجئتمونا به بصدق.

٣٤٦٨ـ (كذلك يطبع الله على قلوب الّذين لايعلمون)

كما طبع الله تعالى على قلوب الكافرين فكذالك يطبع على قلوب الذين لايعلمون بكتاب الله جلّ وعلا.

٣٤٦٩ـ (فاصبر إنّ و عدالله حقّ و لايستخفّنّك الّذين لايوقنون)

إذا تبيّن لك يا محمّد «ﷺ»، أحوال الكفّار و المشركين، و الفجّار و المجرمين، و البغاة و الظّالمين، و إصرارهم على الكفر و الفساد... فاصبر مستعيناً بالله تعالى على احتمال المكروه و الأذى منهم إلى أن يتحقّق وعد الله جلّ وعلا و هو حقّ واقع لامحالة، و لايحملنّك الّذين لايوقنون بآيات الله تعالى و لايؤمنون بالله و رسوله، و ينكرون البعث والحساب و الجزآء على الخفّة و الإضطراب فى تبليغ الرّسالة بترك الصبر عليه.

«بحث دقيق روائي»

قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب: «إنّ لكلّ كتاب صفوة، و صفوة هذا الكتاب حروف التّهجّي».

فأحسن القول بأنّ الحروف المقطّعة في أوائل بعض السّور أسرار بين الله تعالى و رسوله «صلى الله عليه وآله» حيث إن لكلّ كتاب سرّاً و سرّ الله تعالى في القرآن المجيد تلك الحروف المقطّعة...

و في روضة الكافي - باب حديث نوح «عليه السلام» يوم القيامة - حديث ٣٩٧) بإسناده عن أبي عبيدة قال: سئلت أباجعفر «عليه السلام» عن قول الله عزّوجلّ: «الم غلبت الرّوم في أدنى الأرض» قال: فقال: يا أبا عبيدة إنّ لهذا تأويلاً لا يعلمه إلاّ الله و الرّاسخون في العلم من آل محمّد صلوات الله عليهم: أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمّا هاجر إلى المدينة و أظهر الإسلام كتب إلى ملك الرّوم كتاباً، و بعث به مع رسول يدعوه إلى الإسلام، و كتب إلى ملك فارس كتاباً يدعوه إلى الإسلام، و بعثه إليه مع رسوله، فأمّا ملك الرّوم فعظّم كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» و أكرم رسوله «صلى الله عليه وآله» و أمّا ملك فارس فإنّه استخفّ بكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» و مزّقه و استخفّ برسوله و كان ملك فارس يومئذ يقاتل ملك الرّوم، و كان المسلمون يهوون أن يغلب ملك الرّوم ملك فارس، و كانوا لناحيته أرجا منهم لملك فارس.

فلمّا غلب ملك فارس ملك الرّوم كره ذلك المسلمون و اغتمّوا به فأنزل الله عزّوجلّ بذلك كتاباً قرآناً: «الٓمٓ غلبت الرّوم (يعني غلبتها فارس) في أدنى الأرض (و هي الشّامات

و ماحولها) وهم (يعني و فارس) من بعد غلبهم (الرّوم) سيغلبون (يعني يغلبهم المسلمون) في بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشآء» عزّوجلّ، فلمّا غزا المسلمون فارس، و افتتحوها فرح المسلمون بنصر الله عزّوجلّ.

قال: قلت: أليس الله عزّوجلّ يقول: «في بضع سنين» و قد مضى للمؤمنين سنون كثيرة مع رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و فى إمارة أبي بكر، و إنّما غلب المؤمنون فارس فى إمارة عمر؟

فقال: ألم أقل لكم: إنّ لهذا تأويلاً و تفسيراً و القرآن ـ يا أبا عبيدة ـ ناسخ و منسوخ. أمّا تسمع لقول الله عزّوجلّ: «لله الأمر من قبل و من بعد؟» يعني إليه المشيئة في القول أن يؤخّر ما قدّم، و يقدّم ما أخّر في القول إلى يوم يحتم القضآء بنزول النّصر فيه على المؤمنين، فذلك قوله عزّوجلّ: «و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشآء» أى يوم يحتم القضآء بالنّصر».

و في نور الثّقلين: عن كتاب الاستغاثة للشّيخ ميثم، و لقد روينا من طريق علمآء أهل البيت عليهم السّلام في أسرارهم و علومهم الّتي خرجت منهم إلى علمآء شيعتهم، انّ قوماً ينسبون من قريش، و ليسوا من قريش، و حقيقة النّسب و هذا ممّا لا يجوز أن يعرفه الّا معدن النّبوّة و ورثة علم الرّسالة، و ذلك مثل بني اُميّة ذكروا انّهم ليسوا من قريش، و أنّ أصلهم من الرّوم، و فيهم تأويل هذه الآية: «الٓمٓ غلبت الرّوم في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون» معناه: انّهم غلبوا على الملك، و سيغلبهم على ذلك بنوا العبّاس».

و فى التّبيان: روى عن النّبيّ ﴿صلى الله عليه و آله﴾ أن البضع ـ ههنا ما بين الثلاث إلى العشر.

و في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ ﴿عليه السلام﴾: «الحمد لله الّذي اليه مصآئر الخلق، و عواقب الأمر...».

و فيه: قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «بأنّ أزمّة الأمور بيدك، و مصادرها عن قضآئك...».

و في المناقب لابن شهرآشوب السّرويّ المازندرانيّ رضوان الله تعالى عليه: قال أبوهاشم: سأل محمّد بن صالح أبا محمّد ﴿عليه السلام﴾ عن قوله تعالى: «لله الأمر من قبل و من بعد» فقال ﴿عليه السلام﴾: له الأمر من قبل أن يأمر به، وله الأمر من بعد أن يأمر به بما يشآء،

فقلت في نفسي: هذا قول الله «ألا له الخلق و الأمر تبارك الله ربّ العالمين» فأقبل عَلَيّ، فقال: هو كما أسررت في نفسك: «ألا له الخلق و الأمر تبارك الله ربّ العالمين» قلت: أشهد أنّك حجّة الله و ابن حجّته في خلقه».

رواه الرّاوندي في «الخرائج» و المجلسي في «البحار» و في «كشف الغمّة» من دلآئل الحميري عن الجعفريّ مثله.

و في تفسير فرات الكوفي: بإسناده عن رسول الله «صلى الله عليه و آله» ـ في حديث طويل ـ قال: قال جبرئيل: سميّت فاطمة في الأرض لأنّها فطمت شيعتها من النّار، و فطموا أعداؤها عن حبّها، و ذلك قول الله في كتابه: «و يومئذ يفرح المؤمنون بنصرالله» بنصر فاطمة عليها السّلام».

و في تأويل الآيات الظّاهرة: بالإسناد عن عباية (عبادة خ) عن عليّ «عليه السلام» قال: قوله عزّوجلّ: «الٓمٓ غلبت الرّوم» هي فينا و في بني أُميّة».

و فيه: بالإسناد عن أبي بصير عن أبي عبدالله «عليه السلام» قال: سئلته عن تفسير «الٓمٓ غلبت الرّوم» قال: هم بنوأُميّة، و إنّما أنزلها الله عزّوجلّ: «الٓمٓ غلبت الرّوم» بنوأُميّة «في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» عند قيام القائم «عليه السلام»».

و في دلائل الإمامة لأبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري: بإسناده عن يونس بن يعقوب عن أبي عبد الله الصّادق «عليه السلام» في قول الله عزّوجلّ: «و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» قال: «في قبورهم بقيام القائم «عليه السلام»».

و في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «و ارغبوا فيما وعد المتّقين فإنّ وعده أصدق الوعد...».

و فيه: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «و نحن على موعود من الله، و الله مُنجز وعده و ناصر جنده...».

و فى مكارم الاخلاق: ـ باب وصيّة النّبيّ «صلى الله عليه و آله» الى عبدالله بن مسعود ـ حديث طويل ـ قال «صلى الله عليه و آله»: «... يابن مسعود ما يغني من يتنعّم فى الدّنيا إذا أخلد فى النّار «يعلمون

ظاهراً من الحياة الدّنيا و هم عن الآخره هم غافلون» يبنون الدّور، و يشيدون القصور، و يزخرفون المساجد، وليست همّتهم إلاّ الدّنيا، عاكفون عليها، معتمدون فيها، آلهتهم بطونهم...»الوصيّة.

و في **تفسير القمي**: فى قوله تعالى: «يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا» يعنى: مايرونه حاضراً «و هم عن الاخرة هم غافلون» قال: يرون حاضر الدّنيا و يتغافلون عن الاخرة».

و في **نهج البلاغة**: قال مولى الموحّدين الامام علىّ ﴿عليه السلام﴾: «إنّ أولياء الله هم الّذين نظروا إلى باطن الدّنيا إذا نظر النّاس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجلها إذا اشتغل النّاس بعاجلها...».

و في **المجمع**: وسئل أبو عبدالله ﴿عليه السلام﴾ عن قوله عزّوجلّ: «يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا». فقال: «الزّجر و النّجوم» الزّجر: التيمّن، والتّشاؤم بالطّير.

و في **نهج البلاغة**: قال إمام المتّقين علىّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ «و لو فكّروا فى عظيم القدرة و جسيم النّعمة لرجعوا إلى الطّريق و خافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة، والبصآئر مدخولة...».

و فيه: قال أميرالمؤمنين علىّ ﴿عليه السلام﴾: «رحم الله امرءاً تفكّر فاعتبر، واعتبر، فأبصر، فكأنّ ماهو كائن من الدّنيا عن قليل لم يكن، و كأنّ ما هو كآئن من الآخرة عمّا قليل لم يزل، و كلّ معدود منقضٍ و كلّ متوقّع آتٍ و كلّ آتٍ قريبٌ دانٍ».

و في **الخصال**: «سُئِلَ الصّادق ﴿عليه السلام﴾ عن قول الله عزّوجلّ: «أولم يسيروا فى الأرض» قال: معناه أولم ينظروا في القرآن» قال الصّدوق رحمة الله تعالىٰ عليه: كنّي بالسّير فى الأرض عن النّظر في القرآن.

و في **نهج البلاغة**: قال سيّد الوصيّين إمام المتّقين علىّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ «فاللّهَ اللّهَ فى عاجل البغي، و آجل و خامة الظّلم، و سوء عاقبة الكبر، فإنّها مصيدة إبليس العظمى، و مكيدته الكبرى الّتي تساور قلوب الرّجال مساورة السّموم القاتلة، فما تكدي أبداً و لاتشوى احداً، لا عالماً لعلمه، و لا مقلاً في طِمْره...» الخطبة القاصعة: ۲۳۴).

و فيه: قال أميرالمؤمنين الامام عليّ «عليه السلام»: «و من قرأ القرآن فمات فدخل النّار فهو كان ممّن يتّخذ آيات الله هزواً».

و في **تفسير القمي**: في قوله تعالى: «و كانوا بها يستهزؤن» أي ظلموا و استهزؤا.

١١ـ (الله يبدؤا الخلق ثمّ يعيده ثمّ إليه ترجعون)

و في **تفسير القمي**: و قوله: «و يوم تقوم السّاعة يبلس المجرمون» أي يئسوا. «و لم يكن لهم من شركآئهم شفعآء» يعنى شركآء يعبدونهم و يطيعونهم لا يشفعون لهم، و قوله: «يتفرّقون» قال: إلى الجنّة والنّار».

و في **الخصال**: عن الإمام أميرالمؤمنين عليّ «عليه السلام» قال: قال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «تقوم السّاعة» يوم الجمعة بين صلاة الظّهر و العصر».

و عن أبي عبدالله «عليه السلام» قال: «السّبت لنا، والأحد لشيعتنا ـ إلى أن قال «عليه السلام» ـ: «و تقوم القيامة يوم الجمعة».

و عن أبي لبابة بن عبد المنذر قال: قال رسول الله «صلى الله عليه و آله» إنّ يوم الجمعة سيّد الأيّام ـ إلى قوله ـ: و ما من ملك مقرّب و لا سمآء و لا أرض و لا رياح و لا جبال و لا برّ و لا بحر إلاّ و هن يشفقن من يوم الجمعة أن تقوم فيه السّاعة».

و في **الصّحيفة السّجّاديّة** ـ الرّوضة الرّابعة ـ قال سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين «عليه السلام»: «... اللهمّ وصلّ على التّابعين من يومنا هذا و إلى يوم الدّين، و على أزواجهم و على ذرّياتهم و على من أطاعك منهم صلاة تعصمهم بها من معصيتك، و تفسح لهم في رياض جنّتك...».

الرّياض: جمع روضة، و الأصل: رواض، قلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها، و هي الموضع المعجب بالزّهور. و قيل: كلّ أرض ذات نبات و ماء و رونق و نضارة. و قيل: سمّيت بذلك لاستراضة المياه السّائلة فيها أي لسكونها بها. قال الله تعالى: «فهم في روضة يحبرون» أي يسرّون أو ينعّمون».

و في **تفسير القمي**: «يحبرون» أي يكرمون».

و في المجمع: في روضة يحبرون» قيل: يلذذون بالسّماع.

وبالإسناد عن أبي أمامة الباهلي أنّ رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ قال: «ما من عبد يدخل الجنّة إلاّ و يجلس عند رأسه، و عند رجليه ثنتان من الحور العين تغنّيانه بأحسن صوت سمعه الإنس و الجنّ، و ليس بمزمار الشّيطان، ولكن بتمجيد الله و تقديسه».

و عن أبي الدّردآء: قال: كان رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ يذكر النّاس فذكر الجنّة و ما فيها من الأزواج و النّعيم، و في القوم أعرابيّ فجثا لركبتيه، و قال: يا رسول الله هل في الجنّة من سماع؟ قال: نعم يا أعرابيّ، إنّ في الجنّة نهراً حافتاه الأبكار من كلّ بيضآء يتغنّين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قطّ، فلذلك أفضل نعيم الجنّة. قال الرّاوي: سئلت أبا الدّردآء بم يتغنّين؟ قال: بالتّسبيح».

و فيه: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «الجنّة مآة درجة ما بين كلّ درجتين منها كما بين السّمآء و الأرض، و الفردوس أعلاها سموّاً و أوسطها محلّة، و منها تنفجر أنهار الجنّة، فقام إليه رجل و قال: يا رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ إنيّ رجل حبّب إليّ الصّوت، فهل لي في الجنّة صوت حسن؟ فقال: أي و الّذي نفسي بيده إنّ الله تعالى يوحي إلى شجرة في الجنة أن أسمعي عبادي الّذين اشتغلوا بعبادتي و ذكري عن عزف البرابط و المزامير، فترفع صوتاً لم يسمع الخلآئق بمثله قطّ من تسبيح الرّبّ».

و في الدّرّ المنثور: عن جابر قال: قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «إذا كان يوم القيامة قال الله: أين الّذين كانوا ينزّهون أسماعهم و أبصارهم عن مزامير الشّيطان؟ ميّزوهم، فيميّزون في كثب المسك و العنبر، ثمّ يقول للملائكة: أسمعوهم من تسبيحي و تحميدي و تهليلي: قال: فيسبّحون بأصوات لم يسمع السّامعون بمثلها قطّ».

١٧ـ (فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون)

في أمالي الصّدوق رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن الحرث عن أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ قال: «من قال حين يمسي ثلاث مرّات: «فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون و له الحمد في السّموات و الأرض و عشيّاً و حين تظهرون» لم يفته خير

يكون في تلك اللّيلة، و صرف عنه جميع شرّها و من قال مثل ذلك حين يصبح لم يفته خير يكون في ذلك اليوم، و صرف عنه جميع شرّه».

و في **الاختصاص** للشّيخ المفيد رحمة الله تعالى عليه بإسناده عن الحسين بن عليّ ﴿عليه السلام﴾ قال: جآء رجل من اليهود إلى النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ـ سئله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ عن مسائل ـ حديث طويل ـ إلى أن قال في صلاة المغرب ـ «... فصلّى آدم صلوات الله عليه ثلاث ركعات: ركعة لخطيئته، و ركعة لخطيئة حوّآء، و ركعة لتوبته فتاب الله عليه و فرض الله على أمّتي هذه الثّلاث ركعات و هي السّاعة الّتي يستجاب فيها الدّعوة، و وعدني ربّي أن لايخيب من سئله حيث قال «فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون» الخبر.

و في **كتاب الأقاليم و البلدان**: قال: قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: من قرأ «فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون ـ إلى ـ و كذلك تخرجون» كتب له من الحسنات بعدد كلّ ورقة ثلج على جبل سيلان (سبلان ظ) قيل: و ما السّيلان (السّبلان ظ) يا رسول الله؟ قال: جبل بأرمنيّة و آذربيجان عليه عين من عيون الجنّة، و فيه قبر من قبور الأنبياء».

قال أبوحامد الأندلسيّ: على رأس هذا الجبل عين عظيمة مع غاية ارتفاعه، ماؤه أبرد من مآء الثّلج كأنّما يشبه بالعسل لشدّة عذوبته، و بجوف هذا الجبل مآء و يخرج من عين يصلق البيض لحرارته يقصدها النّاس لمصالحهم، و بحضيض هذا الجبل شجر كثير و مراع، و شيء من حشيش لايتناوله إنسان و لاحيوان إلّامات لساعته».

و عن القزويني: أنّه قال: و لقد رأيت الخيل و الدّوابّ ترعى في هذا الجبل، فإذا قربت من ذلك الحشيش نفرت و ولّت منهزمة كالمطرودة.

و في **أعلام الدّين**: عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «من قال: «سبحان (فسبحان ظ) الله حين تمسون» يعني صلاتي المغرب و العشآء «و حين تصبحون» صلاة الغداة «و عشيّاً» صلاة العصر «و حين تظهرون» صلاة الظّهر، هذه الآية (يعنى الآيات) تجمع صلواتكم الخمس، فمن قرأ هذه الثّلاث الآيات من سورة «الرّوم» و آخر «الصّافّات» يعني و الثّلاث الآيات من آخر سورة «الصّافات» و هي: «سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون و سلام على المرسلين و الحمدلله ربّ العالمين» ثلاث مرّات دبر صلاة

المغرب أدرك ما فات في يومه ذلك، و قبلت صلاته، فإن قرأها دبر كلّ صلاة يصلّيها من فريضة أو تطوّع كتب له من الحسنات عدد نجوم السّماء و قطر المطر، و عدد ورق الشّجر و عدد تراب الأرض، فإذا مات أجري له بكلّ حسنة عشر حسنات في قبره».

أقول: إنّ الآيات الثّلات من سورة الرّوم هي هذه: «فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون و له الحمد في السّموات و الأرض و عشيّاً و حين تظهرون يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحيي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون» كما أنّ المراد من آخر الصّافات هي الآيات الثّلاث من آخرها.

و **في البحار**: باب الأدعية لقضآء الحوآئج ـ حديث ٢٣) قال العلاّمة المجلسي رضوان الله تعالى عليه ـ بعد ذكر الحديث ـ: وجدت بخطّ الشّيخ محمّد بن عليّ الجبعيّ رحمه الله قال: قال الشّيخ الشّهيد ابن مكّي قدّس الله روحه: نقلت من خطّ مغربيّ حدّث معاض بن المتوكّل عن الأسكندرانيّ، عن عبدالله بن المبارك، عن ثقة أنّ عليّاً «عليه السلام» لمّا حضرته الوفاة قال للحسن ابنه «عليه السلام» أُعلّمك شيئاً أصله من كتاب الله علّمنيه النّبيّ «صلى الله عليه وآله» فإذا أردت أن تدعوالله به، فادع به بعد صلاة الغداة او بعد صلاة العصر، ثمّ سَمِّ ما أردت من حوآئجك، و اعلم أنّك إذا ابتدأت به و كلّ الله به ألف ملك يستغفرون لك، و اعطى كلّ ملك قوّة ألف ملك في سرعة الاستغفار، و يبني لك ألف قصر في الجنّة، و عشت ما عشت في الدّنيا منعّماً، و لا يصيبك فيها فقرو لاخلّة، و لاتسئل أحداً من الدّنيا كائناً ما كان إلاّ قضى لك، قل:

«سبحان الله و الحمدلله و لاإله إلاّالله والله أكبر، و لاحول و لاقوّة إلاّ بالله، فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون، و له الحمد في السّموات و الأرض و عشيّاً و حين تظهرون، يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون، سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله ربّ العالمين سبحان الله ذي الملك و الملكوت، سبحان الله ذي العزّة و العظمة و الجبروت، سبحان الله الملك الحيّ الّذي لايموت، سبحان العليّ الأعلى، سبحانه و تعالى، سبحان الملك القدّوس، ربّ الملائكة و الرّوح، اللّهمّ لك الحمد حمداً يصعد و لا ينفد و لك الحمد عليّ و معي و قدّامي و

خلق، يا الله عشراً، يا رحمان عشراً، يا رحيم عشراً، يا ربّ مثله، يا حيّ يا قيّوم مثله، يا بديع السّموات و الأرض مثله، يا ذاالجلال و الإكرام مثله، يا حنّان يا منّان مثله، اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد عشراً... و سل حاجتك».

و **في البحار**: ـ باب أحكام اليمين و النّذر و العهد ـ حديث ١٦٥) عن كتاب بيان التّنزيل لابن شهرآشوب، و روض الجنان لأبي الفتوح رحمة الله عليهما: «روي أنّ رجلاً سئل أبابكر عن الحين، و كان نذر ألاّ يكلّم زوجته حيناً، فقال: إلى يوم القيامة لقوله تعالى: «و متاع إلى حين» فسئل عمر فقال: «أربعين سنة لقوله تعالى: «هل أتي على الإنسان حين من الدّهر» فسئل عثمان، فقال: سنة لقوله تعالى: «تؤتي اكلها كلّ حين» فسئل عليّاً (عليه السلام) فقال: «إن نذرت غدوة فتكلّم عشيّة، و إن نذرت عشيّة فتكلّم بكرة لقوله تعالى: «فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون» ففرح الرّجل، و قال: «الله أعلم حيث يجعل رسالاته».

و **في مفاتيح الجنان**: في المناجات الثّالثة عشر من مناجات سيّد السّاجدين زين العابدين الإمام عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «أنت المسبّح في كلّ مكان، و المعبود في كلّ زمان، و الموجود في كلّ أوان، و المدعوّ بكلّ لسان، و المعظّم في كلّ جنان».

و **في الصّحيفة السّجاديّة**: قال سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «ثمّ له الحمد مكان كلّ نعمة له علينا و على جميع عباده الماضين و الباقين، عدد ما أحاط به علمه من جميع الأشيآء، و مكان كلّ واحدة منها عَدَدُها أضعافا مضاعفة أبداً سرمداً إلى يوم القيامة حمداً لامنتهى لحدّه و لاحساب لعدده، و لا مبلغ لغايته و لاانقطاع لأمده، حمداً يكون وُصْلةً إلى طاعته و عفوه و سبباً إلى رضوانه و ذريعة إلى مغفرته، و طريقاً إلى جنّته، و خفيراً من نقمته و أمناً من غضبه، و ظهيراً على طاعته، و حاجزاً عن معصيته، و عوناً على تأدية حقّه و وظائفه حمداً نَسْعَدُ به السّعدآء من أوليائه و نصير به في نظم الشّهدآء بسيوف أعدائه إنّه وليّ حميد».

قوله (عليه السلام): «له الحمد» قدّم الخبر لإفادة الاختصاص، و القصر فيه حقيقيّ. و المكان: موضع كون الشيئ أي موضع كلّ نعمة. و المراد: كونه حاصلاً حيث حصلت كلّ

نعمة فيكون كناية مجاز عن كونه بإزآء كلّ نعمة و عوضاً عنها، كما تقول: خذ هذا مكان ذاك أي قائماً مقامه و عوضاً عنه، و هو حال من المبتدآء كما في قوله تعالى: «و له الحمد في السّموات و الأرض».

أي الحمد كلّه يختصّ بالله تعالى دون غيره.

و في **الصّحيفة**: قال الإمام عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «فلك الحمد على ما وقيتنا من البلآء و لك الشّكر على ما خوّلتنا من النّعمآء، حمداً يُخَلِّف حمد الحامدين و رآئه، حمداً يملأ أرضه و سمآئه».

و في **الدّرّ المنثور**: عن معاذ بن أنس عن رسول الله ﴿ﷺ﴾: «ألا أخبركم لِمَ سَمّى اللّهُ إبراهيمَ خليله الّذي و فى؟ لأنّه كان يقول: كلّما أصبح و أمسى: «سبحان الله حين تمسون و حين تصبحون و له الحمد في السّموات و الأرض و عشيّاً و حين تظهرون».

رواه ابن أبي حاتم في تفسيره.

۱۹ ـ (يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون)

في **فروع الكافي**: ـ كتاب الحدود ـ باب التّحديد ـ بإسناده عن عبدالرّحمن بن الحجّاج عن أبي إبراهيم عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «يحي الأرض بعد موتها» قال: ليس يحييها بالقطر، و لكن يبعث الله رجالاً، فيحيون العدل فتحيى الأرض لإحيآء العدل، و لإقامة الحدّ لله أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحاً».

قوله عليه السلام: «ليس يحييها بالقطر» أي ليس يحييها بالقطر فقط.

و في **تفسير القمّي**: و قوله: «يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ» قال: يخرج المؤمن من الكافر، و يخرج الكافر من المؤمن، و قوله: «و يحي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون» ردّ على الدّهريّة.

و في **معاني الأخبار**: سئل الحسن بن عليّ بن محمّد عليهما السلام عن الموت ما هو؟ فقال: هو التّصديق بما لايكون. حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن الصّادق عليه السلام قال: «إنّ المؤمن إذا

مات لم يكن ميّتاً، فإنّ الميّت هو الكافر، إنّ الله عزّوجلّ يقول: «يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ» يعني المؤمن من الكافر، و الكافر من المؤمن».

و في **اصول الكافي**: ـ كتاب الايمان و الكفر ـ باب طينة المؤمن و الكافر ـ حديث ٧) بإسناده عن إبراهيم عن أبي عبدالله عليه السلام ـ حديث طويل ـ قال: و قال الله عزّوجلّ: «يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ» فالحيّ المؤمن الّذي يخرج طينته من طينة الكافر، و الميّت الّذي يخرج من الحيّ هو الكافر الّذي يخرج من طينة المؤمن، فالحيّ المؤمن، و الميّت الكافر، و ذلك قول الله عزّوجلّ: «أو من كان ميّتاً فأحييناه» فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، و كان حياته حين فرّق الله عزّوجلّ بينهما بكلمته، كذلك يخرج الله عزّوجلّ المؤمن في الميلاد من الظّلمة بعد دخوله فيها إلى النّور، و يخرج الكافر من النّور إلى الظلمة بعد دخوله إلى النّور، و ذلك قوله عزّوجلّ: «لينذر من كان حيّاً و يحقّ القول على الكافرين».

أقول: و قد سمّى الله تعالى الكافر ميّتاً فإنّه لا ينتفع بحياته، و لا ينتفع غيره بحياته، فهو أسوأ حالاً من الميّت، إذ لا يوجد من الميّت ما يعاقب عليه، و لا يتضرّر غيره به.

و قد سمّي المؤمن حيّاً فإنّه له و لغيره المصلحة و المنفعة في حياته، و كذلك سمّي الكافر ميّتاً و المؤمن حيّاً في مواضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى: «فإنّك لا تسمع الموتى» الرّوم: ٥٢).

و في **إكمال الدّين**: بإسناده عن حكيمة بنت محمّدبن عليّ بن موسى الرّضا عليهما السلام عمّة أبي محمّد الحسن عليهما السّلام: أنّها قالت: «كنت عند أبي محمّد «عليه السلام» فقال: بيتي اللّيلة عندنا، فإنّه سيلد المولود الكريم على الله عزّوجلّ الّذي يحيى الله عزّوجلّ به الأرض بعد موتها، فقلت: ممّن يا سيّدي؟ و لست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل! فقال: من نرجس لا من غيرها، قالت: فوثبت إليها فقلبتها ظهر البطن، فلم أر بها أثر الحبل، فعدت إليه «عليه السلام» فأخبرته بما فعلت، فتبسّم ثمّ قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر لك الحبل لأنّ مثلها مثل أمّ موسى لم يظهر بها الحبل، و لم يعلم بها أحد إلى وقت و لادتها لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحبالي في طلب موسى و هذا نظير موسى «عليه السلام»...» الحديث.

و في **وسآئل الشيعة** ـ باب(١) من أبواب مقدّمات الحدود ـ حديث ٢) بالإسناد عن عبدالرّحمن بن الحجّاج عن أبي إبراهيم ﴿؏﴾ في قول الله عزّوجلّ: «يحي الأرض بعد موتها» قال: ليس يحييها بالقطر و لكن يبعث الله رجالاً فيحيون العدل، فتحي الأرض لإحيآء العدل، و لإقامة حدّ فيه أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحاً».

و في **البحار**: ـ باب ماورد عن أميرالمؤمنين﴿؏﴾ في أصناف آيات القرآن و أنواعها و تفسير بعض آياتها ـ حديث طويل ـ إلى أن قال: «فردّ الله تعالى عليهم (على الملحدين في دينه) ما يدلّهم على صفة ابتداء خلقهم و أوّل نشئهم: «يا أيّها النّاس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ـ يعلم من بعد علم شيئاً» الحجّ: ٥) فأقام سبحانه على الملحدين الدّليل عليهم من أنفسهم ثمّ قال مخبراً لهم: «وترى الأرض هامدة ـ و أنّ الله يبعث من في القبور» الحجّ: ٥ ـ ٧).

و قال سبحانه: «والله الّذي أرسل الرّياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميّت فأحيينا به الأرض بعد موتها و كذلك النّشور» فاطر: ٩) فهذا مثال إقامة الله عزّوجلّ لهم الحجّة في إثبات البعث و النّشور بعد الموت.

و قال أيضاً في الرّدّ عليهم: «فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون و له الحمد في السّموات و الأرض و عشيّاً و حين تظهرون يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون».

و مثله قوله عزّوجلّ: «و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ـ إلى قوله ـ إذا أنتم تخرجون» الرّوم: ٢١ ـ ٢٥).

و احتجّ سبحانه عليهم و أوضح الحجّة و أبان الدّليل، و أثبت البرهان عليهم من أنفسهم، و من الآفاق و من السّموات و الأرض بمشاهدة العيان، و دلائل البرهان و أوضح البيان في تنزيل القرآن، كلّ ذلك دليل على الصّانع القديم المدبّر الحكيم، الخالق العليم، الجبّار العظيم، سبحان الله ربّ العالمين» الحديث.

و في **تفسير القمي**: قوله تعالى: «و من آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون» أي تنتشرون في الأرض ـ إلى قوله: «و من آياته أن تقوم السّمآء و الأرض

بأمره» قال: يعني السّمآء و الأرض ههنا «ثمّ إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون» و هورِدّ على أصناف الزّنادقة.

و في العلل: بإسناده عن عبدالله بن يزيد بن سلام: أنّه سئل رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: «فأخبرني عن آدم لم سمّي آدم؟ قال: لأنّه خلق من طين الأرض و أديمها، قال: فآدم خلق من الطّين كلّه أو من طين واحد؟ قال: بل من الطّين كلّه، و لو خلق من طين واحد لما عرف النّاس بعضهم بعضاً، و كانوا على صورة واحدة، قال: فلهم في الدّنيا مَثَلٌ؟

قال: التّراب فيه أبيض، و فيه أخضر، و فيه أشقر، و فيه أغبر، و فيه أحمر، و فيه أزرق، و فيه عذب، و فيه ملح، و فيه خشن، و فيه لين، و فيه أصهب، فلذلك صار النّاس فيهم ليّن، و فيهم خشن، و فيهم أبيض، و فيهم أصفر و أحمر و أصهب و أسود على ألوان التّراب...» الحديث.

و في الكافي: بإسناده عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبدالله «عليه السلام» يقول: «انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» من سريّة قد كان أصيب فيها ناس كثير من المسلمين، فاستقبلته النّسآء يسئلن عن قتلاهنّ، فدنت منه امرأة، فقالت: يا رسول الله ما فعل فلان؟ قال: و ما هو منك؟ قالت: أبي، قال: احمدي الله و استرجعي فقد استشهد، ففعلت ذلك، فقالت: يا رسول الله و ما فعل فلان؟ فقال: و ما هو منك؟ فقالت: أخي، فقال: احمدي الله و استرجعي فقد استشهد، ففعلت ذلك، ثمّ قالت: يا رسول الله ما فعل فلان؟ فقال: و ما هو منك؟ قالت: زوجي، قال: احمدي الله و استرجعي فقد استشهد، فقالت: واويلا، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما كنت أظن أنّ المرأة تجد بزوجها هذا كلّه حتّى رأيت هذه المرأة».

و فيه: بإسناده عن معمّر بن خلاد قال: سمعت أباالحسن «عليه السلام» يقول: قال رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» لابنة جحش: قتل خالك حمزة، قال: فاسترجعت، و قالت: احتسبه عند الله ثمّ قال لها: قتل أخوك، فاسترجعت، و قالت: احتسبه عند الله، ثمّ قال لها: قتل زوجك، فوضعت يدها على رأسها و صرخت، فقال رسول‌الله «صلى الله عليه وآله»: «ما يعدل الزّوج عند المرأة شيئ».

قال الله تعالى: «و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل

بينكم مودّة و رحمة».

و في رواية: أنّ رجلاً أتى النبيّ«صلى الله عليه وآله» فقال: يا نبيّ الله لقد عجبت من أمر، و أنّه لعجب أنّ الرّجل يتزوّج المراة، و مارآها و مارأته قطّ حتّى إذا تبنى بها أصبحا، و ما شئ أحبّ إلى أحدهما من الآخر؟ فقال رسول الله«صلى الله عليه وآله»: «و جعل بينكم مودّة و رحمة».

و قد تقدّمت المودّة على الرّحمة إذ بالعقد الدّائم بين الزّوجين توجد العلقة و المودّة، و هي تفضي إلى الرّحمة.

إنّ الله تعالى يوجد بين رجل و مرأة بالزّواج مودّة و محبّة وصلة روحيّة قويّة قد تفوق في غالب الأحيان صلتك بأقرب النّاس إليك، و يوجد بينهما رحمة و شفقة و عطفاً عميقاً ليس مصدّه العزيزة الجنسيّة، و للاتّصال المادّي، بل مبعثه اختلاط الأرواح و اتّصال النّفوس و الإجتماع لغرض واحد، و هو بنآء عشّ الزّوجيّة على أُسس كريمة و دعائم قويمة.

۲۲ـ(و من آياته خلق السّموات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين)

في اصول الكافي ـ كتاب الحجّة ـ باب معرفته الأئمّة عليهم السّلام أوليآء هم ـ (حديث ۳) بإسناده عن عبدالله بن سليمان عن أبي عبدالله«عليه السلام» ـ حديث طويل ـ قال: «إنّ الإمام إذا أبصر إلى الرّجل عرفه، و عرف لونه، و إن سمع كلامه من خلف حائط عرفه و عرف ما هو، إنّ الله يقول: «و من آياته خلق السّموات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين» و هم العلمآء، فليس يسمع شيئاً من الأمر ينطق به إلاّ عرفه، ناج أوهالك، فلذلك يجيبهم بالّذي يجيبهم به».

و المعنى: إنّ في الألسن و الألوان المختلفة لآيات و علامات للعلمآء الرّبّانيّين الّذين هم العالمون حقيقة و هم الأئمّة عليهم السّلام يستدلّون بها على إيمان الخلق و نفاقهم و نجاتهم و هلاكهم و سائر صفاتهم، و هذا من غرآئب علومهم و شئونهم صلوات الله عليهم.

و في توحيد المفضّل: عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق«عليه السلام» قال ـ في الرّدّ على الدّهريّة ـ: «تأمّل يا مفضّل ما أنعم الله تقدّست أسماؤه به على الإنسان من هذا النّطق

الّذي يعبر به عمّا في ضميره، و ما يخطر بقلبه و نتيجة فكره، به يفهم غيره ما في نفسه (و به يفهم عن غيره ما في نفسه خ) و لو لا ذلك كان بمنزلة البهآئم المهملة الّتي لا تخبر عن نفسها بشيء، و لا تفهم عن مخبر شيئاً، و كذلك الكتابة الّتي، بها تفيد أخبار الماضين للباقين، و أخبار الباقين للآتين، و بها تجلد الكتب في العلوم و الآداب و غيرها، و بها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه و بين غيره من المعاملات و الحساب.

و لولاها لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض، و أخبار الغائبين عن أوطانهم، و درست العلوم و ضاعت الآداب، و عظم ما يدخل على النّاس من الخلل في امورهم و معاملاتهم، و ما يحتاجون إلى النّظر فيه من أمر دينهم، و ما روي لهم ممّا لا يسعهم جهله، و لعلّك تظنّ أنّها ممّا يخلص إليه بالحيلة و الفطنة، و ليست ممّا اعطيه الإنسان من خلقه و طباعه، و كذلك الكلام إنّما هو شئ يصطلح عليه النّاس، فيجري بينهم، و لهذا صار يختلف في الامم المختلفة بألسن مختلفة، و كذلك الكتابة ككتابة العربيّ و السرّيانى، و العبرانى و الرّومى و غيرها من سائر الكتابة الّتي هي متفرّقة في الأُمم إنّما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام.

فيقال لمن ادّعى ذلك: إنّ الإنسان و إن كان له في الأمرين جميعاً فعل أوحيلة، فإنّ الشئ الّذي يبلغ به ذلك الفعل و الحيلة عطيّة و هبة من الله عزّ وجلّ في خلقه، فإنّه لولم يكن له لسان مهيّأ للكلام و ذهن يهتدي به للأمور لم يكن ليتكلّم أبداً، و لولم يكن له كفّ مهيّاة و أصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً، و اعتبر ذلك من البهآئم الّتي لا كلام لها، و لا كتابة، فأصل ذلك فطرة الباري جلّ وعزّ ما تفضّل به على خلقه، فمن شكر أثيب، و من كفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين».

و فيه: عن الإمام الصّادق ﴿عليه السلام﴾ قال ـ في الرّدّ على الدّهريّة ـ: «و الكرى يقتضي النّوم الّذي فيه راحة البدن، و إجمام قواه ـ إلى أن قال ـ: و كذلك لو كان إنّما يصير إلى النّوم بالتّفكّر في حاجته إلى راحة البدن، و إجمام قواه كان عسى أن يتثاقل عن ذلك، فيدفعه حتّى ينهك بدنه».

قوله ﴿عليه السلام﴾: «الكرى» السّهر، و الجمام: الرّاحة، و «ينهك» من النهك: الهزل و الضّعف.

و في **نهج البلاغة**: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «فانظر إلى الشّمس و القمر، و النّبات و الشّجر، و المآء و الحجر، و اختلاف هذا اللّيل و النّهار، و تفجّر هذه البحار، و كثرة هذه الجبال، و طول هذه القلال، و تفرّق هذه اللغات، و الألسن المختلفات، فالويل لمن أنكر المقدّر، و جَحَدَ المُدبّر...».

و في **تحف العقول**: في وصيّة الإمام موسى بن جعفر ﴿عليه السلام﴾ لهشام بن الحكم و صفته للعقل ـ حديث طويل ـ إلى أن قال: «يا هشام قد جعل الله جلّ وعزّ دليلاً على معرفته بأنّ لهم مدبّراً ـ و قال: «و من آياته يريكم البرق خوفاً و طمعاً و ينزّل من السّمآء ماءً فيحيى به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون» الحديث.

و في **الصّحيفة السّجاديّة** ـ الرّوضة السّادسة و الثّلاثون ـ و كان من دعآء سيّد السّاجدين زين‌العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام إذا نظر إلى السّحاب و البرق، و سمع صوت البرق: «اللهمّ إنّ هذَين آيتان من آياتك، و هذين عَوْنان من أعوانك، يبتدران طاعتك برحمة نافعة، أو نقمة ضارّة، فلا تُمْطِرنا بهما مطر السّوء، و لا تُلبسنا بهما لباس البلاء...».

قوله ﴿عليه السلام﴾: «آيتان من آياتك» أي علامتان من علاماتك الدّالّة على وحدانيّتك و قدرتك و «عونان من أعوانك» أي خادمان من خدمك نافذان في أمرك و هو مجاز مرسل من باب إطلاق اسم اللازم على الملزوم لأنّ الخدمة و تنفيذ الأمر لازمان للإعانة و المظاهرة.

و في **اصول الكافي**: كتاب العقل و الجهل ـ حديث ۱۲) عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبوالحسن موسى بن جعفر ﴿عليه السلام﴾ ـ حديث طويل ـ «...يا هشام قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأنّ لهم مدبّراً فقال: «و من آياته يريكم البرق خوفاً و طمعاً و ينزّل السّمآء ماءً فيحيى به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون» الحديث...

و في **رواية**: عن أبي سعيد الخدري عن النّبيّ ﴿صلى الله عليه و آله﴾ قال: «كلّ قنوت في القرآن فهو طاعة».

و في **الصّحيفة السّجاديّة**: الرّوضة السّابعة و الأربعون ـ من دعآء سيّد السّاجدين

زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام في يوم عرفة ـ «... سبحانك خضع لك من جرى في علمك، و خشع لعظمتك ما دون عرشك، و انقاد للتسليم لك كلّ خلقك...» الدعاء. و المراد بخضوعهم: إمّا كون جميعهم في ملكه و تحت قدرته لايمتنع عن تصرّفه فيه كيف يشآء، أو طاعتهم له في الحياة و البقآء و الموت و البعث و إن عصوا في العبادة، و هذا أحد الأقوال الواردة في قوله تعالى: «و له من في السّموات و الأرض كلّ له قانتون» فالكفّار يطيعونه يوم القيامة، أو المراد خضوع الجميع طوعاً و كرهاً كما قال سبحانه: «و له أسلم من في السّموات و الأرض طوعاً و كرهاً» آل عمران: ٨٣) أي أخلص له الانقياد، و خصّص له الخضوع كلّ من في السّموات و الأرض طائعين و كارهين، فالملائكة و المسلمون الصّالحون من الثّقلين ينقادون له طوعاً فيما يتعلّق بالدّين، و ينقاد له الثّقلان كرهاً في غير الدّين من الآلام و المكاره الّتي تخالف طباعهم لأنّهم لايمكنهم دفع قضآئه و قدره، و أمّا الكافرون فينقادون في الدّين كرهاً بالسّيف، و معاينة ما يلجىء إلى الإسلام و الطّاعة كنتق الجبل و إدراك الغرق و الإشراف على الموت، و مثل هذه قوله سبحانه: «و لله يسجد من في السّموات و الأرض طوعاً و كرهاً» الرّعد: ١٥)

و فيه: ـ في الرّوضة السّابعة و الثلاثين ـ من دعآئه «عليه السلام» في الاعتراف بالتقصير عن بادية الشكر ـ «... فكلّ البريّة معترفةٌ بأنّك غير ظالم لمن عاقبْتَ، و شاهدةٌ بأنّك مُتفضّلٌ على مَن عافَيْتَ، و كُلٌّ مُقِرٌّ على نفسه بالتّقصير عمّا استوجبتَ، فلولا أنّ الشيْطان يَختدعهم عن طاعتك ما عصاك عاصٍ، و لولا أنّه صوّر لهم الباطل في مثال الحقّ ما ضلّ عن طريقك ضالّ...» الدعآء.

قوله «عليه السلام»: «كلّ» هنا لاستغراق أفراد المضاف إليه، أي كلّ إنسان يعترف بأنّك غير ظالم...

إن تسئل: كيف يصحّ هذا الإستغراق و كثير من النّاس لايعترف بوجوده، و كثير منهم لايعترف بوحدانيّته فضلاً عن عدله و وجوده؟

تجيب عنه بأجوبة:

منها: أن يكون الإستغراق عرفيّاً، فالمراد بالبريّة الموحّدون منهم.

و منها: أن يكون حقيقيّاً، و المراد بالاعتراف أعم من أن يكون صريحاً أو لزوماً و اضطراراً.

أمّا الأوّل: فهو الإعتراف من المؤمنين الصّادقين تكويناً و تشريعاً و إليهما أشار بقوله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا آمنوا بالله و رسوله» النّساء: ١٣٦)

و أمّا الثّاني: فهو الشّامل لكلّ أحد مؤمناً كان أو كافراً، حيث إنّ النّاس كلّهم خلقوا على فطرة التّوحيد: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله» الروم: ٣٠) فالنّاس جميعاً بفطرتهم متّفقون على وحدانيّة الله جلّ وعلا، و منقطعون إليه تعالى عند تضائق حِلَقَ البلاء عليه كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: «و إذا مسّكم الضّرّ في البحر ضلّ من تدعون إلاّ إيّاه» الإسراء: ٦٧) و هذا أمر مجبول عليه كلّ أحد، و لا تجد أحداً إلّا و فزعه و انقطاعه إلى خالقه من عمق ذاته و فطرته، و إليه تدعوهم الشّريعة بقوله جلّ وعلا: «تعالوا إلى كلمة سوآء بيننا و بينكم ألاّ نعبد إلاّ الله و لانشرك به شيئاً...» آل عمران: ٦٤)

و من البداهة: أنّ ذلك يستلزم ضرورة الاعتراف بكون هذا المنقطع عليه و المفزوع إليه قادراً غير عاجز، و قويّاً غير ضعيف، وغنياً غير فقير، و عالماً غير جاهل، و مالكاً غير مملوك، و ربّاً غير مربوب، فالعقل يذعن له بأنّ إفاضته سجال خيره على غيره لاعن حاجة به إليه، و لاغرض يعود نفعه عليه، بل هو إفضال منه و إحسان، و من شأنه ذلك، فلا داعي له إلى الظّلم لمن عاقب، سوى العدل، و لاغرض له بمعافاة من عافى سوى الفضل... .

و قوله ﴿؏﴾: «و كُلٌّ مُقِرٌّ على نفسه بالتّقصير عمّا استوجبت» أي من الطّاعة و العبادة، و إقراراً مستمرّاً بلسان المقال أوالحال، فإنّهم و إن بالغوا و اجتهدوا كانوا مقصّرين، غير بالغين كنه عبادته تعالى و حقيقتها، إذ لاقدر لها في جنب نعمه عليهم سابقاً و لاحقاً، بل هى بمعزل عمّا يجب لعظمته و جلاله و كبريآئه... و إذا كانت الملائكة المقربون و الأنبيآء و المرسلون و الأوصيآء و أئمّتنا المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين يقولون: «سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك...» و «ما عرفناك حقّ معرفتك...» فما الظّنّ بسواهم؟!

و إلى هذا المعنى أشار مولى الموحّدين إمام المتّقين سيّد الوصيّين أمير المؤمنين عليّ بن

أبيطالب «عليه السلام»

في نهج البلاغة: «و الله لو انماثت قلوبكم انمياثاً، وسالت عيونكم ـ من رغبة إليه أو رهبة منه ـ دماً، ثمّ عمّرتم في الدّنيا، ما الدّنيا باقية، ما جزت أعمالكم ـ و لو لم تبقوا شيئاً من جهدكم ـ أنعمهُ عليكم العظامَ و هُداه إيّاكم للايمان» الخطبة: ٥٢).

فالنّاس كلّهم بفطرتهم موحّدون، و مطيعون لله تعالى، و معترفون بالتّقصير عن أداء ما أوجب الله جلّ وعلا عليهم من الطّاعة و العبادة تجاه ما أنعم عليهم من نعمه، و هم بطبيعتهم مشركون، و عاصون، و مستكبرون عن العبادة و الطاعة، و غافلون عن نعم الله تعالى عليهم...

و ذلك أنّ الإنسان بما أنّه إنسان مركّب من الفطرة الّتي معها الرّوح الخاصّ الإلهي: «و نفخت فيه من روحي» ص: ٧٢) و مناديها هو العقل الّذي يدعو الإنسان إلى التّوحيد و الطّاعة، و من الطبيعة الّتي يكون قوام الجسم بها، و حياته بالرّوح الحيواني، و مناديها هوى النّفس الأمّارة بالسّوء، و محرّكها الشّيطان في داخلها.

و قد أشار الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين «عليهما السلام» إلى الفطرة في أوّل كلامه هذا، و إلى الطّبيعة بقوله «عليه السلام»: «فلولا أنّ الشّيطان يختدعهم...»

و ذلك أنّ الشّيطان هو جوهر نطقيّ شرير، متولّد من طبقة نارية دخانيّة: «و خلق الجانّ من مارج من نار» الرّحمن: ١٥) و «إبليس كان من الجنّ» الكهف: ٥٠) و كان له نفس ملكوتيّة ظهرت بجهة ظلمانيّة رديّة، شأنه الإغواء، و سبيله الإضلال كما قال تعالى حكاية عنه: «فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين» ص: ٨٢ ـ ٨٣) و قوله «و لأُضلّنّهم و لأُمنّينّهم و لآمرنّهم...» النّسآء: ١١٩) و ذلك لأنّ له سلطنته على طبيعة الإنسان المختلفة المشوبة بكلّ شيئ متوهّم، لا على فطرته الخالصة المتوحدة، فليس للشّيطان فيها سبيل.

و لذلك كان الجهل من طبيعة الإنسان لا من مقتضى فطرته، و هوى النّفس تأمر الإنسان بما تقتضيه طبيعته و هو الشّرك و الطّغيان، و الكفر و العصيان...، و إنّ الشّيطان هو حليف النّفس و قرينها يحرّكها في دعوتها، و أمّا تأثيره في النّفس و تحريكه إيّاها إلى ما

تقتضيه طبيعة الإنسان فإمّا بلطافة الشّيطان و سرعة نفوذه في عروقه، و لطآئف أعضائه و أخلاطه الّتي هي محالّ الشّعور و الإعتقاد، و إقتداره على إضلاله بالوسوسة و الإضلال، و إما لحظّه في موادّ طبيعة الإنسان أو في روحه الحيوانيّ أو في قواه الشّهوانيّة للإنسان.

و انّ مؤيّد العقل هو الشّرع، و مؤيّد الهوى هو الشّيطان، و انّ قلب الإنسان ـ كالمرآة ذي وجهتين ـ بين فطرته و طبيعته، و ينعكس في يمين و جهة القلب بواسطة العقل و الشّرع، مقتضى الفطرة، و هو التّوحيد و الطّاعة، و تنعكس في يسار وجهة القلب بواسطة الهوى و حليفه، مقتضيات الطّبيعة و هي الشّرك و الغواية، و الكفر والضّلالة، و البغي و الجناية....

فمن استجاب لدعوة العقل و مؤيّده فيؤمن بالله تعالى، و من اتبع هواه و حليفه فيكفر و يطغى.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿ﷺ﴾: «اللّهمّ داحي المدحُوّات و داعم المسموكات و جابلَ القلوب على فطرتها شقيّها و سعيدها...» الخطبة: ٧١)

و في التّوحيد: ـ باب أسمآء الله تعالى ـ حديث ٩) بإسناده عن أبي الصّلت عبدالسّلام بن صالح الهرويّ عن عليّ بن موسى الرّضا عن أبيه عن آبآئه عن عليّ عليهم السّلام قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ ـ حديث طويل ـ: «الأكرم معناه الكريم، و قد يجيء أفعل في معنى الفعيل، مثل قوله عزّوجلّ: «و هو أهون عليه» أي هيّن عليه...» الحديث.

و فيه: عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق ﴿ﷺ﴾: «و لله المثل الأعلى الّذي لايشبهه شيء و لايوصف و لايتوهّم، فذلك المثل الأعلى».

و في العيون: عن الامام عليّ بن موسى الرّضا عليه آلاف التّحيّة و الثّنآء: أنّ النّبي ﴿ﷺ﴾ قال لعليّ ﴿ﷺ﴾ «و أنت المثل الأعلى».

و فيه: عن عبدالله بن عبّاس قال: «قام رسول الله ﴿ﷺ﴾ فينا خطيباً، فقال في آخر خطبته: «نحن كلمة التّقوى، و سبيل الهدى و المثل الأعلى و الحجّة العظمى و العروة الوثق...» الحديث.

و في الزّيارة الجامعة الكبيرة: «... السّلام على أئمّة الهدى، و مصابيح الدّجى، و أعلام التّقى، و ذوي النّهى، و اولى الحِجى و كهف الورى، و ورثة الأنبيآء، و المثل الأعلى و الدّعوة الحسنى، و حجج الله على أهل الدّنيا و الآخرة والاولى و رحمة الله و بركاته...» الزّيارة.

و في زيارة الإمام الجواد محمّد التّقيّ «عليه السلام»: «... و واحد الأوصيآء في الإخلاص و العبادة، و حجّتك العليا و مثلك الأعلى و كلمتك الحسنى...».

و في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» لكميل بن زياد النّخعيّ رضوان الله تعالى عليه ـ في حجج الله تعالى و خلفآئه: «... هَجَمَ بهم العلم على حقيقة البصيرة و باشروا روح اليقين، و استلانوا ما استوعره المترفون، و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون، و صحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى، اولئك خلفآء الله في أرضه، و الدّعاة إلى دينه...».

و في اصول الكافي: ـ كتاب العقل و الجهل حديث ١٢) عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبوالحسن موسى بن جعفر «عليه السلام» ـ حديث طويل ـ قال: «... يا هشام قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأنّ لهم مدبّراً فقال: «هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركآء فيما رزقناكم فأنتم فيه سوآء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون».

۳۰ـ (فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون)

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «...فبعث فيهم رسله، و واتر إليهم أنبيآئه ليستأدوهم ميثاق فطرته، و يذكّروهم منسيّ نعمته، و يحتجّوا عليهم بالتّبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول، و يروهم الآيات المقدّرة...» الخطبة الاولى.

و في اصول الكافي: بإسناده عن الحسين بن نعيم الصّحّاف عن أبي عبدالله «عليه السلام» ـ في حديث ـ قال: فقال «عليه السلام»: «إنّ الله عزّوجلّ خلق النّاس كلّهم على الفطرة الّتي فطرهم

عليها لا يعرفون ايماناً بشريعة، و لا كفراً بجحود، ثمّ بعث الله عزّوجلّ الرّسل يدعوا العباد إلى الايمان به، فنهم من هدى الله و منهم من لم يهده».

أقول: إنّ الإنسان بفطرته الرّوحيّة موحّد، مؤمن، سعيد، و بها إنسانيّته، و لا اختلاف فيها بين أفراده بحيث لو اجتمعوا كلّهم من الأوّلين و الآخرين في مكان واحد و زمان واحد، لكانوا جميعاً موحّدين، و هو بطبيعته الجسميّة مشرك، كافر، شقيّ، و بها له صورة إنسان، و فيها بين أفراده اختلاف، بحيث لو اجتمعوا كلّهم في مكان واحد و زمان واحد لا يكون فردان منهم على طبيعة واحدة و لا على صورة واحدة و لا على عقيدة واحدة و لا على هواى نفس واحدة....

و لهذا الإنسان في جنب فطرته، عقل يدعوه إلى ما تقتضيه فطرته من التّوحيد و الإيمان، و الطّاعة... و له في جنب طبيعته، هوى نفسه تدعوه إلى ما تقتضيه طبيعته من الشّرك و الكفر و الطّغيان... و له قلب ذو وجهين ـ كالمرآة ذي الجهتين ـ في أحدهما تنعكس مقتضيات الفطرة، و في الاخرى تنعكس مقتضيات الطّبيعة، فهو بين الدّاعيين المتضادّين، و بذلك صار مختاراً في اعتقاده و عمله... فلابدّ لهذا الإنسان من شخص ثالث، خارج من ذاته، معصوم عن الخطأ و الزّلل، مؤيّد من عندالله جلّ وعلا ليبيّن لهذا الإنسان ما فيه كماله و سعادته، و ما فيه انحطاطه و شقآئه.

فمن استمع لهذا البيان و تعقّل، و غَلَبَ فطرته على طبيعته بحسن اختياره، فيهديه الله تعالى إلى صراطه المستقيم، و من لم يستمع و لم يعقل، و خالفه و غلبت طبيعته على فطرته بسوء اختياره فلم يهده، و يذره في طغيانه يعمه.

و في التّوحيد: بإسناده عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر ﴿ﻉ﴾: أصلحك الله، قول الله عزّوجلّ في كتابه: «فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها»؟ قال: فطرهم على التّوحيد عند الميثاق على معرفته، أنّه ربّهم، قلت: و خاطبوه؟ قال: فطأطأ رأسه، ثمّ قال: لو لا ذلك لم يعلموا مَن ربّهم، و لا من رازقهم».

أقول: و فيه دلالة على أنّ العلم لا يحصل إلاّ بالفطرة، فلا ينفع الإستدلال مالم تكن الفطرة باقية بحالها، و أمّا الكافر فإنّما يكفر باتّباع الهوى و تقليد الآبآء، و غلبة طبيعته على

فطرته، و التعصّب لما عند جمعه من الرّسوم و العقائد الباطلة، و العادات الفاسدة، و الاشتغال بزخارف الدّنيا و الغفلة عن الحقّ و الهدى... و قد اشار رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ الى ذلك بقوله: «كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه...» و مع ذلك، فأصل الفطرة باقية لاتزول لأنّها عجين الذات لقوله تعالى: «لاتبديل لخلق الله» و تظهر نوريّتها بعض الأحيان على القلب و تدعوا الإنسان إلى الحقّ...

و في **نهج البلاغة**: قال يعسوب الدّين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «و كلمة الإخلاص فإنّها الفطرة...».

و في **اصول الكافي** ـ كتاب الايمان و الكفر ـ باب فطرت الخلق على التّوحيد ـ حديث ١) بإسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله ﴿عليه السلام﴾ قال: قلت: «فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها» قال: التّوحيد.

و فيه: بإسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله ﴿عليه السلام﴾ قال: سئلته عن قول الله عزّوجلّ: «فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها» ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التّوحيد قال: «ألست بربّكم» و فيه المؤمن و الكافر».

و فيه: بإسناده عن زرارة قال: سئلت أبا عبدالله ﴿عليه السلام﴾ عن قول الله عزّوجلّ: «فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها» قال: «فطرهم جميعاً على التّوحيد».

و فيه: بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر ﴿عليه السلام﴾ قال: سئلته عن قول الله عزّوجلّ: «حنفآء لله غير مشركين» قال: الحنيفيّة من الفطرة الّتي فطر الله النّاس عليها لاتبديل لخلق الله، قال: فطرهم على المعرفة به. قال زرارة: و سئلته عن قول الله عزّوجلّ: «و إذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى...» الآية قال: أخرج من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذّرّ فعرّفهم و أراهم نفسه، و لولا ذلك لم يعرف أحد ربّه، و قال: قال رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾: كلّ مولود يولد على الفطرة، يعني المعرفة بأنّ الله عزّوجلّ خالقه، كذلك قوله: «و لئن سئلتهم من خلق السّموات و الأرض ليقولنّ الله».

و في **دعآئم الإسلام**: عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام في قول الله عزّوجلّ: «فأقم

وجهك للدّين حنيفاً» قال: أمره أن يقيمه للقبلة حنيفاً، ليس فيه شيء من عبادة الأوثان خالصاً مخلصاً».

و في **تفسير القمي**: بإسناده عن الفضيل و ربعي عن أبي عبدالله ﴿عليه السلام﴾ في قول الله عزّوجلّ: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً» قال: تقيم للصّلاة لاتلتفت يميناً و شمالاً».

أقول: و من المحتمل أن يكون المراد بالدّين الصّلاة لأنّها عمود الدّين و من لوازمه كما عبّر عنها بالايمان في قوله تعالى: «و ما كان الله ليضيع ايمانكم» البقرة: ۱۴۳) و يدلّ على عدم جواز الإلتفات بالوجه يميناً و شمالاً، و لا يبعد شمولها لما بين المشرق و المغرب أيضاً عرفاً.

و في **البحار**: بالاسناد عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا عبدالله ﴿عليه السلام﴾ يقول: «ما من عبد يقوم إلى الصّلاة، فيقبل بوجهه إلى الله إلاّ أقبل الله إليه بوجهه، فإن التفت صرف الله وجهه عنه، و لا يحسب من صلاته إلاّ ما أقبل بقلبه إلى الله، و لقد صلّى أبوجعفر ﴿عليه السلام﴾ ذات يوم، فوقع على رأسه شيء، فلم ينزعه من رأسه حتّى قام إليه جعفر، فنزعه من رأسه تعظيماً لله و إقبالاً على صلاته، و هو قول الله: «أقم وجهك للدّين حنيفاً» و هي أيضاً في الولاية».

ثمّ قال العلاّمة المجلسي رحمة الله تعالى عليه: أي هذا ظاهر الآية، و في باطن الآية فسّر الدّين بالولاية، أو المعنى: أنّ الحنيف إشارة إلى الولاية».

و في **روضة الكافي**: بإسناده عن إسمعيل الجعفي عن أبي جعفر ﴿عليه السلام﴾ قال: «كانت شريعة نوح صلّى الله عليه أن يعبدالله بالتّوحيد و الإخلاص و خلع الأنداد، و هو الفطرة الّتي فطر النّاس عليها...» الحديث.

و في **تفسير العيّاشي**: عن مسعدة عن أبي عبدالله ﴿عليه السلام﴾ في قول الله: «كان النّاس امّة واحدة» الآية ـ حديث طويل ـ قلت: أفضلال كانوا قبل النّبيّين أم على هدى؟ قال: لم يكونوا على هدى كانوا على فطرة الله الّتي فطرهم عليها لاتبديل لخلق الله، و لم يكونوا ليهتدوا حتّى يهديهم الله أما تسمع لقول إبراهيم: «و لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الضّالّين، أي ناسياً للميثاق».

و في **محاسن البرقي**: بإسناده عن زرارة قال: سئلت أبا جعفر ﴿عليه السلام﴾ عن قول الله

عزّوجلّ: «فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها» قال: فطرهم على معرفته أنّه ربّهم، و لولا ذلك لم يعلموا إذا سئلوا من ربّهم و من رازقهم».

و في **تفسير القمي**: و قوله: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً» أي طاهراً.

و فيه: بإسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر﴿ﷺ﴾ في قوله: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً» قال: هي الولاية» و ذلك أنّ الله تعالى أمر بالتوجّه التّامّ إلى الدّين القويم، و الإعراض عن جميع الأديان الباطلة و المذاهب الفاسدة، و الآراء الكاسدة... و لاريب أنّه ولاية مولى الموحّدين أميرالمؤمنين و الأئمة المعصومين عليهم السّلام أعظم أجزائه، بل لايعرف غيرها إلاّ به، و تأنيث الضّمير: «هي» باعتبار الخبر.

و فيه: عن محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السّلام في قوله: «فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها» قال: هو لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، عليّ أميرالمؤمنين وليّ الله إلى ههنا التّوحيد».

قال بعض المعاصرين: و معني كون الفطرة هي الشّهادات الثّلاث: أنّ الإنسان مفطور على الإعتراف بالله لاشريك له بما يجد من الحاجة إلى الأسباب المحتاجة إلى ماورآئها و هو التّوحيد، و بما يجد من النّقص المحوج إلى دين يدين به ليكمّله و هو النبوّة، و بما يجد من الحاجة إلى الدّخول في ولاية الله. بتنظيم العمل بالدّين و هو الولاية، و الفاتح لها في الإسلام هو عليّ﴿ﷺ﴾ و ليس معناه أنّ كلّ إنسان حتّى الإنسان الأوّليّ يدين بفطرته بخصوص الشّهادات الثّلاث. و إلى هذا يؤل معنى الرّواية السّابقة أنّها الولاية فإنّها تستلزم التّوحيد و النّبوّة، و كذا ما مرّ من تفسيره الفطرة بالتّوحيد، فإنّ التّوحيد هو القول بوحدانيّة الله تعالى المستجمع لجميع لصفات الكمال المستلزمة للمعاد و النّبوّة و الولاية، فالمآل في تفسيرها بالشّهادات الثّلاث و التّوحيد و الولاية واحد» انتهى كلامه.

أقول: إنّ المستفاد من الآيات الكثيرة و الرّوايات المتواترة: أنّ الولاية هي روح الرّسالة بحيث لولا الولاية لما كانت الرّسالة متحقّقة إذ قال الله تعالى: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٦٧) و أنّ بالولاية كمال دين الفطرة الّتي فطر الله النّاس عليها، و بها تمام النّعمة الإلهيّة على عباده المؤمنين و بها رضي لهم الإسلام دينا إذ قال: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم

الإسلام ديناً» المائدة: ٣) فلا فكاك بين الشّهادات الثّلاث عند من كان له الدّراية و طيب الولاية، فمن شكّ في ذلك فهو عديم الدّراية و خبيث الولادة بلا شكّ و لاريبة.

و في الدرّ المنثور: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها» قال: دين الله» و هو الدّين الإسلاميّ الّذي كماله بالولاية كما أنّ تبليغ الرّسالة كان بها، مع أنّ الإقرار بالرّسالة و الولاية من شروط التّوحيد كما:

في كتاب التّوحيد: ـ باب ثواب الموحّدين و العارفين ـ حديث ٢٣) بإسناده عن إسحق بن راهُوَيه، قال: لمّا وافى أبوالحسن الرّضا ﴿ع﴾ بنيسابور و أراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع إليه أصحاب الحديث، فقالوا له: يا ابن رسول الله ترحل عنّا و لا (لم) تحدّثنا بحديث فنستفيده منك؟ و كان قد قعد في العُماريّة:، فَاَطلع رأسه، و قال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمّد يقول: سمعت أبي محمّد بن عليّ يقول: سمعت أبي عليّ بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين ابن عليّ بن ابيطالب يقول: سمعت أبي أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب يقول: سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله جلّ جلاله يقول: لاإله إلاّ الله حِصْني فمن دخل حصني أمِنَ من عذابي».

قال: فلمّا مرّت الرّاحلة نادانا: بشروطها و أنا من شروطها».

قال الشّيخ الصّدوق رحمة الله تعالى عليه: «من شروطها: الإقرار للرّضا ﴿ع﴾ بأنّه إمام من قِبَلِ الله عزّوجلّ على العباد، مُفترض الطّاعة عليهم» انتهى كلامه.

و فيه: ـ في هذا الباب ـ حديث ٤) بإسناده عن المفضّل بن عمر قال: قال أبوعبدالله ﴿ع﴾: «إنّ الله تبارك و تعالى ضَمِنَ للمؤمن ضِماناً، قال: قلت: و ما هو؟ قال: ضَمِنَ له ـ إن هو أقرّ له بالرّبوبيّة، و لمحمّد ﴿ﷺ﴾ بالنّبوّه، و لعليّ ﴿ع﴾ بالإمامة، و أدّى ما افترض عليه ـ أن يُسكِنَه في جواره، قال: قلت: فهذه والله الكرامة الّتي لايُشبهها كرامة الآدميّين».

و من البداهة: أنّ الفطرة تطلب أن تدور الإعتقادات و الحركات على مدار التّوحيد، و ذلك لايتمّ إلاّ بها.

و قد ورد صحيحاً ـ حديث قدسى – قال الله عزّوجلّ: «ولاية عليّ بن أبيطالب حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابي»

و فى التّوحيد: ـ باب فطرة الله عزّوجلّ الخلق على التّوحيد ـ حديث ١) بإسناده عن نامع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾: «لاتضربوا أطفالكم على بكآئهم، فإنّ بكآئهم أربعة أشهر: شهادة أن لاإله إلا الله، و أربعة أشهر: الصّلاة على النّبيّ و آله، و أربعة أشهر: الدّعآء لوالديه».

قيل: و ذلك أنّ الطّفل في الأربعة أشهر الاولى لايعرف أحداً، بل يحسّ بالحاجة، فيطلب بالبكآء رفعها، و الرّافع لها هو الله تعالى، فهو يتضرّع إليه و يشهد له بالوحدانيّة، و في الأربعة أشهر الثّانية يعرف من والديه واسطة ما بينه و بين رافع حاجته من غير أن يعرفها بشخصيها، و الواسطة بينه و بين ربّه هو النّبيّ و آله صلوات الله عليهم أجمعين، فبكآئه طلب الرّحمة من ربّه للنّبيّ و آله عليهم السّلام حتّى يصل بتوسّطهم إليه، و في الأربعة أشهر الثّالثة يميّز والديه بشخصيها عن غيرهما فبكاؤه دعآء منه لهما، و طلب جريان الرّحمة من طريقها إليه، في الحديث ألطف الإشارة إلى كيفيّة جريان الفيض من مجرى الوسائط فافهم ذلك.

و في رواية: عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾: «كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يعرب عنه لسانه، فإذا عبر عنه لسانه إمّا شاكراً و إمّا كفوراً».

و في جوامع الجامع: و منه الحديث ـ حديث قدسيّ ـ «خلقت عبادي حنفآء فاحتالتهم الشّياطين عن دينهم، و أمروهم أن يشركوا بي غيري».

و في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى الله سبحانه و تعالى الايمان به و برسوله، و الجهاد في سبيله فإنّه ذروة الإسلام و كلمه الإخلاص فإنّها الفطرة...» الخطبة: ١٠٩).

و فيه: قال سيّد الوصيّين يعسوب الدّين أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ «فإنّي وُلدِتُ على الفطرة و سبقت إلى الايمان و الهجرة»

٣٧ـ (فآت ذا القربى حقّه و المسكين و ابن السّبيل ذلك خير للّذين يريدون وجه الله و اولئك هم المفلحون)

في مستدرك الوسآئل للعلاّمة المحدّث النّوريّ المازندرانيّ رضوان الله تعالى عليه ـ كتاب الخمس ـ أبواب قسمة الخمس ـ حديث ١٠): السيّد حيدر الآملي في الكشكول: عن المفضّل بن عمر قال: قال مولاي الصّادق ﴿عليه السلام﴾: «لمّا ولّى أبوبكر قال له عمر: إنّ النّاس عبيد هذه الدّنيا لايريدون غيرها، فامنع عن عليّ ﴿عليه السلام﴾ الخمس و الفيء و فدكاً، فإنّ شيعته إذا علموا ذلك تركوا عليّاً ﴿عليه السلام﴾ رغبة في الدّنيا، و ايثاراً و محاباة عليها، ففعل ذلك و صرف عنهم جميع ذلك ـ إلى أن قال ـ قال عليّ ﴿عليه السلام﴾ لفاطمة عليها السّلام: سيري إلى أبي بكر و ذكّريه فدكاً مع الخمس و الفيء، فصارت فاطمة عليها السّلام إليه و ذكرت فدكاً مع الخمس و الفيء، فقال لها: هاتي بيّنة يا بنت رسول الله، فقالت له:

أمّا فدك فإنّ عزّوجلّ أنزل على نبيّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾ قرآناً يأمره فيه بأن يؤتيني و ولدي حقّي، قال الله تعالى: «فآت ذاالقربى حقّه» فكنت أنا و ولدي أقرب الخلآئق إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فنحلني و ولدي فدكاً، فلمّا تلاعليه جبرئيل «و المسكين و ابن السّبيل» قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: ما حقّ المسكين و ابن السّبيل؟ فأنزل الله: «و اعلموا أنّما غنمتم من شئ فأنّ لله خسمه و للرّسول ولذي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السّبيل» فقسّم الخمس خسمة أقسام، فقال: «ما أفآء الله على رسوله من أهل القرى فللّه و للرّسول ولذي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السّبيل كي لايكون دولة بين الأغنيآء منكم».

فما كان لله فهو لرسوله، و ما كان لرسوله فهو لذي القربى، و نحن ذوالقربى، قال الله تعالى: «قل لاأسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» فنظر أبوبكر إلى عمر، فقال، ما تقول؟ فقال عمر: من ذي القربى، و من اليتامى و المساكين و ابن السّبيل؟ فقالت فاطمة عليها السّلام: اليتامى الّذين يأتمون بالله و برسوله وبذي القربى، و المساكين الّذين أسكنوا معهم في الدّنيا و الآخرة، و ابن السّبيل الّذي يسلك مسلكهم، قال عمر: فإذا الفيء و الخمس كلّه لكم و لمواليكم و لأشياعكم.

فقالت فاطمة عليها السّلام: أمّا فدك فأوجبها الله لي و لولدي دون موالينا و شيعتنا، و

أمّا الخمس فقسمه الله لنا و لموالينا و أشياعنا، كما ترى في كتاب الله، قال عمر: فما لسآئر المهاجرين و الأنصار و التّابعين لهم بإحسان؟ قالت فاطمة عليها السّلام: إن كانوا موالينا و أشياعنا فلهم الصّدقات الّتي قسمها و أوجبها في كتابه، فقال عزّوجلّ: «إنّما الصّدقات للفقرآء و المساكين و العاملين عليها و المؤلّفة قلوبهم و في الرّقاب» إلى آخر القصّة.

قال عمر: فدك لك خاصّة، و الفيء لكم و لأوليآئك، ما أحسب أنّ أصحاب رسول الله «ﷺ» يرضون بهذا، قالت فاطمة عليها السّلام: فإنّ الله رضي بذلك و رسوله رضى له، و قسم على الموالاة و المتابعة، لا على المعاداة و المخالفة...» الخبر.

و في **شواهد التنزيل** للحاكم الحسكاني الحنفي: بإسناده عن ابن عبّاس قال: «لمّا أنزل الله: «و آت ذالقربى حقّه» دعا رسول الله «ﷺ» فاطمة، و أعطاها فدكاً و ذلك لصلة القرابة، و «المسكين»: الطّوّاف الّذي يسئلك، يقول: أطعمه، «و ابن السّبيل» و هو الضّيف، حثّ على ضيافته ثلاثة أيّام، و إنّك يا محمّد إذا فعلت هذا فافعله لوجه الله «و اولئك هم المفلحون» يعني أنت و من فعل هذا من النّاجين في الآخرة من النّار الفآئزين بالجنّة».

في تفسير القمّي: في قوله تعالى: «و ما آتيتم من ربا ليربوا في أموال النّاس فلا يربوا عندالله» بإسناده عن حفص بن غياث قال: قال أبوعبدالله «عليه السلام»: «الرّبا رباءان: أحدهما ـ حلال، و الآخر حرام، فأمّا الحلال فهو أن يقرض الرّجل أخاه قرضاً طمعاً أن يزيده و يعوّضه بأكثر ممّا يأخذه بلاشرط بينهما، فإن أعطاه أكثر ممّا أخذه على غير شرط بينهما فهو مباح له، و ليس له عند الله ثواب فيما أقرضه، و هو قوله: «فلا يربوا عندالله» و أمّا الرّبا الحرام فالرّجل يقرض قرضاً، و يشترط أن يردّ أكثر ممّا أخذه فهذا هو الحرام، و قوله: «و ما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون» أى ما بررتم به إخوانكم و أقرضتموهم لاطمعاً فى زيادة».

و قال الصّادق «عليه السلام»: «على باب الجنّة مكتوب: القرض بثمانية عشرة، و الصّدقة بعشرة».

و فى **مستدرك الوسائل:** ـ كتاب التّجارة ـ باب تحريم أجر الفاجرة... ـ حديث ١) الجعفريات: بإسناده عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليّ بن الحسين عن أبيه عن

عليّ بن أبيطالب عليهم السّلام قال: «من السّحت: ثمن الميتة، و ثمن اللقاح، و مهر البغى، و كسب الحجام، و أجر الكاهن، و أجر القفيز، و أجر الفرطون و الميزان إلاّ قفيزاً يكيله صاحبه، أو ميزاناً يزن به صاحبه، و ثمن الشّطرنج، و ثمن النرد، و ثمن القرد، و جلود السّباع، و جلود الميتة قبل أن تدبغ، و ثمن الكلب، و أجر الشّرطي الّذي لايعديك إلاّ بأجر، و أجر صاحب السّجن، و أجر القائف (القاضى خ) وثمن الخنزير، و أجر القاضي، و أجر السّاحر (الصّاحب خ) و أجر الحاسب بين القوم لايحسب لهم إلاّ بأجر، و أجر القاريء الّذي لايقرأ القرآن إلاّ بأجر.

و لابأس أن يجرى له من بيت المال، و الهداية يلتمس أفضل منها، و ذلك قوله تعالى: «ولا تمنن تستكثر» و هو قوله تعالى: «و ما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال النّاس فلا يربو عند الله» و هى الهدية يطلب منها من تراث الدّنيا أكثر منها، و الرّشوة في الحكم، و عسب الفحل، و لابأس أن يهدى له العلف، و أجر القاضي إلاّ قاضٍ يجرى عليه من بيت المال، و أجر المؤذّن إلاّ مؤذّن يجرى عليه من بيت المال».

قوله ﴿ﷺ﴾: «القفيز»: مكيال و مساحة، و «الفرطون»: الرّهن المجعول للسّابق، و «القائف»: من يتتبّع الآثار و يعرفها، و «عسب الفحل»: الكراء الّذي يؤخذ على تلقيح فحل الحيوان للانثى.

و فيه: فقه الرّضا ﴿ﷺ﴾: «و اعلم أنّ الرّبا ربوان: ربا يؤكل، وربا لايؤكل، فأمّا الرّبا الّذي يؤكل، فهو هديتك إلى رجل تطلب الثّواب أفضل منه».

و في فروع الكافي ـ كتاب المعيشة ـ باب الرّبا ـ حديث ۹) بإسناده عن إبراهيم بن عمر اليمانيّ عن أبي عبدالله ﴿ﷺ﴾ قال: «الرّبا رباءان: ربا يؤكل، و ربالايؤكل، فأمّا الّذي يؤكل فهديّتك إلى الرّجل تطلب منه الثّواب أفضل منها، فذلك الرّبا الّذي يؤكل، و هو قوله عزّوجلّ: «و ما آتيتم من ربا ليربوا في أموال النّاس فلايربوا عندالله» و أمّا الّذي لايؤكل فهو الرّبا الّذي نهى الله عزّوجلّ عنه و أوعد عليه النّار».

رواه الشّيخ في التّهذيب مثله.

و فيه: بالاسناد عن إبراهيم بن عمر عن أبي عبدالله ﴿ﷺ﴾ في قوله تعالى: «و ما آتيتم

من ربا ليربوا في أموال النّاس فلا يربوا عندالله» قال: هو هديّتك إلى الرّجل تطلب منه الثّواب أفضل منها فذلك يؤكل» و في الفقيه مثله.

و في **خطبة الصّدّيقة الطّاهرة** فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها: «... ففرض الله تعالى الايمان تطهيراً من الشّرك و الصّلاة تنزيهاً عن الكبر، و الزّكاة زيادة في الرّزق...» الخطبة.

و **في المجمع**: قال في قوله تعالى: «و ما آتيتم من ربا ليربوا في أموال النّاس فلا يربوا عند الله»: قيل: في الرّبا المذكور في الآية قولان: أحدهما ـ أنّه ربا حلال و هو أن يعطى الرّجل العطيّة أو يهدي الهديّة ليثاب أكثر منها، فليس فيه أجر و لاوزر عن ابن عباس و طاوس و هو المروي عن أبي جعفر «عليه السلام». و **القول الآخر**: أنّه الرّبا المحرّم عن الحسن و الجبائي، فعلى هذا يكون كقوله: «يمحق الله الرّبا و يربي الصّدقات».

و **في رواية**: قال الإمام عليّ «عليه السلام»: «المواهب ثلاثة: موهبة يراد بها وجه الله، و موهبة يراد بها وجوه النّاس، و موهبة يراد بها الثّواب، فموهبة الثّواب يرجع فيها صاحبها إذا لم يثب منها».

و ذلك أنّ الواهب لايخلو في هبته من ثلاثة أحوال: **أحدها** ـ أن يريد بها وجه الله تعالى، و يبتغي عليها الثّواب منه. **ثانيها** ـ أن يريد بها وجوه النّاس رياءاً ليحمدوه عليها و يثنوا عليه من أجلها. **ثالثها** ـ أن يريد بها الثّواب ـ من الموهوب له. و قال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «إنّما الأعمال بالنّيّات». فأمّا إذا أراد بهبته وجه الله تعالى و ابتغى عليه الثّواب من عنده فله ذلك عند الله بفضله و رحمته قال الله تعالى: «و ما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون».

و كذلك من يصل قرابته ليكون غنيّاً حتّى لايكون كلّاً على غيره فالنّيّة في ذلك متنوّعة، فإن كان ليتظاهر بذلك دنياً فليس لوجه الله سبحانه و إن كان لما له عليه من حقّ القرابة و بينهما من وشيجة الرّحم فإنّه لوجه الله عزّ وجلّ، و أمّا من أراد بهبته وجوه النّاس رياء وسمعة ليحمدوه عليها و يثنوا عليه من أجلها فلا منفعة له في هبته، لاثواب في الدّنيا و لاأجر في الآخرة.

قال الله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ و الأذى كالّذي ينفق ماله رئاء النّاس...» البقرة: ٢٦٤).

و أمّا من أراد بهبته الثّواب من الموهوب له، فله ما أراد بهبته، و له أن يرجع فيها ما لم يثب بقيمتها أو عوضها، فللواهب أن يرجع إلى هبته إن كانت عينها موجودة و كانت غير معوّضة.

و في **مصباح الشريعة**: عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق ﴿عليه السلام﴾ قال: قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «الحريص محروم، و مع حرمانه مذموم في أيّ شيء كان و كيف لا يكون محروماً؟ و قد فرّ من وثاق الله و خالف قول الله تعالى حيث يقول: «الله الّذي خلقكم ثمّ رزقكم».

و في **عيون الأخبار**: بإسناده عن ياسر الخادم قال: قلت للرّضا ﴿عليه السلام﴾ ما تقول في التّفويض؟ فقال: إنّ الله تبارك و تعالى فوّض إلى نبيّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أمر دينه، فقال: «ما آتاكم الرّسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا» فأمّا الخلق و الرّزق فلا، ثمّ قال ﴿عليه السلام﴾: إنّ الله عزّوجلّ خالق كلّ شيء و هو يقول عزّوجلّ: «الله الّذي خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه و تعالى عمّا يشركون».

٤١ـ (ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي النّاس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون)

في **تفسير القمّي**: و قوله: «ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي النّاس» قال: في البرّ فساد الحيوان إذا لم يمطر، و كذلك هلاك دوابّ البحر بذلك.

و قال الصّادق ﴿عليه السلام﴾: «حياة دوابّ البحر بالمطر، فإذا كفّ المطر ظهر الفساد في البرّ و البحر و ذلك إذا كثرت الذّنوب و المعاصي».

و فيه: بإسناده عن ميسّر عن أبي جعفر ﴿عليه السلام﴾ قال: قلت: «ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي النّاس، قال: ذلك والله يوم قالت الأنصار: منّا رجل، و منكم رجل».

في روضة الكافي ـ حديث ١٩) بإسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر «عليه السلام» في قوله عزّوجلّ: «ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي النّاس» قال: ذاك والله حين قالت الأنصار: «منّا أمير و منكم أمير».

و فيه: ـ حديث ٣٤٩) بإسناده عن أبي الرّبيع الشّاميّ ـ في حديث ـ قال: و سئلت أبا عبدالله «عليه السلام» عن قول الله عزّوجلّ: «قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلكم» (من قبل ظ) فقال: عنى بذلك أي انظروا في القرآن فاعلموا كيف كان عاقبة الّذين من قبلكم و ما أخبركم عنه...» الحديث.

و لاريب أنّ السّبب الأصلي و الباعث الكلّي و الموجب القطعيّ في عوز الأنهار و احتباس الأمطار و ظهور الغلاء و الجدب و القحط و سائر علامات الغضب الإلهيّة: الشّرك بالله سبحانه و شيوع المعصية و كفران النّعمة و التّمادي في البغي و العدوان، و منع الحقوق و التطفيف في المكيال و الميزان و الظّلم و الغدر، و ترك الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر و نقص المكيال و الميزان و منع الزّكاة و الخمس، و الحكم بغير ما أنزل الله تعالى و ما إليها من المعاصي و الذّنوب الّتي تخرق الأستار و تكشف الأسرار و تغضب الجبّار.

قال الله عزّوجلّ: «إنّ الله لايغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم» الرّعد: ١١).

و قال: «ولو أنّ أهل القرى آمنوا و اتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السّمآء و الأرض و لكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» الأعراف: ٩٦).

و قال: «ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فأذا قها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون» النحل: ١١٢) و غيرها من الآيات القرآنيّة...

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «... و احذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال و ذميم الأعمال، فتذكّروا في الخير و الشّرّ أحوالهم و احذروا أن تكونوا أمثالهم...» الخطبة القاصعة.

و في وسائل الشّيعة: ـ كتاب الصّلاة ـ باب ٧ ـ من أبواب صلاة الاستسقاء ـ

الحديث ٢).

قال رسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾: «إذا غضب الله تبارك و تعالى على أُمّة و لم ينزل عليها العذاب ـ أي عذاب الاستئصال ـ غالت أسعارها و قصرت أعمارها و لم تربح تجارتها و لم تزك ثمارها، و لم تغزر أنهارها، و حبس عنها أمطارها و سلّط الله عليها أشرارها».

و فيه ـ كتاب الأمر بالمعروف ـ باب ٤١ ـ من أبواب الأمر و النّهي الحديث ١) قال رسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾: «خمس خصال إن أدركتموها فتعوّذوا باللّه من النّار: لم تظهر الفاحشة في قوم حتّى يعلنوها إلاّ ظهر فيهم الطّاعون و الأوجاع الّتي لم تكن في أسلافهم الّذين مضوا، و لم ينقصوا المكيال و الميزان إلاّ اخذوا بالسّنين و شدّة المؤنة و جور السّلطان، و لم تمنع الزّكاة إلاّ منع القطر من السّمآء، فلولا البهآئم لم يمطروا، و لم ينقضوا عهد الله و رسوله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ إلاّ سلّط الله عليهم عدوّهم، فأخذ بعض ما في أيديهم، و لم يحكموا بغير ما أنزل الله إلاّ جعل بأسهم بينهم».

و فيه ـ في هذا الكتاب ـ باب ٣٧ ـ من أبواب الأمر و النهي ـ الحديث ٤) قال الإمام الباقر ﴿عليه السلام﴾: «أما انّه ليس سنة أقلّ مطراً من سنة، و لكنّ الله يضعه حيث يشآء، إنّ الله جلّ جلاله إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ماكان قدر لهم من المطر في تلك السّنة إلى غيرهم، و إلى النّبات و البحار و الجبال».

و فيه: ـ قال الإمام جعفر بن محمّد الصّادق ﴿عليه السلام﴾: «إذا فشىٰ أربعة ظهرت أربعة: إذا فشيٰ الزّنا ظهرت الزّلزلة، و إذا فشيٰ الجور في الحكم احتبس القطر ـ إلى أن قال ـ و إذا منعوا الزّكاة ظهرت الحاجة».

و فيه: ـ كتاب الزّكاة ـ باب ٣ ـ من أبواب ما تجب فيه الزّكاة ـ الحديث ٢٩) قال الإمام عليّ بن موسى الرّضا ﴿عليه السلام﴾: «إذا كذب الولاة حبس المطر، و إذا جار السّلطان هانت الدّولة، و إذا حبست الزّكاة ماتت المواشي».

و فيه: ـ كتاب الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر ـ باب ٨ من أبواب الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر ـ الحديث ١) في حديث: «إنّ الله تعالى أوحى إلى شعيب: أنّي معذّب أربعين ألفاً من شرار قومك، و ستّين ألفاً من خيارهم، فقال: هؤلآء الأشرار، فما بال

الأخيار؟ قال: إنهم داهنوا أهل المعاصي و لم يغضبوا لغضبي».

و في **دعاء الكميل**: قال سيّد الوصيّين يعسوب الدّين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾: «اللّهمّ اغفر لي الذّنوب الّتي تهتك العصم، اللّهمّ اغفرلي الذّنوب الّتي تنزل النّقم، اللّهمّ اغفر لي الذّنوب الّتي تغيّر النّعم، اللّهمّ اغفر لي الذّنوب الّتي تحبس الدّعآء، اللّهمّ اغفر لي الذّنوب الّتي تنزل البلاء...»

و في حديث عقوبات المعاصي: «الذّنوب الّتي تغيّر النّعم البغي، و الذّنوب الّتي تورث النّدم القتل، و الّتي تنزل النّقم الظّلم، و الّتي تهتك السّتور شرب الخمر، و الّتي تحبس الرّزق الزّنا، و الّتي تعجل الفنآء قطيعة الرّحم، و الّتي تردّ الدعاء و تظلم الهواء عقوق الوالدين».

و في **نهج البلاغة**: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب﴿ﷺ﴾: «ألا و قد أمعنتم في البغي، وأفسدتم في الأرض، مصارحة لله بالمناصبة، و مبارزة للمؤمنين بالمحاربة ـ فالله الله في عاجل البغي، و آجل وخامة الظّلم و سوء عاقبة الكبر...» الخطبة القاصعة.

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾: «و من سلّ سَيْفَ البغي قُتِلَ به».

و في **خبر**: «إنّ أسرع الشّرّ عقوبة البغي».

و في **وسائل الشّيعة** ـ كتاب الإجارة ـ باب ١٧ ـ الحديث ١) قال أحدهم عليهم السّلام مشيراً إلى فتوى نقلت له عن بعض النّاس: «من هذا و أشباهه تحبس السّمآء قطرها» و غيرها من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الّتي هي أكثر من أن تحصى.

و في **البحار**: ابن النّعمان، عن داود بن فرقد، عن أبي عبدالله﴿ﷺ﴾ قال: «إنّ العمل الصّالح ليذهب إلى الجنّة، فيمهد لصاحبه كما يبعث الرّجل غلاماً (غلامه خ) فيفرش له، ثمّ قرأ: «أمّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات فلأنفسهم يمهدون». رواه المفيد (في المجلس الثّالث و العشرين) من أماليه.

أقول: و ليست بهذه العبارة آية في القرآن الكريم، و لولا الاشتباه من النّسّاخ أو الرّاوي لذكر الإمام﴿ﷺ﴾ معني الآية الكريمة.

و فيه: و من كتاب الشّفآء، و الجلآء عن أبي عبدالله﴿ﷺ﴾ قال: «إنّ الله عزّوجلّ

خلق طينة المؤمن من طينة الأنبيآء فلا ينجس أبداً، و قال: إنّ عمل المؤمن يذهب، فيمهّد له في الجنّة كما يرسل الرّجل غلامه فيفرش له، ثمّ تلا: «و من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون».

و في المجمع: و روى منصور بن حازم عن أبي عبدالله «عليه السلام» قال: «إنّ العمل الصّالح ليسبق صاحبه إلى الجنّة، فيمهّد له كما يمهّد لأحدكم خادمه فراشه».

و فيه: و جائت الرّواية عن أمّ الدّردآء: أنّها قالت: سمعت رسول الله «صلى الله عليه و آله» يقول: «ما من امرىء مسلم يردّ عن عرض أخيه إلاّ كان حقّاً على الله أن يردّ عنه نار جهنّم يوم القيامة».

و في تفسير القمي: قال: ثمّ ذكر عزّوجلّ عظيم قدرته و تفضّله على خلقه، فقال «الله الّذي يرسل الرّياح فتثير سحاباً» أي ترفعه «فيبسطه في السّمآء كيف يشآء و يجعله كسفاً».

قال: بعضه على بعض «فترى الودق» أي المطر «يخرج من خلاله ـ إلى قوله ـ لمبلسين» أي آيسين. «فنظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها أنّ ذلك لمحي الموتى» و هو ردّ على الدّهريّة».

و في الدّرّ المنثور: عن أنس بن مالك أنّ رسول الله «صلى الله عليه و آله» ترك قتلى بدر أيّاماً حتّى جيفوا ثمّ أتاهم، فقام يناديهم، فقال: «يا أُميّة بن خلف، يا أباجهل بن هشام، ياعتبة بن ربيعة، هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً» فسمع عمر صوته «صلى الله عليه و آله»، فجآء فقال: يا رسول الله تناديهم بعد ثلاث؟ و هل يسمعون؟ يقول الله: «انّك لاتسمع الموتى»؟ فقال «صلى الله عليه و آله»: «والّذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع منهم، ولكنّهم لايطيقون أن يجيبوا».

و في تفسير القمي: و قال عليّ بن إبراهيم في قوله: «الله الّذي خلقكم من ضعف» يعني من نطفة منتنة ضعيفة «ثمّ جعل من بعد ضعف قوّة ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً» و هو الكبر.

و في الصّحيفة السّجاديّة ـ الرّوضة التّاسعة ـ قال سيّد السّاجدين زين‌العابدين الإمام الرّابع عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «... اللّهمّ و إنّك من الضّعف خلقتنا، و على

الوهن بنيتنا، و من مآء مهين ابتدأتنا...».

و في الشرح: أي جعل الله تعالى الضّعف أساس أمر الإنسان، أمّا بحسب الخلقة و البنية فلأنّه خلقه من أصل ضعيف هو النّطفة، و أمّا بحسب الأخلاق فلأنّه خُلِقَ ضعيفاً عن مخالفة هواه و مقاتلة دواعيه و قواه، حيث لا يصبر عن اتّباع الشّهوات و لا يستخدم قواه في مشاق الطّاعات كما قال جلّ وعلا: «و خلق الإنسان ضعيفاً» الإنسان: ٢٨) فإنّ المراد بالضّعف فيه: الضّعف عن مخالفة الهوىٰ لأنّها جملة وقعت اعتراضاً تذييلياً مسوقة لتقرير ما قبله من التّخفيف بالرّخصة في نكاح الإمآء، و ليس لضعف البنية مدخل في ذلك، و إن ذهب إليه بعض المفسّرين، فإنّ المقام لا يساعده.

و الوهن: الضّعف، جعله أساساً لما طبع عليه الإنسان من الأخلاق، و ما طبع منه من الأركان، فاستعار له البنآء ايذاناً بغاية لزومه له و عدم انفكاكه عنه، و لك تخصيص الضّعف بالأخلاق و الوهن، بالخلقة أو بالعكس، تفادياً من التّأكيد و ذهاباً إلى التّأسيس الّذي هو خير منه.

و في قوله«عليه السلام»: «و من مآء مهين ابتدأتنا» إشارة إلى قوله تعالى: «و بدأ خلق الإنسان من طين ثمّ جعل نسله من سلالة من مآء مهين» السّجدة: ٧ـ٨) و قوله تعالى: «ألم نخلقكم من ماء مهين» المرسلات: ٢٠) و المهين: الحقير الّذي لا يعبأ به. و المراد بالماء: النّطفة.

قال بعض العلمآء: «و في خلق الإنسان ضعيفاً حكمة بالغة، و ذلك أنّ الخلقة الإنسيّة لو لم تكن ذات وهن و قصور في البنية لما انتبه الإنسان في احتياجه في الحالات كلّها إلى خالقه، و لو لم ينتبه في احتياجه إليه لما أحبّه و لما خشيه و لما استعان به و استعاذ به و التجأ إليه، و لصارت أبواب المعاونات و أوجه المواساة منقطعة بين الخليقة، و لما تدرّج الإنسان بمساعيه الحميدة إلى اكتساب الفضائل، و لما استحقّ بها المحمدة، فسبحان من جعل الإنسان بقصور بنيته فائزاً بأوفى غبطته» انتهى كلامه.

و في تفسير القمّي: و قوله «قال الّذين أُوتوا العلم و الايمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث» فإنّ هذه الآية مقدّمة و مؤخّرة، و إنّما هي: «و قال الّذين أُوتوا العلم و

الايمان في (من ظ) كتاب الله لقد لبثتم إلى يوم البعث».

و في **اللوامع النّورانيّة**: عن عبدالعزيز بن مسلم عن الرّضا«عليه السلام» ـ في حديث وصف الإمام و من له الإمامة، و يستحقّها دون سآئر الخلق ـ قال الرّضا«عليه السلام»: «فلم تزل فى ذرّيّته يعني الإمامة فى ذرّيّة إبراهيم الخليل«عليه السلام» يرثها بعض عن بعض، قرناً فقرناً حتّى ورثها الله عزّوجلّ النّبيّ«صلى الله عليه وآله» فقال جلّ و تعالى: «إنّ أولى النّاس بإبراهيم للّذين اتّبعوه و هذا النّبيّ و الّذين آمنوا والله وليّ المؤمنين» فكانت له خاصّة، فقلّدها رسول الله«صلى الله عليه وآله» عليّاً«عليه السلام» بأمر الله عزّوجلّ على رسم ما فرض الله، فصارت فى ذرّيّته الأوصيآء الّذين آتاهم الله العلم و الايمان بقوله جلّ وعلا: «و قال الّذين اوتوا العلم و الايمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث» فهي في عليّ«عليه السلام» خاصّة إلى يوم القيامة إذ لانبيّ بعد محمّد«صلى الله عليه وآله»».

و في **اصول الكافي**: ـ كتاب الحجّة ـ باب نادر جامع في فضل الإمام و صفاته ـ حديث ۱) مرفوعاً عن عبدالعزيز بن مسلم، قال: كنّا مع الرّضا«عليه السلام» بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة و ذكروا كثرة اختلاف النّاس فيها، فدخلت على سيّدي«عليه السلام» فأعلمته خوض النّاس فيه، فتبسّم«عليه السلام» ثمّ قال ـ حديث طويل ـ: «فلم تزل في ذرّيّته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتّى ورّثها الله تعالى النّبيّ«صلى الله عليه وآله» فقال جلّ و تعالى: «إنّ أولى النّاس بإبراهيم للّذين اتّبعوه و هذا النّبيّ و الّذين آمنوا والله وليّ المؤمنين».

فكانت له خاصّة فقلّدها«صلى الله عليه وآله» عليّاً«عليه السلام» بأمرالله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذرّيّته الأصفيآء الّذين آتاهم الله العلم و الايمان، بقوله تعالى: «و قال الّذين أُوتوا العلم و الايمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث» فهي في ولد عليّ«عليه السلام» خاصّة إلى يوم القيامة إذ لانبيّ بعد محمّد«صلى الله عليه وآله» فمن أين يختار هؤلآء الجهّال؟...».

فلا نبيّ بعد محمّد«صلى الله عليه وآله» حتّى يجعل الإمامة في غير ولد عليّ«عليه السلام» فالإمامة في ولد عليّ«عليه السلام» خاصّة دون غيرهم.

و فيه: ـ كتاب الحجّة ـ باب الإشارة و النّصّ على أميرالمؤمنين«عليه السلام» ـ حديث ۲)

بإسناده عن أبي حمزة الثّمالي عن أبي جعفر ﴿عليه السلام﴾ قال: سمعته يقول: «لمّا أن قضى محمّد نبوّته، و استكمل أيّامه، أوحى الله تعالى إليه: أن يا محمّد قد قضيت نبوّتك و استكملت أيّامك، فاجعل العلم الّذي عندك و الإيمان و الإسم الأكبر و ميراث العلم و آثار علم النّبوّة في أهل بيتك عند عليّ بن أبيطالب، فإنّي لن أقطع العلم و الايمان و الاسم الأكبر و ميراث العلم و آثار علم النّبوّة من العقب من ذرّيّتك كما لم أقطعها من ذرّيّات الأنبيآء».

قوله ﴿عليه السلام﴾: «فاجعل العلم...» إشارة إلى قوله سبحانه: «و قال الّذين اوتوا العلم و الإيمان...» و إلى قوله عزّوجلّ: «ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان» الشّورى: ٥٢) فالمراد بالعلم العلوم الّتي أوحى الله تعالى إلى رسوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و بالايمان التّصديق بها مع الإنقياد، المقرون بالايقان، أو العلوم المتعلّقة بـأُصول الدّيـن، فـيكون تـعميماً بـعد التخصيص، و المراد بالاسم الأكبر إمّا الاسم الأعظم أو القرآن الكريم أو هو مع سائر الكتب السّماويّة النّازلة على الأنبياء عليهم السّلام فالمراد بالاسم صاحب الاسم، أو هو بمعنى العلامة، و المراد بميراث العلم ما في الجفر الأيض من كتب الأنبيآء السّابقين، فيكون على بعض الوجوه المتقدّمة تأكيداً أو كتب العلمآء السّابقين سوى الكتب السّماوية المنزلة.

و من المحتمل أن تكون إضافة «ميراث» إلى «العلم» لاميّة فالمراد به الخلافة الكبرى، أو المراد به التخلّق بأخلاق الله تعالى أي ما أورثه العلم، و المراد به «آثار علم النّبوّة» جميع علم النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ تأكيداً أو كتب الأنبيآء عليهم السّلام تأكيداً أو تأسيساً أو آثار الأنبيآء ـ سوى العلم ـ من السّلاح و العصا و غيرهما، أو هى علم الشّرآئع و الأحكام كلّها... أو إشارة إلى ما تتجدّد لهم من العلوم في ليلة القدر و غيرها، فإنّها من آثار علم النّبوّة المترتّبة عليها، فالمراد بجعلها عنده جعله قابلاً و مهيّئاً لذلك.

في تفسير الجواهر: قال عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب».

و فيه: قال بعض العلمآء: «القرآن يحوى سبعة و سبعين ألف علم، و مأتي علم إذ كلّ كلمة علم».

و فيه: قال ابن مسعود: «من أراد علم الأوّلين و الآخرين فليتدبّر القرآن».

و فيه: قال عليّ«ع»: «من فهم القرآن فسّر به جمل العلم».

ثمّ قال طنطاوي: أشار به إلى أنّ القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلّها» و قال: «و بالجملة فالعلوم كلّها داخلة في أفعال الله عزّوجلّ و صفاته، و في القرآن شرح ذاته و أفعاله و صفاته».

۶۰ـ (فاصبر إنّ وعد الله حقّ و لايستخفّنّك الّذين لايوقنون)

في تفسير القمّيّ: و قوله: «فاصبر إنّ وعد الله حقّ و لايستخفّنّك الّذين لايوقنون» أي لايغضبنّك. قال: كان عليّ بن أبيطالب«ع» يصلّي و ابن الكوّا خلفه، و أمير المؤمنين«ع» يقرأ، فقال ابن الكوّا: «و لقد اوحي اليك و إلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك و لتكوننّ من الخاسرين» فسكت أميرالمؤمنين«ع» حتّى سكت ابن الكوّا، ثمّ عاد في قرائته حتّى فعل ابن الكوّا ثلاث مرّات، فلمّا كان في الثّالثة قال أميرالمؤمنين«ع»: «فاصبر إنّ وعد الله حقّ و لايستخفّنّك الّذين لايوقنون».

و في مستدرك الوسآئل: الجعفريّات: أخبرنا محمّد (حدّثني موسى) حدّثنا أبي عن أبيه عن جدّه جعفر بن محمّد عن أبيه: «أنّ عليّاً عليهم‌السّلام كان يؤم النّاس في مسجد الكوفة، فقرأ ابن الكوّا: «و لقد اوحي إليك و إلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك و لتكوننّ من الخاسرين» فلمّا قرأ سكت عليّ«ع» فلمّا أتمّ ابن الكوّا الآية و سكت قرأ عليّ«ع» ثمّ عاد ابن الكوّا، و سكت عليّ«ع» ثلاث مرّات، ثمّ قرأ عليّ«ع» الثّالثة: «فاصبر إنّ وعدك حقّ و لايستخفّنّك الّذين لايوقنون».

وفي تفسير المراغي: «أخرج ابن أبي شيبة و ابن جرير و ابن المنذر و الحاكم البيهقي: أنّ رجلاً من الخوارج نادى عليّاً و هو في صلاة الفجر، فقال: «و لقد اوحي إليك و إلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك و لتكوننّ من الخاسرين» فأجابه و هو في الصّلاة: «فاصبر إنّ وعد الله حقّ ولا يستخفّنّك الّذين لايوقنون».

ثمّ قال المراغي: «و لاعجب من صدو ـ مثل هذا الجواب على البديهة من عليّ كرّم الله وجهه و هو مدينة العلم».

و في المناقب لابن شهرآشوب السّرويّ المازندرانيّ رضوان الله تعالى عليه عن أبي مطهر البصريّ ـ في حديث ـ و كان عليّ «عليه السلام» في صلاة الصّبح، فقال ابن الكوّاء من خلفه: «و لقد اوحي إليك و إلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك و لتكوننّ من الخاسرين» فأنصت عليّ «عليه السلام» تعظيماً للقرآن حتّى فرغ من الآية، ثمّ عاد في قرآئته، ثمّ أعاد ابن الكوّآء الآية، فأنصت عليّ «عليه السلام» أيضاً، ثمّ قرأ فأعاد ابن الكوّآء فأنصت عليّ «عليه السلام» ثمّ قال: «فاصبر إنّ وعد الله حقّ و لا يستخفّنّك الّذين لا يوقنون» ثمّ أتمّ السّورة و ركع...» الحديث.

و في اصول الكافي: ـ كتاب الحجّة ـ باب ما يفصل به بين دعوى المحقّ و المبطل في أمر الإمامة ـ حديث ١٦) بإسناده عن موسى بن بكر بن داب عمّن حدّثه عن أبي جعفر «عليه السلام»: أنّ زيد بن عليّ بن الحسين «عليه السلام» دخل على أبي جعفر محمّد بن عليّ و معه كتب من أهل الكوفة يدعونه فيها إلى أنفسهم و يخبرونه باجتماعهم، و يأمرونه بالخروج، فقال له أبوجعفر «عليه السلام»: هذه الكتب ابتداء منهم أو جواب ما كتبت به إليهم و دعوتهم إليه؟ فقال: بل ابتداء من القوم لمعرفتهم بحقّنا و بقرابتنا من رسول الله «صلى الله عليه و آله» و لما يجدون في كتاب الله عزّوجلّ من وجوب مودّتنا و فرض طاعتنا، و لما نحن فيه من الضّيق و الضّنك و البلاء.

فقال له أبوجعفر «عليه السلام»: إنّ الطاعة مفروضة من الله عزّوجلّ و سنّة أمضاها في الأوّلين، و كذلك يجريها في الآخرين، و الطّاعة لواحد منّا و المودّة للجميع، و أمر الله يجري لأوليآئه بحكم موصول، و قضآء مفصول، و حتم مقضيّ و قدر مقدور، و أجل مسمّى لوقت معلوم «فلا يستخفّنّك الّذين لا يوقنون» إنّهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، فلا تعجل، فإنّ الله لا يعجل لعجلة العباد، و لا تسبقنّ الله فتعجزك البليّة فتصرعك، قال: فغضب زيد عند ذلك...» الحديث.

«بحث فقهيّ قرآنيّ استدلاليّ»

و اعلم أنّ البحث في المقام يدور حول أحد عشر فصلاً:

الفصل الأول: أنّ بعض الفقهآء استدلّ بقوله تعالى: «فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون و له الحمد في السّموات و الأرض و عشيّاً و حين تظهرون» الرّوم: ١٧ ـ ١٨) على وجوب التسبيح و الحمد في ركوع الصّلاة و سجودها. و ذلك أنّ قوله تعالى: «فسبحان الله» خبر في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى عمّا لايليق بساحة قدسه، و على الثّنآء عليه في الأوقات الأربع الّتي تظهر فيها قدرته و تتجدّد فيها نعمه على عباده.

و قوله تعالى: «تمسون» من الإمسآء بمعنى الدّخول في المسآء، و «تصبحون» من الإصباح: الدّخول في الصّباح، و آثار القدرة الإلهيّة فيهما ظاهرة، حيث إنّ المساء: وقت زوال النّور الكامل المنتشر في الآفاق في زمن يسير، و الصّباح: وقت انتشار النّور في زمن يسير أيضاً.

و قوله سبحانه: «و له الحمد في السّموات و الأرض» أي هو المستحقّ بحمد أهلهما لإنعامه تعالى عليهم، فعليهم أن يحمدوه وحده، فكأنّها جملة معترضة، و «عشيّاً» معطوف على «حين تمسون» أي و في العشآء، و ترك لفظ «حين» فيه لعدم مجيىء الفعل منه، و «حين تظهرون»: تدخلون في الظّهيرة و هي نصف النّهار.

و من المحتمل أن يكون «وله الحمد» متعلّقاً بما بعده، و يكون «و عشيّاً» معطوفاً على «السّموات و الأرض» بنزع الخافض أي و له الحمد في السّموات و الأرض و في العشيّ و

الظّهيرة، فيكون التّسبيح متعلّقاً بالمسآء و الصّباح، و الحمد بالعشيّ و الظّهيرة لأنّ تجدّد النّعمة الإلهيّة في هذين الوقتين أكثر كما أنّ ظهور القدرة و العظمة في المسآء و الصّباح أظهر.

ففي الآيتين الكريمتين دلالة على رجحان تسبيحه و تحميده في هذه الأوقات... فإنّ المراد بالتّسبيح و الحمد: الذّكر المخصوص، غير الصّلاة، و حينئذٍ فيثبت وجوب التّسبيح و الحمد في الرّكوع و السّجود و الاستحباب فيما عداهما. و يؤيّده ما:

في جوامع الجامع: «عن النّبيّ ﴿ﷺ﴾: «من سرّه أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل: «فسبحان الله حين تمسون ـ إلى قوله ـ و كذلك تخرجون».

و في عوالي اللئالي: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «من قرأ حين يصبح: «فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون و له الحمد في السّموات و الأرض و عشيّاً و حين تظهرون يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحيي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون» أدرك مافاته في يومه، و إن قالها حين يمسى أدرك ما فاته في ليلته».

و في قلائد الدّرر: عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ مثله، ولكن بعد قوله تعالى: «و كذلك تخرجون»: أدرك مافاته في ليلته، و من قاله حين يمسى أدرك مافاته في يومه».

و استدلّ أيضاً بقوله تعالى: «حين تمسون و حين تصبحون» على جواز صلاة الصّبح و وجوبها من حين طلوع الفجر الصّادق، على أنّ الصّباح هو ما بين طلوع الفجر الصّادق إلى طلوع الشمس، و على جواز صلاة المغرب و وجوبها من حين دخول المسآء بذهاب الحمرة المشرقيّة من قبّة الرّأس إلى نصف الليل، و عدم جوازها قبله، فالليل شرعاً: ما بين ذهاب الحمرة المشرقيّة إلى طلوع الفجر الثّاني، و اليوم شرعاً: ما بين طلوع الفجر الثاني إلى ذهاب الحمرة المشرقيّة، فتقتضى المقابلة خروج الصّبح عن مسمّى الليل.

قال الله تعالى: «وكلوا و اشربوا حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثمّ أتمّوا الصّيام إلى الليل» البقرة: ۱۸۷).

و إن كان أكثر أصحاب الحرف و الصّناعات لما كان ابتداء عملهم من طلوع الشّمس إلى غروبها يطلقون اليوم ما بينها، كما أنّ أصحاب النّجوم قد يطلقون اليوم على ما بين

طلوع الشّمس إلى غروبها.

و استدلّ بالآيتين الكريمتين على وجوب الصّلوات الخمس في كلّ يوم و ليلة، و ذلك أنّ قوله تعالى: «حين تمسون» يقتضى المغرب و العشآء الآخرة، و «حين تصبحون» يقتضى صلاة الصّبح، و «عشيّاً» يقتضى صلاة العصر، و «حين تظهرون» يقتضى صلاة الظهر، و إنّما أخّر الظّهر عن العصر لرعاية الفواصل... فالمعنى: فصلّوا هذه الصّلوات الخمس في كلّ يوم و ليلٍ في أوقاتها...

و يؤيّده ماروي عن ابن عبّاس: أنّه سُئِلَ: هل تجد الصّلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم و قرأها هاتين الآيتين.

و رجّح الشّيخ الطّبرسيّ المازندراني في تفسير «مجمع البيان» هذا القول، ثمّ قال: و إنّما خصّ صلاة الليل باسم التّسبيح، و صلاة النّهار باسم الحمد لأنّ الإنسان في النّهار متقلّب في أحوال توجب الحمد لله عليها، و في اللّيل على أحوال توجب تنزيه الله تعالى من الأسواء فيها، فلذلك صار الحمد بالنّهار أخصّ، فسمّيت به صلاة النّهار، و التّسبيح بالليل أخصّ، فسمّيت به صلاة الليل.

و الكلام في عطف «عشيّاً» على السّموات و الأرض بما عرفت سابقاً و لكن ثبوت الصّلاة على الوجه المذكور في السّموات غير معلوم أن يقال: باشتراك الصّلاة فيهما، و فيه نظر لاقتضائه عطف «عشيّاً و حين تظهرون» على «السّموات» و هو غير مناسب، مع أنّ ثبوت الصّلاة على الوجه المذكور «في السموات» غير معلوم، فالاولى جعل التّسبيح وحده كناية عن الصّلاة و يكون جملة «و له الحمد» اعتراضيّة، و «عشيّاً» معطوف على «حين تمسون» كما أشرنا إليه سابقاً.

لايقال: يمكن أن يحتجّ بهذه الآية على اختصاص الوجوب في الصّلوات بأوّل الوقت لأنّ المخلوق لايستحقُ العبادة و كما أنّه منزّه عن صفات المخلوقين كذلك هو متّصف بصفات الكمال الّتي لايتّصف بها المخلوقون، و من كان كذلك استحقّ مطلق الحمد و الثّنآء و لذلك قرن الحمد بالتسبيح، و قال: «و له الحمد في السّموات و الأرض».

و إنّما خصّ الله تعالى العشيّ و الإظهار في الذّكر بالحمد ـ و إن كان حمده واجباً في جميع

الأوقات لأنّها أحوال تذكر بإحسان الله، و ذلك أنّ انقضآء إحسان أوّل يقتضي الحمد عند تمام الإحسان و الأخذ في الآخر كما قال: «و آخر دعواهم أنّ الحمد لله ربّ العالمين» يونس ١٠) انتهى كلامه.

الفصل الثّاني: يستدل بقوله تعالى: «و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّة و رحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» الرّوم: ٢١) على الحثّ على النّكاح و التّرغيب فيه، و على عدم جواز النكاح الدّائم للمؤمن و المؤمنة من الكافر و الكافرة، فإنّ في التّزويج الدّائم سكون و مودّة و رحمة، و هي ممنوعة لمنافاتها للايمان لقوله سبحانه: «يا أيّها الّذين آمنوا لاتتّخذوا عدوّي و عدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة و قدكفروا بما جآءكم من الحقّ» الممتحنة: ١) و قوله عزّوجلّ: «و الّذين معه أشدّآء على الكفّار رحمآء بينهم» الفتح: ٢٩).

و أمّا المتعة فتجوز للمؤمن أن يستمتع كافرة، فإنّ المتعة للحاجة و ليس فيها سكون و مودّة و رحمة، و إنّ الولد تابع لوالده في الايمان.

الفصل الثّالث: أنّ أكثر الاصوليّين و من يحذو حذوهم استدلّوا بقوله سبحانه: «إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» و «إنّ في ذلك لآيات للعالمين» و «إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون» و «إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون» و «كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون» الرّوم: ٢١-٢٤ و ٢٨) على حجيّة الدّليل العقليّ و ترجيحه على الدّليل النّقليّ في الاصول و الفروع، فيجب الاعتماد على الدّليل النّقلي و إلاّ يلزم أن لايكون العقل معتبراً بوجه من الوجوه، و أنّه حجّة من حجج الله تعالى، و قد صرّح كثير من الآيات القرآنيّة و الرّوايات المستفيضة على مدح العمل بمقتضى العقل و ذمّ عكسه.

أقول: و لارَيْبَ أنّ العقل السّليم النّاطق لما تقتضيه الفطرة البشريّة حجّة باطنة من حجج الله تعالى و سراج منير من جهته جلّ وعلا، و هو شرع من داخل كما أنّ الشّرع، شرع من خارج، ولكن تكون حجّيته في طول حجّيّة الشّرع، حيث إنّ العقول لكونها ذوي مراتب متفاوتة، مختلفة إدراكها، و لذلك يعتريها الخطأ فلابدّ من حجّة اخرى لايعتريها الخطأ و هو الشّرع و الدّين القيّم الّذي يبيّن للعقل خطأه، فالعقل السّليم مع كونه

شرعاً من داخل الإنسان، يقتضي شرعاً آخر من خارجه لبيان خطأه، فتأمّل جيّداً و اغتنم جدّاً و لاتغفل فإنّ المقام من مزالّ أقدام الأكابر فضلاً عن الأفاضل...

الفصل الرّابع: يستدلّ بقوله عزّوجلّ: «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركآء في مارزقناكم فأنتم فيه سوآء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون» الرّوم: ٢٨) على جواز الشّركة بين الأحرار من المسلمين على ضروبها: من الشّركة في الأعيان بالميراث كاشتراك الورثة في التّركة، و بالعقد كتملّك جماعة عيناً بالبيع أو الهبة أو الصّدقة أو الوصيّة مشتركة، و بالحيازة كاشتراكهم في الاحتطاب و الاصطياد و نحوهما، و من الشّركة في المنافع كاشتراكهم في منفعة الوقف، و منفعة العين المستأجرة و غيرهما، و من الشّركة في الحقوق كاشتراكهم في حقّ القصاص و حدّ القذف و نحوهما... و في الآية الكريمة دلالة على أنّ العبد لاملك له إذ أخبر تعالى بأن لامشاركة للعبيد فيما رزقنا الله سبحانه من الأموال... و إنّ الآية الكريمة بعمومها تدلّ على جواز جميع ذلك، و إن الخطاب للمسلمين الأحرار فكأنّه قيل: إنّ المستقبح شركة العبيد لسادتهم، و أمّا الأحرار من المسلمين فلا تستقبح شركة بعضهم لبعض و تدلّ على عدم جوازها بين المسلم و الكافر، و لقوله عزّوجلّ: «يا أيها الّذين آمنوا لاتتّخذوا عدوّي و عدوّكم أولياآء تلقون إليهم بالمودّة ـ يا أيّها الّذين آمنوا لا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم» الممتحنه: ١ و ١٣) و قوله سبحانه: «لاتجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادّون من حادّ الله و رسوله...» المجادلة: ٢٢) و لما:

في فروع الكافي: ـ كتاب المعيشة ـ باب مشاركة الذّمّيّ ـ حديث ١) بإسناده عن إبن رئاب قال: قال أبو عبدالله «عليه السلام»: «لاينبغي للرّجل المسلم أن يشارك الذّمّيّ، و لايبضعه بضاعة، و لايودعه وديعة و لايصافيه المودّة».

قوله «عليه السلام»: «يبضعه» من الإبضاع و هو أن يدفع إلىٰ أحد مالاً يتّجربه، و الرّبح لصاحب المال خاصّة.

و فيه: في هذا الباب حديث ٢) بإسناده عن السّكوني عن أبي عبدالله «عليه السلام»: أنّ أميرالمؤمنين صلوات الله عليه كره مشاركة اليهوديّ و النّصرانيّ و المجوسيّ إلاّ أن تكون

تجارة حاضرة لايغيب عنها المسلم».

و أمّا مشاركة الذمّي و غيره في المزارعة فلا بأس

و يستدلّ بهذه الآية الكريمة أيضاً على أنّ العبد لايملك شيئاً، و لايقدر على شيئ كما قال تعالى: «ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لايقدر على شيئ» النّحل: ٥٧) فليس له حقّ و لاشركة في مال مولاه و لايجوز له التّصرّف في مال مولاه و نفسه إلاّ بإذن سيّده، فهو من حيث هو عبد لايقدر على شيئ و لايملكه و لايتصرّف إلاّ ما أقدره عليه مولاه أو أذن له بالكسب و التّجارة و نحوهما، فيحصل له ذلك كالعبيد بالنّسبة إلى الله جلّ وعلا، فلا يملك عيناً و لامنفعة مستقرّاً و لامتزلزلاً من دون فرق بين ما ملكه المولى، و فاضل الضّريبة و أرش الجناية و بين غيرها، فالمملوك لايكون مالكاً لأنّ مالكيّته لغيره فرع مالكيّته لنفسه، و أنّ ما يكتسبه العبد من فوائد ملك مولاه، فيكون تابعاً له، فلا يعقل ملك المملوك على وجه يختصّ به دون مولاه، لأنّ نفسه و بدنه و صفاته الّتي من جملتها سلطانه مملوكة، فسلطان السّلطان غالب عليه.

في الجواهر: قال: «فالحكم على العبد بعدم القدرة على شيئ يقتضي نفي القدرة له على الملك الحاصل بواسطة الأسباب الاختياريّة لأنّ الشيئ نكرة في سياق النّفي، فيكون للعموم، و لدلالة الأخبار على إرادته منه، فيتناول ما ذكرناه، و متى ثبت امتناع الملك الاختياري للعبد ثبت امتناع الملك القهريّ له أيضاً للإجماع كما في مصابيح العلاّمة الطّباطبائي على نفي التّفصيل بهذا الوجه و لقوله تعالى: «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم ممّا ملكت أيمانكم من شركآء فيما رزقناكم فأنتم فيه سوآء» فإنّ الإستفهام فيه إنكاريّ تقتضي امتناع الشّركة بين الأحرار و المماليك بوجه، ولوصحّ ملك العبد لأمكن ذلك قطعاً، و المراد من الموصول في قوله: «فيما رزقناكم» جنس الأموال الّتي رزق عباده لاخصوص الأعيان الّتي رزقها الأحرار...

و على كلّ حال ففي الآيتين إشارة إلى تقرير الإمتناع العقليّ في تملّك المماليك، و للنّصوص الدّالة على أنّ العبد إذا بيع كان ما في يده قبل البيع لسيّده إلاّ أن يدخل في المبيع أو يشترطه المشتري و لوكان العبد مالكاً لاستمرّ ملكه له بعد البيع، و لم يكن شيئ من ذلك

للبايع ولا للمشتري لانتفآء النّاقل عنه، ولاكان للسّيّد بيع المال معه لعدم مالكيّته له و هو ظاهر.

الفصل الخامس: يستدلّ بقوله تعالى: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً» الرّوم: ۳۰) على وجوب توجّه المكلّف في الصّلاة نحو القبلة.

في التّهذيب: بالإسناد عن أبي بصير عن أبي عبدالله«عليه السلام» قال: «سئلته عن قول الله تعالى: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً» قال: أمره أن يقيم وجهه للقبلة ليس فيه شيئ من عبادة الأوثان خالصاً مخلصاً».

الفصل السّادس: يستدلّ بقوله عزّوجلّ: «من الّذين فرّقوا دينهم و كانوا شيعاً كلّ حزب بما لديهم فرحون» الرّوم: ۳۲) على النّهي عن التّفرقة و تقبيحها في اصول الدّين و فروعه، نتيجة لأهوآء النّفوس و مآربها، و تمسّك كلّ فرقة برأيها تمسّك التعصّب الأعمى و النّهي عنه، و على النّهي عن الإجتهاد النّاشئ عن الهوى، و على عدم جواز تقليد غير المعصوم فيما يقول برأيه، و فيما لايعمل فيه بنصّ قرآنيّ أو حديث ثابت عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و على عدم استقلال العقل في امور الدّين و على حاجته إلى الدّليل النّقليّ الثّابت في مدركاته...

الفصل السّابع: أنّ بعض الفقهآء استدلّ بقوله تعالى: «فأت ذا القربى حقّه...» الرّوم: ۳۸)

على وجوب نفقة الأقارب الفقرآء من الذّكور و الاناث، العاجزين عن الكسب، و تخصيصها بالأبوين و الأولاد لإجماع الأصحاب و الأخبار... و قال بعضهم: إنّ المراد بذي القربى الفرد الخاصّ من ذوي قربا رسول الله«صلى الله عليه وآله» لإضافة الحقّ إلى الضّمير المفرد «حقّه» العائد إلى «ذا القربى» كما أنّ حقّه حقّ خاصّ و هذا هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

أقول: و هذا هو الحقّ و لنا كلام دقيق علميّ عميق حول الآية الكريمة في البحث البيانيّ، و في البحث الرّوآئي السّابق فراجع و حول فدك الآتى فانتظر.

و قال بعضهم: إنّ المراد بحقّ القربى: صلة الرّحم بالنّفس و المال على الوجه الّذي

يليق و يمكن، و إنّ الأمر للوجوب، فيجب إعطآء النّفقة الواجبة على الأبوين و الأولاد، و المراد بحقّ المسكين و ابن السّبيل هو الزّكاة على المسكين و ابن السّبيل و نحو ذلك ممّا يجب بإجماع و نحوه، فالمراد بحقّ المسكين و ابن السّبيل، الحقّ المالي المفروض.

و **قال بعضهم**: إنّ الأمر للرّجحان المطلق، فيشمل الصّلة الواجبة و المندوبة للأقارب و غيرهم، فيكون التّفصيل و البيان من غيرها... و المراد بالحقّ في ذي القربى صلة الرّحم بأنواعها، و في المسكين و ابن السّبيل صدقة كانت مفروضة قبل فرض الزّكاة أو الزّكاة المفروضة، سوآء كانت الآية مدنيّة أو مكّيّة، و لابأس أن يكون النّزول سابقاً على الحكم.

الفصل الثّامن: أن يستدلّ بقوله عزّوجلّ: «ذلك خير للذين يريدون وجه الله و اولئك هم المفلحون» الرّوم: ٣٨) على وجوب النّيّة في ايتاء الحقّ صاحبه و ايقاعه على سبيل الإخلاص لله تعالى. أي إعطاء الحقوق مستحقّها خير لمن يريد رضى الله تعالى وحده، و جهة التّقرّب إليه سبحانه من غير رئآء و لاسمعة، فإنّه شرّ لمن يريدهما، و اولئك الّذين يريدون رضى الله جلّ وعلا و التّقرّب إليه وحده هم الفآئزون برضوان الله و القرب إليه دون غيرهم.

الفصل التّاسع: يستدّل بقوله سبحانه: «و ما آتيتم من رباً ليربوا في أموال النّاس فلا يربوا عندالله» الرّوم: ٣٩) و قوله عزّوجلّ: «يمحق الله الرّبا و يربي الصّدقات» البقرة ٢٧٦) على أنّ الرّبا على قسمين: **أحدهما**: حرام. **ثانيهما**: حلال.

أمّا الحرام فهو أن يقرض الرّجل أخاه المسلم قرضاً و يشترط أن يردّ أكثر ممّا أخذه فهذا هو الحرام.

و أمّا الحلال فهو أن يقرض الرّجل أخاه المسلم قرضاً طمعاً أن يزيده و يعوّضه بأكثر مما يأخذه بدون شرط بينهما، فإن أعطاه أكثر ممّا أخذه بغير شرط بينهما فهو مباح له، و لكن ليس له عندالله ثواب فيما أقرضه، فلا أجرله و لاوزر عليه، و كذلك إذا اهدى إلى الرّجل هديّة أو عطيّة طمعاً أن يعوّضه أكثر مما وهب أو أفضل من هديّته فيثاب أكثرمنها، أو عطيّة يتوقع بها مزيد مكافأة، و تسميتها رباً مجاز لأنّها سبب للزّيادة، و

جذب أموال النّاس و جلبها، أو يقرض قرضاً ليخدمه المديون أو يعينه في سفره و غيره فيجعل المخدوم له جزاء الخدمة، أو يقرض قرضاً ثمّ يمنّ على المديون و نحو ذلك.

و يستدلّ بقوله سبحانه: «و ما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون» الرّوم: ٣٩) على وجوب النّيّة في الزّكاة و ايقاعها على سبيل الإخلاص لله تعالى و على وجوب قصد الوجه لأنّ إعطآء المال قد يقع على وجوه كثيرة: فمنها إعطآؤه على وجه الصّدقة، و منها إعطآؤه على وجه الهديّة، و منها الصّلة، و منها الوديعة، و منها قضاء الدّين، و منها القرض، و منها البرّ و منها الزّكاة و منها النّذر و غير ذلك، و بالنّيّة يتميّز بعضها من بعض.

الفصل العاشر: يستدلّ بقوله تعالى: «فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحي الأرض بعد موتها» الرّوم: ٥) على وجوب النّظر في دلآئل اصول الدّين، إذ أمر الله تعالى كلّ مكلّف أن ينظر فيها و الأمر للوجوب، و لايجوز التّقليد فيها.

و قد ورد: أنّه لمّا نزل قوله تعالى: «إنّ في خلق السّموات و الأرض و اختلاف اللّيل و النّهار لآيات لاولى الألباب» آل عمران: ١٩) قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «ويل لمن لاكها بين لحيتيه و لم يتفكّر فيها» فقد أوعد النّبيّ الكريم ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بترك التفكّر في دلآئل التّوحيد و المعرفة بالله تعالى، فيكون واجباً، إذ لاوعيد على ترك غير الواجب.

الفصل الحاديعشر: يستدلّ بقوله عزّوجلّ: «و لقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل و لئن جئتهم بآية ليقولنّ الّذين كفروا إن أنتم إلاّ مبطلون» الرّوم: ٥٨) على حجّيّة ظواهر الكتاب بعد الفحص عن المخصّص أو المقيّد أوالمبيّن أو المفسّر أو النّاسخ، و عدم حجّيّتها قبله.

الفصل الثّاني عشر: يستدلّ على جواز قراءة القرآن الكريم في الصّلاة بما ورد من الرّوايات عن الفريقين في قوله تعالى: «فاصبر إنّ وعد الله حقّ و لايستخفّنّك الّذين لايوقنون» الرّوم: ٦٠) سبق ذكر بعضها في البحث الرّوائي فراجع و منهاما:

في وسآئل الشّيعة: ـ كتاب الصّلاة ـ باب ٣٤ ـ من أبواب صلاة الجماعة ـ الحديث ٢) بالإسناد عن معاوية بن وهب عن أبي عبدالله ﴿عليه السلام﴾ قال: سئلته عن الرّجل يؤمّ القوم،

و أنت لاترضى به في صلاة تجهر فيها بالقرآءة، فقال: إذا سمعت كتاب الله يتلى فأنصت له، فقلت: فإنّه يشهد عَلَيَّ بالشّرك، فقال: إن عصى الله فأطع الله، فرددت عليه فأبىٰ أن يرخّص لي فقلت له: أصلّي إذن في بيتي ثمّ أخرج إليه، فقال: أنت و ذاك، قال: إنّ عليّاً «عليه السلام» كان في صلاة الصّبح فقرأ ابن الكوّا و هو خلفه: «و لقد اوحي إليك و إلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك و لتكوننّ من الخاسرين».

فأنصت عليّ «عليه السلام» تعظيماً للقرآن حتّى فرغ من الآية، ثمّ عاد في قرآئته، ثمّ أعاد ابن الكوّا الآية، فأنصت عليّ «عليه السلام» أيضاً، ثمّ قرأ فاعاد ابن الكوّا فأنصت عليّ «عليه السلام» ثمّ قال: «فاصبر إنّ وعدالله حقّ ولا يستخفنّك الّذين لايوقنون» ثمّ أتمّ السّورة، ثمّ ركع...» الحديث.

أقول: و حمل ذلك على التّقيّة ـ كما فعل بعض ـ تهكّم.

و **في الحدائق:** الخامسة: قد تقدّم أنّه يستثنى من الكلام المبطل ما إذا كان دعاءً أو ذكراً او قرآناً ـ إلى ان قال ـ: و ذكر بعض الأصحاب: أنّه يجوز التّنبيه بتلاوة القرآن كما لو أراد الإذن لقوم بقوله: «ادخلوها بسلام آمنين» الحجر: ٤٦) أو لمن أراد التخطّى على البساط بنعله: «فاخلع نعليك إنّك بالواد المقدّس طوي» طه: ١٢) أو أراد إعطاء كتاب من اسمه يحيى: «يا يحيى خذ الكتاب بقوّة» مريم: ١٢).

ثمّ قال صاحب الحدآئق رضوان الله تعالى عليه: «و الظّاهر أنّ من هذا القبيل ما رواه في الكافي و التّهذيب في الموثّق عن عبيد بن زرارة قال: «سئلت أبا عبدالله «عليه السلام» عن ذكر السّورة من الكتاب ندعو بها في الصّلاة مثل «قل هو الله أحد»؟ فقال: إذا كنت تدعو بها فلا بأس، فإنّ الظّاهر: أنّ المراد من الدّعآء بها إنّما هو بمعنى الطّلب، بمعنى يطلب بها الغير كما أنّه يطلب بالتّسبيح كما تقدّم. و بعض الأصحاب حمل الدّعآء بها في الخبر على القنوت بالقرآن في الصّلاة و جعله من قبيل التّسبيح الّذي ورد الاجتزآء به في القنوت.

و بعض حمله على الدّعآء، و أنّه لا يشترط فيه الطّلب بمعنى أنّه لا يشترط فيه أن يكون متضمّناً للطّلب. و قال في الوافي: لعلّ مراد السّآئل الرّخصة في الإتيان بقرآءة القرآن في غير محلّها على وجه الدّعاء و التّمجيد طلباً لمعناها لا على وجه التّلاوة. انتهى.

و الكلّ تكلّف محض بل الظّاهر ما ذكرناه فإنّه معنى صحيح لايحتاج إلى تكلّف.

و بما ذكرنا من الأخبار يعلم أنّه لو لم يقصد بالتّسبيح أو القرآن سوى التّفهيم، فالظّاهر صحّة صلاته، و نقل عن العلاّمة في النّهاية احتمال البطلان.

و لو أتى بمفردات القرآن على غير التّرتيب الّذي هي عليه كأن يقول: «بسلام ادخلوها» فالظّاهر ـ كما استظهره بعض الأصحاب ـ البطلان لأنّه ليس بقرآن فيكون كلاماً أجنبيّاً». انتهى كلامه.

«بحث عميق علميّ مذهبيّ و دقيق اعتقاديّ»

و اعلم أنّ البحث في المقام يدور حول أربع عشر بصيرة:

البصيرة الاولى: أنّ في هذه السّورة خمس عشرة آية تدلّ كلّها على المعاد الجسماني و هي: آيات (١١ـ١٢ و ١٤ـ١٦ و ٢٠ و ٢٥ و ٢٧ و ٤٣ـ٤٥ و ٥٠ و ٥٥ـ٥٧) و ذلك ـ إجمالاً ـ أنّ إعادة الخلق بعد الإبدآءِ، و إبلاس المجرمين و تفرّق النّاس يوم القيامة و إحبار المؤمنين في روضة الجنّة، و إحضار الكافرين في نار جهنّم، و إخراج النّاس من الأرض و تصدّعهم يوم القيامة، و إحيآء الأموات، و حلف المجرمين يومئذ، و عدم نفع المعذرة للظّالمين و ما إليها كلّ ذلك من أحوال الجسم و عوارضه لاالرّوح، ففي الآيات الكريمة ردّ على منكري المعاد الجسماني كأكثر الفلاسفة، و من سلك مسالكهم الضّالّة...

البصيرة الثّانية: أنّ في قوله عزّوجلّ: «أولم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السّموات و الأرض و ما بينهما إلاّ بالحقّ و أجل مسمّى و إنّ كثيراً من النّاس بلقآء ربّهم لكافرون» الرّوم: ٨). اموراً:

منها: أنّ في الآية الكريمة ردّاً على منكري النّظر و التّفكّر في نظام الكون و نواميس الوجود للمعرفة بالله جلّ وعلا، و إن كانت من مقتضيات الفطرة الإنسانيّة، حيث إنّ معرفة النّفس اكتسابيّ، بواسطتها يتوصّل إلى معرفة ربّها، و كتبه و رسله و كلّ غائب، و من جهل نفسه، جهل ربّها و ما سواه، و من عرف نفسه، فقد عرف ربّه و عرف الموجودات جميعاً، و لذلك قال الله تعالى: «أولم يتفكّروا في أنفسهم...» تنبيهاً على أنّهم لو

تدبّروا أنفسهم و عرفوها و عرفوا بمعرفتها حقآئق الموجودات فانيها و باقيها، و عرفوا بها خالقها كقولك: بطلوع الشّمس يحصل الضّوء، مقترناً بها و بطلوعها، غير متأخّر عنه بزمان.

و هذا هو الغاية في معرفة الإنسان بربّه إذ لايمكن له فوق هذه المعرفة و إليه أشار مولى الموحّدين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿ﷺ﴾ بقوله: «إنّ العقل لإقامة رسم العبوديّة لإدراك الرّبوبيّة» ثمّ تنفّس الصّعدآء و أنشأ يقول:

كيفيّة النّفس ليس المرء يدركها — فكيف معرفة الجبّار في القدم؟

هو الّذي أنشأ الأشيآء مبتدعاً — فكيف يدركه مستحدث النّسم؟

و قال الله تعالى: «و لاتكونوا كالّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم» الحشر: ١٩) تنبيهاً على أنّهم لو عرفوا أنفسهم لعرفوا الله و لما أنكروا البعث الّذي هو لقآء ربّهم، فلمّا جهلوا بأنفسهم جهلوا بالله تعالى و أنكروا البعث و اللقآء.

فالتّفكّر في النّفس هو الموجب لمعرفة الله تعالى الحكيم الّذي لايفعل عبثاً و لاجزافاً، فإنّه خلق العالمَ كلّه من الأجسام و غيرها لمنافع المكلّفين، فإذا انتهى التكليف فلابدّ من تخريب السّموات و الأرض، و انتهاء الأمر إلى حالة الحساب و الجزآء و اللقآء لكيلا تنخرم قاعدة الحكمة و التّدبير، و رعاية الصّلاح و العدل.

و منها: أنّ في الآية الكريمة ردّاً على القائلين بأبديّة الدّنيا كالفلاسفة على المشهور، و من سلك مسالكهم الواهيّة المتوهّمة.

و منها: أنّ الأشاعرة قد حملت قوله سبحانه: «بلقآء ربّهم» على الرّؤية البصريّة، و هذه عقيدة الأشعري ـ شيخ العامّة ـ في جواز رؤية الله سبحانه بالأبصار، و قد اتّخذتها الوهّابيّة في الصّفات، هي العقيدة السّلفيّة الظّاهريّة، قال شاعرهم:

لله وجه لايحدّ بصورة — و لربّنا عينان ناظرتان

و له يد ان كما يقول إلهنا — و يمينه جلت عن الأيمان

كلتا يديه يمين و صفها — فهما على الثّقلان منفقتان

كرسيّه وسع السّموات العلى — والأرض و هو يعمه القدمان

والله يضحك لاكضحك عبيده و الكيف ممتنع على الرّحمان

و الله ينزل كل آخر ليلة لسمآئه الدّنيا بلا كتمان

فيقول: هل من سائل فاجيبه؟ فأنا القريب أجيب من ناداني

أقول: إنّ هذه العقيدة السّخيفة عند الشّيعة الإماميّة الاثنى عشريّة الحقّة مردودة.

و ذلك أنّ الله سبحانه ليس مادّة و لامركّباً من مادّة، فليس له يدان و لارجلان، و لاوجه و لاعينان... لأنّ ذلك يدلّ على جزء من كلّ، والله عزّوجلّ لايكون كلاًّ مركّباً من أجزآء، وإلاّ لكان مادّة، وإذكان كذلك، فليس تدركه عيوننا الّتي خلقت، و ليست قدرتها إلاّ أن ترى ما هو مادّة و ما هو في جهة.

و ذلك أنّ النّظر بالعين: عبارة عن إشعاع نوريّ يحيط بالجسم المرئيّ، الواقع في جهة مقابلة لعين الرّائي، فتنبطع فيها صورته الخارجيّة، و هذا مستحيل على الله سبحانه لأنّه يستدعي تجسيماً و جهة و محدوديّة و قبولاً للإشارة الحسّيّة، و كلّ ذلك باطل ـ بشأنه عزّوجلّ ـ في ضرورة العقل السليم و محكم الكتاب العزيز إذ قال: «ليس كمثله شيئ» الشّورى: ١١).

و لاشكّ أنّ التّجسيم و مستتبعاته تشبيه محض.

و لقوله تعالى: «لاتدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير» الأنعام: ١٠٣).

و من البيّن أنّ الإدراك بالبصر يعني النّظر بالعين كما أنّ الإدراك بالقلب هو عرفان نفسيّ مجرّد.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «لاتدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقآئق الايمان... الخطبة: ١٧٨).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «فلسنا نعلم كنه عظمتك إلاّ أنا نعلم أنك حيّ قيّوم لاتأخذك سنة ولانوم لم ينته إليك نظر، و لم يدركك بَصَرٌ...» الخطبة: ١٥٩).

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «و لا تدركه الحواسّ فتحسّه، و لاتلمسه الأيدي فتمسّه...» الخطبة: ٢٢٨).

و فيه: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «هو الله الملك الحقّ المبين، أحقّ و أبين ممّا ترى العيون، لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبّهاً، و لم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثّلاً...» الخطبة: ١٥٤)

و فيه: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ «عليه السلام»: «بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التّدبير المتقن، و القضآء المُبرَم، فمن شواهد خلقه خلق السّموات موطّدات بلا عمد، قائمات بلاسند...» الخطبة ١٨١).

و فيه: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته، و خوّفهم من سطوته، و كيف محق من محق بالمثلات، و احتصد من احتصد بالنّقمات...» الخطبة ١٤٧).

فليس المراد باللقآء يوم القيامة رؤية ربّهم يومئذ، و إنّما المراد لقآء جزآء ربّهم و عقابه الّذي كانوا هم ينكرونه في الحياة الدّنيا.

البصيرة الثّالثة: أنّ قوله تعالى «فما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون» الرّوم: ٩) ردّاً على الأشاعرة المجبرة الّذين قائدهم أبو الحسن الأشعري الّذي اتّبع الشّيطان: «و لقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتّبعوه» سبأ: ٢٠) و هم الّذين يقولون بعدم قدرة العباد على فعل ما يريدون، و ترك ما يكرهون، و يضيفون الأفعال خيرها و شرّها إلى الله سبحانه، و إنّ العبد تجاه ما يفعله أو يتركه مسلوب الاختيار كآلة في يد الفاعل و هو الله سبحانه.

قال الله تعالى: «و إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آبآءنا والله أمرنا بها» الأعراف: ٢٨).

و قال: «سيقول الّذين أشركوا لوشآء الله ما أشركنا ولاآبآؤنا و لاحرّمنا من شيءٍ» الأنعام: ١٤٨).

و قال: «قال ربّ بما أغويتني» الحجر: ٣٩).

في التّبيان: قال الشّيخ الطّوسي قدّس سرّه في قوله تعالى: «فما كان الله ليظلمهم» أي بأن يهلكهم من غير استحقاق ابتداء، و في ذلك بطلان قول المجبرة: إنّ الله يبتدىء خلقه

بالهلاك». انتهى كلامه و رفع مقامه.

و في **تفسير النّيشابوري**: قال ـ و هو من أعلام العامّة و مفسّريهم ـ في قوله تعالى: «ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» بوضع الأنفس الشّريفة في موضع خسيس هو عبادة الأصنام، قال أهل السّنّة: هذا الوضع كان بمشيّة الله و إرادته، لكنّه صدر عنهم فاُضيف إليهم» انتهى كلامه.

و في **تفسير روح المعاني**: قال الآلوسي مفتي بغداد ـ و هو من أعلام العامّة و مفسّريهم ـ في قوله تعالى: «فما كان الله ليظلمهم»: قال أهل السّنّة: إنّ إهلاكه تعالى من غير جرم ليس من الظّلم في شئ لأنّه عزّوجلّ مالك و المالك يفعل ما يشآء، و النّزاع في المسئلة شهير» انتهى كلامه.

البصيرة الرّابعة: أنّ بعض أصحابنا استدلّ بقوله تعالى: «الله يبدؤا الخلق ثمّ يعيده ثمّ إليه ترجعون» الرّوم: ١١) على صحّة الرّجعة بأنّ الله عزّوجلّ ابتدأ خلق الإنسان، ثمّ يعيده إذا أماته في زمن الرّجعة، ثمّ يرجع إلى الله سبحانه يوم القيامة. و استدل بعض الآخرين منهم بالآية الكريمة على المسئلة في القبر، بأنّ الله تعالى يبدؤا خلق الإنسان، ثمّ يحييه في القبر للمسئلة الّتي لاخلاف فيها، ثمّ يرجع إلى الله جلّ وعلا يوم القيامة للحساب والجزآء.

البصيرة الخامسة: أنّه يستدلّ بقوله تعالى: «يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون و من آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون ـ و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم ـ و له المثل الأعلى في السّموات و الأرض – فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إنّ ذلك لمحي الموتى و هو على كلّ شئ قدير» الرّوم: ١٨ ـ ٢٧ و ٥٠) على صحّة القياس العقلي، و حسن النّظر بلاريب، و فيها ردّ على الّذين يزعمون: أنّ النّظر باطل، و أمّا دلالة الآيات الكريمة على القياس الشّرعيّ فلا.

البصيرة السّادسة: أنّ في قوله عزّوجلّ: «و من آياته خلق السّموات و الأرض و اختلاف السنتكم و ألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين» الرّوم: ٢٢) اموراً:

منها: أنّ في قوله عزّوجلّ: «و من آياته خلق السّموات و الأرض» ردّاً على الدّهريّين حيث زعموا أنّ خلق الإنسان و الحيوان بسبب ما في العناصر من الكيفيّات، و لكنّهم عجزوا أن يقولوا: إنّ السّموات و الأرض فخلقها بسبب امتزاج العناصر لأنّها ليست من العناصر...

و منها: أنّ في قوله سبحانه: «و اختلاف ألسنتكم» دلالة على أنّ اللغات ـ كالألوان ـ أصلها من فعل الله تعالى دون المواضعة، ردّاً على الّذين يزعمون أنّ اللغات مواضعة من فعل الإنسان تدريجاً دون فعل الله عزّوجلّ، غير أنّه لمّا كانت الآلات الّتي تتأتّى بها هذه الضّروب لا يقدر على تهيّتها كذلك غير الله، جاز أن تضاف اللغات إلى الله سبحانه على ضرب من المجاز.

و منها: أنّه يستدلّ بقوله تعالى: «إنّ في ذلك لآيات للعالمين» على أنّ الله عزّوجلّ يفعل لغرض و حكمة و فائدة و مصلحة... كلّها يرجع إلى المكلّفين، و نفع يصل إليهم ردّاً على الأشاعرة الّذين يظنّون أنّ الله سبحانه لا يجوز أن يفعل شيئاً لغرض و لا لمصلحة و لا لغاية و لا لحكمة ترجع إلى المكلّفين، فيكون جميع المنافع الّتي جعلها الله منوطة بالأشيآء غير مقصودة و لا مطلوبة لله جلّ وعلا، بل وضعها كلّها لغواً و خلق جميعها عبثاً.

فلا يكون خلق العين للإبصار، و لا خلق الأُذن للسّماع، و لا اللسان للنُّطق، و لا اليد للبطش، و لا الرّجل للمشيْ، و كذا جميع الأعضآء الّتي في الإنسان و غيره من الحيوانات و لا خلق الحرارة في النّار للإحراق، و لا المآء للتّبريد، و لا خلق الشّمس و القمر و النّجوم للإضائة، و معرفة الليل و النّهار للحساب، و كلّ هذا مُبطل للأغراض، و الحِكَم و المصالح، و يبطل علم الطّب بالكلّيّة، فانّه لم يخلق الأدوية للإصلاح، و يبطل علم الهَيئة و غيرها، و يلزم العبث في ذلك كلّه، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

البصيرة السّابعة: قال الشّيخ الطّوسي رضوان الله تعالى عليه في (التبيان) في قوله تعالى: «و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ـ و من آياته خلق السّموات و الأرض ـ و من آياته منامكم بالليل و النّهار ـ و من آياته يريكم البرق خوفاً و طعماً ـ و من آياته أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره...» الرّوم: ٢١ ـ ٢٥): و في الآيات دلالة واضحة

على فساد مذهب القائلين بأنّ المعارف ضروريّة لأنّها لو كانت ضرورة لم يكن للتّنبيه على هذه الأدلّة وجه، و لافائدة فيه لأنّ ما يعلم ضرورة لايمكن الاستدلال عليه».

أقول: إنّ الأمر بالتّفكّر و التّعقّل و التّدبّر و النّظر في الآيات التّكوينيّة الآفاقيّة و الأنفسيّة و الإستدلال بها على التّوحيد لاينافي ضروريّته بالفطرة: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم و لكنّ أكثر النّاس لايعلمون» الرّوم: ٣٠) حيث إنّ العقل غير الفطرة فتدبّر جيّداً و اغتنم جدّاً و لاتغفل فإنّ المقام من مزالّ الأقدام، و لايتذكّر إلاّ اولوا الألباب.

البصيرة الثّامنة: في تفسير النيشابورى ـ و هو من أعاظم العامّة ـ قال في قوله تعالى: «و من آياته أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره» الرّوم: ٢٥): «و اعلم أنّ الأمر عند المعتزلة موافق للإرادة، و عند الأشاعرة ليس كذلك، و لكنّ النّزاع في الأمر الّذي هو للتكليف لا الّذي للتكوين، فإنّ قوله: «كن فيكون موافق للإرادة بالاتفاق» انتهى كلامه.

أقول: و قد أجمعت الأمّة على أنّ الله جلّ وعلا مريد، متكلّم، خالق، رازق، معطي، محيي و مميت... و اصطلح المتكلّمون بتسميتها صفات الفعل، بأنّها أفعاله تعالى، فإنّه قد يتّصف بها إذ يفعلها، و قد لايتّصف إذ لايفعلها، فالله عزّوجلّ قد يريد شيئاً، فهو مريد له، و قد لايريده فليس بمريد له، و هو سبحانه قبل أن يخلق خلقاً لم يكن خالقاً له، و لمّا خلق صحّ إطلاق اسم الخالق عليه تعالى و هكذا.

و قد ذهب الشّيعة الإماميّة الاثنى عشرية الحقّة إلى أنّ مبادئ هذه الصّفات غير قائمة بذاته المقدّسة لأنّها أحوال و حوادث، والله جلّ وعلا منزّه أن يكون محلاً للحوادث.

و ذهبت الأشاعرة إلى أنّ مبادئ هذه الصّفات قائمة بذاته المقدّسة، فهو سبحانه مريد بإرادة أزليّة، قائمة بذاته، فإرادته قديمه، لأنّ القائم بذات قديمة، قديم.

و قد أجمعت الأمّة أيضاً على أنّ إرادة الله تعالى نوعان: إرادة تكوينيّة، و هي متعلّقة بتكوين شيئ. و إرادة تشريعيّة، و هي متعلّقة بطلبه تعالى من عباده فعلاً، و أمرهم بشئ أونهيهم عن شيئ و تركهم فعلاً لمصالح أو مفاسد كامنة ورآء التكليف تعود عليهم.

أمّا الاولى: فكقوله تعالى: «و من آياته أن تقوم السّمآء و الأرض بأمره ثمّ إذا دعاكم

دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون» الرّوم: ٢٥) و قوله سبحانه: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ٨٢) و هذه الإرادة لاتتخلّف عن تحقّق المراد أبداً، فإنّ الله عزّوجلّ إذا أراد شيئاً كان، و ما لم يرد لم يكن، بأنّ نفس إرادته جلّ وعلا لتكوين شيءٍ كافية في تحقّقه وجوداً، و الأمر في قوله تعالى: «كن» أمر تكوينيّ أيضاً، حيث إنّ إرادته عزّوجلّ هي نفس فعله، كما أنّ إرادته سبحانه لأفعال عباده أمره بالأفعال...

في اصول الكافي ـ كتاب الحجّة ـ باب الإرادة أنّها من صفات الفعل و سائر صفات الفعل ـ حديث ٣) بإسناده عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن ﴿عليه السلام﴾: أخبرني عن الإرادة من الله و من الخلق؟ قال: فقال: الإرادة من الخلق: الضّمير و ما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، و أمّا من الله تعالى فإرادته إحداثه لاغير ذلك لأنّه لايروّي و لايهمّ و لايتفكّر، و هذه الصّفات منفيّة عنه و هي صفات الخلق، فإرادة (هي خ) الفعل لاغير ذلك، يقول له: كن فيكون بلالفظ و لانطق بلسان، و لاهمّة و لاتفكّر و لاكيف لذلك كما أنّه لاكيف له».

و فيه: ـ في الكتاب و الباب، حديث ١) بإسناده عن عاصم بن حميد عن أبي عبدالله ﴿عليه السلام﴾ قال: قلت: لم يزل الله مريداً؟ قال: إنّ المريد لايكون إلاّ المراد معه، لم يزل الله عالماً قادراً ثمّ أراد».

و قد فرّق الإمام ﴿عليه السلام﴾ بين العلم و القدرة، و بين الإرادة ردّاً على ما توهّم بعض المتفلسفين من تفسير الإرادة بالعلم و القدرة.

و فيه: ـ في الكتاب و الباب، حديث ٢) بإسناده عن بكير بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله ﴿عليه السلام﴾: علم الله و مشيئته هما مختلفان أو متّفقان؟ فقال: العلم ليس هو المشيئة ألاترى أنّك تقول: سأفعل كذا إن شآء الله و لاتقول: سأفعل (سأعلم خ) كذا إن علم الله، فقولك: إن شآء الله دليل على أنّه لم يشأ، فإذا شآء كان الّذي شآء كما شآء، و علم الله السّابق للمشيئة».

و قد صرّح الإمام ﴿عليه السلام﴾ بالفرق بين العلم و المشيئة و هي الإرادة. فالعلم من صفات الذّات و الإرادة من صفات الفعل.

و فيه: بإسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله ﴿عليه السلام﴾ قال: «المشيئة محدثة».

و في كتاب التّوحيد: ـ باب صفات الأفعال ـ بإسناده عن سليمان الجعفريّ قال: قال الرّضا ﴿؏﴾: «المشيئة من صفات الأفعال، فمن زعم أنّ الله لم يزل مريداً شائياً فليس بموحّد».

و ذلك أنّ الشّرك باعتبار أنّه إذا كانت الإرادة و المشيئة أزليّتين، فالمراد و المشيء أيضاً يكونان أزليّين، و لا يعقل التّأثير في القديم، فيكون إلهاً ثانياً، أو إنّهما لمّا لم يكونا عين الذّات، فكونهما دائماً معه جلّ وعلا يوجب إلهين آخرين.

و أمّا الثّانية: فكقوله عزّوجلّ: «ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهّركم و ليتمّ نعمته عليكم لعلّكم تشكرون» المائدة: ٦).

و قوله سبحانه: «يريد الله ليبيّن لكم و يهديكم سنن الّذين من قبلكم و يتوب عليكم والله عليم حكيم» النّسآء: ٢٦).

و هذه الإرادة كثيراً ما تتخلّف عن المراد حيث يعصى العباد و يخالفون عن أوامره و نواهيه، و لا محذور في ذلك بعد أن كانت دار التكليف دار اختيار و اختبار، إذ لا موقع للتكليف لولا اختيار المكلّفين في الطّاعة و العصيان و اختبارهم بالأوامر و النّواهي، و انّ مصلحة التكليف هي تستدعي اختيار العباد في الامتثال و الترك تمهيداً لاختبارهم في هذه الحياة: «ليميز الله الخبيث من الطّيب» الأنفال: ٣٧) «ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتّى يميز الخبيث من الطّيب» آل عمران: ١٧٩).

و انّ الفرق بين الإرادتين واضح فى روايات أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين منها:

في اصول الكافي: ـ كتاب التّوحيد ـ باب المشيئة و الإرادة ـ حديث ٤) بإسناده عن الفتح بن يزيد الجرجانيّ، عن أبي الحسن ﴿؏﴾ قال: «إنّ لله إرادتين و مشيئتين: إرادة حتم و إرادة عزم، ينهى و هو يشآء، و يأمر و هو لا يشآء، أو ما رأيت أنّه نهى آدم و زوجته أن يأكلا من الشّجرة و شآء ذلك، و لو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى، و أمر إبراهيم أن يذبح إسحق (إسمعيل ظ) و لم يشأ أن يذبحه و لو شآء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى».

قوله ﴿عليه السلام﴾: «ينهى و هو يشآء» تفسير لقوله﴿عليه السلام﴾: «و إرادة عزم» أي يشآء أن يقع و إن كان نهى عنه ـ في الظّاهر ـ أن لا يقع، فنهيه نهي تشريعيّ، أمّا إشآئته فإشآءة تكوينيّة، و قد مثّل له الإمام﴿عليه السلام﴾ بنهي آدم عن أكل الشّجرة، و قد كانت المصلحة تستدعي الأكل منها، حيث خلق آدم﴿عليه السلام﴾ ليعيش على الأرض، و يكون خليفة الله فيها، فتخلّفت إرادته التّشريعيّة عن إرادته التّكوينيّة.

ثمّ قال﴿عليه السلام﴾: «و يأمر و هو لايشآء» و مثّل بأمره تعالى إبراهيم بذبح ابنه اسمعيل﴿عليهما السلام﴾ حيث تخلّف التّشريع عن التّكوين. و على ضوء هذ البيان تدفع شبهات المتوهّمين عن كثير من الآيات القرآنيّة:

منها: قوله عزّوجلّ: «و لوشآء الله لجمعهم على الهدى ـ و لوشآء الله ما أشركوا ـ و لوشآء ربّك ما فعلوه ـ قل فللّه الحجّة البالغة فلوشآء لهداكم أجمعين» الأنعام: ٣٥ و ١٠٧ و ١١٢ و ١٤٩).

و منها: قوله جلّ وعلا: «و لوشآء الله لجعلكم امّة واحدة و لكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات» المائدة: ٤٨).

و منها: قوله تعالى: «و لوشآء ربّك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً» يونس: ٩٩).

و غيرها من الآيات المماثلة الكثيرة، و المشاءة فيها تكوينيّة، أي لوأراد الله تعالى أن يجعل النّاس كلّهم مؤمنين بإرادته التكوينيّة لفعل، و لما تخلّفت إرادته عن المراد، و لكنّه سبحانه لم يشأ الايمان إلاّ عن اختيارهم لغرض الاختبار، حيث لاتميز مع الإكراه و الإلجاء: «لاإكراه في الدّين قد تبيّن الرّشد من الغيّ» البقرة: ٢٥٦).

و بهذا البيان يرتفع إبهام التّناقض بين نظائر هذه الآيات الكريمة، و آيات أخر، جآء فيها: أنّ الله عزّوجلّ هدى النّاس جميعاً، ولايرضى لعباده الكفر... حيث إنّ هذه الطّآئفة من الآيات تعني مشيئته تعالى التّشريعيّة أمراً و نهياً، بعثاً و زجراً، في هداية شاملة، و إرشاد عام...

كقوله تعالى: «إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكراً و إمّا كفوراً» الإنسان: ٣).

و قوله سبحانه: «إن تكفروا فإنّ الله غنيّ عنكم و لايرضى لعباده الكفر و إن تشكروا

يرضه لكم» الزّمر: ٧).

و قوله عزّوجلّ: «و أمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى» فصّلت: ١٧).

و قوله جلّ وعلا: «و هديناهم إلى صراط مستقيم ـ اولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده ـ قل إنّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم» الأنعام: ٨٧ و ٩٠ و ١٦١).

و قوله تعالى: «بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان» الحجرات: ١٧).

و قوله سبحانه: «إنّ هذا القرآن يهدى للّتي هي أقوم» الإسراء: ٩).

و قوله عزّوجلّ: «و إنّك لتهدى إلى صراط مستقيم» الشّورى: ٥٢).

البصيرة التّاسعة: أنّ الأشاعرة المجبّرة من العامّة تشبّثت بقوله تعالى: «فمن يهدى من أضلّ الله» الرّوم: ٢٩) على خلق الكفر و الضّلال في الكافر و الضّالّ فالكافر مجبور و مكره و مضطرّ على الكفر و الضّلال، فلا سبيل له إلى اختياره طريق الايمان و الهدى، و إنّما هي إرادة الله سبحانه يهدى من يشآء بغير سبب ذاتيّ، و يضلّ من يشآء بدون استحقاق موجب، لأنّه تعالى يفعل ما يريد، و لايسئل عمّا يفعل، و هم يسئلون.

فالايمان و الكفر كلاهما من فعل الله سبحانه يخلقهما فيمن يشآء من عباده فمن شآء جعله مؤمناً و من شآء جعله كافراً، فلو كان أراد من الكافر ايماناً لأقدره عليه لكنّه أراد أن يكون كافراً، فلم يقدره على الايمان، و العكس بالعكس.

في تفسير النّيشابوري: ـ و هو من أعلام العامّة ـ قال في قوله تعالى: «فمن يهدى من أضلّ الله»: و الإضلال ههنا لايخفى أنّ الأشاعرة يحملونه على خلق الضّلال في المكلّف، و المعتزلة يحملونه على الخذلان و منع الألطاف».

و **في روح المعاني:** قال الآلوسي ـ مفتي بغداد ـ في تفسير قوله تعالى: «فمن يهدى من أضلّ الله» أي خلق فيه الضّلال...».

و **في تفسير المراغي:** قال في قوله تعالى: «فمن يهدي من أضلّ الله»: أي فمن يهدى من خلق الله فيه الضّلال، و جعله كاسباً له باختياره لسوء استعداده و ميله بالفطرة إليه، و علم الله فيه ذلك؟».

و **في تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي**، قال في قوله تعالى: «فمن يهدى من

أضلّ الله»: و في هذا ردّ على القدريّة».

أقول: و قد ذهب أصحابنا إلى أنّ معنى إضلال الله تعالى لمن يشآء هو خذلان العبد المتمرّد الطّاغي بتركه يعمه في ظلمات غيّه و طغيانه: «فنذر الّذين لايرجون لقآئنا في طغيانهم يعمهون» يونس: ۱۱) جزاءً وفاقاً مع عناده و إصراره على الكفر و الضّلالة، و البغي و الجهالة، و ما إليها من مزالق هاوية سحيقة، لايعرف درب النّجاة، و غمته ظلمات السّمآء و الأرض، فيناديه الدّليل العارف: ناواني من يدك لأهديك سوآء السّبيل، و اتّبعني أهدك صراطاً مستقيماً، ولكنّه لسوء اختياره يترفّع بنفسه ـ علوّاً و استكباراً ـ أن ينخرط مع سآئر المهتدين أو يسير مع ركب المؤمنين: «و إذا قيل لهم آمنوا كما آمن النّاس قالوا أنؤمن كما آمن السّفهآء» البقرة: ۱۳).

فهم أطاحوا بخطّهم و ألقوا بأيديهم إلى التّهلكة: «فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدي القوم الفاسقين» الصّفّ: ۵) قال الله عزّوجلّ: «سأصرف عن آياتي الّذين يتكبّرون في الأرض بغير الحقّ و إن يروا كلّ آية لايؤمنوا بها و إن يروا سبيل الرّشد لايتّخذوه سبيلاً و إن يروا سبيل الغيّ يتّخذوه سبيلاً ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا و كانوا عنها غافلين» الأعراف: ۱۴۶).

و قال: «فأمّا الّذين آمنوا بالله و اعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه و فضل و يهديهم إليه صراطاً مستقيماً» النّسآء: ۱۷۴).

البصيرة العاشرة: أنّ في قوله تعالى: «ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون ـ كانوا أشدّ منهم قوّة و أثاروا الأرض و عمروا أكثر ممّا عمروها ـ ذلك الدّين القيّم و لكنّ أكثر النّاس لايعلمون ـ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبل كان أكثرهم مشركين» الرّوم: ۶ و ۹ و ۳۰ و ۴۲) ردّاً على أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابهم الّذين يدّعون أنّ أكثريّتهم تدلّ على كونهم حقّاً.

و قد صرّح كثير من الآيات القرآنيّة بذمّ الأكثريّة الّتي لاايمان لأهلها، و أنّها ليست معياراً لحقّانيّة أصحابها كما أنّ أكثريّة الأموال والأولاد و الجاه و الرّئاسة و ما إليها ليست ملاكاً لفضيلة أصحابها في ظرف من الظّروف، و أنّ أهل الجنّة قليلون، و أهل النّار أكثر

النّاس... قال الله تعالى: «و إن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله إن يتّبعون إلاّ الظّنّ و إن هم إلاّ يخرصون» الأنعام: ١١٦).

و قال: «بل أكثرهم لا يعلمون الحقّ فهم معرضون» الأنبيآء: ٢٤).

و قال: «لقد جئناكم بالحقّ و لكنّ أكثركم للحقّ كارهون» الزّخرف: ٧٨).

و قال: «بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون» البقرة: ٨٨).

و قال: «قال أرأيتك هذا الّذي كرّمت عليّ لئن أخّرتنى إلى يوم القيامة لأحتنكنّ ذرّيّته إلاّ قليلاً» الإسراء: ٦٢).

و قال: «و ما آمن معه إلاّ قليل» هود: ٤٠).

و قال: «و إنّ كثيراً من الخلطآء ليبغي بعضهم على بعض إلاّ الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات و قليل ما هم» ص: ٢٤).

و قال: «و قليل من عبادي الشّكور» سبأ: ١٣).

في كتاب الايضاح: ـ باب الإحتجاج على المخالفين ـ الاحتجاج على الكثرة و الجماعة ـ ما لفظه: «و أمّا ما ذكرتم أنّكم أهل الكثرة و الجماعة، فإنّا وجدنا الكثرة في موارد من كتاب الله تعالى هي المذمومة، و القلّة هي المحمودة، من ذلك قوله تعالى: «و إنّ كثيراً ليضلّون بأهوآئهم بغير علم» و قوله عزّوجلّ: «و ما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ و هم مشركون» و قال عزّوجلّ: «و لا تجد أكثرهم شاكرين» و قوله تعالى: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله و الله مع الصّابرين» و قوله تعالى: «و إنّ كثيراً من الخلطآء ليبغي بعضهم على بعض إلاّ الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات و قليل ما هم» و قوله تعالى: «و ما آمن معه إلاّ قليل» و قوله تعالى: «و قليل من عبادي الشّكور».

و قوله تعالى: «و لو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلاّ قليل منهم» و قوله جلّ ثناؤه: «قال إنّ الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منّي و من لم يطعمه فإنّه منّي إلاّ من اغترف بيده فشربوا منه إلاّ قليلاً منهم».

و في آي كثير من القرآن يحمد فيها القليل و يذمّ الكثير، و من ذمّ الكثير قوله عزّوجلّ: «و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون» و «لا يشكرون» و «أكثرهم لا يعقلون» و «لا يؤمنون»

أفلاترى أنّ القلّة حمدت، و إنّما حمدالله تعالى أتباع الحقّ و إن قلّوا، و ما كانت يدالله على جماعة أهل الباطل قطّ، فإن زعمتم أنّ يدالله على من قال بقولكم فهذه شنعة اخرى تزعمون أنّ يدالله على من نسب الحكم إلى غيره و فيما قصّصنا كفاية» انتهى كلامه و رفع مقامه.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «رسل لاتقصّر بهم قلّة عددهم، و لاكثرة المكذّبين لهم...» الخطبة الاولى).

و فيه: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «فلا تغرّنّكم كثرة ما يعجبكم فيها، لقلّة ما يصحبكم منها...» الخطبة ١٠٢).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «إنّ هذه الأمر لم يكن نصره و لاخذلانه بكثرة و لابقلّة و هو دين الله الّذي أظهره، و جنده الّذي أعدّه و أمدّه حتّى بلغ ما بلغ و طلع حيثما طلع...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾: رقم ١٤٦).

و فيه: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «أيها النّاس! لاتستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله، فإنّ النّاس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير، و جوعها طويل...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾: رقم: ١٩٢).

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام على ﴿عليه السلام﴾: «أُوصيكم عبادالله بتقوى الله فإنّها حقّ الله عليكم، و الموجبة على الله حقّكم ـ فما أقلّ مَن قبلها و حملها حقّ حملها اولئك الأقلّون عدداً و هم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول: «و قليل من عبادي الشّكور...» الخطبة: ٢٣٣).

و فيه: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «عقلوا الدّين عقل و عاية و رعاية لاعقل سماع و رواية، فإنّ رواة العلم كثير و رعاته قليل» الخطبة: ٢٣٩)

و فيه: من كلام سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ لكميل بن زياد النّخعيّ رضوان الله تعالى عليه: «... اللّهمّ بلى، لاتخلوا الأرض من قائم لله بحجّة: إمّا ظاهراً مشهوراً و إمّا خائفاً مغموراً لئلاّ تبطل حجج الله و بيّناته، و كم ذا و أين؟ اولئك و الله الأقلّون عدداً و الأعظمون عندالله قدراً، يحفظ الله بهم حججه و بيّناته حتّى يودعوها نظرآءهم و يزرعوها في قلوب أشباههم...».

البصيرة الحادية عشر: أنّ الأشاعرة المجبرة و من سلك مسالكهم من المجسّمة و المشبّهة من العامّة تشبّثوا بقوله سبحانه: «يريدون وجه الله ـ تريدون وجه الله» الرّوم: ٣٨ ـ ٣٩) لإثبات الوجه كسائر الأعضاء و الجوارح لله سبحانه.

أقول: إنّي أظنّ أنّ خرافة عقائدهم، و شناعة أقاويلهم، و سخافة آرائهم و انحطاط أفكارهم ههنا على حدّ من الوضوح بحيث لاحاجة إلى بيانها، و قد سبق منّا في البحث البيانيّ و في التّفسير و التّأويل من هذا التّفسير: إنّما المراد بالوجه في الآيتين الكريمتين هو قصد رضا الله تعالى و التّقرّب و الزّلفى عندالله جلّ وعلا، لا الوجه بمعنى العضو المعروف كما توهّمت الأشاعرة و أذنابهم من العامّة.

البصيرة الثّانية عشر: أنّ قوله تعالى: «ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي النّاس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون ـ من كفر فعليه كفره و من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ليجزي الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات من فضله إنّه لايحبّ الكافرين» الرّوم: ٤١ ـ ٤٥) ردّاً على الأشاعرة و مَن حذا حذوهم في الجبر و نفي الاستطاعة من العبد على اختيار ما يريد و ترك ما يكره، فلا إرادة و لا اختيار له في عقائده و أقواله و أفعاله، و إنّما يفعل ما يفعل بإرادة الله سبحانه كآلة صمّاء في يد الفاعل المختار و هو الله الواحد القهّار الجبّار.

و قد وقفت الشّيعة الإماميّة الإثنى عشريّة الحقّة من مسئلة (الاستطاعة و الاختيار) موقفاً نزيهاً، و قدّسوا ساحة قدسه جلّ وعلا أجمل تقديس، في هدى العقل الرّشيد، و محكمات الوحي السّماوي و الآثار الصّحيحة من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين:

أنّ الله تعالى خلق الكون كلّه لاشريك له في نحو من أنحاء الشّرك في أصل الوجود، و لا في الايجاد، و لا في تدبير نظام الكون، و لا في العبادة، و لا إله إلاّ هو، و لا خالق سواه، و لا مدبّر إلاّ هو، و لا معبود بحق إلاّ هو، و هو الّذي ركب في كلّ مخلوق صفة، و جعل لكلّ موجود أثراً، و جعل من أوصاف الأشياء و آثارها نوعين:

منها: ما يصدر عنها صدوراً لا باختيارها، و لا هي مقيّدة بإرادتها كطلوع الشّمس و

إشراقها، و نبت الشّجر و إثمارها...

و منها: ما يصدر عنها صدوراً تحت اختيارها، و مقيّدة بإرادتها، كمشي الدّابّة و وقوفها و طلبها حشآئش و أكلها...

و من البداهة: أنّ هناك فرقاً ضروريّاً بين حركة يد المرتعش الحادثة لاعن اختياره، و تحريك اليدلتناول الطّعام و الشّراب، المنضبط تحت الاختيار، و كالفرق بين التّنفّس و التكلّم، و هكذا بين نبات الشّعر و حلقه، حيث إنّ الأول ليس اختياريّاً، و يكون الثّاني اختياريّاً، و الفعل الاختياري هو ما إذا شآء الإنسان فعله و إن لم يشأ، تركه، و الفرق بين الأمرين في غنى من البيان، كما أنّ الفرق بين تعلّق الإرادة بالعمل الّذي يريده، و تعلّق العلم به ممّا لايخفى على ذي مسكة و دراية، حيث لا أمر للعلم في تحقّق المعلوم، أمّا الإرادة فهي الباعثة على تحقّق المراد، و كذا القدرة على عمل هي الّتي جعلته تحت اختياره إن شآء فعله، و إن لم يشأ بتركه، و لاهكذا أثر للعلم بالنّسبة إلى المعلوم.

و من الواضح: أنّ هناك أفعالاً اختياريّة من الفاعل المختار حسب إرادته و اختياره، يكون هو المسئول عنها، تحسيناً أو تقبيحاً، مدحاً أوذمّاً، ثواباً أوعقاباً، و لايسئل عنها غيره بتاتاً، لايؤخذ الجار بذنب الجار، و لاتزر وازرة وزر اخرى، و مضاعفات كلّ عمل إنّما ترجع على العامل، و تستند إليه تبعاته من خير أو شرّ، من صلاح أو فساد، و من ثواب أو عقاب... و هذا ممّا تشهد به ضرورة العقل و بداهة الوجدان، و عليه صحّ التكليف و التّشريع، و بُنيَت عليه فطرة الإنسان، و بعث الرّسل و إنزال الكتب، و الأمر و النّهي، و الوعد و الوعيد، و المثوبة و العقوبة و ما إليها، و إلّاكان التكليف لغواً، و التّشريع باطلاً، و البعث عبثاً، و الزّجر لهواً، و لم يكن موقع لتحسين أو تقبيح و لااستحقاق جزآء، و لأصبح تحسين المحسن على إحسانه لغواً كمدح الجميل على حسن صورته، و هكذا لغى ذمّ المسيئ على إسائته كذمّ الدّميم على قبح منظره، و قدح القصير على قصر قامته أو الأعرج على عرج رجله.

و جدير لعاقل أن يسئل الأشاعرة المجبرة: هل تجدون من أنفسكم الفرق بين جود الكريم، و صفآء اللؤلؤ؟ أوشحّ البخيل و سواد الفحم؟؟؟ فإن أجابوا: نعم، فيسئلهم: فإلى

مَن يرجع مدح الجود إذا جاد الكريم؟ و إلى من يعود ذمّ الشّح إذا بخل البخيل؟ فإن قالوا: إلى الله سبحانه، فليقل: فلم يكن فرق بين الكريم و اللّئيم إذاكان كرم ذاك و لؤم هذا كلاهما من عندالله تعالى، غير داخلين تحت اختيارهما و إرادتها، و بالتّالي لم يكن فرق بين كرم الكريم و صفآء اللؤلؤ، و لا بين شحّ البخيل و سواد الفحم، فقد نقضتم ما اعترفتم به أوّلاً! فإذاً ينبغي أن يقال لهم: إنّكم مسلوبو العقول، و عديموا الشّعور، و فاقدوا الإدراك قبل أن تكونوا مسلوبي الاستطاعة و الاختيار و الإرادة.

و قد دلّ صريح الوحي السّماوي في محكمات آياته الكريمة، و الآثار المتواترة من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين على صحّة ما بنيت عليه الفطرة الإنسانيّة، و شهدت به العقول السّليمة، و اعترفت به اولوا الألباب.

البصيرة الثّالثة عشر: أنّ العامّة قد تشبّثت بقوله سبحانه: «فإنّك لاتسمع الموتى» الرّوم: ٥٢) على عدم سماع الميّت، و لذا لايجب تلقين الميّت في القبر، و لاتجوز زيارة أهل القبور.

أقول: إنّ الآية الكريمة في صدد بيان موتى القلوب، و كدرة الأرواح الّذين يصدق عليهم الميّت قلباً لاقالباً الّذين خرجت الرّوح من أجسامهم، و هم أحيآء، و المؤمنون منهم عند ربّهم يرزقون. قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ في أهل القبور: «ما أنتم بأسمع منهم».

نعم ما قال الشّاعر:

إنّ السّباع لتهدي في مرابضها   و النّاس لايهتدى من شرّهم أبداً

و في كون الموتى أحيآء، و عذابهم و ثوابهم في القبور و سماعهم، و زيارة قبورهم... بحث تفصيلاً في تفسير سورة «التكاثر» من هذا التّفسير فانتظر.

البصيرة الرّابعة عشر: أنّ بعض العامّة تشبّث بقوله سبحانه: «و يوم تقوم السّاعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك يؤفكون» الرّوم: ٥٥) على نفي عذاب القبر و ردّه.

أقول: و هذا مردود بما سبق منّا في البحث البيانيّ و في التّفسير و التّأويل من تفسير هذه السّورة فراجع، و لنا بحث في تفسير سورة التكاثر فانتظر.

و في التّبيان: قال الشّيخ الطّوسي رضوان الله تعالى عليه ـ في تفسير هذه الآية

الكريمة ـ: و من استدلّ بذلك على نفي عذاب القبر فقد أبطل لأنّ المراد أنّهم ما لبثوا بعد انقطاع عذاب القبر إلاّ ساعة» انتهى كلامه.

و في **المجمع**: قال الشّيخ الطّبرسي المازندراني رحمة الله تعالى عليه: «و من استدلّ في هذه الآية على نفي عذاب القبر فقد أبعد لما بيّنّا أنّه يجوز أن يريدوا أنّهم لم يلبثوا بعد عذاب الله إلاّ ساعة» انتهى كلامه.

و في **تفسير القرطبي**: قال: «ليس في هذا ردّ لعذاب القبر إذ كان قد صحّ عن النّبيّ﴿ﷺ﴾ من غير طريق أنّه تعوّذ منه، و أمر أن يتعوّذ منه» أي من عذاب القبر.

و في **تفسير روح المعاني**: قال الآلوسي: «و استدلّ بها بعضهم على نفي عذاب القبر و ليس بشيئ»

و **قال بعضهم**: إنّ في قوله تعالى: «لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث» الرّوم: ٥٦) ردّاً لقول الكفّار و اطّلاع لهم على مصدوقيّة الحال».

«آرآء حول الرّوم»

قال الله تعالى: «غلبت الرّوم في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون» الرّوم: ٢ ـ ٤).

و قد اختلفت كلمات المفسّرين و المحدّثين و المؤرّخين و اللغويّين في معنى الرّوم، و وجه تسميته... و نحن نشير إلى ما يسعه المقام و إن كنّا على جناح الاختصار:

في القاموس و شرحه: تاج العروس: الرّوم ـ بالضّمّ ـ: جيل من ولد الرّوم بن عيصو بن إسحق «عليه السلام» سمّوا باسم جدّهم. قيل: كان ليعصو ثلاثون ولداً منهم الرّوم فاستوطنوها فاختلطت أنسابهم».

و في **معترك الأقران في إعجاز القرآن** للسّيوطي: «روم: اسم عجميّ لهذا الجيل من النّاس، قاله الجواليق، و سمّيت باسم جدّهم، و هو روم بن عيصو بن إسحق بن إبراهيم «عليه السلام»».

و في **تفسير روح البيان**: «إنّ الرّوم الأوّل منهم بنوا روم بن يونان بن يافث بن نوح «عليه السلام» و الفرس ـ بسكون الرّآء ـ: قوم معروفون نسبوا إلى فارس بن سام بن نوح «عليه السلام»».

و **قال بعض المؤرّخين**: الرّوم: أمّة من النّاس كانوا يسكنون شمالي البحر المتوسّط، و تسميتهم بالرّوم أو الرّومي نسبة إلى مسكنهم الأصلي مدينة (روميّة) من مدن ايطاليا، عقد أهلها تحالفاً منذ فجر التّأريخ (٧٠٠ ق م) فكان منبعث نشاط و حركة ثمّ تشكيل

حضارة واسعة النّطاق امتدّت نحو الشّرق الأوسط، ثمّ تقلّصت شيئاً فشيئاً و انهارت (۸۵۷ هـ) على يد الأتراك العثمانيين نهائياً».

و **قال بعضهم:** الرّوم: اسم أطلقه العرب على البيزنطيين، و يطلق اليوم على المسيحيّين الشّرقيّين الملكيين من كاثوليك، و أرثوذكس، و الإمبراطوريّة الرّومانيّة الشّرقيّة عرفت بالبيزنطيّة نسبة إلى بيزنطيّة اسم القسطنطنية القديم، سمّي العرب سكّانها الرّوم، و أوّل أباطرة البيزنطيين قسم أبوه ثيودوسيوس الإمبراطوريّة إلى غربيّة و عاصمتها روما و إلى شرقيّة و عاصمتها القسطنطنية».

و **قال بعضهم:** الرّوم جيل من النّاس على ساحل البحر الأبيض بالمغرب كانت لهم إمبراطوريّة وسيعة منبسطة إلى الشّامات وقعت بينهم و بين الفرس حرب عوان في بعض نواحي الشّام قريباً من الحجاز، فغلبت الفرس و انهزمت الرّوم».

و **قال بعضهم:** المراد بأدنى الأرض أقربها، و هي أقرب البلاد من مملكة الرّوم الشّاسعة إلى جزيرة العرب، و هي تلك البلاد الواقعة في المناطق الشّرقيّة من مملكة الرّوم... كدمشق و بيت المقدس و غيرها».

الرّومان: هم مؤسسو دولة الرّومانيّين في تاريخهم عبرة للمعتبرين، و بلاغ للنّاظرين، بل هم بما أصّلوا الاصول، و سنوا الشّرآئع و فتحوا الأمصار كانوا مقدّمة لعظمة أوروبا الحاليّة و مدنيّتها المادّيّة، و كان مقرّ الرّومانيّين بلاد ايطاليا الحالية، و أوّل من سكن ايطاليا قوم يقال لهم: البلاجيون، ثمّ قبائل تسمّى الاتروسك، ثمّ قبائل اللاتين.

و بحر الرّوم: البحر الأبيض المتوسط.

«قمار أبي بكر في غلبة الرّوم على الفرس»

في تفسير ابن أبي حاتم ـ و هو من قد مآء مفسّري العامة ـ المتوفّى سنة ٣٢٧ هـ ـ عن قتادة في قوله: «غلبت الرّوم في أدنى الأرض» قال: غلبتهم أهل فارس على أدنى أرض الشّام «و هم من بعد غلبهم سيغلبون» قال: لمّا أنزل الله هـذه الآيـات صـدق المسلمون ربّهم و عرفوا أنّ الرّوم ستظهر على أهل فارس فاقتمرواهم و المشركون خمس قلائص، و أجلوا بينهم خمس سنين، فولّى قمار المسلمين أبوبكر، و ولي قمار المشركين أبيّ بن خلف، و ذلك قبل أن ينهى عن القمار، فجآء الأجل و لم تظهر الرّوم على فارس، فسئل المشركون قمارهم فذكر ذلك أصحاب النّبيّ «صلّى الله عليه و آله» فقال: «ألم تكونوا أحقّآء أن تؤجلوا أجلاً دون العشر؟ فإنّ البضع ما بين الثّلاث إلى العشر، فزايدوهم و مادّوهم في الأجل، فأظهر الله الرّوم على فارس عند رأس السّبع من قمارهم الأوّل، فكان ذلك مرجعهم من الحديبيّة، و كان ممّا شدّ الله به الإسلام، فهو قوله: «و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله».

و في تفسير السّمرقندي ـ و هو من أعلام العامّة في القرن الرّابع ـ و روى أسباط، عن السّدي، عن أصحابه، قال: اقتتلت فارس و الرّوم، فغلبتهم فارس، ففخر أبوسفيان بن حرب على المسلمين، فلق أبوبكر أباسفيان، فقامره على أنّ الرّوم ستغلب فارس إلى ثلاث سنين فقامره على ثلاثة أبكار، ثمّ أتى النّبيّ «صلّى الله عليه و آله» فأخبره فقال له: «انطلق فزد في الجعل وزِدْ في السّنين» فزايده إلى سبع سنين على سبعة أبكار، فالتقى الرّوم و فارس، فغلبتهم الرّوم و ظهر عليهم هرقل، فجآئه جبرئيل «عليه السلام» بهزيمة فارس و ظهور الرّوم

عليهم، و وافق ذلك يوم بدر و ظهور النّبيّ «صلی الله علیه و آله» على المشركين، فـفرح المؤمنون بظهورهم على المشركين و ظهور أهل الكتاب على أهل الشّرك».

أقول: و في هذا المعنى حكايات أُخر مختلفة المضامين، و متناقضة الصّور عن طريق العامّة، أوردناها في بحث النّزول غير مقبولة عندنا:

إذ في بعضها: أنّ المقامرة كانت بين المشركين و المسلمين، و كان أبوبكر من قِبَل المسلمين، و أُبَيّ من قِبَل المشركين، و في بعضها: بين أبي بكر و المشركين، و في بعضها: بين أبي بكر و اُميّة بن خلف كما في (البداية و النّهاية: ج ٣ ص ١٠٨) و في بعضها بين الطّائفتين، و في بعضها بين أبي بكر و أبي سفيان كما في تفسير السّمرقندي.

و كذلك الاختلاف في الأجل المضروب، و انقضائه، و في أخذ الخطر، و أنّه كان أربعة قلائص، و في بعض الرّوايات: خمس، و في بعضها: عشر، و في اخرى: ماة قلوص و غيرها من الاختلاف و التّناقض بين الرّوايات... فراجع إلى بحث النّزول فتأمّل جيّداً.

«القتال بين الرّوم و الفارس و سبب غلبة الرّوم على الفرس»

و قد اختلفت كلمات المفسّرين و المؤرّخين في المقام اختلافاً كثيراً نشير إلى ما يسعه المقام روماً للاختصار و فيه عبرة لمن اعتبر و دروس لمن تدرّس و تذكرة لمن تذكّر:

في تفسير الطّبري: عن عكرمة قال: كانت في فارس امرأة لاتلد إلاّ الملوك الأبطال، فدعاها كسرى، فقال: إنّي اريد أن أبعث إلى الرّوم جيشاً، و أستعمل عليهم رجلاً من بنيك فأشيرى عَلَيَّ أيّهم أستعمل؟ فقالت: هذا فلان و هو أورغ من ثعلب و أحذر من صرد و هذا فرخان، و هو أنفذ من سنان، و هذا شهريراز و هو أحلم من كذا، فاستعمل أيّهم شئت قال: إنّي قد استعملت الحليم، فاستعمل شهريراز فسار إلى الرّوم بأهل فارس و ظهر عليهم فقتلهم و خرب مدآئنهم و قطع زيتونهم.

و لمّا ظهرت فارس على الرّوم جلس فرخان يشرب، فقال لأصحابه لقد رأيت كأنّي جالس على سرير كسرى، فبلغت كسرى، فكتب إلى شهريراز: إذا أتاك كتابي فابعث إليّ برأس فرخان، فكتب إليه: أيّها الملك إنّك لن تجد مثل فرخان أنّ له نكاية و ضرباً في العدوّ فلا تفعل، فكتب إليه: أنّ في رجال فارس خلفاً منه، فعجّل إليّ برأسه، فراجعه فغضب كسرى فلم يجبه و بعث بريداً إلى أهل فارس: إنّي قد نزعت عنكم شهريراز و استعملت عليكم فرخان، ثمّ دفع إلى البريد صحيفة صغيرة: إذا ولى فرخان الملك، و انقاد له أخوه

فأعطه هذه.

فلمّا قرأ شهريراز الكتاب قال: سمعاً و طاعة و نزل على سريره و جلس فرخان، و دفع الصّحيفة إليه، قال: ائتوني بشهريراز فقدمه ليضرب عنقه، قال: لا تعجل حتّى أكتب وصيّتي؟ قال: نعم فدعا بالسّفط فأعطاه ثلاث صحآئف، و قال: كلّ هذا راجعت فيك كسرى و أنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد؟ فردّ الملك و كتب شهريراز إلى قيصر ملك الرّوم: أنّ لي إليك حاجة لا يحملها البريد و لا تبلغها الصّحف، فالقني، و لا تلقني إلاّ في خمسين رومياً فإنّي ألقاك في خمسين فارسياً، فأقبل قيصر في خمسمأة ألف روميّ، و جعل يضع العيون بين يديه في الطّريق، و خاف أن يكون قد مكر به حتّى أتته عيونه أن ليس معه إلاّ خمسون رجلاً.

ثمّ بسط لهما و التقيا في قبّة ديباج ضربت لهما مع كلّ واحد منهما سكّين فدعيا ترجماناً بينهما، فقال شهريراز: إنّ الّذين خربوا مدائنك أنا و أخي بكيدنا و شجاعتنا، و إنّ كسرى حسدنا فأراد أن أقتل أخي، فأبيت، ثمّ أمر أخي أن يقتلني فقد خلعناه جميعاً، فنحن نقاتله معك؟ فقال: قد أصبتما ثمّ أشار أحدهما إلى صاحبه: أنّ السّر بين اثنين، فإذا جاوز اثنين فشا؟ قال: أجل، فقتلا الترجمان جميعاً بسكينيهما فأهلك الله كسرى، و جآء الخبر إلى رسول الله «ﷺ» يوم الحديبيّة ففرح و من معه».

و **قال بعض المفسّرين:** إنّ سبب غلبة الرّوم على فارس: إذ ذاك أنّ (شهرمان) و هو القائد الفارسيّ كان قد أثخن في الرّوم قتلاً و إهلاكاً، و بينما أخوه (فرخان) يوماً يشرب إذ قال لأصحابه: رأيت كأنّي على سرير كسرى، فبلغ الخبر كسرى، فكتب إلى (شهرمان) أن يقتل أخاه، فأبى و راجعه ثلاثاً، فعزله و جعل الأمر لأخيه: (فرخان) و أمره بقتل أخيه: (شهرمان) فلمّا قدمه للقتل، قال له: اصبر، و أراه كتب كسرى إليه و مراجعته إيّاه، فتنازل عن الملك و أرجعه إلى أخيه (شهرمان) و أرسل إذن (شهرمان) إلى ملك الرّوم، فتقابلا سرّاً و حارباً معاً كسرى، فغلبت الرّوم فى تلك البلاد، و انكسرت فارس، ثمّ إنّ الرّوم كانت تملك ريف الشّام، فغزابهم المسلمون، و فتحوا بعض بلادهم في السّنة التّاسعة من نزول الآية.

فالرّوم غلبتها فارس في أقرب الأرض إليها، ثمّ غلبتها الرّوم بعد ذلك بسبع سنين، و غلب الرّوم المالكة لتلك البلاد المسلمون بعد نزول الآية بتسع سنين، فلاجرم أنّ الأمرين معجزة، و لا ينافي أحدهما الآخر حيث غلبت الرّوم فارس، و غلب المسلمون الرّوم، و لذلك قرئت الآية بوجهين».

كانت الرّوم و الفارس دولتين متسيطرتين على العالَم في ذلك الزّمان إحداهما في الشّرق و هي فارس، و الأخرى في الغرب و هي الرّوم، و قد كانتا تتنازعان السّيادة و الملك على بلاد الشّام و غيرها.

و لمّا كان الرّوم في ذلك الوقت أهل كتاب، دينهم النّصرانيّة، و كان الفرس غير موحّدين ديانتهم المجوسيّة، فقد وجد المشركون من أهل مكّة في الحادثة الّتي وقعت بين الدّولتين العظيمتين فرصة لاستعلاء عقيدة الشّرك على عقيدة التّوحيد، و تفألاً بانتصار ملّة الكفر على ملّة الايمان، و من ثمّ نزلت الآيات من هذه السّورة تبشر بغلبة أهل الكتاب من الرّوم في بضع سنين غلبة يفرح لها المؤمنون الّذين يودّون انتصار ملّة الايمان من كلّ دين».

و الرّوم: جيل من النّاس على ساحل البحر الأبيض بالمغرب كانت لهم إمبراطوريّة وسيعة منبسطة إلى الشّامات، وقعت بينهم و بين الفرس حرب عوان في بعض نواحي الشّام قريب من الحجاز، فغلبت الفرس و انهزمت».

و في روضة الصّفا ـ مترجماً ـ: «لمّا مضى من سلطنة خسرو أربعة عشر سنة، غدر الرّوميون بملكهم و قتلوه مع ابنه بناطوس. و هرب ابنه الآخر إلى خسرو، فجهّز معه ثلاثة رؤساء أولى قدر رفيع مع عسكر عظيم، فدخلوا بلاد الشّام و فلسطين و بيت المقدس، و أسروا من فيها من الأساقفة و غيرهم، و أرسلوا إلى خسرو الصّليب الّذي كان مدفوناً عندهم في تابوت من ذهب، و كذلك على الإسكندريّة و بلاد النّوبة إلى أن وصلوا إلى نواحي القسطنطنية، و أكثروا الخراب و جهدوا على إطاعة الرّوميّين لابن قيصر، فلم تحصل.

قيل: إنّ الرّوميّين جعلوا عليهم حاكماً شخصاً إسمه هرقل، و كان سلطاناً عادلاً يخاف

الله تعالى، فلمّا رآى تخريب فارس، قد شاع في بلاد الرّوم من النّهب و القتل تضرّع و بكى، و سئل الله تعالى تخليص الرّوميين، فصادف دعاؤه هدف الإجابة، فرآى في ليالي متعدّدة في منامه: أنّه قد جيىء إليه بخسرو في عنقه سلسلة. و قيل له: عجّل بمحاربة برويز لأنّه يكون لك الظّفر و النّصرة، فجمع هرقل عسكره بسبب تلك الرّؤيا و توجّه من قسطنطنية إلى نصيين، فسمع خسرو، فجهّز اثنى عشر ألفاً من أمير من امرآئه فقابلهم هرقل فكسرهم و قتل منهم تسعة آلاف مع رؤسآئهم.

و **قال بعض المفسّرين:** «و الثّابت في هذا التأريخ أنّه في سنة (٦١٤) من الميلاد كانت تدور معركة بين الفرس و الرّوم، و قد بدأت طلائع الهزيمة تنزل بالرّوم، فاستولى الفرس على أنطاكية، و هي من كبريات المدن الشّرقيّة للدّولة الرّومانيّة، ثمّ استولوا بعد ذلك على دمشق، ثمّ على بيت المقدس ذاتها، و أشعلوا فيها النّيران و أحرقوا كنيسة القيامة. و عام (٦١٤) واقع بعد بعثة النّبيّ «عليه السلام» و سابق لهجرته «عليه السلام».

و طبيعيّ أنّ أنبآء هذه المعركة لم تصل إلى مكّة في يومها، و ربّما يكون ذلك بعد عام أو أقلّ من عام، و إنّ لنا أن نفترض أنّه في عام (٦١٥) من الميلاد كان نزول هذه الآيات الّتي نزلت بها أوّل سورة الرّوم لتلتق مع هذا الحدث، و وقْعِة على المسلمين و المشركين في مكّة، و قد حدّدت الآيات أنّه بعد بضع سنين سيكون الغلب للرّوم، و إذا كان البضع بين ثلاث إلى عشر، فاسمع ما جرى، و ما تحدث به صحف التّأريخ الرّومانيّ.

تقول تلك الصّحف: إنّه في سنة (٦٢٢) من الميلاد ـ أي بعد سبع أو ثماني سنين من حرب الرّوم و الفرس، بدأت المعارك بين الرّوم و الفرس مرّة اخرى، و كان هذا إرهاصاً ـ عند من يرقب الأحداث ـ بأنّ ما تحدّث به القرآن عن هاتين الدّولتين يمكن أن يقع على ما أخبربه! و مع هذا فإنّ المشركين حين بلغتهم أنبآء هذه المعارك كانوا يتوقّعون النّصر للفرس، و لهذا فإنّ أبيّ بن خلف حين علم بهجرة أبي بكر طلب إلى عبدالله بن أبي بكر أن يكون كفيلاً لأبيه في أدآء ما خاطره به إذا غلبت الفرس، و قد قبل عبدالله بن أبي بكر هذا.

و في عام (٦٢٤) من الميلاد كانت معركة بدر و حين خرج اُميّة بن خلف فيمن خرج من المشركين لحرب النّبيّ «عليه السلام» و المسلمين أمسك به عبدالله بن أبي بكر عن الخروج إلاّ

أن يقيم كفيلاً يؤدّي عنه ما خاطر عليه أبابكر إذا انهزمت الفرس، و غلبت الرّوم، فأقام كفيلاً له، و هذا يعني أنّ الحرب الّتي بدأت بين الدّولتين في سنة (٦٢٢) كانت ما تزال قائمة لم تنته بعد إلى نتيجة حاسمة أو أنّها قد تكون قد انتهت و لكن أخبارها لم تكن قد وصلت إلى أهل مكّة.

و على أيّ فإنّه لم يكد المسلمون يفرغون من المشركين في معركة بدر و يأخذون طريقهم إلى المدينة و في قلوبهم فرحة النّصر، و في أيديهم ما وقع لهم من مغانم ـ حتّى يلقاهم على طريق المدينة من يخبرهم بما انتهى إليه أمر القتال الّذي كان دائراً بين الفرس و الرّوم، و أنّ الرّوم قد هزموا الفرس، و أخرجوهم من بيت المقدس، و ما استولوا عليه من بلاد الرّوم، كما استولوا على كثير من مدن فارس و أقاليمها... و بهذا جاءت فرحة المسلمين بهذا النّصر الّذي مكن لهم من رقاب المشركين يوم بدر» انتهى كلامه.

و في **تفسير ابن أبي حاتم**: عن الزّبير الكلابي قال: رأيت غلبة فارس الرّوم ثمّ رأيت غلبة الرّوم فارس، ثمّ رأيت غلبة المسلمين فارس و الرّوم، و ظهورهم على الشام و العراق كلّ ذلك في خمس عشرة سنة».

«حقيقة الفطرة و معناها»

قال الله عزّوجلّ: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون منيبين إليه و اتّقوه و أقيموا الصّلاة و لا تكونوا من المشركين» الرّوم: ٣٠ ـ ٣١).

و قال حكاية عن إبراهيم الخليل الرّحمن«عليه السلام»: «إنّي وجّهت وجهي للّذي فطر السّموات و الأرض حنيفاً و ما أنا من المشركين» الأنعام: ٧٩)

و قال حكاية عنه«عليه السلام» أيضاً: «قال بل ربّكم ربّ السّموات و الأرض الّذي فطرهنّ و أنا على ذلكم من الشّاهدين» الأنبياء: ٥٦).

و قال: «و إذ قال إبراهيم لأبيه و قومه إنّني برآء ممّا تعبدون إلاّ الّذي فطرني فإنّه سيهدين» الزّخرف: ٢٦ ـ ٢٧).

و قال حكاية عن حبيب النّجار: «و مالي لا أعبد الّذي فطرني و إليه ترجعون» يس: ٢٢).

و قال حكاية عن هود النّبيّ«عليه السلام»: «يا قوم لا أسئلكم عليه أجراً إن أجري إلاّ على الّذي فطرني أفلا تعقلون» هود: ٥١).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»: «فطر الخلآئق بقدرته ـ فبعث فيهم رسله و واتر إليهم أنبيآئه ليستأدوهم ميثاق فطرته، و يذكّروهم منسيّ نعمته، و يحتجّوا عليهم بالتبليغ و يثيروا لهم دفآئن العقول و يروهم الآيات المقدّرة...»

الخطبة الاولى.

و فيه: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: فإنّي وُلِدْتُ على الفطرة، و سبقت إلى الايمان و الهجرة» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ لأصحابه رقم: ٥٦).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «اللّهمّ داحي المدحوّات، و داعم المسموكات، و جابل القلوب على فطرتها، شقيّها و سعيدها...» الخطبة: ٧١).

و فيه: قال أمير المؤمنين يعسوب الدّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «و كلمة الإخلاص فإنّها الفطرة» الخطبة: ١٠٩).

و اعلم أنّ الفطرة هي أهمّ ما يتعلّق بالإنسان، إذ بها إنسانيّته و هويّته، و قد خفيت حقيقتها و التبست على النّاس فلم يطّلعوا على مغزاها، حتّى التبس معناها على الحكمآء و المفسّرين، و الفقهآء و المحدّثين، و علمآء الأخلاق والاصوليّين، و العرفآء و المتكلّمين، و الأُدبآء و المؤرّخين، و الشّعرآء و المحقّقين... إذ قد اختلفت كلماتهم فيها اختلافاً كثيراً نشير إلى أهمّها:

فمنهم: من قال: إنّ الفطرة هي ما يقتضيه الشيئ لو خلّي و نفسه و بدون مانع، فإذا قيل: الصّدق فطريّ في الإنسان، أي أنّه لوخلّي و نفسه فإنّ حالته الفطريّة تقتضي أن يصدق كلامه، و هذه الفطرة قد تدوم كما هو الغالب، و قد تزول عنه بمانع أقوى فيلتجأ إلى الكذب، كما أنّ لقائل أن يقول: سقوط الحجر إلى الأرض طبيعيّ، أي الحجر المتحرّك حول الأرض لو خلّي و نفسه فحكمه السّقوط على الأرض، و هذا لا يمتنع أن يتخلّف عن طبيعته لعارض و بسبب قاسر.

و بناءً على هذا! فكون دين الإسلام فطريّاً في الإنسان لا ينافي وجود سبب عارض يقسره يوماً على مخالفة فطرته، و بعبارة فنّيّة: إنّ الفطرة اقتضآء لا ضرورة. كما يصرّح بذلك حديث متواتر عن الشّيعة الإماميّة، و العامّة: «كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه».

و أمّا معنى فطريّة دين الإسلام فالرّاجح أنّه بعنوانه المجموعيّ أي إنّ الإسلام إذا قيس إلى أيّ دين آخر كان هو دين الفطرة دون غيره كما أشار إليه الحديث المتواتر المتقدّم.

و ممّا يريك دين الإسلام بلباسه الفطري أنّ حقيقة الإسلام هو أن يسلم المرء أمره إلى خالقه، و أن يسالم المخلوقين، و هل هذا إلاّ قضيّة الفطرة؟

قال الله تعالى: «و من أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله و هو محسن» النّسآء: ١٢٥) أي المسلم لله عزّوجلّ، و المسالم لعباده... و قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «المسلم من سلم المسلمون من يده و لسانه».

ثمّ إنّ الإسلام بني على توحيد الله تعالى في ذاته و صفاته، و توحيده في عنايته و عبادته، و هل هذا إلاّ الفطرة، و اسس شرعه على العدل و الإحسان و الفضيلة و المحبّة، و كلّها أحكام الفطرة... فالإسلام بهذا المعنى دين الفطرة و شرع الحقيقة، و هذا المعنى هو دين الله الحقيقيّ و هو أقدم شرآئع البشر من عهد إبراهيم ﴿ع﴾ و الّذين من قبلهٖ.

قال الله تعالى في إبراهيم ﴿ع﴾: «ماكان إبراهيم يهوديّاً و لا نصرانيّاً و لكن كان حنيفاً مسلماً و ما كان من المشركين» آل عمران: ٦٧) أي متديّناً بالدّين الأصليّ أعني به إسلام الفرد نفسه لربّه و مسالمته مع عباده.

و منهم: من قال: الفطرة هي الخلق، قال الله سبحانه: «الحمد لله فاطر السّموات و الأرض» فاطر: ١) أي خالق السّموات و الأرض على الابتداء و الاستقبال. و قال: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها» الرّوم: ٣٠) أي خلقته الّتي خلق النّاس، و هو معنى قول الإمام الصّادق ﴿ع﴾: «فطر الله الخلق على التّوحيد» أي ابتدأهم بالحدوث، و خلقهم للتّوحيد، و على أن يوحّدوه، و ليس المراد به أنّه أراد منهم التّوحيد، و لو كان الأمر كذلك لما كان مخلوق إلاّ موحّداً، و في وجود من لا يوحّد الله من المخلوقين دليل على أنّه لم يخلق التّوحيد في الخلق، بل خلقهم ليكتسبوا التّوحيد لقوله تعالى: «و ما خلقت الجنّ و الإنس إلاّ ليعبدون» الذّاريات: ٥٦) فبيّن أنّه خلقهم لعبادته. فخلق الخلق ليعبدوه، و فطرهم ليوحّدوه، و إنّما أتى الضّالّون من قبل أنفسهم، و من أضلّهم من الجنّ و الإنس دون الله سبحانه.

و منهم: من قال: إنّ الطاعة كلّ هيئة يقتضيها ذات الإنسان لو خلّيت عن العوارض الغريبة فهي الفطرة الاولى الّتي فطر الله عليها العباد كلّهم، و المعصية: كلّ ما يقتضيه بشرط

عارض غريب، فهي تجري مجرى المرض و الخروج عن الحالة الطبيعة، فيكون ميل الإنسان إليها كشهوة الطّيني الّتي هي غريبة بالنّسبة إلى المزاج الطّبيعيّ الّتي لم تحدث إلاّ لحدوث مرض، و انحراف عن المزاج الأصلى الجبليّ، و قد ثبت في الحكمة أنّ الطّبيعة بسبب عارض غريب تحدث في الجسم المريض مزاجاً خاصّاً يسمّى مرضاً كما أنّ الصّحّة أيضاً من الطّبيعة على قياس الحركة الطّبيعيّة الحاصلة منها بسبب القاسر، فيكون كلّ من الحالتين ملائماً لها في وقت مخصوص.

و قد ورد في الحديث القدسي: «إنّي خلقت عبادي كلّهم حنفآء و انّهم أتاهم الشّيطان فاحتالهم عن دينهم»

فالطّاعة هي الحنفيّة الّتي تقتضيها ذواتهم لو لم تمسسهم أيدي الشّياطين، فإذا مسّتهم أفسدت عليهم فطرتهم الأصليّة، فاقتضوا أشيآء منافية لها مضادّة لجوهرهم البهي الإلهيّ من الهيئات الظّلمانيّة، و نسوا أنفسهم و ما جبلوا عليه فاحتاجوا إلى رسول مبلّغ من الله يتلوا عليهم الآيات، و يبيّن لهم ما يذكرهم عهد ذواتهم من الصّلاة و الصّيام و الزّكاة وصلة الأرحام إلى غيرها من الطّاعات ليعيدهم إلى فطرتهم الأصليّة و يصير فعل الخيرات و العبادات طبيعيّاً لهم بلا كلفة و لا مشقّة.

و إلى ذلك أشار بقوله تعالى: «و إنّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين» البقرة: ٤٥) و هم الّذين باشرت أنوار الحقّ نفوسهم حتّى خشعوا لها، فإنّ الله تعالى إذا تجلّى لشيْ خشع له، ثمّ إنّ هذا المرض الّذي عرض لذواتهم، و الحالة المنافية الّتي قامت بهم لو لا أن وجدوا من ذواتهم قبولاً لعروضها لهم، و رخصة في لحوقها بهم لم يكونا يعرضان لهم، و لا يلحقان بهم، فإذا كان ممّا يقتضيه ذواتهم أن يلحقهم امور منافية مضادّة لجواهر، فإذا لحقهم تلك الامور اجتمعت فيها جهتان، فكانت ملائمة منافية: أمّا كونها ملائمة فلأنّ ذواتهم اقتضتها، و أمّا كونها منافية لهم، فلأنّها اقتضتها على أن تكون منافية لهم، فلو لم تكن منافية لهم لما كان مقتضياً لها، بل كان أمراً آخر و هذا خلف.

و منهم: من قال: الفطرة: الخلقة الّتي يُخلَق عليها المولود في بطن أمّه، و قول رسول الله ﴿ﷺ﴾: «كلّ مولود يولد على الفطرة» أي الخلقة الّتي فُطِرَ عليها في الرّحم من سعادة

أو شقاوة، فإذا وَلَدَه يهوديان هوّداه في حكم الدّنيا، أو نصرانيّان، نصّراه في الحكم، أو مجوسيّان، مجّساه في الحكم، و كان حكمه حكم أبويه حتّى يعبّر عنه لسانه، فإن مات قبل بلوغه مات على ما سبق له من الفطرة الّتي فُطِرَ عليها، فهذه فطرة المولود، و فطرة ثانية و هي الكلمة الّتي يصير بها العبد مسلماً و هي شهادة أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّداً رسول الله «صلّى الله عليه و آله» جاء بالحقّ من عنده، و أنّ عليّاً أمير المؤمنين وليّ الله «عليه السلام» إذ بولايته كمل الدّين يوم غدير خم لقوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم...» المائدة: ٣) فتلك الفطرة للدّين.

و قد ورد: أنّ من قال الشّهادات الثّلاث حين نومه، فإن مات في نومه مات على الفطرة.

و منهم: من قال: إنّ كلّ إنسان فُطِرَ على معرفته بأنّ الله تعالى ربّ كلّ شئ و خالقه، و رازقه و محييه و مميته... فكلّ مولود يُولَد على الفطرة الّتي فطر الله عليها بني آدم «عليه السلام» حين أخرجهم من صُلب آدم كما قال: «و إذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى» الأعراف: ١٧٢) فالفطرة هي العهد المأخوذ من آدم و ذرّيّته لا يقدر أحد أن يغيّره.

فمعنى «كل مولود يولد» على معرفة الله تعالى و الإقرار به، فلا تجد أحداً إلاّ و هو يقرّ بأنّ الله عزّوجلّ صانعه، و إن سمّاه بغير اسمه أو عبد معه غيره.

فالفطرة ـ بالكسر ـ: مصدر للنّوع من الايجاد، و هو ايجاد الإنسان على نوع مخصوص من الكمال و هو التّوحيد، و معرفة الرّبوبيّة مأخوذاً عليهم ميثاق العبوديّة و الاستقامة على سنن العدل.

و منهم: من قال: الفطرة: الابتداء و الاختراع، و الفطرة منه: الحالة كالجلسة و الرّكبة. و المعنى: أنه يولد على نوع من الجبلّة و الطّبع المتهيّىء لقبول الدّين، فلو ترك عليها لاستمرّ على لزومها و لم يفارقها إلى غيرها، و إنّما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر و التّقليد.

و **قال بعضهم:** الفطرة: ما سبق من سعادة أو شقاوة، فمن عَلِم الله سعادته وُلِدَ على

فطرة الإسلام، و من علم شقاوته ولد على فطرة الكفر، تعلّق بقوله تعالى: «لا تبديل لخلق الله» و بحديث الغلام الّذي قتله الخضر ﴿عليه السلام﴾ طبع يوم طبع كافراً فإنّه يمنع من كون تولّد على فطرة الإسلام.

أُجيب عن الأوّل: بأنّ معنى «لا تبديل»: لا تغيير يعني لا يكون بعضهم على فطرة الكفر، و بعضهم على فطرة الإسلام، و يؤيّده قوله ﴿صلى الله عليه و آله﴾: «كلّ مولود يولد على الفطرة...» فانّ المراد بهذه الفطرة هي فطرة الإسلام. و **عن الثّاني:** بأنّ المراد بالطبع حالة ثانية طرأت، و هي التهيّؤ للكفر عن الفطرة الّتي ولد عليها.»

و **قال بعضهم:** المراد بالفطرة كونه خلقاً قابلاً للهداية، و متهيّأً لها لما أوجد فيه من القوّة القابلة لها، لأنّ فطرة الإسلام و صوابها موضوع في العقول، و إنّما يدفع العقول عن إدراكها تغيير الأبوين أو غيرها. وأُجيب عنه: بأنّ حمل الفطرة على الإسلام لا يأباه العقل. فالمعنى: الفطرة الإسلاميّة و الدّين الحقّ، و إنّما أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه... أي ينقلانه إلى دينهما.

و هذا التّفسير مشكل إن حمل اللفظ على حقيقته فقط لأنّه يلزم منه أن لايتوارث المشركون مع أولادهم الصّغار قبل أن يهوّدوهم و ينصّروهم، و اللازم منتفٍ، بل الوجه حمله على الحقيقة و المجاز معاً، أمّا حمله على مجازه فعلى ما قبل البلوغ، و ذلك أنّ إقامة الأبوين على دينهما سبب لجعل الولد تابعاً لهما، فلمّا كانت الإقامة سبباً جعلت تهويداً و تنصيراً مجازاً ثمّ أسند إلى الأبوين توبيخاً و تقبيحاً عليهما كأنّه قال: أبواه بإقامتهما على الشّرك يجعلانه مشركاً، و يفهم من هذا أنّه لو أقام أحدهما على الشّرك و أسلم الآخر لايكون مشركاً بل مسلماً.

و **قوله تعالى:** «لا تبديل لخلق الله» أي بأن يكون كلّهم أو بعضهم عند الخلق مشركين، بل كان كلّهم مسلمين مقرّين بالله تعالى، أو قائلين للمعرفة، و أراهم نفسه بالرّؤية العقليّة الشّبيهة بالرّؤية العينيّة في الظّهور ليرسخ فيهم معرفته، و يعرفوه في دار التكليف، و لو لا تلك المعرفة الميثاقيّة لما حصلت لهم تلك القابليّة.

و إنّ كفّار قريش لم يكونوا ينكرون أنّ الصّانع هو الله تعالى وحده، بل كانوا يعبدون

الأصنام لزعمهم أنّها شفعآء لهم عند الله، فكلّ كافر لو خلّي و طبعه و ترك العصبيّة و متابعة الهوآء و تقليد الأسلاف و الآبآء لأقرّ بالتّوحيد لقوله تعالى: «و لئن سئلتهم» أي كفّار مكّة: «من خلق السّموات و الأرض ليقولنّ الله» لفطرتهم على المعرفة.

و **قال بعض المحقّقين:** الدّليل على ذلك ما نرى أنّ النّاس يتوكّلون بحسب الجبلّة على الله و يتوجّهون توجّهاً غريزيّاً إلى مسبّب الأسباب و مسهّل الامور الصّعاب، و إن لم يتفطّنوا لذلك، و يشهد لهذا قول الله عزّوجلّ: «قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم السّاعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إيّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شآء و تنسون ما تشركون». الأنعام: ٤٠ ـ ٤١).

و **في تفسير الإمام الحسن العسكري**﴿عليه السلام﴾: أنّه سئل الإمام الصّادق﴿عليه السلام﴾ عن الله؟ فقال للسّائل: يا عبدالله هل ركبت سفينة قطّ؟ قال: بلى، قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك و لا سباحة تغنيك؟ قال: بلى، قال: فهل تعلّق قلبك هناك أنّ شيئاً من الأشيآء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: بلى، قال: قال الصّادق﴿عليه السلام﴾: «فذلك الشيئ هو الله القادر على الإنجاء حين لا منجى، و على الإغاثة حين لا مغيث».

ثمّ إنّ أفهام النّاس و عقولهم متفاوتة في قبول مراتب العرفان و تحصيل الاطمئنان كمّاً و كيفاً، شدّة و ضعفاً، و سرعة و بطؤاً، حالاً و عملاً، و كشفاً و عياناً، و إن كان أصل المعرفة فطريّاً إمّا ضروريّ أو يهتدي إليه بأدنى تنبيه، فلكلّ طريقة هداه الله عزّوجلّ إليها إن كان من أهل الهداية، و الطّرق إلى الله بعدد أنفاس الخلآئق، و هم درجات عندالله، يرفع الله الّذين آمنوا و الّذين اوتوا العلم درجات.

فالنّاس كلّهم مفطورون على معرفة الله تعالى و الإقرار به، فلا تجد أحداً إلّا و هو يقرّ بأنّ الله عزّوجلّ صانع له، و إن سمّاه بغير اسمه أو عبد معه غيره.

و منهم: من قال: إنّ الله جلّ وعلا قد قرّر عقول الخلق على التّوحيد و الإقرار بالصّانع في بدء الخلق عند الميثاق، فقلوب الخلق مذعنة بذلك، و إن جحدوه معاندة.

و منهم: من قال: ليس معنى الفطرة أن يدرك الإنسان خالقه تلقائياً و من غير دليل، و إلّا لم يكفر أحد بالله تعالى، و إنّما معنى الفطرة في الإنسان: أنّ الله عزّوجلّ أودع في

الإنسان غريزة الاستعداد لتفهم الدّلآئل الدّالّة على وجوده، و هذا الاستعداد لا يفارق الإنسان بحال، فمن كفر فإنّما يكفر مقصّراً و متهاوناً بالإعراض عن النّظر في الدّلائل و البيّنات، فاستحقّ العذاب لهذا الإهمال إذ لا فرق أبداً في نظر العقل بين من ترك العمل بعلمه متعمّداً و بين من ترك الحقّ و اتّبع الباطل جهلاً بهما مع قدرته على معرفتهما و التّمييز بين الهدى و الضّلال.

و لكنّه ترك تهاوناً و استخفافاً، أجل قد يحتجب هذا الاستعداد، و هـذا الإدراك الفطري ورآء ستار من التّقليد و التّربية و الشّهوات تماماً كاحتجاب الشّمس ورآء السّحاب، فيخيّل للجاهل المحجوب أنّه كافر بالله سبحانه لعدم الدّليل عليه، و الدّليل كامن في ذاته، و فطرته الّتي فطره الله عليها، و يوم القيامة تزول الحجب الطّارئة و تظهر الحقيقة واضحة للعيان، و لا يبقى مجال للشّك و الإنكار.

قال الله تعالى: «لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» ق: ٢٢)

و منهم: من قال: إنّ الفطرة هي الّتي اختلطت و امتزجت مع ذات الإنسان لا يمكن انفكاكها إلّا بفناء الذّات، و إن كان قد تعرض عليها جراثيم الأوهام، و لكن لا تفنى بالكلّ، و إن تصل على حدّ لا يمكن أن تسترجع إلى حالتها الاولى كما كان بعض المشركين كذلك و قد أخبر تعالى بذلك و أشار إلى هذه الفطرة بقوله سبحانه: «و لئن سئلتهم من خـلق السموات و الأرض ليقولنّ الله» المؤمنون: ٨٦) و قوله عزّ وجلّ: «من ربّ السّموات السّبع و ربّ العرش العظيم سيقولنّ الله قل أفلا تتّقون» المؤمنون: ٨٧).

و ذلك أنّ الله تعالىٰ فطر الخلق جميعاً على فطرة التّوحيد، حتّى من خلق مجنوناً مطبقاً مصطلماً لا يفهم شيئاً، ما يحلف إلّا بالله، و لا يلهج لسانه بأكثر من اسمه المقدّس كما عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ لأبي: يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً؟ قال أبي: سبعةً: ستاً في الأرض، و واحداً في السّمآء، قال: فأيّهم تُعِدّله رغبتك و رهبتك؟ قال: الّذي في السّمآء». فالإقرار و الاعتراف بخالق الكون فطريّ ضروريّ في نفوس البشر، و إن كان لبعض النّاس قد يحصل ما يفسد فطرته حتّى يحتاج إلى نظر يحصل له به المعرفة، و

لكن لا غرو في أنّ المعرفة تحصل بالضّرورة، و قد تحصل بالنّظر لمن يحتاج إلى النّظر إذا فسدت فطرته، فالنّظر قد يحتاج إليه الإنسان ثانياً و بالعرض لا أوّلاً و بالذّات.

فيمكن أن يقال: أنّ المعرفة ضرورة من ناحيّة العقل، و استدلال من جانب الحسّ، فإنّ كلّ مطلوب من العلم إمّا أن يطلب بالعقل السّليم في المعقول، و إمّا بالحسّ في المحسوس، فجائز أنّ المعرفة تحصل بالاكتساب و الاستدلال من ناحية الحسّ بإرشاد الغير، و ايقاظ العقل بعد فساده و عدم قدرته لفساده إلى الاستدلال، و قد تحصل بالضّرورة فإنّ العقل السّليم يحثّ صاحبه على الاعتراف بالله تعالى، و يحظر صاحبه من جحده و إنكاره و التشكيك فيه، فالضّرورة لائقة بالعقل لأنّ ضرورة العقل ليست كضرورة الحسّ، لأنّ ضرورة الحسّ فيها جذب و اختيار و حمل و إكراه، وضرورة العقل لطيفة جدّاً لأنّه يعظ و يلاطف و ينصح و يخفّف، فإنّ الله سبحانه معروف عند العقل بالضّرورة و الاضطرار، و مستدلّ عند الحسّ.

و منهم: من قال: الفطرة ـ بالكسر ـ مصدر لنوع خاص من الايجاد و هو ايجاد الإنسان على نوع مخصوص من الكمال، و هو التّوحيد و معرفة الرّبوبيّة، مأخوذاً عليهم ميثاق العبوديّة و الاستقامة على سنن العدل.

و غيرها من الآرآء و الأقاويل في الفطرة، و قد التبست عليهم الفطرة الإنسانيّة بالطّبيعة الحيوانيّة، و بالعقل و النّفس و الرّوح و الغريزة و الشّعور و ما إليها.

أقول: إنّ منشأ الفطرة الإنسانيّة هو الرّوح الخاصّ الإلهيّ الّذي نفخه في الإنسان فقط دون غيره حيث قال: «إذ قال ربّك للملائكة إنّي خالق بشراً من طين فإذا سوّيته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين» ص: ۷۱ ـ ۷۲)

فصار هذا المخلوق من الطّين بهذه الرّوح إنساناً، و بهذه الفطرة النّاشئة عن هذه الرّوح إنسانيّته، و بهذه الفطرة تصبغ نفسه صبغة التّوحيد و الطّاعة، من عرف نفسه فقد عرف ربّه، و بهذه الرّوح و الفطرة و الصّبغة يمتاز الإنسان من غيره من الحيوان و النّبات و الجماد... و إلاّ فكلّ موجود مفطور على التّوحيد، و يعرف خالقه بما أنّه مخلوق، و يعترف به بلسان تكوينه، و من هذا المخلوق هو الإنسان.

و بهذه الفطرة صار قلب الإنسان ـ كالمرآة ـ ذى جهتين: **فإحداهما** ـ إلى جانب الفطرة الّتي في ذاتها التّوحيد و الطّاعة، فينعكسها العقل في هذه الجهة من القلب. و **جهته الاخرى** ـ إلى جانب الطبيعة الّتي في ذاتها الشّرك و الطّغيان، فينعكسها هوى النّفس الأمّارة بالسّوء في هذه الجهة من القلب.

و انّ الإنسان بما أنّه إنسان، موجود، مخصوص، مختار بين الفطرة و الطّبيعة، فيدعوه العقل من إحدى جهتي القلب إلى ما في ذات الفطرة من التّوحيد و الطّاعة، و يدعوه هوى النّفس من جهة اخرى من القلب إلى ما في ذات الطّبيعة من الشّرك و الطّغيان.

فمن استجاب دعوة العقل، و لبّى ندآئه و اتّبعه، نوّر قلبه بنور التّوحيد و الطّاعة، و صار أفضل و أشرف من غيره حتّى الملائكة المقرّبين، فإنّهم يسجدون له، و من استجاب دعوة هوىٰ نفسه، و لبّى ندآئها و اتّبعها، سوّد قلبه بظلمة الشّرك و الطّغيان، و صار أدنى من أخسّ الموجودات و أسفل السّافلين.

قال الله عزّوجلّ: «و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ـ ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين» المؤمنون: ١٢ ـ ١٤).

و قال: «و لقد كرّمنا بنى آدم ـ و فضّلناهم على كثير ممّن خلقناه تفضيلاً» الإسراء: ٧٠).

و قال: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثمّ رددناه أسفل سافلين إلاّ الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات فلهم أجر غير ممنون» التّين: ٤ ـ ٦).

فالإنسان موحّد من زاويتين و بُعدين: **أحدهما** ـ تكويناً أي بما انّه مخلوق كسآئر الخلآئق جميعاً، فلا امتياز له على غيره من هذه الزّاوية.

ثانيهما ـ تشريعاً بفطرته، و به يمتاز من غيره، و إلى هاتين الزّاويتين أشار تعالى بقوله: «يا أيّها الّذين آمنوا آمنوا بالله و رسوله و الكتاب الّذي نزّل على رسوله و الكتاب الّذي أنزل من قبل و من يكفر بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً» النّساء: ١٣٦)

أي يا أيّها الّذين آمَنوا بالله تكويناً كسآئر المخلوقات آمِنُوا بالله و رسوله... تشريعاً لتمتازوا على غيركم جميعاً.

«التّوحيد و الولاية في ذات الفطرة»

و اعلم أنّ الرّوايات الصّحيحة في المقام كثيرة نشير إلى ما يسعه المقام و نحن على جناح الإختصار:

في اصول الكافي: ـ كتاب الايمان و الكفر ـ باب فطرة الخلق على التّوحيد ـ بإسناده عن زرارة قال: سئلت أباعبدالله «عليه السلام» عن قول الله عزّوجلّ: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها» قال: «فطرهم جميعاً على التّوحيد.»

و فيه: ـ في الكتاب و الباب ـ بإسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله «عليه السلام» قال: سئلته عن قول الله عزّوجلّ: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها» ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التّوحيد، قال: «ألست بربكم» و فيه المؤمن و الكافر».

و في التّوحيد: بإسناده عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر «عليه السلام»: لأصلحك الله، قول الله عزّوجلّ في كتابه: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها» قال: فطرهم على التّوحيد عند الميثاق على معرفته أنّه ربّهم قلت: و خاطبوه؟ قال: فطأطأ رأسه، ثمّ قال: لولا ذلك لم يعلموا مَنْ ربّهم و لا مَن رازقهم».

و فيه: بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: سئلته عن قول الله عزّوجلّ: «حنفآء لله غير مشركين به» و عن الحنيفيّة، فقال: هي الفطرة الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله، قال: فطرهم الله على المعرفة.

قال زرارة: و سئلته عن قول الله: «و إذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم...» الآية قال: أخرج من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذّرّ فعرّفهم و أراهم صنعه، و لولا ذلك لم يعرف أحد ربّه. و قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: كلّ مولود يولد على الفطرة يعني على المعرفة بأنّ الله عزّوجلّ خالقه، فذلك قوله: «و لئن سئلتهم من خلق السّموات و الأرض ليقولنّ الله».

و في **محاسن البرقي**: بإسناده عن زرارة قال: سئلت أباعبدالله ﴿ع﴾ عن قول الله: «و إذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى» قال: ثبتت المعرفة في قلوبهم، و نسوا الموقف، و سيذكرونه يوماً، و لو لا ذلك لم يدر أحد مَن خالقه و لا من رازقه».

و فيه: بإسناده عن رفاعة عن أبي عبدالله ﴿ع﴾ في قول الله: «و إذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى» قال: نعم لله الحجّة على جميع خلقه، أخذهم يوم أخذ الميثاق هكذا ـ و قبض يده ـ».

قال ملاّ صدراء في مفاتيح الغيب: إنّ النّظر إلى الأفعال الوجوديّة من جهة نقائصها و إمكاناتها، و افتقاراتها نظر إلى الصّانع الكامل المعطي الغنيّ المغنيّ، و هذا يدلّ على أنّ النّفوس حينما كانت في صلب أبيها الشّامخ العالي، مشاهدة له سبحانه بواسطة نقائصها المستدعية للصّنع و التّكميل، و قد أشار إلى ذلك بقوله تعالى: «ألم تر إلى ربّك كيف مدّ الظّلّ» الفرقان: ٤٥) أي انظر إلى الّذي مدّ الظّلّ، مع أنّه سمّى هذا الرّائي رائياً إلى ربّ الظّلّ. وكذا قوله تعالى خطاباً للذّرّات المنبسطة من أصلاب أبيها المقدّس، الكائنة في ظهر والدها الأقدس: «ألست بربكم قالوا بلى» الأعراف: ١٧٢)

و لو لم يكونوا شاهدين مشاهدين لجماله كيف اعترفوا بإلهيّته و إقرار ربوبيّته، فضلاً عن كونه ربّاً لهم، و كونهم عبيداً له، فإنّ في قوله: «بربّكم» ربوبيّته مع إضافة مخصوصة لها إليهم.

و في الآية الكريمة دقيقة اخرى، و هي أنّه استفهم منها الإقرار منهم بربوبيّته لا بوجوده، تنبيهاً على أنّ الإقرار بوجوده مركوز في بداية العقول و أوائل فطر النّفوس،

فدلّت الآية على أنّ معرفة الصّانع غريزيّة للعقول السّليمة، ضروريّة للطّباع المستقيمة، فلهذا يجب القتل على من أنكر و جحد وجود الصّانع في جميع الشّرآئع، فـإنّه يـنكر الضّروريات الفطرة الأوّليّة، و كذا من جحد أصل الوجود كأهل السفسطة، فيجب أن يقتل مع زيادة ايلام بالضّرب و إحراق بالنّار لئلاّ يقول الضّرب و اللاضرب واحد، و النّار و اللانار واحد.

فمن أنكر مطلق الوجود فإنكاره موجود، فدلّ على وجود مـوجود، فـهذا المـنكر للوجود موجود لا محالة، فما أبعد عن توهّم إنكار المنكرين ما سلبه يؤدّي إلى إثباته، و ما إنكاره يوجب الإقرار به: «فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» ق: ۲۲)

فالآية دلّت على أنّ النّفس كانت مشاهدة للجمال المطلق في عالمها الّذي هو بلدة الحرام، و مدينة السّلام و موطن أبيها الأصلي، و مولد روحها القدسي، فأمّا في هذا العالم الّذي هو دار الغربة و وطن الفرقة، و الكربة فلكونها محجوبة بـالقوى و النّـقآئص و الرّذآئل البدنيّة و الأخلاط الخسيسة الدّنيّة، عميت بصيرته عن رؤية الحقّ و مشاهدة جماله و جلاله، فإنّ الغريب أعمى، و تلك العوارض كالحجاب بين مـقلتنا و قـرص الشّمس، فلهذا صارت النّفوس محتاجة إلى قائد و وسيلة، مثل الأعمى الفقير إلى العصا، قائداً له إلى مقصده الأقصى.

و إلى هذا المعنى أشار سيّدنا عليه و آله السلام: «إنّ الله خلق الخلق كلّهم حنفآء فاحتالهم الشّيطان» و مثله قوله: «لو لا أنّ الشّياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السّمآء» و قوله﴿ﷺ﴾: «كلّ مولود يولد على الفطرة...» الحديث.

و كلّ هذه رشحات و قطرات من وابل القرآن، نحو قوله تعالى: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها» و فطرة الله أصل كلّ الفِطَر، و مبدأ جميع الغرآئز، و هي نور الإسلام و صفآء الملّة الحنيفيّة المبرّاة عن النّقص و الشّين، و نحوه قوله: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» صفاء و نقاوة من كدورات الآثام و الأوزار و الذّنوب، منزّهاً عن المعاصي و المناهي و العيوب «ثمّ رددناه أسفل سافلين» و هو تعلّقه بالقوى و تشبّثه بالآلات و الجوارح البدنيّة.

و أمّا قوله «عليه السلام»: «إنّ الله خلق الخلق في ظلمة ثمّ رشّ عليهم من نوره» فهي خلقة البدن، و هي ظلمة محفوفة بنورين: سابق و لاحق، فالنّور السّابق هو مبدأ الفطرة، و النّور اللاحق هو ما يلحق بعد تطهيرها عن أدناس الرّذائل النّفسانيّة و أدناس الطّبيعيّة بالعمل، ليتحلى بالفضائل العقليّة من جهة الكمال العلمي.

فبهذا التّبيان بان كون معرفة الحقّ الأوّل ضروريّة مستغنية عن البرهان للفطرة الأصليّة للأرواح، استغناء الصّباح عن المصباح و الاستشهاد عليه، لأنّه من دأب أصحاب البرهان المتفكّرين في خلق السّموات و الأرض، قائلين: «ربّنا ما خلقت هذا باطلاً» و هم أيضاً ممدوحون مدحهم الله تعالى إلاّ أنّ مرتبتهم بعد مرتبة أصحاب المشاهدة و العيان، و هذا المقام هو الّذي قال فيه حكيم العرب و إمام الخلائق «عليه السلام»: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» و قال «عليه السلام»: «ما رأيت شيئاً إلاّ و رأيت الله فيه أو قبله» على اختلاف الرّوايتين، و كلاهما صحيح.

و قال آخر: «رأى قلبي ربّي» فالعلم بوجود واجب الوجود إن كان مستفاداً من البرهان فهو اليقين، و إن كان حاصلاً دون مزاحمة البرهان يسمّى رؤية و مشاهدة و عياناً و إحساناً كما في قوله «صلى الله عليه و آله»: «الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه».

«الفطرة الإنسانيّة و عالمَ الذّرّ»

و اعلم أنّ الله عزّوجلّ قد بيّن في كتابه الكريم قضيّة التّوحيد من زوايآء ثلاث: **الاولى:** من الآفاق... **الثّانية:** بالأنفس البشريّة. **الثّالثة:** بما امتزجت به ذاته و هو زاوية عميقة، و هي زاوية الفطرة الّتي فطر النّاس عليها، و أخذ بها عليهم الميثاق في ذاتهم و ذات تكوينهم، و هم بعد في عالَم الذّرّ لا يشاركهم في هذا الميثاق غيرهم من الخلآئق... و إن كان غيرهم يشاركهم في أنّ كلّ موجود بما أنّه موجود يدلّ على وجود صانعه، و يعترف بلسان تكوينه على وحدة خالقه:

كــــلّ شيءٍ له آيـــــة   تـدلّ عـلى أنّـه واحـد

فالاعتراف بوحدانيّة الله جلّ وعلا و ربوبيّته وحده، فطرة خاصّة في الكيان البشري، فطرة خاصّة أودعها الخالق في هذه الكينونة بما أنّه إنسان: «و نفخت فيه من روحى» لا بما أنّه موجود كسآئر الموجودات، أودعها في هذه الكينونة الخاصّة و شهدت ذاتها بها على نفسها بحكم وجودها ذاته قبل تكوّنها، و حكم ما تستشعره في أعماقها من هذه الحقيقة، فهى هداية فطريّة خاصّة بالإنسان بما هو إنسان لا يشاركه فيها غيره، و لا تقبل الإنفصال عن ذاته: «لا تبديل لخلق الله» الرّوم: ٣٠) و إن عرضت أحياناً جرائيم الأباطيل، و حجاب الأوهام على وجه هذه الفطرة.

و لذلك تحتاج إلى الرّسالات السّماويّة المصونة عن الخرافات و الأوهـام لكشف الأباطيل و رفع الأوهام عن وجه الفطرة و قد أشار إلى ذلك مولى الموحّدين إمام المتقين

أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» بقوله:

في نهج البلاغة: «فبعث فيهم رسله، و واتر إليهم أنبيآئه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، و يذكّروهم منسيّ نعمته، و يحتجّوا عليهم بالتبليغ، و يثيروا لهم دفآئن العقول و يروهم الآيات المقدّرة...»

فالرّسالات تذكير و تحذير و إرائة طريق لأصحاب هذه الفطرة، لا ايصال إلى المطلوب، للزوم تحصيل الحاصل، فإنّ التّوحيد ميثاق معقود بين فطرة النّاس و خالقهم منذ كينونتهم الاولى، و ليست كينونة الإنسان بما هو إنسان ككينونة الموجود بما هو موجود كسآئر الموجودات الّتي لا تحتاج إلى الرّسالات تذكّرها و تحذّرها، إذ لا تعرض على وجه موجود بما أنّه موجود حيناً من الأحيان جراثيم الأوهام، و حجاب الخرافات، حتّى تحتاج إلى من يكشفها عن وجهها... بخلاف الإنسان بما أنّه إنسان، و إلى ذلك أشار جلّ وعلا بقوله: «رسلاً مبشّرين و منذرين لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل و كان الله عزيزاً حكيماً» النّسآء: ١٦٥).

فلا اختيار لموجود بما هو موجود في اعترافه بخالقه، فلا يحتاج إلى هادٍ يهديه إليه، بخلاف الإنسان بما هو إنسان، و هو مختار فيه لعروض الأوهام أحياناً على وجه فطرته.

و لو لا تلك الأوهام و الأباطيل و الخرافات لاعترف لله وحده بالرّبوبيّة، و يقرّ له وحده بالعبوديّة، و يشهد له وحده بالوحدانيّة بفطرته، فإنّ حقيقة التّوحيد مركوزة في هذه الفطرة قبل تكوّنه و حين التكوّن و في الأصلاب و الأرحام... و يولد كلّ مولود عليها، فلا يميل عنها قطّ، و لكنّه لا يستطيع على رفع الأوهام عن وجهها عند عروضها عليه، فحينئذ يحتاج إلى الرّسالات لرفع الأوهام عن وجهها و مواظبتها، و استنقاذ العقول من ضغط الهوى و الضّعف و الشّهوات... فحقيقة التّوحيد من حيث الفطرة الإنسانيّة مركوزة في كينونة الإنسان فقط، و إن كان الإنسان من حيث الوجود قطعة من قطاع الوجود كلّه، موصولة به غير منقطعة عنه، محكومة بذات النّاموس الّذي يحكمه، و إنّ ناموس التّوحيد الّذي يحكم هذا الوجود واضح الأثر في شكل الكون ـ كالمكتوب للكاتب و البناء للباني ـ و تنسيقه و تناسق أجزآئه و انتظام حركته، و اطّراد قوانينه على

مراتبه، متّحد في ذلك.

و ذلك أنّ وحدة الجوهر الّذي تتألّف منه ذرّاته و هو الإشعاع الّذي تنتهي إليه الموادّ جميعاً عند تحطيم ذرّاتها و إطلاق شحناتها. فإن الإنسان بوصفه وجود من كائنات هذا الكون، مستقرّ في وجوده ناموس التّوحيد و الطّاعة كغيره من سائر الموجودات كلّها... «ربّنا الّذي أعطىٰ كلّ شيئ خلقه ثمّ هدى» طه: ۵۰) هذه هداية، تكوينيّة عامّة تسير وفق قانونها الدّاخليّ القويم، لا تحتاج إلى الرّسالات... «كلّ في فلك يسبحون» يس: ۴۰) من دون اختيار و لا اختبار.

و في **دعاء عرفة**: قال سيّد الشّهدآء و مولى الأحرار الإمام الحسين بن عليّ عليهما السّلام: «... كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أ يكون لغيرك من الظّهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك؟ و متى بعدتَ حتّى تكون الآثار هي الّتي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك و لا تزال عليها رقيباً، و خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً ـ تعرّفت لكلّ شيئ فما جهلك شيئ ـ تعرّفت إليّ في كلّ شيئ فرأيتك ظاهراً في كلّ شيئ، فأنت الظّاهر لكلّ شيئ...».

و إنّ التّوحيد في ذات الإنسان قبل أن يهديه إليه عقله، و تدعوه إليه الرّسالات...

«اشتباه القدمآء و المتأخّرين في حقيقة الفطرة»

و قد اشتبهت على القدمآء و المتأخّرين ـ من الفلاسفة و المتكلّمين و علمآء الأخلاق و الطّبيعيّين و العرفآء و البيانيّين و غيرهم معرفة أبعاد الانسان بما يحمل من بُعد وجوده العام أعني بما أنّه موجود كسآئر الموجودات... و بما يحمل من بُعد وجوده الخاصّ أعني بما أنّه إنسان، كما اشتبه عليهم أمر فطرة الإنسان و حقيقتها بطبيعته، و زعموا أنّهما شئ واحد، كما اشتبه عليهم أمر فطرته بعقله، و ظنّوا أنّهما شئ واحد، و كذلك اشتبهوا فى قياس طبيعة الإنسان بطبيعة غيره من سائر الموجودات... و هكذا غريزته بغريزة غيره...

فقال بعضهم: إنّ جميع الخلآئق مفطورة ـ و لا فرق في ذلك بين حيوان و إنسان، و لا بين جماد و نبات ـ في أصل الفطرة في معرفة خالقه على ما يناسبه، و لكلّ خلق، حال خاصّة جآئت له من أصل فطرته، فالحيوان على أنواعها مفطورة على أعمال بغرآئزها الّتي فطرها الله تعالى عليها، فالطّير مفطورة على الطّيران، و النّحل مفطورة على الهندسة، و قس عليها سآئر الحيوانات، و لكنّ الإنسان له فطرة أوسع من فطرة غيره، و له الخيار في إظهار الفطرة حال الاختبار.

و بعبارة أُخرى: إنّ الفطرة على قسمين: فطرة تظهر من غير اختيار، و هي فطرة جامدة لا تحتاج في ظهورها إلى تفكّر، و كمال صاحبها في ظهورها، و فطرة تحتاج إلى تفكّر، و تنمو بصاحبها كلّما فكر فيها باختياره، و الأوّل لا يحتاج إلى ايقاظ و لا إلى موقظ، و الثّاني يحتاج إلى موقظ، و من هنا أرسل الله تعالى رسله عليهم السّلام ليوقظوا النّاس

لهذه الفطرة، فجآء الدّين لا يقاظها و سوقها إلى كمالها.

قال الله تعالى في الاولى: «أعطى كلّ شئ خلقه فهدى» فلكلّ حيوان فطرته الخاصّة به بحيث كانت تلك الفطرة كافلة بشئونه العامّة، و الخاصّة، فللنّحل فطرة يبني بها بيوته و يملأها بالعسل، و يربي ذرّيّته، و للعنكبوت نسيجها الخاصّ بها الّذي يكون فيه مأواها، و به تصطاد الذّباب، و غيرهما من الحشرات... و هكذا للإنسان فطرة بها يهتدى لثدى اُمّه و يمسكه و يمصّه، و يبكى عند الجوع و يضحك عند الفرح... و هكذا تسوقه غريزته و فطرته إلى قيامه بشئونه و جميع أعماله و حوآئجه...

فيستعمل سمعه و بصره و شمّه و ذوقه و لمسه كلّ ذلك بفطرته بغير معلّم يعلّمه، و لا مرشد يرشده، و لا فرق في ذلك بين إنسان اليوم، و إنسان الماضي، و إنسان المستقبل، و لا بين هذه الاُمّة، و الامم السّالفة، فلكلّ إنسان كان معابد و صلوات و توجّهات إلى معبود، و إن اختلفوا في الأوصاف و الكيفيّات و العدد، فالإنسان بما أنّه إنسان في أيّ زمان كان، يتسابق إلى الاستغاثة بالذّات الأعلى، و الوجود الأسمى.

فللإنسان فطرتان لا ثالث لهما: فطرة في إنمآء الجسم و المحافظة على النّسل، فلا رجل و لا امرأة إلاّ دأبهما المحافظة على بقآء أجسامهما و تربيّة أولادهما، و لو لا هما لخلت الأرض من نوع الإنسان، و يشاركه في هذه الفطرة الحيوان جميعاً. و فطرة في إنمآء الرّوح و إسعاده، و آية ذلك ما تراه من حفظ العرض، و الخوف من الشّماتة، و العار و الخزي و الذّلّ و ما إليها... و ذلك يعمّ الإنسان في كلّ ظرف من الظّروف، قديماً و حديثاً...

فكما أنّ الإنسان يطلب الرّزق بفطرته، و يحفظ نفسه لفطرته، ففيه فطرة تدعوه إلى أن يحفظ جانب روحه، و ليست هذه في الحيوانات، فإنّ الله تعالى قد هدى كلّ نوع من أنواع الخليقة إلى سعادته الّتي هي بغية حياته بفطرته و نوع خلقته، و جهّز في وجوده بما يناسب غايته من التجهيز كما قال: «ربّنا الّذي أعطى كلّ شئ خلقه ثمّ هدى» طه: ٥٠) و قال: «الّذي خلق فسوّى و الّذي قدّر فهدى» الأعلى: ٢ ـ ٣).

فالإنسان كسآئر الأنواع المخلوقة مفطور بفطرة تهديه إلى تتميم نواقصه و رفع حوآئجه، و تهتف له بما ينفعه، و ما يضرّه في حياته المادّى، و لمّا كان الإنسان مستعداً في

تنمية روحه شرع الله له الدّين لتنمو به روحه كما هداه في تنمية جسده، و هذا هداية تشريعيّة توافق هدايته التكوينيّة، و لكنّه مختار في التشريع كما قال تعالى: «و نفس و ما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها» الشمس: ٧ ـ ٨).

و لا يختصّ ذلك بإنسان دون إنسان، بل كلّ إنسان مركّب من الجسم و الرّوح، هدى بهداية لا يحتاج في سيرها فيها إلى شرع و حكم، و هذا هداية تكوينيّة في تنمية جسمه، و يشترك فيها بغيره من الحيوان من جهة، و من النّبات من جهة اخرى، و من جماد ثالثة، و لا يكون فيها مختاراً، و هداية تشريعيّة لتنميّة روحه، و هذه تختصّ بالإنسان من حيث هو إنسان، و لا تختلف هذه باختلاف الأفراد و الأزمان و المحيط و الأقطار و الأعصار... و هذه الفطرة توافق البنية الإنسانيّة الّتي هي حقيقة واحدة ثابتة مشتركة بين جميع أفرادها و هي الّتي تدير عليها رحى الإنسانيّة» انتهى كلامه.

أقول: و فيه من القلق و الاضطراب، و الخلط و الالتباس ما لا يخفى على القارئ الخبير.

و **قال بعض المتلاسفة:** «إنّ جميع الموجودات مجبولة على التّوحيد، مخلوقة لأجله، لقوله تعالى: «و لئن سئلتهم من خلق السّموات و الأرض ليقولنّ الله» لأنّ هذا إقرار بالالوهيّة من لسان كلّ ما في السّموات و الأرض من ذوي العقول و غيرهم كما في قوله تعالى: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم».

و معلوم أنّ الفطرة هي إقرار كلّ شئ بالاُلوهيّة و الرّبوبيّة، و أنّ له خالقاً، و أنّه لم يخلق نفسه، و يشهد بذلك أيضاً قوله: «الحمد لله فاطر السّموات و الأرض» لأنّهما مخلوقتان على الفطرة: «الّتي فطر النّاس عليها» لأنّهما مكلّفتان مطيعتان له بقوله: «ثمّ استوى إلى السّمآء و هي دخان فقال لها و للأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» أي أتينا شاهدين على أنفسنا بأنّك إلهنا و خالقنا، و لا إله غيرك، بل أنت إله كلّ شئ و موجده.

و وجه آخر، و هو قوله تعالى: «تسبّح له السّماوات السّبع و الأرض و من فيهنّ و إن من شئ إلاّ يسبّح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم» و التّسبيح للشّئ لا بدّ و أن يكون مؤخّراً عن معرفته، و معرفته عن وجوده، و على هذا التّقدير لا يوجد شئ إلاّ و يكون فيه

هذه الثّلاث: العلم بوجود موجده، و العلم بأنّه واحد، و التّسبيح له. و إذا كان كذلك، فتكون المعرفة الحقيقيّة الجبلّيّة موجودة في كلّ شيء، و المعرفة الجبلّيّة ليست إلاّ على حسب التّوحيد، لقوله تعالى: «و لئن سئلتهم من خلق السّموات و الأرض ليقولنّ الله» لأنّها شهادة ذاتيّة، فيكون الكلّ مجبولاً على التّوحيد مخلوقاً لأجله، و هذا هو المطلوب، انتهى كلامه.

أقول: هذا كالسّابق أيضاً.

و **قال بعضهم:** إنّ الكمال الّذي أودعه الله تعالى في كلّ جزء أو جزئيّ من هذا العالم الرّحيب يتجلّى بوضوح لا مزيد عليه بحيث يوحي إلينا أن ليس في الكون المادّي شيء إلاّ و قد بلغ أقصى مرتبة من مراتب الكمال أو هو متكامل، يتابع ما سنّ له من مراتب كماليّة متسلسلة حتّى يبلغ الغاية القصوى من الكمال المحدّد له، مع العلم أنّ في كلّ مرحلة من مراحل الكمال من الدّقّة و التفكير ما يحير الألباب... هذا ما نشاهده في العالم المادّي، و أنّ العالم المادّي مخلوق الله الكامل على الإطلاق، و بما أنّه لا يترشّح من الكامل على الإطلاق إلاّ الكمال، وجب أن يتجلّى الكمال في كلّ زاوية من زوايا هذا الكون مع ارتباط بين الزّوايا و الأجزآء، ارتباط يحتم هذا التكامل، و يشير أنّ الصّانع له واحد متفرّد في الوحدانيّة لا يشاركه في خلقه إيّاه أحد.

إذن يجب أن لا تشذّ عن سنّة الكمال النّفوس: هذه النّفوس البشريّة الّتي خلقها الله بإرادته و ركب فيها توحيده و تقديسه بمشيئته و هو قوله تعالى: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها» فقضيّة توحيد الله تبارك و تعالى أمر فطريّ داخل في ناموس الكمال العالمى دون أن نحتاج إلى التمسّك بـ«قاعدة اللطف» كلّ ذلك لأنّ الكامل على الإطلاق و هو الله تعالى لا يصدر عنه إلاّ الكمال، و من أهمّ نقاط الكمال لهذا الإنسان: توحيد الله تعالى و تقديسه و تسبيحه: «ألم تر أنّ الله يسبّح له من في السّموات و الأرض و الطّير صافّات كلّ قد علم صلاته و تسبيحه و الله عليم بما يفعلون» و يقول: «و هديناه النّجدين» أي طريقي الخير و الشّرّ، فقد ألهمنا الله تعالى طريق الخير و طريق الشّرّ.

فالإنسان محكوم لما تمليه عليه فطرته أو عقله الباطني قبل بعثة الرّسل، و هكذا أُولئك

الّذين لم تصل إليهم الدّعوة الإسلاميّة. إنّما أقول: الدّعوة الإسلاميّة، ذلك لأنّ الإسلام، هو دين الله في أرضه منذ أن خلق آدم أوّل الأنبياء: «ما كان إبراهيم يهوديّاً و لا نصرانيّاً و لكن كان حنيفاً مسلماً و ما كان من المشركين».

انّه تعالى يقول: «و نفس و ما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها» لذلك يرى الفرد في عنفوان حياته، و إن لم تبلغه تعاليم السّماء أنّه ينكمش عند ارتكابه أوّل معصية و يتردّد و يرتبك، كأنّ قوّة خفيّة تدفعه عن اقتراف الذّنب، كلّ ذلك لأنّ الله أودع في النّفس الإنسانيّة بالفطرة هذا الرّادع النّفسي. فالنّفس الإنسانيّة تنكمش عند أوّل معصية، و العقل الطّبيعيّ: غير الملوّث بالموبقات يمنعها و يردعها، و لكن هذه النّفس لو تمادت في غيّها و ضلالها و لم تر تدع بنداء الفطرة تكون محكومة لشيطانها، فينسحب العقل.

فالله تعالى قد غرس أسس التّوحيد في النّفس الإنسانيّة، عملاً بسنّة الكمال، فالّذي ينحرف، إنّما ينحرف لظلمات في نفسه، جائته من ناحية الذّنوب و عدم القيام بمعطيات الفطرة، و فطرة النّفس الإنسانيّة: أنّ هذه الفطرة قابلة للتحوّل، و ليست كالمادّة مسلوبة الاختيار و الإرادة.

و انّ سنّة الكمال ضاربة بأطنابها في الجماد و النّبات و الحيوان و الإنسان، و بما أنّ التكامل الإنساني بما هو انسان ينحصر في المعارف الإلهيّة و الأخلاق الفاضلة، لذلك غرس الله تعالى اصول المعارف أي التّوحيد و تقديس الله تعالى، الميل إلى العبادة و الخشوع، ذكر الله تعالى في الشّدآئد و التّوجّه إليه... إلى ما هنالك في النّفوس البشريّة تثبيتاً لسنّة الكمال: هذه السّنّة الّتي لابد و أن تتحقّق في كلّ ما خلق الله تعالى بصورة ضروريّة، و قد أكمل الله ذلك بإرسال الرّسل ليهدوا النّاس سوآء السّبيل، و يعرفوهم طرق السّعادة المقربة إليه تعالى، و يعلّموهم الحلال و الحرام.

فبعث الأنبياء أمر طبيعيّ، لا بدّ من تحقّقه عملاً بسنّة الكمال من جانب الله تعالى في هذا الكون أو الوجود، و تحقيقاً للكمال العالمي في الجماد و النّبات و الحيوان و الإنسان و الجنّ و الملائكة.

أقول: و فيه ما في السّابقين من الضّعف العلمي و الفتور الفكريّ، و من الخلط و الالتباس...

و **قال بعض مدّعي العرفان:** إنّ قول رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «الطّرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق أو «بعدد الأنفاس الإلهيّة» إنّ المراد بـ«الأنفاس الإلهية» الشئون المتجدّدة منه في كلّ آن على كلّ مظهر: «كلّ يوم هو في شأن» الرّحمن: ٢٩)

قال: إنّ الطّريق و القرب من الله تعالى إلى الموجودات خلاف طريق النّاس و قربهم إلى الله سبحانه، لأنّ طريقه و قربه إليهم من حيث الوجود و الإحاطة، و قربهم و طريقهم إليه من حيث السّلوك و الاستعداد، و بينهما بون بعيد لأنّ القرب و الطّريق الّذي هو من طرق الحقّ إليهم واقع أزلاً و أبداً على و تيرة واحدة، لا يختلف فيه شيئ و لا يتبدّل: «لا تبديل لكلمات الله» بل هو «الآن كما كان» في الأزل: «فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله» و ليس هذا المعنى مخصوصاً بزمان و لا مكان، و ليس لأحد فيه مزيد على الآخر، و الحجر و المدر و النّبات و الحيوان و الإنسان و الملَك فيه على سوآء، لأنّ نسبة المحيط إلى المحاط نسبة واحدة، و نسبة المُظهِر إلى الظّاهر كذلك.

و مثال ذلك قرب المداد بكلّ حرف من حروف هذا الكتاب لأنّه ليس المداد من حيث هو مداد أقرب إلى حرف منه إلى حرف آخر، و إن كان بينهما نسبة بالتقدّم و التأخّر بحسب الكتابة.

و أمّا القرب و الطّريق الّذي هو من طرق المخلوقات و الموجودات الشّريفة فهو من حيث الاستعداد و السّلوك، و لهذا لا يحصل أصلاً إلّا بعد الاستعداد الذّاتي و السّلوك الحقيقيّ أعني قربهم و طريقهم إليه بعد الاستعداد الذّاتي يكون بقدر سلوكهم و مجاهدتهم و رياضتهم.

فالصّراط المستقيم السّلوكي غير الصّراط المستقيم الوجودي، و لهذا لا يصل إليه كلّ أحد، و إن وصل إليه أحد، لا يكون إلّا بعد مجاهدة شاقّة و رياضة صعبة مع وجود هادٍ مهديّ. و يُعرف تحقيق هذا من قرب النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ليلة المعراج ـ الّذي كان من حيث السّلوك ـ في قوله تعالى: «قاب قوسين أو أدنى» لأنّ هذا القرب قرب لا يمكن أقرب منه، و لا يمكن حصوله لأحد غيره أصلاً، و معلوم أنّ الله سبحانه قال: «و نحن أقرب إليه من حبل الوريد» فلو كان هذا القرب كافياً لم يكن النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و لا غيره محتاجاً إلى السّلوك و طلب القرب» انتهى كلامه.

أقول: و فيه أيضاً ما لا يخفى على اهل الدّراية، يظهر بالتّدبّر فيما سبق منّا فارجع و تدبّر.

و منهم: من قال: إنّ جميع الخلائق بل الموجودات كلّها على الصّراط المستقيم، و إنّ قرب الجميع و بُعده بالنّسبة إلى الله متساوٍ، و ليس لأحد مزيّة على الآخر من الأنبيآء و الأوليآء و غيرهم من العلمآء و العرفآء و الملائكة المقرّبين»

أقول: و هم عطّلوا بذلك جميع الأحكام الشرعيّة و القوانين الإلهيّة، و ما التفتوا إلى العلم و العمل، و القيام بالتكليف و غير ذلك و نظروا إلى الجميع بعين واحدة و نظر واحد، و هذا التّوهّم من أعظم مهالك النّفوس البشريّة، و أكبر المفاسد الدّينيّة أعاذنا الله جلّ و علا منها.

و غير ذلك من الأقاويل الفاسدة و الآرآء الكاسدة... النّاشئة عن الاختلاط و الالتباس بين الفطرة الإنسانيّة و طبيعة الإنسان، و بين العقل و الغريزة، و بين ما للانسان من الفطرة و الطّبيعة و الغريزة و العقل و الشّعور و الإدراك و ما إليها من القوى الظّاهرة و الباطنة، و ما لغيره من أنواع الموجودات... و عن عدم الانفكاك و الفرق في النّظر إلى الموجود بما هو موجود، و بما هو إنسان، و غير ذلك من الاشتباه...

و من البداهة: أنّ الله تعالى خلق الإنسان للاختبار و لأجله جلّ و علا، و خلق غيره للإنسان لا للاختبار فلا بدّ لكلّ ما يناسبه، فقال: «هو الّذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ـ و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم...» البقرة: ٢٨ ـ ٣٤)

و قال: «و هو الّذي جعلكم خلائف الأرض و رفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم» الأنعام: ١٦٥)

و قال: «و سخّر لكم ما في السّموات و ما في الأرض جميعاً منه إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» الجاثية: ١٣)

و الفرق بين الإنسان و غيره كما ترى، و إن كان كلا هما من خلق الله جلّ و علا.

و بالفطرة إنسانيّة الإنسان و هويّته و هي واحدة، و بالطّبيعة صورة الإنسان، و هي مختلفة باختلاف صور أفراده...

«التّضادّ بين فطرة الإنسان و طبيعته للاختيار»

قال الله عزّوجلّ: «إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً» الكهف: ٧) و اعلم أنّ الإنسان بما هو إنسان ـ غير كونه موجوداً كسائر الموجودات، يدلّ كلّ موجود بوجوده على وجود موجده كما أنّ الكتاب يدلّ على كاتبه، و البنآء على بانيه، و كل مصنوع على صانعه ـ مفطور على التّوحيد، و هذه الفطرة الإنسانيّة ـ و لا الموجوديّة ـ ناشئة عن الرّوح الخاصّ الإلهيّ الّذي نفخه الله تعالى في الإنسان دون غيره...

إذ قال: «فإذا سوّيته و نفخت فيه من روحي» ص: ٧٢)

فالإنسان كلّه بما أنّه إنسان ـ بسبب هذه الرّوح من الواحد الأحد الصّمد ـ مفطور على كلمة التّوحيد: «فاعلم أنّه لا إله إلاّ الله» محمد «صلى الله عليه وآله»: ١٩) و قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا» و على توحيد الكلمة: «تعالوا إلى كلمة سوآء بيننا و بينكم ألاّ نعبد إلاّ الله و لا نشرك به شيئاً ـ و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرّقوا» آل عمران: ٦٤ ـ ١٠٣)

فالنّاس جميعاً في كلّ ظرف من الظّروف متّحدون فيها من حيث الفطرة لوحدة فطرتهم و ذلك أنّهم لو اجتمعوا – آدم فمن دونه من أولاده – في زمان واحد و مكان واحد، لما اختلف اثنان منهم فيها من حيث الفطرة، و هم مختلفون في طبيعتهم لاختلافها بحيث لو أنّ كلّهم من آدم «عليه السلام» إلى آخر ولده اجتمعوا في زمان واحد و مكان واحد لما اتّفق إثنان منهم في طبيعتها لأنّ طبيعتها مختلفتان باختلاف صورتيها و هكذا!

و ذلك أنّ فطرة الإنسان بُنيت على الوحدة لوحدة منشأها و هو الرّوح الخاصّ الإلهي: «و نفخت فيه من روحي» فسيرته واحدة، و بُنيت طبيعته على الاختلاف لاختلاف منشأها و هو السّلالة من طين: «لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين» المؤمنون: ١٢) فصورته مختلفة لاختلاف منشأها، فطبيعة النّاس مختلفة باختلاف صورهم، فوقع الإنسان بين الفطرة الواحدة و الطّبيعة المختلفة للاختبار، و الإنسان مختار بينهما، و ليس هكذا غيره من الموجودات... فالسّعيد سعيد من حيث الفطرة في بطن أُمّه، و الشّقيّ شقيّ من حيث الطّبيعة في بطن أُمّه.

من دون إشكال في الرّواية الصّحيحة سنداً و دلالة وجهةً كما توهّم من لم يعرف فطرته و لا طبيعته.

فالإنسان بفطرته و طبيعته صار مختاراً بين الايمان و الكفر، بين الحقّ و الباطل، بين الخير و الشرّ و بين التقوى و الفجور من دون إجبار: «و نفس و ما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها قد أفلح من زكّاها و قد خاب من دسّاها» الشّمس: ٧ ـ ١٠)

في الاحتجاج: ـ فيما احتجّ به الإمام الصّادق﴿ﷺ﴾ على الزّنديق ـ: «... قال (الزّنديق): فأخبرني عن الله عزّوجلّ كيف لم يخلق الخلق كلّهم مطيعين موحّدين و كان على ذلك قادراً؟

قال﴿ﷺ﴾: لو خلقهم مطيعين، لم يكن لهم ثواب لأنّ الطّاعة إذا ما كانت فعلهم لم يكن جنة لا ناراً، و لكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته، و نهاهم عن معصيته، و احتجّ عليهم برسله، و قطع عذرهم بكتبه ليكونوا هم الّذين يطيعون و يعصون، و يستوجبون بطاعتهم له الثّواب، و بمعصيتهم إيّاه العقاب.

قال: فالعمل الصّالح من العبد هو فعله، و العمل الشّرّ من العبد هو فعله؟

قال﴿ﷺ﴾: العمل الصّالح من العبد بفعله، و الله به أمره، و العمل الشّرّ من العبد بفعله، و الله عنه نهاه.

قال: أليس فعله بالآلة الّتي ركبها فيه؟

قال ﴿ﷺ﴾: نعم و لكن بالآلة الّتي عمل بها الخير، قدر على الشّرّ الّذي نهاه عنه.

قال: فإلى العبد من الأمر شيءٌ؟

قال: ما نهاه الله عن شيءٍ و قد علم أنّه يطيق تركه، و لا أمره بشيءٍ إلاّ و قد علم أنّه يستطيع فعله، لأنّه ليس من صفته الجور و العبث و الظّلم و تكليف العباد ما لا يطيقون...» الحديث.

و قد سُئِلَ عن الجبري: مَن يفعل فعل الحقّ؟ قال: الله. سُئِلَ: مَنِ المُحِقّ؟ قال: الله، سُئِلَ: من يفعل الباطل؟ قال: الله. سُئِلَ: مَنِ المُبطِل؟ سكت و لم يقل.

«فطرة التوحيد و توحيد الفطرة عند الولادة»

و اعلم أنّ فطرة التّوحيد، و توحيد الفطرة، مع كلّ إنسان بما هو إنسان عند نفخ الرّوح الخاصّ الإلهي فيه، فيولد على فطرة التّوحيد و توحيد الفطرة و هما مستمرّتان استمرار الإنسان، حيث إنّ واقع الإنسان يشهد على الوجود الواجب قبل أن يكشفه عقله، و يبيّنه رسول من الله تعالى.

ففطرة الإنسان وحدها كافية للاستدلال على صانع العالَم، على خالق هذا الملك العظيم، على واجب الوجود، و على المدبّر الحكيم لنظام الكون، لأنّ الإنسان بفطرته في أيّ صقع من أصقاع الأرض يعيش ينادي على ذلك، و هنا يستوي الطّفل و الشّابّ و الشّيخ، و الجاهل و العالم، و الذّكر و الأُنثى و... و لو وقف النّاس جميعاً عند هذا الحدّ من الاعتقاد و الاعتراف بالخالق لما اختلفوا في أديانهم، و لا تشاكسوا في مدركاتهم، و لما اتّخذوا دينين، فضلاً عن الأديان لأنّ الدّين هو الفطرة، و الفطرة هي الدّين، و هما توأمان يرتضعان من لبن واحد و هو الرّوح الخاصّ الإلهي: «و نفخت فيه من روحي» ص: ٧٢) فهما متّحدان لافكاك بينهما، و النّاس كلّهم متّحدون فيهما غير مختلفين، فإنّ الإنسان بما هو إنسان لا فكاك بينه و بين فطرة التّوحيد، و توحيد الفطرة.

و لكنّ النّاس بسبب سوء التّربيّة و التّعليم و سوء الاختيار و ما إليها... تغلب طبيعتهم على فطرتهم فيختلفون، فيحتاج إلى الرّسالات السّماويّة لرفع اختلافهم و حسن تربيتهم و تعليمهم... و إلى ذلك كلّه تشير الرّواية المتواترة ـ معنىً ـ الواردة عن الفريقين المختلفين:

فريق غلبت فطرتهم على طبيعتهم، و فريق غلبت طبيعتهم على فطرتهم:

في وسائل الشّيعة: كتاب الجهاد ـ باب ٤٨ ـ باب شرائط الذّمّة ـ حديث ۳) نقلاً عن الفقيه و العلل: بإسناده عن فضل بن عثمان بن الأعور عن أبي عبدالله ﴿عليه السلام﴾ أنّه قال: «ما من مولود يولد إلاّ على الفطرة، فأبواه اللّذان يهوّدانه و ينصّرانه و يمجّسانه...» الحديث.

و في اصول الكافي: ـ كتاب الايمان و الكفر ـ باب فطرة الخلق على التّوحيد ـ حديث ۳) بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر ﴿عليه السلام﴾ ـ إلى أن قال ـ: قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «كلّ مولود يولد على الفطرة يعني المعرفة بأنّ الله عزّوجلّ خالقه، كذلك قوله: «و لئن سئلتهم من خلق السّموات و الأرض ليقولنّ الله».

و في سفينة البحار: ـ حرف الفاء ـ كلمة فطر ـ باب فطرة الله سبحانه ـ «قال النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه و ينصّرانه».

و في مجمع البحرين: و في الحديث المشهور بين الفريقين: «كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه و ينصّرانه و يمجّسانه» و الفطرة ـ بالكسر ـ: الخلقة، و هي من الفطر كالخلقة من الخلق في أنّها للحالة، ثمّ إنّها جعلت للخلقة القابلة لدين الحقّ على الخصوص، و المعنى: كلّ مولود يولد على معرفة الله تعالى و الإقرار به، فلا تجد أحداً إلاّ و هو يقرّ بأنّ له صانعاً، و إن سمّاه بغير اسمه أو عبد معه غيره، فلا ترك عليها لاستمرّ على لزومها و إنّما يعدل عنها لآفة من التّضليل كالتّهويد و التّنصير و التّمجيس. و قوله: «حتّى يهوّدانه» أي ينقلانه إلى دينهم.

ثمّ قال: و قال بعض المتبحّرين: و يشكل هذا التّفسير إن حمل اللفظ على حقيقته فقط لأنّه يلزم منه أن لا يتوارث المشركون مع أولادهم الصّغار قبل أن يهوّدوهم و ينصّروهم و يمجّسوهم، و اللازم باطل، بل الوجه: حمله على الحقيقة و المجاز معاً، أمّا حمله على المجاز فعلى ما قبل البلوغ و ذلك أنّ إقامة الأبوين على دينهما سبب جعل الولد تابعاً لهما، فلمّا كانت الإقامة سبباً جعل تهويداً و تنصّراً و تمجيساً مجازاً، ثمّ اسند إلى الأبوين توبيخاً لهما و تقبيحاً عليهما، فكأنّه قال: و إنّما أبواه بإقامتهما على الشّرك يجعلانه مشركاً كأنفسهم و يفهم

من هذا أنّه لو أقام أحدهما على الشّرك و أسلم الآخر لا يكون مشركاً بل مسلماً، و أمّا حمله على الحقيقة فعلى ما بعد البلوغ لوجود الكفر من الأولاد» انتهى كلامه.

و فيه: و في الحديث: «إنّ الله خلق النّاس كلّهم على الفطرة الّتي فطرهم عليها لا يعرفون ايماناً بشريعة و لا كفراً بجحود، ثمّ بعث الله الرّسل تدعو العباد إلى الايمان».

و في البحار: ـ كتاب التوحيد ـ باب ١١ ـ الدّين الحنيف و الفطرة... حديث ٢٢) نقلاً عن كتاب غوالي اللئالى لابن أبي جمهور: «قال النّبيّ ﴿صلّى الله عليه و آله﴾: كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه و ينصّرانه»

قال العلاّمة المجلسي رضوان الله تعالى عليه: قال السّيّد المرتضى رحمه الله في كتاب الغرر و الدّرر ـ بعد نقل بعض التّأويلات عن المخالفين في هذا الخبر ـ و الصّحيح في تأويله أنّ قوله: «يولد على الفطرة» يحتمل أمرين:

أحدهما ـ أن تكون الفطرة ههنا الدّين، و يكون «على» بمعنى اللام، فكأنّه ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ قال: كلّ مولود يولد للدّين، و من أجل الدّين لأنّ الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلّفين إلاّ ليعبده، فينتفع بعبادته، يشهد بذلك قوله تعالى: «و ما خلقت الجنّ و الإنس إلاّ ليعبدون» الذّاريات: ٥٦) و الدّليل على أنّ «على» يقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السّكّيت عن أبي يزيد عن العرب: أنّهم يقولون: صف عليّ كذا و كذا حتّى أعرفه. بمعنى صِف لي. و يقولون: ما أغبطك عَلَيَّ يريدون ما أغبطك لي. و العرب تقيم بعض الصّفات مقام بعض.

و إنّما ساغ أن يريد بالفطرة الّتي هي الخلقة في اللّغة الدّين من حيث كان هو المقصود بها، و قد يجري على الشّيء اسم ما له به هذا الضّرب من التّعلّق و الاختصاص، و على هذا يتأوّل قوله تعالى: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها» أراد دين الله الّذي خلق الخلق له، و قوله تعالى: «لا تبديل لخلق الله» أراد به أنّ ما خلق الله العباد له من العبادة و الطّاعة، ليس ممّا يتغيّر و يختلف حتّى يخلق قوماً للطّاعة، و آخرين للمعصية، و يجوز أن يريد بذلك الأمر و إن كان ظاهره ظاهر الخبر، فكأنّه قال: لا تبدّلوا ما خلقكم الله له من الدّين و الطّاعة بأن تعصوا و تخالفوا.

و الوجه الآخر: في تأويل قوله«عليه السلام»: «الفطرة» أن يكون المراد به الخلقة، و تكون لفظة «على» على ظاهرها و لم يُرَد بها غيره، و يكون المعنى: كلّ مولود يولد على الخلقة الدّالّة على وحدانيّة الله تعالى و عبادته و الايمان به، لأنّه جلّ وعزّ قد صوّر الخلق، و خلقهم على وجه يقتضى النّظر فيه معرفته و الايمان به، و إن لم ينظروا و يعرفوا، فكأنّه«عليه السلام» قال: كلّ مخلوق و مولود فهو يدلّ بصورته و خلقته على عبادة الله تعالى، و إن عدل بعضهم فصار يهوديّاً أو نصرانيّاً. و هذا الوجه أيضاً يحتمله قوله تعالى: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها».

و إذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله«عليه السلام»: «حتّى يكون أبواه يهوّدانه و ينصّرانه» يحتمل وجهين:

أحدهما ـ أنّ من كان يهوديّاً أو نصرانيّاً ممّن خلقته لعبادتي و ديني، فإنّما جعله أبواه كذلك، أو من جرى مجراهما ممّن أو قع له الشّبهة، و قلّده الضّلال عن الدّين، و إنّما خصّ الأبوين لأنّ الأولاد في الأكثر ينشاؤن على مذاهب آبآئهم، و يألفون أديانهم و نحلهم، و يكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم، و أنّه إنّما خلقهم للايمان فصدّهم عنه آبائهم، أو من جرى مجراهم.

و الوجه الآخر: أن يكون معنى «يهوّدانه و ينصّرانه» أي يلحقانه بأحكامهما لأنّ أطفال أهل الذّمّة قد ألحق الشّرع أحكامهم بأحكامهم، فكأنّه«عليه السلام» قال: لا تتوهّموا من حيث لحقت أحكام اليهود و النّصارى أطفالهم أنّهم خلقوا لدينهم، بل لم يخلقوا إلاّ للايمان و الدّين الصّحيح لكن آباؤهم، هم الّذين أدخلوهم في أحكامهم، و عبّر عن إدخالهم في أحكامهم بقوله: «يهوّدانه و ينصّرانه...».

و في رواية مشهورة قال رسول الله«صلى الله عليه وآله»: «لا تضربوا أطفالكم على بكآئهم، فإنّ بكآءهم أربعة أشهر: أشهد أن لا إله إلاّ الله، و أربعة أشهر: الصّلاة على النّبيّ و آله، و أربعة أشهر الدّعاء لوالديه».

و **قال بعض المحقّقين:** الحقّ الحقيق بالتّصديق أنّ التّصديق بوجوده تعالى أمر فطريّ، و لذا ترى النّاس عند الوقوع في الأهوال و صعاب الأحوال، يتكلّمون بحسب

الجبلّة على الله، و يتوجّهون توجّهاً غريزيّاً إلى مسبّب الأسباب و مسهّل الامور الصّعاب، و إن لم يتفطّنوا لذلك و يشهد لهذا قول الله عزّوجلّ: «و لئن سئلتهم من خلق السّموات و الأرض ليقولنّ الله» و قوله: «قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم السّاعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إيّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شآء و تنسون ما تشركون» الأنعام: ۴۰ ـ ۴۱)

و قال السّيّد بن طاووس في جملة وصاياه لولده: «إنّني وجدت كثيراً ممّن رأيته و سمعت به من علمآء الإسلام قد ضيّقوا على الأنام ما كان سهّله الله جلّ جلاله و رسوله ﴿ﷺ﴾ من معرفة مولاهم، و مالك دنياهم و اُخراهم، فإنّك تجد كتب الله عزّوجلّ السّالفة و القرآن الشّريف مملوّة من التّنبيهات على الدّلالات على معرفة محدث الحادثات، و مغيّر المتغيّرات و مقلّب الأوقات، و ترى علوم سيّدنا خاتم الأنبياء و علوم من سلف من الأنبياء على سبيل كتب الله جلّ جلاله، المنزّلة عليهم في التّنبيه اللطيف و التشريف بالتكليف.

و مضى على ذلك الصّدر الأوّل من علمآء المسلمين إلى أواخر من كان ظاهراً من الأئمّة المعصومين عليهم السّلام، فإنّك تجد من نفسك بغير إشكال: أنّك لم تخلق جسدك و لا روحك و صورتك و لا عقلك، و لا ما خرج من اختيارك من الآمال و الأحوال و الآجال، و لا خلق ذلك أبوك و لا اُمّك، و لا من تقلّبت بينهم من الآبآء و الاُمّهات، لأنّك تعلم يقيناً أنّهم كانوا عاجزين عن هذه المقامات، و لو كان لهم قدرة على تلك المهمّات لما كان قد حيل بينهم و بين المرادات، و صاروا من الأموات، فلم يبق مندوحة أبداً عن واحد منزّه عن إمكان المتجدّدات، خلق هذه الموجودات، و إنّما نحتاج أن تعلم ما هو عليه جلّ جلاله من الصّفات و لأجل شهادة العقول الصّريحة و الأفهام الصّحيحة بالتّصديق بالصّانع أطبقوا جميعاً على فاطر و خالق، و إنّما اختلفوا في ماهيّته و حقيقة ذاته، و في صفاته بحسب اختلاف الطّرق...» انتهى كلامه و رفع مقامه.

و في رواية: قال موسى ﴿ﷺ﴾: «يا ربّ أيّ الأعمال أفضل عندك؟ قال: حبّ الأطفال، فإنّي فطرتهم على توحيدي، فإن أمتّهم أدخلتهم برحمتي جنّتي».

و في الحديث القدسي: قال الله عزّوجلّ: «خلقت عبادي حنفآء، فاجتالتهم الشّياطين عن دينهم و أمروهم: أن يشركوا بي غيري».

قال الله تعالى: «و إنّ الشّياطين ليوحون إلى أوليآئهم ليجادلوكم و إن أطعتموهم إنّكم لمشركون». الأنعام: ١٢١).

و من المعلوم البيّن: أنّ كلّ مولود يولد للدّين و من أجل الدّين، و ما خلق الله تعالى الإنسان إلّا لمعرفته و عبادته، و أنّ التّوحيد و الطّاعة في كمون ذاته.

و قد ورد: أنّ يوماً أتت أمّ إبراهيم «عليه السلام» إليه في الغار، فقال لأمّه: من ربّي؟ قالت: أبوك. قال: من ربّ أبي؟ قالت: لا أدرى، يعلم أبوك هذا، و لمّا جآء مع أمّه في داره، فرآى أباه، قال: يا أبه من ربّي؟ قال: أمّك، قال: فمن ربّ أمّي؟ قال: أنا، قال: فمن ربّك؟ قال: نمرود، قال: مَنِ النّمرود؟ قال: هو سلطان علينا، قال: هل هو إنسان مثلنا؟ قال: بلى، قال: فمن ربّه؟ فلطمه لطمة، و قال له: اسكت».

قال الله تعالى: «واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه و قومه ما تعبدون» الشّعرآء: ٦٩ - ٧٠).

و قال: «و إذ قال إبراهيم لأبيه و قومه انّني برآء ممّا تعبدون إلاّ الّذي فطرني فإنّه سيهدين و جعلها كلمة باقية في عقبه لعلّهم يرجعون» الزّخرف: ٢٦ - ٢٨).

و قال: «إنّ إبراهيم كان امّة قانتاً لله حنيفاً و لم يكن من المشركين» النّحل: ٢٠).

و قال: «و إذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتّخذ أصناماً آلهة إنّي أراك و قومك في ضلال مبين» الأنعام: ٧٤).

و قد ورد أنّ آزر كان عمّ إبراهيم «عليه السلام» و لم يكن أباه، و قد وُلِدَ إبراهيم في الغار على فطرة التّوحيد، حفظها الله تعالى من دسّ أبويه: «كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه...».

و لقد جآئت الأنبيآء و المرسلون الّذين كانوا معصومين عن السّهو و الخطأ، و عن الذّنب و الطّغيان لهداية عامّة النّاس الّذين هم غير معصومين، إلى ما في كمونهم من فطرة التّوحيد و الطّاعة كهداية الأمّ ولدها بمصّ ثديها، و إن كان المصّ من فطرته، و لكنّه يحتاج

إلى هادٍ و هو أُمّه، و إلاّ يأكل الصّبيّ كلّما أخذ بيده حتّى أصابعه، فيتخيّل أنّها ثدى أُمّه.

و في الدّرّ المنثور: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه و ينصّرانه و يمجّسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسّون فيها من جدعاء».

و فيه: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه و ينصّرانه كما تنتج الابل من بهيمة جمعآء هل تحسّ من جدعاء قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت و هو صغير؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين» أى يذهب إلى أنّهم إنّما يولدون على ما يصيرون إليه من إسلام أو كفر.

و فيه: عن الأسود بن سريع: أنّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ بعث سرية إلى خيبر، فقاتلوا المشركين، فانتهى بهم القتل إلى الذّرّيّة، فلمّا جاؤا قال النّبيّ ﴿ﷺ﴾: ما حملكم على قتل الذّرّيّة؟ قالوا: يا رسول الله إنّما كانوا أولاد المشركين، قال: و هل خياركم إلاّ أولاد المشركين، و الّذي نفسي بيده ما من نسمة تولد إلاّ على الفطرة حتّى يعرب عنها لسانها».

و في الجامع الصّغير: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه و ينصّرانه و يمجّسانه».

و مثله في كشف الخفآء (ج ٢ ص ١٢٥).

و في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: الثّانية ـ في الصّحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة ـ في رواية: على هذه الملّة ـ أبواه يهوّدانه و ينصّرانه و يمجّسانه كما تُنتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعآء، هل تُحِسّون فيها من جدعآء».

قوله ﴿ﷺ﴾: «جمعآء» أي سليمة من العيوب، مجتمعة الأعضآء كاملتها. «هل تُحِسّون فيها من جدعآء» يعني مقطوعة الأذن.

فمثّل ﴿ﷺ﴾ فطرة بني آدم بالبهائم لأنّها تولد كاملة الخلق ليس فيها نقصان، ثمّ تقطع آذآنها بعد و أنوفها، فيقال: هذه بحائر و هذه سوآئب. قال الله تعالى: «ما جعل الله من بحيرة و لا سآئبة و لا وصيلة و لا حام...» المائدة: ١٠٣) فكذلك فطرة الإنسان حين ولادته ليس له يهوديّة و لا نصرانيّة و لا مجوسيّة و لا غيرها، بل هو موحّد في عمق ذاته،

فلمّا وُلِدَ فأبواه يهوّدانه...

فكما أنّ البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة، سليماً من الآفات، بحيث لو تُرِك على أصل تلك الخلقة لبقي كاملاً بريئاً من العيوب، لكن يُتصرّف فيه فيُجدع أُذنه و يُوسم وجهه، فتطرأ عليه الآفات و النّقائص فيخرج عن الأصل، كذلك الإنسان في بُعد فطرته. فخصا الفحول و عقم النّسآء من العوارض اللاّتي تعرض عليهم و عليهنّ، و ليس من طبيعة الذّكور و الاناث...

و **قال بعض الظّرفاء**: إنّ الإنسان بما هو إنسان إذا طالع أوان صباوته، و قرأ صفحات فطرته حال الصّباوة: أنّه من لطم على وجهه لطمة و هو صبيّ تنادي فطرته على أربعة امور ليست في غيره من الحيوان:

الأوّل: ينادي و يدعو خالقه القادر العليم المتعال بالبكآء و التّضرّع.

الثّاني: ينادي حصول التكليف للإنسان.

الثّالث: ينادي لزوم دار الجزآء و العقاب و الثّواب.

الرّابع: ينادي وجود النّبيّ و الرّسول من الله تعالى يبلغ التكليف إلى عباده.

أمّا دلالة الفطرة عند اللّطمة على ندآء الخالق، فإنّ الصّبيّ عند وقوع اللطمة على وجهه يصيح و يقول: لماذا ضربتني، فيتوجّه إلى الخالق القادر العليم المتعال، و من هنا يوجد الأمر و النّهي و التّكليف بأنّ الإنسان لم يخلق بطلاقة العنان، حتّى يفعل ما يشآء، و أمّا دلالتها على لزوم دار الجزآء، فإنّه يطلب الجزآء، و يدعو خالقه أن يجازى من لطمه على وجهه في دار الآخرة بما فعل به الآن، و أمّا دلالتها على احتياج الإنسان إلى النّبيّ و الرّسول من الله تعالى فإنّ الإنسان يفتقر في فهم الأحكام و بيان كيفيّاتها إلى من هو أعلم بها.

«أنواع الصّفات النّفسانيّة»

و اعلم أنّ الصّفات النّفسانيّة للإنسان بحسب الكلّ على نوعين:

النّوع الأوّل: ذاتيّة لاتحتاج في حصولها إلى تعليم و لا تعلّم و لاتربية، و لاتنفكّ عن ذات الانسان و لاتفارقه أبداً مركوزة في نفسه، سارية فيها سريان الماء في العود الأخضر، و الكهرباء في كل جسم جامد و غاز و سائل. و هي على قسمين:

أحدهما ـ فطريّة كالتّوحيد و الطّاعة لله جلّ وعلا.

ثانيهما ـ طبيعيّة كحبّ الوالد لولده، و ميل الإنسان إلى الغذآء و التّوالد و التّناسل، و خوفه من الموت و نحوها...

ولكن يمكن أن تعرض على كلا النّوعين عوارض تمنعها عن ظهورهما، فعند رفعها تظهران بغير خفآء.

فالتّوحيد ذاتيّ فطريّ كما أنّ محبّة الوالد لولده ذاتيّة طبيعيّة لاتحتاج في حصولها إلى تعلّم و لاتربية، فلو ترك الطّفل و شأنه لاعترف بوحدانيّة الله تعالى و أطاعه بفطرته، فإنّ الإذعان بالوحدانيّة و الإطاعة لله تعالى فطرة بشريّة.

إن تسئل: إن كان التّوحيد ذاتيًّا للإنسان، فلا يحتاج إلى رسول من الله تعالى يدعوه إليه؟

تجيب عنه: إنّ الله عزّوجلّ أرسل رسله لبيان مقتضى الفطرة، و لمنع عروض العوارض الّتي تمنع عن ظهور مقتضاها، و لرفع تلك العوارض بعد عروضها عليها، و ليبيّن

أحكام الفطرة:

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب(عليه السلام): «فبعث فيهم رسله و واتر إليهم أنبيآئه ليستأدوهم ميثاق فطرته...»

قال الله عزّوجلّ: «و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنّه لا إله إلاّ أنا فاعبدون» الأنبيآء: ۲٥).

النّوع الثّاني: عارضيّة تحتاج في حصولها إلى تعلّم و تعليم و تربيّة كالعلم و الحكمة و ما إليها نفياً و إثباتاً.

قال الله تعالى: «كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا و يزكّيكم و يعلّمكم الكتاب و الحكمة و يعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون» البقرة: ۱٥۱)

و أنّ كلّيّات موجبات العوارض اللاّتي تمنع من ظهور الفطرة و إشراقها ـ كالسّحاب الّتي تمنع عن إشراق الشّمس على الآفاق و الفضآء خمسة امور:

ألف: سوء نيّات الوالدين قبل انعقاد النّطفة و حين انعقادها إلى ولادة الإنسان.

ب: أكل الحرام مطلقاً.

ج: سوء التّربيّة و التّعليم.

د: المحيط الفاسد.

هـ: اتّباع الهوى بعد البلوغ.

و ذلك أنّ لكلّ واحد من تلك الامور تأثيراً عميقاً في منع ظهور الفطرة و إشراقها و انتقال مقتضياتها إلى إحدى جهتي قلب ابن آدم.

حيث انّ لقلبه جهتين: جهة الفطرة الإنسانيّة و جهة طبيعته. مع انّ القلب كصحيفة بيضاء نقيّة مستعدّة للإنفعال بما يواجهها من ناحية الفطرة التوحيديّة من الطّاعة، فيستنير بنورها او من ناحية الطّبيعة من الشّرك و الطّغيان فيسودّ و يظلّم متأثّراً بظلامها.

و بعبارة اخرى: إنّ طبيعة القلب كطبيعة المآء الصّافي الزّلال الّذي لا لون و لا رائحة و لا طعم له، بل لونه و رائحته و طعمه بما يصبّ فيه، من اللون و الطّعم و الرّائحة فيقبله.

في سفينة البحار: ـ حرف الفاء ـ باب فطرة الله سبحانه و صبغته ـ «قال

النّبيّ ﴿عليه السلام﴾: كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه و ينصّرانه» قال: و قوله ﴿عليه السلام﴾: «أبواه يهوّدانه و ينصّرانه» خصّ الأبوين لأنّ الأولاد في الأكثر ينشأون على مذاهب آبائهم، ويألفون أديانهم و نحلهم، و يكون الغرض تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد و كفرهم».

و في النّهاية: قال فى قوله ﴿عليه السلام﴾: «كلّ مولود يولد على الفطرة»: الفطر: الابتداء و الاختراع، و الفطرة منه: الحالة كالجلسة و الرّكبة. و المعنى أنّه يولد على نوع من الجبلّة و الطّبع المتهيّأ بقبول الدّين، فلو ترك عليها لاستمرّ على لزومها و لم يفارقها إلى غيرها، و إنّما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر و التقليد، ثمّ تمثّل بأولاد اليهود و النّصارى في اتّباعهم لآبائهم، و الميل إلى أديانهم، عن مقتضى الفطرة السّليمة».

و قيل: معناه: كلّ مولود يولد على معرفة الله و الإقرار به، فلا تجد أحداً إلاّ و هو يقرّ بأنّ الله صانعه، و إن سمّاه بغير اسمه، أو عبد معه غيره. و منه حديث حذيفة: «على غير فطرة محمّد» أراد دين الإسلام الّذي هو منسوب إليه» انتهى.

«فطرة التّوحيد، و صبغة القلب»

قال الله تعالى: «صبغة الله و من أحسن من الله صبغة و نحن له عابدون» البقرة: ١٣٨).
و اعلم أنّ العقل في ذاته مصبوغ بصبغة تقتضيه فطرة الإنسان و هي التّوحيد و الطّاعة لله جلّ وعلا وحده.

و في اصول الكافي: ـ كتاب العقل و الجهل ـ حديث ١ و ٢٦) باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: لمّا خلق الله العقل، استنطقه، ثمّ قال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر...» الحديث.

و أنّ القلب الآدمي كالمآء الصّافي الزّلال غير مصبوغ في ذاته بصبغة، بل يستعدّ لقبول صبغة تقتضيها الفطرة الإنسانيّة و هي التّوحيد و الطّاعة، وصبغة تقتضيها طبيعة الإنسان، و هى الكفر و الطّغيان، و أنّ الإنسان مختار بين فطرته و طبيعته، و أنّ له عقلاً يدعوه إلى ما تقتضيه فطرته، و هوىً يدعوه إلى ما تقتضيه طبيعته، فمن اتّبع عقله، أصبغ قلبه بصبغة التّوحيد و الطّاعة، و من اتّبع هواه، أصبغ قلبه بصبغة الشّرك و الطّغيان.

و فى اصول الكافي: ـ كتاب الايمان و الكفر ـ باب في أنّ الصّبغة هي الإسلام ـ باسناده عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله «عليه السلام» في قول الله عزّوجلّ: «صبغة الله و من أحسن من الله صبغة» قال: الإسلام. و قال في قوله عزّوجلّ: «فقد استمسك بالعروة الوثق» قال: هي الايمان بالله وحده لاشريك له».

وفيه: بإسناده عن حمران عن أبي عبدالله «عليه السلام» في قوله الله عزّوجلّ: «صبغة الله و من

أحسن من الله صبغة» قال: الصّبغة هي الإسلام».

و فيه: بإسناده عن محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهماالسلام في قوله الله عزّوجلّ: «صبغة الله و من أحسن من الله صبغة» قال: الصّبغة هي الإسلام، و قال في قوله عزّوجلّ: «فمن يكفر بالطّاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثق» قال: هي الايمان».

قوله«عليه السلام»: «فمن يكفر بالطّاغوت» فسّر الطّاغوت في الأخبار بالشّيطان، و بأئمّة الضّلال. و الأولى التّعميم ليشمل كلّ من عبد من دون الله من صنم أو صادّ عن سبيل الله.

و قوله«عليه السلام»: «و يؤمن بالله» أي بالتّوحيد و تصديق الرّسل و أوصيآئهم... و قوله«عليه السلام»: «فقد استمسك بالعروة الوثق» أي طلب الإمساك من نفسه بالحبل الوثيق، و هي مستعار لمتمسّك الحقّ من النّظر الصّحيح، و الدّين القويم، «لا انفصام لها» أي لا انقطاع لها.

و قد ورد في كثير من الأخبار: أنّ المراد بالطّاغوت: الغاصبون للخلافة من أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و هم أبوبكر بن أبي قحافة، و عمر بن الخطّاب، و عثمان بن عفّان.

و المعنى: من رفض متابعة هؤلآء الثّلاث، غاصبي الخلافة من أئمّة الضّلال و الفساد، و آمن بما جآء من عند الله تعالى في أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» و الأوصيآء المعصومين من بعده صلوات الله عليهم أجمعين فقد آمن بالله وحده لاشريك له، و إلاّ فهو مشرك. كما روي في معاني الأخبار عن رسول الله«صلى الله عليه و آله»: «من أحبّ أن يستمسك بالعروة الوثق الّتي لا انفصام لها فليستمسك بولاية أخي و وصيّي عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» فإنّه لا يهلك من أحبّه و تولاّه، ولا ينجو من أبغضه و عاداه» و قال الإمام الباقر«عليه السلام»: «إنّ العروة الوثق هي مودّتنا أهل البيت».

و في **معاني الأخبار**: بإسناده عن أبان عن أبي عبدالله«عليه السلام» في قول الله عزّوجلّ: «صبغة الله و من أحسن من الله صبغة» قال: هي الإسلام».

و في **تفسير أنوار التنزيل**: قال البيضاوي في قوله تعالى: «صبغة الله»: أي صبغنا الله صبغته و هي فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها، فإنّها حلية الإنسان، كما أنّ الصّبغة حلية المصبوغ، أو هدانا هدايته، و أرشدنا حجّته، أو طهّر قلوبنا بالايمان تطهيره، و سمّاه صبغة

لأنّه ظهر أثره عليهم ظهور الصّبغ على المصبوغ، و تداخل في قلوبهم تداخل الصّبغ الثّوب، أو للمشاكلة، فإنّ النّصارى كانوا يغمسون أولادهم في مآء أصفر، يسمّونه المعموديّة (العموديّة خ) و يقولون هو تطهير لهم، وبه تحقّق نصرانيّتهم، و نصبها على أنّه مصدر مؤكّد لقوله: «آمنّا» وقيل: على الإغرآء. و قيل: على البدل من «ملّة ابراهيم».

و **قوله تعالى:** «و من أحسن من الله صبغة» لاصبغة أحسن من صبغته. «و نحن له عابدون» تعريض بهم أي لانشرك به كشرككم.

و **في التّبيان:** و قال قتادة: اليهود تصبغ أبنآئها يهوداً، و النّصارى تصبغ أبنآءها نصارى ـ فهذا غير المعنى الّذي قاله البيضاوى ـ و إنّما معناه: أنّهم يلقّنون أولادهم اليهوديّة و النّصرانيّة، فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوبهم منه. فقيل: صبغة الله الّتي أمر بها و رضيها يعني الشّريعة لا صبغتكم. و قال الجبآئي: سمّي الدّين صبغة لأنّه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر الطّهارة و الصّلاة، و غير ذلك من الآثار الجميلة الّتي هي كالصّبغة».

و قيل: صبغة الله إيداع الممكنات و إخراجها من العدم إلى الوجود، و إعطآء كلّ ما يليق به من الصّفات و الغايات و غيرهما.

و **في متشابه القرآن و مختلفه** لابن شهر آشوب السّرويّ المازندرانيّ رضوان الله تعالى عليه: «و روي عن النّبيّ ﴿ﷺ﴾: كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه و ينصّرانه و يمجّسانه...» الخبر.

قال: تكلّم النّاس في ذلك: فروي أنّه ﴿ﷺ﴾ قال: التّوحيد و قال أبو عبيد: صبغة الله: دين الله و فطرته الّتي فطر النّاس عليها. و قال الفرّآء: سمّيت صبغة الله لأنّ اليهود و النّصارى كانوا يصبغون أولادهم، فيقول الله عزّوجلّ: ألزموا صبغة الله. و قال بعضهم: كانت النصارى إذاأتى على أولادهم سبع سنين صبغوه في ماء نهر الاردن، وكان ذلك لهم بمنزلة الختان للمسلمين، و تزعم النصّارى أنّ المسيح صبغه يوحنّا المعمودان، و كان يسمّى هذا الفعل المعموديّة.

قال ابن حمّاد:

يقولون في الله غير الجميل   فقد ألحدوا فيه ما وحّدوه

يـــولونه قـــبح أفـــعالهم تـــنزّه عـــنها العـــليّ النّزيـــه
و قـــالوا يـــعذّبنا في المـــعاد عـــلى فـعله جـلّ مـن جـوّزوه

و في **تفسير فرات الكوفي**: - كتاب الحجّة - باب فيه نكت و نقتف من التنزيل في الولاية - حديث ٥٣ - باسناده عن عبدالله بن عبيد الفارسيّ عن محمّد بن عليّ عن أبي عبدالله(عليه السلام) في قوله تعالى: «صبغة الله و من أحسن مـن الله صـبغة» قـال: صـبغة أميرالمؤمنين (المؤمنون خ) بالولاية في الميثاق».

و في **اصول الكافي**: - كتاب الحجّة - باب فيه نكت و نتف من التنزيل في الولاية - حديث ٥٣ - باسناده عن عبدالرّحمن بن كثير عن أبي عبدالله(عليه السلام) في قوله تعالى: «صبغة الله و من أحسن من الله صبغة» قال: صبغ المؤمنين (المؤمنون خ) بـالولاية في الميثاق».

«الإسلام و دين الفطرة»

قال الله تعالى: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون» الرّوم: ٣٠) و قد سمّى الفطرة ديناً لكونهما متّحدين و عدم انفكاك أحدهما عن الآخر.

و قال: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً» المائدة: ٣)

و قال: «إنّ الدّين عند الله الإسلام ـ و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين» آل عمران: ١٩ و ٨٥)

الفطرة هي صفاء الملّة الحنيفيّة، و نور الإسلام الولائيّ و الدّين الّذي أكمله الله جلّ و علا يوم غدير خم بولاية مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» و هذا الدّين الولائيّ هو المرضيّ عندالله عزّوجلّ لاغيره، فإنّ هذا الدّين وحده مقبول عندالله تعالى غير نائي و لا منكر، بحيث لو ترك الشّخص و شأنه لما اختار غير هذا الدّين الولائيّ ديناً له، لأنّه وحده دين الفطرة، بني على فطرة التّوحيد، و توحيد الفطرة.

دين يخاطب العقل، و ضمير الإنسان، و يسير مع حاجات النّفوس السّليمة فى كلّ اصوله و فروعه، و في جميع أحكامه و ضوابطه، هذا هو دين الفطرة الاولى، و من غوى من النّاس فإنّما يكون بوسوسة الشّيطان و تأثير الإنسان الّذي يعاشره في بيئته و خاصّة أبويه.

و من البداهة: أنّ الإنسان قبل بعثة خاتم الأنبيآء و سيّد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين كان على غاية الكفر و الضّلالة، على نهاية البغي و الغواية، على منتهى الحمق و السّفاهة، و على درَك الانحطاط و الجهالة...

في نهج البلاغة: قال يعسوب الدّين، سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «إن الله بعث محمّداً«صلى الله عليه وآله» نذيراً للعالمين و أميناً على التنزيل، و أنتم معشر العرب على شرّ دين و في شرّ دار، منيخون بين حجارة خشن، وحيّات صُمّ، تشربون الكدر، و تأكلون الجَشب، و تسفكون دمآءكم، و تقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، و الآثام بكم معصوبة...» الخطبة: ٢٦).

فظهر حينئذ سيّد البشر الّذي هو وسيلة النّجاة، و الوسيلة العظمى، و الواسطة الكبرى لإنقاذ النّاس الهلكى إلى أعلى درجات المدنيّة و الارتقآء و السّعادة، فأكمل للإنسان حاجاته الضّروريّة علىٰ نهج مشروع، و ما أسرع ما وصل به إلى أرفع مراتب الكمال و السّعادة، فإنّ كلّ من ينعم نظره و يحكم وجدانه فيما كان عليه الإنسان قبل البعثة، ثمّ يتأمّل في حال الإنسان و ترقيّاته بعدها لا يشكّ أبداً أنّه يرى ما بين الحالين من البون العظيم، و الفرق الّذي لايمكن القياس و التّقريب.

إنّ الله عزّوجلّ لمّا ألبس خاتم رسله محمّداً«صلى الله عليه وآله» لباس الرّسالة، ورداء النّبوّة، أمره أن يعرف النّاس بخالقهم، و يصلح عقآئدهم، و يبطل عبادتهم الأوثان و الأصنام و الشّمس و القمر و النّجوم و النّار و التّمر و الخشب و ما إليها... و يدعوهم إلى سبيل الخير والصّلاح، إلى سبيل الحقّ و الهدى، إلى سبيل السّعادة و الفلاح، و إلى سبيل الحرّية و الكمال في ظلّ العبوديّة لله تعالى وحده و لايمكن استمرارها بعد وفاته«صلى الله عليه وآله» إلاّ بولاية من يقوم مقامه«صلى الله عليه وآله» في جميع الفضآئل الأخلاقيّة و الكمالات النّفسانيّة إلاّ النّبوّة، فلا يمكن ظهور الفطرة و بروز الإنسانيّة إلاّ بهذه الولاية.

و لذلك أمر الله تعالى رسوله«صلى الله عليه وآله» بتبليغها يوم الغدير في حجّة الوداع قبل سبعين يوماً من وفاته«صلى الله عليه وآله» بحيث لو لم يبلغها يومئذ لم يبلّغ رسالته أصلاً، و قد صرّح بذلك في قوله: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٦٧)

و ذلك أنّ الرّسالة بمنزلة المسكن الّذي لابدّ لحفظه من ساكن، و أنّ الولاية هي ساكن الرّسالة، ولو لا السّاكن لخرب المسكن بعد سنين قطعاً.

و لذلك أناط جلّ و علا كمال الدّين الإسلاميّ و ارتضائه به لديه بهذه الولاية، بحيث لولاها لما كانت الرّسالة، و لا الدّين كاملاً، و لا الإسلام مرضيًّا عند الله تعالى.

فتدبّروا! يا معشر العامّة عامّة فى ذلك مليًّا فى ذلك، و ارفضوا هؤلآء الطّواغيت الثّلاث و أذنابهم المبتورة، و استمسكوا بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها و هي ولاية مولى الموحّدين، سيّد الوصيّين، يعسوب الدّين، إمام المتّقين أميرالمؤمنين علىّ بن أبيطالب و الأئمّة المعصومين من ولده صلوات الله عليهم أجمعين و لاتفرّقوا، و إلاّ لكنتم مشمولين لقوله جلّ و علا: «و يوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً لقد أضلّني عن الذّكر بعد إذ جآئنى و كان الشّيطان للإنسان خذولاً» الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩) و قوله تعالى: «كلّما دخلت امّة لعنت اختها حتّى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت اُخراهم لأُولاهم ربّنا هٰؤلاء أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النّار قال لكلّ ضعف و لكن لاتعلمون» الأعراف: ٣٨). و قوله سبحانه: «و قالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا و كبرآءنا فأضلّونا السّبيلا ربّنا آتهم ضعفين من العذاب و العنهم لعناً كبيراً» الأحزاب: ٦٧ ـ ٦٨)

و قد قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ في هؤلآء الطّواغيت:

في نهج البلاغة: «اتّخذوا الشّيطان لأمرهم ملاكاً، و اتّخذهم لهم أشراكاً، فباض و فرّخ فى صدورهم، و دبّ و درج في حجورهم، فنظر بأعينهم و نطق بألسنتهم، فركب بهم الزّلل، و زيّن لهم الخطل، فعل من قد شركه الشّيطان في سلطانه، و نطق بالباطل على لسانه» الخطبة: ٧)

و فيه: قال الإمام عليّ أميرالمؤمنين ﴿عليه السلام﴾ فيهم: «حتّى إذا قبض الله رسوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ رجع قوم على الأعقاب و غالتهم السّبل، و اتّكلوا على الولآئج، و وصلوا غير الرّحم، و هجروا السّبب الّذي أمروا بمودّته و نقلوا البنآء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كلّ خطيئة، و أبواب كلّ ضارب في غمرة، قد ماروا فى الحيرة، و ذهلوا في السّكرة

على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدّنيا راكن، أو مفارق للدين مباين» الخطبة: ١٥٠)

و فيه: ـ فيما كتبه الإمام عليّ ﴿ﷺ﴾ لمالك الأشتر النّخعيّ رضوان الله تعالى عليه ـ لمّا ولاّه على مصر ـ: «... فإنّ هذا الدّين كان أسيراً في أيدي الأشرار يُعمل فيه بالهوى و تطلب به الدّنيا...»

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿ﷺ﴾ فيهم: «... فانفذوا على أبصاركم، و لتصدق نيّاتكم في جهاد عدوّكم، فو الّذي لا إله إلاّ هو إنّي لعلى جادّة الحقّ و إنّهم لعلى مزلّة الباطل...» الخطبة: ١٨٨)

فيا معشر العامّة! ألكم بعد هذا البيان البيّن عذر عند الله العليم الحكيم؟! «لِمَ تلبسون الحقّ بالباطل و تكتمون الحقّ و أنتم تعلمون» آل عمران: ٧١)؟ «و لاتلبسوا الحقّ بالباطل و تكتموا الحق و أنتم تعلمون ـ إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات و الهدى من بعد ما بيّنّاه للنّاس في الكتاب اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاّعنون إلاّ الّذين تابوا و أصلحوا و بيّنوا فاولئك أتوب عليهم و أنا التّوّاب الرّحيم» البقرة: ٤٢ و ١٥٩ ـ ١٦٠)

و لعمري! أنّه ليس لي غرض من هذا البيان إلاّ الحق و إحقاقه و إتمام الحجّة عليكم يا معشر العامّة! و لله درّ الشّاعر:

إذا أنت لم تلبس ثياباً من التّقى عريت و إن وارى القميص قميص

لا فرق إذا وقعت الحجب الجاهليّة و عصبيّتها على وجه الفطرة الإنسانيّة، و انحراف الإنسان عن صراطها فى هذا الزّمان، و زمان الجاهليّة كانوا عراة من الايمان و الإنسانيّة لأنّ انقلاب الموازين في هذا الزّمان يساوي حذو النّعل بالنّعل انقلاب الموازين ذلك الزّمان، و من هنا يعلم ربط معنى كمال الدّين بالولاية، و كيف يمكن عدم الولاية مع الايمان، و عدم الايمان هو سلب الفطرة الإنسانيّة؟!

فالفطرة و الإنسانيّة و الدّين الإسلاميّ و الولاية العلويّة هذه الأربعة كلّها شئ واحد لا فكاك بينها قطّ، فمن لا دين له فهو مسلوب الفطرة و الإنسانيّة و الهويّة و الولاية و هكذا و العكس بالعكس، و من يرى الدّين أفيوناً فهو في نفسه الخبيثة أفيون للفرد، و ضدّ الإنسانيّة، و ذنب الجماعة البشريّة و أضلّ سبيلاً من البهآئم...

و ذلك أنّ هذا الحيوان ذا رِجْلَيْن و هذا الأفيون الفرديّ و الاجتماعي لايخالف التّشريع فقط، بل هو ضدّ التّكوين و التّشريع معاً، إذ لا فكاك بينهما في أيّ ظرف من الظّروف، فكلّ تشريع لاينطبق على التكوين فهو ليس بتشريع، فالتشريع في جميع أبعاده ينطبق على التكوين و إن كان أكثر النّاس لايعلمون ذلك، و قد صرّح بذلك في قوله تعالى: «ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون» الرّوم: ۳۰) فالشّريعة مستمرّة باستمرار الفطرة الإنسانيّة حذو النّعل بالنعل من آدم إلى آخر ولده.

«الفطرة و الولاية»

في اصول الكافي: ـ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت و نتف من التّنزيل في الولاية ـ حديث ٣٥) بإسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر «عليه السلام» في قوله تعالى: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً» قال: هي الولاية».

و فيه: ـ الكتاب و الباب ـ حديث ٤٢) بإسناده عن عبدالرّحمن بن كثير عن أبي عبدالله «عليه السلام» في قول الله عزّوجلّ: «إنّ الّذين آمنوا ثمّ كفروا ثمّ آمنوا ثمّ كفروا ثمّ ازدادوا كفراً» «لن تقبل توبتهم» قال: نزلت في فلان و فلان و فلان، آمنوا بالنّبيّ «صلّى الله عليه و آله» في أوّل الأمر، وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية، حين قال النّبيّ «صلّى الله عليه و آله»: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» ثمّ آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين «عليه السلام» ثمّ كفروا حيث مضى رسول الله «صلّى الله عليه و آله» فلم يقرّوا بالبيعة، ثمّ ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم فهؤلآء لم يبق فيهم من الايمان شئ»

و فيه: و بهذا الاسناد عن أبي عبدالله «عليه السلام» في قول الله تعالى: «إنّ الّذين ارتدّوا على أدبارهم من بعد ما تبيّن لهم الهدى» فلان و فلان و فلان، ارتدّوا عن الايمان في ترك ولاية أمير المؤمنين «عليه السلام» قلت: قوله تعالى: «ذلك بأنّهم قالوا للّذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر»؟

قال: نزلت و الله فيهما و في أتباعهما و هو قول الله عزّوجلّ الّذي نزل به جبرئيل «عليه السلام» على محمّد «صلّى الله عليه و آله»: «ذلك بأنّهم قالوا للّذين كرهوا ما نزّل الله» في عليّ «عليه السلام» «سنطيعكم

في بعض الأمر» قال: دعوا بني اُميّة إلى ميثاقهم ألاّ يصيرّوا الأمر فينا بعد النّبيّ ﴿صلّی الله علیه و آله﴾ و لا يعطونا من الخمس شيئاً، و قوله: «كرهوا ما نزّل الله» و الّذين نزّل الله ما افترض على خلقه من ولاية أميرالمؤمنين ﴿عليه السلام﴾ و كان معهم أبوعبيدة و كان كاتبهم، فأنزل الله «أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون أم يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم و نجواهم...» الآية.

أقول: إنّ قوله تعالى: «إنّ الّذين آمنوا ثمّ كفروا...» و تمامه: «لم يكن الله ليغفر لهم و لا ليهديهم سبيلاً» في سورة النّسآء: ۳۷) و قوله سبحانه: «لن تقبل توبتهم» قبله: «إنّ الّذين كفروا بعد ايمانهم ثمّ ازادادوا كفراً» و بعده: «و اولئك هم الضّالّون» في سورة آل عمران: ۹۰)

و هذا تنبيه على أنّ مورد الذّمّ في الآيتين واحد، و أنّ كلّ واحد منهما مفسّر للأخر لأنّ قوله تعالى: «لن تقبل توبتهم» وقع موقع «لم يكن الله ليغفرلهم» لإفادته مفاده، فضمّ الإمام ﴿عليه السلام﴾ جزءً من إحدى الآيتين إلى جزء من الأُخرى لبيان اتّحاد مفادهما.

و قوله ﴿عليه السلام﴾: «بأخذهم من بايعه بالبيعة» يحتمل أن يكون المراد بالموصول: «من» أميرالمؤمنين ﴿عليه السلام﴾ و الضّمير المستتر في «بايعه» راجع إلى أبي بكر، و الضّمير البارز إلى الموصول: «من» و يحتمل أن يكون المستتر راجعاً إلى الموصول، و البارز إلى الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ أي أخذوا الّذين بايعوا أميرالمؤمنين ﴿عليه السلام﴾ يوم الغدير بالبيعة لأبي‌بكر يوم السّقيفة السّخيفة الشّومة.

و قوله ﴿عليه السلام﴾: «فلان و فلان و فلان» في هذه الكنايات وجهان: **أحدهما** ـ أن يكون المراد بها بعض بني اُميّة كعثمان بن عفّان و أبي سفيان و معاوية عليهم الهاوية و النّيران، فالمراد بالّذين كرهوا ما نزّل الله أبوبكر و عمر و أبوعبيدة من أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّومة، فانّ ظاهر السّياق أنّ فاعل «قالوا» الضّمير راجع إلى «الّذين ارتدّوا».
ثانيهما ـ أن يكون المراد بها أبابكر و عمرو أباعبيدة، و ضمير «قالوا» راجعاً إلى بني اُميّة بقرينة كانت عند النّزول، و المراد بالّذين كرهوا هم الّذين ارتدّوا فيكون من قبيل المظهر في موضع المضمر، نزلت و الله فيهما أي في أبي‌بكر و عمر و هو تفسير للّذين كرهوا.

و قوله ﴿عليه السلام﴾: «و هو قول الله تفسير لما نزّل الله، و ضمير «دعوا» راجع إليهما و مردتهما، و «و قالوا» أي وهما و مردتهما.

و قوله تعالى: «فى بعض الأمر» لعلّهم لم يجترئوا أن يبايعوهم في منع الولاية، ولكنّهم بايعوهم في منع الإرث و الخمس و غصب فدك، ثمّ أطاعوهم في الامور كلّها...

و في تفسير فرات الكوفي: بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي جعفر«عليه السلام» في قول الله تبارك و تعالى: «الّذين آمنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن و هم مهتدون» قال«عليه السلام»: يا أبان أنتم تقولون: هو الشّرك بالله، و نحن نقول: هذه الآية نزلت في أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» و أهل بيته، لأنّهم لم يشركوا بالله طرفة عين قطّ و لم يعبدوا اللاّت و العزّىٰ، و هو أوّل من صلّى مع النّبيّ«صلى الله عليه و آله» و هو أوّل من صدّقه فهذه الآية نزلت فيه».

و في روضة الكافي: حديث ٤٧١) بإسناده عن زراة قال: حدّثني أبوالخطّاب في أحسن ما يكون حالاً قال: سئلت أباعبدالله«عليه السلام» عن قول الله عزّوجلّ: «و إذا ذكر الله وحده اشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة» فقال: و إذا ذكر الله وحده بطاعة من أمر الله بطاعته من آل محمّد اشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة و «إذا ذكر الّذين» لم يأمر الله بطاعتهم «إذا هم يستبشرون».

و في تفسير القمي: في قوله تعالى: «و اذكروا نعمة اللّه عليكم و ميثاقه الّذي واثقكم به» قال: لمّا أخذ رسول الله«صلى الله عليه و آله» الميثاق عليهم بالولاية قالوا: سمعنا و أطعنا ثمّ نقضوا ميثاقه».

و في المجمع: قال الطّبرسيّ المازندرانيّ رضوان الله تعالى عليه قيل في الميثاق: أقوال: أحدها ـ أنّ معناه ما أخذ عليهم رسول الله«صلى الله عليه و آله» عند إسلامهم و بيعتهم بأن يطيعوا الله في كلّ ما يفرضه عليهم.

و ثانيها ـ أنّه ما بيّن لهم في حجّة الوداع من تحريم المحرّمات و كيفيّة الطّهارة و فرض الولاية، و غير ذلك عن أبي الجارود عن أبي جعفر«عليه السلام».

و ثالثها ـ أنّه بيعة العقبة و بيعة الرّضوان.

و رابعها ـ أنّه ميثاق الأرواح.

و في اصول الكافي: ـ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت و نتف من التّنزيل في الولاية ـ

حديث ٣) بإسناده عن عبدالرّحمن بن كثير عن أبي عبدالله ﴿ﷺ﴾ في قول الله عزّوجلّ: «و الّذين آمنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم» قال: بما جآء به محمّد ﴿ﷺ﴾ من الولاية و لم يخلّطوها بولاية فلان و فلان، فهوا الملبس بالظّلم».

و في **كنز الفوائد**: بإسناده عن عيسى بن داود عن أبي الحسن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام في قول الله عزّوجلّ: «فالّذين آمنوا و عملوا الصّالحات لهم مغفرة و رزق كريم» قال: اولئك آل محمّد عليهم السلام «و الّذين سعوا» في قطع مودّة آل محمد ﴿ﷺ﴾ «معاجزين اولئك أصحاب الجحيم» قال: هي الأربعة نفر، يعني التيميّ و العديّ و الأمويّين».

أقول: إنّ المراد بالتيميّ هو أبوبكر بن أبي‌قحافة، و بالعديّ هو عمر بن الخطّاب، وبالأمويّين: عثمان بن عفان و معاوية بن أبي‌سفيان عليهم الهاوية و النّيران.

و في **المناقب** لابن شهر آشوب السّرويّ المازندرانيّ رضوان الله تعالى عليه: «الرّضا عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام في قوله تعالى: «فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها» قال: هو التّوحيد و محمّد رسول الله ﴿ﷺ﴾ و عليّ أميرالمؤمنين ﴿ﷺ﴾ إلى ههنا التّوحيد».

و في **تفسير الثّعلبي**: عن أبي عبدالله الجدليّ قال أميرالمؤمنين ﴿ﷺ﴾ في قوله: «من جآء بالحسنة فله خير منها و من جآء بالسّيّئة فلا يجزىٰ إلاّ مثلها»: ألا أُنبّئك بالحسنة الّتي من جاء بها دخل الجنّة، و السّيّئة الّتي من جآء بها أكبّه الله في النّار و لم يقبل معها عملاً؟ قلت: بلى، قال: الحسنة حبّنا، و السّيّئة بغضنا».

و في **كتاب التّوحيد**: بإسناده عن عبدالرّحمن بن كثير عن أبي عبدالله ﴿ﷺ﴾ في قوله الله عزّوجلّ: «فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها» قال: التّوحيد، محمّد رسول الله ﴿ﷺ﴾ و عليّ أميرالمؤمنين ﴿ﷺ﴾».

و لعمري! أنّه لايمكن الوصول إلى المعرفة بالله عزّوجلّ و برسوله ﴿ﷺ﴾ بتركيب المقدّمات و الحدود و الاصطلاحات العلميّة الجافّة، و لابمحافظة الضّوابط القياسيّة، و مراعاة القوانين التّصوّريّة و التّصديقيّة و ما إليها إلاّ بالولاية لمولى الموحّدين يعسوب الدّين، سيّد الوصيّين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب ﴿ﷺ﴾ فإنّ ولايته هي الفطرة الإنسانيّة و هويّة الإنسان و أساس الإسلام.

«الولاية و أساس الإسلام»

قال الله عزّوجلّ: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً ـ يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٣ و ٦٧)

و من البداهة: لمن له الدّراية و طيب الولادة، و الفطرة السّليمة عن حجب الطّبيعة: أنّ الولاية لمولى الموحّدين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» هي أساس الدّين الإسلامي الّذي بُني على فطرة الإنسان و إنسانيّته و هويّته أتى بها جميع الأنبيآء و المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، و أنّ الولاية هي منسجمة كلّ الانسجام مع هذه الفطرة الّتي فى ذاتها كمال الإنسان و سعادته، و خيره و صلاحه و فلاحه، و في ذاتها التّجنّب عمّا فيه انحطاط الإنسان وشقائه وشرّ و فساده و خسرانه، و أنّ العقل السّليم غير مغلوب الهوى يهدي الإنسان إلى ما في ذات الفطرة، و الولاية مبيّنها و حافظها من طغيان عوامل غريبة عنها عليها.

و قال بعض المحقّقين: إنّ الفطرة هي الجبلّة الإنسانيّة الجامعة بين الحياتين: الجسمانيّة و الرّوحانيّة، و الاستعداد الّذي أودع الله عزّوجلّ في الإنسان لمعرفة عالَم الشّهادة و عالَم الغيب، و لمعرفة الدّين المطلق الّذي هو الشّعور الوجدانيّ بسلطان غيبيّ فوق قوى الكون و السّنن و الأسباب الّتي قام بها نظام كلّ شئ في العالم، و هو فاطر السّموات و الأرض و ما فيها و ما بينها، و المصدر الذّاتي للنّفع و الضّرّ المحرّكين لشعور

التّعبّد الفطري و طلب العرفان الغيبيّ، و ذلك أساس الدّين الإسلامي أتى به جميع الأنبيآء و المرسلين عليهم السّلام كما قال الله جلّ وعلا: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون».

الحنيف: صفة نفسانيّة للإنسان يميل بها عن الإنحراف إلى الإستقامة الّتي تقتضيها الفطرة الإنسانيّة، و يميل بها عن الضّلالة إلى الهدى، عن الكفر إلى الايمان، عن الباطل إلى الحقّ، و عن الخطأ إلى الصّواب... و يقابله الزّيغ و هو الميل عن الرّحمن إلى الشيطان، عن الإستقامة إلى الانحراف، عن الفلاح إلى الخسران، عن الكمال إلى الإنحطاط، عن الصّلاح إلى الفساد، و عن الخير إلى الشرّ...

و ليس في القرآن الكريم من حكم و لا أمر و لانهى على أنواعها و أقسامها و مراتبها إلاّ أنّها بُنِيت على أساس الفطرة الإنسانيّة الّتي سلمت من حجب الأوهام و الأباطيل و الخرافات، و أشرقت بنور ربّها، و قد جآء الإسلام لتعديل هذه الفطرة عند الإفراط و التّفريط في مقتضياتها عند وقوع حجب الأوهام على وجهها و منع إشراقها على بسيط أرض القلوب الّتي هي أوسع من بسيط الأرض و السّمآء كما قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه».

فالأنبيآء عليهم السلام كلّهم على هذا الأساس يدعون النّاس بحسب مقتضيات الزّمان و الاستعداد الفطرى لأقوامهم، و أمّا الأقوام بعد أنبيآئهم حتّى في زمانهم، فيخرجون من مدار فطرتهم لاتّباعهم هوى أنفسهم، فيدسّون في دينهم، و يحرّفون كلمات ربّهم، و يبنون دينهم على دنياهم و متاعها و شهواتها من دون توجّههم إلى هذه الوديعة الإلهيّة فيهم في دينهم و لاتعقّلهم فيها، و لا حافظ لها من أنفسهم لا خطأ فيه و لا سهو فى حفظها.

و من ثمّ إذا قرأت الكتاب المقدّس، فلا تجد فيه كلمة «العقل» و لا في ما معناها من أسمآء هذه الغريزة البشريّة الّتي فضّل بها الإنسان على جميع أنواع جنس الحيّ كاللبّ و النّهىٰ و الفكر و التّدبّر و النظر الّتي هي أعظم وظآئف هذه الصّفات، و لاتجد فيها أن تبنى الدّين على هذه النّعوت و لاموجّه إليها و لا قائم عليها و لابها، فحينئذ فانظر القرآن

الكريم كيف بنى الإسلام على أساس الفطرة الإنسانيّة، و العقل السّليم، و يوجّه الإنسان قدماً بعد قدم، مرحلة بعد مرحلة مرّة بعد أُخرى إلى العقل تارة، و إلى التفكّر أخرى، و إلى النّظر ثالثة، و إلى التّدبّر رابعة... في جميع شئونه من الاصول و الفروع كلّها...

و لا يقبل الله سبحانه ديناً في القرآن الكريم إلاّ أن يكون أساسه الفطرة و بنائه العقل و النّظر و التفكّر و التّدبّر و الحرّيّة في كلّ تلك الصّفات كما أنّ قواعده العلم و الحكمة و الحجّة و البرهان، و القلب و الوجدان، و يمنع الإنسان عن قبول شيْ لا يكون موافقاً بالعلم كما قال الله عزّوجلّ: «و لا تقفُ ما ليس لك به علم» الإسراء: ٣٦).

و قد انحصر قبول الاصول و الفروع في الدّين بالعلم، و نفى الله سبحانه المقايسة بين العلم و الجهل بقوله تعالى: «هل يستوى الّذين يعلمون و الّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر أولوا الألباب» الزّمر: ٩).

و لا ريب: أنّ تفضيل دين الإسلام بالفطرة و العقل و العلم إذ قال: «يرفع الله الّذين آمنوا منكم و الّذين أوتوا العلم درجات» المجادلة: ١١).

و لا تكون قواعد غير دين الإسلام على فطرة و لا عقل و لا علم كما قال الله تعالى: «ايتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين» الأحقاف: ٤).

و قال: «و ما يتبع أكثرهم إلاّ ظنًّا إنّ الظّنّ لا يغني من الحقّ شيئاً» يونس: ٣٦).

و قال: «و ما لهم به من علم إن يتّبعون إلاّ الظّنّ و إنّ الظّنّ لا يغني من الحقّ شيئاً» النّجم: ٢٨).

و قال: «و أن تقولوا على الله ما لا تعلمون» الأعراف: ٣٢).

فالدّين الإسلاميّ يكذّب كلّ شئ لم يكن قواعده علماً من الأصول و الفروع و ما يتعلّق بدنيا الإنسان أو بآخرته، و كذلك تكون بنيان دين الإسلام الحكمة إذ قال تعالى: «أدع إلى سبيل ربّك بالحكمة و الموعظة الحسنة» النّحل: ١٢٥) و قال: «ذلك ممّا أوحى إليك ربّك من الحكمة» الإسراء: ٣٩) و قال: «هو الّذي بعث في الأُمّيّين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته و يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين» الجمعة: ٢).

و قال: «يؤتى الحكمة من يشآء و من يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً و ما يذّكّر إلاّ اولوا

الألباب» البقرة: ٢٦٩) و قال: «و أنزل الله عليك الكتاب و الحكمة و علّمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيماً» النّسآء: ١١٣)

فأين غير دين الإسلام في العصر الحاضر كان بنيانه على الحكمة و إن كان جميع الأنبيآء و المرسلين على ذلك، ولكن أضاعها أقوامهم من بعدهم بايقاع حجب الأوهام و الخرافات و الأباطيل على وجه فطرتهم و اتّباعهم لأهوآئهم، فحجبت فطرتهم و سلبت عنهم عقولهم و غرب عنهم العلم و الحكمة و الفكر و النّظر و التدبّر و الحرّيّة في أمر الدّين عن هؤلآء الأنبيآء و المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

فألبس هؤلآء الأقوام دينهم الزّيغ و الجهل و الكذب واتّباع الظّنّ و التّقليد... و لو لا الإسلام لما عرف الإنسان أنّ الأنبيآء و الرّسل عليهم السلام جآؤا مقرونين بالعلم و العقل و الحكم و الفكر و النّظر... لأنّ أديانهم بدسآئس أقوامهم لاتعرّفهم بذلك، بل تعرّفهم بأضدادها... و كذلك يكون أساسه الحجّة و البرهان لقوله تعالى: «يا أيها النّاس قد جآءكم برهان من ربّكم و أنزلنا إليكم نوراً مبيناً» النّسآء: ١٧٤) و لما كان لسآئر الأديان المتحرّفة المدسوسة برهان على ما هؤلآء المتديّنون عليه لقوله سبحانه: «و نزعنا من كلّ أمّة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أنّ الحقّ لله و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون» القصص: ٧٥).

و درجة كلّ أمّة على حجّتهم القاطعة في دينهم كما قال جلّ وعلا: «و تلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشآء إنّ ربّك حكيم عليم» الأنعام: ٨٣).

و لا شأن لمن ليس له في دينه حجّة و لابرهان لقوله عزّوجلّ: «الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عندالله و عند الّذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار ـ إنّ الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلاّ كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنّه هو السّميع البصير» غافر: ٣٥ و ٥٦).

و هم كانوا يقلّدون آبآئهم و كبرآئهم و رؤسآئهم و قادتهم المنهمكين في حبّ الدّنيا و زخارفها و رئاستها و شهواتها... من غير تميز بين الحقّ و الباطل، بين الخير و الشّرّ، بين الصلاح و الفساد، بين الكمال و الإنحطاط، بين الحسن و القبيح، و بين السّعادة و الشّقآء...

كما قال الله تعالى: «و إذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا علينا آبآئنا أوَلَو كان آبآؤهم لايعقلون شيئاً و لايهتدون» البقرة: ١٧٠).

و قال: «و إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله و إلى الرّسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آبآئنا أولو كان آبآؤهم لايعلمون شيئاً و لايهتدون» المائدة: ١٠٤).

و قال: «بل اتّبع الّذين ظلموا أهوآءهم بغير علم» الرّوم: ٢٩).

و قال: «و لن ترضىٰ عنك اليهود و لا النّصارى حتّى تتّبع ملّتهم» البقرة: ١٢٠).

و قال: «و قال الّذين كفروا للّذين آمنوا اتّبعوا سبيلنا و لنحمل خطاياكم و ما هم بحاملين من خطاياهم من شئ إنّهم لكاذبون» العنكبوت: ١٢).

و قال: «إنّهم اتّخذوا الشّياطين أوليآء من دون الله و يحسبون أنّهم مهتدون» الأعراف: ٣٠).

و قال: «و إنّهم ليصدّونهم عن السّبيل و يحسبون أنّهم مهتدون» الزّخرف: ٣٧).

و غيرها من الآيات الكثيرة الّتي تبيّن: أنّهم لايمشون على طريق فطرتهم، و عقلهم و نظرهم، و ليس لهم استقلال فكريّ و لاتدبّر في الدّين، و ليس هذا إلاّ بسبب جنايتهم على فطرتهم، و عقلهم و فكرهم، و ليس هذا إلاّ بسبب خيانتهم بما أودعه الله تعالى فيهم.

و أمّا الولاية في الدّين الإسلاميّ فلإستمرار الرّسالة المحمّديّة «صلى الله عليه وآله» و بقآئها إلى يوم القيامة، و إنّ أصحاب هذه الولاية هم الرّاسخون في العلم و أهل الذّكر و الحكمة، و وُلدوا على الفطرة و لم تعبر على فطرتهم طارئة الكفر و الطّغيان، و لا خطأ و لاسهو لهم في بيان اصول الدّين و فروعه و لم يملّوا في حفظ كيانه و نواميسه...

قال الله تعالى فيهم: «و ما يعلم تأويله إلاّ الله و الرّاسخون في العلم» آل عمران: ٧).

و قال: «فاسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لاتعلمون» النّحل: ٤٣).

و قال: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً» الأحزاب: ٣٣).

و أمر الله تعالى عباده بطاعتهم في كلّ ظرف من الظّروف إلى قيام السّاعة، و جعل طاعتهم، طاعة نفسه، كما جعل طاعة رسوله «صلى الله عليه وآله» طاعة نفسه حذو النّعل بالنّعل، فإنّه

لايتّبع إلاّ ما يوحىٰ إليه و ما ينطق عن الهوى:

إذ قال: «يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و أُولي الأمر منكم ـ من يطع الله فقد أطاع الله النّساء: ٥٩ و ٨٠).

و قال: «و ما آتاكم الرّسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و اتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب» الحشر: ٧).

و قال: «ما ضلّ صاحبكم و ما غوىٰ و ما ينطق عن الهوىٰ إن هو إلاّ وحي يوحىٰ علّمه شديد القوى» النّجم: ٢ ـ ٥).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقّين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «أين الّذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا؟ كذباً و بغياً علينا، أن رفعنا الله و وضعهم، و أعطانا و حرمهم، و أدخلنا و أخرجهم، بنا يستعطى الهدى و يستجلى العمىٰ، إنّ الأئمّة من قريش غُرِسوا في هذا البطن من هاشم، لاتصلح على سواهم، و لاتصلح الولاة من غيرهم» الخطبة: ١٤٤).

و فيه: قال إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ ﴿عليه السلام﴾: «تالله لقد عُلِّمت الرّسالات، و إتمام العدات، و تمام الكلمات، و عندنا أهل البيت أبواب الحكم و ضيآء الأمر، ألا و إنّ شرآئع الدّين واحدة، و سبله قاصدة، من أخذ بها لحق و غنم، و من وقف عنها ضلّ و ندم» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم: ١١٩).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «نحن شجرة النّبوّة، و محطّ الرّسالة، و مختلف الملآئكة، و معادن العلم، و ينابيع الحكم، ناصرنا و محبّنا ينتظر الرّحمة، و عدوّنا و مبغضنا ينتظر السّطوة» الخطبة: ١٠٨).

و فيه: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «أُنظروا أهل بيت نبيّكم، فالزموا سمتهم و اتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدىً، و لن يعيدوكم في ردىً، فإن لبدوا فالبدوا، و إن نهضوا فانهضوا و لاتسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾: ٩٦)

«الفطرة و أقسام الهداية»

قال الله جلّ وعلا حكاية عن موسى «عليه السلام»: «قال ربّنا الّذي أعطى كلّ شيئ خلقه ثمّ هدى» طه: ٥٠)

و قال: «إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكراً و إمّا كفوراً»

و قال: «و نفس و ما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها» الشّمس: ٧ ـ ٨)

و قال: «ألم نجعل له عينين و لساناً و شفتين و هديناه النّجدين» البلد: ٨ ـ ١٠)

و قال: «قل انّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً و ما أنا من المشركين» الأنعام: ١٦١)

و قال: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت اللّه الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون» الرّوم: ٣٠).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أُمك؟ و عرّفك عند الحاجة مواضع طلبك و إرادتك؟...» الخطبة: ١٦٢)

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام»: «و أشهد أن لا إله إلاّ الله شهادة ايمان و ايقان و إخلاص وإذعان و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله أرسله وأعلام الهدى دارسة، و مناهج الدّين طامسة، فصدع بالحقّ، و نصح للخلق، و هدى إلى الرّشد و أمر بالقصد «صلّى الله عليه و آله»...» الخطبة: ١٨٦)

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «و اعلموا أنّ عباد الله المستحفظين علمه، يصونون مصونه، و يفجّرون عيونه، يتواصلون بالولاية، و يتلاقون بالمحبّة، و يتساقون بكأس رويّة، و يصدرون بريّة، لاتشوبهم الرّيبة، و لاتسرع فيهم الغيبة، على ذلك عَقَدَ خَلْقَهم و أخلاقهم، فعليه يتحابّون، و به يتواصلون ـ فطوبى لذي قلب سليم أطاع من يهديه، و تجنّب من يرديه، و أصاب سبيل السّلامة ببصر من بصّره، و طاعة هادٍ أمره، و بادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه، و تقطع أسبابه، و استفتح التّوبة، و أماط الحوبة، فقد اُقيم على الطّريق، هُدِيَ نهج السّبيل» الخطبة: ٢٠٥).

و اعلم أنّ المستفاد من الآيات الكريمة القرآنيّة، و الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين أنّ الله عزّوجلّ قد هدى خلقه بستّة أنواع من الهداية:

الاولى: هداية تكوينيّة عامّة يشترك فيها كلّ ما سوى الله جلّ وعلا من الملائكة و الجنّ و الإنس و الحيوان و النّبات و الجماد على أنحائها، و بهذه الهداية تتكامل إمّا دفعة مقرونة بخلقها كالملائكة و الأرواح و العقول و أمثالها، و إمّا تتكامل تدريجاً كلاً بحسبه.

قال الله عزّ و جلّ حكاية عن موسى ﴿عليه السلام﴾: «قال ربّنا الّذي أعطى كلّ شيءٍ خلقه ثمّ هَدىٰ» طه: ٥٠).

و قال: «إن كلّ من في السّموات و الأرض إلاّ آتى الرّحمن عبداً» مريم: ٩٣).

و قال: «تسبّح له السّموات السّبع و الأرض و من فيهنّ و إن من شيءٍ إلاّ يسبّح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم» الإسرآء: ٤٤).

و قال: «و هو الّذي خلق اللّيل و النّهار و الشّمس و القمر كلّ في فلك يسبحون» الأنبيآء:٣٣).

الثّانية: هداية الغريزة الّتي أودعها الله تعالى في الجنّ و الإنس و الحيوان، و بها التّوالد و التّناسل، و تداوم الأنواع كلاًّ بحسبه.

الثّالثة: هداية الحواس من السمع و البصر و الشّمّ و الذّوق و اللمس، و بها تداوم الحياة يشترك فيها الإنسان و الجنّ و الحيوان كلاًّ بحسبه.

الرّابعة: هداية فطريّة فطر النّاس عليها.

الخامسة: هداية العقل و التفكير، و هي حجّة باطنة، و هداية داخليّة.

السّادسة: هداية الدّين، و هي حجّة ظاهرة، و لذا قيل: «العقل شرع من داخل، و الشّرع عقل من خارج»

و الهدايتان الأخيرتان توافقان الرّابعة، و تبيّنان ما تقتضيه، ولكنّ الخامسة لاختلاف درجاتها، و إمكان الموانع لها، في انتقال مقتضيات الرّابعة إلى قلوب أصحابها، فجآئت السّادسة لبيان جزئيّات مقتضيّات الرّابعة أوّلاً، و لرفع الحجب الطارئة عن وجهها أحياناً ثانياً، و لرفع موانع الخامسة في الانتقال ثالثاً، و لإتمام الحجّة على أصحابها رابعاً... قال الله تعالى: «رسلاً مبشّرين و منذرين لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل و كان الله عزيزاً حكيماً» النّسآء: ١٦٥)

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»: «فلمّا مهّد أرضه، و أنفذ أمره، اختار آدم«عليه السلام» خيرة من خلقه، و جعله أوّل جبلّته ـ فأهبطه بعد التّوبة ليعمر أرضه بنسله، و ليقيم الحجّة به على عباده، و لم يخلهم بعد أن قبضه ممّا يؤكّد عليهم حجّة ربوبيّته، ويصل بينهم و بين معرفته، بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيآئه، و متحمّلي ودائع رسالاته قرناً فقرناً حتّى تمّت بنبيّنا محمّد«صلى الله عليه وآله» حجّته، و بلغ المقطع عذره و نذره...» الخطبة: ٩٠)

و فيه: قال إمام المتّقين عليّ«عليه السلام»: «فبعث فيهم رسله، و واتر إليهم أنبيآءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، و يذكّروهم منسيّ نعمته، و يحتجّوا عليهم بالتبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول، و يروهم الآيات المقدّرة...» الخطبة الاولى.

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام»: «بعث رسله بما خصّهم به من وحيه، و جعلهم حجّة له على خلقه لئلاّ تجب الحجّة لهم بترك الإعذار إليهم، فدعاهم بلسان الصّدق إلى سبيل الحقّ...» الخطبة: ١٤٤).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و أشهد أنّ محمداً عبده و رسوله أرسله بالدّين المشهور، و العَلَم المأثور، و الكتاب المسطور، و النّور السّاطع، و الضّيآء اللامع، و

الأمر الصّادع، إزاحة للشّبهات، و احتجاجاً بالبيّنات، و تحذيراً بـالآيات، و تخـويفاً بالمثلات، و النّاس في فتن انجذم فيها حبل الدّين، و تزعزعت سواري اليقين، و اختلف النّجر، و تشتّت الأمر، و ضاق المخرج، و عَمِيَ المصدر، فالهدى خامل، و العمى شامل، عُصِيَ الرّحمن، و نُصِرَ الشّيطان...» الخطبة الثّانية.

و فيه: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾: «فالقرآن آمر زاجر، و صامت ناطق، حجّة الله على خلقه، أخذ عليه ميثاقهم، و ارتهن عليه أنفسهم، أتمّ نوره، و أكمل به دينه، و قبض نبيّه﴿ﷺ﴾ و قد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به، فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه، فإنّه لم يُخفِ عنكم شيئاً من دينه، و لم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلاّ و جعل له علماً بادياً، و آية محكمة تزجر عنه أو تدعو إليه، فرضاه فيما بقي واحد، و سخطه فيما بقي واحد...» الخطبة:١٨٢)

و إنّ الحجّة البالغة مستمرّة باستمرار حياة الإنسان على بسيط الأرض، فلا تخلو منها قطّ.

و فيه: من كلام أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾ لكميل بن زياد النّخعيّ رحمة الله تعالى عليه: «.. اللّهمّ بلى! لاتخلوا الأرض من قآئم لله بحجّة: إما ظاهراً مشهوراً، و إمّا خائفاً مغموراً لئلاّ تبطل حجج الله و بيّناته...».

و لبعض المعاصرين في معنى كون الدّين فطريّاً كلام غير تام يظهر ممّا سبق منّا آنفاً و ما يأتي، و نذكر كلامه هذا ليتدبّر فيه القاريْ الخبير فقال:

«ألف: إذا تأمّلنا هذه الأنواع الموجودة الّتي تتكوّن و تتكامل تدريجاً سوآء كانت ذوات حياة و شعور كأنواع الحيوان، أو ذات حياة فقط كأنواع النّبات أو ميتة غيرذي حياة كسآئر الأنواع الطّبيعيّة ـ على ما يظهر لنا ـ وجدنا كلّ نوع منها يسير في وجوده سيراً تكوينيًّا معيّناً ذا مراحل مختلفة بعضها قبل بعض، و بعضها بعد بعض يرد النّوع في كلّ منها بعد المرور بالبعض الّذي قبله، و قبل الوصول إلى ما بعده، و لايزال يستكمل بطيّ هذه المنازل حتّى ينتهي إلى آخرها و هو نهاية كماله.

نجد هذه المراتب المطويّة بحركة النّوع يلازم كلّ منها مقامه الخاصّ به لايستقدم و

لايستأخر من لدن حركة النّوع في وجوده إلى أن تنتهي إلى كماله، فبينها رابطة تكوينيّة يرتبط بها بعض المراتب ببعض بحيث لايتجافى و لاينتقل إلى غير مكانه، و من هنا يستنتج أنّ للنّوع غاية تكوينيّة يتوجّه إليها من أوّل وجوده حتّى يبلغها.

فالجوزة الواحدة مثلاً إذا استقرّت في الأرض استقراراً يهيّؤها للنّموّ على اجتماع ممّا يتوقّف عليه النّموّ من العلل و الشّرائط كالرّطوبة و الحرارة و غيرهما أخذ لبّها في النّموّ و شقّ القشر، و شرع في ازدياد من أقطار جسمه، و لم يزل يزيد و ينمو حتّى يصل إلى حدّ يعود فيه شجرة قويّة خضراء مثمرة، و لايختلف حاله في مسيره هذا التّكوينيّ و هو في أوّل وجوده قاصد قصداً تكوينيّاً إلى غايته التّكوينيّة الّتي هي مرتبة الشّجرة الكاملة المثمرة.

و كذا الواحد من نوع الحيوان كالواحدة من الضّأن مثلاً في أنّها في أوّل تكوّنها جنيناً متوجّهة إلى غايتها النّوعيّة الّتي هى مرتبة الضّانة الكاملة الّتي لها خواصّها، فلا تضلّ عن سبيلها التكوينيّة الخاصّة بها إلى سبيل غيرها، و لاتنسى غايتها يوماً، فتسير إلى غير غايتها كغاية الفيلة مثلاً أو غاية شجرة الجوز مثلاً، فكلّ نوع من الأنواع التكوينيّة له مسير خاصّ في استكمال الوجود ذو مراتب خاصّة، مترتّبة بعضها على بعض تنتهي إلى مرتبة هى غاية النّوع ذاتاً يطلبها تكوينيًّا بحركته التكوينيّة، و النّوع في وجوده مجهّز بما هو وسيلة حركته و بلوغه إلى غايته.

و هذا التّوجّه التّكوينيّ لاستناده إلى الله يسمّى هداية عامّة إلهيّة، و هي كما عرفت لاتضلّ و لاتخطئ في تسيير كلّ نوع مسيره التّكوينيّ و سوقه إلى غايته الوجوديّة بالاستكمال التّدريجيّ و بإعمال قواه و أدواته الّتي جهّز بها لتسهيل مسيره إلى غايته.

قال تعالى: «ربّنا الّذي أعطى كلّ شئ خلقه ثمّ هدى» طه: ٥٠) و قال: «الّذي خلق فسوّى و الّذي قدّر فهدى و الّذي أخرج المرعى فجعله غثآء أهوى» الأعلى: ٢ ـ ٥).

ب: نوع الإنسان غير مستثنى من كلّيّة الحكم المذكور أعني شمول الهداية العامّة له، فنحن نعلم أنّ النّطفة الإنسانيّة من حين تشرع في التكوّن متوجّهة إلى مرتبة إنسان تامّ كامل له آثاره و خواصّه، قد قطع في مسيره مراحل الجنينيّة و الطّفوليّة و المراهقة و

الشّباب و الكهولة و الشّيب.

غير أنّ الإنسان يفارق سآئر الأنواع الحيوانيّة و النّباتيّة و غيرها فيما نعلم في أمر ـ و عامّة الحيوان و إن كان لها شيءٌ من الاجتماع الحيوي لكنّه يسير في جنب الاجتماع لا يعبأ به ـ و هو أنّه لسعة حاجته التّكوينيّة و كثرة نواقصه الوجوديّة لا يقدر على تتميم نواقصه الوجوديّة، و رفع حوآئجه الحيويّة وحده بمعنى أنّ الواحد من الإنسان لا تتمّ له حياته الإنسانيّة و هو وحده بل يحتاج إلى اجتماع منزليّ، ثمّ اجتماع مدنيّ يجتمع فيه مع غيره، بالإزدواج و التّعاون و التّعاضد، فيسعى الكلّ بجميع قواهم الّتي جهّزوا بها للكلّ يقسّم الحاصل من عملهم بين الكلّ، فيذهب كلّ بنصيبه على قدر زنته الاجتماعيّة.

و ذلك أنّ المدنيّة ليست بطبيعيّة للإنسان بمعنى أن ينبعث إليه من ناحية طبيعته الإنسانيّة ابتداء، بل له طبيعة مستخدمة لغيره لنفع نفسه ما وجد إليه سبيلا، فهو يستخدم الامور الطّبيعيّة، ثمّ أقسام النّبات و الحيوان في سبيل مقاصده الحيويّة، فهو باستخدام فرد مثله أو أفراد أمثاله أجرء لكنّه يجد سآئر الأفراد أمثاله في الأميال و المقاصد، و في الجهازات و القوى، فيضطرّ إلى المسالمة و أن يسلّم لهم حقوقاً مثل ما يراه لنفسه.

و ينتهي هذا التّضارب بين المنافع أن يشارك البعض البعض في العمل التّعاونيّ، ثمّ يقسّم الحاصل من الأعمال بين الجميع و يعطي منه لكلّ ما يستحقّه. و كيف كان فالمجتمع الإنسانيّ لا يتمّ انعقاده و لا يعمّر إلاّ باصول علميّة و قوانين اجتماعيّة يحترمها الكلّ، و حافظ يحفظها من الضّيعة و يجريها في المجتمع و عند ذلك تطيب لهم العيشة، و تشرف عليهم السّعادة.

أمّا الأُصول العلميّة فهي معرفته إجمالاً بما عليه نشأة الوجود من الحقيقة، و ما عليه الإنسان من حيث البداية و النّهاية، فإنّ المذاهب المختلفة مؤثّرة في خصوص السّنن المعمول بها في المجتمعات، فالمعتقدون في الإنسان أنّه ماديّ محض ليس له من الحياة إلاّ الحياة المعجّلة المؤجّلة بالموت، و أن ليس في دار الوجود إلاّ السّبب الماديّ الكائن الفاسد ينظمون سنن اجتماعهم بحيث تؤدّيهم إلى اللذآئذ المحسوسة، و الكمالات المادّية ماوراءها شيء.

و المعتقدون بصانع ورآء المادّة كالوثنيّة يبنون سننهم و قوانينهم على إرضاء الآلهة ليسعدوهم في حياتهم الدّنيويّة، و المعتقدون بالمبدإ و المعاد يبنون حياتهم على أساس يسعدهم في الحياة الدّنيويّة، ثمّ في الحياة المؤبّدة الّتي بعد الموت، فصور الحياة الاجتماعيّة تختلف باختلاف الأُصول الاعتقاديّة في حقيقة العالَم، و الإنسان الّذي هو جزء من أجزآئه.

و أمّا القوانين و السّنن الاجتماعيّة فلولا وجود قوانين و سنن مشتركة يحترمها المجتمعون جميعهم أو أكثرهم و يتسلّمونها تفرّق الجمع و انحلّ المجتمع، و هذه السّنن و القوانين قضايا كلّيّة صورها: يجب أن يفعل كذا عند كذا أو يحرم أو يجوز و هي أيّاماً ما كانت معتبرة في العمل لغايات مصلحة للاجتماع و المجتمع تترتّب عليها تسمّى مصالح الأعمال و مفاسدها.

ج: قد عرفت أنّ الإنسان إنّما ينال ما قدّر له من كمال و سعادة بعقد مجتمع صالح يحكم فيه سنن و قوانين صالحة تضمن بلوغه و نيله سعادته الّتي تليق به و هذه السّعادة أمر أو أمور كماليّة تكوينيّة تلحق الإنسان النّاقص الّذي هو أيضاً موجود تكوينيّ، فتجعله إنساناً كاملاً في نوعه تامّاً في وجوده، فهذه السّنن و القوانين ـ و هي قضايا عمليّة اعتباريّة ـ واقعة بين نقص الإنسان و كماله، متوسّطة كالعبرة بين المنزلتين و هي كما عرفت تابعة للمصالح الّتي هي كمال أو كمالات إنسانيّة، و هذه الكمالات امور حقيقيّة مسانخة ملائمة للنّواقص الّتي هي مصاديق حوآئج الإنسان الحقيقيّة.

فحوائج الإنسان الحقيقيّة هي الّتي وضعت هذه القضايا العمليّة، و اعتبرت هذه النّواميس الاعتباريّة، و المراد بالحوآئج هي ما تطلبه النّفس الإنسانيّة بأميالها و عزآئمها، و يصدّقه العقل الّذي هو القوّة الوحيدة الّتي تميّز بين الخير و النّافع، و بين الشّرّ و الضّارّ دون ما تطلبه الأهوآء النّفسانيّة ممّا لا يصدّقه العقل، فإنّه كمال حيواني غير إنسانيّ، فأُصول هذه السّنن و القوانين يجب أن تكون الحوآئج الحقيقيّة الّتي هي بحسب الواقع حوآئج لا بحسب تشخيص الأهوآء النّفسانيّة.

و قد عرفت أنّ الصّنع و الايجاد قد جهّز كلّ نوع من الأنواع ـ و منها الإنسان ـ أنّ

القوى و الأدوات بما يرتفع بفعّاليّته حوآئجه، و يسلك به سبيل الكمال، و منه يستنتج أنّ للجهازات التّكوينيّة الّتي جهّز بها الإنسان اقتضاءات للقضايا العمليّة المسمّاة بالسّنن و القوانين الّتي بالعمل بها يستقرّ الإنسان في مقرّ كماله مثل السّنن و القوانين الرّاجعة إلى التغذّي المعتبرة بما أنّ الإنسان مجهّز بجهاز التّغذّي، و الرّاجعة إلى النّكاح بما أنّ الإنسان مجهّز بجهاز التّوالد و التّناسل.

فتبيّن أنّ من الواجب أن يتّخذ الدّين ـ أي الأُصول العلميّة و السّنن و القوانين العمليّة الّتي تضمن باتّخاذها و العمل بها سعادة الإنسان الحقيقيّة ـ من اقتضاءات الخلقة الإنسانيّة، و ينطبق التّشريع على الفطرة و التّكوين، و هذا هو المراد بكون الدّين فطريّاً، و هو قوله تعالى: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم».

د: قد عرفت معنى كون الدّين فطريّاً، فالإسلام يسمّى دين الفطرة لما أنّ الفطرة الإنسانيّة، تقتضيه و تهدي إليه، و يسمّى إسلاماً لما أنّ فيه تسليم العبد لإرادة الله سبحانه منه، و مصداق الإرادة، و هي صفة الفعل تجمّع العلل المؤلّفة من خصوص خلقة الإنسان، و ما يحتفّ به من مقتضيات الكون العامّ على اقتضاء الفعل أو التّرك. قال تعالى: «إنّ الدّين عند الله الإسلام».

و يسمّى دين الله لأنّه الّذي يريده من عباده من فعل أو ترك بما مرّ من معنى الإرادة.

و يسمّى سبيل الله لما أنّه السّبيل الّتي أرادها الله أن يسلكها الإنسان لتنتهي به إلى كماله و سعادته. قال تعالى: «الّذين يصدّون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً» الأعراف: ٤٥).

و أمّا أنّ الدّين الحقّ فيجب أن يؤخذ من طريق الوحي و النّبوّة، و لا يكفي فيه العقل».

«الدّعوة الإسلاميّة و بنآء أحكام الإسلام على الفطرة الإنسانيّة»

و من البداهة لكلّ ذي مسكة و دراية و طيب و لادة: أنّه كما أنّ حقيقة الدّين الإسلامي بُنيت على الفطرة الإنسانيّة من دون فكاك بينهما قطّ، كذلك دعوته و أحكامه كلّها بُنيت عليها، و قد أشار تعالى إلى ذلك كلّه بقوله جلّ وعلا: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون منيبين إليه و اتّقوه و أقيموا الصّلاة و لا تكونوا من المشركين» الرّوم: ٣٠-٣١)

و قوله عزّوجلّ: «قل إنّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً و ما كان من المشركين قل إنّ صلاتي و نسكي و محياي و مماتي لله ربّ العالمين لا شريك له و بذلك أُمرت و أنا أوّل المسلمين» الأنعام: ١٦١ - ١٦٢).

و قوله سبحانه: «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا و من اتّبعني و سبحان الله و ما أنا من المشركين» يوسف: ١٠٨)

و بذلك كمال الإنسان، و هذا هو المايز بين الإنسان و غيره من الحيوان و النّبات و الجماد...

و ذلك أنّ كلّ نوع من أنواع الموجودات إنساناً كان أو حيواناً، نباتاً كان أو جماداً له

غاية كماليّة، و هو متوجّه إليها، و يسعى نحوها، طالب لها بحركة وجوديّة تناسب وجوده، و لا يقف و لا يسكن عنها حتّى ينال بها إلاّ أن يمنعه عن ذلك مانع، يمنعه عن الوصول إليها، و يزاحمه، فيبطل قبل الوصول إلى غاية وجوده و النّيل بكماله، كما أنّ الشّجرة تقف عن الرّشد و النّموّ قبل أن تبلغ غايتها بسبب آفات تعرض عليها، و تمنعها عن الوصول إلى غايتها...

هذا في ناحية الوجود، و منه الإنسان، و هو يشارك غيره من الموجودات كلّها في هذه الجهة من غير خفآء فيه على عاقل، و لكن للإنسان جهة أخرىٰ يمتاز بها عمّا سواه من الحيوان و النّبات و الجماد، و هي غاية كماليّة معنويّة روحانيّة لا يمكن الوصول إليها إلاّ تحت القوانين و الأحكام الكلّيّة الجارية المعمولة بين أفراد المجتمع، و هي ترشد الإنسان و تدعوه إلى هذه الغاية الرّوحانيّة، فلو اُقيمت على ما ينبغي أن تقام، أصلحت المجتمع، و بلغت بالأفراد غايتها و كمالها المطلوب، و لو تركت أفسدت العالم الإنساني روحاً و معنويّاً، و يصل فساده إلى عالمه المادّي.

و لا ريب: أنّ الفطرة الإنسانيّة تقتضي سلامة الإنسان في الحياة الدّنيا، و بقائه في الدّار الآخرة فتحكم عليه بما لا يمكن هذه السّلامة و ذلك البقاء إلاّ به و هو الدّين، و لا يمكن إلاّ من طريق رسالة إلهيّة، وحي سماويّ، عالم بما ورآء ما يعلم به الإنسان.

فمن تفكّر في الدّعوة الإسلاميّة و تعاليم الإسلام، و في أحكامه كلّها من أوامره و نواهيه يجدها منسجمة كلّ الانسجام مع فطرة الإنسان، لو لم تسترها حجب الخرافات و الأوهام...

فانظر كيف كانت دعوته باللطف و اللين تارة: «أدع إلى سبيل ربّك بالحكمة و الموعظة الحسنة» النّحل: ۱۲۵) «فبما رحمة من الله لنت لهم» آل عمران: ۱۵۹) و بالعنف و الإنذار و الشّدّة تارة أخرىٰ حسب ما يقتضيه الحال: «يا أيها النّبيّ جاهد الكفّار و المنافقين و اغلظ عليهم» التّوبة: ۷۳) «و انذر عشيرتك الأقربين و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» الشّعرآء: ۲۱٤ـ۲۱۵) حيث كان بعض النّاس معاندين، فيستعمل أنواع التّهديد و التّخويف و الإنذار مرّة، و يحاربه أخرىٰ ليثني عزمه و يرجعه عن دعوته.

و لذلك كان رسول الله «صلى الله عليه و آله» يعامل بعضهم بالتّرغيب و الوعد و البشارة، و بعضهم بالتّرهيب و الوعيد و الإنذار كما توجبه المصلحة و يقتضيه الحال: «يا أيّها النّبيّ إنّا أرسلناك شاهداً و مبشّراً و نذيراً و داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً» الأحزاب: ٤٥ـ٤٦).

فما لبث نور الرّسالة المحمّديّة «صلى الله عليه و آله» أن سطح أنحاء العالم، و أزاح ظلمات التوحّش عن كلّ ما وصل إليه، و انتشر بسرعة برقيّة و تكاثر أتباعه في أزمان قصيرة أدهش أولى الألباب، و لم يكن سبب لذلك التقدّم السّريع و النجاح العاجل إلاّ انطباق دعوته و انسجام تعاليمه و توافق أوامره و نواهيه كلّها للفطرة الإنسانيّة، و العقل السّليم الإنسانيّ كمال الإنطباق، و تمام الإنسجام، و نهاية التّوافق، و تطابقها الحكمة الإلهيّة و مصالح العباد جميعاً.

فها هو القرآن المبين الّذي ترى فى كلّ كلمة منه عيناً من عيون الحكمة، و من ينعم نظره في إعجازه و أسلوبه و بدآئعه و أحكامه يرى نفسه مضطراً للحكم بانّه نازل ممّن خلق الفطرة، و فيه ما تقتضيه الفطرة، و هذا لا يمكن إلاّ مَن كان خالقها واحداً، فإنّه بليغ معجز مع سهولته، و مفيد لجميع ما يرمى إليه من المقاصد مع ايجازه و موافق لأسلوب كلّ زمان، و مهما ارتقت الكتابة و ارتفع شأنها لا يزال أنّ هذا القرآن الكريم في أعلىٰ شأنها يعلم ذلك كلّ من له طيب و لادة أوّلاً، و له مسكة و دراية بالمزايا القرآنيّة ثانياً.

و أنّ هذا القرآن المجيد كما أعجز أفصح الفصحآء و أبلغ البلغآء و تركهم يتيهون في مهامه الحيرة، فكذلك لقد جمع أسباب سعادة الدّنيا و الآخرة، و لو بحثنا في أصوله الّتي جآئت فيه و الأدلّة الآفاقيّة و الأنفسيّة الّتي اثبتها بها، و الفروع و الأحكام الّتي جآء بها، و أدركنا ما فيها من المنافع و الحِكم و المصالح الفرديّة و الاجتماعيّة، الدّنيويّة و الأخرويّة...

لوجدناه مستمرّاً باستمرار الفطرة و الحياة الإنسانيّة على وجه الأرض، فإنّه الكتاب الوحيد الجامع، لكلّ ما يحتاج إليه البشر في بقآء حياته و تهذيب أخلاقه، و بلوغه الكمال الإنساني.

فإنّه يأمر بالعقيدة الصّحيحة الحقّة و الحرّيّة فيها: «لا إكراه في الدّين قد تبيّن الرّشد من الغيّ» من غير تقليد في التّوحيد و العدل و النّبوّة، و الإمامة و المعاد من الاصول

الاعتقاديّة أوّلاً ثمّ بالفروع و الأحكام ثانياً من الأعمال الشّخصيّة البدنيّة الفرديّة من الصّلاة و الصّوم و الحجّ و الجهاد أوّلاً، ثمّ بالأعمال الماليّة من الخمس و الزّكاة لإعلاءِ كلمة الحقّ و إحقاقه، و إبطال الشّرك و الكفر و الباطل، و الاجتناب عن أهلها ثانياً، ثمّ يأمر بالأخلاق الحسنة و الخصال العالية، و بكلّ ما يكفل للبشر خيره و صلاحه و سعادته في الدّنيا و الآخرة ثالثاً.

فإنّه يأمر بالعدل و الإحسان، يأمر بالصّدق و الأمانة، يأمر بالوفاء بالعهد و القناعة، يأمر بالمروّة و الرّأفة، و يأمر بصيانة العرض و الشّرف و الكرامة الإنسانيّة...

و ينهى في مقابلها عن الظلم و الإسائة، ينهى عن الكذب و الخيانة، ينهى عن النقض بالعهد و الإسراف، ينهى عن الإجحاف و الغلظة، و ينهى عن هتك العرض و الشّرف و الكرامة الإنسانيّة...

و يأمر بالتّواضع و حسن المعاشرة و التّعاون و حسن الخلق و الشّكر، و الأمر بالمعروف، و إصلاح ذات البين، و الإحسان بالوالدين، و التّرغيب في طلب العلم و السّعي ورآء المعيشة...

و ينهى في مقابلها عن التكبّر و سوء المعاشرة و السّعاية و سيّئ الخلق و الكفران و المناهي، و الإفساد بين النّاس و الإسآئة بالوالدين و التّساهل في طلب العلم و الكسل... و يأمر بعيادة المريض، و قبول النّصيحة و التّواصي بالحقّ و الصّبر، و الاعتراف بالجهل و احترام أهل العلم و اتّباع الحقّ، و التّأنّي في الأمور و ملاطفة الأيتام، و إعانة المحتاجين، و حبّ الخير و الشّجاعة و العفو و الإحسان، و الإعتنآء بالطّهارة و النّظافة، و الحلم و الصّبر، و عدم الغشّ و عدم الغدر و السّخآء و معرفة الحقوق و الثّبات و الإستقامة عند مشكلات الأمور، و التّعليم و التّعلّم و العفّة و الإخلاص و علوّ الهمّة و الإعتراف بالتّقصير و التّوبة و الإذعان للحقّ و الإنصاف، و ينهى في مقابلها...

و يأمر بالدّلالة على الخير و فصل الخصومة و مجانبة الهزل، و السّعي لتهذيب النّفس و صلة الرّحم و حفظ المحبّة و ايفاء الدّين، و التزام الحقيقة، و توقير الكبير و الرّأفة بالصّغير و ما إليها من الفضآئل الأخلاقية و الكمالات النّفسانيّة...

و ينهى عن الأفعال القبيحة و الأخلاق الرّذيلة الّتي قد ثبت بالتّجارب العديدة أنّها مضرّة بالإنسان، و مفسدة لمعاشه و الاجتماع، و معاده و معاد الاجتماع من الزّنا و اللّواط و شرب الخمر و أكل الرّبا و البغي و الحسد و البغض و الحقد و الحرص و الغيبة و النّميمة و الرّشوة و سوء الظّنّ و سوء النّيّة و قتل النّفس و عقوق الوالدين و الرّياء و الجبن و إعانة الظّلم و المكر و الحيلة و الغرور و الغصب و كتمان الشهادة لحقّ و شهادة الزّور و القمار و التّجسّس و التّفاخر، و تطفيف الكيل و الميزان، و احتكار الطّعام و عدم إعانة المحتاجين و قطع المودّة و التّعادی...

و في القرآن الكريم ما هو متعلّق بسياسة الإسلام و عمران البلاد و رقيها، و فيه ما يحفظ أمن الرّعايا و استراحتها، و فيه ما يتعلّق بتقسيم المواريث و ايتآء كلّ ذي حقّ حقّه، و فيه تعاليم و أحكام و معارف و حِكَم... لا توجد في كتب سماويّة...

فكلّ ذي عقل متين، و قلب سليم و وجدان صحيح إذا تدبّر في القرآن الكريم يجد الدّين الإسلاميّ وسيعاً في جميع جهاته بقدر سعة العقل، و امتداد الفكر إلى يوم البعث و الحساب، و يجده متكفّلاً بصيانة حقوق البشر بعد بيانها على مقتضى الفطرة البشريّة، و كم حقآئق لم تكشف عنه بعد، لعدم وصول العقل و الفكر إلى حدّ يقدر أن يكشفها إلاّ بعد سير الزّمان و ارتقاء الفكر و بلوغ الكمال و اتّساع العلوم و الفنون...

و في القرآن الكريم من أحكام حفظ الصّحّة و رعاية أسبابه، و فيه بيان أحوال الأُمم الماضية و أخبارها بأبدع أسلوب و أعلاه بلاغة و اعجازاً، و أنّه يؤثّر على نفوس البشر تأثيراً لا يوجد في كتاب من كتب سماويّة، و لا في كتاب من كتب الحكمآء و الفلاسفة و المتكلّمين و العرفآء و علمآء الأخلاق، و لا في كتاب من كتب تأريخيّة و سياسيّة و اجتماعيّة و ما إليها بأيّ لغة كانت.

و أنّه يصوّر حقآئق الكون و نواميس الوجود بكلام موجز كأنّ تلك الحقآئق مشاهدة ملموسة... و إنّ كثيراً من المعارف الرّفيعة و الفنون العالية و التّعاليم العميقة و الحِكم الدّقيقة في القرآن المجيد لم تدركها العقول بعد، ستدركها مع ما حوتها من الأسرار على

مرور العصور و الأزمان...

إنّ الله عزّوجلّ بهذه الآية الكريمة: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيم» الرّوم: ٣٠) ربط بين الفطرة الإنسانيّة و طبيعة هذا الدّين كلتاهما من صنع الله تعالى موافقتان لناموس الوجود، و كلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته و اتّجاهه، و جعل الله سبحانه هذه الفطرة بين الدّينين: «للدّين ـ ذلك الدّين» و هما واحد تنبيهاً إلى أنّ الفطرة في عمق الدّين، و أنّها هو الدّين نفسه، و أنّ الدّين هو الفطرة نفسها كالإنسان المركّب من الرّوح و الجسم، فليس الجسم إنساناً بغير روح، و لا الرّوح بغير جسم، فكما أنّ استمرار حياة جسم الإنسان باستمرار تركيبهما معاً كذلك حياة إنسانيّة الإنسان باستمرار معيّة الفطرة و الدّين معاً، فالفطرة بغير دين كالجسم الميّت بغير روح، و الدّين بغير فطرة كالرّوح بغير جسم.

و لذلك قال الله عزّوجلّ في الّذين لا دين لهم: «إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً» الفرقان: ٤٤).

و ذلك أنّ الأنعام بطبيعتها لا تقتحم ما يضرّها، و لا تأكل ما يهلكها، و لا تشرب ما يفسدها... فالأنعام لا تتخلّف عن طبيعتها و أمّا الكافرون و الّذين لا يكون لهم دين الله الحق فلا يتورّعون عن اقتحام ما يضرّهم و يهدم سعادتهم، و يأكلون ما يهلك أنفسهم، و يشربون ما يفسد أجسامهم و عقولهم... و الكافرون و من إليهم، يتخلّفون عن فطرتهم فالّذين لا يتديّنون بدين الحقّ، و لا يتعهّدون بأحكامه أولئك كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً، فضلاً عن الّذين يرون الدّين الإسلاميّ أفيوناً للجوامع البشريّة، فذرهم في حماقتهم و جهالتهم و بلادتهم... يعمهون.

إنّ الله عزّوجلّ خلق فطرة الإنسان و خلق قلبه و جعله مستعدّاً لقبول مقتضيّات الفطرة، و هو الّذي أنزل إليه هذا الدّين ليحكمه و يصرفه و يطيب له من المرض، و يقومه من الانحراف، و هو تعالى أعلم بمن خلق و ما خلق، و هو اللّطيف الخبير، و الفطرة ثابتة، و

الدّين ثابت: «لا تبديل لخلق الله».

فإذا انحرفت النّفوس عن الفطرة لم يردّها إليها إلاّ هذا الدّين الإسلامي المتناسق مع الفطرة، فطرة الإنسان، و فطرة الوجود، و لكن إذا لم تدنّس النّفس الأوهام و العادات و التّقاليد العمياء، و لم تلوّثها الأهواء و الأغراض و الخرافات... فلا تقتضى إلاّ بما هو الحقّ بحيث لو خيّر العاقل، سليم القلب بين أن يصدق و يعطي ديناراً، و بين أن يكذب و يعطي ديناً لتخيّر الصّدق على الكذب بلا مرآء.

«النّفس و الفطرة»

قال الله تعالى: «و نفس و ما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها قد أفلح من زكّاها و قد خاب من دسّاها» الشّمس: ٧ ـ ١٠)

و اعلم أنّ المراد بهذه النّفس، هي النّفس المستعدّة للايمان بالفطرة، و هي نفس كريمة، رقيقة الإحساسات، دقيقة الشّعور، حيّة العواطف، كثيرة الإنفعالات بالفواعل، جوّالة لا تقف عند حدّ، توّاقة لا يقنعها غاية تصل إليها، عالية لا ترضى بشيء، و لو سمت على السّماك الأعزل، و حلّت بين الملوك في المحلّ الأوّل، بعيدة الآمال، لا يسع هذا العالم المادّي بعض ما تتوّق إليه و تتمنّاه من صنوف الكمال و الجمال، واسعة الخيال، يضيق هذا الوجود المحسوس عن مضطرب خيالها، و مختلف أحلامها، شديدة الحرص على الحقيقة فلا تقنعها قشور الأُمور، و لا ظواهر الشّئون...

فهي تميل دائماً لثقب الأغلاف، و هتك الحجب توصّلاً للباب ما تبصره، وكنه ما ترمي إليه، رحيمة الفؤاد تكاد تذوب أسى على نقصان النّاقص، و أسفاً على عيب المعيب، و لو لا شيئ من العلم يريها أنّ الله أرحم الرّاحمين، و أكرم الأكرمين، و أسمع السّامعين، و أبصر النّاظرين، و أحكم الحاكمين، و أسرع الحاسبين، و خير الغافرين... لقضت أيّامها حزناً و كمداً على جهل الجاهل، و غرور الغافل، و ميل المائل، و ضلالة الضّالّ، و كفر الكافر...

هذه النّفس تستعدّ للتّزكية، و قبول الحكمة، و تعشق الكمال، و تتحرّق لنيله و تهوى الجمال، و تفنى شوقاً لاستشراقه، و تحسّ بالفضيلة، و تتلهّف للوصول إلى غايتها، و تشعر

بجلالة العلوم و المعرفة، و تتضرّم للسّبح في لجّتها.

هذه النّفس تنظر إلى أديم السّمآء النّاصح و الشّمس في أبهة لألآئها، تختال في غلآئل أشعتها، فتودّ أن تنفذ إلى سرّ هذا الفضآء الضّخيم، فتردّها أنوار الشّمس حسرى، تذرف دموع الهزيمة، و تسكب عبرة الخيبة، إلاّ أنّها تجرد من ذاتها قوّة أقوىٰ من قوّة البصر بما لا يقدر و هي قوّة البصيرة، فتصعد بها على أجنحة التّأمّل و الإعتبار، تطير من أفق إلى أفق، و من سمآء إلى سمآء، و إلى أين؟ عند ذاك تصيح هل من نهاية؟ هل من غاية؟ هل من حدّ يقف التّصوّر عنده؟ هل من تخم يرتد الفكر بعده؟

هذه النّفس تنهزم من عالَم الحسّ فتعتريها دهشة القصور، و وحشة التقصير، فتميل للتعويض ما فقدته من شممها بإدراك سرّها، فتنزل إلى عالمها في سويداء فؤادها، و تقطع دونها علاقات المحسوسات و شواغلها، فتغوص في بحار معانيها على قدر ما تسمح لها به قواها، فلا تجد نهاية ترتد دونها، و لا غاية تقف أمامها، فتقف حيرى لا تحير جواباً، و لا تستطيع خطاباً، ثمّ ترتد إلى حالها الاولى حائرة بين عالمين لانهائيين، عالَم محيط بها، و عالَم في داخلها هي محيطة به، لاتدري أيّهما أصل لصاحبه، فلا تسل بعد ذلك عمّا يساورها من أرق و ضجر، و ما يلابسها من ألم و سهر... لفوات مطلوبها و عجزها عن نيل بغيتها.

هذه النّفس لا تقنع بعد هاتين الخيبتين الّتي صادفتاها بلزوم السّكينة و المعيشة كما يجيئ، و لو على غير طمأنينة، هيهات! بل لا تزال تترامى طوراً في مهايع هذه اللاّنهاية السّماويّة، و آخر في مضارب هذه اللاّنهاية الفؤادية، و كلّما تخيب تئن، و لكن لا أنين اليائس، و تحن إلى مطلوب، و لو لم يكن متميّزاً.

هذه النّفس الكريمة الحيّة المضطربة لا تطمئن إلاّ إذا وجدت العقيدة الحقّة، و لا ترتاح إلاّ إذا سلكت مناهجها الرّشيدة الّتي تقتضيها الفطرة.

هذه النّفس في كمال خلقها أو استعدادها للكمال تحتاج لغاية كاملة تركز فيها نهايات أخلاقها، و تجعلها قبلة لصاعدات عواطفها و إحساساتها، و هذه الغاية لا تقنعها، لما اتّصفت به من العلوّ عن المحسوسات و المادّيّات، إلاّ إذا كانت أعلى من كلّ خيال يضطرب في ذهنها، و أسمى من كلّ كمال يجيش في صدورها، و ليس كذلك إلاّ الله تعالى وحده فهو

وحده كلّ الكمال و غاية الجلال، و نهاية الجمال، سبحانه و تعالى.

هذه النّفس الكريمة في لطافتها و رحمتها، و رقّة عواطفها و جمال جوهرها، تنظر إلى نظام الكون و نواميس الوجود، فيشقّ عليها أن تعتقده خالياً من إله رحيم ينشر على المخلوقات أشعّة رحمته، و يقيم أمورها بحوله و قوّته، و يفيض على أصنافها من إفاضات عنايته و رأفته.

هذه النّفس الزّكيّة لو اتّفق و أقنعها مقنع جدلاً بعدم العقيدة الحقّة، اضطربت و تألّمت، و تخبطت و توجّعت، و لا تزال كذلك حتّى تجد سلام العقيدة الحقّة على صدرها، و تحسّ بريحانتها في روحها، و إلاّ عاشت منغصة متأسّمة لا يرتاح لها بال، و لا يقرّلها قرار.

هذه النّفس الطّاهرة الزّكيّة الكريمة هي النّفس الإنسانيّة السّليمة من آفات النقص، و عوارض الخداج و قذارات الأوهام و الأباطيل و الخرافات، فهي بطلب العقيدة الحقّة إنّما تؤدّي وظيفتها الّتي خلقت لها، كما تؤدّي الأذن وظيفتها بسمع الأصوات، و تؤدّى العين وظيفتها بإبصار المبصرات، و إدراك الألوان و الأشكال، و تؤدّي الشّامّة وظيفتها، بإدراك الرّوآئح... و هكذا سآئر الحواس و القوى الظّاهرة و الباطنة كلّها بحسبها...

إذا تقرّر هذا فما فائدة البرهان الفلسفيّ الجافّ لمثل هذه النّفس المؤمنة بالفطرة الّتي فطرها عليها و ليست في حاجة إليه بوجه من الوجوه؟ و هذه النّفس المزكّاة لا تنتظر البرهان ممّا لا يوافق ذاتها لتؤمن بخالقها، فهي مؤمنة به بفطرتها، بل هى ذاتها أصرح البراهين على وجود مبدعها، فلاترى في البراهين الفلسفيّة المغلغة إلاّ إضاعة الوقت و الفرصة فيما لا يجدي و لا ينفع، بل ربما عدتها ضرراً على العقيدة الحقّة لاغلاغها و اغماضها في طرق الاستدلال، و سلوكها مخالج الخفآء في أمر هو من الوضوح بحيث لا يحتاج إلاّ إلى محض استلفات كقوله تعالى: «أفي الله شكّ فاطر السّموات و الأرض» إبراهيم: ١٠) و قوله سبحانه: «كيف تكفرون بالله و كنتم أمواتاً فأحياكم» البقرة: ٢٨) و قوله عزّوجلّ: «قل أغير الله أبغي ربّاً و هو ربّ كلّ شيءٌ» الأنعام: ١٦٤) و قوله جلّ وعلا: «أفغير دين الله يبغون و له أسلم من في السّموات و الأرض» آل عمران: ٨٣) فإنّ دين الله تعالى يبيّن ما تقتضيه الفطرة.

و إنّ المراد من كون الدّين فطريّاً للإنسان أنّه مستعدّ له بـالفطرة أي إذا لم تحـجب الأوهام و الخرافات و الأباطيل بعد ولادته على وجه فطرته، و كان سليم القلب، صحيح الفؤاد، حاصلاً على شروط الإنسانيّة توصل بمحض قواه و مواهبه الذّاتيّة إلى الدّين المطلق الحقّ، و هو الخضوع لقيوم السّموات و الأرض، و إلّا يميل إلى الأوهام و الأباطيل و الخرافات و يعتقد بها كأكثر النّاس في كلّ ظرف من الظّروف.

قال الله تعالى: «تلك آيات الكتاب و الّذي أنزل إليك من ربّك الحقّ و لكنّ أكثر النّاس لا يؤمنون» الرّعد: ١).

و قال: «لقد جئناكم بالحقّ و لكنّ أكثركم للحقّ كارهون» الزّخرف: ٧٨).

و قال: «و قليل من عبادي الشّكور» سبأ: ١٣).

فالإنسان مفطور على الدّين و قابل له بالفطرة بأنّه لو عزل عن النّاس بعد الولادة، و لم يسمع أقوالهم و لم يتأثّر بعقائدهم، و لم يحصل خبراً ما عمّا هم عليه من حيث الدّين بالمرّة كإبراهيم خليل الرّحمن «عليه السلام»، فهو مفطور على الدّين كما أنّه مطبوع على مصّ ثدي أمّه، و لكن تظهر مفطوريّته على الدّين تمام الظّهور حين بلوغه سنّ التّمييز بأنّه متى بلغ سنّ التّمييز أخذ ينظر في الأشياء المحيطة به نظر المميّز المستخبر، فيستعرض تلك النّقط اللّامعة في وسط ذلك الأديم الأزرق، ثمّ يرمي به إلى الأرض، و يستجلي بدائع الأشجار و غرائب الأزهار و عجائب الأطيار... كما استعرض إبراهيم «عليه السلام».

قال الله تعالى: «و كذلك نري إبراهيم ملكوت السّموات و الأرض و ليكون مـن الموقنين فلمّا جنّ عليه اللّيل رآى كوكباً قال هذا ربّي فلمّا أفل قال لا أُحبّ الآفلين فلمّا رأى القمر بازغاً قال هذا ربّي فلمّا أفل قال لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الظّالمين فلمّا رأى الشّمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر فلمّا أفلت قال يا قوم إنّي بريئ ممّا تشركون إنّي وجّهت وجهى للّذي فطر السّموات و الأرض حنيفاً و ما أنا من المشركين» الأنعام: ٧٥ - ٧٩).

و قال: «سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» فصّلت: ٥٣).

فيؤوب الإنسان إلى ذاته، فيسئل نفسه عن منشئها و أصلها، و كيفيّة نموّها و تكوّنها، و

هكذا، ثمّ يترقّى في النّظر و الاستدلال بترقّي سنّه و توالي المناظر و المشاهد على فكره، و يؤوب بشيءٍ من العلم و اليقين في كلّ مرّة، حتّى ينتهي به النّظر إلى أصل الكون و مبدئه، و كيفيّة تصريفه و تدبيره، فلا يتمالك نفسه من الحكم الباتّ الّذي لا يعتريه شكّ، و لا يشوبه تردّد بأنّ له مصرفاً قويّاً، و عليماً حكيماً و مدبّراً عالياً، يهيمن عليه و يقوم بشؤونه... و بما أنّه جزء من الكون يرىٰ أنّه هو أيضاً صنع ذلك القويّ القادر قيّوم السّموات و الأرض: «الله لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم لا تأخذه سنة و لا نوم له ما في السّموات و ما في الأرض» البقرة: ٢٥٥).

فترى صاحبك إن أصابه ألم، أو مسّه برد، أو ألمت به مخالفة، وجد نفسه مفطورة على الشّكوى لخالقه و خالق الكون، و مفاتحته بما يجيش في سريرته، و يجول في سويدآء ضميره، فإذا اتّفق، و مرّت بصاحبك هذا جنازة ميّت اضطربت نفسه، و جاشت هواجسه، و مادت به حواسّه، و اعترته خشية و رعدة، و سئل نفسه عن مصيره و نهايته، و ألمّ به من الأرق و التّململ، و ذهب بفكره في مناحي هذا الكون مفكّراً مستدلاًّ، ثمّ عاد و العقيدة بالخلود ألصق به من نفسه.

هذه أمور لا يعتريها شكّ، فإنّ الدّين عام للإنسان بما هو إنسان، و هو ما يحسّ به كلّ فرد من الإنسان في نفسه، و إن كان ربما تعتري على فطرته أوهام... فحينئذ لا يحسّ بالدّين، بل قد ينكره قبل أن يقع في معرض الهلاك و الآلام...

«ظهور الفطرة بعد اختفائها، عند خطر الهلاكة»

قال الله عزّوجلّ: «قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم السّاعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إيّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شآء و تنسون ما تشركون ـ قل من ينجّيكم من ظلمات البرّ و البحر تدعونه تضرّعاً و خفية لئن أنجينا من هذه لنكوننّ من الشّاكرين قل الله ينجّيكم منها و من كلّ كرب ثمّ أنتم تشركون» الأنعام: ٤٠ـ٤١ و ٦٢ـ٦٣)

و قال: «ربّكم الّذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنّه كان بكم رحيماً و إذا مسّكم الضّرّ في البحر ضلّ من تدعون إلاّ إيّاه فلمّا نجّاكم إلى البرّ أعرضتم و كان الإنسان كفوراً» الإسراء: ٦٦ ـ ٦٧)

و اعلم أنّ في الآيات الكريمة إشارة إلى دليل الفطرة و ظهورها في مجالاتها الواسعة المتحلّلة عن كلّ سبب مادّيّ.

و ذلك أنّ الآيات تعرّف الإنسان ربّه عند ما يمسّه العذاب أو فجأة السّاعة أو ظلمات البرّ و البحر أو يمسّه الضّرّ: أنّه تعالى هو الّذي ينجيه حينما يضلّ عنه كلّ شيئ ـ حتّى نفسه ـ فلا ملجأ و لا مهرب و لا منجى إلاّ هو، و أنّ الإنسان في سائر الأحوال و الأحيان يظنّ أنّ هناك في الكائنات المادّية ملاجئ و مراجع يلجأ إليها عند البأسآء و الضّرّآء حتّى إذا أتاه الخطر، و أحاط به الضّرّ و الشّرّ حيطة شاملة لا تبق له راحة و لا تذر ـ فآنذاك ضلّ كلّ هذه إلاّ من تنحو نحوه الفطرة و هو الله عزّوجلّ وحده.

و هي السّبيل إلى معرفة الله تعالى الّتي تعمّ كافّة النّاس: من عالمهم و جاهلهم، من

مؤمنهم و كافرهم، من غنيّهم و فقيرهم، من أسودهم و أبيضهم، من سلطانهم و رعيّتهم، من صغيرهم و كبيرهم، من ذكرهم و انثاهم... هذه سبيل لا تحتاج إلى دراسة أيّ كتاب، و لا إلى سلوك مسالك صعبة غامضة فلسفيّة، و لا إلى طرق علميّة تختلج فيها الشّكوك و الارتباكات... سبيل يبرهن لنا القرآن الكريم بلسان الفطرة في كافّة مجالاتها النّاطقة بالحقّ: عند ما يحيط بالإنسان الخطر من كلّ جانب ـ دون أن يجد إلى النّجاة سبيلاً ـ فحينئذ يتعلّق قلب الإنسان بنقطة مرموزة لا يعرفها و لا يستطيع أن يعرفها، إلاّ أنّه يجدها حينما يفقد علاقات الكون أجمع من نفسه حيث لا ينصره و لا يستطيع أن ينصره سواه ـ فهو إذاً يقطع رجائه عن كلّ شيء ـ و يبقى متعلّقاً بهذه النّقطة المرموزة.

فالتّصديق و الإذعان و الاعتراف بوجود الخالق القادر الواحد المتعال أمر فطريّ يظهر عند خطر الهلاكة، و الوقوع في الأهوال و صعاب الأحوال، يتكلّم به الإنسان بما هو إنسان، و يتوجّه توجّهاً فطريّاً إلى مسبّب الأسباب و مسهّل الأُمور الصّعاب، و إن لم يتفطّن لذلك.

في تفسير الإمام الحسن العسكري «عليه السلام»: أنّه سئل الإمام الصّادق «عليه السلام» عن الله، فقال «عليه السلام» للسّائل: ياعبدالله هل ركبتَ سفينة قطّ؟ قال: بلى، قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك و لا سباحة تغنيك؟ قال: بلى، قال: فهل تعلّق قلبك هناك أنّ شيئاً من الأشيآء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: بلى، قال الصّادق «عليه السلام»: فذلك الشّيء هو الله القادر على الإنجاء حين لا منجى، و على الإغاثة حين لا مغيث».

و ذلك أنّ الإنسان إذا ركب السّفينة، و وجد الرّيح الطّيّبة الموافقة للمقصود، و كذلك إذا ركب الطّيّارة، و الوسآئل الحمليّة و النّقليّة المرسومة في اليوم، فهو ما لم يقع على خطر ينشغل بالفرح و السرور غافلاً عن الله تعالى، و هذا حال أكثر النّاس في كلّ ظرف من الظّروف، حتّى قد يعترض و يستشكل على الله جلّ وعلا في بعض الأمور، و يهين بالمؤمنين، و يشتغل باللهو و اللعب و الفحشآء و المنكرات... و لكنّه إذا ظهرت علامات الخطر و الهلاك دفعة فجائت الرّياح العاصفة الشّديدة، و تعقّبتها الأمواج العظيمة في البحار من كلّ جانب، فحصل له الظّنّ بالهلاك، تتبدّل أحواله السّابقة من الرّاحة و

السّرور و الاعتراض و الاستشكال... إلى هذه الأحوال المخوفة و الإلتجاء و الإبتهال...

و كذلك إذا سار مع الطّيّارة في الجوّ، فظنّ بسقوطها، أو مع القطار و السّيّارة، ففوجئ بالرّعد و البرق و عدم اعتدال الاوضاع الجوّيّة او نزول الثلج و انسداد الطريق و انهدام الجبال، و السّقوط في الأنهار و... فحينئذ يستيقظ شعوره، و ترتفع حجب الأوهام و الأباطيل و الخرافات عن وجه فطرته، فيتوجّه إلى الله تعالى وحده، و يتضرّع و يدعوه وحده، و ينسى غيره، إذ لا يجد عندئذ ناصراً غير الله تعالى، فينقطع رجآئه عمّا سواه، فيصير قلبه و روحه و شعوره و جميع أعضآئه و جوارحه و قواه الظّاهرة و الباطنة كلّها متوجّهة إلى الله جلّ وعلا وحده، و ينسى غيره.

و لكنّه لمّا نجاه الله تعالى من هذه البليّة العظيمة و الهلاكة، فوصل إلى السّاحل أو نجى من خطر الهلاكة في البرّ ينسى الله جلّ وعلا و ينسى الخلاص و النّجاة الّذين مَنَّ الله تعالى بهما عليه فيعود إلى حاله الأولىٰ من الاعتقاد الباطل و الاعتراضات الواهية و اللهو و اللعب... كما أنّه إذا انهمك في ظلم الناس لم يعرف الله تعالىٰ بينما لوظلمه آخرون ارتفع صوته و توجّه إلى الله تعالى و تظلّم اليه.

و في رواية: قال رجل لجعفر بن محمّد الصّادق«عليه السلام»: أذكر لي دليلاً على إثبات الصّانع؟ فقال الإمام«عليه السلام»: أخبرني عن حرفتك؟ فقال: أنا رجل أتجر في البحر، فقال: صِف لي كيفيّة حالك؟ فقال: ركبت البحر، فانكسرت السّفينة، و بقيت على لوح واحد من ألواحها، و جآئت الرّياح العاصفة، فقال الإمام«عليه السلام»: هل وجدت في قلبك تضرّعاً و دعآءً؟ فقال: نعم، فقال الإمام الصّادق«عليه السلام»: فإلهك هو الّذي تضرّعت إليه في ذلك الوقت».

فالإنسان كائناً من كان: أنّه على حجّة بيّنة في عمق وجوده و ذاته، متواصلة في شتّى الألوان تدلّه على الله جلّ وعلا، و تؤيّد هذه الفطرة الإنسانيّة آيات بيّنات آفاقيّة و أنفسيّة بواسطة العقل من داخله، و تبيّنها الرّسالات السّماويّة إتماماً للحجّة عليه «فلله الحجّة البالغة» تبلغ كلّ عالم و جاهل، و كلّ ذي شعور له أدنى تمييز، فكلّ ما يشعر نفسه: ثمّ يرى أنّه لم يكن ثمّ حدث: «هل أتى على الإنسان حين من الدّهر لم يكن شيئاً مذكوراً» الإنسان: ١).

و هذا يكفيه برهاناً بيّناً لا مردّ له: أنّ هناك خالقاً خلقه، ثمّ إنّه ليس من جنسه، و إلاّ لم يتقدّمه في الخالقيّة.

فالحجّة لله تعالى شاملة لكلّ نفس إنسانيّ: أنّ لكلٍّ سبيلاً إلى ربّه في عمق ذاته، و يؤيّده عقله سواء أكان في أدنى مراتب العقل و العلم أم أعلاها، و تبيّنه له الرّسالات السّماويّة، فالطّرق إلى الله بعدد أنفاس الخلآئق...

فالإنسان بما هو إنسان، في أيّة بيئة عقليّة و علميّة و تربويّة، يجد نفسه محاطة غريقة في يمّ محيط مسيطر عليه: من البراهين السّاطعة، و الأدلّة القاطعة و الحجج الواضحة على وجود إله الكون، لا يستطيع أن يتحلّل عن تلك البراهين و الأدلّة و الحجج... و كما أنّ الله عزّوجلّ إله الكلّ، فلابدّ للكلّ أن يجدوا سبيلاً إلى معرفته، و لذلك يجدون آثار وجوده سبحانه و براهينه السّاطعة في الآفاق، و هي كلّ كائن سوى نفس الإنسان، و في أنفسهم تدلّهم على ربّهم: «سنريهم آياتنا في الآفاق، و في أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» فصّلت: ٥٣) إنّ الآيات الآفاقية: هي الجسميّة الخارجة عن أجسامنا، و الرّوحيّة الخارجة عن أرواحنا، و إنّ الآيات الأنفسيّة: هي الفطرة و العقل، و عجآئب صنع البدن، و إنّ كلتا الآيتين بكافتها شواهد الألوهيّة لله جلّ وعلا.

«العقل و الشّرع توأمان يرتضعان من لبن واحد و هو الفطرة»

و اعلم أنّ العقل و إن كان في طول الشّرع لإمكان وقوع المانع في إدراك العقل دون الشّرع، و لكنّهما كالتّوأمين اللّذين يرتضعان من لبن واحد و هو فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها.

و لذلك قيل: «إنّ العقل شرع و حجّة إلهيّة على الإنسان في داخله، و الشّرع عقل و حجّة إلهيّة على الإنسان في خارجه».

فلا يكون كلّ واحد منهما مستغنياً عن الآخر، و إنّ العقل يهدي الإنسان إلى ما تقتضيه الفطرة إجمالاً، و إنّ الشّرع يبيّنه من دون خطاء تفصيلاً.

و لذا قال المحقّقون المدقّقون: إنّ الشّرع لن يهتدى إلاّ بالعقل، و العقل لن يتبيّن إلاّ بالشّرع، و إنّ العقل كالأُسّ، و الشّرع كالبنآء، و لن يغني أُسّ مالم يكن بناء، و لن يثبت بنآء ما لم يكن له أسّ، و كلاهما يدلاّن على بانٍ إجمالاً و تفصيلاً.

و إنّ العقل كالبصر، و الشّرع كالشّعاع، و لن يغني البصر ما لم يكن له شعاع من خارج، و لن يغني الشّعاع ما لم يكن له بصر. فلهذا قال الله سبحانه: «قد جآءكم من الله نور و كتاب مبين يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام و يخرجهم من الظّلمات إلى النّور بإذنه» المائدة: ١٥ ـ ١٦).

و إنّ العقل كالسّراج، و الشّرع كالزّيت الّذي يمدّه، فما لم يكن زيت لم يشتعل السّراج و ما لم يكن السّراج لم يضيء الزّيت، و على هذا نبّه جلّ وعلا بقوله: «الله نور السّموات و الأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ـ نور على نور...» النّور: ٣٥).

و إنّ الشّرع عقل من خارج، و العقل شرع من داخل، و هما يتعاضدان، بل يتّحدان، و لكون الشّرع عقلاً من خارج، سلب الله عزّوجلّ اسم العقل من الكافر و المنافق و العاصي... في مواضع من القرآن الكريم:

منها: قوله تعالى: «صمّ بكم عميّ فهم لايعقلون» البقرة: ١٧١).

و منها: قوله سبحانه: «إنّ الّذين ينادونك من ورآء الحجرات أكثرهم لا يعقلون» الحجرات: ٤).

و منها: قوله عزّوجلّ: «و إذا ناديتم إلى الصّلاة اتّخذوها هزواً و لعباً ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون» المائدة: ٥٨).

و لكون العقل شرعاً من داخل، قال الله جلّ وعلا: «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركآء فيما رزقناكم فأنتم فيه سوآء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون» الرّوم: ٢٨).

و إنّ العقل إذا فقد الشّرع، عجز عن أكثر الامور كما عجزت العين عند فقد النّور.

و إنّ العقل بنفسه قليل الغنآء، لايكاد يتوصّل إلاّ إلى معرفة كلّيّات الشّيئ دون جزئيّاته، و إنّ الشّرع يعرف و يبيّن للعقل كلّيّات الشّيئ و جزئيّاته... فالعقل يعلم ـ مثلاً ـ جملة حسن اعتقاد الحقّ، و قول الصّدق، و تعاطي الجميل، و حسن استعمال المعدلة و ملازمة العفّة و الإحسان و التّعاون و ما إليها من غير أن يعرف ذلك في شيئ شيئ، و أمّا الشّرع فيعرف كلّيّات الشّيئ و جزئيّاته، و يبيّن ما الّذي يجب أن يعتقد في شيئ شيئ، و ما الّذي هو معدلة في شيئ شيئ، و إنّ العقل لا يعرف ـ مثلاً ـ أنّ لحم الخنزير و الدّم و الخمر محرّمة، و أنّه يجب أن يتحاشى من تناول الطّعام في وقت معلوم، و لا يعرف أن لا ينكح ذوات المحارم، و أن لا يجامع المرأة في حال الحيض و أن لا يزنى و نحوها فلا سبيل إليها إلاّ الشّرع.

فالشّرع نظام الاعتقادات الصّحيحة و الأفعال المستقيمة، و الدّالّ على مصالح الدّنيا و الآخرة، و من عدل عنه، فقد ضلّ سوآء السّبيل، و لأجل أنّه لا سبيل للعقل إلى معرفة ذلك.

قال الله عزّوجلّ: «و ما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً» الإسرآء: ١٥)

و قال: «و لو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربّنا لو لا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك من قبل أن نذلّ و نخزى» طه: ١٣٤)

و قال: «رسلاً مبشّرين و منذرين لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل و كان الله عزيزاً حكيماً» النّسآء: ١٦٥)

و إلى العقل و الشّرع أشار بالفضل و الرّحمة بقوله: «و لو لا فضل الله عليكم و رحمته لاتّبعتم الشّيطان إلاّ قليلاً» النّسآء: ٨٣) و المراد بالقليل: «المصطفين الأخيار» ص: ٤٧).

«الفرق بين الفطرة و الغريزة و رفع الاشتباه بينهما»

و قد اشتبه على الخواصّ فضلاً عن العوام، فطرة الإنسان بغريزته فخلطوا بينهما، و قد سبق منّا في بحث «الفطرة و أقسام الهداية»: أنّ الغريزة يشترك فيها الإنسان و الحيوان، و بها التّوالدو التّناسل، و تداوم الأنواع، و يعيش بها الإنسان و الحيوان و منشأها الرّوح الحيوانيّة، و أنّ الفطرة تختصّ بالإنسان، و بها إنسانيّة الإنسان و هويّته و منشأها روح خاصّ إلهيّ: «و نفخت فيه من روحي»، فبالغريزة حياة الإنسان الفيزيقيّة، و بالفطرة حياة إنسانيّة الإنسان الرّوحيّة، و لذلك يمكن تغيير الغريزة، و لا يمكن تغيير الفطرة أبداً: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله» الرّوم: ٣٠)

فينبغي البحث ـ و إن كان إجمالاً ـ حول الغريزة لرفع الإبهام و الاشتباه في فصول:

ألف: تعريف الدّافع الغريزي:

الأمر الغريزى بوجه عام ـ قدرة كان أم سلوكاً أو دافعاً ـ هو: ما ينتقل عن طريق الوراثة فلا يحتاج الفرد إلى تعلّمه و اكتسابه، أمّا المكتسب فهو كلّ ما ينجم عن تغيير الأمر الغريزي و تعديله عن طريق النّشاط التلقآئي للفرد أو عن طريق الخبرة و الممارسة و التّدريب، إذن ماذا نعني حين نقول: إنّ الجوع أو العطش أو الشّهوة أو اللعب و ما إليها دوافع غريزيّة، و أنّ عاطفة الشّفقة أو الشّعور بالنّقص أو الميل إلى جمع طوابع البريد دوافع مكتسبة؟

و قد قال المحقّقون: إنّ الدّافع استعداد مركّب من عدّة عناصر: ١ ـ مثير ينشطه.

٢ ـ سلوك يصدر عنه. ٣ ـ هدف يرمى إليه.

و الدّافع الغريزي ـ في صورته النّقية و بمعناه الدّقيق، عند الإنسان على الأقلّ ـ: هو ما كانت مثيراته غريزيّة و هدفه غريزياً. أمّا السّلوك الّذي يصدر عنه، فعلى الإنسان أن يتعلّمه في الأعمّ الأغلب من الأحيان، فالجوع مثيره الغريزي تقلص العضلات الملسآء للمعدة، و هدفه إكمال حالة نقص غذائيّ في الجسم، و كلّ من المثير و الهدف غريزيّ، أمّا طريقة إرضاء الجوع فعلى الإنسان أن يتعلّمها، و لذا تختلف طرق النّاس في تناول الطّعام و في نوع الأطعمة الّتي يأكلونها، حتّى الطّفل الوليد الّذي يرضع لأوّل مرّة فهو يحرّك شفتيه، و يقوم بعمليّة امتصاص، لكنّه يمص كلّ شيئ يوضع في فمه، سوآء كان قطعة من القطن أو الجلد أو الشّعر أو ثدى اُمّه، فتى أمسك بالثّدي و رضعه، فأشبع جوعه عرف، فتعلم أنّ هذا هو الطّريق الوحيد لإشباعه.

أمّا عاطفة الشّفقة، و هي دافع مكتسب، فثيرها مكتسب هو رؤية الضّعيف أو العاجز أو المحروم، و هدفها مكتسب أيضاً و هو معونة هؤلآء... إنّها دافع يحتاج إلى وقت قد يكون طويلاً لاكتسابه كما يتطلب مستوى خاصّاً من النّضج العقليّ، لذا فهو لا ينضج و لا يستوى إلاّ في مرحلة المراحقة، و بعد خبرات عدّة يمرّ بها الفرد، يشعر في بعضها بألم الغير فيشق، و يشعر في بعضها الآخر بما يقدمه إليهم من معونة فيسعد... بل قد يعجز بعض النّاس عن اكتساب هذا الدّافع إطلاقاً... كذلك الحال في الميل إلى جمع طوابع البريد، فالإنسان لا يولد مزوداً بهذا الدّافع. بل يكتسبه عن طريق تجاربه و اتّصاله بالبيئة.

ب: علآئم الدّافع الغريزى:

للدّافع الغريزى علآئم:

منها: ما يميّز الدّافع الغريزى، هو ظهوره منذ الولادة أو من سنّ مبكرة أي قبل أن يفيد الفرد من الخبرة و التّعلّم كالجوع و العطش و نحوهما...

و منها: أن يكون الدّافع عامّاً مشتركاً بين أفراد النّوع الواحد جميعاً مهما اختلفت بيئاتهم و حضاراتهم كالدّافع الجنسيّ و دافع الأمومة، في حين أنّ الدّافع المكتسب يكون خاصّاً بفرد أو بجماعة من الأفراد، غير أنّ هذا المعيار يجب ألاّ يؤخذ على إطلاقه، إذ قد

يكون الدّافع مكتسباً بالرّغم من شيوعه بين النّاس جميعاً على اختلاف حضاراتهم، كالدّافع الاجتماعي ـ في نظر كثير من المتأخّرين ـ و هو الدّافع الّذي يبدو في ميل الإنسان إلى الاجتماع بين جنسه و العيش في جماعات...

و منها: اشتراك الإنسان مع الحيوانات العليا في بعض الدّوافع كثيراً ما يتّخذ علامة على غريزيّة هذه الدّوافع، كدوافع الجوع و العطش و النّوم و الدّافع الجنسيّ، و دافع الاستطلاع و دافع اللعب.

و منها: و هي أهمّ علامة تميز الدّافع الغريزي ـ: ثبات هدفه الطّبيعيّ بالرّغم من تغير السّلوك الّذي يحقّق هذا الهدف حتّى لنستطيع أن نعرف الدّافع الغريزي بأنّه كلّ ما يدفع الفرد ـ إنساناً كان أم حيواناً ـ إلى التماس أهداف طبيعيّة موروثة أي مقرّرة من قبل في غريزته، مغروزة في جهازه العصبيّ، لذا تسمّى الدّوافع الغريزيّة بالغرآئز (Instincts) و قد يكون السّلوك الصّادر عن الغرآئز غريزيّاً جامداً موحد الصّورة كما هي الحال عند أغلب الحيوانات: بناء العش عند الطّيور، و هجرة الأسماك، و ادّخار الطّعام عند النّمل، أو يكون هذا السّلوك مكتسباً كأغلب سلوك الإنسان المنبعث عن دوافعه الغريزيّة.

أثر البيئة و التّعلّم:

الواقع أنّ ما يرثه الإنسان لا يعدو أن يكون استعدادات عامّة غاية في العموم تدفعه إلى التماس غايات طبيعيّة معيّنة، و تثيرها مثيرات غريزيّة، محدودة العدد إلى حدّ كبير، فهو يرث استعداداً عامّاً للخوف و الابتعاد عمّا يؤذي، و هو استعداد تثير عند الطّفل الرّضيع فئة محدودة من المثيرات الغريزيّة: الألم الجسميّ، و الأصوات العالية، و الأحداث المفاجئة، و الإزاحة المباغتة للطّفل، و لكن الفرد عن طريق النّضج و التّعلّم يكتسب مخاوف نوعيّة لاعداد لها: الخوف من الظّلام، و من الوحدة، و من الموت، و من القانون، كما يعبّر عن مخاوفه بطرق اخرى غير الطريقة الغريزيّة للتّعبير عنه.

غير أنّ هدف هذا الدّافع الفطري يبقى ثابتاً على الدّوام لا يصيبه تحوير ـ هو الظّفر بالأمن و الابتعاد عمّا يؤذى، كذلك فهو يرث استعداداً عامّاً للغضب ممّا يقيّد حركاته و يعترض سلوكه، و طريقته الغريزيّة في التّعبير عن غضبه هي تحطيم العآئق و تهشيمه،

لكن عن طريق النّضج و التّعلّم بتقدّم العمر يكتسب مغاضب كثيرة كالغضب للحقّ و للكرامة و لتأييد مبدأ... كما يتعلّم طرقاً اخرى مهذبة للتّعبير عن غضبه، غير أنّ هدف هذا الدّافع الغريزي يبق ثابتاً على الدّوام لا يصيبه تحوير ـ هو مقاومة و استبعاد ما يقيّد الحركة و الحرّيّة بوجه عامّ، و قل مثل ذلك في دافع الجوع، فثيره الغريزي هو تقلّص العضلات الملسآء للمعدة، و لكنّ الفرد عن طريق التّعلّم يكتسب مثيرات جديدة للجوع:

منها: الأماكن و الأوقات الّتي اعتاد أن يتناول فيها طعامه، فإذا حان وقت الغذآء شعر بالجوع حتّى إن لم تكن به حاجة حقيقيّة إلى الطّعام، هذا إلى ما يكتسبه من طرق خاصّة لتناول الطّعام، و ما يألفه من أطعمة خاصّة، غير أنّ هدف هذا الدّافع الغريزي يبق ثابتاً على الدّوام لا يناله تحوير ـ هو إكمال حالة النّقص الجسمي.

و بعبارة اخرى: أنّ الدّافع الغريزي يتحور من ناحية مثيراته، و من ناحية السّلوك الصّادر عنه بتأثير عمليتي النّضج و التّعلّم مع بقاء هدفه ثابتاً، و من هنا نرى أنّه يندر أو يستحيل أن نرى دافعاً غريزياً نقياً عند الرّاشد الكبير من بني آدم أي لا يتضمّن عناصر مكتسبة.

و بعبارة ثالثة: أنّ كلّ دافع عند الرّاشد الكبير غريزيّ و مكتسب في آن واحد، و قد حدا هذا ببعض العلمآء إلى القول بأنّه من العبث محاولة التّمييز بين الدّافع الغريزيّ و الدّافع المكتسب... غير أنّ فريقاً آخر يرون أنّ الدّافع الغريزي هو ما كان هدفه غريزيّاً، حتّى إن جمعت مثيراته، مثيرات مكتسبة إلى جنب المثيرات الغريزيّة، و حتّى إن اختلف السّلوك الصّادر عنه عن السّلوك البدائي له... و مع هذا الفريق، نصنف الدّوافع الغريزيّة على التّرتيب التّالي:

ج ـ تصنيف الدّوافع الغريزيّة:

منها: دوافع تكفل المحافظة على بقاء الفرد، و تسمّى بالحاجات العضويّة أو الفسيولوجيّة كالجوع و العطش و النّوم و ما إليها...

و منها: دوافع تكفل المحافظة على بقاء النّوع، و هي الدّافع الجنسيّ و دافع الأُمومة.

و منها: دوافع الطّوارىء، و هي دوافع وثيقة الصّلة بالمحافظة على بقآء الفرد و بقآء

النّوع، و هي دافع الهرب، و دافع المقاتلة.

و منها: دوافع تمكن الفرد من التّعرّف على البيئة و تساعده على إعداد نفسه للحياة، دافع الاستطلاع، و دافع اللعب.

و لا يخفى على الباحثين الخبرآء: أنّ الغريزة تختلف اختلافاً كثيراً، و أنّ للحضارة فيها تأثيراً هامّاً دون الفطرة، حيث إنّ الطّعام ـ مثلاً ـ من الغرآئز، تختلف طرق تناوله و مقداره و مكانه و مواقيته و عدد الواجبات اليوميّة و ألوانه و الأطعمة المحرّمة... باختلاف الجماعات البشريّة، فمن الشّعوب ما يشعر أفراد بالجوع مرّتين كلّ يوم، و منها ما يشعر به خمس مرّات، و منها ما يشعر به ثلاث مرّات... أي إنّ الشّعور بالجوع لا تثيره الحركات الايقاعيّة لجدران المعدة أو حاجة الجسم إلى المواد الغذائيّة بقدر ما تثيره عادات الجماعة، و من الشّعوب ما ينفر أفراده من مجرّد التفكير في أكل الفيران أو الثّعابين أو الجراد أو القرود أو الحيّات أو العقارب و ما إليها في حين أن جماعات أُخرى تقبل على هذه الأطعمة و تعتبرها غذآء زكيّاً، و المسلمون يأكلون لحم البقر الّذي يحرم الهندوس أكله، و قد كان الصينيّون يكلفون بأكل البيض الفاسد، و ينفرون من شرب اللبن نفوراً شديداً و هكذا.

الدّافع الجنسيّ:

من أقوى الدّوافع لدى الإنسان و أكبرها أثراً في سلوكه و صحّته النّفسيّة، غير أن تعقد الطّبيعة البشريّة و كثرة القيود الّتي تفرضها الثّقافات المتحضّرة على هذا الدّافع و ملابساته تجعل دراسته و تحليله عند الإنسان أمراً عسيراً، لذا بدأ الباحثون بدراسته في صورته البسيطة عند الحيوان.

لقد اتّضح أنّ نشاط هذا الدّافع لدى الحيوان يتوقّف على هرمونات ـ و هي موادّ كيمياويّة ذات فاعليّة شديدة تفرزها الغدد الصّمّ بمقادير طفيفة لكنّها كبيرة الأثر، و قد ثبت أنّ للهرمونات أثراً عميقاً في النّموّ الجسميّ و الجنسيّ و الانفعالي ـ تفرزها الغدد الجنسيّة عند الذّكور و المبيضان عند الأناث، كما اتّضح أنّ إزالة المبيض عند إناث بعض الحيوانات يزيل الاهتمام الجنسي لديها، و لكن هذا الاهتمام يمكن أن يعود متى حقنت الأنثى بخلاصة الهرمونات الجنسيّة.

و المعروف أنّ إناث الحيوانات تمرّ بأطوار من النّشاط و التحفز الجنسيّ تعقبها أُخرى من الفتور أو النّفور الجنسيّ، و قد دلّت الدّراسات الفسيولوجية على أنّ الهرمون الجنسي الانثوي لا يفرز إلاّ أثناء طور التحفز الجنسي فقط.

كذلك الحال عند الإنسان فقد وجد أنّ إزالة المبيضين لدى الفتيات قبيل البلوغ يحول دون ظهور الصّفات الجنسيّة الثّانويّة، كما يؤدّي إلى تخاذل الدّافع الجنسيّ برمّته، كذلك الحال عند الصّبيان الّذين يخصون خصآء مبكراً.

إنّ الغريزة الجنسيّة دافع غريزيّ لدي الأطفال، و لا يقصد بالجنسيّة الطّفليّة قدرة الطّفل على التّناسل و التّكاثر، و على الإفضاض و الحمل، بل مجموعة الميول الجنسيّة، و ضروب السّلوك الجنسيّة الّتي توجد لدى الطّفل منذ ولادته، و الّتي تبدو بصورة يمكن ملاحظتها عنده ابتداء من اليوم الثّالث أو الرّابع من عمره، إذ يبدو لدى الطّفل في تلك الأيّام من اهتياج جنسيّ و نهوض ذكر المذكّر، و تلذّذ من لمس أعضآئه الجنسيّة، و من عبث جنسيّ بين الصّغار و انحياز للجنس الآخر، و اختيار ألعاب ملابس خاصّة، و لعبة العريس و العروس الشّائعة بين الأطفال...

د ـ دافع الأُمومة:

إنّ حماية الصّغار و الالتصاق بها و إطعامها و سرعة العودة إليها عند فراغها ظاهرة مشاهدة من أنواع الحيوانات إذ يقوم أحد الوالدين بهذه المهمّة حتّى يشتدّ عود الصّغار بعض الشّئ، فعند بعض الأسماك يقوم أحد الوالدين بهذه الوظيفة، و عند الطّيور غالباً ما يتعاون الوالدان معاً عليها، و أمّا عند الثّدييات فتقع هذه المهمّة على عاتق الأُم دائماً، و لكنّها تنتهي مدّة الحضانة بعد مدّة من الأيّام أو الأُسبوع أو الشّهور أو السّنين، و لكن غريزة الأُمومة باقية، و حماية الأمّ الإنسانيّة لولدها باقية لعوامل نفسيّة و اجتماعيّة ليست هذه لغيرها من أنواع الحيوانات... و لكن هذه الغريزة الحيوانيّة، و فوقها الغريزة الإنسانيّة تغيّرت بل فسدت في كثير من النّسآء الغربيّة و اللاتي سلكن مسالكهنّ في طلاقة العنان، و في الحريّة الحيوانيّة من كشف العورات...

و إنّما هنّ أضلّ و أدنى من أنواع الحيوانات كلّها لأنّ هؤلآء النّسآء كلّهن من التّابعات و

المتبوعات خرجن عن الغريزة الحيوانيّة و هي حبّ التّوالد و التّناسل و التّكاثر و حماية الصّغار... فضلاً عن الغريزة الإنسانيّة...

و قد صرّح كثير من النّسآء في إمريكا: أنهنّ لا يحبن أن يكنّ امّهات، و قد صرّح كثير من الحوامل في آمريكا: أنّهنّ كنّ يرجون ألاّ يكنّ حوامل، و أنّهنّ حملن لا بإرادتهنّ، بل حملن لرغبة أزواجهنّ في إقامة أُسرة، و قد صرّح كثير من الأمّهات: أنّهنّ لا يحببن أولادهنّ...

و **من الأسف**: أنّ بعض النّسآء المسلمات من الممالك الإسلاميّة يقلّدن النّسآء الغربيّات في طلاقة العنان و الخروج عن حدّ الإنسانيّة، بل الانحطاط إلى مادون الحدّ البهيميّ و الحيوانيّ، و الوضع المأساويّ المؤسف المؤلم أنّ قادة الممالك الاسلاميّة و رؤسآء دولهم يشوّقون المسلمين و المسلمات على إفساد الغريزة بقسميها... في زماننا هذا و أسوأ من ذلك كلّه أنّ بعض العلمآء الحوامل يسكتون و العوامل الأُجرآء يوجّهون تلك الجنايات و يؤكّدونها باسم الإسلام خذلهم الله الواحد القهّار.

« آيتا فدك في القرآن الكريم و فدك في نهج البلاغة »

و اعلم أنّ أهمّيّة قضيّة فدك هي عين أهمّيّة قضيّة الخلافة بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه و آله» على حدّ سوآء، إذ كان غصب فدك لاستمرار غصب الخلافة، فالبحث حول فدك هو البحث حول الخلافة نفسها من دون فكاك بينهما، فإذا نسيت قصّة فدك، تنسى قصّة الخلافة بغير شبهة، فما مضت قصّة فدك كما زعم بعض الحوامل الجهلة العميلة للأجانب، و العوامل الأجيرة للأعدآء، المتلبّسة بلباس العلمآء... و يلقّنون هذه الفكرة الشيطانيّة و يلقونها إلى عامّة النّاس، حتّى إلى بعض الخواص البليد لإنسآء فكرة الخلافة. و لقد كانت الخلافة و فدك ـ كالإنسان المركب من الجسم و الروح ـ أساسي الإسلام روحاً و مادّياً لا فكاك بينهما إلاّ بهدم الإسلام كما لا فكاك بين الجسم و الروح إلاّ بإفناء الإنسان، فإذا تبيّن لك أمر فدك تبيّن لك أمر الخلافة قطعاً و لهذه الأهمّيّة نزلت آية فدك مرّتين في سورتين من القرآن الكريم لئلاّ تنسى قصّتها إذ:

قال الله عزّوجلّ: «فآت ذا القربى حقّه و المسكين و ابن السّبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله و اولئك هم المفلحون» الرّوم: ٣٨).

و قال: «و آت ذا القربى حقّه و المسكين و ابن السّبيل و لا تبذّر تبذيراً» الأسرآء: ٢٦).

و في نهج البلاغة: من كتاب مولى الموحّدين، سيّد الوصيّين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» إلى عثمان ابن حُنَيْف الأنصاريّ و هو عامله على البصرة ـ: «... بَلىٰ كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السّمآء، فشحّت عليها نفوس قوم، و سَخَتْ

عنها نفوس قوم آخرين، و نعم الحكَم الله...» رقم الكتاب: ٤٥).

و قد تواترت الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين: أنّ الآيتين نزلتا في أمر فدك، و في نزول الآيتين فيها دلالة واضحة على أهمّيّة موضوعها و تأكيد أمر القربى، و لو سلّمنا أنّ الآيتين كانتا مكّيّتين فقد شرّع أمرها قبل الهجرة لهذه الأهمّيّة و التّأكيد كما أنّ آية المودّة: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» في سورة «الشّورى» و هي مكّيّة لتأكيد أمر القربى.

و لا يخفى على القارئ الخبير أنّ سورة «الإسرآء» هي السّورة الخمسون نزولاً، و سورة «الشّورى» هي السّورة الثّانية و السّتّون نزولاً، و سورة «الرّوم» هى السّورة الرّابعة و الثّمانون نزولاً، فكلّها مكّيّة بلا خلاف، و لكن كثيراً من مفسّري الفريقين يقولون: إنّ آية فدك في سورة «الإسرآء» مدنيّة إذ لا غرو أن تكون الآية المدنيّة في السّورة المكّيّة.

فالقول بأنّ سورتي «الإسرآء» و «الرّوم» مكّيّتان، و أنّ فدك، إنّما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة، فلا يمكن الجمع، مردود لما ذكرناه آنفاً.

فكذلك توهّم بعض متفسّري العامّة: «أنّ سورة «الإسرآء» نزلت في وقت كان فيه معظم أقارب النّبيّ ﴿صلی‌الله‌علیه‌وآله﴾ كفّاراً أوّلاً، و لم تكن قرية فدك قد فتحت لأنّ ذلك إنّما تمّ في السّنة السّابعة من الهجرة، و لم يثبت أنّ النّبيّ ﴿صلی‌الله‌علیه‌وآله﴾ أعطاها لفاطمة ﴿علیهاالسلام﴾ ثانياً».

فإنّه مردود بنفس كلامه في أوّل هذه السّورة بأنّه: «قد روى أنّ الآيات (٢٦ و ٣٢ و ٣٣ و ٥٧ و ٧٣ و ٨٠) مدنيّات. ثمّ قال: «و لقد ذكر المصحف الّذي اعتمدناه: أنّ الآيات: (٢٦ و ٣٢ و ٣٣) من السّلسلة مدنيّات. ثمّ قال: و لمّا كانت جملة «ذا القربى» في الآية (٢٦) فإنّنا نرجح أنّ رواية مدنيّتها قد لفقت لتأييد التّأويل الشّيعيّ للجملة».

أقول: و لا خلاف بين العامّة: أنّه ليس المراد بالقربى في آية المودّة أبالهب و أباسفيان و أباجهل و أضرابهم، و قد نزلت آية المودّة في سورة «الشّورى» و هي مكيّة، و قد كان معظم أقارب النّبي ﴿صلی‌الله‌علیه‌وآله﴾ كفّاراً، فليس المراد بالقربى في آية المودّة، و لا في آيتي فدك أقارب النّبيّ الكريم عموماً كما توهّم هذا المتفسّر.

و في **تفسير الكشّاف:** قال: سورة «الإسرآء» مكّيّة إلاّ الآيات (٢٦ و ٣٢ و ٣٣ و

٥٧) و من آية (٧٣ ـ إلى غاية ـ ٨٠) و قد ذكر ذلك كثير من مفسّري العامّة منهم:

في تفسير الجلالين: سورة «الإسراء» مكّيّة إلاّ الآيات (٢٦ و ٣٢ و ٥٧) و من آية (٧٣ ـ إلى غاية ـ ٨٠) فدنيّة».

و **في تفسير روح المعاني**: و عن الحسن ـ انّ السّورة مكّيّة ـ إلاّ خمس آيات: «و لا تقتلوا النّفس...» الآية و «و لا تقربوا الزّنا...» الآية و «اولئك الّذين يدعون...» الآية، و «أقم الصّلاة...» الآية و «و آت ذا القربى حقّه...» الآية و قال قتادة إلاّ ثماني آيات قوله تعالى: «و إن كانوا ليفتنونك ـ إلى آخر هنّ».

أقول: و لا يخفى على من له الدّراية: أن كثيراً من السّور المكّيّة تكون فيها آيات مدنيّة و بالعكس، و أنّ الإسمين مبنيّان على الغالب.

و قال بعض المعاصرين: إنّ المراد بقوله تعالى: «ذا القربى» صاحب القرابة الأدنى، و الأولى، و الأولى بالرّسول «صلى الله عليه و آله» نسبيّاً و رساليّاً أن يؤتي حقّه روحيّاً و ماليّاً كما أتى فدكاً لأقرب ذوي قرباه فاطمة سلام الله عليها، و وصّىٰ فيها خيراً: «فاطمة بضعة منّي و أنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، و من آذاني فقد آذى الله» مؤنة ماليّة لكي تستغني هي و زوجها، و الأئمّة المعصومون عليهم السلام من ولدها، معونة في بثّ الرّسالة الإسلاميّة، و معونة روحيّة تعرفها بها الأمّة المرحومة.

و إنّه عليّ «عليه السلام» حتّى آتى حقّه من التّربيّة في حضنه و حضانته لحدّ قال: «ولدني رسول الله «صلى الله عليه و آله»» و زوّجه بضعته فاطمة إذ لم يحق لها غيره، و لم تحق له غيرها، ثمّ آتاه حقّ الوصاية و الخلافة.

كما و آتى عترته المعصومين عليهم السلام حقوقهم أن جعلهم خلفاءه من بعده تلو بعض، إنّ ذوي القربى المأمور بايتائهم في القرآن كثيرون حيث يؤمر المكلّفون بايتائهم و الإنفاق عليهم، و لكن ذي القربى المأمور بايتائه في أمر شخصيّ ليس إلاّ هنا: «سورة الإسراء» و في الرّوم... و مكّيّة الآية في السّورتين لا تنافي القرابة الخاصّة، حيث أخذ في الايتاء منذ مكّة لعليّ و فاطمة عليهما السّلام تربويّاً، و حتّى المدينة ايتاءً لفدكها و خلافته «عليه السلام» أو تكون إحداهما مكّيّة، و الأخرى مدنيّة، و مكّيّة السّورة لا تنافي مدنيّة

آية أو آيات منها.

و لا نجد في آيات ذوي القربى ـ كما اليتامى و المساكين و ابن السّبيل ـ حقّاً خاصّاً لذي القربى إلاّ هنا: «سورة الإسراء» و في «الرّوم» في خصوص قربى الرّسول «صلى الله عليه وآله» إذاً فلهم حقّ خاصّ ليس لسائر ذوي القربى أمن ذا، يعبّر عنه هنا بـ«حقّه» في آيات (آية ظ) المودّة: «إلاّ المودّة في القربىٰ» ما يختصّهم بحقّ لا يشاركهم فيه أحد من العالمين، فليس إذاً من الحقوق الماليّة فقط، حيث يشاركهم غيرهم كما في آيات ذوي القربى أم من ذا؟

فإنّما هو حقّ من بيت الرّسالة الإسلاميّة هو استمراريّتها في خلافتها المجيدة، مهما شمل بطيّاته حقّاً ماليّاً للصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها كفدك هي بلغتها و بلغة زوجها و أولادها المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين كمعونة لبيت الرّسالة فإنّ دنياهم آخرة» انتهى كلامه.

في تفسير العيّاشي: عن عبدالرّحمن عن أبي عبدالله «عليه السلام» قال: لمّا أنزل الله: «فآت ذا القربى حقّه و المسكين» قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا جبرئيل قد عرفت المسكين، فمن ذوي القربى؟ قال: هم أقاربك، فدعى حسناً و حسيناً و فاطمة، فقال: إنّ ربّي أمرني أن أعطيكم ممّا أفاء علىّ، قال: أعطيتكم فدكاً».

و فيه: عن أبان ابن تغلب قال: قلت لأبي عبدالله «عليه السلام»: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أعطى فاطمة «عليها السلام» فدكاً قال: كان وقفها، فأنزل الله: «و آت ذا القربى حقّه» فأعطاها رسول الله «صلى الله عليه وآله» حقّها، قلت: رسول الله «صلى الله عليه وآله» أعطاها؟ قال: بل الله أعطاها».

و فيه: عن أبان ابن تغلب قال: قلت لأبي عبدالله «عليه السلام»: أكان رسول الله أعطى فاطمة فدكاً؟ قال: كان لها من الله».

و فيه: عن عطيّة العوض قال: لمّا افتتح رسول الله «صلى الله عليه وآله» خيبر، و أفاء الله عليه فدك و أنزل عليه: «و آت ذا القربى حقّه» قال: يا فاطمة لك فدك».

و فيه: عن أبي الطّفيل عن عليّ «عليه السلام» قال: قال يوم الشّورى: أفيكم أحد تمّ نوره من السّماء حين قال: «و آت ذا القربى حقّه و المسكين»؟ قالوا: لا».

و في التبيان: قال الشّيخ الطّوسي رضوان الله تعالى عليه في قوله سبحانه: «و آت ذا

القربى حقّه» و هو أمر من الله لنبيّه «صلى الله عليه وآله» أن يعطي ذوي القربى حقوقهم الّتي جعلها الله لهم، فروى عن ابن عبّاس و الحسن: انّهم قرابة الإنسان. و قال عليّ بن الحسين «عليه السلام»: هم قرابة الرّسول «صلى الله عليه وآله» و هو الّذي رواه أيضاً أصحابنا. و روي: أنّه لمّا نزلت هذه الآية استدعى النّبيّ «صلى الله عليه وآله» فاطمة «عليها السلام» و أعطاها فدكاً و سلّمه (سلّمها ظ) إليها، و كان وكلاؤها فيها طول حياة النّبي «صلى الله عليه وآله» فلمّا مضى النّبيّ «صلى الله عليه وآله» أخذها أبوبكر، و دفعها عن النّحلة. و القصّة في ذلك مشهورة، فلمّا لم يقبل بيّنتها، و لا قبل دعواها طالبت بالميراث لأنّ من له الحقّ إذا منع منه من وجه، جاز له أن يتوصّل إليه بوجه آخر، فقال لها: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «نحن معاشر الأنبيآء لا نورّث ما تركناه صدقة» فمنعها الميراث أيضاً، و كلاهما في ذلك مشهور».

و في **تفسير القمّي**: في قوله تعالى: «و آت ذا القربى حقّه و المسكين و ابن السّبيل» يعني قرابة رسول الله «صلى الله عليه وآله» و نزلت في فاطمة «عليها السلام» فجعل لها فدك، و المسكين من ولد فاطمة و ابن السّبيل من آل محمّد و ولد فاطمة».

و في **تفسير كشف الأسرار**: قال السّدّي في قوله تعالى: «و آت ذا القربى حقّه» يعني ذا القربى من رسول الله «صلى الله عليه وآله» في النّسب، و إليه ذهب عليّ بن الحسين بن عليّ «عليه السلام» روي: أنّ عليّ بن الحسين «عليه السلام» قال لرجل من أهل الشّام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أفما قرأت في سورة بني إسرائيل: «و آت ذا القربى حقّه» قال: و إنّكم للقرابة الّذي أمر الله أن يؤتى حقّه؟ قال: نعم».

و في **شواهد التّنزيل**: للحاكم الحسكاني الحنفي ـ و هو من أعلام العامّة في القرن الخامس ـ بإسناده عن أبي سعيد قال: لمّا نزلت: «و آت ذا القربى حقّه» أعطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فاطمة فدكاً».

و فيه: بإسناده عن أبي سعيد قال: لمّا نزلت هذه الآية: «و آت ذا القربى حقّه» دعا النّبيّ «صلى الله عليه وآله» فاطمة و أعطاها فدكاً».

و فيه: بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «و آت ذا القربى حقّه» دعا فاطمة فأعطاها فدكاً، و العوالي، و قال: هذا قسم قسمه الله لك لعقبك».

و فيه: بإسناده عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن عليّ بن الحسين عن أبيه عن عليّ«عليه السلام» قال: لمّا نزلت: «و آت ذا القربى حقّه» دعا رسول الله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدكاً».

و في الدرّ المنثور: أخرج البزار و أبويعلى و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت هذه الآية: «و آت ذا القربى حقّه» دعا رسول الله«صلى الله عليه و آله» فاطمة فأعطاها فدكاً».

و فيه: و أخرج ابن مردوية عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت «و آت ذا القربى حقّه» أقطع رسول الله«صلى الله عليه و آله» فاطمة فدكاً».

و في معارج النبوّة: (ج ١ ص ٢٢٧ ط لكنهو) للكاشفي ـ و هو من أعلام العامّة ـ «لمّا نزل جبرئيل إلى رسول الله«صلى الله عليه و آله» بقوله تعالى: «و آت ذا القربى حقّه» قال رسول الله«صلى الله عليه و آله»: من ذو القربى؟ و ما حقّه؟ قال: هو فاطمة فأعطها فدكاً».

و في تفسير الثّعلبي: بإسناده عن عليّ بن الحسين«عليه السلام» قال: «نحن ذو القربى».

و في تفسير الطّبري: بإسناده عن السّدي عن أبي الدّيلم قال: قال عليّ بن الحسين«عليهما السلام» لرجل من أهل الشّام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أفما قرأت في بني إسرائيل: «و آت ذا القربى حقّه»؟ قال: و إنّكم للقرابة الّتي أمر الله جلّ ثناؤه أن يؤتى حقّه؟ قال: نعم».

و في كتاب مناقب الإمام أميرالمؤمنين«عليه السلام» للحافظ محمد بن سليمان الكوفي ـ و هو من أعلام القرن الثّالث ـ حديث ٦٧٤) بإسناده عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمّد قال: لمّا نزلت هذه الآية: «و آت ذا القربى حقّه» الإسراء: ٢٦) قال: دعا رسول الله«صلى الله عليه و آله» فاطمة فأعطاها فدكاً».

و في روح المعاني: قال الآلوسي مفتي بغداد في تفسير قوله تعالى: «و آت ذا القربى»: أي ذا القرابة منك «حقّه» الثّابت له».

ثمّ قال: «و قيل: المراد بذي القربى أقارب الرّسول«صلى الله عليه و آله» و روي ذلك عن السّدي، و أخرج ابن جرير عن عليّ بن الحسين رضي الله تعالى عنهما: أنّه قال لرجل من أهل الشّام:

أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أفما قرأت في بني إسرآئيل: «فآت ذا القربى حقّه؟» قال: و إنّكم القرابة الّذي أمر الله تعالى أن يؤتى حقّه؟ قال: نعم. و رواه الشّيعة عن الصّادق رضي الله تعالى عنه، و حقّهم توقيرهم و إعطآؤهم الخمس. و ضعف بأنّه لا قرينة على التّخصيص، و أُجيب بأنّ الخطّاب قرينة، و فيه نظر، و ما أخرجه البزار و أبويعلى و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري من أنّه لمّا نزلت هذه الآية دعا رسول الله «صلى الله عليه و آله» فاطمة فأعطاها فدكاً لا يدلّ على تخصيص الخطّاب به عليه الصّلاة و السّلام على أنّ في القلب من صحّة الخبر شيئ بنآء على أنّ السّورة مكّيّة، و ليست هذه الآية من المستثنيات، و فدك لم تكن إذا ذاك تحت تصرّف رسول الله «صلى الله عليه و آله» بل طلبها رضي الله تعالى عنها ذلك إرثاً بعد وفاته عليه الصّلاة و السّلام كما هو المشهور يأبى القول بالصّحة كما لا يخفى» انتهى كلامه.

أقول: إنّ تشكيك الآلوسي مردود بوجوه:

منها: أنّه لا تنافي مدنيّة الآية، مكّيّة السّورة و بالعكس، فإنّ كثيراً من الآيات المدنيّة جآئت في السّور المكّيّة، و بالعكس.

و منها: أنّ الآلوسي ذكر في أوّل تفسير سورة «الإسرآء» قول الحسن و قتادة: إنّ هذه الآية: «و آت ذا القربى حقّه» من المستثنيات، فكأنّه نسي ما ذكره.

و منها: لو سلّمنا كون الآية مدنيّة، لشرّع حكم فدك قبل الهجرة لأهمّيّة أمر القربى و تأكيده.

و منها: أنّ أبابكر لمّا لم يقبل بيّنة الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها، و لا قبل دعواها طالبت بالميراث، و ذلك يجوز لأنّ من له الحقّ إذا منع منه من وجه جاز له أن يتوصّل إليه بوجه آخر.

و في تفسير المجمع: و قيل: إنّ المراد قرابة الرّسول «صلى الله عليه و آله» عن السّدي قال: إنّ عليّ بن الحسين «عليه السلام» قال لرجل من أهل الشّام حين بعث به «عليه السلام» عبيدالله بن زياد إلى يزيد بن معاوية: أقرأت القران؟ قال: نعم، قال: أما قرأت «و آت ذي القربى حقّه»؟ قال: و انّكم ذو القربى الّذي أمر الله أن يؤتى حقّه؟ قال: نعم» و هو الّذي رواه أصحابنا عن الصّادقين

عليهما السلام. و أخبرنا السّيّد أبوالحمد مهديّ ابن نزار الحسيني قراءة قال: حدّثنا أبوالقاسم عبيد الله بن عبدالله الحسكاني، قال: حدّثنا الحاكم الواحد أبو محمّد قال: حدّثنا [عبدالله] عمر بن أحمد بن عثمان ببغداد شفاهاً قال: أخبرني عمر بن الحسن بن عليّ بن مالك قال: حدّثنا جعفر بن محمّد الأحمسي قال: حدّثنا حسن بن حسين، قال: حدّثنا أبو معمر سعيد بن خثيم، و عليّ بن القاسم الكندي، و يحي بن يعلى، و عليّ بن مسهر عن فضل بن مرزوق عن عطيّة العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزل قوله: «و آت ذا القربى حقّه» أعطى رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فاطمة فدكاً» قال عبدالرّحمن بن صالح: كتب المأمون إلى عبدالله بن موسى يسئله عن قصّة فدك، فكتب إليه عبدالله بهذا الحديث رواه الفضيل بن مرزوق عن عطيّة، فردّ المأمون فدكاً إلى ولد فاطمة ﴿عليها السلام﴾».

و في العيون: باب ذكر مجلس الإمام عليّ بن موسى الرّضا ﴿عليه السلام﴾ مع المأمون في الفرق بين العترة و الأمّة ـ بإسناده عن الرّيّان بن الصّلت ـ حديث طويل ـ و فيه قالت العلمآء: أخبرنا هل فسّر الله تعالى الإصطفآء في الكتاب؟ فقال الرّضا ﴿عليه السلام﴾: فسّر الإصطفآء في الظّاهر سوى الباطن في اثنى عشر موطناً و موضعاً، فأوّل ذلك قوله عزّوجلّ ـ إلى أن قال ﴿عليه السلام﴾ ـ: و الآية الخامسة قول الله تعالى: «و آت ذا القربى حقّه» خصوصيّة خصّهم الله العزيز الجبّار بها، و اصطفاهم على الأمّة، فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ قال: ادعوا لي فاطمة، فدُعيت له، فقال ﴿صلى الله عليه وآله﴾: يا فاطمة! قالت: لبّيك يا رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾، فقال: هذه فدك، هي ممّا لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب، و هي لي خاصّة دون المسلمين، فقد جعلتها لك لما أمرني الله به، فخذيها لك و لولدك، فهذه الخامسة...» الحديث.

قوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «لم يوجف» من الايجاف: السّير الشّديد. قال الله تعالى: «و ما أفآء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركاب» الحشر: ٦) أي و الّذي أرجعه الله تعالى وردّه على رسوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ من أموال بني النّضير ـ و الفيء ما أخذ من أموال الكفّار من غير قتال و ذلك خاصّة برسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ـ فلم تسيروا أيّها المؤمنون مسيرة على ما أفاء الله تعالى تحتاج إلى ركوب فرس و لا إبل، و لم تقاتلوا عليه إذ كان القوم قريباً منكم،

فمشيتم إليهم بأقدامكم، و قد استسلموا لكم بغير قتال، فلم تحصلوا أموالهم بالقتال و الغلبة عليهم.

و في اصول الكافي: بإسناده عن عبد الحميد بن أبي الدّيلم عن أبي عبدالله «عليه السلام» - حديث طويل - قال «عليه السلام»: قال جلّ ذكره: «و آت ذا القربى حقّه» و كان عليّ «عليه السلام» و كان حقّه الوصيّة الّتي جعلت، و الإسم الأكبر، و ميراث العلم و آثار علم النّبوّة».

أقول: قال الفيض رحمة الله تعالى عليه في تفسير «الصّافي» بعد نقل هذا الحديث: أقول: لا تنافي بين هذا الحديث و الأحاديث السّابقة، و لا بينهما و بين تفسيرى العامّة و لا بين تفسيريهم كما يظهر للمتدبّر العارف بمخاطبات القرآن، و معنى الحقوق و من الّذي له الحقّ و من الّذي لا حقّ له و الحمد لله» انتهى كلامه.

﴿معنى فدك و مكانها﴾

في لسان العرب: فَدَّكَ القُطْنَ تفديكاً: نقشه. فَدَكٌ: موضع بالحجاز. الأزهري: فدك: قرية بخيبر، و قيل: بناحية الحجاز فيها عين و نخل أفآءها الله على نبيّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾.

و في قاموس اللغة و تاج العروس: فَدَك ـ محرّكة ـ بخيبر، فيها نخل و عين أفآءها الله على نبيّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾.

و في أقرب الموارد: فَدَّكَ القُطْنَ: نقشه، و فَدَّك فلاناً القُطْنَ: جعله ينقشه. فَدَك: اسم قرية بخيبر.

و في مجمع البحرين: فَدَك ـ بفتحتين ـ: قرية من قرى اليهود بينها و بين مدينة النبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ يومان، و بينها و بين خيبر دون مرحلة. و هي ما أفآء الله رسوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ منصرف و غير منصرف. و كانت لرسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ لأنّه فتحها هو و أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ لم يكن معهما أحد فزال عنها حكم الفئ، و لزمها اسم الأنفال.

فلمّا نزل: «فآت ذا القربى حقّه» أي اعط فاطمة ﴿عليها السلام﴾ فدكاً، أعطاها رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ إيّاها، و كانت في يد فاطمة ﴿عليها السلام﴾ إلى أن توفّى رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فأخذت من فاطمة ﴿عليها السلام﴾ بالقهر و الغلبة. و قد حدّها عليّ ﴿عليه السلام﴾: حدّ منها جبل أُحد، و حدّ منها عريش مصر، و حدّ منها سيف البحر، و حدّ منها دومة الجندل يعني: الجوف».

عن أبي بصير عن أبي عبدالله ﴿عليه السلام﴾ قال: قلت له: لِمَ لَم يأخذ أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ فدكاً لمّا ولى النّاس، و لأيّ علّة تركها؟ فقال: لأنّ الظّالم و المظلوم قد كان قدما على الله تعالى،

فأثاب الله المظلوم، و عاقب الظّالم فكره أن يسترجع شيئاً قد عاقب عليه غاصبه، و أثاب عليه المغصوب».

و قال الإمام موسى بن جعفر «عليه السلام» ـ في عدم استرجاع أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» فدكاً في خلافته ـ: «لأنّا أهل البيت لا يأخذ لنا حقوقنا ممّن ظلمنا إلاّ هو ـ يعني الله تعالى ـ و نحن أولياء المؤمنين، إنّما نحكم لهم، و نأخذ حقوقهم ممّن ظلمهم و لا نأخذ لأنفسنا».

و في **معجم البلدان**: فدك ـ بالتّحريك ـ و آخره كاف، قال ابن دريد: فدكتُ القُطنَ تفديكاً: إذا نقشته، و فَدَك: قرية بالحجاز، بينها و بين المدينة يومان، و قيل: ثلاثة، أفاءها الله على رسوله «صلى الله عليه و آله» في سنة سبع صلحاً، و ذلك أنّ النّبيّ «صلى الله عليه و آله» لمّا نزل خيبر، و فتح حصونها، و لم يبق إلاّ ثلث، و اشتدّ بهم الحصار، و راسلوا رسولَ الله «صلى الله عليه و آله» يسئلونه أن ينزلهم على الجلاء و فعل، و بلغ ذلك أهل فدك، فأرسلوا إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» أن يصالحهم على النّصف من ثمارهم و أموالهم، فأجابهم إلى ذلك، فهي ممّا لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب فكانت خالصة لرسول الله «صلى الله عليه و آله»، و فيها عين فوّارة و نخيل كثيرة، و هي الّتي قالت فاطمة رضي الله عنها: إنّ رسول الله «صلى الله عليه و آله» نحلنيها، فقال أبوبكر: أريد لذلك شهوداً، و لها قصّة...»

و اعلم أنّ فدكاً كانت أرضاً زراعية وسيعة يهودية تقع بالقرب من خيبر يسكنها طائفة من اليهود حتّى السّنة السّابعة حيث قذف الله تعالى بالرّعب في قلوب أهليها فصالحوا رسول الله «صلى الله عليه و آله» على النّصف من فدك أو كلّها، فصارت ملكاً لرسول الله «صلى الله عليه و آله» خاصّة لأنّها لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب ثمّ آتاها لابنته الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها بأمر من الله تعالى مرّتين، و كانت بيدها في عهد أبيها و بعد وفاته «صلى الله عليه و آله» و كانت وضعت عليها وكيلاً عنها فانتزعها أبوبكر ابن أبي قحافة غصباً و ظلماً و طرّد وكيلها قهراً و جبراً بعد قلآئل من أيام وفاة رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فكانت فدك غير خيبر و لا قرية من قرى خيبر كما زعم بعضهم.

و في **فتوح البلدان**: للبلاذري قال: «لمّا فتح رسول الله «صلى الله عليه و آله» خيبر و لم يبق غير

ثلاثة حصون، خاف اليهود خوفاً شديداً، فصالحوا النّبيّ«صلى الله عليه و آله» على الجلاء و حقن الدّمآء، و فقبل النّبيّ«صلى الله عليه و آله» منهم، و لمّا بلغ أهل فدك ذلك أرسل رئيسهم يوشع بن نون اليهودي إلى رسول‌الله«صلى الله عليه و آله» بالصّلح على أن يعطيه فدك و يؤمنه قومه، و على أن يعمل بها في نخيلها بأن يكون لهم نصف الثّمن، ثمّ إن شآء رسول‌الله«صلى الله عليه و آله» أبقاهم و إن شآء أجلاهم، فرضي«صلى الله عليه و آله» و كانت فدك خالصة لرسول‌الله«صلى الله عليه و آله» لأنّها ممّا أفاء الله بها على رسوله«صلى الله عليه و آله» حيث لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب».

و في **معجم البلدان**: لياقوت الحموي، قال ـ في مادّة فدك ـ: أصحّ ما ورد عندي في ذلك ما ذكره أحمد بن جابر البلاذري في كتاب الفتوح له (أي فتوح البلدان: ص ۳٦) فإنّه قال: بعث رسول‌الله«صلى الله عليه و آله» بعد منصرفه من خيبر إلى أرض فدك مُحَيِّصة بن مسعود، و رئيس فدك يومئذ يوشع بن نون اليهودي يدعوهم إلى الإسلام، فوجدهم مرعوبين خائفين لما بلغهم من أخذ خيبر، فصالحوه على نصف الأرض بتربتها، فقبل ذلك منهم و أمضاه رسول‌الله«صلى الله عليه و آله» و صار خالصاً له لأنّه لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب، فكان يصرف ما يأتيه منها في أبنآء السّبيل.

أقول: حتّى أمر الله تعالى بإيتاء رسول‌الله«صلى الله عليه و آله» فدكاً ابنته فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها، إذ كانت حقّاً لها.

و قيل: فدك واحة في الحجاز على مقربة من خيبر، كان أهلها من المزار عين اليهود اشتهرت قديماً بثمرها و قمحها، أرسل النّبيّ«صلى الله عليه و آله» عليّاً«عليه السلام» على رأس ماة من رجاله لمحاربتهم، ثمّ صالحهم على أملاكهم سنة (۷ هـ) فوهبها لفاطمة الزّهرآء«عليها السلام» و جعلت فاطمة عاملها فيها، و بعد وفاة الرسول«صلى الله عليه و آله» طرف عاملها و صادروها.

و في **اللمعة البيضآء** في شرح خطبة الزّهرآء سلام‌الله عليها: ـ فصل في ذكر فدك و العوالي ـ قال: «و أمّا الكلام في ذكر فدك و العوالي و غصبها عنها سلام‌الله عليها فهو: أنّ العوالي جمع العالية، و هي من الأراضي في الشّهرة العرفيّة ـ على ما في الصّحاح ـ: ما فوق نجد إلى أرض تهامة و إلى ماورآء مكّة و هي الحجاز وماوالاها، و النّسبة إليها عالي، و يقال أيضاً: عُلْويّ على غير قياس، يقال: عالي الرّجل و أعلى إذا أتى عالية نجد، و كذا في

صراح اللغة. و قال في المجمع: و فيه أي في الخبر: العالية و العوالي، و هي قُرى بـأعلى أراضي المدينة و أدناها من المدينة على أربعة أميال، و أبعدها من جهة نجد ثمانية أميال، و النّسبة إليها عُلْويّ على غير القياس و قيل: العوالي ضيعة عامر بينها و بين المدينة ثلاثة أميال.

و في **المغرب** ـ نقلاً عنه ـ العوالي: موضع على نصف فرسخ من المدينة، و قال في النّهاية ـ و ذكر العالية و العوالي في غير موضع من الحديث ـ: و هي أماكن بأعلى أراضي المدينة و النّسبة إليها علويّ على غير قياس، و أدناها من المدينة على أربعة أميال، و أبعدها من جهة نجد ثمانية أميال، و منه حديث ابن عمر: «جآء أعرابيّ علويّ جافّ».

قال صاحب اللمعة البيضآء: و الظّاهر من الأخبار: أنّ العوالي أيضاً كانت للنّبيّ المختار ﴿صلى الله عليه وآله﴾ دون سائر المسلمين مثل فدك على ما يأتي تفصيله، و أنّ النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أعطاها أيضاً لفاطمة ﴿عليها السلام﴾ في حياته بعد إعطآء فدك لها، و أنّ الخلفآء لمّا غصبوا فدك غصبوها أيضاً معاً، و لكن لم يجر للعوالي ذكر كثير في الأخبار عند القدح على الخلفآء الأشرار، أعداء الملك الجبّار، و لعلّ ذلك من جهة كونها تابعة لفدك و كونها أقلّ منفعة منها، فلم يعتنوا بذكرها و استغنوا بذكر فدك عنها، فلم يجر لها ذكر بخصوصها، و نحن أيضاً نكتفي في خصوص العوالي بالجملة الّتي ذكرنا، و نفصّل الكلام في تحقيق حال فدك، فيعلم في ضمنه ما يتعلّق بها.

و في **اللمعة البيضآء**: و روي أنّ النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ لمّا فتح خيبر أرسل عليّاً إلى فدك، فصالح أهلها معه ﴿عليه السلام﴾ بأن يكون نصف أراضي فدك لرسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ مع الحوائط و الأبنية العالية الموجودة فيها، فصالح ﴿عليه السلام﴾ معهم على هذا فنزل جبرئيل ﴿عليه السلام﴾ بقوله تعالى: «فآت ذا القربى حقّه» فقال ﴿صلى الله عليه وآله﴾: مَن ذا (ذو – خ) القربى؟ و ما حقّه؟ قال جبرئيل: ذا (ذو – خ) القربى فاطمة ﴿عليها السلام﴾، و حقّها ما كان لك من أراضي فدك و حوائطها، فكتب ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بذلك صكّاً و وثيقة و جعلها لفاطمة ﴿عليها السلام﴾، و هذه الوثيقة هي الّتي أتت بها فاطمة إلى أبي‌بكر حين غصب فدكاً بعد رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾.

و فيه: و روي عن الباقر ﴿عليه السلام﴾: أنّه لمّا فرغ النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ من أمر خيبر أراد إرسال

الجيش إلى قلاع فدك، فعقد لواءً، و قال: من يأخذ هذا اللوآء؟ فقام الزّبير، فردّه النّبيّ«صلى الله عليه و آله» ثمّ قام سعد فردّه أيضاً، و قال«صلى الله عليه و آله»: قم يا عليّ فإنّ هذا حقّك، فأخذ عليّ«عليه السلام» اللواء و صار إلى فدك، و صالح معهم على أن يحقن دمآئهم و يكون أموالهم للنّبيّ«صلى الله عليه و آله» فصار قلاعهم و بلادهم و مزارعهم و بساتينهم للنّبيّ«صلى الله عليه و آله» دون أن يكون للمسلمين حقّ فيها لأنّها ممّا لم يوجف عليها من خيل و لا ركاب، فنزل جبرئيل بقوله تعالى: «فآت ذا القربى حقّه...» الآية فقال«صلى الله عليه و آله»: من ذو القربى؟ و ما الحقّ؟ قال جبرئيل: ذو القربى فاطمة«عليها السلام»، و حقّها فدك، فطلب فاطمة و كتب بذلك وثيقة و أعطاها فدكاً، فلمّا مضى«صلى الله عليه و آله» غصبها عنها أبوبكر و عمر...» الخبر.

و في **الاختصاص**: عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق«عليه السلام»: «إنّ أمّ أيمن شهدت عند أبي‌بكر و عمر بأنّي كنت يوماً في منزل فاطمة و رسول‌الله«صلى الله عليه و آله» جالس، فنزل جبرئيل و قال: يا محمّد قم بأمر الله سبحانه، فإنّ الله أمرني بأن أخطّ لك بجناح ملك فدك، و أعرفها لك و اسخّرها منك، فقال«صلى الله عليه و آله» و ذهب ثمّ رجع، فقالت فاطمة«عليها السلام»: إلى أين ذهبت يا أبه؟ قال: إنّ جبرئيل خطّ لي أملاك فدك بجناحه، و عرّفني حدودها، و أمرني أن أُسلّمها لك فسلّمها«صلى الله عليه و آله» إيّاها و أشهدني على ذلك مع عليّ‌بن أبيطالب«عليه السلام».

و في **البحار و الخرآئج**: روي عن أبي عبدالله«عليه السلام»: أنّ أباعبدالله«عليه السلام» قال: إنّ رسول‌الله«صلى الله عليه و آله» خرج في غزاة، فلمّا انصرف راجعاً نزل في بعض الطريق، فبينا (فبينما خ) رسول‌الله«صلى الله عليه و آله» يطعم و النّاس معه إذ أتاه جبرئيل، فقال: يا محمّد! قم فاركب، فقام النّبيّ فركب و جبرئيل معه، فطُويت له الأرض كطيّ الثّوب حتّى انتهى إلى فدك، فلمّا سمع أهل فدك وقع الخيل ظنّوا أنّ عدوّهم قد جآءهم فغلقوا أبواب المدينة و دفعوا المفاتيح إلى عجوز لهم في بيت لهم خارج المدينة (من المدينة خ) و لحقوا برؤس الجبال، فأتى جبرئيل العجوز حتّى أخذ المفاتيح، ثمّ فتح أبواب المدينة، و دار النّبيّ«صلى الله عليه و آله» في بيوتها و قرأها (و داراتها خ).

فقال جبرئيل: يا محمّد! هذا ما خصّك الله به و أعطاك (أعطاكه خ) دون النّاس و هو قوله تعالى: «ما أفآء الله على رسوله من أهل القرى فلله و للرّسول و لذى القربى» الحشر:

٧) و ذلك قوله: «فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركاب و لكنّ الله يسلّط رسله على من يشآء» الحشر:٦) ولم يعرف المسلمون ولم يطؤوها، ولكنّ الله أفآءها على رسوله ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ و طوّف به جبرئيل في دورها و حيطانها، و غلّق الباب و دفع المفاتيح إليه، فجعلها رسول الله ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ في غلاف سيفه و هو معلّق بالرّحل، ثمّ ركب، و طويت له الأرض كطيّ الثّوب، ثمّ أتاهم (فأتاهم خ) رسول الله ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ و هم على مجالسهم، و لم يتفرّقوا و لم يبرحوا، فقال رسول الله ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ للنّاس: قد انتهيت إلى فدك، و إنّي قد أفاءها الله عَلَيَّ.

فغمز المنافقون بعضهم بعضاً، فقال رسول الله ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾: هذه مفاتيح فدك، ثمّ أخرج (أخرجها خ) من غلاف سيفه، ثمّ ركب رسول الله ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ و ركب معه النّاس، فلمّا دخلوا المدينة دخل ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ على فاطمة ﴿عَلَيْهَا السَّلَامُ﴾، و قال: يا بنيّة! إنّ الله قد أفآء على أبيك بفدك و اختصّه بها، فهي له خاصّة دون المسلمين (المؤمنين خ) أفعل بها ما أشآء، و إنّه قد كان لأُمّك خديجة على أبيك مهر، و إنّ أباك قد جعلها لك، لك بذلك، و نحلتكها تكون لك (و أنحلتكها لك خ) (و أنحلها لك خ) و لولدكِ بعدكِ.

فدعا بأديم عكاظي، و دعا عليّ بن أبيطالب ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ فقال: اكتب لفاطمة ﴿عَلَيْهَا السَّلَامُ﴾ بفدك نحلة من رسول الله ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ فشهد على ذلك عليّ بن أبيطالب ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ و مولى لرسول الله و أمّ أيمن، فقال رسول الله ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾: إنّ أُمّ أيمن امرأة من أهل الجنّة، و جآء أهل فدك إلى النّبيّ ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ فقاطعهم على أربعة و عشرين ألف دينار في كلّ سنة».

و في رواية اخرى: سبعين ألف دينار.

و في شرح ابن أبي الحديد: قال ـ بعد ذكر مصالحة فدك مع أهلها على النّصف ـ: فلم يزل الأمر كذلك حتّى أخرجهم عمر و أجلاهم بعد أن عوّضهم على النّصف الآخر الّذي كان لهم عوضاً عن إبل و غيرها.

و في المناقب لابن شهر آشوب السّرويّ المازندراني رضوان الله تعالى عليه: نزل النّبي ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ على فدك يحاربهم، ثمّ قال لهم: و ما يأمنكم أن تكونوا آمنين في هذا الحصن و أمضي إلى حصونكم فأفتحها؟ فقالوا: إنّها مقفلة و عليها ما يمنع عنها، و مفاتيحها عندنا، فقال ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾: إنّ مفاتيحها دُفِعت إليّ، ثمّ أخرجها و أراه القوم، فاتّهموا ديّانهم أنه صبا ـ

أي مال ـ إلى دين محمّد، و دفع المفاتيح إليه، فحلف أنّ المفاتيح عنده، و أنّها في سفط ـ أي في تابوت صغير ـ في صندوق في بيت مقفل عليه، فلمّا فتّش عنها ففقدت، فقال الدّيان: لقد أحرزتها و قرأتُ عليها من التّوراة، و خشيتُ من سحره، و أعلم الآن أنّه ليس بساحر، و أنّ أمره لعظيم.

فرجعوا إلى النّبيّ ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و قالوا: من أعطاكها؟ قال: أعطاني الّذي أعطى موسى الألواح: جبرئيل، فتشهّد الدّيّان، ثمّ فتحوا الباب و خرجوا إلى رسول‌الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و أُسلم منهم، فأقرّهم في بيوتهم، و أخذ منهم أخماسهم، فنزل: «و آت ذا القربى حقّه» قال: و ما هو؟ قال: أعط فاطمة فدكاً، و هي من ميراثها من اُمّها خديجة، و من أختها هند بنت أبي هالة، فحمل إليها النّبيّ ﴿صلى الله عليه و آله﴾ ما أخذ منه، و أخبرها بالآية، فقالت: لستُ أحدث فيها حدثاً و أنت حيّ، أنت أولى بي من نفسي و مالي لك، فقال: أكره أن يجعلوها عليكِ سُبّة، فيمنعوك إيّاها من بعدي.

فقالت: أنفذ فيها أمرك، فجمع النّاس إلى منزلها و أخبرهم: أنّ هذا المال لفاطمة ﴿عليها السلام﴾ ففرّقه فيهم، و كان كلّ سنة كذلك، و يأخذ منه قوتها، فلمّا دنا وفاته دفعه إليها».

قوله: «سَبّة» العار.

و في **تفسير فرات الكوفي**: بإسناده عن عبيد بن يحيى، قال: سئل محمّد بن الحسن رجل حضرنا، فقلت: جعلت فداك كان من أمر فدك دون المؤمنين على وجهه، ففسّرها لنا؟ قال: نعم، لمّا نزل جبرئيل ﴿عليه السلام﴾ على رسول‌الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ شدّ رسول‌الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ سلاحه و أسرج دابّته، و شدّ عليّ ﴿عليه السلام﴾ سلاحه و أسرج دابّته، ثمّ توجّها في جوف الليل، و عليّ ﴿عليه السلام﴾ لا يعلم حيث يريد رسول‌الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ حتّى انتهيا إلى فدك، فقال له رسول‌الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾: يا عليّ! تحملني أو أحملك؟ فقال عليّ ﴿عليه السلام﴾: أحملك يا رسول‌الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ فقال رسول‌الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾: يا عليّ! بل أنا أحملك لأنّي أطول بك (أي: أقدر أن أحملك مع قيام صلبي) و لا تطول بي.

فحمل رسول‌الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ عليّاً ﴿عليه السلام﴾ على كتفيه، ثمّ قام به، فلم يزل يطول حتّى علا عليّ ﴿عليه السلام﴾ على سور الحصن، فصعد عليّ ﴿عليه السلام﴾ على الحصن و معه سيف

رسول الله «صلى الله عليه وآله» و أذّن على الحصن و كبّر، فابتدر أهل الحصن إلى باب الحصن هراباً، حتّى فتحوه و خرجوا منه، فاستقبلهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجمعهم، و نزل عليّ إليهم، فقتل عليّ «عليه السلام» ثمانية عشر من عظمآئهم و كبرآئهم، و أعطى الباقون بأيديهم، و ساق رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذراريهم و من بقي منهم و غنآئمهم يحملونها (يحملون خ) على رقابهم إلى المدينة، فلم يوجف فيها غير رسول الله «صلى الله عليه وآله» فهي له و لذرّيته خاصّة دون المؤمنين».

و فيه: عن الحسين بن سعيد معنعناً عن أبي سعيد قال: لمّا نزلت هذه الآية: «و آت ذا القربى حقّه» دعا النّبيّ «صلى الله عليه وآله» فاطمة «عليها السلام» فأعطاها فدكاً، فكلّما لم يوجف عليه أصحاب النّبيّ «صلى الله عليه وآله» بخيل و لا ركاب فهو لرسول الله «صلى الله عليه وآله» خاصّة، يضعه حيث يشآء، و فدك مما لا يوجف عليه بخيل و لا ركاب.

و فيه: جعفر بن محمد الفزاري، معنعناً عن ابن عبّاس في قوله تعالى: «و آت ذا القربى حقه» و ذاك حين جعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» سهم ذي القربى لقرابته، فكانوا يأخذونه على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتّى توفي، ثمّ حجب الخمس عن قرابته فلم يأخذوه.

و في **سعد السّعود** للسّيّد بن طاووس قدّس سرّه: روي من تفسير محمّد بن العبّاس بن عليّ بن مروان قال: روي حديث فدك في تفسير قوله تعالى: «و آت ذا القربى حقه» عن عشرين طريقاً.

و **قال بعض المعاصرين**: إنّ فدكاً هي مزرعة كبيرة ذات عوائد كثيرة تبعد عن المدينة المنوّرة (١٤٠) كيلومتراً، و تسمّى في الوقت الحاضر بـ «حائط» أو كما تسمّيها العامّة: «حويط» و قد صالح أهلُها اليهودُ رسولَ الله «صلى الله عليه وآله» بهذه الأرض ليكفّ عن قتالهم كما في (المغازي: ج ٢، ص ٧٠٧) و (فتوح البلدان: ص ٤٣) و (سيرة ابن هشام: ج ٣، ص ٣٦٨) و غيرها.

و قد أمر الله عزّ وجلّ رسوله «صلى الله عليه وآله» أن يهب هذه الأرض لبضعته الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهراء سلام الله عليها بقوله تعالى: «و آت ذا القربى حقّه» كما ورد في كتب تفسير العامّة و غيرها. و ستأتي الإشارة إلى بعضها في تفسير سورة «الفتح» تحت عنوان: «فتح خيبر و قصّة فدك» إن شآء الله تعالى فانتظر.

و في كامل البهائي لعماد الدّين الطّبري ـ و هو من أعلام القرن السّابع ـ الجزء الثّاني من الكتاب ـ الباب الثّاني عشر في فدك ـ الفصل الأول ـ نقلاً عن الواقدي و هو من أعلام العامّة ـ عن زيد أبي أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر يقول: «لمّا توفّي الرّسول خرجت أنا و أبوبكر، و عليّ بن أبيطالب «ع» و هو في بيت فاطمة، و عنده المهاجرون، قال عمر: فقلت: يا عليّ ماذا تقول؟ قال: أقول: خيراً، نحن أولى برسول‌الله و ما نزل. قلت: و الّذي بخيبر؟ قال: نعم. قلت: و الّذي بفدك؟ قال: نعم. قلت: كلاّ و الّذي نفسي بيده حتّى تحروا رقابنا بالمناشير».

قول عمر: «و الّذي بخيبر» هو العوالي كانت للصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها.

و قوله: «حتّى تحروا رقابنا بالمناشير» أي حتّى تقطعوا عنقنا... المناشير ـ جمع المنشر ـ: آلة ذات أسنان يُنشَرُ بها الخشب و نحوه، يقال فارسيّاً: «أرّه».

و فيه: قال ابن عبّاس: كنت يوماً عند أبي‌بكر، و كان عمر حاضراً، فقالا: لا يدخل الآن أحد علينا، فإذاً دخل شيخ طويل القامة، حسن الوجه، عليه ردآء أحمر، و بيده العصآء، و برجليه نعلان، فقال: سلام. أشار إليه أبوبكر: اجلس، فلم يجلس، فقال: إنّي من أهل حِجاج، جئتك سائلاً عن إمرأة و هبها أبوها شيئاً من ماله، فلمّا مات أبوها أخذه الحاكم منها، فأرادت منّي أن أسئل حكم هذا المال إذا جئتُ مدينة الرّسول «ص» عمّن يرى نفسه خليفته؟ فقال أبوبكر: «لا كرامة للغادر الفاجر» و قال عمر: يا خليفة رسول‌الله: أرسل أحداً أن يأخذ هذا الظّالم الغادر فيأتيكه.

فقال الشّيخ: «فمن أظلم ممّن يظلم بنت رسول‌الله» و ذهب.

فقال أبوبكر: «ردّوه ردّه (ردّوه خ)».

فعقّبه أحد، فلم يجده، سَئَلَ الحجابَ و البوّابَ، فقالوا جميعاً: لم تَرَ أحداً دخل، و لا مَن خرج، فخاف أبوبكر، و قال لعمر: «أرأيت و سمعت»؟ فقال عمر: يا أبابكر الّذي أصابنا في واد الجنّ أعظم من هذا، و إنّ الشّيطان ليتحايل المؤمن و الحاكم ليفتنه و يضلّه» فإذاً هتف هاتف يقول:

يا من تحلّى باسم لا يليق به اعدل على آل المـيا مـينا

أتجعل الخضر ابليساً لقد ذهبت بك المذاهب من بين المضلّينا
نحن الشّهود و قد دلّت على فدك بنت الرّسول أميناً غير مغبونا
الله يعلم أنّ الحق حقّهم لا حقّ تيم و لا حقّ العديينا
و قد شهدت أخاتيم وصيّته للأصلح الهادي القوم بالدّينا
لا تغمتن أخاتيم أبا حسن ماخصّه الله من بين الوصيّينا
خصّ النّبيّ عليّاً يوم فارقه بالعلم و الحلم و القرآن و الدّينا

فخاف أبوبكر و عمر خوفاً شديداً، فإذاً جآء رسول أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾ فقال لابن عبّاس: «أجب ابن عمّك».

فأحلفه أبوبكر أن لا يذكر هذا السّرّ لأحد.

قال ابن عبّاس: أتيت أميرالمؤمنين عليّاً﴿عليه السلام﴾ فلمّا رآني تبسّم حتّى رؤيت نواجده، ثمّ قال: «يابن عمّ بالرّحم و القرابة» هل حفظت هذه الأبيات أو لا؟ قلت: نعم إلاّ بيتين، فبيّن الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾ هذه القصّة و قرأ الأبيات فقال: كان هذا الشّيخ أخي خضراً﴿عليه السلام﴾.

فقال: «ما ابتلي أحد بأحد كما ابتلي أبوبكر بعمر، و ما عادى أحد قوماً أشدّ من معاداة عمر لأهل بيت الرّسول﴿صلى الله عليه وآله﴾ قال الله تعالى: «و يوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلاً...» الفرقان: ٢٩).

و في رواية اخرى: هتف هاتف من زاوية بيت أبي‌بكر:

عدلت أخاتيم على كلّ ملحد و جرت على آل النّبيّ محمد
و أغنيت تيماً مع عدي و زهرة و أفقرت عزّاً من سلالة أحمد
أفي فدك شك بأنّ محمّداً حباها لفطم دون تيم بمشهد
لا سرع ما بدلتم و نقضتم عهودكم يا قوم قوم بعد التّوكّد

و في كتاب السّقيفة و فدك: لأبي‌بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري البصري ـ المتوفّى ـ ٣٢٣هـ ـ و هو من أقدم أعلام العامة ـ قال في ـ القسم الثّاني من الكتاب ـ: ما

لفظه: «حدّثني أبوزيد عمر بن شبة، قال: حدّثنا حيان بن بشر، قال: حدّثنا يحيى بن آدم، قال: أخبرنا ابن أبي زائدة، عن محمّد بن إسحق، عن الزّهري، قال: بقيت بقيّة من أهل خيبر تحصّنوا، فسئلوا رسول‌الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ أن يحقن دمآءهم و يسيّرهم، ففعل، فسمع ذلك أهل فدك، فنزلوا على مثل ذلك، و كانت للنّبيّ ﴿صلی الله علیه و آله﴾ خاصّة لأنّه لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب».

و فيه: و روى أحمد بن إسحق أيضاً: أنّ رسول‌الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ لمّا فرغ من خيبر قذف الله الرّعب في قلوب أهل فدك، فبعثوا إلى رسول‌الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ فصالحوه على النّصف من فدك، فقدمت عليهم رسلهم بخيبر أو بالطّريق، أو بعد ما أقام بالمدينة، فقبل ذلك منهم، و كانت فدك لرسول‌الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ خالصة له لأنّه لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب».

أقول: و بناءً على هذا فقد كانت فدك خالصة لرسول‌الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ فما كانت من بيت المال للمسلمين، فأتاها رسول‌الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ ابنته الصّدّيقة الطّاهرة، الرّاضية المرضيّة فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها بأمر الله جلّ و علا فلما ذا استردّها أبوبكر بن أبي قحافة الخليفة الغاصب إلى بيت المال بادّعاء أنّها من بيت المال؟! فمن غصب الخلافة المنصوصة الإلهيّة، و نقض عهد الله تعالى و رسوله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ أهو يبالى أن يغصب فدكاً و أن يمنع أهل بيت الوحي عليهم‌السّلام من الخمس و الإرث؟! فمن زعم ذلك فهو إمّا فاقد المسكة و الدّراية، و إمّا خبيث الولادة و السّريرة. و لقد اتفقت كلمات المحدّثين على أنّ فدكاً كانت خالصة لرسول‌الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ فقط، و أنّه ﴿صلی الله علیه و آله﴾ منحها في السّنة السّابعة من الهجرة إلى الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها بأمر الله جلّ و علا، فتصبح فدك خارجة من الإرث، مع أنّ فاطمة الزّهراء عليها‌سلام‌الله تصرّفت بها إلى حين وفاة رسول‌الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ و بعدها إلى أن غصبت.

و لعمري: إنّ هؤلآء الخلفآء الغاصبين و الصّحابة الكاذبين من أظهر مصاديق قوله تعالى: «هم الّذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول‌الله حتّى ينفضّوا...» المنافقون: ۷)

بعد وفاة رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» ثمّ أتباعهم إلى يومنا هذا. بل هم أسوأ حالاً و أشدّ نفاقاً من هؤلآء المنافقين، لأنّهم كانوا ينهون الأغنيآء و ذوي الثراة عن الإنفاق، لينفضّ من كان عند رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» و اولئك الخلفآء يغتصبون أموال أهل بيت رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» و يمنعونهم من الإرث و الخمس ليفتقروا إليهم، و لئلا يجتمع حولهم أحد.

و أنّهم علموا أنّ ما تعود به فدك و هي أربعة و عشرون ألف دينار في كلّ سنة و في رواية: سبعون ألف دينار، سوف يستفيد منه عامّة المسلمين دون الأراضي الاخرى الّتي تنحصر عوائدها بعائلة أو بشخص خاص، و لعلّ ذلك يصير سبباً لميل القلوب مع أمير المؤمنين عليّ‌بن أبيطالب و الصّدّيقة الطّاهرة صلوات‌الله عليها اللّذين يتولّيان هذا التّقسيم العادل، و لقد أخذوا فدكاً و منعوها من الإرث و الخمس، و لم تنفعهم خطب الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها و احتجاجاتها لاستبدادهم و قساوة قلوبهم و شدّة نفاقهم و كفرهم بما أنزل الله عزّوجلّ على رسوله «صلى الله عليه وآله»، و تداولها بعدهم بنواميّة و بنومروان و بنوالعبّاس، و لا تزال في أيدي أعدآء الله تعالى و أعدآء آل رسول الله صلوات‌الله عليهم أجمعين يستفاد منها في هدم كيان الإسلام و إذلال المسلمين...

و هم لم يكتفوا بغصب فدك، و منع الإرث و الخمس من أهل بيت الوحي المعصومين عليهم‌السلام، بل ابتزّوا أيضاً صدقات الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها و بساتينها السّبعة الّتي كانت الصّدّيقة الطّاهرة «عليها السلام» تتولّاها منذ عهد النّبيّ الكريم «صلى الله عليه وآله».

أقول: و لا يخفى على من له الدّراية و شمّ الفقاهة أنّ فدكاً كانت حقاً بنصّ القرآن المجيد للصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها كالإرث و الخمس و الزّكاة و الدّين و نحوها، و أنّ الحقّ في تعلّقه بصاحبه لا يحتاج إلى التّمليك و لا التّملّك كما زعم بعض مخدوش الفكر و العقيدة ممّن ليس له الفقاهة و لا الدّراية و لا الولاية لأهل بيت النّبوّة.

و أنّ الإرث بموت المورّث يتعلّق بالوارث من دون حاجة إلى التمليك و التّملّك و أنّ

الخمس يصير ملكاً للسّيّد بالأخذ بغير حاجة إلى التّمليك و التملّك، و قد كانت فدك بيد الصّدّيقة الطّاهرة «عليها السلام» في عهد رسول الله «صلى الله عليه و آله» وبعد وفاته، لأنّه آتاها فاطمة الزّهرآء صلوات الله عليها بأمر من الله جلّ وعلا مرّتين: «و آت ذا القربى حقه» الإسرآء: ۲٦) و «فآت ذا القربى حقه» الرّوم: ۳۸).

و فيه نهج البلاغة: قال يعسوب الدين، سيّدالوصيّين الإمام علي «عليه السلام»: «بلى كانت في ايدينا فدك...» من كتابه «عليه السلام»: ٤٥).

و في معجم البلدان: مادة فدك ـ: و قال الزّجاجي: سمّيت بفدك ابن حام، و كان أوّل من نزلها».

«سبب غصب فدك»

قال الله تعالى: «هم الّذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول‌الله حتّى ينفضّوا» المنافقون: ٧).

و من أقطع الأبزار و أقدم الوسائل للحكّام المستبدّين، و الفجّار المستكبرين، و الفسّاق الظّالمين، و البغاة المنافقين، و الطّغاة المجرمين... لمنع دعوة الدّعاة و إصلاح المصلحين و ايقافهم هو التّحريم الاقتصادي عليهم في كلّ ظرف من الظّروف، و منشأ ذلك كلّه هو الملك كما أجاب أبويحيى جعفر بن يحيى البصري عمّا سئله ابن أبي الحديد في شرحه (ج ١٦، ص ٢١٥) و بتعبير عمر بن الخطّاب: «الملك عقيم» و الملك لا يعرف شيئاً في نظام الكون و نواميس الوجود إلاّ نفسه و لا يفهم غيره و لا يتحمّله و هذا هو السّبب الوحيد لغصب فدك و منع الإرث، و النّهي عن الخمس و هضم حقوق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين بإشارة الغاصب الثّاني: عمر بن الخطّاب لحليفه أبي‌بكر الغاصب الأوّل.

إنّ الكلام طويل لا يسعه المقام و نحن على جناح الاختصار فنكتفي ببعض ما جاء:

في البحار: ـ كتاب الفتن و المحن ج ٢٩ ـ باب ٥ ـ احتجاج أميرالمؤمنين«عليه السلام» على أبي‌بكر و غيره في أمر البيعة ـ حديث ٤٠).

و روى العلاّمة في كشكوله ـ المنسوب إليه ـ عن المفضّل بن عمر قال: قال مولاي جعفر الصّادق«عليه السلام»: «لمّا ولي أبوبكر بن أبي قحافة قال له عمر: إنّ النّاس عبيد هذه

الدّنيا لا يريدون (لا يرون خ) غيرها، فامنع عن عليّ و أهل بيته الخمس، و الفيء و فدكاً، فإنّ شيعته إذا علموا ذلك تركوا عليّاً، و أقبلوا إليك في الدّنيا و ايثاراً و محاباة (محاماة خ) عليها، ففعل أبوبكر ذلك، و صرف عنهم جميع ذلك.

فلمّا قام ـ أبوبكر بن أبي قحافة ـ مناديه (أبوبكر أمر مناديه خ): من كان له عند رسول‌الله «صلّی الله عليه و آله» دَين أو عدة فليأتني حتّى أقضيه، و أنجر لجابر بن عبدالله، و لجرير بن عبدالله البجلي.

قال: قال عليّ «عليه السلام» لفاطمة «عليها السلام»: صيري إلى أبي‌بكر و ذكّريه فدكاً، فصارت فاطمة إليه و ذكرت له فدكاً مع الخمس و الفيء، فقال لها: هاتي بيّنة يا بنت رسول‌الله، فقالت: أمّا فدك فإنّ الله عزّوجلّ أنزل على نبيّه قرآناً يأمر فيه بأن يؤتيني و ولدي حقّي، قال الله تعالى: «فآت ذا القربى حقّه» الرّوم: ۳۸).

فكنت أنا و ولدي أقرب الخلآئق إلى رسول‌الله «صلّی الله عليه و آله» فنحلني و ولدي فدكاً، فلمّا تلاعليه جبرئيل عليه‌السّلام: «و المسكين و ابن السّبيل» قال رسول‌الله «صلّی الله عليه و آله»: ما حقّ المسكين و ابن السّبيل؟ فأنزل الله تعالى: «و اعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه و للرّسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السّبيل» الأنفال: ٤١).

فقسّم الخمس على خمسة أقسام، فقال: «ما أفآء الله على رسوله من أهل القرى فللّه و للرّسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السّبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» الحشر: ۷).

فما كان لله فهو لرسوله، و ما لرسول‌الله فهو لذي القربى، و نحن ذو القربى، قال الله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» الشّورى: ۲۳).

فنظر أبوبكر بن أبي قحافة إلى عمر بن الخطّاب، و قال: ما تقول؟ فقال عمر: و من اليتامى و المساكين و أبنآء السّبيل؟ فقالت فاطمة «عليها السلام»: اليتامى الّذين يأتمّون (يؤمنون خ) بالله و برسوله و بذى القربى، و المساكين الّذين أسكنوا معهم في الدّنيا و الآخرة، و ابن السّبيل الّذي يسلك مسلكهم.

قال عمر: فإذاً الخمس و الفيء كلّه لكم و لمواليكم و أشياعكم؟!

فقالت فاطمة «عليها السلام»: أمّا فدك فأوجبها الله لي ولولدي دون موالينا و شيعتنا، و أمّا الخمس فقسّمه الله لنا و لموالينا و أشياعنا كما يقرأ (تقرأ خ) في كتاب الله

قال عمر: فما لسآئر المهاجرين و الأنصار و التّابعين لهم بإحسان؟

قالت فاطمة «عليها السلام»: إن كانوا من موالينا و أشياعنا فلهم الصّدقات الّتي قسّمها الله و أوجبها في كتابه، فقال الله عزّوجلّ: «إنّما الصّدقات للفقرآء و المساكين و العاملين عليها و المؤلّفة قلوبهم و في الرّقاب...» التّوبة: ٦٠) إلى آخر القصّة.

قال عمر: فدك لكِ خاصّة، و الفيء لكم و لأوليآئكم؟ ما أحسب أنّ أصحاب رسول الله يرضون بهذا!!

قالت فاطمة «عليها السلام»: فإنّ الله عزّوجلّ رضي بذلك، و رسوله رضي به (له خ) و قسّم على الموالاة و المتابعة لا على المعاداة و المخالفة، و من عادانا فقد عادى الله، و من خالفنا فقد خالف الله، و من خالف الله فقد استوجب من الله العذاب الأليم، و العقاب الشّديد في الدّنيا و آخرة.

فقال عمر: هاتي بيّنة يا بنت محمّد على ما تدّعين؟

فقالت فاطمة سلام الله عليها: قد صدّقتم جابر بن عبدالله و جرير بن عبدالله و لم تسئلوهما البيّنة! و بيّنتي في كتاب الله.

فقال عمر: إنّ جابراً و جريراً ذكرا أمراً هيّناً، و أنتِ تدّعين أمراً عظيماً يقع به الرّدّة من المهاجرين و الأنصار!

فقالت «عليها السلام»: إنّ المهاجرين برسول الله و أهل بيت رسول الله هاجروا إلى دينه، و الأنصار بالايمان بالله و رسوله (برسوله خ) وبذي القربى أحسنوا، فلا هجرة إلاّ إلينا، و لا نصرة إلاّ لنا و لا اتّباع (اتّباعاً خ) بإحسان إلاّ بنا، و من ارتدّ عنّا فإلى الجاهليّة.

فقال لها «عليها السلام» عمر: دَعينا من أباطيلك، و احضرينا من يشهد لك بما تقولين!

فبعثت «عليها السلام» إلى عليّ و الحسن و الحسين و أمّ أيمن و أسمآء بنت عميس ـ و كانت تحت أبي بكر بن أبي قحافة ـ فأقبلوا إلى أبي بكر، و شهدوا لها بجميع ما قالت و ادّعت، فقال عمر: أمّا عليّ فزوجها، و أمّا الحسن و الحسين ابناها (ابناؤهما خ) و أمّا أمّ أيمن

فولاتها، و أمّا أسماء بنت عميس، فقد كانت تحت جعفر ابن أبي طالب، فهي تشهد لبني هاشم، و قد كانت تخدم فاطمة، و كلّ هؤلاء يجرّون إلى أنفسهم!

فقال عليّ«عليه السلام»: أمّا فاطمة فبضعة من رسول‌الله«صلى الله عليه و آله» و من آذاها فقد آذىٰ رسول‌الله«صلى الله عليه و آله» و من كذّبها فقد كذّب رسول‌الله، و أمّا الحسن و الحسين فابنا رسول‌الله«صلى الله عليه و آله» و سيّد اشباب أهل الجنّة، من كذّبهما فقد كذّب رسول‌الله«صلى الله عليه و آله» إذ كانا من أهل (إذ كان أهل خ) الجنّة صادقين، و أمّا أنا فقد قال رسول‌الله«صلى الله عليه و آله»: أنت منّي و أنا منك، و أنت أخي في الدّنيا و الآخرة، و الرّادّ عليك هو الرّادّ عليّ، و من أطاعك فقد أطاعني، و من عصاك فقد عصاني، و أمّا أمّ أيمن فقد شهد لها رسول الله«صلى الله عليه و آله» بالجنّة، و دعا لأسماء بنت عميس و ذرّيّتها.

فقال عمر: أنتم كما وصفتم أنفسكم، و لكن شهادة الجارّ إلى نفسه لا تقبل.

فقال عليّ«عليه السلام»: إذا كنّا كما نحن كما تعرفون و لا تنكرون، و شهادتنا لأنفسنا لا تقبل، و شهادة رسول الله لا تقبل! فإنّا لله و إنّا إليه راجعون، إذا ادّعينا لأنفسنا تسئلنا البيّنة؟! فما من معين يعين، و قد وثبتم على سلطان الله و سلطان رسوله، فاخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بيّنة و لا حجّة: «و سيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون».

ثمّ قال لفاطمة: انصرفي حتّى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين».

قال المفضّل: قال مولاي جعفر الصّادق«عليه السلام»: «كلّ ظلامة حدثت في الإسلام أو تحدث، و كلّ دم مسفوك حرام، و منكر مشهور (مشهود خ) و أمر غير محمود، فوزْره في أعناقهما و أعناق من شايعهما أو تابعهما و رضي بولايتهما إلى يوم (قيام خ) القيامة».

ثمّ قال العلاّمة المجلسيّ رحمة الله تعالى عليه في بيان الرّواية:

«يظهر من هذا الخبر: أنّ لذي القربى حقّين: حقّاً مختصّاً و حقّاً مشتركاً، و أشار سبحانه مع الآية الاولى إليهما جميعاً، فلمّا سئلوا عن حقّ المسكين و ابن السّبيل أنزل آية الخمس لبيان أنّ اشتراكهما إنّما هو الخمس لا في سائر الفيء، فلا ينافي اختصاص فدك بهم عليهم السلام.

و أمّا تفسيرها«عليه السلام» اليتامى بالّذين يأتمون، فلعلّ المعنى أنّ المراد بهم يتامى الشّيعة

لا مطلق الأيتام، فلا يكون الغرض بيان أنّ اليتم مشتقّ من الإيتام لاختلاف بناء الكلمتين، مع أنّه يحتمل أن يكون مبنيّاً على الاشتقاق الكبير، و يحتمل أن يكون تأويلاً لبطن الآية بأنّ المراد باليتيم من انقطع عن والديه الرّوحانيّين ـ أي النّبيّ و الإمام عليهما السلام من الشّيعة موافقاً للأخبار الكثيرة الواردة في ذلك، و أمّا ما فسّرت به المسكين فلا ينافي البناء لأنّ المسكين و المسكن و السّكنى متساوقة في الاشتقاق و هو على وزن مفعيل، يقال: تَمَسْكَنَ كما يقال: تَمَدْرَعَ وَ تَمَنْدَلَ.

و ابن السّبيل: أظهر فإنّه فسّرته بسبيل الحقّ و الصّراط المستقيم، ثمّ إنّه يدلّ ظاهراً على عدم اختصاص الخمس ببني هاشم ـ كما هو مذهب اكثر العامّة ـ فيمكن أن يكون هذا على سبيل التنزّل، او يكون المراد أنّه غير شامل لجميع بني هاشم بل مختصّ بمن كان منهم تابعاً للحقّ» انتهى كلامه.

أقول: و في بعض النّسخ «يؤمنون» بدل «يأتمّون» و قولها عليها السّلام: «و امّا الخمس فقسّمه الله لنا و لموالينا و اشياعنا» و «قسّم على الموالاة و المتابعة لا على المعاداة و المخالفة» دلالة على اختصاص الخمس بالشّيعة دون غيرهم، و قد ثبت عن الإمام جعفر الصّادق (عليه السلام) أنّه قال: «أبحنا لشيعتنا» أي الخمس بمعناه المطلق من سهم السّادة و الإمام (عليه السلام) يختصّ بالشّيعة فلا يجوز أن يؤتى الخمس بغيرهم، و إن جاز أن تؤتي الصّدقة و الزّكاة بغير الشّيعة من فرق المسلمين ما لم يكونوا معاندين.

و قوله (عليه السلام): «كلّ ظلامة حدثت في الإسلام أو تحدث...» إشارة إلى قول أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام).

في نهج البلاغة: «حتّى إذا قبض الله رسوله (صلى الله عليه و آله) رجع قوم على الأعقاب، و غالتهم السّبل، و اتّكلوا على الولائج، و وصلوا غير الرّحم، و هجروا السّبب الّذي أُمروا بمودّته، و نقلوا البناء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كلّ خطيئة، و أبواب كلّ ضارب في عمرة...» الخطبة: ١٥٠).

و قال بعض المعاصرين ـ تنقيحاً منّا ـ: و قد كان أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام) الّذي تزعم معارضة الهاشميين مصدر رعب شديد في نفوس الغاصبين لأنّ ظروفه الخاصّة

كانت تمدّه بقوّة على لونين من العمل الايجاني ضدّ الحكومة الغاصبة:

أحدهما ـ ضمّ الأحزاب المادّيّة إلى جانبها كالأمويين و المغيرة بن شعبة و أمثالهم ممّن كانوا قد بدؤا يعرضون أصواتهم للبيع و يفاوضون الجهات المختلفة في اشترآئها بأضخم الأثمان كما هو ظاهر من كلمات أبي سفيان الّتي واجه بها خلافة السّقيفة السّخيفة الشّؤمة يوم وصوله إلى المدينة و حديثه مع عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» و تحريضه له على الثّورة، و ميله إلى جانب أبي بكر الغاصب، و سكوته عن المعارضة حينما تنازل له أبوبكر عن أموال المسلمين الّتي كان قد جباه في سفره و موقف عتاب بن أسيد و هو عامل رسول‌الله«صلى الله عليه وآله» على مكّة حين وفاة رسول‌الله«صلى الله عليه وآله» فهو استخفى يوم ذاك. و إذن فقد كان هوى المادّي مستولياً على الجماعة من النّاس يومئذ، و من الواضح أنّ اميرالمؤمنين عليّاً«عليه السلام» كان يتمكّن من إشباع رغبتهم بما خلفه رسول‌الله«صلى الله عليه وآله» من الخمس و غلاّت أراضيه في المدينة و فدك الّتي كانت ذات نتايج كثيرة....

ثانيهما ـ إنّ المقاومة الّتي كان أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» مزوداً بإمكانيّاتها مما لمح إليه بقوله لمّا انتهت إليه أبناء السّقيفة بعد وفاة رسول‌الله«صلى الله عليه وآله» «احتجّوا بالشّجرة و أضاعوا الثّمرة» النهج: رقم كلامه«عليه السلام»: ٦٦).

بأن الفكرة العامّة يومئذ الّتي اجمعت على تقديس أهل بيت الوحي المعصومين عليهم‌السلام و الاعتراف لهم بالامتياز العظيم بقربهم من رسول‌الله«صلى الله عليه وآله» كانت سنداً قويّاً للمعارضة.

و قد رأى أبوبكر الغاصب بإشارة حليفه عمر بن الخطّاب أنّ الموقف المادّيّ لأهل بيت الوحي عليهم‌السلام حرج جدّي لأنّ أطراف المملكة الّتي تجبى منها الأموال لا تخضع للحاكم الغاصب الجديد إلاّ إذا استقرّت دعائم حكومته الغاصبة في العاصمة و المدينة، و لم تخضع له خضوعاً إجماعيّاً بعد، و لئن كان أبوسفيان أو من يحذو حذوه قد باع صوته للحكومة الغاصبة، فمن الممكن أن يفسخ المعاملة إذا عرض عليه شخص آخر اتّفاقاً أكثر منها ربحاً، و هذا ما كان يستطيع الإمام عليّ«عليه السلام» أن يقوم به في كلّ حين، فيجب و الحالة هذه أن تنتزع من الامام عليّ«عليه السلام» الّذي لم يكن مهيّأً للمقابلة في تلك

السّاعة الأموال الّتي صارت مصدراً من مصادر الخطر الجدّي على مصالح الحزب الحاكم الغاصب ليضمن بقآء الأنصار على نصرتهم، و عدم قدرة المعارضين على إنشاء حزب من أصحاب المطامع و الأهوآء يومذاك.

و قدكان هذا التقدير لسياسة الحزب الحاكم الغاصب منطبقاً على طبيعة السّياسة الّتي لا بد من انتهاجها، و قد اشترى أبوبكر بإشارة عمر بن الخطّاب صوت الحزب الأُموي بالمال و الجاه، فتنازل لأبي سفيان عن جميع ما كان عنده من أموال المسلمين إذ ولى ابن أبي سفيان، فقد جآء أنّ أبابكر لمّا استخلف، قال أبوسفيان: ما لنا و لأبي فصيل، إنّما هي بنو عبد مناف، فقيل له: إنّه قد ولي ابنك قال: و صلته رحم.

فانتزع أبوبكر من أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام أموالهم المهمّة ليركز بذلك حكومته الغاصبة من جهة، و ألاّ يكون لأمير المؤمنين عليّ «عليه السلام» شيء من حاصلات فدك و غير فدك أن يصرفه على الدّعوة إلى نفسه من جهة اخرى.

كيف لا و أبوبكر هو الّذي اتّخذ المال وسيلة من وسآئل الإغراء و اكتساب الأصوات... حتّى اتّهمته بذلك معاصرة له من مؤمنات ذلك الزّمان، فقد ورد أنّ النّاس لمّا اجتمعوا على أبي بكر قسّم قسماً بين نسآء المهاجرين و الأنصار، فبعث إلى امرأة من بني عدي بن النّجّار، قسّمها مع زيد بن ثابت، فقالت: ما هذا؟ قال: قسم قسّمه أبوبكر للنّسآء قالت: أتراشوني عن ديني! و الله لا أقبل منه شيئاً، فردّته عليه.

و من أين جآء هذا المال إلى الخليفة الغاصب ـ مادامت الزّكوات الّتي جمعها السّاعي قد صارت من نصيب بطنه وحدها ـ إن لم يكن من بقيّة الأموال الّتي خلفها رسول الله «صلى الله عليه و آله» و كان أهل بيته يطالبون بها؟

فالظّروف الاقتصاديّة العامّة كانت تدعو الحزب الحاكم الغاصب إلى الارتفاع بماليّة الدّولة و الاهتمام بإكثارها استعداداً للطوارئ المترقّبة، فانتزع فدكاً كما يتبيّن ذلك بوضوح من حديث لعمر بن الخطّاب مع قرينه أبي بكر يمنعه فيه عن تسليم فدك إلى الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها و يعلّل ذلك بأنّ الدّولة في حاجة إلى المال لإنفاقه في توطيد الحكم و تأديب العصاة و القضآء على الحركات الانفصاليّة الّتي قد يقوم بها المرتدّون.

إلغآء المالكيّة الفرديّة و مصادرة أموال أهل بيت النّبوّة:

و يظهر ممّا ذكرنا، رأي أبي‌بكر و حليفه عمر بن الخطّاب فها هنا أمران:

الأوّل: إلغآء الأهليّة للخليفة في الخلافة، فاغتصبا الخلافة هما و عثمان بن عفّان بعدهما من دون أقلّ أهليّة لهم لها من مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب ﴿؏﴾.

الثاني: إلغآء المالكيّة الفرديّة بأنّ للخليفة أن يصادر أموال النّاس في امور المملكة و شئوون الدّولة العامّة بغير تعويض و لا استئذان، فليس للفرد ملكيّة مستقرّة لأمواله و عقاره في حال احتياج السّلطات إلى شئ منها، و قد ذهب إلى هذا الرّأي كثير من الخلفآء الّذين إنتهى إليهم الأمر بعد أبي‌بكر و عمر فامتلأ تأريخهم بالمصادرات الّتي كانوا يقومون بها غير أن أبابكر لم يطبق هذا الرّأي تبعاً لرأي عمر بن الخطّاب إلاّ في أملاك بنت رسول‌الله ﴿ﷺ﴾ خاصّة.

و تؤيّد هذا الرّأي السّخيف عدّة ظواهر تأريخيّة:

الاولى: سيرة أبي‌بكر الغاصب و أذنابه مع أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿؏﴾ الّتي بلغت من نهاية الغلظة و غاية الشّدّة: أنّ عمر بن الخطّاب هتك حرمة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين و أحرق باب دار الصّدّيقة الطّاهرة ﴿؏﴾ و أسقط جنينها و ما إليها من الهتك و الإهانة و الجسارة كلّها إعلان من الغاصبين: أنّ فاطمة و غيرها من أهل بيت النّبوّة ليس لهم حرمة عندنا.

و من صوّر ذلك العنف و الغلظة و الشّدّة من عمر بن الخطّاب من جهة، و وصف أبي‌بكر ابن أبي قحافة عليّاً ﴿؏﴾ بأنّه مربّ لكلّ فتنة، و تشبيهه له بأمّ طحال يجد رأيهما في أهل بيت الوحي المعصومين عليهم‌السلام.

الثانية: أنّ أبابكر لم يشارك أحداً من بني‌هاشم في شأن من شئون الحكم المهمّة، و لا جعل فيهم والياً على شبر من المملكة الإسلاميّة الواسعة، مع أنّ نصيب الامويّين في ذلك كان عظيماً. و إنّ هذا وليد سياسة متعمّدة بين الغاصبين تظهر من محاورة وقعت بين عمر بن الخطّاب و عبدالله بن عبّاس، إذ أظهر فيها عمر بن الخطّاب خوفه من توليته حمص لأنّه

يخشى إذا صار الهاشميون ولاة على أقطار المملكة الإسلاميّة أن يموت و هـم كـذلك، فيحدث في أمر الخلافة ما لا يريد.

و من عرف رأي عمر أن ظفر ببيت من البيوت الطّامحة إلى السّلطان بـالولاية في الأقطار الإسلاميّة يهيّؤهم لنيل الخلافة و المركز الأعلى، و لا حظ أنّ الأمويين ذوي الألوان السّياسيّة الواضحة كان فيهم ولاة احتلوا الصّدارة في المجالات الإداريّة أيـام أبي‌بكر و عمر، و أضاف إلى ذلك انّه كان يعلم على أقلّ تقدير بأنّ الشّورى الّتي ابتكرها عمر سوف تجعل عثمان بن عفان خليفة يصل بنتيجة مهمّة و تقدير تأريخيّ تدل على صحّته عدة من الظّواهر و هو أن الغاصبين الأوّلين كانا يهيّئان للسّلطان الأُموى أسبابه و معدّاته، و هما يعلمان تمام العلم أنّ إنشآء كيان سياسي من جديد للأُمـويّين خـصوم بني‌هاشم القدامي معناه تقديم المنافس لبني‌هاشم في زعيم امويّ و تـطوّر المـعارضة الفرديّة للبيت الهاشميّ إلى معارضة بيت مستعدّ للنّزاع و المنافسة أكمل استعداد.

و من شأن هذه المعارضة أنّها تطول و تتّسع لأنّها ليست متمثّلة في شخص بل في بيت كبيره و من هنا يظهر أنّ سياسة أبي‌بكر و حليفه عمر هي الّتي وضعت الحجر الأساسي لملك بني‌أُميّة حتّى يضمنا بذلك المنافس لعليّ بن أبيطالب و آله عليهم‌السلام على طول الخطّ، و هذا هو السّرّ السّياسي الّذي غفل عنه الباحثون في قصّة الشّورى، و قد جآء عن عمر انّه هدّد السّتّة الّذين أوْكَلَ إليهم أمر الخلافة بمعاوية و تنبأ لهم بأنّه سيملك الأمر، فتتبدّل الخلافة بالسّلطنة الّتي كان يريدها.

الثّالثة: عزل الحزب الحاكم الغاصب لخالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الّذي وجّهه لفتح الشّام بعد أن أسندها إليه، لا لشئ إلاّ لأنّ عمر بن الخطّاب نبّهه إلى نزعته الهاشميّة و ميله إلى أهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين و ذكره بموقفه تجاههم بعد وفاة رسول‌الله «صلى الله عليه و آله».

الرّابعة: قصّة الشّورى العُمَرِيَّة الّتي نزل فيها عمر بن الخطّاب بأميرالمؤمنين عليّ‌بن أبيطالب «عليه السلام» إلى صف أشخاص خمسة لا يكافئون عليّاً «عليه السلام» في شئ من معانيه المحمّدية، و قد كان الزّبير و هو أحد الخمسة يرى يوم توفّي رسول‌الله «صلى الله عليه و آله»: أنّ الخلافة

حقّ شرعيّ لعليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ فلاحظ كيف انتزع عمر بن الخطّاب هذا الرّأي من عقله و أعدّه للمنافسة بعد حين إذ جعله أحد السّتّة الّذين فيهم عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾.

و إذن فقد كان الحزب الحاكم الغاصب يحاول أن يساوي بين بني هاشم و سآئر النّاس و ترتفع برسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ عن الاختصاص بهم لتنتزع بذلك الفكرة الّتي كانت تزود الهاشميّين بطاقة على المعارضة، و لئن اطمأنّ الحزب الحاكم الغاصب إلى أنّ عليّاً ﴿عليه السلام﴾ لا يثور عليه في تلك السّاعة الحرجة على الإسلام، فهو لا يأمن من انتفاضه ﴿عليه السلام﴾ بعد ذلك في كلّ حين، و من الطّبيعيّ أن يسارع الحزب إلى الإجهاز على كلتاقوّتيه: المادّية و المعنويّة مادامت الهدنة قائمة قبل أن يسبقه إلى حرب أكول.

و لذلك وقف أبوبكر بعد ذلك بإشارة عمر بن الخطّاب موقفه التأريخيّ المعروف من الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها في قضيّة فدك، فهو موقف تلاقي فيه الغرضان، و تركز على الخطّين الأساسيين لسياسته لأنّ الدّواعي الّتي بعثته إلى غصب فدك كانت تدعوه إلى الاستمرار على تلك الخطّة ليسلب بذلك من خصمه الثّروة الّتي كانت سلاحاً قويّاً في عرف الحكّام الجبابرة في كلّ ظرف من الظّروف، و يعزز بها سلطانه، و إلاّ فما الّذي كان يمنعه عن تسليم فدك لفاطمة الزّهرآء ﴿عليها السلام﴾ بعد أن أعطته الوعد القاطع بأن تصرف منتوجاتها في سبيل الخير، و وجوه المصلحة العامّة، إلاّ أنّه خاف منها أن تفسر وعدها بما يتّفق مع صرفها لغلات فدك في المجالات السّياسيّة، و ما الّذي صدّه عن إرضآء الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها بالتّنازل لها عن حصّته، و نصيب الصّحابة إذا صحّ أنّ فدكاً ملك للمسلمين سوى أنّه أراد أن يقوي بها خلافته.

و أيضاً فإنّنا إذا عرفنا أنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها كانت سنداً قويّاً لقرينها عليّ بن أبيطالب عليهما السلام في دعوته إلى نفسه، و دليلاً يحتجّ به أنصار الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ على أحقّيّته بأمر الخلافة نستوضح أنّ أبابكر بإشارة عقله المنفصل: عمر بن الخطّاب كان موفّقاً كلّ التّوفيق في موقفه تجاه دعوى فاطمة الزّهرآء ﴿عليها السلام﴾ للنّحلة، و جارياً على المنهج السّياسيّ الّذي كان يفرضه عليه الظّرف الدّقيق إذ اغتنم الفرصة المناسبة لأفهام المسلمين بصورة لبقة، و على اسلوب غير مباشر بأنّ فاطمة امرأة من

النّسآء، و لا يصحّ أن تؤخذ آراؤها و دعاويها دليلاً في مسئلة بسيطة كفدك فضلاً عن موضوع كالخلافة، و أنّها إذا كانت تطلب أرضاً ليس لها بحق، فمن الممكن أن تطلب لزوجها المملكة الإسلاميّة كلّها و ليس له فيها حق.

و **قال الإمام الصّادق**«عليه السلام» للمفضّل بن عمر: «لمّا بويع أبوبكر أشار عليه عمر أن يمنع عليّاً و أهل بيته الخمس و الفيء و فدكاً، فإنّ شيعته إذا علموا ذلك تركوه و أقبلوا إليك رغبة في الدّنيا، فصرفهم أبوبكر عن جميع ما هو لهم».

و **قال بعض الباحثين**: «و ثمّة سبب آخر و هو إرادة التّظاهر بالقوّة أمام أهل البيت، و سدّ الطّريق أمامهم، و قطع أيّ أمل في نفوسهم للوصول إلى غايتهم».

و **قال بعضهم**: «و ما عساه أن يكون هدف السّلطة الحاكمة أو بالأحرى هدف أبي بكر نفسه في أن يقف مع الحوراء، على طرفي الخطّ، أو لم يكن يخطر بباله أنّ خطّته هذه تفتح له باباً في التّأريخ في تعداد اولياته، ثمّ يذكر بينها خصومة أهل البيت عليهم السلام، فهل كان راضياً بأوّليته هذه مخلصاً لها حتّى يستبسل في امتناعه و موقفه السّلبي بل الايجابيّ المعاكس أو أنّه كان منقاداً للقانون، و ملتزماً بحرفيّته في موقفه هذا كما يقولون، فلم يشأ أن يتعدّ حدود الله تبارك و تعالى في كثير أو قليل.

و انّ لموقفه الغريب تجاه الزّهرآء«عليها السلام» صلة بموقفه في السّقيفة، و أعني بهذه الصّلة الاتّحاد في الغرض أو اجتماع الغرضين على نقطة واحدة، و بالأحرى أن تقوم على دائرة واحدة متّسعة اتّساع دولة النّبيّ«صلى الله عليه و آله» فيما آمال بواسم، و موجات من الأحلام ضحك لها أبوبكر كثيراً و سعى في سبيلها كثيراً أيضاً».

و **بكلمة واحدة**: أنّ فدكاً لا تزال في أيدي أعدآء الله و أعدآء رسوله«صلى الله عليه و آله» و أعدآء أهل بيته الطّاهرين عليهم السلام يستفاد منها في هدم كيان الإسلام و إذلال المسلمين.

«قصّة إجماليّة من فدك»

و اعلم أنّ السّبب الوحيد لغصب فدك و تحريم الإرث، و النّهي عن الخمس و هضم حقوق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و غصب الخلافة، و هتك حرمات أهل بيت النّبوّة «عليهم السلام» و ما إليها إلى يوم القيامة هو الملك و حبّ الدّنيا و الرّئاسة، و حبّ الشّئ يعمى و يصمّ و لا يعرف غيره و لا يفهمه و لا يدركه، و كلّما يقابله يدفعه، و لا يتحمّل غيره...

و أنّ الملك لا يعرف الخالق و لا المخلوق، و لا يخضع لدى الالوهيّة و لا الرّسالة حتّى يقول لرسول ربّ العالمين: «لئن اتّخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين» الشّعرآء: ٢٩).

و أنّ حبّ الدّنيا لا يفهم الشّرافة و الكرامة الإنسانيّة، و لا الرّفاقة و لا البنوّة و الأُبوّة و الأُخوّة، و لا القوميّة و لا الملّيّة و لا الوطنيّة، و لا يدرك منطقاً و لا استدلالاً، و أنّ حب الرّئاسة لا تنفعه القواعد الفقهيّة و الأُصوليّة... و لا تفيده موازين الحكمة و العلم و العرفان... فإنّ كلّ شئ غيره عنده محكوم.

و قد صرّح بذلك عمر بن الخطّاب إذ قال: «الملك عقيم» من الإنسانيّة، غير مقيّد على شئ، هٰذه هى طبيعة الملك، و حبّ الدّنيا و حبّ الرّئاسة فى كلّ ظرف من الظّروف إلاّ أن يكون الملك خادماً للدّين فحينئذ تكون الدّنيا مزرعة الآخرة، و تكون الرّئاسة لإحقاق الحقّ و إبطال الباطل حقّاً لا شعاراً.

في نهج البلاغة: قال المولى الموحّدين يعسوب الدّين إمام المتّقين أميرالمؤمنين

عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» ـ بذي قار و هو يخصف نَعْلَهُ ـ: «و الله لهي أحبّ إليَّ من إمرَتكم إلاّ أن أُقيم حقّاً أو أدفع باطلاً...» الخطبة: ٣٣).

و ينبغي لنا ـ قبل الخوض في بحث فدك تفصيلاً ـ أن نشير إلى قصّته إجمالاً:

لمّا توفّي رسول الله «صلى الله عليه و آله» و اُسّسَتِ السّقيفة السّخيفة الشّؤمة من دون فترة، بثلاث نفر: أبي بن بكر أبي قحافة، و عمر بن الخطّاب و أبي عبيدة الجرّاح حفّار القبور، و انتُصِبَ أبوبكر من جانب حليفه عمر، و عميلهما أبي عبيدة، ثمّ أعلنوا بأنّ الجماعة بايعوا أبابكر، و دعوا النّاس إلى بيعته، و بايع بعضهم جهلاً، و بعضهم طمعاً و بعضهم كرهاً، و امتنع أهل بيت الوحي المعصومون عليهم السلام و شيعتهم من الانقياد للخليفة الغاصب، رأي الحزب الحاكم ـ قائدهم أبوبكر ظاهراً، و عمر بن الخطّاب واقعاً وراء الحجاب ـ تقوية أنفسهم و تخدير أفكار العامّة، و إضعاف الجبهة المعارضة لهم بكلّ وسيلة فوضعوا اليد على أهمّ مواردهم الاقتصاديّة و هي «فدك» و «العوالي» و ما أفاء الله تعالى على رسوله «صلى الله عليه و آله» في المدينة، و ما بقي من سهم رسول الله «صلى الله عليه و آله» بخيبر و سهم ذي القربى و الخمس...

و قد كانت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها صاحبة النّصيب الأكبر في ذلك، و من هنا تقدّمت للطّلب بحقّها في ثلاث دعاوٍ متلاحقة و هي: دعوى النّحلة، و دعوى الميراث، و دعوى سهم ذي القربى، و لكنّ الغاصبين أخذوا الاحتياطات الكافية لصدّها عن حقّها، و غاصب الخلافة مع تلك النّصوص المتكاثرة يسهل عليه غصب ما سواها مهما كان بيد الصّدّيقة الطّاهرة «عليها السلام» من مستمسكات و بيّنات، و مهما كان لديها من شهود إثبات، و لا يسهل علينا ـ بعد مضيّ أربعة عشر قرناً ـ معرفة ملابسات هذه الدّعاوي الثّلاثة نظراً لقلّة ما بأيدينا من أخبار تلك المحاكمات، و سببه ثلاثة أمور:

الأوّل: أنّ الخصم و الحكم كانت السّلطة نفسها.

الثّاني: أنّ المؤرّخين يكتبون ما يريد الحكّام الجابرة غالباً، و لا يكتبون ما هو الواقع و ما وقع حقّاً.

الثّالث: أنّ الكتّاب يعرضون عن ذكر أمثال تلك الأمور، و يخفون معالمها إمّا رغبة أو

رهبة، فلم يصل إلينا من أخبارها إلاّ النّزر اليسير مع تلاعب الأيدي و الأهوآء فيها.

فلا بدّ للمحقّق البارع المريد للحقّ و الواقع من بذل الجهد للكشف عن الحقيقة، و لمعرفة ذي الحقّ في المنازعات الّتي جرت بين الصّدّيقة الطّاهرة عليهاسلام‌الله و غاصبي حقوقها اعتماداً على الأخبار الواردة في هذا الباب، و استناداً إلى القواعد الشّرعيّة الحاكمة في أمثال هذه المنازعات، و إن كانت غير مفيدة للحكّام الجبابرة و الطّواغيت المستكبرة...

فينبغي ذكر هذه الدّعاوي للصّدّيقة الطّاهرة «عليها السلام» حسب ترتيبها التأريخيّ و قد أوردها بعض المحقّقين نذكرها مع تنقيح منّا:

۱ ـ دعوى النحلة:

و كانت تدور دعوى النّحلة حول فدك بأنّ رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» أنحلها إيّاها سلام‌الله‌عليها في حياته «صلى الله عليه وآله» و هي قرية تبعد عن المدينة مسافة يومين أو ثلاثة، أرضها زراعيّة خصبة، فيها عين فوّارة، و نخيل كثيرة يقدر نخيلها بنخيل الكوفة في القرن السّادس الهجري، و أمّا وارداتها فقدروا فيها نصابه الأوّل (۲٤) ألف دينار في السّنة، و الثّاني (۷۰) ألف، و يمكن توجيه النّصيبين باختلاف السّنين في كمّيّة التّمر.

كانت جماعة من اليهود يسكنون فدكاً و يستثمرونها حتّى السّنة السّابعة للهجرة، فلمّا حارب رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» يهود خيبر لنقضهم عهود المصالحة المبرمة بينهم و بين رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» و فتح حصونهم و بقي حصنان أو ثلاثة منها لم تفتح، حاصرهم النّبيّ «صلى الله عليه وآله» فلمّا اشتدّ بهم الحصار، راسل أهلها رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» على أن يؤمنهم على حياتهم، و ينزلوا له عن حصونهم و أراضيهم، فقبل النّبيّ الكريم «صلى الله عليه وآله» بعرضهم هذا فانجلوا عن حصونهم و تركوها للمسلمين.

و انّ الانتصار الّذي أحرزه المسلمون يوم خيبر أرعب أهل فدك كما أنّ الاتفاقيّة الأخيره بين رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» و أهل الحصون فتحت باباً للأمل عندهم، و لذا لمّا جآءهم رسول النّبيّ «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك ـ يدعوهم إلى الإسلام ـ أبوا أن يسلموا، و لكنّهم استعدّوا أن يقدموا نصف أرضهم لرسول‌الله «صلى الله عليه وآله» مع الاحتفاظ لأنفسهم بالنّصف الآخر على أن يعملوا في أرضهم و أرض النّبيّ الكريم، و متى ما شآء رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» أن يجليهم عن

أرضهم فعل، شريطة أن يعوضهم عن أتعابهم و أرضهم، فصارت فدك ملكاً لرسول‌الله ﴿عليه السلام﴾ بنصّ القرآن الكريم: «و ما أفآء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل و لاركاب و لكنّ الله يسلّط رسله على من يشآء و الله على كلّ شيءٍ قدير» الحشر: ٦).

فكان رسول‌الله ﴿عليه السلام﴾ يتصرّف في فدك حسبما يشآء إلى أن نزل: «فآت ذا القربىٰ حقه و المسكين و ابن السّبيل...» الرّوم: ٣٨).

فاستوضح رسول‌الله ﴿عليه السلام﴾ من جبرآئيل مراد الآية الكريمة فقال له: اعط فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها فدكاً لتكون بلغة لها و لأولادها، و ذلك عوض ما بذلته أمّها خديجة الكبرى ﴿عليها السلام﴾ من أموالها و جهودها في سبيل الإسلام ما دامت حيّاً.

فدعا رسول‌الله ﴿عليه السلام﴾ فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها و أعطاها فدكاً و انتهت بهذا ملكيّة النّبيّ ﴿عليه السلام﴾ لفدك و صارت ملكاً للصّدّيقة الطّاهرة ﴿عليها السلام﴾ تتصرّف فيها تصرّف المالك بملكه، و بقي الأمر هكذا حتّى توفّى النّبيّ ﴿عليه السلام﴾ و استولى أبوبكر بالقهر على الخلافة الإسلاميّة، فوضع اليد على فدك و انتزعها غصباً من يد الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها فابتدأ النّزاع بينها و بينه فطالبته بفدك على أنّها نحلة و عطيّة من أبيها.

فطلب أبوبكر منها ـ خلافاً للعقل و الشّرع ـ إقامة البيّنة على دعواها مع أنّها صلوات‌الله عليها صاحبة اليد، و التّصرّف و اليد حجّة عقليّة و شرعيّة و عرفيّة و إمارة على الملكيّة، و ليس على صاحب اليد البيّنة، بل إنّما البيّنة على المدّعي، و هو غير صاحب اليد، و اليمين على من أنكر و هو صاحب اليد يكون مدّعى عليه، و يدلّ على أنّ اليد للصّدّيقة الطّاهرة عليها سلام‌الله لفظ الايتآء في قوله عزّوجلّ: «فآت ذا القربى حقّه» الرّوم: ٣٨).

و في **شواهد التنزيل:** للحاكم الحسكاني الحنفيّ ـ و هو من أعلام العامّة في القرن الخامس ـ بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزلت على رسول‌الله ﴿عليه السلام﴾: «و آت ذا القربىٰ حقّه» دعا فاطمة، فأعطاها فدكاً و العوالي، و قال: هذا قسم قسمه الله لكِ و لعقبكِ».

و في الدرّ المنثور: للسّيوطي الشافعي ـ و هو من أعاظم العامة في القرن العاشر ـ: و أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت: «و آت ذا القربى حقّه» أقطع رسول الله «صلى الله عليه و آله» فاطمة فدكاً» و من البيّن أنّ الإعطاء و الإقطاع يدلاّن على التّسليم و المناولة، كما يشهد على أنّ اليد كانت للصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها دعواها النّحلة و العطيّة، و هي سيّدة نسآء العالمين من الأوّلين و الآخرين و أكملهنّ، و شهادة نفس رسول الله «صلى الله عليه و آله» و أقضى الأمّة إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» بها لأنّ الهبة لا تتمّ بلا إقباض، فلو لم تكن صاحبة اليد لما ادّعت النّحلة، و لردّ الغاصب دعواها بلا كلفة، و لم يحتج إلى طلب البيّنة.

على أنّ البيّنة طريق ظنّيّ مجعول لإثبات ما يحتمل ثبوته و عدمه، فلا مورد لها مع القطع و اليقين المستفاد في المقام من قول سيّدة النّسآء، بضعة رسول الله «صلى الله عليه و آله» الّتي طهّرها الله تعالى و جعلها روحاً بين جنبي سيد أنبيآئه «صلى الله عليه و آله» لأنّ القطع طريق ذاتيّ إلى الواقع لا بجعل جاعل، فلا يمكن رفع طريقيّته أو جعل طريق ظاهريّ على خلافه، فالمفروض بفاطمة الزّهرآء سلام الله عليها أنّها صادقة، راضية مرضيّة، و قد شهد الله تعالى و رسوله «صلى الله عليه و آله» لها «عليها السلام» بالصّدق، و لا يسلم إسلام أيّ أحد أن يقول: فاطمة الزّهرآء كاذبة.

و قد كان الغاصب الأوّل و هو أبوبكر بن أبي قحافة يعلم تمام العلم بأنّ فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها صادقة، و لكنّه مع هذا طالبها بالبيّنة و جعلها مدّعية بعد أن كانت صاحب اليد و التّصرّف، و أنّها مدّعى عليها و لكنّ الحقّ مع القوّة القاهرة لا تعرف غيرها و لا تخضع و تقول: «ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه و في الحقّ أن تتركه».

و دعوى القوى كدعوى السّباع   من الظّفر و النّاب برهانها

فاضطرّت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها حينئذ أن تقيم البيّنة على نحلتها.

و هنا روايات كثيرة واردة عن الفريقين تصرح بأنّ فاطمة الزّهرآء «عليها السلام» حضرت الشّهود عند أبي بكر غاصب فدك، عدّة مرّات، و كانوا يختلفون من حيث العدد ـ مضافاً على أن كانت للصّدّيقة الطّاهرة «عليها السلام» وثيقة مكتوبة في ايتآء رسول الله «صلى الله عليه و آله» فدكاً لها،

غير الشّهود الثّمان الّذين شهدوا على ذلك و هم: الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب و الحسنان عليهم السلام، و رباح مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله» و اُمّ أيمن و اُمّ سلمة و أسماء بنت عميس و اُمّ كلثوم ـ و في كلّ مرّة يردّ أبوبكر، الشّهود بطريقة خاصّة:

ففي المرّة الاولى قدّمت فاطمة الزّهراء سلام الله عليها علياً و اُمّ أيمن شاهدين لها، فقال لها أبوبكر: أبرجل و امرأة تستحقّينها؟ و في رواية: «قد علمت يا بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه لا يجوز إلاّ شهادة رجل و امرأتين» و قد كانت الصّدّيقة الطّاهرة تعلم تماماً بأنّ المحاكمات العادية تحتاج إلى شهادة رجلين أو رجل و امرأتين، و لكن قضيّتها لم تكن كسائر القضايا و المحاكمات إذ ليس لها خصم في دعواها حتّى تحتاج إلى ما تحتاج إليه سائر الخصومات، بل هي قضيّة شخصيّة عائليّة كانت تحتاج إلى شاهد واحد يصدق قولها سلام الله عليها فإنّ المفروض بأبي بكر أن يكون حاكماً و قاضياً، لا أن يكون طرفاً في النّزاع و خصماً لها، و لكنّ الغاصب غاصب في كلّ شيءٍ جعل نفسه خصماً و حكماً في آنٍ واحد.

فالتجأت الصّديقة الطّاهرة «عليها السلام» حينئذ أن تقدم شهوداً أكثر...

ففي المرّة الثّانية قدمت أميرالمؤمنين علياً «عليه السلام» و اُمّ أيمن و أسماء بنت عميس و الحسنين عليهما السلام، و هنا صار أبوبكر و حليفه عمر بن الخطّاب أمام أمر واقع، فحاولا التخلّص من الموقف و التّهرّب من الحقّ، فالتجاءا إلى المغالطة فجرحا الشّهود قائلين: أمّا عليّ فزوجها، و الحسنان ابناها، و هم يجرّون إلى أنفسهم، و أمّا أسماء بنت عميس ـ كانت تحت جعفر بن أبيطالب ـ فهي تشهد لبني هاشم، و أمّا اُمّ أيمن فامرأة أعجميّة لا تفصح.

و لو سلّمنا مقالتهما في الزّوج و الفرع ـ أي الولد ـ و لكنّ أميرالمؤمنين و الحسنين عليهم السلام ليسوا موضع تهمة، و لن يشهدوا زوراً ليجرّوا إلى أنفسهم، فهم من أهل بيت النّبوّة الّذين أذهب الله عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيراً، و هم ممّن باهل بهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» نصارى نجران بأمر الله تعالى: «فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» آل عمران: ٦١).

و هم الّذين نزلت في حقّهم عدّة سور و آيات قرآنيّة، و شهد لهم رسول‌الله ﴿عَلَيْهِ‌السَّلَامُ﴾ بالجنّة، و فضآئلهم لا تحصىٰ، فهل يسلم إسلام أحد أن يتّهمهم بالباطل و الكذب على رسوله ﴿عَلَيْهِ‌السَّلَامُ﴾ و الإجحاف بحق المسلمين من أجل أنفسهم... و هل يشكّ أحد في صدق الإمام عليّ ﴿عَلَيْهِ‌السَّلَامُ﴾ و ايمانه و تقواه و زهده و ورعه، و هو القائل: «و الله! لو أعطيت الأقاليم السّبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته، و إنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعليّ و لنعيم يفنى و لذّة لا تبقى» من كلامه ﴿عَلَيْهِ‌السَّلَامُ﴾: رقم ۲۱۵).

و هو القائل ـ في النّعل الّتي لا قيمة لها ـ: «و الله لهي أحبّ إليّ من إمرتكم إلاّ أن أُقيم حقّاً أو أدفع باطلاً» الخطبة: ۳۳).

و هو القائل: «و الله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يدم مجذوم» نهج البلاغة: من قصار كلماته ﴿عَلَيْهِ‌السَّلَامُ﴾، رقم: ۲۲۸)

و في نهج البلاغة: ـ من كتابه ﴿عَلَيْهِ‌السَّلَامُ﴾ إلى بعض عمّاله لمّا خان بيت المال ـ: «و الله لو أنّ الحسن و الحسين فعلا مثل الّذي فعلتَ ما كانت لهما عندي هوادة، و لا ظفرا منّي بإرادة، حتّى آخُذَ الحقّ منهما و أُزيل الباطل عن مظلمتهما، و أقسم بالله ربّ العالمين: ما يسرّني أنّ ما أخذته من أموالهم حلال لي أتركه ميراثاً لمن بعدي...» رقم الكتاب: ٤١).

و كلّ النّاس حتّى أعدآئه و أشدّهم عداوة هو معاوية بن أبي سفيان جميعاً يعرفون عليّاً ﴿عَلَيْهِ‌السَّلَامُ﴾ بالأمانة و الوفاء و الصّدق، و انّه لا يناقض فعله قوله.

و أمّا مقالة أبي‌بكر و حليفه عمر في الحسنين بأنّهما طفلان لا يعتمد على شهادتهما، و أنّهما إبناءها، فيجرّان إلى أنفسهما، فتكذيب لقول الله جلّ وعلا و رسوله ﴿عَلَيْهِ‌السَّلَامُ﴾.

و ذلك أنّ الله تعالى أنزل آيات كثيرة في شأنهما تدل على عصمتهما عن السّهو و الخطأ، فضلاً عن الذّنب و الطّغوي...

منها: آية المباهلة، إذ اتّخذهما رسول‌الله ﴿عَلَيْهِ‌السَّلَامُ﴾ للمباهلة مع نصارى النجران بأمر الله تعالى.

و منها: آية بيعة رسول‌الله ﴿عَلَيْهِ‌السَّلَامُ﴾ لهما، و لم يبايع صبيّاً في ظاهر الحال غيرهما.

و منها: آية ايجاب ثواب الجنّة لهما على عملهما مع ظاهر الطّفولة فيهما، و لم ينزل بذلك في مثلهما: «و جزاهم بما صبروا جنّة و حريراً» الإنسان: ١٢) فعمّتهما الآية مع أبيهما و أُمّهما عليهما السلام فصغر سنّهما لا يؤثّر في صدق قولهما و قبول شهادتهما، إذ قبلت شهادة عيسى بن مريم عليهما السلام لأمّه و هو كان في المهد صبيّاً: «يا اخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء و ما كانت أُمّك بغيّاً فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً قال إنّي عبدالله آتاني الكتاب و جعلني نبيّاً ـ ذلك عيسى ابن مريم قول الحقّ الّذي فيه يمترون» مريم: ٢٨ ـ ٣٤).

و أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل بيعة الحسنين عليهما السلام، و البيعة عقد من العقود، و شرطها البلوغ، فهل ترى أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يعلم بهذا الشّرط؟ أم أنّه علم به، و لكن قبل بيعتهما لأنّ لهذا حكماً خاصّاً؟ و الشّهادة دون البيعة بمراتب، و إذا قبلت بيعتهما، فبالاحرىٰ أن تقبل شهادتهما مع أنّ سنّهما عند الشّهادة كان أكبر من سنّهما عند البيعة.

و أمّا أسماء بنت عميس المرأة الّتي شهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنّها من أهل الجنّة، فقد اتّهماها بحبّ بني هاشم فأسقطا شهادتها، فهل حبّ أهل بيت النّبوّة ذنب يسقط الشّهادة؟ و هل المفروض بالإنسان أن يشهد له أعداؤه حتّى يثبت حقّه؟

و أمّا أمّ أيمن المرأة الثّانية الّتي شهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنّها من أهل الخير و أهل الجنّة، فقد أسقطا شهادتها زاعمين أنّها أعجميّة لا تفصح، فهل من شروط الشّهادة: العربيّة و الفصاحة؟ و هل الصّدق عند العرب فحسب؟ و أنّ بقيّة المسلمين لا تقبل شهادتهم؟ فإذاً لا يقبل إسلام غير العرب، فدين الإسلام جآء للعرب فقط!

نعم: إنّ أبابكر و عمر من العرب الّذين قال الله تعالى فيهم: إنّ هذا القرآن العربيّ لو جآءهم به النّبيّ العجميّ لما آمنوا بها، و لو كان هذا القرآن أعجميّاً، جآءهم به النّبيّ العربيّ لما آمنوا بهما لكون الأعجميّ في أحدهما، و أمّا الأعاجم فيؤمنون بهما و إن كانا كلاهما غير أعجميّ: «و لو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته، أعجميّ و عربيّ» فصّلت: ٤٤).

«و لو نزّلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين» الشّعرآء: ١٩٨ ـ ١٩٩).

فهما لم يخرجا من العربيّة الجاهليّة قطّ.

و إلى موقفها أشار شريف مكّة بقوله:

ثمّ قالت: فنحلة لي من والد ي المصطفى فلم ينحلاها

فأقامت بها شهوداً فقالوا : بعلها شاهد لها و ابناها

لم يجيزوا شهادة ابني رسول الله هادي الأنام إذ ناصباها

لم يكن صادقاً عليّ، و لا فاطمة عندهم و لا ولداها

كان أتقى الله منهم عتيق قبح القائل المحال و شاها

و أخيراً رجع الشّهود على أعقابهم يجرّون أذيال الخيبة متألّمين من ردّ شهادتهم و تجريح أبي بكر و حليفه عمر إيّاهم ممّا حدا بالآخرين الّذين يعلمون بإعطاء رسول الله ﴿ﷺ﴾ فدكاً لابنته الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها أن يحجموا عن الشّهادة كأبي سعيد الخدري و ابن عباس و غيرهما الّذين رووا أنّ النّبيّ الكريم ﴿ﷺ﴾ أعطى فاطمة الزّهرآء ﴿عليها السلام﴾ فدكاً و ذلك خوفاً من أبي بكر و عمر و أذنابهما لما رأوا من شدّتهم على أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و علماً بأنّ شهادتهم سترد، كما ردّت شهادة أمير المؤمنين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب و سبطي رسول الله، سيّدي شباب أهل الجنّة عليهم السلام و أمّ أيمن و أسمآء بنت عميس و لا يبعد أن يكون ذلك موجباً لترك كثير من المهاجرين و الأنصار، نصرة الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها إذ انتصرت منهم، و إن كان تركهم غير موجّه عند العقل السّليم و الشّرع المبين.

و لكن فاطمة الزّهرآء ﴿عليها السلام﴾ لم تكفّ عن مطالبتها بفدك آملة نجاح مساعيها، و هادفة إقامة الحجّة على غاصبيها، و قطع عذر المعتذرين، و بيان جناية الغاصبين و خيانتهم و كفرهم و ضلالتهم و ظلمهم و غوايتهم... للآتين التّابعين لهم، و للنّاس كافّة لئلاّ يكون لهم عليها سلام الله عليها حجّة بعد ذلك. فأعادت على أبي بكر مرّة ثالثة، و في هذه المرّة لمّا رأى رأس الغاصبين أبوبكر إلحاحها ﴿عليها السلام﴾ الشّديد أراد أن يوصد الباب في وجهها، و يقطع خطّ العودة لتكفّ عن الطّلب فقال لها ﴿عليها السلام﴾ كما في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ١٦، ص ٢١٤) نقلاً عن كتاب (السّقيفة و فدك: ص ١٠٢) للجوهري: «إنّ هذا المال

لم يكن للنّبيّ، و إنّما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل النّبيّ به الرّجال، و ينفقه في سبيل الله، فلمّا توفّي ولّيته كما كان يليه».

إذن ففدك على رأي أبي‌بكر ليست ملكاً لرسول‌الله«صلى الله عليه وآله» حتّى يعطيها لمن يشآء، بل هي ملك للمسلمين جميعاً، و معنى ذلك أنّ الصّدّيقة الطّاهرة«عليها السلام» لو أقامت ألف بيّنة و شاهد على أنّ رسول‌الله«صلى الله عليه وآله» أنحلها فدكاً لا يعطيها أبوبكر إيّاها، بحجّة أنّها ليست لرسول‌الله«صلى الله عليه وآله» و ليس له أن يعطيها لفاطمة الزّهرآء«عليها السلام».

و هذا خروج صريح على حكم الله تعالى إذ يقول: «و ما أفآء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركاب و لكنّ الله يسلّط رسله على من يشآء و الله على كلّ شيئ قدير» الحشر: ٦).

إنّ الله عزّوجلّ جعَلَ فدكاً لرسوله«صلى الله عليه وآله» و أبوبكر يأبى ذلك: «و من لم يحكم بما أنزل فاولئك هم الكافرون ـ و من لم يحكم بما أنزل فاولئك هم الظّالمون ـ و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون» المائدة: ٤٤ ـ ٤٥ و ٤٧).

و إذا صحّ ما تقوّل به أبوبكر: إنّ هذا المال لم يكن لرسول‌الله«صلى الله عليه وآله» و إنّما كان مالاً من أموال المسلمين فلماذا لم يردّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها من أوّل وهلة بهذا الكلام؟ و لماذا طالبها بالبيّنة؟ ثمّ لماذا اتّهم الشّهود؟

و لمّا بلغ الأمر إلى هذا الحدّ انسحبت فاطمة الزّهرآء«عليها السلام» من الميدان، و ذهبت تشكو حالها إلى ابن عمّها أميرالمؤمنين عليّ عليه‌السلام؟ قائلة: «هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحلة أبي و بلغة ابنيّ، لقد أجهد في خصامي، و ألدّ في كلامي...».

٢ ـ دعوى الميراث:

و قد كانت دعوى الميراث تدور حول ثلاثة أمور: فدك، ما أفآء الله تعالى على رسوله«صلى الله عليه وآله» في المدينة، و ما بقي من سهم رسول‌الله«صلى الله عليه وآله»: بخيبر. إذ كان لرسول‌الله«صلى الله عليه وآله» ثلاث صفايا: بنو النّضير، و خيبر و فدك.

ألف: فدك، طالبتها الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها إرثاً بعد ما أخفقت في الحصول عليها نحلة، و لصاحب الحقّ أن يسلك أيّ طريق مشروع يوصله إلى حقّه حتّى إذا

تعدّدت الدّعاوي عنده، و هذا شئ يقرّه الشّرع و القانون المدنيّ، فعلى اعتبار أنّ فدكاً كانت ممّا أفآء الله تعالى بها على رسوله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ فإذا لم تنتقل في حياته ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ إلى ابنته الصّدّيقة الطّاهرة عليها سلام الله حسب زعم أبي بكر فلا بدّ أن تنتقل إليها بعد وفاته بالميراث لأنّها الوارثة الشّرعيّة الوحيدة لأبيها رسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ على رأي الشّيعة، أو أنّ العبّاس يشاركها على رأي العامّة القائلين بالتّعصيب.

ب: ما أفاء الله تعالى على رسوله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ في المدينة أو ما كان له ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ بالمدينة أو ما يعبّر عنه بصدقة النّبيّ الكريم ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ بالمدينة ـ إذ كانت له ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ أموال في المدينة أفآءها الله عزّوجلّ عليه، و هي الحوائط السّبعة الّتي و هبها مخيريق اليهودي من بني النّضير يوم أُحُد لرسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾.

قال السّمهودي في (وفآء الوفا: ج ۲، ص ۱۵۳) قال المجد، قال الواقدي كان مخيريق أحد بني النّضير حبراً عالماً، فآمن بالنّبيّ ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ و جعل ما له ـ و هو سبع حوآئط ـ لرسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾.

و قال: روى ابن زباله عن محمّد بن كعب: أنّ صدقات رسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ كانت أموالاً لمخيريق اليهودي فلمّا كان يوم أُحد قال لليهود: ألا تنصرون محمّداً؟ فو الله إنّكم لتعلمون أنّ نصرته حقّ، قالوا: اليوم السّبت، قال: فلا سبت لكم، و أخذ سيفه فمضى مع النّبيّ ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ فقاتل حتّى أثخنته الجراح، فلمّا حضرته الوفاة قال: أموالي إلى محمّد ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ يضعها حيث يشآء، و كان ذا مال، فهي عامّة صدقات النّبيّ ﴿صلّى الله عليه و آله﴾.

و أمواله هذه الّتي أوصى بها هي بساتينه السّبع و هي: الدّلال، و برقة، و الصّافية، و المثيب، و مشربة أمّ إبراهيم، و الأعواف، و حسنى، و أوقفها النّبيّ ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ على خصوص الصّدّيقة الطّاهرة صلوات الله عليها و كان يأخذ منها لأضيافه و حوآئجه، و عند وفاتها أوصت بهذه البساتين، و كلّ ما كان لها من مالٍ إلى أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾.

و قال: مخيريق سابق اليهود، و سلمان سابق فارس، و بلال سابق الحبشة. و قد ثبت عن الفريقين: أنّ رسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ أعطى فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها الحوآئط السّبعة و أوقفها عليها، و لكن أبابكر استولى عليها قهراً كما استولى على فدك كذلك، فطالبت

الصّدّيقة الطّاهرة «عليها السلام» بها ميراثاً من أبيها رسول‌الله «صلى الله عليه و آله» مع أنّ النّبيّ الكريم «صلى الله عليه و آله» أوقفها عليها في حياته تماماً كفدك الّتي أنحلها إيّاها في حياته «صلى الله عليه و آله» و لكنّها طالبت بها ميراثاً بعد أن لم تستطع الحصول عليها عن طريق النّحلة.

ج: ـ ما بقي من سهم رسول‌الله «صلى الله عليه و آله» بخيبر ـ لقد أثبت القرآن الكريم حقّاً لله تعالى و لرسوله «صلى الله عليه و آله» في الغنيمة إذ قال: «و اعلموا أنّما غنمتم من شئ فأنّ لله خمسه و للرّسول و لذي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السّبيل» الأنفال: ٤١).

و من جملة ما غنمه المسلمون أموال يهود خيبر، فأخذ رسول‌الله «صلى الله عليه و آله» سهمه و سهم الله تعالى و سهم ذي القربى، و أعطى المسلمين سهامهم...

في تاريخ الطّبري (ج ٣، ص ١٩) قال: «كانت المقاسم على أموال خيبر على الشّقّ، و نطآء، و الكتيبة، فكانت الشّقّ و نطآء في سهام المسلمين، و كانت الكتيبة خمس الله عزّوجلّ، و خمس النّبيّ «صلى الله عليه و آله» و سهم ذوي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السّبيل» فالنّبيّ «صلى الله عليه و آله» قد عيّن لنفسه و لذويه حصن الكتيبة و ميّزه عن سهام المحاربين، فلك النّبي «صلى الله عليه و آله» و ذووه حصن الكتيبة بأشخاصهم، و لفاطمة الزّهرآء «عليها السلام» في خمس خيبر حقّان: حقّ من حيث إنّها شريكة رسول‌الله «صلى الله عليه و آله» و حقّ من جهة ميراثها لحقّه، و قد استولى قهراً على خمس خيبر كلّه، فمنعها الحقّين.

و إنّ ما بقي من سهم رسول‌الله «صلى الله عليه و آله» بخيبر لم يخصّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها وحدها، بل يعمّ ورثة رسول‌الله «صلى الله عليه و آله» جميعاً، و لهذا طالبت زوجات النّبيّ «صلى الله عليه و آله» أبابكر بحقّهنّ من سهم رسول‌الله «صلى الله عليه و آله» فقد روى ياقوت الحموي عن عروة ابن الزّبير: أنّ أزواج رسول‌الله «صلى الله عليه و آله» أرسلن عثمان بن عفّان إلى أبي‌بكر يسئلن مواريثهنّ من سهم رسول‌الله «صلى الله عليه و آله» فقال أبوبكر: سمعت رسول‌الله «صلى الله عليه و آله» يقول: «نحن معاشر الأنبيآء لا نورّث ما تركناه صدقة» إنّما هذا المال لآل محمّد لنائبتهم و ضيفهم، فإذا متّ إلى وليّ الأمر من بعدي.

و لا يخفى أنّ أزواج النّبيّ الكريم «صلى الله عليه و آله» لم يطالبن بفدك و لا الحوائط السّبعة ميراثاً لأنّهنّ يعلمن علم اليقين بأنّها لفاطمة الزّهرآء «عليها السلام»، و مطالبتها بها عن طريق الإرث

ذريعة للحصول عليها و إلاّ فقد ملكتها فاطمة الزّهـرآء سـلام‌الله‌عـليها في حـياة رسول‌الله «صلى الله عليه وآله».

و على كلّ حال إنّ دعوى الميراث كانت تدور حول هذه الأشياء الثّلاثة، و طالبت الصّدّيقة الطّاهرة «عليها السلام» بها منفردة و مجتمعة، و كانت تأتيه حيناً مع عمّها العبّاس و آونة وحدها، فمرّة طالبت بفدك وحدها، و ثانية طالبت بسهم رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» وحده، و ثالثة طالبت بفدك و سهم رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» معاً، و رابعة طالبت بفدك و سهم رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» و ما أفآء الله عليه في المدينة مجتمعة، و في كلّ مرّة كان أبوبكر يردّها بحديث خاصّ عن رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» انفرد باستماعه.

فمرّة يقول لها: «إنّي سمعت رسول‌الله يقول: إنّ النّبيّ لا يورث» كما في شرح النهج لابن أبي الحديد: (ج ١٦، ص ٢١٩).

و مرّة أخرىٰ: يقول لها: «إنّ رسول‌الله قال: لا نورّث، ما تركناه صدقة، إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال ـ أو في هذا المال» كما في شرح النهج أيضاً (ج ١٦، ص ٢١٨).

و ثالثة: يقول لها: «سمعت رسول‌الله يقول: إنّما هي طعمة أطعمنيها الله، فإذا متّ كانت بين المسلمين» كما في (كنز العمال: ج ٣، ص ١٢٥) أو «إنّما هي طعمة أطعمنيها الله في حياتي، فإذا متّ فهي بين المسلمين» كما في فتوح البلدان للبلاذري (ص ٣٨).

و رابعة: يقول لها «عليها السلام»: «حدّثني رسول‌الله أنّ الله يطعم النّبيّ الطّعمة ما كان حيّاً فاذا قبضه الله إليه رفعت» كما في شرح النهج: (ج ١٦، ص ٢٣٣).

و خامسة: يقول لها «عليها السلام»: «إني سمعت رسول‌الله يقول: إذا أطعم الله نبيّاً طعمة ثمّ قبضه كانت للّذي بعده، فلمّا وليت رأيت أن أردّ على المسلمين» كما في كنزالعمال (ج ٣، ص ١٣).

و سادسة: يقول لها: «سمعت رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «إنّ الله إذا أطعم نبيّاً طعمة فهي للّذي يقوم بعده» كما في شرح الحديد (ج ١٦، ص ٢١٩) و سنن أبي داود ـ باب صفايا رسول‌الله ـ من كتاب الخراج).

و سابعة: يقول لها: «سمعت رسول‌الله يقول: نحن معاشر الأنبيآء لا نورّث ذهباً و لا

فضّة و لا داراً و لا عقاراً، و إنّما نورث الكتاب و الحكمة و العلم و النبوّة، و ما كان لنا من طعمة فلوليّ الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه».

و هكذا حاول التّأكيد على أنّ النّبيّ ﴿ﷺ﴾ لا يورث و ما تركه صدقة، و معنى ذلك أنّ الأموال الّتي كانت تحت يد رسول الله ﴿ﷺ﴾ كانت طعمة له في حياته، وكان يتصرّف فيها بملاحظة أنّه وليّ أمر المسلمين لا أنّها ملكه الشّخصيّ، و سيكون أمرها من بعده إلى وليّ الأمر الّذي يقوم بعده، و لا تصل إلى ورثته لأنّه ما كان يملكها. و قد رأى أبوبكر بملاحظة أنّه وليّ الأمر أن يردّها إلى المسلمين، و هنا يناقض الحديث الّذي رواه عن رسول الله ﴿ﷺ﴾: «إنّما هي طعمة أطعمنيها الله فإذا متّ كانت بين المسلمين» ففي هذا الحديث يخبر النّبيّ ﴿ﷺ﴾ أنّها للمسلمين من بعده. و في ذاك الحديث يخبر النّبيّ ﴿ﷺ﴾ بأنّها لوليّ الأمر من بعده يحكم فيها بحكمه. و قد رأى ردّها إلى المسلمين لا إعطاءها للمسلمين، فكأنّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان قد أخذها من المسلمين و أبوبكر ردّها عليهم.

و إذا كانت تركة رسول الله ﴿ﷺ﴾ طعمة له في حياته، و أمرها إلى وليّ الأمر أو إلى المسلمين من بعده، فماذا تجدي احتجاجات الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها و استدلالاتها بثبوت التّوارث بين الأنبيآء عليهم السلام و أولادهم، ففاطمة الزّهرآء ﴿ﷺ﴾ إن قدمت ألف دليل على أنّ الأنبيآء عليهم السلام يورثون لا تحصل على شيءٍ من تركة أبيها، و إذن فهذه محاولة من أبي بكر الغاصب في صدّ الصّدّيقة الطّاهرة صلوات الله عليها عن حقّها في الميراث بعد أن أثبتته في خطبتها و مجادلاتها مع الرّجل تماماً كما كان في أمر النّحلة، فهناك بمجرّد أن أكملت شهود الإثبات، اتّهم الشّهود و سدّ باب النّحلة بقوله: «إنّ هذا المال لم يكن للنّبيّ ﴿ﷺ﴾ و إنّما كان أموالاً من المسلمين».

و هنا لمّا فندت مزاعم أبي بكر الغاصب في عدم التّوارث بين الأنبيآء و أولادهم سدّ باب الإرث بقوله: «سمعت رسول الله يقول: إنّما هي طعمة أطعمنيها الله في حياتي، فإذا متّ فهي بين المسلمين» «و ما كان لنا من طعمة فلوليّ الأمر بعدنا أن يحكم فيها بحكمه».

و ماذا تقول الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها حينئذ؟ أتقول: حاشا النّبيّ أن يقول هذا؟ فما دليلها على ذلك؟ أو تقول لأبي بكر الغاصب ـ و هو يقول: ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه و في

الحقّ أن تتركه أو تمنعه، فاصبر مغموماً أو مُتْ متأسّفاً ـ و يقول: الحكم لمن غلب ـ: أنت تكذب على رسول‌الله، فما حجّتها؟

لذا انسحبت من الميدان مهيضة الجناح، تذرف دموع اليأس، شاكية حالها إلى أبيها رسول‌الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ قائلة:

قد كان بعدك أنباء و هنبثة	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها	و اختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا
أبدى رجال لنا نجوى صدورهم	لما مضيت و حالت دونك الترب

و قد أجاد الشّاعر الكبير قتادة بن إدريس شريف مكّة في وصفه مطالبة الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها بإرثها من أبيها، و جواب الغاصبين لها و احتجاجها عليهم قائلاً:

و أتت فاطم تطالب بالإرث	من المصطفى فما ورثاها
ليت شعري خولفت سنن القر	آن فيها و الله قد أبداها
رضى النّاس إذ تلوها بما لم	يرض فيها النّبيّ حين تلاها
نسخت آية المواريث منها	أم هما بعد فرضها بدلاها
أم ترى آية المودّة لم تأ	ت بودّ الزّهرآء في قرباها
ثمّ قالا أبوك جآء بهذا	حجّة من عنادهم نصباها
قال: للأنبيآء حكم بأن لا يورثوا	في القديم و انتهراها
أفبنت النّبيّ لم تدر إن كا	ن نبيّ الهدى بذلك فاها
بضعة من محمّد خالفت ما قا	ل حاشاها مولاتنا حاشاها
سمعته يقول ذاك و جآئت	تطلب الإرث ضلّة و سفاها
هي كانت لله أتقى و كانت	أفضل الخلق عفّة و نزاها
أو تقول النّبيّ قد خالف القر	آن ويح الأخبار ممّن رواها
سل بإبطال قولهم سورة النّمل	و سل مريم الّتي قبل طاها
فهما ينبئان عن إرث يحيى	و سليمان من أراد انتباها
فدعت و اشتكت إلى الله من ذاك	و فاضت بدمعها مقلتاها

٣ـ دعوى سهم ذوي القربى:

في شرح ابن الحديد: (ج ١٦، ص ٢٣٠) قال ابن أبي الحديد: «و اعلم أنّ النّاس يظنّون أنّ نزاع فاطمة أبابكر كان في أمرين: في الميراث و النّحلة، و قد وجدتُ في الحديث أنّها نازعَتْ في أمر ثالث، و منعها أبوبكر إيّاه أيضاً و هو سهم ذوي القربىٰ».

و فيه: بإسناده عن أنس بن مالك: أنّ فاطمة «عليها السلام» أتت أبابكر فقالت: لقد علمت الّذي ظلمتنا عنه أهل البيت من الصّدقات و ما أفآء الله علينا من الغنآئم في القرآن من سهم ذوي القربي! ثمّ قرأَتْ عليه قوله تعالى: «و اعلموا أنّما غنمتم من شئ فأنّ لله خمسه و للرّسول و لذي القربىٰ...» الآية.

فقال لها أبوبكر: بأبي أنت و أُمّي و والدٍ وَلَدَكِ! السّمع و الطّاعة لكتاب الله، و لحقّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» و حقّ قرابته، و أنا أقرأ من كتاب الله الّذي تقرئين منه، و لم يبلغ علمي منه أنّ هذا السّهم من الخمس يُسَلَّم إليكم كاملاً. قالت: أفلك هو و لأقربآئك؟ قال: لا بل أنفق عليكم منه، و أصرف الباقي في مصالح المسلمين، قالت: ليس هذا حكم الله تعالى، قال: هذا حكم الله، فإن كان رسول الله عَهِدَ إليكِ في هذا عهداً أو أوجبه لكم حقّاً (لك عَلَيَّ حقّاً خ) صدّقتكِ و سلّمته كلّه إليك و إلى أهلكِ؟ قالت: إنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يعهد إليّ في ذلك بشئ إلاّ أنّي سمعت يقول لمّا أنزلت هذه الآية: «أبشروا آل محمّد فقد جآءكم الغِنىٰ».

قال أبوبكر: لم يبلغ علمي من هذه الآية أن أُسلّم إليكم هذا السّهم كلّه كاملاً، و لكنّ لكم الغِنَى الّذي يُغنيكم، و يفضل عنكم، و هذا عمر بن الخطّاب و أبوعبيدة بن الجرّاح فاسئليهم عن ذلك و انظري هل يوافقكِ ما طلبتِ أحد منهم! فانصرفت إلى عمر فقالت له مثل ما قالت لأبي بكر، فقال لها: مثل ما قاله لها أبوبكر، فعجبت فاطمة «عليها السلام» من ذلك، و تظنّت أنّهما كانا قد تذاكرا ذلك و اجتمعا عليه».

أقول: و انظر و تدبّر مليّاً أيّها القارئ الخبير طيّب الولادة ثمّ اقض فأنت قاضٍ:

ألف: كيف كذّب أبوبكر بن أبي قحافة بصراحة قوله: «هذا حكم الله» قول الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها: «ليس هذا حكم الله تعالى» و جعلها أجنبيّة عن فهم كتاب الله جلّ وعلا؟

ب: كيف فسّر أبوبكر الغني بمعنى سدّ الحاجة و قوت اللايموت؟

ج: كيف أحال فهم كتاب الله عزّوجلّ و معنى كلام رسول‌الله ﴿ﷺ﴾ إلى عمر بن الخطّاب حليفه، و أبي عبيدة حفّار القبور عميلهما؟ الّذين تحقّق بهم الثّلاثة معنى الجماعة في السّقيفة السّخيفة الشّؤمة، و صارت مردتها أصحاب الجماعة إلى يومنا هذا!

د: انّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله‌عليها تعجّبت من تواطؤ الثّلاثة حزب الشيطان و تذاكرهم و اجتماعهم على ذلك و علمت بذلك.

و قد أشار مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿ﷺ﴾ إلى ذلك بقوله:

في نهج البلاغة: «اتّخذوا الشّيطان لأمرهم ملاكاً، و اتّخذهم له أشراكاً، فباض و فرّخ في صدورهم، و دبّ و درج في حجورهم، فنظر بأعينهم و نطق بألسنتهم، فركب بهم الزّلل، و زيّن لهم الخطل، فعل مَن قد شركه الشّيطان في سلطانه، و نطق بالباطل على لسانه». الخطبة: ٧).

و فيه: قال يعسوب الدّين الإمام علىّ ﴿ﷺ﴾: «ألا و إنّ الشّيطان قد جمع حزبه و استجلب خيله و رَجْلَهُ...» الخطبة: ١٠).

نعم! تقدّمت الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها إلى أبي بكر الغاصب بدعوى ثالثة و هي المطالبة بسهم ذوي القربىٰ من خمس الغنآئم المنصوص عليه في القرآن الكريم بقوله تعالى: «و اعلموا أنّما غنمتم من شيءٍ فأنّ لله خمسه و للرّسول و لذي القربىٰ...» الأنفال: ٤١).

فقد فرض الله عزّوجلّ في هذه الآية لذوي القربىٰ حقّاً في الخمس قصره عليهم كما أنّ رسول‌الله ﴿ﷺ﴾ كان يخصّ أقاربه بسهم من الخمس، و يخصّ نفسه بسهم آخر، و لذا قسّم أموال خيبر و أعطى المسلمين حقّهم، و جعل الكتيبة خمس الله و خمس النّبيّ ﴿ﷺ﴾ وسهم ذوي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السّبيل. ذكره الطّبري في تاريخه (ج ٣، ص ١٩).

و في مسند أحمد (ج ١، ص ٨٣) روى أنّ النّبيّ ﴿ﷺ﴾ لم يقسم لبني عبد شمس، و لا لبني نوفل من الخمس شيئاً كما كان يقسم لبني‌هاشم و بني المطلب، و أنّ أبابكر لم يكن

يعطى قربى رسول‌الله «عليه‌السلام» كما كان رسول‌الله «عليه‌السلام» يعطيهم».

و في **تفسير الكشّاف**: ـ في تفسير آية الخمس ـ عن ابن عبّاس أنّه ـ أي الخمس ـ على ستّة أسهم: لله و لرسوله «عليه‌السلام» سهمان، و سهم لأقاربه، حتّى قبض «عليه‌السلام» فأجرى أبوبكر الخمس على ثلاثة، و كذلك روي عن عمر و بعده من الخلفآء». قال الزّمخشري: «و روي أنّ أبابكر قد منع بني هاشم من الخمس، و جعلهم كغيرهم من يتامى المسلمين و مساكينهم و أبنآء السّبيل منهم».

و في **شرح ابن أبي الحديد**: (ج ١٦، ص ٢٣١) عن عروة، قال: أرادت فاطمةُ أبابكر على فدك و سهم ذوي القربى، فأبى عليها، و جعلهما في مال الله تعالى».

و فيه: «أنّ أبابكر منع فاطمة و بني‌هاشم سهم ذوي القربى، و جعله في سبيل الله في السّلاح و الكُراع».

فتقدّمت الصّدّيقة الطّاهرة عليها سلام‌الله مطالبة بسهم ذوي القربى و لها «عليها‌السلام» في الخمس حقّان: حقّ من جهة ميراثها لسهم أبيها رسول‌الله، و حقّ من جهة سهم ذوي القربىٰ، و أنّها شريكة رسول‌الله «عليه‌السلام» في الخمس، و قد منعها أبوبكر الغاصب الحقّين معاً.

فطالبت الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها أبابكر الغاصب بسهم ذي القربى، و استدلّت بآية الخمس على ذلك، و لكنّ المُلك عقيم و حبّ الشّئ يُعمي و يصمّ لا يعرف الخالق، فضلاً عن المخلوق.

و بعد هذه المواقف الثّلاثة تأكّدت الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها: أنّ هناك خطّة مدبّرة ضدّها و ضدّ أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليهما السلام و ضدّ بني‌هاشم جميعاً، فهجرت أبابكر بعد أن غضبت على أبي‌بكر و حليفه عمر بن الخطّاب الّذي سانده ضدّها، و ماتت ساخطة عليهما بعد ما أوصت بدفنها ليلاً و أن لا يحضرا جنازتها و لا الصّلاة عليها.

هذه خلاصة لما جرى بين أبي‌بكر بن أبي قحافة الغاصب، و الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها من منازعات في الأيّام القلائل الّتي عاشتها بضعة

رسول‌الله «صلى الله عليه و آله» بعد أبيها «عليها السلام» و لم ينته النّزاع بشهادة فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها، بل بقي مستمرّاً عبر التّاريخ الإسلامي، بين ورثة الصّدّيقة الطّاهرة عليهم‌السلام في الحقّ، و ورثة أبي‌بكر في الحكم، و بين أنصار هما من جهة ثالثة.

و في **شرح ابن أبي الحديد**: قال: «و حديث فَدَك و حضور فاطمة عند أبي‌بكر كان بعد عشرة أيام من وفاة رسول‌الله «صلى الله عليه و آله»».

قال بعض الأعلام: إنّ فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها إن كانت مطالبة بميراث فلا حاجة بها إلى الشّهود، فإنّ المستحقّ للتركة لا يفتقر إلى الشّاهد إلاّ إذا لم يعرف صحّة نسبه و اعتزائه إلى الدّارج، و ما أظنّهم شكّوا في نسب فاطمة و كونها ابنة النّبيّ «صلى الله عليه و آله» و إن كانت تطلب فدكاً و تدّعي أنّ أباها نحلها إيّاها احتاجت إلى إقامة البيّنة، و لم يبق لما رواه أبوبكر من قوله: «نحن معاشر الأنبيآء لا نورّث...» معنىً، و هذا واضح جدّاً.

و إنّ أبابكر ما كان عارفاً بالمسائل الشّرعيّة، فإنّ طلبه البيّنة من الصّدّيقة الطّاهرة «عليها السلام» كان غلطاً من جهة الاصول و القواعد الفرعية، و إنّه ما كان يعرف الفرق بين المدّعي و المنكر، و إنّ جرحه شهود الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها بما جرح مثل طلبه منها البيّنة و كذا نقله الرّواية الّتي تمسّك بها في نفي توريث الأنبيآء عليهم‌السلام لم يكن له وجه بالمرّة، و كان أبوبكر غاصباً حقّها، ظالماً عليها لحبّ الملك و الرّئاسة، و حبّ الشّيئ يعمي و يصمّ.

و قد ثبت أنّ رسول‌الله «صلى الله عليه و آله» أعطى فدكاً فاطمة الزّهرآء «عليها السلام» و أقبضها إيّاها، و كانت في تصرّف وكيلها، و قد ادّعتها الصّدّيقة الطّاهرة «عليها السلام» بعد وفاة رسول‌الله «صلى الله عليه و آله» على وجه الاستحقاق، و شهد المعصوم و غيره بذلك، فإن كانت هبة قبل القبض تبطل بموت الواهب كما هو المشهور، فقد ثبت القبض، و إلاّ فلا حاجة إليه في إثبات المدّعي.

و في **نهج البلاغة**: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «بلى كانت في أيدينا فدك...».

و حينئذ فكيف كان أبوبكر يطلب البيّنة من المتصرّف المنكر، و إنّما كانت البيّنة وظيفة أبي‌بكر، و من القواعد الضّروريّة الشّرعيّة الواضحة عند جميع أهل الملل و النّحل الّتي

يحكم على منكرها بالكفر و الضّلالة، و البغي و الجناية و الظّلم و الخيانة: أنّ البيّنة على المدّعي و اليمين على من أنكر.

و قد ثبت بالآيات القرآنيّة و الرّوايات المتواترة من الفريقين عصمة الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها، و المعصوم إذا ادّعى شيئاً فلا بدّ أن يسلّم البتّة، و ليس للحاكم أن يحكم بمجرّد دعوى المعصوم و أن تيقّن صدقه، و يردّه ما دلّ على أنّ الحاكم يحكم بعلمه ألبتّة، و قد اتّفق الفريقان على رواية قصّة خزيمة بن ثابت و تسميته بذى الشّهادتين لما شهد النّبيّ ﴿صلى الله عليه و آله﴾ بدعواه ردّ قيمة الابل الّذي اشتراه من رجل فادّعى الرّجل عدم وصول قيمته، و قال خزيمة: أنا أشهد بذلك، فقال له النّبيّ ﴿صلى الله عليه و آله﴾: من أين علمت و ما حضرت ذلك؟ قال: لا و لكن علمت ذلك من حيث إنّك رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ فقال ﴿صلى الله عليه و آله﴾: قد أجزت شهادتك و جعلتها شهادتين، و لذلك سمّي بذي الشّهادتين.

و قد ثبت أيضاً أنّ أميرالمؤمنين عليّاً ﴿عليه السلام﴾ خطّأ شريحاً في طلب البيّنة منه على درع طلحة، و قال: إنّ إمام المسلمين يؤتمن من امورهم على ما هو أعظم من ذلك، و أخذ ما ادّعاه من درع طلحة بغير حكم شريح.

في شرح ابن أبي الحديد: قال: و قلت لمتكلّم من متكلّمي الإماميّة يعرف بعليّ بن تقي من بلدة النّيل: و هل كانت فدك إلاّ نخلاً يسيراً و عقاراً ليس بذلك الخطير؟

فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلة جدّاً و كان فيها من النّخل نحوما بالكوفة الآن من النّخل، و ما قصد أبوبكر و عمر بمنع فاطمة عنها إلاّ أن لا يتقوى عليّ بحاصلها و غلّتها على المنازعة في الخلافة...

و قال أيضاً: و سئلت عليّ بن الفارقي مدرّس المدرسة الغربيّة ببغداد فقلت له: «أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلِمَ لم يدفع إليها أبوبكر فدكاً و هي عنده صادقة، فتبسّم ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه و حرمته و قلّة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدكاً بمجرّد دعواها لجائت إليه غداً و ادّعت لزوجها الخلافة، و زحزحته عن مقامه و لم يكن يمكنه الاعتذار بشيئ لأنّه يكون قد سجّل على نفسه بأنّها صادقة فيما تدّعي».

و فيه: قال ابن أبي الحديد: و قال لي علويّ من الحِلّة يُعرَف بعليّ بن مهنا، ذكيّ ذو فضائل: ما تظنّ قصد أبي‌بكر و عمر بمنع فاطمة فدك؟ قلت: ما قصدا؟ قال: أرادا ألاّ

يُظهرا لعليّ ـ و قد اغتصباه الخلافة ـ رقّة و ليناً و خذلاناً، و لا يرى عندهما خَوَراً، فأتبعا القَرْح بالقَرْح».

الخَوَر: الفتور و الضّعف.

في كتاب ثمّ اهتديت: قال الدّكتور محمّد التيجانيّ السّماويّ ـ و هو من أعاظم متفكري العامّة المعاصر المستبصر أخيراً ـ في السّبب الثّاني من أسباب استبصاره ـ: ما لفظه: «۲ ـ خلاف فاطمة مع أبي بكر: و هذا الموضوع أيضاً مجمع على صحّته من الفريقين، فلا يسع المنصف العاقل إلاّ أن يحكم بخطأ أبي بكر إن لم يعترف بظلمه و حيفه على سيّدة النّسآء لأنّ من يتتبّع هذه المأساة و يطّلع على جوانبها يعلم علم اليقين أنّ أبابكر تعمّد ايذآء الزّهرآء و تكذيبها لئلاّ تحتجّ عليه بنصوص الغدير و غيرها على خلافة زوجها و ابن عمّها عليّ، و نجد قرآئن عديدة على ذلك، منها ما أخرجه المؤرّخون من أنّها سلام‌الله‌عليها خرجت تطوف على مجالس الأنصار و تطلب منهم النّصرة و البيعة لابن عمّها، فكانوا يقولون: «يا ابنة رسول‌الله قد مضت بيعتنا لهذا الرّجل، و لو أنّ زوجك و ابن عمّك سبق إلينا قبل أبي‌بكر ما عدلنا به، فيقول عليّ كرّم الله وجهه: أفكنتُ أدَعُ رسول‌الله «صلّی‌الله‌علیه‌وآله» في بيته لم أدفنه، و أخرج أُنازع النّاس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبوالحسن إلاّ ما كان ينبغي له، و لقد صنعوا ما الله حسيبهم و طالبهم.

و لو كان أبوبكر مخطئاً عن حسن نيّة أو على اشتباه لأقنعته فاطمة الزّهرآء، و لكنّها غضبت عليه، و لم تكلّمه حتّى ماتت لأنّه ردّ في كلّ مرّة دعوتها و لم يقبل شهادتها، و لا شهادة زوجها، و لكلّ هذا اشتدّ غضبها حتّى أنّها لم تأذن له بحضور جنازتها حسب وصيّتها لزوجها الّذي دفنها في الليل سرّاً» انتهى كلامه.

«إخراج وكيل الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام من فدك و غصبها و ردّ شهادة شهودها، و قبول شهادة عائشة و عمر»

و اعلم أنّ فدكاً: قرية في الحجاز، بينها و بين المدينة (١٤٠) كيلومتراً و هي أرض يهوديّة، كانت تسكنها طائفة من اليهود حتّى السّنة السّابعة حين قذف الله بالرّعب في قلوب أهلها، فصالحوا رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» على النّصف من فدك، و روي أنّه صالحهم عليها كلّها، فصارت ملكاً لرسول‌الله «صلى الله عليه وآله» خاصّة لأنّها لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب، ثمّ آتاها ابنتها فاطمة الزّهرآء سلام‌الله‌عليها بأمر من الله تعالى مرّتين: «فآت ذا القربىٰ حقّه...» الرّوم: ٣٨) و «و آت ذا القربىٰ حقّه...» الإسراء: ٢٦) و قد كانت بيد الصّدّيقة الطّاهرة تحت تصرّفها «عليها السلام» في عهد أبيها و بعد وفاته «صلى الله عليه وآله» و كانت وضعت عليها وكيلاً عنها حتى طرد أبوبكر وكيلها «عليها السلام» و انتزعها غصباً.

في كتاب الاختصاص: عن عبدالله بن سنان عن أبي‌عبدالله «عليه السلام» قال: لمّا قبض رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» و جلس أبوبكر مجلسه، بعث إلى وكيل فاطمة صلوات‌الله عليها فأخرجه من فدك، فأتته فاطمة «عليها السلام» فقالت: يا أبابكر! ادّعيت أنّك خليفة أبي، و جلست مجلسه، و أنّك بعثت إلى وكيلي فأخرجته من فدك، و قد تعلم أنّ رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» صدّق بها عليّ، و أنّ لي بذلك شهوداً، فقال لها: إنّ النّبيّ «صلى الله عليه وآله» لا يورث.

فرجعت إلى عليّ ﴿عليه السلام﴾ فأخبرته، فقال: إرجعي إليه و قولي له: زعمتَ أنّ النبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ لا يورث: «و ورثَ سليمانُ داود» النّمل: ١٦) و ورث يحيى زكريّا، وكيف لا أرث أنا أبي؟! فقال: أنتِ معلّمة، قالت: و إن كنتُ معلّمة فإنّما علّمني ابن عمّي و بعلي.

فقال أبوبكر: فإنّ عائشة تشهد و عمر أنّهما سمعا رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و هو يقول: إنّ النبيّ لا يورث.

فقالت: هذا أوّل شهادة زور شهدا بها (به خ) و إنّ لي بذلك شهوداً بها في الإسلام، ثمّ قالت: فإنّ فدك إنّما هي صدّق بها عليَّ رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و لي بذلك بيّنة.

فقال لها: هلمّي بيّنتك، قال: فجآئت بأم أيمن و عليّ عليه السلام، فقال أبوبكر: يا أمّ أيمن! إنّك سمعتِ من رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ يقول في فاطمة؟

فقالت: سمعت رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ يقول: إنّ فاطمة سيّدة نسآء أهل الجنّة، ثمّ قالت أمّ أيمن: فمن كانت سيّدة نسآء أهل الجنّة تدّعي ما ليس لها؟! و أنا امرأة من أهل الجنّة ما كنت لأشهد بما لم أكن سمعتَ (ماكنت لأشهد إلاّ بما سمعتُ خ) من رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فقال عمر: دعينا يا أمّ أيمن من هذه القصص، بأيّ شيْ تشهدين؟

فقالت: كنتُ جالسة في بيت فاطمة ﴿عليها السلام﴾ و رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ جالس حتّى نزل عليه جبرئيل، فقال: يا محمّد! قم فإنّ الله تبارك و تعالى أمرني أن أخطّ لك فدكاً بجناحي، فقام رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ مع جبرئيل ﴿عليه السلام﴾ فما لبث أن رجع، فقالت فاطمة ﴿عليها السلام﴾: يا أبة! أين ذهبتَ؟ فقال: خطّ جبرئيل ﴿عليه السلام﴾ لي فدكاً بجناحه و حدّ لي حدودها، فقالت: يا أبة! إنّي أخاف العيلة و الحاجة من بعدك، فصدّق بها عليَّ، فقال: هي صدقة عليكِ، فقبضتها، قالت: نعم، فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ يا أمّ أيمن! اشهدي، و يا عليّ! اشهد.

فقال عمر: أنت امرأة و لا نجيز شهادة امرأة وحدها، و أمّا علي فيجرّ إلى نفسه.

قال: فقامت مغضبة و قالت: اللّهمّ! إنّهما ظلما ابنة محمّد (نبيّك خ) حقّها، فاشدد وطأتك عليهما، ثمّ خرجت، و حملها عليّ على أتان عليه كسآء له خمل، فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين و الأنصار و الحسن و الحسين عليهما السلام معها و هي تقول: يا معشر المهاجرين و الأنصار! أنصروا الله فإنّي ابنة نبيّكم، و قد بايعتم رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾

يوم بايعتموه أن تمنعوه و ذرّيّته ممّا تمنعون منه أنفسكم و ذراريكم، ففوا لرسول‌الله «صلی الله علیه و آله» ببيعتكم، قال: فما أعانها أحد و لا أجابها و لا نصرها.

قال: فانتهت إلى معاذ بن جبل، فقالت: يا معاذ بن جبل! إنّي قد جئتك مستنصرة، و قد بايعتَ رسول‌الله «صلی الله علیه و آله» على أن تنصره و ذرّيّته، و تمنع ممّا تمنع منه نفسك و ذرّيّتك، و إنّ أبابكر قد غصبني على فدك و أخرج وكيلي منها، قال: فمعي غيري؟ قالت: لا، ما أجابني أحد، قال: فأين أبلغ أنا من نصرتك؟ قال: فخرجت من عنده، و دخل ابنه، فقال: ما جآء بابنة محمّد إليك؟ قال: جآئت تطلب نصرتي على أبي‌بكر فإنّه أخذ منها فدكاً قال: فما أجبتها به؟ قال: قلتُ: و ما يبلغ من نصرتي أنا وحدي، قال: فأبيتَ أن تنصرها؟ قال: نعم، قال: فأيّ شيء قالت لك؟

قال: قالت لي: و الله لأنازعنّك الفصيح من رأسي حتّى أرِدَ على رسول‌الله «صلی الله علیه و آله» قال: فقال: أنا و الله لانازعنّك الفصيح من رأسي حتّى أرد على رسول‌الله «صلی الله علیه و آله» إذ لم تجب ابنة محمد «صلی الله علیه و آله».

قال: و خرجت فاطمة صلوات‌الله عليها من عنده و هي تقول: و الله لا أُكلّمك كلمة حتّى أجتمع أنا و أنت عند رسول‌الله «صلی الله علیه و آله» ثمّ انصرفت.

فقال عليّ «علیه السلام» لها: ائتي أبابكر وحده فإنّه أرقّ من الآخر، و قولي له: ادّعيتَ مجلس أبي و أنّك خليفته و جلستَ مجلسه، و لو كانت فدك لك ثمّ استوهبتها منك لوجب ردّها عليَّ، فلمّا أتته و قالت له ذلك، قال: صدقتِ، قال: فدعا بكتاب فكتبه لها بردّ فدك. فقال: فخرجت (فاطمة «علیها السلام») و الكتاب معها، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمّد! ما هذا الكتاب الّذي معكِ؟ فقالت: كتاب كتبه لي أبوبكر بردّ فدك، فقال: هلمّيه إليّ، فأبت أن تدفعه إليه، فرفسها برجله ـ و كانت «علیها السلام» حاملة بابن اسمه: المحسن ـ فأسقطت المحسن من بطنها. ثمّ لطمها، فكأنّي أنظر إلى قرط في أذنها حين نُقِفَتْ ثمّ أخذ الكتاب فخرقه.

فمضت و مكثت خمسة و سبعين يوماً مريضة ممّا ضربها عمر، ثمّ قُبِضَتْ، فلمّا حضرتها الوفاة دعت عليّاً صلوات‌الله عليه، فقالت: إمّا تضمن و إلاّ أوصيت إلى ابن الزّبير، فقال عليّ «علیه السلام»: أنا أضمن وصيّتكِ يا بنت محمّد، قالت: سئلتك بحقّ رسول‌الله «صلی الله علیه و آله» إذا أنا

مِتُّ أن لا يشهداني و لا يصلّيا عَلَيَّ، قال: فلك ذلك.

فلمّا قُبضَتْ صلوات الله عليها، دفنها ليلاً في بيتها، و أصبح أهل المدينة يريدون حضور جنازتها، و أبوبكر و عمر كذلك، فخرج إليهما عليّ ﴿عليه السلام﴾ فقالا له: ما فعلتَ بابنة محمّد؟! أخذتَ في جهازها يا أبا الحسن؟ فقال: علي ﴿عليه السلام﴾: قد و الله دفنتها، قالا: فما حملك على أن دفنتها و لم تعلمنا بموتها؟ قال: هي أمرتني.

فقال عمر: و الله لقد هممت بنبشها و الصّلاة عليها، فقال عليّ صلوات الله عليه: أما و الله مادام قلبي بين جوانحي و ذوالفقار في يدي، إنّك لا تَصِلُ إلى نبشها، فأنت أعلم، فقال أبوبكر: اذهب، فإنّه أحقّ بها منّا و انصرف النّاس».

و قد روى الواقعة جماعة من أعلام العامة و حملة أسفارهم في مآخذهم المعتبرة عندهم:

منهم: الحاكم في (المستدرك: ج ٣، ص ١٦٣).

و منهم: ابن قتيبة في (الإمامة و السّياسة: ج ١، ص ١٤).

و منهم: ابن عبد البرّ الاندلسي في (الاستيعاب: ج ٢، ص ٧٥١).

و منهم: ابن حجر العسقلاني في (الإصابة: ج ٤، ص ٣٧٨ و ٣٨٠).

و منهم: ابن الأثير في (اسد الغابة: ج ٥، ص ٢٥٤).

و منهم: القسطلاني في (إرشاد السّاري: ج ٦، ص ٣٦٢).

و منهم: عمر رضا كحّالة في (أعلام النّسآء: ج ٣، ص ١٢١٤).

و منهم: القاضي الدّيار البكري في (تاريخ الخميس: ج ١، ص ٣١٣).

و منهم: الجاحظ في (رسائله: ص ٣٠٠).

و منهم: الخوارزمي في (المقتل: ج ١، ص ٨٣).

و منهم: أبونعيم الإصبهاني في (حلية الأوليآء: ج ٢، ص ٤٣).

و غيرهم تركناهم روماً للاختصار.

قولها ﴿عليها السلام﴾: «فاشدد و طأتك عليها».

الوطء ـ في الأصل ـ: الدّوس بالقَدَم، و سمّي به الغزو و القتل لأنّ من يطأ على الشّيْ

برجله فقد استقصى في إهلاكه و إهانته. و منه الحديث: «اللّهمّ اشدد و طأتك على مُضَر» أي خذهم أخذاً شديداً.

الخَمَل: هُدْبُ القطيفة و نحوها.

و قولها﴿عليها السلام﴾: «لأُنازعنّك الفصيح» أي بما يفصح عن المراد أي بكلمة من رأسه، فإنّ محلّ الكلام في الرّأس أو المراد بالفصيح: اللسان.

و «نُقِفَتْ»: كُسِرَ دماغها من لطم عمر بن الخطّاب اللّعين.

و قوله﴿عليه السلام﴾: «جوانحي» الجوانح: الضّلوع تحت التّرائب ممّا يلي الصّدر، جمع الجانحة.

فانظر أيّها القاريّ كيف يتّخذ ابنته عائشة و حليفه عمر بن الخطّاب شاهدين على مدّعاه، و يردّ عمر ـ مع كونه شاهداً مجعولاً ـ شهادة أُمّ أيمن و أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾.

و في الاحتجاج: ـ باب احتجاج أميرالمؤمنين﴿عليه السلام﴾ على أبي‌بكر و عمر لمّا منعا فاطمة الزّهرآء﴿عليها السلام﴾ فدك بالكتاب و السّنّة ـ عن حمّاد بن عثمان عن أبي عبدالله﴿عليه السلام﴾ قال: لمّا بويع أبوبكر و استقام له الأمر على جميع المهاجرين و الأنصار بعث إلى فدك مَن أخرج وكيل فاطمة﴿عليها السلام﴾ بنت رسول‌الله منها، فجآئت فاطمة الزّهرآء﴿عليها السلام﴾ إلى أبي‌بكر ثمّ قالت: لِمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول‌الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ و أخرجتَ وكيلي من فدك، و قد جعلها لي رسول‌الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ بأمر الله تعالى؟

فقال: هاتي على ذلك بشهود، فجآئت بأمّ أيمن، فقالت له أمّ أيمن: لا أشهد يا أبابكر حتّى أحتجّ عليك بما قال رسول‌الله﴿صلى الله عليه و آله﴾: أُنشدك بالله ألستَ تعلم أنّ رسول‌الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ قال: «أمّ ايمن امرأة من أهل الجنّة»؟ فقال: بلى، قالت: فأشهد أنّ الله عزّوجلّ أوحى إلى رسول‌الله﴿صلى الله عليه و آله﴾: «و آت ذا القربى حقّه» فجعل فدكاً لها طعمة بأمر الله، فجآء عليّ﴿عليه السلام﴾ فشهد بمثل ذلك، فكتب لها كتاباً و دفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: إنّ فاطمة﴿عليها السلام﴾ ادّعت في فدك، و شهدت لها أمّ أيمن و عليّ﴿عليه السلام﴾ فكتبته لها، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة، فتفل فيه و مزّقه، فخرجت فاطمة﴿عليها السلام﴾ تبكي.

فلمّا كان بعد ذلك جآء عليّ ﴿عليه السلام﴾ إلى أبي بكر و هو في المسجد و حوله المهاجرون و الأنصار، فقال: يا أبابكر! لِمَ منعتَ فاطمة ميراثها من رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾؟ و قد ملكته في حياة رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ فقال أبوبكر: هذا فيٌ للمسلمين، فإن أقامت شهوداً أنّ رسول الله جعله لها و إلاّ فلاحقّ لها فيه، فقال أميرالمؤمنين ﴿عليه السلام﴾: يا أبابكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين؟ قال: لا، قال: فإن كان في يد المسلمين شيئ يملكونه، ثمّ ادّعيتُ أنا فيه من تسئل البيّنة؟ قال: إيّاك أسئل البيّنة؟ قال: فما بال فاطمة سئلتها البيّنة على ما في يديها؟ و قد ملكته في حياة رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و بعده، ولم تسئل المسلمين بيّنة على ما ادّعوا شهوداً، كما سئلتني على ما ادّعيت عليهم؟ فسكت أبوبكر.

فقال عمر: يا عليّ دَعِنا من كلامك، فإنّا لا نقوي على حجّتك، فإن أتيت بشهود عدول، و الاّ فهو فيٌ للمسلمين لا حقّ لك و لا لفاطمة فيه، فقال أميرالمؤمنين ﴿عليه السلام﴾: يا أبابكر تقرأكتاب الله؟ قال: نعم، قال: أخبرني عن قول الله عزّوجلّ: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً» فيمن نزلت؟ فينا؟ أم في غيرنا؟ قال: بل فيكم، قال: فلو أنّ شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ بفاحشة ما كنت صانعاً بها؟ قال: كنت اُقيم عليها الحدّ، كما اُقيمه على نسآء المسلمين، قال: إذن كنت عند الله من الكافرين، قال: و لِمَ؟

قال: لأنّك رددتَ شهادة الله لها بالطّهارة، و قبلتَ شهادة النّاس عليها، كما رددت حكم الله و حكم رسوله، أن جعل لها فدكاً قد قبضته في حياته، ثمّ قبلتَ شهادة أعرابيّ بائل على عقبيه عليها، و أخذت منها فدكاً و زعمت أنّه فيٌ للمسلمين، و قد قال رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾: «البيّنة على المدّعي و اليمين على المدّعىٰ عليه» فرددتَ قول رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾: «البيّنة على من ادّعى، و اليمين على من ادّعى عليه» قال: فدمدم النّاس و أنكروا، و نظر بعضهم إلى بعض، و قالوا: «صدق و الله عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ و رجع إلى منزله».

ثمّ دخلت فاطمة المسجد، و طافت بقبر أبيها و هي تقول:

قد كان بعدك أنباء و هنبثة   لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

الأبيات... رواه القميّ في تفسيره.

قوله «عليه السلام»: «كما سئلتني على ما ادّعيت عليهم؟» فإنّ الصّدّيقة الطّاهرة «عليها السلام» كانت صاحبة اليد، و المسلمون يمثلون دور المدّعي.

و في **تفسير العياشي**: عن جميل بن درّاج عن أبي عبدالله «عليه السلام» قال: «أتت فاطمة «عليها السلام» أبابكر تريد فدك، قال: هاتي أسود أو أحمر يشهد بذلك، قال: فأتت بأمّ أيمن، فقال لها: بم تشهدين؟ قالت: أشهد أنّ جبرئيل أتى محمّداً فقال: إنّ الله يقول: «فآت ذا القربىٰ حقّه» فلم يدر محمد «صلى الله عليه وآله» من هم؟ فقال: يا جبرئيل سل ربّك مَن هم؟ فقال: فاطمة ذو القربىٰ، فأعطاها فدكاً، فزعموا أنّ عمر محى الصّحيفة و قد كان كتبها أبوبكر».

و في **اللمعة البيضاء**: اشتهر في روايات الخاصّة و العامّة: أنّ أبابكر أرسل إلى فدك و أخرج وكيلها منها، و قد حاجّ عليّ «عليه السلام» مع أبي بكر في ذلك في اليوم الثّاني من مجيئ فاطمة «عليها السلام» إلى أبي بكر للمطالبة في أمر فدك و رجوعها آئسة».

و لقد كانت للصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها وثيقة مكتوبة في ايتاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» فدكاً لها غير الشّهود الثّمان الّذين شهدوا على ذلك و هم:

١ ـ مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام».

٢ ـ سبط النّبيّ الحسن بن عليّ صلوات الله عليهم.

٣ ـ سيّد الشّهدآء و الأحرار و شباب أهل الجنّة الحسين بن عليّ عليهما السّلام.

٤ ـ رباح مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٥ ـ أمّ أيمن و هي من نسآء أهل الجنّة بشهادة رسول الله «صلى الله عليه وآله» و لا يكون الكاذب من أهل الجنّة.

٦ ـ أمّ سلمة، و قد كانت مسلّمة بين أهل الملّة في الدّين و الفضيلة.

٧ ـ أسمآء بنت عميس و هي امرأة صالحة خادمة للصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها.

٨ ـ أمّ كلثوم.

في **الخرائج**: ـ باب فدك ـ عن أبي عبدالله «عليه السلام» ـ حديث طويل ـ قال «عليه السلام» فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأديم عكاظي، و دعا عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» فقال: اكتب لفاطمة بفدك

نحلة من رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» و شهد على ذلك عليّ بن أبيطالب و مولى رسول‌الله و أُمّ أيمن، فقال رسول‌الله «صلى الله عليه وآله»: إنّ أُمّ أيمن إمرأة من أهل الجنّة».

الأديم: الجلد المدبوغ، و «عكاظي» نسبة إلى سوق عكاظ، لأنّه يحمل إليه فيباع هناك.

و في الكشكول للسّيّد حيدر الآملي (ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥): «أنّه بعد ما تكلّمت فاطمة «عليها السلام» بما تكلّمت قال لها عمر: دعينا عن أباطيلك، و احضرينا من يشهد لك بما تقولين، فبعثت إلى عليّ و الحسن و الحسين عليهم‌السلام و أُمّ أيمن و أسماء بنت عميس ـ و كانت تحت أبي‌بكر بن أبي‌قحافة ـ فأقبلوا إلى أبي‌بكر و شهدوا لها بجميع ما قالت و ادّعته.

فقال: أمّا عليّ فزوجها، و أمّا الحسن و الحسين فابناها، و أمّا أُمّ أيمن فمولاتها، و أمّا أسماء بنت عميس فهي كانت تحت جعفر بن أبيطالب، فهي تشهد لبني‌هاشم، و قد كانت تخدم لفاطمة، و كلّ هؤلآء يجرّون على أنفسهم.

و في بعضها: أنّه قال لفاطمة «عليها السلام»: أمّا عليّ فهو زوجك فهو يجرّ النّار إلى قرصه، و الحسنان ولداك، و أُمّ أيمن جاريتك و مُحبّتك، و أسماء كانت قبل ذلك زوجة ابن عمّك جعفر، و تحبّ بني‌هاشم و انتفاعهم.

فقال عليّ «عليه السلام»: أمّا فاطمة فبضعة من رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» من آذاها آذاه، و من كذّبها كذّبه، و الحسنان سبطاه و سيّدا شباب أهل الجنّة، و قال لي رسول‌الله «صلى الله عليه وآله»: أنت منّي و أنا منك، من ردّك فقد ردّني، و من أطاعك أطاعني، و أمّا أُمّ أيمن فشهد النّبي «صلى الله عليه وآله» بأنّها من أهل الجنّة و لا يكون الكاذب من أهل الجنّة».

«لماذا مزّق عمر بن الخطّاب سند فدك؟»

و قد دار بين الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها و بين أبي‌بكر الغاصب حوار طويل كانت نتيجته أن تمسّكت فاطمة الزّهرآء «عليها السلام» بالكتاب الكريم و السّنّة الثّابتة لأنّ الله تعالى أفاء فدكاً على أبيها، و رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» آتاها إيّاها بأمر الله جلّ‌وعلا، و تشبّث أبوبكر برأي عمر بن الخطّاب، و لمّا أُجيبَ أبوبكر بالكتاب و السّنّة حاول استرضآء الصّدّيقة الطّاهرة صلوات‌الله عليها، و لذا كتب أنّ فدكاً لها «عليها السلام» و لكن عمر منعه من ذلك و مزّق كتابه:

في السّيرة الحلبيّة: (ج ٣، ص ٣٩١) قال: «إنّ فاطمة بنت رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» جآئت إلى أبي‌بكر و هو على المنبر، فقالت: يا أبابكر أفي كتاب الله ترث ابنتك و لا أرث أبي؟ فاستعبر أبوبكر باكياً، ثمّ نزل فكتب لها بفدك، و دخل عليه عمر، فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها، فقال عمر: من ماذا تنفق على المسلمين، و قد حاربتك العرب كما ترى، ثمّ أخذ عمر الكتاب فشقّه».

و لا يخفى على القارئ الخبير: أنّ قوله: «كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها» ناطق بأنّ الّذي ردّه إلى فاطمة هو ميراثها الّذي منعه عنها ابتداءً، فكيف يجتمع المنع أوّلاً، و الإعطاء ثانياً من باب الإرث؟ أم كيف يجتمع ذلك مع ما رواه من حديث: «نورّث، ما تركناه صدقة...»؟

في المجالس السّنيّة (ج ٥، ص ٩٤ ط مطبعة ابن زيدون) للسّيّد محسن الأمين عن كتاب

سليم بن قيس الهلالي بسنده عن ابن عبّاس: «إنّ فاطمة ﴿عليها السلام﴾ بلغها أنّ أبابكر قبض فدكاً، فخرجت في نسآء بني هاشم حتّى دخلت على أبي بكر، فقالت: أتريد أن تأخذ منّي أرضاً جعلها لي رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾؟

فدعا بدواة ليكتب لها، فدخل عمر فقال: يا خليفة رسول الله لا تكتب لها حتّى تقيم البيّنة بما تدّعي، فقالت فاطمة سلام الله عليها: عليّ و أُمّ أيمن يشهدان بذلك، فقال عمر: لا تقبل شهادة امرأة أعجميّة لا تفصح، و أمّا عليّ فيجرّ النّار إلى قرصه...».

و في اللمعة البيضآء: و في بعض الأخبار: إنّ عمر أخذ الكتاب مغالبة فمنعته، فدفع بيده في صدرها، و أخذ الصّحيفة فمحاها أو خرقها بعد أن تفل فيها، فدعت عليه السلام عليه، و قالت: بقر الله بطنك كما بقرتَ كتابي هذا، فخرجت ﴿عليها السلام﴾ تبكي، فلمّا كان بعد ذلك جآء عليّ ﴿عليه السلام﴾ إلى أبي بكر و هو في المسجد و حوله المهاجرون و الأنصار و حاجّه في أمر فدك».

و في مصباح الأنوار: عن الصّادق ﴿عليه السلام﴾ قال: دخلت فاطمة ﴿عليها السلام﴾ على أبي بكر فسئلته فدكاً، قال أبوبكر: النّبيّ لا يورّث، فقالت: قد قال الله تعالى: «و ورث سليمان داود» فلمّا حاجّته، أمر أن يكتب لها و شهد عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ و أُمّ أيمن. قال: فخرجت فاطمة ﴿عليها السلام﴾ فاستقبلها عمر، فقال: من أين جئت يا بنت رسول الله؟ قالت: من عند أبي بكر من شأن فدك، قد كتب لي بها، فقال عمر: هاتي الكتاب، فأعطته فبصق فيه و محاه...».

أقول: و يمكن الجمع بين الرّوايات إمّا باختلاف الدّعاوي من النّحلة و الميراث و سهم ذوى القربى، و إمّا باختلاف موارد الرّجوع.

و أمّا منع عمر بن الخطّاب، حليفه أبابكر من الكتابة أو تمزيقه كتابه و محوه فظاهر لا يخفى على من له الدّراية و طيب الولادة.

و ذلك أنّ فدكاً كانت لها قيمتان كبيرتان:

الاولى: قيمة معنويّة في النّظر الإسلاميّ كما تدلّ عليها الآيات القرآنيّة والرّوايات الكثيرة سبق ذكر بعضها، و يأتي بعضها الآخر في خلال العناوين المستقبلة و قصيدة دعبل

الخزاعي الّتي أنشأها حينما ردّ المأمون فدكاً، مطلعها:

أصبح وجه الزّمان قد ضحكا بــردّ مــأمون هــاشم فـدكا

الثانية: قيمة ماديّة فإنّها لم تكن أرضاً صغيرة أو مزرعاً متواضعاً كما توهّم بعضهم، بل كانت تدر على صاحبها أموالاً طائلة تشكل ثروة مهمّة ترتفع إلى أعداد عالية، يدلّ عليها امور:

ألف: أنّ أبابكر أخذ فدكاً من الصّدّيقة الطاهرة سلام‌الله‌عـليها غـصباً للـتحريم الاقتصاديّ على أهل بيت الوحي المعصومين عليهم‌السلام بإشارة عمر بن الخطّاب كما سبق ذكره في «سبب غصب فدك» فراجع.

ب: أنّ عمر بن الخطّاب منع أبابكر ابن أبي‌قحافة من ترك فدك للصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله‌عليها لضعف الماليّة العامّة مع احتياجها إلى التّقوية لما يتهدّد الموقف من حروب الرّدة و ثورات العصاة. و من الواضح أنّ أرضاً يستعان بحاصلاتها على تعديل ميزانيّة الدّولة و تقوية ماليّاتها في ظروف حرجة كظرف الثّورات و الحروب الدّاخليّة و لعلّ الخارجيّة لا بدّ و أن تكون ذات نتاج عظيمة.

ج: مقالة أبي‌بكر بن أبي‌قحافة التى افتعلها للرّد على الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله‌عليها في محاورة له معها حول فدك: إنّ هذا المال لم يكن للنّبيّ «صلى الله عليه وآله» و إنّما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل النّبيّ «صلى الله عليه وآله» به الرّجال و ينفقه في سبيل الله، فإنّ تحميل الرّجال لا يكون إلاّ بمال كثير تتقوّم به نفقات الجيش.

د: أنّ معاوية بن أبي‌سفيان قد قسم فدكاً ثلاثة أقسام... و قد أعطى لكلّ من يزيد ابنه، و مروان بن الحكم، و عمر و بن عثمان ثلثاً، و هذا يدلّ بوضوح على مدى الثروة المجتناة من أرض فدك، فإنّها بلا شك، ثروة عظيمة تصلح لأن توزع على أمرآء ثلاثة من أصحاب الثّرآء العريض و الأموال الطّائلة.

هـ: و قد عبّر عن فدك بقرية بالحجاز كما في معجم البلدان، و بقرية من قرى اليهود كما في مجمع البحرين، و قدّر بعض نخيلها بنخيل الكوفة في القرن السّادس الهجري كما في شرح النهج لابن أبي الحديد.

و في اصول الكافي: كتاب الحجّة ـ باب الفيء و الأنفال و تفسير الخمس... ـ حديث ٥) بإسناده عن عليّ بن أسباط، قال: لمّا ورد أبوالحسن موسى ﴿عليه السلام﴾ على المهديّ رآه يردّ المظالم، فقال: يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا تُرَدّ؟ فقال له: و ما ذاك يا أباالحسن؟

قال: إنّ الله تبارك و تعالى لمّا فتح على نبيّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فدك و ما والاها، لم يوجَف عليه بخيل و لا ركاب فأنزل الله على نبيّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «و آت ذا القربى حقّه» فلم يدر رسول‌الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ من هم، فراجع في ذلك جبرئيل و راجع جبرئيل ﴿عليه السلام﴾ ربّه فأوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة ﴿عليها السلام﴾، فدعاها رسول‌الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فقال لها: يا فاطمة إنّ الله أمرني أن أدفع إليك فدك، فقالت: قد قبلت يا رسول‌الله من الله و منك.

فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول‌الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فلمّا ولي أبوبكر أخرج عنها وكلاءها، فأتته فسئلته أن يردّها عليها، فقال لها: ائتيني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك، فجآئت بأميرالمؤمنين ﴿عليه السلام﴾ و أُمّ أيمن، فشهدا لها بترك التعرّض، فخرجت و الكتاب معها، فلقيها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمّد؟ قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، قال: أرينيه، فأبت، فانتزعه من يدها و نظر فيه، ثمّ تفل فيه و محاه و خرقه، فقال لها: هذا لم يُوجف عليه أبوك بخيل و لا ركاب؟

فضِعي الحبال في رقابنا، فقال له المهديّ: يا أباالحسن حُدّها لي؟ فقال: حَدٌّ منها جبل أُحُد، و حدّ منها عريش مصر، و حدّ منها سيف البحر، و حدّ منها دومة الجندل، فقال له: كلّ هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين هذا كلّه، إنّ هذا كلّه ممّا لم يوجف على أهله رسول‌الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بخيل و لا ركاب، فقال: كثير، و انظر فيه».

قوله: «فضعي الحِبال» كناية عن التّرافع إلى الحكّام بأنّه قال ذلك تحقيراً و تعجيزاً لشأنها أو قاله تفريعاً على الحال بزعمه. و المعنى: أنّك إذا أُعطيت ذلك وضعت الحبال على رقابنا بالعبوديّة، فجعلتنا عبيداً لك أو المعنى: أنّك إذا حكمت على ما لم يوجف عليها أبوك بخيل بأنّها ملكك، فاحكمي على رقابنا أيضاً بالملكيّة.

و في **قوله:** «أبوكِ» إهانة و تحقير لها و لرسول‌الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أيضاً.

و في **كتاب الشافي** للسّيّد المرتضى رضوان الله تعالى عليه: و قد رُوِيَ أنّ أبابكر لمّا

شهد أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ كتب بتسليم فدك إليها ﴿عليها السلام﴾، فاعترض عمر قضيّته و خرّق ما كتبه.

و فيه: روى إبراهيم بن السّعيد الثّقفي عن إبراهيم بن ميمون، قال: حدّثنا عيسى بن عبد الله ابن محمّد بن عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ عن أبيه عن جدّه عن عليّ ﴿عليه السلام﴾ قال: جآئت فاطمة ﴿عليها السلام﴾ إلى أبي بكر، و قالت: إنّ أبي أعطاني فدك، و عليّ و أُمّ أيمن يشهدان، فقال: ما كنتِ لتقولي على أبيك إلاّ الحقّ، قد أعْطَيتُكِها، و دعا بصحيفة من أدَمٍ فكتب لها فيها، فخرجت فَلَقِيَت عُمَرَ، فقال: من أين جِئتِ يا فاطمة؟ قالت: جئت من عند أبي بكر، أخبرته أنّ رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ أعطاني فدكاً، و أنّ علياً و أُمّ أيمن يشهدان لي بذلك، فأعطانيها، و كتبها لي، فأخذ عمر منها الكتاب، ثمّ رجع إلى أبي بكر، فقال: أعْطَيْتَ فاطمة فدك، و كتبتَ بها لها؟ قال: نعم، فقال: إنّ علياً يجرّ إلى نفسه، و أُمّ أيمن امرأة، و بصق في الكتاب فمحاه و خرّقه».

و قد رُوِيَ هذا المعنى من طرق مختلفة على وجوه مختلفة، فمن أراد الوقوف عليها و استقصاءها أخذها من مواضعها.

و ليس لهم أن يقولوا: إنّها أخبار آحاد لأنّها و إن كانت كذلك فأقلّ أحوالها أن توجب الظّنّ و تمنع من القطع على خلاف معناها، و ليس لهم أن يقولوا: كيف يسلّم إليها فدك و هو يروي عن الرّسول: «إنّ ما خلّفه صدقة»؟ و ذلك لأنّه لا ينافي بين الأمرين لأنّه إنّما سلّمها على ما وردت به الرّواية على سبيل النّحلة (النّحل خ) فلمّا وقعت المطالبة بالميراث روي الخبر في معنى الميراث، فلا اختلاف بين الأمرين» انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: هذه القصّة شبيهة لقصّة مسجد قبآء، و حياة رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ فيه بعد موته، و توبيخه أبابكر على ما فعله بعد وفاته ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و تصميمه على إرجاع الخلافة إلى أهلها الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ و لكن عمر بن الخطّاب وسوسه و منعه من ذلك.

و من هذين الموقفين، و عشرات المواقف الأُخَر يظهر أنّ عمر بن الخطّاب كان عقل منفصل لأبي بكر، و ما كان له رأي مستقلّ و لا إرادة ثابتة، و إنّما كان آلة بيد عمر يلعب بها كيفما يشآء.

«خطبة كاملة للصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهراء صلوات الله عليها»

«بسم الله الرحمن الرحيم»

(وَ قَدْ رَتَّبْناها عَلى سِتَّةَ عَشَرَ فَصْلاً):

١ – رَوى عَبْدُ اللّٰهِ بنُ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ بِإسْنادِهِ عَنْ آبائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ أَنَّهُ لَمّا أَجْمَعَ أَبُوبَكْرٍ عَلى مَنْعِ فاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلامُ فَدَكَ، وَ بَلَغَها ذٰلِكَ، لاثَتْ خِمارَها عَلىٰ رَأْسِها، وَاشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها، وَ أَقْبَلَتْ في لُمَةٍ مِنْ حَفَدَتِها وَنِساءِ قَوْمِها، تَطَأُ ذُيُولَها، ما تَخْرِمُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، حَتّىٰ دَخَلَتْ عَلىٰ اَبي بَكْرٍ وَ هُوَ في حَشْدٍ مِنَ الْمُهاجِرينَ وَالأَنْصارِ وَ غَيْرِهِمْ فَنيطَتْ دُونَها مُلاءَةٌ، فَجَلَسَتْ، ثُمَّ أَنَّتْ أَنَّةً أَجْهَشَ الْقَوْمُ لَها بِالْبُكاءِ. فَارْتَجَّ الْمَجْلِسُ. ثُمَّ أَمْهَلَتْ هَنِيَّةً حَتّٰى إذا سَكَنَ نَشيجُ الْقَوْمِ، وَ هَدَأَتْ فَوْرَتُهُمْ، افْتَتَحَتِ الْكَلامَ بِحَمْدِ اللّٰهِ وَ الثَّناءِ عَلَيْهِ وَ الصَّلاةِ عَلىٰ رَسُولِ اللّٰهِ، فَعادَ الْقَوْمُ في بُكائِهِمْ، فَلَمّا أَمْسَكُوا عادَتْ في كَلامِها، فَقالَتْ عَلَيْهَا السَّلامُ:

٢ – «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلى ما أَلْهَمَ، وَ الثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَأَها، وَ سُبُوغِ آلاءٍ أَسْداها، وَ تَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإِحْصاءِ عَدَدُها، وَ نَأىٰ عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَ تَفاوَتَ عَنِ الإِدْراكِ أَبَدُها، وَ نَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بِالشُّكْرِ لِاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إِلَى الْخَلائِقِ بِإجْزالِها، وَ ثَنّىٰ بِالنَّدْبِ إِلىٰ أَمْثالِها.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ وَحْدَهُ لاٰ شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الْإِخْلاٰصَ تَأْوِيلَهٰا، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَهٰا، وَأَنٰارَ فِي الْفِكَرِ مَعْقُولَهٰا. اَلْمُمْتَنِعُ مِنَ الْأَبْصٰارِ رُؤْيَتُهُ، وَمِنَ الْأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الْأَوْهٰامِ كَيْفِيَّتُهُ. اِبْتَدَعَ الْأَشْيٰآءَ لاٰ مِنْ شَيْءٍ كٰانَ قَبْلَهٰا، وَأَنْشَأَهٰا بِلاٰ احْتِذٰاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَهٰا، كَوَّنَهٰا بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَهٰا بِمَشِيئَتِهِ، مِنْ غَيْرِ حٰاجَةٍ مِنْهُ إِلىٰ تَكْوِينِهٰا، وَلاٰ فٰائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِهٰا إِلاّٰ تَثْبِيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبِيهاً عَلىٰ طٰاعَتِهِ، وَإِظْهٰاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وَإِعْزٰازاً لِدَعْوَتِهِ. ثُمَّ جَعَلَ الثَّوٰابَ عَلىٰ طٰاعَتِهِ، وَوَضَعَ الْعِقٰابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، زِيٰادَةً لِعِبٰادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِيٰاشَةً مِنْهُ إِلىٰ جَنَّتِهِ».

٣ــ «وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّداً صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتٰارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّٰاهُ قَبْلَ أَنِ اجْتَبَلَهُ، وَاصْطَفٰاهُ قَبْلَ أَنِ ابْتَعَثَهُ، إِذِ الْخَلاٰئِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الْأَهٰاوِيلِ مَصُونَةٌ، وَبِنِهٰايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللّٰهِ تَعٰالىٰ بِمٰا يِلِ الْأُمُورِ، وَإِحٰاطَةً بِحَوٰادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَوٰاقِعِ الْمَقْدُورِ. ابْتَعَثَهُ اللّٰهُ تَعٰالىٰ إِتْمٰاماً لِأَمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلىٰ إِمْضٰاءِ حُكْمِهِ، وَإِنْفٰاذاً لِمَقٰادِيرِ حَتْمِهِ.

فَرَأَى الْأُمَمَ فِرَقاً فِي أَدْيٰانِهٰا، عُكَّفاً عَلىٰ نِيرٰانِهٰا عٰابِدَةً لِأَوْثٰانِهٰا، مُنْكِرَةً لِلّٰهِ مَعَ عِرْفٰانِهٰا. فَأَنٰارَ اللّٰهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ظُلَمَهٰا، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهَمَهٰا، وَجَلّىٰ عَنِ الْأَبْصٰارِ غُمَمَهٰا، وَقٰامَ فِي النّٰاسِ بِالْهِدٰايَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوٰايَةِ وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعَمٰايَةِ، وَهَدٰاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَدَعٰاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ».

٤ــ «ثُمَّ قَبَضَهُ اللّٰهُ إِلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاخْتِيٰارٍ وَرَغْبَةٍ وَإِيثٰارٍ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ تَعَبِ هٰذِهِ الدّٰارِ فِي رٰاحَةٍ، قَدْحُفَّ بِالْمَلاٰئِكَةِ الْأَبْرٰارِ، وَرِضْوٰانِ الرَّبِّ الْغَفّٰارِ، وَمُجٰاوَرَةِ الْمَلِكِ الْجَبّٰارِ. صَلَّى اللّٰهُ عَلىٰ أَبِي نَبِيِّهِ وَأَمِينِهِ عَلَى الْوَحْيِ، وَصَفِيِّهِ وَخِيَرَتِهِ مِنَ الْخَلْقِ وَرَضِيِّهِ، وَالسَّلاٰمُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكٰاتُهُ».

٥ــ «ثُمَّ الْتَفَتَتْ إِلىٰ أَهْلِ الْمَجْلِسِ وَقٰالَتْ:

«أَنْتُمْ عِبٰادَ اللّٰهِ نُصُبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دِينِهِ وَوَحْيِهِ، وَأُمَنٰاءُ اللّٰهِ عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَبُلَغٰاؤُهُ إِلَى الْأُمَمِ، وَزَعِيمُ حَقٍّ لَهُ فِيكُمْ، وَعَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهٰا عَلَيْكُمْ: كِتٰابُ اللّٰهِ النّٰاطِقُ، وَالْقُرْآنُ الصّٰادِقُ، وَالنُّورُ السّٰاطِعُ، وَالضِّيٰاءُ اللاّٰمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصٰائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ

سَرَآئِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَوَاهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْيَاعُهُ، قَائِدٌ إِلَى الرِّضْوَانِ أَتْبَاعُهُ، مُؤَدٍّ إِلَى النَّجَاةِ إِسْمَاعُهُ، بِهِ تُنَالُ حُجَجُ اللهِ الْمُنَوَّرَةُ، وَ عَزَائِمُهُ الْمُفَسَّرَةُ، وَ مَحَارِمُهُ الْمُحَذَّرَةُ، وَ بَيِّنَاتُهُ الْجَالِيَةُ، وَ بَرَاهِينُهُ الْكَافِيَةُ، وَ فَضَائِلُهُ الْمَنْدُوبَةُ، وَ رُخَصُهُ الْمَوْهُوبَةُ، وَ شَرَآئِعُهُ الْمَكْتُوبَةُ».

٦- «فَجَعَلَ اللهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَ الصَّلَاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبْرِ، وَ الزَّكَاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَ نَمَاءً فِي الرِّزْقِ، وَ الصِّيَامَ تَثْبِيتاً لِلْإِخْلَاصِ، وَ الْحَجَّ تَشْيِيداً لِلدِّينِ، وَ الْعَدْلَ تَنْسِيقاً لِلْقُلُوبِ، وَ طَاعَتَنَا نِظَاماً لِلْمِلَّةِ، وَ إِمَامَتَنَا أَمَاناً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَ الْجِهَادَ عِزّاً لِلْإِسْلَامِ، وَ الصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجَابِ الْأَجْرِ، وَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَامَّةِ، وَ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ وِقَايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَ صِلَةَ الْأَرْحَامِ مَنْسَأَةً فِي الْعُمْرِ وَ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ، وَ الْقِصَاصَ حِصْناً لِلدِّمَآءِ، وَ الْوَفَاءَ بِالنَّذْرِ تَعْرِيضاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَ تَوْفِيَةَ الْمَكَايِيلِ وَ الْمَوَازِينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ، وَ النَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجْسِ، وَ اجْتِنَابَ الْقَذْفِ حِجَاباً عَنِ اللَّعْنَةِ، وَ تَرْكَ السَّرِقَةِ إِيجَاباً لِلْعِفَّةِ. وَ حَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إِخْلَاصاً لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، «فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» وَ أَطِيعُوا اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَ نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ «إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَآءُ».

٧- «**ثُمَّ قَالَتْ**: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ، وَ أَبِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، أَقُولُ عَوْداً وَ بَدْءاً، وَ لَا أَقُولُ مَا أَقُولُ غَلَطاً، وَ لَا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ شَطَطاً: «لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ»، فَإِنْ تَعْزُوهُ وَ تَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسَآئِكُمْ، وَ أَخَا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ، وَ لَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عليه وآله. فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِالنِّذَارَةِ، مَائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضَارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأَكْظَامِهِمْ، دَاعِياً إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الْأَصْنَامَ، وَ يَنْكُتُ الْهَامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَ وَلَّوُا الدُّبُرَ، حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَ أَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَ نَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَ خَرِسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ، وَ طَاحَ وَشِيظُ النِّفَاقِ، وَ انْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَ الشِّقَاقِ، وَ فُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبِيضِ الْخِمَاصِ».

٨- «وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مُذْقَةَ الشَّارِبِ، وَ نُهْزَةَ الطَّامِعِ، وَ قُبْسَةَ الْعَجْلَانِ، وَ مَوْطِئَ الْأَقْدَامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَ تَقْتَاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةً خَاسِئِينَ، «تَخَافُونَ

أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ.

فَأَنْقَذَكُمُ اللّٰهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ بِمُحَمَّدٍ صلّى الله عليه و آله بَعْدَ اللَّتَيّا وَ الَّتِي، وَ بَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَ ذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَ مَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، «كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّٰهُ»، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَ فَغَرَتْ فاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ فِي لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتّىٰ يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَ يُخْمِدَ لَهَبَها بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً فِي ذاتِ اللّٰهِ، مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللّٰهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ سَيِّدَ أَوْلِياءِ اللّٰهِ، مُشَمِّراً ناصِحاً، مُجِدّاً كادِحاً، لا تَأْخُذُهُ فِي اللّٰهِ لَوْمَةُ لائِمٍ وَ أَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ (بُلَهْنِيَةٍ خ) مِنَ الْعَيْشِ، وادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوائِرَ، وَتَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ، وَ تَفِرُّونَ عِنْدَ الْقِتالِ».

٩ – «فَلَمَّا اخْتارَ اللّٰهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَ مَأْوىٰ أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فِيكُمْ حَسِيكَةُ النِّفاقِ، وَ سَمَلَ جِلْبابُ الدِّينِ، وَ نَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينَ، وَ نَبَغَ خامِلُ الْأَقَلِّينَ، وَ هَدَرَ فَنِيقُ الْمُبْطِلِينَ.

فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَ أَطْلَعَ الشَّيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرَزِهِ، هاتِفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ، وَ لِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ، ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَ أَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكُمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَ أَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ: هٰذا وَ الْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَ الْكَلْمُ رَحِيبٌ، وَ الْجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ، وَ الرَّسُولُ لَمّا يُقْبَرْ. ابْتِداراً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، «أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ.

فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ! وَكَيْفَ بِكُمْ؟ وَ أَنّىٰ تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ اللّٰهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَ أَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَ أَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَ زَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَ أَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ؟ أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟ «بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً» «وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ»، ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إِلّا رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها، وَ يَسْلَسَ قِيادُها ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَ تُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهُتافِ الشَّيْطانِ الْغَوِيِّ وَ إِطْفاءِ أَنْوارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ، وَ إِهْمادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تُسِرُّونَ حَسْواً فِي ارْتِغاءٍ، وَ تَمْشُونَ لِأَهْلِهِ وَ وَلَدِهِ فِي الْخَمَرِ وَ الضَّراءِ، وَ نَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلىٰ مِثْلِ حَزِّ الْمُدىٰ، وَ وَخْزِ السِّنانِ فِي الْحَشا، وَ أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَلّا إِرْثَ لَنا، «أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» أَفَلا تَعْلَمُونَ؟ بَلىٰ تَجَلّىٰ لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضّاحِيَةِ أَنِّي ابْنَتُهُ.

۱۰ – «أَيُّهَا الْمُسْلِمونَ أَأُغْلَبُ عَلىٰ إِرْثِيَهْ يا ابْنَ أَبِي قُحافَةَ! أَفي كِتابِ اللّٰهِ أَنْ تَرِثَ أَباكَ، وَلا أَرِثَ أَبي؟ «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّاً»، أَفَعَلىٰ عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّٰهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، إِذْ يَقُولُ: «وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ»، وَقالَ فيما اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيّا عَلَيْهِمَا السَّلامُ إِذْ قالَ «رَبِّ هَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» وَقالَ: «وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ في كِتابِ اللّٰهِ» وَقالَ: «يُوصِيكُمُ اللّٰهُ في أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» وَقالَ: «إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ»، وَزَعَمْتُمْ أَلا حِظْوَةَ لي، وَلا إِرْثَ مِنْ أَبي لا رَحِمَ بَيْنَنا!

أَفَخَصَّكُمُ اللّٰهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبي؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَهْلَ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثانِ؟ أَوَلَسْتُ أَنَا وَأَبي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبي وَابْنِ عَمّي؟».

۱۱ – «فَدُونَكَها مَخْطُومَةً مَرْحُولَةً. تَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللّٰهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ وَالْمَوْعِدُ الْقِيامَةُ، وَعِنْدَ السّاعَةِ ما تَخْسِرُونَ، وَلا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدَمُونَ، «وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ».

۱۲ – «ثُمَّ رَمَتْ بِطَرْفِها نَحْوَ الْأَنْصارِ فَقالَتْ: يا مَعاشِرَ الْفِتْيَةِ، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصارَ (حَضَنَةَ خ) الْإِسْلامِ! ما هٰذِهِ الْغَمِيزَةُ في حَقّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتي؟ أَما كانَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبي يَقُولُ: «اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ في وُلْدِهِ»؟ سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إِهالَةً، وَلَكُمْ طاقَةٌ بِما أُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلىٰ ما أَطْلُبُ وَأُزاوِلُ! أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟! فَخَطْبٌ جَلِيلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَانْتَثَرَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَأُضيعَ الْحَرِيمُ، وَأُزِيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِهِ. فَتِلْكَ وَاللّٰهِ النّازِلَةُ الْكُبْرىٰ، وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمىٰ، لا مِثْلُها نازِلَةٌ وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ أَعْلَنَ بِها كِتابُ اللّٰهِ – جَلَّ ثَناؤُهُ – في أَفْنِيَتِكُمْ في مُمْساكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ يَهْتِفُ في أَفْنِيَتِكُمْ هِتافاً وَصُراخاً وَتِلاوَةً وَإِلْحاناً، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأَنْبِياءِ اللّٰهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضاءٌ حَتْمٌ. «وَما مُحَمَّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّٰهَ شَيْئاً

وَ سَيَجْزِي اللّٰهُ الشّاكِرِينَ».

١٣ – «أيها بَني قَيْلَة! أَأُهْضَمُ تُراثَ أَبِيَهْ وَ أَنْتُمْ بِمَرْأىً مِنّي وَمَسْمَعٍ، وَمُبْتَدإٍ(مُنْتَدىً خ) وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وَ تَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالْأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَ عِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَ الْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجيبُونَ، وَ تَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَ أَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُوفُونَ بِالْخَيْرِ وَ الصَّلاحِ، وَ النُّجَبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ (النُّخْبَةُ الَّتي انْتُخِبَتْ خ) وَالْخِيَرَةُ الَّتي اخْتيرَتْ! قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَ تَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَ التَّعَبَ، وَ ناطَحْتُمُ الْأُمَمَ، وَ كافَحْتُمُ الْبُهَمَ، فَلا نَبْرَحُ أَوْ تَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ حَتّىٰ إِذا دارَتْ بِنا رَحَى الْإِسْلامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الْأَيّامِ، وَ خَضَعَتْ نُعَرَةُ الشِّرْكِ، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الْإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نيرانُ الْكُفْرِ، و هَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدّينِ؛ فَأَنّىٰ جُزْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ؟ وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الْإِعْلانِ؟ وَ نَكَصْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدامِ؟ وَ أَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الْايمانِ؟ (بُؤْساً لِقَوْمٍ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ خ) «أَلا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَ هَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ وَ هُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ».

أَلا قَدْ أَرىٰ أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ، وَ أَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ، وَ نَجَوْتُمْ مِنَ الضّيقِ بِالسَّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ ما وَعَيْتُمْ، وَ دَسَعْتُمُ الَّذي تَسَوَّغْتُمْ، «فَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَميعاً فَإِنَّ اللّٰهَ لَغَنِيٌّ حَميدٌ».

١٤ – «أَلا وَقَدْ قُلْتُ ما قُلْتُ هٰذا عَلىٰ مَعْرِفَةٍ مِنّي بِالْخَذْلَةِ الَّتي خامَرَتْكُمْ، وَالْغَدْرَةِ الَّتِي اسْتَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ، وَلٰكِنَّها فَيْضَةُ النَّفْسِ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ، وَ خَوَرُ الْقَنا، وَبَثَّةُ الصُّدُورِ، وَ تَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ.

فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَةَ الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الْخُفِّ، باقِيَةَ الْعارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللّٰهِ وَ شَنارِ الْأَبَدِ، مَوْصُولَةً بِنارِ اللّٰهِ الْمُوقَدَةِ الَّتي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ. فَبِعَيْنِ اللّٰهِ ما (بِما خ) تَفْعَلُونَ «وَ سَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» وَ أَنَا ابْنَةُ نَذيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَديدٍ، «فَاعْمَلُوا إِنّا عامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنّا مُنْتَظِرُونَ».

فَأَجابَها أَبُوبَكْرٍ عَبْدُاللّٰهِ بْنُ عُثْمانَ، فَقالَ: يا ابْنَةَ رَسُولِ اللّٰهِ، لَقَدْ كانَ أَبُوكِ بِالْمُؤْمِنينَ عَطُوفاً كَريماً، رَؤُوفاً رَحيماً، وَ عَلَى الْكافِرينَ عَذاباً أَليماً وَ عِقاباً عَظيماً؛ فَإِنْ عَزَوْناهُ وَجَدْناهُ

أَباكِ دُونَ النِّسآءِ، وَ أَخاً لِبَعْلِكِ دُونَ الْأَخِلاَّءِ، آثَرَهُ عَلى كُلِّ حَمِيمٍ، وَ ساعَدَهُ في كُلِّ أَمْرٍ جَسِيمٍ، لاٰ يُحِبُّكُمْ إِلاّٰ كُلُّ سَعِيدٍ، وَ لاٰ يُبْغِضُكُمْ إِلاّٰ كُلُّ شَقِيٍّ؛ فَأَنْتُمْ عِتْرَةُ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ الطَّيِّبُونَ، وَ الْخِيَرَةُ الْمُنْتَجَبُونَ، عَلَى الْخَيْرِ أَدِلَّتُنا، وَ إِلَى الْجَنَّةِ مَسالِكُنا، وَ أَنْتِ - يا خَيْرَةَ النِّسآءِ وَ ابْنَةَ خَيْرِ الْأَنْبِياءِ - صادِقَةٌ في قَوْلِكِ، سابِقَةٌ في وُفُورِ عَقْلِكِ، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقِّكِ، وَ لاٰ مَصْدُودَةٍ عَنْ صِدْقِكِ، وَ وَاللّٰهِ، ما عَدَوْتُ رَأْيَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ لاٰ عَمِلْتُ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ، و (إِنَّ خ) الرّآئِدَ لاٰ يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَ إِنّي أُشْهِدُ اللّٰهَ وَ كَفى بِهِ شَهِيداً: أَنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: «نَحْنُ مَعاشِرَ الْأَنْبِيآءِ لاٰ نُوَرِّثُ ذَهَباً وَ لاٰ فِضَّةً وَ لاٰ داراً وَ لاٰ عِقاراً، وَ إِنَّما نُوَرِّثُ الْكُتُبَ وَ الْحِكْمَةَ، وَ الْعِلْمَ وَ النُّبُوَّةَ، وَ ما كانَ لَنا مِنْ طُعْمَةٍ فَلِوَلِيِّ الْأَمْرِ بَعْدَنا أَنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِهِ».

وَ قَدْ جَعَلْنا ما حاوَلْتِهِ فِي الْكُراعِ وَ السِّلاحِ يُقابِلُ (يُقاتِلُ خ) بِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَ يُجاهِدُونَ الْكُفّارَ، وَ يُجالِدُونَ (يُجادِلُونَ خ) الْمَرَدَةَ ثُمَّ الْفُجّارَ. وَ ذٰلِكَ بِإِجْماعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ أَتَفَرَّدْ بِهِ وَحْدِي، وَ لَمْ أَسْتَبِدَّ بِما كانَ الرَّأْيُ فِيهِ عِنْدِي. وَ هٰذِهِ حالي، وَ مالي هِيَ لَكِ وَ بَيْنَ يَدَيْكِ، لاٰ نَزْوِي (لاٰ تُزْوىٰ خ) عَنْكِ وَ لاٰ نَدَّخِرُ دُونَكِ، وَ أَنْتِ سَيِّدَةُ أُمَّةِ أَبِيكِ، وَ الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ لِبَنِيكِ، لاٰ يُدْفَعُ ما لَكِ مِنْ فَضْلِكِ، وَ لاٰ يُوضَعُ مِنْ فَرْعِكِ وَ أَصْلِكِ؛ حُكْمُكِ نافِذٌ فِيما مَلَكَتْ يَداي، فَهَلْ تَرِينَ أَنْ أُخالِفَ في ذٰلِكِ أَباكِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ؟».

١٥ - فَقالَتْ عَلَيْهَا السَّلاٰمُ: «سُبْحانَ اللّٰهِ! ما كانَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَنْ كِتابِ اللّٰهِ صادِفاً، وَ لاٰ لِأَحْكامِهِ مُخالِفاً، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَ يَقْفُو سُوَرَهُ، أَفَتَجْمَعُونَ إِلَى الْغَدْرِ اعْتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ وَ هٰذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ (نُعِيَ خ) لَهُ مِنَ الْغَوآئِلِ في حَياتِهِ. هٰذا كِتابُ اللّٰهِ حَكَماً عَدْلاً، وَ ناطِقاً فَصْلاً، يَقُولُ: «يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»، وَ يَقُولُ: «وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ» فَبَيَّنَ عَزَّ وَجَلَّ فِيما وَزَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْساطِ، وَ شَرَّعَ مِنَ الْفَرايِضِ وَ الْمِيراثِ، وَ أَباحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرانِ وَ الْإِناثِ ما أَزاحَ عِلَّةَ الْمُبْطِلِينَ، وَ أَزالَ التَّظَنِّيَ وَ الشُّبُهاتِ فِي الْغابِرِينَ، كَلاّٰ «بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللّٰهُ الْمُسْتَعانُ عَلىٰ ما تَصِفُونَ».

فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ، وَ صَدَقَتِ ابْنَتُهُ؛ أَنْتِ مَعْدِنُ الْحِكْمَةِ، وَ مَوْطِنُ

الْهُدٰى وَ الرَّحْمَةِ، وَ رُكْنُ الدِّينِ وَ عَيْنُ الْحُجَّةِ، لاٰ أُبْعِدُ صَوابَكِ، وَ لاٰ أُنْكِرُ خِطابَكِ هٰؤُلاٰءِ الْمُسْلِمُونَ بَيْني وَ بَيْنَكِ، قَلَّدُوني ما تَقَلَّدْتُ، وَ بِاتِّفاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ ما أَخَذْتُ غَيْرَ مُكابِرٍ وَ لاٰ مُسْتَبِدٍّ وَ لاٰ مُسْتَأْثِرٍ، وَ هُمْ بِذٰلِكَ شُهُودٌ».

١٦- فَالْتَفَتَتْ فاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلامُ **وَ قالَتْ:** «مَعاشِرَ النّاسِ الْمُسْرِعَةِ إِلىٰ قِيلِ (الْقِيلِ خ) الْباطِلِ، الْمُغْضِيَةِ عَلَى الْفِعْلِ الْقَبِيحِ الْخاسِرِ «أَفَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفالُها» «كَلاّٰ بَلْ رانَ عَلىٰ قُلُوبِكُمْ» ما أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَ أَبْصارِكُمْ، وَ لَبِئْسَ ما تَأَوَّلْتُمْ، وَساءَ ما بِهِ أَشَرْتُمْ، وَ شَرَّ ما مِنْهُ اعْتَضْتُمْ، لَتَجِدُنَّ -وَاللّٰهِ- مَحْمِلَهُ ثَقِيلاً، وَ غِبَّهُ وَبِيلاً إِذا كُشِفَ لَكُمُ الْغِطاءُ، وَ بانَ ما وَراءَهُ الضَّرّاءُ، «وَ بَدا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَحْتَسِبُونَ» وَ «خَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ».

ثُمَّ عَطَفَتْ عَلىٰ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ **وَ قالَتْ:**

قَدْ كانَ بَعْدَكَ أَنْباءٌ وَ هَنْبَثَةٌ — لَوْ كُنْتَ شاهِدَها لَمْ تَكْبُرِ (تَكْثُرِ خ) الْخُطَبُ
إِنّا فَقَدْناكَ فَقْدَ الْأَرْضِ وابِلَها — وَ اخْتَلَّ قَوْمُكَ فَاشْهَدْهُمْ وَ قَدْ نَكَبُوا
وَ كُلُّ أَهْلٍ لَهُ قُرْبىٰ وَ مَنْزِلَةٌ — عِنْدَ الْإِلٰهِ عَلَى الْأَدْنَيْنِ مُقْتَرِبُ
أَبْدَتْ رِجالٌ لَنا نَجْوىٰ صُدُورِهِمِ — لَمّا مَضَيْتَ وَ حالَتْ دُونَكَ التُّرَبُ
تَجَهَّمَتْنا رِجالٌ وَاسْتُخِفَّ بِنا — لَمّا فُقِدْتَ وَ كُلُّ الْأَرْضِ مُغْتَصَبُ
وَ كُنْتَ بَدْراً وَ نُوراً يُسْتَضاءُ بِهِ — عَلَيْكَ تُنْزَلُ مِنْ ذِي الْعِزَّةِ الْكُتُبُ
وَ كانَ جِبْرِيلُ بِالْآياتِ يُونِسُنا — فَقَدْ فُقِدْتَ فَكُلُّ الْخَيْرِ مُحْتَجِبُ
فَلَيْتَ قَبْلَكَ كانَ الْمَوْتُ صادَفَنا — لَمّا مَضَيْتَ وَ حالَتْ دُونَكَ الْكُثُبُ
إِنّا رُزِئْنا بِما لَمْ يُرْزَ ذُوشَجَنٍ — مِنَ الْبَرِيَّةِ لاٰ عُجْمٌ وَ لاٰ عَرَبُ
سَيَعْلَمُ الْمُتَوَلِّي ظُلْمَ حامَتِنا — يَوْمَ الْقِيامَةِ اَنّىٰ سَوْفَ يَنْقَلِبُ
وَ سَوْفَ نَبْكِيكَ ما عِشْنا وَ ما بَقِيَتْ — لَهُ الْعُيُونُ بِتَهْمالٍ لَها سَكَبُ
وَ قَدْ رُزِئْنا بِهِ مَحْضاً خَلِيقَتُهُ — صافِي الضَّرائِبِ وَ الْأَعْراقِ وَ النَّسَبُ
فَأَنْتَ خَيْرُ عِبادِ اللّٰهِ كُلِّهِمِ — وَ اَصْدَقُ النّاسِ حِينَ الصِّدْقِ وَ الْكَذِبُ
وَ كانَ جِبْرِيلُ رُوحُ الْقُدْسِ زائِرَنا — فَغابَ عَنّا فَكُلُّ الْخَيْرِ مُحْتَجِبُ

ضَاقَتْ عَلَيَّ بِلادٌ بَعْدَ مَا رَحُبَتْ وَ سِيمَ سِبْطَاكَ خَسْفاً فِيهِ لِي نَصَبُ
فَأَنْتَ وَ اللّٰهِ خَيْرُ الْخَلْقِ كُلِّهِمُ وَ أَصْدَقُ النَّاسِ حَيْثُ الصِّدْقِ وَ الْكَذِبُ

ثُمَّ انْكَفَأَتْ عَلَيْهَاالسَّلامُ وَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ‌السَّلامُ يَتَوَقَّعُ رُجُوعَهَا إِلَيْهِ، وَ يَتَطَلَّعُ طُلُوعَهَا عَلَيْهِ. فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بِهَا الدَّارُ قَالَتْ لِأَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ‌السَّلامُ: يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ! اشْتَمَلْتَ شِمْلَةَ الْجَنِينِ، وَقَعَدْتَ حُجْرَةَ الظَّنِينِ! نَقَضْتَ قَادِمَةَ الْأَجْدَلِ، فَخَانَكَ رِيشُ الْأَعْزَلِ؛ هٰذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ يَبْتَزُّنِي نُحَيْلَةَ أَبِي وَ بُلْغَةَ ابْنِي، لَقَدْ أَجْهَرَ فِي خِصَامِي، وَ أَلْفَيْتُهُ أَلَدَّ فِي كَلامِي، حَتَّىٰ حَبَسَتْنِي قَيْلَةُ نَصْرَهَا، وَ الْمُهَاجِرَةُ وَصْلَهَا، وَ غَضَّتِ الْجَمَاعَةُ دُونِي طَرْفَهَا؛ فَلا دَافِعَ وَ لا مَانِعَ، خَرَجْتُ كَاظِمَةً، وَعُدْتُ رَاغِمَةً، أَضْرَعْتَ خَدَّكَ يَوْمَ أَضَعْتَ حَدَّكَ، اِفْتَرَسْتَ الذِّئَابَ، وَافْتَرَشْتَ التُّرَابَ، مَا كَفَفْتَ قَائِلاً، وَ لا أَغْنَيْتَ بَاطِلاً (طائلاً خ)، وَ لا خِيَارَ لِي، لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَنِيَّتِي وَ دُونَ زَلَّتِي. عَذِيرِيَ اللّٰهُ مِنْكَ عَادِياً وَ مِنْكَ حَامِياً. وَيْلايَ فِي كُلِّ شَارِقٍ، مَاتَ الْعَمَدُ، وَ وَهَتِ الْعَضُدُ.

شَكْوَايَ إِلَىٰ أَبِي، وَ عَدْوَايَ إِلَىٰ رَبِّي. اَللّٰهُمَّ أَنْتَ أَشَدُّ قُوَّةً وَ حَوْلاً، وَ أَحَدُّ بَأْساً وَ تَنْكِيلاً.

فَقَالَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ‌السَّلامُ: لا وَيْلَ عَلَيْكِ، اَلْوَيْلُ لِشَانِئِكِ، نَهْنِهِي عَنْ وَجْدِكِ يَا ابْنَةَ الصَّفْوَةِ وَ بَقِيَّةَ النُّبُوَّةِ، فَمَا وَنَيْتُ عَنْ دِينِي، وَ لا أَخْطَأْتُ مَقْدُورِي، فَإِنْ كُنْتِ تُرِيدِينَ الْبُلْغَةَ فَرِزْقُكِ مَضْمُونٌ، وَكَفِيلُكِ مَأْمُونٌ، وَ مَا أَعَدَّ لَكِ أَفْضَلُ مِمَّا قُطِعَ عَنْكِ، فَاحْتَسِبِي اللّٰهَ؛ فَقَالَتْ: حَسْبِيَ اللّٰهُ؛ وَ أَمْسَكَتْ».

«خطبة الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها
حول فدك اجمالاً»

و قد اتّفق الفريقان على خطبة الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء صلوات الله تعالى عليها حيث ألقتها بحشد من الصّحابة في مسجد النّبيّ«صلّی الله علیه و آله»، و فيهم أبوبكر بن أبي قحافة و أوردوها في مآخذهم و منابعهم المعتبرة عندهم على طريق الإجمال و التّفصيل، فينبغي ذكرها بكلا الوجهين ثمّ شرحها إجمالاً:

١ ـ في كتاب السّقيفة و فدك للجوهري البصريّ قال: «حدّثني محمّد بن زكريّا قال: حدّثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي، قال: حدّثني أبي، عن الحسين بن صالح بن حي، قال: حدّثني رجلان من بني‌هاشم، عن زينب بنت عليّ بن أبيطالب«علیها السلام» قال: و قال جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين عن أبيه، و حدّثني عثمان ابن عمران العجيفي، عن نائل بن نجيح بن عمير بن شمر، عن جابر بن الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن عليّ«علیه السلام».

قال الجوهري: و حدّثني أحمد بن محمد بن يزيد، عن عبدالله بن محمّد بن سليمان عن أبيه، عن عبدالله ابن الحسن بن الحسن، قالوا جميعاً:

«لمّا بلغ فاطمة«علیها السلام» إجماع أبي‌بكر على منعها فدك، لاثت خمارها، و أقبلت في لمّة من حفدتها و نسآء قومها، تطأ في ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله«صلّی الله علیه و آله» حتّى دخلت على أبي‌بكر، و قد حشد النّاس من المهاجرين و الأنصار، فضرب بينها و بينهم

رَيْطة بيضآء، و قال: بعضهم: قبطيّة، و قالوا: قبطيّة ـ بالكسر و الضمّ ـ ثمّ أنّت أنّةً أجهش لها القوم بالبكآء، ثمّ أمهلت طويلاً حتّى سكنوا من فَوْرتهم ثمّ قالت:

«أبتدئ بحمد من هو أولى بالحمد و الطّول و المجد، الحمد لله على ما أنعم، و له الشّكر بما ألهم،

و ذكر خطبة طويلةً جيّدة قالت في آخرها:

«فاتّقوا الله حقّ تقاته» و أطيعوه فيما أمركم به، فإنّما يخشى الله من عباده العلمآء، و احمدوا الله الّذي لعظمته و نوره يبتغي من في السّموات و الأرض إليه الوسيلة، و نحن وسيلته في خلقه، و نحن خاصّته و محلّ قدسه، و نحن حجّته في غيبه، و نحن ورثة أنبيآئه، ثمّ قالت: أنا فاطمة ابنة محمّد، أقول عوْداً على بدء، و ما أقول ذلك سَرَفاً و لا شططاً، فاسمعوا بأسماع واعية و قلوب راعية، ثمّ قالت: «لقد جآءكم رسول الله من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم».

فإن تعزوه تجدوه أبي دون آبآئكم و أخا ابن عمّي دون رجالكم، ثمّ ذكرت كلاماً طويلاً سنذكره فيما بعد في الفصل الثّاني، تقول في آخره:

«ثمّ أنتم الآن تزعمون أن لا أرث أبي، أفحكم الجاهليّة تبغون (يبغون خ) و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون».

ايهاً معاشر المسلمين، ابتَزّ إرث أبي، أبى الله أن ترث يابن أبي قحافة أباك و لا أرث أبي! لقد جئت شيئاً فريّاً! فدونكها مخطوطةً مرحُولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، و الزّعيم محمّد، و الموعد القيامة، و عند السّاعة يخسر المبطلون، و لكلّ نباءٍ مستقرّ و سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحلّ عليه عذاب مقيم! ثمّ التفتت إلى قبر أبيها، فتمثّلت بقول هند بنت أثاثة (و هي بنت أثاثة بن عبد المطلب، شاعرة من شواعر العرب أسلمت و بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله)):

قد كان بعدك أنبآء و هينمة ... لو كنتَ شاهدها لم تكثُرِ الخطب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم ... لمّا قضيتَ و حالت دونك الكُتُبُ

تجهّمتنا رجال و استُخِفَّ بنا ... إذ غِبتَ عنّا فنحن اليوم نُغتَصَبُ

قولها ﴿عليها السلام﴾: «هينمة»: صوت خفيّ.

قال: و لم ير النّاس أكثر باكٍ و لا باكيةً منهم يومئذٍ، ثمّ عدلت إلى مسجد الأنصار، فقالت: يا معشر البقيّة، و أعضاد الملّة، و حَضَنة الإسلام، ما هذه الفَتْرة عن نُصرتي، و الونية عن معونتي، و الغمزة في حقّي، و السّنة عن ظُلامتي! أما كان رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ يقول: «المرء يُحفَظُ في ولده»؟! سرعان ما أحدثتم، و عجلانَ ما أتيتم، ألآنْ مات رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ أمتّم دينه؟! ها إنّ موته لعمري خطبٌ جليل أُستوسع وَهنُه، و أُستبهم فتقُه، و فُقِد راتقه، و أظلمت الأرض له، و خشعت الجبال، و أكْدَت الآمال، أُضيع بعده الحريم، و هتكتِ الحرمة، و أُذيلت المصونة، و تلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته، و أنبأكم بها قبل وفاته، فقال: «و ما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً و سيجزي الله الشّاكرين».

إيها بني قَيْلة، اهتضم تراث أبي، و أنتم بمرأى و مسمع، تبلغكم الدّعوة، و يشملكم الصّوت، و فيكم العُدّة و العدد، و لكم الدّار و الجنَن، و أنتم نخبة الله الّتي انتخب، و خيرته الّتي اختار! باديتم العرب، و بادهتم الأُمور، و كافحتم البُهم حتّى دارت بكم رَحَى الإسلام، و درّ حلبه، و خَبَتْ نيران الحرب، و سكنت فَوْرة الشّرك، و هدأتْ دعوة الهَرْج، و استوثق نظام الدّين، أفتأخّرتم بعد الإقدام؟ و نكصتم بعد الشّدّة؟ و جَبُنْتُم بعد الشّجاعة؟ عن قوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم، فقاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون.

ألا و قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، و ركنتم إلى الدّعة، فجحدتم الّذي وعيتم، و سُغتمُ الّذي سوّغتم، و إن تكفروا أنتم و من في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيّ حميد، ألا و قد قلتُ لكم ما قلت على معرفة منّي بالخذلة الّتي خامرتكم، و خَوَر القناة، و ضعف اليقين، فدونكموها فاُحتووها مدبرة الظّهر، ناقبة الخفّ، باقية العار، موسومة الشّعار، موصولة بنار الله الموقدة الّتي تطّلع على الأفئدة، فبعين الله ما تعملون» «و سيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون».

أقول: رواه بعينه جماعة من أعلام العامّة و حملة آثارهم في مآخذهم المعتبرة عندهم:

منهم: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، المعروف بابن طيفور ـ المتوفّى سنة ٢٨٠ هق) في كتاب (بلاغات النّسآء: ص ١٤) أوردها تفصيلاً.

منهم: ابن أبي الحديد في شرح كتاب أمير المؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» إلى عثمان بن حنيف الأنصاري و كان عامله على البصرة ـ ج ١٦، ص ٢١٠) ط دار إحياء الكتب العربية بيروت سنة ١٩٦٢ م) ذكرها اجمالاً.

و منهم: عمر رضا كحالة في (أعلام النّسآء: ج ٣، ص ١٢٠٨ ط دمشق) روى الحديث بعين ما في (بلاغات النّسآء) و غيرهم تركناهم روماً للاختصار.

و لا يخفى على من له الدّراية و طيب الولادة أنّ الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها لم تتوقّف في طريق الحقّ و إحقاقه رغم ما أوجده رؤسآؤ المنافقين الحاقدين على الإسلام و المؤمنين من الموانع و العقبات الصّعبة أمامها، فقد قامت سلام الله عليها بفضح شدّة كفرهم و نفاقهم و قساوة قلوبهم، و جرائمهم المنكرة الّتي قام بها مدّعو الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، و أعلنت للمسلمين و لكلّ إنسان في كلّ ظرف من الظّروف كفر هؤلآء المدّعين الغاصبين و قساوة قلوبهم و ابتعادهم عن الدّين و انحرافهم عن الإسلام، و أوضحت حقيقة الايمان و حكمة الإسلام و علل أحكامه... في فصول من خطبتها الّتي ألقتها في مسجد النّبيّ «صلى الله عليه وآله» بحشد من الصّحابة و فيهم أبو بكر بن أبي قحافة أوّل غاصب لحقّ أهل بيت الوحي المعصومين و البادئ بظلمهم و هضم حقوقهم صلوات الله عليهم أجمعين.

و لقد كانت هذه الخطبة في المسجد النّبويّ «صلى الله عليه وآله» أوّل خطوة لها سلام الله عليها، و إنّ هذه الخطوة و إن لم تثمر ثمارها في تلك الفترة للكبت الّذي كانت عليه أجوآء المدينة آنذاك، و الإرهاب الّذي أوجده عمر بن الخطّاب حليف أبي بكر بن أبي قحافة، منذ اللحظات الأولى من اغتصاب الخلافة، و خبط النّاس في الأزقّة و جرّهم سحباً إلى أبي بكر للبيعة، و سلب القدرة من المسلمين على التفكير أحياناً كما أشارت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها في خطبتها إلى هذه الحالة الرّهيبة، و لكن هذه الخطوة استمرّت

باستمرار حياة الإنسان على بسيط الأرض، و تفضيح هؤلآء الغاصبين، و تتمّ الحجّة على أتباعهم في كلّ ظرف من الظّروف...

و لقد كانت للصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله‌عليها خطوة أخرى خطتها في سبيل فضح هؤلآء الغاصبين المتآمرين المستبدّين، و هي بكآؤها «عليها السلام» بغير انقطاع، و هو أقلّ ما يمكن للمظلوم التظلّم به، و كان داعياً للتّساؤل عن سبب البكآء، خصوصاً حين كان مصدره بضعة رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» و حبيبته و ابنته الوحيدة الّتي خلّفها في أُمّته، و لقد كانت أن تفلح لولا أنّ القوم منعوها حتّى من البكآء، و سئلوا أميرالمؤمنين عليّاً «عليه السلام» أن يصرفها عن البكآء أو أن تقتصر على البكآء إمّا ليلاً و إمّا نهاراً.

و لمّا عرض الإمام عليّ «عليه السلام» الأمر عليها، أبت ذلك، فلم يمنعها سلام‌الله‌عليها من إنفاذ إرادتها، فكانت تخرج إلى خارج المدينة، و تستظلّ بظلّ أراكة و تبكي، فعمد القوم إلى الأراكة و قطعوها ليلاً، فبنى أميرالمؤمنين عليّ «عليه السلام» لها بيتاً من جريد النّحل في البقيع، سمّاه «بيت الأحزان» قال السّمهودي في (تاريخ المدينة: ج ٢، ص ٩٥): إنّ الغزالي ذكر استحباب الصّلاة في مسجد فاطمة «عليها السلام» بالبقيع. و قال غيره: إنّه المعروف ببيت الحزن لأنّ فاطمة عليها سلام‌الله أقامت به أيّام حزنها على أبيها.

و للصّديقة الطّاهرة صلوات‌الله عليها خطوة ثالثة في تظلّمها من هؤلآء الجبّارين الغاصبين كانت مقاطعة الظّالمين، و عدم رضاها بإظهار نبأ وفاتها أو حضورهم جنازتها، و إظهار عدم رضاها عنهم، و سخطها عنهم في حياتها.

و هذه الخطوة كانت صرخة خالدة في وجه هؤلآء الظّالمين المستكبرين، و ما لم يمكن لأيّ منهم إسكاته، و قد عرّض به شاعر أهل البيت بقوله:

و لأيّ الأمور تدفن ليلاً بضعة المصطفى و يعفى ثراها

«حكمة خطبة الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام
و أهدافها و نتاجها»

قال الله تعالى: «و ما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم» آل عمران: ١٤٤).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»: «... حتّى إذا قبض الله رسوله«صلى الله عليه و آله» رجع قوم على الأعقاب، و غالتهم السّبل، و اتّكلوا على الولآئج، و وصلوا غير الرّحم، و هجروا السّبَبَ الّذي أُمروا بمودّته و نقلوا البنآء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه...» الخطبة: ١٥٠).

و قد ذكر بعض الكتّاب و المؤرّخين، و البحّاث و المحقّقين أهدافاً استهدفتها الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله‌عليها في ايراد الخطبة بمسجد أبيها النّبيّ الكريم«صلى الله عليه و آله» بعد عشرة أيّام من وفاته بأمر إمامها أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»، يرجع أكثرها إلى الامور المادّيّة من فدك و الإرث و الخمس و ما إليها، و في النّهاية إلى غصب خلافة قرينها الإمام عليّ«عليه السلام» و قد غفلوا عن حكمها الأصيلة الواضحة، و أهدافها الأساسيّة الظّاهرة من أُوليات خطبتها نفسها و هي:

ألف: أنّ فاطمة الزّهرآء صلوات‌الله عليها قد بيّنت حقيقة التّوحيد للنّاس كافّة في كلّ ظرف من الظّروف، و للحاضرين خصوصاً في هذا الظّرف المضطرب المنقلب كأنّها

كأبيها تدعو أوّلاً النّاس جميعاً و منهم الحاضرون إلى التّوحيد إذ أحسّت أنّ التّوحيد في خطر عظيم بالسّقيفة الّتي هي مبدأ انقلاب أصحابها و مردتها على أعقابهم الشّرك و الجاهليّة.

ب: أنّها قرّرت رسالة أبيها و حكمة رسالته ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ إذ أحسّت أيضاً أنّها كالتّوحيد في خطر عظيم بها، فدعت النّاس و الحاضرين إليها.

ج: أنّها ذكرت وفاة أبيها رفعاً لشبهة أوجدها عمر بن الخطّاب في أذهان المسلمين يوم وفاته ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ بأنّه حيّ لم يمت.

د: أوضحت ﴿عليها السلام﴾ لهم أنّ أباها رسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ خلّف فيهم ما خلّفت الأنبيآء في اممهم فلم يتركهم هملاً بغير طريق واضح و لا علم قآئم، فدعتهم إلى التّمسّك بالثّقلين: العمل بكتاب الله و اتّباع مبيّنه.

ه: أشارت سلام الله عليها إلى حكمة الايمان، و علل الشّرائع، و دعتهم إلى طاعة الله تعالى فيما أمرهم به و ما نهاهم عنه إذ اتّخذوها لعباً و لهواً.

و: عرّفت نفسها و فضلها، و فضل أبيها، و إنقاذه و نجاته ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ النّاس من الذّلّة و الانحطاط و الخزي و الهوان...

ز: أشارت إلى انحطاط المخاطبين قبل الإسلام و نجاتهم منه بأبيها رسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ و إلى فضل قرينها أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾.

ح: أخذت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها بذكر جنايات المنافقين باسم الصّحابة و فتنتهم و إسارتهم الدّين و اتّباعهم الشّيطان بعد وفاة أبيها رسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾.

ط: استشهدت على جناياتهم بعد وفاة رسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ بغصبهم إرثها و فدكها مستدلّة على اثباتها لها بالآيات القرآنيّة.

ي: هدّدت فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابها بنار جهنّم و عذابها.

ك: و بخت ﴿عليها السلام﴾ الأنصار على تركهم نصرتها إذ استنصرت منهم لما غصب حقّها و هتكت حرمتها.

ل: بيّنت سلام‌الله عليها ارتداد أصحاب السّقيفة و مردتها بعد الايمان بأحسن بيان.

ن: أنّ الصّدّيقة الطّاهرة صلوات الله عليها قد أتمّت الحجّة على الحاضرين عامّة، و على الأنصار خاصّة لحسم اعتذارهم بعدئذ.

هذه الامور هي حِكَم خطبتها﴿عليها السلام﴾ و أهدافها و نتاجها لا يستعدّ الجوّ المضطرب يوم ذاك لورود أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ في ميدان النّضال المذهبي و المالي، و لكنّ الجوّ لم يكن بَعْدُ، غير مستعدّ لقرينته الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها فأمرها ببيان الحقائق الدّينيّة و المعارف الإسلاميّة و الحِكَم القرآنيّة الّتي اتّخذها أبوبكر و حليفه عمر بن الخطّاب لهواً و لعباً، و ذريعة لنيلها بالمُلك و الرّئاسة، و بتفضيح أبي‌بكر على مسمع و مرأى من المسلمين لمخالفته الكتاب الكريم و السّنّة الثّابتة صراحاً، و بطلان خلافته أبداً.

و قد ذكر كثير من الباحثين حول فدك، و شارحي خطبة الصّدّيقة الطّاهرة﴿عليها السلام﴾ أهدافاً لها في ايرادها ما أظنّها أهدافاً، و إنّما الحِكَم و الأهداف و النّتاج ما ذكرناه آنفاً، و ما ذكروه شواهد على الأهداف، فنشير إلى أهمها:

فقال بعضهم: إنّ من الأهداف: أنّ فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها أرادت بخطبتها استرجاع حقّها المغصوب، و هذا أمر طبيعيّ لكلّ إنسان، غصب حقّه أن يطالب به بالطّرق المشروعة.

و منها: أنّ الحزب الحاكم الغاصب قد استولى على جميع الحقوق السّياسيّة و الاقتصاديّة لبني‌هاشم، و ألغى جميع امتيازاتهم المادّيّة و المعنويّة، فهذا عمر بن الخطّاب يقول لابن عبّاس: أتدري ما منع قومكم (أي قريش) منكم بعد محمّد﴿صلى الله عليه وآله﴾؟ كرهوا أن يجمعوا لكم النّبوّة و الخلافة، و فتبجحوا على قومكم، بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت و وُفّقت، هذا بالنّسبة للخلافة، و أمّا بالنّسبة للأموال فقد منعوا بني‌هاشم فدك و الميراث و الخمس ـ أي سهم ذوي القربى ـ و اعتبروهم كسآئر النّاس.

و كان بنوهاشم و في مقدّمهم عليّ﴿عليه السلام﴾ لا يقدرون على المطالبة بحقوقهم المغصوبة بأنفسهم، فجعلت الزّهرآء﴿عليها السلام﴾ من نفسها مطالبة بحقّ بني‌هاشم و حقّها، و مدافعة عنهم اعتماداً على فضلها و شرفها و قربها من رسول الله﴿صلى الله عليه وآله﴾ و استناداً إلى أنوثتها حيث

النّسآء أقدر من الرّجال في بعض المواقف. و معلوم أنّ الزّهرآء«عليها السلام» إذا استردّت حقوقها استردّت حينئذ حقوق بني‌هاشم معها.

و منها: أنّ فاطمة الزّهرآء سلام‌الله‌عليها استهدفت من مطالبتها الحثيثة بفدك فسح المجال أمامها للمطالبة بحقّ زوجها المغلوب على أمره، و الواقع أنّ فدكاً صارت تتمشّى مع الخلافة جنباً إلى جنب، كما صار لها عنوان كبير وسعة في المعنى، فلم تبق فدك قرية زراعيّة محدودة بحدودها في عصر رسول‌الله«صلى الله عليه و آله» بل صار معناها الخلافة و الرقعة الإسلاميّة بكاملها.

و ممّا يدلّ على هذا تحديد الأئمّة لفدك، فقد حدّها عليّ«عليه السلام» في زمانه: «حدّ منها جبل اُحُد، و حدّ منها عريش مصر، و حدّ منها سيف البحر، و حدّ منها دومة الجندل» و هذه الحدود التّقريبيّة للعالم الإسلاميّ آنذاك.

أمّا الإمام الكاظم«عليه السلام» فقد حدّها لهارون الرّشيد بعد أن ألحّ عليه الرّشيد أن يأخذ فدكاً، فقال له الإمام: «ما آخذها إلاّ بحدودها، قال الرّشيد: و ما حدودها؟ قال: الحدّ الأوّل عدن، و الحدّ الثّاني سمرقند، و الحدّ الثّالث أفريقيّة، و الحدّ الرّابع سيف البحر ممّا يلي الخزر و أرمينيّة، فقال له الرّشيد: فلم يبق لنا شئ فتحوّل في مجلسي» أي أنّك طالبت بالرّقعة الإسلاميّة في العصر العبّاسيّ بكاملها. فقال الإمام: قد أعلمتك أنّي إن حدّدتها لم تردّها.

ففدك تعبير ثانٍ عن الخلافة الإسلاميّة، و الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله‌عليها جعلت فدكاً مقدّمة للوصول إلى الخلافة، فأرادت استرداد الخلافة عن طريق استرداد فدك.

و منها: أنّ فاطمة الزّهرآء سلام‌الله‌عليها أرادت بمنازعة أبي‌بكر إظهار حاله، و حال أصحابه للنّاس، و كشفهم على حقيقتهم ليهلك من هلك عن بيّنة، و يحي من حيّ عن بيّنة، و إلاّ فبضعة الرّسول أجلّ قدراً و أعلى شأناً من أن تقلّب الدّنيا على أبي‌بكر حرصاً على الدّنيا، و لا سيّما أنّ النّبيّ«صلى الله عليه و آله» أخبرها بقرب موتها و سرعة لحاقها به، و لذا لم ينهها عليّ«عليه السلام» عن منازعة أبي‌بكر في فدك، و هو القآئل: «و ما أصنع بفدك، و غير فدك، و النّفس مكانها في غد جدث» و لم تكن فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها أقلّ من عليّ«عليه السلام»

تُقىً و زهداً في الدّنيا، ثمّ إنّ علياً«عليه السلام» كان بإمكانه أن يعوّض الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله‌عليها عن ما غصب منها بما يملكه من الأموال، و يمنعها من الهوان، فإنّ ممّا يملك إرثي البغيبغة و أبي نيزر، و هما أكثر قيمة من فدك، و قد جعلها عليه السلام قبل وفاته وقفاً على الفقرآء، و كان واردها السّنوي (٤٧٠) ألف درهم.

و هذا أيضاً هو السّبب في حمل عليّ«عليه السلام» فاطمة الزّهرآء سلام‌الله‌عليها على بغلة، و المرور بها على دور المهاجرين و الأنصار، و مطالبتهم بنصرتها مع علمها بخذلانهم، كلّ ذلك لاطّلاع النّاس أبد الدّهر على حقيقة الأمر، و إظهار حال الغاصبين، و حال أصحابهم...

و **قال بعضهم**: ربما يعترض البعض على موقف فاطمة«عليها السلام»، فيقول: لماذا إذن تقف فاطمة سلام‌الله‌عليها هذا الموقف الصّلب في مطالبتها بفدك، فلولم يكن هناك هدف آخر تبتغيه من ورآئه لما طالبت هذه المطالبة الحقيقيّة به.

و لأجل أن نبرز الحقآئق الّتي دفعت الصّدّيقة فاطمة الزّهرآء«عليها السلام» للمطالبة بفدك نضع أمامنا النّقاط الآتية:

ألف: إنّ فاطمة الزّهرآء سلام‌الله‌عليها رأت أنّ (التّأميم) بفدك قد هيّأ لها فرصة ذهبيّة في الإدلآء برأيها حول الحكومة القآئمة، و كان لابدّلها أن تدلي بتصريحاتها أمام الجماهير، و قد هيّأت لها قضيّة فدك، هذه الملابسات المناسبة، فحضرت دار الحكومة في المسجد النّبويّ«صلّى الله عليه و آله» و ألقت بتصريحاتها الّتي لا تنطوي على أيّ لبس أو غموض.

ب: تبيان أحقّيّة عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» في قيادة الأمّة بعد رسول‌الله«صلّى الله عليه و آله» و قد تجلّى ذلك في خطبتها الّتي ألقتها في مسجد أبيها«صلّى الله عليه و آله» على مسمع و مرأى من المسلمين، و بضمنهم الحكومة الجديدة، فكان من بعض أقوالها: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبي و ابن عمّي؟» و قولها«عليها السلام»: «و أبعدتم من هو أحقّ بالبسط و القبض» حيث أوضحت أنّ علياً«عليه السلام» أعلم النّاس بعد رسول‌الله«صلّى الله عليه و آله» بمعرفة الرّسالة و أحكامها و قوانينها، و هو لذلك أحقّ برعاية شئون الأمّة الّتي صنعها الوحي المقدّس السّماويّ.

ج: كشف عيوب الحكومة الجديدة على الشّرع المقدّس و اجتهاداتهم الّتي لا علاقة لها بأهداف الرّسالة... و هذه النّقاط الثّلاث هي الّتي استهدفتها فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها في مطالبتها الحثيثة بفدك، ليس غير، و ليس لها ورآء ذلك هدف ماديّ رخيص، كما يعتقد البعض من مؤرّخي حياتها فهي ـ لعمر الحقّ ـ قد تصرّفت ما من شأنه أن يحفظ الرّسالة من شبح الانحراف الّذي تنبّأت بوقوعه بعد انتخاب الحكومة الجديدة، فاتّخذت من فدك خير فرصة لخدمة المبدإ و إلقاء الحجّة على الأُمّة تأدية للمسئوليّة، و نصراً للرّسالة، و حفظاً لبيضة الإسلام.

حكمة سكوت أمير المؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام»:

و **منهم من يقول:** ألم يكن من المعقول أن يخاف أمير المؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام» على كرامة حبيبه و أخيه رسول الله«صلى الله عليه و آله» أن تنتقض و هي أغلى عنده من كلّ نفيس ـ إذا جاهر بنصوص النّبيّ الكريم«صلى الله عليه و آله» و هو«عليه السلام» لم ينس موقف عمر بن الخطّاب من رسول الله«صلى الله عليه و آله» حين طلب دواة ليكتب كتاباً لا يضلّ النّاس بعده، فقال عمر: «إنّ النّبيّ ليهجر» أو «قد غلب عليه الوجع» و قد اعترف فيما بعد لابن عبّاس: إنّ رسول الله«صلى الله عليه و آله» كان يريد أن يعين عليّاً للخلافة و قد صدّه عن ذلك خوفاً من الفتنة.

سوآء كان رسول الله«صلى الله عليه و آله» يريد أن يحرّر حقّ عليّ«عليه السلام» في الخلافة أم لا، فإنّ المهمّ أن نتأمّل موقف عمر من طلبه فهو إذا كان مستعدّاً لاتّهام رسول الله«صلى الله عليه و آله» وجهاً لوجه بما ينزّهه عنه نصّ القرآن الكريم: و يأمر المؤمنين بإطاعته «و ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى» النّجم: ٣ـ٤) و «ما آتاكم الرّسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا» الحشر: ٧) و «يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول ـ من يطع الرّسول فقد أطاع الله» النّسآء: ٥٩ و ٨٠) إلاّ أن يقال: إنّ عمر لم يؤمن بالله تعالى و رسوله«صلى الله عليه و آله» طرفة عين أبداً ـ و هو الحقّ الّذي لا ريب فيه ـ فلا يشمله الخطاب.

و بما تنزّهه«صلى الله عليه و آله» عنه ضرورة الإسلام خوفاً من الفتنة، فما الّذي يمنعه عن اتّهام آخر له«صلى الله عليه و آله» بعد وفاته، مهما تلطفنا في تقديره فلا يقل عن دعوى أنّ رسول الله«صلى الله عليه و آله» لم يصدر عن أمر الله في موضوع الخلافة، أو نسخ الموضوع قبل وفاته«صلى الله عليه و آله» أو استخلف

علياً بوحي من عاطفته، بل كان هذا أولى من تلك المعارضة لأنّ الفتنة الّتي تقوم بدعوى على النّصّ أشدّ ممّا كان يترقّبه عمر من اضطراب فيما إذا كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد خلّف نصّاً تحريرياً بإمامة عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» يعلمه الجميع.

و إذا كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد ترك التّصريح بخلافة عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» في آخر ساعاته من عمره لمقالة عمر بن الخطّاب قالها، فإنّ المفهوم أن يترك الوصيّ الاحتجاج بالنّصوص خوفاً من مقالة أسوأ، لا يبالي أن يقولها.

فسكوت الإمام أميرالمؤمنين عليّ «عليه السلام» عن النّصّ إلى حين كان يفرضه عليه:

ألف: أنّه «عليه السلام» لم يكن يجد في رجالات تلك السّاعة من يطمئنّ إلى شهادته بذلك، و الدّليل على ذلك ترك نصرة الأنصار لفاطمة الزّهرآء سلام الله عليها حين استنصرت منهم.

ب: أنّ الاعتراض بالنّصوص كان من الحريّ به أن يلفت أنظار الغاصبين إلى قيمتها المادّيّة، فيستعملون شتّى الأساليب لخنقها.

ج: أنّ معنى الاعتراض بها التّهيّؤ للثّورة بأوسع معانيها، و هذا ما لم يكن يـريده الإمام «عليه السلام».

د: أنّ اتّهام عمر و إهانته لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في آخر ساعاته، عرف علياً «عليه السلام» بمقدار تفاني الحزب الحاكم الشّيطاني في سبيل مراكزهم، و مدى استعدادهم لتأييدها، و المدافعة عنها، و جعله يخاف من تكرّر شيئ من ذلك فيما إذا أعلن عن نصوص إمامته.

فانتهى الإمام عليّ «عليه السلام» إلى قرار حاسم و هو ترك الثّورة، و عدم التّسلّح بالنّصوص في وجه الحزب الحاكم الشيطاني جهاراً و علانية إلاّ إذا اطمأنّ إلى قدرته على تجنيد الرّأي العام ضدّ أبي بكر و حليفيه: عمر و عثمان، و هذا ما أخذ يحاوله عليّ «عليه السلام» في محنته آنذاك، فبدأ يطوف سرّاً على زعمآء المسلمين و رجالات المدينة يعظهم و يذكّرهم ببراهين الحقّ و آياته، و إلى جانب قرينته الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها تعزّز موقفه و تشاركه في جهاده السّرّي، و لم يكن يقصد بذلك التّطواف إنشآء حزب يتهيّأ له القتال به لأنّنا نعرف أنّ علياً «عليه السلام» كان له حزب من الأنصار هتف باسمه، و حاول الالتفاف حوله، و إنّما أراد

أن يمهد بتلك المقابلات لإجماع النّاس عليه.

و هنا تجيئ مسئلة فدك لتحتل الصّدارة في السّياسة العلويّة الجديدة، فـإنّ الدّور الفاطميّ الّذي رسم هارون النّبوّة خطوطه بإتقان كان متّفقاً مع ذلك التّطواف اللّيلى في فلسفته، و جديراً بأن يقلب الموقف على أبي بكر الغاصب، و ينهى خلافته كما تنتهي القصّة التّمثيليّة لا كما يقوض حكم مركز على القوّة و العُدّة و العِدّة.

و كان الدّور الفاطمي يتخلّص في أن تطالب الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها أبابكر الغاصب بما انتزعه منها من أموال، و تجعل هذه المطالبة وسيلة للمناقشة في المسـئلة الأساسيّة و أعني بها مسئلة الخلافة و إفهام النّاس بأنّ اللحظة الّتي عدلوا فيها عن إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ إلى أبي بكر الغاصب كانت لحظة هوس و شذوذ، و لحظة غفلة و خدوع... و أنّهم بذلك أخطأوا و خالفوا كتاب ربّهم و وردوا غير شربهم، و نقلوا البنآء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه...

و لمّا اختمرت الفكرة في ذهن الصّدّيقة الطّاهرة عليها سلام‌الله اندفعت لتـصحح أوضاع السّاعة، و تمسح عن الحكم الإسلامي الّذي وضعت قاعدته الاولى في السّقيفة السّخيفة الشّومة، الوحل الّذي تلطّخ به عن طريق اتّهام أبي بكر الحاكم بالخيانة السّافرة و العبث بكرامة الوحي السّماوي و اللعب بالدّين الإلهيّ، و اتّهام نتآئج المعركة الانتخابيّة الّتي خرج منها أبوبكر خليفة بمخالفة الكتاب و السّنة، و الصّواب و الرّشاد.

و قد توفّرت في المقابلة الفاطميّة ناحيتان لاتتهيّآن لأميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ فيما لو وقف موقفها ﴿عليها السلام﴾:

الاولى: أنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها كانت أقدر من قرينها الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ بظروف فجيعتها الخاصّة و مكانتها من أبيها على استثارة العواطف و ايصال المسلمين بسلك من كهربآء الرّوح بأبيها العظيم ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و أيّامه الغرّآء، و تجنيد مشاعرهم لقضايا أهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين.

الثّانية: أنّ فاطمة الزّهرآء عليها سلام الله مهما تتّخذ لمنازعتها من أشكال، فـلن تكتسب لون الحرب المسلّحة الّتي تتطلب زعيماً يهيمن عليها مادامت امرأة، و مـادام

هارون النّبوّة الإمام عليّ«عليه السلام» في بيته محتفظاً بالهدنة الّتي أعلنها حتّى تجتمع النّاس عليه، و مراقباً للموقف ليتدخل فيه متى شآء مترعّماً للثّورة إذا بلغت حدّها الأعلى أو مهدئاً للفتنة إذا لم يتهيّأ له الظّرف الّذي يريده، فالصّدّيقة الطّاهرة صلوات الله عليها بمقاومتها إمّا أن تحقّق انتقاضاً إجماعيّاً على أبي بكر الغاصب الخآئن، و إمّا أن لا تخرج عن دائرة الجدال و النّزاع و لا تجرّ إلى فتنة و انشقاق.

و إذن فقد أراد أمير المؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام» أن يسمع النّاس يومئذ صوته من فم الصّدّيقة الطّاهرة صلوات الله عليها و يبقى هو بعيداً عن ميدان المعركة ينتظر اللّحظة المتناسبة للاستفادة منها، و الفرصة الّتي تجعل منه رجل الموقف، و أراد أيضاً أن يقدم لأمّة القرآن كلّها في المقابلة الفاطميّة برهاناً على بطلان خلافة أبي بكر الغاصب الخآئن، و قد تمّ للإمام ما أراد حيث عبّرت الصّدّيقة الطّاهرة«عليها السلام» عن الحقّ العلوي تعبيراً واضحاً فيه ألوان من الجمال و النّضال. و تتخلّص المعارضة الفاطميّة في عدّة مظاهر:

ألف: إرسالها«عليها السلام» لرسول ينازع أبابكر الغاصب الخائن في مسآئل الميراث، و يطالب بحقوقها، و هذه هي الخطوة الاولى الّتي انتهجتها فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها تمهيداً لمباشرتها للعمل بنفسها.

ب: مواجهتها«عليها السلام» بنفسها لأبي بكر الخآئن في اجتماع خاصّ، و قد أرادت بتلك المقابلة أن تشتدّ في طلب حقوقها من الخمس و فدك و غيرهما لتعرف مدى استعداد أبي بكر الخآئن للمقاومة و خوفه.

ج: خطبتها«عليها السلام» في مسجد النّبيّ«صلّى الله عليه و آله» بعد عشرة أيّام من وفاة أبيها.

د: خطابها سلام الله عليها الّذي ألقته على نسآء المهاجرين و الأنصار حين اجتماعهنّ عندها.

هـ: حديثها«عليها السلام» مع أبي بكر و عمر حينما زاراها معتذرين منها ظاهراً و لكن قصدهما خدعة و تحميق لعامّة النّاس، و لما كانت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها عالمة بما نوياه أعلنت غضبها عليهما و أنّهما أغضبا الله جلّ و علا و رسوله«صلّى الله عليه و آله» بما في ضميريهما و مقالتهما و ما فعلاه...

و: وصيّتها سلام‌الله عليها بأن لا يحضر تجهيزها و دفنها أبوبكر و عمر و من يحذوحذوهما من أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و مردتها، و قد كانت هذه الوصيّة، الإعلان الأخير من فاطمة الزّهرآء عن نقمتها على الحزب الحاكم الخائن الغاصب و قد ماتت ﴿عليها السلام﴾ ساخطة على أبي‌بكر و عمر خصوصاً، و على أذنابهما عامّة.

و قد فشلت الحركة الفاطميّة بمعنى، و نجحت بمعنى آخر:

فشلت لأنّها لم تطوح بحكومة أبي‌بكر الغاصب في زحفها الأخير الخطير الّذي قامت به في اليوم العاشر من وفاة رسول‌الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و لكنّ الأمر الّذي لا ريب فيه أنّ شخصيّة أبي‌بكر كانت من أهمّ الأسباب الّتي أدّت إلى فشلها لأنّه من أصحاب المواهب السّياسيّة، و قد عالج الموقف بلباقة ملحوظة نجد لها مثالاً فيما أجاب به فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها من كلام و جهة إلى الأنصار من خطاب بعد انتهآئها من خطبتها في مسجد أبيها ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فبينما أبوبكر يذوب رقة في جوابه للصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها و إذا به يطوي نفسه على نار متأجّجة تندلع بعد خروج فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها من المسجد، فيقول: «ما هذه الدّعة إلى كلّ قالة إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه...» فإنّ هذا الانقلاب من اللّين و الهدوّ إلى الغضب الفائر يدلنا على مقدار ما اُوتي من سيطرة على مشاعره و قدرته على مسايرة الظّرف، و تمثيل الدّور المناسب في كلّ حين من جهة، و ما في ضميره من الكفر و الطّغيان و البغي و العصيان، و الحقد و العدوان جرت على فلتات لسانه من جهة أخرىٰ.

و نجحت معارضة الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها لأنّها جهّزت الحقّ بقوّة قاهرة، و أضافت إلى طاقته على الخلود في ميدان النّضال المذهبي طاقة جديدة، و قد سجلت هذا النّجاح في حركتها كلّها و في محاورتها مع أبي‌بكر و عمر عند زيارتهما لها بصورة خاصّة إذ قالت لهما: «أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول‌الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ تعرفانه و تفعلان به؟ فقالا: نعم، فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا من رسول‌الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ يقول: رضا فاطمة من رضاي، و سخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة فقد أحبّني، و من أرضى فاطمة فقد أرضاني، و من أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم سمعناه من رسول‌الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾، قالت: فإنّي أشهد الله و ملائكته أنّكما أسخطتماني، و ما أرضيتماني، و لئن لقيت النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ لأشكونكما عنده».

و يصوّر لنا هذا الحديث مدى اهتمامها بتركيز الاعتراض على خصمها و مجاهرتها بغضبها و نقمتها، و توضيح أفكارها، و وجهة نظرها سلام‌الله عليها، فإنّها كانت تعتقد أنّ النّتيجة الّتي حصلت عليها هي الفوز المؤكّد في حساب العقيدة و الدّين بأنّ أبابكر و عمر قد استحقّا غضب الله تعالى و رسوله«ﷺ» بإغضابها و آذاها بأذاها لأنّهما يغضبان لغضبها، و يسخطان لسخطها بنصّ الحديث النّبويّ الصّحيح، فلا يجوز أن يكونا خليفة الله سبحانه و رسوله«ﷺ»، و قد قال الله تعالى: «لا ينال عهدي الظّالمين» البقرة: ١٢٤) و قال «إنّ الّذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدّنيا و الآخرة و أعدّلهم عذاباً مهيناً» الأحزاب: ٥٧) و قال: «يا أيّها الّذين آمنوا لا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم» الممتحنة: ١٣) و قال: «و من يحلل عليه غضبي فقد هوى» طه: ٨١).

و **منهم من قال:** إنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها قد قامت و توجّهت نحو مسجد النّبيّ«ﷺ» لأجل المطالبة بحقّها، إنّها لم تذهب إلى دار أبي‌بكر ليقع الحوار بينها و بينه فقط، بل اختارت المكان الأنسب و هو المركز الإسلاميّ يومذاك، و مجمع المسلمين حينذاك، و هو مسجد النّبيّ«ﷺ» كما و أنّها اختارت الزّمان المناسب أيضاً ليكون المسجد غاصّاً بالنّاس على اختلاف طبقاتهم من المهاجرين و الأنصار، و لم تخرج وحدها من بيتها إلى مسجد أبيها بل خرجت مع جماعة من النّسآء، و كأنّها في مسيرة نسائيّة، و قبل ذلك قد تقرّر اختيار موضع من المسجد لجلوس بضعة رسول‌الله و حبيبته، و علّقوا ستراً لتجلس الصّدّيقة الطّاهرة صلوات‌الله عليها خلف السّتر، فإنّها فخر المخدّرات، و سيّدة المحجّبات، كانت هذه النّقاط مهمّة جدّاً و استعدّ أبوبكر لاستماع احتجاج سيّدة نسآء العالمين، و ابنة أفصح من نطق بالضّاد، و أعلم امرأة في العالم كلّه.

«محتويات خطبة فدك و مخبراتها»

و اعلم أنّ في محتويات خطبة فدك و مخبراتها كلمات عميقة من الأعاظم نشير إلى ما يسعه المقام و نحن على جناح الاختصار:

منهم: السّيّد حسن الأمين قال في (الجزء الثّاني من دائرة المعارف الإسلاميّة الشّيعيّة):

«تعتبر هذه الخطبة من أعلى آيات البيان العربي، و قد بدأتها فاطمة بالتّوجّه إلى الله و الدّعوة إليه، ثمّ بالتوجّه إلى النّبيّ أبيها، و ما كان عليه النّاس قبله من جهل و وثنيّة و فساد، و ما دعاهم إليه من خير و توحيد، ثمّ موته و قد أدّىٰ رسالته «صلى الله عليه و آله».

ثمّ توجّهت إلى الحاضرين، فتحدّثت عن القرآن و ما دعاهم إليه و حثّهم عليه، و عرضت لمبادئ الإسلام كلّها و لخصّتها بعبارات موجزة، و دعتهم إلى التّمسّك بها و الحفاظ عليها.

ثمّ أشارت إلى ما عانى النّبيّ «صلى الله عليه و آله» في تبليغ دعوته و ما تحمّل في سبيلها من أذى، و ما كان عليه النّاس قبل الإسلام من التّقاتل و الاختلاف و ضيق العيش، و كيف كانوا خاضعين للظّالمين و المستبدّين، و كيف صدع النّبيّ «صلى الله عليه و آله» بدعوته، فتجندت الحشود لقتاله و القضاء عليه، و كيف كان يوجّه ربيبه و ابن عمّه عليّاً «عليه السلام» لكلّ ملمّة معرضاً له للمخاطر و الأهوال، و كيف كان عليّ «عليه السلام» يخلص لمحمّد «صلى الله عليه و آله» و للإسلام، فلا يتوانى و لا يتراجع، و كيف أنّه لم يكد النّبيّ «صلى الله عليه و آله» يموت حتّى برز ذو و الأضغان بأضغانهم، ثمّ كيف ترك النّبيّ «صلى الله عليه و آله» ملقى في بيته بين أهله لم يدفن و انصرف عنه المنصرفون ليتنازعوا

على تولّى الخلافة بعده.

و هنا تبلغ فاطمة (عليها السلام) في تحليلها للموقف أعظم ما يبلغ إليه الذكاء الإنساني من تصوير لما سيصير إليه أمر المسلمين من تقاتل، و وقوع في الفتن بعد أن تمّ الاستيلاء، على الخلافة بالصّورة الّتي تمّ عليها، و بعد أن كانت القوّة هي وحدها الّتي تغلبت، فتقول فاطمة سلام‌الله عليها: إنّهم يدّعون أنّهم فعلوا ما فعلوا خوف الفتنة، و تردّ عليهم قائلة: إنّهم بما فعلوه قد فتحوا باب الفتن، مستشهدة بالآية القرآنيّة: «ألا في الفتنة سقطوا».

ثمّ انتقلت إلى ما فعلوه من مصادرة أموالها و منعها من أن ترث أباها، فقالت: «و أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي من أبي... أيّها المسلمون أأغلب على إرثي، يا ابن أبي‌قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك و لا أرث أبي...؟»

ثمّ استدلّت بالآيات القرآنيّة الّتي صرّحت بتوريث الأقربآء عامّة، و توريث الأنبيآء خاصّة، و قالت: «زعمتم أن لا إرث لي من أبي و لا رحم بيننا! أفخصّكم الله بآية اخرج منها أبي؟ أم تقولون: أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا و أبي من ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبي و ابن عمّي؟!»

و استرسلت في خطبتها شارحة مؤنبة مستصرخة، و ختمت خطبتها منوّهة بأنّها تكلّمت بما تكلّمت و هي تعلم أنّهم لن يستجيبوا لها و لكن لا بدّ من أن تقدم حجّتها.

و خاطبت النّاس بعد ذلك منذرة بما سيصير إليه أمر الإسلام من فتن، و ما سينتهي إليه حال الحكم و الحكّام فيه بعد أن جرى ما جرى عليها هي نفسها قائلة:

«اطمئنّوا للفتنة جأشاً، و أبشروا بسيف صارم و سطوة معتدغاشم، و هرج دائم شامل، و استبداد من الظّالمين يدع، فياكم زهيداً، و جمعكم حصيداً فيا حسرة عليكم...».

و قد كانت في هذه الأقوال من أبعد النّاس نظراً و أصدقهم فراسة، و أعمقهم فكراً فتحقّق جميع ما تنبأت به، فبعد أن كان الإسلام ثورة شعبيّة و حكماً في أشرف درجات الحكم و أعظمها في تحقيق العدل الاجتماعي و المساواة، عاد الإسلام حكماً استبداديّاً فرديّاً يتحكّم فيه فرد واحد ظالم بدمآء النّاس و أموالهم و كراماتهم...

و يكفي أنّ المدينة نفسها الّتي تعالى فيها صوت فاطمة منذراً محذراً قد شهدت من

«السّيف الصّارم، و سطوة المعتدي الغاشم، و من الهرج الشّامل الدّائم، و استبداد الظّالمين ما ترك فيئها زهيداً و جمعها حصيداً» على حدّ تعبير فاطمة، فقد أباحها يزيد بن معاوية لجنوده في وقعة الحرّة ثلاثة أيّام، يقتلون و ينهبون و يذلّون و يهتكون الأعـراض، و يرغمون أبناء الّذين حذّرتهم فاطمة ـ يرغمونهم على أن يبايعوا مسلم بن عقبة على أنّهم عبيد أرقّاء ليزيد بن معاوية، و من رفض هذه البيعة قتل.

بل لقد امتدّت الحياة بكثيرين من الّذين سمعوا كلام الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها امتدّت بهم الحياة فبايعوا هذه البيعة و أُصيبوا بتلك الفظائع...

و من قبل أُصيبت أُسرة أبي بكر نفسه، أُصيب عبد الرّحمان بن أبي بكر بسطوة المعتدين الغاشمين، و استبداد الظّالمين فاهين و روع و شتمه مروان بن الحكم لأنّه اعترض على بيعة يزيد، و قال هذه سنّة هرقل و قيصر، فتناوله مروان بقبيح القول، و اضطرّت عائشة للدّفاع عن أخيها فشتمت مروان و شتمت أباه، و قال له معاوية: هممت بأن أقتلك و قال له: لا تظهر لأهل الشّام فإنّي أخشى عليك منهم، فاضطرّ للاستتار و التّواري، و لم يلبث أن مات مقهوراً مهاناً و ربما مسموماً.

كما أُصيب أخوه محمد بن أبي بكر بظلم الظّالمين فقتلوه أشنع قتلة، و أُصيبت بهم أُسرة عمر بن الخطّاب أُصيب عبد الله بن عمر فأذلّوا و أرغموه على البيعة ليزيد، ثمّ على يد الحجّاج لعبد الملك ثمّ شتمه الحجّاج و أهانه، ثمّ أرسل له من اغتاله، كما كان قد قتل في فتن الظّالمين ابن عمر الآخر عبيد الله.

و أُصيب من بعد، أسماء بنت أبي بكر بالذّلّ على أيدي الظّالمين، و أُصيب على أيديهم سبط أبي بكر ابنها عبدالله فذبحوه و صلبوه و هي تسمع وترى.

و بلغ عدد الّذين قتلوا في المدينة في وقعة الحرّة ممّن سمع قول فاطمة من المهاجرين و الأنصار و القرشيين ألف و سبعمأة رجل منهم معقل بن سنان حامل لوآء قومه يوم فتح النّبيّ «صلى الله عليه وآله» مكّة و منهم عبدالله بن زيد قاتل مسيلمة، هذا عدا عمّن عذبوا مثل أبي سعيد الخدري الّذي نتفوا لحيته.

و أمّا من غير المهاجرين و الأنصار و القرشيين أي من أبناء الّذين سمعوا قول الصّدّيقة

الطّاهرة «عليها السلام» فقد قتل ما يزيد على عشرة آلاف بينهم زيد بن عبدالرّحمن بن عوف، و أمّا من بقي حيّاً فقد أرغم على البيعة على أنّه عبد رقيق ليزيد.

و هذا ما جرى كلّه في مدينة واحدة، هي مدينة الرّسول «صلى الله عليه و آله» و في حادثة واحدة، هي وقعة الحرّة، و على يد حاكم واحد، هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عليهم الهاوية و النّيران، و لن نشير إلى ما جرى قبل ذلك و بعد ذلك، مثل قتل عبدالرّحمن بن خالد بن الوليد بالسّمّ.

هكذا كانت فاطمة سلام الله عليها في ساعات المِحَن و الشّدآئد صلبة العود بعيدة النّظر، صحيحة الاستنتاج، قويّة التفكير، فتحقّق كلّ ما حذّرت منه و نبّهت إليه» انتهى كلامه.

﴿خطبة الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها حول فدك تفصيلاً و شرحها إجمالاً﴾

و اعلم أنّ خطبة الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء صلوات‌الله عليها تنطوي على فصول من الاصول الإعتقاديّة العميقة، و الفروع الإسلاميّة السّامية، و من المعارف الدّينيّة العاليّة و الحِكم و الأسرار و اللطآئف الّتي حيّرت أبلغ البلغآء، و أفصح الفصحآء، و عجزت عن إدراك كنهها و الوصول إلى دقآئقها عقول الحكمآء و المتكلّمين، و ألباب الأذكيآء و المحقّقين...

و من البداهة لأهل الفنّ و الدّراية الكاملة: أنّ خطبة الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها تضاهى و تداني خطبة زوجها مولى الموحّدين سيّد الوصيّين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ‌بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ و لذلك ما كان لها كفو في انسانيّتها إلاّ الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾.

أمّا الفصول فهي:

الفصل الأوّل: في خروج الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها من بيتها و هو جار مسجد أبيها لا يفصل بينهما سوى جدار واحد، كانت تصحبها معها نسوة من قومها و حفدتها، دخلته من الباب المتّصل به أو من الباب العام ـ و هو الأظهر ـ تنبيهاً للنّاس و كسب انتفاتهم باجتيازها في الطّريق مع هؤلآء النّسوة ليجتمعوا في مسجد النّبيّ ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و يتهافتوا حيث ينتهي بها السّير بقصد التعرّف على ما تريده و تعزم عليه من قول أو فعل، و

بهذا تكون المحاكمة علنيّة تعيها أسماع عامّة المسلمين في ذلك الوسط المضطرب:

في الاحتجاج للطبرسي رضوان الله تعالى عليه: رَوٰى عبدالله بن الحسن بإسناده عن آبائه عليهم السّلام: أنّه لمّا أجمع أبوبكر و عمر على منع فاطمة «عليها السلام» فدكاً و بلغها ذلك، لاثت خِمارَها على رأسها، و اشتملت بِجِلْبابِها، و أقبلت في لُمّة من حَفَدَتها و نسآء قومها، تطأ ذيولها ما تخرم مِشيَتُها مِشْيَةَ رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتّى دخلت على أبي‌بكر و هو في حَشْد من المهاجرين و الأنصار و غيرهم، فنيطت دونها مُلاءة، فجلست ثمّ أنّت أنّةً أجهش القَوْمُ لها بالبكآء، فارتج المجلس، ثمّ أمهلت هنيئة حتّى إذا سكن نشيج القوم و هدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله و الثنآء عليه، و الصّلاة على رسوله، فعاد القوم في بكآئهم، فلمّا امسكوا عادت في كلامها، فقالت «عليها السلام»:

الشّرح: عبدالله هو عبدالله المحض بن الحسن المثنّى بن الحسن بن عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» و قد سمّي المحض لأنّ أباه الحسن بن الحسن «عليه السلام» و أمّه فاطمة بنت الحسين «عليه السلام» و كان يشبه برسول الله «صلى الله عليه وآله». و «أجمع» أي أحكم النيّة و العزيمة عليه، و «لاثت خمارها»: شدّت، الخمار: ثوب يغطى به الرّأس، و «بِجِلْبابها» يُطلق على الملحفة و الرّدآء و الإزار، و «لُمّة»: جماعة «حفدتها»: أعوانها و خدمها، و «تطأ ذيولها»: كانت أثوابها طويلة، تستر قدميها، و «ما تخرم مِشيتها مشية رسول الله «صلى الله عليه وآله»»: لم تنقص مشيتها عن مشية أبيها من حيث الوقار و الكيفيّة، كأنّها هي بعينها، و «حَشْد»: جماعة، «فنيطت دونها ملاءة»: فعلقت بينها «عليها السلام» و بين القوم ستراً و حجاباً. «الملاءة»: الإزار و الرّبطة.

و «أجهش» من الجهش، أن يفزع الإنسان إلى غيره و هو مع ذلك يريد البكآء كالصّبيّ يفزع إلى أمّه، «فارتجّ المجلس»: اضطرب، و «هنيّة» و في نسخة «هنيئة» أي صبرت زماناً قليلاً، و «نشيج القوم» النّشيج: صوت معه توجّع و بكآء كما يردّد الصّبيّ بكائه في صدره، و «هدأت»: سكنت «فَوْرَتهم»: شدّتهم و اضطرابهم...

الفصل الثّاني: في الحمد لله تعالى على نعمه، و بيان حقيقة التّوحيد، و حكمة الخلق إذ قالت عليها سلام‌الله: «أبتدئ بحمد من هو أولى بالحمد و الطّول و المجد» «الحمد لله على

ما أنعم، و له الشّكر على ما ألهم، و الثّنآءِ بما قَدَّمَ، من عموم نِعَمٍ ابتدأها، و سبوغ آلآءٍ أسداها، و تمام مننٍ أولاها (والاها خ) جمّ عن الإحصآء عَدَدُها، و نأى عن الجزاء أَمَدُها، و تفاوَتَ عن الإدراك أبَدُها، و نَدَبَهم لاستزادتها بالشّكر لاتّصالها، و استحمد إلى الخلآئق بإجزالها، و ثَنّىٰ بالنّدب إلى أمثالها.

و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلَها، و ضمّن القلوبَ موصولَها، و أنار في التفكّر (الفكر خ) معقولَها، الممتنع من الأبصار رؤيته، و من الألسن صِفَتُهُ، و من الأوهام كيفيّته، ابتدع الأشيآء لا من شئ كان قبلها، و أنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كوّنها بقدرته، و ذرأها بمشيّته، من غير حاجة إلى تكوينها، و لا فائدة له في تصويرها إلاّ تثبيتاً لحكمته، و تنبيهاً على طاعته، و إظهاراً لقدرته، تعبّداً (و تعبّداً خ) لبريّته، و إعزازاً لدعوته، ثمّ جعل الثّواب على طاعته، و وضع العقاب على معصيته، ذيادة (زيادة خ) لعباده من نقمته، و حِياشة منه (لهم خ) إلى جنّته».

الشّرح: «من عموم نعم ابتدأها» أي بنعم أعطاها عباده قبل أن يستحقّوها، و «سبوغ آلآء»: كمال نعمآء أعطاها، و «أولاها»: أعطاها، و «والاها»: تابعها بإعطاء نعمة بعد اخرى بلافصل، فتستمرّ النّعمة من دون انقطاع، و «جمّ»: كثر، و «نأى عن الجزآء أمدها»: بَعُدَ عن الجزآء بالشّكر غايتها، و «تفاوت عن الإدراك أبدها»: بَعُدَ عن الإدراك آخرها لعدم الانتهآء لها. و «بذلهم»: دعاهم و رغّبهم في استزادة النّعمة بسبب الشّكر لتكون نعمة مستمرّة لهم، غير منقطعة عنهم، و «استحمد إلى الخلائق بإجزالها»: طلب منهم الحمد بسبب إجزآء النّعم و إكمالها عليهم، و «ثنّى بالنّدب إلى أمثالها»: بعد أن أكمل لهم النّعم الدّنيويّة بشكرهم له تعالى وحده، دعاهم و رغّبهم في تحصيل أمثالها من النّعم الأُخرويّة بطاعتهم له عزّوجلّ.

قولها ﴿؏﴾ «جعل الإخلاص تأويلها»: جعل الإخلاص في التّوحيد و الطّاعة، تأويل كلمة التّوحيد، و «ضمّن القلوب موصولها»: جعل القلوب واعية لحقيقة معنى كلمة التّوحيد، و «أنار في الفكر معقولها»: أوضح في الأذهان ما يتعقّل من كلمة التّوحيد بالتفكّر في الآيات الآفاقيّة و الأنفسيّة، فيعرف الله سبحانه بها، و «ابتدأ الأشيآء...»: أحدثها و

خلقها و لم تك مذكوراً، و «أنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها»: لم يخلقها على وفق صنع غيره. و «ذرأها»: خلقها، و «تنبيهاً على طاعته» لأنّ ذوي العقول يتنبّهون بمشاهدة نظام الكون و أنواع الخلائق: أنّ خالقها و المنعم بها، و المدبّر لها، هو واجب الوجود يستحقّ للعبادة، و «تعبّداً لبريّة»: خلق الإنسان ليعبده، و «إعزازاً لدعوته»: خلق الأشيآء ليغلب و يظهر دعوة الأنبيآء إليه بالاستدلال بها، و «زيادة لعباده عن نقمته»: دفعاً لعباده عن نقمته، و «حياشة لهم إلى جنّته»: سوقهم إلى جنّته.

الفصل الثّالث: في رسالة أبيها ﴿ﷺ﴾ و حكمة الرّسالة فقالت صلوات‌الله عليها:

«و أشهد أنّ أبي محمّداً ﴿ﷺ﴾ عبده و رسوله، اختاره و انتجبه قبل أن أرسله، و سمّاه قبل أن اجتباه (اجتبله خ) و اصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلآئق بالغيب مكنونة، و بِستْرِ الأهاويل مصونة، و بنهاية العدم مقرونة، عِلْماً من الله تعالى بمايل (يلي خ) الأُمور، و إحاطة بحوادث الدّهور، و معرفة بمواقع الأُمور، ابتعثه الله تعالى إتماماً لأمره، و عزيمةً على إمضآء حكمه، و إنفاذاً لمقادير حتمه، فرأى الأُمم فِرَقاً في أديانها، عُكّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عِرْفانها، فأنار الله بأبي محمّد ﴿ﷺ﴾ ظُلَمَها، و كشف عن القلوب بُهَمَها، و جلى عن الأبصار غُمَمَها، و تام في النّاس بالهداية، فأنفذ (و أنقذ خ) هم من الغواية، و بصّرهم من العَمَاية، و هداهم إلى الدّين القويم، و دعاهم إلى الطّريق المستقيم».

الشّرح: «انتجبه»: استخلصه من الرّذائل الخلقيّة، و (اجتبله خ) فطره، و «اجتباه»: اصطفاه بالبعثة، و «اصطفاه»: أخلصه من كدورة الذّنوب، «قبل أن ابتعثه»: أرسله، و «مكنونة»: مستورة. و كون الخلآئق بالغيب مكنونة، كناية عن كونها معدومة، و في «بِستْرِ الأهاويل مصونة» وجوه:

أحدها ـ كناية عن كون الأشيآء معدومة بتقريب فرض أنّ ظلمات العدم كانت اموراً موحشة مفزعة لمن رام أن يدخلها، و يطّلع على الأشيآء الّتي كانت فيها، فصارت محفوظة عن وصول الأيدي إليها بما دونها من الظّلمات الحاجبة الموحشة المفزعة، و الإضافة فى «ستر الأهاويل» بيانيّة أو ظرفيّة.

ثانيها ـ أنّ المراد بالسّتر: ستر العدم، أو حجب الأصلاب و الأرحام، و نسبته إلى

الأهاويل لما يلحق الأشيآء في تلك الأحوال من موانع الوجود و عوآئقه...

ثالثها ـ أن يكون المراد أنّها كانت مصونة عن الأهاويل بستر العدم، إذ هي إنّما تلحقها بعد الوجود. و قيل: التّعبير بالأهاويل من قبيل التّعبير عن درجات العدم بالسّتور و بالظّلمات. و «بمايل»: اسم فاعل من مال عن الطّريق: حاد عنه و انحرف، و «يلي خ»: يتبع امور الخلق من الانحراف عن الحقّ و الهدى، و من الاستقامة و الرّشاد، و «بحوادث الدّهور»: الحادثات الواقعة في الأزمنة المختلفة، و انقلابات أوضاع الخلق في كفرهم و ضلالتهم و شركهم و حيرتهم و بغيهم و غوايتهم الموجبة لبعث رسول إليهم يتلو عليهم آيات الله و يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة.

و **قولها**﴿عليها السلام﴾: «معرفةً بمواقع المقدور» إنّ المراد من «المقدور» الأمور المقدورة، مفرد في معني الجمع باعتبار اللام الموصولة الّتي يستوي فيها المفرد و التّثنية و الجمع و المذكّر و المؤنّث، معنىً و ضميراً، ففيه معنى الجمع باعتبار جمعيّة لفظ «مواقع» مع أنّ معرفة الله تعالى لاتنحصر بمواقع شيءٍ واحد مقدور، بل هو جلّ وعلا يعرف مواقع جميع الامور المقدّرة، فيضع كلّ شيءٍ موضعه بمقتضى الحكمة، أو المراد معرفته تعالى بما يصلح و ينبغي من أزمنة الأُمور الممكنة المقدورة و أمكنتها. و من المحتمل أن يكون المراد بالمقدور المقدّر، و «إتماماً لأمره» أي للحكمة الّتي خلق الأشيآء لأجلها، و هي تحصيل المعرفة و العبادة، و الفوز بدرجات الجنّة و الفيوض الأُخرويّة.

و **قولها**﴿عليها السلام﴾: «عزيمة» من العزم: هو تأكّد الإرادة، و «مقادير حتمه» من إضافة الموصوف إلى صفته أي مقاديره المحتومة. «عُكّفاً على نيرانها» تفصيل و بيان للفِرَق بذكر بعضها، و «عُكّفاً» مثل «شُهّد» و «غُيّب» جمع عاكف إسم فاعل من عكف على الشيءِ: أقبل عليه مواظباً و لازمه، و منه الاعتكاف و هو اللبث في المسجد الجامع ثلاثة أيّام فصاعداً للعبادة مع الشّرائط المقرّرة... «لأوثانها»: جمع وثن بمعنى الصّنم و هو المصنوع من خشب أو حجر أو غيرهما بدون إضافة الصّورة المجرّدة أو معها، و الصّنم هو المتّخذ من الجواهر المدنيّة الّتي تذوب.

و **قولها**﴿عليها السلام﴾: «منكرة لله مع عرفانها» الإنكار ـ في الأصل ـ: عدم المعرفة، و لكن

المراد منه هنا لازمه و هو الجحود، فتكون الفقرة من باب «يعرفون نعمت الله ثمّ ينكرونها» الحجّ: ٣٠) و من المحتمل أن يكون المراد حصول المعرفة لهم بالله تعالى من حيث فطرتهم، فإنّ المعرفة بالله جلّ وعلا فطريّة: «فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها» الرّوم: ٣٠) أو لقيام البراهين السّاطعة و الدّلائل الواضحة على وجود الواجب تعالى.

و الفقرة الاولى من هذه الفقرات الثّلاث المبيّنة لاختلاف الفرق في أديانها إشارة إلى عبدة النّار كالمجوس، و الثّانيّة إلى عبدة الأصنام كأكثر الأعراب الجاهليّة، و الثّالثة جامعة بينهما كبعض طوائف العرب و غيرهم، و مثبتة لصفة الإنكار لها مع إثبات العرفان فيها مبالغة في الإنكار عليها، و من المحتمل أن تكون الثّالثة إشارة إلى فرقة أخرىٰ و هي الملاحدة النّافية للصّانع، أو الدّهريون أو الطّبيعيّون...

و قولها ﴿عليها السلام﴾: «ظُلَمَها»: جمع الظلمة، و إنارتها: إزالتها بالنّور، و لمّا كانت الظّلمة هي ظلمة الجهل و الضّلالة و الكفر و الغواية الّتي أحاطت بهم كان النّور هو نور العلم و الهداية و نور الايمان و الطاعة، و ضمير التّأنيث راجع إلى الفرق و الأمم... و «بُهَمها»: جمع البُهْمة ـ كغُرَف و غرفة ـ: مشكلات الأمور و مبهماتها من الأصول الإعتقاديّة و الفروع الدينيّة، و من الأمور الدّينيّة و الدّنيويّة، و كشفها عبارة عن تبيينها بلسان الوحي و نبيّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و إزالة المشكلات به، فاتّضح لهم به ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أمر الدّنيا و الآخرة.

و قولها ﴿عليها السلام﴾: «جَلى عن الأبصار غُمَمَها» من الجلاء بمعنى الكشف و الايضاح، و الغُمَم: جمع الغُمّة: المبهم الملتبس المستور. تقول: غممت الشّيْ: إذا غطّيته و سترته. و «الغواية»: الإنهماك فى الباطل و الخيبة، و الكفر و الضّلالة، و «العماية»: كناية عن اللجاج و عدم الاهتداء. و إنّ الفقرات الثلاث ناظرة إلى الفقرات الثّلاث السّابقة باللفّ و النّشر المرتّب، حيث إنّ القيام بالهداية ناظرة إلى إنارة الظّلم، و الإنقاذ من الغواية ناظرة إلى كشف البهم عن القلوب، و التبصير عن العماية ناظرة إلى جلاء الغمم عن الأبصار «فاعتبروا يا اولى الأبصار».

الفصل الرّابع: في وفاة أبيها رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فقالت ﴿عليها السلام﴾:

«ثمّ قبضه الله إليه قبض رأفة و اختيار، و رغبة و ايثار فحمّد (بمحمّد خ ﴿صلى الله عليه وآله﴾) من

تعب (عن خ) هذه الدّار في راحة (في راحة عن تعب هذه الدّار موضوعاً عنه أعباء الأوزار، و محفوفاً بالملائكة الأبرار خ) قد حُفّ بالملائكة الأبرار، و رضوان الرّبّ الغفّار، و مجاورة الملك الجبّار صلّى الله علَى أبي نبيّه و أمينه على الوحي، و صفيّه و خيرته من الخلق و رضيّه، و السّلام عليه و رحمة الله و بركاته».

الشّرح: «قبضه الله إليه»: أخذ روح نبيّه «صلى الله عليه و آله» رافعاً إلى قرب جنانه، أخذ رأفة، و هي أرقّ من الرّحمة، و «اختيار» من الله تعالى له «صلى الله عليه و آله» ما هو خير له أو باختيار منه «صلى الله عليه و آله» و رضاً منه بغير كره و إجبار و «رغبة»: كمال ميل و إرادة، و «ايثار»: تقدّم و استقبال، و «عن تعب هذه الدّار»: عن مشقّة الدّنيا و زحمتها، و «أعباء الأوزار»: حمل أثقال الدّنيا و شدآئدها... «حُفّ»: أُحيط بالملائكة الأبرار بأنّهم أحاطوا به من كلّ جانب، و قاموا في خدمته و توقيره و تعظيم شأنه و الانقياد لأمره و نهيه. و «رضيّه»: مرضيّه، فكان الله تعالى راضياً عنه «صلى الله عليه و آله» فهو كان مرضيّاً عند الله جلّ وعلا و بالعكس.

الفصل الخامس: في استنهاض المسلمين على العمل بالثّقلين و إحقاق الحقّ و إبطال الباطل:

«ثمّ التفتت إلى أهل المجلس و قالت:

أنتم عبادَ الله نُصبُ أمره و نهيه، و حملةُ دينه و وحيه، و أُمناؤ الله على أنفسكم، و بلغآؤه إلى الأُمَم، زعيمُ حقٍّ له فيكم، و عَهْدٌ قدّمه إليكم، و بقيّة استخلفها عليكم:

كتاب النّاطق، و القرآن الصّادق، و النّور السّاطع، و الضّيآء اللاّمع، بيّنة بصآئره، منكشفة سرآئره، متجلّية (منجلية خ) ظواهره، مُغتبِطَة به أشياعه، قائد إلى الرّضوان أتباعه، مؤدٍّ إلى النّجاة استماعه، به تنال حجج الله المنوّرة، و عزآئمه المُفَسَّرَةُ، و محارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، و بيّناته الجالية، و براهينه الكافية، و فضآئله المندوبة، و رُخَصُهُ المَوْهوبة، و شرآئعه المكتوبة».

الشّرح: «عبادَ الله»: يا عبادَ الله، وقع المنادىٰ بين المبتداء و الخبر تنبيهاً على أنّ المطلب الّذي يلق إلى المخاطبين أمر خطير، فليتنبّهوا عليه لئلاّ يذهب عليهم و لا يفوت عنهم بسبب الغفلة عن بيانه. و «نُصْب أمره»: عَلَمُ أمره أي نصبكم الله تعالى لائتماركم

بأوامره، و انتهآئكم عن نواهيه، ثمّ بيانها لغيركم، و «حملة دينه و وحيه» أي إنّ الله تعالى قد حمل التكاليف الدّينيّة اصولها و فروعها عليكم، فأنتم حاملون لها، و متحمّلون لأعبآء أوامره و نواهيه إليكم، فعليكم أن تطيعوه سبحانه فيما أمركم به و مانهاكم عنه بلسان رسوله «عليه الصلاة والسلام» الّذي لا ينطق عن الهوى: «و ما آتاكم الرّسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا» الحشر: ٧).

و قولها «عليها السلام»: «اُمنآؤ الله على أنفسكم» أي أنّ نفوسكم ودائع الله تعالى عندكم، و أنتم اُمناؤه عليها، فلا يجوز لكم الخيانة على ودائع الله سبحانه بأن تتركوا أوامره و نواهيه، فتوقعوها في الهلكة، و تضيّعوها بالمخالفة و المعصية، فعليكم أن تهذّبوها بالتّوحيد و الطّاعة لله تعالى، و تزكّوها باتّباع أهل الولاية و أئمّة الهدى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. و «بلغاؤه إلى الاُمم»: أي أنكم تبلّغون اصول الشّريعة الإسلاميّة و فروعها، معارفها و حِكَمها و تؤدّونها إلى سآئر النّاس من أهل الإسلام و غيرهم لأنكم أدركتم صحبة النّبيّ الكريم «عليه الصلاة والسلام» و أخذتم منه «عليه الصلاة والسلام» هذه الشّريعة كلّها.

و قد قال الله عزّوجلّ يوم الغدير لكم: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً» المائدة: ٣) و قد قال رسول الله «عليه الصلاة والسلام» يومئذ: «ألا فليبلغ الشّاهد منكم الغائب» فهذه الشّريعة مستمرّة باستمرار حياة الإنسان على بسيط الأرض إلى يوم القيامة.

و قولها «عليها السلام» «زعيم حقٌّ له فيكم»: كفيل حقٌّ لله جلّ وعلا بينكم، و هو أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» و «عَهْدٌ قدّمه إليكم»: هذه الكفالة و الزّعامة لأميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» عليكم عهد إلهيّ قدّمه رسول الله «عليه الصلاة والسلام» يوم الغدير إليكم، فكفيل الحقّ و زعيمه بينكم، من اتّبعه هدى و من تخلّف عنه غوى. و «بقيّة استخلفها» بقيّة الرّجل: ما يخلفه في أهله، و بقيّة رسول الله «عليه الصلاة والسلام» استخلفها بين اُمّته شيئان لا يفترقان حتّى يردا الحوض: أحدهما ـ القرآن الكريم ثانيهما ـ أهل بيته «عليهم السلام» و هما الثّقلان المشهوران حيث قال «عليه الصلاة والسلام»: «إنّي تارك فيكم الثّقلين: كتاب الله و عترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً أحدهما أكبر من الآخر و هو

كتاب الله فإنّه حبل ممدود من السّمآء إليكم طرف منه بيد الله، و الآخر بأيديكم» فجعلهما الله تعالى معاً من دون فكاك بينهما ـ كالإنسان المركّب من الجسم و الرّوح ـ خليفة من جانبه، و نائباً عن رسوله «صلى الله عليه وآله» عليكم و فيكم، يبيّن لكم الاصول و الفروع من الأحكام و الفرائض و السّنن و الآداب، و المعارف و الحِكَم و حقآئق نظامي التكوين و التّشريع...

و قولها «عليها السلام»: «كتاب الله النّاطق» بيان لـ«بقيّة...» و المراد من «كتاب الله النّاطق» هو الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» و الأئمّة المعصومون عليهم السلام من ولده:

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ «عليه السلام»: «ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق، و لكن اُخبركم عنه...» الخطبة: ١٥٧).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «و هذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين الدّفّتين، لا ينطق بلسان، و لابد له من ترجمان، و إنّما ينطق عنه الرّجال ـ إلى أن قال ـ: فإذا حُكِمَ بالصّدق في كتاب الله فنحن أحقّ النّاس به، و إن حُكِمَ بسنّة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فنحن أولاهم به...» من كلامه «عليه السلام»: رقم: ١٢٥).

و **في كشف الغمّة:** (ج ٢، ص ١١٠) و في رواية أحمد بن أبي طاهر: «و بقيّة استخلفنا عليكم و معنا كتاب الله».

و قولها «عليها السلام»: «النّور السّاطع»: اللامع المرتفع، و «الضّيآء اللامع»: المضيئ بحيث إنّه يكاد يخطف بالأبصار لشدّة ضوئه، و كثرة لمعانه، و «بيّنة بصآئره»: الحجج الموجودة في القرآن الكريم و براهينه القاطعة على المبدإ و المعاد واضحة لكم، غير خفيّة عنكم، و إنّ فدكاً ممّا أفاء الله على رسوله «صلى الله عليه وآله» بغير ايجاف خيل و لا ركاب، و أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أعطانيها بحكم آيتي ذوى القربى، و كذا الأمر في أمر الخلافة لقوله تعالى: «إنّما وليّكم الله و رسوله و الّذين آمنوا...» المائدة: ٥٥) و قوله عزّوجلّ: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» الشورى: ٢٣). و غير ذلك من الأمور الّتي بيّنت فيها الحجّة و اتّضحت بها المحجّة: «ليهلك من هلك عن بيّنة و يحيى من حيّ عن بيّنة» الأنفال: ٤٢).

و قولها «عليها السلام»: «منكشفة سرآئره» إنّ المراد بسرآئر القرآن الكريم هي ما أشار إليه

الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿﴾ في نهج البلاغة بقوله: «ألا إنّ فيه علم ما يأتي، و الحديث عن الماضي، و دوآء دآئكم، و نظم ما بينكم...» الخطبة: ١٥٧) و المراد بانكشاف السّرائر: وضوحها عند حملة القرآن الكريم و أهله و هم أهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين لأنّهم كانوا «شجرة النّبوّة، و محطّ الرّسالة، و مختلف الملائكة و معادن العلم و ينابيع الحكم...» النهج: خ: ١٠٨) «متجلّية ظواهره» أي واضحة ظواهر القرآن الكريم لمن تدبّر فيها، و المراد بظواهره تنزيلاته و محكماته تجاه تأويلاته: «هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب و أخر متشابهات ـ و ما يعلم تأويله إلاّ الله و الرّاسخون في العلم» آل‌عمران: ٧).

و قولها ﴿﴾: «مغتبطة به أشياعه» الغبطة: أن يتمنّى المرء مثل حال المغبوط من غير أن يريد زوالها منه، و المعنى: إنّ العاملين بالقرآن الكريم مغبوطون في الدّنيا و الآخرة لحسن حالهم فيهما بسبب اتّباعهم و عملهم بهذا القرآن المجيد، و «قآئد إلى الرّضوان اتّباعه» أي نفس العمل بالقرآن المجيد و اتّباعه هو يقود العامل به و التّابع له إلى الجنّة، و «مؤدٍّ إلى النّجاة إسماعه» أي نفس تلاوة القرآن الكريم و إسماعه للنّاس ينتهي إلى النّجاة من الهلاك و العذاب، كما أنّ الاستماع المتعقّب بالاتّباع ينتهي إلى نجاة المستمع العامل به إلى النّجاة من الكفر و الضّلالة، و الخلاص من حيرة الجهالة، و الوصول إلى دار الكرامة.

و قولها ﴿﴾: «به تنال حجج الله المنوّرة» إنّ المراد من «حجج الله»: هي البراهين القاطعة، و الأدلّة الواضحة القائمة على الأصول الإعتقاديّة العميقة العلميّة، و على الأحكام الشّرعيّة العمليّة، و المراد من كونها منوّرة أي واضحة مبيّنة عند أصحاب الدّراية، و «عزآئمه المفسّرة» أي فرآئضه و سننه، فسّرت بلسان أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين يعسوب الدّين الإمام عليّ ﴿﴾: «فقبضه ﴿﴾ إليه كريماً، و خلّف فيكم ما خلّفت الأنبيآء في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح، و لا علَمٍ قائم، كتاب ربّكم: مبيّناً حلاله و حرامه، و فرآئضه و فضآئله، و ناسخه و منسوخه، و رُخَصه و عزآئمه، و خاصّه و عامّه، و عِبَره و أمثاله، و

مرسله و محدوده، و محكمه و متشابهه، مفسّراً جمله و مبيّناً غوامضه...» الخطبة الاولى.

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «فأين تذهبون؟ و أنّى تؤفكون؟ و الأعلام قائمة! و الآيات واضحة! و المنار منصوبة! فأين يُتاه بكم؟! بل كيف تعمهون و بينكم عترة نبيّكم؟! و هم أزمّة الحقّ و أعلام الدّين و ألسنة الصّدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش ـ فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون، و أعذروا من لا حجّة لكم عليه، و أناهو، ألم أعمل فيكم بالثّقل الأكبر، و أترك فيكم الثقل الأصغر، و ركزت فيكم راية الايمان، و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام...» الخطبة: ٨٦).

و قولها﴿عليها السلام﴾: «و محارمه المحذّرة» حذّرت محارم القرآن الكريم بأنّ أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السلام حذّروكم من محارم القرآن المجيد.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «و أنهى إليكم على لسانه محابّه من الأعمال و مكارهه، و نواهيه و أوامره، فألقي إليكم المعذرة و اتّخذ عليكم الحجّة، و قدّم إليكم بالوعيد، و أنذركم بين يدي عذاب شديد...» الخطبة: ٨٥).

و قولها﴿عليها السلام﴾: «و بيّناته الجالية» أي و آياته التكوينيّة و التدوينيّة، و الآفاقيّة و الأنفسيّة، و دلائله على ما تقتضيه فطرة الإنسان من التّوحيد و الطّاعة لله جلّ وعلا واضحة لكلّ من تدبّر فيها، و «براهينه الكافية» لمن نظر فيها نظر اعتبار و استبصار، و «فضائله المندوبة»: المدعوّ إليها، أو هي الامور الرّاجحة شرعاً الّتي يجوز تركها مرجوحاً، و قد دعا الله تعالى عباده إليها دعوة غير ملزمة كالنّوافل و ما إليها... و «رُخَصه الموهوبة» أي مباحاته موهوبة، و في وصف المباحات بالهبة إشارة إلى أنّها ممّا أعطاها الله سبحانه لعباده من باب العطيّة لئلاّ يكون لهم حرج في فعلها و تركها، فيكونوا في سعة من الأمر.

و قولها﴿عليها السلام﴾: «و شرائعه المكتوبة» أي و شرائع القرآن الكريم مقرّرة بأتمّ تقرير، واجبة لا تتغيّر أبداً فإنّ حلاله حلال إلى يوم القيامة، و حرامه حرام إلى يوم القيامة، فتستمرّ شرائعه باستمرار الحياة الإنسانيّة على بسيط الأرض، و بهذه الشّرائع، عقدت إنسانيّة الإنسان و هويّته لأنّ هذه الشّريعة المحمّديّة هي الفطرة الإنسانيّة قال الله تعالى:

«فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون» الرّوم: ٣٠).

و قد سمّى ما شرّع الله تعالى لعباده من الدّين شريعة، تشبيهاً بمورد المآء فمن ورده و أخذ منه ما تقتضيه فطرته من التّوحيد و الطاعة كانت له حياة إنسانيّة طيّبة.

و قد أشار إلى ذلك كلّه مولى الموحّدين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» بقوله: في نهج البلاغة: «ابتعثه بالنّور المضيئ، و البرهان الجليّ، و المنهاج البادي، و الكتاب الهادي، اُسرته خير اُسرة، و شجرته خير شجرة: أغصانها معتدلة، و ثمارها متهدّلة، مولده بمكّة، و هجرته بطيبة، علا بها ذكره، و امتدّ منها صوته، أرسله بحجّة كافية، و موعظة شافية، و دعوة متلافية، أظهر به الشّرآئع المجهولة، و قمع به البِدَع المدخولة، و بيّن به الأحكام المفصولة، فمن يبتغ غير الإسلام ديناً تتحقّق شقوته، و تنفصم عروته، و تعظم كبوته، و يكن مآبه إلى الحزن الطّويل، و العذاب الوبيل...» الخطبة: ١٦٠).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «إنّ الله تعالى خصّكم بالإسلام، و استخلصكم له، و ذلك لأنّه اسم سلامة و جماع كرامة، اصطفى الله تعالى منهجه، و بيّن حججه، من ظاهر علم و باطن حكم، لا تفنى غرآئبه، و لا تنقضي عجآئبه، فيه مرابيع النِّعَم و مصابيح الظّلم، لا تفتح الخيرات إلاّ بمفاتيحه، و لا تكشف الظّلمات إلاّ بمصابيحه، قد أحمى حماه، و أرعى مرعاه، فيه شفآء المُشتفي، و كفاية المُكتفي...» الخطبة: ١٥٢).

و فيه: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»: «ثمّ إنّ هذا الإسلام دين الله الّذي اصطفاه لنفسه، و اصطنعه على عينه، و أصفاه خيرة خلقه، و أقام دعآئمه على محبّته، أذلّ الأديان بعزّته، و وضع الملل برفعه، و أهان أعدآئه بكرامته، و خذل مُحادّيه بنصره، و هدم أركان الضّلالة بركنه، و سقى من عطش من حياضه، و أتأق الحياض بمواتحه، ثمّ جعله لا انفصام لعروته، و لافكّ لحلقته، و لا انهدام لأساسه، و لا زوال لدعآئمه، و لا انقلاع لشجرته، و لا انقطاع لمدّته، و لاعفآء لشرآئعه و لا جذّ لفروعه، و لا ضنك لطرقه...» الخطبة: ١٨٩).

و فيه: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «فالقرآن آمر زاجر، و صامت ناطق،

حجّة الله على خلقه، أخذ عليه ميثاقهم، و ارتهن عليه أنفسهم، أتمّ نوره، و أكمل به دينه، و قبض نبيّه «صلى الله عليه و آله» و قد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به، فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه، فإنّه لم يُخفِ عنكم شيئاً من دينه، و لم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلاّ و جعل له عَلَماً بادياً، و آية محكمة، تزجر عنه أو تدعو إليه، فرضاه فيما بقي واحد، و سخطه فيما بقي واحد» الخطبة: ١٨٢).

الفصل السّادس: في حكمة الايمان و علل الشّرائع إذ قالت سلام الله عليها:

«فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من الشّرك، و الصّلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، و الزّكاة تزكية للنّفس، و نماءً في الرّزق، و الصّيام تثبيتاً للإخلاص، و الحجّ تشييداً للدّين، و العدل تنسيقاً للقلوب، و طاعتنا نظاماً للملّة، و إمامتنا أماناً من الفرقة، و الجهاد عزّاً للإسلام، و الصّبر مَعُونة على استيجاب الأجر، و الأمر بالمعروف مصلحة للعامّة، و برّ الوالدين وقاية من السّخط، وصلة الأرحام منساة في العمر و مَنماة للعدد، و القصاص حِصناً للدّمآء، و الوفآء بالنّذر تعريضاً للمغفرة، و توفية المكاييل و الموازين تغييراً للبخس، و النّهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرّجس، و اجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، و ترك السّرقة ايجاباً بالعفّة (للعفّة خ) و حرّم الله الشّرك إخلاصاً له بالرّبوبيّة، «فاتّقوا الله حقّ تقاته و لا تموتنّ إلاّ و أنتم مسلمون» و أطيعوا الله فيما أمركم به، و نهاكم عنه، فإنّه «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء».

الشّرح: إنّ الايمان ينصرف بإطلاقه الشّايع على القول بأُصول الدّين الخمسة:

١ـ التّوحيد. ٢ـ العدل الإلهي. ٣ـ النّبوّة. ٤ـ الإمامة. ٥ـ و المعاد. و ما يتعلّق بها و لوازمها من الفروع العشرة:

ألف: الصّلاة. ب: الصّوم. ج: الخمس. د: الزّكاة. هـ: الحجّ. و: الجهاد. ز: الأمر بالمعروف. ح: النّهي عن المنكر. ط: التّولّي لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. ى: التّبرّى من أعدآء الله جلّ وعلا، و أعدآء أهل بيت وحيه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

كما أنّ الشّرك يشمل لجميع أنحائه الخمسة:

١ ـ الشّرك بالله سبحانه في أصل الوجود: «لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا» الأنبيآء: ٢٢).

٢ ـ الشّرك بالله تعالي في ايجاد العالَم: «ما اتّخذ الله من ولد و ما كان معه من إله إذاً لذهب كلّ إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون» المؤمنون: ٩١).

٣ ـ الشّرك بالله عزّوجلّ في تدبير نظام الكون: «إنّ ربّكم الله الّذي خلق السّموات و الأرض في ستّة أيّام ثمّ استوىٰ على العرش يدبّر الأمر ما من شفيع إلاّ من بعد إذنه ذلكم الله ربّكم فاعبدوه أفلا تتذكّرون» يونس: ٣).

٤ ـ الشّرك بالله جلّ وعلا في العبادة: «و الّذين اتّخذوا من دونه أوليآء ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفىٰ» الزّمر: ٣).

٥ ـ الشّرك الخفيّ و هو الرّيآء في الأعمال العباديّة: «و الّذين ينفقون أموالهم رئاء النّاس و لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و من يكن الشّيطان له قريناً فسآء قريناً ـ و إذا قاموا إلى الصّلاة قاموا كسالىٰ يراؤن النّاس و لا يذكرون الله إلاّ قليلاً» النّسآء: ٣٨ و ١٤٢).

فلا يتحقّق الايمان حقاً إلاّ بالاعتقاد بالأصول الخمسة، و الإلتزام بالفروع العشرة، و الإجتناب عن الخمسة الأخيرة.

و انّ الايمان يطهّر الإنسان من الأدناس الظّاهريّة و الباطنيّة، و الأرجاس النّفسانيّة و الجسمانيّة...

و قولها (عليها السلام): «و الصّلاة تنزيهاً لكم عن الكبر»:

و ذلك أنّ الصّلاة الّتي تنهى الإنسان عن الفحشآء و المنكر لما فيها من استكانة و تذلّل، و خضوع و خشية... تدفع التكبّر و الإستبداد و التعظّم و التّرفّع عن المصلّي.

فـإنّها قـرائـة و ذكـر و أنّهـا اسـتكانة و شكـر
فيها مثول العـبد للـمعبود بين الرّكوع منه و السّجود

و قولها سلام الله عليها: «و الزّكاة تزكية للنّفس و نمآء في الرّزق».

و ذلك أنّ زكاة الأموال و ايتاء حق المحتاجين منها، و إنفاقها في سبيل الله تعالى يوجب تطهير النّفس الإنسانيّ و تزكيتها من الأخلاق الرّذيلة و الصّفات الذّميمة النّاشئة من

الشّحّ و البخل و شره البطن و بذئ الكلام، و تزيل عنها دنس الذّنوب، و تفيدها فضيلة الكرم و السّخاوة، و توجب البركة في المال و التّنمية، و الزّيادة في الرّزق.

قال الله تعالى: «خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم و تزكّيهم بها» التّوبة: ۱۰۳).

و قال: «و ما أُمِروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدّين حنفآء و يقيموا الصّلاة و يؤتوا الزّكاة و ذلك دين القيّمة» البيّنة: ٥).

و قال: «و رحمتي وسعت كلّ شيئ فسأكتبها للّذين يتّقون و يؤتون الزّكاة و الّذين هم بآياتنا يؤمنون» الأعراف: ١٥٦).

و قال: «و ما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون» الرّوم: ۳۹).

و قولها صلوات الله عليها: «و الصّيام تثبيتاً للإخلاص»:

إنّ الصّيام ـ في الأصل ـ: الإمساك و السّكوت مطلقاً، و في الشّرع: هو الإمساك عن المفطرات المخصوصة مع نيّة القربة من الفجر إلى اللّيل، و الصّوم هو الموجب لتشييد الإخلاص و إبقآئه، و له آثار كثيرة جسميّة و روحيّة، و فرديّة و اجتماعيّة أوردناها في محله:

منها: أنّه سبب لضعف القوى البدنيّة، يوجب تجديدها، و تقوية القوى الرّوحيّة و الإرادة وكسر الشّهوات النّفسانيّة، و باعث لتصفية النّفس و تزكيتها عن دنس الذّنوب، و تخليتها عن قذارة التّرفّع و التعظّم و عن رجس التكبّر و الاستبداد، و يوجب لجلاء الحواس الظّاهرة و الباطنيّة عن الكدورات العرفيّة، و لاشتماله على الجوع يوجب لكسر سورة الشّيطان و جنوده المفسدين في أرض البدن الآدميّ، و لكونه أمراً عدميّاً لا يظهر لغير الله تعالى فهو أبعد من الرّيآء و أقرب إلى الإخلاص...

و قولها سلام الله عليها: «و الحجّ تشييداً للدّين»:

و ذلك أنّ الحجّ الحقيقي ـ لا الصّوري ـ هو الموجب لتقوية الدّين الإسلاميّ و نشره في العالَم، و سبب اتحاد المسلمين على كلمة التّوحيد، و توحيد الكلمة، و خروجهم من صورة الإسلام إلى سيرته و حقيقته، و سلوكهم على صراط مستقيم واحد أمرهم الله تعالى باتّباعه، و اجتنابهم عن التّحزّب و التّشتّت و التّفرقة الّتي نهاهم الله عزّوجلّ عنها في قوله

جلّ وعلا: «و أنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه و لا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون» الأنعام: ۱۵۳).

و في **عيون الأخبار**: بإسناده عن فضل بن شاذان، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه آلاف التّحيّة و الثنآء قال ـ حديث طويل ـ: «إنّما أُمروا بالحجّ لعلّة الوفادة إلى الله عزّوجلّ، و طلب الزّيادة و الخروج من كلّ ما اقترف العبد تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل مع ما فيه إخراج الأموال، و تعب الأبدان، و الاشتغال عن الأهل و الولد، و حظر النّفس عن اللذّات، شاخصاً في الحرّ و البرد، ثابتاً على ذلك، دآئماً مع الخضوع و الاستكانة و التّذلّل، مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع لجميع مَن في شرق الأرض و غربها، و من في البرّ و البحر ممّن يحجّ و ممّن لم يحجّ، من بين تاجر و جالب، و بائع و مشتري، و كاسب و مسكين، و مكاره و فقير، و قضآء حوائج أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الإجتماع فيه.

مع ما فيه من التّفقّه و نقل أخبار الأئمّة عليهم السلام إلى كلّ صُقع و ناحية كما قال الله عزّوجلّ: «فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدّين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون» و «ليشهدوا منافع لهم».

و قولها(عليها السلام): «و العدل تنسيقاً للقلوب»:

إنّ العدل هو الاعتدال في الامور الدّينيّة و الدّنيويّة، و الفرديّة و الاجتماعيّة، و الأخلاقيّة و السّياسيّة جميعاً، و هو الموجب لتنظيم نظام الإسلام و كيان المسلمين، و ميل قلوبهم إلى أئمّة المؤمنين و اتّباعهم، و خاصّة في موسم الحج، و بهم تعتدل القلوب في الاعتقاد، و تتّحد، تسلك صراطاً واحداً مستقيماً.

قال الله تعالى: «إنّ الله يأمر بالعدل و الإحسان» النّحل: ۹۰).

و قال: «و إذا حكمتم بين النّاس أن تحكموا بالعدل إنّ الله نعمّا يعظكم به ـ يا أيّها الّذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهدآء لله و لو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين إن يكن غنيّاً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتّبعوا الهوىٰ أن تعدلوا» النّسآء: ۵۸ و ۱۳۵).

و قال: «يا أيّها الّذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهدآء بالقسط و لا يجرمنّكم شنآن قوم

على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتّقوى و اتّقوا الله إنّ الله خبير بما تعملون» المائدة: ٨).
و قال: «و إذا قلتم فاعدلوا و لو كان ذا قربى» الأنعام: ١٥٢).
و قولها سلام الله عليها: «و طاعتنا نظاماً للملّة و إمامتنا أماناً من الفرقة»:
و ذلك أنّ طاعة أهل بيت النّبوّة المعصومين من الخطأ و الجهالة، و السّهو و الغواية و من البغي و الخيانة، هي طاعة رسول الله«ﷺ» و طاعة الرّسول«ﷺ» هي طاعة الله جلّ وعلا أمر الله تعالى المؤمنين في كلّ ظرف من الظّروف بها في قوله: «يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله و اطيعوا الرّسول و اولى الأمر منكم ـ من يطع الرّسول فقد أطاع الله» النّسآء: ٥٩ و ٨٠).
فبطاعة أهل بيت النّبوّة تعتدل امور الملّة الإسلاميّة في الطّريقة المستقيمة، و لا تتخلّف عن جادّة الحقّ و الهدىٰ لأنّها العروة الوثقىٰ لا انفصام لها: «فمن يكفر بالطّاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها» البقرة: ٢٥٦) «و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرّقوا و اذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعدآء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً» آل‌عمران: ١٠٣) إذ تمّت هذه النّعمة عليهم يوم الغدير بولاية مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب«؈»: «و أتممت عليكم نعمتي» المائدة: ٣).
و بهذه الطّاعة، و التّنعّم بهذه النّعمة تحفظ القلوب و الأفكار من التّشتّت و الفرقة بالأهوآء المختلفة، و الميل إلى أئمّة الكفر و الضّلالة، و الظّلم و الجناية، فلا تتيه في أودية الحيرة و الجهالة، بخلاف إمامة أئمّة الحقّ و الهدى، و الخير و الفلاح، فإنّها أمان للنّاس من الانحطاط و الفرقة...
في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب«؈»: «و الإمامة نظاماً للأمّة، و الطاعة تعظيماً للإمامة» من كلمات قصاره«؈» رقم: ٢٤٤).
و قولها صلوات الله عليها: «و الجهاد عزّاً للإسلام»:
و ذلك أنّ الجهاد في سبيل الله بالأموال و الأنفس موجب لعزّة الإسلام و غلبة المسلمين على الكفّار و المشركين، و الفجّار و المستكبرين...
قال الله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة و جاهدوا في سبيله

لعلّكم تفلحون» المائدة: ٣٥).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «أمّا بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليآئه، و هو لباس التقوى و درع الله الحصينة، و جُنّته الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذلّ و شملة البلاء، و دُيّث بالصّغار و القمآءة، و ضُرِبَ على قلبه بالإسهاب، و أُديل الحقّ منه بتضييع الجهاد، و سيم الخسف و مُنِعَ النِّصْفُ...» الخطبة: ٢٧).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى الله سبحانه و تعالى الايمان به و برسوله، و الجهاد في سبيله فإنّه ذروة الإسلام...» الخطبة: ١٠٩) أي أعلاه لأنّه مالم تتحصّن دار الإسلام و كيان المسلمين بالجهاد، فلا يتمكّنون على القيام بوظآئف، فكان الجهاد إذاً من الإسلام بمنزلة الرّأس من البدن.

و قولها ﴿عليها السلام﴾: «و الصّبر معونة على استيجاب الأجر»:

الصبر: هو حمل النّفس على تحمّل مشقّة فعل الطاعات، و بعثها على ترك لذآئذ جميع السّيّئات، و حبسها عن الذّنوب و المعاصي، و مقاومتها للمكاره الواردة عليها و ثباتها و عدم انفعالها فبالصبر يتمّ فعل الواجبات و الأعمال الصّالحات، و ترك المحرّمات صغيرها و كبيرها، فالصّبر خير معين للإنسان في استحقاقه الأجر، و نيله بخير الدّنيا و الآخرة.

قال مولى الموحّدين أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «صابروا أنفسكم على فعل الطّاعات، و صونوها عن دنس السّيّئات تجدوا حلاوة الايمان».

و قولها ﴿عليها السلام﴾: «و الأمر بالمعروف مصلحة للعامّة»:

و الأمر بالمعروف الّذي قرّره الله عزّوجلّ و أوجبه مصلحة للنّاس جميعاً، إذ لولا الأمر بالمعروف لاختلّ أمور الدّين من جهة فساد الفسّاق و المفسدين، و البغاة و الظّالمين من شياطين الإنس و الجنّ، و نظم أمور الدّنيا أيضاً بوقوع الاختلال بين النّاس، و لم ينتظم أمر المعاش الّذي هو المقدّمة لأمر المعاد، و كذلك النّهي عن المنكر، حيث إنّ كلاًّ منها مستلزم للآخر، فصلاح كافّة النّاس و خير معاشهم، و نفع معادهم و سعادتهم في الدّنيا و الآخرة أن يأتمروا بأوامر الله تعالى و ينتهوا عن نواهيه...

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿؏﴾: «فإنّ الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلاّ لتركهم الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر، فلعن الله السّفهآء لركوب المعاصي، و الحلماء لترك التّناهي» الخطبة: ٢٣٤).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿؏﴾: «لا تتركوا الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر فيولّي عليكم أشراركم ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم...».

و قولها سلام الله عليها: «و برّ الوالدين وقاية من السّخط»:

و ذلك أنّ الإحسان بالوالدين و صلتهما و ملاحظة حقوقهما و رفع قدرهما و التّشكّر عن زحماتهما يوجب وقاية الولد من سخط الوالدين، و حفظه من سخط الله تعالى و غضبه.

قال الله عزّ وجلّ: «و قضىٰ ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه و بالوالدين إحساناً إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ و لا تنهرهما و قل لهما قولاً كريماً و اخفض لهما جناح الذّلّ من الرّحمة و قل ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً» الإسرآء: ٢٣ ـ ٢٤).

و في جامع السّعادات: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «من أصبح مرضيّاً لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنّة، و من أمسى فمثل ذلك، و إن كان واحداً فواحداً و إن ظلما و إن ظلما و إن ظلما، و من أصبح مسخطاً لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النّار، و من أمسىٰ مثل ذلك، و إن كان واحداً فواحداً و إن ظلما و إن ظلما و إن ظلما».

و قولها صلوات الله عليها: «وصلة الأرحام منسأة في العمر و منماة للعدد».

و ذلك أنّ صلة الأرحام من الإحسان إلى الأقربآء و العشآئر و الإفضال لهم، و التعطّف معهم و لو بإطعام أو سلام أو كلام و حسن مقال و فعال أو تفقّد و ما إليها يوجب تأخير الأجل و زيادة في العمر، و يوجب كثرة الأولاد و الأموال و العشآئر و الأعوان في الدّنيا كما أنّ قطعها يذر الدّيار بلاقع من أهلها.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين يعسوب الدّين الإمام عليّ ﴿؏﴾: «وصلة الرّحم فإنّها مَثْرَاة في المال، و منسأة في الأجل...» الخطبة: ١٠٩).

قال الله تعالى: «و اتّقوا الله الّذي تسآءلون به و الأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً» النّسآء: ١).

و قال: «و الّذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ـ أولئك لهم عقبى الدّار ـ و الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل و يفسدون في الأرض أولئك لهم اللّعنة و لهم سوء الدّار» الرّعد: ٢١ ـ ٢٥).

و قولها سلام الله عليها: «و القصاص حقناً للدّمآء»:

القصاص من القصّ ـ في اللغة ـ: القطع، و في الشرع القصاص عن المقتول: هو أخذ عوضه و بدله من القاتل، كأنّه يقطعه منه، أو لأنّ المقتصّ يتبع أثر الجاني، فيفعل مثل فعله من الجرح أو القتل.

إنّ الله تعالى جعل القصاص سبباً لحفظ الدّمآء، و قال: «و لكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلّكم تتّقون» البقرة: ١٧٩).

و ذلك أنّ الإنسان إذا علم أنّه متى قَتَلَ نفساً، قُتِلَ له قصاصاً كان ذلك داعياً أن لا يقدم على القتل، فارتفع بالقتل الّذي هو القصاص كثير من قتل النّاس بعضهم لبعض، و كان ارتفاع ذلك حياة لهم، فالقتل ـ بالقصاص ـ سبب للحياة، بخلاف القتل بغير قصاص، فإنّ القتل قد يكون أدعى للقتل، و هو القتل الّذي لا يكون على وجه الاقتصاص، ففُرِضَت إقامة الحدود إعظاماً للمحارم، و ذلك لأنّه إذا اُقيمت الحدود امتنع كثير من النّاس عن المعاصي الّتي تجب الحدود فيها، و ظهر عظم تلك المعاصي عند عامّة النّاس، فكانوا إلى تركها أقرب.

و قولها «عليها السلام»: «و الوفاء بالنّذر تعريضاً للمغفرة».

النّذر ـ في الأصل ـ: الوعد، و في الشرع: التزام المكلّف بفعل مشروع أو ترك يجوز تركه، متقرّباً إلى الله تعالى. فلا نذر في معصية فعلاً أو تركاً كمن نذر ـ مثلاً ـ بترك فريضة، أو بارتكاب معصية.

الوفاء بالنّذر: هو العمل بما تعهّد به، فمن نذر صوم يوم يجوز فيه، يجب عليه الوفآء، فليصم يومئذ، و من نذر الإنفاق، يجب عليه أن ينفق ما تعهّد به.

و انّ الوفاء بالنّذر سبب للمغفرة، و ذلك أنّ الله تعالى يغفر ذنوب النّاذر، فإنّ الحسنات يذهبن السّيّئات، و التّخصيص بالنّذر لعلّه من جهة زيادة مدخليّة الوفآء بالنّذر و العمل

على طبقه في المغفرة، فالوفاء بالنّذر يجعل النّاذر في معرض المغفرة، فتعرض المغفرة له و تحيط به.

قال الله تعالى: «و ما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإنّ الله يعلمه و ما للظّالمين من أنصار» البقرة: ۲۷۰).

و قال: «و ليوفوا نذورهم» الحجّ: ۲۹).

و قال: «يوفون بالنّذر و يخافون يوماً كان شرّه مستطيراً» الإنسان: ۷).

و قولها صلوات الله عليها: «و توفية المكائيل و الموازين تغييراً للبخس»:

التّوفية: الإكمال، و أداء كلّ شيئ على ما ينبغي. و المكائيل: جمع المكيال و هو آلة الكيل. و الموازين: جمع الميزان، و هو آلة الوزن. و التّغيير: إزالة الشّيئ عن حاله و مكانه، و تبديله بأيّ وجه غير الأوّل. و البخس: النّقص.

إنّ الله تعالى أمر عباده بتوفية المكائيل و الموازين و أداء كلّ شيئ على ما ينبغي، لأنّها مزيلة و مغيرة للبخس أي أنّها مقدّرة من جانب الله سبحانه لئلاّ ينقص مال مَن لا ينقص المكيال و الميزان، فإنّ التّوفية توجب البركة و زيادة المال، و إنّ النّقص يوجب الفساد في الأرض. قال الله عزّوجلّ: «فأوفوا الكيل و الميزان و لا تبخسوا النّاس أشيآءهم و لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين» الأعراف: ۸۵).

و قال: «و لا تنقصوا المكيال و الميزان ـ أوفوا المكيال و الميزان بالقسط و لا تبخسوا النّاس أشيآءهم و لا تعثوا في الأرض مفسدين».

و قال: «أوفوا الكيل و لا تكونوا من المخسرين و زنوا بالقسطاس المستقيم» الشّعرآء: ۱۸۱ ـ ۱۸۲).

و في الآيات الكريمة لطائف لا تخفى على القارئ الخبير فتأمّل جيّداً.

و قولها عليها آلاف التّحيّة و الثّنآء: «و النّهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرّجس»:

النّهي ـ في الأصل ـ: التّحريم، و في الشّرع: خلاف الأمر و هو المنع و الزّجر. و الشّرب ـ بالضّمّ ـ إسم معروف. و الخمر ـ في الأصل ـ السّتر، و في الشّرع: كلّ شراب مسكر

يتّخذ غالباً من العنب، فلا يختصّ بعصير العنب.

في فروع الكافي: ـ كتاب الأشربة ـ باب ما يتّخذ منه الخمر ـ حديث ١) بإسناده عن عبدالرّحمن بن الحجّاج عن أبي عبدالله ﴿عليه السلام﴾ قال: قال رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾: «الخمر من خمسة: العصير من الكرم، و النّقيع من الزّبيب، و البتع من العسل، و المزر من الشّعير، و النّبيذ من التّمر».

و سمّي خمراً لسترها العقل، و منه الخمار: المقنعة لسترها رأس المرأة.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين أميرالمؤمنين الإمام علىّ ﴿عليه السلام﴾: «و ترك شُرْبِ الخمر تحصيناً للعقل» من كلمات قصاره ﴿عليه السلام﴾ رقم: ٢٤٤).

و روي: «أنّ مَلَكاً ظالماً خَيَّرَ إنساناً بين أن يُجامع اُمّه أو يقتل نفساً مؤمناً أو يشرب الخمر حتّى يسكر، فرأى أن الخمر أهونها، فشرب حتّى سكر، فلمّا غلبه قام إلى اُمّه فوطئها، و قام إلى تلك النّفس المؤمنة فقتلها» ثمّ قال ﴿عليه السلام﴾: «الخمر جماع الإثم، الخمر اُمّ المعاصي».

الرّجس: كلّ ما يجب الاجتناب و التّنزّه عنه، عيناً كالقذر و المنتن، أو حكماً.

قال الله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا إنّما الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشّيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون» المائدة: ٩٠).

و قال: «و أمّا الّذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم» التّوبة: ١٢٥).

و قولها ﴿عليها السلام﴾: «و اجتناب القذف حجاباً عن اللّعنة»:

الاجتناب عن الشّيء: الابتعاد عنه: «فاجتنبوا الرّجس من الأوثان و اجتنبوا قول الزّور» الحجّ: ٣٠).

و القذف: الرّمي و الإلقاء و الايفاع و الشتم، يقال: قذفت بالحجارة: رميت بها «و قذف في قلوبهم الرّعب» الحشر: ٢).

و الحجاب: السّتر و المنع، فإنّ الحجاب يمنع المشاهدة: «فسئلوهنّ من ورآء حجاب» الأحزاب: ٥٣).

و قيل للبوّاب: حجّاب و حاجب، فإنّه يمنع من الدّخول. و اللعن: الطّرد و البُعد عن

رحمة الله تعالى: «ألا لعنة الله على الظّالمين» هود: ١٨).

و قولها صلوات الله عليها: «و ترك السّرقة ايجاباً للعفّة»:

إنّ الله تعالى جعل ترك السّرقة إثباتاً للعفّة عن التّصرّف في أموال النّاس، و ذلك أنّ العفّة خُلُقٌ شريف، و الطّمع خُلُقٌ دنيٌ، فحرّمت السّرقة ليتمرّن النّاس على ذلك الخُلُقِ الشّريف، و يجانبوا ذلك الخُلُقَ الذّميم، ففي تحريمها تحصين من أموال النّاس...

و في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و مجانبة السّرقة ايجاباً للعفّة».

و قولها سلام الله عليها: «و حرّم الله الشّرك إخلاصاً له بالرّبوبيّة» «فاتّقوا الله حقّ تقاته و لا تموتنّ إلاّ و أنتم مسلمون» و أطيعوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه فإنّه «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء».

التّحريم: هو جعل الشّيء ممنوعاً منعاً لازماً يوجب فعله العقاب.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» ـ في صفة الدّنيا ـ: «ما أصف من دارٍ أوّلها عَنآء، و آخرها فنآء، في حلالها حساب و في حرامها عقاب» من كلامه«عليه السلام» رقم: ٨١).

الشّرك على خمسة أنحاء سبق ذكرها آنفاً، و من لم يشرك بالله سبحانه من أنحاء الشّرك، فقد أخلص لله الرّبوبيّة، و كان ممّن يعبد الله مخلصاً له الدّين: «هو الله ربّي و لا أُشرك بربّي أحداً ـ و لا يشرك بعبادة ربّه أحداً» الكهف: ٣٨ و ١١٠) «فاعبد الله مخلصاً له الدّين» الزّمر: ٢).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و اعلموا أنّ يسير الرّيآء شرك» الخطبة: ٨٥).

الفصل السّابع: في تعريف نفسها سلام الله عليها، و بيان فضل أبيها و تبليغه رسالته«صلى الله عليه وآله»: ثمّ قالت«عليها السلام»:

«أيها النّاس! اِعلموا أنّي فاطمة، و أبي محمّد«صلى الله عليه وآله» أقول عوْداً (أقولها حقّاً عوْداً خ) و بدأً، و لا أقول ما أقول غَلَطاً، و لا أفعل ما أفعل شططاً «لقد جآءكم رسول من أنفسكم

عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» فإن تعزوه و تعرفوه تجدوه أبي دون نسآءكم، و أخا ابن عمّي دون رجالكم، و لنعم المَعْزِيُّ إليه ﴿عليه السلام﴾.

فبلّغ الرّسالة صادعاً بالنّذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً ثَبَجَهُمْ، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة و الموعظة الحسنة، يكسر (يجف خ) الأصنامَ، و ينكت الهامَ، حتّى انهزم الجمع و ولّوا الدّبر، حتّى تفرّى اللّيل عن صُبْحه، و أسفر الحقُّ عن محضه، و نطق زعيم الدّين، و خرست شقاشق الشّياطين، و طاح و شيظ النّفاق، و انحلّت عُقَدُ الكفر و الشّقاق، و فُهْتُم بكلمة الإخلاص في نَفَرٍ من البيض الخماص».

الشّرح:

قولها ﴿عليها السلام﴾: «أقول عَوْداً و بدأً» أي أقول: هذه الكلمة أوّلاً و آخراً، و أعود إليها مرّة بعد أخرىٰ، و لا أتركها بل اُلازمها و اُمارسها. و في (أقولها حقاً عوداً و بدأ خ) وجوه: **أحدها** ـ أي أقول هذه الكلمة السّابقة بحقّ. **ثانيها** ـ أي حقّقت هذه الكلمة حقّاً. **ثالثها** ـ أي حقّت هي حقّاً. **رابعها** ـ أي أقولها محقّة فيما أقول أي لا أشكّ أنّي فاطمة الّتي قال فيها النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «فاطمة بضعة منّي» كما لا أشكّ أنّي بنت محمّد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و هو أبي، فلا تنكروا ميراثه أو عطيّته في حقّي.

و قولها سلام الله عليها: «و لا أقول ما أقول غلطاً» الغلط: كلام خطأ يقع للخلط و الالتباس لا يعرف وجه صواب فيه.

في نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ ـ في طلحة ـ: «فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلتبس الأمر و يقع الشّكّ» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم: ١٧٣).

و قولها صلوات الله عليها: «و لا أفعل ما أفعل شططاً»:

الشّطط ـ في الأصل ـ: البُعد المادّي، مصدر قولك: شطّت الدّار: بعدت، ثمّ استعمل في البُعد المعنوي، و البُعد عن الحقّ و مجاوزة الحدّ و المقدار في كلّ شيئ. و شطّ فلان في حكمه و أشطّ: إذا جار، و منه قوله تعالى: «فاحكم بيننا بالحقّ و لا تشطط» ص: ٢٢).

و المراد من الشطط في قولها ﴿عليها السلام﴾: أنّي لا أطلب فدكاً و لا أفعل فيها من المنازعة من باب البُعد عن الحقّ و التجاوز عن القدر، بل هي حقّ يلزم عليّ أن أطلبه و لا يسوغ لي أن أتركه.

ثمّ قرأت قوله تعالى: «لقد جآءكم رسول من أنفسكم» أي من جنسكم البشر، ثمّ من العرب، ثمّ من بني إسماعيل، ثمّ من أهل مكّة، و المراد أنّه«صلّى الله عليه و آله» من نكاح طيّب لم يصبه شئ من ولادة الجاهليّة.

فالمعنى: إنّ الله تعالى قد منّ عليكم بكون رسوله«صلّى الله عليه و آله» و هو أبي منكم، لانّكم إذا عرفتم مولده و منشأه و شاهد تموه صغيراً و كبيراً، و عرفتم حاله في صدقه و أمانته و وفائه، و لم تعثروا منه على شئ يوجب نقصاً فيه، فبالحريّ أن تكونوا أنتم أقرب إلى القبول منه و الانقياد له.

«عزيز عليه ما عنتّم» أي شاقّ شديد عليه«صلّى الله عليه و آله» عنتكم و لقآءكم المكروه، أو ما يلحقكم من الضّرر بترك الايمان أو مطلقاً «حريص عليكم» حالكونه«صلّى الله عليه و آله» حريصاً على ايمانكم و إصلاح شأنكم، حتّى لا يستبعد أحد منكم عن دينه الّذي جاءكم به، فإنّه«صلّى الله عليه و آله» «بالمؤمنين رؤوف رحيم» منكم و من غيركم.

و **قولها«عليها السلام»**: «فإن تعزوه» أي إنّكم إن ذكرتم نسب رسول الله«صلّى الله عليه و آله» و عرفتموه «تجدوه أبي دون نسآءكم و أخا ابن عمّي دون رجـالكم» أي شرف الانـتساب إلى رسول الله«صلّى الله عليه و آله» هو مخصوص بنا نسآءً ورجالاً لابكم، و لا هو مشترك بيننا و بينكم، فلم تمنعون ميراثنا، و تغتصبون حق خلافتنا، و تتعرّضون بنا في فدك الّتي آتاها إيّانا بأمر الله تعالى: «فآت ذا القربى حقّه». و ذكر الأُخوّة في مقام ذكر النّسب استطراد.

و **قولها سلام الله عليها**: «و لنعم المَعْزيّ إليه» أي إنّ نسبتي إلى رسول الله«صلّى الله عليه و آله» و أنا بنته، فأنا مخصوصة بتلك النّسبة من بين نسآء الأُمّة، دون نسآءكم.

و **قـولها صـلوات الله عـليها**: «فـبلّغ بـالرّسالة صـادعاً بـالنّذارة» فـبلّغ أبي رسول الله«صلّى الله عليه و آله» رسالته، و أظهر و أعلن ما أمره الله تعالى به: «فاصدع بمـا تـؤمر» الحجر: ٩٤). و أنذر النّاس و خوّفهم عن المخالفة، فكان شأنه«صلّى الله عليه و آله» الهداية إلى الحق و الصّواب، و الإنذار عن الباطل و اتّباع الهوى. قال الله تعالى: «إنّما أنت منذر و لكلّ قوم هاد» الرّعد: ٧). و النّذارة: ما ينذر به من الإنذار بمعنى الإعلام على وجه التّخويف.

و **قولها«عليها السلام»**: «مائلاً عن مدرجة المشركين» أي معرضاً عن مسلك المـشركين

الباطل، و مذهبهم الفاسد: «و أعرض عن المشركين» الحجر: ٩٤).

و قولها سلام‌الله عليها: «ضارباً ثَبَجَهُمْ» الثَّبَجَ ـ في الأصل ـ: ما بين الكـاهل و الظّهر. ثَبَجَ الشيءُ: وسطه و معظمه، و ثبج البحار: معظم مياهها.

و المراد من ثبج المشركين معظم جماعاتهم عَـدَداً و عُـدَداً، أو المـراد أعـاظمهم و رؤساؤهم أي أنّ رسول‌الله «صلّى‌الله‌عليه‌وآله» أضرب عن طريقهم الضّلالة، و ضربهم عن آخرهم على مناخرهم فأهلكهم و قمعهم و صرعهم و صرمهم.

و قولها صلوات‌الله عليها: «آخذاً بأكظامهم» الأكظام ـ جمع الكَظَم ـ و هو مخرج النَّفَس من الحلق، و كظم الغيظ: تجرّعه، و احتمل الصّبر عليه، و هو قادر على إمضآئه، كأنّه يدخله من مخرج نفسه إلى صدره فلا يظهر أثره.

قال الله تعالى: «و الكاظمين الغيظ» آل عمران: ١٣٤) أي الحابسين غيظهم المتجرّ عينه.

و المراد أنّ رسول‌الله «صلّى‌الله‌عليه‌وآله» كان شديداً صلباً في تبليغ الرّسالة و أمر الدّين، فلا يبالي بكثرة المشركين، و لا يداريهم في أمر الدّعوة إلى كلمة التّوحيد و توحيد الكـلمة، و المجاهدة في سبيل الله تعالى مع الخاص و العامّ.

قال الله عزّوجلّ: «فلذلك فادع و استقم كما أُمرت و لا تتّبع أهوآءهم و قل آمنت بما أنزل الله من كتاب و أُمرت لأعدل بينكم الله ربّنا و ربّكم» الشّورى: ١٥).

و قولها «عليها‌السلام»: «داعياً إلى ربّه بالحكمة و الموعظة الحسنة» إشارة إلى قوله تعالى خطاباً لرسوله «صلّى‌الله‌عليه‌وآله»: «ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالّتي هي أحسن» النّحل: ١٢٥) فكان رسول‌الله «صلّى‌الله‌عليه‌وآله» يدعو الخواصّ بالحكمة و هي البراهين القاطعة، و يدعو العوام بالموعظة الحسنة و هي الخطابات المـقنعة و العبر النّـافعة، و بالمجادلة الّتي هي أحسن إلزام المعاندين الجاحدين بالمقدّمات المشهورة و المسلّمة.

و قولها سلام‌الله عليها: «يكسر (يجف خ) و (ينكث خ) و (يجذّ خ) الأصنام و ينكت (ينكس خ) الهام»: كان رسول‌الله «صلّى‌الله‌عليه‌وآله» يكسر أصنام المشركين، و يقتل رؤسآءهم و يقمعهم و يذلهم. أو يلقي الأصنام على رؤوسها. يقال: نكته على هامه: إذا ألقاه على رأسه.

و قولها «عليها‌السلام»: «حتّى انهزم الجمع و ولّوا الدّبر»:

الانهزام من الهزم ـ في الأصل ـ: الكسر. يقال: هزمت الجيش هزماً و هزيمة فانهزموا: كسرتهم فتكسّروا. «فهزموهم بإذن الله» البقرة: ۲٥۱) أي كسروهم، و هزم الأحزاب وحده: كسرهم. و الجمع: الجماعة. و التّولية عن الشّيء: الإعراض عنه. و الدّبر: خلاف القُبُل. و تولية الدّبر: كناية عن الإدبار و الانصراف و الهزيمة. فانهزم جماعة المشركين كما أخبر الله تعالى رسوله «صلّى الله عليه و آله» بهزيمتهم في قوله: «سيهزم الجمع و يولّون الدّبر» القمر: ٤٥).

و **قولها سلام الله عليها: «حتّى تفرّى الليل عن صبحه»**: التفرّي ـ من الفرى ـ: الكشف و الشّقّ و القطع. تفرّي الليل عن صبحه: انكشف، كأنّ الليل انشقّ فظهر من بين شقّة وجه الصبح، و ضوء الصّباح.

استعارت «عليها السلام» لظلمة الجاهليّة بالليل، و للحقّ المستور الّذي ظهر بظهوره «صلّى الله عليه و آله» بالصّبح. فالمعنى: زالت برسالة رسول الله «صلّى الله عليه و آله» ظلمة الجاهليّة العمياء، و طلع بطلوعه صبح الشّريعة الغرّاء.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين أمير المؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» ـ في ذكر النّبيّ الكريم «صلّى الله عليه و آله» ـ: «اختاره من شجرة الأنبياء، و مشكاة الضّياء، و ذؤابة العلياء، و سرّة البطحاء، و مصابيح الظّلمة، و ينابيع الحكمة» الخطبة: ۱۰۷).

و **قولها صلوات الله عليها: «و أسفر الحقُّ عن محضه»**:

الإسفار: الانكشاف، يقال: أسفر الصبح إذا انكشف و أضاء. قال الله تعالى: «و الصّبح إذا أسفر» المدّثّر: ۳٤) و أسفر الوجه إذا علاه جمال.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام» ـ في وصيّته لابنه الحسن «عليه السلام» كتبها إليه ـ: «رويداً يُسْفِرُ الظّلامُ كأن قد وَرَدَتِ الأظْعَانُ...» من كتبه «عليه السلام»: ۳۱) أي ينكشف الظّلام.

المحض: الخالص الّذي لا يشوبه شيء. إسفار الحقّ عن محضه: انكشافه عن خالصه حتّى ظهر خالصه. شبّه ظاهر الحقّ بالقشر السّاتر للمحض و اللبّ. و إنّ رسول الله «صلّى الله عليه و آله» أظهر حقيقة الحقّ، و أزال السّتر عن وجه باطنه، حتى ظهر لبّه و باطنه و خالصه.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» ـ لبعض أصحابه ـ: «فإن

تَرْتَفِعْ عنّا و عنهم مِحَنُ البلوى أَحْمِلْهُمْ من الحقّ على محضه...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾: رقم: ١٦١)

و قولها ﴿عليها السلام﴾: «و نطق زعيم الدّين»:

زعيم القوم: سيّدهم و المتكلّم عنهم من الزّعامة بمعنى السّيادة. و الزّعيم: الكفيل كقوله تعالى حكاية عن مسئول أنبار الغلاّت: «و أنابه زعيم» يوسف: ٧٢) أي كفيل. و لعلّ المعنى الأوّل متفرّع منه، كقولك: زعمته: كفلته.

و المعنى: و نطق رسول‌الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بالحق و أظهره، و هو زعيم الدّين و كفيله.

في عوالي اللآلي: روى أبو أمامة الباهلي: أنّ النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ خطب يوم فتح مكّـة، فقال: «العارية مردودة، والمنحة مردودة، و الدَّيْن مقضيّ، و الزّعيم غارم» أي ضامن و كفيل.

و قولها عليها آلاف التّحيّة و الثنآء: «و خرست شقاشق الشّياطين»:

خرس الإنسان: منع الكلام خِلْقَةً، و أخرسه الله تعالى: لا يستطيع أن يتكلّم. و سحابة خرسآء: ليس فيها رعد و لا برق.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «الفَقْرُ يُخْرِسُ الفَطِنَ عن حجّته» من كلمات قصاره رقم: ٣).

و فيه: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ ـ في الموتى ـ: «و لكنّهم سُقُوا كأساً بدّلتهم بالنّطق خَرَساً ـ و خرسوا عن جواب السّآئلين عنه» من كلامه ﴿عليه السلام﴾: رقم ٢١٢).

و فيه: «و قد جمع النّاس و حضّهم على الجهاد، فسكتوا مليّاً فقال ﴿عليه السلام﴾: أَمُخْرَسون أنتم؟» من كلامه ﴿عليه السلام﴾: رقم: ١١٨).

الشّقاشق ـ جمع الشِّقشِقة ـ و هي شيْ كالرّية يخرجها البعير من فيه إذا هاج.

و إذا قالوا للخطيب: ذو شِقشِقه: فهو تشبيه بالفحل. و شـقشق الفـحل: هـدر، و العصفور: تشقشق في صوته. شبّه الفَصيح المنطيق بالفحل الهادر، و لسانه بِشقشقته.

و نسبها إلى الشّيطان لما يدخله من الكذب و الباطل و كونه لا يبالي بما قال.

إنّ المراد من شقاشق الشّياطين: ألسنة المشركين الّذين كانوا يصوّتون بالأباطيل في الامور الدّينيّة...

و الخطبة الشقشقيّة هي الثّالثة من خطب أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام» في نهج البلاغة، و قد سمّيت بذلك لقوله«عليه السلام» في آخرها: «هيهات يا ابن عبّاس تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت».

و قولها سلام‌الله عليها: «و طاح و شيظُ النّفاق»:

طاح فلان: هلك أو أشرف على الهلاك، و طاح في الأرض: سقط و قطع أعضآئه.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام»: «قد طوّحت بكم الدار» أي أهلكتكم الدّنيا.

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و تطيع السّواعد و الأقدام» أي تقطع الوشيظ: الرّذل و السّفلة من النّاس و بنو فلان وشيظة في قومهم: هم حشوفيهم. و النّفاق: فعل المنافق بأنّه يتظاهر بما لا يعتقد به، فيتظاهر الإسلام، و يبطن الكفر.

و المراد: أنّه هلك من جهة ظهور النبيّ«صلى الله عليه و آله» و قوّة الإسلام و مجاهدة أهل الايمان، القوم الأراذل الّذين اختاروا النّفاق، أو هلك أشراف أهل النّفاق و رؤوسهم، أو هلك الكفّار و المنافقون الّذين توغّلوا في الكفر و النّفاق.

و قولها صلوات‌الله عليها: «و انحلّت عُقَد الكفر و الشّقاق»:

الانحلال ـ من الحلّ ـ: خلاف العَقْد.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» ـ في بني أُميّة ـ «و لا عقداً إلاّ حلّوه».

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام» ـ في الشّيطان ـ: «إنّ الشّيطان يُسَنّي لكم طُرُقَهُ، و يريد أن يَحُلَّ دينكم عُقْدَة عُقْدَة...» من كلامه«عليه السلام»: رقم: ١٢٠).

و العُقَد ـ جمع العُقدة ـ: ما يُعقد به. قال الله تعالى حكاية عن موسى«عليه السلام»: «و احلل عقدة من لساني» طه: ٢٧).

و الشّقاق ـ من الشقّ ـ: المعاداة لانشقاق بينهما، قال الله تعالى: «و إن خفتم شقاق بينهما» النّسآء: ٣٥) أو لكون من المنازعين في شقّ أي طرف، غير شقّ الآخر. قال الله تعالى: «و من يشاقق الرّسول من بعد ما تبيّن له الهدى و يتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى و

نصله جهنّم و سآئت مصيراً» النّسآء: ١١٥).

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ ـ في ذمّ البصرة و أهلها ـ: «كنتم جند المرأة، و أتباع البهيمة، رغا فأجبتم، و عُقِرَ فهربتم، أخلاقكم دقاق، و عهدكم شقاق، و دينكم نفاق، و مآؤكم زعاق...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم: ١٣).

و معنى قولها سلام‌الله‌عليها: «و انحلّت عقد الكفر و الشّقاق» و انحلت واضمحلّت أعلام المعاندة و الشّقاق، فلم يبق في ديارهم ديّار، و لا من دمنها آثار، و ذلك الأسباب الّتي من جهتها استحكمت آثار الكفر و الشّقاق قد وهنت و ضعفت حتّى اضمحلّت. فإنّ الانحلال كناية عن الوهن و الضّعف و الفتور، و العقد كناية عن الاستحكام، فالانحلال بمنزلة النّقض، و العقد بمنزلة الإبرام.

و قولها ﴿عليها السلام﴾: «و فُهْتُمْ بكلمة الإخلاص».

فاه فلان بكلام: لفظ به. الفُوه: الفم.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ ﴿عليه السلام﴾: «قلب الأحمق في فيه و لسان العاقل في قلبه». و في الخبر: «و لمّا تفوّه البقيع»: دخل في أوّله. فشبّهه بالفم لأنّه أوّل ما يدخل منه إلى الجوف. المُفَوَّه: البليغ المنطيق.

في الإختصاص: ـ في حديث الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «و إن جامعتها ليلة الجمعة و كان بينكما ولد يكون خطيباً قوّالاً متفوّهاً».

و معنى الجملة: و تلفّظتم بكلمة الإخلاص و هي كلمة التّوحيد: «لا إله إلاّ الله» و فيه تعريض بأنّه لم تكن كلمة التّوحيد ثابتة في قلوبكم، و لمّا يدخل الايمان فيها كقوله تعالى: «قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا و لمّا يدخل الايمان في قلوبكم» الحجرات: ١٤).

و قولها صلوات‌الله عليها: «في نفر من البيض الخِماص»:

النّفر: هم رهط الإنسان و عشيرته، إسم جمع يقع على جماعة من الرّجال خاصّة، و لا واحد من لفظه.

قال الله عزّوجلّ: «فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدّين» التّوبة: ١٢٢).

و البيض ـ جمع أبيض و بيضآء ـ: خلاف الأسود، من النّاس و غيرهم.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين أميرالمؤمنين الإمام عليّ«ﷺ» ـ في وصف الملائكة ـ: «... فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهوآء...» الخطبة: ٩٠).

الخماص ـ جمع خميص ـ: ضامر البطن من الخماصة و هي دقّة البطن خِلْقَةً أو من جهة خلوّها عن الطّعام و نحوه. يقال: فلان خميص البطن من أموال النّاس بالباطل.

في اصول الكافي: بإسناده عن ابن أبي يعفور عن أبي عبدالله«ﷺ» قال: «إنّ شيعة عليّ«ﷺ» كانوا خمص البطن...» كناية عن قلّة الأكل أو كثرة الصّوم، أو العفّة عن أكل أموال النّاس بالباطل أي عفيف عنها.

و في البيض الخماص وجوه: منها: هم أهل بيت النّبوة عليهم السلام و يؤيّده.

ما في كشف الغمّة: «في نفر من البيض الخماص الّذين أذهب الله عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيراً» و وصفهم بالبياض لبياض وجوهِهم. أو كناية عن شرفهم و تميّزهم عن غيرهم من قبيل وصف الرّجل بالأغرّ، أو هو لبياض أنسابهم و أحسابهم، أو هو لبياض طينتهم و طويتهم، و المراد بالخماص لكونهم ضامري البطون بالصّوم، و قلّة الأكل، أو لعفّتهم عن أكل أموال النّاس بالباطل.

و منها: مَن آمن من العجم كسلمان الفارسي رضوان الله تعالى عليه و غيره. و يقال لأهل فارس بيض لغلبة البياض على ألوانهم و أمواهم، فإنّ الغالب في أمواهم الفضّة، كما يقال لأهل الشّام: الحمر لحمرة ألوانهم و غلبة الذّهب في أموالهم.

و الظّاهر اعتبار نوع من التّخصيص في المخاطبين، فيكون المراد بهم غير الرّاسخين الكاملين في الايمان، و البيض الخماص الكمّل، و حرف «في» حينئذ للمصاحبة بمعنى «مع» و يجوز جعل الخطاب عامّاً، و «في» بمعني «على» بتقدير معنى الاشتمال.

الفصل الثّامن: في انحطاط المخاطبين قبل الإسلام، و نجاتهم من الانحطاط بأبيها و فضل زوجها عليهم السلام: «و كنتم على شفاحفرة من النّار، مُذْقَةَ الشّارب، و نُهْزَةَ الطّامع، و قُبْسَةَ العَجْلان، و موطِئَ الأقدام، تشرَّبون الطّرقَ، و تقتاتون الوَرقَ (القد خ) أذلّةً خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم النّاس من حولكم» فأنقذكم الله تبارك و تعالى

بمحمّد «صلى الله عليه و آله» بعد اللّتيا و الّتي و بعد أن مُنِيَ بِبُهَم الرّجال، و ذؤبان العرب، و مردة أهل الكتاب «كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله» أو نَجَمَ قرنٌ للشّيطان، أو (و خ) فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتّى يطأجناحها (صِماخِها خ) بأخمصه، و يُخمِدَ لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول‌الله، سيّداً في أوليآء الله، مشمّراً ناصحاً، مُجدّاً كادحاً، لا تأخذ في الله لومة لآئم.

و أنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدّوآئر، و تتوكفون الأخبار، و تنكصون عند النّزال و تفرّون عند القتال».

الشّرح: شفا كلّ شئ: طرفه و شفيره.

و كنتم معاشر النّاس على شفير من نار جهنّم، مشرفين على دخولها، و التّهافت فيها بشرككم و انحطاطكم، بكفركم و ضلالكم، و ببغيكم و فسادكم، فلو كان أدرككم الموت في تلك الأحوال لوقعتم في نار جهنم، فلم يكن بينكم و بينها إلاّ الموت.

فأشارت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها إلى قوله: «و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرّقوا و اذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعدآءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفاحفرة من النّار فأنقذكم منها» آل‌عمران: ۱۰۳) بأن أرسل إليكم محمّداً رسولاً «صلى الله عليه و آله» هداكم إلى الحق و الرّشاد، و الخير و الصّلاح، و دعاكم إلى الايمان و النّجاة من النّار، فنجوتم بإجابته منها.

قال الله تعالى: «فأنقذكم منها» مع أنّهم لم يدخلوا فيها بعد، إذ كانوا بمنزلة من دخل فيها من حيث استحقاقهم لدخولها و إشرافهم عليها.

في روضة الكافي: بإسناده عن أحمد بن محمّد بن خالد عن أبيه عن أبي عبدالله «عليه السلام» قوله تعالى: «و كنتم على شفاحفرة من النّار فأنقذكم منها» بمحمّد «صلى الله عليه و آله» هكذا و الله نزل بها جبرئيل «عليه السلام» على محمّد «صلى الله عليه و آله»».

و قولها صلوات‌الله عليها: «مذقة الشّارب»:

الذّوق ـ في الأصل ـ: إدراك طعم الشّئ بواسطة الرّطوبة المنبثّة بالعصب المفروش على عضل اللسان، و قد يطلق على نفس تلك القوّة، و على القوّة المُدْرِكة الّتي لها اختصاص

بإدراك لطآئف الكلام، و وجوه محاسنه الخفيّة... و يقال: ذقت ما عنده: خبرته و جرّبته. و أذاقه الله وبال أمره: أصابه.

قال الله تعالى: «ثمّ إذا أذاقهم منه رحمة ـ و إذا أذقنا النّاس رحمة فرحوا بها ـ ليذيقهم بعض الّذي عملوا» الرّوم: ٣٣ و ٣٦ و ٤١).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين علي بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «و السّادس أن تذيق الجسم ألم الطّاعة كما أذقته حلاوة المعصية».

و «مُذْقَةُ الشّارب»: شربته، و هو ما يذاق و يشرب بسهولة، مثل الغُرْفة بمعنى ما يُغْرَف. و المراد من كونهم مذقة الشّارب: كونهم قليلين يشربهم النّاس بسهولة. و المُذْقَة: شربة اللبن الممزوج بالمآء.

و قولها سلام الله عليها: «و نُهزة الطّامع».

نهز فلان رأسه: حرّكه و راحلته: دفعها في السّير، و نهز لذا: نهض لتناوله. النُّهزة: الفرصة، و انتهز الفرصة: اغتنمها و بادر وقتها. و الفرصة: محلّ الحركة، و العمل بالشّيء، و زمان المهلة، و نفس المهلة.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «فانتهزوا فُرَص الخير» أي اغتنموها.

و فيه: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «و ينتهزوا فُرْصَتها من لا حريجة له في الدّين» أي يبادر إلى افتراصها، و يغتنمها من ليس بذي حرج في الدّين.

و فيه: قال أميرالمؤمنين عليّ ﴿عليه السلام﴾: «لحطام ينتهزه» الانتهاز: الاختلاس. أي لمال يختلسه. و المراد من كون المشركين نهزة الطّامع كونهم محلّ نهزته كناية عن قلّتهم و ذلّتهم أي كنتم أذلاّء قليلين يكاد أن يتخطّفكم النّاس بسهولة.

و قولها ﴿عليها السلام﴾: «و قبسة العجلان».

القُبسة: شعلة من نار تقتبس من معظمها. الاقتباس: الأخذ منها.

قال الله تعالى: «إذ رآى ناراً فقال لأهله امكثوا إنّي آنست ناراً لعلّي آتيكم منها بقبس أو أجد على النّار هدى» طه: ١٠).

و قال: «يوم يقول المنافقون و المنافقات للّذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم» الحديد: ١٣).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ «عليه السلام»: «و آخر قد تسمّى عالماً و ليس به، فاقتبس جهآئل من جهّال و أضاليل من ضلاّل» الخطبة: ٨٦)

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «حتّى أورى قبس القابس» الخطبة: ٧١) أي أظهر نوراً من الحقّ لطالبه، و القابس: طالب النّار أو آخذها، و كذلك المقتبس، و قد يستعاران لطالب العلم.

و فيه: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «و أناة المقتبس المرتاد في مدّة الأجل، و مضطرب المهل...» الخطبة: ٨٢).

و «العجلان» صفة من العَجَلَة. و إضافة «قبسة» إلى «العجلان» لبيان قلّة المشركين و حقارتهم و انحطاطهم... أي كنتم قليلين، حقيرين، منحطّين لا يعتنى بكم، يكاد أن يتخطّفكم النّاس بسهولة. و «قبسة العجلان»: الشّعلة من النّار الّتي يأخذها الرّجل العاجل. مَثَلٌ في الاستعجال.

و قولها عليها آلاف التّحيّة و الثّنآء: «و موطئ الأقدام»:

مثل مشهور في الانحطاط و الحقارة و المذلّة و المغلوبيّة. و الأقدام: جمع القدم، و موطئها: محلّ وطئها.

قال الله تعالى: «و لا يطؤن موطئاً يغيظ الكفّار» التّوبة: ١٢٠).

و في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» ـ في الكفّار و المشركين ـ : «... اتّخذهم إبليس مطايا ضلال ـ فجعلكم مرمى نبله، و موطئ قدمه و مأخذ يده...» الخطبة: ٢٣٤).

و قولها «عليها السلام»: «تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ»:

الطَّرْق: ماء السّمآء الّذي تبول به الإبل و تبعر و تجول فيه.

إنّ في الجملة إشارة إلى قول مولى الموحّدين أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام»:

في نهج البلاغة: «تشربون الكَدِرَ...» الخطبة: ٢٦) أي تشربون الكدر قبل البعثة.

و قولها سلام الله عليها: «و تقتاتون القد» «الوَرَقَ خ»:

الاقتيات: أخذ القوت لنفسه. و «القِدّ»: سَيْرٌ يقدّ من جلد غير مدبوغ، كناية عن كون أكلهم الأشيآء الخشنة كالورق و القِدّ: كون شربهم من المياه العفينة كالنّقيع و الطرق. و المراد من الجملة وصفهم بخباثة المشرب و خشونة المأكل لعدم اهتدائهم إلى ما يصلح في دنياهم لفقرهم، و قلّة ذات يوم و خوفهم من الأعادي...

و المراد من الورق: ورق الشّجر، و المراد بيان احتياجهم إلى أكل مثله لغاية الفقر و المجاعة. و المعنى: تجعلون قوتكم قطعة جلد غير مدبوغ أو اللحم المجفّف في الشمس و في الجملة إشارة إلى قول أميرالمؤمنين عليّ بن طالب «عليه السلام»:

في نهج البلاغة: «و تأكلون الجشب».

و قولها سلام الله عليها: «أذلة خاسئين»:

كنتم يا معاشر النّاس قبل بعثة أبي محمّد «صلى الله عليه و آله» أذلّة مطرودين، مبعدين عن كلّ خير و صواب، و ببعثة أبي صرتم أعزّآء.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» ـ في ذكر رسول الله «صلى الله عليه و آله» ـ: «دفن الله به الضّغآئن، و أطفأ به النّوآئر، ألّف به إخواناً، و فرّق به أقراناً، أعزّ به الذّلّة، و أذلّ به العزّة» الخطبة: ٩٥).

و قولها «عليها السلام»: «تخافون أن يتخطّفكم النّاس من حولهم»:

التخطّف: استلاب الشّيء بخفية، و أخذه بسرعة من خطف الشيء: استلبه بسرعة.

قال الله تعالى: «إلاّ من خطف الخطفة» الصّافّات: ١٠) أي اختلس خلسة من كلام الملائكة. و يقال: و ليتخطّف النّاس من أرضنا أي تستلب.

في نهج البلاغة: ـ من كتاب سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام» إلى بعض عمّاله ـ: «... فلمّا أمكنتك الشّدّة في خيانة الأمّة أسرعتَ الكرّة و عاجلت الوثبة، و اختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم و أيتامهم اختطاف الذّئب الأزلّ دامية المِعزى الكسيرة...» رقم: ٤١).

و «من حولكم» أي من جوانبكم الأربعة كناية عن الإحاطة و الأخذ على الوجه الأكمل.

و كلامها ﴿عليها السلام﴾ مقتبس من قوله عزّوجلّ: «و اذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطّفكم النّاس فآواكم و أيّدكم بنصره و رزقكم من الطّيّبات لعلّكم تشكرون» الأنفال: ٢٦).

في البحار: قال المجلسي رحمة الله تعالى عليه: «و في نهج البلاغة: عن أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾: أنّ الخطاب في تلك الآية لقريش خاصّة، و المراد بالنّاس سآئر العرب أو الأعم».

و قولها عليها سلام الله: «فأنقذكم الله تبارك و تعالى بمحمّد ﴿صلى الله عليه و آله﴾»:

إشارة إلى قول مولى الموحّدين إمام المتّقين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾:

في نهج البلاغة: «... إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ لإنجاز عدته و تمام نبوّته ـ فهداهم به من الضّلالة و أنقذهم بمكانه من الجهالة...» الخطبة الاولى.

و قولها صلوات الله عليها: «بعد اللّتيا و الّتي»:

«اللّتيا» تصغير «الّتي» و هما كنايتان عن الدّاهية الصّغيرة و الكبيرة، و قد كنّي عن الكبيرة بلفظ التّصغير تشبيهاً بالحيّة، فإنّها إذا كثر سمّها صغرت لأنّ السّمّ يأكل الجسد، حيث إنّ السّمّ يشرب ماء البدن.

و قال ابن ميثم في شرح نهج البلاغة: «إنّ اللّتيا و الّتي» كالمثل، و أصله: أنّ رجلاً تزوّج امرأة قصيرة ضئيلة الخلق، فقاسى منها شدآئد، فطلّقها، و تزوّج طويلة بعد ذلك، فقاسى منها أضعاف ذلك فطلّقها، ثمّ سُئِلَ: هل تزوّج؟ فقال: بعد اللّتيا و الّتي لا أتزوّج أبداً.

و قيل: إنّ اللّتيا كناية عن التّمرة، و الّتي كناية عن النّخالة، و المراد بعد القصّة الصّغيرة و الطّويلة. نظير قولهم: قصيرة و طويل، كناية عن الإجمال بعد التفصيل، و التقصير بعد التطويل.

و قولها ﴿عليها السلام﴾: «و بعد أن مُنِيَ بِبُهَمِ الرّجال»:

مُنِيَ ـ مجهول ـ ابتلي.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «فَمُنِيَ النّاس لعمر الله بخبط و شماس...» الخطبة الشِقشقية. أي ابتلى الناس بعد رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾

بسير على غير جادّة الحقّ، و نِفار عن الهدى.

و «بُهَم»: جمع بُهْمَة ـ كغُرَف و غُرفة ـ و هو الشّجاع الّذي لا يهتدي، و من أين يؤتى. و البُهَم: الشّجعان منهم لأنّهم لشدّة بأسهم لا يُدرَى من أين يأتون. و منه: أمر مُبْهم: لا ماتي له.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «ضادّ النّور بالظّلمة و الوضوح بالبُهْمَة...» الخطبة: ٢٢٨).

و **قولها عليها سلام الله:** «و ذؤبان العرب»:

«ذؤبان» جمع ذئب، أي لصوص العرب و صعاليكهم الّذين يتلصّصون لا مال لهم، و لا اعتماد عليهم، و يستلبون من النّاس أموالهم تشبيهاً بالذّئاب في تلك الأوصاف...

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «و كان أهل ذلك الزّمان ذئاباً» الخطبة: ١٠٧).

و **قولها عليها السلام:** «و مردة أهل الكتاب»:

مردة ـ جمع مارد ـ من مَرَدَ: عتى فهو مارد. قال الله تعالى: «مردوا على النّفاق» التّوبة: ١٠١).

أي عتوا و استمرّوا عليه، و منه المَريد بمعنى العاتي في قوله سبحانه: «شيطان مريد» الحجّ: ٣).

و بمعنى العاري عن الخير، و الظّاهر شرّه من قولهم: شجرة مرداء إذا سقط ورقها، و ظهرت عيدانها، و رملة مرداء: لا نبت فيها، و مكان أمرد: لا نبات فيه، و غصن أمرد: لا ورق عليه، و غلام أمرد: لا شعر في وجهه.

و مَرُدَ الرجل ـ من باب كرم ـ مرادة: صار عاتياً شديداً.

و المراد من مردة أهل الكتاب: عتاتهم المتكبّرون المتجاوزون عن الحدّ الّذي قرّروا عليه. و المراد من أهل الكتاب هم اليهود و النّصارى و المجوس.

في فروع الكافي: ـ كتاب الزّكاة ـ باب صدقة أهل الجزية ـ حديث: ٤): «سُئِلَ أبو عبدالله «عليه السلام» عن المجوس أكان لهم نبيّ؟ فقال: نعم أما بلغك كتاب رسول الله «صلّى الله عليه و آله» إلى

أهل مكّة أن أسلموا و إلاّ نابذتكم بحرب، فكتبوا إلى رسول‌الله﴿ﷺ﴾: أن خُذْ منّا الجزية، و دَعِنا على عبادة الأوثان، فكتب إليهم النّبيّ﴿ﷺ﴾: أنّي لستُ آخذ الجزية إلاّ من أهل الكتاب، فكتبوا إليه ـ يريدون بذلك تكذيبه ـ زعمت أنّك لا تأخذ الجزية من أهل الكتاب، ثمّ أخذت الجزية من مجوس هَجَر، فكتب إليهم النّبيّ﴿ﷺ﴾: أنّ المجوس كان لهم نبيّ، فقتلوه و كتاب أحرقوه، أتاهم نبيّهم بكتابهم في إثنى عشر ألف جلد ثور».

قوله﴿ع﴾: «هَجَر»: بلد بقرب المدينة، و قيل: موضع باليمن.

و في التّواريخ: أنّ نبيّ المجوس كان يسمّي بزردشت الحكيم المعروف، و قد سبق منّا تعريفه في تفسير سورة «الحجّ» فراجع.

و قولها عليها السلام: «كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله» آية من سورة المائدة: ٦٤).

الايقاد: الإشعال، من أوقدت النّار: أشعلتها. و الوَقود: ما يوقد به كالحطب و نحوه.

و معنى الآية الكريمة: كلّما أوقد هؤلآء المشركون نار الحرب مع أبي رسول‌الله﴿ﷺ﴾ أطفأها الله تعالى بفيض نصره من السّمآء كإطفآء النّار بالمآء، و قد أشار الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿ع﴾ إلى ذلك فيما كتبه إلى معاوية:

في نهج البلاغة: «فأراد قومنا قتل نبيّنا، و اجتياح أصلنا، و همّوا بنا الهموم، و فعلوا بنا الأفاعيل، و منعونا العَذْبَ، و أحْلَسُونا الخَوْفَ، و اضطرّونا إلى جبل وَعْرٍ، و أوقدوا لنا نار الحرب، فعزم الله لنا على الذّبّ عن حوزته، و الرّمي من ورآء حرمته...» رقم الكتاب: ٩)

و قولها سلام الله عليها: «أو نَجَمَ قَرْنٌ للشّيطان»:

نَجَمَ الشّيْ: طلع و ظهر.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿ع﴾: «فنجمت الحالُ من السّرّ الخفيّ إلى الأمر الجليّ، استفحل سلطانه عليكم، و دَلَفَ بجنوده نحوكم...» الخطبة القاصعة: ٢٣٤).

يقال: فلان منجم الباطل و الضّلالة أي منشأهما و مظهرهما.

و المراد بالقرن: القوّة. و فسّر قرن الشيطان: بجنوده و أعوانه، و مردته و أتباعه. و المآل واحد.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿؏﴾: «اوصيكم بتقوى الّذي أعذر بما أنذر، و احتجّ بما نَهَجَ، و حذّركم عدوّاً نفذ في الصّدور خفيّاً، و نفث في الآذان نجيّاً، فأضلّ و أردى، و وعد فمنّى، و زيّن سيّئات الجرآئم، و هوّن موبقات العظآئم حتّى إذا استدرج قرينته و استغلق رهينته، أنكر ما زيّن، و استعظم ماهوّن، و حذّر ما أمّن...» الخطبة: ٨٢).

و قولها عليها السّلام: «و فَغَرَتْ فاغرة من المشركين»:

فَغَرَ فلان فاه: فتحه. و أفغر النّجم: ظهر ظهوراً قويّاً، و ذلك في الشّتآء لأنّ الثّريّا إذا كبّد السّمآء من نظر إليه فغر فاه.

و في حديث موسى ﴿؏﴾: «فإذا هي حيّة عظيمة فاغرة فاها».

و في مستدرك الوسآئل: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «إنّي لأبغض الرّجل فاغراً فاه إلى ربّه، يقول: اللّهمّ ارزقني، و يترك الطّلب».

الفاغرة من المشركين الطآئفة العادية العاتية منهم، تشبيهاً بالحيّة أو بالسّبع.

و معنى الجملة: و فتحت طائفة عاتية باغية طاغية عادية من المشركين فمها.

في نهج البلاغة: ـ أشار أمير المؤمنين الإمام عليّ ﴿؏﴾ إلى الخروج السّفياني ـ: «... قد فَغَرَتْ فاغرته، و ثقلت في الأرض وطأته، بعيد الجولة، عظيم الصّولة...» الخطبة: ١٣٨).

و قولها سلام الله عليها: «قذف أخاه في لهواتها»:

القذف: الرّمي بالحجارة كما أنّ الحذف يستعمل في الحصى. يقال: هم بين قاذف و حاذف. و قذف المحصنة: رماها بالفاحشة. و قذف بقوله: تكلّم به من غير تدبّر و لا تأمّل. قال الله تعالى: «بل نقذف بالحقّ على الباطل» الأنبيآء: ١٨) أي نلق به في قلب من نشآء. و قذف المآء في الإنآء: طرحه فيه. قال سبحانه: «اقذفيه في التّابوت» طه: ٣٩) أي ضعيه و ألقيه فيه.

اللّهَوات: جمع اللهاة، و هي اللحمة الحمرآء المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام»: «الّذي كلّم موسى تكليماً، و أراه من آياته عظيماً، بلا جوارح و لا أدوات و لا نطق و لا لهوات...» الخطبة: ١٨١).

و فيه: ـ من كتابه«عليه السلام» إلى بعض عمّاله ـ: «و أسُدُّ بها لهاة الثّغر المخوف...» رقم الكتاب: ٤٦).

اللُّهْوَة: ما يلقيه الطّاحن في فم الرّحى بيده.

و قولها«عليها السلام»: «و قذف أخاه» تعني به زوجها أميرالمؤمنين عليّاً«عليه السلام». و المراد أنّ رسول‌الله«صلى الله عليه وآله» كلّما أرادت طائفة عادية من المشركين، أو عرضت داهية عظيمة بعث عليّاً لدفعها و عرضه للمهالك.

و قولها صلوات‌الله عليها: «فلا ينكفئ حتّى يطأ جناحها (صماخها خ) بأخمصه»:

الانكفآء: الرّجوع، من قولك: كفأت القومَ كفأً: إذا أراوا وجهاً، فصرفتهم عنه إلى غيره. فانكفؤا: رجعوا. و كفأت الإنآء و أكفأته: إذا كببته و أملته ليفرغ ما فيه.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام»: «أيّها النّاس! سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الإسلام كما يكفأ الإنآء بما فيه» الخطبة: ١٠٢) أي يقلب فيه الإسلام...

و فيه: قال إمام المتّقين الإمام عليّ«عليه السلام»: «كأنّكم تريدون أن تكفؤا الإسلام على وجهه انتهالاً لحريمه...» الخطبة: ٢٣٤): أن تقلبوا الإسلام...

و في حديث الوضوء: «فأتاه محمّد بن الحنفيّة بالمآء فأكفأ بيده على يده اليمنى» أي قَلَبَه عليها. و انكفأت بهم السّفينة: انقلبت.

وَطِئَ الشّئ يطأه برجله: داسه. و قولها«عليها السلام»: «حتّى يطأ جناحها»: حتّى يدوس الإمام عليّ«عليه السلام» جناح فتنة المشركين.

و في نسخة «صِماخها» الصّماخ: ثُقْبُ الأذُن، و الأذُن نفسها أيضاً.

و في حديث الإمام عليّ«عليه السلام»: «و ما أصغت لاستراقه صماخ الأسماع».

الأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم عند المشي. و خمص القدم خمصاً. إذا

ارتفعت عن الأرض، فلم تمسّه. خمص فلان: إذا جاع فهو خميص. و وطأ الصّماخ بالأخمص عبارة عن القهر و الغلبة على أبلغ وجه.

و المعنى: إنّ عليّاً أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ لا يرجع عن حرب المشركين حتّى يدوس أذنهم بباطن قدمه.

أي لا يرجع بغير قهر و غلبة عليهم على أبلغ وجه.

و **قولها ﴿عليها السلام﴾**: «و يُخْمِدَ لَهَبَها بسيفه»:

الإخماد: إسكان لهب النّار من خمدت النّار: سكن لَهَبها و لم يطفأ جمرها. و تقول: أخمدتها أنا: أسكنتها. و خمد المريض: أغمي عليه أو مات لخمود نار روحه كقوله تعالى: «فإذا هم خامدون» يس: ٢٩) أي ميّتون. و خمود الإنسان: موته و سكونه عن الحركة.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ ـ في وصف القرآن الكريم ـ: «و فرقاناً لا يُخْمَد بُرْهانه، و تبياناً لا تُهْدَمُ أركانُهُ...» الخطبة: ١٨٩).

اللَهَب: اتّقاد النّار. و تلهّبت النّار و التهبت: اتّقدت. و ألهبتها: أوقدتها.

في نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: ـ في ذمّ الدّنيا ـ: «... و نار شديد كَلَبُها، عال لَجَبُها، ساطع لَهَبُها، متغيّظ زفيرها، متأجّج سعيرها، بعيد خمودها ذاكٍ وقودها...» الخطبة: ٢٣٢).

و إخماد لهب فتنة المشركين بماء سيف أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ استعارة بليغة شائعة، فإنّه وحده من بين الأصحاب كان يسكن لهب الفتنة و اشتعال نارها الّتي يوقدها المشركون مرّة بعد أخرى.

و **قولها صلوات الله عليها**: «مكدوداً في ذات الله»:

«مكدوداً» حال من «أخاه» أو من ضميره، و كذا ما بعده من الأوصاف المنصوبة. المكدود: مَن بلغه التّعب و الأذى من الكدّ بمعنى الشّدّة في طلب العلم و العمل و طلب الكسب و نحوها. و كددت الرّجل: اتعبته. المكدود: المتعب.

و المراد بذات الله تعالى: أمره و دينه و كلّما يتعلّق به جلّ وعلا. و إنّ الذّات المطلق المحض يطلق على ذات الله سبحانه المستجمع لجميع صفات الكمال، و إطلاق ذات الله مثل إطلاق جنب الله و وجه الله عزّوجلّ.

و قد وقع إطلاق ذات الله في خطب أهل بيت الوحي المعصومين، و في الأخبار و الأدعية الواردة عنهم عليهم السلام كثيراً.

ففي المناقب لابن شهر آشوب السّرويّ المازندرانيّ رضوان الله تعالى عليه: «الحلية: كعب بن عجرة عن أبيه قال النبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «لا تسبّوا عليّاً فإنّه ممسوسٌ في ذات الله».

و في قوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «ممسوس» وجوه: منها: أن يمسّه الأذى و الشّدّة و التّعب في رضا الله جلّ وعلا و قربه. و منها: أنّه ﴿عليه السلام﴾ لشدّة حبّه لله تعالى و اتّباعه لرضاه كأنّه ممسوس أي مجنون. كما ورد في صفات المؤمن: «يحسبهم القوم أنّهم قد خولطوا» و منها: أن يكون المراد بالممسوس، المخلوط و الممزوج مجازاً. أي خالطه حبه تعالى لحمه و دمه فمن سبّه ﴿عليه السلام﴾ فكأنّه سبّ الله سبحانه.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين يعسوب الدّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «ما أجود يده و هو عن ذات الله بخيل» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم: ١٤٢).

و قولها ﴿عليها السلام﴾: «مجتهداً في أمر الله»:

الاجتهاد: مبالغة في الجدّ. و في «أمرالله» وجوه: منها ـ أنّ المراد من «أمرالله» أحكامه مطلقاً من أوامره و نواهيه. و منها ـ أن يكون المراد به رضاء الله تعالى. و منها: كلّما يتعلّق بالله جلّ وعلا فهو أمر الله تعالى. و قد كان أميرالمؤمنين ﴿عليه السلام﴾ مجتهداً في ذلك كلّه.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «إنّه ليس على الإمام إلاّ ما حُمّلَ من أمر ربّه: الإبلاغ في الموعظة، و الاجتهاد في النّصيحة، و الإحياء للسّنّة، و إقامة الحدود على مستحقّيها و إصدار السّهمان على أهلها...» الخطبة: ١٠٤).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «فعليكم بالجدّ و الاجتهاد، و التّأهّب و الاستعداد، و التّزوّد في منزل الزّاد...» الخطبة: ٢٢١).

و فيه: قال يعسوب الدين إمام المتّقين عليّ ﴿عليه السلام﴾: «فليس أحد و إن اشتدّ على رضا الله حرصه، و طال في العمل اجتهاده، ببالغٍ حقيقة ما الله أهله من الطّاعة له، و لكن من واجب حقوق الله على العباد النّصيحة بمبلغ جهدهم، و التّعاون على إقامة الحقّ بينهم...» الخطبة: ٢٠٧).

و قولها سلام‌الله عليها: «قريباً من رسول‌الله»:

و ذلك أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» كان أقرب النّاس إلى رسول‌الله«صلى الله عليه وآله» بالقرب الصّوري من حيث النّسب و المصاهرة، و بالقرب المعنوي من حيث الشّرف و الطاعة و المنزلة.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»: «و قد علمتم موضعي من رسول‌الله«صلى الله عليه وآله» بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة، و ضعني في حجره و أنا وليد، يضمّني إلى صدره، و يكنفني في فراشه، و يمسّني جسده، و يشمّني عَرْفه، و كان يمضغ الشّيئ ثمّ يلقمنيه، و ما وجد لي كِذْبة في قولٍ، و لا خطلةً في فعلٍ، و لقد قرن الله به«صلى الله عليه وآله» من لدن أن كان فطيماً أعظم ملكٍ من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالَم، ليله و نهاره، و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر اُمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً، و يأمرني بالاقتدآء به، و لقد كان يجاور في كلّ سنة بِحِرآء، فأراه و لا يراه غيري، و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول‌الله«صلى الله عليه وآله» و خديجة و أنا ثالثهما، أرى نور الوحي و الرّسالة، و أشمّ ريح النّبوّة.

و لقد سمعت رَنّة الشّيطان حين نزل الوحي عليه«صلى الله عليه وآله» فقلت: يا رسول‌الله ما هذه الرّنّة؟ فقال: هذا الشّيطان قد أيِسَ من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، و ترى ما أرى، إلاّ أنّك لستَ بنبيّ، و لكنّك لوزير، و إنّك لعلى خير» الخطبة القاصعة: ٢٣٤).

و فيه: من كتاب سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام» إلى معاوية بن أبي‌سفيان جواباً و هو من محاسِن الكتب: «... فإسلامنا ما قد سُمِعَ، و جاهليّتنا لا تُدْفَع، و كتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا و هو قوله سبحانه: «و أولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله» و قوله تعالى: «إنّ أولى النّاس بإبراهيم للّذين اتّبعوه و هذا النّبيّ و الّذين آمنوا و الله وليّ المؤمنين» فنحن مرّة أُولى بالقرابة، و تارة أُولى بالطّاعة...» رقم الكتاب: ٢٨).

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام»: «واعجبا أتكون الخلافة بالصّحابة، و لا تكون بالصّحابة و القرابة؟!

و روي له شعر في هذا المعنى و هو:

فإن كنتَ بالشّورى ملكتَ أُمورهم فكيف بهذا و المشيرون غُيَّبُ
و إن كنتَ بالقربىٰ حجبت خصيمهم فغيرك أولىٰ بالنّبيّ و أقربُ

و قولها عليها آلاف التّحيّة و الثّنآء: «سَيِّدَ أولياءِ الله»:

بالنّصب، نعت من «أخاه» و بالجرّ، وصف لـ«رسول‌الله» و في رواية ابن أبي طاهر: «سيّداً في أو لياء الله» يكون حالاً رابعاً لأمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾، و بالإضافة لا يكون حالاً كما زعمه أكثر الشّارحين، فإن الحال نكرة، و الإضافة تفيد التّعريف فلا تكون المعرفة حالاً.

و قد كان الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ سيّد الأوليآء و سيّد الأوصيآء كما كان رسول‌الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ سيّد الأنبيآء و خاتم المرسلين صلوات‌الله عليهم أجمعين.

كيف لا و قد نزلت فيه وحده ﴿عليه السلام﴾ آية الولاية باتفاق الأُمّة المؤمنة: «إنّما وليّكم الله و رسوله و الّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة و يؤتون الزّكاة و هم راكعون» المائدة: ٥٥).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «إنّ أوليآء الله هم الّذين نظروا إلى باطن الدّنيا إذا نظر النّاس إلى ظاهرها، و اشتغلوا بآجلها إذا اشتغل النّاس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، و تركوا منها ما علموا أنّه سيتركهم، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً، و دركهم لها فوتاً، أعدآء ما سالم النّاس، و سلم ما عادى النّاس، بهم عُلِمَ الكتاب و به علموا، و بهم قام الكتاب و به قاموا، و لا يرون مرجوّاً فوق ما يرجون، و لا مخوفاً فوق ما يخافون» من قصار كلماته ﴿عليه السلام﴾: رقم: ٤٢٤)

و لا ريب أنّ هؤلآء الّذين عرّفهم الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ أوليآء الله تعالى كان هو ﴿عليه السلام﴾ سيّدهم...

و قولها سلام‌الله عليها: «مُشمّراً ناصحاً»:

«مُشَمِّراً» إسم فاعل من التّشمير في الأمر: الجدّ و الاهتمام فيه.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «اتّقوا الله تقيّة من شمّر تجريداً و جدّ تشميراً» من كلمات قصاره ﴿عليه السلام﴾ رقم: ۲۰۱) و أصله من: شمّر إزاره عن ساقه تشميراً: رفعه.

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و قارب مِن خطوه، و شمّر من ثوبه» الخطبة: ٣٢).

ثمّ يقال: شمّر في أمره: خفّ و أسرع و جدّ. و تقول: شمّرت السّهم: أرسلته. و انشمر للأمر و تشمّر: تهيّأ. و قد كان أميرالمؤمنين عليّ«عليه السلام» مهيّأً بتام وجوده على بيان الحقّ و العمل به، بحيث يدور معه حيثما دار.

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «وامض على بصيرتك، و شمّر لحرب من حاربَك» من كتابه«عليه السلام» رقم: ٣٤).

النُّصْحُ: خلاف الغش، و هو الإخلاص و الصّدق في البيان و العمل و المشورة و نحوها...

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»: «و اعلموا أنّ هذا القرآن هو النّاصح الّذي لا يغشّ...» الخطبة: ١١٥).

و قد كان الإمام عليّ«عليه السلام» ناصحاً كنفس القرآن الكريم، إذ كان هو مع القرآن، و القرآن معه من دون فكاك و لا فراق بينهما قط.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين يعسوب الدين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»: «إنّه ليس على الإمام إلاّ ما حُمّلَ من أمر ربّه: الإبلاغ في الموعظة، و الاجتهاد في النّصيحة، و الإحيآء للسّنّة، و إقامة الحدود على مستحقّيها، و إصدار السُّهمان على أهلها...» الخطبة: ١٠٤).

و قولها صلوات الله عليها: «مُجِدّاً كادحاً»:

المجدّ - إسم فاعل - من أجدّ بمعنى جدّ و اجتهد في الحقّ و إحقاقه

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و لا يُدرَكُ الحقّ إلاّ بالجدّ» الخطبة: ٢٩).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: فعليكم بالجدّ و الاجتهاد، و التّأهّب و الاستعداد و التّزوّد في منزل الزّاد...» الخطبة: ٢٢١)

الكادح: إسم فاعل - من الكدح: السّاعي في العمل. و يجيئ بمعنى الخَدْش و الكسب أيضاً.

يقال: فلان يكدح في كذا: يكدّ.

قال الله تعالى: «إنّك كادح إلى ربّك كدحاً» الإنشقاق: ٦) أي انّك ساعٍ في لقاء جزآء ربّك سعياً بالعمل، فلا تسع لكسب متاع الدّنيا و شهواتها...

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿ﷺ﴾ ـ في التحذير عن الدّنيا ـ: «فاحذروها حذر الشّفيق النّاصح، و الجدّ الكادح...» الخطبة: ١٦٠).

و قولها عليها آلاف التّحيّة و الثنآء: «و أنتم في رفاهيّة من العيش»:

الرّفاهية: الاتّساع من رَفُهَ العيش: اتّسع ولان، و هو في رفاهيّة من العيش أي سعة. و رفهنا: أصبنا نعمة واسعة من الرّزق.

و العيش: الحياة. و التّعيّش: تكلّف أسباب المعيشة، و قد تطلق المعيشة و العيش على الاشتغال بأسباب العيش و التّنعّم بمقدّماته، و على مكسب الإنسان الّذي يعيش به.

و الجملة حاليّة. و المراد أنّ عليّ بن أبيطالب ﴿ﷺ﴾ كانت هكذا أحواله، حالكونكم معشر النّاس في سعة من العيش و راحة من الحياة.

و قولها سلام الله عليها: «وادِعون، فاكهون، آمنون»:

وادِعون ـ اسم فاعل ـ من الدّعة أي السّعة و الخفض و السّكون. ودع الرّجل فهو وديع: ساكن. نال فلان المكارم وادِعاً من غير كلفة. و يدع بمعنى يذر، مأخوذ من ذلك، فإنّ السّكون يستلزم التّرك و المفارقة و الهجر. وادعون: مرتاحون.

الفُكاهة ـ بالضّمّ ـ: المزاح، و بالفتح من فَكِهَ الرّجل فهو فَكِهٌ: إذا كان طيّب النّفس مزّاحاً. و الفكه أيضاً: الأشر و البطر.

قال الله تعالى: «و نعمة كانوا فيها فاكهين» الدّخان: ٢٧) أي و من عيش ليّن رغد كانوا فيها ناعمين متمتّعين من النّعمة وسعة العيش.

آمنون: مطمئنّون. فكأنّ هؤلآء الّذين خاطبتهم الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها هم يتركون الإسلام و صاحب الرّسالة، و يشتغلون بأنفسهم، متنعّمين بما هم عليه من النّعمة و سعة العيش، مرتاحون، مطمئنّون.

و قولها ﴿ﷺ﴾: «تتربّصون بنا الدّوآئر»:

التربّص: الانتظار. يقال: تربّصت قدوم زيد: انتظرته متوقّعاً ذلك، و منه المتربّص للمحتكر، و أصله من قولهم: ربص بالمكان: إذا لزمه و أقام به.

قال الله تعالى: «للّذين يؤلون من نسآئهم تربّص أربعة أشهر» البقرة: ٢٢٦) أي تمكثت أربعة أشهر. و قال: «قل كلّ متربّص» طه: ١٣٥) أي منتظر للعاقبة.

تربّص الدّوآئر: تربّص نزولها، و الدّوآئر: جمع الدّآئرة و هي صروف الزّمان و حوادث الأيّام، و العواقب المذمومة لكونها دائرة على الإنسان و محيطة به، و أكثر ما تستعمل الدّآئر في تحوّل النّعمة إلى النّقمة، و الرّحمة إلى الشّدّة، و الخير إلى الشّرّ، و كلّ نائبة دائرة سوء.

و دارت عليه الدّوآئر: نزلت عليه الدّواهي، و الدّآئرة: هي الهزيمة و السّوء، يقال: عليهم دآئرة السّوء. و في الحديث: فيجعل الدّآئرة عليهم أي الدّولة بالغلبة و النّصرة.

قال الله تعالى: «و من الأعراب من يتّخذ ما ينفق مَغرماً و يتربّص بكم الدّوآئر عليهم دائرة السّوء» التّوبة: ٩٨).

في نهج البلاغة: ـ و من كتاب مولى الموحّدين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب (عليه السلام) كتبه إلى أهل الأمصار يقتصّ فيه ما جرى بينه و بين أهل صِفّين ـ: «... حتّى استبانت عليهم الحجّة، و انقطعت منهم المعذرة، فمن تمّ على ذلك منهم فهو الّذي أنقذه الله من الهلكة، و من لجّ و تمادى فهو الرّاكس الّذي ران الله على قلبه، و صارت دآئرة السّوء على رأسه» رقم الكتاب: ٥٨).

و المراد من قولها عليها السّلام: «تتربّصون بنا الدّوآئر» أي كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا، و زوال النّعمة عنّا.

و قولها **سلام الله عليها:** «و تتوكّفون الأخبار»:

التوكّف: التّوقّع، من الوكف: الوقوع، من قولهم: و كف المطر: وقع، فيقال: توكّفه: انتظر وقوعه، و توكّف الخبر: إذا انتظر بلوغه و وصوله. و الأخبار: جمع الخبر.

و المراد بالأخبار هنا: أنّكم تنتظرون أخبار البلايا و المصآئب و الفتن و النّوائب و الحوادث و الشّدآئد النّازلة بنا.

و قولها صلوات الله عليها: «و تنكصون عند النِّزال»:

النّكوص: الإحجام و التأخّر عن الشيئ و الرّجوع إلى ورآء قهقرى يقال: نكص على عقبيه: يرجع القهقرى.

قال الله تعالى: «قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون» المؤمنون: ٦٦).

و النِّزال: المنازعة و المنازلة، و هو أن ينزل القرنان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربا.

و المراد أنّكم معشر النّاس! تدّعون الصُّحبة من رسول الله «ﷺ» كنتم ترجعون و تتأخّرون عند مشاهدة ميدان الجدال و تضارب الأبدال...

قال الله تعالى فيهم: «و إذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم و قال لا غالب لكم اليوم من النّاس و إنّي جار لكم فلمّا ترآءت الفئتان نكص على عقبيه و قال إنّي بريء منكم إنّي أرى ما لا ترون» الأنفال: ٤٨).

في نهج البلاغة: ـ من كتاب سيّد الوصيّين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «ع» إلى معاوية بن أبي سفيان ـ: «... فجاروا عن وجهتهم و نكصوا على أعقابهم و تولّوا على أدبارهم و عوّلوا على أحسابهم...» رقم الكتاب: ٣٢).

و فيه: و قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ «ع»: «و لقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد «ﷺ»: أنّي لم أردّ على رسول الله و لا على رسوله ساعة قطّ، و لقد واسيته بنفسي في المواطن الّتي تنكص فيها الأبطال، و تتأخّر فيها الأقدام...» الخطبة: ١٨٨).

و قولها سلام الله عليها: «و تفرّون عند القتال».

الفرار من القتال: هو الهزيمة.

و المراد من تلك الفقرات: أنّ هؤلآء المدّعين للصّحبة و الخلافة و مردتهم هم لم يزالوا منافقين، و قد كانوا هم في زمن رسول الله «ﷺ» عن الجهاد ناكبين، و عن النّهوض إلى النِّزال قاعين لأنّهم لم يؤمنوا طرفة عين أبداً، و قد تظاهروا بالإسلام لغصب الخلافة و إسارة الرّسالة، و ارتكاب الجناية...

قال الله تعالى فيهم: «و يقول الّذين آمنوا لو لا نزّلت سورة فإذا أُنزلت سورة محكمة و

ذكر فيها القتال رأيت الّذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت فأولىٰ لهم ـ فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض و تقطّعوا أرحامكم اولئك الّذين لعنهم الله فأصمّهم و أعمى أبصارهم» محمّد«ﷺ»: ٢٠ ـ ٢٢).

و قال: «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ـ و طآئفة قد أهمّتهم أنفسهم يظنّون بالله غير الحقّ ظنّ الجاهليّة يقولون هل لنا من الأمر من شئ قل إنّ الأمر كلّه لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيو تكم لبرز الّذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم و ليبتلي الله ما في صدوركم و ليمحّص ما في قلوبكم و الله عليم بذات الصّدور ـ و ليعلم الّذين نافقوا و قيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتّبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم و الله أعلم بما يكتمون ـ الّذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم» آل عمران: ١٤٤ و ١٥٤ و ١٦٧ و ١٧٣)

فمَنِ الّذين كانوا يفرّون يوم اُحد؟؟؟

الفصل التّاسع: في جنايات المنافقين باسم الصّحابة، و فتنتهم و إسارتهم الدّين و اتّباعهم الشّيطان بعد وفاة رسول الله«ﷺ»:

فقالت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء عليها آلاف التّحيّة و الثّنآء:

«فلمّا اختار الله لنبيّه دار أنبيآئه، و مأوىٰ أصفيآئه، ظهر فيكم حَسَكَةُ (حسيكة خ) النّفاق، و سَمَلَ جِلْبابَ الدّين، و نطق كاظِمُ الغاوين، و نبغ خاملُ الأقلّين، و هَدَرَ فَنيقُ المبطلين، فخطر في عَرَصاتكم، و أطلع الشّيطانُ رأسه من مَغْرِزه، هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، و للغِرّة فيه مُلاحظين، ثمّ استنهضكم، فوجدكم خفافاً، و أحمشكم فألفاكم غِضاباً، فوسمتم غيرَ إبِلِكم، و أوردتم غير شِرْبكم، هذا و العَهْد قريب، و الْكَلْمُ رحيبٌ، و الجُرحُ لمّا يندمل، و الرّسولُ لمّا يُقْبَر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة «ألا في الفتنة سقطوا و إنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين».

فهيهات منكم! و كيف بكم؟ و أنّىٰ تؤفكون؟ و كتاب الله بين أظهركم، اُموره ظاهرة، و أحكامه زاهرة، و أعلامه باهرة، و زواجره لائحة، و أوامره واضحة، و قد خلّفتموه ورآء

ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ «بئس للظّالمين بدلاً» «و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين» ثمّ لم تلبثوا إلّا رَيْثَ أن تسكن نَفْرَتُها، و يَسْلَسَ قِيادُها، ثمّ أخذتم تورون وَقْدَتَها، و تهيّجون جَمْرَتَها، و تستجيبون لهتاف الشّيطان الغويّ، و إطفآء أنوار الدّين الجليّ، و إهمال (إهماد خ) سنن النّبيّ الصّفيّ، تُسِرّون حَسْواً في ارتِغآء، و تمشون لأهله و ولده في الخَمَر و الضّرآء، و نصبر منكم على مثل حزّ المُدٰى، و وخْزِ السّنان في الحشا، و أنتم تزعمون ألّا إرث لنا! «أفحكم الجاهليّة تبغون و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون»؟ أفلا تعلمون؟ بلى تجلّى لكم كالشّمس الضّاحية أنّي ابنته».

الشّرح: إنّ المراد من «دار أنبيآئه و مأوى أصفيآئه» هي الجنّة أو الدّرجات العالية منها ممّا يليق بالأنبيآء و الأصفيآء عليهم آلاف التّحيّة و الثّنآء.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ«عليه السلام» ـ في صفة الجنّة ـ: «درجات متفاضلات و منازل متفاوتات...» الخطبة: ٨٤).

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام»: «ثمّ اختار سبحانه لمحمّد«صلى الله عليه و آله» لقائه، و رضي له ما عنده، و أكرمه عن دار الدّنيا، و رغب به عن مقارنة البلوى، فقبضه«صلى الله عليه و آله» إليه كريماً» الخطبة الاولى.

و فيه: قال سيّد الوصيّين يعسوب الدّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و اعلموا أنّه من يتّق الله يجعل له مخرجاً من الفتن، و نوراً من الظّلم، و يُخَلِّده فيما اشتهت نفسه، و ينزله منزلة الكرامة عنده، في دارٍ اصطنعها لنفسه. ظلّها عرشه، و نورها بهجته، و زوّارها ملائكته، و رفقاؤها رسله ـ فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره، رافق بهم رسله، و أزارهم ملائكته، و أكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نارٍ أبداً، و صان أجسادهم أن تلق لغوباً و نصباً «ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء و الله ذوالفضل العظيم» الخطبة: ١٨٢).

و قولها صلوات الله عليها: «ظهر فيكم حَسَكَةُ النِّفاقِ»:

الحسكة و الحسيكة: ضغن و عداوة و حقد، استعارة من حسك السّعدان، و هي عشبة شوكتها مدحرجة، و هي شوكة صلبة معروفة.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «و الله لأن أبيت على حَسَكِ السَّعْدان مُسَهَّداً، و أُجَرّ في الأغلال مصفّداً...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم ٢١٥).

يقال: حَسَكَ الصّدر على فلان: صار عليه ذا عداوة و ضغن و حِقد، و إطلاق الحَسَكة على العداوة... لأنّها تؤثّر في القلب و تؤذيه كالشّوكة، و المراد من «حسكة النّفاق» العداوة... الحاصلة به، و معه على سبيل الاستعارة، و الإضافة بيانيّة.

و لا يخفى على من له أدنى مسكة و دراية و طيب ولادة: أنّه ظهر فيمن خاطبتهم الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها من الحقد و العداوة و الأضغان ما انطوت عليه نفوسهم من الشّرور... و قد استعارت عليها سلام الله هذا من قول العرب: «حسكة السّعدانة» و هي كناية عن شدّة كفرهم و نفاقهم و نهاية بغيهم و قسوة قلوبهم... و هذه الفقرة من الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها الّتي لا تنطق عن الهوى، و لا تنطق من منطلق الظّنون تثبت أنّ المقصودين في الخطاب كانوا يعيشون واقع النّفاق بما فيه من تمام الخشونة و القسوة على أهل بيت الوحي المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين.

و لكن ظهر هذا الباطن من رأسهم عمر بن الخطّاب عند احتضار رسول‌الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ إذ نسبه ﴿صلى الله عليه و آله﴾ إلى الهذيان بقوله: «إن هذا الرّجل ليهجر» ثمّ ظهر منه و من أذنابه تمام الظّهور عند وفاة رسول‌الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾:

و قولها سلام‌الله عليها: «و سَمَلَ جِلْبابُ الدّينِ»:

سَمَلَ الثَّوْبُ: صار خُلُقاً. و الجِلْباب: المِلْحَفَة. و قيل: ثوب واسع للمرأة غير الملحفة، يغطي البدن، و قيل: إزار وردآء. و قيل: كالمقنعة تغطى به المرأة رأسها و صدرها و ظهرها. و قيل: مطلق اللباس الشّامل للإزار و المقنعة الّتي تستتر بها المرأة أو الرّجل.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «سترني عنكم جِلْبابُ الدّين» الخطبة: ٤).

و المراد من قولها ﴿عليها السلام﴾: «و سمل جلباب الدّين» أنّه أصبح جلباب الدّين الإسلامي من لباسه بالياً. و بعبارة اخرى: أصبحت ثياب الدّين كالأسمال البالية و الثّياب الممزّقة

بسبب ظهور نفاق هؤلآء المنافقين عند وفاة رسول الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ و قد أشار إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ إلى هذا المعنى بقوله:

في نهج البلاغة: «حتّى إذا قبض الله رسوله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ رجع قوم على الأعقاب، و غالتهم السّبل، و اتّكلوا على الولائج، و وصلوا غير الرّحم، و هجروا السّبب الّذي أُمروا بمودّته، و نقلوا البناء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كلّ خطيئة، و أبواب كلّ ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، و ذهلوا في السّكرة على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدّنيا راكن أو مفارق للدّين مباين» الخطبة: ١٥٠).

و قولها عليها السّلام: «و نطق كاظم الغاوين»

كظم الغيظ: أمسك ما في نفسه على صفح أو غيظ أو خوف. الكظوم: السّكوت. الكاظم: السّاكت الضّالّ الجاهل. و المراد هنا: السّاكت من جهة الخوف عن عقاب رسول الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ المبطن لعداوته. و الكاظم غيظه من جهة مهابته.

الغاوون: الضّالّون المنهمكون في الجهل و الباطل، و فسّروا بقوم وصفوا عدلاً يعني حلالاً و حراماً بألسنتهم، ثمّ خالفوه إلى غيره.

و المراد من الفقرة: حتّى نطق عند وفاة رسول الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ كلّ من كان يكظم غيظه، و هو كلّ من كان غاوياً و منافقاً و خارجاً عن منهج رسول الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ إلاّ أنّه كان يخاف إظهار واقع نفسه، و إبراز ما في قلبه من شدّة الكفر و النّفاق، و من القسوة و العداوة على أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لسلطة رسول الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ و عظمته، فلمّا سمل جلباب الدّين أظهر هؤلآء المنافقون ما في ضمآئرهم من الحقد و الضّغن و العداوة و شدّة الكفر و النّفاق...

و قولها صلوات الله عليها: «و نَبَغَ خامِلُ الأقلّين»:

نبغ الشّيء: ظهر بعد خفائه. و نبغ: ظهر مَن خفي صوته. و نبغ فيهم النّفاق: إذا ظهر ما كانوا يخفونه من النّفاق و اشتهروا به. و منه ابن النّابغة لعمر بن العاص لظهورها في الزّنا و شهرتها.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الامام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «و أقْرِبْ بقوم من الجهل

بالله قآئدهم معاوية، و مؤدّبهم ابن النّابغة» الخطبة: ١٧٩).

الخامل: مَن خفي ذكره و صوته، و كان ساقطاً لا نباهة له، مأخوذ من خمل المنزل خمولاً: إذا عفى و درس.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «فالهدى خامل، و العمى شامل...» الخطبة: ٢).

و اذكروا الله خاملاً: منخفضاً توقيراً لجلاله.

و الأقلّين: الأذلّون، الأرذلون من القوم، و السّاقطون من النّاس الّذين ليس لهم شرف و لا كرامة.

و معنى الفقرة: و حتّى ظهر من خفي صوته في زمن رسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ و هو في قلّة عدد في قومه، و ضعيف في قدرته، و هو ليس له ظهور و لا قيمة، منهار لا يحسب له حساب، فظهر عند وفاته﴿صلى الله عليه و آله﴾ و فعل ما لا يخطر ببال أحد، كما أشار الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ في كتابه إلى مالك الأشتر النخعيّ رضوان الله تعالى عليه:

في نهج البلاغة: «فلمّا مضى﴿صلى الله عليه و آله﴾ تنازع المسلمون الأمر من بعده، فو الله ما كان يُلقى في رَوْعي و لا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده﴿صلى الله عليه و آله﴾ عن أهل بيته، و لا أنّهم منحّوه عنّي من بعده...» رقم الكتاب: ٦٢).

و قولها عليها سلام الله: «و هدر فنيق المبطلين»:

هدر البعير، ردّد صوته في حنجرته، و هدر الحمام: سجع. و الفنيق: الفحل المكرّم من الإبل الّذي لا يركب و لا يهان لكرامته على أهله. و منه تفنّق الرّجل: تنعّم.

و معنى الفقرة: أنّه لمّا مات رسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ أخذ أهل الباطل و النّفاق يردّدون الباطل كما يردد البعير في صوته، فأظهروا حقدهم و نفاقهم، و نطقوا بالباطل الّذي كانوا ساكتين له من مهابة رسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ و قدرته، و قد أشار الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾ إلى ذلك بقوله:

في نهج البلاغة: «قد خاضوا بحار الفتن، و أخذوا بالبدع دون السّنن، و أرز المؤمنون و نطق الضّالون المكذّبون...» الخطبة: ١٥٣).

و قولها عليها صلوات الله: «فخطر في عرصاتكم»:

خطر البعير بذَنَبِه: إذا حرّكه و رفعه مرّة بعد مرّة و ضرب به فخذيه. و منه قول الحجّاج لمّا نصب المنجنيق على الكعبة: «خطّاره كالجمل الفنيق» شبّه رميها بخطران الفنيق، و خطران الرّجل: اهتزازه في المشي و تبختره. و فلان يخطر في مشيته: يتمايل و يمشي مشية المتعجّب بنفسه.

و العرصة: كلّ بقعة بين الدّور، واسعة ليس فيها شيءٌ من بناء و غيره، و جمعها عرصات.

و معنى الفقرة: أنّ الشّيطان تردّد و سار سير المتبختر الّذي يختال في مشيه في عرصاتكم يا معاشر المهاجرين و الأنصار... و هو كناية عن تمركز أغراض الشّيطان في نفوسهم و استحكامه في قلوبهم...

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «عُصِيَ الرّحمن، و نُصِرَ الشّيطان، و خُذِلَ الايمان، فانهارت دعائمه، و تنكّرت معالمه، و درست سبله، و عَفَتْ شُرُكُهُ، أطاعوا الشّيطان فسلكوا مسالكه، و وردوا مناهله، بهم سارت أعلامه، و قام لوآؤه...» الخطبة: ۲).

و قولها «عليها السلام»: «و أطلع الشّيطان رأسه من مغرزه»:

مَغرِز الرّأس: ما يختفي فيه، من غرزت الشّيء بالإبرة: أدخلتها فيه.

و المراد من الفقرة: أن الشّيطان قد ظهر من مكان اختفائه الّذي كان مختفياً فيه، خوفاً من الحقّ، و ذلك حينما مالت النّفوس عن الحقّ إلى الباطل، فظهر الشّيطان على صورة الإنسان، و أظهر مقاصده، فبايع أبابكر على منبر رسول الله «صلى الله عليه و آله» يوم وفاته.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» فيهم: «اتّخذوا الشّيطان لأمرهم ملاكاً، و اتّخذهم له أشراكاً، فباض و فرّخ في صدورهم، و دبّ و درج في حجورهم، فنظر بأعينهم و نطق بألسنتهم، فركب بهم الزّلل، و زيّن لهم الخطل، فعل من قد شَرِكه الشّيطان في سلطانه، و نطق بالباطل على لسانه» الخطبة: ۷).

و قولها سلام الله عليها: «هاتفاً بكم»:

الهاتف: الصّائح، من الهِتاف: الصّياح من هتف به: صاح به و دعاه، و هتَفت الحمامة: صوّتت، و هتف به هاتف: سمع صوته و لم يرشخصه.

و في حديث حنين: «اهتف بالأبصار»: نادهم و ادعهم. و في حديث بدر: «فجعل يهتف بربّه»: جعل يدعوه و يناشده.

و المعنى: حالكون الشّيطان منادياً إيّاكم بأعلى صوته في مسجد النّبيّ﴿ﷺ﴾ و يدعوكم إلى البيعة لأبي‌بكر بن أبي قحافة.

و قولها صلوات‌الله عليها: «فألفاكم لدعوته مستجيبين»:

فوجدكم الشيطان معاشر المهاجرين و الأنصار لدعوته مستجيبين و منه قوله تعالى: «ألفوا آباءهم ضالّين» الصّافّات: ٦٩) فوجدهم الشّيطان مطيعين لأمره، ممتثلين لغرضه، و كيف لا يهتف بهم الشّيطان و لا يناديهم بصوت عالٍ و لا يدعوهم إلى البيعة لأبي‌بكر بن أبي قحافة في مسجد النّبيّ﴿ﷺ﴾ و قد استجابت نفوسهم له و تحرّكت نحوه حينما أعرضوا عن الحقّ من خلافة أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿ع﴾ يوم الغدير، بعد أن عقدوها و بايعوا غيره يومئذ على غير هدى و لا سبيل واضح، و طريق مستقيم، و أظهروها في السّقيفة السّخيفة الشّؤمة في أوّل يوم وفاة رسول‌الله﴿ﷺ﴾.

فلمّا وجدهم الشّيطان في إعراضهم عن الحقّ، و انهماكهم في الباطل مستعدّين لندآئه دعاهم لأمره فاستجابوا له.

و في نهج البلاغة: قال يعسوب الدين الإمام عليّ﴿ع﴾: «اتّخذهم إبليس مطايا ضلال، وجنداً بهم يصول على النّاس، و تراجمة ينطق على ألسنتهم، استراقاً لعقولكم و دخولاً في عيونكم، و نَفْثاً في أسماعكم، فجعلكم مرمى نبله، و موطئ قدمه و مأخذ يده...» الخطبة القاصعة: ٢٣٤).

و قولها عليها السّلام: «و للغرّة فيه ملاحظين»:

الغِرّة: الاغترار و الانخداع و الغفلة من الغرور، و رجل مغرور: غير مجرّب، تغافل عن الدّنيا و دنائتها و تقلّباتها على أهلها، و غرّه فلان: أوقعه في غفلة، فهو مغرور، و اغترّ بشيء: خُدِعَ به، واغترّه: أتاه على غفلة.

في نهج البلاغة: ـ من أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ إلى زياد بن أبيه و قد بلغه ﴿عليه السلام﴾ أنّ معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه ـ: «و قد عرفتُ أنّ معاوية كتب إليك يستزلّ لبّك، و يستفلّ غَرْبَك، فاحذره فإنّما هو الشّيطان، يأتي المرءَ من بين يديه و من خلفه، و عن يمينه و عن شماله، ليقتحم غفلته، و يستلب غِرَّتَهُ...» رقم الكتاب: ٤٤).

الغرور: الشّيطان لأنّه يغرّ الإنسان في الغفلة، و منه قوله سبحانه: «و لا يغرّنّكم بالله الغرور» لقمان: ٣٣).

و كلّ ما يوجب الغفلة للإنسان عن الله تعالى و عن سبيله و عن الحقّ و أهله فهو غرور و لو كان هو العلم و العبادة، و الأولاد و متاع الدّنيا و نعمها و الجاه و المقام و الرّئاسة و ما إليها... و ملاحظة الشّيْ: مراعاته، من اللّحْظ و اللّحاظ ـ إسماً ـ للنّظر بمؤخّر العين ممّا يلي الصّدغ عن يمين و شمال، و هو التفاتاً، و يكون عند تعلّق القلب بشيْ. و اللِحاظ ـ مصدر ـ لاحظ: نظر إليه بمؤخّر عينه. ملاحظين: ناظرين و راعين. و الضمير في «فيه» راجع إلى الشّيطان.

و معنى الفقرة: أنّ الشّيطان لمّا وجدكم معاشر الأنصار و المهاجرين، ملاحظين لامور الدّنيا من السّلطة و الملك و حبّ الرّئاسة و الأمارة على المسلمين دعاكم لأمره من خلع وصيّ رسول‌الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و غصب الخلافة، و ترك منهج الحقّ وراء ظهوركم لسرعة قبولكم للانخداع إليه كالّذي كان مطمح نظره أن يغترّ بأباطيله...

و قولها سلام‌الله عليها: «ثمّ استنهضكم فوجدكم خِفافاً»:

النّهوض: القيام، نهض لكذا و إلى كذا: قام إليه أو به، و نهض من مكانه: ارتفع عنه، و نهض إلى العدوّ: أسرع إليه، و نهض إلى فلان: تحرّك إليه بالقيام، استنهضه للأمر: أمره بالقيام إليه. الاستنهاض: طلب النهوض.

الخِفاف ـ جمع خفيف ـ: خلاف الثّقيل.

و معنى الفقرة: ثمّ طلب الشّيطان نهوضكم و قيامَكم لأمره، و مساعدتكم لأغراضه، فوجدكم خِفافاً مسرعين إليه بغير تثاقل منكم و لا تأخير.

و إلى هذا المعنى أشار الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾:

في نهج البلاغة: «ألا و إنّ الشّيطان قد جمع حزبه، و استجلب خيله و رَجْلَه، و إنّ معي لبصيرتي، ما لَبّست على نفسي و لا لُبّسَ عَلَيّ» الخطبة: ١٠).

و فيه: «ازدحموا على الحطام، و تشاحُّوا على الحرام، و رُفِعَ لهم عَلَمُ الجنّة و النّار، فصرفوا عن الجنّة وجوههم، و أقبلوا إلى النّار بأعمالهم، و دعاهم ربّهم فنفروا و ولّوا، و دعاهم الشّيطان فاستجابوا و أقبلوا» الخطبة: ١٤٤).

و فيه: «فَهُمْ لُمَّةُ الشّيطان، و حُمَةُ النّيران «اولئك حزب الشّيطان ألا إنّ حزب الشّيطان هم الخاسرون» الخطبة: ١٨٥).

و قولها صلوات الله عليها: «و أحمشكم فألفاكم غِضاباً»:

الإحماش: التهييج و الإغضاب، أحمشه فلان: إذا هيّجه و أغضبه و أحمشه على القتال: حرّضه عليه و أغضبه على أعدآئه، و حمش الشّرّ: اشتدّ، و أحمش النّار: ألهبها، و احتمش فلان: التهب غضباً، و احتمش الدّيكان: اقتتلا، و أحمش القِدْرَ: أشبعت وَقودَها. أحمش فلانٌ، النّاسَ: يسوقهم بغضب.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «أما دين يجمعكم، و لا حميّة تُحمِشكم...» الخطبة: ٣٩).

و معنى الفقرة: أنّ الشّيطان حملكم و هيّجكم على الغضب و العداوة و القتال و العناد و اللجاجة و غصب خلافة أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السلام فوجدكم مغضبين عليهم لغضبه عليهم، فأصبحتم مطيعين له في أيّ حال، و منقادين له في جميع الأحوال... و أنكم لنيلكم بالرّئاسة و الأمارة و الخلافة و عزل صاحب الحقّ عن منصبه لا تبالون عن ارتكاب أيّ جناية و خيانة و مخالفة عن أمر الله تعالى و رسوله «صلى الله عليه وآله» و عن الظّلم و البغي على أهل بيت وحيه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و قولها «عليها السلام»: «فوسمتم غير إبلكم»:

الوسم: اسم الكي، يقال: وسمته: جعلت عليه علامة. و الغالب كونها بالكيّ. و الاسم: السّمة و هي العلامة، و منه المورد لأنّه مَعْلَمٌ يجتمع إليه النّاس للحجّ و العمرة.

و اسم الآلة منه: الميْسِم. قال الله تعالى: «إنّ في ذلك لآيات للمتوسّمين» الحجر: ٧٥) أي متفرّسين.

و معنى الفقرة: فجعلتم معاشر الأنصار و المهاجرين السّمة و العلامة على غير إبلكم السّائرة على طريق الحقّ. و هو كناية عن مشاهدة مَعالم الحقّ في رجال الباطل و الضّلال، و أخذهم ما ليس لهم بحقّ من الخلافة و الإمامة و ميراث النّبوّة.

و قد أشار الإمام أميرالمؤمنين عليّ «عليه السلام» إلى هذا المعنى بقوله:

في نهج البلاغة: «و وصلوا غير الرّحم، و هجروا السّبب الّذي أُمِروا بمودّته، و نقلوا البنآء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه...» الخطبة: ١٥٠).

و قولها سلام الله عليها: «و أوردتم غير شِرْبكم»:

الورود: حضور الماء للشرب، خلاف الصّدور، و الايراد: الإحضار.

و الشِّرْب: هو الحظّ و النّصيب من المآء، و يطلق أيضاً على المشرب، و هو محلّ الشّرب.

و المعنى: أنكم وردتم على مآء فشربتموه و هو غير ما جعله الله تعالى لكم، فإنّه جعل لكم الشّراب لسعادة الدّارين من النّمير الأصفى، و العذب و الفرات الّذي لا خبطة فيه و لا كدر و لا تغيير، و إنّ المآء العفن الآجن الّذي شربتموه غير مآء الإمامة الصّالحة الّتي تأخذبكم إلى المحجّة البيضآء، فصيّرتم الإمامة خلافة دنيويّة، و رئاسة سياسيّة من غير معرفة بشئون الإمامة الإلهيّة الّتي بها تحقيق واقع الإسلام و معارف القرآن الكريم، و إلاّ بقي الإسلام جسداً بلا روح.

و إلى هذا المعنى أشار سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام» بقوله:

في نهج البلاغة: «آثروا عاجلاً و أخّروا آجلاً، و تركوا صافياً و شربوا آجناً» الخطبة: ١٤٤).

و قولها «عليها السلام»: «هذا و العهد قريب»:

«هذا» أي خذوا هذا الّذي ذكرته و ذكّر تكموه، و تدبّروا فيها أو اذكروا ما فعلتموه حالكون عهد النّبيّ الكريم «صلى الله عليه و آله» قريباً. و يسمّى «هذا» في مثل هذا المقام بفصل الخطاب.

و «العهد» بمعنى الوصيّة، و التّقديم لذكر شيْ، و بمعنى اللقآء، و غير ذلك، و يقال: عهدي به قريب اي لقائي إيّاه.

و معنى الفقرة: أنكم معاشر الأنصار و المهاجرين! فعلتم تلك الامور المنكرة، و ارتكبتم تلك الجرآئم و الجناية، و الحال أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» قريب العهد بكم، لم يمض مدّة مديدة بينه و بينكم.

فنكثتم ما كنتم عليه من عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» و غيّرتم ما أبرمه النبيّ الكريم «صلى الله عليه وآله» و العهد به «صلى الله عليه وآله» قريب. و قد أشار أمير المؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» إلى هذا المعنى عند دفن الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها بقوله:

في نهج البلاغة: «و ستنبّئك ابنتك بتضافر اُمّتك على هضمها، فأحْفِها السّؤال، و استخبرها الحال، هذا و لم يطل العهد، و لم يَخْلُ منك الذّكر...» من كلامه «عليه السلام» رقم: ١٩٣).

و قد أشارا عليها السلام بأنّ وصيّته رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانت عهداً و عقداً لا يحلّ لأحد من المسلمين حلّه، فقد عبرا سلام الله عليها عن خلافة أمير المؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» بأفضل تعبير و هو: أنّها ما كانت مجرّد وصية، و إنّما كانت عقداً و معاهدة و إبراماً، و كلّ إبرام مع الأنبياء عليهم السلام لا يجوز لأحد حلّه و تغييره بحسب المطامع النّفسانيّة، و المصالح الدّنيوية و الأغراض الشّخصية...

فهما صلوات الله عليها قد حذّرا المسلمين خطراً عظيماً يهدّد أساس الإسلام، و يواجه الحاضر منهم، و الغائب، و الأجيال على طول التأريخ البشريّ، لأنّه إذا كان العهد برسول الله «صلى الله عليه وآله» قريباً و قد حصلت هذه الرّدة عن الحق و الهدى، و انطمست معالم الدّين و الفلاح، و ظهرت رايات الرّدة و الضّلالة، فكيف سيصبح حال الإسلام و المسلمين إذا بَعُدَ العهد برسول الله «صلى الله عليه وآله» في حين أنّكم حملة الأمانة و الرّسالة إلى الأمم كلّها حاضرها و مستقبلها.

و قولها «عليها السلام»: «و الكلْم رحيب»:

الكَلْم: الجرح من قولهم: كلمته: جرحته. و رجل كليم: مجروح.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «فصيّرها (الخلافة) في حوزة خشنآء، يغلظ كَلْمها و يخشن مسّها...» الخطبة: ٣).

و من هذه المادّة: الكَلِمَة و الكَلام باعتبار التّأثير في المخاطب و غيره كما قيل:

جراحات السّنان لها التئام و لا يلتام ما جرح اللسان

الرّحيب: الواسع و الوسيع.

في نهج البلاغة: ـ من كتاب أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» إلى بعض عماله ـ: «فَحَمَلْتَه إلى الحجاز رحيبَ الصّدر بحمله، غير متأثّم من أخذه» رقم الكتاب: ٤١).

رحب المكان: اتّسع. و رجل رحب الدّارين: واسع القوّة و القدرة و البطش عند الحوادث و الشّدآئد. رحب الرّاحة: كثير العطآء.

و المقصود من الفقرة: أنّ ما حصل من الجرح الواسع بوفاة رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» لم يلتئم بعد، و قد عقدتم و أحكمتم أمر الباطل و الضّلالة و الفساد و الغواية، و البغي و الجناية... و أنّ الجرح بموت النّبيّ الكريم «صلى الله عليه وآله» واسع عظيم على الأمّة الإسلاميّة، و هذا الجرح شامل للأمّة جميعاً: صغيرها و كبيرها، عالمها و جاهلها، رجلها و امرأتها، و حرّها و عبدها... و أنّ هذا المصاب الجلل، و الخطب الجسيم، و الثّلمة الخطيرة الّتي لا يسدّها شيئ، و إن شملت الأجيال كلّها، و لكن يجب أن يكون بالنسبة إليكم أعظم، و لكنّكم لا تبالون فأنّى تؤفكون؟

و قولها صلوات‌الله عليها: «و الجُرْح لمّا يندمل»:

الجُرْحُ ـ اسم ـ: الجِراحة. و الاندمال: انفعال من قولك: دملت بين القوم: أصلحتهم. و اندمل الجُرْح: إلتأم و صلح.

و مقصود الفقرة: أنّكم معاشر الأنصار و المهاجرين قد اختلفتم، حالكون جرح وفاة رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» لم يبرأ و لم يلتئم بعد، و ثلمته لم تصلح أي لم يمض زمان يوجب سكون فورته و كسر مورته، و الصّدع باقٍ، و قد نقضتم عهد الله تعالى في خليفة رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» الّذي نصبه يوم الغدير بأمر الله جلّ وعلا و أكمل به دينكم، و أتمّ به نعمته عليكم، و رضي به لكم الإسلام ديناً، و ألزم به الأمّة الإسلاميّة إذ خاطب رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» لأمّته قائلاً: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: اللهمّ بلى! فقال: «اللهمّ من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله!».

و قولها «عليها»: «و الرّسول لمّا يُقبر»:

أي و رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» لم يُدفَن بعد. من قبرتُ الميّت: دفنته. أي غصبتم الخلافة عن الإمام أميرالمؤمنين «عليه السلام» و ارتددتم على أدباركم قبل أن يقبر رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» و يُدفن.

و **مقصود الفقرة:** أنّ هذا النّقض للعهد الّذي ارتكبتموه و الانتكاص على الأعقاب قد كان منكم في حين أنّ رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» بعد لم يُدفن، فنكثتم قبل أن يغسل النّبيّ «صلى الله عليه وآله» و قبل أن يدرج في أكفانه، فلو كنتم على حقّ و يقين و ثبات على دين لما استعجلتم هذا الاستعجال، و لما عدوتم هذا العدوّ على الخلافة و طلب الرّئاسة، و لما نازعتم أميرالمؤمنين عليّاً «عليه السلام» و الأنصار هذا الأمر، فإنّ المسلم إذا سار بهدى العقل و الإسلام لا تأخذه مطالع الزّعامة و الجاه و الرّئاسة، و لكن قد كشفت أعمالكم هذه عن سوء سريرتكم و قبح نيّاتكم، و خبث باطنكم و تصميمكم على الشّرور.

و قولها سلام‌الله عليها: «ابتداراً زعمتم خوف الفتنة».

فعلتم ما فعلتم من تلك الجنايات و هتك الحرمات، و ارتكبتم من تلك الجرآئم و السّيّئات من جهة الابتدار إلى هوى أنفسكم و حبّ رياستكم و أمارتكم على المسلمين و مخالفتكم عن الشّريعة و ايقاع الفتنة بين الاُمّة المسلمة، و التّفرقة بينهم لنيلكم بالخلافة أخذاً بشعار الطّواغيت: «فرّق تسد» و إظهاركم النّفاق و اللجاجة، و العناد و العداوة لأهل بيت النّبوّة... زعمتم أنّ ذلك كلّه خوف الفتنة أي ادّعيتم ذلك وجهاً للابتدار ما ابتدرتم إليه و أظهرتم للنّاس كذباً و خديعة أنّا إنّما اجتمعنا في السّقيفة دفعاً للفتنة، مع أنّ غرضكم في تأسيسها ايجاد الفتنة و الفرقة بين الاُمّة لغصب الخلافة عن أهلها، فكانت السّقيفة السّخيفة الشّؤمة مبدأ كل فتنة و جناية، و منشأ كلّ خطيئة و خيانة، و رتّبت عليها مفاسد اعتقاديّة و اقتصاديّة، مفاسد دنيويّة و أخرويّة، مفاسد أسرويّة و إجتماعيّة، و مفاسد أخلاقيّة و سياسيّة لا انقراض لها إلى أبد الدّهر.

فكلّ ما جرى منكم كان مسارعة للفتن و انقياداً للشّهوات و حبّ الرّئاسة و السّيطرة، و الأمارة على المسلمين... و إن اعتذرتم عن أقدامكم هذا و مسارعتكم لحبّ زخارف الدّنيا بأنّكم كنتم تخافون وقوع الفتنة في أمّة رسول‌الله «صلى الله عليه وآله» فإنّ هذا هو عين الوقوع في

الفتن، و السّقوط فيها، و ليس دفعاً للفتن و إخمادها، فإنّه كان إغلالاً لباب العدل، و سدّاً لباب الإنصاف و المروّة لما فيه من تقديم رأيكم الباطل الفاسد على حكم الله جلّ وعلا و رسوله «صلّی الله علیه و آله» الحقّ: «و لو اتّبع الحقّ أهوآءهم لفسدت السّموات و الأرض و من فيهنّ» المؤمنون: ٧١).

و لو أنّكم كنتم مؤمنين حقّاً لأطعتم الله تعالى و رسوله «صلّی الله علیه و آله» و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الّذين أمركم الله بإطاعتهم، و لما اختلفتم مع الأنصار، فإنّكم بعملكم هذا غرزتم الخلاف الّذي لا مفرّ منه على طول الزّمن، و شرعتم من أنفسكم في الدّين أحكاماً و جعلتم الخلافة بالمسارعة و المعالجة و الابتدار، و الخلافة حقّاً لبعض النّاس و فئة خاصّة على حسب شهواتكم و أهوائكم الواهية و أغراضكم الفاسدة، فقد جعلتم الحقّ يدور مدار شهواتكم و أهوآءكم و أغراضكم...

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «اللّهمّ إنّي أستعديك على قريش و من أعانهم، فإنّهم قد قطعوا رحمي و أكفؤا إنآئي، و أجمعوا على منازعتي حقّاً لكنت أولى به من غيري، و قالوا: ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه، و في الحقّ أن تمنعه، فاصبر مغموماً أو متّ متأسّفاً...» من كلامه «عليه السلام» رقم: ٢٠٨).

و ابتعدتم عن غرض الله تعالى و رسوله «صلّی الله علیه و آله» فوقعتم في الفتن لما تخطيتم نظام الله عزّوجلّ في خلقه و أحكامه في بريّته بترككم لخليفته الّذي عيّنه الله تعالى لكم، و زعمتم أنّكم الحقّ، و التبستم الحقّ بالباطل و كتمتم الحقّ و أنتم تعلمون.

و فيه: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ «عليه السلام»: «إنّما بدء وقوع الفتن أهوآء تتّبع، و أحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، و يتولّى عليها رجال رجالاً على غير دين الله، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين، و لو أنّ الحقّ خلص من لَبْس الباطل انقطعت عنه ألسُنُ المعاندين، و لكن يؤخذ من هذا ضِغث، و من هذا ضِغث فيمزجان فهنا لك يستولي الشّيطان على أوليآئه، و ينجو الّذين سبقت لهم من الله الحسنى» الخطبة: ٥٠) و قد أخبر رسول الله «صلّی الله علیه و آله» بهذه الفتنة لبعد وفاته كما:

في نهج البلاغة: ـ من كلام أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» حين خاطب به أهل

البصرة على جهة اقتصاص الملاحم ـ: «... و قام إليه ﴿عليه السلام﴾ رجل، و قال: أخبرنا عن الفتنة، و هل سئلتَ عنها رسول‌الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾؟ فقال ﴿عليه السلام﴾: لمّا أنزل الله سبحانه قوله: «الٓمّٓ أحسب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا و هم لا يفتنون» علمتُ أنّ الفتنة لا تنزل بنا و رسول‌الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بين أظهرنا، فقلت:

يا رسول‌الله ما هذه الفتنة الّتي أخبرك الله بها؟ فقال: «يا عليّ إنّ امّتي سيفتنون من بعدي...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم: ١٥٥).

أجل! كم من كلمة حقّ يراد بها باطل، و كم من كبرى عدل و صلاح طبقتها أيادي البغي و الجناية، و الظّلم و الخيانة، فأصبحت تروى أحاديث الضّلال، و قد أشارت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها إلى خطر الباطل إذا مزج بالحقّ، و خطر النّفاق إذا جلى بصورة الإخلاص، و خطر الفاسد إذا تلبّس بلباس الصّالح، فقد يصل أمره إلى مرحلة يخاف فيها فرعون من أن يبطل موسى ﴿عليه السلام﴾ معالم الدّين و الحقّ على النّاس: «و قال فرعون ذروني أقتل موسى و ليدع ربّه إنّي أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد» غافر: ٢٦).

فالحكم بالجور بنفسه أخفّ خطراً من جور أمات سنّة النّبيّين باسم رب العالمين. ثمّ قرأت ﴿عليها السلام﴾ قوله تعالى: «ألا في الفتنة سقطوا و إنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين» التّوبة: ٤٩).

ألا يا أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّومة مركز الفتنة و الخطيئة و أذنابها إلى يوم القيامة إنّكم في الفتنة سقطتم لترككم كتاب الله جلّ وعلا ورآء ظهوركم، و هتككم لحرمات أهل بيت الوحي المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين، فضللتم و أضللتم، و غويتم وأغويتم، و فسدتم و أفسدتم... و إنّ جهنّم لمحيطة بكم لمخالفتكم عن أمر الله تعالى و رسوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و بدعتكم في دينه.

و قولها صلوات‌الله عليها: «فهيهات منكم! و كيف بكم! و أنّى تؤفكون؟»:

«هيهات» إسم فعل، بمعنى بَعُدَ، و فيه مع التبعيد معنى التّعجّب.

في نهج البلاغة: ـ و من كتاب أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ إلى معاوية بن أبي‌سفيان ـ: «... و ما للطّلقآء و أبنآء الطّلقآء، و التّمييز بين المهاجرين الأوّلين و ترتيب

درجاتهم و تعريف طبقاتهم، هيهات! لقد حَنَّ قِدْحٌ ليس منها، و طفق يحكم فيها مَن عليه الحكم لها...» رقم الكتاب: ٢٨).

و منه قوله تعالى: «هيهات هيهات لما توعدون» المؤمنون: ٣٦).

فالمعنى: بعدت هذه الأُمور منكم معاشر الأنصار و المهاجرين، فما كان ينبغي أن تصدر هي منكم مع أنّ كتاب الله عزّوجلّ بين أظهركم.

و «كيف» و «أنّى» تستعملان أيضاً في التّعجّب، و كيف بكم أي أيّ حال بكم؟ أو كيف تناسبكم هذه الأمور؟ و كيف تليق بكم؟ «و أنّىٰ تؤفكون»: إلى أين تصرفون؟ إلى أين تعرفون؟ و إلى أين تصرفكم أنفسكم بأهوآئها الباطلة مع أنّ كتاب الله تعالى بينكم؟ و فيه تبيان كلّ شيءٍ و هو هدىً للمتّقين.

فمعنى الفقرات الثّلاث: أنّكم بعدتم عن الحقّ و الهدى، و عن الخير و الصّلاح، و عن واقع كلمة «لا إله إلاّ الله» و «محمّد رسول الله» فضلاً عن «عليّ وليّ الله».

و قد أرادت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها من كلمة «كيف» التّعجّب ممّا ارتكبوه، و استغراباً منهم كلّ ذلك مع دعواهم الإسلام و السّير على طبقه، و هم يشاهدون الكتاب و السّنّة، و ما فيها من التّصريح بخلافة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و ولايتهم، و أنّهم هم القآئمون مقام الرّسول «صلى الله عليه و آله» في تشريعه و أحكامه... فالقرآن الكريم دالّ على إثبات الإمامة بعد الرّسالة، و أنّ الرّسالة و الإمامة توأمان يرتضعان من لبن واحد إذ قال الله تعالى: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٦٧).

فمن لوازم الرّسالة و استمرار حياتها هي الإمامة الصّالحة، و إلاّ تذهب متاعب الرّسالة إدراج الرّياح، إذا وقعت بأيدي الفجّار الطّامعين، و الفسّاق الجاهلين، و البغاة الظّالمين... فإلى أين قد أخذ بكم الشّيطان؟!

و في ذلك توبيخ لهم على عدم تدبّرهم الآيات القرآنيّة و البراهين القاطعة على أنّ في عترة رسول الله «صلى الله عليه و آله» الوراثة و الخلافة، و أنّ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» هو المقدّم على غيرهم جميعاً في أمر الإمامة و الخلافة و الولاية.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾: «و لهم خصائص حقّ الولاية و فيهم الوصيّة و الوراثة» الخطبة الثّانية.

و فيه: قال مولى الموحّدين يعسوب الدّين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾: «فأين تذهبون؟ و أنّى تؤفكون؟ و الأعلام قائمة! و الآيات واضحة! و المنار منصوبة! فأين يُتاه بكم؟ بل كيف تعمهون و بينكم عترة نبيّكم؟! و هم أزمّة الحقّ و أعلام الدّين، و ألسنة الصّدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش...» الخطبة: ٨٦).

و قولها﴿ﷺ﴾: «و كتاب الله بين أظهركم»:

يقال: فلان بين أظهر القوم و بين ظهرانيهم: مقيم بينهم، محفوف من جانبه أو من جوانبه بهم...

و معنى الفقرة: حالكون كتاب الله و هو القرآن الكريم و آياته الواضحة، و براهينه القاطعة، و حججه الظّاهرة، و دلآئله السّاطعة، و ما فيه من الوعد و الوعيد، و البشارة و الإنذار بينكم ناطق لا يَعْيىٰ لسانه...

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾: «و كتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيىٰ لسانه، و بيت لا تُهْدَم أركانه، و عِزّ لا تُهزَم أعوانه...» الخطبة: ١٣٣).

و أنتم تدّعون العمل به في أقوالكم و أفعالكم، فكيف تجعلون هذا الكتاب ورآء ظهوركم و تتركون العمل به، فيصبح القرآن الكريم نسياً منسيّاً كأنّه ما جآء و لم يبشر به رسول الله﴿ﷺ﴾؟

و قد أرادت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها بكلامها هذا: أنّهم جعلوا القرآن الكريم و رآء ظهورهم... كقوله تعالى: «فنبذوه ورآء ظهورهم و اشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون لا تحسبنّ الّذين يفرحون بما أتوا و يحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب و لهم عذاب أليم» آل عمران: ١٨٧ ـ ١٨٨).

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾: «بما خلّفتم الحقّ ورآء ظهوركم، و قطعتم الأدنى، و وصلتم الأبعد!» الخطبة: ١٦٥).

و قولها سلام الله عليها: «أموره ظاهرة»:

الأمور: جمع الأمر بمعنى الشّأن، و الحال و نحوهما ظاهرة لا خفآء عليها لمن تدبّرها حقّ تدبّر.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، و سراجاً لا يخبو توقّده، و بحراً لا يُدرك قعره، و منهاجاً لا يُضلّ نهجه، و شعاعاً لا يظلم ضوؤه، و فرقاناً لا يخمد برهانه، و تبياناً لا تهدم أركانه...» الخطبة: ۱۸۹).

و قولها صلوات الله عليها: «و أحكامُهُ زاهرة»:

الأحكام: جمع الحكم، و هو توجيه الخطاب نحو الغير أو نفس الكلام الموجّه إليه أو المعنى المندج في الخطاب المؤدّى باللفظ و الكتاب.

و الزّاهرة: المتلألئة المشرقة من زهر السّرج و القمر و الوجه ـ مادّياً ـ و زهر القلب و الفكر ـ معنويّاً ـ تلألأ.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «فزهر مصباح الهدى في قلبه» الخطبة: ۸٦).

و معنى الفقرة: و أحكام القرآن الكريم من حلاله و حرامه، من أوامره و نواهيه، من وعده و وعيده، و من تبشيره و إنذاره... ـ كالعلم المرفوع في الشّوارع أو في القبيلة أو كرأس الجبل الشّاهق الّذي ينظر إليه القريب و البعيد ـ متلألئة مشرقة.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «فقبضه ﴿صلى الله عليه و آله﴾ إليه كريماً، و خلّف فيكم ما خلّفت الأنبيآء في أممها، إذا لم يتركوهم هملاً: بغير طريق واضح، و لا عَلَم قائم، كتاب ربّكم: مبيّناً حلاله و حرامه، و فرآئضه و فضآئله، و ناسخه و منسوخه...» الخطبة الاولى.

و قولها عليها سلام الله: «و أعلامه باهرة»:

الأعلام: جمع العَلَم و هو العلامة الّتي يعلم بها الشّئ، و تُنصَب في الشّوارع، و تطلق بهذه المناسبة على الجبل، و على رأس الجبل الشّاهق، و على الرّاية و اللواء و نحوها...

و الباهر: هو الغالب بنوره و ضيآئه.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿؏﴾: «فسبحان الّذي بَهَرَ العُقُولَ عن وصف خلق جلاّه للعيون فأدركته محدوداً مُكَوَّناً...» الخطبة: ١٦٤).

و معنى الفقرة: و أعلام القرآن الكريم بنوره و ضيآئه غالبة على كلّ عَلَمٍ سواها...

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ ﴿؏﴾: «ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراًلا تطفأ مصابيحه ـ فهو معدن الايمان و بحبوحته ـ و منازل لا يضلّ نَهْجَهَا المسافرون و أعلام لا يعمى عنها السّآئرون...» الخطبة: ١٨٩).

و قولها عليها صلوات الله: «و زواجره لآئحة»:

الزواجر: جمع الزّاجر، و المراد بها النّواهي بقرينة ذكر الأوامر بعد ذلك. و اللآئحة: الواضحة. و المعنى: و نواهي القرآن الكريم مبيّنة واضحة لا تخفى على من له الدّراية و طيب الولادة.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿؏﴾: «فالقرآن آمر زاجر، و صامت ناطق، حجّة الله على خلقه، أخذ عليه ميثاقهم و ارتهن عليه أنفسهم أتمّ نوره و أكمل به دينه» الخطبة: ١٨٢).

و قولها ﴿؏﴾: «و أوامره واضحة»:

و فرآئض القرآن الكريم مبيّنة واضحة لاخفآء عليها.

في نهج البلاغة: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ ﴿؏﴾: «...كتاب ربّكم: مبيّناً حلاله و حرامه، و فرآئضه و فضآئله ـ و بين مثبت في الكتاب فرضه...» الخطبة الاولى.

و فيه: ـ من كتاب أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿؏﴾ كتبه لمالك الأشتر النّخعيّ رضوان الله تعالى عليه ـ: «أمره بتقوى الله و ايثار طاعته، و اتّباع ما أمر به في كتابه: من فرآئضه و سننه الّتي لا يسعد أحد إلاّ باتّباعها، و لا يشقى إلاّ مع جحودها و إضاعتها...» رقم الكتاب: ٥٣).

و قولها صلوات الله عليها: «و قد خلّفتموه ورآء ظهوركم»:

تلك الصّفات النّيّرة و النّعوت السّاطعة لهذا القرآن الكريم، و قد تركتموه و نبذتموه ورآء ظهوركم و اشتريتم به ثمناً قليلاً فبئس ما اشتريتموه.

و قولها﴿عليها السلام﴾: «أرغبة عنه تريدون»؟:

الاستفهام توبيخيّ، و الرّغبة عن شئ: الإعراض و الإدبار عنه.

و معنى الفقرة: أنّ الصّديقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها قد أنكرت على أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابها و بخّتهم بقولها﴿عليها السلام﴾: أترغبون عن هذا القرآن الكريم؟! و تعرضون عنه؟ أُفٍّ لكم!

و قولها سلام‌الله عليها: «أم بغيره تحكمون؟».

أو بغير حكم هذا القرآن الكريم و هو حكم الله جلّ وعلا تحكمون طبقاً لأهوآءكم و آرآءكم و شهواتكم... و هذا أيضاً توبيخ أي أيّ هذين الأمرين فعلتم كما فعلتم، فعليكم الذّمّ و التّوبيخ و العقاب فيما فعلتم.

و الفقرة في معنى قوله تعالى: «أفحكم الجاهليّة يبغون و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون» المائدة: ٥٠) و قوله سبحانه: «أفغير الله أبتغي حكماً و هو الّذي أنزل إليكم الكتاب مفصّلاً» الأنعام: ١١٤) و قوله عزّوجلّ: «الّذين يستحبّون الحياة الدّنيا على الآخرة و يصدّون عن سبيل الله و يبغونها عِوَجاً اولئك في ضلال بعيد» إبراهيم: ٣) و قوله جلّ وعلا: «اولئك يُعرضون على ربّهم و يقول الأشهاد هؤلآء الّذين كذبوا على ربّهم ألا لعنة الله على الظّالمين الّذين يصدّون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً و هم بالآخرة هم كافرون» هود: ١٨ ـ ١٩).

و قوله تعالى: «بئس للظّالمين بدلاً» الكهف: ٥٠):

فبئس البدل الّذي اخترتموه و جعلتموه بدلاً عن كتاب الله تعالى من الحكم الباطل المستوجب لدخول النّار، و العذاب الأليم و غضب الملك الجبّار.

و قوله عزّوجلّ: «و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين» آل عمران: ٨٥).

و من ابتغى ديناً ورآء الإسلام و حكماً بغير ما يحكم به القرآن الكريم من الأحكام، فاولئك هم العادون الكافرون الظالمون الفاسقون و لن يقبل ذلك منهم في الآخرة و اولئك هم الخاسرون.

قال الله تعالى: «و من يعص الله و رسوله و يتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها و له عذاب مهين» النّسآء: ١٤).

و قال: «و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ـ و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظّالمون ـ و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون» المائدة: ٤٤ ـ ٤٥ و ٤٧).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «فمن يبتغ غير الإسلام ديناً تتحقّق شِقوته، و تنفصم عروته، و تعظم كبوته، و يكن مآبه إلى الحزن الطّويل و العذاب الوبيل» الخطبة: ١٦٠).

و قولها عليها صلوات الله: «ثُمَّ لَمْ تَلْبَثوا إلاّ رَيْثَ أنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها»:

اللبث من لبث بالمكان: مكث و توقّف. قال الله تعالى: «للبث في بطنه إلى يوم يبعثون» الصّافّات: ١٤٤) أي مكث.

الرّيث: الإبطاء. وراث علينا خبر فلان: إذا أبطأ. و استراث الخبر: استبطأه و الرّيث: هو قدرما.

في نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام»: «لم يعترض دونه رَيْثُ المبطئ، و لا أناة المتلكّئ...» الخطبة: ٩٠).

النِّفْرة ـ بكسر النّون و فتحها ـ: الوحشة و الدّهشة: من نفر الوحش: إذا ذهب و لم يكن منقاداً.

و نفرت الدّابّة: جزعت و تباعدت.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «و دعاهم ربّهم فنفروا و ولّوا، و دعاهم الشّيطان فاستجابوا و أقبلوا» الخطبة: ١٤٤).

و معنى الفقرة: ثمّ إنّكم لم تصبروا إلى ذهاب أثر مصيبة وفاة رسول الله «صلى الله عليه و آله» زمناً قليلاً حتّى اغتصبتم الخلافة، و تقمّصتم بها، فلبستم ثوباً ليس ثوبكم، و هو ثوب لمن له الأهليّة للخلافة و الإمامة و الولاية الإلهيّة على المجتمع البشرى و لستم بأهلها، فلمّا استقرّ أمر الخلافة ـ في أقلّ زمان بخدعة و فلتة ـ و انقاد لكم جملها الصّعب الّذي لا يكاد يسهل

و ينقاد لكم، تعرّضتم عندئذٍ لمثل هذه الفتن سهلت لكم السّلطة الانحراف عن الصّراط المستقيم.

و قولها سلام الله عليها: «وَ يَسْلَسَ قِيادها»:

السَّلِس: السّهولة و اللين في العمل، و السَّلِس: السّهل اللين المنقاد. سَلِسَ: سَهُلَ و لان. و في الحديث: «إنّ الجواد إذا حباك بموعد أعطاكه سلساً بغير مطال».

و بمناسبة السّهولة، استعمل سلس البول في استرساله و عدم استمساكه.

القِياد ـ خلاف الجموح ـ: ما يقاد به الدّابّة من حبل و غيره. يقال: فلان سَلِسُ القياد: ليّن، سهل الانقياد. و قد شبّهت الخلافة المغصوبة الباطلة في صعوبة أمرها بالدّابّة الشّاردة الّتي يصعب قيادها.

و معنى الفقرة: و أنّكم لم تصبروا إلاّ بقدر أن يسهل لكم قياد هذه الفتنة و هي الخلافة المغصوبة المجعولة، و ينقاد لكم جملها الصّعب الّذي لا يكاد يسلس و ينقاد لكم.

و قولها«عليها السلام»: «ثمّ أخذتم تورون وقدتها»:

الايراء ـ مصدر أورى ـ من ورى الزّند: إذا خرجت ناره. و الزّند الوريّ: الّذي تظهر ناره سريعاً.

و يقال: فلان يستورى نار الضّلالة: يستخرجها سريعاً.

قال الله تعالى: «أفرأيتم النّار الّتي تورون» الواقعة: ٧١).

في نهج البلاغة: «حتّى أورى قَبَسَ القابس، و أضآء الطّريق للخابط» الخطبة: ٧١).
أي حتّى أظهر نوراً لطالب الحقّ و الهدى، كأنّه مأخوذ من ورآء أي أتى بشئ من ورآء شئ، كما يقال: توارى القرص أي غاب.

و قدة النّار: وقدها و وقودها: لهبها و لهيبها.

و معنى الفقرة: ثمّ شرعتم تشعلون و تخرجون نار الفتنة الخامدة، و المفسدة الكامنة بعقدكم الخلافة المغصوبة لأبي بكر بن أبي قحافة لا صلاحيّة له لها أصلاً.

و قد صرّح سيد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام» بذلك في قوله:

في نهج البلاغة: «أما و الله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، و إنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ

القطب من الرّحى، ينحدر عنّي السّيل، و لا يرقى إليّ الطّير...» الخطبة الثّالثة.

و قولها سلام‌الله عليها: «و تهيّجون جمرتها»:

التهييج: الإثارة. و الجمرة: النّار المتوقّدة من الحطب، فإذا برد فهو فحم. جمرة النّار: القطعة الملتهبة.

و المعنى: و أنتم تثيرون شرارة هذه الفتنة يوماً فيوماً، و تبعدون أمر الخلافة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين.

و قولها صلوات‌الله عليها: «و تستجيبون لهتاف الشّيطان الغويّ»:

و أنتم معشر الأنصار و المهاجرين من أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابها تستجيبون في كلّ ظرف من الظّروف إلى يوم الوقت المعلوم لدعوة الشّيطان المغويّ لكم إلى ايجاد الفتنة و إخراج نارها و تهييج جمرتها و إثارة شرارتها، حيناً بعد حين، فتستمرّون غصب الخلافة زمناً بعد زمن.

فقد أخبرت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها بقولها هذا عن مستقبل أمر الخلافة و استمرار غصبها.

و قولها «عليها السلام»: «و إطفآء أنوار الدّين الجليّ»:

الإطفآء ـ مصدر أطفأ ـ من طفأت النّار: إسكانها و إخمادها و إسكاتها، و منه: أطفأت الفتنة: أسكنتها و أسكتها على سبيل الاستعارة.

قال الله تعالى: «يريدون ليطفؤا نور الله بأفواهم» الصّفّ: ٨) أي إسكانه و إخماده، و هو تهكّم بهم لإرادتهم إبطال الدّين الإسلاميّ الجليّ، و رجوعهم إلى شركهم السّابق لقوله تعالى: «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» آل عمران: ١٤٤).

فالمعنى: إنّكم باتّباعكم الشّيطان، و استجابتكم لدعوته لكم إلى ايجاد الفتنة و استمرارها، حاولتم إطفآء نورالدّين الإسلاميّ الجليّ.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «حاول القوم إطفآء نور الله من مصباحه، و سدّ فوّاره من ينبوعه...» الخطبة: ١٦٢.

و قولها سلام‌الله عليها: «و إهمال (إخماد خ) (إهماد خ) سنن النّبيّ الصّفيّ»:

إهمال الشّئ: تركه سُدًى، و أهمله: لم يستعمله عمداً أو نسياناً، و أهمل أمره: لم يحكمه. المهمل من الكلام: خلاف المستعمل. و هملت الإبل: تركته سُدًى مسيّبة ليلاً و نهاراً. تهامل في شئ: تكاسل فيه و توانى. الهُمّال: الأرض الّتي لا يعمرها أحد.

إخماد النّار و إهمادها ـ بمعنى ـ: إطفآؤها بالكلّيّة.

و السّنن: جمع السّنّة، و هي الطّريقة، شبّهت بالإبل، فأُسنِد إليها الإهمال، أو شبّهت بالأنوار فأسند إليها الإطفاء.

الصّفا: نقيض الكدر. الصّفوة من كلّ شئ: خالصه. الصّفي الخالص من كل شئ و خياره. الصّافي: النّقيّ. يوم صافٍ: بلاغيم و لا كدر.

و **المعنى**: و حاولتم إهمال سنن النّبيّ الصّفيّ«صلى الله عليه وآله» و إيداع البدع، فجعلتم سنّته مهملة.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «قد خاضعوا بحار الفتن، و أخذوا بالبدع دون السّنن، و أرز المؤمنون و نطق الضّالّون المكذّبون» الخطبة: ۱۵۳).

و فيه: ـ من كتاب أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» كتبه لمالك الأشتر النّخعي رضوان الله تعالى عليه لمّا ولاّه على مصر ـ: «... فإنّ هذا الدّين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يُعمَل فيه بالهوى و تُطلَب به الدّنيا...» رقم الكتاب: ۵۳).

و **قولها صلوات الله عليها**: «تُسِرّون حَسْواً في ارتغاء»:

الإسرار: ضدّ الإعلان من السّرّ، و هو الأمر المخفيّ أو الخفيّ. و المراد به إخفاء الشّئ. الحَسْو: شرب المرق و غيره شيئاً فشيئاً من حسا الطّآئر: شرب قليلاً قليلاً. و من أمثالهم: نوم كحسو الطّير: إذا نام قليلاً يشبه تجرّع الطّير في سرعة انقضآئه أو في كونه قليلاً قليلاً.

الارتغاء: هو شرب الرّغوة و هي زبدة اللبن المشوب بالمآء.

و هذه الجملة: «تسرّون حسواً في ارتغآء» مثل يضرب لمن يظهر أمراً و يريد غيره، و من باب المثال كما قالوا: أن يأخذ الشّخص اللبن، فيظهر أنّه يريد الرّغوة فقط، و لا يريد غيرها فيشربها، و هو ينال من اللبن شيئاً بعد شئ.

و معنى الفقرة: أنّكم تظهرون السّعي للدّين، و أنتم لا تريدون إلاّ الدّنيا و رئاستها.

و قولها عليها السّلام: «و تمشون لأهله و ولده في الخمرة و الضّرّآء»:

الخَمَر: ما يسترك من شَجَر و غيره كأنّه مشتقّ من الخَمْر بمعنى السّتر. يقال: دخل فلان في خمار النّاس: ما يواريه و يستره منهم.

الضَّرآء بتخفيف الرّآء ـ: الاستخفاء، و الشَّجَر الملتفّ في الوادي. يقال لمن ختل صاحبه و خدعه: يدبّ له الضّرّآء و يمشي له الخمر.

الظّاهر: أنّ الضّمير في «أهله و ولده» يعود على الشّيطان.

و معنى الفقرة: أنّكم أصحاب السّقيفة و أذنابها تسرّون أمراً و تخفونه، حالكونكم بكلّ واقعكم تمشون للشّيطان، و أهله و أولاده... و أنّ فعلكم هذا و إن كنتم لا تشعرون أصبحتم توقعون أنفسكم في صعاب الامور و الخسران المبين. و هو كناية عمّن يفعل فعل الشّيطان من النّاس، و يحاول ستره بظاهر دينيّ و من المحتمل أن يكون المراد من الأهل و الولد، أهل بيت الوحي عليهم‌السلام و من سعى سعيهم.

فالمعنى: أنّكم تخفون شيئاً و تظهرون السّير لأهل البيت في سرّآءكم و ضرّآءكم خديعة و كذباً تحميقاً لعوام النّاس منكم، فيزعمون أنّكم تسيرون سير أهل البيت عليهم‌السلام و تحبّونهم و ليس كذلك.

و قولها سلام‌الله‌عليها: «و يصير (يصبر خ) (نصبر خ) منكم على مثل حزّ المدٰى»:

الحزّ: القطع، أو قطع الشّيْ من غير إبانة. يقال: حزَزتُ العودَ: قطعته.

المُدٰى: جمع المدية و هي الشّفرة و السّكّين لأنّه يقطع مدى عمر الإنسان مثلاً. و فيه تقريب المعقول بالمحسوس.

و المعنى: آلامنا الرّوحيّة منكم و صبرنا عليها كمن يصبر على قطع بدنه بالسّكّين.

و قد أشار أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه‌السلام» إلى هذا المعنى بقوله:

في نهج البلاغة: «اللهمّ إنّي أستعديك على قريش و من أعانهم، فإنّهم قد قطعوا رحمي ـ و صبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العَلْقَم، و آلم للقلب من حزّ الشّفار» من كلامه «عليه‌السلام» رقم: ۲۰۸).

و قولها صلوات الله عليها: «وَ وَخزِ السِّنانِ في الحَشا»:

الوَخز: الطَّعن بالرّمح و نحوه لا يكون نافذاً. يقال: وَخَزَه بالخنجر: طعنه بنحو لا ينفذ.

السِّنان: الحديدة الحادّة في رأس الرّمح.

الحِشا: المعاء، و ما اضطمّت عليه الضّلوع. و حشوت الوسادة بالقطن: إذا دخلت الحشو فيها.

و المعنى: أنّا نصبر على حالة هي من أجل ظلمكم علينا أهل بيت الوحي المعصومين مثل حالة من يقع وخز السّنان منه في الحشا.

و هذا إشارة إلى شدّة الآلام الّتي أصبحت تتراكم على أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لما يشاهدون من تعريض جهود رسول الله «ﷺ» إلى الخطر باسم الله سبحانه و إسم الدّين.

و إلى هذا المعنى قد أشار مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «ﷺ» بقوله:

في نهج البلاغة: «فرأيت أنّ الصّبر على هاتا أحجى، فصبرت و في العين قذًى، و في الحلق شجاً، أرى تراثي نهباً...» الخطبة الثّالثة.

و قولها سلام الله عليها: «و أنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا»!

الإرث: استحقاق مال الميّت بموته على النّحو المقرّر في الشّريعة الإلهيّة.

الوارث: يطلق على مَن له الإرث، جمعه: الورثة.

الميراث و التّراث: يطلقان على ما يخلفه الميّت لورثته.

المورّث: هو الميّت.

الموروث: هو المال.

و قد توجّهت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء الرّاضية المرضيّة سلام الله عليها في خطابها إلى أبي بكر بن أبي قحافة و أذنابه من أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّومة و مردتها فقالت: أنتم الآن يا أصحاب السّقيفة و مردتها من المهاجرين و الأنصار أتزعمون أن لا إرث لنا أهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين؟!

ثمّ قرأت قول الله عزّوجل:

«أفحكم الجاهليّة يبغون و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون» المائدة: ٥٠).

فليس هذا الحكم منكم إلاّ الرّجوع إلى أحكام الجاهليّة، فإنّ حكمكم هذا لا يرجع إلى شريعة من الشّرائع السّماوية لأنّ كلّ مال لا بدّ بعد وفاة صاحبه أن يرجع إلى وارثه، فمن أحسن من الله تعالى حكماً لقوم يؤمنون بالله عزّوجلّ، و يوقنون بيوم البعث و الحساب و الجزآء، و يعملون بما شرعه الله جلّ وعلا لهم على لسان نبيّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾.

و قولها صلوات الله عليها: «أفلا تعلمون؟ بلى تجلّى لكم كالشّمس الضّاحية أنّي ابنته»:

الضّاحية: الظّاهرة البيّنة، يقال: فعلت ذلك الأمر ضاحية أي بيّنة علانية. و الشّمس الضّاحية: الواضحة في ضحو النّهار، و ضحوة النّهار بعد طلوع الشّمس، ثمّ بعده الضّحى، و هي حين تشرق الشّمس، ثمّ الضّحآء: و هو عند ارتفاع النّهار الأعلى.

و ضحى الطّريق: إذا ظهر، و ضحيت للشّمس ضَحآء: إذا برزت للشّمس، و منه قوله تعالى: «و الشّمس و ضحاها» الشّمس: ١).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «فلربّما ترى الضّاحي من حرّ الشّمس فتظلّه...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم: ٢١٤).

«أفلا تعلمون» إنكار من الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها على أصحاب السّقيفة و مردتها، و توبيخ لهم.

و المعنى: أفلا تعلمون أنّ فدكاً كانت إرثاً من رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ لي، فهي ميراث ورثته ﴿صلى الله عليه وآله﴾، و قد تجلّى و وضح لكم ذلك كالشّمس حينما تكون في وقت الضّحى، قد تجلّى بها كلّ شيء و انعدم بها كلّ ظلام، كما أنّكم تعلمون جميعاً أنّي ابنته ﴿صلى الله عليه وآله﴾ مثل ما ترون الشّمس الضّاحية.

و لعلّ التّرقّي بملاحظة أنّكم تعلمون أنّ فدكاً كانت إرثاً لي من رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ علم اليقين، تعلمون أنّي ابنته ﴿صلى الله عليه وآله﴾ عين اليقين، فهو ترقّ من علم اليقين في أمر فدك إلى عين اليقين في كونها سلام الله عليها ابنة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾، و عين اليقين هو أعلى من علم اليقين.

و في البحار: قال العلاّمة المجلسي رضوان الله تعالى عليه: «و اعلم: أنّه قد وردت

الرّوايات المتضافرة ـ كما ستعرف ـ في أنّها «عليها السلام» ادّعت أنّ فدكاً كانت نحلة لها من رسول‌الله «صلّى الله عليه و آله» فلعلّ عدم تعرّضها صلوات‌الله عليها في هذه الخطبة لتلك الدّعوى ليأسها عن قبولهم إيّاها، إذ كانت الخطبة بعد ما ردّ أبوبكر شهادة أميرالمؤمنين عليه السلام، و من شهد معه، و قد كانت (كان خ) المنافقون الحاضرون معتقدين لصدقه، فتمسّكت بحديث الميراث لكونه من ضروريات الدّين» انتهى كلامه. و قال بعض المحقّقين: و لكون مسئلة الميراث من المسلّمات في شرآئع الأوّلين و الآخرين، بل بين أهل كلّ مذهب و دين و لو من غير المليّين.

الفصل العاشر: في استدلال الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها على إثبات الإرث و فدك لها بالآيات القرآنيّة: فقالت «عليها السلام»:

«أيّها المسلمون! أأُغلَبُ على إرثي (إرثه خ) و (إرثِيَهْ خ)؟!

يابن أبي قحافة! أ في كتاب الله أن ترث أباك، و لا أرِثُ أبي؟

«لقد جئت شيئاً فريّاً».

أفعلى عمد تركتم كتاب الله، و نبذتموه ورآء ظهوركم؟ إذ يقول: «و ورث سليمان داوود» و قال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريّا عليهما السلام إذ قال: «فهب لي من لدنك وليّاً يرثني و يرث من آل يعقوب» و قال: «و اولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» و قال: «يوصيكم الله في أولادكم للذّكر مثل حظّ الأنثيين» و قال: «إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين و الأقربين بالمعروف حقّاً على المتّقين».

و زعمتم أن لا حظوة لي، و لا إرْثَ (أرِثُ خ) من أبي، و لا رَحِمَ بيننا؟!

أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟! أم هل تقولون: إنّ أهل ملّتين لا يتوارثان؟!

أو لستُ أنا و أبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبي و ابن عمّي؟!»

الشّرح: إنّ الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها خاطبتهم خطاب توبيخ و إنكار. و لم تقل: «أيّها المؤمنون» تنبيهاً إلى أنّ الايمان لم يدخل في قلوبهم، فإنّهم لو كانوا مؤمنين لما فعلوا ما فعلوه. و قد حذفت حرف النّدآء تحقيراً لهم.

الاستفهام توبيخيّ إنكاريّ، و المغلوبيّة على شيئ: أخذه من صاحبه ظلماً و جوراً و قهراً و غلبة بلاوجه مسوّغ.

و في بعض النّسخ «إرثِيَه» بدل «إرثي» أو «إرثه» و الهاء في «إرثِـيَه» للسّكت، و المقصود إرثي كقوله تعالى: «هاؤم اقرؤاكتابِيَهْ إنّي ظننت أنّي ملاقٍ حسابِيَهْ» الحاقّة: ١٩ ـ ٢٠) و يقال لهذه الهاء: هاء الوقف تثبت في الوقف، و تسقط في الأصل. و الهاء في «إرثه» على ما في بعض النّسخ راجع إلى رسول‌الله ﴿صلّی الله علیه و آله﴾.

و المعنى: يا أيّها الّذين تقولون بأفواهكم: آمنّا، و لمّا يدخل الايمان في قلوبكم.

قال الله تعالى فيهم: «يا أيّها الرّسول لا يحزنك الّذين يسارعون في الكفر من الّذين قالوا آمنا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم» المائدة: ٤١).

أمِن الإنصاف أن أُغْلَبَ على إرثي بمرأى و مسمع منكم، و أنتم تعلمون بواقع الأمر كالشّمس في رابعة النّهار؟!.

ثمّ توجّهت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها في خطابها إلى أبي‌بكر فقالت: «يابن أبي قحافة» حيث ادّعى عن لسان رسول‌الله ﴿صلّی الله علیه و آله﴾: «انّا معاشر الأنبيآء لا نورّث» ذاكرة هذه الآيات القرآنيّة لردّ دعوى أبي‌بكر، فكان على أبي‌بكر أن يقيم الدّليل على تخصيص هذه العمومات... «أفي كتاب الله أن ترث أباك و لا أرث أبي؟» و ليس حكمك هذا إلاّ حكماً بغير ما أنزل الله، و خلاف ما أنزل الله تعالى «و من لم يحكم بما أنزل فاولئك هم الكافرون ـ هم الظّالمون ـ هم الفاسقون» المائدة: ٤٤ ـ ٤٥ و ٤٧) و فضلاً عن خلاف نصّ ما أنزل الله جلّ وعلا.

قولها ﴿علیها السلام﴾: «لَقَدْ جِئتَ شَيْئاً فَرِيّاً» الفريّ ـ من الفِرية ـ: الكذب عن عمد، و منها الافتراء.

هذا تكذيب صريح من الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها لأبي‌بكر في نسبته هذا الكلام: «إنّا معاشر الأنبيآء لا نورّث...» إلى رسول‌الله ﴿صلّی الله علیه و آله﴾.

و المعنى: إنّك يا أبابكر قد جئت بنسبتك هذا الكلام الكذب إلى رسول‌الله ﴿صلّی الله علیه و آله﴾ أمراً منكراً قبيحاً و كِذْباً عظيماً بديعاً.

و قولها صلوات الله عليها: «أفعلى عمد تركتم كتاب الله و نبذتموه ورآء ظهوركم»؟ خطاب لأذناب أبي‌بكر من أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و مردتها، بعد أن أثبتت «عليها السلام» الكذب العظيم عن عمد لأبي‌بكر.

و هذا الاستفهام تقريريّ، إذ لم يكن كذبهم هذا عن شبهة بعد وضوح أمر الشّريعة المحمّديّة و شيوع التّوارث للعمومات الدّالّة عليه من الكتاب المبين و السّنّة الثّابتة و العقل السّليم و الإجماع السّالم.

و قولها «عليها السلام»: «إذ يقول: «و ورث سليمان داود» النمل: ۱٦) كيف تنسب يا أبابكر هذا الكذب إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» حين يقول الله تعالى في القرآن الكريم: «و ورث سليمان داود» و قال ـ فيما اقتصّ من خبر زكريّا «عليه السلام» ـ إذ قال: «فهب لي من لدنك وليّاً و لا يرثني و يرث من آل يعقوب» مريم: ۱۹) و قال: «و اولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» الأنفال: ۷۵). و قال: «يوصيكم الله في أولادكم للذّكر مثل حظّ الأنثيين» النّسآء: ۱۱) و قال: «إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين و الأقربين بالمعروف حقّاً على المتّقين» البقرة: ۱۸۰).

و قولها «عليها السلام»: «و زعمتم أن لا حِظْوة لي و لا أرث من أبي و لا رَحِمَ بيننا؟!»:

لا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر: أنّ هؤلآء المخاطبين من أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و مَردتها لم يزعموا ذلك، بل أنّهم علموا قرب الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها من أبيها، و علموا أنّ لها إرثاً منه «صلى الله عليه و آله» و أنّ الرّحم محقّق بينهما، و لكنّهم لمّا لم يعملوا بعلمهم بل خالفوا عن مقتضى ما علموا، نزّلتهم فاطمة الزّهرآء صلوات الله عليها منزلة الجاهل، و هذا من بلاغة الكلام بحسب مقتضى الحال و المقام.

و الحِظْوة ـ بكسر الحاء و ضمّها ـ: المكانة و المنزلة و الخطرة و الحرمة عند النّاس. يقال: حظيت المرأة عند زوجها: إذا دنت من قلبه. و حَظِيَ فلان عند النّاس: إذا أحبّوه، و رفعوا منزلته و حفظوا حرمته. و أحظيته على فلان: فضّلته عليه. و حَظِيَ بالمال و الرّزق و العِلم: نال حظّاً منه. و الحظوة: النّصيب.

و في تعقيب نافلة المغرب: «و ما يقرّب منه و يُحْظي عندك» أي ما يوجب لي الحظّ عندك.

و قولها سلام الله عليها: «أفخصّكم الله بآية اخرج منها أبي؟!»:

الاستفهام توبيخيّ إنكاري بأنّ آيات الإرث بعمومها باقية شاملة لجميع المكلّفين، و لا مخصّص لها بآية أخرى بالنّسبة إلى الأنبيآء و المرسلين أو إلى خاتم النّبيّين صلوات الله عليهم أجمعين فحينئذ لا بدّ إمّا أن تكون آيات الإرث مخصوصة بالأمّة، و يكون النّبيّ ﴿صلی الله علیه و آله﴾ خارجاً غير داخل في تلك الجملة، فيكون عدم التّوريث من خصآئص النّبيّ ﴿صلی الله علیه و آله﴾ و لا حجّة على ذلك أصلاً عقلاً و لا نقلاً، و إمّا أن يجعل رسول الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ مع ابنته الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها من أهل ملّتين مختلفتين:

إحداهما ـ من ملّة الإسلام، و الاخرى من ملّة الكفر العياذ بالله جلّ و علا حتّى لا يرث أحد هما من الآخر كما هو المقرّر في الشّريعة عند اختلاف المتوارثين في الدّين و الملّة، و هذا أيضاً ظاهر البطلان. و قد أشارت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله إلى الشّقّ الثّاني:

بقولها عليها السّلام: «أم هل تقولون: إن أهل ملّتين لا يتوارثان؟»:

أم تقولون: يا أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و مردتها من المهاجرين و الأنصار بقيادة أبي بكر بن أبي قحافة: إنّ أبي رسول الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ و أنا ابنته من أهل ملّتين مختلفتين، و إنّ أهل ملّتين مختلفتين لا يتوارثان؟ أُفٍّ لكم!

و قولها سلام الله عليها: «أو لست أنا و أبي من أهل ملّة واحدة؟»:

ناظر إلى ردّ الفقرة الثّانية، على سبيل التّوبيخ و التّقرير، فإنّ النّفي في النّفي إثبات.

و قولها صلوات الله عليها: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبي و ابن عمّي؟!»:

ناظر إلى ردّ الفقرة الاولى من باب اللفّ و النّشر المشوّش، و لو كان لعمومات الإرث مخصّص لوجب على رسول الله ﴿صلی الله علیه و آله﴾ و أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿علیه السلام﴾ وصيّه أن يعملا به و يعلّماه الأمّة و يبيّناه لهم، و الحال انّه ليس كذلك، مع انّه لم تخطر هذه المسئلة ببال أحد قبل هذه المرحلة. و في الجملة توبيخ و إنكار من جهة، و تقرير و إثبات من جهة اخرى، فإنّ الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها نفت العلم بالقرآن الكريم من هؤلآء القوم الجاهلين السّفلة من أصحاب السّقيفة السّخيفة، و أثبتت العلم بالقرآن المجيد

لأبيها محمّد «صلى الله عليه وآله» و ابن عمّها أمير المؤمنين عليّ وليّ الله تعالى عليه آلاف التّحيّة و الثّنآء.

الفصل الحاديعشر: في تهديد أصحاب السّقيفة و أذنابها بنار جهنم و عذابها:

فقالت صلوات الله عليها:

«فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكَمُ الله، و الزّعيم محمّد «صلى الله عليه وآله» و الموعد القيامة، و عند السّاعة ما تخسرون، و لا ينفعكم إذ تندمون، «و لكلّ نبإ مستقرّ و سوف تعلمون مَن يأتيه عذاب يخزيه و يحلّ عليه عذاب مقيم».

الشّرح: «دون» إسم فعل بمعنى خُذْ، و ضمير الخطاب بالأخذ لأبي بكر بن أبي قحافة أوّل الغاصبين و الضّمير في «دونكها» راجع إلى فدك المدلول عليها بـالمقام، و الأمر بأخذها للتهديد كقوله عزّوجلّ: «اعملوا ما شئتم إنّه بما تعملون بصير» فصّلت: ٤٠).

مخطومة: ـ من الخِطام ـ: كلّ ما يدخل في أنف البعير ليقاد به، و هو الزّمام. ناقة مخطومه: مزمومة. يقال: خطمت البعير: زممته. و سمّي به زمام البعير لأنّه يقع على الخطم و هو الأنف و ما يليه.

مرحولة ـ من الرّحل ـ للنّاقة كالسّرج للفرس. و رَحَلَ البَعيرَ: شَدَّ على ظهره الرَّحْلَ. و قد شبّهت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها فدكاً في كونها مسلّمة لا يعارضها في أخذها أحد بالنّاقة المنقادة المهيّأة للرّكوب.

و ذلك أنّ فاطمة الزّهرآء صلوات الله عليها لمّا اعترضت و بخّت أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابها عامّة، أخذت توجّه الخطاب على قآئدها و رئيسها، غاصب فدك و الخلافة و هو أبوبكر بن أبي قحافة الّذي جلس في غير موضعه الإلهي زوراً و تزويراً و بهتاناً و فرية، قائلة له: فدونك يا أبابكر هذه القضيّة الّتي لا تنسى على مضيّ الأعصار، و لاتفنى على ممرّ الأجيال، و اغتصابك لي إرثي و هي فدك مخطومة كما يخطم الجمل بما يقوده، مرحولة قد هيّئ سرجها لك على وجه أن تركب النّاقة، و عليها رحلها و سرجها، و بيدك حبل زمامها سلسلة منقادة لك لما رأيت من موافقة المهاجرين و الأنصار لك طمعاً منهم للمال و الجاه و السّلطان...

و إنّما قام أبوبكر بهذا التّحريم الاقتصادي، و الاغتصاب المالي لفدك و منع الإرث و

النّهي عن الخمس بعد اغتصابه للخلافة حذراً من أن يكون أهل فدك و الزّارعون، آتو الخمس أنصاراً لأميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب و لابنة رسول‌الله فاطمة الزّهرآء صلوات‌الله عليهم أجمعين و عضداً للحقّ أمام الباطل، و أعواناً لخليفة رسول‌الله الواقعي ضدّ المدّعين كما أنّه دأب الحكّام الجآئرين و الفجّار المستكبرين في كلّ ظرف من الظّروف، و لذا ردّ أبوبكر شهادة الشّهود الّذين جآئت بهم، و قد كان ذلك أيضاً عملاً آخر يضاف إلى أعمال أبي بكر الّتي تخطى فيها كتاب الله تعالى و سنّة رسوله «صلّى الله عليه و آله» فادّعى حديثاً كذباً و بهتاناً و فرية في باب المواريث...

و أتمّ الأمر بردّ شهادة الشّهود الّذين كانوا هم مؤيّدين من عندالله تعالى و عند رسوله «صلّى الله عليه و آله» و هم سيّد الوصيّين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب و سبطا رسول‌الله الحسن و الحسين عليهم صلوات‌الله، و أمّ أيمن و أمّ سلمة و الأسماء بنت عميس، و خالف القاعدة في باب الملكيّة و هي قاعدة اليد مع أنّ فدك كانت حقّاً للصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله عليها آتاها إيّاها رسول‌الله «صلّى الله عليه و آله» بأمر الله جلّ وعلا: «فآت ذا القربى حقّه» الرّوم: ۳۸) و كانت الصّدّيقة الطّاهرة «عليها السلام» مستولية على فدك في زمن رسول‌الله «صلّى الله عليه و آله».

و قولها «عليها السلام»: «تلقاك يوم حشرك»:

خطاب لأبي بكر بن أبي قحافة: أوّل الغاصبين فدكاً و خلافةً أي تجيئك فدك يا أبابكر لمخاصمتك يوم حشرك، فيصيبك جزآؤك، أو أنّنا أهل بيت الوحي المعصومون نلقاك يوم حشرك فنخاصمك في عرصة المحشر.

و قولها صلوات‌الله عليها: «فنعم الحكَمُ اللهُ»:

فنعم الحكَم و الحاكم بيننا أهل بيت الوحي المعصومين، و بين هولآء القوم الغاصبين الجآئرين المزوّرين في كلّ قضية، هو الله تعالى يوم القيامة.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» ـ في أمر فدك ـ «بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السّمآء، فشحّت عليها نفوس قوم، و سخت عنها نفوس قوم آخرين، و نعم الحكم الله...» من كتابه «عليه السلام» رقم: ٤٥).

و فيه: ـ و من كلام أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» لبعض أصحابه و قد سئله: كيف

دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم أحقّ به؟ فقال ﴿عليه السلام﴾: «يا أخا بني أسد! إنّك لَقَلِقُ الوضين، تُرسِلُ في غير سدد، و لك بعدُ ذِمامة الصّهر و حقّ المسئلة، و قد استعلمت فاعلم: أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام ـ و نحن الأعلون نسباً، و الأشدّون برسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ نَوْطاً ـ فإنّها كانت أثَرَةً شحّت عليها نفوس قوم، و سخت عنها نفوس آخرين، و الحَكَمُ الله، و المعود إليه يوم القيامة...» رقم كلامه ﴿عليه السلام﴾: ۱٦۱).

و قولها ﴿عليها السلام﴾: «و الزّعيمُ محمّدٌ ﴿صلى الله عليه و آله﴾»:

يومئذ محمّد رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ كفيل أمر مخاصمتنا، حيث لا أحد في نظام الكون، و عوالم الإمكان أقوى منه، و لا أعلى مرتبة عند الله تعالى، و لا يضيع ظلامته سيّما من اُمّته.

و قولها صلوات الله عليها: «الموعد القيامة»:

و موعدكم يوم القيامة حيث يحشر فيه الأوّلون و الآخرون ليقتصّ فيه المظلوم من الظّالم، فإنّ الله تعالى لبالمرصاد، يوم يقتصّ من القرنآء للجمّآء.

و قولها سلام الله عليها: «و عند السّاعة تخسرون»:

و يوم القيامة يظهر خسرانكم، و يلحق بكم آثار مخالفتكم و عصيانكم، و بغيكم و طغيانكم...

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ ـ فيما كتبه لشريح القاضي ـ: «إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض و الحساب، و موضع الثّواب و العقاب، إذا وقع الأمر بفَصْل القضآء «و خسر هنا لك المبطلون» شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى، و سَلِمَ من علآئق الدّنيا».

و قولها ﴿عليها السلام﴾: «و لا ينفعكم إذ تندمون»:

و لا ينفعكم النّدم يوم القيامة يا أصحاب السّقيفة و أذنابها إذ تندمون يومئذ على ما فعلتم في الحياة الدّنيا من غصب فدك و منع الإرث و النّهي عن الخمس، و من غصب الخلافة، و من هتك حرمات أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و الظّلم عليهم، و من مخالفتكم عن أوامر الله تعالى و رسوله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و من تضييع دينكم لنيلكم برئاسة الدّنيا و متاعها و شهواتها و زخارفها...

قال الله تعالى: «و لن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون» الزّخرف: ٣٩).

و في **نهج البلاغة:** قال سيّد الوصيّين أمير المؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «ألا و إنّه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيءٌ حافظتم عليه من أمر دنياكم» الخطبة: ١٧٢).

ثمّ قرأت الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله‌عليها قوله تعالى: «و لكلّ نبإ مستقر و سوف تعلمون» الأنعام: ٦٧) و قوله سبحانه: «من يأتيه عذاب يخزيه و يحلّ عليه عذاب مقيم» الزّمر: ٤٠).

و لتعلمنّ يا أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابها، نبأ ذلك بعد حين، و لكلّ نبإ من نبإ العذاب أو الايعاد به الّذي ننبّئكم به، وقت استقرار و وقوع، و سوف تعلمون عند وقوعه من يأتيه من قِبَل الله تعالى، عذاب يذلّه و يهينه في الحياة الدّنيا أو البرزخ أو يوم القيامة، و يفضح ما كان عليه من كفر و ضلال، من بغي و فساد، من ظلم و عناد... و من يحلّ عليه وراء هذا عذاب دائم لا يفارقه في الدّار الآخرة، فيعيش فيه أبداً.

قال الله تعالى: «وترى الظّالمين لمّا رأوا العذاب يقولون هل إلى مردّ من سبيل و تراهم يعرضون عليها خاشعين من الذّلّ ينظرون من طرف خفيّ و قال الّذين آمنوا إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة ألا إنّ الظّالمين في عذاب مقيم» الشّورى: ٤٤ - ٤٥).

و ينطبق كلام إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ في ذمّ أهل العراق على هؤلآء القوم من أصحاب السّقيفة و أذنابها إذ ردّوا شهادة مولى الموحّدين يعسوب الدين في أمر فدك و الإرث و الخمس و الخلافة و غيرها... فإنّ الرّدّ تكذيب لقول الشّاهد:

في **نهج البلاغة:** «و لقد بلغني أنّكم تقولون: عليّ يكذب! قاتلكم الله، فعلى من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أوّل من آمن به! أم على نبيّه؟ فأنا أوّل من صدّقه! كلاّ والله و لكنّها لَهْجَةٌ غبتم عنها، و لم تكونوا من أهلها، وَيْلُمِّهِ، كَيْلاً بغير ثمن لو كان له وعاء «و لتعلمنّ نبأهُ بعد حين» رقم كلامه ﴿عليه السلام﴾: ٧٠).

الفصل الثّاني عشر: في توبيخ الأنصار لعدم نصرتهم للصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله‌عليها حين غصب حقّها و هتك حرمتها:

«ثمّ رَمَتْ (رَنَتْ خ) بِطَرْفِها نَحْوَ الأنصار، فقالت: يا معشر النَّقيبة (الفتية خ) و أعضاد الملّة، و حَضَنَة (أَنْصارَخ) الإسلام! ما هذه الغميزة في حقّي؟ و السِّنَة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ أبي يقول: «المرء يحفظ في وُلْدِهِ» سَرْعان ما أحدثتم، و عَجْلانَ ذا إهالة، و لكم طاقة بما أُحاول، و قوّة على ما أطلب و أُزاول، أتقولون مات محمّد ﴿ﷺ﴾؟ فَخَطبٌ جليلٌ، استَوْسَعَ وَهْنُهُ (وَهْيُهُ خ)، و استنهر فَتْقُهُ، و انفتق رَتْقُهُ، و أظلمتِ الأرضُ لغيبته، و كُسِفَتِ الشّمس و القمر، و انتثرت النّجوم لمصيبته، و أكدت الآمال، و خشعت الجبال، و أُضيعَ الحريمُ، و أُزيلَتِ الحرمةُ عند مماته، فتلك و اللهِ النّازلة الكبرى، و المصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، و لا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه في أفنيتكم و في مُمْساكم، و مُصْبَحِكم، يهتف في أفنيتكم هتافاً و صراخاً و تلاوة و إلحاناً، و لَقَبْلَهُ ما حلّ بأنبيآء الله و رسله، حُكمٌ فَصْلٌ، و قضآء حَتْمٌ: «و ما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً و سيجزى الله الشّاكرين».

الشّرح: ثمّ وجّهت بطرفها نحو الأنصار. و في بعض النّسخ «رنت» من رنى إليه: إذا أدام النّظر إليه، و رجل رنّاء الّذي يديم النّظر إلى النّسآء. الطّرف: العين أو النّظر من زاوية العين. و طرفت عين فلان: إذا نظرت ثمّ غمضت. و النّحو: الطّرف المقصود. و معشر: الجماعة مطلقاً. و النّقيبة ـ من النّقب ـ: الطّآئفة الفتية النّجيبة الفاضلة. و النّقيب: شاهد القوم و عريفهم.

و المعنى: ثمّ وجّهت الصّدّيقة الطّاهرة سلام‌الله‌عليها بزاوية عينها نحـو الأنـصار، فقالت: أخصّكم يا معشر النّقيبة: الطّآئفة المنتجبة الفتية الفاضلة.

و قولها ﴿ﷺ﴾: «و أعضاد الملّة»:

الأعضاد ـ جمع العَضُد ـ: الأعوان. و العَضُد: عضو معروف ما بين الكتف و المرفق الّذي هو سبب قوّة الإنسان على الأعمال، فيقال: عضدته كنصرته و أعنته لفظاً و معناً.

قال الله تعالى: «و ما كنت متّخذ المضلّين عضداً» الكهف: ٥١) أي عوناً و ناصراً.

و فلان عضدي: معتمدي على سبيل الاستعارة.

و في الدّعاء: «أنت عضدي» أي أنا بك أتقوّى و أنتصر.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «و أنا من رسول‌الله كالصّنو من الصّنو، و الذّارع من العضد...» من كتابه ﴿عليه السلام﴾ رقم: ٤٥)

و معنى الفقرة: الأقوياء الّذين كنتم ـ كالعضد في البدن ـ أعوان هذه الملّة الإسلاميّة و أنصارها.

و قولها سلام‌الله عليها: «و أنصار (حَضَنَة خ) الإسلام»:

الأنصار: الأعوان. و الحَضَنَة: جمع الحاضن بمعنى الحافظ من حضن الطّائر بيضه إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه، و كذلك المرأة إذا حضنت ولدها.

و المقصود: وصف الأنصار بحفظ الإسلام و إعانته.

و قولها ﴿عليها السلام﴾: «ما هذه الغميزة في حقّ؟»:

الغميزة: ضعفة في العمل و جهلة في العقل من غمزه غمزاً: أشار إليه بعين أو حاجب، فتكون الغميزة: النّظر الضّعيف الخفيّ خوفاً أو لعدم الاعتناء، و يكون كناية عن النّوم و الغفلة، أو من غمز الدّابّة في مشيها غمزاً و هو شبه العرج، فيكون المراد من الغميزة التعلّل و التّقل، و عدم الانتهاز و الحركة، و حاصله المسامحة. و استعمال إغماض العين في مثل المقام شائع.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «لم يكن لأحد فيّ مَهْمَزٌ و لا لقائل فيّ مَغمَزٌ».

و المعنى: و ما هذا الضّعف و الإغماض منكم في الدّفع عن حقّي، و عدم الاعتناء به و تركه.

و قولها سلام‌الله عليها: «و السّنة عن ظُلامتي»:

السّنَة: أوّل النّوم، و النّوم الخفيف.

قال الله تعالى: «لا تأخذه سنة و لا نوم» البقرة: ٢٥٥).

الظُّلامة: ما أخذ الظّالم من المظلوم جوراً و غصباً و قهراً و غلبة، فيطلبه المظلوم.

و السّنة عن الظّالمين هو الفتور الّذي يقرب من النّوم، و هي أوائل مراحل النّوم أي ما

أصابكم من عدم الاعتناء في حقّي؟ هو سنتكم و ذهولكم عن الحقّ كذهول الأعضآء و فتورها عند سنة النّوم.

و الغرض تهييج الأنصار لنصرتها، و توبيخهم على تركها. و قولها عليها السلام: «عن ظُلامتي»: عن ظلمي فهو مصدر يراد به المظلوميّة.

و **قولها صلوات الله عليها**: «أما كان رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده»؟ أي قد صحّ الخبر عن نبيّكم و اتّضح قوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بينكم: إنّ المرء يحفظ في ولده أي يراعى حاله و تحفظ كرامته في خصوص ولده بأن يكرم ولده لأجله، و كذا قرّره الله تعالى.

و يشهد على ذلك ما في قصّة موسى مع خضر عليهما السلام في جدار اليتيمين، الّذي كان يريد أن ينقضّ، فأقامه خضر، فقال له موسى ﴿عليه السلام﴾: «لو شئت لاتّخذت عليه أجراً» إلى أن قال خضر ﴿عليه السلام﴾ في جوابه: «و أمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة و كان تحته كنز لهما و كان أبوهما صالحاً فأراد ربّك أن يبلغا أشدّهما و يستخرجا كنزهما رحمة من ربّك و ما فعلته عن أمري» الكهف: ٧٧ ـ ٨٢).

و قد كان بينهما و بين أبيهما سبعمأة سنة.

في فروع الكافي: ـ كتاب النكاح ـ باب من عفّ عن حرم النّاس عفّ عن حرمه ـ حديث ١) بإسناده عن الفضل بن أبي قرّة عن أبي عبدالله ﴿عليه السلام﴾ قال: «لمّا أقام العالم الجدار أوحى الله تبارك و تعالى إلى موسى ﴿عليه السلام﴾: أنّي مجازي الأبناء بسعي الآبآء إن خيراً فخيراً و إن شرّاً فشرّ، لا تزنوا فتزنى نسآؤكم، و من وطئ فراش امرء مسلم، وطئ فراشه كما تدين تدان».

و **في تفسير العيّاشي**: عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق ﴿عليه السلام﴾: «إنّ الله ليحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة».

و فيه: عن أبي عبدالله ﴿عليه السلام﴾: «إنّ الله ليصلح بصلاح الرّجل المؤمن ولده، و ولد ولده و أهل دويرته و دويرات حوله، فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله».

و الحال أنّي ابنة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ نبيّكم، و أنتم تعرفون مقامي من لسان نبيّكم ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «فاطمة بضعة منّي، من آذاها فقد آذاني» فكان حقّاً عليكم يا أمّة خاتم

الأنبيآء و سيّد المرسلين أن تحفظوه في ابنته الصّدّيقة الطّاهرة سيّدة نسآء العالمين من الأوّلين و الآخرين.

و قولها سلام الله عليها: «سرعان ما أحدثتم»:

سُرْعان ـ مثلّثة السّين ـ: إسم فعل بمعنى سَرُعَ، و فيه معنى التّعجب. أي ما أسرعكم أيّها الأنصار إلى تصديق ما أحدثه أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة بعد رسول الله «صلى الله عليه و آله» من نقض العهد من خلافة أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» و غصبها و المبادرة إلى سدّ باب الإمامة الّتي لا يكمل الدّين الإسلامي، و لا تتمّ النّعمة الإلهيّة عليكم، و لا يرضى الله تعالى الإسلام ديناً، و لا تبلّغ الرّسالة إلاّ بها، و لا تستمرّ النّبوّة إلاّ باستمرارها؟ و ما أسرعكم أيّها الأنصار إلى مبادرتكم باتّباعكم أصحاب السّقيفة في البدع و ترك السّنن، و منع الإرث و الخمس من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و رفض الأحكام الإلهيّة، و هضم حقوق عترة رسول الله «صلى الله عليه و آله» و الظّلم عليهم و ايذآئهم و هتك حرماتهم، و غصب فدك، و لم تذهب رآئحة النّبيّ الكريم «صلى الله عليه و آله» من بيته؟!

و ما أسرعكم إلى هذا التّخاذل عن نصرة عترة رسول الله «صلى الله عليه و آله» مع قرب عهدكم به وعدم نسيانكم ما أوصاكم به رسول الله «صلى الله عليه و آله» في أهل بيته المعصومين عليهم السلام و قدرتكم على نصرتهم و أخذ حقّهم من هؤلآء البغاء الغاصبين؟؟؟!!!

و قولها صلوات الله عليها: «و عَجْلان ذا إهالةً»:

عَجْلان: إسم فعل بمعنى عَجِلَ، و فيه معنى التّعجّب أي ما أعجبكم. و «ذا» فاعل «عَجْلان» و «إهالة» و هي الشّحم الذّآئب تميز كقولك: عجل ذا إهالةً.

و «عجلان ذا إهالةً» مثل مضروب في النّعجة الّتي تخرج رطوبتها من أنفها. و أصله: أنّ رجلاً كان له شاة هزيلة، و كان من شدّة هزالها يسيل الرّعام من أنفها دائماً، فقيل له: ما هذا الرّعام؟ قال: عَجْلان ذا إهالة أي هي ممتلئة دسماً، فهذا شحم مذاب، يجيئ من جوفها، و باطنها لكثرة دسمها.

و مقصود الفقرة: أنّكم أيّها الأنصار أصبحتم بهذه الكيفيّة بعد تصديقكم أصحاب

السّقيفة السّخيفة فيما أحدثوه... أي و ما أعجلكم إلى هذه الكيفيّة المنفورة؟!

و من المحتمل أن يكون المثل إخباراً مجملاً بما يترتّب على تلك البدع و ترك السّنن، و نقض العهود بعد رسول‌الله «صلّى الله عليه و آله» من المفاسد الدّينيّة و الدّنيويّة، و الأخلاقيّة و الاجتماعيّة، و ذهاب الآثار النّبويّة و انحطاط المسلمين و ذهاب ريحهم و استثمار منابعهم الاقتصاديّة...

و قولها عليها صلوات‌الله: «و لكم طاقة بما أُحاول»:

و الحال أنّ لكم طاقة و قدرة في خصوص ما أطلب من إحقاق حقّي و أخذه من هؤلآء الغاصبين البيغآء، فلو كنتم تشآؤن أن تنصروني لنصرتموني و أخذتم حقّي، و أعنتموني في استرداده ممّن غصبه.

و قولها «عليها السلام»: «و قوّة على ما أطلب و أُزاول»:

و لكم أيّها الأنصار قوة في خصوص ما أطلب و أقصد من ظُلامتي، فلماذا لا تنصروني على إحقاق حقّي، و لا تعينوني على أخذه من هؤلآء الظّالمين الطّغاة؟

و قولها «عليها السلام»: «أتقولون مات محمّد «صلّى الله عليه و آله»»:

يا معشر الأنصار! أتزعمون و تقولون: إنّ محمّداً «صلّى الله عليه و آله» مات، و إنّكم بعد موته لا تلاقونه و لا ترونه أبداً؟! كلاّ فإنّ الموت انتقال من دار الدّنيا إلى دار الآخرة، فستشاهدونه «صلّى الله عليه و آله» في البرزخ و يوم القيامة، فيخاصمكم فيما تعملون، و يستوفي حقّي من الغاصبين، فأنتم بمرأى منه في البرزخ و يوم القيامة، أو تظنّون أنّه لا يرى أعمالكم و أفعالكم، و لا يسمع أقوالكم، و إنّما هو ناظر إليكم، مشرف عليكم، يرى و يسمع و أنتم بمرأى منه و مسمع.

قال الله تعالى: «و لو ترى إذ وُقفوا على النّار فقالوا يا ليتنا نردّ و لا نكذّب بآيات ربّنا و نكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل و لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه و إنّهم لكاذبون ـ و لو ترى إذ الظّالمون في غمرات الموت و الملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحقّ و كنتم عن آياته تستكبرون» الأنعام: ۲۷ ـ ۲۸ و ۹۳) و قال: «و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و

المؤمنون و ستردّون إلى عالم الغيب و الشّهادة فينبّئكم بما كنتم تعملون» التّوبة: ١٠٥).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب﴿؏﴾: «أيها النّاس خذوها عن خاتم النّبيّين﴿ﷺ﴾: إنّه يموت من مات منّا و ليس بميّت، و يبلى من بَلِيَ منّا و ليس ببال» فلا تقولون بما لاتعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون...» الخطبة: ٨٦).

و قولها عليها آلاف التّحيّة و الثّنآء: «فَخَطْبٌ جَليلٌ».

الخَطب: الشّأن الخطير، و الأمر العظيم، شديد الكراهة. جمعه: خطوب.

و في نهج البلاغه: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ﴿؏﴾: «الحمدلله و إن أتى الدّهر بالخَطْبِ الفادح، والحَدَثِ الجليل...» الخطبة: ٣٥).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ﴿؏﴾: «أمّا بعد فإنّ الله لم يقصم جبّاري دهر قطّ إلاّ بعد تمهيل و رخآء، و لم يجبر عَظْمَ أحد من الأمم إلاّ بعد أزل و بلاء، و في دون ما استقبلتم من عَتْبٍ، و ما استدبرتم من خَطْبٍ، مُعْتَبَرٌ...» الخطبة ٨٧).

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿؏﴾: «و لو قد فقدتموني و نزلت بكم كرائه الأُمور، و حوازب الخطوب لأطرق كثير من السّائلين، و فشل كثير من المسئولين...» الخطبة: ٩٢).

و فيه: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ﴿؏﴾: «و لاغرو و الله فياله خَطْباً يستفرغ العَجَبَ، و يُكثِرَ الأوَد، حاول القومُ إطفآء نورالله من مصباحه، و سدّ فوّاره من ينبوعه...» من كلامه﴿؏﴾ رقم: ١٦١).

و فيه: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب﴿؏﴾ ـ فيما كتبه لمالك الأشتر النّخعيّ رضوان الله تعالى عليه ـ: «واردد إلى الله و رسوله ما يضلعك من الخطوب، و يشتبه عليك الامور، فقال: قال الله سبحانه لقوم أحبّ إرشادهم: «يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و اولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيئ فردّوه إلى الله و الرّسول» فالرّدّ إلى الله: الأخذ بمحكم كتابه، و الرّدّ إلى الرّسول: الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة...» رقم الكتاب: ٥٣).

و قولها عليها السّلام: «استوسع وَهْنُهُ (وَهْيُهُ خ)»:

الاستيساع: غاية السّعة، مثل الاتّساع من وسع يسع سعةً. و المعنى: اتّسع ضعف الإسلام بسبب ترككم نصرة الحق و أهله غاية الاتّساع.

الوَهْن: الضَّعَف. وهن فلان: ضَعُفَ في العقل أو الرّأي أو الأمر، أو العمل أو البدن. قال الله تعالى: «و لاتهنوا و لاتحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» آل عمران: ۱۳۹).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿ﷺ﴾: «أيّها النّاس لولم تتخاذلوا عن نصر الحقّ و لم تهنوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، و لم يقوَ من قوى عليكم...» الخطبة: ١٦٥).

الوَهْي: الشّقّ و الخَرْق: يقال: وَهَى الثّوْبُ: إذا بَلِيَ و تخرّق و استوسع. و وَهَى الرّجلُ: حَمُقَ.

و المعنى: اِتّسع شِقّ الإسلام و خرق ثوبه بالسّقيفة السّخيفة الشّؤمة و جنايات أهلها، و بسكوتكم معشر الأنصار عنها.

و قولها عليها السلام: «و استنهر فتقه و انفتق رتقه»:

الفتق: الشِقّ و الخرق، فتق الثّوب: نقض خياطه حتّى فصل بعضه عن بعض. انفتق: انشقّ. الفتق: خلاف الرّتق و هو الالتيام.

قال الله تعالى: «أولم يرالّذين كفروا أنّ السّموات و الأرض كانتا رتقاً فـفتقناهما» الأنبيآء: ۳۰).

و في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿ﷺ﴾: في وصف رسول الله ﴿ﷺ﴾ ـ «فصدع بما أُمِرَ به، و بلّغ رسالات ربّه، فَلَمَّ الله به الصّدعَ، ورَتَقَ به الفَتْقَ...» الخطبة: ۲۲۲).

و في البحار: ـ في أدعية ليالي القدر و الاحيآء ـ عن أمير المؤمنين ﴿ﷺ﴾: «الحمدلله ربّ العالمين و صلّى الله على أطيب المرسلين، محمّدبن عبدالله المنتجب الفاتق الرّاتق...» يعني فاتق الشّرك و الطغيان و الجور و العدوان و ممزّقها، و راتق الخلل الّذي في الدّين و في الدّعاء: «اللّهمّ ارتق فتقنا» أي أصلح مفاسد أُمورنا...

و معنى الفقرة: و اتّسع شقّ الدّين الإسلاميّ، و شقّ التيامه بـالسّقيفة السّخيفة الشّؤمة و جنايات أصحابها و إغماضكم عنها...

و قيل: إنّ الضّمآئر الثّلاثة: «و هنه» و «فتقه» و «رتقه» راجعة إلى «خَطْب جليل» و هذا غير وجيه.

و قولها سلام الله عليها: «و أظلمت الأرض لغيبته»:

و أظلمت الأرض لغيبة رسول الله «صلى الله عليه و آله» و ذلك أنّ رسول الله «صلى الله عليه و آله» كان سراجاً منيراً و نوراً للعقول و الأفكار، و ضياءً لكلّ قلب سليم.

قال الله تعالى: «يا أيّها النّبيّ إنّا أرسلناك شاهداً و مبشّراً و نذيراً و داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً» الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦).

و في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» ـ في وصف النّبيّ الكريم «صلى الله عليه و آله» ـ: «فهو إمام من اتّقى، و بصيرة من اهتدى، سراج لمع ضوءه، و شهاب سطع نوره...» الخطبة: ٩٣).

و لمّامات رسول الله «صلى الله عليه و آله» و غيّرت سيرته و سنّته بالسّقيفة السّخيفة الشّؤمة، أظلمت الأرض لغيبته، و رجعت الأرض إلى ما كانت كاسفة النّور.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «حتّى إذا قبض الله رسوله «صلى الله عليه و آله» رجع قوم على الأعقاب و غالتهم السّبل و اتّكلوا على الولآئج...» الخطبة: ١٥٠).

و فيه: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «أرسله على حين فترة من الرّسل، و طول هجعة من الأُمم و اعتزام من الفتن، و انتشار من الأُمور، و تلظّ من الحروب، و الدّنيا كاسفة النّور، ظاهرة الغرور...» الخطبة: ٨٨).

و قولها سلام الله عليها: «و كسفت الشّمس و القمر»:

و ذهب نورهما على ما ينبغي لهما و كانا عليه من تأثيرهما على العقول و الأنفس، و على الأشيآء المادّيّة و الأجسام...

و قولها صلوات الله عليها: «و انتشرت النّجوم لمصيبته»:

و تكدّرت النّجوم لمصيبة رسول الله «صلى الله عليه و آله» كيف لا، و قد بكت السّمآء لمصيبة يحيى بن زكريّا و لمصيبة سيّد الشّهدآء الحسين بن عليّ عليهم صلوات الله.

و قولها عليها أفضل صلوات الله: «و اكدت الآمال»:

الإكدآء ـ من الكُدْية ـ: الأرض الصّلبة، و أكدى الشّيء: إذا بلغ إلى الصّلب. و منه أكدى الرّجل: إذا قلّ خيره.

قال الله تعالى: «و أعطى قليلاً و أكدى» النّجم: ٣٤) أي و أعطى من قبل قليلاً من ماله، ثمّ أمسك و قطع العطاء.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ «عليه السلام» ـ في وصف المؤمن ـ: «إن قيل أثرى قيل أكدى» من قصار كلماته «عليه السلام» رقم ٣٥٩).

و فيه: قال سيّد الوصيّين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «الحمد لله الّذي لا يَفِرُهُ المنع و الجمود، و لا يُكديه الإعطآء و الجود...» الخطبة: ٩٠).

و مقصود الفقرة: و انقطعت الآمال بموت رسول الله «صلّى الله عليه و آله» و قلّ خيرها، و لم يبق رجآء بعده، فإكداء الآمال كناية عن انقطاع الرّجآء.

و قولها سلام الله عليها: «و خشعت الجبال»:

و خشوع الجبال كناية عن جزعها لموت رسول الله «صلّى الله عليه و آله» و أنّ فقده «صلّى الله عليه و آله» ألمّ حتّى الجمادات فأصبحت خاضعة متألّمة، أو كناية عن الضّعف الحاصل للقلوب الرّاسية كالجبل، استعارة عن اختلال حال أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» ـ في أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السلام ـ: «هم موضع سرّه و لجأ أمره، و عيبة علمه، و موئل حكمه، و كهوف كتبه و جبال دينه، بهم أقام انحنآء ظهره و أذهب ارتعاد فرآئصه...» الخطبة: ٢).

و قولها صلوات الله عليها: «و أُضيع الحريم و أُزيلت الحرمة عند مماته»:

الحريم: ما يحميه الرّجل و يقاتل عنه. و الحرمة: ما لا يحلّ انتهاكه.

و المعنى: و أُضيع حريم أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و انتهكت حرمتهم و أُزيلت و ذهبت عند موت رسول الله «صلّى الله عليه و آله» بأيدي أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابهم...

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «و النّاس

يستحلّون الحريم، و يستذلّون الحكيم، يحيون على فترة، و يموتون على كفرة...» الخطبة: ١٥١).

و فيه: قال إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «ألا و إنّكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطّاعة، و ثلمتم حِصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهليّة، و إنّ الله سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأمّة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة الّتي ينتقلون في ظلّها و يأوون إلى كنفها بنعمة لايعرف أحد من المخلوقين لها قيمة لأنّها أرجح من كلّ ثمن، و أجلّ من كلّ خطر.

و اعلموا أنّكم صرتم بعد الهجرة أعراباً، و بعد الموالاة أحزاباً، ما تتعلّقون من الإسلام إلاّ باسمه، و لاتعرفون من الايمان إلاّ رسمه...» الخطبة القاصعة: رقم ٢٣٤).

و قولها عليها السلام: «فتلك و الله النّازلة الكبرى»:

«تلك» إشارة إلى مصيبة وفاة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و النّازلة: هي المصيبة الشّديدة وصفت بالكبرى.

و قولها سلام الله عليها: «و المصيبة العظمى لامثلها نازلة و لابائقة عاجلة»:

البائقة: الدّاهية، جمعها: بوآئق.

و المعنى: و مصيبة وفاة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ هي المصيبة العظمى الّتي ليس مثلها نازلة، و لاحادثة داهية عاجلة، أي أسرع نزولها قبل إبّانها في ظاهر العرف و العادة.

و قولها عليها السلام: «أعلن بها كتاب جلّ ثناؤه في أفنيتكم و في ممساكم و مصبحكم»:

الأفنية: جمع فنآء الدّار أي العرصة المتّسعة أمامها، و فنآء الكعبة: سعة أمامها.

و الممسى و المصبح: مصدران إسمان للزّمان و المكان من الإمسآء و الإصباح.

و المعنى: و قد أعلن بهذه الحادثة العظمى كتاب الله جلّ وعلا أي أخبر بها قبل وقوعها، إذقال: «إنّك ميّت و إنّهم ميّتون» الزّمر: ٣٠) و قال: «و ما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل» آل عمران: ١٤٤) و أنتم معشر الأنصار و المهاجرين تسمعون ذلك في مسآئكم و صباحكم.

و **قولها صلوات الله عليها:** «يهتف في أفنيتكم هِتافاً و صُراخاً و تِلاوة و إلحاناً»: الهتاف: الصّياح من قولك: سمعتُ هاتفاً يهتف: إذا كنت تسمع الصّوت و لاتبصر أحداً. و الصُّراخ: الصّوت الشّديد. يقال: مررت بفلان، فإذاً له صُراخ كصراخ الثّكلى أي مثل صوت بكآئها يكون مشتملاً في الشّدّة. التِّلاوة: القراءة. و منه ما:

في جامع الأخبار: قال رسول الله «ﷺ»: «ربّ تال القرآن و القرآن يلعنه»

الإلحان: الإفهام. ألحنه القول: أفهمه.

و **مقصود الفقرة:** يُقْرَءُ هذا القرآن و يُتلى في بيوتكم و سككم كناية عن غاية الشّيوع قراءة بأنحاء مختلفة، فيقرأه بعضهم على الصّوت الخفيّ الضّعيف، و بعضهم على الصّوت الشّديد القويّ، و بعضهم على نحو التِلاوة المعهودة، و بعضهم على نحو الإلحان باختلاف القُرّآء و التّالين في الصّوت و الحالة و اللهجة.

و **قولها سلام الله عليها:** «و لقبله ما حلّ بأنبيآء الله و رسله، حكم فصل، و قضآء حتم»:

و إنّ رسول الله «ﷺ» قبل الموت الّذي حلّ بأنبيآء الله و رسله صلوات الله عليهم أجمعين، و هذا الموت هو حكم فصل لامردّ له و قضاء حتم ماكان يتخلّف في مادّة أحد، و لاتتطرّق إليه التّبدّلات... ثمّ قرأت الصّدّيقة الطّاهرة الرّاضية المرضيّة فاطمة الزّهرآء عليها آلاف التّحيّة و الثّنآء قوله تعالى:

«و ما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً و سيجزى الله الشّاكرين» آل عمران: ١٤٤) أي كان أمر موت رسول الله «ﷺ» معلوماً محقّقاً قطعاً، و ما قرّر الله عزّوجلّ لأحد من خلآئقه الحياة الأبديّة، فليس أمر الموت غريباً بالنسبة إلى رسول الله «ﷺ» و لايدلّ ذلك على بطلان نبوّته، و ما أتى به من شريعته، فما لكم ترتدّون على أدباركم و تنقلبون على أعقابكم، و ما لكم كيف تحكمون؟ أم لكم كتاب فيه تدرسون أنّ لكم لماتخيّرون.

و اعلم أنّ في المقام كلمات و نظرات للمحقّقين من القدمآء و المتأخرين لاتخلومن لطائف و نكات فنشير إلى أهمّها:

فمنهم من قال: إنّ الشّبهة العارضة للمخاطبين بموت رسول الله «صلى الله عليه وآله» إمّا لعدم تحتّم العمل بأوامره و حفظ حرمته في أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لغيبته «صلى الله عليه وآله» فإنّ العقول الضّعيفة مجبولة على رعاية الحاضر أكثر من الغآئب، و أنّه إذا غاب عن أبصارهم ذهب كلامه عن أسماعهم و وصاياه عن قلوبهم، فدفعها الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام ما أشارت إليه من إعلان الله تعالى بوقوع تلك الحادثة الهائلة قبل وقوعها، و أنّ الموت ممّا قد نزل على الماضين من أنبيآء الله تعالى و رسله، تثبيتاً للأمّة على الايمان، و إزالة لتلك الخصلة الذّميمة عن نفوسهم الضّعيفة...

و يمكن أن يكون معنى الكلام: أتقولون: مات محمّد «صلى الله عليه وآله» و بعد موته ليس لنا زاجر و لا مانع عمّا نريد، و لا نخاف أحداً في ترك الانقياد للأوامر و عدم الانزجار عن النّواهي، و يكون الجواب ما يستفاد من حكاية قوله تعالى: «أفإن مات أو قتل» لكن لا يكون حينئذ لحديث إعلان الله سبحانه و إخباره بموت رسوله «صلى الله عليه وآله» مدخل في الجواب إلاّ بتكلّف.

و إمّا أن تكون شبهتهم لعدم تجويزهم الموت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أو لإيجاد الشّك في أذهانهم للغرض السّياسي كيداً و خدعة كما أوجده عمر بن الخطّاب فيها لذلك حين أوجده في موته «صلى الله عليه وآله» فبعد تحقيق موته عرض لهم شكّ في الايمان، و وهن في الأعمال، فلذلك خذلوها و قعدوا عن نصرتها، و حينئذ مدخليّة حديث الإعلان و ما بعده ظاهر.

و على أيّ تقدير لا يكون قولها سلام الله عليها: «فخطب جليل» داخلاً في الجواب، و لا مقولاً لقول المخاطبين على الاستفهام التّوبيخيّ، بل هو كلام مستأنف لبثّ الحزن و الشّكوى، بل يكون الجواب ما بعد قولها عليها السلام: «فتلك والله النّازلة الكبرى».

و يحتمل أن يكون مقولاً لقولهم، فيكون حاصل شبهتهم أنّ موته «صلى الله عليه وآله» و هو أعظم الدّواهي قد وقع، فلا يبالى بما وقع بعده من المحظورات، فلذلك لم ينهضوا بنصرها و الانتصاف ممّن ظلمها، و لمّا تضمّن ما زعموه كون وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» أعظم المصآئب، سلّمت عليها السّلام أوّلاً في مقام جواب تلك المقدّمة لكونه محض الحقّ، ثمّ نبّهت عليها السلام على خطئهم في أنّها مستلزمة لقلّة المبالات بما وقع، و القعود عن نصرة الحقّ، و عدم اتّباع أوامره بقولها: «أعلن بها كتاب الله...» إلى آخر الكلام.

فيكون حاصل الجواب: أنّ الله قد أعلمكم بها قبل الوقوع، و أخبركم بأنّها سنّة ماضية في السّلف من أنبيآئه، و حذّركم عن الانقلاب على أعقابكم كيلا تتركوا العمل بلوازم الايمان بعد وقوعها، ولا تهنوا عن نصرة الحقّ و قمع الباطل، و في تسليمها ما سلّمت أوّلاً دلالة على أنّ كونها أعظم المصآئب ممّا يؤيّد وجوب نصرتي، فإنّي أنا المصاب بها حقيقة و إن شاركني فيها غيري، فمن نزلت به تلك النّازلة الكبرى، فهو بالرّعاية أحقّ و أحرى، و يحتمل أن يكون قولها عليها السلام: «فخطب جليل» من أجزآء الجواب، فتكون شبهتهم بعض الوجوه المذكورة، أو المركّب من بعضها من بعض.

و حاصل الجواب حينئذ أنّه إذا نزل بي مثل تلك النّازلة الكبرى، و قد كان الله تعالى أُخبركم بها، و أمركم أن لا ترتدّوا بعدها على أعقابكم، فكان الواجب عليكم دفع الضّيم عنّي و القيام بنصرتي، و لعلّ الأنسب بهذا الوجه ما في رواية ابن أبي طاهر من قولها: «و تلك نازلة أعلن بها كتاب الله» بالواو دون الفاء.

و منهم من قال: و من المحتمل أن لاتكون الشّبهة العارضة للمخاطبين مقصورة على أحد الوجوه المذكورة، بل تكون الشّبهة لبعضهم بعضها و للآخر بعضها، و تكون كلّ مقدمة من مقدّمات الجواب إشارة إلى دفع واحدة منها.

و قال العلاّمة المجلسي رضوان الله تعالى عليه: و يحتمل أن لاتكون هذه شبهة حقيقة، بل يكون الغرض أنّه ليس لهم في تلك الامور الشّنيعة حجّة و متمسّك إلاّ أن يتمسّك أحد بأمثال تلك الامور الباطلة الواهية الّتي لا يخفى على أحد بطلانها و هذا شائع في الاحتجاج.

و قال بعض المعاصرين: إنّ الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها أشارت: أنّ النّاس أبنآء الدّنيا و القوّة و القدرة، و أنّهم لايلحظون الحقّ بما هو حقّ، بل إنّما يلحظون الحاضر القوى المتسلّط و يتناسون الغآئب و إن كان الغآئب على الحقّ و الحاضر على الباطل، فإنّ العقول الضّعيفة و النّفوس المجبولة على حبّ الشّهوات و الميول و الرّغبات تدور حول منافعها الدّنيويّة.

فأشارت سلام الله عليها: إلى أنّ الله تعالى قد أعلمكم قبل وقوعكم في الفتن و قبل

تماديكم في الغيّ بإخباره إيّاكم بأنّ محمّداً ﴿ﷺ﴾ إن مات أو قتل تنقلبون على أعقابكم، و تقعون في الجاهليّة الاولى، و تتركون النّهج المستقيم و طريقة الأنبيآء عليهم السلام و هذه المصيبة الكبرى في دينكم، و النّازلة الّتي لاحدث أعظم منها خطراً.

و غيرها من الأقاويل و الآراء الّتي لافائدة لذكرها...

أقول: إنّ الشّبهة العارضة لهؤلآء المخاطبين حقيقيّة، و قدكان منشأها ضعف الايمان من بعضهم، و فقده تماماً من الآخرين، فإنّ المؤمن حقّاً قلباً و قالباً لاتعتريه شبهة و لاشكّ، و خاصّة في الاصول الاعتقاديّة و لايخاف غير الله تعالى و لالومة لائم، و لذلك قد ثبت ارتداد النّاس بعد رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلاّ ثلاثاً ـ إلى ـ ستّاً.

و لهذه النكتة الدّقيقة و اللطيفة العميقة خاطبتهم الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها بالنّاس: «يا أيّها النّاس» و بوصف الإسلام: «أيّها المسلون» دون الايمان إذ لمّا يدخل في قلوبهم. قال الله عزّوجلّ فيهم: «قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا و لمّا يدخل الايمان في قلوبكم» الحجرات: ١٤).

و قال: «يا أيّها الرّسول لايحزنك الّذين يسارعون في الكفر من الّذين قالوا آمنّا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم» المائدة: ٤١).

و قال: «لايستأذنك الّذين يؤمنون بالله و اليوم الآخرأن يجاهدوا بأموالهم و أنفسهم والله عليم بالمتّقين إنّما يستأذنك الّذين لايؤمنون بالله و اليوم الآخر و ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يتردّدون» التّوبة: ٤٤ ـ ٤٥).

و قال في المؤمنين حقّاً: «إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله و رسوله ثمّ لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصّادقون» الحجرات: ١٥).

و قال: «الّذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً و قالوا حسبنا الله و نعم الوكيل» آل عمران: ٧٤).

و قال: «إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعداً عليه حقّاً في التّوراة و الإنجيل و القرآن و من أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الّذي بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم التّائبون العابدون الحامدون السّائحون الرّاكعون السّاجدون الآمرون بالمعروف و النّاهون عن المنكر و الحافظون

لحدود الله و بشّر المؤمنين» التّوبة: ۱۱۱ ـ ۱۱۲) و تلك من صفات الايمان و مظاهره لا الإسلام.

و قال: «و من يعمل من الصّالحات و هو مؤمن فلايخاف ظلماً و لاهضماً» طه: ۱۱۲).

و قال: «يا أيّها الّذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم و يحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله و لايخافون لومة لائم» المائدة: ٥٤).

و في الخبر الصحيح عن جعفر بن محمّد الصّادق «عليه السلام»: «إنّ المؤمن أشدّ من زبر الحديد، أنّ زبر الحديد إذا دخل النّار تغيّر و أنّ المؤمن لو قُتِلَ ثمّ نشر ثمّ قُتِلَ لم يتغيّر قلبه».

الفصل الثّالث عشر: في الارتداد بعد الايمان:

فقالت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء صلوات الله عليها.

«ايْهاً بني قَيْلَةَ! أأُهْضَمُ تُراثَ أبي (أبِيَهْ خ) و أنتم بِمَرْأى منّي و مَسْمَعٍ و مُنْتَدىً (مُبْتَداءٍ خ) و مَجْمَعٍ؟ تلبسكم الدّعوة، و تشملكم الخَبْرَة، و أنتم ذوو العَدَدِ و العُدَّةِ، و الأداة و القُوَّة، و عندكم السّلاح و الجُنّة توافيكم الدّعوة فلا تجيبون، و تأتيكم الصَّرْخَةُ فلا تغيثون، و أنتم موصوفون بالكِفاح، معروفون بالخير و الصّلاح، و النُّخبَةُ الّتي انْتُخِبَتْ، و الخِيَرَةُ الّتي اختيرت، قاتلتم العَرَبَ، و تحمّلتم الكدَّ و التَّعَبَ، و ناطَحتمُ الأُمَمَ، و كافَحْتُمُ البُهَمَ، لانَبْرَحُ أو تَبْرَحُونَ، نأمركم فتأتمرون، حتّى إذا دارت بنا رَحَى الإسلامِ، و دَرَّ حَلَبُ الأيّام، و خَضَعَتْ نُعْرَةُ الشّرك، و سكنت فَورَةُ الإفك، و خمدت نيران الكفر، و هَدَأَتْ دَعْوَةُ الهَرْجِ، و استوسق نظام الدّين.

فأنىّ حِرْتُم بعد البيان؟ و أسررتم بعد الإعلان؟ و نكصتم بعد الإقدام؟ و أشركتم بعد الايمان؟ بؤساً لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، و همّوا بإخراج الرّسول، و هم بدؤكم أوّل مرّة، أتخشونهم؟ فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

ألا و قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، و أبعدتم مَن هو أحقّ بالبسط و القبض، و خلوتم بالدّعة، و نجوتم بالضيق من السّعة (من الضّيق بالسّعة ظ) فمججتم ما وعيتم، و دَسَعْتُمُ الّذي تسوّغتم «فإن تكفروا أنتم و من في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيّ حميد».

الشّرح: «أيهاً» بفتح الهمزة و التّنوين، بمعنى بَعُدَ الأمر و هيهات أن يكون الشيء، هذا إذا أردتَ التبعيد، و «إيهاً» بكسر الهمزة و التّنوين، بمعنى: اكفف أو كفّ عنّا، إذا أردت الكفّ عن الحديث. و بنو قَيْلَة: الأوس و الخزرج قبيلتا الأنصار القائمة العظمى لجمع الأنصار. و قَيْلة: إسم أمّ لهم قديمة، و هي قَيْلة بنت كاهل.

و قال بعض المعاصرين: إنّ أوّل ما خصّت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها الأنصار بالخطاب عبّرت عنهم بمعشر النّقيبة، ثمّ أصبح الخطاب الثّاني يا بني قَيْلة، فوسمتهم أوّلاً بعظيم من الوسام و هو وسام الّذين يستحقّون أن يكونوا مورداً للخطاب، و العتاب إذا شوهدوا في غير ما هم عليه من المنزلة و المقام الرّفيع، و لكن من بعد ما يصبح السّقوط و البُعد عن منازل الكرام مقصوداً، بل واقع النّفس لافلتة صدرت يرجى تداركها لايكون مستحقّاً لذلك الوسام، فلعلّ نسبتهم إلى اُمّهم في الخطاب الثّاني إشارة منها سلام الله عليها إلى أنّهم أصبحوا يجلسون مجالس النّسآء في الضّعف، و عدم الحزم كالمرأة الّتي لا إرادة لها بإزآء الزّوج المتخبّط بها في الظّلمات...

نعم ما كان هذا التنديد الشّديد للمسلمين، و بالأخصّ للأنصار منهم الّذين هم محلّ رجآء الخير لفدك تغتصب من الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء صلوات الله عليها بل كان تحذيراً للمخاطبين و الأجيال كافّة في كلّ ظرف من الظّروف إلى قيام السّاعة من أنّ كلّ قانون مهما كان من الرّقى و الرّفعة و العظمة إذا استظلّ بظلّ سلطان جآئر و حاكم طاغ، و بالأخصّ إذا تلبّس بلباس الصّالحين فقدركيزتين:

الاولى: التّفسير الصّحيح لأُصوله و فروعه، و إذا فُسّرَ القانون طبقاً للأهوآء و الميول كان موتاً للعلم و الكمال و الشّرف باسم العلم و الكمال و الشّرف، قد يصل أمر التّفسير إلى مرحلة من الانحطاط و الهبوط يروى للأُمّة الإسلاميّة رباً بقالب جسمانيّ أورباً قاهراً للعباد على فعل القبيح، كما و أنّ التّفسير قد يأخذ بعظيم مقام النّبوّة إلى مرحلة ارتكاب المعاصي و اللهو و الطّرب لايقف نبيّ الإنسانيّة عمّا هو عليه إلاّ إذا سمع بإقدام عمر بن الخطّاب تقرب منه، فيرتعد قائلاً: جآء من لايحبّ الباطل.

الثّانية: هي الّتي يفقدها القانون إذا استظلّ بظلّ إمام جائر و قائد مستبدّ، هو التّطبيق

الصّحيح للكبريات على صغرياتها كقول القائل.

يجب قتل فلان أوحبسه أو تبعيده لأنّه خطر على الإسلام و المسلمين، فيجب على المجتمع كافّة بكل جهوده السّعى لحفظ مصلحة الإسلام و المسلمين في حين أنّ المراد حفظ سلطة الجآئرين، فقد خاف فرعون من موسى﴿ع﴾ أن يبدّل دين النّاس، و يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عليهم الهاوية و النّيران من سيّد الأحرار الحسين بن عليّ بن أبيطالب﴿ع﴾ أن يشقّ عصا المسلمين، و يسعى في الأرض فساداً و معاوية من حُجر بن عديّ.

فالطّامّة الكبرى ليست هي إنكار الفطرة و العقل و الدّين، و إنّما هي التّفسير و التّطبيق للكتاب و السّنّة طبقاً للأهوآء و الميول و هذا ما حصل منذ وفاة رسول الله﴿ص﴾ بل قبيلها و خاصّة حين الاحتضار و إرادة الكتابة لأمر الإمامة بعدها، و إهانة عمر بن الخطّاب برسول الله﴿ص﴾.

و معلوم أنّ بسقوط هاتين الرّكيزتين لايصبح الإسلام محقّقاً لتلك القيم و الغايات السّامية، و لايكون أيضاً خطراً على الحكّام الجآئرين و القادة المستبدّين بل موجّهاً لجناياتهم...

و قولها سلام الله عليها: «أأُهْضَمُ تراث أبي»؟!

الهضم: الكَسْر: هضمت الشّيْ: كسرته، و هضمه حقّه واهتضمه: إذا ظلمه و كسر عليه حقّه، و هضمه: دفعه عن حقّه أو عن موضعه.

قال الله تعالى: «فلايخاف ظلماً و لاهضماً» طه: ١١٢).

الهضيم و المهتضم: المظلوم.

التّراث: الميراث. و أصل التّاء فيه واو. أصله: وراث.

و المعنى: أأُظلم من حقّي من ميراث أبي.

و قولها صلوات الله عليها: «و أنتم بمرأى منّي و مسمع و منتدى و مجمع»:

المنتدى: مجلس القوم من النّدوة بمعنى المشورة، و المنتدى محلّ المشورة، تسمّى به المجلس، فيقال دار النّدوة أو دار المشورة، فيكون المجمع كالتّفسير له.

و **غرض الفقرة**: و أنتم أيها الأنصار حاضرون في مجلس الشكاية مع هؤلآء القوم الغاصبين الظّالمين الهتّاكين لحرمة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بحيث ترونني مهضومة و تنظرون و تبصرون الحالة و الكيفيّة و ما أنا عليه من المظلوميّة، و تسمعون كلامي و ظُلامتي و عدوان القوم عَلَيَّ.

و قيل: أي بحيث أراكم و أسمعكم كلامي و صوتي و صراخي في تظلّمي.

و قيل إنّ الغرض هو الاحتجاج عليهم بالاجتماع الّذي هو من أسباب القدرة على دفع الظّلم.

و **قولها عليها السّلام**: «تلبسكم الدّعوة»:

الدّعوة: المرّة من الدّعآء أي ندآء المظلوم للنّصرة.

و **المعنى**: و تغطّيكم و تحيط بكم دعوتي من جوانبكم إلى الحقّ و إحقاقه، و قد كنتم حملة الحقّ من قبل.

و **قولها سلام الله عليها**: «و تشملكم الخبرة»:

الخبرة ـ بضمّ الخاء و كسرها و سكون الباء ـ: العلم بالشيء. و المراد علمهم بمظلوميّة الصّدّيقة الطّاهرة و هضم حقّها و هتك حرمتها صلوات الله عليها.

و التّعبير باللباس في الدّعوة، و بالشّمول في الخبرة للمبالغة أو للتّصريح بأنّ ذلك قدعمّهم جميعاً، و ليس من قبيل الحكم على الجماعة بحكم البعض أو الأكثر.

و **المعنى**: و يشملكم الانتصار منكم و الإنذار في ترك النّصرة و ما قمت به من الإخبار بالحقّ و الواقع، فلاعذر لأحد منكم بعد اليوم.

و **قولها عليها السّلام**: «و أنتم ذووالعدد و العدّة»:

كونهم ذوي العدد كناية عن كثرتهم. و اللام فيه للكمال بجعلها للجنس أو للاستغراق. أي أنتم ذووالعدد الكامل، و العدد لايكون بدون المعدود.

و العُدَّة: الاستعداد و القابليّة مالياً، أو جسمياً أو روحياً، أو علمياً.

و **المعنى**: و أنتم أيها الأنصار قادرون على إحقاق الحق و إعانة المظلوم لكثرة عددكم، و مالديكم من القوّة و القابليّة علمياً و مالياً، و جسمياً و روحياً.

و قولها صلوات الله عليها: «و الأداة و القوّة»:

الأداة: الآلة و الوسيلة، جمعها: الأدوات. و آداه على كذا يؤديه ايداءً: إذا قوّاه عليه، و أعانه، و تأدّى أي أخذ للدّهر أداته. و المراد من القوّة: أسباب الغلبة مادّياً أو معنوياً.

و المعنى: و أنتم الأنصار، الوسيلة ذات القدرة و القوّة في المجتمع الإسلامي تقدرون على إعانتي، و الذّبّ عنّي، و دفع الظّالمين و قطع أيديهم...

و قولها سلام الله عليها: «و عندكم السّلاح و الجنّة»:

السّلاح: آلة الحرب. و الجُنّة: المِجَنّ و هو ما يستتر به السّلاح، و الترس، يستر حامله. و منه الجنين في الرّحم لاستتاره.

و المعنى: و عندكم الأنصار، السّلاح لإحقاق الحقّ و إعانة المظلوم، و دفع الظّلم، و عندكم الوسيلة للتترّس و التحصّن من عدوان المعتدين.

و قولها صلوات الله عليها: «توافيكم الدّعوة فلا تجيبون»:

الموافاة: الدّعوة، كناية عن بلوغها لهم.

و المعنى: تبلغكم دعوة الحقّ فلا تنتصرون لها و لاتجيبونها.

و قولها عليها السلام: «و تأتيكم الصّرخة فلا تغيثون»:

إتيان الصُّرخة كناية عن بلوغها لهم.

و المعنى: يصلكم نداء المظلومين الّذين لاتتردّدون في ظلامتهم فلاتعينونهم.

و الفقرات في معنى قول أميرالمؤمنين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾:

في نهج البلاغة: «مُنيتُ بمن لايطيع إذا أمَرْتُ، و لايُجيبُ إذا دَعَوْتُ، لاأباً لكم ما تنتظرون بنصركم ربّكم؟ أمادين يجمعكم، و لاحميّة تَحْمِشُكم، أقوم فيكم مستصرخاً، و أناديكم متغوّثاً، فلا تسمعون لي قولي، و لاتطيعون لي أمراً...» الخطبة ۳۹).

و قولها سلام الله عليها: «و أنتم موصوفون بالكفاح»:

الكِفاح: استقبال العدوّ في الحرب بغير تُرْس و لاجُنَّة. يقال: فلان يكافح الأمور: يباشرها بنفسه. المكافحة: المدافعة تلقاء الوجه. كـافِحُوهم في الحـرب: اسـتقبلوهم لوجوهكم ليس دونها تُرس و لاغيره. و كلّمته كفاحاً: مواجهة بغير حجاب.

و المعنى: و أنتم معشر الأنصار موصوفون بالشّجاعة و البسالة في الحرب و غيره.

و قولها عليها السلام: «معروفون بالخير و الصّلاح»:

إشارة إلى معروفيّتهم بالخير العقائديّ و الصّلاح العمليّ.

و قولها عليها صلوات الله: «و النّخبة الّتي اُنتُخِبَتْ»:

النّخبة: المنتخب، تقع على القليل و الكثير أي أنتم الأنصار منتخبون انتخبهم رسول الله لحمل الرّسالة و الدّفاع عنها و نصرة النّبيّ «ﷺ»، و لذا سمّوا بالأنصار.

و قولها سلام الله عليها: «و الخيرة الّتي اختيرت لنا أهل البيت»:

الخيرة: المفضّل من القوم المختار منهم، و تقع على القليل و الكثير. أي أنتم الأنصار مختارون إختاركم رسول الله «ﷺ» لنصرتنا أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و الدّفاع عنّا. و لعلّ المراد مدح أصل نوعهم و جنس طائفتهم لاكلّ واحد واحد من أشخاصهم، فلايضرّ كون بعضهم مذموماً مقدوحاً عن قرب دار الله مردوداً.

و قولها عليها السلام: «قاتلتم العرب»:

تقرير لوجه المدح السّابق بأنّكم مدحتم إذ قاتلتم العرب المشركين و الكفّار، و المستكبرين و الفجّار لأجل الدّين و إعلآء كلمة الله تعالى و نصرة رسوله «ﷺ».

و قولها سلام الله عليها: «و تحمّلتم الكدّ و التّعب»:

الكدّ: الشّدّة في العمل. التّعب: ضدّ الرّاحة أي تحمّلتم الكدّ و التّعب في مجاهدة الكفّار و المشركين...

و في الجملة إشارة إلى مواقف الأنصار و ثباتهم في الحروب، و الدّفاع عن الإسلام بكلّ جدّ في عهد رسول الله «ﷺ».

و قولها صلوات الله عليها: «و ناطحتم الأمم»:

المناطحة من نطح الكبش: ضربه بقرنه، و ناطحت الكبش: تضاربت بقرونها. و قد يكنّى بالنّطاح و المناطحة عن المقاتلة مواجهة.

الأمم: جمع الأمّة، و المراد من الأمم إمّا القبآئل و الجماعات و الأحزاب المختلفة أو الملل المختلفة كاليهود و النّصارى و غيرهما.

و المراد من مناطحة الأُمم محاربة الخصوم و مدافعتهم بجدّ و اهتمام كما يدافع الكبش قرنه بقرنه.

و قولها عليها السلام: «و كافحتم البُهم»:

البُهْم: جمع البُهمة، و هي مشكلات الأُمور و خفاياها...

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «ضادّ النّور بالظّلمة، و الوضوح بالبُهْمَة» الخطبة: ۲۲۸).

و المراد من البُهْم في هذه الفقرة: الشُّجْعان و الأبطال، و مكافحتها: التّعرّض لدفعها من غير توان و لاضعف.

و المعنى: و جاهدتم الشُّجعان و الأبطال و الفرسان...

و قولها عليها آلاف التّحيّة و الثّنآء: «لانبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون»:

«أو تبرحون» معطوف على المنفيّ في «لانبرح» فالمنفيّ أحد الأمرين، و لاينتفى إلاّ بانتفآئهما معاً. فالمعنى لانبرح و لاتبرحون نأمركم فتأتمرون أي كنّا لم نزل آمرين و كنتم لأوامرنا مطيعين.

و في الفقرة: إشارة إلى ماكان عليه الأنصار في عهد رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ من الاستمرار و الدّوام على امتثال أوامر النبيّ الكريم و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و قولها عليها السلام: «حتّى إذا دارت بنا رحى الإسلام»:

دوران رحى الإسلام كناية عن انتظام أمره بولاية أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و المعنى: حتّى تمّ بولايتنا أمر الإسلام و نظامه.

و قد أشارت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها إلى هذا المعنى بقولها في أوآئل هذه الخطبة: «و طاعتنا نظاماً للملّة و إمامتنا أماناً للفرقة».

و ذلك أنّ طاعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الّذين هم الثّقل الثّاني للرّسالة نظم الملّة بقانون الإسلام نظماً به تعيش واقع الإسلام بعيداً عن الإفراط و التّفريط، و قيادتهم حفظ للملّة من التّفرّق العقائدي و التّشتّت العملي في مسيرة

الكمال الإنساني، فما حصل من الشّتات و التّفرقة و الجهل و التّطاحن بين المسلمين كلّها نتيجة تلك التخلّفات عن الطّاعة و الإمامة لأهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين، و عن ترك التمسّك بهم الّذين هم العروة الوثق و حبل الله أمر الله تعالى عباده بالتمسّك و الاعتصام بهم فقال: «و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لاتفرّقوا...» آل عمران: ۱۰۳).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «أمّا بعد فإنّ الله سبحانه بعث محمّداً ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و ليس أحد من العرب يقرأ كتاباً، و لا يدّعي نبوّة و لا وحياً، فقاتل بمن أطاعه مَن عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم، و يبادر بهم السّاعة أن تنزل بهم، يحسر الحسير، و يقف الكسير، فيقيم عليه حتّى يلحقه غايته إلاّ هالكاً لاخير فيه، حتّى أراهم منجاتهم، و بوّأهم محلّتهم، فاستدارت رَحاهم و استقامت قناتهم، و أيم الله لقد كنتُ من ساقتها حتّى تولّت بحذافيرها، و استوسقت في قيادها، ما ضَعُفْتُ و لا جَبُنْتُ و لا خُنْتُ و لا وهَنْتُ...» الخطبة: ۱۰۳).

و قولها سلام الله عليها: «و درّ حَلَبُ الأيّام»:

دَرَّ اللبن: إذا زاد و كثر جريانه في الضّرع. و المدرار: المبالغة منه و هو كثير الدّرور.

قال الله تعالى: «يرسل السّماء عليكم مدراراً» نوح: ۱۱).

و الحَلْب ـ بالفتح فسكون ـ: استخراج ما في الضّرع من اللبن. و ـ بالتّحريك ـ: اللبن المحلوب. كانّه مصدر بمعنى المفعول.

و مقصود الفقرة: أنّه كثر بنا فيوضات الله تعالى على الأنام، و ظهرت للنّاس منافع الأيّام أو كناية عن الخيرات الّتي اعقبت نصر الإسلام من الفتوحات و الغنائم، و بسط الدّعوة في بسيط الأرض، و اقتطاف ثمرات الحقّ و العدل...

و قولها صلوات الله عليها: «و خضعت ثُغرة الشّرك»:

الثغرة ـ مثلّثة الثّاء ـ: نقرة النّحر بين التّرقوتين، كناية عن العنق، و المقصود خضوع رقاب أهل الشّرك على سبيل المبالغة، أو أنّ خضوع نقرة الشّرك كناية عن سقوطها على الأرض أي محقه و سقوطه كالحيوان السّاقط على الأرض كقول أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «أنا وضعت في الصِّغَر بكلا كل العرب، و كسرت نواجم قرون ربيعة و

مُضَر...» نهج البلاغة: الخطبة القاصعة: ۲۳٤).

أي صدورهم...

الثُغْرَة: الثُلْمَة ـ و الثَغْر جمعه: الثغور ـ: المكان الّذي يخاف منه هجوم العدوّ.

في نهج البلاغة: ـ من كتاب أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾ لبعض عمّاله ـ: «و أسدّبه لَهَاةَ الثَّغْرِ المخوف...» رقم الكتاب: ٤٦).

و فيه ـ من كتاب سيّد الوصيّين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾ إلى المنذر ابن الجارود العبدي ـ: «و من كان بصفتك فليس بأهل أن يُسَدَّ به ثَغْرٌ أو يُنفَذَ به أمْرٌ...» رقم الكتاب: ۷۱).

و هدف الفقرة: كناية عمّا حصل للكفّار و المشركين و الفجّار و المستكبرين من ذلّ و استسلام لقوّة الفتوح الإسلاميّة...

و قولها عليها سلام الله: «وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإفك»:

الفَوْرة ـ من الحرّ أو الغضب ـ: حدّته. من فار القِدْر: غَلَتْ و ارتفع ما فيها. و فار الماء: نبع من الأرض و جرى. الفوّارة ـ مؤنّث الفوّار ـ فعّال للمبالغة ـ منبع المآء يفور صاعداً.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «حاول القوم إطفآء نور الله من مصباحه، و سدّ فوّاره من ينبوعه...» من كلامه﴿عليه السلام﴾ رقم: ١٦١).

الإفك: الكذب. و فَوْرَة الإفك: غليانه و هيجانه.

وغرض الفقرة: كما أخرس ندآء الايمان ثغرة الشّرك و الطّغيان، أسكت أصوات الكذب و المكر و الافتراء و البهتان.

و قولها عليها أفضل صلوات الله: «و خمدت نيران الكفر»:

و سكنت نيران الكفر الّتي كانوا يوقدونها في كلّ حين و آخر ضدّ الإسلام و المسلمين، ولكن لم يطفأ جمرها. و فيه إشعار بنفاق بعضهم، و بقاء مادّة الكفر و الطّغيان، و البغي و العصيان، و الظّلم و العدوان في قلوبهم، تشتعل يوماً ما كما اشتعلت منذ وفاة رسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ بل في احتضاره﴿صلى الله عليه و آله﴾ و في قضيّة إمارة أُسامة.

و قولها عليها السلام: «و هَدَأَتْ دَعْوَةُ الهَرْج»:

هَدَأَتْ: سكنت، و أهدأته: أسكنته، و تقول: أهدأت الصّبيّ: إذا جعلت تضرب بكفّيك عليه و تسكنه لينام.

و الهَرْج: الفتنة والاختلاط و القتل. هرج النّاس: اختلطوا و اضطربوا و ظهرت الفتنة و الفساد بينهم. و أصل الهرْج: الكثرة و الاتّساع. و في الحديث: الهَرْجُ: القتل.

و **معنى الفقرة**: و سكتت الدّعوة إلى الباطل و الضّلال و الفتنة و الفساد بواقع الإسلام.

و **قولها سلام الله عليها**: «و استوسق نظام الدّين»:

استوسق: اجتمع و انضمّ من الوَسَق: و هو ضمّ الشيئ إلى الشّيئ، و اتّساق الشيئ: انتظامه و استواه و انقياده و استحكامه. و استوسق الأمر: انتظم، و انتظم له الأمر: أمكنه و انقادله.

و **غرض الفقرة**: و أصبح الدّين بواقع الإسلام، مستحكم النظّام، لأنّ باستحكام نظام الحق و العدل موت الباطل و البغى، و لايمكن إماتة الباطل و نهاية التطاحن و الحقد و الحسد و الجهل الحاكم على المجتمع البشري إلاّ بواقع الإسلام و هو الولاية و الإمامة لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لابالأسمآء و الشّعارات بغير شعور، و لابالحرّيات المزيفة و المؤتمرات و المجالس المخدّرة لروح الوعي و الانتفاضة العالمية ضد الكفر و العصيان، ضدّ الظّلم و الطّغيان، و ضدّ البغي و العدوان...

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «و استوسقت في قيادها ما ضَعُفْتُ و لاجَبُنْتُ و لا خُنْتُ و لاوهنتُ...» الخطبة: ١٠٣).

و **قولها صلوات الله عليها**: «فأنّى حِزْتُم (حِرْتُمْ خ) (جِرْتم خ) بعد البيان؟»:

أنّى: ظرف مكان بمعنى أين، و قد يكون بمعنى كيف. و حِزتم من حاز الرّجل: إذا سارسيراً ليّناً و ساق. أي فأنّى سِرتم و سُقتم بعد بيان الحال، و وضوح سبيل المبدإ و المآل.

و في نسخة «حِرتم» أي فكيف تحيّرتم في أمركم بعد عرفانكم للحقّ و ثباتكم من أجل تحقيقه.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «قد ماروا في الحيرة...» الخطبة: ١٥٠).

و فيه: قال الإمام عليّ«عليه السلام» للحارث: «يا حارث! أنّك نظرتَ تحتك و لم تـنظر فوقك فجِرْتَ...» من قصار كلماته«عليه السلام» رقم: ٢٥٤).

و في نسخة «جِرْتم» من الجور و هو الميل من القصد و العدول عن الطريق أي لما ذاتركتم سيل الحقّ و الهدى بعد ما تبيّن لكم.

و قولها عليها السلام: «و أسررتم بعد الإعلان؟».

و كيف أسررتم كلمة الايمان أي تركتم العمل بها، و القيام بمقتضاها بعد أن أعلنتم بها في زمن رسول الله«صلى الله عليه و آله» أو كيف أصبحتم تخفون ما تعلمون من الحقّ بعد ما كنتم معلنين بالحقّ لاتتردّدون في نصرته.

و قولها عليها أفضل صلوات الله: «و نكصتم بعد الإقدام؟»:

النكوص: الرّجوع إلى خلف. نكص على عقبيه: رجع عمّا كان عليه، إلى ما كان عليه من قبل.

في نهج البلاغة: ـ في كتاب مولى الموحّدين أميرالمؤمنين الإمام عـليّ«عليه السلام» إلى معاوية بن أبي سفيان ـ: «و نكصوا على أعقابهم و تولّوا على أدبارهم...» رقم الكتاب: ٣٢).

و معنى الفقرة: و كيف رجعتم معشر الأنصار عن الإسلام إلى القهقري؟ و تراجعتم إلى الورآء بعد الإقدام و الثّبات من أجل الحقّ و الهدى؟ أو كيف رجعتم عن مجـاهدة أعدآء الله بعد أن أقدمتم على ذلك في عهد رسول الله«صلى الله عليه و آله» ؟

و قولها عليها أكمل تحيّات الله: «و أشركتم بعد الايمان؟»:

و لايخفى على القاريّ الخبير أنّ للشّرك مفهوماً خاصاً على أنحائه الخمسة: الشّرك في الوجود الواجب، و في ايجاد العالَم، و في تدبير نظام الكون، و في العبادة لغيرالله، و رئاءاً، و ليس نحو منها بمراد هيهنا، و له مفهوماً عاماً و هو إطاعة غير الله تعالى و غير من أمر الله تعالى بطاعته، فمن تبع الأهوآء و الشّهوات و تنازل عن القيم الحقّة من أجل إرضآء الحكّام الجآئرين كان مشركاً لأنّ ذاك يعبد صنماً، و هذا يعبد حاكماً أو مالاً أو جاهاً و هكذا...

و قولها عليها السلام: «بُؤْساً لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم...»!

بُؤْساً: شدّة و فقراً و خوفاً و عذاباً ـ منصوب على المصدر ـ من بَئِسَ: اشتدّ، و أبأس الرّجل: حلّت به الشّدآئد، و أنزل به الشّدآئد.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام» ـ و قد مرّ بقتلى الخوارج يوم النّهروان ـ «بُؤساً لكم لقد ضرّكم مَن غرّكم!...».

نكث العهد: نقضه. و الأيمان. جمع اليمين و هو القسم، و يستعمل في مطلق العهد و المعاهدة و لعلّه المراد ههنا.

و الفقرة مقتبسة من قوله تعالى: «ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم و همّوا بإخراج الرّسول و هم بدؤكم أوّل مرّة أتخشونهم فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين» التّوبة: ١٣).

و في شأن نزول الآية اختلاف:

فقيل: إنّها نزلت في مشركي قريش.

و قيل: نزلت في اليهود الّذين نقضوا العهد مع رسول الله«صلى الله عليه وآله» و أعانوا الأحزاب في غزوة الخندق، و همّوا بإخراج الرّسول«صلى الله عليه وآله» من المدينة.

فأشارت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها إلى هذه الآية لمناسبة الحكم و الموضوع، لأنّ جمعاً من المشركين أو اليهود نقضوا العهد و همّوا بإخراج الرّسول«صلى الله عليه وآله»، و أنّ جمعاً من المنقلبين على أعقابهم نقضوا العهد، فارتدّوا عن واقع الإسلام علماً و عملاً و همّوا بإخراج الرّسالة باسم الرّسالة عن كلّ قيمها لأنّ الرّسالة إذا فقدت التّفسير و التّأويل الصّحيح، و كان التّطبيق كذلك على طبق الأهوآء النّفسانيّة و الأغراض الشّخصيّة و الميول الشّيطانيّة لم تكن رسالة الإسلام.

فعليكم أيها الأنصار أن تقفوا أمام هؤلآء البغآء الغاصبين الهتّاكين لحرمات أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين أتخشونهم و هم بدؤكم أوّل مرّة بنقض ماعاهدوا الله جل وعلا و رسوله«صلى الله عليه وآله» عليه، فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

فالغرض، التّعرّض بوجوب قتال أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة الغاصبين للإمامة، الخائنين في حقّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام عليها النّاكثين لما عهد إليهم رسول

الله «صلى الله عليه و آله» في وصيّته و ذوي قرباه و أهل بيته المعصومين عليهم صلوات الله كما وجب بأمره تعالى قتال من نزلت فيهم الآية.

و من المحتمل أن يكون المراد بـ«قوماً» الغاصبين لحقّ أهل بيت الوحي عليهم السلام، فالمراد بنكثهم أيمانهم نقض ما عهدوا إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» حين بايعوه من الانقياد له في أوامره و الانقياد عن نواهيه، و أن لا يضمروا له «صلى الله عليه و آله» العدواة و العناد، فنقضوه و نقضوا ما أمرهم به، و المراد بقصد هم إخراج الرّسول «صلى الله عليه و آله» عزمهم على إخراج من هو كنفس رسول الله «صلى الله عليه و آله» و قائم مقامه بأمرالله تعالى وأمره عن مقام الخلافة، و على إبطال أوامره و وصاياه في أهل بيته النّازل منزلة إخراجه من مستقرّه.

و لا يبعد تعميم الآية حيث إنّ كلّ آية و إن كان لها شأن نزول، و لكنّه لا يكون قيداً لها، بل هو أحد مصاديقها إلاّ أن يكون المورد خاصّاً أو يدلّ دليل عقلاً أو لفظاً على التّقييد، فتقول الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها: بؤساً لكم! معشرالأنصار! ألا تقاتلون قوماً انقلبوا على أعقابهم فنكثوا أيمانهم الّتي عاهدوا الله و رسوله «صلى الله عليه و آله» عليها يوم بيعة الغدير، و همّوا بإخراج رسول شرح الرّسالة و بيانها، و كيفيّة تطبيقها عن مقامه الّذي عيّنه الله تعالى له، و قد تقمّصوا أمر الخلافة غصباً، و هم بدؤكم أوّل مرّة بالانقلاب و نقض العهد، أتخشونهم، فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

و قولها عليها أكمل تحيّات الله: «ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفْض».

الرّؤية: هنا بمعنى العلم أو النّظر بالعين.

أخلد إليه: ركن و مال إليه، من خلد بالمكان: أقام فيه.

قال الله تعالى: «ولكنّه أخلد إلى الأرض و اتّبع هواه» الأعراف: ۱۷٦) أي مال إليها.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين يعسوب الدّين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» ـ في ذمّ الدّنيا ـ: «فقد رأيتم تنكّرها لمن دان لها، و آثرها و أخلد إليها حتّى ظعنوا عنها لفراق الأبد...» الخطبة: ۱۱۰).

الخفض: الراحة وسعة العيش، والمراد به هنا إمّا الاستراحة بترك منازعة الأنصار مع أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّوْمة غاصبي الخلافة و فدك، و مانعي الإرث و الخمس، و

الهتّاكين لحرمات أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و إما الفراغ من التكاليف أن لو كان الإمام أميرالمؤمنين عليّ «ﷺ» قائماً بالخلافة لأمرهم بها، بخلاف أبي بكر بن أبي قحافة أوّل غاصب الخلافة، و مُقدم الجناية و الخيانة لمساهلته في دين الله جلّ وعلا، أو الاستزادة في أكل مال الله تعالى و مال رسوله«ﷺ» و غصب فدك و الخلافة من آل الله تعالى، نظير ما أشار إليه سيّد الوصيّين عليّ بن أبيطالب«ﷺ» بقوله:

في نهج البلاغة: «يخضمون مال الله خَضْمَ الإبل نِبتَةَ الرّبيع...» الخطبة الشقشقيّة: ٣).

و معنى الفقرة: ألا و إنّي أراكم معشر الأنصار بدلاً من القيام بالحقّ الّذي كنتم تقومون به، و بعد ما تحمّلتم من الكدّ و التّعب من أجله، أصبحتم محبّين للرّاحة، و ترك القيام بالحقّ!

و قولها عليها أفضل صلوات الله: «و أبعدتم مَن هو أحقّ بالبسط و القبض»:

البسط ـ مادّياً و معنوياً ـ: خلاف القبض كذلك. قبض الشيْ بيده: أمسكه بيده: خلاف بسطه: وسّعه. قال الله تعالى: «والله يقبض و يبسط» البقرة: ٢٤٥) أي يضيّق على قوم و يوسّع على قوم.

و في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«ﷺ»: «ما هي إلاّ الكوفة أقبضها و أبسطها...» الخطبة: ٢٥).

قبض الطّائر و بسط: جمع جناحه و بسطه.

إنّما المراد بمن هو أحقّ بالبسط و القبض هو سيّد الوصيّين الإمام عليّ«ﷺ» و صيغة التفضيل مثلها في قوله عزّوجلّ: «قل أذلك خير أم جنّة الخلد الّتي و عد المتّقون» الفرقان: ١٥)

مع أنه لاخير في المفضّل عليه و هو السّعير، بل هو شرّ.

و ذلك أنّ صيغة التّفضيل مالم تتمّ بحرف «من» ولم تدخل فيها اللام، كانت للمقياس و الميزان لا للمقايسة و المؤازنة والمفاضلة كما توهّمه أكثر النّاس بل أكثر الخواصّ...

فالبسط و القبض حقّ خاص بعد وفاة رسول الله«ﷺ» لأميرالمؤمنين الإمام عليّ«ﷺ» و يتبعه من يقوم مقامه من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم

أجمعين، ثمّ العلمآء العاملين مع الشرآئط اللّازمة في زمن غيبة وليّ أمرنا الحجّة ابن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشّريف. فالإمام أميرالمؤمنين هو أُسوة البسط و القبض و معياره و مقياسه و ميزانه في الدّين الإسلامي لايقاس به أحد من هذه الأمّة.

في نهج البلاغة: قال إما م المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «لايقاس بآل محمّد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ من هذه الامة أحد، و لايسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدّين، و عماد اليقين، و إليهم يفيئ الغالي، و بهم يلحق التّالي، و لهم خصآئص حقّ الولاية، و فيهم الوصيّة و الوراثة، الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله، و نُقِلَ إلى منتقله» الخطبة الثّانية).

ففي الفقرة: إشارة إلى اختصاص القيام بالحقّ بمن لافكاك بينهما، و إلى أنّ غيره لايستطيع على تطبيق القانون الإسلامي العارف بموارد البسط و القبض، الواضع للأُمور مواضعها علماً و عملاً، و هو إمام المتّقين أميرالمؤمنين وصيّ رسول ربّ العالمين.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «تالله لقد عُلِّمتُ تبليغ الرّسالات و إتمام العدات و تمام الكلمات، و عندنا أهل البيت أبواب الحكم وضيآء الأمر ألا و إنّ شرآئع الدّين واحدة، و سبله قاصدة، من أخذبها لحق و غنم و من وقف عنها ضلّ و ندم...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾: رقم: ١١٩).

و قولها عليها السلام: «و خلوتم بالدَّعَةِ»:

خلوت بالشئ: انفردت به، و اجتمعت معه في خلوة. و الدّعة: الرّاحة و السّكون.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ «و كأنّي أنظر إليكم تكشّون كَشيش الضِّباب، لا تأخذون حقّاً و لاتمنعون ضَيْماً، قد خُلّيتم و الطّريق، فالنّجاة للمقتحم، و الهلكة للمتلوّم» من كلامه ﴿عليه السلام﴾: ١٢٣).

و فيه: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «و أربح الدَّعَة معها الأمان من النّار» من قصار كلماته ﴿عليه السلام﴾ رقم ٣٦).

و معنى الفقرة: و انفردتم بالرّاحة و ليست هي براحة إذ يعقبها العقاب.

و قولها سلام الله عليها: «و نجوتم بالضّيق من السّعة (من الضّيق بالسّعة خ)»:

فعلى **الأوّل:** و فررتم بضيق العيش في الحياة الدّنيا من سعته في الدّار الآخرة: «الّذين يستحبّون الحياة الدّنيا على الآخرة» إبراهيم: ٣) «بل تؤثرون الحياة الدّنيا و الآخرة خير و أبق» الأعلى: ١٦ ـ ١٧). «ما عندكم ينفد و ما عندالله باق» النّحل: ٩٦).

و على **الثّاني:** و فررتم من ثقل التكاليف بما فيه من الصّعوبات و المتاعب إلى السّعة و عدم تحمّل المسئوليّة، لأنّ أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» لاطبقيّة عنده في مال و لاجاه و لا إمارة عنده لشرف الرّجال، و إنّما هوعون المظلوم و لوكان عبداً حبشيّاً، و خصم الظّالم و لو كان سيّداً قريشيّاً، فلا مصانعة و لامجاملة و لا مداهنة و لاهوادة في تطبيق قانون العدل عند إمام المتّقين عليّ ابن أبي طالب «عليه السلام» و ليس عنده شرآء ضمائر الرّجل لتوطيد الحكم و الرّئاسة، و لذا إستوحش من حكم إبن أبيطالب «عليه السلام» المارقون و القاسطون و النّاكثون و بالجملة المنافقون الّذين يتظاهرون الايمان و يبطنون الكفر بالله سبحانه و عداوة رسوله «صلى الله عليه و آله» و هتك حرمة أهل بيته المعصومين عليهم السّلام وإهانة شيعتهم.

و **قولها صلوات الله عليها:** «فمججتم ما وعيتم»:

مَجَّ الرَّجُلُ الشَّرابَ من فيه: رمى به. و منه، مجّ لُعابَه: إذا قذفه و القاه إذا كرهه. و في الحديث: «أنّه أخذ حُشوة من ماء فمجّها في برء، ففاضت بالمآء الرّوآء» أي صبّها.

و وعيتم: حفظتم من وعى الشيئ: حفظه، و منه الوعاء للظّرف لأنّه يحفظ ما فيه.

و **معنى الفقرة:** فرميتم معشر الأنصار بعد وفاة رسـول‌الله «صلى الله عليه و آله» مـاجمعتموه و حفظتموه في عهده «صلى الله عليه و آله».

و هذا من باب تقريب المعقول بالمحسوس، أي مآء الحياة و هو الدّين الإسلامي السّامي الّذي حفظتموه و اجتمعتم تحت رايته «صلى الله عليه و آله» بالعدل و الإحسان و الإخآء و الحنان فترة من الزّمن: «استجيبوا لله و للرّسول إذا دعاكم لما يحييكم» الأنفال: ٢٤) رميتموه و نبذتموه ورآء ظهوركم، و أصبحتم لاتستذقونه حينما استجبتم لندآء الشّيطان و دخلتم في فتنة السّقيفة السّخيفة الشّؤمة فأصابتكم نارها و نيرآنها. و مجّهم ما وعوه استعارة عن إخراج الايمان من قلوبهم الّذي حفظوه فيها، فطرحوه منها إلى الخارج أي تركوه و أزالوه

بالارتداد، فيكون ذلك إشارة إلى ارتدادهم إلى أعقابهم كما يدل عليه أيضاً استشهادها سلام الله عليها بقوله تعالى: «فإن تكفروا...» وكما في الخبر الصّحيح: أنه ارتدّ النّاس بعد رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ إلاّ ثلاثة أو أربعة أوستّة، و تدلّ عليه الآيات القرآنيّة أيضاً.

و قولها صلوات الله عليها: «وَدَسَعْتُمُ الّذي تَسَوَّغْتُم»:

الدَّسْع: الدَّفع و القيْ، و إخراج البعير جرّته من جوفه إلى فيه. دسعه: دفعه.

و ساغ الشّراب: سهل مدخله في الحلق. و تسوّغه: شربه بسهولة.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «و عَرَّفْتُكُمْ ما أنكرتم، و سَوَّغْتُكُمْ ما مججتم لو كان الأعمى يلحظ، أو النّائم يستيقظ...» الخطبة: ۱۷۹).

و معنى الفقرة: و دفعتم و تقيئتم بعد وفاة رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ ما شربتموه بسهولة و لذّة في عهده ﴿صلى الله عليه و آله﴾.

و هذا أيضاً من باب تقريب المعقول بالمحسوس. و المراد: أنّكم معشر الأنصار تسوّغتم شرب ماء الحياة بسهولة و لذّة في زمن رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾، و هو كناية عن استسلامهم لمنهج الحقّ و الهدى حينما أجابوا داعي الله تعالى بكلّ واقعهم، و لكنّهم لمّا ركنوا إلى الّذين ظلموا و أجابوا هدير الشّيطان أصبحوا يتقيون ما كان مستقرّاً في ضمآئرهم من تأييد الحقّ.

ثمّ استشهدت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها على ارتدادهم أوّلاً بقوله تعالى حكاية عن موسى ﴿عليه السلام﴾ لقومه: «إن تكفروا أنتم و من في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيّ حميد» إبراهيم: ۸) و لإلفات نظر المجتمع البشري في كلّ ظرف من الظّروف ثانياً إلى حكمة التشريع اجمالاً:

أمّا الأوّل فحاصله: أنّكم معشر الأنصار قد تركتم الإمام بالحقّ المنصوص من الله جلّ وعلا، و المنصوب من رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾، فخلعتم بيعته من رقابكم إذ رضيتم ببيعة أبي بكر بن أبي قحافة غاصب الخلافة، لعلمكم أنّ أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ لايتهاون و لايجامل و لايداهن في دين الله تعالى مع أحد، و لاتأخذه في الله لومة لآئم، و يأمركم بتحمّل الشّدآئد في الجهاد و غيره لسعادتكم، و ترك ما تشتهون من زخارف

الدّنيا لنيلكم بنعم الآخرة الأبديّة، و يقسم الفيء بينكم بالسّويّة، و لا يفضّل أحداً على أحد إلاّ بالتّقوى رئيساً كان أو مرؤساً، عالماً كان أو اُمّيّاً، ذكراً كان أو اُنثى، أبيض كان أو أسود، فإنّ ملاك الكرامة عنده ما هو عندالله تعالى نفسه و هو التّقوى، و أمّا أبوبكر فكان رجلاً سلس القياد، مداهن في الدّين و يتلوّن بكلّ لون لإرضاء العباد، فلذا رفضتم الايمان، و خرجتم عن طاعة الله جلّ وعلا إلى طاعة الشّيطان بقيادة أبي بكر، و لا يعود وباله إلاّ إليكم.

و **أمّا الثّاني**: فإنّ الله عزّوجلّ قد شرع الأديان ليأخذ بأيدي الإنسان إلى غاية الكمال لطفاً منه تعالى، و ليس هنالك من حكم شرعه الله عزّوجلّ يرجع نفسه إليه سبحانه فإنّه هو الغنيّ المطلق، و الحميد المطلق، فكلّ ما شرعه من حكم إنّما هو عبادة نظريّة أو عمليّة لتأخذ بالإنسان إلى مدارج الكمال حتّى مثل الصّلاة، فإنّها أداة علم يتمكّن بواسطتها الإنسان من تطهير نفسه من العجب و الكبر المانع من مشاهدة الواقع كما هو عليه، و من شاهد الواقع عرف نفسه، و من عرف نفسه فقد عرف ربّه، و من عرف ربّه عرف واقع الكمال و لانهاية الوجود، و من عرف الكمال حقّاً أحبّه، و من أحبّ الكمال سار بكلّ واقعه بجوانحه و جوارحه إليه.

و من ظنّ العرفان من نفسه، و لم يسر إليه فللتّأمّل في عرفانه مجال واسع، فإنّ الكمال مطلوب لكلّ موجود فضلاً عن الإنسان.

و في كلام الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها صراحة بأنّ من لم يعرف الدّين من باب مدينة علم الأنبيآء و المرسلين، و راح يطلب الشّرح و التّطبيق من أبواب الظّالمين كان حقّاً من الكافرين، و إن اكتفى الإسلام بالشّهادتين لأنّ لقبول الحقّ مراتب، فأوّل مراتب القول بكلمة «لاإله إلاّ الله» و «محمّد رسول الله» الّذي به يصحّ إطلاق الإسلام على الإنسان، فيصبح مسلماً، ثمّ يأتي دور عالم المسمّى و هو الاستسلام لروح السّلام الّذي لايعقل تحقّقه في النّفوس إلاّ بواسطة متابعة هدى الأنبيآء و الأوصيآء صلوات الله عليهم أجمعين.

و ليس من العجيب أن تنتصر راية الأنبيآء دائماً ثمّ تصاب بالتّمرّد و الطّغيان و الظّلم و

العدوان، و بالكفر و العصيان، حينما تقع بأيدي الأوصيآء، لأنّ مقتضى الفطرة و ندآء العقل و حسن السلام و العدل و الدّفاع عن المظلوم، و دفع الظّالم و ما إليها كلّها تستذوقه عامّة النّاس و تندفع ملبية له جماهير الشّعوب المضطهدة لكن بعد انتصار أصل دعوة الحقّ تأتي مرحلة جعل الكمال و العدل و السّلام روح الأمّة و واقعها الخارجي، فههنا تظهر رواسب الاختصاص، فيأخذ بالظّلم و العدوان من كان بالأمس من المظلومين و الصّارخين ضدّ الطّغيان، و تنشقّ الصّفوف الّتي كانت بالأمس صرخة واحدة ظلم الظّلم، فتتحقّق مرّة ثانية أقلّيّة تعيش الحكم و السّلطان، و أكثريّة تعيش الاضطهاد و الحرمان.

و بالجملة لايقاس الكفاح في ميادين الجهاد الأصغر و هو الجهاد بالسّيف و السّنان ضدّ الكفر و الطّغيان الّذي قد تحمل راياته العديد من المظلومين على اختلاف مراتب ايمانهم، و الجهاد الأكبر و هو جهاد النّفس حتّى تصبح عين السّلام الّذي ما حملت راياته إلاّ النّوادر من البشر ليكونوا حجّة على الخلآئق عند الفزع الأكبر، فلم يكن الانتكاص على العقب في ميادين الجهاد الأكبر مختصّاً بالماضين، و إن كان لهم و سام أئمّة المنقلبين على أعقابهم!

قال الله تعالى: «أحسب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا و هم لايفتنون و لقد فتنّا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا و ليعلمنّ الكاذبين» العنكبوت: ٢ ـ ٣).

و قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «عند الامتحان يكرم الرّجل أو يهان».

الفصل الرّابع عشر: في إتمام الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها الحجّة على الأنصار:

فقالت عليها السّلام:

«ألا و قد قلتُ ما قلت هذا على معرفة منّي بالخذلة (بالجذلة خ) الّتي خامَرَتْكم، و الغَدْرة الّتي استشعرتها قلوبكم، و لكنّها فَيْضَة النّفس، و نفثة الغيظ، و خور القناة، و بثّة الصّدر (الصّدور خ) و تقدمة الحجّة، فدونكموها فاحتقبوها دَبِرة الظّهْر، نقبة الخُفّ، باقية العار، موسومة بغضب الجبّار (بغضب الله خ) و شَنار الأَبَد، موصولة بنار الله الموقدة الّتي تطّلع على الأفئدة، فبعين الله بما تفعلون «وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون» و أنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنّا عاملون، و انتظروا إنّا منتظرون»:

الشّرح: «ألا» حرف تنبيه، و «قد» حرف تحقيق، جآئت سلام الله عليها بهما للتّحذير

الشّديد، مشيرة إلى علمها السّابق، إمّا من باب علم عالم العصمة، و إمّا له و لفراسة روح الايمان من أنّها سلام الله عليها جآئت لتقيم الحجّة على الرّغم من علمها بالخذلة الّتي خالطت نفوسهم.

الخِذْلَة: ترك النّصرة، من خذله: إذا ترك عونه و نصرته. و تخاذلوا: خذل بعضهم بعضاً. و منه الخذلان في مقابل التّوفيق.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «فتواكلتم و تخاذلتم حتّى شُنَّتْ عليكم الغارات...» الخطبة: ٢٧).

و في نسخة «الجِذْلَة» الفَرْحَة و المسرّة.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾ ـ في وصف آدم﴿عليه السلام﴾ ـ: «و استبدل بالجَذَلِ وَ جلاً...» الخطبة الاولى).

«خامرتكم» من المخامرة: المخالطة و المخاتلة و المخادعة.

و معنى الفقرة: الفَرْحة و المسرّة خالطتكم و خاتلتكم و خادعتكم.

و قولها سلام الله عليها: «و الغَدْرَةُ الّتي استَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ»:

الغدر: نقض العهد، ضدّ الوفاء.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «الوفاء لأهل الغدْر، غَدْرٌ عندالله، و الغَدْرُ بأهل الغَدْرِ و فآء عندالله» من قصار كلماته﴿عليه السلام﴾ رقم: ٢٥١).

غدر الرّجلَ و به: خانه و نقض عهده.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «والله ما مُعاويةُ بأدهىٰ منّي، ولكنّه يغدر و يفجر، و لولا كراهيّة الغَدْر لكنت من أدهى النّاس» من كلامه﴿عليه السلام﴾: رقم: ١٩١).

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: في مروان بن الحكم ـ: «لوبايعني بيده لغدر بسبّته» من كلامه﴿عليه السلام﴾ رقم: ٧٢).

استشعرت: لبست، و استشعر الثّوبَ: لبسه متّصلاً ببدنه من الشّعار بمعنى الثّوب الملاصق للبدن مشتقّاً من الشّعرة، مقابلاً للدّثار بمعنى الثّوب الغير الملاصق له. يقال: جعل فلان هذا العمل شعاراً و دثاراً لنفسه: ملازماً له في ظاهره و باطنه أي لازمه و زاوله.

و في **نهج البلاغة**: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام» ـ لأصحابه في بعض أيّام صفّين ـ: «معاشر المسلمين استشعروا الخشية، و تَجَلْبَبُوا السّكينة...» من كلامه «عليه السلام» رقم: ٦٥).

و فيه: «و استشعروا الصّبر فإنّه أدعى إلى النصّر» الخطبة: ٢٦) أي لازموه و زاولوه. و قد أشارت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها في هذه الجملة أيضاً إلى ما تعلم من ملاصقة الغَدْر و ارتباطه الشّديد بقلوبهم من بعدما خضعوا لندآء أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و لهدير الشّيطان حتّى أصبح الغدر شعاراً لتلك القلوب...

و قولها **صلوات الله عليها**: «ولكنّها فيضة النّفس»:

الفيض ـ في الأصل ـ: كثرة المآء و سيلانه. يقال: فاضت عينه: سال دمعها بكثرة. و فاض الخبر أي شاع. و منه الخبر المستفيض أي بثلاثة طرق أو أكثر. وفاض صدره بالسّرّ: باح به و أظهره. و فاضت نفسه: خرجت روحه. و فاض الكذب: كثر.

في **نهج البلاغة**: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و تفيض اللِّئامُ فيضاً ـ و غار الصّدق وفاض الكذب...» الخطبة: ١٠٧).

و المراد من الفيضة هنا: ما أفاضته النّفس لعدم تحمّلها على ضبطه من الهموم و الآلام... ففيه إشارة إلى تجاوز الهموم و الغموم و الآلام عن حدّها و طغيانها عن مرحلة إمكان الكتمان.

و **معنى الفقرة**: إنّي أظهرت هذا الّذي قلت، و هو المضمر المكنون في نفسي لاستيلآء الهمّ و غلبة الحزن حتّى تتروّح نفسي من سورتها، و إلاّ فإنّي عارفة بأنّكم خاذلون لي، و تاركون لنصرتي، و غادرون بي لكون الغَدْر شيمتكم، و عدم أُنس الوفاء بجبلّتكم، فكلّ ما قلت في خطابي هذا ما كان لرجآء النّصرة منكم بعد معرفتي بنفوسكم، ولكن كان ذلك تعبيراً عن ألم أصبح يتجاوز حدّ الصّبر و الفيض هو الإباحة و البيان لما في الصّدر من الهموم و الآلام كما يفيض الإناء إذا امتلأ، و الفيضان: هو تجاوز المآء عن حدّه و طغيانه.

و قولها **عليها سلام الله**: «و نفثة الغيظ»

النّفث ـ بالضّمّ ـ: شبيه النّفخ و هو أقل من التّفل.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام): «و الجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر إلّا كنفثة في بحر لجّيّ...» من قصار كلماته: رقم: ٣٦٦).

و النّفث كالدّم الّذي يرمى به من الفم، و يدلّ على قرحة الجوف. و منه نفثة المصدور: تأوّه من له وجع الصّدر أي من في صدره داء موجع ظاهريّ أو باطنيّ. و قد يكون للمغتاظ تنفّس عال تسكيناً لحرّ القلب، وإطفاءً لنائرة الغضب. و نفثة الغيظ: إظهار ما في النّفس من الغضب.

نفث الرّاقي: نفخ، و منه النّفّاثات في العُقد: السّواحر.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب (عليه السلام): «إنّ الشّيطان يُسَنّي لكم طُرُقَهُ، و يريد أن يَحُلَّ دينكم عقدةً عقدةً، و يعطيكم بالجماعة الفرقة، و بالفرقة الفتنة، فاصدفوا عن نزغاته و نفثاته...» من كلامه (عليه السلام) رقم: ١٢٠).

و قولها سلام الله عليها: «و خَوَرُ القَناة»:

الخَوَر: الضّعف و الفتور. من خار الحرّ و الرّجل: ضعف و انكسر.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ (عليه السلام): «في ذمّ أصحابه ـ و إذا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ، إن اُمْهِلْتُم خُضْتُم، و إن حُورِبْتُم خُرْتُم...» الخطبة: ١٧٩) أي ضَعُفتم.

القَناة ـ جمعها: القنا ـ: الرّمح و قيل: كلّ عصاً مستوية أو معوّجة.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ (عليه السلام): «لا تُغْمَزُ لهم قَناةٌ، و لا تقرع لهم صَفاة» الخطبة القاصعة: ٢٣٤).

خَوَرُ القناة: إشارة إلى ما تضعف النّفس عن تحمّله من الشّدآئد و الهموم و الآلام و كتمان الضّرّ.

و قولها صلوات الله عليها: «و بَثَّةُ الصَّدْرِ»:

البثّ: النّشر و الإظهار و البسط. و منه بثّ الخبر: أذاعه و نشره.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ (عليه السلام): «أيها النّاس! إنّي قد بثثت لكم المواعظ الّتي وعظ بها الأنبيآء اُممهم...» الخطبة: ١٨١).

و فيه: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب (عليه السلام): «... و يَبُثُّ الفِتَنَ فيها (الاُمّة) فلا

يبصرون الحقّ من الباطل...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم: ١٦٣).

و بَثَ الشَّيْءَ: فَرَّقَهُ، و الغُبَارَ: هَيَّجَهُ. و منه قوله عزّوجلّ: «كالفراش المبثوث» القارعة: ٤).

و بمعنى الهمّ الّذي لا يقدر صاحبه على كتمانه، فيبثّه أي يفرّقه و يظهره.

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب النبي ﴿عليه السلام﴾: «إنّما أشكوا بثّي و حزني إلى الله» يوسف: ٨٦).

و بثّة الصّدر: إشارة إلى شدّة الهموم و الغموم و الآلام الّتي لا يمكن كتمانها، و لو كتمت لظهرت أيضاً على قسمات الوجه.

و قولها عليها السلام: «و تَقْدِمَةُ الحُجَّةِ»:

تقدمة الحجّة: إعلام المرء قبل وقت الحاجة قطعاً لاعتذاره بالغفلة.

و غرض الفقرة: أنّ الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء عليها أفضل صلوات الله و أكمل تحيّاته، كأنّها تقول للأنصار: إنّ استنصاري منكم معشر الأنصار و تظلّمي لديكم، و إلقآء ما ألقيته إليكم لم يكن رجاءً للعون و المظاهرة، و النّصر و المعاونة لأنّي عالمة عارفة أنّكم لا تنصرونني لضعفكم و فتوركم و فشلكم و ذهاب ريحكم باتّباعكم أهوآء أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة، و استجابتكم لدعوة الشّيطان إلى بيعة أبي بكر بن أبي قحافة...

و إنّما هي تسليةً للنّفس، و تسكيناً للغضب، و إتماماً للحجّة عليكم قبل يوم القيامة بإيضاح المحجّة لئلّا تقولوا يومئذ: «إنّا كنّا عن هذا غافلين» الأعراف: ١٧٢) و بحقيقة الحقّ جاهلين أو عنها ساهين أو لها ناسين.

و لمن أراد أيضاً معرفة الحقّ لنفسه، ليحتجّ به على الآخرين... لأنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها لم تبق شيئاً أصوليّاً من شئون الرّسالة و الإمامة، و لا ماهو المنشأ لجنايات أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و مردتها إلاّ بيّنتها بالأدلّة الواضحة، و أوضحتها بالبراهين القاطعة، فماذا بعد بيان الحقّ إلاّ الضّلال المبين.

و قولها سلام الله عليها: «فَدُونَكُمُوهَا فَاحْتَقِبُوهَا دَبِرَةَ الظَّهْرِ»:

«دون» إسم فعل، و ضمير الجمع للخطاب بالأخذ للأنصار من أذناب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة، و ضمير التّأنيث راجع إلى الخلافة المغصوبة المدلول عليها بالمقام.

الحَقَبُ ـ جمعه: الحُقُبُ ـ: جعل يشدّ به الرّحل إلى بطن البعير. يقال: أحقبت البعير و احتقبته: شددته به و هيّأته للرّكوب، و كلّ ما شدّ في مؤخّر رحل أو قتب، فقد أحقب أو احتقب. و منه قيل: احتقب فلانٌ الإثمَ كأنّه جمعه، و احتقبه من خلفه و حمله على ظهره. و الدَّبْرة: الجَرْح في ظهر البعير.

و معنى الفقرة: فخذوا معشر الأنصار هذه الخلافة المغصوبة بعد أن أتممت عليكم الحجّة، فاحملوها على ظهوركم.

و إسناد الاحتقاب إلى الخلافة تشبيه لها بالنّاقة.

فقد شبّهت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها هذه الخلافة المغصوبة بالنّاقة حينما تستظلّ بظلّ سلطان جائر، فقالت: خذوها و اغتصبوها ما دمتم قد أبيتم السّير على المحجّة البيضآء، و اركبوا عليها، أو شدّوا عليها حقائبكم تهيئة للرّكوب عليها أو احتبسوها و انقطعوا بها حين كون هذه النّاقة مقروحة الظّهر.

و في الجملة إشارة إلى أنّ هذه الخلافة خلافة شؤمة تحمل عليهم الانحطاط و الشّقاوة و الذّلّة و الهوان، و الجروح و الآلام في الدّنيا و الآخرة.

و قولها صلوات الله عليها: «نَقِبَةَ الخُفِّ»:

النَّقَبُ: رِقَّةُ خُفِّ البعير، و نَقَبَ خُفَّ البعير: رقّ و تنقّب، و نَقَبَ الحائطَ: خرفه. و نَقَبَ الخُفّ الملبوس: تخرّق. و نَقِبَةُ الخُفِّ: رقيقه.

في نهج البلاغة: ـ في وصيّة سيّد الوصيّين أمير المؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ لمن كان يستعمله على الصّدقات ـ: «و ليُرَفِّهْ على اللاغب، و ليستإن بالنَّقِب و الظّالع...» من كتابه ﴿عليه السلام﴾ رقم: ٢٥).

و في «نَقِبَة الخُفّ» إشارة إلى رقّة إخفاف الخلافة المغصوبة المشبهة بالنّاقة، و المراد أنّها إضافة على ظهرها المقروح، ضعيفة الأقدام متزلزلتها المتعرّجة.

و قولها عليها السلام: «باقية العار»:

أي يبق عار هذه الخلافة المغصوبة لأصحابها و أذنابها إلى يوم القيامة. العار الباقي: عيب شنيع لايكون في معرض الزّوال.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ«ع»: «و اعلموا أنّكم صرتم بعد الهجرة أعراباً، و بعد الموالاة أحزاباً، ما تتعلّقون من الإسلام إلاّ باسمه، و لاتعرفون من الايمان إلاّ رسمه، تقولون: النّار و لا العار، كأنّكم تريدون أن تكفئوا الإسلام على وجهه انتهاكاً لحريمه، و نقضاً لميثاقه الّذي وضعه الله لكم حرماً في أرضه، و أمناً بين خلقه...» الخطبة القاصعة: ٢٣٤).

و فيه: من كتاب إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«ع» إلى طلحة و الزّبير ـ: «... فارجعا أيّها الشّيخان عن رأيكما، فإنّ الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجتمع العار و النّار و السّلام» رقم الكتاب: ٥٤).

و قولها سلام الله عليها: «مَوْسومَةً بِغَضَبِ الجبّار»:

من علآئم عار هذه الخلافة المغصوبة لأصحابها و أذنابها أنّها موسومة بغضب الجبّار.

موسومة: معلومة، من و سمته: إذا أثّرت فيه بسمة وكيّ.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«ع»: «و ظهرت العلامة لمتوسّمها» الخطبة: ١٠٧).

و قولها عليها السلام: «و شنار الأبد»:

الشّنار: العيب و العار.

و معنى الفقرة: و على هذه الخلافة المغصوبة الّتي ركبتموها ـ كالنّاقة المعيوبة ظَهْراً و خُفّاً ـ سمة غضب الله جلّ وعلا و العار الأبدي المستلزم للعذاب السّرمدي، متّصلة «بنار الله الموقدة الّتي تطّلع على الأفئدة» نار الله الموقدة ليست ناراً تحرق أجسام أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابها و تكسر عظامهم و تأكل لحومهم فحسب أو تبتدئ بالجسد، إنّما هي نار تحرق أرواحهم و أجسامهم، نار تحرق قلوبهم و قوالبهم، نار تشرف عليهم فيبلغ ألمها و حريقها قلوبهم فتحرقها، و تتغلّب على أفئدتهم و تقهرها، نار تصل بإحراقها و حرارتها إلى قلوب هؤلآء الغاصبين للخلافة، الهتّاكين لحرمة أهل بيت الوحي

المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و لحرمة شيعتهم المحقّين، نار تدخل في أجـوافِ هؤلآء الغاصبين و الهتّاكين و أتباعهم حتّى تصل إلى أفئدتهم الّتي هي ألطـف مـا في الأجسام، فيكون ذلك أشدّ الألم كما كانوا هم يؤلمون قلوب أهل بيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ بهضم حقوقهم و ايذآئهم و هتك حرماتهم و ايذآء شيعتهم المحقّين.

و قولها عليها أفضل صلوات الله: «فبعين الله ما تفعلون»:

كناية عن أنّ الله تعالى يرى ما تفعلون كما يرى أحدكم فعل الآخر الّذي يفعله في حضوره.

فما تفعلون و ما تصنعون مشاهد و منكشف لله جلّ وعلا ظاهراً و باطناً فهو تعالى عالم بضمآئركم و ما في صدوركم...

قال الله تعالى: «قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله» آل عمران: ٢٩).

و قال: «والله يعلم ما تصنعون» العنكبوت: ٤٥).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿ع﴾: «فاتّقوا الله الّذي أنتم بعينه، و نواصيكم بيده، و تقلّبكم في قبضته، إن أسررتم علمه، و إن أعلنتم كتبه...» الخطبة: ١٨٢).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿ع﴾: «و اتّقوا مدارج الشّيطان، و مهابط العدوان، و لا تُدخلوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الحرام، فإنّكم بعين من حرّم عليكم المعصية، و سهّل لكم سبيل الطّاعة» الخطبة: ١٥١).

«و سيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون» الشعراء: ٢٢٧).

و ستعلمون إلى أيّ منقلب من غضب الله تعالى و عذابه، و من قهره و عقابه ترجعون يوم القيامة.

و قولها عليها السلام: «و أنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد»:

إنّ الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها تذكّر أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابها بما جآء به رسول الله ﴿ﷺ﴾ من الإنذار بعذاب الله الشّديد للمتخلّف عن منهج الرّسالة إتماماً للحجّة عليهم.

فقالت عليها السلام: أنا ابنة من أنذركم بعذاب الله في ظلمكم على أهل بيته (عليهم السلام) و هضم حقوقهم و هتك حرمتهم، و قد أوصى ما أوصى إليكم فيهم و أتمّ الحجّة البالغة عليكم.

و قولها سلام الله عليها: «فاعملوا إنّا عاملون»:

الأمر للتهديد، اقتباس من قوله تعالى: «و قل للّذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنّا عاملون» هود: ١٢١) «اعملوا ما شئتم إنّه بما تعملون بصير» فصّلت: ٤٠) و على مكافاتكم في كلّ حال قدير، فاعملوا إنّا عاملون أيضاً على نحو ما أُمِرْنا به من الصّبر و التّحمّل على أذاكم باسم الأمّة و الصّحابة و الإسلام، و انّ الإسلام منكم و من أعمالكم بريئ، فاعملوا ما هو شأن الكفر و العصيان، و الظّلم و العدوان، و البغي و الطّغيان، فإنّا عاملون ما هو شأن الصّبر، و بيان الحقآئق و الثّبات لإقامة الحجّة مهما كلّف من صعاب الامور و التّضحيات...

«و انتظروا إنّا منتظرون» هود: ١٢٢).

الأمر للتّهديد كالسّابق. و المعنى: و انتظروا يا أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابها. نتآئج الظّلم و العدوان و عواقب الكفر و الطغيان، و مآل أمر الخروج عن منهج الحقّ و الهدى في الحياة الدّنيا و البرزخ و يوم الرّجعة و يوم القيامة، كما أنّا منتظرون نتآئج الصّبر و الثّبات و الرّحمة الإلهيّة كذلك.

جواب أبي بكر ابن أبي قحافة، خدعةً و فريةً على رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«فأجابها أبوبكر عبدالله بن عثمان، و قال: يا بنت (ابنة خ) رسول الله لقد كان أبوكِ بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤوفاً رحيماً، و على الكافرين عذاباً أليماً، و عقاباً عظيماً، إنْ (فإنْ خ) عَزَوْناه و جدناه أباكِ دون النّسآء، و أخا إلْفِكِ (أخاً لبعلك خ) دون الأخلاّء، آثره على كلّ حميم، و ساعده في كلّ أمر جسيم، لا يُحبّكم إلاّ (كلّ خ) سعيد، و لا يبغضكم إلاّ (كلّ خ) شقيّ بعيد، فأنتم عترة رسول الله الطّيّبون، (و خ) الخيرة المنتجبون، على الخير أدِلّتُنا، و إلى الجنّة مسالكنا، و أنت ياخيرة النّسآء، و ابْنَةَ خير الأنبيآء، صادقَةٌ في قَوْلِكِ، سابِقَةٌ في وفور عقلك، غير مردودة عن حقّكِ. و لا مصدودة عن صدقكِ.

والله ما عَدَوْتُ رأي رسول الله «صلى الله عليه وآله» و لاعَمِلْتُ إلاّ بإذنه، و (إنّ خ) الرّآئد لايكذب أهْلَهُ، و إنّي أُشْهِدُ الله و كفى به شهيداً: أنّي سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «نحن معاشرَ الأنبيآء لانورّث ذهباً و لافضّة و لاداراً و لاعِقاراً، و إنّما نُورِّثُ الكتابَ و الحكمة و العلم و النّبوّة و ما كان لنامن طعمة فِلوَلِيّ (فلوالي خ) الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه».

و قد جعلنا ما حاوَلْتِهِ في الكُراع و السّلاح، يقاتل بها المسلمون و يجاهدون الكفّار، و (يُجالِدُونَ خ) يجادلون المردة ثُمَّ الفجّار، و ذلك بإجماع من المسلمين لَمْ أنفرد به وَحْدي، و لم أستبدّ بما كان الرّأي فيه عندي، و هذه حالي و مالي، هي لكِ و بين يديكِ، لاتُزْوى عَنكِ، و لا ندّخر (تُدَّخَرُ خ) دونك، و أنتِ سيّدة أُمّة أبيكِ، و الشّجرةُ الطّيّبةُ لبنيكِ لاندفع (يُدْفَعُ خ) مالَكِ من فضلكِ، و لايُوضَعُ في (من خ) فرعكِ و أصلكِ، حُكمكِ نافذ فيما ملكَتْ يداي، فهل ترين أن أُخالِفَ في ذلك أباك «صلى الله عليه وآله»؟!».

الشّرح: لايبعد أن يكون قول أبي بكر الخدّاع: «لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً...» إشارة إلى أنّه يلزم عليكِ أيضاً أن تكوني كأبيكِ في العطوفة و الكرامة، فيكون هذا الكلام خديعة لعامّة النّاس، و ايقاعاً لهم في الالتباس و الشّبهة: أنّ فدكاً كانت مال المؤمنين حقّاً على سبيل الاستحقاق، فلاتتعرّضي لحقّهم، و كوني على حال الملاطفة بهم و العطوفة معهم كما كان أبوكِ نبيّ الرّحمة، حيث كان لا يأخذ شيئاً من حقوقهم، و لا يطمع فيما كان لهم.

و من المحتمل أن يكون كلامه هذا تطميعاً في الحاضرين الّذين كانوا يحبّون العاجلة، و يذرون الآخرة بأنّه إنّما يأخذ فدكاً لأجلهم سوآء كان حقّاً أم باطلاً، و أنّه بصدد إصلاح حالهم، فيعاونوه على المسئلة، و يخرج عن قلوبهم تأثير كلماتها الشّافية، و مواعظها الكافية و نصآئحها الوافية إن أثّرت في تلك القلوب القاسية... و على أيّ تقدير، فلايخلو كلامه هذا من مكر وكيد و خديعة و سياسيّة شيطانيّة في الواقع، و إن كان ظاهره تصديقاً لقولها فيما مرّ من قولها سلام الله عليها: «لقد جآءكم رسول من أنفسكم...».

قوله: «إن عزوناه ـ أي نسبناه ـ وجدناه أباك دون النساء» جواب ناظر إلى قولها عليها السلام فيما مرّ: «تعزوه تجدوه أبي».

و قوله: «و أخا إلفك دون الأخلاّء»:

الإلف: «الأليف بمعنى المألوف، و هو الزّوج لأنّه إلف الزّوجة و بالعكس.

و قوله: «آثره على كلّ حميم»:

اختاره و قدّمه على كلّ قريب. و هذا ناظر إلى قولها سلام الله عليها: «قذف أخاه في لهواتها...».

و قوله: «صادقة في قولك»:

و لايبعد أن يكون تصديقاً للصّديقة الطّاهرة سلام الله عليها في كونها بنت رسول الله ﴿عليه السلام﴾ و هذا لاينافي غصب فدك، أو يكون تصديقاً مطلقاً كما يظهر من كلامه.

و قوله: «غير مردودة عن حقّك»:

لايبعد أن يكون مراده: أن لاحقّ لك في ذلك حتّى نردّك عن حقّك، فيكون من باب السّالبة بانتفاء الموضوع أي نحن لانظلمك في فدك، أو يكون مراده: أنّ فدكاً حقّك، و لا نمنعك عنها إلاّ لما نبيّنه لك.

و قوله: «و لامصدودة عن صدقك»:

أي غير مصروفة عن صدقك، و مع ذلك نكذّبك فيما تقولين، فإنّك اشتبهتِ في المسئلة، و ظننتِ صحّة الإرث من الأنبيآء، و أنتِ غير مطّلعة على حقيقة الأمر، و ما سمعناه من الرّواية النّافية لإرثك.

و قوله: «والله ما عدوت أمر رسول الله»:

أي ما تجاوزته. هذا تكذيب للصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها فيما ادّعت. نعم: الباغي الطّاغي لايبالي.

و قوله: «و لا عملت إلاّ بإذنه»:

أي برأيه و قوله. و هذا كذب محض لايخفى على من له أدنى مسكة و دراية و طيب ولادة.

و قوله: «و الرّائد لايكذب أهله»:

الرّائد: الّذي يتقدّم القوم يبصرهم الكلأ و مساقط الثّمار. و «الرّائد لايكذب أهله» مَثَلٌ أي الأمين لايخون.

إنّ أبابكر استشهد بهذا المثل في صدق خبره الّذي افتراه على رسول الله «صلى الله عليه و آله» و جعل نفسه، لاحتاله الخلافة الّتي هي الرّئاسة العامّة بمنزلة الرّائد الّذي يجب عليه أن ينصحهم و يخبرهم بالصدّق في المرحلة، و هذا أيضاً خدعة و مكر و سياسة شيطانيّة، و ايقاع للنّاس في الالتباس و الشّبهة و الارتياب.

و قوله: «و انّي أشهدالله و كفى به شهيداً»:

أي أجعله شاهداً لقولي هذا، و كفى به شهيداً أي إن كنت في قولي هذا كاذباً فهو يكافيني و يجازيني.

و هذا دأب من يتّخذ الدّين وسيلة لأغراضه من الشّهوة و الشّهرة و الرّئاسة و متاع الدّنيا و القيادة على المتديّنين...

و قوله: «أنّي سمعت رسول الله «صلى الله عليه و آله» يقول:»

يدلّ على أنّه لم يسمع هذا الحديث بل اختلقه بنفسه أو عملآئه، و إلاّ لكان ظاهر الحال و المقام أن يستشهد كلّ من سمع هذا الحديث أيضاً لو كان هناك سامع آخر.

و إن ورد ما يقارب أوآئله من حيث المعنى و اللفظ عن الإمام السّادس جعفر بن محمّد الصادق «عليه السلام»:

في اصول الكافي: كتاب فضل العلم ـ باب صفة العلم و فضله و فضل العلمآء ـ حديث ۲).

بإسناده عن أبي البختري عن أبي عبدالله «عليه السلام» قال: «إنّ العلمآء، ورثة الأنبيآء، و ذاك أنّ الأنبياء لم يورّثوا درهماً و لاديناراً، و إنّما اورثوا أحاديث من أحاديثهم، فن أخذ بشيءٍ منها فقد أخذ حظّاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه، فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين».

و لكنّه لايدلّ على أنّ الأنبيآء و المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين لا يورّثون درهماً و لاديناراً، و إنّما يورّثون العلم و الحكمة، فن أخذ منهما فقد أخذ بحظّ وافر. قال الله تعالى: «و من يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً و ما يذّكّر إلاّ اولوا الألباب» البقرة: ۲٦۹).

و إنّ العلمآء ورثة الأنبيآء من هذه الجهة، و ليس معناه إلاّ أنّه ليس من شأن الأنبيآء

عليهم السلام جمع الزّخارف الدّنيويّة حتّى تكون هي لورثتهم، و إنّما شأنهم توريث العلم و الحكمة و تزكية النّفوس، و هو كذلك، و لذا لم يكن الأنبيآء عليهم صلوات الله طالبين لجمع متاع الدّنيا و حطامها و شهواتها ورئاستها، و كانوا يعيشون بالفقر و القناعة، و خشونة المأكل و المشرب و الملبس و المسكن...

و لايدلّ ذلك على أنّه إذا كان للأنبيآء مال ولو بقدر الكفاية أو أكثر أيضاً لايكون لورثته، كما أن ليس من شأن العلمآء أن يطلبوا الدّنيا و يجمعوا زخارفها... و إنّما شأنهم جمع العلم و الحكمة و العمل، لم يلزم منه أنّ ماكان مالاً للعلمآء و مملوكاً لهم ـ قليلاً كان أو كثيراً ـ إذا ماتوا لم يكن لورثتهم...

فالخبر المذكور من باب كلمة حقّ يراد بها باطل، فأراد أبوبكر بهذا الخبر إلقاء معنى باطل في قلوب السّامعين، و لهذا ألحق به قوله: «و ما كان لنا من طعمة...» فهذه الجملة زيادة من أبي بكر ألحقها بأصل الخبر على تقدير صحّته ليكون صارفاً له عن المعنى الظّاهر العرفيّ الّذي ذكرنا إلى المعنى الّذي صرفه إليه، مع أنّه يمكن أن يكون المراد من الطّعمة ما يكون في أيديهم من بيت المال الّذي يأكلون منه بهذه الحيثيّة ـ كما هو ظاهر الطّعمة ـ لامن متن مالهم إذ لايقال لأصل مال الرّجل: إنّه طعمة له، و إنّما تطلق الطّعمة على ما كان للشّخص بالعرض لا بالأصالة.

ثمّ إنّ والى الأمر بعد رسول الله ﴿ﷺ﴾ من كان والياً بأمر الله تعالى و نصب رسوله ﴿ﷺ﴾ لاباجتماع شرذمة قليلة من الفسقة و اللصوص و الفجرة في السّقيفة السّخيفة الشّؤمة، ثمّ دعوة عامّة الناس إلى ما هَوَتْ أنفسهم و رغّبهم الشّيطان، ثمّ إذاكان لوالي الأمر أن يحكم فيه بحكمه فما منعه أن يحكم في فدك بأن تكون لأهل بيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ حفظاً لحقّ النّبيّ الكريم في ولده و عترته، جبراً لخاطرهم، و ملاحظة لما سمعوه مراراً من رسول الله ﴿ﷺ﴾: «فاطمة بضعة منّي، من آذاها فقد آذاني، و من آذاني فقد آذى الله» و تصديقاً لأميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿ع﴾ الّذي قال فيه النّبيّ الكريم ﴿ﷺ﴾ مرّة بعد اخرى: «الحقّ مع عليّ، و عليّ مع الحقّ، يدور معه حيثما دار».

نقل العلاّمة المجاهد السّيّد عبدالحسين شرف الدّين رضوان الله تعالى عليه في كتابه

الجليل: «النّص و الاجتهاد: ص ١٢٣ ـ ١٢٤» عن الاستاذ المصريّ المعاصر محمود أبوريه ما لفظه:

قال: «بقي أمر لابدّ أن نقول فيه: كلمة صريحة، ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﴿ﷺ﴾ و ما فعل معها في ميراث أبيها، لأنّا إذا سلّمنا بأنّ خبر الآحاد الظّنّي يخصّص الكتاب القطعيّ، و أنّه قد ثبت أنّ النّبيّ ﴿ﷺ﴾ قد قال: «إنّه لايورّث» و أنّه لاتخصيص في عموم هذا الخبر، فإنّ أبابكر كان يسعه أن يعطي فاطمة رضي الله عنها بعض تركة أبيها ﴿ﷺ﴾ كأن يخصّها بفدك، و هذا من حقّه الّذي ليس يعارضه فيه أحد، إذ يجوز للخليفة أن يخصّ من يشآء بما يشآء».

قال محمود أبوريه: «و قد خصّ هو نفسه الزّبير بن العوام، و محمّد بن مسلمة و غيرهما ببعض متروكات النّبيّ ﴿ﷺ﴾ على أنّ فدكاً هذه الّتي منعها أبوبكر، لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان» هذا كلامه بنصّه.

ثمّ أعقب السّيّد شرف الدّين رحمة الله تعالى عليه قائلاً: «و نقل ابن أبي الحديد عن بعض السّلف كلاماً مضمونه العَتَب على الخليفتين، و العجب منهما في مواقفهما مع الزّهرآء بعد أبيها ﴿ﷺ﴾ قالوا في آخره: و قد كان الأجل أن يمنعهما التكرّم عمّا ارتكباه من بنت رسول الله ﴿ﷺ﴾ فضلاً عن الدّين».

فذيّله ابن أبي الحديد بقوله: «هذا الكتاب لاجواب عنه».

و **قوله**: «و قد جعلنا ما حاولته في الكراع و السّلاح»:

أي ما طالبته منّا و هو فدك و غيرها من الكراع و هو مادون الكعب من الدّوابّ، و مادون الرّكبة من الإنسان، و سمّي بها الخيل خاصّة، و قد تطلق على مطلق الدّوابّ...

«السّلاح»: آلة الحرب أي نصرفه في هذه الأشيآء الّتي هي مقدّمة القتال و الجهاد مع الكفّار، و أسباب المجادلة مع المردة الفجّار.

و **قوله**: «و ذلك بإجماع من المسلمين...»:

ظاهره أنّ منع فدك عن الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها و البناء على صرفها في مقدّمات المجاهدة مع الكفّار و المجادلة مع الفجّار إنّما كان هو بإجماع المسلمين، و

إنّه لم ينفرد به وحده، و أنّه لم يستبدّ أي لم ينفرد أيضاً بما كان الرّأي فيه عنده أي لم يفعله هو وحده، بل المسلمون الّذين هم مردته أيضاً بنوا على هذه المقدّمة.

و ظاهر إسناده إلى الرّأي مع إجماع المسلمين عدم استناده إلى الرّواية المذكورة، و إلاّ فكان اللاّزم أن يستند إليها وحدها، لعدم مدخليّة رأيه و إجماع المسلمين على منع الإرث عن أولاد الأنبيآء و المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، و ردّ عمومات القرآن الكريم و إطلاقاته في التّوارث مطلقاً، و لابُعد في ذلك إذ ليس للكاذبة حافظة، و سيأتي ما يؤيّد ذلك حيث إنّ أبابكر يصدّق الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها في مسئلة التّوارث، و يسند غصب فدك و أخذها منها إلى اتّفاق المسلمين على ذلك.

ثمّ في ذكر إجماع المسلمين ايهام لهم أنّه لايفعل شيئاً بدون مصلحتهم و بدون مشاورتهم ـ و إن كان مشيرهم و قآئدهم عمر بن الخطّاب وحده ـ ليكون ذلك سبباً لاستقامتهم في إقامة تلك الخلافة الباطلة المغصوبة المعوّجة حتّى يستقيم له أمر الرّئاسة الّتي تظاهر لأجلها بالإسلام.

فكان ملاك غصب فدك هو ملاك غصب الخلافة، و هو إجماع المسلمين لا الرّواية، والمراد من هذا الإجماع الكاذب هو توافق أبي بكر بن أبي قحافة، و عمر بن الخطّاب على نيلها بالخلافة واحداً بعد واحد و إن بلغ ما بلغ من الظّلم و الجناية، و الكفر و الضّلالة، و البغي و الخيانة...

و قد أشار مولى الموحّدين سيّد الوصيّين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ إلى ذلك بقوله:

في نهج البلاغة: «حتّى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعده ـ فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته! إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّراضرعيها...» الخطبة الثّالثة المعروفة بالشقشقيّة).

قال بعض المعاصرين: خطر ببالي، و أنا أُفكّر في قول أبي بكر غاصب الخلافة: «و ذلك بإجماع المسلمين، لم أنفردبه» و قوله في آخر الحديث الّذي تفرّد بنقله عن النّبيّ ﴿صلى الله عليه و آله﴾: «و ماكان من طعمة فلوليّ أن يحكم فيه بحكمه» نعم خطر ببالي و أنا أُفكّر في

هاتين الفقرتين، و ما إذا كانت فدك من حقّ المسلمين حتّى يؤخذ رأيهم فيه أم من حقّه الخاصّ حتّى يحكم فيه بحكمه كما جآء في ذيل الحديث الّذي استنكرته الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها، و اعتبرته كذباً و زوراً و افتراء على رسول الله «ﷺ» اعتلالاً منهم لمّا أجمعوا على الغدر بذرّيّته كما اعتبرته طعناً في عصمته «ﷺ» لو صدر ذلك منه، و أسمع ذلك كلّه في جوابها لأبي بكر: «سبحان الله! ما كان أبي رسول الله «ﷺ» عن كتاب الله صادفاً، و لا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره، و يقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزّور، و هذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوآئل في حياته...»

ثمّ إن كان من حقّه الخاصّ فلماذا لم يعطها سيّدة النّسآء و بنت سيّد الأنبيآء إكراماً لمقام أبيها «ﷺ» و إذا كان من حقّ المسلمين لماذا لم يؤخذ رأيهم أوّلاً في إعطآئه إيّاها.

نعم! خطر ببالي و أنا أجيل الفكر في هذا و شبهه قول الشّريف قتادة بن إدريس من قصيدته العصمآء في رثآء سيّد النّسآء سلام الله عليها، و الّتي يقول في أوّلها:

ما لعيني غاب عنها كراها ... و عراها من عبرة ما عراها

الدّار نعمت فيها زمانا ... ثمّ فارقتنا فلا أغشاها

إلى أن يقول:

بل بكآئى لمن خصّها ... الله تعالى بلطفه و اجتباها

و حباها بالسّيّدين الجليل ... ين العظيمين منه حين حباها

و لفكرى في الصّاحبين اللّذين ... استحسنا ظلمها و ما راعياها

منعا بعلها من الحلّ و العق ... د و كان المنيب والا واها

و الّتي يقول فيها:

و أنت فاطم تطالب بالإر ... ث من المصطفى فما ورثاها

إلى أن قال ـ و هو محلّ الشّاهد ـ:

أترى المسلمين كانوا يلومو ... نها في العطآء لو أعطياها

كان تحت الخضرآء بنت نبيّ ... ناطق صادق أمين سواها

بنت من؟ أمّ من؟ حليلة من؟ ... ... من سنّ ظلمها و آذاها.

و قوله: «و هذه حالي و مالي هي لكِ و بين يديكِ»:

إشارة إلى ماكان له في نفسه ممّا ملكه يداه. و المراد من الحال، الحالة الحسنة و الشّأن و نحوهما، فالمراد بها أسبابها، فيكون عطف المال عليه من عطف الخاصّ على العام، أو المراد بها الحقوق المقابلة للأموال الخارجيّة، و هو الظّاهر أي هذه حقوقي على النّاس و أموالي الموجودة علينا كلّها مختصّة بك أو هي مالك.

و قوله: «لاتُزْوىٰ عنك و لاتدّخر دونك»:

أي لاتقبض و لاتصرّف و لاتدّخر دونك، أي لاتمنع أيضاً منك، أي جعلتك متصرّفة فيها، فتصرّفي كيف شئت و أنّى شئت لانضايقك في ذلك، و الحال أنّك سيّدة الأُمّة و الشّجرة الطيّبة لبنيك الأئمّة عليهم السّلام لايليق، و لايصحّ منع مثلك من أن تتصرّفي فيها مثل مالك.

و قوله: «و لايوضع في فرعك و أصلك»:

أي لانحطّ درجتك، و لاننكر فضل أُصولك و أجدادك، و فروعك و أولادك.

و قوله: «حكمك نافذ فيما ملكت يدىٰ فهل ترين أن أُخالف في ذلك أباك ﴿ﷺ﴾؟»

أي حكمك نافذ في جميع ما ملكته يداي، و مع هذا كلّه فهل ترين أن أُخالف في ذلك أباك؟ و هذا كلّه كيد سياسي و خدعة شيطانيّة و ايقاع للنّاس في الشّبهة: أنّي لاأمنعك فدكاً من جهة دنيويّة، و إنّما هو من جهة حكم الشّريعة بذلك، و أنا راضٍ بأن أترك جميع ما أملكه لأجل فاطمة بلامنع و لامضايقة، و لاعداوة بيننا و لاأغراض دنيويّة ـ و هو لن يرضى أن يترك شيئاً ممّا سلّط عليه غصباً و عداوة و غرضاً دنيويّاً ـ لا أن أردّ فدكاً.

فانظر و تدبّر في الكيد السّياسي و الحيل الشّيطانيّة الّتي أعملها أبوبكر بن أبي قحافة في أثناء الكلمات المذكورة، ثمّ انظر إلى وقاحته في إنشآء هذه الأُكذوبة و بيانها بهذا التفصيل في مجمع العامّة و الخاصّة، و مواجهته بها مع هذه المعصومة المطهّرة المحدّثة العالمة بالجفر والجامعة، و بما كان و ما يكون إلى يوم القيامة، ثمّ تدبّر تصديق أبي بكر للصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها فيما تقول، و إذعانه بكون أهل بيت الوحي عليهم السلام دلآئل الحقّ و الهدى، و مسالك الجنّة و الرّضوان، و منعهم عمّا ادّعوا لأنفسهم ممّا

خصّه الله تعالى و رسوله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ بهم مع العلم بصدقهم، و تيقّن ثبوت حقّهم، و هذا دأب الحكّام الجبّارين و الطّغاة الظّالمين في كلّ ظرف من الظّروف، و لاسيّما هذا الجبّار العنيد الّذي تظاهر بالإسلام لنيل هذه الخلافة، و هو لم يؤمن طرفة عين أبداً.

و لبعض المعاصرين حول كلمات أبي بكر بن أبي قحافة، نظرات ـ نشير إليها تلخيصاً و تنقيحاً منّا ـ: «و من البداهة أنّ العقل و العدل و الإسلام كلّها يضع الأشيآء مواضعها من أجل بلوغ الغاية الحقيقيّة الّتي كان الخلق و الايجاد و الفطرة الإنسانيّة و الرّسالة و الإمامة من أجلها، و هي طيّ مدارج الكمال، و النّيل بالقرب الإلهي و الرّضوان، و الأمن في جواره سبحانه تحت ظلّ رحمته و فضله...

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ ـ في وصف العاقل ـ: «هو الّذي يضع الشّيئ مواضعه، فقيل: فصِفْ لنا الجاهل؟ فقال: قد فعلت».

يعني: أنّ الجاهل هو الّذي لايضع الشّيئ مواضعه، فكان ترك صفته، صفةً له، إذ كان الجاهل بخلاف وصف العاقل.

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «العَدل يضع الاُمور مواضعها...».

و قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ ـ في وصف العقل ـ: «العقل ما عُبِدَ به الرّحمن و اكتسب به الجنان» و قد سمّيت تبعة العقل خاصّة.

و أمّا الجهل و الهوى و الشّهوة و الشّيطان كلّها يضع الأشيآء مواضعها بلحاظ الغايات الطّبيعيّة المادّيّة الصّوريّة لإرضآء النّفس الأمّارة بالسّوء و هذا هو المتحقّق من عامّة السّاسة الّذين يثبتون القدرات على إرضآء عامة النّاس.

و قد سمّيت مردة الجهل عامّة.

و من جملة السّاسة أبوبكر بن أبي قحافة إذقال ما قاله لإرضآء عامّة النّاس في قوله: خطاباً للصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها «لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤفاً رحيماً، على الكافرين عذاباً أليماً و عقاباً عظيماً» فإنّ كلامه هذا من أبلغ الكلام الّذي يحمل عند السّذج من عامّة النّاس على المدح و التكريم لبنة الرّسالة الّتي يناط غضبها بغضب الجبّار، و عند العرفآء و الخاصّة على التّعريض و الذّمّ من أنّه كان ينبغي للصّدّيقة

الطّاهرة الرّاضيّة المرضيّة صلوات الله عليها كما كان أبوها ﴿ﷺ﴾ رحمة للعالمين أن تكون كذلك لا أن تدّعى أموال المسلمين و تريد اختصاصها بنفسها هذا كيد سياسيّ و خدعة شيطانيّة. ثمّ حذراً من التفات عامّة النّاس لروح التّعريض و الذّمّ، و عملاً بمنهج الاعتراف بالمسلّمات تهيئة النّفوس لقبول ما هو محلّ النّزاع راح قائلاً: «إن عزوناه وجدناه» أي رسول الله ﴿ﷺ﴾ «أباك دون النّسآء و أخا إلفك» و هو عليّ بن أبيطالب ﴿ﷺ﴾ «دون الأخلاّء» مظهراً بذلك عدم الخلاف لها عليها السلام فيما تطرّقت إليه في خطبتها.

ثمّ أخذ أبوبكر أيضاً ـ كيداً سياسيّاً ـ بإثبات المسلّمات الأُخر الّتي تطرقت لها سلام الله عليها في خطبتها إثباتاً لروح السّلام، و الودّ لأهل بيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ الكرام و استعطافاً لروح من احتمل فيهم التألّم و الخلاف، و لو تألّماً عاطفيّاً حينما تكلّمت سلام الله عليها تلك الخطبة البليغة لفظاً و معنىً، و كذلك توطيداً لبنآء قاعدة ركيزة يتمكّن من خلالها القيام بضرب كلّما أبدته من عظيم البرهان فقال: «آثره على كلّ حميم. وساعده في أمر جسيم لا يحبّكم إلاّ كلّ سعيد و لا يبغضكم إلاّ كلّ شقيّ بعيد فأنتم عترة رسول الله الطّيّبون، الخيرة المنتجبون، على الخير أدلّتنا، و إلى الجنّة مسالكنا، و أنت يا خيرة النّسآء، و ابنة خير الأنبيآء صادقة في قولك...»

فإنّ هذه الجمل، و خاصّة، هذه الجملة الأخيرة عبارة ايهام و تخدير لفورة المجلس، و إثبات حقّ فيما ليس محلاً للنّزاع ليسهل الرّدّ على ما هو المتنازع فيه من حصول الانقلاب بعد رسول الله ﴿ﷺ﴾ عن واقع الرّسالة، و اغتصاب الإمامة من أهلها، و تصدير أموال الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام و التّحريم الاقتصادي على أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و لو بإلقآء الشّبهة من أنّها سلام الله عليها و إن كان حاشاها من الكذب، و لكن قد أخطأت في المصداق، فظنّت أنّ الرّسول ﴿ﷺ﴾ كبقيّة النّاس في حكم المواريث...

ثمّ استمرّ كيده السّياسي و خدعته الشّيطانيّة، فقال: «سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقّك، و لا مصدودة عن صدقك» فكانت هذه الكلمات لتحريف أذهان عامّة النّاس عن الانقلاب الّذي حصل عن الرّسالة و اغتصاب الإمامة الّتي تطرّقت للصّدّيقة

الطّاهرة صلوات الله عليها ليصيب الخطاب على النّزاع المالي، ثمّ يأخذ بتحقيق سبك الرّدّ بأنظار العامّة على بنت رسول الله «صلّى الله عليه و آله» من أنّه لم يتّهمها بالكذب بل أرشدها إلى خطاء في المصداق فقال:

«والله ما عدوت رأي رسول الله ولا عملت إلاّ بإذنه، و الرّائد لايكذب أهله، و انّي أشهدالله و كفى به شهيداً: أنّي سمعت رسول الله «صلّى الله عليه و آله» يقول: «نحن معاشر الأنبياء لانورّث ذهباً و لافضّة، و لاداراً و لاعقاراً، و إنّما نورّث الكتاب و الحكمة و العلم و النّبوّة» و الرّائد هو الّذي يتقدّم القوم، يبصرهم الكلاء و مساقط الغيث، و هذا إشارة إلى أنّ المؤتمن لايخون، ليجعل ما ادّعى على رسول الله «صلّى الله عليه و آله» من الأحاديث مقبولاً و لولدي السّذج الّذين هم القائمة العظمى في أغلب الجوامع البشريّة.

و ما كان هذا الخبر لولا تذييله المختلق بقوله: «ماكان لناطعمة فلوالي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكم» مفيداً لما ادّعاه لأنّ صدر الحديث لايثبت إخراج الأنبيآء عليهم صلوات الله عن حكم المواريث، بل إنّما يثبت ما هو شأن الأنبيآء و جلالة قدرهم في حياتهم الدّنيا، و إن كان هذا الكلام من أبي بكر أيضاً على خلاف قواعد باب القضآء من صيرورة الخصم قاضياً، و كونه غير محتاج إلى دليل و بيّنة فيما ادّعى من عدم توريث الأنبيآء عليهم السّلام بعد كونه مخالفاً لعموم القرآن الكريم و نصوصه.

و ثالثاً لو كان الأمر كما يدّعي أبوبكر من كون عدم التّوريث لمعاشر الأنبيآء صلوات الله عليهم أجمعين حكماً إلهيّاً لما احتاج إلى تحقيق الإجماع من المسلمين، و استعطاف قلوبهم بأنّه قد جعل ما حاولته في الكراع و السّلاح لمصلحة عامة النّاس، و أنّ مثل هذه التّوجيهات لاغتصاب الأموال و هضم الحقوق قد اعتادها الحكّام الجآئرون عند ما يطمعون في مال خاصّ أو يرون مصلحة لحكم في ذلك.

ثمّ جآء بأحسن كلمة ايهام و تخدير قائلاً: «أنت سيّدة أمّة أبيك، و الشّجرة الطّيّبة لبنيك» فلست أدري كيف تكون فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها باعتراف أبي بكر، سيّدة أمّة أبيها و هي تطمع في أموال المسلمين؟ أولا تعرف الصّديقة الطّاهرة عليها السلام أحكام الرّسالة كما زعم الخليفة الغاصب ذلك.

قوله: «لاندفع مالك من فضلك و لايوضع في فرعك و أصلك».

إنّ المراد من الفرع: الأولاد، و من الأصل: الأجداد.

و قوله: «حكمك نافذ فيما ملكت يداي».

جاء بمثل هذه الكلمات الخادعة ليهيّئ الأرضيّة المناسبة لصيرورة ما ادّعاه عين المسلّمات الّتي لاتردّد فيها، و أنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها مخالفة لنهج الإسلام الّذي جآء به أبوها «ﷺ» ليقول: «فهل ترين أن أُخالف في ذلك أباك»؟

الفصل الخامس عشر: في ردّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها، أقاويل أبي بكر و خَدَعَهُ: فقالت صلوات الله عليها:

«سبحان الله! ماكان أبي رسول الله «ﷺ» عن كتاب الله صادفاً، و لا لأحكامه مُخالِفاً، بل كان يتّبع أَثَرَهُ، و يقفو سُورَهُ، أفتجمعون إلى الغَدْر اعتلالاً عليه بالزّور (و البهتان خ) و هذا بعد وفاته شبيه بما بُغِيَ له من الغوآئل في حياته، هذاكتاب الله حَكَماً عَدْلاً، و ناطقاً فَصْلاً يقول: «يرثني و يرث من آل يعقوب» و يقول: «و ورث سليمانُ داوُدَ» و (فبيّن خ) الله عزّوجلّ فيما وزّع من الأقساط، و شَرَعَ من الفرآئض و الميراث، و أباح من حظّ الذُّكران و الإناث ما أزاح عِلّة المبطلين، و أزال التّظنّي و الشّبهاتِ في الغابرين، كلاّ: «بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون».

الشّرح: التّسبيح هو التّنزيه و التّقديس من كلّ نقص و عيب، و هذا ثنآء خاصّ لله تعالى و لفظ «سبحان الله» إشارة إلى الصّفات السّلبيّة من حيث السّلب كما أنّ «الحمدلله» إشارة إلى الصّفات الثّبوتيّة من حيث الإثبات، و من باب أنّ التّطهير و التّخلية مقدّمة على الطّهارة و التّحلية، قدّم «سبحان الله» في الأذكار غالباً على «الحمدلله» كما في التّسبيحات الأربعة و غيرها. و الصّادف: المُعْرِض عنه. صَدَفَ عن الحقّ: إذا أعرض عنه.

و إنّ «سبحان الله» قد يستعمل في مقام الذّكر المطلق، و قد يستعمل في مقام الذّكر تعجّباً، و المراد به في الخطبة، التّعجّب.

فتقول الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها ـ ردّاً على أبي بكر و مفترياته و خَدَعه وكيده السّياسي ـ من باب التعجّب: سبحان الله تنزيهاً لساحة رسول الله «ﷺ» من مثل تلك

الأقاويل و الافتراءات الّتي تنسبها إليه«صلى الله عليه وآله» أبوبكر ابن أبي قحافة، المستوجبة لكون رسول الله«صلى الله عليه وآله» معرضاً عن كتاب الله جلّ وعلا فيما حكم به من عموم حكم المواريث، أو كون المراد أنّ تلك النّسب مستوجبة لكونه«صلى الله عليه وآله» متساهلاً و معرضاً عن توضيح الرّسالة و بيانها للمسلمين حتّى بالنّسبة إلى من هم أقرب النّاس منه كعليّ بن أبيطالب و فاطمة الزّهرآء سلام الله عليهما إلى مرحلة بلغ الأمر بالرّسالة أن لايدري بها إلاّ شخص واحد كأبي بكر الّذي لايتردّد متردّد أنّه لايقاس بعليّ بن أبيطالب«عليه السلام» علماً و عملاً.

و **قولها عليها أفضل صلوات الله:** «بل كان يَتَّبِعُ أثَرَهُ»:

الاتّباع هو التّبعيّة، و الأثَر: أثر القدم و ما بقي من رسم الشّئ.

و **معنى الفقرة:** بل كان رسول الله«صلى الله عليه وآله» يتّبع ما أوحى الله تعالى إليه و يبيّنه للنّاس من دون تساهل.

قال الله تعالى: «قل إنّما أتّبع ما يوحىٰ إليّ من ربّي هذا بصآئر من ربّكم و هدى و رحمة لقوم يؤمنون» الأعراف: ۲۰۳).

و قال: «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا و من اتّبعني» يوسف: ۱۰۸).

و قال: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم» آل عمران: ۳۱).

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»: «و أشهد أنّ محمداً عبده و رسوله أرسله بالدّين المشهور و العَلَم المأثور، و الكتاب المسطور، و النّور الساطع، و الضّياء اللاّمع، و الأمر الصّادع، إزاحة للشّبهات، و احتجاجاً بالبيّنات...» الخطبة الثّانية).

و فيه: قال مولى الموحّدين سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه؟ أم نهاهم عنه فعصوه؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركآء له، فلهم أن يقولوا و عليه أن يرضى؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصّر الرّسول«صلى الله عليه وآله» عن تبليغه و أدآئه؟...» الخطبة: ۱۸).

و فيه: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و أنزل عليكم الكتاب تبياناً لكلّ شئ، و عمّر فيكم نبيّه أزماناً حتّى أكمل له و لكم فيما أنزل من كتابه دينه الّذي رضي

لنفسه و أنهى إليكم على لسانه محابّه من الأعمال و مكارهه، و نواهيه و أوامره، فألق إليكم المعذرة و اتّخذ عليكم الحجّة...» الخطبة: ۸۵).

و قولها عليها أكمل تحيّات الله: «و يَقْفُو سُورَهُ»:

القفو: الاتّباع، من قفوت أثره: تبعته.

و السُّور: كلّ مرتفع عالٍ، و منه سور المدينة. و الضّمير راجع إلى القرآن الكريم.

و معنى الفقرة: و كان رسول الله«صلى الله عليه وآله» يتّبع كلّ عالٍ من أعالي القرآن المجيد و لايتركه قطّ.

و قولها سلام الله عليها: «أفتجمعون إلى الغَدْر اعتلالاً عليه بالزّور»:

الغَدْر: خلاف الوفاء. و إنّ أخذ فدك و منع الإرث، و النّهي عن الخمس، و غصب الخلافة و غيرها من جنايات أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّوّمة و مردتها كلّها كانت غَدْراً بالنّسبة إلى أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

الاعتلال: إبدآء العلّة و الاعتذار. و الزّور: هو الكذب.

و ذلك أنّهم أضافوا إلى تلك الغدرة الكاملة، إبداء العلّة و الاعتذار بالكذب، حيث وضعوا رواية مجعولة مجهولة، و استندوا إليها في غصب فدك، و كذا روايتهم المجعولة في الخلافة، حيث أنكروا النّصّ بخلافة أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام» و استندوا إلى ما اختلقوه من أنّ الأمر في ذلك إلى الأمّة، حيث إنّ الكاذب يتوصّل لتصحيح كذبه إلى أكاذيب.

فقالت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها لأصحاب السّقيفة السّخيفة الشّوّمة و مردتها و قائدها أبوبكر بن أبي قحافة توبيخاً لهم: أما كفاكم الغدر بالرّسالة و الإمامة و اغتصاب الأموال و هضم حقوق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين حتّى أخذتم تضيفون إلى ذلك الغدر لتوجيه أعمالكم الأكاذيب و الافتراءات...

و معنى الفقرة: أفٍّ لكم! أتجعلون هذه الكلمات المفتريات وسيلة للاعتذار عمّا ارتكبتم من الكفر و العصيان، من الظّلم و العدوان، و من البغي و الطّغيان... فتجتمعون عليها، فأنتم أهل الجماعة على تلك الكلمات... لا على كلمة الإسلام من كلمة التّوحيد و توحيد الكلمة.

و قولها عليها سلام الله: «و هذا بعد وفاته شَبيهٌ. بما بُغِيَ له من الغوآئل في حياته»:

الغوائل: جمع الغائلة و هي الحادثة المهلكة من غاله: إذا أهلكه، و كلّ ما اغتال الإنسان و أهلكه فهو غول. و المراد من الغوائل هنا: الحوادث و الدّواهي المهلكات...

و قد أشارت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها إنّ هذه الحوادث و الغوائل لم تكن حديثة عهد بالرّسالة و الرّسول«ﷺ» بل هي تشبه تلك الّتي كانت تجري في عهد رسول الله«ﷺ».

و معنى الفقرة: و هذا الّذي فعلوه من الغدر بالنّسبة إلى أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بعد وفاة رسول الله«ﷺ» نظير ما بُغِيَ له أي طلب له من البغي بمعنى الطّلب من الغوآئل و المهلكات في حال حياته«ﷺ» حيث غدروا عليه، و سعوا في هلاكه«ﷺ» و استيصال أهل بيته في العقبتين و غيرهما.

و ليس هذا ببعيد من هؤلآء المنافقين من هذه الأمّة الّتي شيمتهم الغدر على ما أشعر به قولها«عليها السلام»: «و الغَدْرَة الّتي استشعرتها قلوبكم».

و قولها عليها صلوات الله: «هذا كتاب الله حَكَماً عَدْلاً، و ناطقاً فَصْلاً، يقول: «يرثني و يرث من آل يعقوب» مريم: ٦) و يقول: «و ورث سليمان داود» النّمل: ١٦).

إشارة ثانية من باب إتمام الحجّة و التّأكيد على أدلّة المواريث...

إنّ هذا كتاب الله تعالى عادل لا يجور و لا يحيف، و إنّما يحكم بالحقّ و الصّواب، و هو النّاطق بكلّ حكم، و الفاصل المميّز لحكم كلّ شيءٍ لأنّه فصل الخطاب يقول فيه، حكاية عن زكريّا النّبيّ«عليه السلام»:

«يرثني و يرث من آل يعقوب» مريم: ٦) ممّا دلّ جريان أحكام الميراث بين الأنبيآء عليهم السلام و ورثتهم بغير فرق في حكم التّوارث بينهم و بين الأمّة.

قال الله تعالى: «إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ بين النّاس بما أراك الله» النّسآء: ١٠٥).

و قال: «فاحكم بينهم بما أنزل الله» المائدة: ٤٨).

و قال: «أفغير الله أبتغى حكماً و هو الّذي أنزل إليكم الكتاب مُفصّلاً» الأنعام: ١١٤).

و قال: «إنّه لقول فصل و ما هو بالهزل» الطارق: ١٣ ـ ١٤).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب﴿ﷺ﴾: «إنّ الله بعث رسولاً هادياً بكتاب ناطق و أمر قائم، لايهلك عنه إلاّ هالك...» الخطبة: ۱٦٨).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾: «و كتاب الله بين أظهركم ناطق لايعيىٰ لسانه، و بيت لاتُهدَم أركانه، و عِزٌّ لاتُهزَم أعوانه...» الخطبة: ۱۳۳).

و فيه: قال يعسوب الدّين أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾: «فالقرآن آمرزاجر، و صامت ناطق، حجّة الله على خلقه، أخذ عليه ميثاقهم، و ارتهن عليه أنفسهم، أتمّ نوره و أكمل به دينه، و قبض نبيّه﴿ﷺ﴾ و قد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به، فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه، فإنّه لم يُخفِ عنكم شيئاً من دينه، و لم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلاّ و جعل له عَلَماً بادياً و آية محكمة، تزجر عنه أو تدعو إليه، فرضاه فيما بقي واحد، و سخطه فيما بقي واحد» الخطبة: ۱٨۲).

و فيه: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾ ـ في وصف القرآن الكريم ـ: «و هُدىً لمن ائتمّ به، و عذراً لمن انتحله، و برهاناً لمن تكلّم به، و شاهداً لمن خاصم به، و فلجاً لمن حاجّ به، و حاملاً لمن حمله، و مطيّة لمن أعمله و آية لمن توسّم، و جُنّة لمن استلأم، و عِلْماً لمن وعى، و حديثاً لمن روىٰ، و حَكَماً لمن قضى» الخطبة: ۱٨۹).

و قولها صلوات الله عليها: «فَبَيَّنَ (وَ بَيَّنَ خ) عزّوجلّ وَزَّع (عليه خ) من الأقساط»:

التّوزيع: التقسيم من وزّعه: قَسَّمَهُ و فَرَّقَهُ، و توزّعوه فيما بينهم: قسّموه. أصله من وزع فلاناً: كفّه و منعه. و انّ التّقسيم يوجب كفّ كلّ من الشّريكين عن التّصرّف في غير ما اختصّ به.

و الأقساط ـ جمع القِسْط ـ: الحصّة و النّصيب و أصله: القِسط بمعنى العدل اللاّزم لتمييز الحصص و الأنصبآء.

قال الله تعالى: «و إن حكمتَ فاحكم بينهم بالقسط إنّ الله يحبّ المقسطين» المائدة: ٤۲).

و انّ الفقرة في مقام بيان الحصص و الأنصبآء و أحكام التّوارث.

قال الله تعالى: «يوصيكم الله في أولادكم للذّكر مثل حظّ الأُنثيين ـ تلك حدود الله ـ و

من يعص الله و رسوله و يتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين» النّسآء: ١١ ـ ١٤).

و في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «و بَعَثَ وُرّاثكم يقتسمون تُراثكم بين حميم خاصٍّ لم ينفع، و قريب محزون لم يمنع ـ أصبحت مساكنهم أجداثاً و أموالهم ميراثاً...» الخطبة: ٢٢١).

و قولها عليها السلام: «و شَرَّعَ من الفرآئض و الميراث، و أباح من حظّ الذّكران و الإناث ما أزاح به علّة المبطلين».

الفرآئض: جمع الفريضة، بمعنى المفروضة أي الحصّة المفروضة من الفرض بمعنى التّقدير. و المفروض يطلق على الواجب غالباً لأنّه الفرد الأكمل، و قد يستعمل في غير الواجب.

و أباح الشيئ: جعله مباحاً و حلالاً من البوح بمعنى السّعة. أباحه: وسّعه. وباحة الدّار: ساحتها. الذّكران: جمع الذّكر كالذّكور. و الإناث: جمع الأنثى، خلاف الذّكر.

الإزاحة: الإزالة و الإذهاب و الإبعاد. من زاح الشّيئ: ذهب و بَعُدَ.

و المراد من علّة المبطلين، علّتهم الّتي يتمحّلونها لإلقآء الشّبهة في أحكام الله الواضحة.

و إنّ هذه الفقرة في معنى الفقرة السّابقة.

و المعنى: إنّ الله تعالى قسّم حظوظ الورثة و عيّن قدرها و بيّنها تفصيلاً في كتابه المجيد و بلسان رسوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ما أزال به علّة المبطلين أي أبعدها، فلا يكون في أحكام الميراث إبهام فلا تجري فيها شبهة.

في نهج البلاغة: وَروىَ: أنّه ذُكِرَ عند عمر بن الخطّاب في أيّامه حَلْيُ الكعبةِ و كَثْرَتُهُ، فقال قوم: لو أخذتَه فجهّزت به جُيُوشَ المسلمين كان أعظم للأجر و ما تصنع الكعبةُ بِالحَلْيِ؟ فَهَمَّ عمر بذلك و سَئَلَ عنه أميرالمؤمنين عليه السلام، فقال:

«إنّ القرآن أُنزِلَ على النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و الأموالُ أربعَةٌ: أموالُ المسلمين فقسّمها بَيْنَ الوَرَثَةِ في الفرآئض، و الفيءُ فقسّمه على مستحقّيه، و الخُمْسُ فوضعه الله حيث وضعه، و الصَّدَقاتُ فجعلها الله حيث جعلها، و كان حَلْيُ الكعبة فيها يومئذ، فتركه الله على حاله و لم

يتركه نسياناً، و لم يَخْفَ عليه مكاناً، فأقرّه حيث أقرّه الله و رسوله».

فقال له عمر: لو لاك لافتضحنا، و ترك الحَلْيَ بحاله» من قصار كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم: ٢٦٢).

و قولها صلوات الله عليها: «و أزالَ التَّظَنّي و الشُّبُهاتِ في الغابِرينَ»:

التّظنّي: هو إعمال الظنّ، و أصله: التّظنّن، و هو كناية عن الشّبهة و هي الاشتباه، و تطلق على ما يوجب الاشتباه أيضاً. و الشُّبُهات كالعطف التّفسيريّ لـ«التّظنّي».

الغابرين: الآتين الباقين من غبر يغبر فهو غابر: آتٍ. و يطلق الغابر على الباقي و الماضي أيضاً، فهو من الأضداد. و المراد من الغابرين: الآتين بعد رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ أو بعد نزول القرآن الكريم إلى يوم القيامة أي لم يبق لأحد شبهة بالمرّة في أحكام الميراث إلى يوم يقوم النّاس لربّ العالمين.

و قولها سلام الله عليها: «كلا! بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون»:

«كلاّ» كلمة زجر و ردع أي ليس أمر الميراث مجهولاً لديكم و لا أمر الخلافة كما تقولون أو كما تظنّون، أو انتهوا عمّا تعملون، فإنّه ليس الأمر كما تتوهّمون، إذ أنتم تكذبون عمداً و تفترون و تعتمدون فيما تفعلون، بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً هو ما أنهمكتم عليه و صبوتم إليه، نستعين عليه بالصّبر من الله عزّوجلّ.

قال الله تعالى فيهم: «إنّ الّذين ارتدّوا على أدبارهم من بعد ما تبيّن لهم الهدى الشّيطان سوّل لهم و أملى لهم ذلك بأنّهم قالوا للّذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر و الله يعلم إسرارهم» محمّد ﴿صلى الله عليه و آله﴾: ٢٥ ـ ٢٦).

التّسويل: تحسين ما ليس بحسن و تزيينه و تحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله أو هو تقدير معنى في النّفس على الطّمع في إتمامه. سوّل له الشّيطان: أغواه و زيّن له أن يفعل الشّيْ. يقال: هذا من تسويلات الشّيطان أي من تزييناته و إغوآئه. و سوّلت له نفسه كذا: زيّنته له، و سهّلته له و هوّنته.

«فصبر جميل» أي فصبري صبر جميل أو الصّبر الجميل أولى من الجزع الّذي لا يغني شيئاً و ذلك إذا كان الصّبر لوجه الله تعالى، و يحمد صاحبه.

«والله المستعان على ما تصفوْن» أي ما تذكرونه، فن الله تعالى نستعين في دفعه و منعه.

و الفقرة في معنى قول مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»:

في نهج البلاغة: «اللهمّ إنّي أستعديك على قريش و من أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمي، و صغّروا عظيم منزلتي، و أجمعوا على منازعتي أمراً هولي، ثمّ قالوا: ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه، و في الحقّ أن تتركه» الخطبة: ١٧١).

اعتراف أبي بكر بن أبي قحافة بجنايته على أهل بيت النّبوّة:

فقال أبوبكر:

«صدق الله، و صدق رسوله، و صدقت ابنته، أنتِ مَعْدنُ الحكمة، و موطن الهدى و الرّحمة، و ركنُ الدّين، و عينُ الحجّة، لاأُبعِدُ صَوابَكِ و لاأُنكِرُ خِطابَكِ، هؤلآء المسلمون بيني و بينكِ، قلّدوني ما تقلّدتُ، و باتّفاق منهم أخذت ما أخذت، غَيْرَ مكابِرٍ و لامستبدّ، و لامستأثر، و هم بذلك شهود»:

بعد ما سدّت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها جميع الأبواب على أبي بكر ابن أبي قحافة قائد السّقيفة السّخيفة الشّؤمة، غاصب فدك و الخلافة، في كلّ ما زعم من الإدّعاءات و ما قال من الأقاويل و الافتراءات، و عرف أنّه ما من شيئ إلّا و قد أصبح أمر الوراثة واضحاً لدي عموم النّاس فاعترف بجنايته و خيانته و ظلمه على أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بإعانة جماعة المنافقين من المسلمين، ولكنّه مع ذلك لايزال يستند إلى قاعدة شعبية و خدعة شيطانيّة ذاقت طعم الدّنيا و زخارفها... فنظرت إلى يد المخلوق، أسرع مخلفاً ورآءه ذلك الحصن الّذي كان متترساً به لردّ هجمات معدن العلم، وبقيّة النّبوّة تلك الهجمات الّتي أخذت تترى عليه كشئابيب المطر، مبادراً إلى حصن حصين أسكت في الحياة الدّنيا أبلغ الخطبآء البارعين، وأخذ بالأنبيآء و الأوصيآء و الصّلحآء فترة من الزّمن إلى عيش الإنزوآء و الخوف، و الاضطهاد، قائلاً بعد اليأس من نجاح خطّى المداهنة و المجاملة، و المصانعة و الايهام:

«هؤلآء المسلمون بيني و بينك قلّدوني ما تقلّدت، و باتّفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر و لامستبدّ و لامستأثر، و هم بذلك شهود».

نعم! ههنا يكون الجواب بفم المدفع لا لصدق الله تعالى و رسوله «صلى الله عليه و آله» و لا لصدق ابنة الرّسالة، و ركن الدّين، و موطن الهدى و الرّحمة، و عين الحجّة الّتي هي عين الصّواب و ندآء السّلام.

قوله: «مَعْدن الحكمة»:

معدن الشّيئ: محلّ إقامته من عدن بالمكان: إذ أقام به، و منه قوله تعالى: «جنّات عدن» الرّعد: ۲۳) لكونها محلّ إقامة أهلها و خلودهم فيها و منه معدن الذّهب و الفضّة و نحو ذلك لاستقرار الفلزّ فيه بلا تغيّر و لا تحرّك و لا زوال و لا تبدّل حال في نفسه.

و قوله: «ركن الدّين»:

أي قوام الدّين، فإنّ الشّيئ لا يقوم بدون الرّكن، فقوام الشّيئ ما يقوم به ركنه.

و قوله: «عين الحجّة»:

أي حقيقتها و ما هيّتها أي أنتم حجج الله حقّاً.

و قوله: «لا أُبعِدُ صوابك»:

أي إنّ ما تقولين صواب لا خطأ بلا شكّ و لا مراء.

و قوله: «و لا أُنكر خطابك»:

أي أُقرّ و أعترف بما تقولين به و تحكمين عليه من صحّة توارث الأنبيآء، و أنّكِ وارثة أبيك، و ميراثه لكِ، ولكن هؤلآء المسلمون حاضرون بيني و بينك، و شاهدون بما تقولين لي و أقوله لك، هم قلّدوني الخلافة الّتي تقلّدتها بأنّهم جعلوا الخلافة في عنقي كالقِلادة الّتي تجعل على العنق، و باتّفاق منهم أخذت ما أخذت من فدك، و غصبت الخلافة بأنّهم رأوا ذلك مصلحة، و اتّفقت آرآءهم على تلك المصلحة الّتي هي عين المفسدة، فعلت ذلك بإشارة منهم.

و هذا إقرار و اعتراف من أبي بكر ابن أبي قحافة بصراحة أنّ أمر الخلافة و أخذ فدك لم يكن من جانب الله سبحانه، و باستناد إلى أمر رسول الله «صلى الله عليه و آله» و قوله و حكمه، و لا على طبق الكتاب و السّنّة، و إنّما كان ما كان من جهة آرآء شرذمة قليلة من المنافقين و مجرّد أهوآءهم و هم أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة كانوا في بدء أمرها ثلاثة نفر:

۱ ـ أبوبكر بن أبي قحافة. ۲ ـ حليفه عمربن الخطّاب. ۳ ـ عميلهما أبوعبيدة الجرّاح حافر القبور.

ثمّ أعلنوا بأنّ الجماعة بايعوا أبابكر.

و قوله: «مكابر».

المكابرة: المغالبة. أي لم يكن ذلك على سبيل المغالبة بل كان باتّفاق هؤلآء الجماعة و آرائهم...

و قوله: «مستبدّ و لامستأثر»:

الاستبداد: الانفراد به. و الاستئثار: اختصاص المرء نفسه بأحسن الشّيئ دون غيره من استأثر بالشيئ على الغير: استبدّ به و خصّ به نفسه.

و المعنى: ما كنت أنا مستبدّاً و متفرّداً أيضاً بهذا الرّأي، و إنّما فعلت ما فعلت مع اتّفاق هؤلآء الجماعة، و هم شهود على تلك الحالة و الفعالة.

الفصل السّادس عشر: في توبيخ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها لأذناب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة: فالتفتت فاطمة عليها السلام إلى النّاس و قالت:

«معاشر المسلمين (النّاس خ) المُسْرِعَةِ إلى قيل (القيل خ) الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر «أفلا تتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها» «كلاّ بل ران على قلوبكم» ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم و أبصاركم، و لبئس ما تأوّلتم، و سآء ما به أشرتم، و شرّ ما منه اغتصَبْتم (اعتضتم خ) لَتَجِدُنَّ وَ اللهِ مَحْمِلَهُ ثقيلاً، و غِبَّهُ وَبيلاً، إذا كُشِفَ لكم الغِطآء، و بانَ ما ورآئه الضّرّآء «و بدا لكم من ربّكم مالم تكونوا تحتسبون و خَسِرَ هنالك المبطلون»:

الشّرح: القيل: هو القول، و كذا القول، و المراد من «الباطل»: الشّخص الباطل أي فعله و قوله و اعتقاده باطل، غير مطابق للحقّ الواقع. و لايبعد أن يكون التّعبير بكلمة «القيل» للإشارة إلى أنّ ما لا واقع له من القول فهو في حكم المجهول، و السّند المتزلزل بإزآء ما هو الحقّ من القول المستند إلى الله سبحانه، و أوليآئه المعلوم صلاحه ظاهراً و باطناً، الحسن انتسابه إلى أهله في الدّنيا و الآخره.

قولها سلام الله عليها: «المغضية على الفعل القبيح الخاسر»:

الإعضآء: إدنآء الجفون، و منه قول الفرزدق في الإمام الرّابع زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام:

يُغضي حياء، و يُغضىٰ من مهابته و ما يكلّم إلاّ حين يتبسّم

غَضِيَ البَعيرُ: شكى بطنه من أكل الغضا، و يقال: فلان غَضِيَ على الأمر: سكت عنه و صبر عليه. و أغضى عينه: طبّق جفنيها حتّى لايبصر شيئاً. و أغضى على القذى: إذا صبر و أمسك عنه عفواً و رضي به.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «أغْضِ على القذى، و إلاّ لم ترضَ أبداً» من قصار كلماته: رقم: ٢٠٤).

و فيه: قال إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «فأغضيت على القذى، و جَرِعْتُ ريقي على الشّجى، و صبرتُ من كظم الغيظ على أمرّ من العَلقَم و آلم للقلب من حزّ الشّفار» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم: ٣٠٨).

و معنى الفقرة: أنّ هؤلآء النّاس الّذين أسرعوا إلى البيعة لأبي بكر أوّل غاصب الخلافة و فدك سكتوا على جنايته و خيانته و هتك حرمته لأهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام و هضم حقوقهم، و رضوا بفعله القبيح الّذي هو سبب خسران صاحبه الّذين قلّدوه، و الّذين سكتوا عن فعله، و الّذين طبّقوا جفونهم كأنّهم لايبصرون شيئاً، كلّهم خسروا في الدّنيا و الآخرة و ذلك هو الخسران المبين.

و قولها صلوات الله عليها: «أفلا تتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟»:

هذا اقتباس من قوله تعالى: «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها» محمّد ﴿صلّى الله عليه و آله﴾: ٢٤) مع تغيير الغيبة إلى الخطاب بملاحظة مقام المحاورة.

و قد روى عن الإمامين: الصّادق و الكاظم عليهما السلام في الآية الكريمة: إنّ المعنى: أفلا يتدبّرون القرآن فيقضوا بما عليهم من الحق».

و هذا المعنى بملاحظة مقتضى المقام في زمن الإمام المعصوم ﴿عليه السلام﴾.

و قدورد من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين: أنّ معنى القرآن

عام لكلّ ما مضى و ما يأتي إلى يوم القيامة، و إلاّ لنفد القرآن الكريم، و لم يبق فيه حجّة و لا برهان و بيان و تبيان. فالمراد: أنّ هؤلآء النّاس من مردة السّقيفة السّخيفة الشّوْمة و أذناب أصحابها لو تدبّروا القرآن الكريم لعرفوا ما فيه من العقآئد الحقّة و فروعه و معارفه و حِكَمه و مبانيه و معانيه و حكموا بها و لو على أنفسهم، و كذلك الّذين تدبّروه و عرفوا ما فيه، و لكن لمّا لم يعملوا به فكلّهم على شرع سوآء، فينزّلون جميعاً منزلة الجاهل الغير المتدبّر فيه، و يوبخّون على ترك تدبّرهم فيه و ترك عملهم به، من باب تنزيل العالم غير العامل بعلمه منزلة الجاهل.

و تنكير القلوب لإرادة قلوب هؤلآء المردة و من يحذوحذوهم في كلّ ظرف من الظّروف إلى يوم القيامة من جاهلهم و عالمهم، و من المحتمل أن يكون التنكير لتحقير هذه القلوب القاسية، أي هذه القلوب الغير المتدبّرة في القرآن الكريم قلوب منكرة، و محقّرة مستنكرة.

و قولها عليها السلام: «كلاّ بل ران على قلوبكم»:

اقتباس من قوله جلّ وعلا: «كلاّ بل ران على قلوبهم» المطفّفين: ١٤) و وجه الالتفات فيه لما سبق. الرّين: الطّبع و التّغطية، و أصله: الغلبة. يقال: ران هواه على قلبه: غلب عليه. من الرّينة و هي: الخمرة لغلبتها على العقل. و اُطلق الرّين على الدّنس الغالب على الشّيْ.

و المعنى: غلب على قلوبكم بسبب اتّباعكم لأصحاب السّقيفة السّخيفة الشّوْمة، الرّين و هو الحجاب الكثيف، فستر قلوبكم حجاب الظّلمة و صدي الغفلة، فلا يُرى في مرآتها وجه الحقّ و الهدى، وجه الصّواب و الفلاح، و وجه الرّشاد و الكمال لغلبة ظلمة الهوى عليها. إذا غلبت طبيعتهم على فطرتهم، و أهوآئهم على عقولهم...

في نهج البلاغة: ـ من كتاب إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» إلى أهل الأمصار ـ: «... و من لجّ و تمادى فهو الرّاكس الّذي ران الله على قلبه، و صارت دائرة السّوْء على رأسه» رقم الكتاب: ٥٨).

و قولها سلام الله عليها: «ما أسأتم من أعمالكم»:

إشارة إلى سبب الرّين على قلوبهم و هو أعمالهم السّيّئة كما في قوله تعالى: «كلاّ بل ران

على قلوبهم ما كانوا يكسبون» المطفّفين: ١٤).

و قولها عليها السلام: «فأخذ بسمعكم و أبصاركم»:

فأخذ هذا الرّين بسمع قلوبكم و أبصارها لما غلب عليها، و الأخذ كناية عن قبضها و منعها عن فعلها، فلا تسمع الحقّ، و لاتبصر الهدى، فإذاً يكون لهم قلوب لايعقلون بها، و لهم آذان لايسمعون و لهم أعين لايبصرون اولئك كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً.

و ذلك أنّهم لم يعملوا بعد وفاة رسول الله «ﷺ» بما علموا في حياته، و لم يتأثّروا بما سمعوا من تظلّم الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء عليها صلوات الله في حضورهم، و لم ينصروها إذا استنصرتهم...

و قولها أفضل صلوات الله عليها: «و لبئس ما تأوّلتم»:

التّأوّل و التّأويل: الإرجاع من الأوّل بمعنى الرّجوع من آل إليه الأمر: إذا رجع، و منه المآل للمعاد. و التأويل: الانتهاء. و التّأويل ـ في الاصطلاح ـ: حمل اللفظ على غير المعنى الظّاهريّ، و هو على قسمين:

الأوّل: هو حمل اللفظ على غاية معناه المقصودة منه، و هي حقيقته الخفيّة على النّاس إلاّ الله تعالى و الرّاسخون في العلم كتأويل القرآن الكريم.

قال الله عزّوجلّ: «و ما يعلم تأويله إلاّ الله و الرّاسخون في العلم» آل عمران: ٧).

الثّاني: هو حمل اللفظ على الأميال و الأهوال النّفسانيّة كسآئر التّأويلات اللاتى لاتُحصىٰ في كلّ ظرف من الظّروف...

في نهج البلاغة: ـ من كتاب مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «ﷺ» إلى معاوية بن أبي سفيان ـ: «فَعَدَوْتَ على طلب الدّنيا بتأويل القرآن...» رقم الكتاب: ٥٥).

و قد أشار الإمام عليّ «ﷺ» إلى كلا القسمين من التّأويل بقوله:

في نهج البلاغة: «يعطف الهوىٰ على الهدىٰ إذا عطفوا الهدىٰ على الهوىٰ، و يعطف الرّأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرّأي...» الخطبة: ١٣٨).

و فيه: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ «ﷺ» ـ فيمن تسمّى عالماً و ليس بعالم ـ: «... و آخر قد تسمّى عالماً و ليس به، فاقتبس جهآئل من جُهّال، و أضاليل من ضُلّال، و

نصب للنّاس أشراكاً من حبآئل الغرور و قول زور، قد حمل الكتاب على آرآئه، و عطف الحقّ على آرآئه، يؤمّن النّاس من العظآئم، و يهوّن كبير الجرآئم، يقول: أقف عند الشّبهات و فيها وقع، و يقول: أعتزل البِدَعَ و بينها اضطجع، فالصّورة صورة إنسان، و القلب قلب حيوان، لايعرف باب الهدى فيتّبعه، و لاباب العَمىٰ فيَصُدّ عنه، فذلك ميّت الأحيآء...» الخطبة: ٨٦).

و **معنى الفقرة**: و لبئس تأويلكم القرآن الكريم و أحكام الشّريعة، و صرفها عن وجوهها، و حملها على آرائكم الفاسدة و أميالكم و أهوائكم النفسانيّة و أغراضكم الشّيطانيّة...

و **قولها سلام الله عليها**: «و سآء ما به أشرتم»:

الإشارة: الأمر بأحسن الوجوه في أمر.

و **معنى الفقرة**: و بئس ما به أشرتم من أمر الخلافة إلى أبي بكر بن أبي قحافة، فإنّ أمر الخلافة و الإمامة أمر إلهيّ لابدّ من النّصّ السّماوي و نصب الرّسول«صلى الله عليه وآله» و ليس أمرها من شئون النّاس و اختياره.

و قد أشار تعالى إلى ذلك بقوله: «إنّي جاعلك للنّاس إماماً قال و من ذرّيّتي قال لاينال عهدي الظّالمين» البقرة: ١٢٤).

و قال: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٦٧).

و قال: «و ما كان لمؤمن و لامؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً» الأحزاب: ٣٦).

و **قولها عليها السلام**: «و شرّ مامنه اغتصبتم (اعتضتم خ)»:

«شرّ»: سآء، من الشّرّ: نقيض الخير. و الاغتصاب أي غصب فدك و الخلافة.

و المعنى: و سآء ما اغتصبتموه من عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» و هو الخلافة.

و على نسخة «اعتضتم» من الاعتياض و هو أخذ العوض و الرّضا به.

و **المعنى**: سآء ما أخذتم من خلافة أبي بكر بن أبي قحافة، عوضاً عمّا تركتم من

خلافة عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾.

بئس الأمر الباطل الّذي أخذتم بعضه عوضاً عمّا فوّتم من الحقّ إذ تركتم الحقّ، و أخذتم بدله شيئاً من الباطل و هو غصب فدك و الخلافة أيّاماً معدودة سريعة فانية أي لو أخذوا الحقّ و هو فدك و الخلافة من غاصبها، و استمرّوا بهذا الحقّ لكان باقياً لهم في الدّنيا و الآخرة.

و من المحتمل أن يكون المراد «ما» أي التّأويل بالرّأي الّذي اعتضيتموه من ظاهر القرآن الكريم و محكمه حيث إنّكم تركتم الظّواهر، و أخذتم بدلها المعاني المؤوّلة المرجوحة المأخوذة بمجرّد الاشتهآء و استحسان الآراء، بل حمل الكتاب على الأميال و الأهوآء النّفسانية، و جعل الأحاديث و ما إليها...

و قولها صلوات الله عليها: «لَتَجِدُنَّ و اللهِ مَحْمِلَهُ ثَقيلاً، و غِبَّهُ وَ بيلاً إذا كشف لكم الغطآء»:

المحمل ـ كمجلس ـ مصدر حمل الشّئ على ظهره. و ثقل حمله: كناية عن كثرة أوزاره.

قال الله تعالى: «و ليحملنّ أثقالهم و أثقالاً مع أثقالهم» العنكبوت: ۱۳).

الغِبّ: العاقبة كالمغبّة. و أصله فعل شيْ يوماً، و تركه يوماً آخر.

الوبال ـ في الأصل ـ الثّقل و المكروه، و في اصطلاح الشّرع. عذاب الآخرة. و العذاب الوبيل: الشّديد الثّقيل. و منه الوبل للمطر الشّديد.

و معنى الفقرة: أُقسم بالله جلّ وعلا أنّكم معاشر المسلمين لتجدُنَّ محمل هذا المغصوب و ورزه ثقيلاً، و عاقبته عذاباً و بيلاً إذا كشف لكم الغطآء يوم القيامة.

و قولها عليها السلام: «و بان ما ورآئه الضّرّآء»:

و ظهر لكم بعد كشف الغطآء عنكم، من الذّلّة و العذاب يومئذ لأصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة بما فعلوه من غصب فدك و الخلافة، و لكم معاشر المسلمين بما أيّدتموهم على ظلمهم و جنايتهم و بغيهم و خيانتهم.

و قولها صلوات الله عليها: «و بدالكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبون»:

و ظهر لكم من صنوف الجزآء و العقاب يوم القيامة ما لم تكونوا تنتظرونه، و لاتظنّونه، و اصلاً إليكم، و لم يكن في حسبانكم.

و قولها سلام الله عليها: «و خسر هنالك المبطلون»:

اقتباس من قوله عزّوجلّ: «فإذا جآء أمر الله قضى بالحقّ و خسر هنالك المبطلون» غافر: ٧٨).

فإذا جاء أمر الله تعالى حكم بيننا و بين هؤلآء الغاصبين من أصحاب السّقيفة و أذنابهم بالحقّ، و غبن يومئذ كلّ من كان يسعى في إبطال الحقّ و إعلآء الباطل.

و لعمري: إنّ هذه الخطبة الشّريفة بنفسها تعرف أهل الحقّ و الهدى، و جند الباطل و الضّلال، و يميّز الحقّ من الباطل، و الخير من الشّرّ، و الصّلاح من الفساد... و أنّها بجملتها تنادي بأنّها لم تكن من كلام بشر عاديّ غير معصوم، و إن بلغ في الفصاحة و البلاغة ما بلغ.

فيا الله! اهد من يستهدي و اخذل من كتم الحقّ و هضمه، و اذلل من يحمى الظّالم و يعينه، و العن من يستحقّ اللعنة إلى يوم القيامة ألا لعنة الله على القوم الظّالمين، و من في زمرتهم من المعينين لهم...

إلتجاء الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها إلى قبر أبيها بعد يأسها من إحقاق حقّها:

ثمّ عطفت عليها السّلام على قبر النّبي«ﷺ» و قالت:

قد كان بَعْدَكَ أنْباءٌ و هَنْبَثَةٌ — لو كُنْتَ شاهِدَها لم تَكْثُرِ الخُطَبُ
إنّا فَقَدْناكَ فَقْدَ الأرضِ وابِلَها — و اخْتَلَّ قَوْمُكَ فَاشْهَدْهم و لا تَغِبُ
و كُلُّ أهلٍ له قُرْبىٰ و مَنْزِلَةٌ — عِنْدَ الإلٰهِ على الأدنَيْنِ مُقْتَرِبُ
أبْدَتْ رِجالٌ لنا نَجْوى صُدُورِهِم — لَمّا مَضَيْتَ و حالَتْ دونك التُّرَبُ
تَجَهَّمَتنا رِجالٌ و استُخِفَّ بِنا — لَمّا فُقِدْتَ و كُلُّ الإرْثِ مُغْتَصَبُ
و كُنْتَ بَدْراً و نوراً يُسْتضاءُ به — عَلَيكَ يُنْزَلُ من ذي العِزَّةِ الكُتُبُ
و كان جِبْريلُ بالآيات يونِسُنا — فَقَدْ فُقِدْتَ و كُلّ الخَيرِ مُحْتَجَبُ
ضاقَتْ عَلَيَّ بِلادي بعد ما رَحُبَتْ — وَ سيمَ سِبطاك خسفاً فيه لى نَصَبُ
فَلَيْتَ قَبْلَك كان الموتُ صادَفَنا — لَمّا مَضَيْتَ و حالَتْ دونك الكُثُبُ

إنّـا رُزِيـنا بما لم يُـرْزَ ذُو شَجَنٍ — مـن البريّـة لاعُـجْمُ ولا عَـرَبُ
و قـد رُزِيـنا بـه مَحْضاً خـليقته — صـافي الضّرآئب و الأعـراق و النَّسَبُ
فـانتَ خـير عبادالله كُـلِّهِمُ — و أصْدَقُ النّاس حَيْثُ الصّدقِ و الكَذِبُ
فسوف نبكيك ما عِشنا و ما بَقِيَتْ — لنـا العُـيُونَ بِـتهْمالٍ لَـهُ سَكَبُ
سَـيَعْلمُ المُـتَوَلّي ظُـلْمَ حـامَتِنا — يـوم القيامة أنّي سـوف يَـنْقَلِبُ

و في **أمالي المفيد** رضوان الله تعالى عليه: عن زينب الكبرى بنت أميرالمؤمنين عليها السلام قالت: لمّا اجتمع رأي أبي بكر على منع فاطمة فدك و العوالي، و أيست من إجابته لها عدلت إلى قبر أبيها، فألقت نفسها عليه، و شكت إليه ما فعله القوم بها، و بكت حتّى بلّت تربته بدموعها، و ندبته، ثمّ قالت في آخر ندبتها:

قد كان بعدك أنبآء و هَنْبَثَةٌ...

في كشف الغمّة: بعد ذكر الأبيات: فما رأينا أكثر باك و باكية من هذا اليوم.

و في ترتيب الأبيات اختلاف لابأس به: ذكرها جماعة من أعلام العامة و حملة أسفارهم... راجع (صحيح البخاري: ج ٣ ص ٣٥ ـ باب غزوة خَيْبر) و (ج ٢ ص ١١٦) و (صحيح مسلم: ج ٢ ص ٩٢) و (شرح البخاري للغين ـ ج ٨ ص ٣٢٣) و (فيض الباري: ص ٩٨) و (مسند أحمد: ج ١ ص ٤) و (الصّواعق المحرقة: ص ٣١) و (إزالة الخفاء: ج ٢ ص ٣٠) و (كنز العمال: ج ٣ ص ١٢٥) و (وفاء الوفا: ج ٢ ص ١٦٠) و (فتوح البلدان: ص ٣٨) و (معجم البلدان: ج ٦ ص ٣٤٣) و (السّيرة الحلبية: ج ٣ ص ٤٠٠) و (شرح ابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٨٦) و (ج ٤ ص ١٠١) و (تفسير الرازي: ج ٣ ص ٢٣٠) و (ج ٨ ص ٣٨٦) و (تفسير النيشابوري (غرائب القرآن) على هامش تفسير الطبري: ج ٤ ص ١٩٧) و غيرها من كتب التّفسير و الحديث و التّأريخ و السّيرة...

الشّرح:

قولها صلوات الله عليها: «قد كان بَعْدَك أنْبآءٌ و هَنْبَثَةٌ»:

الأنبآء ـ جمع النبأ ـ: الخبر و المراد من الأنبآء في البيت هي الأقاويل المفتريات، و الأخبار الغير المؤتلفة، و الوقآئع المولمة، و الحوادث الشّديدة بعد وفاة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾

من غصب الخلافة، و فدك و هتك حرمة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و هجوم بيتهم و إحراق دارهم، و إسقاط جنين بضعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» و ضربها، و تهديداتهم و المحاورات و المنازعات المتعقّبة على ذلك.

و الهنبثة: جمع الهنابث، و هي الامور الشّداد المختلفة، و اختلاط الأقاويل...

و قد أشار إلى ذلك مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»:

في نهج البلاغة: «و ستنبّئك ابنتك بتضافر اُمّتك على هضمها، فَأَحْفِهَا السّؤال، و استخبرها الحال...» من كلامه «عليه السلام» عند قبره «صلى الله عليه وآله» رقم: ١٩٣).

و قولها عليها السلام: «لو كنت شاهد هالم تكثر الخُطَبُ»:

الشّهود: الحضور. و الخُطَبُ: جمع الخُطْبَة و هي مجموعة كلام يخاطب بها جملة من النّاس أو مطلق الكلام المخاطب به، و تلك الخُطَب هنا هي الأنبآء المختلفة المشار إليها كمكالمة الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها مع هؤلآء الجماعة من أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و مردتها بالمكالمات المختلفة في مجالس متعدّدة، و مواجهتهم بها سلام الله عليها بالأجوبة المختلفة المتضادة الباطلة الكاذبة...

و معنى الفقرة: لو كنت يا رسول الله «صلى الله عليه وآله» شاهداً حاضراً لتلك الأنبآء و الهنبثة، لما وقعت و لا تكثّرت، بل كان القول عندئذٍ قولك، و ما كان لأحد أن يردّك و لم يحصل الاختلاط بالأقوال المختلفة المتضادّة...

و قولها سلام الله عليها: «إنّا فَقَدْناكَ فَقْدَ الأَرْضِ و ابِلَها»:

الفَقْد: غَيْبُ الشّيْ و عدمه بعد وجوده، من فَقَدَ فلانٌ الشّيْ: غاب عنه و عدمه. و منه قوله تعالى: «قالوا نفقد صُواع الملك» يوسف: ٧٢).

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «فاسئلوني قبل أن تفقدوني ـ و لو قد فقد تموني و نزلت بكم كرآئه الامور و حوازب الخطوب لأطرق كثير من السّآئلين، و فَشِلَ كثير من المسئولين...» الخطبة: ٩٢).

و تفقّدته: طلبته عند غيبته.

الوابل: المطر الشّديد.

قال الله تعالى: «و مثل الّذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله و تثبيتاً من أنفسهم كمثل جنّة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين» البقرة: ٢٦٥).

و في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: - في الاستسقاء -: «... و انشر علينا رحمتك بالسّحاب المُنبِق، و الرّبيع المُغدِق، و النّبات المونق، سحّاً وابلاً، تُحيي به ما قدمات، و تردّ به ما قدفات...» الخطبة: ١١٤).

و في الفقرة إشارة إلى شدّة الميل إلى المخاطب، و غاية الاحتياج إليه لنهاية الرزيّة في فقده.

في نهج البلاغة: قال يعسوب الدّين إمام المتّقين عليّ ﴿عليه السلام﴾: «و كلّما عَظُمَ قَدْرُ الشّئ المتنافس فيه عَظُمَتِ الرّزيّة لفقده...» من قصار كلماته ﴿عليه السلام﴾ رقم: ٢٦٧).

و قولها عليها أفضل صلوات الله: «و اختَلَّ قَوْمُك فاشْهَدْهُمْ و لاتغب (و قد نكبوا خ)»:

الاختلال - من الخَلَل -: الفرجة بين الشّيئين الموجبة للانفصام.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين عليّ ﴿عليه السلام﴾: «الحِلْمُ غطاء ساتر، و العقل حُسامٌ قاطع، فاستر خَلَلَ خُلقك بحلمك، و قاتل هواك بعقلك» من قصار كلماته ﴿عليه السلام﴾ رقم: ٤١٦).

و إنّ الأمر بالشّهادة استدعاء، و النّهي عن الغيبة للخبر عنها.

و معنى الفقرة: و اختلّت بعدك يا رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و تشتّت نظام المسلمين و تفرّق أُمورهم بسبب غصب الخلافة من أهلها، و غصب فدك و النّهي عن الخمس و تحريم الإرث على أهل بيتك و هتك حرمتهم و ايذائهم، فأشهدهم و لاتغب فإنّك شهيد عليهم و لاتغيب عنهم في الدّنيا و الآخرة.

قال الله تعالى: «إنّا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم» المزّمّل: ١٥).

و قال: «هو سمّاكم المسلمين من قبل و في هذا ليكون الرّسول شهيداً عليكم و تكونوا شهدآء على النّاس» الحج ٧٨).

و قال: «و يوم نبعث في كلّ أُمّة شهيداً عليهم من أنفسهم و جئنا بك شهيداً على

هؤلآء» النّحل: ٨٩).

و في بعض النسخ: «و قد نكبوا» من النكب. الميل، من نكب عن طريق: عدل و مال عنه.

و معنى الفقرة: قد لزم شهودك و حضورك لأنّ جماعة من أصحابك قد نكبوا عن الصّراط المستقيم، و انحرفوا عن جادّة الحقّ و الهدى، و أعرضوا عن الصّواب و الرّشاد لتردّهم من الغواية و الضّلالة إلى الكمال و الإنسانيّة.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: ـ في الخوارج لمّا أنكروا تحكيم الرّجال، و يذمّ فيه أصحابه في التّحكيم ـ: «فأين يتاه بكم؟ و من أين أتيتم؟! استعدّوا للمسير إلى قوم حيارى عن الحقّ لايبصرونه، و موزعين بالجور لايعدلون به، جُفاةٍ عن الكتاب نُكُبٍ عن الطّريق...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم: ١٢٥).

و في كشف الغمّة: «و اختلّ قومك لمّا غِبتَ و انقلبوا» أي انقلبوا على أعقابهم راجعين إلى حالة الكفر و الضّلالة، و الشّرك و الجاهليّة و البغي و الجناية...

و قولها عليها السلام: «و كلّ أهل له قربى و منزلة»:

القربى ـ في الأصل ـ: القرابة مطلقاً، مصدر، و قد تطلق على القرابه في الرّحِم من قرب من الشّيْ: إذا دنا منه. و المنزلة: المرتبة و الدّرجة، جمعها: منازل.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «فقلت: يا رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ بأيّ المنازل أُنزِلُهُمْ عند ذلك؟ أبمنزلة رِدّةٍ أم بمنزلة فتنة؟ فقال: بمنزلة فتنة» من كلامه ﴿عليه السلام﴾: ١٥٥).

و معنى الفقرة: و كلّ أهل كانت له مزيّة و زيادة على غيره من الأقربين عند الله سبحانه.

و قولها صلوات الله عليها: «عند الإله على الأدنين مقترب»:

الأدنين: هم الأقربون. و اقترب: تقارب. و إنّ المستفاد من الفقرة أنّ أقارب الرّجل صنفان: صنف له قربى و منزلة باطنيّة، و صنف ليس كذلك، و الصّنف الأوّل أشدّ قرباً عندالله تعالى بالنّسبة إلى الصّنف الثّاني:

و المراد من هذه الفقرة و ما قبلها: أنّ الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها تقول: إنّا أهل بيت لنا قربة و منزلة في الواقع و عندالله بالنّسبة إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فنحن أقرب من سآئر أقارب رسول الله ﴿ﷺ﴾ و من الأجانب بالنّسبة إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ و إلى الله سبحانه، فلابدّ أن تكون لنا الوراثة و الخلافة.

و في الفقرتين تعريض لما فعله أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و مردتها ممّا مرّت إليه الإشارة و أنّهم فعلوا خلاف ما قرّره الله تعالى و حكموا بغير ما أنزل الله جلّ وعلا...

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿ع﴾ في أصحاب السّقيفة: «زرعوا الفجور و سقوه الغرور و حصدوا الثّبور لايقاس بآل محمّد ﴿ﷺ﴾ من هذه الأمّة أحد، و لايسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدّين، و عماد اليقين، إليهم يفيئ الغالي، و بهم يلحق التّالي، و لهم خصآئص حقّ الولاية و فيهم الوصيّة و الوراثة الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله و نُقِلَ إلى منتقله» الخطبة الثانية).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿ع﴾ ـ في المتخلّفين عن الحقّ و المائلين إلى الباطل ـ: «و قطعتم الأدنى، و وصلتم الأبعد، و اعلموا أنّكم إن اتّبعتم الدّاعي لكم سلك بكم منهاج الرّسول، و كفيتم مؤونة الاعتساف، و نبذتم الثّقلَ الفادح عن الأعناق» الخطبة: ١٦٥).

و قولها صلوات الله عليها: «أَبْدَتْ رِجالٌ لَنا نَجوىٰ صُدُورِهِمْ»:

الإبدآء: الإظهار، خلاف الإسرار، من بدا له الأمر: ظهر له.

النّجوىٰ: اسم من نجوته: إذا ساررته، من نجا: تخلّص، و نجوى صدورهم: ما أضمروه في نفوسهم من الضغن و العداوة لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الله تعالى ـ في المنافقين ـ: «ألم تر إلى الّذين نهوا عن النّجوىٰ ثمّ يعودون لما نهوا عنه و يتناجون بالإثم و العدوان و معصيت الرّسول» المجادلة: ٨).

و قد أشارت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها بقولها هذا إلى قوله جلّ وعلا: «إنّ الّذين ارتدّوا على أدبارهم من بعد ما تبيّن لهم الهدى الشّيطان سوّل لهم و أملى لهم ذلك بأنّهم قالوا للّذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم

إسرارهم ـ إن يسئلكموها فيحفكم تبخلوا و يخرج أضغانكم» محمّد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ٢٥ ـ ٣٧).

و **معنى الفقرة:** أظهرت رجال ـ و هم أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّوْمة و مردتها ـ بعد وفاة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ حقدهم و حسادتهم، و ضغنهم و عداوتهم لنا أهل بيت الوحي عليهم السلام الّتي أضمروها، و لم يتمكّنوا من إظهارها في حياة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾.

و **قولها سلام الله عليها:** «لمّا مَضَيْتَ وَ حالَتْ دُونَكَ التُّرَبُ»:

المضيّ: كناية عن الموت.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ في وصف الأنبياء عليهم السلام: «كلّما مضى منهم سَلَفٌ قام منهم بدين الله خَلَفٌ...» الخطبة: ٩٣) أي كلّما مات من الأنبيآء...

و **فيه:** من كتاب إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ إلى أهل مصر مع مالك الأشتر رضوان الله تعالى عليه ـ: «فلمّا مضى ﴿صلى الله عليه وآله﴾ تنازع المسلمون الأمْرَ من بعده...» رقم الكتاب: ٦٤) أي فلمّا مات رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾...

و **حَالَتْ:** صارت حائلة مانعة، من حال فلان بيني و بين فلان: صار حائلاً بيني و بينه مانعاً لي عن رؤيته أو عن وصوله.

في نهج البلاغة: قال يعسوب الدّين أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «و إنّما طَلَبْتُ حقّاً لي و أنتم تحولون بيني و بينه...» الخطبة: ١٧١).

و **دونك:** أي منك أو عنك أو بمعنى قريباً منك قبل الوصول إليك.

و **التُّرَبُ:** جمع التُّرْبة و هي التّراب. و قد أنّث الفعل: «حالت» باعتبار جماعة الفاعل: «التُّرَب» كما يقال: قالت الرّجال.

و **قولها عليها السلام:** «تَجَهَّمَتْنا رِجَالٌ و اسْتُخِفَّ بِنا»:

التجهّم: الاستقبال بالوجه الكريه و العبوس، من جهمت الرّجل و تجهّمته: إذا كلحت في وجهه.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «قد درست منار الهدى و ظهرت أعلام الرّدى، فهي متجهّمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة...» الخطبة:

۸۸) أي كالحة في وجوههم...

و في نسخة «تهجّمتنا» في الهجوم أي تهجّمت علينا من هجمت على الشّيْ و تهجّمت عليه: أتيته بغتة.

في نهج البلاغة: ـ في وصيّة سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ لإبنه الحسن ﴿عليه السلام﴾ ـ: «...فليس شئ أكره إليهم و لا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه و يصيرون إليه...» الوصيّة رقم الكتاب: ۳۱).

و هجم فلاناً: طرده، و الهجوم: الرّيح الشّديدة، تقلع البيوت و الأشجار... فهذا تشبيه دخول أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة في بيت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها بالرّيح الشّديدة الّتي تقلع البيوت و تذرى الأموال... كناية عن هتك حرمات أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و إباحة أموالهم و هضم حقوقهم...

الاستخفاف: كناية عن الاستحقار. و المعنى حصل بعد وفاة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بالنّسبة إلينا الاستخفاف من جانب أصحاب السّقيفة الّذين كانواهم مستحقّين أن يستخفّ بهم لبغيهم و ضلالتهم، و ظلمهم و عداوتهم، و جرمهم و جنايتهم...

في نهج البلاغة: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «قد استهوتهم الأهوآء، و استزلّتهم الكبريآء، و استخفّتهم الجاهليّة الجهلآء...» الخطبة: ۹٤).

و **معنى الفقرة:** إنّ أصحاب السّقيفة و مردتها و اجهونا بالوجه الكريه، و بالشّدّة و الغلظة، أو هجموا على بيتنا: بيت الوحي و النّبوّة هجمة عادية، و حقّرونا، و لم يجعلوا لنا حرمةً و لا وزناً.

و **قولها صلوات الله عليها: «لمّا فُقِدْتَ و كُلُّ الإرث (الأرض خ) مُغتَصَبُ»:**

الفقد: غيب الشّيْ و عدمه بعد و جوده.

الاغتصاب: الغصب بمعنى المغصوب. و في «كلّ الإرث...» دلالة على أنّ أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة لم يغصبوا فدكاً و العوالي فقط، بل غصبوا حقوق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين مادّيها و معنويها من أموالهم كلّها منها فدك و العوالي، و من الخلافة...

و **معنى الفقرة:** و لمّا غِبتَ عنّا يا رسول الله﴿ﷺ﴾ بالموت، غصب أصحاب السّقيفة منّا ما ورثناه من المال و الخلافة.

و في نسخة «وكلّ الأرض مغتصب» و ذلك أنّ الأرض كلّها كانت لأهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام كما قال الإمام السّابع موسى بن جعفر﴿ﷺ﴾ لهارون الرّشيد، فاغتصبها أصحاب السّقيفة و لذلك معادن كلّ خطيئة على وجه الأرض إلى يوم القيامة، و قد أشار إلى ذلك يعسوب الدّين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾ بقوله:

في نهج البلاغة: «حتّى إذا قبض الله رسوله﴿ﷺ﴾ رجع قوم على الأعقاب، و غالتهم السّبل، و اتّكلوا على الولآئج، و وصلوا غير الرّحم، و هجروا السّبب الّذي أُمِروا بمودّته، و نقلوا البنآء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كلّ خطيئة، و أبواب كلّ ضارب في غمرة...» الخطبة: ١٥٠).

و **قولها سلام الله عليها:** «و كنتَ بَدْراً و نوراً يُسْتضآء به»:

و كنتَ يا رسول الله﴿ﷺ﴾ بَدْراً ـ كالقمر في ليلة البدر ـ و نوراً ـ كالشّمس في رابعة النّهار يستضآء بك ليلاً و نهاراً في ظُلَم الشّرك و الطّغيان، و الإثم و العدوان، و الكفر و العصيان، و في ظُلَمَ الضّلالة و الجهالة، و العدواة و اللجاجة...

قال الله تعالى: «يا أيها النّبيّ إنّا أرسلناك شاهداً و مبشّراً و نذيراً و داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً» الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب﴿ﷺ﴾ في وصف رسول الله﴿ﷺ﴾: «فهو إمام من اتّقى، بصيرة من اهتدى، سراج لَمَعَ ضوؤه، و شهاب سطع نوره...» الخطبة: ٩٣).

و **قولها عليها صلوات الله:** «عليك ينزل (تنزل خ) من ذي العزّة الكُتُبُ»:

إنّ في المراد من ذي العزّة وجوهاً:

منها: أنّ لله عزّ و جلّ عزّة كاملة و حقيقتها و جميع أفرادها... قال الله تعالى: «فإنّ العزّة لله جميعاً» النّساء: ١٣٩).

منها: أنّ المراد من العزّة الصّفة الجماليّة أو الجلاليّة أو كلتاهما.

و الكتب: جمع الكتاب، و في جمعها وجوه:

منها: أنّ كلّ سورة من القرآن الكريم أو كلّ آية من آياته كأنّه على حدة.

و منها: أنّ المراد بالكتب أحكامها الإلهيّة مقلقاً، فإنّ القرآن المجيد مشتمل على جميع ما في الكتب الماضية السّماوية كما في الأخبار الصّحيحة المرويّة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و منها: أنّ المراد جنس الكتب من باب فلان يركب الخيل، و هو يركب واحدة منها، أي يركب من هذا الجنس.

و منها: أنّ اللام في «الكتب» للجنس و العهد مع اعتبار معنى الكمال كقولك: زيد الرّجل أي الرّجل الكامل في الرّجوليّة.

و معنى الفقرة: عليك يا أبتاه تنزل الآيات القرآنية من الله جلّ وعلا، و بيّن لك الحلال و الحرام، و قد كنت أنت أعلم بأحكام الله تعالى و قرّرت لنا ما قرّرت من الوراثة و الخلافة بأمرالله عزّوجلّ، فكان على اُمّتك أن يتّبعوك في كلّ ظرف من الظّروف، و لاينكصوا عن الحقّ بعد الإقدام، و لكنّ أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّومة هم غيّروا كتاب الله و بدّلوا سنّتك و غصبوا منّا الوراثة و الخلافة و هتكوا حرماتك و فعلوا ما لم تفعل اُمّة نبيّ بأهل بيت نبيّهم...

و قولها عليها السلام: «قد كان جبرئيل بالآيات يُونِسُنا»:

إنّ المراد بالآيات، آيات القرآن الكريم. و الايناس: إعطاء الاُنس و إذهاب الوحشة و الدّهشة.

و معنى الفقرة: قد كان جبرئيل يجيئك بالآيات القرآنيّة على سبيل الوحي، و نحن قد اعتدنا بذلك، و استأنسنا به في عمرنا عن سائر الأنام، و أزلنا بذلك عن نفسنادهشة المصائب و الآلام و وحشة الأوجاع و الأسقام، فقد فقدت الآيات، و انقطع عنّا نزول الوحي بعد وفاتك.

و قولها صلوات الله عليها: «فقد فُقِدْتَ فكلّ الخير مُحْتَجَبُ»:

فلمّا غِبتَ عنّا يا أبتاه بالوفاة، احتجب عنّا كلّ الخير إذ كنت معدن كلّ خير و أصل كلّ رحمة كما في زيارة الجامعة الكبيرة: «إن ذُكِرَ الخَيْرُ كنتم أوّله و آخره و أصله و فرعه...»

و قولها صلوات الله عليها: «ضاقت عَلَيَّ بلادي (بلادالله خ) بعد ما رَحُبَتْ»:

الضّيق: خلاف السّعة.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «و قدّر الأرزاق فكثّرها و قلّلها، و قسّمها على الضّيق و السّعة...» الخطبة: ٩٠).

و البلاد: جمع البلد، و إضافته إلى «الله» كما في بعض النّسخ، ظاهر، و أمّا إضافته إلى ياء التّكلّم فإشارة إلى قولها عليها السلام: «و كلّ الأرض مغتصبٌ».

و «رحبت»: و سعت.

و الفقرة كناية عن الاستراحة و عدم المشقّة أو عدم الأمن من الخوف و الدهشة و الوحشة و ضرر الأعداء و الغيلة.

قال الله تعالى: «و ضاقت عليكم الأرض بما رحبت» التّوبة: ٢٥) أي لم تجدوا في الأرض موضع فرار تفرّوا إليه، و تستريحوا من الخوف و الوحشة و الدّهشة.

و قولها عليها أفضل صلوات الله: «وَسيمَ سِبْطاك خسْفاً فيه لي نَصَبٌ»:

«سيم» فعل ماضٍ مبنيّ للمفعول من سامه: أراده عليه. و السّبط: و لدالبنت. و المراد من السّبطين هنا الحسنان عليهما السلام. و الخَسْف: الذّلّة أي تكلّفها له. و النَّصَب: التّعب. قال الله تعالى: «لايمسّنا فيها نَصَبٌ» فاطر: ٣٥) أي تعب.

و المراد من الفقرة: إنّ إرادة أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّومة خَسْفَ سبطيك يا رسول الله﴿صلى الله عليه وآله﴾ و هما الحسنان و ذلّتهما أوجبت لنَصَبي و تَعَبي لما يدخل عَلَيَّ من الهمّ و الحزن و الغمّ الشّديد الحاصل لي من هذه الجهة.

و قولها صلوات الله عليها: «فليت قبلك كان الموت صادَفَنا»:

صادَفَ: وجد ولق، من صادفت الضّالّة: وجدتها.

و معنى الفقرة: فليت قبل فوتك يا رسول الله﴿صلى الله عليه وآله﴾ كنّا نموت.

و فيها دلالة على نهاية ظلم أصحاب السّقيفة السّخيفة على أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و هتك حرماتهم...

و قولها سلام الله عليها: «لمّا قَضَيْتَ و حالَتْ دونك الكُتُبُ»:

القضاء هنا: الموت. أي لمّا مِتَّ يا أبتاه و الكثب: جمع كثيب و هو التّلّ من الرّمل، كناية

عن التّراب أي تراب القبر، أو كثب الأرض مطلقاً لبُعد الفاصلة الظّاهريّة أيضاً في بعض الأوقات بين الأحيآء و قبور الموتى.

و **معنى الفقرة:** لمّا غِبتَ عنّا بالموت يا رسول الله«صلى الله عليه و آله» تمنّينا أن كنّا نحن ميّتين قبلك، و لم نر الدّنيا و هي خالية منك.

فالمصراع السّابق جواب لـ«لمّا» بالتّشديد، و أمّا «لمَا» بالتخفيف فالمصراع الثّاني في موضع تعليل للتّمنّي السّابق.

و **قولها عليها السلام:** «إنّا رُزينا بما لَمْ يُرْزَذو شَجَنٍ»:

الرُّزْء: المصيبة العظمى بفقد الأعزّة. و في أصل المادّة معنى النّقص. يقال: زرأ الرَّجُل مالَهُ: أصاب منه شيئاً مهما كان أي نقصه و الرّزيّة: المصيبة العظيمة. و أصلها: الرّزيئة ـ كفعيلة بمعنى فاعلة ـ قلبت الهمزة ياءً و اُدغِمَتْ.

و «رُزينا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير، مبنيّ للمفعول. و الشَّجَنُ: الحزْن الشّديد، جمعه: أشجان.

و **معنى الفقرة:** نحن أهل بيت الوحي المعصومون قد اُصِبْنا بفقدك يا رسول الله«صلى الله عليه و آله» بمصيبة عظمى لم يُصْب بهاذو حُزْن شديد.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام» ـ في ذمّ حبّ الدّنيا ـ: «... و من استشعر الشَّعَفَ بها مَلأت ضَميرَهُ أشجاناً...» من قصار كلماته«عليه السلام» رقم ٣٥٩).

و **قولها صلوات الله عليها:** «من البريّة لا عُجْمٌ و لاعَرَبُ»:

البريّة: الخَلْق، و الباري: الخالق. العَجَمُ و العُجْمُ: خلاف العرب، فالعجم: من ليس بعرب، مطلقاً. و ذلك أنّ العرب طآئفة مخصوصة، و لهالغة مخصوصة من حيث النّوع، و إن اختلفت أشخاص بعض اللغات و اللهجات و الألحان في تلك اللغة المخصوصة باختلاف الطّوآئف و القبآئل و الفِرَق، والعجم: خلاف العرب، و ليست العجم طائفة مخصوصة، و لا لها لهجة مخصوصة، بل الفارس على اختلافهم في اللحن طائفة من العجم، و التّرك على اختلافهم في اللهجة طائفة من العجم، و الهندي طائفة و هكذا...

قال الله تعالى ـ في تقسيم اللسان على قسمين: العرب و العجم: «و لو جعلناه قرآناً

أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته ءأعجميّ و عربيّ قل هو للّذين آمنوا هدى و شفآء» فصّلت: ٤٤).

و معنى الفقرة: أنّ هذه المصيبة العظمى الّتي أصابتنا، لم تُصب أحداً من الخلق لامن العجم و لامن العرب، فإنّ مصيبة فوت رسول الله«ﷺ» و هتك حرمات أهل بيته المعصومين عليهم السلام بعد فوته«ﷺ» و غصب خلافتهم و هضم حقوقهم... لها صدمات شديدة مخصوصة بأهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين، غير صدماتها الشاملة لأهل الإسلام كلّهم، بل للمجتمع البشري جميعاً إلى يوم القيامة من الخزي و الذّلّة، و الفساد و الضّلالة و الانحطاط و الهلاكة، و من العذاب و النّار...

و قولها سلام الله عليها: «و قدرُزينا به مَحْضاً خَليقَتُهُ»:

المحض: صفة بمعنى الخالص، و الخليقة: الطّبيعة لكون الإنسان مخلوقاً عليها مادّياً، و هي ناشئة من أصل الطّينة، و أمّا الفطرة فهي باقية لن تتبدّل، فالمصيبة على الطّبيعة لا على الفطرة.

و معنى الفقرة: و قد أُصِبْنا أهل بيت الوحي بموت رسول الله«ﷺ» خالصاً طبيعته.

و قولها سلام الله عليها: «صافي الضّرآئبِ و الأعراقِ و النّسَبِ»:

الضّرآئب: جمع الضّريبة بمعنى السّجيّة و الطّبيعة، يقال: هذه ضريبته الّتي ضُرِبَ عليها أي طُبِعَ. الضّريب: الصّنف و الشّكل و المثل من النّاس.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«ﷺ» ـ في اختلاف النّاس في طينتهم ـ: «و معروف الضّريبة منكر الجليبة...» الخطبة: ٢٢٥)

الأعراق: جمع العرق و هو أصل كلّ شيْ، و منه عروق الإنسان لأنّ جسد الإنسان مبنيّ عليها فهي أصل له.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ«ﷺ»: «الحمدلله الّذي لم يُصْبِح بي مَيِّتاً و لاسقيماً و لا مضروباً على عروقي بسوء...» الخطبة: ٢٠٦).

و من المحتمل أن يكون المراد من «الأعراق» هنا الأُصول من الآبآء و الأجداد و الأُمّهات و الجدّات...

النّسب: هو الرّبط الحاصل من ملاحظة حال الشّيْ مع شيْ آخر، ثمّ غلب استعماله

على ملاحظة أحد مغ الآخر بنسبة التولّد و القرابة.

و من المحتمل أن يكون المراد من النّسب أيضاً الأُصول أي الآبآء و الأجداد، و أن يكون المراد من صفآء الخليقة و الضّريبة، صفآء نفس طويّته، و من صفآء عرقه و نسبه، صفآء أصوله، أو المراد من صفآء الخليقة صفآء أخلاقه و من صفآء عرقه و نسبه، صفاء اصوله، أو المراد من صفآء الخليفة صفآء أخلاقه، و صفآء الضّريبة طبيعة نفسه، و من العرق أصله، و من النّسب، النّسبة الملحوظة بين الأصل و الفرع.

و **مقصود الفقرة**: أنّ طبيعة نفس رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و طينته صافية، و أصلاب أجداده كريمة، و أرحام امّهاته طاهرة.

و قد أشار إلى ذلك مولى الموحّدين يعسوب الدّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ بقوله في وصف الأنبيآء:

في نهج البلاغة: «فاستودعهم في أفضل مستودع، و أقرّهم في خير مستقرّ، تناسختهم كرآئم الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام...» الخطبة: ٩٣).

و **فيه**: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ ـ في وصف أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ـ: «و نحن الأعلون نَسَباً، و الأشدّون برسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ نَوْطاً...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم ١٦١).

و **قولها سلام الله عليها**: «فَأَنْتَ خَيْرُ عِبادِ اللهِ كُلِّهِمْ»:

فأنت يا رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ خير عباد الله جميعاً من الأوّلين و الآخرين.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله، و سيّد عباده، كلّما نَسَخَ الله الخَلقَ فِرْقَتَيْن جعله في خيرهما، لم يُسْهِم فيه عاهر، و لاضَرَبَ فيه فاجر...» الخطبة: ٢٠٥).

و **فيه**: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ ـ في وصف رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ـ: «خير البريّة طِفْلاً، و أنْجبها كَهْلاً، و أطهر المطهّرين شيمة، و أجود المستمطرين ديمة...» الخطبة: ١٠٤).

و **فيه**: قال يعسوب الدّين أمير المؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «مستقرّه خير مستقرّ، و

منبته أشرف مَنْبِتٍ، في معادن الكرامة، و مماهد السّلامة...» الخطبة: ٩٥).

و **قولها عليها السلام**: «و أصْدَقُ النّاس حَيثُ الصّدقِ و الكَذِبُ»:

«حيث» يجوز إضافته إلى المفرد، و إن كان الغالب إضافته إلى الجملة، و قد رفع «الكذب» هنا للضّرورة في القافية، و يجوز رفع «الصّدق» و «الكذب» على الابتداء لخبر محذوف أي موجودان، أو يفرضان أو يذكران. و يجوز أن يكون نائب فاعل لمحذوف أي حيث يذكر الصّدق و الكذب.

و **مقصود الفقرة**: أنّ ما ذكر من صفاء السّجيّة و الطّينة، و غيرهما يستلزم أن لايصدر منك الكذب، فأنت حينئذ أصدق النّاس جدّاً، فإنّ رذيلة الكذب من الصّفات المذمومة القبيحة في غاية الرّدآئة لايليق أن تصدر من مثلك النّبيّ: صافي الخليقة و الضّريبة، و طيّب العرق و الأرومة، فكلّ ما قلته و قرّرته في أمر الخلافة و الوراثة حقّ لاريب فيه، و إن كذّبك بعدك أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و مردتها السّفلة الجهلة...

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ «عليه السلام»: «و ارغبوا فيما وعد المتّقين فإنّ وعده أصدق الوعد، و اقتدوا بهدى نبيّكم فإنّه أفضل الهدى، و استنّوا بسنّته فإنّها أهدى السُّنَن...» الخطبة: ١٠٩).

و **قولها صلوات الله عليها**: «فسوف نبكيك ما عِشْنا و ما بَقِيتْ»:

فسوف نبكيك ببكآئنا، أونبكي نحن أهل بيتك يا رسول الله «صلى الله عليه وآله» لك، ما مضى، و ما بقيت من أيّام عُمْرِنا في الحياة الدّنيا لما فقدناك، و ما وقع علينا بعدك من أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابهم من هتك حرماتك و هضم حقوق أهل بيتك المعصومين و غَصْب الخلافة...

و **قولها سلام الله عليها**: «لنا العيونَ بِتَهْمالٍ لَهُ سَكَبُ»:

التّهْمال: من هملت عينه: فاضت و سالت دموعاً بغير اختيار.

في نهج البلاغة: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» ـ في وصف المتّقين من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصّادقين ـ: «إذا ذُكِرَ الله هَمَلَتْ أعينهم حتّى تَبَلُّ جيوبهم...»

من كلامه﴿عليه السلام﴾: رقم ٩٦)

و هملت السّمآء: دام مطرها، و منه هملت الماشية: سرحت ورعت بغير راع ليلاً و نهاراً. و أهملتها: أرسلتها، و أهملت الأمر: تركته.

السَّكْبُ: من سكبت المآء: صببته، و سكب الماء بنفسه: صبّ. السّكب: الهطلان الدّائم، و من الخَيْل: الشّديد الجري.

و معنى الفقرة: لنا أهل بيت الوحي المعصومين العيون الّتي ترسل الدّموع و تصبّها بغير اختيار، لفقد رسول الله﴿صلى الله عليه وآله﴾ و ما وقع علينا بعد وفاته﴿صلى الله عليه وآله﴾.

و قد أشارت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهراء عليها أفضل صلوات الله و أكمل تحيّاته بأشعارها الّتي رثت بها أباها رسول الله﴿صلى الله عليه وآله﴾:

ماذا على من شمّ تـربة أحـمد أن لا يشمّ مدى الزّمان غواليا
صبّت عَلَيَّ مـصآئب لو انّهـا صبّت على الأيّام صرن لياليا

و قولها سلام الله عليها: «سيعلم المتَوَلّي ظُلْمَ حامَتِنا»:

المتولّي: المباشر للشّيء من تولّى الأمر: باشره، و المتولّي للظّلم على أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين هو أبوبكر بن أبي قحافة، ثمّ حـليفه عـمر بـن الخطّاب.

و حامّة الرّجل: خاصّته، و كأنّه من الحميم بمعنى القريب. و التـخفيف في البـيت للضّرورة.

في نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾: «و بَعَثَ وُرّاثكم يقتسمون تُراثكم بين حميم خاصّ لم ينفع، و قريب محزون لم يمنع...» الخطبة: ٢٢١).

و فيه: ـ من كتاب سيّد الوصيّين الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾ لمالك الأشتر النّخعيّ رحمة الله تعالى عليه ـ: «و لا تُقْطِعَنَّ لأحد من حاشيتك و حامّتك قطيعة...» رقم الكتاب: ٥٣)

و في النّهاية لابن الأثير الجزري ـ في معنى حمم ـ قال: و في الحديث: «اللّهمّ هؤلآء أهل بيتي و هامّتي، أذهب عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيراً» حامّة الإنسان: خاصّته و من يقرب منه، و هو الحميم أيضاً».

و معنى الفقرة: سيعلم كلّ من تولّى و أقدم و باشر و أعانه إلى الآن و هو أبوبكر بن أبي قحافة و حليفه عمر بن الخطّاب و أذنابهما، و من يتولّى و يقدم و يباشر و يعينه بعد ذلك إلى يوم القيامة على ظلم أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و قولها صلوات الله عليها: «يَوْمَ القيامة أَنّىٰ سَوْفَ يَنقَلِبُ»:

كلّهم يعلمون يوم القيامة أين مرجعهم و مأواهم.

إشارة إلى قوله عزّوجلّ: «وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون» الشّعرآء: ٢٢٧).

فسحقاً سحقاً لابن أبي قحافة، و ويلاً و ويلاً لابن صهّاك الحبشيّة، و العجب كلّ العجب أنّ الصّدّيقة الطّاهرة بنت خير الأنبيآء و المرسلين، فاطمة الزّهرآء سيّدة نسآء العالمين تخرج من بيتها لطلب حقّها الواضح المبين الّذي آتاه إيّاها رسول الله «ﷺ» بأمرالله العزيز الحكيم، فلا ينصرها أحد من الأنصار و المهاجرين، و لا من سآئر المسلمين، و بنت أبي بكر بن أبي قحافة داعي ضيافة عبدالله بن جدعان تخرج إلى قتال مولى الموحّدين إمام المتّقين يعسوب الدّين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «ﷺ» فيجتمع لنصرها جنود مجنّدة من الصّحابة و التّابعين، و عساكر مجتمعة من المردة و الشّياطين...

و لنعم ما قال أبوبكر بن قريعة في أبيات له:

يا مَن يسائل دآئباً	عن كلّ مسئلة سخيفة
لاتكشفنّ مغطّاً	فلربّما كشّفت جيفة
و لربّ مستور بدا	كالطّبل من تحت القطيفة
لولا حدود صوارم	أمضى مضاربها الخليفة
لنشرت من أسرار آ	لِ محمّد نكتاً لطيفة
تغنيكم عمّا رواه	مالك و أبو حنيفة
و أريتكم أنّ الحسين أُصيـ	ـب في يوم السّقيفة
و لأيّ شئ أُلحدت	في اللّيل فاطمة العفيفة

و لمــــا حمت شـــيخيكم عـــن طـــيّ حـــجرتها المـنيفة

واهاً لبـــــــنت محـــمّد مـــــاتت بـــغصّتها أســيفة

إنّ الجـــــواب لحـــاضر لكـــنّني أُخــيفه خــيفة

و **في البحار**: قال العلاّمة المجلسي رضوان الله تعالى عليه: «و كفى بهذه الخطبة بيّنة على كفرهم و نفاقهم» ثمّ ذكر مقالة أبي بكر الّتي تدلّ على كفره و نفاقه بصورة واضحة و هي:

«إهانة أبي بكر و كفره»

و لاريب أنّ مَن أهان أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فقد كفر.
و قد صرّح أعاظم العامّة و حملة أسفارهم و نقلة آثارهم: أنّ الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها لمّا انتهت خطبتها في مجلس أبي بكر بن أبي قحافة و حليفه عمر بن الخطّاب و أذنابهما من المهاجرين و الأنصار بمسجد النّبيّ«صلى الله عليه وآله» أهان أبوبكر ابن أبي قحافة أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السلام غاية الإهانة، و من هؤلآء الأعاظم الحملة النّقلة ابن أبي الحديد المعتزلي:

في شرح نهج البلاغة: في شرح كتاب أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام» إلى عثمان بن حنيف الأنصاري رقم الكتاب: ٤٥).

قال ابن أبي الحديد: «قال أبوبكر: و حدّثني محمّد بن زكريّا، قال: حدّثنا جعفر بن محمّد بن عمارة بالإسناد الأوّل، قال: فلمّا سمع أبوبكر (ابن أبي قحافة) خطبتها شقّ عليه مقالتها، فصعد المنبر، و قال: أيّها النّاس! ما هذه الرّعة (الدّعة خ) إلى كلّ قالة! أين كانت هذه الأمانيّ في عهد رسول«صلى الله عليه وآله»! الا من سمع فليقل! و من شهد فليتكلّم! إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه، مُرِبٌّ لكلّ فتنة، هو الّذي يقول: كرّوها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضّعفة، و يستنصرون بالنّسآء، كأُمّ طِحال أحبّ أهلها إليها البغي، ألا إنّي لو أشآء أن

أقول لقُلتُ، و لو قلتُ لبحتُ، إنّي ساكت ما تركت».

ثمّ إلتفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، و أحقّ من لزم عهد رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أنتم، فقد جاءكم، فآويتم و نصرتم، ألا إنّي لستُ باسطاً يداً و لالساناً على من لم يستحقّ ذلك منّا».

ثمّ نزل، فانصرفت فاطمة عليها السلام إلى منزلها». رواه الجوهري البصري في (السّقيفة و فدك) و غيره من أعلام العامّة و حملة أسفارهم... ثمّ قال ابن أبي الحديد: «قلتُ: قرأتُ هذا الكلام على النّقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصريّ، و قلت له: بمن يعرّض؟ فقال: بل يصرّح، قلتُ: لو صرّح لم أسئلك، فضحك، و قال: بعليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ قلت: هذا الكلام كلّه لعليّ يقوله! قال: نعم، إنّه المُلك يا بُنيّ، قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر عليّ، فخاف من اضطراب الأمر عليهم، فنها هم، فسئلته عن غريبه، فقال:

أمّا الرّعة بالتّخفيف أي الاستماع و الإصغآء و الدّعة أي الادّعاء، و القالة: القول، و ثُعالة: اسم الثّعلب، عَلَمٌ غيرُ مصروف، مِثل ذُؤالة للذّئب، و شهيده ذنبه، أي لا شاهد له على ما يدّعي إلاّ بعضه و جزءمنه، و أصله مَثَلٌ قالوا: إنّ الثّعلب أراد أن يُغرى الأسد بالذّئب، فقال: إنّه قد أكل الشّاة الّتي كنت قد أعددتها لنفسك، و كنت حاضراً، فقال: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه و عليه دمٌ، و كان الأسد قد افتقد الشّاة فقبل شهادته، و قتل الذّئب.

و مَرَبٌ: ملازم، أرِبَ بالمكان، و كرّوها جَذَعة: أعيدوها إلى الحال الاولى، يعني الفتنة و الهرج، و أمّ طِحال: امرأة بغيٌّ في الجاهليّة، و يضرب بها المثل، فيقال: أزنى من أمّ طِحال» انتهى كلامه.

أقول: يجب على الفقهآء و المجتهدين، و العلمآء العاملين، و الخطبآء و الدّعاة الصّالحين، و الكتّاب المحقّقين و على المؤمنين جميعاً أن ينقلوا هذا الحديث المؤلم الحزين و يذكروه بنصّه ليرسموا للنّاس كلّهم في كلّ ظرف من الظّروف مدى صنع حبّ الدّنيا و الرّئاسة بالإنسان، و يبيّنوا ما كان عليه أبوبكر ابن أبي قحافة من الجسارة و الجرأة على

تكذيب الله جلّ وعلا و تكذيب كتابه و رسوله«ﷺ» فيما ورد من الآيات القرآنيّة و الرّوايات المتواترة في فضائل مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب، و مناقب الصّدّيقة الطّاهرة بضعة رسول الله فاطمة الزّهراء و طهارتهم صلوات الله عليهم أجمعين.

يبيّنوا ما كان عليه أبوبكر من الإهانة و هتك حرمات أهل بيت النّبوّة المعصومين عليهم السلام، فيعرفه أتباعه و أذنابه و تتمّ عليهم الحجّة، كيف عبّر قائدهم عن نفس رسول الله«ﷺ» الّذي صرّح بها الله عزّوجلّ، في قوله: «أنفسنا و أنفسكم» آل عمران: ٦١) بذَنَب الثّعلب، و مُرَبٍّ لكلّ فتنة و هرج، و بالمرأة الزّانية في الجاهليّة، و عبّر عن الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها بالثّعلب و بالضّعيفة، ثمّ زكّى نفسه عن مقالة السوء فيمن لا يستحقّها بأنّه قال ما قال فيمن كان يستحقّه.

و لولم تكن تلك المقالات و الأراجيف موجبة لكفر قائلها لكان الشّيطان أوّل المؤمنين و آخرهم، و لم يكن في نظام الكون كافرقطّ!

و لعمرالله سبحانه بحقّ اليقين و عينه أقول: من شكّ في كفر أبي بكر ابن أبي قحافة، و طغيانه، و في وجوب اللعنة الدّائمة عليه فهو إمّا كافر أو منافق أو ولدزناء أو ولد حيض أو سلقلق و إن بلغ من معرفة الاصطلاحات العلمية ما بلغ.

و في هذا الشّرح: روى ابن أبي الحديد عن أبيبكر بن الجوهري البصري بإسناده إلى عليّ بن الصّباح قال: أنشدنا أبوالحسن رواية المفضّل للكميت:

أهوىٰ عليّاً أميرالمؤمنين ولا أرضىٰ بشتم أبي بكر و لا عمرا
و لاأقول و إن لم يُعطيا فدكاً بنت النّبيّ و لا ميراثها كفرا
الله يعلم ماذا يَحضُران به يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

قال ابن الصّبّاح: فقال لي أبوالحسن: أتقول: إنّه قد أكفرهما في هذا الشّعر؟ قلت: نعم، قال: كذالك هو.

و قد كتب الشّيخ الصالح الجزآئرى إلى الشّيخ البهائي رحمة الله تعالى عليهما:

«ما يقول سيّدي و سندي، و من عليه بعد الله و أهل البيت معوّلي و معتمدي في هذه

الأبيات لبعض النّواصب بترالله أعمارهم و خرّب ديارهم: «أهوىٰ عليّاً أميرالمؤمنين...» إلى آخر الأبيات الثّلاثة؟ فالمأمول من أنفاسكم الفاخرة، و ألطافكم الطّاهرة أن تشرّفوا خادمكم بجواب منظوم يكسر سورة هذه النّواصب.

فأجابه الشّيخ بهاء الدين رضوان الله تعالى عليه بقوله:

الثّقة بالله وحده أيّها الأخ الأفضل، الصّفيّ الوفيّ الأسمعيّ الذّكيّ، أطال الله بقاك و أدام في معارج العزّ ارتقاك، عرفتُ ما هذر به هذا المخذول، فقابلت التماسك بالقبول، و طفقت أقول:

يـا أيّهـا المدّعي حبّ الوصيّ و لم	تسمح بسبّ أبي بكر و لا عمرا
كـذبت والله في دعـوى محبّته	تبّت يداك ستصلى في غَدٍ سقرا
فكيف تهوي أميرالمؤمنين و قد	أراك في سبّ من عاداه مفتكرا
فإن تكن صادقاً فيما نطقت به	فابرأ الى الله ممّن خان أو غدرا
و أنكر النّصّ في خمّ و بيعته	و قال: إنّ رسول الله قد هجرا
أتيت تبغي قيام العذر في فدك	أتحسب الأمر بالتّمويه مستترا
إن كان في غصب حقّ الطّهر فاطمة	سيقبل العذر ممّن جآء معتذرا
فكلّ ذنب له عذر غداة غده	و كلّ ظلم ترى في الحشر مغتفرا
فلا تقولوا لمن أيّامه صرفت	في سبّ شيخكم قد ضلّ أو كفرا
بل سامحوه و قولوا لا نؤاخذه	عسى يكون له عذر إذا اعتذرا
فكيف و العذر مثل الشّمس إذ بزغت	و الأمر متّضح كالصّبح إذ ظهرا
لكنّ إبليس أغواكم و صيّركم	عمياً و صمّاً فلا سمعاً ولا بصرا

كيف يقول أبوبكر و حليفه عمر بن الخطّاب و أذنابهما حتّى اليوم: إنّ فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها قد ضلّت في دعواها، و ادّعت باطلاً، و طلبت محالاً و أرادت ظلم جميع المسلمين، و ماتت مصرّة على ذلك، و هي سيّدة نسآء العالمين و سيّد نسآء أهل الجنّة و بضعة رسول الله «صلى الله عليه و آله» و اُم أبيها و غيرها من فضآئلها لاتحصى رووا في صحاحهم و مسانيدهم و مآخذهم و أسفارهم لايشكّ فيها إلاّ من كان فاقد الدّراية، و خبيث الولادة، و مقطوع الضّلالة.

و كذلك الإمام عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ كيف يجرّ إلى نفسه عندهم في شهادته للصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام، و هو من أحد الثّقلين الّذين لايفارقون كتاب الله، و أنّ تمسّك بهم يؤمن من الكفر و الضّلالة، و الإثم و الغواية، و من الدّمار و الهلاكة... فكان الإمام عليّ﴿عليه السلام﴾ تارة شاهداً لفاطمة الزّهرآء عليها السّلام، و أخرى موافقاً لها على الغضب على أبي بكر بن أبي قحافة، و دفنها ليلاً، و ما علم بها أبوبكر، و لم يسترضها في مدّة حياتها و هان عليه غضبها و أذيّتها و هي أذيّة لرسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ كما رووه، و انّ ذلك كلّه تشهد منهم صريحة بضلال أبي بكر بن أبي قحافة و خروجه عن حدود الإسلام، و فضيحته بين الأنام...

في رجال الكشّي: حدّثني حمدويه و إبراهيم، قالا: حدّ ثنا محمّد بن عبدالحميد العطّار عن أبي جميلة عن الحارث بن المغيرة عن الورد بن زيد قال: قلت لأبي جعفر (الإمام الباقر)﴿عليه السلام﴾: جعلني الله فداك قدم الكميت، فقال: ادخله، فسئله الكميت عن الشّيخين؟ فقال له أبو جعفر﴿عليه السلام﴾: «ما أُهريق دم و لاحكم بحكم غير موافق لحكم الله و حكم رسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ و حكم عليّ﴿عليه السلام﴾ إلّا و هو في أعناقهما» فقال الكميت: «الله اكبر الله اكبر! حسبي، حسبي»

طاهر بن عيسى قال: حدّثني جعفر بن أحمد قال: حدّثني أبوالحسين صالح بن أبي حماد الرّازي، قال: حدّثنا محمّد بن الوليد الخزاز عن يونس بن يعقوب قال: أنشد الكميت أباعبدالله شعره:

أخلص لله في هواي فما اغرق نزعاً و ما تطيش سهامي

فقال أبوعبدالله﴿عليه السلام﴾: لا تقل هكذا، و لكن قل: قد أغرق نزعاً و ما تطيش سهامي.

نصر بن بن صباح قال: حدّثني إسحق بن محمد البصري، قال: حدّثني محمد بن جمهور العمى قال: حدّثنا موسى بن يسار الوشّاء، عن داود بن النّعمان قال: دخل الكميت فأنشده و ذكر نحوه ثمّ قال في آخره: إنّ الله عزّوجلّ يحبّ معالي الامور، و يكره سفسافها (سفالها)

فقال الكميت: يا سيّدي أسئلك عن مسئلة، وكان متّكئاً فاستوى جالساً وكسر في صدره و سادة، ثمّ قال: سل! فقال: أسئلك عن الرّجلين؟ فقال: «يا كميت بن زيد ما اُهريق في الإسلام محجمة من دم و لا اكتسب مال من غير حلّه و لا نكح فرج حرام الّا و ذلك في أعناقهما إلى يوم يقوم قآئمنا، و نحن معاشر بنى هاشم نأمر كبار نا و صغارنا بسبّهما و البراءة منهما»

﴿ ردّ أُمّ سلمة رضي الله عنها أقاويل أبي بكر في الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام ﴾

في الدرّ النّظيم في مناقب الأئمّة اللهاميم: للشيخ جمال الدّين الشّاميّ تلميذ المحقّق الحلّي المتوفّى (٦٧٦هـ) قال بعد خطبة فاطمة﴿عليها السلام﴾ في المسجد و كلام أبي بكر:

«فقالت أمّ سلمة رضي الله عنها حين سمعت ما جرى لفاطمة عليها السلام: أَلِمِثْلِ فاطمة بنت رسول الله يقال هذا القول؟!

هي ـ والله ـ الحورآء بين الإنس، و النّفس للنّفس، ربيّت في حجور الأتقيآء، و تناولتها أيدي الملائكة، و نمت في حجور الطّاهرات، و نشأت خير نشأة، و ربّيت خير مربّي، أتزعمون أنّ رسول الله حرّم عليها ميراثها و لم يُعلِمْها، و قد قال الله تعالى: «و أنذر عشيرتك الأقربين» الشّعرآء: ٢١٤)؟!

أفنذرها و خالفت متطلّبه، و هي خيرة النّسوان، و أُمّ سادة أشبال، و عديلة مريم، تمّت بأبيها رسالات ربّه؟!

فوالله لقد كان يشفق عليها مَن الحرّ و القرّ، و يوسّدها يمينه، و يلحفها بشماله، رويداً و رسول الله﴿صلّى الله عليه و آله﴾ بمرأى منكم، و على الله تردون، و آهاً لكم فسوف تعلمون»

قال: فَحَرُمت عطآؤ تلك السّنة.

نعم! إنّ الاستبداد وحبّ الرّئاسة إذا كانا يجرّان صاحبها إلى أن يمثّل مولى الموحّدين

إمام المتّقين سيّد الوصيّين، يعسوب الدّين أميرالمؤمنين عليّاً عليه السلام ـ الّذي قال فيه رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «اللهمّ أدر الحقّ معه حيث دار» و غيره من النّصوص المتواترة القطعيّة ـ بما ذكره من تعابير تكشف عن شركه و جاهليّته، عن كفره و ضلالته، عن خبث باطنه و سريرته و جنايته، و عن عناده و عداوته لله جلّ وعلا و أهل بيت وحيه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و كذلك تمثيله بضعة المصطفى ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و روحه الّتي بين جنبيه و ثمرة فؤاده. و فلذة كبده بما صوّره من الثّعلب و زوجها المعصوم بذنب الثعلب!! فإلى الله المشتكى. و كذلك حليفه عمر بن الخطّاب إذ أهان رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بمحضره حين أراد الوصيّة بالكتابة، فقال عمر: «إنّ هذا الرّجل ليهجر» تكذيباً لقول الله جلّ وعلا: «و ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى» النّجم: ٣ ـ ٤) و عشرات بل مئات مثل تلك الكفريات...

و بعد ذلك كلّه فهل يمنعهم مانع أو يردعهم شيئ عن ارتكاب الجرائم البشعة بحقّ الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها من إحراق باب دارها، و كسر ضلعها، و إسقاط جنينها، و هتك حرماتها و ما إليها من الجنايات... فتفكّر أيّها القاريء الخبير ثمّ اقض فأنت قاضٍ!

﴿رجوع الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها إلى بيتها و خطابها لأمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام﴾

ثمّ انكَفَأَت عليها السلام، و أميرالمؤمنين عليه السلام يَتَوَقَّعُ رُجُوعَها إليه، و يَتَطَلَّعُ طُلُوعَها عليه، فلمّا استقرّت بها الدّارُ قالت لأمير المؤمنين عليهما السلام:

«يابن أبي طالب! اشْتَمَلْتَ شَمْلَةَ الجنين، و قعدتَ حُجْرَةَ الظَّنين، (و خ) نقضت قادمةَ الأجدل، فَخانَك ريشُ الأعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نَحْلَةَ أبي، و بُلْغَةَ ابْنَيَّ، لقد أجهد (أجهر خ) في خصامي، و أَلْفَيْتُه أَلدَّ في كلامي، حتّى حَبَسَتْني قَيْلَةُ نَصْرِها، و المهاجِرَةُ وَصْلَها، و غَضَّتِ الجماعةُ دوني طَرْفَها، فلا دافِعَ و لامانِعَ، خَرَجْتُ كاظمةً، و عُدْتُ راغمة، أَضْرَعْتَ خَدَّك يَوْمَ أَضعْتَ حَدَّكَ، إفْتَرَسْتَ الذّئاب، و افْتَرَشْتَ التُّراب، ما كَفَفْتَ قائلاً، و لا أَغْنَيْتَ طائلاً (باطلاً خ) و لاخيارَ لي، لَيْتَني مِتُّ قبل هنيئتي (هَيْنَتي خ) و (هَنِيَّتي خ) و دون ذُلّتي (زلّتي خ) عَذيري الله منك (منه خ) عادياً، و منك حامياً، وَيْلاىَ في كلّ شارقٍ، وَيْلاىَ في كلّ غاربٍ، ماتَ العَمَدُ، و وَهَنَ (وَهَتِ خ) العَضُدُ، شَكْوايَ إلى أبي! و عدوايَ إلى ربّي! اللّهمّ إنّك أشدّ منهم قوّةً و حَوْلاً، و أشدّ (أحدّ خ) بأساً و تنكيلاً».

الشّرح: الانكفاء: الانصراف و الرّجوع من كفأت القوم: إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم إلى غيره فانكفئوا و رجعوا. كفأ الرَّجُلَ: طرده، و كفأ الرَّجُلَ عن القصد: جار، و كفأ الإناء: أماله و قلبه ليصبّ ما فيه.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام»: «الّلهمّ إنّي أستعديك على قريش و من أعانهم، فإنّهم قد قطعوا رحمي، و أكفأوا إناآئي و أجمعوا على منازعتي حقّاً، كنت أولى به من غيري...» من كلامه«عليه السلام» رقم: ٢٠٨).

التّوقّع: الانتظار، وفيه معنى طلب وقوع الشّيء، و الطّلب يستلزم الانتظار، فاستعمل فيه بهذه المناسبة، و في المادّة معنى الميل و الرّغبة.

و **التّطلّع:** الإتيان، استعارة من طلوع الكوكب و نحوه من الافق و غيره، و طلعت عن القوم: غبت عنهم، و تطلّع الطّلوع: انتظاره. و طلعت الجبل: علوته. و اطّلعت على باطن أمره: أشرفت عليه و علمت به، و هو مأخوذ من معنى طلب العلوّ الملازم للعلوّ المستلزم للإشراف.

فالمعنى: ثمّ رجعت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام اللّه عليها من مسجد النّبيّ الكريم«صلى الله عليه وآله» إلى بيتها، حالكون أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام» ينتظر رجوعها إليه.

و في الجملة دلالة على أنّه كان خروجها لإقامة الحجّة و إتمامها على أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابها و أتباعهم بأمر من أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام».

و انتظار الطّلوع كناية عن ظهور الشّيئ من علو، ففيه إشارة إلى أنّه برجوعها كان تمام البيان و الحجّة كالشّمس الّتي بطلوعها تتجلّ صور الأشيآء...

فلمّا سكنت الدّار أو سكنت هي و أهلها بمجيئ الصّدّيقة الطّاهرة عليها صلوات الله. و هذا على سبيل الكناية. فكأنّ الدّار كانت مضطربة لخروجها عليها السلام منها، و فيه استعارة حيث إنّ السّفينة و نحوها في المآء إذا كانت خالية لاشيئ فيها كانت مضطربة لخفّتها، فإذا ألق فيها بعض الأشيآء الثّقيلة، و استقرّت فيها، استقرّت السّفينة لثقلها، ثمّ يكنّى عن كون الشّيئ في شيئ باستقراره به أي بسببه.

و من المحتمل أن يكون هذا على سبيل القلب، و هذا شايع. فالمعنى: فلمّا استقرّت هي في الدّار كما يقال: استقرّت نوى القوم، و استقرّت بهم النّوى أي قاموا.

و **قولها سلام الله عليها:** «يابن أبيطالب اشتملت شملة الجنين»:

و لايخفى على القاريئ الخبير: أنّ تغيير لهجة الخطاب عن مجراه الطّبيعي ـ كما قال بعض

المعاصرين - من (يا أميرالمؤمنين أو يابن العمّ أو يا عليّ أو يـا أبـا الحسـن أو يـا أباتراب...) إلى (يابن أبيطالب) يحكي عن أروع منازل العارفين المستسلمين لواقع الأمر حينما تتبدّل الأزمنة و الأمكنة طبقاً للظّروف الخاصّة.

نعم! قد كان جري الخطاب قبل هذا اليوم يروي تبادل الكلمات بين الزّوجين المثاليين في جميع القِيَم المثاليّة بأعذب كلمات الودّ و الحنان، و لكن حينما تختلف المواقف فيصبح أحد الزّوجين يحمل على عاتقه أعباء حمل تكليف يخرج الخطاب عن كون أحد الزّوجين يتكلّم بما هو شأن الزّوجيّة إلى ما هو شأن الجندى بإزاء الآمر، و أيّ جنديّ هو أطوع من جندي السّلام لقادة الايمان؟!

فقد جائت الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء صلوات الله عليها لتربي الأجيال بالخلق الكريم ليميّز النّاس الخطاب عند اختلاف الأحوال و المقامات... فمثلاً الولد الّذي يخاطب أباه بيا أبتِ في الظّروف العادية، يكون من الواجب عليه إذا أصبح جنديّاً في ساحات النّضال و الأب آمراً أن يخاطبه كبقيّة أفراد الجيش بيامولاي أو يا سيّدي أو يا أمير و لايُعطي نفسه في مقام الانقياد خصوصيّة على الآخرين...

و كذلك الزّوجة قد تعيش مع زوجها في البيت أرق الكلمات و أعذبها و لكن يجب عليها أن لاتمزج بين حياة الزّوجيّة، و الحياة العامّة الاجتماعيّة، فإذاكان الزّوج ملكاً أوذا مسئوليّة خاصّة كان من الواجب عليها أيضاً أن تخاطبه بما يجب خطابه به عند الظّروف الاجتماعيّة الخاصّة.

و ههنا الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها الّتي أصبحت في مثل هذه اللحظات تعيش حياة المسئوليّة و حمل التكليف بأمر من أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام» جائت لترسم للأجيال اختلاف موارد الخطاب بين الزّوجة و الزّوج، و بين المأمور و الآمر، و ما ينبغي من اختلاف الكلمات في المقامين، فلذا أصبح الخطاب بـ«يابن أبيطالب» لترسم مدى الانقياد عند الإحساس بالمسئوليّة، و ليس كما زعم كثير من الأجلّة: أنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها بهذا الخطاب رسمت تألّماً من موقف الإمام عليّ«عليه السلام» بإزاء ما يحصل من الانقلاب عقيب رحيل رسول الله الأعظم«صلى الله عليه وآله» بل كان خطابها هذا يـرسم غـاية

الخضوع، و نهاية الاستسلام من بعد ما نزلت نفسها منزلة بقيّة النّاس، فهو خطاب خضوع و استسلام لاخطاب تألّم و عتاب.

أجل! ليس كمثل الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها العلم و الايمان من لا يعرف مواقع الأُمور و موارد القبض و البسط، و هي المستنيرة بنور الرّسالة و الولاية، و بنور النّبوّة و الإمامة... فلا تجاوز عن الحدود و لاغضب إلاّ لله تعالى، فليس في خطابها خطاباً بدءاً و ختاماً ما فيه عتب على ساحة مجد الايمان و حبل الرّحمن، و هي تستمدّ نور الحكمتين: النّظريّة و العمليّة من إمامها أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» فلم تخرجها عواصف الأيّام عن حدّ الميزان، و لو في جوانبه الكماليّة و الخلق الرّفيع كما أن ليس كمثل مولى الموحّدين الإمام عليّ «عليه السلام» من يخطأ موارد المقدور...

مضافاً على ذلك أنّه لم يكن هناك حجاب بين بقيّة الرّسالة سلام الله عليها و مشعل استمرار الشّريعة بياناً و تطبيقاً و هو إمام المتّقين «عليه السلام» حتّى تفاجىء بضعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما جرى من الانقلاب على الأعقاب بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» و هي العارفة بخصوصيّات الكتاب الكريم، فكيف يعقل في حقّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها أن تتوقّع ثباتاً و إقداماً من أميرالمؤمنين الإمام في حقّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها أن تتوقّع ثباتاً و إقداماً من أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» أكثر ممّا هو عليه، و الحال أنّ العرفآء و الحكمآء يعلمون دائماً أنّ القادة الحقيقيين هم المتقدّمون في جميع ساحات الشّرف و الكرامة على غيرهم، و أنّهم أمام الصّفّ الأوّل قبضاً و بسطاً.

فالصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها إذن تتطلع جواز الإقدام على قدر ما يرسمه لها إمامها عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» فمثلاً الصّمود في شعب أبي طالب عليه السلام كان عين الثّبات في ميادين الشّرف و الكرامة و القيام بالسّيف آنذاك لا يكون إلاّ انتحاراً و قس على ذلك، و من تأمّل في خطبة الصّدّيقة الطّاهرة صلوات الله عليها بدءاً و ختاماً يلمس بوضوح أنها سلام الله عليها إنّما خرجت بأمر أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» لترسم حقيقة الإسلام للمسلمين جميعاً في كلّ ظرف من الظّروف، و تنذر مغبة الإنقلاب على الأعقاب، و تقيم الحجّة على النّاس كافّة و على المسلمين خاصّة ليهلك من هلك عن بيّنة و

يحيى من حيّ عن بيّنة، في حين أنّها كانت تعلم ما تخامرهم من الخزي و الهوان، و الذّلّ و الخذلان.

فما كانت بقيّة الرّسالة الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها إلاّ كجندي عارف مستسلم يتطلّع قدر القبض و البسط لنور الرّسالة من مظهر الشّريعة، و ميزان تطبيقها قائد الغرّ الميامين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» و ما كان كلامها عليها السلام يحثّ إمامها عليّاً «عليه السلام» على الثّبات أكثر ممّا كان عليه، و لم يحمل في طيّاته العتاب أو اللوم بعد عرفانها بحقائق الامور بل إنّما جآء كلامها ليرسم للأجيال مدى اعتقاد الصّدّيقة الطّاهرة بمنزلة إمامها عليّ عليهما السام عند شدآئد الأمور و لتستفهم من إمامها عليهما السلام أيضاً هل أنّها قامت بوظيفتها من حين خروجها من بيتها إلى مسجد أبيها إلى زمن رجوعها إلى بيتها بكلّ ما تتطلب الرّسالة من بيان و شرح لعلل التشريع و توبيخ للمنقلبين على الأعقاب و كشف هويّاتهم، و بيان اغتصابهم للزّعامة الدّينيّة و عدوانهم على الأموال و هضم حقوق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات عليهم اجمعين، و عداوتهم على القيم الرّساليّة باسم الدّين أم لا؟

و تمهيداً لشرح فقرات الخطبة أقول: إنّ وظيفة الأوصيآء بعد الأنبيآء صلوات الله عليهم أجمعين هي شرح الرّسالة و بيانها بكلّ بطونها و رسم كيفيّة تطبيق كبرياتها على صغرياتها، سوآء أبى الناس و الحكّام ذلك أم رضوا به، و ليس من وظيفتهم كما زعم بعض الأجلّة بيان الرّسالة من بعض جوانبها كالعبادات و المعاملات و الطّهارة و النّجاسة مثلاً، و ترك بقيّة جوانب الرّسالة الّتي هي كسلسلة واحدة مترابطة، كما و أنّه ليس من وظيفة الأوصيآء المعصومين عليهم السلام فضلاً عن العلمآء العاملين إذا لم تطلب منهم الأمّة التطبيق، القيام لقبض أزمّة الامور...

نعم! لو جآئت النّاس تريد حياة السّلام لوجب على المعصوم «عليه السلام» حينما يجد أنصاراً على إقامة الحقّ أن يقيمه و يبيد فلول الكفر و الضّلال، و الشّرك و النّفاق و الظّلم و الفساد...

و لمّا كان لميادين الجهاد أبواب قد تسدُّ بعضها أو لا تشرع بالنّسبة لإنسان خاصّ، و

كان عدم التّشريع لبعض الأبواب لايروى عدم تشريعها بنحو الإطلاق، بل قد يكون من لم تشرع في حقّه بعض الأبواب كالجهاد بالسّيف هو إحدى القوآئم لبنآء الرّسالة كالصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها فى دورها الجهادي في ميادين البيان و إقامة الحجّة بعد أصل التّشريع الّذي لم يتردّد متردّد بتا ميّته في عهد رسول الله «صلّى الله عليه و آله» قامت سلام الله عليها بهذا الموقف العظيم.

فيا لله كم هانت دنيا الظّلمات و الأوهام على ربّها حتّى شوهد فيها مثل هذه الطّامّة الكبرى الّتي كانت نتيجة انقلاب على الأعقاب بعد رسول الله «صلّى الله عليه و آله» و هي جعل الأسماع تمجّ ندآء السّلام و الايمان من أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب و الصّدّيقة الطّاهرة صلوات الله عليهما و تسرع ملبّية لندآء الباطل باسم الحقّ حينما دعي إليه في وقعة الجمل والنّهروان و صفّين، فبعد هذا التّمهيد أقول:

قولها صلوات الله عليها: «اشْتَمَلْتَ شملةَ الجنين»:

اشتمل بالثّوب: إذا أداره الشّخص على جسده كلّه، من شملهم الأمر: إذا عمّهم، و الشَّمْلَة ـ بكسر الشّين و سكون اللام ـ: هيئة الاشتمال، و ـ بالفتح ـ: ما يشمل به، و المقصود هنا مشيمة الجنين و هي محلّ الولد في الرّحم، و تطلق عليه لأنّه مستور في البطن، و الجنين يطلق على المقبور، و فسّرت الشّملة بمطلق الكسآء الّذي يشتمل به.

الله أكبر الله أكبر ياله من مدح عظيم من سيّدة نسآء العالمين، العارفة بمقام الإمامة و الولاية لمثال البطولة و الثّبات و الشّرف في ساحات الجهاد و النّضال، و مثال كفّ النّفس عن دنيا الأوهام و زخارفها بطلقات ثلاث لارجعة بعدها، أجل، العظمآء يعرفهم العظمآء، فقد رجعت الصّدّيقة الطّاهرة صلوات الله عليها بعد أدآء الوظيفة، و هي تحمل كلّ الإجلال و الإكبار لإمامها أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام مخاطبة إيّاه لتخفّف عنه «عليه السلام» من أثقال الإمامة كما كانت تصنع ذلك بالنّسبة إلى رسول الله «صلّى الله عليه و آله» لتخفّف عنه ألم ثقل النّبوّة، فقالت: «اشتملتَ شملة الجنين» أي أنّ من يتحمّل الأذى لمرضاة الله عزّوجلّ و يشتمل شملة الجنين لايكون إلاّ بأنظار النّاس جالساً حجرة الظّنين.

فهذا نتيجة ما اخترته لنفسك يابن أبيطالب لتكون عين الفنآء في ذات الله جلّ وعلا

أي اشتملت شملة الجنين للإشارة إلى أنّه اشتمل بهذا الثّوب بإرادة و اختيار منه لا لقصور أو تقصير، و هو ثوب الوقاية عن الدّنيا و زخارفها بما في ذلك حبّ الزّعامة و السّلطة، و أنّه القادر على تصدّى الأمور و وضع الذّئاب و الثّعالب و الذّباب في مجالسها كما كان من ذي قبل حينما كانت الوظيفة هي الاقدام لضرب أوتاد الدّعوة على وجه الأرض، و لكنّك الآن يابن أبيطالب تتحمّل بكلّ إرادة و اختيار أن تكون بأنظار القاصرين و المقصّرين جالساً حجرة الظّنين، لم تأخذك في الله لومة لآئم حينما أصبح الثّبات بالصّبر و تحمّل الأذى و العدوان لحفظ الرّسالة، و لفسح المجال أمام البشريّة طبقاً للحكمة الإلهيّة لتسير البشريّة حياة الاختيار و الاختبار، و إن ظنّت لواقع جهلها أنّها تسبق الأقدار...

و لأنّه ليس من وظيفتك اليوم الإقدام لقبض أزمّة الامور إن لم تطلب منك النّاس ذلك فلذا ظنّ هؤلآء المتقمّصون للخلافة، و جميع الانتهازيين أنّه لدهآء منهم سبقوك، و الحال أنّك بنفسك اشتملت شملة الجنين.

نعم! لقد قالت: يابن أبيطالب، يابن الشّرف و الكرامة، يابن المجد و السّعادة، و يابن الثّبات و الاستقامة اشتملت بثوب الابتعاد عن زعامة الدّنيا و مطامعها لتعيش نزيهاً طاهراً عن كلّ فعلة تخدم المصالح الشّخصيّة، و قد أشار مولى الموحّدين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ إلى هذا المعنى بقوله:

في نهج البلاغة: و من خطبته ﴿عليه السلام﴾ عند خروجه لقتال أهل البصرة، قال عبدالله ابن العباس: دخلت على أميرالمؤمنين ﴿عليه السلام﴾ بذي قادر و هو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذه النّعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال ﴿عليه السلام﴾: «و اللّه لَهِيَ أحَبّ إِلَيَّ من إمرتكم إلاّ أن أُقيمَ حقّاً أو أدفع باطلاً...» الخطبة: ٣٣).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «والله لأن أبيت على حسك السّعدان مُسَهّداً، و أُجَرّ في الأغلال مُصَفّداً أحبّ إِلَيّ من أن ألق الله و رسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، و غاصباً لشيء من الحطام والله لو أُعطيتُ الأقاليم السّبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جِلْبَ شعيرة ما فعلته، و إنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم ٢١٥).

و فيه: قال يعسوب الدّين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾: «إنّ الله تعالى فرض على أئمّة الحقّ أن يقدّروا أنفسهم بضَعَفَة النّاس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره...» من كلامه﴿ﷺ﴾ رقم: ٢٠٠).

و فيه: ـمن كتاب إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب﴿ﷺ﴾ إلى عثمان بن حنيف الأنصارى و هو عامله على البصرة و قد بلغه﴿ﷺ﴾ أنّه دُعِيَ إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها ـ «...ألا و إنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به، و يستضيئ بنور علمه، ألا و إنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعمه بقرصيه، ألا و إنّكم لاتقدرون على ذلك، و لكن أعينوني بورَعَ و اجتهاد و عِفّة و سَداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً و لاادّخرت من غنآئمها وَفراً، و لاأعددت لبالي ثوبي طِمْراً...» رقم الكتاب: ٤٥).

فشبّهت الصّدّيقة الطّاهرة الرّاضية المرضيّة سلام الله عليها إمامَها عليّاً﴿ﷺ﴾ بمن هو في بطن اُمّه لم يذق طعم الدّنيا ليرغب فيها، فلم يفكر فيها طرفة عين فضلاً عن كونه مندفعاً مخطّطاً لقبض أزمّة اُمورها، فيكون مضمون الخطاب: أنّك يابن أبيطالب، و إن كنت في الدّنيا لكنّك كمن لم يُولد بَعدُ و لم يدخل فيها، أو شبّهته بالمقبور الّذي قد انتقل عن الدّنيا، فأصبح لايفكر إلاّ في الرّحمة و القرب الإلهي...

فإذن على الفرضين سوآء أرادت مشيمة الجنين أو المقبور إنّما هو كناية عن مدى عمق انقطاع إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب﴿ﷺ﴾ عن الدّنيا و ما فيها بنظر الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها سوآء كان هذا الانقطاع عن الدّنيا يجلب له المدح بأن يقال في حقّه: إنّه شجاع مقدام، أو كان يجلب عليه الذّمّ بأنظار القاصرين و المقصّرين بأن يقال: إنّه أصبح جالساً حجرة الظّنين.

و هذا معنى محض الفنآء في ذات الله سبحانه لنفس لم تأخذها في الله لومة لآئم فإنّه يقول:

في نهج البلاغة: «هيهات بعد اللتيا و الّتي والله لابن أبيطالب آنس بالموت من الطّفل بثدي اُمّه...» من كلامه﴿ﷺ﴾ رقم: ٥) فلا يغريها مدح المادحين، و لا يضعفها ذمّ الذّامّين و هو يقول

في نهج البلاغة: «فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة، و لاتتحفّظوا منّي بما يتحفّظ به

عند أهل البادرة، و لا تخالطوني بالمصانعة ـ فإنّما أنا و أنتم عبيد مملوكون لربّ لاربّ غيره...» الخطبة: ٢٠٧).

فإذن لم يكن هذا الكلام من الصّدّيقة الطّاهرة صلوات الله عليها عتاباً و لا تحريضاً على إقدام كما زعم أكثر الأفاضل فضلاً عن الأصاغر... فيصبح معنى كلام فاطمة الزّهرآء الرّاضيّة المرضيّة عليها السلام: إنّك يابن أبيطالب كمن لم يُولد بعد، و لم يدخل في الدّنيا، أو كمن خرج عنهامن دون أقلّ تعلّق بها» و هذا غاية المدح لإنسان نال بغاية الكمال الإنسانيّ.

و قولها صلوات الله عليها: «و قَعَدْتَ حُجْرَةَ الظّنينِ»:

الحُجْرَة: حظيرة الابل، و منه حجرة الدّار، و هي المكان الّذي يحتجز فيه.

و الظّنين: المتهم.

و مقصود الفقرة: و قَعَدْتَ يابن الشّرف و الإباء لمرضاة الله جلّ وعلا منازل المتّهمين بأنظار هؤلآء الجاهلين السّفلة، و الانتهازيين البطلة، راضياً في جنب الله تعالى أن ينسب إليك الضّعف و عدم اللياقة في امور الدّنيا.

و قد أشار أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ إلى هذا المعنى بقوله:

في نهج البلاغة: «فإن أقل، يقولوا: حرص على الملك، و إن أسكت يقولوا: جزع من الموت ـ بل اندمجت على مكنون علم لو بُحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطّوي البعيدة...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم: ٥).

و فيه: قال إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «والله ما معاوية بأدهى منّي، و لكنّه يغدر و يفجر، و لولا كراهيّة الغدْر لكنت من أدنى النّاس...» من كلامه ﴿عليه السلام﴾ رقم: ١٩١).

و قولها سلام الله عليها: «نقضت قادمة الأجدل»:

النّقض: ضدّ الإبرام و الإحكام.

القادمة: واحدة قوادم الطّير، و هي مقاديم ريش الطّآئر، و هي عشرة في كلّ جناح قادمةً، و أصلها: فاعلة من قدم يقدم قدوماً بمناسبة كونها مقدّمة، و هي خلاف الخوافي، جمع الخافية و هي صغار الرّيش المختفية تحت القوادم و خلفها، و إنّ الخوافي قوّة للقوادم.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾: «و لايُمْسي منها في جَناح أمن إلاّ أصبح على قوادم خوف...» الخطبة: ١١٠).

الأجدل: الصّغر الّذي يكسر الطّيور، و هو من الجدل بمعنى القوّة و الاستحكام. جَدَلَ الشّيءُ: صَلُبَ و قَوِيَ، فهو جَدِلٌ و جَدْلٌ: قويّ شديد. و سُمّيَ الاجدل بذلك لاستحكام أعْضَآئه و قوّته و شدّته بالنّسبة إلى الطّيور من أمثاله.

و غرض الفقرة: أنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها قالت لأمير المؤمنين إمـام المتّقين عليّ بن أبيطالب﴿ﷺ﴾: يابن الشّرف و الثّبات، يا من أبرم يوم الإبرام، و يا من نقض يوم النّقض لمرضاة الله جلّ وعلا لابدّ و أن تنتظر خيانة أصحاب السقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابهم حينما نقضوا القوّة الّتي أذللتَ بها الذّئاب و الثّعالب...

و قد أشار الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿ﷺ﴾ إلى وقوع ما أخـبرت بـه الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها من خيانة أصحاب السّفيفة و أذنابها بقوله:

في نهج البلاغة: «حتّى إذا قبض الله رسوله﴿ﷺ﴾ رجع قوم على الأعقاب، و غالتهم السّبل، و اتّكلوا على الولآئج، و وصلوا غير الرّحم، و هجروا السّبب الّذي أُمروا بمودّته، و نقلوا البنآء، عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه...» الخطبة: ١٥٠).

و قولها عليها السلام: «فخانك ريش الأعزل»:

«فخانك» من الخيانة يقال: فلان خان عَهْدَه: نقضه، و خان الأَمانَةَ: أؤتمن فلم ينصح و لم يحفظها. و فى بعض النّسخ: «فخاتك» من خات البازي و اختات إلى الطّير: إذا انقضّ على فريسته ليأخذه. و الخائتة: العُقاب إذا انقضّت فسمعت صوت انقضاضها.

الأعزل: من لاسلاح معه، كأنّه في معزل من معركة القتال من العزلة يعنى الانقطاع عن الخلق، و عدم الأُنس معهم، و عدم الدّخول في زمرتهم.

في نهج البلاغة: ـ من كتاب سيّد الوصيّين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾ إلى معاوية بن أبي سفيان عليها الهاوية و النّيران ـ: «و لتَعْلَمَنَّ أنّي كنتُ في عزلة عنه...» رقم الكتاب: ٦).

و يطلق المعتزل على كلّ من انقطع من شيءٍ عيناً كان أو معنىً. و قيل: الأعزل: أراذل و هو من باب الكناية.

و غرض الفقرة: أنّ من نقض السّلاح و القوّة كان من النّتآئج المسلّمة أن تخونه عامّة

النّاس كأصحاب السّقيفة و أذنابهم... لأنّ العامّة ما اعتادت في طول تاريخها إلا تأييد القوى محقّاً كان أو مبطلاً.

فكأنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها قالت لأمير المؤمنين «عليه السلام»: إنّك يابن أبيطالب لمّا نقضت قادمة الأجدل من القوّة و السّلاح لمرضاة الله عزّ وجلّ تحقيقاً للنّظام الأحسن، و جرياً مع روح الاختيار و الاختبار، و حفظاً لكيان الإسلام و نواميس المسلمين و لكون التّخطيط لقبض أزمّة الامور ليس وظيفة الأمانة كان الظّهور بهذا الضّعف لمرضاة الله تعالى يستلزم خيانة العامّة الّتي لا تؤيد إلاّ القوي، أي من نقض قادمة الأجدل لمرضاة الله تعالى لابدّ و أن ينتظر انتقاض العامة و الأراذل و الأوباش من النّاس عليه.

فإذن هذه كلمات مواساة و تسلية في يوم الشّدّة من فاطمة العصمة لعليّ الثّبات.

و قولها عليها السلام: «هذا ابن أبي قحافة»:

جعل المقارنة بين إبن أبيطالب و هو عليّ «عليه السلام» و ابن أبي قحافة و هو أبوبكر، وكذا بين أبي طالب، و أبي قحافة يعرف لدى العارفين بالتّاريخ و مسيرة الرّسالة فكأنّ الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء صلوات الله عليها تشير إلى تغيير القيم حتّى بلحاظ شرف الآبآء عند رحيل رسول الله «صلى الله عليه وآله» فضلاً عن تغييرها بلحاظ القيم الرّساليّة.

فجعل المقارنة من باب التعجّب من أنّه كيف يصبح إبن أبيطالب صاحب النّسب الرّفيع و القيم الرّساليّة في هذا المحلّ من الدّنيا، ـ و إبن أبي قحافة إبن خادم عبدالله بن جذعان، و من كان بالأمس يمرّ عليه الإمام عليّ «عليه السلام» و هو فارّ من المعركة، فيقول أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» في حقّه و حق الفارّين من مثله: «والله ما أنتم بأحق من هؤلآء بالقتل» في هذا المحلّ الآخر في الدّنيا، و المراد من «هؤلاء» هم المشركون.

و قولها عليها أفضل صلوات الله: «يبتزّني نحلة أبي»:

الابتزاز: الاستلاب، و أخذ الشّيء بقهر و غلبة، من البزّ بمعنى السّلب. و بزّه: غلبه. و بزّ الشّيء منه: أخذه بجفاء و قهر.

في نهج البلاغة: ـ من كتاب مولى الموحّدين الإمام عليّ «عليه السلام» إلى معاوية بن أبي سفيان عليهما الهاوية و النّيران ـ: «و بانتحالك ما قد علاعنك، و ابتزازك لما اُختُزِنَ دونك،

فِراراً من الحقّ، و جهوداً لما هو ألزم لك من لحمك و دَمك ممّا قدوعاه سمعك، و مُلِئ به صدرك...» رقم الكتاب: ٦٥).

النِّحْلَة ـ إسم ـ من نَحَلَ المرأة: أعطاها مهرها.

قال الله تعالى: «و آتوا النّسآء صَدُقاتهنّ نِحْلَة» النّسآء: ٤) فمهور النّسآء عطيّة من الله تعالى على استحقاقهنّ لها مقابلة البضع.

النِّحلة: العطيّة الإلهيّة على سبيل الاستحقاق من دون مطالبة، من نَحَلَ الرَّجُلَ: أعطاه شيئاً باستحقاق، من دون عوض و لا مطالبة، ففي المادّة معنى الإعطآء باستحقاق بغير مطالبة و لاعوض.

و إلى هذا المعنى أشار تعالى بقوله: «فآت ذالقربى حقّه» الرّوم: ٣٨).

و فيه دلالة واضحة على أنّ الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها كانت مالكة لفدك في عهد رسول الله نحلة منه «صلى الله عليه و آله» و إنّما تطوّر مجرى النّزاع إلى الميراث بعد إنكار أبي بكر النّحلة من رسول الله «صلى الله عليه و آله» لفاطمة الزّهرآء صلوات الله عليها، فإذن أبوبكر أنكر النّحلة أوّلاً لصاحب اليد، و بعد إقامة البيّنة على النّحلة، راح ينكر الميراث لمعاشر الأنبيآء عليهم السلام، و بعد تفنيد دليله من قبل الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام على إنكار التّوراث بين الأنبيآء و ذرّيّتهم استند إلى ما استند إليه الحكّام الجبابرة و الطّواغيت الباغية على طول التّأريخ و هو «و آية السّيف تمحو آية القلم».

و قولها عليها السلام: «و بُلْغَة ابنيّ»

البُلْغَة: ما يتبلّغ من العيش و يكتفى به و لا يفضل، و هو سبب بلوغ العمر إلى الغاية، و الأجل إلى النّهاية.

و «ابني» إمّا بتخفيف الياء، فالمراد به الجنس، و إما بتشديدها على التّثنية، و المراد بهما الحسن و الحسين عليهما السلام.

و مقصود الفقرة: إنّ هذا أبابكر بن أبي قحافة يسلبني شيئاً كان حقّاً لي أعطانيه رسول الله «صلى الله عليه و آله» بأمر من الله جلّ وعلا ليكون لولدي الحسن و الحسين يبلغان به الغاية، و غاية العظمآء هي الكمال و خدمة الشّريعة بجميع الوسآئل المؤدّية إلى تلك الغاية، و من

جملة الوسآئل بذل المال في سبيل الحقّ و الهدى، و الخير و الصّلاح، و الرّشاد و الفلاح... ليتوصّل به المؤمنون إلى غاياتهم...

فكانت فدك و العوالي من جملة الأرصدة الماليّة الّتي جعلها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأمر من الله تعالى لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ليبلغوا بها غاية المراد لتحقيق مباني الرّسالة، و ما كان همّهم ليستعيشوا بها، فهم أغنى و أجلّ من ذلك، و ممّا يؤيّد كون المراد بلوغ غاية الكمال بتلك النّحلة هو جعلها للإمامين: الحسن و الحسين عليهما السلام و إلّا لكانت بلغة لجميع ذرّيّة الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء صلوات الله عليهم أجمعين.

و قولها صلوات الله عليها: «لقد أجهد (أجهر خ) في خصامي»:

«أجهد»: جدّ و بالغ في العناد و العداوة. و «أجهر»: أظهر و أعلن بكلّ وضوح. الخصام: من المخاصمة و اللجاج.

و غرض الفقرة: أنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها تقول: إنّ أبابكر بن أبي قحافة مع ما كان له من نهاية الرّذالة و الدّنائة، قد بالغ في نهاية الوقاحة، و سعى غاية السّعي في المخاصمة و أظهر لي العناد و العداوة بالصّراحة، و أغلظ معي في المقالة بين هؤلآء الخصام المجتمعين من سفلة الصّحابة عنده في مسجد أبي رسول الله «صلى الله عليه وآله».

نعم! و قد أعلن أبوبكر بوضوح و بالغ في مخالفة بضعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» و عداوتها، و أظهر في مسجد أبيها جميع مكنون سرّه الّذي كان يخفيه طيلة حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله» من العناد و العداوة و الحقد و الحسادة لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و سحق كلّ القيم و الموازين و الإنسانيّة تحت قدميه في مسجد النّبيّ الكريم «صلى الله عليه وآله»

و من الواضح لمن له الدّراية و طيب الولادة: أنّ هذه الكلمات من الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها تقرير و بيان لما جرى في مسجد النّبيّ الكريم «صلى الله عليه وآله» بحضرة مولى الموحّدين سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام» بعد القيام بتلك المهمّة بأمر منه «عليه السلام» و ليس فيها شيئ من العتاب أو التحريض على القيام كما زعم أكثر شارحيها السّطحيين غير المتعمّقين...

و قولها عليها السّلام: «و ألفيته ألدّ في كلامي»:

«ألفيته»: وجدته.

في نهج البلاغة: قال إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «و لألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عطفة عنزٍ...» الخطبة الثّالثة) أي ولوجدتم...

و «ألدّ»: شديد الخصومة و بيّنها، و ليس «أَلَدّ» فعلاً ماضياً، فإنّ فعله على بنآء المجرد.

قال الله تعالى: «و يشهد الله على ما في قلبه و هو أَلَدُّ الخصام» البقرة: ٢٠٤) أي شديد المخاصمة و العناد، و العدواة و اللجاج بين المسلمين.

و «في» للظّرفيّة أو السّببيّة، و قد أُضيف «كلام» إلى ياء المتكلّم.

و معنى الفقرة: و لقد وجدت أبابكر شديد الخصومة و العناد، و العداوة و اللجاج في كلّ ما أقول من الحقّ و الصّواب.

و قد أشار الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» إلى هذا المعنى بقوله:

في نهج البلاغة: «ملكتْني عَيْني و أنا جالس، فَسَنَحَ لي رسول الله «صلى الله عليه و آله» فقلت: يا رسول الله «صلى الله عليه و آله» ماذا لقيتُ من أمتك من الأوَدِ و اللَّدَد، فقال «صلى الله عليه و آله»: أدع عليهم، فقلت: أبدلني الله بهم خيراً منهم، و أبدلهم بي شرّاً لهم منّي» من كلامه «عليه السلام» رقم ٦٩) يعني بالأود: الإعوجاج، و باللّدد: الخصام.

و قولها سلام الله عليها: «حتّى حَبَسَتْني قَيْلَةُ نَصْرَها، و المهاجَرةُ وَصْلَها»:

الحبس: المنع. حبستني أي حبست عنّي، و منعت عنّي نصرها أي لم تنصرني.

و قيلة: هي إسم أمّ قديمة لقبيلتي الأوس و الخزرج من الأنصار.

و المهاجرة: أي الطّآئفة المهاجرة. على حذف الموصوف. و المراد بالمهاجرة: المهاجرون. و المراد بوصلها عونها. فإنّ الإعانة تستلزم المواصلة الظّاهريّة و الباطنيّة، و بخلافه: ترك الإعانة.

و المراد من قيلة أبناء قيلة، و هم الأوس و الخزرج، فتوقّع النّصر من الأنصار، و الوصل من المهاجرين للإشارة إلى أنّ المتوقّع من الأنصار لما كانوا عليه من الدّين أن ينصروا الحقّ، و لكنّهم ما قاموا بوظيفتهم الديّنيّة، و أمّا المهاجرون فكان المتوقّع منهم مع

غضّ النّظر عن الدّين أن يقوموا بصلة الرّحم لدفع ظلامتي، فهم ما أدّوا هذا الحقّ أيضاً، ففي نفي الوصل عن المهاجرة إشارة إلى قطع صلة الرّحم و قد أخبر تعالى بذلك في قوله «فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض و تقطّعوا أرحامكم» محمّد﴿ﷺ﴾: ٢٢)

في نهج البلاغة: قال الإمام عليّ﴿ع﴾: «و وصلوا غير الرّحم...» الخطبة: ١٥٠)

فبيّنت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها تخلّف كلّ من الطّائفتين عمّا كان يجب عليهما القيام به.

و قولها سلام الله عليها: «و غَضَّتِ الجماعةُ دوني طَرْفَها»:

غَضَّهُ: خفضه، من غضّ الرّجل طرفه و صوته: خفض. و الطّرف: العين. و غضّ الطرّف كناية عن الإعراض و عدم الاعتناء.

والمراد من الجماعة: جماعة الأنصار و المهاجرين. فأشارت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها إلى أنّ هؤلآء الجماعة في بداية الأمر إرضاءً للسّلطات امتنعوا من النّصرة وصلة الرَّحمِ، و لكنّهم لمّا رأوا شدّة مخاصمة أبي بكر، و إصراره على العناد و اللجاج تجاوزوا الحدّ حتّى بلغ بهم الأمر إلى مرحلة إظهار عدم الاعتناء ليحصلوا على رضا الخليفة الغاصبة لأنّ النّاس في كلّ ظرف من الظروف على دين ملوكهم «والدّين لعق على ألسنتهم فإذا محّصوا بالبلآء قلّ الدّيّانون».

و قولها عليها السلام: «فلا دافِعَ و لامانِعَ»:

إجمالاً و تلخيصاً بعد التّفصيل و البيان تؤدّيه الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها أمام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب﴿ع﴾ تشرح فيه نتائج خطبتها، و مدى تأثيرها في نفوس أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّومة و أذنابهم، مشيرة إلى أنّ هؤلآء الجماعة قد استحوذ عليهم الشّيطان، و صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتّبعوه فأنساهم ذكر الله العظيم، فلا دافع يدافع عن حقّها، و عن حقّ أميرالمؤمنين عليّ﴿ع﴾ و عن القيم الرّساليّة الحقّة، و لامانع يمنع سطوة المعتدين.

فتقول فاطمة الزهرآء سلام الله عليها لإمامها عليّ﴿ع﴾: لم أجد أحداً من المهاجرين و الأنصار يدفع عنّي بغى الظّالمين الأعدآء، و لا أحداً منهم يمنعهم عنّي و يُعينَني في هذه الدّعوى.

و قولها صلوات الله عليها: «خرجت كاظمة، و عدت راغمة»:

و استمراراً لشرح نتآئج المهمّة الّتي قامت بها الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها تقول: خرجت من بيتي إلى محلّ بثّ نداء الإسلام و إحقاق حقوق المسلمين، و هو مسجد أبي رسول الله «عليه السلام» للتظلّم و إحقاق حقّي، و أنا كاظمة للغيظ، صابرة على شدّة الألم، متجرّعة له، و إذا بي أرجع من هذا المحلّ العظيم الّذي احتلته قوى الانقلاب على الأعقاب مقهورة مغلوبة على حقّي، فيالله أين يلتجئ المسلمون و المظلمون إذا كانت بيوت الله جلّ وعلا محلّاً للظّلم و العدوان، و البغي و العصيان، و منطلقاً للافترآء و البهتان.

و قولها صلوات الله عليها: «اَضْرَعْتَ خَدَّكَ يَوْمَ أَضَعْتَ حَدَّكَ»:

أضرع ـ من ضرع الرّجل ضراعة ـ: خضع و أذلّ، و أضرعه غيره، و تضرّع إلى الله تعالى: ابتهل إليه. و إسناد الضّراعة إلى الخدّ لأنّ أظهر أفرادها وضع الخدّ على التّراب أو لأنّ الذّلّ و الخضوع يظهران في الوجه غالباً و المعنى: أذللت خدّك لمرضاة الله جلّ وعلا.

و إضاعة الشّيء و تضييعه: إهماله و تركه و إبطاله. و حدّ الرّجل: قدره و خطره و شأنه و يأتي بمعنى البأس و الشّدّة و البطش و الفضل أيضاً، و بمعنى الفاصل بين الشّيئين و منتهى الشّيء. و في بعض النسخ: «جدّك» بمعنى الاجتهاد.

فتقول الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها: يابن أبيطالب أذللتَ نفسك بأنظار أبنآء الدّنيا يوم أضعْتَ منزلتك الاجتماعيّة بنقض القوّة يوم كان النّقض عين الرّضا الإلهيّ أو يوم أضعت جدّك و اجتهادك في قبض أزمّة الامور لمرضاة الله عزّوجلّ، و من صنع ذلك في جنب الله سبحانه فلابد و أن ينتظر هذه التّعدّيات من هؤلآء الجبنآء السّفلة، و عدم الاعتنآء من عامّة النّاس الجهلة...

أو تقول فاطمة الزّهرآء عليها السلام: يابن أبيطالب أذللت نفسك في جنب الله جلّ وعلا، و نقضت القوّة حينما كان نقض القوّة عين الصّلاح، فضاع حدّك و منزلتك عند عامة الناس و جهّالهم، لأنّ الحدّو المنزلة و القدر لكلّ إنسان بأنظار العامّة بقدر ما للإنسان من القدرة و القوة و الجاه و المقام بأنظار أبنآء الدّنيا، فيالك من عظيم لا يرى الذّلّ في ذات الله عزّوجلّ إلّا تمام العزّ و الكرامة و الشّرف.

فقد كانت هذه الفقرة أيضاً من الصّدّيقة الطّاهرة سلام عليها تسلية و مواساة مع أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿ﷺ﴾ و باعتبار آخر تعظيماً و تجليلاً له﴿ﷺ﴾.

و قولها سلام الله عليها: «افترست الذّئاب، و افترشت التّراب»:

فَرَس الأسد فريسته من الشّاة و غيرها و افترسها: اصطادها و دقّ عنقها، فهي فريسة و مفترسة أي مدقوقة العنق.

و ظاهر الفقرتين: يابن أبيطالب! تركت الخلافة الّتي كانت هي فريستك، حتّى افترسها الثّعالب، و أخذها الأرانب، و أنت أسد الله الغالب المفترس للذّئاب، و قعدت عن طلب الخلافة، و لزمت الأرض، و قنعت بالغبرآء البسيطة عن البسط و الفرش الرّضيعة كلّ ذلك في الواقع لمرضاة الله تعالى و حفظاً لكيان الإسلام و نواميس المسلمين.

ففي الفقرة الاولى إشارة إلى أنّ ابن أبيطالب﴿ﷺ﴾ الأسد الّذي كانت أبطال العرب و أسودها عنده كالذّئاب يفترسها فلا يرى لها عزّة و لاقدرة.

و في الثّانية إشارة إلى ما كان عليه إمام المتّقين عليّ﴿ﷺ﴾ من الذّلّ و الخضوع و التّواضع في جنب الله عزّوجلّ، فهو بإزآء المبطلين أسد، و بإزآء الحقّ تعالى تمام الفنآء و الذّلّ.

فتقول الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها: يا لك من عظيم جعل الاسود ذئاباً لمرضاة الله تعالى، و جعل النّفس في منتهى التّواضع و الخضوع و الذّلّ في جنب الله سبحانه أيضاً.

نعم! هكذا هم العظمآء (عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم) فأنت يابن أبيطالب المفترس الذّئاب و المفترش التّراب في آن واحد، كلّ ذلك لمرضاة الله جلّ وعلا، فلم تسبق من الذّئاب لقصور أو تقصير، و إنّما أصبحت الذّئاب أسوداً حينما علمت منك الموقف و عدم التّصدّي للخلافة لمرضاة الله عزّوجلّ، و من يصنع هذا لابد و أن ينتظر تعدّى المعتدين.

و قولها عليها السلام: «ما كَفَفْتُ قائلاً، و لاأغْنَيْتُ طائلاً (باطلاً خ)»:

الكفّ: المنع. يقال: كفّه أذاه: منعه. و منه الكفّ لراحة الإنسان لأنّه يمنع لها الأعدآء.

الإغناء: الإجزاء و الكفاية، من غنى الرّجل: إذا صار كافياً مجزياً بما في يده، فحصل

له الاستنكاف عن الغير، و حاصله عدم الحاجة.

و **ظاهر المعنى**: ما كففت قائلاً، و لافعلت شيئاً نافعاً. و في بعض النّسخ: «و لاأغنيت باطلاً» أي و لادفعت باطلاً و لامنعته.

و لكن الواقع هو شرح نتآئج المهمّة الّتي قامت الصّدّيقة الطّاهرة بها لإمامها عليّ عليهما السلام فتقول: يابن أبيطالب أنّي في خروجي هذا ما تمكّنتُ من كفّ و منع قائل عن أقاويله، و لاعن صرف مبطل عن باطله. فما تمكّنتُ من فعل ما يؤول بالنفع، و المراد من النّفع ايقاف القائل الكاذب المفترى، و ايقاف المبطل العنود عن عدوانه و بطلانه، و إلاّ فكلّ كلامها سلام الله عليها نفع و إقامة حجّة و قطع إعذار.

و **قولها صلوات الله عليها**: «و لا خيارلي»:

و لااختيارلي أي لاقوّة و لاقدرة لي على دفع هؤلآء الأعدآء الغاصبين المعاندين، أو أنّه لاخيار للنّسآء مع وجود الأزواج، فإنّ أُمورهنّ بأيديهم...

و **غرض الفقرة**: اعتذاراً من أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ تقول الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام له ﴿عليه السلام﴾: و عدم كفّ القآئل الكذّاب المفتري الجسور، و عدم منع المبطل العنود كان لعدم القدرة الطّاهرة على ذلك لالقصور أو تقصير منّي حين تنفيذ هذه المهمّة و التّكليف الّذي قمت به بأمر منك يابن أبيطالب، أو تقول سلام الله عليها له ﴿عليه السلام﴾ معتذرة: إنّي لاخيار لي لقبض أزمّة الامور، و إلاّلو لا الحدود الإلهيّة و الأنوار الّتي أستضئ بها من نور الإمامة لكان هؤلآء السّفلة أقلّ قدراً من أن يفعلوا ما فعلوه.

و **قولها عليها السلام**: «لَيْتَني مِتُّ قَبْلَ هنيئتي و دون ذِلّتي»

الهنيئة: الفَرَح، من هَنَأَ فلان: فرح، لازم، و هَنَأَهُ: عَزّاه، مُتَعَدٍّ، فلِلْمادَّةِ معنى الضّدّ و المراد بها هو المعنى الثّاني أي عزائي. و المعنى: ليتني مِتُّ قبل عزآئي بوفاة أبي رسول الله ﴿صلّى الله عليه و آله﴾ و لم يقع علينا أهل بيت الوحي المعصومين تلك الحوادث المؤلمة.

و في بعض النّسخ: «هَيْنَتي» و الهَيْنَة ـ بالفتح ـ: العادة في الرّفق و السّكون، يقال: اِمْشِ على هَيْنَتكِ: على رسلك. و المعنى: ليتني مِتّ من قبل هذا اليوم الّذي لابدّله فيه من الصّبر على ظلم أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّوْمة و هتك حرمتهم و جنايتهم و إهانتهم لأهل

بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فأصبحت فيه مجبورة على السّكوت على ما يفعلون من الظلم و العدوان و تغيير موازين الشّريعة و نهب تراثها الّذي أشاده رسول الله «صلی الله علیه و آله».

و في بعض النّسخ: «هِينَتِي» من الهينة ـ بكسر الهاء ـ أي مهانتي من الهون بمعنى الحقارة. فالمعنى. ليتني مِتّ قبل هذا اليوم الّذي أصابتني فيه تلك المهانة، و لم أرهذه الاستكانة و الإهانة و لم أرفيه سحق الدّين و القيم، باسم الدّين و القيم. يقال: أهانه: استخفّ به من الهون بمعنى الذّلّ و الضّعف.

و «دون» بمعنى عند، و «ذِلَّتِي» من الذّلّة. و في بعض النسخ «زَلَّتِي» من زللت في طين أو منطق إذا زلقت، و يكون بمعنى السّقطة. و المراد بها عدم القدرة على دفع الظّلم.

و قولها سلام الله عليها: «عَذيريَ الله منه عادياً و منك حامياً»:

العذير: العاذر كالسّميع بمعنى السّامع. يقال: عذيرك من فلان أي هات من يعذرك لأجل الإسائة إليه أي إنّك معذور إن أسأت إليه، و لكن هات من يعذرك أي قلّ من يعذرك أي يقبل عذرك في ذلك لعدم علمه بحقيقة الحال، فيكون عذيرك مفعولاً لمحذوف.

و منه قول أميرالمؤمنين الإمام عليّ «علیه السلام» في ابن ملجم المرادي لعنه الله:

أُريد حياته، و يـريد قـتلي عذيرك من خليلك من مراد

و العذر: ما يدفع به اللوم، و العاذر صاحب العذر، و قابل العذر، من الأضداد. و كذلك العذير، و الغالب فيهما هو الثّاني كماهو المراد هنا. و «عذيري» و «الله» هنا مرفوعان: مبتداء و خبر. أي الله قابل عذري حالكوني من أبي بكر عدوّاً لكونه عدوّ الله و عدوّ رسوله «صلی الله علیه و آله» و عدوّ أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السلام، و حالكوني حامياً لك يابن أبيطالب فيما غصب حقّك و هتك حرمتك.

و في الفقرة أقوال: الأوّل: إنّ الله تعالى يقبل عذري ممّا قلته في ابن أبي قحافة في هذه المخاطبة المثبتة لكفره بين القوم لو تأمّلوا في المقالة، و في انتقامي فيه يوم الرّجعة و يوم القيامة لكونه عادياً عَلَيَّ، غاصباً حقي، هاتكاً لحرمتي... ف «عادياً» حال أو تميز من ضمير «منه» و حالكونك حامياً لي. فكان أبوبكر عادياً، و كنت أنت حامياً.

الثّاني: إنّ الله عزّ وجلّ هو العالم بعذري فيما كنت تكلّمت به من كلام شديد و توبيخ بالنّسبة إلى ابن أبي قحافة لما ارتكب من الظلم و العدوان، و البغي و الطّغيان، و الكفر و العصيان، و إن كنت بأنظار العامّة لست معذورة في مثل هذا الخطاب لاتّباعهم له في سيّآته... كما و أنّ الله جلّ وعلا ليعلم عذري بالنّسبة إلى من هو المدافع و المحامي عنّي، و هو أنت يابن أبيطالب لأنّه تعالى هو العالم بما بذلت من الجهد في تنفيذ ما أمرتني به، فلا تلمني فإنّي لم أقصر في القيام بالتّكليف و هو جلّ وعلا الشّاهد على ما أقول، و هو القابل عذر الصّادقين.

الثّالث: إنّ الله جلّ وعلا يعرف عذري بالنّسبة إليك حالكونك بعيداً عن نصرتي، و حالكونك محامياً مدافعاً عنّي لأنّي ما كنت بالنّسبة إليك يابن أبيطالب إلاّ تمام الرّضا في الحالين لما أعلم من الواقع.

الرّابع: إنّ الله سبحانه هو العالم بعذر الصّادقين، فإنّك معذور يابن أبيطالب حالكونك منصرفاً عن نصرتي، و حالكونك محامياً عنّي لأنّ انصرافك عن نصرتي، و دفاعك عنّي هو عين الحقّ و الصّواب لاختلاف الأحوال و المقامات و الموارد... فنقضك و إبرامك عين الثّبات و السّلام.

الخامس: إنّ الله تعالى هو العالم بالعذر بالنّسبة إلى خطابي الشّديد الّذي و جهّته إليك يابن أبي قحافة حالكونك لم تنصر الحقّ بتركك النّصر إيّاي، و كذا حالكونك أظهرت نفسك خداعاً بزي المؤيّدين و المناصرين لي، فإنّك يابن أبي قحافة ظلمت أو تظاهرت بالدّفاع عنّي، و ما كنت إلاّ ظالماً إيّاي فى واقع الأمر، و عليه فاللّه عزّ و جلّ هو العالم بحذري و ما هو المسوّغ لي أنّ أخاطبك يابن أبي قحافة بهذا الخطاب الشّديد لأنّه ما كان إلاّ كشفاً لنفس الأمر و الواقع.

و قولها سلام الله عليها: «وَيْلاي في كلّ شارقٍ و ويلاي في كلّ غارب»:

ويل: كلمة مثل ويح إلاّ أنّها كلمة عذاب يقال: ويله، و ويلك، و ويلي، و قد تستعمل لإظهار شدّة الألم و الحزن، و قد تستعمل على الشّدّة و الضرّ و الشرّ. و يقال في النّدبة: ويلاه. قيل: وَيْلاى هو جمع فيه بين ألف النّدبة و يآء المتكلّم، أواتى به بصيغة التثنية

فيكون تكريراً للويل. و هو مبتداء و الظّرف خبره أو خبر لمحذوف، أو الخبر محذوف.

و **الشّارق:** الشّمس كالغارب أي عند كلّ شروق و طلوع صباح كلّ يوم، و عند كلّ غروب و مساء كلّ ليل.

و **معنى الفقرة:** ألمي شديد في كلّ شروق و غروب، و فيها إشارة إلى أنّه برحيل رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ لابدّ و أن ننتظر ما يفعل هؤلآء السّفلة الجابرة من جناية و خيانة، و لانأمل إلاّ توالي الشّدآئد و حدوث البدع باسم الدّين في كلّ صباح و مسآء.

و **قولها عليها السلام:** «مات العَمَدُ، و وَهَن العَضُدُ»:

العَمَدُ: ما يقوم عليه سقف البيت و غيره. و العَمَد: السّيّد. عَمَدُ القوم: سيّدهم و سندهم. عميد الأمر: قوامه. و العَمَدْ: من يعتمد عليه في الامور. و هنا كناية عن رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾.

الوهن: الضّعف. و في بعض النّسخ: «وَهَتَ» أي داس. وَهَتَ الشّئ: داس دوساً شديداً. العَضُد: من المرفق إلى الكتف. و المراد من العضد هنا هو أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: و وهن العَضُد كناية عن شدّة ضعف أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السلام بعد رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾

في نهج البلاغة: ـ من كتاب مولى الموحّدين سيّد الوصيّين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ إلى عثمان ابن حنيف الأنصارى ـ: «... و أنا من رسول الله كالصّنو من الصّنو، و الذّراع من العَضُد...» رقم الكتاب: ٤٥).

و إن الفقرتين ترويان أحوال أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بعد وفاة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾.

و **قولها صلوات الله عليها:** «شكواي إلى أبي»:

الشكوى: اِسم، من شكوت فلاناً شكاية.

شكايتي عن جناية أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة، و خيانتهم و ظلمهم و بغيهم علينا أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السلام إلى أبي رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾.

و **قولها عليه السلام:** «وَعَدْواى إلى ربّي».

العدواي: طلبك إلى وال لينتقم لك ممّن ظلمك.

و المعنى: و تظلّمي إلى ربيّ لأنّك أنت يابن أبيطالب أشدّ منّي ظلامةً و حزناً و لأنّ الحقّ أصبح لاناصر له من المهاجرين و الأنصار، و أمّا من يريد نصره فلا قدرة له على ذلك فلذا أطلب النّصر للحقّ الّذي لا ناصر له من الله القادر المتعال.

و قولها صلوات الله عليها: «اللّهمّ أنت أشدّ قوّة و حولاً و أحدّ بأساً و تنكيلاً»:

الحول: القوّة و الحيلة و الدّفع و المنع، و الكلّ هنا صحيح.

و الأحدّ: الأشدّ حدّاً و قوّةً و قطعاً.

و البأس: العذاب، و يطلق على الشّدّة في الحرب و نحوذلك.

و التّنكيل: العذاب والعقوبة، و جعل الرّجل نكالاً و عبرة لغيره. و أصله من النّكل ـ بالكسر ـ بمعنى القيد. و تنكيل العبد: عقوبته بقطع أنفه أو أذنه أو غيرها ممّا يشتهر به، فيكون عبرة لغيره.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «فاعتبروا بما أصاب الامم المستكبرين من قبلكم من بأس الله و صولاته و وقآئعه و مثلاته...» الخطبة القاصعة: ٢٣٤)

و معنى الفقرة: اللّهمّ إنّك أشدّ قوة و حولاً من هؤلآء الغاصبين لحقوق آل الله جلّ وعلا و الهتّاكين لحرمات أهل بيت رسول الله«صلى الله عليه وآله» و أشدّ عذاباً و عقوبة لأصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابها يوم الدّين.

في نهج البلاغة: قال يعسوب الدّين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»: «يوم المظلوم على الظّالم أشدّ من يوم الظّالم على المظلوم» قصار كلماته«عليه السلام» رقم: ٢٣٣).

و فيه: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «يوم العدل على الظّالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم» من قصار كلماته: رقم: ٣٣٤).

إن تسئل: أنّ اعتراض الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها على إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» في ترك التعرّض للخلافة و عدم نصرتها في حقّها فدك، و تخطئته فيهما ـ مع علمها بإمامته، و وجوب اتّباعه و عصمته، و أنّه لم يفعل شيئاً إلاّ بأمر الله تعالى و وصيّة رسوله«صلى الله عليه وآله» ـ ممّا ينافي عصمتها و جلالة قدرها؟

تجيب عنه بأجوبة:

منها: أنّ الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام قد تظاهرت بتلك الكلمات شدّة غضبها و سخطها على أبي بكر و حليفه عمر بن الخطّاب و أذنابهما، و أنّهم بإيذائهم إيّاها عليها سلام الله تعالى آذوا الله و رسوله «ﷺ» إذ ثبت بالتّواتر: «من أغضب فاطمة الزّهرآء فقد أغضب رسول الله «ﷺ» و من أغضبه فقد أغضب الله» و «من آذاها فقد آذى رسول الله، و من آذى رسول الله، فقد آذى الله، و من آذى الله فمآله جهنّم»...

قال الله تعالى: «إن الّذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدّنيا و الآخرة و أعدّلهم عذاباً مهيناً و الّذين يؤذون المؤمنين و المؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً و إثماً مبيناً» الاحزاب: ٥٧ ـ ٥٨).

و منها: أنّ هذه الكلمات صدرت منها صلوات الله عليها لبعض المصالح و لم تكن واقعاً منكرة لما فعله، بل كانت راضية، و إنّما كان غرضها أن يتبيّن قبح أعمالهم و شناعة أفعالهم، و خبث سريرتهم و كفرهم و نفاقهم، و أنّ سكوته عليه السلام ليس لرضاه بما هم عليه من الكفر و الطغيان، و الظّلم و العدوان، و البغي و العصيان...

و مثل هذا كثيراً ما يقع في العادات و المحاورات، كما أنّ ملكاً يعاتب بعض خواصّه في أمر بعض الرّعايا، مع علمه ببرائته من ظلمهم و جنايتهم، ليظهر لهم عظم جرمهم، و أنّه ممّا استوجب به أخصّ النّاس بالملك منه المعاتبة.

و نظير ذلك ما فعله موسى «ﷺ» ـ لمّا رجع إلى قومه غضبان أسفاً ـ من إلقائه الألواح، و أخذه برأس أخيه يجرّه إليه، و لم يكن غرضه الإنكار على هارون و هو رسول الله، بل كلاهما رسولا ربّ العالمين، و إنّما أراد بذلك أن يعرّف القوم عظم جرمهم و جنايتهم، و شدّة ظلمهم و خيانتهم على خليفة موسى بعد اختفائه، و هكذا فعل أصحاب السّقيفة بوصيّ رسول الله «ﷺ» بعد وفاته «ﷺ».

قال الله تعالى خطاباً لموسى و هارون عليهما السلام «إذهبا إلى فرعون إنّه طغى ـ فاتياه فقولا إنّا رسولا ربّك...» طه: ٤٣ ـ ٥٠).

و قال: «و قال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي و أصلح و لاتتّبع سبيل المفسدين ـ و لمّا رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال: بئسما خلفتموني من بعدي

أعجلتم أمر ربّكم و ألق الألواح و أخذ برأس أخيه يجرّه إليه قال ابن امّ إنّ القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعدآء و لا تجعلني مع القوم الظّالمين» الأعراف: ۱٤۲ ـ ۱٥۰).

إن تسئل: أنّ طلب الحقّ و المبالغة فيه و إن لم يكن منافياً للعصمة، و لكن زهدها صلوات الله عليها و تركها للدّنيا، و عدم اعتدادها بنعيمها و لذّاتها و كمال عرفانها و يقينها بفنآء الدّنيا، و توجّه نفسها القدسيّة، و انصراف همّتها العالية دائماً إلى اللذّات المعنويّة و الدّرجات الاخروية، لاتناسب مثل هذا الاهتمام في أمر فدك و الخروج إلى مجمع النّاس، و المنازعة مع المنافقين في تحصيله؟

تجيب عنه بوجوه:

أحدها ـ أنّ سكوت المظلوم على ظلم الظّالم، ظلم على غيره، فإنّه يوجب تجرّئ الظّالم على ظلمه على غيره.

قال الله تعالى: «لايحبّ الله الجهر بالسّوء من القول إلاّ من ظُلِمَ و كان الله سميعاً عليماً» النّسآء: ۱٤۸).

و قال: «و لمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل إنّما السّبيل على الّذين يظلمون النّاس و يبغون في الأرض بغير الحقّ اولئك لهم عذاب أليم» الشّورى: ٤۱ ـ ٤۲).

ثانيها ـ أنّ اعتراض الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها على هؤلآء الظلمة الغاصبين، و انتصارها من الأنصار و المهاجرين إتمام حجّة على الحاضرين و على الآتين، و قطع معذرة عنهم أجمعين، إلى يوم الدّين، بأنّها عليها السلام أعلنت ظلم هؤلآء و انتصرت من هؤلآء فلم ينصروها، فلولا الاعتراض و الانتصار لكان ظلمهم و جنايتهم و بغيهم و خيانتهم مكتومة، مستورة إلى يوم القيامة.

ثالثها: أنّ ذلك لم يكن حقّاً مخصوصاً للصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها فحسب، بل كان أولادها البررة الكرام مشاركين لها فيه، فلم يكن يجوزلها المداهنة و المساهلة و

المجاملة و المحاباة و عدم المبالاة في ذلك، ليصير سبباً لتضييع حقوق جماعة من الأئمّة الأعلام و الأشراف الكرام... فلو كان مختصّاً بها لكان لها تركه و الزّهد فيه و عدم التأثّر من فوته.

رابعها ـ أنّ تلك الامور لم تكن لمحبّة فدك و حبّ الدّنيا، بل كان هدفها سلام الله عليها إظهار ظلمهم، و جورهم، و كفرهم و نفاقهم، و هذا كان من أهمّ امور الدّين و أعظم الحقوق على المسلمين... و يؤيدّ ذلك: أنّها عليها السلام قد صرّحت في آخر كلامها إذ قالت: قلت ما قلت على معرفة منّي بالخذلة.

﴿ تسلية الإمام أمير المؤمنين للصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليهما ﴾

فقال (لها خ) أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾: «لا ويل لك، بل الويل لشانئكِ، ثمّ نَهْنِهي عن وَجْدِكِ يابْنَةَ الصّفوة، و بقيّة النّبوّة، فما وَنَيْتُ عن ديني، و لا أخطأتُ مَقْدُوري، فإن كنتِ تريدين البلغة فرزقك مضمون، و كفيلك مأمون، و ما أُعِدَّ لكِ أفضل ممّا قُطِعَ عنك فاحتَسِبي الله، فقالت: حسبي الله و أمْسَكَتْ».

الشّرح: هذا جواب لقول الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها: «ويلاي» و تسلية لها.

و قوله ﴿عليه السلام﴾: «لا ويل لكِ، بل الويل لشانئك»:

الشّنآءة: البُغض، من شنأه: أبغضه و عاداه، و منه قوله تعالى: «و لا يجرمنّكم شَنَآنُ قوم» المائدة: ٢).

الويل لشانئك أي العذاب و الشّرّ لمبغضك. قال الله تعالى: «إنّ شانئك هو الأبتر» الكوثر: ٣) أي عدوّك المبغض.

و قد أشار الإمام أمير المؤمنين عليّ ﴿عليه السلام﴾ إلى أنّ الويل ليس على المظلوم و من تحمّل حزن الدّنيا الفانية، بل إنّما الويل و الحزن الدّائم و الألم الأبد للظّالم و من باع آخرته بدنياه، فاشترى العذاب و حزن الخلود و غضب الجبّار، و هم أعداؤك المبغضون لك يابنة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾

و قوله «عليه السلام»: «ثُمَّ نَهْنِهي عَنْ وَجْدِكِ يَابْنَةَ الصَّفْوَةِ»:

نَهْنِهي عن وَجدك ـ من نَهْنَهَ الثّوبَ: أرقّ نسجه و خفّفه، و ثوبٌ مُنَهْنَهٌ: رقيق، خفيف النسج، و من نَهْنَهَ الرّجل عن الشّيْ: كفّه ـ: كفّي عن حزنك و خَفّفي من غضبك. و المنهنة: الّذي يكفّ الغير عن الشّئ.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين الإمام عليّ «عليه السلام»: «و لئن كان مظلوماً لقد كان ينبغي له أن يكون من المُنَهْنِهين عنه و المُعذرين فيه...» من كلامه «عليه السلام» ١٧٣)

الوَجَد: الغَضَب و الحُزن، من وجد عليه: إذا غضب عليه، و أصله من الوجدان، و المراد وجدان الشّئ في القلب من الغضب و الحزن و ما إليهما.

و الصّفوة: خلاف الكَدِر و صفوة الشّئ: خالصه و خياره. و المراد مختاره و منتخبه، و محمّد رسول الله «صلى الله عليه وآله» صفوة الله تعالى من خلقه و مصطفاه. و يطلق على كلّ نبيّ عموماً و على آدم «عليه السلام» خصوصاً. قال الله تعالى: «وانّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار» ص: ٤٧).

و المراد هنا محمّد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأنّه الفرد الأكمل فينصرف الإطلاق إليه، و لاسيّما مع وجود القرينة.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله و نجيبه و صفوته لا يوازى فضلُهُ، و لا يُجبَرُ فَقْدُهُ...» الخطبة: ١٥١).

و معنى الفقرة: كفّي نفسك عن الغضب والحزن، و عيشى الهدؤو الرّاحة، و خذي بالتّجلّد و الصّبرّ كما هو دأبكِ يابنة صفوة الله تعالى، فإنّ الله تعالى يحكم بيننا و بين هؤلآء الغاصبين الظّلمة و الجابرين الفجرة.....

فهذا خطاب تسلية من أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب للصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها و طلباً منها لتحمّل المشاقّ في سبيل الله تعالى و إحقاق الحقّ.

ثمّ أخذ الإمام سيّد الوصيّين «عليه السلام» ببيان ما هو الواجب عليه من الموقف بإزآء الأحداث الجارية باسم الدّين و الصّحابة بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» و أنّه «عليه السلام» قد قام بكلّ ما كان عليه من التكليف كما هى عليها السلام تعلم بذلك فقال «عليه السلام»:

«فما وَنَيْتُ عن ديني ولا أخطأتُ مَقْدُوري»

الوَنى: الضَّعف و الفتور و العيّ و الكلال.

الإخطآء عن الشّيئ: التّجاوز عنه إلى غيره، و هو الخطاء عنه مقابل الإصابة.

المقدور: هو ما يكون تحت قدرة الإنسان، أى ما تبلغه قدرته من الأفعال، و لو تعلّق بالأعيان، فإنّ الأفعال هي متعلّق القدرة.

و معنى الفقرتين: ما عجزت عن القيام بما أمرني به ربّي، ولا تركت ما دخل تحت قدرتي أي ليس لي قدرة على دفع تلك الحوادث المولمة لما أمرني حبيبي رسول الله «صلّى الله عليه وآله» من إهمال هؤلآء القوم الظّالمين الغاصبين الهتّاكين، و تركهم سُدىً حتّى يتميّز الخبيث من الطّيّب، فليس رفع هذا الظّلم الفجيع مقدوراً لي في هذا الآن بناء على تلك المصلحة الّتي أمرني رسول الله «صلّى الله عليه وآله» بالقعود عن طلب الأمر بالقهر و الغلبة لأجل تلك المصلحة، فلست قادراً على إحقاق حقّ لي و لك يابنة رسول الله «صلّى الله عليه وآله» لما أوصاني به أبوك النّبيّ الكريم «صلّى الله عليه وآله».

فلاكَلَلْتُ و لاعييت و لافترت و لاجَبُنْتُ، و لاضعف ديني و لاعقيدتي، و لو ضعفت في أمري من حيث الظّاهر و الصّورة.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين يعسوب الدّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «و أيم الله لقد كنت من ساقتها حتّى تولّت بحذافيرها، واستوسقت في قيادها، ما ضَعُفتُ و لاجَبُنْتُ ولا خُنْتُ و لاوَهَنْتُ...» الخطبة: ١٠٣).

فقال أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» للصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها هذا الكلام من باب تأكيد ما هي عالمة به، و من باب «فذكّر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين» و لأجل التّسلية من أنّه «عليه السلام» يعيش كما أنّها تعيش في إزآء تلك الحوادث المولمة قائلاً: إنّي لم اَضعف و لم أتهاون في وظيفتي الدّنيّة و لم أخطأ في موارد القدرة للقيام بالحقّ.

و قوله «عليه السلام»: «فإن كنت تريدين البُلْغَة فرزقك مضمون»:

البُلغة: ما يتبلّغ به من العيش و هو قدر الكفاف و العفاف في أمر المعيشة. فالبلغة: الكفاية، و الرّزق المضمون، والله عزّوجلّ ضامن الرّزق.

في نهج البلاغة: قال سيّد الوصيّين الإمام عليّ «عليه السلام»: «ضَمِنَ أرزاقهم و قَدَّرَ أقواتهم...» الخطبة: ٩٠).

غرض الفقرة: إن كنت تريدين التوصّل إلى إحقاق الحقّ و إقامته بواسطة هذه الأموال الّتي إغتصبها أبوبكر بن أبي قحافة منكِ فإنّ الله جلّ وعلا يعطي النّاس على قدر نيّاتهم، و قد ضمن للصلحآء و إن سدّت عليهم أبواب العمل، الثّواب العظيم لعلمه تعالى بصدق النّيّة منهم لإقامة كلّ حقّ وإبادة كلّ باطل.

و **قوله﴿ﷺ﴾**: «و كفيلك مأمون»:

الكفيل: هو الضّامن أيضاً مع الفرق بين الضّمان و الكفالة. فإنّ الضّمان يكون بالمال، و الكفالة تكون بالنّفس، فتقول: ضمنت دين فلان: إذا التزمت أدآئه و تقول: كفلت زيداً إذا التزمت تسليمه، فالضّمان: التزام شيئ عن المضمون له، و الكفالة: التزام نفس المكفول به.

قال الله تعالى: «و كفّلها زكريّا» آل عمران: ٣٧) و لم يقل: ضمنها. و لايشترط في الضّمان أن يعرف الضّامن، المضمون له، فيجوز أن يضمن عمّن لايعرفه، و يشترط في الكفالة أن يعرف الكفيل، المكفول به، فلا يجوز أن يكفل من لايعرفه لأنّه إذا لم يعرفه لم يتمكّن من تسليمه، و يصحّ أن يؤدّي عنه و إن لم يعرفه.

و **المأمون**: هو الله الّذي لايتطرّق إلى قوله و وعده احتمال الكذب و الخلف فيما وعده وكفله مع تحقق بقآئه إذلا يتطرّق إليه سبحانه زوال و لافنآء لأنّه الأزليّ الأبدي الّذي لم يزل و لايزال من دون تغيّر الأحوال...

قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ﴿ﷺ﴾ للصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها و هي عالمة ـ من باب عيش التّذكّر و لإظهار المواساة معها و التّسلية لها لامن باب أنّها لم تعش عرفان هذا الواقع ـ: «إنّ الله عزّوجلّ كفيل نفسك، هو مأمون لايتطرّق إليه سبحانه زوال و لافنآء.

و **قوله﴿ﷺ﴾**: «و ما أعدّ لك أفضل ممّا قطع عنك»:

الإعداد: التهيأة و أخذ الشّئ عدة.

و **معنى الفقرة**: و ما هيّأه الله لك من الرّزق الأبدي الّذي لايعد في الدّار الآخرة و من الشّفاعة الكبرى لأمّة أبيك و شيعة بعلك و ذرّيّتك و غيرها أفضل ممّا قطع عنك هؤلآء الظّلمة الخونة و اغتصبوا منكِ من فدك و العوالي و الإرث و اغتصبوا منّي من الخلافة.

و **قوله﴿ﷺ﴾**: «فاحتسبي الله»:

الاحتساب: الاعتداد، و يقال لمن ينوي بعمله وجه الله سبحانه: إِحْتَسَبَهُ.

و معنى الفقرة: فاصبري يابنة رسول الله (ﷺ) طلباً لمرضاة الله جلّ وعلا على هذا الظّلم و العدوان و ادّخري ثوابه عندالله تعالى أو توكّلي على الله، و قولي: حسبي الله.

فقالت سلام الله عليها: «حسبي الله» و أمسكت صلوات الله عليها حينئذ عن الكلام و سكتت.

و لا يبعد أن يكون هذا الحزن و التألّم الشّديد من الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها إنّما حصل لما شاهدت من انقلاب الأُمّة عن منهج الحقّ و الهدى بعد رحيل رسول الله (ﷺ)، و ضياع التّراث الّذي بذل النّبيّ الكريم (ﷺ) كلّ الجهد لتحقيقه، و من باب «فلعلّك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً» الكهف: ٦) أي تألّماً و عطفاً عليهم أيضاً كيف أصبحوا ضالّين بعد الهداية؟!

« جملة من مصادر الخطبة الفدكيّة عند الفريقين »

و من البداهة أنّ الخطبة الفدكيّة الّتي خطبتها الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها متواترة لايشكّ فيها إلاّ من كان مسلوب العقل و الدّراية، و مشكوك النّسب و الولادة، و مقطوع الكفر و الضّلالة... و قد أوردها الفريقان في مآخذهم المعتبرة عندهم بأسانيد عديدة على سبيلى الإجمال و التّفصيل، و قد أفردوا لها كتباً عديدة و رسآئل جمّة، فنشير إلى ما يسعه المقام و نحن على جناح الاختصار:

١ـ كتاب «بلاغات النّسآء» لابن طيفور المتوفّى: (٢٨٠ هـ).

٢ـ كتاب «فدك» لأبي إسحق إبراهيم الثّقفي المتوفّى: (٢٨٣ هـ).

٣ـ كتاب «السّقيفة و فدك» لابي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري البصريّ البغدادي المتوفّى (٣٢٣ هـ).

٤ـ كتاب «فدك» لأبي طالب عبيدالله بن أبي زيد أحمد بن يعقوب ابن نصر الأنباري المتوفّى: (٣٥٦ هـ).

٥ـ كتاب «كلام فاطمة عليها السلام في فدك» لأبي الفرج الإصفهاني من ولد مروان آخر الخلفآء الأمويّة، صاحب كتاب «الأغاني» المتوفّى: (٣٥٦ هـ).

٦ـ كتاب «شرح الأخبار» للقاضي أبي حنيفة النّعمان بن محمّد التميميّ المغربي المتوفّى (٣٦٣ هـ).

٧ـ كتاب «فدك» لأبي الجيش مظفّر بن محمّد بن أحمد البلخيّ الخراساني المتكلّم

المشهور المتوفّى: (٣٦٧ هـ).

٨ـ كتاب «فدك أورسالة في قصّة فدك» لجعفر بن بكير بن جعفر الخيّاط، وفيها حكاية و خطبة الزّهرآء سلام الله عليها.

٩ـ كتاب «فدك و الخمس» للسّيّد الشّريف أبي محمّد الأطروش الحسن بن عليّ بن الحسن، جدّ الشّريف المرتضى لأُمّه.

١٠ـ كتاب «فدك» و الكلام فيه للشّيخ المتكلّم طاهر، غلام أبي الجيش، قرأ عليه الشّيخ المفيد في أوائل أمره، و عدّه ابن النّديم من متكلّمي الشّيعة.

١١ـ كتاب «الشّافي» للسّيّد المرتضى رضوان الله تعالى عليه

١٢ـ كتاب «قرب الأسناد» للحميري.

١٣ـ كتاب «المناقب» لابن مردويه.

١٤ـ كتاب «الاحتجاج» لأبي منصور الطّبرسي المازنداراني رضوان الله تعالى عليه من أعلام القرن السادس و السّابع.

١٥ـ كتاب «أمالي الشّيخ المفيد» في «المجلس الخامس»

١٦ـ كتاب «دلائل النّبوّة» للبيهق.

١٧ـ كتاب «باب حاديعشر» لسبط ابن الجوزي.

١٨ـ كتاب «معجم البلدان» مادّة «فدك» للياقوت الحموى الرّومي المتوفي: (٦٢٦ هـ).

١٩ـ كتاب «كامل البهائى» و يقال له: «كامل السّقيفة» أيضاً للحسن بن عليّ المشهور بعماد الدّين الطّبريّ رحمة الله تعالى عليه و قد فرغ من تأليف هذا الكتاب الشّريف عام (٦٧٥ هـ).

٢٠ـ كتاب «شرح نهج البلاغة» (ج ١٦ ص ٢١١ ط دار إحيآء الكتب العربيّة سنة ١٩٦٢ م) لابن أبي الحديد المعتزلي المتوفى (٦٥٦ هـ).

٢١ـ كتاب «مروج الذّهب: ج ٢ ص ٣١١) للمسعودى

٢٢ـ كتاب «النّهاية» لابن الأثير الجزري في مادّة «لمّة».

٢٣ـ كتاب «لسان العرب» لابن المنظور في مادّة «لمّ».

٢٤ـ كتاب «الفصول المختارة من العيون و المحاسن» للسّيّد الشريف المرتضى رحمة الله تعالى عليه.

٢٥ـ رسالة حول حديث «نحن معاشر الأنبيآء لانورّث» للشّيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه.

٢٦ـ كتاب «كشف الغمّة» لعليّ بن عيسى الإربليّ المتوفّى (٦٩٣ هـ).

٢٧ـ كتاب «اللآلي المصنوعة» للسّيوطي الشّافعي.

٢٨ـ كتاب «المناقب» لابن شهرآشوب السّروي المازندراني رحمة الله تعالى عليه (المتوفّى: ٥٨٨ هـ).

٢٩ـ كتاب «نهج الحقّ و كشف الصّدق» للعلاّمة الحلّيّ رضوان الله تعالى عليه المتوفّى: (٧٢٦ هـ)

٣٠ـ كتاب «إحقاق الحقّ و إزهاق الباطل» للقاضي السّيّد نور الله الحسيني المرعشي الشّهيد في بلاد هند عام (١٠١٩ هـ).

٣١ـ كتاب «على ما في تظلّم الزّهرآء عليها السلام» للحافظ أبي بكر الجوهري.

٣٢ـ كتاب «أعلام النّسآء: ج ٤ ص ١١٦» لعمر رضا كحّالة

٣٣ـ كتاب «فدك نحلة» لعبد القفّال المصريّ.

٣٤ـ كتاب «بحارالأنوار: ج ٢٩ ص ٢١٥» الطبع الجديد للعلاّمة المجلسّي رحمة الله تعالى عليه و فيه قال: «إعلم أنّ هذه الخطبة من الخطب المشهورة الّتي روتها الخاصّة و العامّة بأسانيد متضافرة... و إنّما أوردت الأسانيد هنا ليعلم أنّه روي هذه الخطبة بأسانيد جمّة... روى الصّدوق رحمة الله تعالى عليه بعض فقراتها المتعلّقة بالعلل في «علل الشّرآئع» بإسناده عن زينب بنت عليّ (عليها السلام).

٣٥ـ كتاب «أهل البيت: ص ١٥٧» لتوفيق أبي علم قال: «أُوتيت الزّهرآء رضوان الله عليها كسآئر أهل البيت حظّاً عظيماً من الفصاحة و البلاغة، فكلامها متناسب الفِقَر، متشاكل الأطراف، تملك القلوب بمعانيه و تجذب النّفوس بمحكم أدآئه و مبانيه، فهي في البيان من أغزر القوم مادّة، و أطولهم باعاً، و أمضاهم سليقة، و أسرعهم خاطراً و إنّه

ليتبيّن ذلك و خاصّة في خطبتها و كلامها في بيعة أبي بكر و خلافها معه بشأن فدك، ثمّ نقل الخطبة، و قال بعد نقلها: و المشهور عن السّيّدة الزّهرآء رضى الله عنها: أنّها كانت قويّة العارضة، خطيبة بارعة، إذا ما انتبرت المنابر هزّت القلوب و المشاعر، و أنّ خطبتها على جمهرة من المهاجرين و الأنصار آية على ثبت بدٰيهتها و حضور ذهنها».

٣٦ـ كتاب «النّصّ و الاجتهاد» للسّيّد عبدالحسين شرف الدّين رضوان الله تعالى عليه، قال: «السّلَف من بني عليّ و فاطمة عليهما السلام يروي خطبتها في ذلك اليوم لمن بعده، و من بعده رواها لمن بعده حتّى انتهت إلينا يداً عن يد، فنحن الفاطميّون نرويها عن آبآئنا، و آباؤنا يروونها عن آبآئهم، و هكذا كانت الحال في جميع الأجيال إلى زمن من الأئمّة من أبناء عليّ و فاطمة عليهما السلام، و دوّنكموها في كتاب «الاحتجاج» للطبرسي، و في «بحارالأنوار» و قد أخرجها من أثبات الجمهور و أعلامهم أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في «كتاب السّقيفة و فدك» بطرق و أسانيد ينتهي بعضها إلى السّيّدة زينب بنت عليّ و فاطمة عليهما السلام.

و بعضها إلى الإمام أبي جعفر محمّد الباقر «عليه السلام» و بعضها إلى عبدالله بن الحسن بن الحسن يرفعونها جميعاً إلى الزّهرآء سلام الله عليها كما في (ص ٧٨) من المجلّد الرّابع من شرح النّهج الحميدى، و أخرجها أيضاً أبو عبيد اللّه محمد بن عمران المرزبانى بالإسناد إلى عروة بن الزّبير، عن عائشة ترفعها إلى الزّهراء عليها سلام الله كما في (ص ٩٣) من المجلّد الرّابع من شرح النّهج و أخرجها المرزبانى أيضاً كما في (ص ٩٤) من المجلّد المذكور بالإسناد إلى أبي الحسين زيدبن عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبيطالب، عن أبيه عن جدّه يبلغ بها فاطمة عليها السلام، و نقل ثمّة عن زيد أنّه قال: «رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونها عن آبآئهم، و يعلّمونها أولادهم» انتهى كلامه.

٣٧ـ كتاب «فلك النّجاة» للمولويّ اللاهوريّ.

٣٨ـ كتاب «فدك» لعبد الرّحمن بن كثير الهاشميّ.

٣٩ـ كتاب «فدك» لأبي الحسين يحيى بن زكريّا الزّماشيري صاحب كتاب «شمس الذّهب».

٤٠ـ رسالة «فدك» للسّيّد عليّ بن دلدار عليّ الرّضوى النّصير آبادي المتوفّى: (١٢٥٩ هـ)

٤١ـ كتاب «اللعمة البيضاء في شرح خطبة الزّهراء سلام الله عليها» للمحقق البارع آية الله الشيخ محمّد على القراچه داغي التبريزي المتوفّى: (١٣١٠ هـ)

٤٢ـ كتاب «الغدير» للعلاّمة البحّاثة الشيخ عبدالحسين الأميني رحمة الله تعالى عليه.

٤٣ـ كتاب «الدّرّة البيضاء في شرح خطبة الزّهراء عليها السلام» للسيد محمّد تق القمى (١٣٤٤ هـ)

٤٤ـ كتاب «هدى الملّة إلى أنّ فدك من النحلة» للسّيّد محمد حسن بن الحاج آقا ميرالموسوى القزوينى الحائري ألّفه سنة (١٣٥٢ هـ) المتوفّى: (١٣٨٠ هـ).

٤٥ـ كتاب «فدك في التّأريخ» للسّيّد الشّهيد آية الله محمّد باقر الصّدر رضوان الله تعالى عليه

٤٦ـ كتاب «دلآئل الصّدق» للمحقّق الخبير آية الله الشّيخ محمّد حسن المظفّر رحمة الله تعالى عليه.

٤٧ـ كتاب «شرح خطبة الصّدّيقة فاطمة الزّهراء عليها السلام» للمجاهد العلاّمة آية الله العظمى الشيخ محمّد طاهر آل شبير الخاقاني رضوان الله تعالى عليه.

٤٨ـ كتاب «فاطمة الزّهراء سلام الله عليها من المهد إلى اللحد» للمحقّق البارع السّيّد كاظم القزويني رحمة الله تعالى عليه.

٤٩ـ كتاب «ظلامات فاطمة الزّهراء عليها السلام في السّنّة و الآراء» للفاضل المتتبّع الشيخ عبد الكريم العقيلي.

٥٠ـ كتاب «إحراق بيت فاطمة عليها السلام في الكتب المعتبرة عند أهل السّنّة» للمحقّق الشّيخ حسين غيب غلامي.

٥١ـ كتاب «عليّ ﴿عليه السلام﴾ و مناوئوه» للدكتور نوري جعفر.

و غيرهم تركناهم روماً للاختصار.

«محتوى الخطبة الفدكيّة و لزوم تعليمها و تعلّمها على أبناء الامّة المسلمة في كلّ ظرف من الظّروف»

و من البداهة لمن كان له الدّراية و طيب الولادة: أنّ هذه الخطبة الشّريفة ليست لاسترداد فدك المغصوبة إلى الصّديقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها فحسب كما زعم أكثر الباحثين حولها، و انّما هي تحتوى الاصول الاعتقاديّة العميقة الخمسة: التّوحيد، و العدل، و النّبوّة و الإمامة و المعاد، و حِكَمِها، و تعاليم الفروع الإسلاميّة الدّقيقة، و المعارف السّاميّة القرآنيّة، و الأسرار الكونيّة السّماويّة، و الدّستورات الأخلاقيّة الاسرويّة و الفرديّة و الإجتماعيّة و السّياسة الإلهيّة في نظامي التّكوين و التّدوين.

و لعمري! إنّ فيها دروساً قيّمة للنّاس كافّة، و للمسلمين جميعاً، و للعلمآء و المصلحين، و الدّعاة و المحقّقين خاصّة، و للحكّام و الجابرين و الفجّار و المستكبرين بالأخصّ في كلّ ظرف من الظّروف... و يجب على الفقهآء و المراجع الدينيّة، و العلمآء الأعلام، و الفضلآء الكرام و المدرّسين القيام بتدريسها و تحليلها، و يجب على الطّلاب و المحصّلين أن يتعلّموها، و على الخطبآء أن يذكّروها للنّاس على منابرهم و في نصآئحهم و مواعظهم، و على آحاد المؤمنين و الاسر و البيوت و الجماعات المسلمة أن يمارسوها درساً و تدريساً و مدارسة حفظاً و علماً و عملاً...

و لعمري: إنّ فيها لكرامات عظيمة، و منافع كبيرة، و فوائد دنيويّة و اخـرويّة، و بركات كثيرة لاتحصىٰ فمن أرادها فليجرّبها.

و نشير إلى كلمات بعض الأعاظم في شأنها:

في كشف الغمّة: قال المحقّق الإربلي: «... إذ كانت خطبتها الّتي تحيّر البلغآء، و تعجز الفصحآء بسبب منعها من التّصرّف فيها وكفّ يدها عليها السلام عنها... وقال: فإنّها من محاسن الخطب و بدايعها، عليها مسحة من نور النّبوّة و فيها عبقة من أرج الرّسالة».

و في البحار: قال العلاّمة المجلسي رضوان الله تعالى عليه: «و لنوضح تلك الخطبة الغرّاء السّاطعة عن سيّدة النّسآء صلوات الله عليها الّتي تحيّر من العجب منها، و الإعجاب بها أحلام الفصحآء و البلغآء».

و فى الدّرّة البيضآء في شرح خطبة فاطمة الزّهرآء(عليها السلام): قال السّيّد الحجّة محمّد تقيّ الرّضويّ القمّي رحمة الله تعالى عليه المتوفّى (١٣٤٤ هـ): «إنّي كنت في سالف الزّمان مولعاً بالنّظر في الخطبة المشهورة الغرّآء خطبتها سيّدة النّسآء، و حـبيبة سيّد الأنبيآء، و حليلة سيّد الأوصيآء، أمّ الأئمّة النّجبآء النّقبآء الشّفيعة في يوم الجزآء، فاطمة الزّهرآء عليها من الله آلاف التحيّة و الثّنآء الّتي عجزت عن إنشآء مثلها أو ما يدانيها ألسن الأدبآء و البلغآء، و عن إدراك كنهها و الوصول إلى دقايقها عقول الحكمآء و ألباب الأزكيآء، كيف لا؟ و قد فرغت من لسان العصمة الإلهيّة، و تلألأت عن مشكاة النّبوّة المصطفويّة، و استطرفت من مخزن الأسرار المرتضويّة، و استنارت من زهرة الزّهرآء الزّكيّة، و نبعت من منبع ينابيع الحكمة الرّبّانيّة».

و في **اللعمة البيضآء** في شرح خطبة الزّهرآء عليها السلام للمحقّق البارع محمّد عليّ بن أحمد القراچة داغي التبريزي المتوفّى (١٣١٠ هـ) قال في مقدّمة كتابه: «إعلم أنّ هذه الخطبة الغرّآء، و الدّرّة البيضآء، خطبة في نهاية الفصاحة، و غاية البلاغة، من حيث عذوبة ألفاظها الكافية، و غرابة مضامينها الشّافية، و جزالة معانيها الوافية مع ما عليها من البهاء و الجلالة و الرّوآء و الدّيباجة، بحيث لو خوطب بها الجبال الشّامخة لرأيتها خاشعة متصدّعة، و إن لم تؤثّر في تلك القلوب القاسية الّتي كانت كالحجارة أو أشدّ قسوة.

و هي كلام دون كلام الخالق، و فوق كلام المخلوق، و هي موضع المثل: «في شجرة نار، و استمجد المرْخ و العَفار، و نسبتها إلى سائر الكلمات الفصيحة نسبة الكواكب المنيرة الفلكيّة إلى الحجارة المظلمة الأرضيّة، و عليها مسحة من نور النبوّة و عبقة من أرج الرّسالة، و حقّ لها أن تكون بهذه المثابة، فإنّ متاع البيت يشبه صاحبه، و الأثر يشابه مؤثّره، فإنّها صادرة من بضعة الرّسول«ﷺ» سلالة النبوّة، و عصارة الفتوّة، الصّدّيقة الكبرى، و الإنسيّة الحورآء، مشكاة الضّيآء، أمّ الأئمّة النّقبآء النّجبآء سيدة النّسآء فاطمة الزّهرآء صلوات الله عليها».

و في **المراجعات:** قال المحقّق المجاهد السّيّد عبدالحسين شرف الدّين رضوان الله تعالى عليه: «و للزّهرآء عليها السلام حجج بالغة، و خطبتاها في ذلك سائرتان، كان أهل البيت يلزمون أولادهم بحفظها كما يلزمونهم بحفظ القرآن».

و قال بعض المعاصرين: إنّ الصّدّيقة الطّاهرة قد خطبت خطبة ارتجاليّة منظّمة منسّقة بعيدة عن الاضطراب في الكلام و الحشو في البيان، و منزّهة عن المغالطة و المراوغة و التهريج و التّشنيع، بل و عن كلّ ما لايلائم عظمتها و شخصيّتها الفذّة، و مكانتها السّامية، و تعتبر هذه الخطبة معجزة خالدة للسّيّدة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها، و آية باهرة تدلّ على جانب عظيم من الثّقافة الدينيّة و الشّفافيّة الاعتقاديّة الّتي كانت تتمتّع بها الصّدّيقة الطّاهرة صلوات الله عليها.

و أمّا الفصاحة و البلاغة و حلاوة البيان، و عذوبة المنطق، و قوّة الحجّة، و متانة الدّليل، و تنسيق الكلام، و ايراد أنواع الاستعارة بالكناية، و علوّ المستوي، و التّركيز على الهدف و تنوّع البحث... ما لايخفى على أهل البلاغة و البيان، و أصحاب الدّراية و العرفان، و ذوي الحكمة و الكلام...

«هل بايعت فاطمة الزّهرآء عليها السلام أبابكر»
أم ماتت بغير إمام أو ماتت ساخطة على أبي بكر و عمر؟

و لا شكّ أنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها ماتت شهيدة بعد قلآئل من أيّام وفاة أبيها «صلى الله عليه وآله» بما وردت عليها من المصآئب والإهانة والايذآء وضربها وإسقاط جنينها و إحراق دارها من جانب أبي بكر بن أبي قحافة و عمر بن الخطّاب و عمّا لهما الأشدّآء على أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و الرّحمآء بينهم المرتدّين و المنافقين المنقلبين على أعقابهم...

و هناك سئوال: هل بايعت الصّدّيقة الطّاهرة الشّهيدة صلوات الله عليها أبابكر في تلك الأيّام؟ أم ماتت بغير إمام؟ أو ماتت ساخطة على أبي بكر و حليفه عمر بن الخطّاب؟

و قد تواترت الرّوايات عن الفريقين: «من مات و ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة» و في بعضها: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهليّة» كما في (صحيح البخاري - كتاب الفتن - باب سترون بعدي أموراً تنكرونها - ج ٨ ص ٨٧) و (صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين: ج ٤ ص ٥١٧) و (مسند أحمد: ج ٣ ص ٤٤٦) و غيرها من صحاح العامّة و مسانيدهم و مآخذهم المعتبرة عندهم لا يسعنا المقام بذكرها و نحن علي جناح الاختصار.

و لاريب أنّ الإمام هنا، الإمام المفترض الطّاعة حسب ماثبت في شريعة خاتم

الأنبيآء و سيّد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، و لقد شاهدت النّصوص المتضافرة و لاخلاف في ذلك بأنّ فاطمة الزهرآء الرّاضيّة المرضيّة سلام الله عليها ما بايعت أبابكر طرفة عين أبداً، و إنّما هي ماتت شهيدة، و هي غاضبة، ساخطة عليه و على حليفه عمر بن الخطّاب و أُجرآئهما، فإن صحّت الخلافة لأبي بكر فإنّها ماتت ميتة جاهليّة، فكيف إذ هي «سيّدة نسآء العالمين» و «سيّدة نسآء الجنّة»؟

و أين السّوودة علي النّسآء المؤمنات في الجنّة، و الموتة الجاهليّة، و على ضوء هذا البرهان لايمكن تصحيح الخلافة من دون رضاها كما لايمكن القول بأنّها صلوات الله عليها ماتت من دون بيعة إمام ناطق بالحقّ، فلا بدّ لها من إمام، و أنّها هي المقدار في تصحيح الأمور الإعتقاديّة فإنّ الأمور توزن بالصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام و لاهي بالأمور لأنّها «سيّدة نسآء العالمين».

و قد صرّحت الرّوايات الصّحيحة الواردة عن طريق العامّة: أنّ فاطمة الزّهرآء عليها السلام استمرّت على الغضب و السّخط على أبي بكر و عمر حتّى ماتت.

منها: ما رواه مسلم في (صحيحه: ج ١٢ ص ٧٦ ـ كتاب الجهاد، حكم الفيئ) و أبو داود في (صحيحه: ج ٣ ص ١٤٢ ـ حديث ٢٩٦٨): «أنّ فاطمة بنت رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ سئلت أبابكر... بعد وفاة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ممّا أفآء الله عليه، فقال: أبوبكر: إنّ رسول الله قال: لانورّث ما تركناه صدقة، فغضبت فاطمة فهجرته، فلم تزل بذلك حتّى توفّيت...».

رواه غيرهما تركناهم روماً للاختصار.

و في كتاب **السّقيفة و فدك** لأبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ البصريّ المتوفي (٣٢٣ هـ) ـ و هو من أقدم أعلام العامّة ـ بإسناده عن داود بن المبارك، قال: أتينا عبدالله بن موسى بن عبدالله ابن حسن بن الحسن، و نحن راجعون من الحجّ في جماعة، فسئلناه عن مسائل، و كنتُ أحد مَن سئله، فسئلته عن أبي بكر و عمر فقال: سئل جدّي عبدالله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسئلة، فقال، كانت أُمّي صدّيقة بنت نبيّ مرسل، فماتت و هي غَضْبَى على إنسان (أي أبي بكر) فنحن غِضابٌ لغضبها، و إذا رضيَتْ رَضينا».

رواه ابن أبي الحديد في (شرح النهج: ج ١٦ ص ٢٣٢ ط دار إحيآء الكتب العربيّة سنة ١٩٦٢ م).

و في **الطّرائف** للسّيّد ابن طاووس رحمة الله تعالى عليه (حديث ٣٥١) عن عليّ بن أسباط رفعه إلى الرّضا ﴿عليه السلام﴾: «أنّ رجلاً من أولاد البرامكة عرض لعليّ بن موسى الرّضا ﴿عليه السلام﴾ فقال له: ما تقول في أبي بكر؟ قال له: (سبحان الله و الحمدلله و لا إله إلاّ الله و الله اكبر) فألحّ السّائل عليه في كشف الجواب، فقال ﴿عليه السلام﴾: كانت لنا أمّ صالحة ماتت و هي عليهما ساخطة، و لم يأتنا بعد موتها خبر أنّها رضيت عنهما».

و في **الأنوار النّعمانيّة**: ـ باب ١ ـ نور مرتضويّ ـ في نسب الخلفآء ـ ص ٩٣) قال المحقّق البارع السّيّد نعمت الله الموسوي الجزآئري: «و العجب أنّهم شهدوا في هذه الأحاديث أنّ فاطمة عليها السلام هجرت أبابكر و صاحبه إلى وقت الموت، و خرجت من الدّنيا غاضبة عليهما مع أنّ مسلماً روى في صحيحه في الجزء الرّابع من ثلثه الأخير، و رواه أيضاً مسلم في صحيحه في الجزء الرّابع من آخره، و رواه الحميدي في الجمع بين الصّحيحين، و رواه صاحب كتاب الجمع بين الصّحاح السّتّة في الجزء الثّالث، و رووه كلّهم عن رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ قال: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها فقد أغضبني» و أنّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾ قال: «فاطمة سيّدة نسآء أهل الجنّة».

ثمّ قال السّيّد: و يعجبني نقل مباحثة جرت بين شيخنا البهائى قدّس الله روحه و بين عالم من علمآء مصر، و هو أعلمهم و أفضلهم، و قد كان شيخنا البهائي رحمة الله تعالى عليه يظهر لذلك العالم أنّه على دينه، فقال له: ما تقول الرّافضة الّذين كانوا قبلكم في الشّيخين؟ فقال له البهائي: قد ذكروا لي حديثين، فعجزت عن جوابهم، فقال: ما يقولون؟ قلت: يقولون:

إنّ مسلماً روى في صحيحه أنّ رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ قال: «من آذى فاطمة فقد آذاني، و من آذاني فقد آذى الله، و من آذى الله فقد كفر» و روى أيضاً مسلم بعد هذا الحديث بخمسة أوراق: أنّ فاطمة عليها السلام خرجت من الدّنيا و هي غاضبة على أبي بكر و عمر، فما أدري ما التّوفيق بين هذين الحديثين؟ فقال له العالم: دَعِني اللّيلة أنظر، فلمّا صار

الصّبح جآء ذلك العالم، و قال للبهائي رحمة الله تعالى عليه: ألم أقل لك: إنّ الرّافضة تكذب في نقل الأحاديث، البارحة طالعت الكتاب، فوجدت بين الخبرين أكثر من خمسة أوراق، هذا اعتذاره عن معارضة الحديثين».

و قد تضافرت النّصوص الصّحيحة عن الفريقين: أنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها كانت ساخطة عليهم، حاكمة بكفرهم و ضلالهم و ظلمهم و فسادهم و بغيهم و عنادهم، غير مذعنة بإمامتهم و لا مطيعة لهم، و أنّها قد استمرّت على تلك الحالة حتّى سبقت إلى كرامة الله تعالى و رضوانه.

فمن قال بإمامة أبي بكر و صواب خلافته لا محيص له عن القول بأنّ سيّدة نسآء العالمين، و من طهّرها الله تعالى في كتابه من كلّ رجس، و قال رسول الله «صلّى الله عليه و آله» في فضلها ما قال، قد ماتت ميتة جاهليّة و ميتة كفر و ضلال و نفاق و شقاق، و لا أظنّ كافراً ملحداً أو فاسقاً زنديقاً يرضى بهذا القول الشنيع... مع أنّه قد ثبت بالآيات القرآنيّة و الرّوايات المتواترة، و بالإجماع و الضّرورة كونها سلام الله عليها معصومة عن كلّ خطأ و معصية، و مطهّرة عن كلّ رجس و قذارة ألبتّة.

و ما جرى في قصّة فدك و صدر عنها من الإنكار على أبي بكر و مجاهرتها بالحكم بكفره و طغيانه، و ظلمه و عصيانه، و بغيه و عدوانه، و كفر من يحذو حذوه من أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و أذنابهم و فسقهم و نفاقهم تصريحاً و تلويحاً و تظلّمها و غضبها على أبي بكر و حليفه عمر بن الخطّاب، و هجرتها و ترك كلامها عنهما حتّى ماتت، لو كانت ذلك معصية على خلاف الشّريعة و الفطرة لكانت من المعاصي الظّاهرة الّتي قد أعلنت بها على رؤوس الأشهاد، و أيّ ذنب أظهر و أفحش من مثل هذا الرّدّ و الإنكار على الخليفة المفترض الطّاعة على العالمين بزعمهم؟!

فلا محيص لهم عن القول ببطلان خلافة خليفتهم المنصوب باختيار بعض فسقة الأمّة و أراذلهم و أوباشهم تبعاً لأغراضهم الفاسدة، و أهوآئهم الكاسدة، تحرّزاً عن إسناد هذه المعصية الكبرى إلى سيّدة النّسآء. فظهر ممّا ذكرنا بطلان دعوى أبي بكر في فدك و الخلافة، و أنّه لم يكن له حقّ فيهما و لو قدر قلامة، و لا يليق للخلافة، و نال بها فلتة كما اعترف هو

بنفسه و يقول: «إنّ بيعتي كانت فلتة وقى الله شرّها...»، و يقول: «أقيلوني، اقيلوني بيعتي» كما في (السّقيفة و فدك ص ٤٤ و ٧٠) للجوهري البصريّ، و في (الإمامة و السّياسة لابن قتيبة: ج ١ ص ٢٠) و يقول - لمّا نظر إلى طائر على شجرة - «طوبى لك يا طائر تأكل الثّمر، و تقع على الشّجر، و ما من حساب و لا عقاب عليك، و لوددت أني شجرة على جانب الطّريق مرّ عليّ جمل، فأكلني و أخرجني في بعره و لم أكن من البشر» و يقول: «ليت أمّي لم تلدني، ليتني كنت تبنة في لبنة» رواها و أمثالها جماعة من أعلام العامّة و حملة أسفارهم في مآخذهم المعتبرة:

منهم: ابن تيميّة في (منهاج السّنّة: ج ٣، ص ١٢٠)

و منهم: الطّبري في (الرّياض النّضرة: ج ١ ص ١٣٤) و غيرهما تركناهم روماً للاختصار.

و في كتاب (ثمّ اهتديت: ص ١١٤) للدّكتور محمّد التيجاني السّماوي - و هو من أعلام متفكّري العامّة في عصرنا هذا و قد استبصر - و هو يقول: «فها هو البخاري يخرج في باب مناقب قرابة رسول الله ﴿ﷺ﴾: «أنّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني» كما أخرج في باب غزوة خيبر، عن عائشة أنّ فاطمة عليها السلام بنت النّبيّ أرسلت إلى أبي بكر تسئله ميراثها من رسول الله فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة منه شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت» صحيح البخاري: ج ٣ ص ٣٩) رواه جماعة من أعلام العامّة و حملة أسفارهم تركناهم رعاية للاختصار.

«فوجدت»: غضبت.

ثمّ قال التّيجاني: «و النّتيجة في النّهاية هي واحدة ذكرها البخاري باختصار، و ذكرها ابن قتيبة بشيءٍ من التّفصيل، ألا و هي أنّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ يغضب لغضب فاطمة و يرضى لرضاها، و أنّ فاطمة ماتت و هي غاضبة على أبي بكر و عمر.

و قال: و إذا كان البخاري قد قال: ماتت و هي واجدة (أي غاضبة) على أبي بكر فلم تكلّمه حتّى توفّيت، فالمعنى واحد كما لا يخفى، و إذا كانت فاطمة سيّدة نسآء العالمين كما

صرّح بذلك البخاري في كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي النّاس، و إذا كانت فاطمة هي المرأة الوحيدة في هذه الأمّة الّتي أذهب الله عنها الرّجس و طهّرها تطهيراً، فلا يكون غضبها لغير الحقّ، و لذلك يغضب الله و رسوله لغضبها و لهذا قال أبوبكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه و سخطك يا فاطمة، ثمّ انتحب أبوبكر باكياً حتّى كادت نفسه أن تزهق، و هي تقول: «والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أُصلّيها» فخرج أبوبكر يبكي و يقول: لاحاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي».

ثمّ قال: غير أنّ كثيراً من المؤرّخين و من علمآئنا، يعترفون بأنّ فاطمة عليها السلام خاصمت أبابكر في قضيّة النّحلة و الإرث و سهم ذي القربى، فردّت دعواها حتّى ماتت و هي غاضبة عليه، إلاّ أنّهم يمرّون بهذه الأحداث مرور الكرام، و لا يريدون التكلّم فيها حفاظاً على كرامة أبي بكر كما هي عادتهم في كلّ ما يمسّه من قريب أو بعيد، و من أعجب ما قرأته في هذا الموضوع قول بعضهم بعد ما ذكر الحادثة بشئ من التّفصيل قال: «حاشىٰ لفاطمة من أن تدّعي ما ليس لها بحقّ» و «حاشىٰ لأبي بكر من أن يمنعها حقّها».

و بهذه السفسطة ظنّ هذا العالم انّه حلّ المشكلة، و أقنع الباحثين، و كلامه هذا كقول القآئل: «حاشى للقرآن الكريم أن يقول غير الحقّ» و «حاشىٰ لبني إسرآئيل أن يعبدوا العجل» لقد ابتلينا بعلمآء يقولون: ما لا يفقهون، و يؤمنون بالشّئ و نقيضه في نفس الوقت، و الحال يقتضي أنّ فاطمة إدّعت، و أبابكر رفض دعواها، فإمّا أن تكون كاذبة و «العياذ بالله» حاشاها، أو أن يكون أبوبكر ظالماً لها و ليس هناك حلاً ثالثاً للقضيّة كما يريدها علمآئنا.

و قال: و إذا امتنع بالأدلّة العقليّة و النقليّة أن تكون سيّدة النّسآء كاذبة لما ثبت عن أبيها رسول الله ﴿ﷺ﴾ قوله: «فاطمة بضعة منّي، من آذاها فقد آذاني» و من البديهي أنّ الّذي يكذب لا يستحقّ مثل هذا النّصّ من قبل الرّسول ﴿ﷺ﴾ فالحديث بذاته دالّ على عصمتها من الكذب و غيره من الفواحش، كما أنّ آية التّطهير دالّة هي الأُخرى على عصمتها، و قد نزلت فيها و في بعلها و ابنيها بشهادة عائشة نفسها (كما في صحيح مسلم: ج ۷ ص ۱۲۱ و ۱۳۰) فلم يبق إذن إلاّ أن يعترف العقلاء بأنّها ظُلِمَت فليس تكذيبها في

دعواها إلاّ أمراً ميسوراً لمن استباح حرقها ان لم يخرج المتخلّفون في بيتها لبيعتهم.
و لكلّ هذا تراها سلام الله عليها لم تأذن لهما في الدّخول عليها عندما استأذنها أبوبكر وعمر، و لمّا أدخلهما عليّ ﴿عليه السلام﴾ أدارت بوجهها إلى الحائط، و مارضيت أن تنظر إليهما كما (في تأريخ الخلفآء: ج ١ ص ٢٠) و قد توفّيت و دفنت في اللّيل سرّاً بوصيّة منها حتّى لايحضر جنازتها أحد منهم كما (في صحيح البخاري: ج ٣ ص ٣٩) و بقي قبر بنت الرّسول ﴿صلى الله عليه وآله﴾ مجهولاً حتّى يوم النّاس هذا، و إنّني أتساءل لماذا يسكت علماؤنا عن هذه الحقائق، و لايريدون البحث فيها، و لا حتّى ذكرها، و يصوّرون لنا صحابة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و كأنّهم ملائكة لايخطئون و لايذنبون؟». انتهى كلامه.

«غصب فدك و غضب فاطمة الزّهرآء عليها السلام على غاصبها»

و لا أظنّ خلافاً يعتنى به بين المؤالف و المخالف: أنّ فدكاً كانت خالصة لرسول الله «صلّى الله عليه و آله» آتاها ابنته الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها بأمر من الله تعالى في حياته «صلّى الله عليه و آله» و قد كانت بيدها تتصرّف فيها في عهد أبيها و بعد وفاته، فغصبها أبوبكر بن أبي قحافة بإشارة عمر بن الخطّاب لما سبق منّا من سبب غصبها، فغضبت عليهما فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها، و ماتت شهيدة، ساخطة عليهما.

في نهج البلاغة: ـ من كتاب أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب إلى عثمان بن حنيف الأنصاري و كان عامله على البصرة ـ: «... بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السّمآء، فشحّت عليها نفوس قوم، و سخت عنها نفوس آخرين، و نعم الحكم الله...».

قال ابن أبي الحديد المعتزلى ـ و لعمري هو من أشدّ أعدآء أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و شيعتهم و لكنّه ذئب تلبّس بجلد الكبش ـ في شرح الكتاب: «و إنّما كانت في أيدينا فدك، فشحّت عليها نفوس قوم أي بخلت، و سخت عنها نفوس آخرين أي سامحت و أغضت. و ليس يعني ههنا بالسّخآء إلاّ هذا، لا السّخآء الحقيقيّ لأنّه عليه السلام و أهله لم يسمحوا بفدك إلاّ غصباً و قسراً، و قد قال هذه الألفاظ في موضع آخر فيما تقدّم، و هو يعني الخلافة بعد وفاة رسول الله «صلّى الله عليه و آله» ثمّ قال: «و نعم

الحكم الله» الحكَم: الحاكم، و هذا الكلام كلام شاكٍ متظلّم».

و في تفسير فرات الكوفي: في قوله تعالى: «و آت ذاالقربى حقّه» و ذاك حين جعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» سهم ذي القربى لقرابته، و أعطى فدكاً لفاطمة و لولدها، فكانوا على ذلك على عهد النبيّ «صلى الله عليه وآله» حتّى توفّى ثمّ حجبوها عن قرابته».

و قد صرّحت أخبار العامّة و الخاصّة، و الاستدلالات و الاحتجاجات الواردة من الفريقين، و النّقوض و الإبرامات الصّادرة من الطّرفين بحيث لاتبق شبهة عند أحد من أهل الدّراية و أرباب الرّواية، و كان طيّب الولادة: أنّ فدكاً كانت لرسول الله «صلى الله عليه وآله» خاصّة دون سائر المسلمين عامّة، و أنّها إمّا أن تكون نحلة و عطيّة و حقّاً للصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها آتاها رسول الله «صلى الله عليه وآله» إيّاها في حياته بأمر من الله تعالى، وكانت في يدها يتصرّف فيها عاملها و وكيلها كما دلّت عليه الأخبار و أفصحت عنه الآثار، أو تكون إرثاً لها عليها السلام إذ لم يكن لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وارث غيرها، فعلىٰ أيّ تقدير كانت مختصّة بها وقد كانت سلام اللّه عليها محقّة في دعوى فدك إمّا نحلة أو عطيّة أو حقّاً أو إرثاً، و أنّ أبابكر غصبها بإشارة عمر بن الخطّاب كما غصب الخلافة بهذه الإشارة لأغراض دنيويّة دعتهما إلى ذلك، فأغشت أبصارهما و أعمت أنظارهما، و إنّما جعلا غصبها مقدّمة لاستحكام غصب الخلافة، فكانت هي مظلومة في ذلك، مغصوبة في حقّها كبعلها في حقّه.

و في شرح الأخبار: للقاضي أبي حنيفة النّعمان بن محمّد التّميميّ المغربي المتوفّى (٣٦٣هـ) ما لفظه: «فماتت صلوات الله عليها و هي غضبآء على جميعهم لما منعته وأخذ (لما منعوها و أخذواخ) من حقّها، و استنصرت بهم فلم تجد أحداً ينصرها، و من أجل ذلك منعتهم الصّلاة عليها، و أوصت أن تدفن ليلاً كما جاء ذلك، ولم يشهدها غير عليّ «عليه السلام» و خاصّته و ذلك لما كان من أمرها» انتهى كلامه.

و فيه: ممّا رواه محمّد بن سلام بن سار الكوفي بإسناده عنها عليها السلام أنّه لمّا أمر أبوبكر بأخذ فدك من يديها، و قد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أقطعها إيّاها لما أنزل الله

عزّوجلّ: «و آت ذا القربى حقّه» فكانت ممّا أفآء الله عزّوجلّ عليه، فقال أبوبكر: هي لرسول الله ﴿عليه السلام﴾ فشهد عليّ ﴿عليه السلام﴾ و أُم أيمن ـ و هي ممّن شهد له رسول الله ﴿عليه السلام﴾ بالجنّة ـ: أنّ رسول الله ﴿عليه السلام﴾ أقطعها ذلك فاطمة عليها السلام، فردّ أبوبكر شهادتها، و قال: عليّ جارّ إلى نفسه، و شهادة أُمّ أيمن وحدها لاتجوز.

فقالت فاطمة عليها السلام: إن لايكن ذلك، فميراثي من رسول الله ﴿عليه السلام﴾ فقال: إنّ الأنبيآء لايورّثون.

ثمّ قال أبوحنيفة: و هذا خلاف كتاب الله عزّوجلّ لأنّه يقول جلّ من قائل: «و ورث سليمان داود» و قال حكاية عن زكريّا ﴿عليه السلام﴾: «فهب لي من لدنك وليًّا يرثني و يرث من آل يعقوب» و ذكر فرض المواريث ذكراً عاماً لم يستثن فيها أحداً، خرجت صلوات الله عليها في ذلك إلى مجلس أبي بكر، واحتجّت فيه عليه، فلم ينصرف إلى قولها واستنصرت الأُمّة فلم تجد لها ناصراً، فلذلك و لما هو أعظم و أجلّ منه في الاستيثار بحقّ بعلها، و بنيها لزمت فراشها أسفاً و كمداً، حتّى لحقت رسول الله ﴿عليه السلام﴾ بعد سبعين يوماً من وفاته غمّاً و حزناً عليه، و هي ساخطة على الأُمّة لما اضطهدته فيها و ابتزّته من حقّ بعلها و بنيها» انتهى كلامه.

نعم: و قد أجمل أبوحنيفة الكلام هنا و لكن ليس ملازمتها الفراش لما ذكره فحسب، بل و إنّما لها عوامل أخرى أجاد الشّاعر في بيانها حيث قال:

و للسّــــياط رنــة صــداهــا	في مسمع الدّهــر فمــا أشجاها
و الأثــر البــاقى كــمثل الدّملج	في عـضد الزّهـرآء أقـوى الحـجج
و مـن سـواد مـتنها أسـود الفضا	يــا ســاعد الله الإمـام المـرتضى
و لستُ أدري خــبر المــسمار	ســل صـدرها خـزانـة الأسرار
و في جنين المجد مـا يـدمي الحشى	و هل لهـم إخـفآء أمـر قـد فـشى
و البـــاب و الجـــدار و الدّمآء	شهــود صـدق مــا بــه خـفآء

لقد جنى الجاني على جنينها فاندكّت الجبال من حنينها
و رضّ تلك الأضلع الزّكيّة رزيّة ما مثلها رزيّة
و جاوز الحدّ بلطم الخدّ شلّت يد الطّغيان و التّعدّي
فاحمرّت العين و عين المعرفة تذرف بالدّمع على تلك الصّفة
فإن كسر الظّلع ليس ينجبر إلّا بصمصام عزيز مقتدر
أهكذا يصنع بابنة النّبيّ حرصاً على الملك فيا للعجب

و لنختم هذا الفصل بالقصيدة العصمآء الّتي جادت بها قريحة آية الله العظمى الحاج السّيّد صدر الدّين الصّدر رحمة الله تعالى عليه المتوفّى سنة (١٣٧٣ هق) في رثآء الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهراء عليها أفضل صلوات الله و أكمل تحيّاته:

يا خليليّ احبسا الجرد المهارا و ابكيا داراً عليها الدّهر جارا
و ربوعاً اقفرت من أهلها و غدت بعدهم قفراً برارا
حكم الدّهر على تلك الرّبى فانمحت و الدّهر لا يرعىٰ زمارا
كيف يرجى السّلم من دهر على أهل بيت الوحي قد شنّ المغارا
لم يخلف أحمد إلّا ابنة و لكم أوصىٰ إلى القوم مرارا
كابدت بعد أبيها المصطفىٰ غصصاً لو مست الطّور لمارا
هل تراهم أدركوا من أحمد بعده في آله الأطهار ثارا
غصبوها حقّها جهراً و من عجب أن تغصب الزّهراء جهارا
مَن لحاها إذ بكت و الدها قائلاً فلتبك ليلاً أو نهاراً
و يلهم ما ضرّهم لو بكيت بضعة المختار أيّاماً قصارا؟
مَن سَعىٰ في ظلمها؟ من راعها؟ مَن على فاطمة الزّهرآء جارا؟
من غدا ظلماً على الدّار الّتي تخذتها الإنس و الجنّ مزارا
طال مَ الأملاك فيها أصبحت تلثم الأعتاب فيها و الجدارا

و مــن النّـار بهـا يـنجو الورىٰ	مــن عـلى أعـتابها أضرم نـارا؟
و النّـبيّ المـصطفى كـم جـائها؟	يطلب الإذن مـن الزّهـراء مـرارا
و عـــليها هـــجم القـــوم و لم	تك لاثت لا و عــلياها الخـــمارا
لست أنســاها و يــا لهــفي لهـا	إذ ورآء البـــاب كـــي تـــوارا
فــتك الرّجس عـلى البـاب ولا	تسـئلن عـمّا جـرىٰ ثمّ و صـارا
لا تسـلني كـيف رضّـوا ضـلعها	واسـئلن البـاب عـنها و الجـدارا
و اسـئلن أعـتابها عـن محسن	كـــيف فـــيها دمـــه راح جـبارا
واســـئلن لؤلؤ قـــرطيها لمـــا	نتثرت والعـين لم تشكـو احـمرارا
و هـــل المـــسمار مـــو تـــورلها؟	فـغدىٰ في صـدرها يـدرك نـارا

«عصمة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها و ردّ دعواها ضدّان لا يجتمعان»

قال الله تعالى: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً» الأحزاب: ٣٣).

و قد نطق الكتاب الكريم و السّنّة الثابتة، و شهدت ضرورة العقل، و أجمعت الأُمّة على عصمة الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهراء سيّدة نسآء العالمين صلوات الله و سلامه عليها عن الخطأ و الزّلل عمداً و سهواً، فإذاً وجب القول بقولها، فردّ دعواها في فدك و الإرث و الخمس ضدّان لا يجتمعان، و الاعتذار لغاصبيها رد على الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله.

في الفصول المختارة من العيون و المحاسن: قال الشّيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه ـ في إثبات الحكم بقول فاطمة عليها السلام ـ: قد ثبت عصمة فاطمة عليها السلام بإجماع الأُمّة على ذلك فتيا مطلقة، و إجماعهم على أنّه لو شهد عليها شهود بما يوجب إقامة الحدّ من المنافي للعصمة لكان الشّهود مبطلين في شهادتهم، و وجب على الأُمّة تكذيبهم، و على السّلطان عقوبتهم، فإنّ الله تعالى قد دلّ على ذلك بقوله: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً» و لا خلاف بين نقلة الآثار أنّ فاطمة عليها السلام كانت من أهل هذه الآية، و قد بيّنّا فيما سلف أنّ ذهاب الرّجس عن

أهل البيت الّذين عنوا بالخطاب يوجب عصمتهم، و لإجماع الأمّة أيضاً على قول النّبيّ ﴿ﷺ﴾: «من آذى فاطمة فقد آذاني، و من آذاني فقد آذى الله عزّوجلّ».

فلولا أنّ فاطمة عليها السلام كانت معصومة من الخطأ، مبرّأة من الزّلل لجاز منها وقوع ما يجب أذاها به بالأدب و العقوبة، و لو وجب ذلك لوجب أذاها، و لوجاز وجوب أذاها لجاز أذى رسول الله ﴿ﷺ﴾ و الأذى لله عزّوجلّ فلمّا بطل ذلك دلّ على أنّها عليها السلام كانت معصومة حسبما ذكرناه، و إذا ثبت عصمة فاطمة عليها السلام وجب القطع بقولها، و استغنت عن الشّهود في دعواها لأنّ المدّعي إنّما افتقر للشّهود له لارتفاع العصمة عنه، و جواز ادّعائه الباطل، فيستظهر بالشّهود على قوله لئلاّ يطمع كثير من النّاس في أموال غيرهم، و جحد الحقوق الواجبة عليهم، و إذا كانت العصمة مغنية عن الشّهادة وجب القطع على قول فاطمة عليها السلام و على ظلم مانعها فدكاً، و مطالبتها بالبيّنة عليها.

و يكشف عن صحّة ما ذكرناه أنّ الشّاهدين إنما يقبل قولهما على الظّاهر مع جواز أن يكون مبطلين كاذبين فيما شهدا به، و ليس يصحّ الاستظهار على قول من قد أمن منه الكذب بقول من لا يؤمن عليه ذلك كما لا يصحّ الاستظهار على قول المؤمن بقول الكافر، و على قول العدل البرّ بقول الفاسق الفاجر.

و يدلّ أيضاً على ذلك أنّ النّبيّ ﴿ﷺ﴾ استشهد على قوله، فشهد خزيمة بن ثابت في ناقة نازعه فيها منازع، فقال له النّبيّ ﴿ﷺ﴾: من أين علمتَ يا خزيمة أنّ هذه النّاقة لي؟ أشهدتَ شراي لها؟ فقال: لا و لكنّي علمت أنّها لك من حيث علمتُ أنّك رسول الله، فأجاز النّبيّ ﴿ﷺ﴾ شهادته كشهادة رجلين، و حكم بقوله، فلولا أنّ العصمة دليل الصّدق، و تغني عن الاستشهاد لما حكم النّبيّ ﴿ﷺ﴾ بقوله خزيمة بن ثابت وحده وصوبه في الشّهادة له على ما لم يره و لم يحضره باستدلاله عليه بدليل نبوّته و صدقه على الله سبحانه فيما أدّاه إلى بريّته.

و إذا وجب قبول قول فاطمة عليها السلام بدلائل صدقها، و استغنت عن الشّهود لها، ثبت أنّ مَن منع حقّها و أوجب الشّهود على صحّة قولها قد جار في حكمه و ظلم في فعله، و آذى الله تعالى و رسوله ﴿ﷺ﴾ بايذآئه لفاطمة عليها السلام و قد قال الله جلّ و علا: «إنّ

الّذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدّنيا و الآخرة و أعدّ لهم عذاباً مهيناً» الأحزاب: ٥٧).

و في **رسالة حول حديث** «نحن معاشر الأنبيآء لانورّث» للشيخ المفيد رحمة الله تعالى عليه قال: «لحِقَ الرّسول الأعظم«ﷺ» بالرّفيق الأعلى مخلّفاً من الورثة بنته الوحيدة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها و زوجات عدّة.

و كانت فدك ممّا أفآء الله به على رسوله«ﷺ» من قرى خيبر، نحلها الرّسول«ﷺ» ابنته الزّهرآء و كانت يدها على فدك يوم وفاة الرّسول أبيها، و لمّا استولى أبوبكر على أريكة الخلافة، ابتزّ فدكاً من فاطمة عليها السلام و استولى عليها أيضاً، فادّعت فاطمة عليها السلام على أبي بكر، و طالبت نحلة أبيها لها، و أشهدت زوجها أميرالمؤمنين عليّاً«ع» و ابنيها الحسن والحسين سبطي رسول الله و سيدي شباب أهل الجنّة، و أمّ أيمن زوجة رسول الله«ﷺ» على أنّ أباها نحلها فدكاً.

فردّ أبوبكر دعواها و ردّ شهاداتهم لها، فأعادت الزّهرآء عليها السلام على أبي بكر دعوى ثانية، و طالبت بإرثها من أبيها رسول الله«ﷺ» من تلك الأرض الّتي كانت لرسول الله بنصّ القرآن، لأنّها ممّا أفآء الله على رسوله، و ردّ أبوبكر دعواها هذه أيضاً بحديث رواه هو وحده: أنّ النّبيّ«ﷺ» قال: «نحن معاشر الأنبيآء لانورّث ما تركناه صدقة» فادّعى أنّ النّبيّ لم يترك ميراثاً و لاتركة، و أنّ كلّ مخلّفاته صدقة.

و مع أنّ هذا خبر واحد، لم يعرفه و لم يسمعه و لم يروه يومذاك غير أبي بكر، و مع أنّ الأولى بسماعه و روايته ـ لو كان النّبيّ«ﷺ» قاله ـ هم أهل بيته و ابنته الزّهرآء بالأخصّ لأنّهم هم محلّ ابتلاء مؤدّاه، و هم بحاجة إلى معرفة حكمه، فكان على النّبيّ أن يبلّغهم به، لا أن يقوله لأبي بكر الّذي لايرث من النّبيّ شيئاً! مع هذا فقد فرض أبوبكر رأيه على الزّهرآء عليها السلام و أخذ منها فدكاً و قد احتجّت الزّهرآء على أبي بكر في هذا الرّأي المنافي لصريح القرآن حيث نصّ على توريث الأنبيآء لورثتهم ممّا يدلّ على اختلاق هذا الخبر الّذي ينسب عدم الإرث إلى الأنبيآء.

و لقد انقضى التّاريخ على ظلمه و جوره إلاّ أنّ البحوث العلميّة حول هذا الخبر الواحد لم تنقض بعد:

فالمفارقة المعروفة حتّى عند المبتدئين أنّ كلمة «صدقة» هل تقرأ بالنّصب على أنّها توضيح لكلمة «ما» الّذي هو مفعول لقوله: «لانورّث» فالمعنى: إنّا لانورّث المتروكات الّتي كانت صدقةً، فغير الصّدقات ممّا تركهُ النّبيّ ﴿ﷺ﴾ من متملّكاته يكون إرثاً لوارثيه، أو هي تقرأ بالرّفع على أنّها خبر لكلمة «ما» فتكون جملة «ما تركناه صدقة» مستأنفة.

و الرّفع يناسب مذهب أبي بكر و العامّة، و النّصب يوافق رأي الشّيعة الّذين يلتزمون بأنّ الأنبيآء حالهم كسائر النّاس في توريث ما يخلّفون إلاّ ما كان عندهم من الصّدقات، فإنّها لأصحابها من المستحقّين، و قد ذكر العلمآء هذا الخلاف في إعراب «صدقة» فانظر الإلماع للقاضي عياض (ص ١٥١).

و خصّص الشّيخ المفيد هذه الرّسالة لذكر أدلّة الشّيعة الإماميّة في ردّ هذا الخبر ورد الاستدلال به على نفي الإرث عن الأنبيآء.

فذكر وجوهاً و مقاطع من النّقض و الإبرام:

الأوّل: إنّ قراءة النّصب توافق عموم القرآن، و قراءة الرّفع تمنع من العموم، فتخالف القرآن الّذي جآء على العموم. و ما يوافق ظاهر القرآن أولى بالحقّ ممّا خالفه.

الثّاني: اعترض العامّة على النّصب بأنّه لايصحّ، إذ معنى الحديث على ذلك أنّ ما كان صدقةً و تركه الميّت فهو لايورث، و هذا ليس حكماً خاصّاً بالنّبيّ ﴿ﷺ﴾ بل الخلق كلّهم محكومون بذلك، فمن ترك صدقةً لم تدخل في تركته، و لم يرثه منه ذووه فما فائدة الخبر؟

و أجاب الشّيخ المفيد عن هذا الاعتراض بأنّ تخصيص الأنبيآء بالذّكر في الخبر ليس من أجل اختصاص الحكم بهم، بل هو حكم عام، و إنّما ذكر الأنبيآء هنا للتّعبير عن أولويّة الأنبيآء بالعمل به، و أنّهم ألزم الخلق به و أحقّ، و إن كان سآئر المكلّفين كذلك.

و هذا نظير قوله تعالى: «إنّما أنت منذر مَن يخشاها» مع أنّ النّبيّ منذر كلّ النّاس مَن يخشاها و من لايخشاها، و لكن بما أنّ من يخشاها أحقّ بالإنذار لمكان استفادته منه،

استحقّ ذكره لهذه الأولويّة.

ثمّ ذكر نظائر أُخر لهذه الآية و أمثلة عرفيّة تجري عليها.

الثّالث: أنّ للخبر وجهاً آخر في التّفسير: و هو أنّ المراد أنّ ما تركناه صدقةً لايصبح لأولادنا، و لايأكله أولادنا مطلقاً بأيّ عنوان، حتّى لو صاروا فقرآء و صدق عليهم عنوان المستحقّين للصّدقات، فيكون هذا الحكم خاصّاً بالأنبيآء و أولادهم بخلاف غير الأنبيآء فإنّهم لو تركوا الصّدقات فهي ـ و إن كانت لاتدخل في الإرث ـ إلّا أنّ أولادهم لو أصبحوا فقرآء أو صدق عليهم عنوان المستحقّ أكلوا من الصّدقات بذلك العنوان.

فمعنى «لانورّث» في الخبر: أي لايصير إلى ورثتنا على كلّ حال، و إطلاق كلمة «الإرث» و مشتقّاتها بهذا المعنى أمر متعارف في اللغة، و إن لم يكن من مخلّفات الميّت كما قال الله تعالى: «و أورثكم أرضهم و ديارهم» الأحزاب: ٢٧) أي أوصلها إليكم، فانّ ذلك لم يكن بالتّوارث الشّرعي.

الرّابع: أنّ للخبر لفظاً آخر، لم يرد فيه احتمال النّصب و هو: «نحن معاشر الأنبيآء لانورث ما تركناه فهو صدقة» و قد جعل بعض العامّة هذا اللفظ دليلاً على صحّة الرّفع في اللفظ السّابق، و بطلان التّأويل المبتني على النّصب.

و هذا مردود بأنّ الخبر على هذا اللفظ و إن كان لايحتمل النّصب، بل بالرّفع فقط، إلّا أنّ له معنى محتملاً لايوافق تأويل العامّة، و هو: أنّ الّذي تركناه من أموالنا و حقوقنا على الآخرين، الّتي أسقطناها عن ذممهم، و تصدّقنا بها عليهم، فلم نطالب بها في حياتنا، و لم نستنجره قبل مماتنا، فهي صدقة على مَن هي في يده بعد موتنا، و لاتدخل في مخلّفاتنا و لاما نورّثه لوارثنا، فليست من تركتنا، و ليس لورثتنا أن يأخذوه.

و هذا المعنى موافق لعموم القرآن و ظاهر السّنّة بخلاف المعنى الّذي يريده العامّة من أنّ الأنبيآء لاإرث لهم مطلقاً فهو مخالف لظاهر الآيات القرآنيّة الدّالّة على توريث الأنبيآء، و حمل السّنّة على وفاق القرآن أولى.

و لايخفى أنّ الشيخ رضوان الله تعالى عليه تصدّى لهذا الخبر من جهة تحليله، و الرّدّ

عليه بايراد المحتملات، و لكنّه لم يتعرّض للنّقض عليه بما ورد من الآيات القرآنيّة و السّنّة القطعيّة و السّيرة المستمرّة الدّالّة على بطلان ما يريده العامّة، و كذلك لم يتعرّض للرّدّ عليه سنداً بل جهةً حيث إنّه لم يثبت من غير طريق أبي بكر الّذي هو طرف في تلك الدّعوى، و إنّه لايشبه بكلام المعصوم، و سنتعرّض الى ذالك بصورة عابرة ان شآءالله تعالى.

و **قال بعض المعاصرين:** إنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها إذا كانت أرفع من كلّ تهمة، فما حاجتها إلى البيّنة؟ و هل تمنع التّشريعات القضائيّة في الإسلام عن أن يحكم العالم استناداً إلى علمه؟ و إذا كانت تمنع عن ذلك فهل معنى هذا أن يجوز في عرف الدّين سلب الشّئ من المالك؟ هذه أسئلة و معها أسئلة أُخرىٰ أيضاً في المسئلة تتطلب جواباً علميّاً، و بحثاً على ضوء أساليب الاستنباط في الإسلام.

و من البداهة أنّ تزكية موقف أبي بكر، و الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام معاً أمر غير ممكن، لأنّ الأمر في منازعتها لو كان مقتصراً على مطالبة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها و امتناع أبي بكر عن تسليمها له لعدم وجود مستمسك شرعيّ يحكم بواسطته لها بما تدّعيه، و انتهاء المطالبة إلى هذا الحدّ لوسعنا أن نقول: إنّ الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام طلبت حقّها في نفس الأمر و الواقع، و إنّ أبابكر لمّا امتنع عن تسليمه لها لعدم تهيّؤ المدرك الشّرعي الّذي تثبت به الدّعوى تركت مطالبتها لأنّها عرفت أنّها لاتستحقّ فدكاً بحسب النّظام القضآئي و سنن الشّرع، و لكنّنا نعلم أنّ الخصومة بينها أخذت أشكالاً مختلفة حتّى بلغت مبلغ الاتّهام الصّريح من الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها و أقسمت على المقاطعة.

و إذن فنحن بين اثنتين: إحداهما أن نعترف بأنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها قد ادّعت بإصرار ما ليس لها بحقّ في عرف القضآء الإسلامي و النّظام الشّرعي و إن كان ملكها في واقع الأمر، و أُخرىٰ أن نلقي التّبعة على أبي بكر و نقول: إنّه قد منعها حقّها الّذي كان يجب عليه أن يعطيها إيّاه أو يحكم لها بذلك على فرق علميّ بين التّعبيرين يتّضح في بعض الفصول الآتية، فتنزيه فاطمة الزّهراء سلام الله عليها عن أن تطلب طلباً لاترضى به حدود الشّرع، و الارتفاع بأبي بكر عن أن يمنعها حقّها الّذي تسخو به عليها تلك

الحدود لايجتمعان إلاّ إذا توافق النقيضان.

و بالجملة: إنّما أحد الخصمين كان في مسئلة فدك مخطئاً في موقفه بحسب موازين الشّريعة السّماويّة و مقاييسها قطعاً.

و في **الطّرائف للسّيّد بن طاووس** رضوان الله تعالى عليه قال: قال عبدالمحمود و علمآء أهل البيت عليهم السلام لايحصىٰ عددهم و عدد شيعتهم إلاّ الله تعالى، و ما رأيت و لاسمعت عنهم: أنّهم يختلفون في أنّ أبابكر و عمر ظلما اُمّهم فاطمة عليها السلام ظلماً عظيماً».

﴿ لماذا قبلت شهادة ذي الشّهادتين في قضيّة النّاقة و ردّت شهادة الإمام عليّ عليه السلام في قصّة فدك؟ ﴾

قال الله تعالى خطاباً لرسوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «فمن حاجّك فيه من بعد ما جآءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنآءنا و أبنآءكم و نسآءنا و نسآءكم و أنفسنا و أنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين» آل عمران: ٦١).

و لقد ثبت بالتواتر و إجماع الأمّة قبول شهادة خزيمة في ناقة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و لماذا لم يقبل أبوبكر شهادة مولى الموحّدين إمام المتّقين، أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ و لقد تضافرت النّصوص عن طريق العامّة في صحاحهم و مسانيدهم و تفاسيرهم و سيرهم و مآخذهم المعتبرة عندهم أنّ آية المباهلة نزلت في شأن الخمسة الطّيّبة صلوات الله عليهم أجمعين بحيث تعدّها من الضّروريّات الأوّليّة لكمال الوضوح و غاية الاشتهار لسنا بذكرها في المقام إذ أوردناها في محلّها.

و من البداهة: أنّ هذه الآية الكريمة من غرر الآيات القرآنيّة بشأن الغرّ الكرام من آل الكسآء عليهم أفضل صلوات الله و أكمل تحيّاته، حيث تعبر عن عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ بـ «أنفسنا» و عن فاطمة الزّهرآء عليها السلام بـ «نسآءنا» و عن الحسنين عليهما السلام بـ «أبناءنا» تدلّ على أخصّ الاختصاصات لهؤلآء بالرّسالة القدسيّة الإلهيّة، و بالنّبوّة السّماويّة المحمّديّة.

في تفسير روح المعاني لمفتي بغداد، محمود الآلوسي قال ـ في تفسير الآية الكريمة ـ: «و في هذه القصّة أوضح دليل على نبوّته«صلى الله عليه وآله» و إلاّ لما امتنعوا عن مباهلته، و دلالتها على فضل آل الله و رسوله«صلى الله عليه وآله» ممّا لايمتري فيها مؤمن».

و في تفسير كشف الأسرار للميدي: «إنّ أهل المباهلة كانوا خمسة: محمّد المصطفى، عليّ المرتضى، فاطمة الزّهرآء، حسن المجتبى، حسين الشّهيد بكربلآء عليهم السلام، فذهبوا إلى الصّحرآء فجعل رسول الله«صلى الله عليه وآله» هؤلآء الأربعة تحت الكسآء ثمّ قال: اللّهمّ إنّ هؤلآء أهلي، فنزل جبرئيل، و قال: يا محمّد! و أنا من أهلكم؟ قال«صلى الله عليه وآله»: يا جبرئيل و أنت منّا، فرجع جبرئيل إلى السّمآء، و افتخر على الملائكة، و يقول: مَن مثلي؟ و أنا في السّمآء طاووس الملائكة، و في الأرض من أهل محمّد«صلى الله عليه وآله»».

و نحن نرى أنّ الله سبحانه قد عبّر ـ صراحاً ـ عن عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» بنفس رسوله«صلى الله عليه وآله» فلنا أن نتساءل عن مردة أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة: أأنتم في شكٍّ أو تتردّدون في ذلك ـ بعد مضيّ أكثر من أربعة عشر قرناً من نزول الآية الكريمة، و قصّة السّقيفة الّتي كانت مبدأ انحطاط المسلمين و وقفة الإسلام في النّشر و العمل به إلى يومنا هذا؟ و إذا كان عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» نفس رسول الله«صلى الله عليه وآله» بنصّ القرآن الكريم أوليس ردّ شهادة عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» في قصّة فدك بل و في غيرها ردّاً لشهادة رسول الله«صلى الله عليه وآله» نفسها على حدّ سوآء؟ أوليس ردّ شهادة رسول«صلى الله عليه وآله» ردّاً لشهادة الله جلّ و علا بعينها؟

و كيف تقبل شهادة ذي الشّهادتين في قصّة ناقة رسول الله«صلى الله عليه وآله» و تُردُّ شهادة أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» في فدك رسول الله«صلى الله عليه وآله» الّتي آتاها فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها بنصّ من كتاب الله: «فآت ذا القربى حقّه» الرّوم: ٣٨) و «آت ذا القربى حقّه» الإسرآء: ٢٦)؟؟؟!!!!

و في الطّرائف للسّيّد ابن طاووس رضوان الله تعالى عليه ـ حديث ٣٤٩): أنّ جماعة من ولد الحسن و الحسين عليهما السلام رفعوا قصّة فدك إلى المأمون الخليفة العبّاسي من بني العبّاس يذكرون أنّ فدك و العوالي كانت لأمّهم فاطمة بنت محمّد«صلى الله عليه وآله» نبيّهم و أنّ

أبابكر أخرج يدها عنها بغير حقّ، و سئلوا المأمون انصافهم و كشف ظلامتهم، فأحضر المأمون مأتي رجل من علمآء الحجاز و العراق و غيرهم، و هو يؤكّد عليهم في أداء الأمانة و اتّباع الصّدق، و عرفهم ما ذكره ورثة فاطمة في قضيّتهم و سئلهم عمّا عندهم من الحديث الصّحيح في ذلك.

فروى غير واحد منهم عن بشير بن الوليد و الواقدي و بشر بن عتاب في أحاديث يرفعونها إلى محمّد﴿صلى الله عليه وآله﴾ نبيّهم لمّا فتح خيبر اصطفى لنفسه قرى من قرى اليهود، فنزل عليه جبرئيل﴿عليه السلام﴾ بهذه الآية: «و آت ذا القربى حقّه» فقال محمّد﴿صلى الله عليه وآله﴾: و من ذوالقربى و ما حقّه؟ قال: فاطمة عليها السلام تدفع إليها فدك، فدفع إليها فدك ثمّ أعطاها العوالي بعد ذلك، فاستغلتها حتّى توفّى أبوها محمّد﴿صلى الله عليه وآله﴾ فلمّا بويع أبوبكر منعها أبوبكر منها، فكلمته فاطمة عليها السلام في ردّ فدك و العوالي عليها، و قالت له: إنّها لي، و إنّ أبي دفعها إليّ. فقال أبوبكر: و لاأمنعك ما دفع إليكِ أبوكِ.

فأراد أن يكتب لها كتاباً فاستوقفه عمر بن الخطّاب، و قال: إنّها امرأة فادعها بالبيّنة على ما ادّعت، فأمر أبوبكر أن تفعل، فجآئت بأمّ أيمن و أسمآء بنت عميس مع عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ فشهدوا لها جميعاً بذلك، فكتب لها أبوبكر، فبلغ ذلك عمر، فأتاه فأخبره أبوبكر الخبر، فأخذ الصّحيفة فمحاها، فقال: إنّ فاطمة إمرأة و عليّ بن أبيطالب زوجها و هو جارّ إلى نفسه، و لايكون بشهادة امرأتين دون رجل.

فأرسل أبوبكر إلى فاطمة عليها السلام فأعلمها بذلك، فحلفت بالله الّذي لا إله إلاّ هو أنّهم ما شهدوا إلاّ بالحقّ، فقال أبوبكر: فلعلّ أن تكوني صادقة، و لكن احضري شاهداً لا يجرّ إلى نفسه، فقالت فاطمة: ألم تسمعا من أبي رسول الله﴿صلى الله عليه وآله﴾ يقول: أسمآء بنت عميس و أمّ أيمن من أهل الجنّة؟ فقالا: بلى، فقالت: امرأتان من أهل الجنّة تشهدان بباطل؟ فانصرفت صارخة تنادي أباها، و تقول: قد أخبرني أبي بأنّي أوّل من يلحق به، فوالله لاشكونّهما، فلم تلبث أن مرضت فأوصت عليّاً أن لا يصلّيا عليها و هجرتهما، فلم تكلّمهما حتّى ماتت، فدفنها عليه السلام و العبّاس ليلاً.

فدفع المأمون الجماعة عن مجلسه ذلك اليوم، ثمّ أحضر في اليوم الآخر ألف رجل من

أهل الفقه و العلم، و شرح لهم الحال و أمرهم بتقوى الله و مراقبته، فتناظروا و استظهروا ثمّ افترقوا فرقتين، فقالت طائفة منهم: الزّوج عندنا جارّ إلى نفسه فلا شهادة له، و لكنّا نرى يمين فاطمة قد أوجبت لها ما ادّعت مع شهادة الامرأتين، و قالت طائفة: نرى اليمين مع الشهادة لاتوجب حكماً، و لكن شهادة الزّوج عندنا جائزة و لانراه جارّاً إلى نفسه فقد وجب بشهادته مع شهادة الامرأتين لفاطمة عليها السلام ما ادّعت، فكان اختلاف الطّائفتين إجماعاً منهما على استحقاق فاطمة عليها السلام فدك و العوالي.

فسئلهم المأمون بعد ذلك عن فضائل لعليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ فذكروا منها طرفاً جليلة قد تضمّنته رسالة المأمون، و سئلهم عن فاطمة عليها السلام فرووا لها عن أبيها فضائل جميلة، و سئلهم عن أمّ أيمن و أسماء بنت عميس، فرووا عن نبيّهم محمّد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أنّهما من أهل الجنّة، فقال المأمون: أيجوز أن يقال أو يعتقد أنّ عليّ بن أبيطالب مع ورعه و زهده يشهد لفاطمة بغير حقّ؟ و قد شهد الله تعالى و رسوله بهذه الفضائل له، أو يجوز مع علمه و فضله أن يقال: إنّه يمشي في شهادة و هو يجهل الحكم فيها؟!

و هل يجوز أن يقال: إنّ فاطمة مع طهارتها و عصمتها و أنّها سيدة نسآء العالمين و سيّدة نسآء أهل الجنّة كما رويتم تطلب شيئاً ليس لها تظلم فيه جميع المسلمين، و تقسم عليه بالله الّذي لا إله الاّ هو؟ أو يجوز أن يقال عن أمّ أيمن و أسماء بنت عميس أنّهما شهدتا بالزّور و هما من أهل الجنّة؟ إنّ الطّعن على فاطمة و شهودها طعن على كتاب الله و إلحاد في دين الله، حاشا أن يكون ذلك كذلك.

ثمّ عارضهم المأمون بحديث رووه أنّ عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ أقام منادياً بعد وفاة محمّد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ نبيّهم ينادي: من كان له على رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ دَيْن أو عدة فليحضر، فحضر جماعة فأعطاهم عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ ما ذكروه بغير بيّنة، و أنّ أبابكر أمر منادياً ينادي بمثل ذلك فحضر جرير بن عبدالله و ادّعى نبيّهم عدة فأعطاها أبوبكر بغير بيّنة، و حضر جابر بن عبدالله، و ذكر أن نبيّهم وعده أن يحثو اله ثلاث حثوات من مال البحرين، فلمّا قدم مال البحرين بعد وفاة نبيّهم أعطاه أبوبكر الثّلاث الحثوات بدعواه بغير بيّنة.

و فيه: قال عبدالمحمود: و قد ذكر الحميدي هذا الحديث في الجمع بين الصّحيحين في

الحديث التّاسع من أفراد مسلم من مسند جابر، و أنّ جابراً قال: فعددتها، فإذاً هي خمسمأة، فقال أبوبكر: خذمثليها» راجع (صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٨٠٧)

قال رواة رسالة المأمون: فتعجّب المأمون من ذلك، و قال: أما كانت فاطمة و شهودها يجرون مجرى جرير بن عبدالله، و جابر بن عبدالله؟

ثمّ تقدم بسطر الرّسالة المشار إليها و أمر أن تقرأ بالموسم على رؤوس الأشهاد، و جعل فدك و العوالي في يد محمّد بن يحيي بن الحسين بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن أبيطالب(عليه السلام) يعمرها و يستغلّها و يقسم دخلها بين ورثة فاطمة بنت محمّد(صلى الله عليه وآله) نبيّهم» إنتهى كلامه.

أقول: لو كان المأمون مستبصراً لردّ الخلافة إلى الإمام الثّامن عليّ بن موسى الرّضا عليه آلاف التّحيّة و الثّنآء، و لكنّ الملك عقيم.

«لماذا تردّ شهادة الإمام عليّ عليه السلام و هو أصدق النّاس بل هو ميزان الصّداقة؟»

قال الله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و كونوا مع الصّادقين» التّوبة: ١١٩).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «و الّذي بعثه بالحقّ و اصطفاه على الخلق، ما أنطق إلاّ صادقاً، و لقد عهد إليّ بذلك كلّه...» الخطبة: ١٧٤).

و قد تضافرت النّصوص عن الفريقين: أنّ الآية الكريمة قد نزلت في شأن أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام» أمّا العامّة، فقد أوردها أعاظمهم في مآخذهم و أسفارهم نشير إلى مايسعه المقام و نحن على جناح الاختصار:

١ـ روى الثعلبي في (تفسيره: ص ٢١٩) عن ابن عبّاس أنّه قال في هذه الآية: «اتّقوا الله و كونوا مع الصّادقين»: مع عليّ بن أبيطالب و أصحابه.

٢ـ روى الگنجي الشّافعيّ في (كفاية الطّالب: ص ١١١ طالغري) عن أبي جعفر «عليه السلام» في قوله عزّوجلّ: «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و كونوا مع الصّادقين» قال: مع عليّ بن أبيطالب «عليه السلام».

٣ـ روى سبط ابن الجوزي في (التّذكرة: ص ٢٠ طالنّجف) ما لفظه: قال علماء السّير: معناه: كونوا مع عليّ «عليه السلام» و أهل بيته. قال ابن عبّاس: عليّ «عليه السلام» سيّد الصّادقين.

٤ـ ماروا ه السّيوطي في تفسيره: (الدّرّ المنثور: ج ٣ ص ٢٩٠ ط مصر).

٥ـ ما رواه الكشفي الترمذي في (مناقب مرتضوي: ص ٤٣ ط. بمبئي بمطبعة محمدي).

٦ـ ما رواه الشّوكاني في تفسيره (ج ٢ ص ٣٩٥ ط المصطفى الحلبي بمصر).

٧ـ روى الآلوسي في تفسيره (روح المعاني: ج ١١ ص ٤١ ط المنيريّة بمصر) مالفظه: أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس و ابن عساكر عن أبي جعفر: أنّ المراد «كونوا مع عليّ كرّم الله وجهه بالخلافة».

٨ـ ما رواه القندوزي الحنفيّ في (ينابيع المودّة: ص ١١٩ ط إسلامبول) عن عدّة.

٩ـ ما رواه الكشفيّ الترمذي في (مناقب مرتضوي: ٥٣ ط بمبئي بمطبعة محمدي) نقل عن المحدّث الحنبلي و ابن مردويه عن ابن عبّاس رضي الله عنه: أنّ الآية نزلت في حقّ النّبيّ «صلى الله عليه وآله» و عليّ «عليه السلام».

١٠ـ ما رواه الحاكم الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل: ج ١ ص ٢٥٩).

و غيرهم تركناهم روماً للاختصار.

أقول: و قد سبق منّا في تفسير هذه الآية في سورة «التّوبة»: أنّ المراد بالكون مع أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» ليس هو الحضور الخارجيّ بالضّرورة، و إنّما المراد اتّباعه في كلّ ما يراد به الاتّباع و العمل شرعاً في حياته و بعد شهادته «عليه السلام» لاقتضاء الإطلاق له، و أنّ الآية الكريمة تدلّ على عصمة أميرالمؤمنين «عليه السلام» لوصفها له بالصّدق في الأعمال و الأقوال كما يقتضيه الإطلاق، و لقبح الأمر باتّباع من لاتؤمن عليه مخالفة أحكام الله عمداً أوخطأ، و للزوم اجتماع الضّدّين: وجوب الاتّباع و حرمته لو فعل المعصية.

و إنّما المراد بالمخاطبين المأمورين بالاتّباع في قوله جلّ وعلا: «يا أيها الّذين آمنوا اتّقوا الله و كونوا مع الصّادقين» هم جميع المؤمنين في كلّ ظرف من الظّروف، لاخصوص المؤمنين في زمان حياته.

و يستفاد من الآية الكريمة و مجموع تلك الرّوايات كون وجود معصوم واجب الاتّباع في كلّ ظرف من الظّروف، فكان هو محمّداً رسول الله «صلى الله عليه وآله» في عهده، و عليّاً «عليه السلام» في

حياته، و الأئمّة الطاّهرين من آلها بعدهما كما يقتضيه أيضاً كون الصّادقين صيغة جمع.

و يؤيّد ذلك ما في (ينابيع المودّة) عن موفّق ابن أحمد بسنده عن ابن عبّاس قال: «الصّادقون: محمّد و أهل بيته» كما ورد عن طريق أئمّتنا: الباقر و الصّادق و الرّضا عليهم السلام: «الصّادقون هم الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام» فتدلّ الآية ـ مع بيانها بالرّوايات ـ على وجوب الكون مع الأفراد الصّادقين المعصومين و اتّباعهم في كلّ ظرف من الظّروف، و هو المطلوب، و نحن اليوم متّبعون لإمام زماننا الثّاني عشر المهدي المنتظر الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالإقرار بإمامته، و الأخذ بأحكامه، و إن لم نجتمع معه و نسعد بطلعته ظاهراً.

و تدلّ الآية الكريمة على وجود الصّادق المعصوم بعد رسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى ظهور المهديّ المنتظر أرواحنا له الفداء إذ لامناص من وجود الصّادق المعصوم الّذي أمر الله تعالى المؤمنين باتّباعه لقول رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها».

و في اصول الكافي ـ: بإسناده عن بريد بن معاوية العجليّ قال: سئلت أباجعفر «عليه السلام» عن قول الله عزّوجلّ: «اتّقوا الله و كونوا مع الصّادقين» قال: إيّانا عنى».

و فيه: بإسناده عن ابن أبي نصر عن أبي الحسن الرّضا «عليه السلام» قال: سئلته عن قول الله عزّوجلّ: «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و كونوا مع الصّادقين» قال: الصّادقون هم الأئمّة و الصّدّيقون بطاعتهم».

و قال الله تعالى: «و الّذين آمنوا بالله و رسله اولئك هم الصّدّيقون و الشّهدآء عند ربّهم» الحديد: ١٩).

روى أحمد بن حنبل في كتاب (الفضائل ـ من فضائل عليّ «عليه السلام» حديث ١٥٤ و ٣٣٩): أنّ الآية نزلت في عليّ «عليه السلام» و في (منهاج السّنّة: ج ٤ ص ٦٠).

و روى الحاكم الحسكاني الحنفي في (شواهد التزيل: ج ٢ ص ٢٢٣) بإسناده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: قال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «الصّدّيقون ثلاثة: حبيب النّجّار مؤمن آل ياسين، و حزبيل (حزقيل خ) مؤمن آل فرعون، و عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» الثّالث و هو أفضلهم».

أورده جماعة من أعلام العامّة و حملة أسفارهم في صحاحهم و مسانيدهم و مآخذهم المعتبرة عندهم إلاّ أنّ عليّ بن أبيطالب عليه السلام هو الصّديق الأكبر و الفاروق بين الحقّ و الباطل، و يعسوب المؤمنين، بلسان وحي رسول ربّ العالمين.

كما قال﴿ﷺ﴾: «سيكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك، فالزموا عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾، فإنّه أوّل من آمن بي، و أوّل من يصافحني، و هو الصّدّيق الأكبر، و هو فاروق هذه الامّة، و هو يعسوب المؤمنين، و المال يعسوب المنافقين».

رواه جماعة من أعلامهم:

منهم: ابن حجر الهيتمي في (الإصابة: ج ٤ ص ١٧١).

و منهم: ابن الأثير الجزري في (اسدالغابة: ج ٥ ص ٢٨٧).

و منهم: ابن عبدالبرّ في (الاستيعاب: ج ٢ ص ٦٥٧) و غيرهم...

و روى المناوي في (فيض القدير: ج ٤ ص ٣٥٨) عن أبي ذرالغفاري و سلمان الفارسيّ، قالا: «أخذ بيد عليّ، فقال: إنّ هذا أوّل من آمن، و هذا أوّل من يصافحني يوم القيامة، و هذا الصّدّيق الأكبر، و هذا فاروق هذه الأُمّة، يفرق بين الحقّ و الباطل، و هذا يعسوب المؤمنين، و المال يعسوب الظّالمين».

رواه جماعة من أعاظمهم:

منهم: الطّبراني و البزار عن أبي ذرو سلمان.

و منهم: الهيثمي في (مجمع الزّوآئد: ج ٩ ص ١٠٢).

و منهم: المتّقي الهندي في (كنز العمّال: ج ٦ ص ١٥٦) و غيرهم.

و روى **أعلام العامة**: انّ عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ كان متّصفاً بهذه الكمالات عن النّبيّ الكريم﴿ﷺ﴾ في ضمن روايات أُخر. راجع (الرّياض النّضرة: ج ٢ ص ١٥٥ و ١٥٧ و ١٥٨) و (خصآئص النّسائى: ص ٣) و (تاريخ الطّبري: ج ٢ ص ٥٦) و (كنز العمّال: ج ٦ ص ٤٠٥) و (ميزان الاعتدال: ج ١ ص ٤١٧) و (معارف ابن قتيبة: ص ٧٢).

و لايخفى على من له الدّراية و طيب الولادة: أنّ الصّدّيق و الفاروق صفتان من صفات أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿عليه السلام﴾ سرق أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة و مردتها

الصّدّيق، و نحلوه إلى أبي بكر الكذّاب، فسمّوه صدّيقاً، و سرقوا أيضاً وصف الفاروق من الإمام عليّ «عليه السلام» و نحلوه إلى عمربن الخطّاب المفرّق بين الأُمّة لسيادته عليهم و يقول: «فَرِّقْ تسد».

و قال الطّبري في (المنتخب) من كتاب (ذيل المذيل) المطبوع في ذيل تاريخه ص ٩) قال ابن سعد أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن صالح بن كيسان، قال: قال ابن شهاب: «بلغنا أنّ أهل الكتاب كانوا أوّل من قال لعمر: الفاروق، و كان المسلمون يؤثرون ذلك من قولهم، و ما بلغنا أنّ رسول الله «صلّى الله عليه و آله» ذكر من ذلك شيئاً».

و في **الطّرائف**: قال عبد المحمود: و من طريف ما رأيت من المناقضة في ذلك أنّ أبابكر و عمر يردّان شهادة عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» و يقولان: إنّه يجرّ إلى نفسه، و قد عرف أهل الملل، و العارفون بأحوال الإسلام: أنّ عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» ما كان طالباً للدّنيا، و لاراغباً فيها، و لا متّكلاً عليها كما فعل أبوبكر و عمر حتّى يقال: إنّه يجرّ إلى نفسه».

و من طريف ذلك أن يكون الله العالم بالسّرآئر يشهد لعليّ بن أبيطالب «عليه السلام» على لسان رسولهم على ما ذكروه في صحاحهم، و قد تقدّم بعضه: أنّ عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» ممدوح مزكّى في الحياة و بعد الوفاة، و أنّه أفضل الصّحابة، فإن جاز الشّك في عليّ «عليه السلام» الموصوف بتلك الصّفات فإنّما هو شك فيمن أسندوا إليه تلك الرّوايات، و تكذيب لأنفسهم فيما صحّحوه، و نقص للإسلام الّذي مدحوه.

و من طريف ذلك أن تسقط شهادة عليّ «عليه السلام» بدعوى أنّه يجرّ إلى نفسه، و يشهد أبوبكر أنّ ميراث محمّد «صلّى الله عليه و آله» للمسلمين، فإذا كان أبوبكر من المسلمين فله في ميراثه حصّة، و لكلّ من وافقه في الشّهادة بذلك، فكيف لايكونون جارّين إلى أنفسهم؟ و كيف لايبطل شهادة أبي بكر و هو في تلك الحال يزعم أنّه وكيل المسلمين و شاهدهم، و شاهد لنفسه، و مدّع لثبوت يده على فدك و العوالي، و لايكون بعض هذه الامور القادحة في الشّهادات مبطلاً لشهادته، و لاجارّاً إلى نفسه، و لامسقطاً لروايته. إنّ ذلك من طرآئف ما ادّعاه المسلمون، و عجائب السّلف الماضين.

و فيه: قال عبدالمحمود: فهل ترى عذراً في منع فاطمة عليها السلام من فدك؟ و هل تراهم إلاّ قدشهدوا بتصديقها ثمّ منعوها و كذّبوها؟ و هل ترى شكاً فيما ترويه الشّيعة من ظلمها و دفعها من حقّها؟

و من طريف مناقضتهم أيضاً في ذلك و إقرارهم بظهور حجّة الله و حجّة رسوله و حجّة فاطمة عليهم السّلام، و مبالغتهم في اعترافهم ببطلان أعذارهم في منع فاطمة من فدك.

و من طريف مناقضتهم أيضاً ما رواه أبوبكر بن مردويه في كتابه بإسناده قال: نابت أصحاب محمّد«صلى الله عليه وآله» نائبة، فجمعهم عمر فقال لعليّ«عليه السلام»: تكلّم فأنت خيرهم واعلمهم. هذا لفظ الحديث. و من طريف مناقضتهم أيضاً في ذلك روايتهم في صحاحهم بأنّ عليّاً أقضاهم و أعلمهم.

و قد ذكر الحميدي في كتاب الجمع بين الصّحيحين في الحديث الأوّل من افراد البخاري في مسند أُبيّ بن كعب طرفاً من ذلك، و رووا في كتبهم كان عمر يقول: لاعاش عمر لمعضلة ليس لها أبوالحسن يعني عليّاً«عليه السلام» و أن لولا عليّ لهلك عمر.

فكيف يقال عن عليّ«عليه السلام» و هو بهذا العلم و هذه الأوصاف، و قد بلغ من الأمانة و الورع و الزّهادة إلى الغايات، بأنّه يترك زوجته المعظّمة في الإسلام تطلب حكماً و شيئاً لايثبت لها، و لاتقبل فيه شهادة شهودها، و أنّه ممّن لايقبل شهادته في ذلك، ثمّ يشهد لها ثمّ يوافقها و يعاضدها في الحياة و يزكّيها بعد الوفاة.

و من طريف ما تجدّد في هذا المعنى: أنّ فاطمة بنت نبيّهم المشهود لها بالفضآئل، و أنّها سيّدة نسآء أهل الجنّة، يكذبونها و يكذبون شهودها، و يطعنون فيهم و فيها مع ما تقدّم في رواياتهم من مدائح الله و رسوله لهم، و يدّعى بنو صهيب مولى بني جزعان ببيتين و حجرة من بيوت نبيّهم و حجراته، و يطلبون ذلك بعد وفاته بمدّة طويلة تقتضي أن لو كان لهم حقّ فيما ادّعوه لظهر فيعطون ذلك بشهادة عبدالله بن عمر وحده، و لاينكر ذلك مسلم منهم، و

لا يجري عند هؤلآء الأربعة المذاهب حال فاطمة و شهودها مجرى عبدالله بن عمر وحده و قد روى الحديث في ذلك جماعة.

و رواه الحميدي في مسند عبدالله بن عمر في الحديث الثّامن و السّتّين من أفراد البخاري من كتاب الجمع بين الصّحيحين بهذه الألفاظ: إنّ بني صهيب مولى بني جزعان ادّعوا ببيتين و حجرة أنّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ أعطى ذلك صهيباً، فقال مروان: من يشهد لكم على ذلك؟ قالوا: عبدالله بن عمر، فشهد لهم بذلك، فقضى مروان بشهادته وحده لهم.

«عمر بن الخطّاب و اختلاق حديث عدم توريث الأنبيآء عليهم السلام»

و لايخفى على من له الدّراية و طيب الولاية أنّه كان من دأب عمر بن الخطّاب و ديدن حليفه أبي بكر بن أبي قحافة جعل الخبر و اختلاق الحديث و وضع الرّواية بأنفسهما و بعمّالهما و أُجرآئهما كأنس بن مالك و أبي هريرة و أبي عبيدة الجرّاح حفّار القبور، و كثير من أضرابهم... و من تلك الأحاديث المختلقة حديث عدم توريث الأنبيآء عليهم السلام:

في **الفصول المختارة** من العيون و المحاسن للسّيّد المرتضى رضوان الله تعالى عليه: سئل هشام بن الحكم رحمه الله عمّا ترويه العامّة من قول أميرالمؤمنين «عليه السلام» لمّا قبض عمر، و قد دخل عليه و هو مسجّى: «لوددت أن ألقى الله بصحيفة هذا المسجّى» و في حديث آخر لهم: «إنّي لأرجو أن ألقى الله بصحيفة هذا المسجّى».

فقال هشام: هذا حديث غير ثابت و لامعروف الأسناد، و انّما حصل من جهة القصّاص و أصحاب الطّرقات، و لوثبت لكان المعنى فيه معروفاً، و ذلك أنّ عمر واطأ أبابكر و المغيرة و سالماً مولى أبي حذيفة و أبا عبيدة على كتب صحيفة بينهم، يتعاقدون فيها على أنّه إذا مات رسول الله «صلى الله عليه و آله» لم يورّثوا أحداً من أهل بيته، و لم يولوهم مقامه من بعده، فكانت الصّحيفة لعمر إذ كان عماد القوم، و الصّحيفة الّتي ودّ أميرالمؤمنين «عليه السلام» و رجا أن يلقى الله بها هي هذه الصّحيفة، فيخاصمه بها و يحتجّ عليه بتضمّنها.

و الدّليل على ذلك ما روته العامّة عن أبيّ بن كعب أنّه كان يقول في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد أن اُفضي الأمر إلى أبي بكر بصوت يسمعه أهل المسجد: «ألا هلك أهل العقدة، و الله ما آسى عليهم، إنّما آسى على مَن يضلّون من النّاس، فقيل له: يا صاحب رسول الله من هؤلآء أهل العقدة؟ و ما عقدتهم؟ فقال: قوم تعاقدوا بينهم إن مات رسول الله لم يورّثوا أحداً من أهل بيته، و لا ولوهم مقامه، أو الله لئن عشت إلى يوم الجمعة لأقومنّ فيهم مقاماً اُبيّن به للنّاس أمرهم، قال: فما أتت عليه الجمعة».

و في كتاب (السّقيفة و فدك: ص ١٠١) للجوهري البصري (المتوفّى: ٣٢٣ ﻫ) بإسناده عن عوانة بن الحكم قال: «لمّا كلّمت فاطمة عليها السلام أبابكر بما كلّمته به، حمد أبوبكر الله و أثنى عليه و صلّى على رسوله ثمّ قال: «يا خيرة النسآء، و ابنة خير الآبآء، والله ما عدوت رأي رسول الله «صلى الله عليه وآله» و ما عملت إلاّ بأمره، و إنّ الرّائد لا يكذب أهله، و قد قلت فأبلغت، و أغلظت فأهجرت، فغفر الله لنا و لك، أمّا بعد دفعت آلة رسول الله و دابّته و حذآءه إلى عليّ «عليه السلام»، و أمّا سوى ذلك فإنّي سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: أنّا معاشر الأنبيآء لا نورّث ذهباً و لا فضّة و لا أرضاً و لا عقاراً و لا داراً، و لكنّا نورّث الايمان و الحكمة و العلم و السّنة، فقد عملت بما أمرني، و نصحت له و ما توفيق إلاّ بالله عليه توكلّت و إليه أُنيب».

أقول: و لا أظنّ أن يشكّ من له الدّراية و طيب الولادة: أنّ مقالة أبي بكر بن أبي قحافة هذه مفتعلة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» و مفتراة على النّبيّ الأعظم «صلى الله عليه وآله» فإنّ جميع المعارف الإسلاميّة و الأحكام الدينيّة من الأوامر و النّواهي و الحِكَم القرآنيّة و السّنّة المحمّديّة بيّنت و ظهرت واضحة على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» فكيف لم يبيّن أوّل الحكم المتعلّق برسول الله «صلى الله عليه وآله» و أهل بيته المعصومين في حياته، و لم تظهر هذه المقالة إلاّ بعد وفاته «صلى الله عليه وآله» و النّاقل لها هو أبوبكر وحده... فكأنّ أهل بيته كانوا أجانب عمّا يتعلّق بهم... و هل أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» لاسمح الله تعالى أتى بخلاف ما جآء به القرآن الكريم و هو يقول: «قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقآء نفسي إن أتّبع إلاّ ما يوحىٰ إليّ» يونس: ١٥).

كما قالت و استشهدت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها بالآيات القرآنية على ما ادّعت.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»: «فقبضه إليه كريماً«صلى الله عليه وآله» و خلّف فيكم ما خلّفت الأنبيآء في أممها، إذ لم يتركوهم هَمَلاً بغير طريق واضح و لاعَلَم قائم، كتاب ربّكم: مبيّناً حلاله و حرامه، و فرآئضه و فضآئله، و ناسخه و منسوخه، و رُخَصه و عزآئمه، و خاصّه و عامّه، و عِبَرَه و أمثاله، و مرسله و محدوده، و محكمه و متشابهه، مُفَسّراً جمله، و مبيّناً غوامضه، بين مأخوذ ميثاق علمه، و موسّع على العباد في جهله، و بين مُثبَتٍ في الكتاب فرضه، و معلوم في السّنّة نسخه، و واجب في السّنّة أخذه، و مرخّص في الكتاب تركه...» الخطبة الاولى).

و فيه: قال سيّد الوصيّين يعسوب الدّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «و أنزل عليكم الكتاب تبياناً لكلّ شيئ، و عمّر فيكم نبيّه أزماناً حتّى أكمل له و لكم فيما أنزل من كتابه دينه الّذي رضي لنفسه، أنهى إليكم على لسانه محابّه من الأعمال و مكارهه، و نواهيه و أوامره...» الخطبة: ۸۵).

و فيه: قال أميرالمؤمنين الإمام عليّ«عليه السلام»: «أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه؟ أم نهاهم عنه فعصوه؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركآء له فلهم أن يقولوا و عليه أن يرضى؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً تامّاً فقصّر الرّسول«صلى الله عليه وآله» عن تبليغه و أدآئه؟ و الله سبحانه يقول: ما فرّطنا في الكتاب من شيئ، و قال: فيه تبيان كلّ شيئ...» الخطبة: ۱۸).

و كيف أخرج أبوبكر؟ و بأيّ دليل و سنّة، آلة رسول الله«صلى الله عليه وآله» و دابّته و حذآئه من ضمن الإرث و دفعها إلى عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»؟

و على حدّ قول أبي بكر: «يا خيرة النّسآء» هل تطالب الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها ما ليس لها حقّ فيه؟ و على حدّ قوله فإنّ فاطمة الزّهرآء عليها السلام ورثت ايمان رسول الله«صلى الله عليه وآله» و علمه و حكمته و سنّته، و أنّها وارثه في جميع ذلك، هل يمكن أن تدّعي ما ليس لها بحقّ؟! و هل يجوز لأبي بكر على حدّ قوله هذا أن يقول في حق خيرة النّسآء وارثة ايمان أبيها و علمه و حكمته و سنّته: أغلظت فأهجرت، فغفر الله لناولك...؟!

فتصدّى أبوبكر بإشارة حليفه عمر بن الخطّاب للرّدّ على الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله

عليها في موضوع فدك من ناحية الميراث إلى حديث انفرد بذكره على ما يبدو، هو: «نحن معاشر الأنبيآء لانورّث، ما تركناه صدقة».

و في شرح ابن أبي الحديد: عن أبي الطفيل قال: أرسلَتْ فـاطمة إلى أبي بكـر: «أنتَ وَرَثتَ رسول الله ﴿عَلَيْهِ الله﴾ أم أهله؟ قال: بل أهله...».

قال ابن أبي الحديد: قلت: في هذا الحديث عجب لأنّها قالت له: أنت ورثتَ رسول الله ﴿عَلَيْهِ الله﴾ أم أهله؟ قال: بل أهله. و هذا تصريح بأنّه ﴿عَلَيْهِ الله﴾ مَوروث يرثه أهله، و هو خلاف قوله: «لانورّث».

و قال: «المشهور أنّه لم يرو حديث انتفاء الأرث إلاّ أبوبكر وحده». و قال ابن أبي الحديد: «أكثر الرّوايات أنّه لم يرو هذا الخبر إلاّ أبوبكر وحده، ذكر ذلك معظم المحدّثين حتّى أنّ الفقهآء أطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصّحابي الواحد، و قال شيخنا أبوعليّ: لايقبل في الرّواية إلاّ رواية اثنين، فخالفه المتكلّمون و الفقهآء كلّهم، و احتجّوا بقبول الصّحابة رواية أبي بكر وحده: «نحن معاشر الأنبيآء لانورّث» حتّى أنّ بعض أصحاب أبي عليّ تكلّف لذلك جواباً، فقال: قدروي أنّ أبابكر يوم حاجّ فاطمة قال: أنشد الله امرءاً سمع من رسول الله ﴿عَلَيْهِ الله﴾ في هذا شيئاً فروى مالك بن أوس بن الحدثان أنّه سمعه من رسول الله ﴿عَلَيْهِ الله﴾. و تشبّث بعض مردة السّقيفة لعدم تفرّد أبي بكر في هذا الخبر، بقول حليفه عمر بمحضر عليّ و العبّاس و غيرهما و هو ممّا رواه البخاري في (أوآئل كتاب النّفقات ـ و في باب فرض الخمس من كتاب الجهاد ـ و في باب حديث بني النّظير من كتاب المغازي) و مسلم في (صحيحه ـ كتاب الجهاد ـ باب حكم الفئ) و الألفاظ متقاربة، و هو من الكذب الصّريح لامور:

أحدها ـ أنّه صرّح بأنّ عمر ناشد القوم، و من جملتهم عثمان، فشهدوا بأنّ رسول الله ﴿عَلَيْهِ الله﴾ قال: «لانورّث» و هو منافٍ لما رواه البخاري ـ في أثر حديث بنى النّظير ـ عن عائشة أنّها قالت: أرسل أزواج النّبيّ ﴿عَلَيْهِ الله﴾ عثمان إلى أبي بكر يسئلنه ثمنهنّ ممّا أفآء الله على رسوله! فكنت أنا أردهنّ الحديث. فإنّه يقتضي أن يكون عثمان جاهلاً بذلك، و إلاّ لامتنع أن يكون رسولاً لهنّ إلاّ أن يظنّ القوم فيه السّوء.

ثانيها ـ أنّه لو كان القوم الّذين ناشدهم عمر عالمين بما رواه أبوبكر لماتفرّد أبوبكر بروايته عند منازعة فاطمة عليها السلام له، فهل تراهم ذخروا شهادتهم لعمر و أخفوها عن أبي بكر و هو إليها أحوج.

ثالثها ـ أنّ أحاديث البخاري صريحة في أنّ أميرالمؤمنين «عليه السلام» و العبّاس طلبا من عمر الميراث حيث يقول في أحدها: «جئتماني و كلمتكما واحدة: جئتني يا عبّاس تسئلني نصيبك من ابن أخيك، و جآئني هذا يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إنّ رسول الله «صلى الله عليه و آله» قال: «لانورّث ما تركناه صدقة».

و قريب منه ما في حديثيه الآخرين، فكيف يتصوّر أن يطلبا من عمر الميراث و هما يعلمان أنّ النبيّ «صلى الله عليه و آله» لايورّث. و هو من الكذب الفضيع لمنافاته لدينهما و شأنهما، و كونه من طلب المستحيل عادة، لأنّ أبابكر قد حسم أمره و كان أكبر أعوانه عليه عمر، فكيف يطلبان منه الميراث، و مع ذلك فكيف دفع لهما عمر مال بني النّظير ليعملا به عمله و عمل رسول الله «صلى الله عليه و آله» و أبي بكر، و هما قدجاءاه يطلبان الميراث مخالفين لعلمهما غير مبالين بحكم الله «صلى الله عليه و آله» حاشاهما! فيكون قدحاً في عمر.

رابعها ـ أنّ أميرالمؤمنين و العبّاس لو سمعا من النبيّ «صلى الله عليه و آله» ما رواه أبوبكر حتّى أقرّا به لعمر فكيف يقول لهما عمر كما في حديث مسلم: رأيتما أبابكر كاذباً آثماً غادراً خآئناً، و رأيتماني كاذباً آثماً غادراً خآئناً.

خامسها ـ أنّ أميرالمؤمنين «عليه السلام» لو سمع ذلك فَلِمَ أمر الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها أن تطالب بمالا حقّ لها فيه؟! أأخفى ذلك عنها، راضياً بأن تغصب مال المسلمين؟ أو أعلمها فلم تبال، و وعدت على ما ليس لها فيه حقّ؟ فيكون الكتاب كاذباً أو غالطاً بشهادته لها بالطّهارة فلا مندوحة لمن صدق الله و كتابه و رسوله «صلى الله عليه و آله» أن يقول بكذب هذه الأحاديث و اختلاقها...

سادسها ـ أنّه ذكر في حديث مسلم، و يعز على نقله، و إن كا ن ناقل الكفر ليس بكافر ـ أنّ العبّاس قال لعمر: «اقض بيني و بين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن» و هذا ممّا لا يتصوّر صدوره من العبّاس إذ كيف ينسب لعليّ الكذب و الغدر و الخيانة، و هو يعلم

أنّه«عليه السلام» نفس النّبيّ الأمين«صلى الله عليه وآله» و أنّ الله سبحانه شهد له بالطّهارة؟ و كيف يسبّه، و قد علم أنّ من سبّه سبّ الله و رسوله«صلى الله عليه وآله» اللّهمّ إلاّ أن يكون كافراً مخالفاً لما علم، و ثبت بالضّرورة، و العبّاس أجلّ قدراً و أعلى شأناً من ذلك، فلابدّ أن يكون هذا القول مكذوباً على العبّاس من المنافقين الّذين يريدون سبّ الإمام الحقّ المعصوم، و وضعوا هذا الحديث لإصلاح حال أبي بكر و عمر من دون فهم و لادراية و لارويّة.

و لعمري انّي لاأظنّ أن يشكّ من له أدنى مسكة و دراية و طيب ولادة في تفرّد أبي بكر أبي قحافة أوّل غاصب للخلافة بهذه الرّواية الّتي لايعتمد عليها، إذ كيف يمكن أن يخفي نبيّ الرّحمة و الهدى«صلى الله عليه وآله» هذا الحكم عمّن هو محلّ الابتلاء به وهم أهل بيته المعصومين و ورثته، و يعرف به أجنبيّاً واحداً حتّى يصير سبباً للفتنة و الشّقاق و الخلاف بين ابنته الطّاهرة و من يلي أمر الأمّة إلى أن ماتت غضبئ عليه، و هو قد قال في حقّها: «إنّ الله يغضب لغضبها، و يرضى لرضاها» و «يؤذيني ما يؤذيها»؟!

فكان هذ البيان لفضلها مع ذلك الإخفآء عنها سبباً لاختلاف اُمّته و العداوة بينهم إلى الأبد لأنّهم بين ناصر لها و قاطع بصوابها، و بين ناصر لابي بكر و راضٍ بعمله، و كيف يتصوّر أن يخفي رسول الله«صلى الله عليه وآله» هذا الحكم عن أخيه و نفسه، و باب مدينة علمه، و من عنده علم الكتاب، و يظهر لغيره؟ ليت شعري! ألم تكن لرسول الله«صلى الله عليه وآله» (العياذ بالله) رأفة على بضعته و روحه بين جنبيه، فيعلمها حكمها و يصونها عن الخروج إلى المحافل، مطالبة بما لاتستحقّ به، و تعود بالفشل راغمة مهضومة، هتك حرمتها...! ما أظنّ مؤمناً برسول الله«صلى الله عليه وآله» عارفاً بشأنه، بل ما أظنّ من له أدنى مسكة و دراية و طيب ولادة أن يلتزم بصحّة هذ الخبر المختلق و أمثاله... مع هذه المفاسد...

قال بعض مردة السّقيفة: إنّ حجيّة خبر الواحد و التّرجيح ممّا لاحاجة بنا إليه ههنا لأنّ أبابكر كان حاكماً بماسمعه من رسول الله«صلى الله عليه وآله» فلا اشتباه عنده في سنده، و علم أيضاً دلالته على ما حمله عليه من المعنى لانتفاء الاحتمالات التّي يمكن تطرّقها إليه بقرينة الحال، فصار عنده دليلاً قطعيّاً مخصّصاً للعمومات الواردة في بيان الإرث.

و هذا مردود بوجوه: منها: أنّ دعوى الحكومة لأبي بكر في المقام خطأ فانّها إدّعاء

بغير دليل بل مخالف للكتاب و السّنّة و ضرورة العقل. و منها: أنّ أبابكر هو خصم بحث لاستحقاقه لهذه الصّدقة، و إن فرض غناه لأنّها من الصّدقات بالمعنى الأعمّ الّذي ادّعاه الخصم، بل أبوبكر أظهر النّاس خصومة لأنّه يزعم أنّ أمر صدقات النّبيّ﴿ﷺ﴾ راجع إلى وليّ الأمر بعده و أنّه وليّه.

و منها: أنّا لوسلّمنا أنّ له الحكومة و إن كان خصماً فالحديث الّذي استند إليه في الحكم عليها ليس قطعيّ الدّلالة لاحتمال أن يريد به النّبيّ﴿ﷺ﴾: أنّا معاشر الأنبيآء لانترك شيئاً من المال يبق بعد نالورثتنا، بل نصرفه في وجوه البرّ إذ ليس من شأننا جمع المال كالملوك، و ماتركه بعدنا إنّما هو من مال الصّدقات الّتي لنا الولاية عليها، و حينئذ لواتفق بقاء مال يملكه النّبيّ﴿ﷺ﴾ لسبب يرجح بقآءه لايمنع أن يكون إرثاً لورثته، و قول هذا البعض لإنتفاء الإحتمالات الّتي يمكن تطرّقها إليه بقرينة الحال إلى آخره رجم بالغيب، إذ لادليل على وجود قرينة الحال لولا حمل أبي بكر على الصّحّة، و هو ليس أولى بالحمل على الصّحّة من أهل بيت النّبوّة المبلّغين لحديثه.

نعم: لاينكر ظهور حديثه في مطلوبه لكنّه لوصحّ لايصلح لمعارضة ظهور الآيات الكريمة في توريث الأنبيآء و لاسيّما ما تعرض منها لإرث الأنبيآء بخصوصهم.

و **قال هذا البعض أيضاً**: إن قيل: إنّ أبابكر لايسمع منه هذا الخبر لأنّه كان غريماً لأنّ الصّدقة تحلّ له. قلنا: إنّ بين الشّهادة و الرّواية فرقاً، فإنّ الشهادة لاتسمع من الغريم الّذي يجرّ النّفع إلى نفسه، و الرّواية ليست كذلك.

أقول: و هذا أيضاً مردود، حيث إنّ الرّواية إذاكانت لإثبات الحاكم مدّعاه هوراويها تلحقه تهمة جرّ النّفع إلى نفسه كالشّاهد.

و قد انفرد أبوبكر كذلك بذكر حديث آخر عندما اختلف المسلمون في محلّ دفن رسول الله﴿ﷺ﴾ فقال: سمعت رسول الله يقول: «ما قبض نبيّ إلاّ و دفن حيث قبض» في حين أنّ التّاريخ ـ على ما في تاريخ الطّبريّ ـ يخبرنا أنّ الكثيرين من أنبيآء بني إسرآئيل قد دفنوا في غير الأماكن الّتي قبضوا فيها.

و قد استغربت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها من حديث انتفاء الإرث أشدّ

الاستغراب و قد كانت فاطمة الزّهرآء عليها السلام من دون ريب أولى من غيرها بسماعه، لأنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخصّها عليها السلام أكثر ممّا يخصّ أبابكر، كما أنّ عليّاً أميرالمؤمنين «عليه السلام» لم يسمعه كذلك بدليل أنّ الصّدّيقة الطّاهرة صلوات الله عليها لم تخرج من بيتها إلى أبي بكر في مسجد النّبيّ «صلى الله عليه وآله» مطالبة بميراثها من فدك إلاّ بعلم من عليّ «عليه السلام» و إذن منه بل بأمر منه «عليه السلام» كذلك.

لماذا همس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذا الحديث إلى أبي بكر دون أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فضلاً عن سائر المسلمين، و قبل أن يصبح أبوبكر طرفاً في النّزاع على هذا الميراث الّذي يتّصل بفاطمة الزّهرآء عليها السّلام و بنيها أشدّ الاتّصال؟

و في **الغدير**: (ج ٧ ص ١٩٠) ـ في المظهر الرّابع من مظاهر علم أبي بكر ـ قال: أمّا رواية الإرث فسرعان ما ناقض ابن حجر فيها نفسه، فتراه يحسب ههنا في (ص ١٩): أنّها مختصّة بأبي بكر، و هي من الأدلّة الواضحة على أعلميّته، و هو يعتقد في صفحة (٢١): أنّه رواها عليّ «عليه السلام» و العبّاس و عثمان و عبدالرّحمن بن عوف و الزبير و سعد و امّهات المؤمنين، و قال: كلّهم كانوا يعلمون أنّ النّبي «صلى الله عليه وآله» قال: ذلك. و إنّ أبابكر إنّما انفرد باستحضاره أوّلاً ثمّ استحضره الباقون.

ما هذا التّهافت بين كلامي الرّجل؟ و ما أهله أخيراً عمّا جآء به أوّلاً؟ و هل الأعلميّة مترشّحة من محض الاستحضار أوّلاً؟ أو السّبق إلى الهتاف به؟ و كلّ منهما كما ترى لا يفيد مزيّة إلاّ في الحفظ دون العلم.

ثمّ لو كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: ذلك لوجب أن يفشيه إلى آله و ذويه الّذين يدّعون الوراثة منه ليقطع معاذيرهم في ذلك بالتّمسّك بعمومات الإرث من آي القرآن الكريم و السّنّة الشّريفة، فلا يكون هناك صَخَبٌ و حوار تتعقّبها محنٌ واحِنٌ، و لا تموت بضعته الطّاهرة و هي واجدة (ساخطة) على أصحاب أبيها و يكون ذلك كلّه مثاراً للبغضآء و العدآء في الأجيال المتعاقبة بين أشياع كلّ من الفريقين، و قد بُعِثَ هو «صلى الله عليه وآله» لكسح تلكم المعرّات و عقد الإخآء بين الأمم و الأفراد.

ألم يكن «صلى الله عليه وآله» على بصيرة ممّا يحدث بعده من الفتن النّاشئة من عدم ايقاف أهله و

ذويه على هذا الحكم المختصّ به ﴿ﷺ﴾ المخصّص لشرعة الإرث؟ حاشاه. و عنده علم المنايا و البلايا و القضايا و الفتن و الملاحم.

و هل ترى أنّ دعوى الصّدّيق الأكبر أمير المؤمنين و حليلته الصّدّيقة الكبرى صلوات الله عليهما و آلهما على أبي بكر ما استولت عليه يده مما تركه النّبيّ ﴿ﷺ﴾ من ماله كانت بعد علم و تصديق منهما بتلك السّنّة المزعومة صفحاً منهما عنها لاقتناء حطام الدّنيا؟ أو كانت عن جهل منهما بما جاء به أبوبكر؟ نحن نقدّس ساحتهما ـ أخذاً بالكتاب و السّنّة ـ عن علم بسنّة ثابتة و الصّفح عنها، و عن جهل يريكهما في الميزان.

و لماذا يصدّق أبوبكر في دعواه الشّاذّة عن الكتاب و السّنة فيما لا يُعلم إلاّ من قِبَل ورثته ﴿ﷺ﴾ و وصيّه الّذي هتف ﴿ﷺ﴾ به و بوصايته من بدء دعوته في الأندية و المجتمعات؟ و لم تكن أُذُنٌ واعية لدعوى الصّدّيقة و زوجها الطّاهر بكون فدك نحلة لها من رسول الله ﴿ﷺ﴾ و هي لا تُعْلَم إلاّ من قِبَلِهما؟ قال مالك بن جعونة عن أبيه أنّه قال: قالت فاطمة لأبي بكر: إنّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ جعل لي فدك فاعطني إيّاها، و شهدلها عليّ بن أبيطالب فسئلها شاهداً آخر، فشهدت لها أمّ أيمن، فقال: قد عَلِمْتِ يا بنت رسول الله! أنّه لاتجوز إلاّ رجلين أو رجل و امرأتين و انصرفت.

و في رواية خالد بن طهمان: إنّ فاطمة رضي الله عنها قالت لأبي بكر: اعطني فدك فقد جعلها رسول الله ﴿ﷺ﴾ لي فسئلها البيّنة، فجآئت بأمّ أيمن و رباح مولى النّبيّ ﴿ﷺ﴾ فشهد لها بذلك، فقال: إنّ هذا الأمر لاتجوز فيه إلاّ شهادة رجل و امرأتين.

ثمّ ممّ كان غضب الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها؟ و هي الّتي جآء فيها عن أبيها الأقدس: «إنّ الله يرضى لرضاها و يغضب لغضبها» أمن حكم صدع به والدها و ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى؟ و حاشاها. أم لأنّ ذلك الحكم الباتّ رواه عنه صدّيق أمين يريد بثّ حكم الشّريعة و تنفيذه و هي مصدّقة له؟ نحاشي ساحة البضعة الطّاهرة بنصّ آية التّطهير عن هذه الخزاية، فلم يبق إلاّ شقّ ثالث و هو: أنّها كانت تتّهم الرّاوي، أو تعتقد خللاً في الرّواية، و تراه حكماً خلاف الكتاب و السّنّة.

و هذا الّذي دعاها إلى أن لاثت خمارها على رأسها، و اشتملت بجلبابها، و أقبلت في

لمّة من حفدتها و نسآء قومها تَطَأُ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله، حتّى دَخلت على أبي بكر و هو في حشد من المهاجرين و الأنصار و غيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثمّ أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء، و ارتجّ المجلس، ثمّ مهلت هنيهة حتّى إذا سكن نشيج القوم، و هدأت فورتهم، افتتحت كلامها بالحمدلله عزّوجلّ و الثّنآء عليه، و الصّلاة على رسول الله «عليه السلام» ثمّ قالت ما قالت و فيما قالت:

أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهليّة يبغون؟ و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟ يابن أبي قحافة! أترث أباك و لاأرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريّاً، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكَم الله، و الزّعيم محمّد، و الوعد القيامة، و عند السّاعة يخسر المبطلون. ثمّ انكفأت إلى قبر أبيها «عليه السلام» فقالت:

قد كـان بـعدك أنـباء و هـنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّـا فـقدناك فـقد الأرض وابـلها و اختلّ قومك فاشهد هم و لاتغب

فليت بـعدك كـان المـوت صـادفنا لمّا قضيت و حـالت دونك الكـثب

و هذا الّذي تركها غضبآء على من خالفها، و تدعو عليه بعد كلّ صلاة حتّى لفظت نَفَسها الأخيرة صلّى الله عليها.

و في **الطّرائف**: قال السّيّد بن طاووس رحمة الله تعالى عليه بعد نقل ما رواه البخاري في (صحيحه: ج ٥ ص ١٧٧) عن عائشة أنّ فاطمة عليها السلام بنت رسول الله «عليه السلام» أرسلت إلى أبي بكر تسئله ميراثها من رسول الله ممّا أفآء الله عليه بالمدينة و فدك و ما بقي من خمس خيبر، فقال أبوبكر: إنّ رسول الله «عليه السلام» قال: «نحن معاشر الأنبياء لانورّث ما تركناه فهو صدقة...» الرواية.

و ما رواه مسلم في (صحيحه: ج ٣ ص ١٣٨٠) بإسناده: أنّ فاطمة بنت رسول الله «عليه السلام» أرسلت إلى أبي بكر تسئله ميراثها من رسول الله «عليه السلام» ممّا أفآء الله عليه بالمدينة و فدك و ما بقي من خمس خيبر، فقال أبوبكر: إنّ رسول الله قال: «لانورّث ما تركناه صدقة...» الرواية.

قال عبد المحمود: في هذين الحديثين عدة طرآئف:

فن طريف ذلك أنّهم نسبوا محمّداً نبيّهم «عَلَيْهِ‌السَلام» إلى أنّه أهمل أهل بيته الّذين قال الله تعالى عنهم: «و أنذر عشيرتك الأقربين» الشعرآء: ٢١٤) و قال في كتابه: «يا أيّها الّذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً و قودها النّاس و الحجارة» التّحريم: ٦).

و مع هذا ينقلون أنّه لم ينذر عشيرته و لاوقى أهله و لاعرفهم أنّهم لايرثونه و لاعرف عليّاً «عَلَيْهِ‌السَلام» و لاالعبّاس و لا أحداً من بني هاشم و لاأزواجه، و لاسمعوا و لا أحد منهم بذلك مدّة حياة نبيّهم و لابعد وفاته حتّى خرج بعضهم يطلب ميراثه، و بعضهم يرضى بذلك الطّلب، و تبذلوا و تبذلت ابنته فاطمة المعظّمة سيّدة نسآء العالمين، فطلبت على قولهم ظلم جميع المسلمين.

لا سيّما و قد روى الحميدي في الجمع بين الصّحيحين في مسند أبي بكر من المتّفق عليه في الحديث السّادس: أنّ فاطمة عليها السلام و العبّاس أتيا أبابكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله «عَلَيْهِ‌السَلام» و هما حينئذ يطلبان أرضه من فدك و سهمه من خيبر...» الخبر في (صحيح مسلم: ج ٣ ص ١٣٨).

و روى أيضاً الحميدي في الجمع بين الصّحيحين من مسند عائشة في الحديث الثّالث و الأربعين من المتّفق عليه: أنّها قالت: إنّ أزواج النّبيّ «عَلَيْهِ‌السَلام» حين توفّى رسول الله «عَلَيْهِ‌السَلام» أردن أن يبعثن عثمان بن عفّان إلى أبي بكر فيسئلنه ميراثهنّ...» الحديث في (صحيح مسلم: ج ٣ ص ١٣٧٩).

قال عبدالمحمود: كيف يقبل العقول، و يقتضي العوآئد أنّ نبيّهم يعلم أنّه لايورّث و يكتم ذلك عن ورّاثه ونسآئه و خاصّته أنّ ذلك دليل واضح على أنّه قدكان موروثاً على اليقين، و أنّهم دفعوا فاطمة عليها السلام، و ورّاثه بالمحال الّذي لايخفى على أهل البصآئر و الدّين.

و من طريف ذلك أن يكون بنو هاشم و أزواجه و ابنته مشاركين لمحمّد «عَلَيْهِ‌السَلام» نبيّهم في سرّه و جهره و مطّلعين على أحواله، و يستر عنهم أنّهم لايستحقّون ميراثه، و يعلم ذلك أبوبكر و من وافقه من الأباعد، و ليس لهم ما لبني هاشم من الاختصاص به و المخالطة له ليلاً و نهاراً و سرّاً و جهراً، انّ ذلك من طرائف ما يقال عن هؤلآء القوم من ارتكاب المحال.

هل ترك رسول الله «صلى الله عليه وآله» الوصيّة أم ترك الوصيّة للأقربآء، وأوصى للأغربآء خلافاً لكتاب الله جلّ وعلا إذ يقول: «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين و الأقربين بالمعروف حقّاً على المتّقين» البقرة: ١٨٠).

و من طريف ذلك أنّ محمّداً «صلى الله عليه وآله» نبيّهم يبلغ الغايات من الشّفقة على الأباعد و قد تضمّن كتاب الله جلّ وعلا إذ يقول: «لقد جآءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» التّوبة: ١٢٨) فيصفه الله بهذه الرّأفة و الرّحمة و يشهدون بتصديق ذلك، فكيف يقال عن هذا الشّفيق الرّؤف الرّحيم أنّه ترك الشّفقة على مثل ابنته و عمّه و أزواجه و بني هاشم ولم يعرفهم أنّهم لا يستحقّون ميراثه و يعرف بذلك الأباعد حتّى يجري ما جرى، أنّ ذلك من عجيب المناقضات و طريف المقالات...

و من طريف ذلك أنّ أبابكر قد أقسم في الحديثين المذكورين أنّه لا يغيّر ما كان من ذلك على عهد رسول «صلى الله عليه وآله». و قد روى الحميدي في الجمع بين الصّحيحين من مسند جبير بن مطعم في الحديث الثّالث من أفراد البخاري (ج ٤ ص ١٥٥) قال: جآء جبير بن مطعم و عثمان بن عفّان إلى النّبيّ «صلى الله عليه وآله» يكلّمانه فيما فيه من خمس خيبر من بني هاشم و بني عبدالمطّلب، فقالا: يا رسول الله قسمت لإخواننا بني عبدالمطّلب ولم تعطنا شيئاً، و قرابتنا مثل قرابتهم بها، و قال رسول اللّه: إنّما أرى هاشماً و عبدالمطّلب شيئاً واحداً، قال جبير: و لم يقسم رسول الله لبني عبد شمس و لا لبني نوفل من ذلك الخمس شيئاً. و زاد حرملة عن ابن وهب عن يونس، قال ابن شهاب: و كان أبوبكر يقسم الخمس نحو قسم النّبيّ «صلى الله عليه وآله» غير أنّه لم يكن يعطي قرابة رسول الله كما كان رسول الله يعطيهم.

ثمّ رأيت في نسخة الحميدي و أنّ هذه صورتها، ثمّ قال: «أظنّه كان يزيدهم» قال ابن شهاب: و كان عمر يعطيهم منه و عثمان بعده.

قال عبد المحمود بن داود: و قد استطرفت و استعظمت يمين أبي بكر و دفعه لفاطمة عليها السلام أنّه يعمل في خمس خيبر كما عمل رسول الله «صلى الله عليه وآله» و أنّه لا يغيّر ذلك، ثمّ شهادتهم على أبي بكر في هذا الحديث الصّحيح أنّه غيّر ذلك، و ما كان يقسم خمس خيبر

بعد نبيّهم محمّد ﴿ﷺ﴾ في قرابته كما كان يقسمها نبيّهم في حياته، و هذا من عظآئم الامور الّتي تدلّ على سوء أحوال الفاعلين و الرّاضين بالامور المذكورة.

و من طريف ذلك اعتذار الحميدي لأبي بكر و قوله: «أظنّه كان يزيدهم» فهب أنّه كان يزيدهم أما ذلك خلاف ما كان يفعل رسول الله في خمس خيبر، ثمّ إن كان لأبي بكر أن يفعل ذلك فهلّا أعطى لفاطمة عليها السلام فدكاً و العوالي بالحجّة الّتي يزيد بها قرابة نبيّهم بعد وفاته، و غير ما ذكر أنّه لا يغيّره من عاداته، أما لهؤلآء المسلمين عقول يفكّرون في مناقضات هذا المنقول.

و من طريف الحديثين المذكورين، و مارووه و صحّحوه في ضدّ ذلك ما رواه الحميدي في الجمع بين الصّحيحين في الحديث الحادي و الثّلاثين من المتّفق عليه من مسند عبدالله بن عبّاس في جواب ما كتب إليه نجدة بن عامر الحروري و هو من رؤسآء الخوارج، قال: و كتبت تسئلني عن الخمس لمن هو؟ و إنّا كنّا نقول: هو لنا، فأبى علينا قومنا ذلك» رواه مسلم في (صحيحه: ج ۳ ص ۱٤٤٤).

قال عبد المحمود: فهذه شهادة عبدالله بن عبّاس فيما صحّحوه أنّ فاطمة و عليّاً و الحسنين عليهم السلام قد منعوا من الخمس، و في ذلك ما فيه لمن كان له قلب عاقل و نظر فاضل. و من طريف الحديثين المذكورين: أنّهما قد تَضمنّا أنّ فاطمة بنت نبيّهم هجرت أبابكر و أنّه أغضبها، و تأذّت بذلك و بقيت على هجرانها له ستّ أشهر حتّى ماتت.

في صحيح مسلم (ج ٤ ص ۱۹۰۳) قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «إنّما فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها» و في صحيح البخاري (ج ٥ ص ۳٦) قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني».

و من العجآئب أنّ أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّومة و أذنابهم يشهدون بصحّة هذه الرّوايات ثمّ يهونون ما جرى على الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها من المظالم الهائلات... فليتهم حيث هان عندهم تألّمها و ظلمها كانوا تركوا الرّوايات بتزكيتها أو ليتهم حيث صحّحوا ما رووه في تعظيمها في الدّنيا و الآخرة كانوا قد استعظموا ظلمها.

و ما يقولون لو أنّ محمّداً﴿صلى الله عليه وآله﴾ أباها رآها و هي تبكي و تقول ما تقول و تخطب في مسجده﴿صلى الله عليه وآله﴾ أكان يغضب لغضبها كما رووه في صحاحهم و مسانيدهم أوكان يرضى عنهم؟

و لا أظن أن يشكّ من له أدنى مسكة و دراية و طيب ولادة أنّه﴿صلى الله عليه وآله﴾ كان يشقّ عليه غضبها و يهجرهم بهجرانها و يستعظم إقدامهم على تكذيبهم لها و ظلمها و كسرها و هضم حقّها، و هتك حرمتها و إسقاط منزلتها و جنينها. فاختر لنفسك أيّها القاريء المشفق على نفسك، هل توافق رسول الله﴿صلى الله عليه وآله﴾ في ذلك و يكون لك فيه أُسوة حسنة، أو تكون في زمرة من أغضبها و أغضبه.

﴿عدم توريث الأنبيآء عليهم السلام حديث مختلق
و وجه منافاته للكتاب و السّنّة﴾

قال الله عزّوجلّ: «يوصيكم الله في أولادكم للذّكر مثل حظّ الأُنثيين ـ تلك حدود الله و من يطع الله و رسوله يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها و ذلك الفوز العظيم و من يعص الله و رسوله و يتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها و له عذاب مهين» النّسآء: ١١ ـ ١٤).

و قال: «إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين و الأقربين بالمعروف حقّاً على المتّقين فمن بدّله بعد ماسمعه فإنّما إثمه على الّذين يبدّلونه إنّ الله سميع عليم» البقرة: ١٨٠ ـ ١٨١).

و قال: «و اولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إنّ الله بكلّ شيءٍ عليم» الأنفال: ٧٥).

و قال حكاية عن زكريّا ﴿عليه السلام﴾: «و إنّي خفت الموالي من ورآئي و كانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليّاً يرثني و يرث من آل يعقوب و اجعله ربّ رضيّاً» مريم: ٥ ـ ٦).

و قال: «و زكريّا إذنادىٰ ربّه رَبِّ لاتذرني فرداً» الأنبيآء: ٨٩).

و قال: «و ورث سليمان داود» النّمل: ١٦).

و قال: «و ما يعلم تأويله إلاّ الله و الرّاسخون في العلم» آل عمران: ٧).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين يعسوب الدّين الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾: «أين الّذين

زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا؟ كذباً و بغياً علينا...» الخطبة: ١٤٤)

و فيه: قال سيّد الوصيّين إمام المتّقين علي بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «فأين تذهبون؟ و أنّى تؤفكون؟ و الأعلام قائمة! و الآيات واضحة! و المنار منصوبه! فأين يُتاه بكم؟ بل كيف تعمهون و بينكم عترة نبيّكم؟! و هم أزمّة الحقّ و أعلام الدّين و ألسنة الصّدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن و ردوهم ورود الهيم العطاش ـ فلا تقولوا بما لاتعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون، و أعذروا من لاحجّة لكم عليه، و أنا هو، ألم أعمل فيكم بالثّقل الأكبر، و أترك فيكم الثّقل الأصغر، و ركزت فيكم راية الايمان و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام...» الخطبة: ٨٦).

و من البيّن لمن له أدنى مسكة و دراية، و فقاهة و طيب ولادة: أنّ حديث نفي توريث الأنبيآء عليهم السلام الّذي انفرد به أبوبكر بن أبي قحافة غاصب فدك و الخلافة ينافي الكتاب و السّنّة و سيرة الأنبيآء و إجماع الأمم، و ضرورة العقل جميعاً، و لكنّ الاستبداد بالرّأي لحبّ المُلك و الرّئاسة، و شهوة الجاه و المقام و الاشتهار و العصبيّة الجاهليّة... لايخضع و لايعترف بشيئ من ذلك كلّه، لأنّ حبّ الشّيئ يُعمي و يُصِمّ.

و إنّي لا أظنّ انّ أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّومة و أذنابهم إلى يومنا هذا لايعلمون ذلك، بل هم لايعترفون بذلك الاّ من رحمه الله تعالى و نجاه من حفرة الكفر و الضّلالة، من لجّة الانحطاط و الدّنآئة، و من ورطة الجهل و الحماقة... ككثير من المستبصرين في طيلة تاريخ الإسلام.

في تفسير العيّاشي: عن أبي جميلة المفضّل بن صالح عن بعض أصحابه عن أحدهما عليهما السلام قال: «إنّ فاطمة عليها السلام انطلقت إلى أبي بكر فطلبت ميراثها من نبيّ الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فقال: إنّ نبيّ الله لايورّث، فقالت: أكفرت بالله و كذبت بكتابه؟ قال الله تعالى: «يوصيكم الله في أولادكم للذّكر مثل حظّ الأنثيين».

و في تفسير التبيان: قال الشّيخ الطّوسي قدّس سرّه: قوله تـعالى: «و إن كـانت واحدة فلها النّصف» يدلّ على أنّ فاطمة عليها السلام كانت مستحقّة للميراث لأنّه عام في كلّ بنت».

و في **تفسير الفخر الرّازي**: روي أنّ فاطمة عليها السلام لمّا طلبت الميراث و منعوها منه احتجّوا بقوله «عليه السلام»: «نحن معاشر الأنبيآء لانورّث ما تركناه صدقة» فعند هذا احتجّت فاطمة عليها السلام بعموم قوله تعالى: «للذّكر مثل حظّ الانثيين» و كأنّها أشارت إلى أنّ عموم القرآن لايجوز تخصيصه بخبر الواحد.

ثمّ قال الفخر: و إنّ الشّيعة قالوا: عدم الجواز من ثلاثة اوجه:

أحدها ـ أنّه على خلاف قوله تعالى حكاية عن زكريّا «عليه السلام»: «يرثني و يرث من آل يعقوب» مريم:٦) و قوله تعالى: «و ورث سليمان داود» النّمل:١٦) قالوا: و لايمكن حمل ذلك على وراثة العلم و الدّين لأنّ ذلك لايكون وراثة في الحقيقة، بل يكون كسباً جديداً مبتداً، إنّما التّوريث لايتحقّق إلاّ في المال على سبيل الحقيقة.

و **ثانيها** ـ أنّ المحتاج إلى معرفة هذه المسئلة ما كان إلاّ فاطمة و عليّ و العبّاس، و هؤلآء كانوا من أكابر الزّهّاد و العلمآء و أهل الدّين، و أمّا أبوبكر فإنّه ما كان محتاجاً الى معرفة هذه المسئلة ألبتّة لأنّه ما كان ممّن يخطر بباله أنّه يرث من الرّسول «عليه السلام» فكيف يليق بالرّسول «عليه السلام» أن يبلغ هذه المسئلة من لاحاجة به إليها، و لايبلغها إلى من له إلى معرفتها أشدّ الحاجة.

و **ثالثها** ـ يحتمل أنّ قوله: «ما تركناه صدقة» صلة لقوله: «لانورّث» و التّقدير: أنّ الشّيئ الّذي تركناه صدقة، فذلك الشّيئ لايورث.

فإن قيل: فعلى هذا التّقدير لايبقى للرّسول خاصّيّة في ذلك؟

قلنا: بل تبقى الخاصّيّة لاحتمال أنّ الأنبيآء إذا عزموا على التّصدّق بشيئ، فبمجرّد العزم يخرج ذلك عن ملكهم، و لايرثه وارث عنهم. و هذا المعنى مفقود في حقّ غيرهم.

ثمّ قال الفخر: إنّ من الأحاديث المشهورة عن رسول الله «عليه السلام»: إذ روي لكم عنّي حديث فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافقه فاقبلوه و إلاّ فردّوه»

ثمّ قال: إنّ هذا الخبر يقتضي أن لايقبل خبر الواحد إلاّ عندموا فقة الكتاب.

و في **صحيح البخاري**: في غزوة خيبر. و في صحيح مسلم ـ كتاب الجهاد ـ باب قول النّبيّ «عليه السلام»: «لانورّث ما تركناه صدقة»: عن عائشة «إنّ فاطمة بنت رسول الله

أرسلت إلى أبي بكر تسئله ميراثها من رسول الله ﴿ﷺ﴾ ممّا أفآء الله عليه بالمدينة و فدك و ما بقي من خمس خيبر، فقال أبوبكر: إنّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: لانورّث ما تركناه صدقة إنّما يأكل آل محمّد في هذا المال، و إنّي والله لاأُغيّر شيئاً من صدقة رسول الله عن حالها الّتي كانت عليها في عهد رسول الله و لأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله ﴿ﷺ﴾ فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً فوجدت من ذلك على أبي بكر و هجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت».

رواه أبوبكر الجوهري البصريّ في كتابه: (السّقيفة و فدك) و ابن أبي الحديد في شرح النهج و غيرهما.

و في صحيح مسلم في (الباب المذكور آنفاً): «إنّ فاطمة سئلت أبابكر بعد وفاة رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله ﴿ﷺ﴾ ممّا أفآء الله عليه، فقال لها أبوبكر: إنّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «لانورّث ما تركناه صدقة، و كانت فاطمة تسئل أبابكر نصيبها ممّا ترك رسول الله ﴿ﷺ﴾ من خيبر و فدك و صدقته بالمدينة، فأبى أبوبكر عليها ذلك، و قال: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يعمل به إلاّ عملت به إنّي أخشى أن تركتُ شيئاً من أمره أن أزيغ، فأمّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى عليّ و عبّاس، فغلبه عليها عليّ، و أمّا خيبر و فدك فأمسكها عمر، و قال: هما صدقة رسول الله ﴿ﷺ﴾ كانتا لحقوقه الّتي تعروه و نوآئبه و أمرهما إلى مَن ولي الأمر قال: فهما على ذلك إلى اليوم».

و لايخفى على القاري الخبير: أنّ هذين القولين يدلاّن على أنّ متروكات النّبيّ ﴿ﷺ﴾ كانت صدقة في أيّامه، و هذا متناقض لكلام أبي بكر، فلا يعتمد عليه لأنّ متروكات النّبيّ ﴿ﷺ﴾ لوكانت من الصّدقات في زمانه، لماكان محلّ لروايته: «أنّ الأنبيآء لايورثون» إذ لاميراث حتى يحتاج إلى رواية هذا الحديث، و إن كانت ملكاً لرسول الله ﴿ﷺ﴾ كان خوف أبي بكر من مخالفة عمل النّبيّ ﴿ﷺ﴾ تقشفاً كاذباً لأنّ عمل رسول الله ﴿ﷺ﴾ حيث وقع كان بنحو الملك، فلا يلزم أبابكر أن يعمل كعمله، و قد صارت بزعم أذناب أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة صدقة من سائر صدقات المسلمين الّتي يجوز لأبي بكر أن يخصّص بعضهم فيهاكما خصّ هو عليّاً بسلاح النّبيّ ﴿ﷺ﴾ و بغلته بعنوان الصّدقة كما

ادّعوه، و خصّ عمر عليّاً و العبّاس بصدقة المدينة. و يدلّ أيضاً أنّ أبابكر و حليفه عمر قد اتّخذا فدكاً و خيبر طعمة لأنفسهما، و منعا فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها فدكاً و سهمها من خيبر.

قال بعض أذناب السّقيفة: إنّ المراد من الميراث الوارد في النّصوص على أنّ الأنبيآء يورّثون كقوله تعالى: «و ورث سليمان داود» النّمل: ١٦) هو ميراث العلم و النّبوّة و الحكمة، كما أنّ المراد من الميراث في دعآء زكريّا (عليه السلام) هو ميراث النّبوّة و الحبورة، و إلّا لم يستجب دعاؤه لأنّ يحيى قتل قبل زكريّا، فلا يصحّ حمله على إرث المال، و هو لم يرث منه.

أقول: و هذا مردود فانّه مخالف للظاهر و غير صحيح عقلاً لأنّ سليمان كان نبيّاً في حياة نبيّه داود عليهما السلام فكيف يرث منه النّبوّة الّتي ليست بالوراثة، و كذا العلم لقوله سبحانه: «و لقد آتينا داود و سليمان علماً ـ و ورث سليمان داود» النّمل: ١٥ ـ ١٦) فإنّه يدل على أنّ كلاً منهما قد أوتي علماً بالأصالة لا بالوراثة، و لذا قال تعالى: «ففهّمناها سليمان» الأنبياء: ٧٩) فقوله عزّوجلّ: «و ورث» يدلّ على أنّه ورثه من أمر آخر غير العلم، و ينصرف إلى المال، و إنّما بيّن سبحانه إرثه للمال للدّلالة على أنّه بقي بعده، و أنّ الأنبيآء تورّث المال و ترث منه.

و أمّا ما ذكره في دعآء زكريا (عليه السلام) فمردود أيضاً بوجوه:

منها: أنّ إرادة النّبوّة و الحبورة من الميراث تخالف النّصوص المتضافرة الواردة عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و شيعتهم جميعاً، و أكثر آرآء مفسّري العامّة. قال الرّازي في تفسير الآية الكريمة: «اختلفوا في المراد بالميراث على وجوه:

أحدها ـ أنّ المراد بالميراث في الموضعين هو وراثة المال، و هذا قول ابن عبّاس و الحسن و الضّحّاك.

و **ثانيها** ـ أنّ المراد في الموضعين وراثة النّبوّة و هو قول أبي صالح.

و **ثالثها** ـ يرثني المال و من آل يعقوب النّبوّة و هو قول السّدي و مجاهد و الشّعبي و روي أيضاً عن ابن عبّاس و الحسن و الضّحّاك.

و رابعها ـ يرثني العلم، و يرث من آل يعقوب النّبوّة. و هو مرويّ عن مجاهد».

و حكى السّيوطى في الدّرّ المنثور عن الفرياني أنّه أخرج عن ابن عبّاس قال: «كان زكريّا لايولدله، فسئل ربّه، فقال: «ربّ هب لي من لدنك وليّاً يرثني و يرث من آل يعقوب» قال: يرثني مالي و يرث من آل يعقوب النّبوّة».

و منها: أنّ الدّعوى على قتل يحيى قبل موت أبيه باطلة لأنّها من قبيل الدّعوى على خلاف ما أنزل الله عزّوجلّ إذقال تعالى حكاية عن زكريّا «عليه السلام»: «إنّي خفت الموالي من ورآئي فهب لي من لدنك وليّاً يرثني» مريم: ٥ ـ ٦) فإنّه يستلزم بمقتضى استجابة دعاء زكريّا أن يكون يحيى حيّاً بعد فوت أبيه لأنّ الوراثة تستدعي حياة الوارث بعد موت المورّث.

و منها: أنّه لابدّ من حمل الآية الكريمة على ميراث المال لاالنّبوّة و العلم و الحكمة لوجوه:

الأول: أنّ يحيى كان نبيّاً في حياة أبيه و هو صبيّ لقوله تعالى: «يا يحيى خذالكتاب بقوّة و آتيناه الحكم صبيّاً» مريم: ١٢) فلا معنى لأن يكون وارثاً للنّبوّة من أبيه مع أنّ نبوّة الأنبيآء و علمهم و حكمتهم لدنيّة، و ليست باكتسابيّة بالتّعلّم أو بالميراث...

قال الله تعالى في عيسى بن مريم «عليه السلام»: «و يعلّمه الكتاب و الحكمة و التّوراة و الإنجيل» آل عمران: ٤٨).

و قال في رسول الله «صلى الله عليه و آله» و الأنبيآء عليهم السلام: «و أنزل الله عليك الكتاب و الحكمة و علّمك مالم تكن تعلم ـ إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح و النّبيّين من بعده...» النّسآء: ١١٣ و ١٦٣).

و قال: «و انّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار» ص: ٤٧).

الثّاني: أنّ الموالي كانوا شرار بني إسرآئيل، فلا يجوز أن يرثوا النّبوّة حتّى يخافهم من ورآئه، و يدعوأن يهب الله تعالى له وارثاً غيرهم، و لو فرض إمكان نبوّتهم فلا وجه لخوفه من إرثهم للنّبوّة إلاّ البخل بنعمة الله تعالى على الغير و هو كما ترى، بل ينبغي سروره بذلك لخروجهم من الضّلال إلى الهدى، و دعوى أنّه ما خاف أن يرثوا النّبوّة بل

خاف أن يضيعوا الدّين و يغيّروه، فدعا ربّه أن يهب له ولداً حافظاً للدّين مانعاً لهم عن الفساد ممنوعة لبعدها عن سياق الآيات و خصوصيّات الكلام الّتي منها أنّه طلب وليّاً و هو لا خصوصيّة له في تحصيل هذا الغرض، و طلب أن يكون رضيّاً من دون قيد التمكّن من دفعهم عن الفساد.

الثالث: أنّه لو كان المراد و لداً وارثاً للنّبوّة لكان دعاؤه أن يجعله رضيّاً فضولاً إذ لاتكون النّبوّة إلاّ لرضى، و الحال أنّ ظاهره التّقييد كما يشهد له ما حكاه السّيوطي في الدّرّ المنثور عن ابن أبي حاتم أنّه أخرج عن محمّد بن كعب قال: «قال داود: يا ربّ هب لي ابناً، فولد له ابن خرج عليه، فبعث له داود جيشاً ـ إلى أن قال ـ: ربّ إنّي سئلت أن تهب لي ابناً فخرج عليّ؟ قال: انّك لم تستثن» قال محمّد بن كعب: لم يقل كما قال زكريّا: «و اجعله ربّ رضيّاً».

هذا و لا يستبعد من زكريّا أن يطلب وارثاً لماله، و إن لم يدخل المال تحت نظر الأنبيآء لأنّه خاف أن يرث الموالي ماله، فيستعينون به على معاصي الله تعالى، و لا يشكل بأنّه إذا خاف ذلك أمكنه أن يتصدّق بماله، فيحصل له ثواب الصّدقة، و يتمّ غرضه، و ذلك لأنّه لا يرجح أن يفقر الإنسان نفسه باختياره ابتداء منه، و كلّما نال مالاً أخرجه في آنه. قال الله تعالى: «و لاتبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً» الإسرآء: ٢٩) على أنّ طلب الولد الصّالح الّذي يتعاهد أباه بماله و نتآئجه و عمله أولى من الصّدقة.

في شرح ابن أبي الحديد: قال: المرتضى: «و ممّا يقوى ما قدّمناه: أنّ زكريّا «عليه السلام» خاف بني عمه، فطلب وارثاً لأجل خوفه، و لا يليق خوفهم إلاّ بالمال دون العلم و النّبوّة لأنّه «عليه السلام» كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبيّاً ليس بأهل للنّبوّة، أو أن يورث علمه و حكمه من ليس أهلاً لها».

و في فلك النجاة: (ج ١ ص ٣٧٧ ط هند) قال المولويّ اللّاهوريّ: «السّابع: أنّ الأنبيآء السّابقين قد ورثوا أبآءهم كما قال الثّعلبي في (عرآئس المجالس: ص ٤٠٠): «و ورث سليمان داود» النّمل: ١٦) يعنى نبوّته و حكمته و علمه و ملكه» و في البيضاوي، و الكشّاف، و بحر المعاني، و المدارك، و المعالم، و ربيع الأبرار للزّمخشري، تحت قوله تعالى: «إذ عرض

عليه» ص: ٣١) الآية ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس...» قال النّووي في (ص ٤٣٤) عن الحسن البصري: «يرثني و يرث من آل يعقوب» المراد وراثة المال، و لو أراد وراثة النّبوّة لم يقل: «و إنّي خفت الموالي من ورآئي...» الآية إذ لايخاف الموالي على النّبوّة.

قال ابن عبّاس و مجاهد و قتادة و أبوصالح و ابن جرير: خاف زكريّا أن يرثوا ماله. و قال ابن جرير في قوله تعالى: «هب لي من لدنك وليّاً يرثني»: يقول زكريا: فارزقني من عندك ولداً وارثاً و معيناً، يرثني من بعد وفاتي مالي، و يرث من آل يعقوب النّبوّة.

فقد جآئت الآيات الكريمة في ذكر الميراث بشكل مطلق دون أن يستثنى الأنبيآء منه كقوله عزّوجلّ: «يوصيكم الله في أولادكم للذّكر مثل حظّ الأُنثيين» النّسآء: ١١).

و ورثت الأنبيآء الّذين سبقوا محمّداً رسول الله ﴿ﷺ﴾ كقوله تعالى: «و ورث سليمان داود» النّمل: ١٦).

و قوله سبحانه: «يرثني و يرث من آل يعقوب» مريم: ٦).

و لقد أشارت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها إلى ذلك كلّه في مناقشتها لأبي بكر غاصب الخلافة بمحضر جماعة من الصّحابة، ثمّ ختمت محاورتها مع هذا الغاصب الجاهل قائلة:

«فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك... فنعم الحكم الله... و الموعد القيامة، و عند السّاعة يخسر المبطلون...».

«يابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك و لاأرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريّاً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله و نبذتموه ورآء ظهوركم؟

ألم تسمع قوله تعالى: «و اولوا الأحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله؟

أخصّكم الله بآية أخرج أبيها منها؟ أم تقولون: أهل ملّتين لايتوارثان؟

أولست أنا و أبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبي و ابن عمّي؟

و لمّا رأت الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام أنّ غاصب الخلافة و جاهل الكتاب و السّنّة، و مخالف سيرة الأنبيآء و ضرورة العقل يصرّ على رأيه المستبد تركت الأمر و أعرضت عنه.

و يلوح للباحث الخبير أنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها كانت عارفة منذ البداية أنّ غاصب الخلافة لا يعيدلها فدك، و أنّها ذهبت إليه لإلقآء الحجّة و إتمامها عليه و على أذنابه إلى يوم القيامة، و تعلن عليهم أنّها لم تعرف من حيث الأساس بشرعيّة خلافته، و أنّ الشّخص الّذي له القدرة و الجرأة على غصب الخلافة من صاحبها الشّرعي فهو أقدر على غصب فدك و أمثالها من صاحبها، و أنّ غصب الخلافة و فدك من صاحبها لا يدلّ على كون الغاصب حقّاً و أنّه صاحبها شرعاً أبداً.

و إذا أمعن القاريء الخبير في الحديث المختلق الّذي تقوّل به أبوبكر غاصب الخلافة و فدك، هادم أساسي الإسلام ـ في ضوء سيرة النّبيّ الكريم «صلى الله عليه و آله» بصورة عامّة أمكنه أن يقول:

إنّ رسول الله «صلى الله عليه و آله» لم يستثن نفسه من الخضوع للقواعد العامّة الّتي جآء بها الإسلام.

فما عرف عنه أنّه قال: «نحن معاشر الأنبيآء لانصلّي أو لانصوم...» فكيف يعزل نفسه عن نصب الخليفة بعد وفاته، و الخلافة بعدها هي روح الإسلام أوّلاً، ثمّ يعزل عن ميراث فدك بعد وفاته و هي جسم الإسلام، فأهدم بنفسه أساسي الإسلام روحاً و جسماً؟! فهل لقضيّة فدك جانب سياسيّ؟ هل قصد رسول الله «صلى الله عليه و آله» بذلك إخضاع إبنته الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها و زوجها أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» لأوامر غاصب الخلافة لإرغامها على الاعتراف بخلافته الّتي قابلاها بالصّدود و الإمتعاض؟

و هل لهذا الموضوع جانب اقتصاديّ؟ هل قصد بذلك حرمان عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» من التّمتّع بواردات فدك و هي مورده الوحيد، لكيلا يصبح مكتفياً من النّاحية الاقتصاديّة، و ليصرفه ذلك عن المطالبة بالخلافة ؟

هل لموضوع فدك جانب ماليّ يتّصل بوضع الدّولة الإسلاميّة آنذاك و حاجتها إلى المال لمواجهة الّذين اتّهموا بالارتداد عن دفع الزّكاة؟

هل لقضيّة فدك جانب معنويّ يتعلّق بمحاولة تضعيف موقف آل النّبيّ الكريم «صلى الله عليه و آله» عند عامّة المسلمين؟ فيقال: إنّ رسول الله «صلى الله عليه و آله» قد حرمهم كلّ شيً حتّى ميراثه من فدك؟ فتضعف حجّتهم بالمطالبة بالخلافة؟ هل لموضوع فدك أكثر من عامل واحد؟ ثمّ

لماذا وضع رسول الله ﴿ﷺ﴾ ـ إن صحّ الحديث الّذي استشهد به غاصب الخلافة ـ صيغته بهذا الشّكل من الإطلاق بحيث جعله يشمل معاشر الأنبيآء كافّة؟ ما الهدف الّذي كان يرمى إليه رسول الله ﴿ﷺ﴾ من هذا الحديث؟

هل كان يخشى رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن تتصرّف ابنته الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها بعوائد فدك في غير أوجهها السّليمة! و إذا كان الأمر كذلك فلماذا وضعها تحت تصرّفها في حياته!! و لماذا أمر الله تعالى رسوله ﴿ﷺ﴾ بإيتاء فدك فاطمة الزّهرآء عليها السّلام!

و يجمل بنا قبل أن نتصدّى لبحث فدك من ناحية النّحلة أن ننبّه القاريء إلى أنّنا عثرنا على نقاش رائع من حيث الفكرة و الأسلوب حصل بين قاضي القضاة و الشّريف المرتضى ذكره ابن أبي الحديد، فالقاضي العامّي ينفي توريث الأنبيآء، و المرتضى الشّيعي يثبته، و العامّي يدلّل على رأيه بأنّ ما ورد في القرآن لا يتضمّن إلاّ وراثة العلم و النّبوّة والحكمة، و الشّيعى يبرهن على أنّ الإرث يتضمّن المال و العقار أوّلاً، و من ثمّ العلم و النّبوّة من باب التّجوّز، و إنّ كلمة ميراث في اللغة، و ما يتّصل بها من المشتقّات تعنى ميراث الامور المعنويّة من باب التجوّز و الاتّساع، و أنّ الدّلالة إذا دلّت في بعض الألفاظ على معنى المجاز فلا يجب أن يقتصر عليه، بل يجب أن نحمل معناها على الحقيقة الّتي هي الأصل إذا لم يمنع من ذلك مانع، و إذا فرضنا جدلاً أنّ الميراث يقتصر على العلم و النّبوّة و الحكمة، ألا يكون آل النّبيّ الكريم ﴿ﷺ﴾ بحكم ذلك الميراث أولى من غيرهم بالخلافة!

ذلك ما يتّصل بموضوع فدك من ناحية الميراث.

أمّا ما يتصل به من ناحية النّحلة فقد ذكرت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها لأبي بكر الغاصب.

أنّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ قدوهبها فدك، فطلب أبوبكر منها البيّنة على ذلك، فقدّمت له عليّاً ﴿ﷺ﴾ و أمّ أيمن ـ مربّية رسول الله ﴿ﷺ﴾ ـ فلم يلتفت إلى ذلك، و بدا كالمشكك في شهادة سيّدة، قمين بأبي بكر أن يسموبها عن التشكّك، فليس من المتوقّع أن تكذب الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام على أبيها بعده بعشرة أيّام فقط، و في مسئلة تافهة كفدك، أو أن تكذب أم أيمن العجوز الجليلة الّتي رافقت رسول الله ﴿ﷺ﴾ من المهد إلى اللحد ـ أمّ

أيمن الّتي خرجت مهاجرة إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ من مكّة إلى المدينة، و هي ماشية، و ليس معها زاد ـ أمّ أيمن زوج زيد بن حارثة مولى النبيّ الكريم ﴿صلى الله عليه وآله﴾، و أمّ أُسامة بن زيد!! أو أن يكذب عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾!

و لاندري كيف فات أبابكر ـ و الملك عقيم و حبّ الشّيئ يعمي و يصمّ ـ أن يتذكّر أنّ الله تعالى قد أنزل قرآناً في عليّ بن أبيطالب و فاطمة الزّهرآء عليها السلام و أذهب عنهما الرّجس و طهّرهما تطهيراً.

و قد كان المتوقّع أن يكتفى أبوبكر ـ لولا أنّ حبّ الشّيئ يعمي و يصمّ ـ برواية الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام وحدها كما اكتفى أبوها قبل ذلك حين نازعه أعرابيّ في ناقة ادّعى كلّ منهما أنّها ناقته، فشهد خزيمة بن ثابت لرسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فأجاز شهادته، و جعلها شهادتين فسمّى ذاالشّهادتين: و لكن موضوع الصّدّيقة الطّاهرة ـ مع هذا لايحتاج إلى شهود ـ ذلك لأنّها روت رواية عن أبيها، كما روى أبوبكر رواية اخرى على فرض صحتها، و أنّ الصّدّيقة الطّاهرة لم تطلب منه البيّنة على ما ادّعاه على الرّغم من يقينها في اختلاقه لأنّها تعلم عين اليقين أنّ الملك أعماه و أصمّه، و أمّا الشّهود فموقعهم في الدّعوى.

استمع إلى قوله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمّى فاكتبوه ـ و استشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل و امرأتان» البقرة: ۲۸۲).

و الحجّة الّتي نستند إليها في أهمّيّة شهادة الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام أنّ موقفها عند رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ـ من حيث صدقها ـ لايقلّ، على أسوإ الفروض، عن موقع خزيمة بن ثابت.

و يصدق الشّيئ نفسه على أمّ أيمن، و عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ الّذي لم يعرف عنه قطّ إلاّ اتّباع الحقّ و قول الصّدق. فموقف أبي بكر غريب في بابه، و أغرب منه أنّه ترك سيف رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و نعله و عمامته، في يد عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ على سبيل النّحلة بغير بيّنة ظهرت و لاشهادة قامت، كما أنّه لم ينتزع من عليّ ﴿عليه السلام﴾ الخاتم و السّيف اللّذين و هبهما له رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أثناء مرضه، و لم يطالب كذلك بثياب رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ الّتي مات فيها، فأخذتها فاطمة الزّهرآء عليها السلام بعد موته ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و لايحجر رسول

الله«ﷺ» الّتي بقيت بيد نسآئه، ألم تكن تلك الأشيآء متروكات النبيّ«ﷺ» لابدّ و أن تكون صدقة إذ لم يستثن«ﷺ» شيئاً منها حسب رواية أبي بكر: «نحن معاشر الأنبيآء لانورّث ما تركناه صدقة».

و لم يطلب أبوبكر من جابر على ما رواه البخاري في (صحيحه: ج ٣ ص ١٨٠) البيّنة على دعواه حين زعم أنّ رسول الله«ﷺ» وعده بإعطائه مقداراً معيّناً من المال، بل سلّمه إيّاه عندما ورده مال من قبل العلاء بن الحضرمي، كما أنّ أبابكر أيضاً لم يطلب البيّنة ـ عندما قدم عليه مال من البحرين ـ من أبي بشير المازني حين ادّعى أنّ النّبيّ«ﷺ» قال له: إذا جاء ناشئ فأتنا، و إنّما دفع له حفنتين أو ثلاثاً من ذلك المال.

و إذا كان النّبيّ الكريم«ﷺ» لايورّث و ما تركه صدقة، فكيف يجوز أن يواري جثمانه في الحجرة الّتي كانت تسكنها زوجته عائشة بنت أبي بكر غاصب الخلافة؟ لأنّ تلك الحجرة قد أصبحت صدقة بعد وفاة رسول الله«ﷺ» مباشرة بحكم ذلك الحديث.

ثمّ كيف نوفّق بين ذلك الحديث، و الحديث الآخر الّذي انفرد بذكره أبوبكر القائل بأنّ الأنبيآء يدفنون حيث يقبضون؟ أفي الحديث ناسخ و منسوخ؟ ثمّ كيف نفذ أبوبكر محتويات «الحديثين» على تناقضهما؟

و بقدر ما يتعلّق الأمر بالحديث الثّاني يمكننا أن نقول: إنّ النّبيّ يموت في أحد موضعين: ماكان يملكه قبل وفاته! و ماكان يملكه غيره من النّاس. و لايجوز أن يدفن جثمانه في المحلّ الأوّل لأنّه أصبح صدقة على رواية أبي بكر عن النّبيّ«ﷺ» كما لايجوز دفنه في المحلّ الثّاني لأنّ ملكيّته عائدة لغيره، كيف السّبيل إلى الخروج من هذا المأزق الحرج؟

ثمّ كيف جاز لأبي بكر نفسه أن يطلب بدفن جثمانه قرب النّبيّ«ﷺ» في أرض لاحقّ له بها من النّاحية الشّرعيّة؟ و إذا كان دفن جثمان النّبيّ«ﷺ» على الشّكل الّذي ذكرناه مستنداً إلى الحديث الّذي ذكره أبوبكر، فإلى أيّ حديث يستند أبوبكر في طلب دفنه بجوار النّبيّ الكريم«ﷺ» هل قال رسول الله«ﷺ»: يدفن أبوبكر قريباً منه؟!

كل ذلك غريب في بابه، و أغرب منه أنّ بعض المفسّرين قد تكلّفوا فيما بعد تفسير آيات الميراث، فزعموا للرّدّ على من طعن بصحّة الحديث المختلق بأنّ الوراثة المذكورة في

القرآن الكريم مقصورة على العلم و النّبوّة و الحكمة دون سائر الامور تفسيراً برأيهم غافلين عن الحديث المتواتر: قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النّار». و لسنانعلم كيف يورث العلم و النّبوّة و الحكمة و هو أمر يخالف ما ألّفه النّاس من قديم الزّمان، و يتعارض مع أبسط مباديء علم النّفس و علم الاجتماع؟

و أغرب من ذلك كلّه أنّ أبابكر غاصب الخلافة و فدك، يحرم الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها فدكاً ليطبق الحديث الّذي انفرده بذكره في الوقت الّذي يخالف فيه حديثاً آخر أجمع الرّواة على صحّته باعتراف أبي بكر نفسه: «فاطمة بضعة منّي، من آذاها فقد آذاني، و من آذاني فقد آذى الله».

و لاندري بالإضافة إلى ذلك كلّه: كيف فات أبابكر أن يتذكّر موقف رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ من أبي العاص بن الرّبيع زوج زينب بنت خديجة زوج النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ حين أسِرَ في بدر مع المشركين.

و إلى القاريء تلك القصّة، ما رواها ابن الأثير في (الكامل في التاريخ: ج ۲ ص ۹۳ـ۹۵).

وكانت أمّ زينب، هالة بنت خويلد أخت خديجة زوج النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾، فسئله أن يزوّجه زينب ففعل قبل أن يوحى إليه، فلمّا أوحى إليه آمنت به زينب و بق أبو العاص على شركه، و لم يستطع رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ في باديء الأمر أن يفعل شيئاً تجاه زينب المسلمة أو زوجها المشرك، فلمّا هاجر إلى المدينة و وقعت بدر و أسر أبوالعاص و أطلق سراجه، أخبر رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بأنّه سوف يرسل إليه زينب إلى المدينة، فأرسل الرّسول زيدبن حارثة مولاه و رجلاً آخر من الأنصار ليصحبا زينب من مكّة، فلمّا قدم أبوالعاص أمرها باللحاق بالنّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ففعلت ذلك.

وكان في الأسارى أبوالعاص بن الرّبيع بن عبدالعزّى بن عبد شمس زوج زينب بنت خديجة فلمّا بعثت قريش في فداء الأسارى بعثت زينب بفداء أبي العاص زوجها بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها معها، فلمّا رآها رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ رقّ لها رقّة شديدة و قال: «إن رأيتم أن تطلقوا أسيرها و تردوا عليها الّذي لها فافعلوا، فأطلقوا لها أسيرها و ردّوا القلادة...

فلمّا كان قبل الفتح خرج أبوالعاص تاجراً إلى الشّام بأمواله و أموال رجال قريش، فلمّا عاد لقيته سرية لرسول الله ﴿صلّی الله علیه و آله﴾ فأخذوا مامعه و هرب منهم، فلمّا كان الليل أتى إلى المدينة فدخل على زينب، فلمّا كان الصّبح خرج رسول الله ﴿صلّی الله علیه و آله﴾ إلى الصّلاة فنادت زينب من صفة النسآء: «أيها النّاس أنّي قد أجرت أبي العاص... فقال رسول اللّه ﴿صلّی الله علیه و آله﴾ إن رأيتم أن تردّوا عليه الّذي له فإنّا نحبّ ذلك، و إذا أبيتم فهو في الله الّذي أفآء عليكم و أنتم أحقّ به.

قالوا: يا رسول الله نردّه عليه، فردّوا ماله كلّه حتّى الشّظاظ. و هو خشبة عقفاه تجعل في عروتي الجولقين.

فإذاً يقال: ألم يكن باستطاعة أبي بكر ـ في حالة التّسليم معه بأنّ الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام لاترث أبيها، و أنّ النّبيّ الكريم لم يهب فدكاً لها ـ أن يتّخذ موقفاً كهذا الّذي أشرنا إليه؟ مع وجود الفارق الكبير بين الحالتين، فقد وهب المسلمون حقّهم لأبي العاص المشرك، و كانوا ـ دون شك ـ على استعداد تامّ لوهب حقوقهم ـ في حالة التّسليم بصحّة الإجراءات الّتي اتّخذها غاصب الخلافة و فدك ـ إلى بضعة رسول الله ﴿صلّی الله علیه و آله﴾ ألم تكن تصرّف رسول الله ﴿صلّی الله علیه و آله﴾ مع أبي العاص ـ في الحالتين سنّة! فهل يعتبر ترك أبي بكر لها ـ في هذه الحالة ـ منسجماً مع السّنّة!! فهل العامّة من أذناب السّقيفة السّخيفة الشّؤمة ينتحلون أنفسهم إلى هذه السّنّة أم إلى سنّة من آل فرعون كما قال يعسوب الدّين أميرالمؤمنين الإمام عليّ ﴿علیه السلام﴾:

في **نهج البلاغة**: «قد ماروا في الحيرة و ذهلوا في السّكرة على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدّنيا راكن، أو مفارق للدّين مباين» الخطبة: ١٥٠)

و في **كشف الغمّة**: لعيسى الإربلي، قال: قال شريك «كان يجب على أبي بكر أن يعمل مع فاطمة بموجب الشّرع، و أقلّ ما يجب عليه أن يستحلفها على دعواها أنّ رسول الله ﴿صلّی الله علیه و آله﴾ أعطاها فدك في حياته، فإنّ عليّاً و أم أيمن شهدالها، و بقي ربع الشّهادة، فردّها بعد الشّاهدين لا وجه له، فإمّا أن يصدّقها أو يستحلفها و يمضي الحكم لها، قال شريك: الله المستعان! مثل هذا الأمر يجهله أو يتعمّده؟!» إنتهى كلامه.

«فتوى سياسيّة لأبي بكر بن أبي قحافة
في غصب فدك و الخلافة»

و من البداهة لمن كان له أدنى مسكة و دراية و طيب ولادة: أنّ الفتوى السّياسيّة في كلّ ظرف من الظّروف لاتبتني على أدلّة الاجتهاد و قواعد الاستنباط من الكتاب و السّنّة و العقل السّليم، و الإجماع الثّابت، بل إنّما أساسها الاستبداد و الحميّة الجاهليّة و القوّة القهّارة، و حبّ الملك و الجاه، و حبّ الرّئاسة و الدّنيا، و حبّ الشّهوة و الاشتهار... و شعارها: الحكم لمن غلب. و قد أشار إلى هذا المنطق الشّيطاني، الإمام عليّ «عليه السلام» بقوله: في نهج البلاغة: «اللهمّ إنّي أستعديك على قريش و من أعانهم، فإنّهم قد قطعوا رحمي، و أكفاؤا إنآئي، و أجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به من غيري و قالوا: ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه، و في الحقّ أن تمنعه، فاصبر مغموماً أو مُتْ متأسّفاً... الخطبة: ٢٠٨). و على هذا المنطق غصَبَ أبوبكر فدكاً من الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام، و حرّم نحلتها أو إرثها عليها استناداً إلى ما رواه منفرداً عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنّ الأنبيآء لا يورّثون» و هو يناقض آيات الإرث في كتاب الله و سنّة رسوله «صلى الله عليه وآله» و سيرة أنبيآئه و إجماع الأمم في كلّ ظرف من الظّروف و ضرورة العقل.

و على هذا الاستبداد و الحميّة اجتهد الشّيطان، و كان أوّل من اجتهد في مقابل النّصّ و تخلّف عن أمرالله تعالى و أبى و استكبر و كان من الكافرين.

قال الله عزّوجلّ: «فسجد الملائكة كلّهم أجمعون إلاّ إبليس استكبر و كان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أَستكبرتَ أم كنتَ من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين» ص ٧٣ ـ ٧٦).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين سيّد الوصيّين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾: «فقال سبحانه و هو العالم بمضمرات القلوب و محجوبات الغيوب: «إنّي خالق بشراً من طين فإذا سوّيته و نفخت فيه من روحي فقعواله ساجدين فسجد الملائكة كلّهم أجمعون إلاّ إبليس» اعترضته الحميّة فافتخر على آدم بخلقه، و تعصّب عليه لأصله، فعدوّ الله إمام المتعصّبين و سلف المستكبرين، الّذي وضع أساس العصبيّة، و نازع الله ردآء الجَبَرِيّة، و ادّرع لباس التعزّز، و خلع قِناع التذلّل...» الخطبة: ٢٣٤).

و إنّي لا أظنّ أحداً ممن له أدنى مسكة و دراية و طيب ولادة أن يشكّ أنّ أساس الفتوى السّياسيّة قد اجتمع أكثرها بل كلّها في أبي بكر ابن أبي قحافة و في حليفه عمر بن الخطّاب في غصب الخلافة من صاحبها الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿عليه السلام﴾ أوّلاً في أوّل يوم وفاة رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و في غصب فدك من صاحبها الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها ثانياً في هذا اليوم ـ و هو الأظهر ـ أو في غده على اختلاف.

و قد كان تعذّر أبي بكر فتواه هذه أنّها سياسيّة صدرت حفاظاً على الخلافة الإسلاميّة ـ تضمّ بلغة فاطمة الزّهرآء، و أولادها سلام الله عليهم ـ المادّيّة ـ إلى بلغتهم الرّوحية ـ يستأثربها خليفة المسلمين، و لكى يجمدهم عن كلّ حراك ضدّ الحكم الإسلاميّ!

ثمّ نرى الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام تحتجّ على الخليفة أمام المسلمين لا رغبة في مال الدّنيا، و انّما لكي يعرف المسلمون مدى رعاية الخليفة للحقوق الإلهيّة، فلا يستثقلوا أنّ الخليفة اغتصبها عن أهلها، إذ من لا يغضّ النّظر عن المال، فكيف يغضّه عن الخلافة و الملك عقيم، و حب الشّيْ يعمي و يصمّ؟!

فلا يبالي من يفتي فتوى سياسيّة أن ينفرد في فتوى، تخالف كتاب الله و سنّة رسوله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و تغيض الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها الّتي صدّقها رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ و رفعها إلى درجته العصمة و الطّهارة، ثمّ يسند هذه الفتوى إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه و آله﴾ بل إلى

الأنبيآء جميعاً إذ قال خاتمهم: «نحن معاشر الأنبيآء لانورّث ما تركناه صدقة» و هذه الرّواية على فرض صدقها لاتدلّ على ما يعنيه أبوبكر منها، فإنّ المعنى الظّاهر: أنّ «ما تركناه» مفعول لـ«لانورث» و صدقة تميز ـ أي انّ متروكاتنا ليست صدقة تباح لكافّة المسلمين، بل إرث لورثتنا كسآئر النّاس، و لو كان المعنى ما يعنيه أبوبكر لقال: «و ما تركناه» لا «ما تركناه» و لكنّ الكاذب العجول ناسٍ.

و **قال بعض المحقّقين تنقيحاً منّا:** إنّ الدّعوى على أنّ فدكاً كانت إرثاً للصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها من أبيها «صلى الله عليه و آله» مبنيّة على بيان مقدّمتين:

الاولى: أنّ فدكاً كانت لرسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى حين وفاته إذ لاشبهة في ذلك على تقدير عدم إعطآئها لفاطمة الزّهرآء عليها السلام من باب النّحلة و العطيّة لكونها ممّا أفآء الله تعالى على رسوله «صلى الله عليه و آله» بإجماع الفريقين و الرّوايات المتضافرة الّتي سبق ذكرها، و لم يحصل منه انتقال لغير الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها بإجماع الأُمّة، فلو فرضنا عدم كونها نحلة لفاطمة الزّهرآء عليها السلام فلا بدّ و أن تكون باقية على ملكه «صلى الله عليه و آله» إلى حين وفاته.

و هذا مسلّم عند الخصم أيضاً إذ لم يتمسّك أبوبكر في ردّ الصّدّيقة الطّاهرة صلوات الله عليها إلاّ بالخبر المختلق الّذي نسبه إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «نحن معاشر الأنبيآء لانورّث ما تركناه صدقة» فجعل فدكاً من متروكات النّبيّ «صلى الله عليه و آله» إلاّ أنّه ادّعى أنّ رسول الله «صلى الله عليه و آله» قال: ما تركه الأنبيآء لايكون إرثاً، بل هو صدقة بين المسلمين، و لم يقل أحد أيضاً: إنّ الأنبيآء لايملكون بأنفسهم شيئاً في حياتهم، و إنّ كلّ ما يملكونه هو صدقة، و لايدّعيه أحد بالمرّة و هو خلاف الضّرورة، فمراد من روى الرّواية أنّ الأنبيآء يملكون الأموال الدّنيويّة مثل سآئر النّاس ولكن ما تركوه من أموالهم يكون صدقة بعد موتهم، فلا يقسّم بين الورثة.

الثّانية ـ أنّ ورثته «صلى الله عليه و آله» كانت منحصرة في الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام، فهي وحدها كانت وارثة لأبيها، و أمّا الأزواج فليس لهاجهة إرث من العقار و الضّيعة على المشهور بين الامّة، فثبت على تقدير عدم كون فدك نحلة لها من أبيها أنّها حقّها من جهة

الإرث البتّة للإجماع و عمومات الآيات القرآنيّة، و النّصوص المتضافرة الدّالّة على انتقال مال الميّت لورثته، و أنّ ما تركه الميّت فهو لوارثه.

و لم يدلّ دليل على كون عدم التّوريث من جملة خصآئص الأنبيآء عليهم السلام، و لانقل القول بذلك من أحد من القدمآء و المتأخرين، و أصالة الإشتراك في الأحكام حاكمة بكونهم كسآئر النّاس إلاّ ما خرج بالدّليل الدّالّ على خلاف تلك الأصالة.

و أمّا رواية أبي بكر الّتي قد انفرد بها فمردود بوجوه:

أحدها ـ أنّه خبر لاأصل له و لا فصل، بل إنّما هو قول هزل، و مقالة كذب، فإنّ راويه كان في شكّ منه كما ترى أنّ أبابكر أسنده في موضع إلى نفسه، فقال: «إنّي سمعت رسول الله يقول: «إنّا معاشر الأنبيآء، لانورّث ما تركناه صدقة».

و أسنده حليفه عمر بن الخطّاب إلى غير أبي بكر إذ قال عمر: أوس بن الحدثان و عائشة و حفصة يشهدون أنّ النّبيّ قال: كذا و ذلك طالبت فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها بفدك من أبي بكر من باب النّحلة و أتت بالبيّنة، فكتب أبوبكر بذلك كتاباً ثمّ جآء عمر فعلم بالواقعة، فأخذ الكتاب من يد الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام و مزّقه، و قال: أوس بن الحدثان و عائشة و حفصة يشهدون على أنّ النّبيّ قال: كذا...

و في قرب الأسناد: عن صدقة بن مسلم عن الصّادق «عليه السلام» أنّه سئله عن الشّاهد على فاطمة عليها السلام بأنّها لاترث أباها، فقال «عليه السلام»: شهدت عليها عائشة و حفصة و رجل من العرب يقال له: اوس بن الحدثان من بني نضر، شهدوا عند أبي بكر بانّ رسول الله «صلى الله عليه و آله» قال: «لا اورّث» فمنعوا فاطمة عليها السلام ميراثها من أبيها «صلى الله عليه و آله» و أسنده أبوبكر تارة اخرى إلى الأمّة، فقال: أنتم قلتم: كذا.

و في الاحتجاج: ـ رسالة لأميرالمؤمنين «عليه السلام» إلى أبي بكر لمّا بلغه عنه كلام بعد منع الزّهرآء عليها السّلام فدك.

«شقّوا متلاطمات أمواج الفتن بحيازيم سفن النّجاة، و حطّوا تيجان أهل الفخر بجميع أهل الغدر، و استضآؤا (استضيئوا خ) بنور الأنوار و اقتسموا مواريث الطّاهرات الأبرار، و احتقبوا ثقل الأوزار، بغصبهم نحلة النّبيّ المختار، فكأنّي بكم تردّدون في العمى، كما يتردّد

البعير في الطّاحونة، أما والله لو أذن لي بما ليس لكم به علم لحصدتُ رؤوسكم عن أجسادكم كحبّ الحصيد بقواضب من حديد، و لقلعت من جماجم شجعانكم ما أقرح به آماقكم، و أوحش به محالكم ـ إلى أن قال ـ رويداً فعن قليل ينجلي لكم القسطل، و تجنون ثمر فعلكم مُرّاً، و تحصدون غرس أيديكم ذعافاً ممقراً، و سمّاً قاتلاً و كفى بالله حكيماً، و برسول الله خصيماً، و بالقيامة موقفاً، فلا أبعد الله فيها سواكم، و لاأتعس فيها غيركم، و السلام على مَن اتّبع الهدى».

فلمّا أن قرأ أبوبكر الكتاب رعب من ذلك رعباً شديداً، و قال: يا سبحان الله ما أجرأه عليّ، و أنكله عن غيري!

معاشر المهاجرين و الأنصار تعلمون أنّي شاورتكم في ضياع فدك بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقلتم: إنّ الأنبيآء و إنّ هذه أموال يجب أن تضاف إلى مال الفيء، و تصرف في ثمن الكراع و السّلاح و أبواب الجهاد و مصالح الثّغور، فأمضينا رأيكم، و لم يمضه من يدّعيه، و هوذا يبرق وعيداً، و يرعد تهديداً، ايلاءً بحق محمّد «صلى الله عليه وآله» أن يمضحها دماً ذعافاً، والله لقد استقلت منها فلم اقل، و استعزلتها عن نفسي فلم أعزل، كلّ ذلك كراهيّة منّي لابن أبي طالب، و هرباً من نزاعه، مالي و لابن أبيطالب؟! هل نازعه أحد ففلج عليه؟!

فتقدّم عمر بن الخطّاب فسكّت حليفه أبابكر عن هذا الجزع و الهلع، فقال له عمَر: أبيت أن تقول إلاّ هكذا؟!...

فالاختلاف في الرّواية دليل على عدم استقرارها، و لاأقلّ من ايقاع الوهن فيها، فلا يخصّص بها العمومات القطعيّة، و لايكذّب أهل بيت العصمة و الطّهارة.

و في كشف الغمة: أنّه لمّا ولي عثمان قالت عائشة: أعطني ماكان يعطيني أبي و عمر ـ و هذا كان طلباً منها لأربعة آلاف درهم الّتي قرّرها أبوبكر و عمرلها ـ فقال: لاأجد لها موضعاً في الكتاب و لافي السّنّة، و لكن كان أبوبكر و عمر يعطيانك من حصّة أنفسهما، و أنا لاأفعل، فقالت: فآتني ميراثي من النّبيّ «صلى الله عليه وآله»؟ قال: أليس جئتِ و شهدت أنت و مالك بن أوس النّضري: أنّ النّبيّ لايورّث؟! فأبطلتِ حقّ فاطمة و جئت تطلبينه. قال:

فكان عثمان إذا خرج إلى الصّلاة نادت عائشة و ترفع القميص و تقول: إنّه قد خالف صاحب هذا القميص، فلمّا آذته صعد المنبر، فقال: إنّ هذه الزّعرآء عدوّة الله تعالى ضرب الله مثلها و مثل صاحبتها حفصة في الكتاب كامرأة نوح و امرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما.

فقالت له: يا نعثل يا عدوّ الله إنّما سمّاك النّبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ باسم نعثل اليهوديّ الّذي باليمن، فلاعنته و لاعنها، و حلفت أن لاتساكنه بمصر أبداً فخرجت إلى مكّة.

و هذا الحديث يدلّ على أنّ اعتقاد كلّ من عائشة و عثمان كا ن على عدم صحّة نقل الرّواية.

ثانيها ـ أنّه على فرض تسليم صدق الخبر لم يكن فرق بين تركته، كما يظهر من هذا الخبر المختلق: «لانورّث، ما تركناه صدقة» و قد كان لرسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ تركة اخرى غير فدك، قسّمت بين ورثته كما في الرّوايات الكثيرة:

منها: ما رواه الإربلي في كشف الغمّة عن الحسن بن عليّ الوشّا قال: سئلت مولانا أباالحسن عليّ بن موسى الرّضا عليهما السلام.

هل خلّف رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ غير فدك شيئاً؟ فقال أبوالحسن ﴿عليه السلام﴾: إنّ رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ خلّف حيطاناً بالمدينة صدقة، و خلّف ستّة أفراس، و ثلاث نوق: العضبآء و الصّهباح و الدّيباج، و بغلتين: الشّهبآء و الدّلدل، و حماره: اليعفور، و شاتين حلوبتين، و أربعين ناقة حلوباً، و سيفه ذاالفقار، و درعه ذات الفضول، و عمامته السّحاب، و حبرتين يمانيّتين، و خاتمه الفاضل، و قضيبه الممشوق، و فراشاً من ليف، و عباءتين قطوانيّتين، و مِخاداً من أدم، صار ذلك إلى فاطمة عليها السلام ما خلا درعه و سيفه و عمامته و خاتمه، فإنّه جعلها لأميرالمؤمنين ﴿عليه السلام﴾.

و في بعض الرّوايات: أنّ رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أعطى بغلته أيضاً لعليّ ﴿عليه السلام﴾ و إنّ إعطاء البغلة كان في حجّة الوداع.

فلو كان مارواه أبوبكر صحيحاً لماذا تركوا هذه الأشيآء تركة و لم يجعلوها صدقة، و الرّواية على فرض صحّتها مطلقة: «لانورّث ما تركناه صدقة»؟

كيف يأخذ أبوبكر فدكاً من الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها مستنداً برواية رواها منفرداً تارة، و يأخذها في نفس الوقت موكولاً أمرها إلى رأيه و اجتهاده لحسم مادّة المنازعة و الفتنة، ثمّ يعطي في هذا الوقت تلك الأشيآء المتروكة ليست بقليلة لورّاث النّبيّ«ﷺ» من باب الارثيّة بحسب الظّاهر من دون أن يصرّح بأنّي أعطيها من جهة الإرث.

و مثل هذا يصدر من مثله غالباً سوآء سمّى عاقلاً أو جاهلاً، و لا بعد في صدور تلك الامور المتناقضة من مثل أبي بكر بن أبي قحافة، إذ لا يكون حافظة للكذّابة و القالة.

و تسمّى تلك المتناقضات فتوى سياسيّة لاتبتني على أيّة كرامة و إنسانيّة، و قد شاعت في زماننا هذا بين المتلبّسين بلباس العلم و الاجتهاد و الفتوى و ليسوا بأهلها، و أنّ الإسلام و العلمآء العاملين منهم برُءآء و ممّا يعبدون من دون الله... و أيضاً قد مكّن أبوبكر أزواج النّبيّ«ﷺ» في حجراتهنّ بغير خلاف، و لم يحكم فيها بأنّها صدقة، و هذا يناقض منعه في أمر فدك و ميراث النّبيّ الكريم«ﷺ» من جهة هذه الرّواية المختلقة، فإنّ انتقالها إليهنّ إمّا من جهة الإرث أو النّحلة، و الأوّل مناقض لروايته في الميراث، و الثاني يحتاج في إثباته إلى بيّنة و نحوها، و لم يطالبهنّ بشيئ منهما كما طالب الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها في دعواها، و هذا من أظهر شاهد و أوضح برهان و أبين دليل لمن له أدنى بصيرة و دراية و طيب ولادة على أنّ رواية أبي بكر مختلقة كاذبة كخلافته نفسها، و أنّه لم يفعل ما فعل إلاّ لحبّ الملك و الرّئاسه و حبّ الشّيئ يعمي و يصمّ، و الملك عقيم.

و في **الاحتجاج**: و روي: أنّه مرّ فضّال بن الحسن بن فضّال الكوفي بأبي حنيفة، و هو في جمع كثير، يملي عليهم شيئاً من فقهه و حديثه، فقال ـ لصاحب كان معه ـ: والله لا أبرح أو أخجل أبا حنيفة، فقال صاحبه الّذي كان معه: إنّ أبا حنيفة ممّن قد علت حالته و ظهرت حجّته، قال مه! هل رأيت حجّة ضالّ علت على حجّة مؤمن؟! ثمّ دنا منه، فسلّم عليه فردّها، و ردّ القوم السلام بأجمعهم.

فقال: يا أبا حنيفة! إنّ أخاً لي يقول: إنّ خير النّاس بعد رسول الله«ﷺ» عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» و أنا أقول: أبوبكر خير النّاس، و بعده عمر، فما تقول أنت رحمك الله؟

فأطرق ملياً ثمّ رفع رأسه، فقال: كفى بمكانهما من رسول الله «صلى الله عليه وآله» كرماً و فخراً، أما علمت أنّهما ضجيعاه في قبره؟ فأيّ حجّة تريد أوضح من هذا؟

فقال له فضّال: إنّي قد قلت: ذلك لأخي، فقال: والله لئن كان الموضع لرسول الله «صلى الله عليه وآله» دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما حقّ فيه، و إن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لقد أساءا، و ما أحسنا، إذ رجعا في هبتهما و نسيا عهدهما.

فأطرق أبوحنيفة ساعة ثمّ قال له: لم يكن له ولا لهما خاصّة، و لكنّهما نظرا في حقّ عائشة و حفصة، فاستحقّا الدّفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما.

فقال فضّال: قد قلت له: ذلك، فقال: أنت تعلم أنّ النّبيّ «صلى الله عليه وآله» مات عن تسع نسآء، و نظرنا فإذاً لكلّ واحدة منهنّ تسع الثّمن، ثمّ نظرنا في تسع الثّمن، فإذاً هو شبر في شبر، فكيف يستحقّ الرّجلان أكثر من ذلك؟ و بعد ذلك فما بال عائشة و حفصة يرثان رسول الله «صلى الله عليه وآله» و فاطمة بنته تمنع الميراث؟ فقال أبوحنيفة: يا قوم نحّوه عنّي فإنّه رافضيّ خبيث».

أقول: رواه السّيّد المرتضى في «الفصول المختارة» و الكراجكي في «كنز الفوائد» و المجلسي في «البحار» و السّيّد الجزآئري في «الأنوار» و غيرهم.

ثمّ قال السّيّد الجزآئري بعد نقل هذه الرّواية: أقول: و يوضح هذا ما رووه في الجمع بين الصّحيحين للحميدي و غيره: أنّ النّبيّ «صلى الله عليه وآله» لمّا هاجر إلى المدينة أقام ببعض دور أهلها، و استعرض مريداً للتّمركان لسهل و سهيل كانا يتيمين في حجر سعد بن زرارة ليشتريه فوهباه له. مضافاً إلى أنّ الكلام ليس في مجرّد السّكنى بل في إجرآء جميع أحكام الملك كدفن عائشة أباها، و حليفه عمر بن الخطّاب في بيت النّبيّ «صلى الله عليه وآله» بغير إذنه، و لا إذن ورثته و لا المسلمين، و كمنعها الحسن الزّكيّ «عليه السلام» عن دفنه عند جدّه «صلى الله عليه وآله» و قدجآءت راكبة على بغل وحولها بنو اُميّة و مروان، فقال لها ابن عباس:

تجمّلت، تبغّلتِ و لوعشتِ تفيّلتِ ... لك التسع من الثّمن و بالكلّ تملّكتِ

و روى الحميدي رواية اخرى و هو أنّ النّبيّ «صلى الله عليه وآله» أراد أن يشتري موضع المسجد من قوم بني النّجّار، فوهبوه له، و قد تضمّن القرآن كون البيوت للنّبيّ «صلى الله عليه وآله» بقوله تعالى:

«يا أيّها الّذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النّبيّ إلاّ أن يؤذن لكم إلى طعام» و من المعلوم أنّ زوجته عائشة لم يكن لها دار بالمدينة و لا لأبيها و لالقومها لأنّهم من أهل مكّة، و لاروى أحد: أنّها بنت بيتاً لنفسها، و مع هذا فلمّا ادّعت حجرة النّبيّ «صلى الله عليه وآله» بعد وفاته الّتي دفن فيها صدّقها أبوبكر و سلّمها إليها بمجرّد سكناها أودعواها، و منع فاطمة عليها السلام عن فدك، و لم يصدّقها مع شهادته لها بالعصمة و الطّهارة، و ردّ شهودها بأنّ آباها و هبها ذلك في حياته، و منع فاطمة من ميراثها، و أعطى إبنته الحجرة ميراثاً، و دفن أمواتهم فيها، و ضربوا المعاول عند رأسه.

و قال بعض مردة السّقيفة السّخيفة الشّؤمة ـ كما في شرح ابن أبي الحديد ـ في مقام الاعتذار ـ: «إنّ حجر أزواج النّبيّ «صلى الله عليه وآله» إنّما تركت في أيديهنّ لأنّها كانت لهنّ، و نصّ الكتاب يشهد بذلك كقوله تعالى: «و قرن في بيوتكنّ» الآحزاب: ۳۳) و روي في الأخبار أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» قسّم ما كان له من الحجر على نسآئه و بناته.

و في **الشّافي**: قال السّيّد المرتضى رضوان الله تعالى عليه ـ ردّاً لهذه المقالة ـ و هذا من عجيب الاستدلال، لأنّ هذه الإضافة لاتقتضي الملك، بل العادة جارية فيها أن يستعمل من حيث السّكنى، و لهذا يقال: هذا بيت فلان و مسكنه، و لايراد الملك، و هذا من باب قوله تعالى: «و إذا طلّقتم النّسآء فطلّقوهنّ لعدّتهنّ و احصوا العدّة و اتّقوا الله ربّكم لاتخرجوهنّ من بيوتهنّ و لايخرجن إلاّ أن يأتين بفاحشة مبيّنة» الطّلاق: ۱) و معلوم أنّ البيوت إنّما هي للأزواج.

و إنّما أضاف الله تعالى البيوت إليهنّ لاختصاصهنّ بسكناها لأنّ الإضافة يكفي فيها أدنى ملابسة، و المراد من البيوت هو بيوت الأزواج، و أضيفت إلى الزّوجات بملابسة السّكنى، و لو كان ملكاً لهنّ لماجاز إخراجهنّ عند الفاحشة، و قد أباح الله تعالى إخراجهنّ عند إتيانهنّ بالفاحشة بقوله عزّوجلّ: «إلاّ أن يأتين بفاحشة مبيّنة» فكذا الحال في إضافة البيت إلى عائشة في المحاورات.

مع أنّه معارض بقوله تعالى: «و لاتدخلوا بيوت النّبيّ» الأحزاب: ۵۳) و هوأدلّ على ملك النّبيّ «صلى الله عليه وآله» فإنّ الآية الكريمة ظاهرة في الملك إذ شأن الرّجال ملك مساكنهم كما هو

الغالب، بخلاف النّسآء و لا سيّما ذوات الأزواج، فمجرّد إضافة البيوت إليهنّ لاتستلزم الانتقال إليهنّ كما هو واضح.

و في تأريخ الطّبري: أنّ النّبيّ«عليه السلام» قال: «إذا غسّلتموني، كفّنتموني، فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري».

و أمّا خبر التّقسيم ـ لو كان صحيحاً ـ فلا دليل على أن تكون القسمة على وجه التّمليك دون الإسكان و الإنزال، و لو كان كذلك لكان معروفاً مشهوراً أيضاً، و الوجه في عدم تغيير عليّ بن أبيطالب«عليه السلام» لذلك حين ولي الخلافة هو الوجه الّذي يأتي في ابقآء فدك على حالها.

ثالثها ـ أنّا لو سلّمنا صحّة الخبر يحتمل معنىً وجوهاً متعدّدة، سيأتي بيانها و إذا جآء الاحتمال بطل الاستدلال.

رابعها ـ أنّ الخبر مع قطع النّظر عن الإجماع و الأخبار المتواترة المطلقة أو العامّة في عموميّة التّوريث بالنّسبة إلى الأنبيآء عليهم السلام و غيرهم بلافرق في المرحلة، مخالف للآيات العامّة و الخاصّة في خصوص التّوريث من الأنبياء عليهم السلام كالآيات الّتي استدلّت بها الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام في أثناء الخطبة و غيرها، و قد سبق وجه دلالتها على المراد من الميراث هو المال، فيجب أن يتمسّك بعموم الآيات و إطلاقها إلاّ إذا قام دليل قاطع على خروج شيئ منها، و لم يقم دليل، على خروج النّبيّ الكريم«عليه السلام» عن حكم الآيات الكريمة.

خامسها ـ أنّ الخبر كان عند أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب و عند الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام موضوعاً باطلاً و كذباً محضاً و أنكراه و حكما بكذب أبي بكر فيه، و هما يقولان إلاّ الحق و الصّدق، فيجب كذب الرواية و راويها.

سادسها ـ أنّه لو كان تركة النّبيّ«عليه السلام» صدقة و لم يكن لابنتها الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام حظّ فيها لبيّن رسول الله«عليه السلام» الحكم لها، فإنّ التّكليف في تحريم أخذها يتعلّق بها، و لوبيّنه لها لما طلبتها لعصمتها، و لايرتاب عاقل في أنّه«عليه السلام» لو كان بيّن لأهل بيته: أنّ تركتي صدقة لاتحلّ لكم لما خرجت ابنته و بضعته من بيتها، مستعدية

ساخطة صارخة في معشر المهاجرين و الأنصار، تعاتب إمام زمانها بزعم أتـباعه، و تنسبه إلى الجور و الظلم في غصب تراثها، و تستنصر المهاجرين و الأنصار في الوثوب عليه، و ايثار الفتنة بين المسلمين و تهييج الشرّ، و لم تستقرّ بعد أمر الإمارة و الخلافة.

و قد أيقن بذلك من كان له الدّراية و طيب الولادة من المؤمنين الصّادقين: أنّ أبابكر بن أبي قحافة هو أوّل غاصب للخلافة، ناصب لأهل الإمامة، فصبّوا عليه الطّعن و اللعن إلى نفخ الصّور و يوم القيامة، و كان ذلك من آكد الدّواعي إلى شقّ عصا المسلمين، و افتراق كلمتهم، و تشتّت ألفتهم، و قد كانت تلك النّيران يخمدها بيان الحكم لها عليها السلام أو لأميرالمؤمنين صلوات الله عليه.

و لا أظنّ أن يجسر مَن أوتي حظّاً من الإسلام على القول بأنّ الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها مع علمها بأن ليس لها في تركة أبيها بأمرالله تعالى و رسوله ﴿ﷺ﴾ نصيب كانت تقدم على مثل ذلك الصّنيع، و كان أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ﴿؈﴾ مع علمه بحكم الله لم يزجرها عن التّظلّم و الاستعداد، و لم يأمرها بالقعود في بيتها راضية بأمرالله فيها و يكذّب أبابكر في ظلمه و جنايته و جوره و خيانته و يراه في قوله كاذباً آثماً غادراً خائناً، و كذا يرى عمر بن الخطّاب حليف أبي بكر كاذباً آثماً غادراً خائناً.

فليت شعري! هل كان ذلك التّرك و الإهمال لعدم الاعتناء بشأن بضعته ﴿ﷺ﴾ الّتي كانت يؤذيه ما آذاها، و يريبه مارابها، أو بأمر زوجها و ابن عمّه و أخيه المساوي لنفسه و مواسيه بنفسه، أو لقلّة المبالاة بتبليغ أحكام الله تعالى و أمر اُمّته، و قد أرسله الله تعالى بالحقّ بشيراً و نذيراً للعالمين.

«رأي مستبصر معاصر من مفكّري العامّة حول فدك»

جدير لنا أن نهدي إلى كلّ قاريء، رائي الحقّ، و طالب الحقّ، و قابل الحقّ، و قائل الحقّ ما أجاده صاحب كتاب: «ثمّ اهتديت» و هو الدّكتور محمّد التّيجانيّ السّماويّ المعاصر المستبصر من أعلام مفكّري العامّة، ثمّ نذكر رأيه حول فدك:

أمّا ما أجاد في بدء كتابه هذا فقال: الإهدآء:

«كتابي متواضع لاتكلّف فيه، هو قصّة رحلة، قصّة اكتشاف جديد ليس اكتشافاً في عالم الاختراعات التقنيّة أو الطّبيعيّة، ولكن في دنيا المعتقدات في خضم المدارس المذهبيّة و الفلسفات الدّينيّة.

و لمّا كان الاكتشاف يعتمد أوّلاً على العقل السّليم و الفهم القويم الّذي ميّز الإنسان على بقيّة المخلوقين، فإنّني أهدي كتابي إلى كلّ عقل سليم، يمحّص الحقّ، فيعرفه من بين ركام الباطل، و يزن الأقوال بميزان العدل فيرجّح كفّة المعقول، و يقارن الكلام و الأحاديث، فيتبيّن المنطقيّ من المعسول، و القويّ من المهزول، قال تعالى: «الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه اولئك الّذين هداهم الله و اولئك هم اولوا الألباب» إلى كلّ هؤلآء أهدي كتابي هذا، راجياً منه سبحانه و تعالى أن يفتح بصيرتنا قبل بصرنا، و أن يهدينا و ينوّر قلوبنا و يرينا الحقّ حقّاً لاغبار عليه فنتّبعه، و يرينا الباطل باطلاً لالبس فيه، فنجتنبه، و

يدخلنا في عباده الصّالحين إنّه سميع مجيب» محمّد التّيجانيّ السّماوي.

ثمّ ذكر أربعة امور من أسباب استبصاره:

١ ـ النّصّ على الخلافة:

و قد أجاد فيه ما ينبغي لكلّ متتبّع أن يقرأه...

٢ ـ خلاف فاطمة عليها السلام مع أبي بكر:

فجعل الدّكتور المحقّق البارع التّيجانيّ المفكّر المستبصر، قضيّة فدك مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بخلافة الإمام عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» و جعلها سبباً ثانياً لاستبصاره فقال:

«و هذا الموضوع ـ موضوع فدك ـ أيضاً مجمع على صحّته من الفريقين، فلا يسع المنصف العاقل إلاّ أن يحكم بخطأ أبي بكر إن لم يعترف بظلمه و حيفه على سيّدة النّسآء، لأنّ من يتتبّع هذه المأساة و يطّلع على جوانبها يعلم علم اليقين أنّ أبابكر تعمّد ايذاء الزّهراء و تكذيبها لئلاّ تحتجّ عليه بنصوص الغدير و غيرها على خلافة زوجها و ابن عمّها عليّ «عليه السلام» و نجد قرآئن عديدة على ذلك، منها ما أخرجه المؤرّخون من أنّها ـ سلام الله عليها ـ خرجت تطوف على مجالس الأنصار، و تطلب منهم النّصرة و البيعة لابن عمّها، فكانوا يقولون:

«يا ابنة رسول اللّه قد مضت بيعتنا لهذا الرّجل، و لو أنّ زوجك و ابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول عليّ كرّم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله «صلّى الله عليه و آله» في بيته لم أدفنه، و أخرج أنازع النّاس سلطانه، فقالت فاطمة: ما صنع أبوالحسن إلاّ ما كان ينبغي له، و لقد صنعوا ما الله حسيبهم و طالبهم.

و لو كان أبوبكر مخطئاً عن حسن نيّة أو على اشتباه لأقنعته فاطمة الزّهرآء و لكنّها غضبت عليه و لم تكلّمه حتّى ماتت لأنّه ردّ في كلّ مرّة... دعوتها و لم يقبل شهادتها و لا شهادة زوجها و لكلّ هذا اشتدّ غضبها عليه حتّى أنّها لم تأذن له بحضور جنازتها حسب وصيّتها لزوجها الّذي دفنها في الليل سرّاً.

و على ذكر دفنها ـ سلام الله عليها ـ سرّاً في الليل فقد سافرتُ خلال سنوات البحث إلى المدينة المنوّرة لأطّلع بنفسي على بعض الحقآئق و اكتشفت:

أوّلاً: أنّ قبر الزّهرآء مجهول لايعرفه أحد، فمن قائل بأنّه في الحجرة النّبويّة، و من قائل بأنّه في بيتها مقابل الحجرة النّبويّة، و ثالث يقول: «بأنّه في البقيع وسط قبور اهل البيت بدون تحديد» هذه الحقيقة الاولى الّتي استنتجت منها بأنّها ـ سلام الله عليها ـ أرادت بهذا أن يتساءل المسلمون عِبَرَ الأجيال عن السّبب الّذي دعاها أن تطلب من زوجها أن يدفنها في الليل سرّاً و لا يحُضَر جنازتها منهم أحداً!!! و بذلك يمكن لأي مسلم أن يصل إلى بعض الحقائق المثيرة من خلال مراجعة التّاريخ.

ثانياً: اكتشفت أنّ الزّائر الّذي يريد زيارة قبر عثمان بن عفّان يمشي مسافة طويلة حتّى يصل إلى آخر البقيع، فيجده تحت الحائط بينما يجد أغلب الصّحابة مدفونين في بداية البقيع قرب المدخل، و حتّى مالك بن أنس صاحب المذهب و هو من تابعي التّابعين مدفون قرب زوجات الرّسول «ﷺ»، و تحقّق لدي ما قاله المؤرّخون من أنّه دُفِنَ بحش كوكب و هي أرض يهوديّة لأنّ المسلمين منعوا دفنه في بقيع رسول الله «ﷺ» و لمّا استولى معاوية بن أبي سفيان على الخلافة اشترى تلك الأرض من اليهود و أدخلها في البقيع ليدخل بذلك قبر ابن عمّه عثمان فيها، و الّذي يزور البقيع حتّى اليوم سيرى هذه الحقيقة بأجلى ما تكون.

و إنّ عجبي لكبير حين أعلم أنّ فاطمة الزّهرآء ـ سلام الله عليها ـ أوّل من لحق بأبيها، فبينها و بينه، ستّة أشهر على أكثر الاحتمالات ثمّ لاتدفن إلى جانب أبيها!

و إذاكانت فاطمة الزّهرآء هي الّتي أوصت بدفنها سرّاً فلم تدفن بالقرب من قبر أبيها كما ذكرت، فما بال ما حصل مع جثمان ولدها الحسن لم يدفن قرب قبر جدّه؟! حيث منعت هذا عائشة، و قد فعلت ذلك عندما جاء الحسين بأخيه الحسن ليدفنه إلى جانب جدّه رسول الله «ﷺ» فركبت عائشة بغلة و خرجت تنادي و تقول: لاتدفنوا في بيتي من لاأُحبّ، و اصطف بنو اُميّة و بنوهاشم للحرب، ولكنّ الإمام الحسين قال لها: بأنّه سيطوف بأخيه على قبر جدّه ثمّ يدفنه في البقيع لأنّ الإمام الحسن أوصاه أن لايهرقوا من أجله و لو محجمة من دم، و قال لها ابن عبّاس أبياتاً مشهورة:

تجـــمّلتِ تــبغّلتِ و لوعِشتِ تــفيّلتِ

لك التّسع من الثّمــن و بــالكلّ تــصرّفتِ

قوله: «تجمّلتِ» إشارة إلى ركوبها الجمل في حرب الجمل المشهورة و «تـبغّلتِ» إشارة إلى ركوبها البغلة يوم منعت دفن الحسن بجانب جدّه.

و هذه حقيقة اخرى من الحقآئق المخيفة، فكيف ترث عائشة كلّ البيت من بين أزواج النّبيّ المتعدّدات و هنّ تسع نسآء ما نقله ابن عبّاس:

و إذا كان النّبيّ «صلى الله عليه وآله» لايورّث كما شهد بذلك أبوبكر نفسه، و منع ذلك مـيراث الزّهرآء من أبيها فكيف ترث عائشة؟ فهل هناك في كتابٍ آية تعطي الزّوجة حقّ الميراث و تمنع البنت؟ أم أنّ السّياسة هي الّتي أبدلت كلّ شئ، فحرمت البنت من كلّ شئ و أعطت الزّوجة كلّ شئ؟

و بالمناسبة أذكر هناقصّة طريفة ذكرها بعض المُورّخين و لها علاقة بموضوع الإرث.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة: جآئت عآئشة و حفصة و دخلتا على عثمان أيّام خلافته، و طلبتا منه أن يقسم لهما إرثهما من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

و كان عثمان متّكئاً، فاستوى و قال لعائشة:

أنتِ و هذه الجالسة جئتما بأعرابيّ يتطهّر ببوله و شهدتما أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «نحن معشر الأنبيآء لانورّث...» فإذاكان الرّسول حقيقة لايورّث، فماذا تطلبان بعد هذا، و إذا كان الرّسول يورّث لماذا منعتم فاطمة حقّها؟ فخرجت من عنده غاضبة، و قالت: اقتلوا نعثلاً فقد كفر» انتهى كلامه في السّبب الثّاني لاستبصاره.

« محتملات الخبر المختلق و وجوه الرّواية المجعولة »

و منها: لو سلّمنا صحّة هذه الرّواية لكانت لها وجوه و محتملات متعدّدة من المعاني.

منها: أن يراد بها أنّ الأنبياء عليهم السّلام لم يقصدوا الى توريث الدّراهم و الدّنانير لأولادهم و ورّاثهم كسائر النّاس الّذين يقصدون الى جمع الاموال و الثراة و تبقيتها بعدهم لورّاثهم، بل المراد انّ الانبيآء إذا بقي منهم شيئ من الميراث اتّفاقاً فلا بأس به، و هذا لا ينافي الحديث.

و منها: أنّ الأنبيآء عليهم السلام من حيث النّبوّة لم يورّثوا إلاّ العلم و الحكمة، و أمّا من حيث الإنسانيّة و البشريّة، فيجوز أن يخلّفوا شيئاً من الأموال، و من هذا قال بعض المحقّقين: العلمآء أولاد روحانيّون للأنبيآء لأنّهم يقتبسون العلم و الحكمة من مشكاة أنوارهم، و يرثون ملكات أرواحهم كما أنّ الأولاد الجسمانيّة و الأقارب الصّوريّة يرثون الأموال، بل النّسبة الآولى آكد من الثّانية، و لذلك كان حقّ المعلّم الرّبّانيّ على المتعلّم أولى من حقّ أبيه الجسمانيّ عليه، و الحاصل أنّه من باب تعليق الحكم على الوصف المشعر بالعلّيّة.

و منها: أنّ الآنبيآء عليهم السلام لم يخلّفوا جنس الدّرهم و الدّينار الّذي يخلّفه أهل الدّنيا و الثّراة، أما غيرهما من الأملاك و الزّراعات و المنازل و ما إليها فلا بأس بأن يخلّفوها.

و منها: أنّ مجرّد العزم لصدقة الشّيئ من الأنبيآء عليهم السلام يخرجه عن ملكهم فلا

يرثه وارثهم، و هذا مختصّ بالأنبيآء عليهم السلام، و هذا لايدل على حرمان ورّاثهم ممّا تركوه مطلقاً، فيكون حاصله أنّ ما يكون بالذّات صدقة للمسلمين لايجعل داخلاً في جملة الأموال حتىّ يكون ميراثاً.

و منها: أنّ ما يكون من الصّدقات الفعليّة في أيديهم سواء كانت أصدقوها هم من أنفسهم، أو كانت صدقة خارجيّة لاتدخل بعد موتهم في جملة التّركة كبيت المال عند المراجع الدّينيّة أو وكلآئهم من الصّدقات و الزّكوات و الخمس، و الكفّارات، و مجهول المالك و ما إليها لاتدخل بعد موتهم في جملة التّركة، بل يجب إرجاعها إلى المرجع الدّينيّ الجامع للشّرآئط...

و يؤيّد ذلك ما روي عن أبي ذرّ الغفاري رضوان الله تعالى عليه: أنّه قال لعثمان بن عفان ثالث غاصب الخلافة، هادم الشّريعة و الكرامة الإنسانيّة: لِمَ لاتقسّم هذه المأة ألف درهم و حبستها عن الفقرآء؟ فقال: أنتظر حتىّ يلحق بها مثلها، فأفرّقها، فبكى أبوذرّ، و قال: هل تذكر أن النّبيّ «ﷺ» دخل ليلا في داره و هو في غاية الحزن و الوحشة، و رأيناه الليلة الآتية في غاية السّرور و حسن الحالة، فسئلناه عن السّبب و العلّة فقال: كان البارحة في داري درهم صدقة، و خفت أن أموت، فيد خلها الورثة في جملة أموالي و اليوم تصدّقت به و حصلت لي الطّمأنينة؟».

«سيرة الأنبيآء عليهم السلام و الأمم الماضية في الميراث»

قال بعض المحقّقين ـ تنقيحاً منّا ـ: إنّا مع قطع النّظر عن جميع ما سبق، نحكم قطعاً بأنّ مدلول هذا الخبر كذب باطل، و من أُسنِدَ إليه هذا الخبر لايجوز له الكذب، فلا بدّ من القول بكذب من رواه و القطع بأنّه اختلقه و افتراه.

و ذلك أنّ عادة النّاس قد جرت، قديماً و حديثاً بالإخبار عن كلّ ما جرى بخلاف المعهود بين كافّة النّاس، و خرج عن سنن عاداتهم سيّما إذا وقع في أعصار عديدة و أزمان مختلفة، و توفّرت الدّواعي إلى نقله و روايته، و من المعلوم لكلّ أحد أنّ جميع الأمم على فرقهم و اختلافهم في المذاهب، يهتمّون بضبط أحوال الأنبيآء و المرسلين و سيرة أوصيآئهم و أحوال أولادهم و علمآئهم القائمين مقامهم، و ما يجري عليهم بعد آبآءهم، و ضبط خصآئصهم و ما يتفرّدون به عن غيرهم...

و من المعلوم أيضاً أنّ العادة قد جرت من يوم خلق الله تعالى الدّنيا و أهلها إلى زمان انقضآء مدّتها و فنائها بأن يرث الأقربون من اولادهم و غيرهم من أقاربهم، و ذوي أرحامهم، و ينتفعوا بأموالهم و ما خلّفوه بعد موتهم، و لاشكّ لأحد في أنّ عامّة النّاس عالمهم و جاهلهم، غنيّهم و فقيرهم، ذكورهم و اناثهم، و ملوكهم و رعاياهم... يرغبون إلى كلّ ما نسب إلى ذي شرف و فضيلة، و يتبرّكون به، و يحرزه الملوك في خزآئنهم، و

يوصون به لأحبّ أهلهم، فكيف بسلاح الأنبيآء وثيابهم و أمتعتهم؟ ألاترى أنّ الأعمى إذا أبصر في مشهد من المشاهد هذا المشرّفة، أو توهمّت العامّة أنّه أبصر اقتطعوا ثيابه، و تبرّكوابها، و جعلوها حرزاً من كلّ بلآء و شرّ...

إذا علمت ذلك فنقول: لو كان ما تركه الأنبيآء و أوصيآئهم المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين من لدن آدم إلى الخاتم «صلّى الله عليه وآله» صدقة لقسّمت بين النّاس بخلاف المعهود من توارث الآبآء والأولاد و سآئر الأقارب... و لايخلو الحال إمّا أن يكون كلّ نبيّ يبيّن هذا الحكم لورثته بخلاف نبيّنا «صلّى الله عليه وآله» أو يتركون البيان كما تركه رسول الله «صلّى الله عليه وآله» فجرى على سنّة الّذين خلوا من قبله من رسل الله جلّ وعلا.

فإن كان الأوّل، فع أنّه خلاف الظّاهر كيف خفي هذا الحكم على جميع أهل الملل و النّحل، و أصحاب الأديان و المذاهب، و علمآء الفِرَق و المسالك... و لم يسمعه أحد إلاّ أبوبكر و من يحذو حذوه، و يقعد مقعده، و لم ينقل أحد أن عصا موسى بن عمران «عليه السلام» انتقلت على وجه الصّدقة إلى فلان، و سيف سليمان «عليه السلام» إلى فلان، و كذا ثياب سآئر الأنبيآء و أسلحتهم و أدواتهم و أموالهم الشّخصيّة فرّقت بين النّاس، و لم يكن في ورثة مأة و أربعة و عشرين ألف نبيّ قوم ينازعون في ذلك، و إن كان بخلاف حكم الله تعالى، و قد كان أولاد يعقوب مع علوّ قدرهم يحسدون على أخيهم، و يلقونه به الجبّ لمّا رأوه أحبّهم إليه، أو وقعت تلك المنازعة كثيراً و لم ينقلها أحد فى الملل السابقة و الامم السّالفة، و أرباب السّير مع شدّة اعتنائهم بضبط أحوال الأنبيآء و المرسلين و خصآئص الأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و ما جرى بعدهم.

و إن كان الثّاني فكيف كانت حال ورثة الأنبيآء و أوصيآئهم عليهم السلام؟ أكانوا يرضون بذلك و لاينكرون؟ فكيف صارت ورثة الأنبيآء و ورثة أوصيآئهم جميعاً يرضون بقول القائمين بالأمر مقام الأنبيآء و لم ترض به سيّدة النّسآء و سيّد الأوصيآء؟ أو كانت سنّة المنازعة جارية في جميع الأُمم و لم ينقلها أحد ممّن تقدّم، و لاذكر من انتقلت تركات الأنبيآء إليهم، إنّ هذا لشيئ عجاب!

و أعجب من ذلك أنّهم ينازعون في وجود النّصّ على أميرالمؤمنين عليّ بن

أبيطالب «عليه السلام» مع كثرة النّاقلين له من يوم السّقيفة السّخيفة الشّوْمة إلى الآن، و وجود الأخبار في صحاحهم، و ادّعاء الشّيعة تواتر ذلك من أوّل الأمر إلى يومنا هذا، و يستندون في ذلك إلى أنّه لو كان حقّاً لما خفي ذلك لتوفّر الدّواعي إلى نقله و روايته.

فانظر بعين الإنصاف: أنّ الدّواعي لشهرة امر خاصّ ليس الشّاهد له الاّ قوم مخصوصون من أهل قرن معيّن أكثر، أم لشهرة أمر قلّ زمان من الأزمنة من لدن آدم إلى الخاتم «صلى الله عليه و آله» يخلو عن وقوعه فيه، مع أنّه ليس يدعو إلى كتمانه و إخفآئه في الأُمم السّالفة داع، و لم يذكره رجل في كتابه، و لم يسمعه أحد من أهل أُمّة، و لعمري لاشكّ حينئذ أنّ من لزم الإنصاف، و جانب المكابرة و الاعتساف، و تأمّل في مدلول الخبر، و أمعن النّظر يجزم قطعاً بكذبه و بطلانه.

و قال بعض المعاصرين: و هل هذا الحكم مطّرد بين الأنبيآء جميعاً؟ أو أنّه من خاصّة نبيّنا «صلى الله عليه و آله»؟ و الأوّل ينقضه الكتاب العزيز بقوله تعالى: «و ورث سليمان داود» النّمل: ١٦) و قوله سبحانه عن زكرّيا: «فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب» مريم: ٦) و من المعلوم أنّ حقيقة الميراث انتقال ملك الموروث إلى ورثته بعد موته بحكم المولى سبحانه، فحمل الآية الكريمة على العلم و النّبوّة كما فعله القوم خلاف الظّاهر لأنّ النّبوّة و العلم لا يورّثان، و النّبوّة تابعة للمصلحة العامّة، مقدّرة لأهلها من أوّل يومها عند بارئها، والله أعلم حيث يجعل رسالته، و لامدخل للنّسب فيها كما لا أثر للدّعآء و المسئلة في اختيار الله تعالى أحداً من عباده نبيّاً، و العلم موقوف على من يتعرّض له و يتعلّمه. على أنّ زكريّا سلام الله عليه إنّما سئل وليّاً من ولده يحجب مواليه «كما هو صريح الآية» من بني عمّه و عصبته من الميراث، و ذلك لا يليق إلاّ بالمال، و لامعنى لحجب الموالي عن النّبوّة و العلم.

ثمّ إنّ اشتراطه «عليه السلام» في وليّه الوارث كونه رضيّاً بقوله: «واجعله ربّ رضيّاً» لا يليق بالنّبوّة، إذ العصمة و القداسة في النّفسيّات و الملكات لاتفارق الأنبيآء، فلا محصّل عندئذ لمسئلته ذلك. نعم يتمّ هذا في المال و مَن يرثه، فإنّ وارثه قد يكون رضيّاً و قد لا يكون. و أمّا كون الحكم من خاصّة رسول الله «صلى الله عليه و آله» فالقول به يستلزم تخصيص عموم آي الإرث

مثل قوله تعالى: «يوصيكم الله في أولادكم للذّكر مثل حظّ الانثيين» النّسآء: ١١) و قوله سبحانه: «و اولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» الأنفال: ٧٥) و قوله العزيز: «إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين و الأقربين بالمعروف» البقرة: ١٨٠).

و لا يسوّغ تخصيص الكتاب إلاّ بدليل ثابت مقطوع عليه لا بالخبر الواحد الّذي لم يصحّ الأخذ بعموم ظاهره لمخالفته ما ثبت من سيرة الأنبيآء الماضين صلوات الله على نبيّنا و آله و عليهم لا بالخبر الواحد الّذي لم يخبت إليه صدّيقة الأمّة و صدّيقها الّذي ورث علم نبيّها الأقدس و عدّه المولى سبحانه في الكتاب نفساً لنبيّه صلّى الله عليها و آلها.

لا بالخبر الواحد الّذي لم ينبّأ عنه قطّ خبير من الأمّة، و في مقدّمها العترة الطّاهرة، و قد اختصّ الحكم بهم، و هم الّذين زُحزِحوا به عن حكم الكتاب الكريم و السّنّة الشّريفة، و حرموا من وراثة أبيهم الطّاهر، و كان حقّاً عليه «صلى الله عليه وآله وسلم» أن يخبرهم بذلك، و لا يؤخّر بيانه عن وقت حاجتهم، و لا يكتمه في نفسه عن كلّ أهله و ذويه و صاحبته و أمّته إلى آخر نَفَس لفظه.

لا بالخبر الواحد الّذي جرّ على الأمّة كلّ هذه المحن و الأحن، و فتح عليها باب العداء المحتدم بمصراعيه، و أجّج فيها نيران البغضآء و الشّحنآء في قرونها الخالية، و شقّ عصا المسلمين من أوّل يومهم، و أقلق من بينهم السّلام و الوئام، و توحيد الكلمة جزى الله محدّثه عن الأمّة خيراً.

ثمّ إن كان أبوبكر على ثقة من حديثه، فلِمَ ناقضه بكتاب كتبه لفاطمة الصّديقة سلام الله عليها بفدك؟ غير أنّ عمر بن الخطّاب دخل عليه، فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب كتبته لفاطمة بيمراثها من أبيها، فقال: ممّاذا تنفق على المسلمين، و قد حاربتك العرب كما ترى؟ ثمّ أخذ عمر الكتاب فشقّه. ذكره سبط ابن الجوزي كما في (السّيرة الحلبيّة: ٣: ٣٩١)» انتهى كلامه.

و هذه كتب التّواريخ و سير الأنبيآء و المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين تشهد أنّ الأنبيآء و المرسلين عليهم السلام كانوا في المواريث أُسوة لامّتهم فيما توجبه شرآئعهم...

فلو قال قائل هذا الحديث المختلق عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «أنا من دون الأنبيآء لا

أُورِّث ما تركته فهو صدقة» كان فيه بعض الحيلة على منع الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام عن ميراثها و كان أقوى في التّمويه و المحال، أو يقول: إنّ الأنبيآء يورّثون و لكنّي أمنع فاطمة الزّهرآء من إرثها من أبيها و أُحرّمه عليها كما قال حليفه عمر بن الخطّاب: المتعتان محلّلتان كانتا على عهد رسول الله «ﷺ» أنا أُحرّمها و أُعاقب عنهما» و لعلّ البغي و الجور و الظّلم منهم عليها منعهم من هذا الحال، فنقول: اللّهمّ العن أوّل ظالم ظلَم حقّ محمّد و آل محمّد، و آخر تابع على ذلك اللّهمّ العنهم جميعاً لعناً وبيلاً بعدد ما أحاط به علمك.

«بحث أصوليّ حول قصّة فدك و معطيها و معطاها»

ينبغي لنا البحث ـ إجمالاً ـ حول فدك أُصوليّاً في أُمور:

الأوّل: أنّه قد ثبت بالأدلّة العقليّة و النّقليّة القطعيّة: أنّ محمّداً رسول الله «ﷺ» إنّما كان رسولاً صادقاً، مصدّقاً أميناً و فيّاً، ما يقول كذباً و لافنداً، و لا يفتري على الله سبحانه أبداً، و قد كان يتّبع ما يوحىٰ إليه، و لقد أقسم الله جلّ و علا بالنّجم إذا هوى أنّه: «ما ضلّ صاحبكم و ما غوى و ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحى يوحى علّمه شديد القوى» النّجم: ٢ ـ ٥).

و قال في كتاب الكريم: «قل ما يكون لي أن أُبدّله من تلقاء نفسي إن أتّبع إلاّ ما يوحىٰ إليّ» يونس: ١٥).

و قد أمر تعالى عباده بإطاعة رسوله «ﷺ» و جعل إطاعته، إطاعة نفسه، فقال: «يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول ـ من يطع الرّسول فقد أطاع الله» النّسآء: ٥٩ و ٨٠).

و أمرهم بائتمارهم أوامره، و انتهاهم عن نواهيه، إذقال: «و ما آتاكم الرّسول فخذوه و مانهاكم عنه فانتهوا و اتّقوا الله» الحشر: ٧).

الثّاني: أنّه لاشكّ في عصمة الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها عن الخطأ و النسيان و طهارتها عن كلّ خطيئة و عصيان للآيات الكريمة النّازلة في عصمتها و طهارتها و للأخبار المتواترة و الإجماع القطعيّ و ضرورة العقل، و قد ورد في فضلها

صلوات الله عليها بخصوصها أو في ضمن أهل بيت العصمة و الطّهارة ما لا يعدّ و لا يحصىٰ من الأخبار و الآثار حتّى صار كالشّمس في رابعة النّهار.

و قد اتّفق أعاظم العامّة على أنّ آية التّطهير الدّالّة على العصمة و الطّهارة ـ الخَلقيّة و الخُلقيّة ـ و النّظافة الجبلّيّة الأصليّة إنّما نزلت في الصّدّيقة الطّاهرة و سائر أهل بيت الوحي من أصحاب الكسآء صلوات الله عليهم أجمعين سيأتى بيانها في تفسير سورة «الأحزاب» إن شآء الله تعالى.

و روى البخاري في (صحيحه: ج ٦ ص ٥٠٢ ـ حديث ١٢٤٥ ـ من كتاب التفسير) في قوله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» الشّورى: ٢٦): أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «القربى هو عليّ و فاطمة و الحسنان».

رواه جماعة من حملة أسفارهم بأسانيدهم سيأتي تفصيلها في تفسير سورة «الشّورى» إن شآء الله جلّ وعلا و روى أنس بن مالك عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في تفسير قوله تعالى: «فاولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النّبيّين و الصّدّيقين و الشّهداء و الصّالحين حَسُنَ اولئك رفيقاً» النّسآء: ٦٩).

أنّه «صلى الله عليه وآله» قال: فأمّا الصّدّيقون فأخي عليّ، و الشّهدآء عمّي حمزة، و الصّالحون بنتي فاطمة و الحسنان».

رواه جماعة من أعاظم العامّة بطرق مختلفة سبق ذكرها في تفسير سورة «النّسآء» فراجع.

و في صحيح البخاري (ج ٥ ص ٨٣ حديث ٢٣٢) أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني».

و الرّواية متواترة عن طريق العامّة، و معناها وارد في موارد لا تُحصىٰ، و قلّما يخلو موطن من المواطن إلاّ تكلم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في فضل فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها.

و روى الترمذي في (سننه: ج ٥ ص ٦٦٢ حديث ٣٧٨٦) عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه قال: رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجّة الوداع يوم عرفة و هو على ناقة القصوا يخطب، فسمعته يقول: «إنّي تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله و عترتي أهل بيتي».

رواه جماعة من حملة أسفارهم بأسانيدهم و طرقهم المختلفة أوردناها في البحث: «حول حديث الثقلين» من هذا التّفسير.

و روى ابن المغازلي في (المناقب: ص ۱۳۲ حديث ۱۷۳) عن أبي ذرّ الغفاري أنّه قال ـ و هو آخذ بباب الكعبة ـ: «سمعت النّبيّ «صلى الله عليه و آله» يقول: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا و من تخلّف عنها هلك».

رواه جماعة من أعلامهم بطرق عديدة أوردناها في محلّها من هذا التّفسير.

و غير ذلك من الرّوايات المتواترة و النّصوص المتضافرة في فضل أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين، و قد شحنت بها كتب العامّة و الخاصّة بحيث لم يبق فيها جهة شبهة و إنكار بالمرّة، و بلغت في الكثرة من طرق العامّة وحدها بحيث تشبع و تغني في مقام الخلاف، و تكفي لأهل الإنصاف و غير أهل الإنصاف.

و دلالة جميع ذلك على الطّهارة و العصمة واضحة، و ذلك لإطلاق الطّهارة و زوال الرّجس الشّامل للطّهارة الخَلْقيّة و الخُلقيّة و القوليّة و العلميّة، و العمليّة و لامعنى لجعل مودّة ذوي القربى أجرالرّسالة مع كونهم من أهل الخطأ و المعصية، و إنّ الصّلاح المطلق لايصدق إلّا مع العصمة، و إنّ المعصية تستلزم الحدّ و الأذيّة، فكيف يجوز للحاكم أن يحكم بحدّها؟ فيلزم أن لاتصدر من الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام المعصية الموجبة للأذيّة.

و لامعنى للأمر بالتّمسّك بالعاصي، و لاالنجاة من تمسّك به، فمع المعصية لايبقى وجه لأخبار الثّقلين، و أخبار السّفينة و غيرهما... فثبت أنّ فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها معصومة مطهّرة، و من أهل القربى الّذين أمرالله تعالى عباده بمودّتهم، و جعلها أجر الرّسالة لرسوله «صلى الله عليه و آله» و أنّ الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام هي الصّالحة، و البضعة من النّبيّ «صلى الله عليه و آله» الّتي من آذاها فقد آذى رسول الله «صلى الله عليه و آله» و من آذى رسول الله «صلى الله عليه و آله» فقد آذى الله جلّ و علاء، و أنّها من الثّقل الأصغر الغير المفترق من كتاب الله الّذي هو الثّقل الأكبر، و أنّها من سفن النّجاة الّتي من تمسّك بها نجا، و من تخلّف عنها هلك.

الثالث: و لا شكّ أنّ أبابكر بن أبي قحافة قد آذى الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها الّتي شهدالله عزّوجلّ ورسوله «صلى الله عليه و آله» بطهارتها إذ أخذ منها فدكاً بالقهر و المغالبة، و

كذّبها في مطالبتها إيّاها من باب النّحلة و العطيّة، و طلب منها الشّهود على ذلك مع كونها متصرّفة في هذه النّحلة، فكذّب شهودها الّذين أقامتهم في تلك الواقعة، و أنّ تكذيب الشّهود هو تكذيب لمن يستشهد، ثمّ كذّبها في مطالبة الإرث من جهة أبيها رسول الله «صلى الله عليه و آله» و كفر بآيات الله الّتي استشهدت سلام الله عليها بها في أثناء خطبتها الشّريفة المذكورة الصّادرة من هذا المصدر الأعلى في مقام التظلّم و الشّكاية لايشك فيها إلاّ من كان مسلوب الدّراية، و خبيث الولادة...

و أنّ أبابكر قد كذّب الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها، و ترك مودّة أهل القربى، و أذى هذه الصّالحة العظمى الّتي هي بضعة النّبيّ الأوفى الّتي من آذاها فقد آذى الله، و حاربها مع أنّ حربها حرب نبي الله تعالى، و ترك التّمسّك بالثّقل الأكبر و الأصغر كليهما، و تخلّف عن سفينة النّجاة فضلّ و هلك.

هل كانت الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها لاتعلم حقيقة مسئلة الميراث و حكم فدك، و هي من معادن النّبوّة و الوحي و الرّسالة و العصمة و الطّهارة، محدّثة عالمة بالجفر و الجامعة، و كان أبوبكر و عمر عالمين بوجه المسئلة؟! و هل هذا التّمحّل إلاّ عناداً أو مكابرة، و لجاجاً أو عداوة، مع أنّه كان ذلك الأمر بمحضر أميرالمؤمنين و الحسنين عليهم السلام، فلِمَ لم يعرّفوها حكم المسئلة، و لم يمنعوها عن الخروج إلى المسجد في محضر الخاصّة و العامّة؟ أم هم أيضاً مثلها لايعرفون حكمها؟!

و قد تحقّق في صحاح العامة و مسانيدهم و مآخذهم المعتبرة عندهم بالرّوايات الصّحيحة أنّ الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام قد أوصت إلى عليّ «عليه السلام» أن يدفنها ليلاً حتّى لايحضر أبوبكر و عمر على صلاتها و تشييعها، و لايعرفا قبرها و لايزوراها كما لم تأذن أن يعوداها في مرضها، فكانت ساخطة عليهما حتّى ماتت، حاكمة بكفرهما و ضلالهما، غير مذعنة بإمامتهما و لامطيعة لهما، و أنّها قد استمرّت على تلك الحالة حتّى سبقت إلى كرامة الله و رضوانه.

فمن قال بإمامة أبي بكر لامحيص له عن القول بأنّ سيّدة نسآء العالمين، و من طهّرها الله تعالى في كتابه من كلّ رجس، و قال النّبيّ الكريم «صلى الله عليه و آله» في فضلها و طهارتها و عصمتها

ما قال، قد ماتت ميتة جاهليّة، و ميتة كفر و ضلال و نفاق، و لاأظنّ أحداً و إن كان ملحداً أوزنديقاً يرضى بهذا القول الشّنيع، مع أنّه قد ثبت بالآيات و الأخبار و الإجماع و الضّرورة كونها عليها السلام معصومة عن كلّ خطأ و خطيئة، و مطهّرة عن كلّ رجس و معصية ألبتّة.

و ما جرى في قصّة فدك و ما صدر عنها من الإنكار على أبي بكر و مجاهرتها بالحكم بكفره و كفر طائفة من الصّحابة و فسقهم و نفاقهم و ضلالهم تصريحاً و تلويحاً، و تظلّمها و غضبها على أبي بكر و هجرتها و ترك كلامها حتّى ماتت، لوكانت معصية على خلاف الشّريعة لكانت من المعاصي الظّاهرة الّتي قد أعلنت بها على رؤوس الأشهاد، و أيّ ذنب أظهر و أفحش من مثل هذا الرّدّ و الإنكار على الخليفة المفترض الطّاعة على العالمين بزعمهم؟

فلا محيص لهم عن القول ببطلان خلافة خليفتهم المنصوب بإختيار بعض فسقة هذه الأمّة، عبيد الشّهوة و الشّهرة تبعاً لأغراضهم الفاسدة و أهوآئهم الكاسدة، تحرّزاً عن إسناد هذه المعصية الكبرى إلى سيّدة النّسآء، فظهر ممّا سبق بطلان دعوى أبي بكر في فدك و الخلافة، و أنّه لن يليق للخلافة أبداً، و لم يكن له حقّ في فدك و لو قدر قلامة.

الرّابع: قد ثبت بالرّوايات المتواترة، و النّصوص المتضافرة عند الفريقين أنّ عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» كان لايفارق الحقّ، و لايفارقه الحق، بل يدور معه حيثما دار، و أنّه الفاروق بين الحقّ و الباطل، بين الايمان و الكفر، بين العدل و الجور، بين النّور و الظّلمة، بين الإخلاص و النّفاق، و بين الصّلاح و الفساد... و أنّ من اتّبعه اتّبع الحقّ، و من تركه ترك الحقّ. و قدورد أخبار كثيرة من كتبهم و صحاحهم و مسانيدهم و مآخذهم و أسفارهم المعتبرة عندهم: أنّ عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» كان أقضى النّاس، و أعلمهم و أحكمهم و أزهدهم و أورعهم و أعدلهم و آمنهم و أتقاهم و أفضلهم و ما إليها ممّا ملأ الخافقين، و رفع الشّبهة عن البين.

و لايشك من له أدنى تتبّع في الآثار، و تنزّل قليلاً عن درجة التّعصّب و الإنكار في أنّ مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» يرى فدكاً حقّاً للصّدّيقة

الطّاهرة و قد اعترف بذلك جلّ أهل الخلاف و مردة السّقيفة السّخيفة الشّؤمة، و رووا أنّ عليّاً﴿عليه السلام﴾ قد شهد لفاطمة الزّهرآء سلام الله عليها بذلك، بل خاصم مع أبي بكر و عمر بالكتابة و المشافهة مرّات عديدة، و لذلك، تراهم يجيبون تارة بعدم قبول شهادة الزّوج، و اخرى بأنّ أبابكر لم يمض شهادة عليّ﴿عليه السلام﴾ لأنّه يجرّ النّفع إلى نفسه، و ثالثة يكتب كتاباً لرد فدك إلى فاطمة الزهرآء سلام الله عليها فيشّقه و يمزّقه و يمحوه عمر بن الخطّاب، و يردّ شهادة سبع شهود كأم أيمن، و أمّ سلمة، و أسمآء بنت عميس، و أُمّ كلثوم و أُمّ سلمة، كلّهنّ من نسآء أهل الجنّة، و الحسنين عليهما السلام و هما سيّدا شباب أهل الجنّة.

فهل يشكّ عاقل في حقّيّة دعوى كان المدّعي فيها سيّدة نسآء العالمين من الأوّلين و الآخرين باتّفاق المخالفين و المؤالفين، مع اتّصافها بالفضآئل غير المحصورة الّتي مُلِئت منها صحآئف الأوّلين، و الشّاهد لها أمير المؤمنين الّذي قال فيه سيّد الأنبيآء و خاتم المرسلين﴿صلى الله عليه و آله﴾ ما قال من ملازمته للحقّ، و عدم مفارقته الحقّ قطّ و غير ذلك من الفضآئل الجمّة الّتي لاتحصىٰ...

«قصّة فدك و النّحلة في مجلّة الرّسالة المصريّة»

و اعلم أنّ السّيّد حسن الأمين قد أورد في (الجزء الثّاني: ص ٧ من دائرة المعارف الإسلاميّة الشّيعيّة ط بيروت سنة: ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م) ما قاله الاستاذ محمود أبورية ـ من مفكّري العامّة المعاصر ـ صاحب كتاب (أضوآء على السّنّة المحمّديّة أو دفاع عن الحديث) مالفظه:

«و في مجلّة الرّسالة المصريّة في العدد (٥١٨ من السّنة ١١ ص ٤٧٥) كلام للاستاذ محمود أبورية من علمآء مصر هذا لفظه: بقي أمر لابدّ من أن نقول فيه كلمة صريحة هو موقف أبي بكر من فاطمة بنت الرّسول، و ما فعل معها في ميراث أبيها لأنّنا إذا سلّمنا بأنّ خبر الآحاد الظّني يخصّص الكتاب القطعيّ، و أنّه قد ثبت أنّ النّبيّ قد قال: أنّه لايورّث، و أنّه لاتخصيص في عموم هذا الخبر، فإنّ أبابكر كان يسعه أن يعطي فاطمة بعض تركة أبيها كان يخصّها بفدك، و هذا من حقّه الّذي لايعارضه فيه أحد، إذ يجوز للخليفة أن يخصّ من شآء بماشآء، و قد خصّ هو نفسه الزّبير بن العوام و محمّد بن سلمة و غيرهما ببعض متروكات النّبيّ، على أنّ فدكاً هذه الّتي منعها أبوبكر من فاطمة لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان.

هذا ما ذكره هذا العالم الأزهري. و قد ورد في (معجم البلدان) أنّه أدّى اجتهاد عمر بن الخطّاب لمّا ولي الخلافة أن يردّ فدكاً إلى ورثة النّبيّ، فكان عليّ بن أبيطالب و العبّاس عمّه يتنازعان فيها، و يدّعي العبّاس هو وارث النّبيّ. و هذا الكلام قد انفرد بذكره صاحب

معجم البلدان، و هو كلام لا يصحّ، لأنّه إذا النّبيّ لا يورّث ـ كما روى أبوبكر ـ فكيف يدّعي العبّاس أنّه وارثه، و إذا كان يورّث، فوارثه ابنته فاطمة. و سيرد كلام آخر في هذا الموضوع.

فاطمة البطلة المكافحة:

كانت فاطمة عزيزة على النّبيّ، و بلغ حبّه لها أقصى ما يمكن أن يبلغه حبّ إنسان لإنسان، و لم تكن أُبوّته لها هي وحدها مصدر هذا الحبّ العظيم، بل كانت هناك عوامل عديدة زادت النّبيّ تعلّقا بابنته و حبّاً لها. منها:

أوّلاً: أنّها كانت وحيدته بعد أن فقد الأولاد واحداً بعد واحد.

ثانياً: شخصيّتها الفريدة: فمن تتبّع أخبارها تبدوله فاطمة ذات شخصيّة متفوّقة و ذكاء فطريّ عظيم و حسن تفهّم للأمور، و تحمل للشّدآئد و إدراك لظروف المجتمع الّذي تعيش فيه.

ثالثاً: وقوفها إلى جنب أبيها في مطلع الدّعوة، و هي لاتزال صغيرة السّنّ، لاوقوف الفتاة اليتيمة الّتي فقدت أُمّها، فأصبحت عبئاً على أبيها كما يحدث في مثل هذه الحالات. بل وقوف الفتاة الّتي تدرك ظروف أبيها، و تعلم خطر الرّسالة الّتي يدعولها، و تعرف ما يحيط به من شدآئد و أهوال و عداوات، و ما يحتاج إليه من مخلصين مناضلين أكفآء، يشاركونه حمل الأعبآء الضّخمة الّتي يحملها.

لهذا تناست فاطمة أنّها صغيرة السّنّ، يتيمة الأُمّ، محتاجة لمن يرعاها في بيتها، و يقوم على شئونها، و صممت على أن تقف إلى جنب أبيها وقوف المرأة الصّلبة القويّة العزيمة المضحية براحتها و رفاهيتها لاوقوف البنت المدللة الّتي تزيد أباها تعباً على تعبه، و لو أنّ أيّ فتاة اخرى غير فاطمة، و غير متمتّعة بسجايا فاطمة مرّت بها ظروف فاطمة لكانت بالفعل في مثل ذلك السّنّ عبئاً على أبيها و شاغلاً من مشاغله و همّاً من همومه.

و لكن فاطمة الطّفلة صارت ربّة بيت أبيها بعد وفاة أُمّها تكفيه التفكير بمشاغل بيته، ثمّ صارت عضداً له في الشّدآئد الّتي أصابته، فحين يبلغها أنّ أباها تعرض لأذى قريش تركض إليه ركض اللبوة، و تقف إلى جانبه مدافعة عنه، ثمّ تأخذ بيده مزيلة عن جسده ما

ألقته قريش عليه أو تضمد جراحه بيديها مترفعة عن ضعف النّساء في هذه الحالات مثبتة لأبيها أنّ إلى جانبه بطلة مكافحة لاطفلة مدللة.

و لم يجد محمّد كلمة تعبر عن تقديره لما لقي من ابنته الصّغيرة و أدّته له في مواقفه من حنان و مشاركة و نضال أفضل من أن يلقّبها: «أمّ أبيها» لقد سمّاها بهذا الإسم ليدلّ على ما كان لها من أثر في حياته، و في تأدية رسالته.

و هكذا نرى فاطمة فتاة يتيمة الأمّ تحمل في منزل والدها، و في أداء رسالته ما لايمكن أن تحمل مثل فتاة في مثل سنّها و مثل ظروفها، فمرّت طفولتها و صباها في عناء و تنغيص و بلاء، لقد نغص المشركون حياتها في صباها بما كانوا يفعلونه بأبيها، و ما كانوا يؤذونه به، فكيف عاملها المسلمون في شبابها، و هل حرص المسلمون على أن تكون تلك الفتاة شريكة محمّد في الكفاح، و الّتي استحقّت أن يقول عنها: إنّها: «أمّ أبيها» هل حرص المسلمون على أن يعوضوها في شبابها عمّا فاتها في صباها من راحة و هنآء؟ سنرى جواب ذلك فيما بعد.

و هنا لابدّلنا من الإشارة إلى أنّ فاطمة لم تشارك في الدّعوة الإسلاميّة بجهدها وحده و لم تضح براحتها وحدها، و لم تكن بطلة بأعمالها فقط. أنّ فاطمة قدمت للدّعوة الإسلاميّة فوق هذا ماكانت تحتاجه تلك الدّعوة من مال كثير ورثته عن أمّها خديجة، فإنّ خديجة التّاجرة الثّرية ذات الأموال الكثيرة قد خلفت ما بقي من تلك الأموال لزوجها و لابنتها، و هكذا كانت فاطمة الوارثة لأموال خديجة، فأين ذهب ذاك المال، و هل استطاعت فاطمة أن تنعم به؟ لقد وضعت ذاك المال كلّه في يد أبيها لينفقه على الدّعوة الإسلاميّة و رجالها، و رضيت حياة الفقر الشّديد، و عاشت في الحرمان تطحن القمح بيدها لبيتها.

و عندما انتصرت الدّعوة و فاز المسلمون رأي النّبيّ أنّ من حقّ ابنته البطلة المكافحة أن تستريح قليلاً، و كانت قد حصلت له مزرعة فرأى أن يهبها لابنته لتعيش بمنتوجها بعد أن أصبحت هي و زوجها ذات أسرة و أطفال، لقد أعطاها مزرعة فدك، و هكذا كانت هذه المزرعة مورد الرّزق لهذه الأسرة النّبوّة المؤلفة من ابنة النّبيّ و زوجها و أولادهما

أسباط النبيّ.

و في اليوم الأوّل بعد وفاة النّبيّ كان أوّل إجراء اتّخذته السّلطات الحاكمة هو أن طلبت إلى فاطمة أن ترفع يدها عن فدك.

و بالرّغم ممّا كانت فيه فاطمة من حزن على أبيها، و من تألم للاسلوب الّذي تمّ فيه الاستيلاء على الخلافة فقدها لها أن يبلغ الأمر إلى هذا الحدّ، فتحرم بعد وفاة أبيها حتّى من موارد العيش، فكان لابدّلها من النّضال من جديد، و هكذا نرى أنّ فاطمة العزيزة على النّبيّ و وحيدته تضطرّ لأنّ تقف على أبواب من أوجدهم أبوها مطالبة بحقّها!.

و اضطرّت لأن تسئل بأيّ حقّ يحرمونها من رزقها بعد وفاة أبيها و إذا بالأمر يزداد إمعاناً في تعذيبها بأن توقّف موقف المدعية بغير حقّها، و يطلب منها شهود على أنّ أباها وهبها فدكاً، و قد كان من الطّبيعيّ أن لايحضر النّبيّ الشّهود الغربآء ليشهدهم على تصرّف عائليّ بحت يجريه بينه و بين ابنته، فزاد هذا الطّلب في آلام فاطمة إذن، فإنّ البطلة المكافحة الّتي بذلت راحتها و هناءها، و جاهدت بكلّ صلابة مع أبيها العظيم، ثمّ ضحت بكلّ ما تملك من مال غزير لإنجاح الدّعوة الإسلاميّة، و إذن فهي اليوم متّهمة ممّن أوجدهم أبوها بأنّها كاذبة في دعواها، و أنّ عليها أن تفتش عن شهود ليؤيّدوا دعواها.

و قدكان هذا فوق تحتمله فاطمة العظيمة، و لكنّها عزمت على السّير معهم إلى النّهاية حفظاً لآخرحقّ لها و تنبيهاً للأمّة، فأفهمتهم أنّه لم يكن من شأن النّبيّ أن يفتش عمّن يشهد له و لابنته على تصرّف عائليّ بحت يخصّها وحدهما، و أنّ وضع يدها على فدك و تصرّفها بها في حياة أبيها ممّا هو معروف مشهور كاف لتأييد قولها، و مع ذلك فإنّه حين أعلن لها أبوها بأنّه وهبها لها كان حاضراً كلّ من عليّ بن أبيطالب و أمّ أيمن، ثمّ ما شأنكم أنتم بذلك؟ إنّ المال مال أبي، فلو فرضنا أنّه لم يكن قدوهبه لي في حياته، فإنّي وارثته الوحيدة.

و هنا كانت الأقدار قد أعدت لفاطمة المفاجأة المذهلة، لقد أجابوها بأنّها لن ترث عن أبيها شيئاً و لافدكاً و لا غير فدك، و أنّ جميع أموال أبيها مصادرة، و قال الخليفة: لقد سمعت النّبيّ يقول: نحن معاشر الأنبيآء لانورّث.

قال هذا القول معترفاً بأنّ أحداً من المسلمين غيره لم يسمعه من النّبيّ و أنّه وحده الّذي سمعه ثمّ أضاف بأنّه لايقبل شهادة عليّ و أمّ أيمن لأنّهما رجل و امرأة و هو يريد رجلين. على أنّنا قبل أن نعرض مناقشة فاطمة لهم نتساءل: لماذا يريدنا الخليفة على أن نقبل في هذاالامر قوله وحده، و قد جعل من نفسه شاهداً يشهد لنفسه في دعوى هو فيها المدّعى عليه.

و إذا كان يرى أنّ شهادة رجل و امرأة لاتقبل، فكيف تقبل شهادة رجل وحده؟!

ثمّ كيف يصحّ أن يجعل من نفسه خصماً و قاضياً و شاهداً؟!

إنّ الطّريق السّليم في مثل هذا الحال هو الآتي:

إنّ القاعدة الإسلاميّة هي أن يرث كلّ وارث مال مورّثه مهما كانت شخصيّة هذا المورّث و هنا رجل يدّعي أنّه سمع من النّبيّ غير هذا، إذن فإنّ عليه فقاً لكلّ قانون في العالم أن يعرض هذا القول على المسلمين، ثمّ يختار المسلمون قاضياً و يتقدّم هو كشاهد فإذا وجد من يؤيد شهادته أخذ القاضي بالشّهادة، و إذالم يجد ردّ القاضي شهادته، أمّا أن يردّ هو شهادة رجل و امرأة ثمّ يجعل من نفسه القاضي و الخصم و الشّاهد فذلك أمر لايقرّه، لاعرف و لاقانون، هذا بصرف النّظر عن شخصيّة صاحبة الدّعوى و شخصيّة أبيها و شخصيّتي الشّاهدين.

و مثل هذا القول الّذي نقوله قال الكثيرون من العلمآء المنصفين المتحرّرين من المسلمين و نذكر منهم العالم المصري الشّيخ محمّد أبورية الّذي مرّ قوله فيما تقدّم.

على أنّ فاطمة العظيمة رأت في طريقة الاستيلاء على الخلافة، ثمّ في المعاملة الّتي عوملت بها نذيراً بما سيصير إليه الإسلام في المستقبل البعيد، و بما سينتهي إليه الحكم الإسلامي في الآتي من الأيّام.

فكانت و هي تكافح عن حقّها الشّخصي، إنّما تكافح عن حقّ الشّعب في المستقبل متّخذة من حقّها مظهراً لتنبيه الشّعب و سبيلاً لإنذاره بما سيصير إليه، محذرة من الفتن الّتي فتح بابها على مصراعيه، و قد تحقّق كلّ ما حذرت منه فاطمة، و نبهت إليه و انتهى أمر الإسلام إلى أن يحكمه مثل معاوية و مروان و الوليد بن عقبة و عبدالله بن أبي سرح و زياد

بن أبيه فضلاً عن يزيد و عبيدالله بن زياد و الحجّاج و أشباههم.

و عندما استنكر فريق من أخلص المسلمين أن تعامل فاطمة هذه المعاملة و لزموا بيتها مواسين لها في محنتها لم تشعر فاطمة في ليلة من الليالي إلاّ و الجنود تحيط بمنزلها، و الصّياح يتعالى حول المنزل بالتّهديد و الوعيد، و صاح قائد الجند: أنّني سأحرق البيت على من فيه! فقيل له: إنّه بيت محمّد و بيت فاطمة، فقال: و إن كان. و بالفعل أتى بحزمة من الحطب و أشعل فيها النّار و أراد رميها على البيت.

و هنا يختلف المؤرّخون في وصف ما حدث و الآثار الّتي ترتّبت على ذلك، و لكنّ الثّابت أنّ فاطمة وقفت كعادتها موقف البطولة الّتي اعتادت أن تقفها في مثل هذا الحادث يوم كانت تكافح مع أبيها.

«كذب مطالبة الإمام عليّ عليه السلام و العبّاس من أبي بكر بميراثهما»

و من المعلوم لمن له أدنى مسكة و دراية: أنّ من دأب المتخلّفين عن طريق الحقّ و الهدى، و الخير و الصّلاح، و النّجاة و الفلاح، و الصّواب و الرّشاد... و ديدن المتجاوزين عن حدود الله جلّ وعلا اختلاق الأحاديث المتضاربة، و وضع الرّوايات المتضادّة، صدرها لذيلها، و بعضها للبعض الآخر سواء أوضعوها بأنفسهم لو كانوا قادرين على الاختلاق و الوضع أم بأجرآئهم الوضّاعين و عملآئهم المختلقين... لتوجيه جورهم و جنايتهم، و ظلمهم و خيانتهم، و بغيهم و غوايتهم، و فسادهم و ضلالتهم، و فسقهم و نفاقهم...

روى أحمد في (مسنده: ج ١ ص ١٣) عن ابن عبّاس أنّه قال: «لمّا قبض رسول الله «صلّى الله عليه و آله» و استخلف أبوبكر خاصم العبّاس عليّاً في أشيآء تركها رسول الله «صلّى الله عليه و آله» فقال أبوبكر: شيئ تركه رسول الله «صلّى الله عليه و آله» فلم يحركه فلا أُحركه...» الحديث.

روى مثله الهندي في (كنز العمّال ـ في أوّل كتاب الخلافة: ج ٢ ص ١٢٥) عن أحمد و البزار، و قال: حسن الأسناد، فإنّ هذا الحديث صريح في أنّهما اختصما بأشيآء من متروكات النّبيّ «صلّى الله عليه و آله».

و لايخفى أنّ مقتضى رواية أبي بكر أن تكون هذه المتروكات من الصّدقات، فكيف كان

على أبي بكر أن لايحرّكها، و أيّ تحريك أكبر من حكم النّبيّ ﴿ﷺ﴾ بأنّها صدقة.

و أمّا القول بأنّها كانت ميراثاً و كان العبّاس وارثاً أيضاً لأنّه العم فمردود بأنّ العم لايرث مع البنت لبطلان التّعصيب.

و روى مسلم في (صحيحه: ج ٣ ص ١٤٢): «و قال عمر للعبّاس و عليّ: فلمّا توفّي رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال أبوبكر: أنا وليّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ فجئت تطلب ميراثك من إبن أخيك، و يطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال: أبوبكر: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: ما نورّث ما تركناه صدقة، فرأيتماه كاذباً، آثماً، غادراً، خائناً. و الله يعلم إنّه لصادق بارّ راشد تابع للحقّ، ثمّ توفّي أبوبكر، فقلت: أنا وليّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ و وليّ أبي بكر، فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً، و الله يعلم إنّي لصادق بارّ راشد، تابع للحقّ، فوليتها، ثمّ جئتني أنت و هذا، و أنتما جميع، و أمركما واحد، فقلتما: ادفعها إلينا».

رواه البخاري في (صحيحه) باختلاف يسير.

فعلى العاقل أن ينظر إلى هذا الحديث الّذي أورده أعاظمهم في صحاحهم كيف يجوز لأبي بكر أن يقول: أنا وليّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ و كذا لعمر بن الخطّاب، مع أنّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ مات، و قد جعلهما من جملة رعايا أُسامة بن زيد، و ذلك أنّ أصحاب السّير و الأخبار قد أجمعوا على أنّ أبابكر و عمر كانا في جيش أُسامة، و أرسلوا ذلك إرسال المسلّمات، و هذا ممّا لايختلف فيه أحد، و لكنّهما و من كان يحذوحذوهما تثاقلوا هنا، فلم يبرحوا، مع ما وعوه و رأوه من النّصوص الصريحة على وجوب إسراعهم كقوله ﴿ﷺ﴾: «جهزّوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلّف عنه» كما في (الملل و النّحل: ج ١ ص ٢٣) و غيره.

و كيف استجاز عمر بن الخطّاب أن يعبّر عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ بقوله للعبّاس: تطلب ميراثك من ابن أخيك، مع أنّ الله تعالى كان يخاطبه بصفاته كقوله عزّوجلّ: «يا أيّها الرّسول» و «يا أيّها النّبيّ» و «يا أيّها المزّمّل» و «يا أيّها المدّثّر» و غيرها، و قد نادى غيره من الأنبيآء و المرسلين عليهم السلام بأسمآئهم، و لم يذكره ﴿ﷺ﴾ باسمه إلاّ في خمسة مواطن، شهد له فيها بالرّسالة، لضرورة تخصيصه و تعيينه بالاسم:

١ ـ كقوله عزّوجلّ: «و ما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرّسل» آل عمران: ١٤٤).

۲ ـ كقوله تعالى: «و ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النّبيّين» الأحزاب: ٤٠).

۳ ـ كقوله سبحانه: «بما نُزّل على محمّد و هو الحقّ من ربّهم» محمّد(ﷺ): ۲).

٤ ـ كقوله جلّ وعلا: «محمّد رسول الله و الّذين معه أشدّآء على الكفّار رحمآء بينهم» الفتح: ۲۹).

٥ ـ كقوله تعالى: «برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» الصّفّ: ٦).

ثمّ إنّ الله عزّوجلّ قال: «لاتجعلوا دعآء الرّسول بينكم كدعآء بعضكم بعضاً» النّور: ٦۳).

ثمّ عبّر عمر بن الخطّاب عن بضعة رسول الله(ﷺ) مع عظم شأنها و شرف منزلتها بقوله لأميرالمؤمنين(ع): و يطلب ميراث امرأته.

ثمّ إنّه وصف اعتقاد الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب(ع) و اعتقاد العبّاس في حقّه، و حقّ حليفه أبي بكر بأنّهما كاذبان، آثمان، غادران، خائنان.

فإن كان اعتقاده فيهما حقّاً و كان قول الإمام عليّ(ع) و العبّاس صدقاً لزم تطرّق الذّمّ إلى أبي بكر و عمر و أنّهما لا يصلحان للخلافة، و إن لم يكن كذلك لزم أن يكون قد قال عنهما بهتاناً و زوراً، إن كان اعتقاده مخطئاً، و إن كان مصيباً لزم تطرّق الذّمّ إلى أميرالمؤمنين الإمام عليّ(ع) و العبّاس، حيث اعتقدا في أبي بكر و عمر ما ليس فيهما، فكيف استصلحوه للإمامة، مع أنّ الله تعالى قد نزّهه عن الكذب و قول الزّور.

مع أنّ البخاري و مسلماً ذكرا في صحيحيهما: أنّ قول عمر هذا لعليّ(ع) و العبّاس بمحضر مالك بن أُوس، و عثمان، و عبدالرّحمن بن عوف، و الزّبير، و سعد، و لم يعتذر أمير المؤمنين الإمام عليّ(ع) و لا العبّاس عن هذا الاعتقاد الّذي ذكره عمر، و لا أحد من الحاضرين اعتذر لأبي بكر و عمر».

و روى البخاري في (صحيحه) أحاديث تصرح أنّ أميرالمؤمنين(ع) و العبّاس طلبا من عمر الميراث حيث يقول في أحدها: «جئتماني و كلمتكما واحدة: جئتني يا عبّاس تسئلني نصيبك من ابن أخيك، و جآءني هذا يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلتُ لكما: إنّ

رسول الله «صلى الله عليه و آله» قال: «لانورّث ما تركناه صدقة» و قريب منه في حديثيه الآخرين.

و هومن الكذب الصّريح لأمور:

الأوّل: أنّه كيف يتصوّر أن يطلبا من عمر الميراث و هما يعلمان أنّ النبيّ «صلى الله عليه و آله» لايورث، و هومن الكذب الفضيع لمنافاته لدينهما و شأنهما و كونه من طلب المستحيل عادة لأنّ أبابكر قد حسم أمره و كان أكبر أعوانه عليه عمر بن الخطّاب، فكيف يطلبان منه الميراث و مع ذلك فكيف دفع لهما عمر مال بني النّظير ليعملا به عمله و عمل رسول الله «صلى الله عليه و آله» و أبي بكر، و هما قد جاءاه يطلبان الميراث مخالفين لعلمهما غير مبالين بحكم الله و رسوله «صلى الله عليه و آله» حاشاهما فيكون قدحاً في عمر بن الخطّاب.

الثاني: أنّ أميرالمؤمنين «عليه السلام» و العبّاس لوسمعا من رسول الله «صلى الله عليه و آله» ما رواه أبوبكر حتّى أقرّا به لعمر فكيف يقول لهما عمر كما في حديث مسلم: «رأيتما أبابكر كاذباً آثماً غادراً خائناً و رأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً».

الثّالث: أنّ أميرالمؤمنين «عليه السلام» لوسمع ذلك فلِمَ ترك بضعة رسول الله «صلى الله عليه و آله» أن تطالب بما لا حقّ لها فيه أأخفى ذلك عنها راضياً بأن تغصب مال المسلمين أو أعلمها، فلم تبال و عدت على ما ليس لها فيه حقّ، فيكون الكتاب كاذباً أو غالطاً بشهادته لهما بالطّهارة، فلا مندوحة لمن صدق الله و كتابه و رسوله «صلى الله عليه و آله» أن يقول بكذب هذه الأحاديث.

الرّابع: أنّه ذكر في حديث مسلم و يعز على نقله، و إن كان ناقل الكفر ليس بكافر - أنّ العبّاس قال لعمر: «اقض بيني و بين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن» و هذا ممّا لا يتصوّر صدوره من العبّاس إذ كيف ينسب لعليّ «عليه السلام» الكذب و الغدر و الخيانة، و هو يعلم أنّه نفس النّبيّ الأمين «صلى الله عليه و آله» و أنّ الله سبحانه شهدله بالطّهارة؟ و كيف يسبّه و قد علم أنّ من سبّ عليّاً «عليه السلام» سبّ الله تعالى و رسوله «صلى الله عليه و آله» اللّهمّ إلاّ أن يكون كافراً مخالفاً لما علم، و ثبت بالضّرورة، و العبّاس أجلّ قدراً و أعلى شأناً من ذلك؟

فلابدّ أن يكون هذا القول مكذوباً على العبّاس من المنافقين الّذين يريدون سبّ الإمام الحقّ المعصوم «عليه السلام» و وضعوا هذا الحديث كما هو ديدنهم لإصلاح حال أبي بكر و

حليفه عمر بن الخطّاب من دون فهم و رويّة و دراية.

و في الغدير: قال: و إن كان صحّ الخبر: «لانورّث ما تركناه صدقة» و كان أبوبكر مصدّقاً فيما جآء به، فما تلكم الآراء المتضاربة بعد أبي بكر، و إليك شطراً منها:

۱ـ لمّا ولي عمر بن الخطّاب الخلافة ردّ فدكاً إلى ورثة رسول الله «صلّى الله عليه و آله» فكان عليّ بن أبيطالب و العبّاس بن عبدالمطلب يتنازعان فيها، فكان عليّ يقول: إنّ رسول الله «صلّى الله عليه و آله» جعلها في حياته لفاطمة، و كان العبّاس يأبى ذلك و يقول: هي ملك رسول الله «صلّى الله عليه و آله» و أنا وارثه، فكانا يتخاصمان إلى عمر، فيأبى أن يحكم بينهما، و يقول: أنتما أف بشأنكما، أمّا أنا فقد سلّمتها إليكما.

راجع (صحيح البخاري ـ كتاب الجهاد و السّير ـ باب فرض الخمس: ج ٥ ص ٣ ـ ١٠) و (صحيح مسلم ـ كتاب الجهاد و السّير ـ باب: حكم الفيء، الأموال لأبي عبيد ص ١١) ذكر حديث البخاري و برّة) و (سنن البيهقي، ج ٦ ص ٢٩٩) و (معجم البلدان: ج ٦ ص ٣٤٣) و (تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٣٣٥) و (تاريخ ابن كثير: ج ٥ ص ٢٨٨) و (تاج العروس: ج ٧ ص ١٦٦). و قال: نحن لانناقش فيما نجده من المخازي في أحاديث الباب كأصل التّنازع المزعوم بين عليّ «عليه السلام» و العبّاس، و ماجآء في لفظ مسلم في صحيحه من قول العبّاس لعمر: يا أميرالمؤمنين! اقض بيني و بين هذا الكاذب الآثم الغادر الخآئن، أهكذا كان العبّاس يقذف سيّد العترة الطّاهر المطّهر بهذا السّباب المقذع و بين يديه آية التّطهير و غيرها ممّا نزل في عليّ أميرالمؤمنين في آي الكتاب العزيز؟ فما العبّاس؟ و ما خطره عندئذ؟ و بماذا يُحكم عليه أخذاً بقول النّبيّ الطّاهر «صلّى الله عليه و آله»: من سبّ عليّاً فقد سبّني، و من سبّني فقد سبّ الله، و من سبّ الله كبّه الله على منخريه في النّار».

لاها الله: نحن نحاشي العبّاس عن هذه النّسب المخزية، و نرى القوم راقهم سَبُّ مولانا أميرالمؤمنين، فنحتوا هذه الأحاديث و جعلوها للنّيل منه قنطرة و معذرة، و الله يعلم ما تكنّ صدورهم و ما يعلنون و إلى الله المشتكى».

و في السّقيفة و فدك لأبي بكر الجوهري البصري بإسناده عن عائشة: أنّ فاطمة و العبّاس أتيا أبابكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله «صلّى الله عليه و آله» و هما حينئذ يطلبان أرضه

بفدك و سهمه بخيبر، فقال لهما أبوبكر: إنّي سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: لانورّث، ما تركناه صدقة إنّما يأكل آل محمّد «صلى الله عليه وآله» من هذا المال، و إنّي والله لاأُغيّر أمراً رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصنعه إلاّ صنعته» و لايشك من له أدنى مسكة و دراية، و له طيب ولادة: أنّ هذاكذب صريح و ادّعاء فارغ، و الدّليل على هذا سيرته مع فاطمة الزّهرآء عليها السلام فإنّ النّبيّ الكريم «صلى الله عليه وآله» في العام السّابع من الهجرة منح بضعته الصّدّيقة الطّاهرة، فدكاً، فلماذا سلبها منها، واغتصبها، و اغضب فاطمة الزّهرآء سلام اللّه عليها فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتّى ماتت؟ و لأيّ أمر من الأُمور تدفن ليلاً بضعة المصطفى «صلى الله عليه وآله» و يعفى ثراها عليها السلام.

و لاشكّ أنّ اصحاب السّقيفة السّخيفة الشّوْمة و أذنابها أرادوا أن يجعلوا بين العبّاس و أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ليعتذروا لأبي بكر و عمر في مخالفة بني هاشم لهما، و لو حضر العبّاس مع الصّدّيقة عليها السلام عند أبي بكر لكان لإزالة حجّة أبي بكر فيما يقوله: إنّ العمّ يرث مع البنت، و كذلك كان حضوره مع عليّ «عليه السلام» عنده لتكذيب مفترياته على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: «نحن معاشر الأنبيآء لانورّث...».

و في **الطّرائف** للسّيّد بن طاووس رحمة الله تعالى عليه: «إنّ جارية كانت قد وصفت للرّشيد بأنّها عالمة زكيّة، و أحضرها عنده، فقيل لها: «فما تقولين في منازعة العبّاس و عليّ «عليه السلام» عند أبي بكر و عمر أيّهما كان على الحقّ؟ و أيّهما كان على الباطل؟ فقالت: كانا كالملكين اللّذين نزلا على داود يتحاكمان في الغنم، و إنّما أراد الملكان تعريف داود وجه الحكم، فكذلك أراد العبّاس و عليّ يعرفان أبابكر و عمر أنّهما ظالمان لهما بمنع ميراث نبيّهما. فهذا جواب امرأة لم يكن عندها عداوة لأهل البيت، عرفت الحقّ و اعتذرت عذراً جميلاً، فاستحسن الرّشيد ذلك منها، و اشتراها بألوف كثيرة».

و في **شرح ابن أبي الحديد**: قال: و ههنا إشكال آخر، و هو أنّ عمر ناشد عليّاً و العبّاس: هل تعلمان ذلك؟ فقالا: نعم، فإذاكانا يعلمانه فكيف جآء العبّاس و فاطمة إلى أبي بكر يطلبان الميراث على ما ذكره في خبر سابق على هذا الخبر، و قد أوردناه نحن!

و هل يجوز أن يقال: كان العبّاس يعلم ذلك، ثمّ يطلب الإرث الّذي لا يستحقّه؟

و هل يجوز أن يقال: إنّ عليّاً كان يعلم ذلك، و يمكّن زوجته أن تطلب ما لا تستحقّه، خرجت من دارها إلى المسجد، و نازعت أبابكر، و كلّمته بما كلّمته إلاّ بقوله و إذنه و رأيه؟ و أيضاً فإنّه إذا كان «صلى الله عليه وآله» لا يورّث، فقد أشكل دفع آلته و دابّته و حذآئه إلى عليّ «عليه السلام» لأنّه غير وارث في الأصل، و إن كان أعطاه ذلك لأنّ زوجته بعُرْضة أن ترث، لولا الخبر، فهو أيضاً غير جآئز لأنّ الخبر قد منع من أن يرث منه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً!».

ثمّ قال ـ بعد نقل خبر مالك بن أوس بن الحدثان ـ: و هذا الحديث يدلّ صريحاً على أنّهما جاءا يطلبان الميراث لا الولاية، و هذا من المشكلات لأنّ أبابكر حسَمَ المادّة أوّلاً، و قرّر عند العبّاس و عليّ و غيرهما أنّ النّبيّ «صلى الله عليه وآله» لا يورّث، وكان عمر من المساعدين له على ذلك، فكيف يعود العبّاس و عليّ بعد وفاة أبي بكر يحاولان أمراً قد كان فُرِغ منه، و يُئِسَ من حصوله، اللهمّ إلاّ أن يكون ظنّا أنّ عمر ينقض قضآء أبي بكر في هذه المسئلة، و هذا بعيد لأنّ عليّاً و العبّاس كانا في هذه المسئلة يتّهمان عمر بممالأة أبي بكر على ذلك، ألا تراه يقول: نسبتماني و نسبتما أبابكر إلى الظّلم و الخيانة، فكيف يظنّان أنّه ينقض قضآء أبي بكر و يورّثهما!».

«حكمة عدم استرداد الإمام علي عليه السلام فدكاً في خلافته»

و اعلم أنّ الرّوايات الواردة في المقام عن طريق الفريقين كثيرة جدّاً، نشير إلى نبذة منها، فإنّا على جناح الاختصار:

١ـ في السّقيفة و فدك لأبي بكر الجوهري البصري المتوفّى: (٣٢٣هـ): «و روي عن أبي عبدالله «عليه السلام» و قد سئله أبوبصير فقال: لِمَ لم يأخذ أميرالمؤمنين فدكاً لمّا ولي النّاس؟ و لأيّ علّة تركها؟ فقال: لأنّ الظّالم و المظلومة قدما على الله، و جازى كلاً على قدر استحقاقه، فكره أن يسترجع شيئاً قد عاقب الله عليه الغاصب و أثاب المغصوبة».

٢ ـ و فيه أيضاً: و روي أنّه كان لأميرالمؤمنين «عليه السلام» في ترك فدك اسوة برسول الله «صلى الله عليه و آله» فإنّه لمّا خرج من مكّة باع عقيل داره فلمّا فتح مكّة قيل له: يا رسول الله ألا ترجع إلى دارك؟ فقال «صلى الله عليه و آله»: و هل ترك لنا عقيل داراً و أبى أن يرجع إليها، و قال إنّا أهل بيت لانسترجع ما أخذ منّا في الله عزّوجلّ».

و في **الطّرائف** للسّيّد بن طاووس رحمة الله تعالى عليه قال: و من طرآئف صحيح الأجوبة في ترك عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» لاستعادة فدك لمّا بويع له بالخلافة:

٣ـ في علل الشّرائع ـ باب ١٢٤ ـ العلّة الّتي من أجلها ترك أميرالمؤمنين فدك لمّاولي النّاس حديث ١) بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله «عليه السلام» قال: قلت له: لِمَ لم يأخذ

أميرالمؤمنين﴿ع﴾ فدك لمّاولي النّاس؟ و لأيّ علّة تركها؟ فقال: «لأنّ الظالم و المظلوم كانا قدما على الله عزّوجلّ، و أثاب الله المظلوم، و عاقب الظّالم، فكره ان يسترجع شيئاً قد عاقب الله عليه غاصبه، و أثاب عليه المغصوب».

٤ـ و فيه: بإسناده عن محمّد بن أبي عمير، عن إبراهيم الكرخي قال: سئلت أباعبدالله﴿ع﴾ فقلت له: لأيّ علّة ترك عليّ بن أبيطالب﴿ع﴾ فدك لمّاولي النّاس؟ فقال: للاقتدآء برسول الله﴿ص﴾ لمّا فتح مكّة، و قد باع عقيل بن أبيطالب داره فقيل له: يا رسول الله﴿ص﴾ ألا ترجع إلى دارك؟ فقال﴿ص﴾: و هل ترك عقيل لنا داراً؟! إنّا أهل بيت لانسترجع شيئاً يؤخذ منّا ظلماً، فلذلك لم يسترجع فدك لمّاولي».

٥ـ و فيه: بإسناده عن عليّ بن فضّال عن أبي الحسن موسى بن جعفر﴿ع﴾ قال: سئلته عن أميرالمؤمنين﴿ع﴾ لِمَ لم يسترجع فدكاً لمّاولي النّاس؟ فقال: لأنّا أهل بيت لانأخذ حقوقنا ممّن ظلمنا إلاّ هو (يعني الله تعالى) و نحن أوليآء المؤمنين إنّما نحكم لهم و نأخذ حقوقهم ممّن ظلمهم و لا نأخذ لانفسنا».

و في الطّرائف: قال عبدالمحمود: ما زلت أسمع علمآء أهل البيت عليهم السلام يتألّمون من أبي بكر و عمر بأخذ فدك من اُمّهم، و قد وقفت على كتب لهم و روايات كثيرة عن سلفهم حتّى أنّهم يراعون حفظ حدود فدك كما يراعي المظلوم حفظ حدود ضيعته و ملكه إذا غصب منه.

أقول: إنّ لعدم استرجاع أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب﴿ع﴾ فدكاً لمّا بويع له بالخلافة حِكَماً و عِلَلاً كثيرة:

منها: أنّه﴿ع﴾ لو استرجعها في خلافته لنسي غصب الثّلاثة الغاصبين الخلافة منه﴿ع﴾ بعد وفاة رسول الله﴿ص﴾ و نسي كفرهم و ضلالتهم، و فسقهم و غوايتهم، و نفاقهم و جنايتهم، و ظلمهم و خيانتهم، و بغيهم و هتكهم لحرمة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين كما صرّح بها أميرالمؤمنين و الصّدّيقة الطّاهرة عليهما السلام في خطبهما و كلماتهما و محاورتهما و مناشدتهما، و صرّح بها أولادهما الأئمّة المعصومون عليهم السلام.

و منها: أنّه«عليه السلام» لو استردّها في خلافته لنسي غضب الصّديقة الطّاهرة سلام الله عليها و سخطها على الأولين و نسي عدم رضاها عنهما و عن كلّ من يحذو حذوهما إلى يوم القيامة، و لما تمّت الحجّة عليهم في إتّباعهم لهما...

و قد صرّحت النصوص المتضافرة عن طريق العامّة فضلاً عن الخاصّة: أنّ فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها أوصت أن تُدْفن سرّاً، و أن لا يصلّي عليها أبوبكر و عمر و لا يعلما مضجعها لغضبها عليهما في غصب الخلافة من زوجها، و هضمهما حقّها من فدك و غيره و هتكهما حرمة رسول الله«صلى الله عليه و آله» و حرمة أهل بيته«عليهم السلام»، و قد صار ذلك من أعظم الطّعون عليهما في كلّ ظرف من الظّروف إلى يوم القيامة.

و منها: أنّه«عليه السلام» لو استعادها في خلافته لما كان لشيعة الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها سند لبرأتهم عن هؤلآء الغاصبين الثلاثة، المعتدين، الباغين، الظّالمين، المستكبرين، المستبدّين الطّواغيت الهتّاكين و من يحذو حذوهم...

و ذلك أنّ عمر بن الخطّاب لمّا أخذ سند فدك من يد الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها و محاه أثبت سند البرآءة الدّآئمة منه و من حليفه و أذنا به لشيعة فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها إلى يوم القيامة.

و منها: أنّه«عليه السلام» لو استرجعها للزم أن لاتكون الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام يوم القيامة غضبى على الغاصبين، و أن يكون أولادها و شيعتها مسرورين، لنيلهم بفدك و غيره في الحياة الدّنيا.

و منها: أنّ الإمام أميرالمؤمنين«عليه السلام» لم يستردّ فدكاً في خلافته لدفع تهمة جرّ النّفع إلى نفسه«عليه السلام» كما اتّهمه أبوبكر في شهادته«عليه السلام» لفاطمة الزّهرآء سلام الله عليها.

«فدك بين غصبها و استرجاعها إلى صاحبها»

و قد اختلفت كلمات الباحثين في استرداد فدك إلى صاحبها اختلافاً كثيراً نشير إلى ما يسعه المقام، و نحن على جناح الاختصار:

١ ـ أنّ أبابكر لمّا غصب فدكاً، و احتجّت عليه الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها بأنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أعطاها إيّاها بأمر من الله تعالى أراد أبوبكر أن يكتب بردّ فدك إلى فاطمة الزّهرآء عليها السلام فمنعه عمر بن الخطّاب من الكتاب، و في بعض الرّوايات: كتب أبوبكر بردّ فدك إليها، فمزّق عمر بن الخطّاب الكتاب.

و بقيت فدك في يد أبي بكر، ثمّ في يد عمر بن الخطّاب، ثمّ في يد عثمان بن عفان، ثمّ أقطعها عثمان لمروان بن الحكم، فوهبها مروان لولديه: عبدالملك و عبدالعزيز فبقيت فدك بيد الخلفاء الثّلاث الغاصبين و هو الأشهر.

٢ ـ أنّ عمر بن الخطّاب لمّا ولي الخلافة ردّ فدكاً إلى ورثة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فكان عليّ بن أبيطالب «عليه السلام» و العبّاس بن عبدالمطلب يتنازعان فيها.

و هذا مردود لما سبق منّا.

٣ ـ أنّ مروان بن الحكم أقطع فدكاً في أيّام عثمان بن عفّان بأمر عثمان.

٤ ـ أنّ معاوية بن أبي سفيان لمّا استولى على الملك أمعن في السّخرية و أكثر الاستخفاف بالحقّ المهضوم إذقسّمها مثالثة فأقطع مروان ثلث فدك، و أقطع عمروبن عثمان بن عفّان ثلثها، و أقطع يزيد بن معاوية ثلثها الآخر و ذلك بعد شهادة الحسن بن

عليّ«عليه السلام»، فلم يزالوا يتداولونها حتّى خلصت كلّها لمروان بن الحكم أيّام ملكه، فوهبها لعبد العزيز ابنه، فوهبها عبدالعزيز لابنه عمر بن عبدالعزيز.

٥ ـ أنّ عمر بن عبدالعزيز لمّا ولي الخلافة خطب، فقال: أنّ فدكاً كانت ممّا أفاءالله على رسوله«صلّى الله عليه وآله» و لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لاركاب، فسئلته إيّاها فاطمة عليها السلام فقال: ماكان لك أن تسئليني، و ماكان لي أن أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السّبيل، ثمّ ولي أبوبكر و عمر و عثمان و عليّ«عليه السلام» فبقيت في أيديهم ثمّ ولي معاوية فأقطعها مروان بن الحكم، فوهبها مروان لأبي، و لعبد الملك، فصارت لي و للوليد و سليمان، فلمّا ولي الوليد سئلته حصّته منها، فوهبها لي، و سئلت سليمان حصّته منها فوهبها لي، فاستجمعتها، و ماكان لي من مالٍ أحبّ إليّ منها، فأشهدوا أنّي قد رددتها إلى ماكانت عليه.

في السّقيفة و فدك لأبي بكر الجوهريّ البصري: «فلمّا ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة، كانت أوّل ظلامة ردّها دعاحسن ابن الحسن بن عليّ بن أبيطالب«عليه السلام». و قيل: بل دعا عليّ بن الحسين«عليه السلام» فردّها عليه و كانت بيد أولاد فاطمة عليها السلام مدّة ولاية عمر بن عبدالعزيز».

و في تلخيص الشّافي للشّيخ الطّوسي قدّس سرّه ما لفظه: «فقد روى محمّد بن زكريّا القلابي عن شيوخه عن أبي المقدام هشام بن زياد مولى آل عثمان، قال: لمّا ولّي عمر بن عبدالعزيز ردّ فدك على ولد فاطمة عليها السلام و كتب إلى و اليه على المدينة أبي بكر بن عمروبن حزم يأمره بذلك، فكتب إليه:

إنّ ولد فاطمة عليها السلام ولدت في آل عثمان و آل فلان و فلان، فعلى من أردّ منهم فكتب إليه: أمّا بعد فإنّي لو كتبتُ إليك أمرك أن تذبح شاةً لسئلتني حبآء أو قرنآء؟ و كتبتُ إليك أن تذبح بقرة لسئلتني ما لونها؟ فإذا ورد عليك كتابي فاقسمها في ولد فاطمة من عليّ«عليه السلام»».

قال أبو المقدام: فنقمت بنو اُميّة ذلك على عمر بن عبدالعزيز و عاتبوه فيه، و قالوا له: هيجت (هجنت خ) فعل الشّيخين. أخرج إليه عمر بن قيس في جماعة من أهل الكوفة،

فلمّا أوصلهم قال لمّا عاتبوه على فعله: إنّكم جهلتم و عملتُ (علمت ظ)، و نسيتم و ذكرت أنّ أبابكر محمّد بن عمرو بن حزم حدّثني عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «فاطمة بضعة منّي يسخطني ما أسخطها و يرضيني ما أرضاها»

و انّ فدك كانت صافية على عهد أبي بكر ثمّ صار أمرها إلى مروان، فوهبها لأبي: عبد العزيز، فورثتها أنا و إخوتي، فسئلتهم أن يبيعوني حصّتهم منها، فمنهم من باعني، و منهم من وهب لي حتّى استجمعتها فرأيت إن أردُّها على ولد فاطمة عليها السلام قالوا له: فإن أبيت إلاّ هذا فامسك الأصل و أقسم الغلّة ففعل».

و في السّقيفة و فدك: و روي مرفوعاً: أنّ عمر بن عبدالعزيز لما استخلف قال: أيّها النّاس! إنّي قد رددت عليكم مظالمكم، و أوّل ما أردّتها ما كان في يدي من فدك على ولد رسول الله ﴿ﷺ﴾ و ولد عليّ بن أبيطالب فكان أوّل من ردّها.

و فيه: و روي أنّه ردّها بغلاّتها منذولي، فقيل له: نقمت على أبي بكر و عمر فعلهما فطعنت عليهما، و نسبتهما إلى الظّلم و الغصب، و قد اجتمع عنده في ذلك قريش و مشائخ أهل الشّام من علمآء السّوء، فقال عمر بن عبدالعزيز: قدصحّ عندي و عندكم أنّ فاطمة بنت رسول الله ﴿ﷺ﴾ ادّعت فدك، و كانت في يدها، و ما كانت لتكذب على رسول الله ﴿ﷺ﴾ مع شهادة عليّ و اُمّ أيمن و اُمّ سلمة، و فاطمة عندي صادقة فيما تدّعي، و إن لم تقم البيّنة و هي سيّدة نسآء أهل الجنّة، فأنا اليوم أردّها على ورثتها أتقرّب بذلك إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ و أرجوا أن تكون فاطمة و الحسن و الحسين يشفعون لي في يوم القيامة، و لو كنتُ بدل أبي بكر، و ادّعت فاطمة كنت أصدقها على دعواتها، فسلّمها إلى محمّد بن عليّ الباقر عليهم السلام و عبدالله بن الحسن، فلم تزل في أيديهم إلى أن مات عمر بن عبد العزيز.

و فيه: و روي أنّه لمّا صارت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز ردّ عليهم سهام الخمس، سهم رسول الله ﴿ﷺ﴾ و سهم ذي القربى، و هما من أربعة أسهم ردّ على جميع بني هاشم، و سلّم ذلك إلى محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام و عبدالله بن الحسن».

رواه عيسى الإربلي في (كشف الغمة: ج ١ ص ٤٩٥) و غيره.

أقول: إنّي لاأظنّ أنّ عمر بن عبدالعزيز كان صادق النيّة و حسن السّريرة مخلصاً عادلاً ـ كما زعمه بعض السّطحيّين ـ و إلاّ لردّ الخلافة إلى أهلها حقّاً لافدك وحدها، حيث إنّ الخلافة و فدك ـ كالإنسان الحيّ الكامل المركّب من الجسم و الرّوح ـ بينهما رابطة وثيقة لاتفترقان.

و إنّما كانت فدك وسيلة بأيدي الخلفآء الغاصبين إن شآؤا ردّوها لأصحابها، و إن شاؤا قبضوها عنهم وفق مزاجهم الخاصّ و حالاتهم النّفسيّة من جهة، و موقف الطّالبيّين في أزمانهم من الأحداث السّياسيّة العامّة في الدّولة من جهة اخرى كما رأينا نظآئرها في زماننا هذا كثيراً.

٦ـ أنّ فدكاً كانت بيد أولاد فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها مدّة ولاية عمر بن عبدالعزيز، فلمّا ولي يزيد بن عبدالملك قبضها منهم، فصارت في أيدي بني مروان كماكانت يتداولونها حتّى انتقلت الخلافة عنهم و انقرضت دولتهم.

٧ـ و لمّا جآء العبّاسيّون ردّها أبوالعبّاس السّفّاح إلى عبدالله المحض ابن الحسن المثنّى ابن الحسن بن عليّ أميرالمؤمنين ﴿عليه السلام﴾ فكان هو القيّم على فدك يفرّق عوائدها في بني فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها.

٨ـ فلمّا استولى المنصور الدّوانيقي على المُلك، و خرج عليه بنو الحسن قبضها عنهم.

٩ـ ثمّ أعادها المهديّ ابن المنصور على ولد فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها.

١٠ـ ثمّ قبضها موسى الهادي و أخوه هارون الرّشيد من أيدي بني فاطمة عليها السلام فلم تزل في أيديهم حتّى استولي المأمون على الخلافة.

١١ـ ثمّ ردّ المأمون ابن هارون على بني فاطمة الزّهرآء عليها سلام الله، و كتب يوم الأربعآء لليلتين خليا من ذي القعدة سنة ٢١٠ هبإرجاع فدك إلى ورثة الصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها.

و في إرجاعها إليهم في عهد المأمون بشكل يدعو إلى التّأمّل، و يشير بصراحة لالبس فيها و لا غموض إلى حق الصّدّيقة الطّاهرة عليها السلام في فدك، لذلك نرى إثباته هنا بالأشكال التي ذكرها الجوهري في (السّقيفة و فدك: ص ١٠٤) و العيّاشي في تفسيره و

البلاذري في (فتوح البلدان: ص ٤٦ ـ ٤٧) و ياقوت الحموي في (معجم البلدان ج ٤ ص ٢٤٠) و غيرهم:

١ ـ في السّقيفة و فدك بإسناده عن مهديّ بن سابق قال: جلس المأمون للمظالم، فأوّل وقعة وقعت في يده نظر فيها و بكى و قال للّذي على رأسه: ناد! أين وكيل فاطمة، فقام شيخ عليه درّاعة و عمامة و خف تعزى، فتقدّم فجعل يناظره في فدك، و المأمون يحتجّ عليه و هو يحتجّ على المأمون، ثمّ أمر أن يسجّل لهم بها فكتب التّسجّل و قرئ عليه، فأنفذه فقام دعبل إلى المأمون فأنشده الأبيات الّتي أوّلها:

أصبح وجه الزّمان قد ضحكا ... بـردّ مأمـون هـاشم فـدكا

٢ ـ في تفسير العيّاشي: عن عبدالرّحمن بن صالح كتب المأمون إلى عبيد الله بن موسى العبسي يسئله عن قصّة الفدك، فكتب إليه عبيدالله بن موسى بهذا الحديث. رواه الفضل بن مرزوق عن عطيّة فردّ المأمون فدك على ولد فاطمة صلوات الله عليها».

إنّ عبيدالله بن موسى العبسى هو من علمآء الشّيعة و محدّثيهم في القرن الثّالث من الهجرة النبويّة.

٣ ـ في (فتوح البلدان): «و لمّا كانت سنة عشرة و مأتين أمر المأمون... بردّ فدك إلى ولد فاطمة و كتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة:

أمّا بعد: فإنّ أمير المؤمنين بمكانة من دين الله و خلافة رسوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و القرابة به، أولى من استنّ سنّته، و نفّذ أمره و سلّم لمن منحه منحة و تصدّق عليه بصدقة منحته و صدقته... و قد كان رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أعطى فاطمة بنت رسول الله فدك، و تصدّق بها عليها، و كان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و لم تزل تدّعي منه ما هو أولى به مَن صُدّق عليه، فرأى أمير المؤمنين أن يردّها إلى ورثتها و يسلّمها إليهم تقرّباً إلى الله بإقامة حقّه و عدله، و إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بتنفيذ أمره و صدقته، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه و الكتاب به إلى عمّاله:

فلئن كان ينادي في كلّ موسم بعد أن قبض الله نبيّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أن يذكر كلّ من كانت له صدقة أوهبة أوعدة ذلك، فيقبل قوله، و تنفّذ عدته، إنّ فاطمة رضي الله عنها لأولى بأن

يصدّق قولها فيما جعل رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ لها.

و قد كتب أميرالمؤمنين إلى المبارك الطّبري مولى أميرالمؤمنين يأمره بردّ فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بحدودها و جميع حقوقها المنسوبة إليها، و ما فيها من الرّقيق و الغلاّت و غير ذلك، و تسليمها إلى محمّد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، و محمّد بن عبدالله بن الحسن بن عليّ بن الحسين بن عليّ أبيطالب لتولية أميرالمؤمنين إيّاهما القيام بها لأهلها.

فاعلم ذلك من رأي أميرالمؤمنين، و ما ألهمه الله من طاعته، و وفّقه له من التّقرّب إليه و إلى رسوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ و أعلمه من قِبَلك، و عامل محمّد بن يحيى و محمّد بن عبدالله بما كنت تعامل به المبارك الطّبري و أعنهما على ما فيه عمارتها و مصلحتها و وفور غلاّتها إن شآء الله و السلام.»

٤ ـ في (معجم البلدان ـ مادّة فدك): «فلمّا كانت سنة (٢١٠ هـ) أمر المأمون بدفعها الى وُلد فاطمة، و كتب إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة: أنّه كان رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أعطى ابنته فاطمة رضي الله عنها، فدك و تصدّق عليها بها، و أنّ ذلك كان أمراً ظاهراً معروفاً عند آله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ثمّ لم تزل فاطمة تدّعي منه بما هي أولى من صدّق عليه، و أنّه قد رأى ردّها إلى ورثتها و تسليمها إلى محمّد بن يحيى ابن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبيطالب و محمّد بن عبدالله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبيطالب رضي الله عنهما ليقوما بها لأهلها».

٥ ـ في (الطّرآئف ـ باب فيما جرى على فاطمة عليها السلام من الأذى و الظّلم و منعها من فدك ـ قال: «فذكر أصحاب التّواريخ في ذلك رسالة طويلة تتضمّن صورة الحال أمر المأمون الخليفة العبّاسي بإنشاءها و قرائتها في موسم الحجّ، و قد ذكرها صاحب التّاريخ المعروف بالعبّاسي و أشار الرّوحي الفقيه صاحب التّاريخ إلى ذلك في حوادث سنة (ثماني عشرة و مأتين) جملتها:

أقول: و قد سبق ذكرها منّا في (لماذا قبلت شهادة ذي الشّهادتين في قضيّة النّاقة، و ردّت شهادة الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ في قصّة فدك) فراجع.

و لا يخفى على من له الدّراية و طيب الولادة: أنّ المأمون العبّاسي لم يكن أقلّ جوراً و عدواناً، و بغياً و ظلماً، و استبداداً و جناية... من أسلافه الطّواغيت الباغين... من الخلفآء الغاصبين الثلاث، و أذنابهم من بني أُميّة و بني العبّاس لعنة الله عليهم أجمعين، و لم يردّ فدكاً إلى بني فاطمة سلام الله عليها بحسن نيّة و قصدٍ و اختيار، و إنّما ردّها جبراً لاقتضآء الجوّ السّياسي...

و ذلك أنّ الإمام الثّامن عليّ بن موسى الرّضا عليه آلاف التّحيّة و الثّنآء لمّا استشهد بسمّ المأمون، سنة (۲۰۳ هـ) تغيّر الجوّ السّياسي، و اشتعلت نائرة ضغن شيعة الإمام و محبّي أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السلام على المأمون من جهة، و ثورة العلويّين بمازندران و خطرهم عليه من جهة اخرى، فردّها إلى بني فاطمة سلام الله عليها لإطفآء هذه النّائرة من جهة، و إسكات العلويّين من جهة اخرى بعد أن ناظره في أمرها شيخ طاعن في السّنّ.

و في نهج الحقّ و كشف الصّدق: «و جمع المأمون ألف نفس من الفقهآء و تناظروا و أدّى بحثهم إلى ردّ فدك إلى العلويّين من ولدها فردّها عليهم».

و لقد بنيت خلافة جميع الخلفآء الغاصبين على السّقيفة السّخيفة الشّؤمة، و لذا ترى العبّاسيّين و هم من أبعد النّاس عن الدّين، مجتهدين بتعظيم الخلفآء الثّلاث الغاصبين الأوّلين و إثبات أحقّيّتهم، إذ لاتتمّ دعوى استحقاقهم للخلافة إلاّ بذلك، و بمعاداة من امرت الأمّة بموالاتهم و التّمسّك بهم...

و لا أظنّ أحداً ممّن له أدنى مسكة و دراية و طيب ولادة أن يشكّ أنّ أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لم يستشهدوا إلاّ بضرب أصحاب السّقيفة كالصّدّيقة الطّاهرة سلام الله عليها بضرب عمر بن الخطّاب أو بأسيافهم أو بسمومهم...

و لذا قال القاضي بن قريعة من أبيات له:

لولا حدود صوارم — أمضى مضاربها الخليفة
لنشرت من أسرار آل — محمّد جملا ظريفه
و أريتكم أنّ الحسين — أُصيب في يوم السّقيفة

١٢ـ لمّا استخلف المعتصم بن هارون الرّشيد أخو المأمون عام (٢١٨ هـ) أمر بردّ فدك إلى ما كانت عليه قبل المأمون، فغصبها كأسلافه من الغاصبين.

١٣ـ و لمّا استولى الواثق بن المعتصم عام (٢٢٧ هـ) ردّ فدكاً إلى بني فاطمة سلام الله عليها.

١٤ـ و لمّا استخلف المتوكل بن محمّد بن هارون الرّشيد عام (٢٣٢ هـ) قبض فدكاً، و غصبها كأسلافه، و لمّا قُتِلَ سنة (٢٤٧) استخلفه ابنه المنتصر بعد خلعه أخويه: المعتزّ و المؤيد، و لمّا مات المنتصر عام (٢٤٨) استخلفه ابنه المستعين، و استخلفه المعتزّ ابن المتوكّل، و كانت فدك بأيديهم غصباً كأسلافهم...

١٥ـ و لمّا استخلف الواثق ردّ فدكاً على بني فاطمة عليها السلام، و لمّا استخلفه ابنه محمّد ابن الواثق عام (٢٥٥) قبضها.

١٦ـ و لمّا استخلف المعتمد عام (٢٥٦) ردّها عليهم، ثمّ استخلفه المعتضد عام (٢٧٩) ثمّ استخلفه المكتفى عام (٢٨٩) ثم استخلفه المقتدر ابن المعتضد عام (٢٩٥) ثم خُلِعَ المقتدر لصغر سنّه عام (٢٩٦) و استخلفه عبدالله بن المعتزّ، الملقّب بالمنتصف، و لكنّه قُتِلَ و استولى المقتدر على الخلافة، ثمّ قُتِلَ المقتدر سنة (٣٢٠) و استخلفه محمّد بن أحمد المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكّل العبّاسي، الملقّب بالقاهر.

و بعد ذلك ضاعت معالم فدك على المؤرّخين.

و في **نهج الحقّ و كشف الصّدق** للعلّامة الحلّي رضوان الله تعالى عليه: «و ذكر أبوهلال العسكري في كتاب «أخبار الأوائل»: أنّ أوّل من ردّ فدك على أولاد فاطمة عليها السلام عمر بن عبدالعزيز، و كان معاوية أقطعها لمروان بن الحكم، و عمر بن عثمان، و يزيد ابنه أثلاثاً، ثمّ غصبت، فردّها عليهم السّفاح، ثمّ غصبت، فردّها عليهم المهدي، ثمّ غصبت فردّها عليهم المأمون.

ثمّ قال: أعني أبا هلال: ثمّ غصبت، فردّها عليهم الواثق، ثمّ غصبت، فردّها عليهم المعتمد، ثمّ غصبت، فردّها عليهم المعتضد، ثمّ غصبت، فردّها عليهم الرّاضي» انتهى كلامه.

أقول: كلّ ذلك تضادّ ما جآء به أبوبكر بإشارة حليفه عمر بن الخطّاب من خبر شاذّ عن الكتاب و السّنّة و سير الأنبيآء و الامم و ضرورة العقل، و هذا شأنهما، فمالأذنابهما لايكادون يفقهون حديثاً؟

في السّقيفة و فدك: فلم تزل ـ فدك ـ في أيديهم ـ بني فاطمة ـ حتّى كان في أيّام المتوكّل، فأقطعها عبدالله بن عمر البازيار، و كان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله ﴿ﷺ﴾ بيده، فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها، فإذا أقدم الحجّاج أهدوا لهم من ذلك التّمر، فيصلونهم، فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل، فصرم ـ أي جذّه و قطعه ـ عبدالله بن عمر البازيار ذلك التّمر، وجّه رجلاً يقال له بشران بن أبي أُميّة الثّقفي إلى المدينة، فصرمه، ثمّ عاد إلى البصرة ففلج».

«آثار شؤم غصب فدك للجوامع البشريّة
و عذاب غاصبيها في حميم جهنّم و لظى جحيم»

و نحن نختم بحث فدك بذكر ما ينتهي إليه أمر غصب فدك من الآثار الشّؤمة للجوامع البشرية و عذاب غاصبيها، و قد وردت روايات كثيرة في عذابهم يوم القيامة، و نكتفي بما رواه العلاّمة المجلسي رضوان الله تعالى عليه نقلا عن أمالي الشّيخ الطّوسي قدّس سرّه الشّريف روماً للاختصار:

في البحار: كتاب الفتن و المحن ـ باب ١١ ـ نزول الآيات في أمر فدك... حديث ٣٨):

هذا حديث وجدته بخطّ بعض المشايخ رحمهم الله، ذكر أنّه وجده في كتاب لأبي غانم (المعلّم خ) الأعرج ـ و كان مسكنه بباب الشّعير ـ وجد بخطّه على ظهر كتاب له حين مات، و هو: «أنّ عائشة بنت طلحة دخلت على فاطمة عليها السّلام فرأتها باكية، فقالت لها: بأبي أنتِ و أُمّي ما الّذي يبكيكِ؟ فقالت لها: أسائلتي (أتسئلني خ) عن هنة (هبة خ) حلّق بها الطّائر، و حفي (خفي خ) بها السّائر، و رفعت إلى السّمآء أثراً) (و رفع إلى السّمآء أمراً خ) و رزئت في الأرض خبراً؟

إنّ قُحَيْف (أن تحيف خ) تيم، و أُحَيْول عدي جاريا (جازيا خ) أباالحسن في السّباق، حتّى إذا تفرّيا (تقرّبا خ) بالخناق أَسَرّا له الشّنان، و طوياه الاعلان، فلمّا خبانور الدّين، و قبض النّبيّ الأمين نطقا بغورهما، و نفثا بسورهما، و أدلاً بفدك، فيالها كم من ملك ملك (تلك من ملك خ) إنّها عطيّة الرّب الأعلىٰ للنّجيّ الأوفىٰ، و لقد نحلنيها لِلصّبيّة السّواغب

من نحله و نسلي، و إنّها لبعلم (ليعلم خ) الله و شهادة أمينه، فإن انتزعامنّي البلغة، و منعاني اللمظة، فاحتبسها (و احتسبتها خ) يوم الحشر زلفة، و ليجدنّها آكلوها ساعرة حميم في لظئ جحيم».

أقول: و لعمري! ليس لي أدنى شكّ ولا ترديد في صحّة هذا الحديث في بعُد جهته ـ مع قطع النّظر عن سنده و دلالته ـ و أنّه وارد عن لسان صاحب الولاية الكبرى، و عن بيان ذي العصمة و الطّهارة العظمى، من دون ريب و لاشبهة، حيث إنّ كلام المعصوم عند أصحاب الدّراية و طيب الولادة ـ و خاصّة كلام الصّدّيقة الطاهرة قرينة مولى الموحّدين، سيّد الوصيّين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب صلوات الله عليهما في أعلى افق الإنسانيّة، قبل كونها إنساناً فيزيقياً ـ كالإنسان الكامل المركّب من الجسم و الرّوح، و كلام غير المعصوم ـ وإن بلغ ما بلغ من الفصاحة و البلاغة ـ كمجسّمة الإنسان أو تمثاله...

قولها عليها السلام: «هِنة» أي شئ يسير قليل، أو قِصّته منكرة قبيحة، فكناية عن شئ لايذكر باسمه، و في نسخة «هبة» أرادت بها فدكاً. و «حلّق بها الطّائر» أي انتشر خبرها إذ كان الغالب في تلك الأعصار إرسال الأخبار مع الطّيور. و «حفي بها السّائر» أي أسرع السّآئر في ايصال هذا الخبر حتّى حفي وسقط خفّه و نعله، أورقّ رجله أو رجل دابّته. و في نسخة «خفي بها السّائر» أي لم يبق ساترها، و لم يقدر السّاترون على إخفآئها.

و قولها سلام الله عليها: «و رفعت إلى السّمآء أثراً» أي ظهرت آثار غصب فدك في السّمآء عاجلاً و آجلاً من منع الخيرات من هذه الأمّة المسلمة خاصّة، و من الامم كلّها عامّة، و تقدير شدآئد العقوبات لمن ارتكبها يوم القيامة. و في نسخة «و رفع إلى السّمآء أمراً» أي أمر فدك و قصّتها. «و رزئت في الأرض خبراً» أي أحدثت من جهة خبرها في الأرض مصآئب عظمى لولا غصب فدك لما وقعت تلك المصآئب، و لما استمرّ غصب الخلافة، و لما انحطّ المسلمون، و لما كان أحد كافراً على بسيط الأرض.

و قولها صلوات الله عليها: «قُحَيْف تَيْم» أطلقت عليها السلام قُحَيْفاً على أبي بكر لأنّ أباه أبو قحافة، و القِحْفُ ـ بالكسر ـ: العظم فوق الدّماغ، و القَحْفُ ـ بالفتح ـ: قَطْعُ القِحْف أو كسره، و القاحِفُ: المطر الّذي يجيىء فجأة، فيقتحف كلّ شئ أي يذهب به، و سيل قُحاف ـ كغُراب ـ: جُزاف. و «أُحَيْول»: تصغير أحول، و المراد به عمر بن الخطّاب، و

هو إن لم يكن أحول ظاهراً و لكنّه كان أحول باطناً قطعاً لشركه و ضلاله، و كفره و نفاقه، و بغيه و فساده، و ظلمه و جوره، و عداوته و عناده و لجاجه و خبث سريرته، و لكونه أعمى في باطنه و بصيرته... و يقال ـ أيضاً: ما أحوله؟ أي ما أحيله و أكثر حيلةً؟!

و قولها عليها السلام: «جاريا أباالحسن في السّباق» يقال: جاراه أي جرىٰ معه. و السّباق: المسابقة، أي كان أبوبكر و عمر يتظاهران ـ على سبيل النّفاق ـ في عهد رسول الله «صلى الله عليه و آله» أن يسبقا أميرالمؤمنين عليّاً «عليه السلام» في المكارم و الفضائل كقراءة سورة التّوبة على مشركي مكّة و غيرها ممّا ورد عن طريق الفريقين أوردناها في محلّها المناسب من هذا التّفسير. و في نسخة «جازيا» من جاز المكان: تركه خلفه، و قطعه، و تخطّاه، فكناية عن تخطّي أبي بكر و عمر عمّا كان عليه أميرالمؤمنين عليّ «عليه السلام» من الحقّ و الهدى.

و قولها سلام الله عليها: «تفرّيا» من تفرّي أي انشقّ، و «الخِناق»: الحبل يُخنَق به. «أسرّا»: أخفيا لأميرالمؤمنين عليّ «عليه السلام» «الشّنان»: العداوة و الحِقد و الضّغن. أي لمّا انشقّا بما خنقهما من ظهور مناقبه و فضائله «صلى الله عليه و آله» و عجزهما عن أن يدانياه في شئ منها، أو من شدّة غيظه أكمناله العداوة و العناد في قلبهما، منتهضين للفرصة. و «طوياه الإعلان»: أي أضمرا أن يعلنا له «عليه السلام» العداوة و العناد عند الفرصة. و في الكلام حذف و ايصال أي طوياله أوعنه «عليه السلام». يقال: فلان طوى الحديثَ: كتمه. و «خبا» من خَبَتِ النّار: سكنت و طفئت و «نطقا بفورهما» أي تكلّما فوراً أي بسبب فورانها أو بسبب غليان حقدهما و فوران حسدهما و عداوتهما.

و قولها سلام الله عليها: «و نفثابسورهما» من نفثه: رمى به، و النَّفْثُ: النّفخ و البَزْقُ. و سَوْرَةُ الشّئ: حدّته و شدّته، و من السّلطان: سطوته و اعتداؤه. و سار الشّراب في رأسه سَوْراً: دار و ارتفع، و سار الرّجلُ إليك: وَثَبَ و ثارَ.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين يعسوب الدّين أميرالمؤمنين الإمام عليّ «عليه السلام»: (فوالله مازِلتُ مدفوعاً عن حقّي مستأثراً عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ الله نبيّه «صلى الله عليه و آله» حتّى يوم النّاس هذا» الخطبة: ٦).

و فيه: قال سيّد الوصيّين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب «عليه السلام»: «حتّى إذا قبض الله رسوله «صلى الله عليه و آله» رجع قوم على الأعقاب، و غالتهم السّبل، و اتّكلوا على الولائج، و وصلوا

غير الرّحم، و هجروا السّبب الّذي اُمروا بمودّته، و نقلوا البنآء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كلّ خطيئة، و أبواب كلّ ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة و ذهلوا في السّكرة على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدّنيا راكن، أو مفارق للدّين مباين» الخطبة: ١٥٠).

و فيه: قال مولى الموحّدين سيّد الوصيّين الإمام عليّ«عليه السلام»: «اتّخذوا الشّيطان لأمرهم ملاكاً، و اتّخذهم له أشراكاً، فباض و فرّخ في صدورهم، و دبّ و درج في حجورهم، فنظر بأعينهم و نطق بألسنتهم، فركب بهم الزّلل، و زيّن لهم الخطل، فعل من قد شركه الشّيطان في سلطانه، و نطق بالباطل على لسانه» الخطبة: ٧).

و فيه: قال أميرالمؤمنين إمام المتّقين عليّ بن أبيطالب«عليه السلام»: «زرعوا الفجور، و سقوه الغرور و حصدوا الثّبور لايقاس بآل محمّد«صلى الله عليه و آله» من هذه الأمّة أحد، و لا يسوّى من جرت نعمتهم عليه أبداً» الخطبة الثّانية.

و قولها صلوات الله عليها: «و أدلاّ بفدك» أي أنّ أبابكر و حليفه عمر بن الخطّاب قد غصبا فدكاً بالجرأة و الجسارة و الإهانة من غير خوف. «فياهاكم من ملك ملك» من قبيل يا «للمآء» للتّعجّب أي يا قوم تعجّبوا لفدك، و قوله«صلى الله عليه و آله»: «كم من ملك» بيان لوجه التعجّب. و «للنّجيّ» المناجي و المخاطب للإنسان أي لمن خصّه الله تعالى بنجواه، و سرّه، و كان أوفى الخلق بعهده و أمره و «الصِّبيَة»: جمع الصَّبِي. و «السّواغب»: جمع السّغب: الجوع، و «نجله»: ولده، و «البلغة»: ما يُتَبَلَّغُ به من العيش و «اللمظة»: ما يبقى في الغم من الطّعام، و «زُلْفَة»: القُرب و المنزلة أي إنها سبب لقربى يوم الحشر.

و «ساعرة» من سعر النّار: أوقدها، و «حميم»: مآء حارّ، و «لظى»: النّار أو لهبها، أو جهنّم نفسها أو طبقة من طبقاتها و دركة من دركاتها...

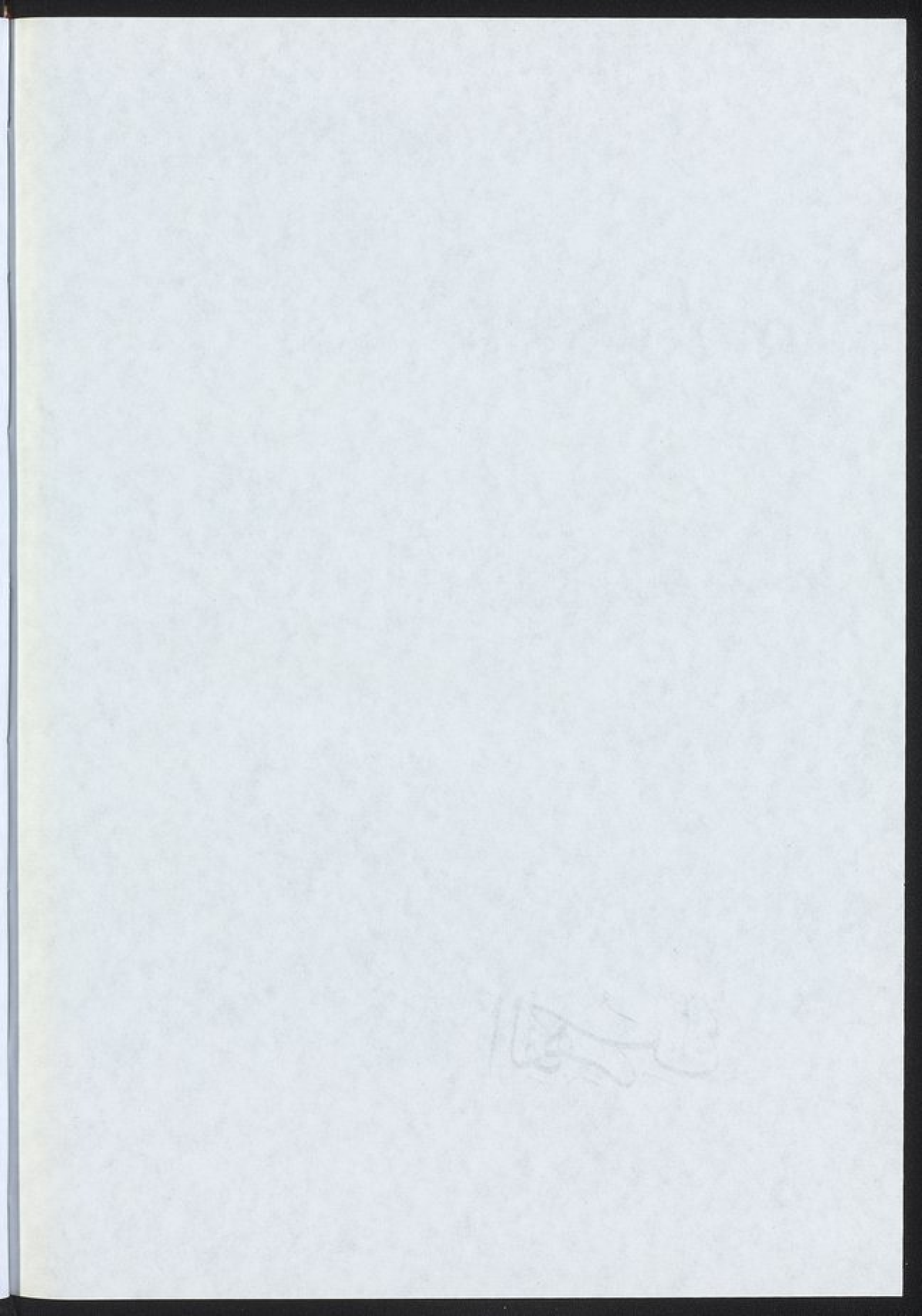
اَللّهمّ العن اوّل ظالم ظلم حقّ محمّد و آل محمّد و آخر تابع له على ذلك. اَللّهمّ العَن العصابة الّتي جاهدتِ الحسين و شايعت و بايعت و تابعت على قتله. اللّهمّ العنهم جميعاً بعدد ما أحاط به علمك.

تمّت سورة الرّوم

و الحمدلله ربّ العالمين و صلّى الله على محمّد و آله الطّاهرين

و لاسيّما بقيّة الله في الأرضين

الفِهرِس



فهرس ماجآء في تفسير سورة «الرّوم»

يدور البحث حولها على فصلين:

الفصل الأوّل: في عناوين تفسير السّورة و فيها تسع عشرة بصيرة:

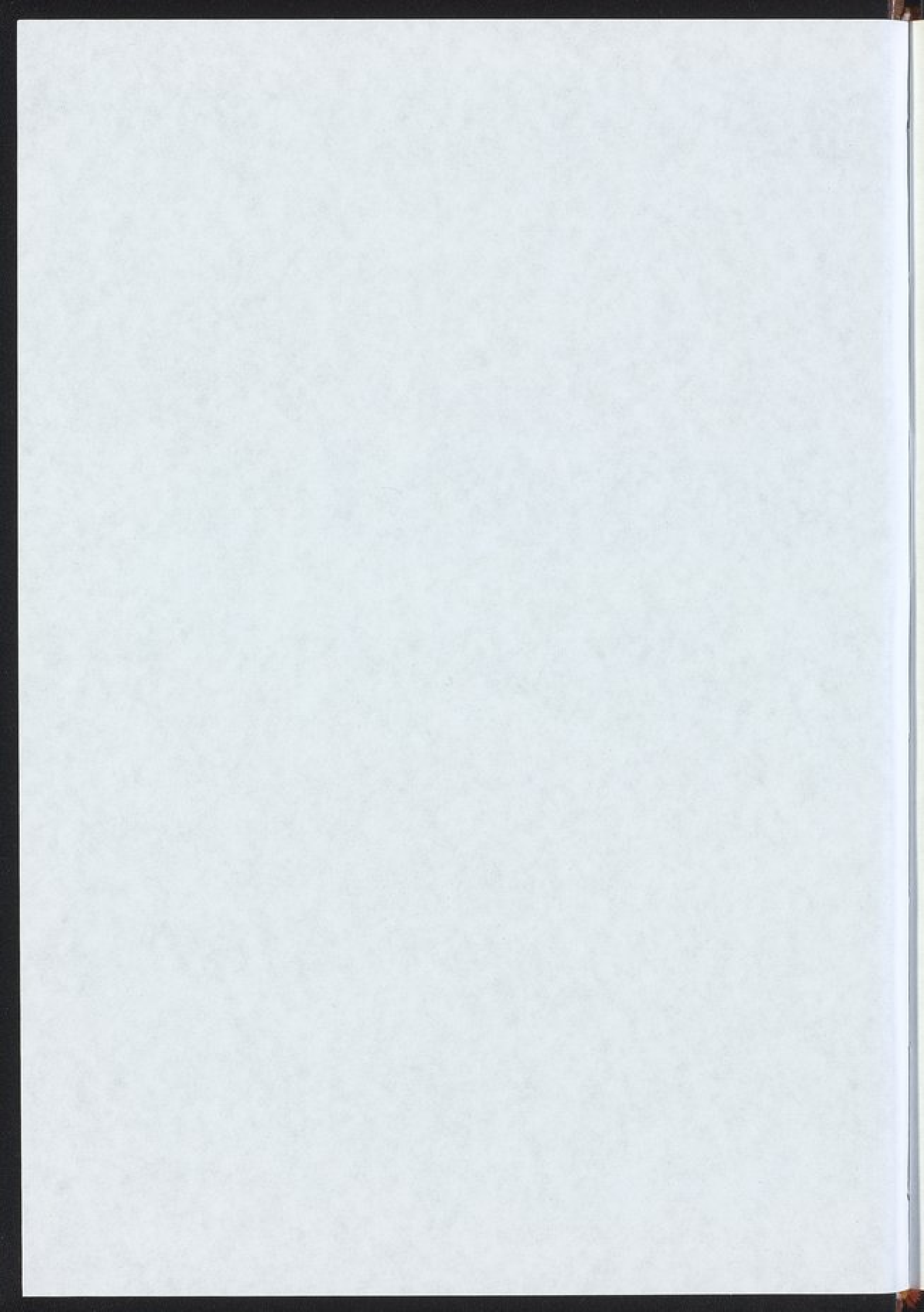
الفصل الثّاني: في مواضيع الحِكَم القرآنيّة الدّقيقة، و المعارف الإسلاميّة العميقة المبحوث عنها في تفسير سورة «الرّوم»

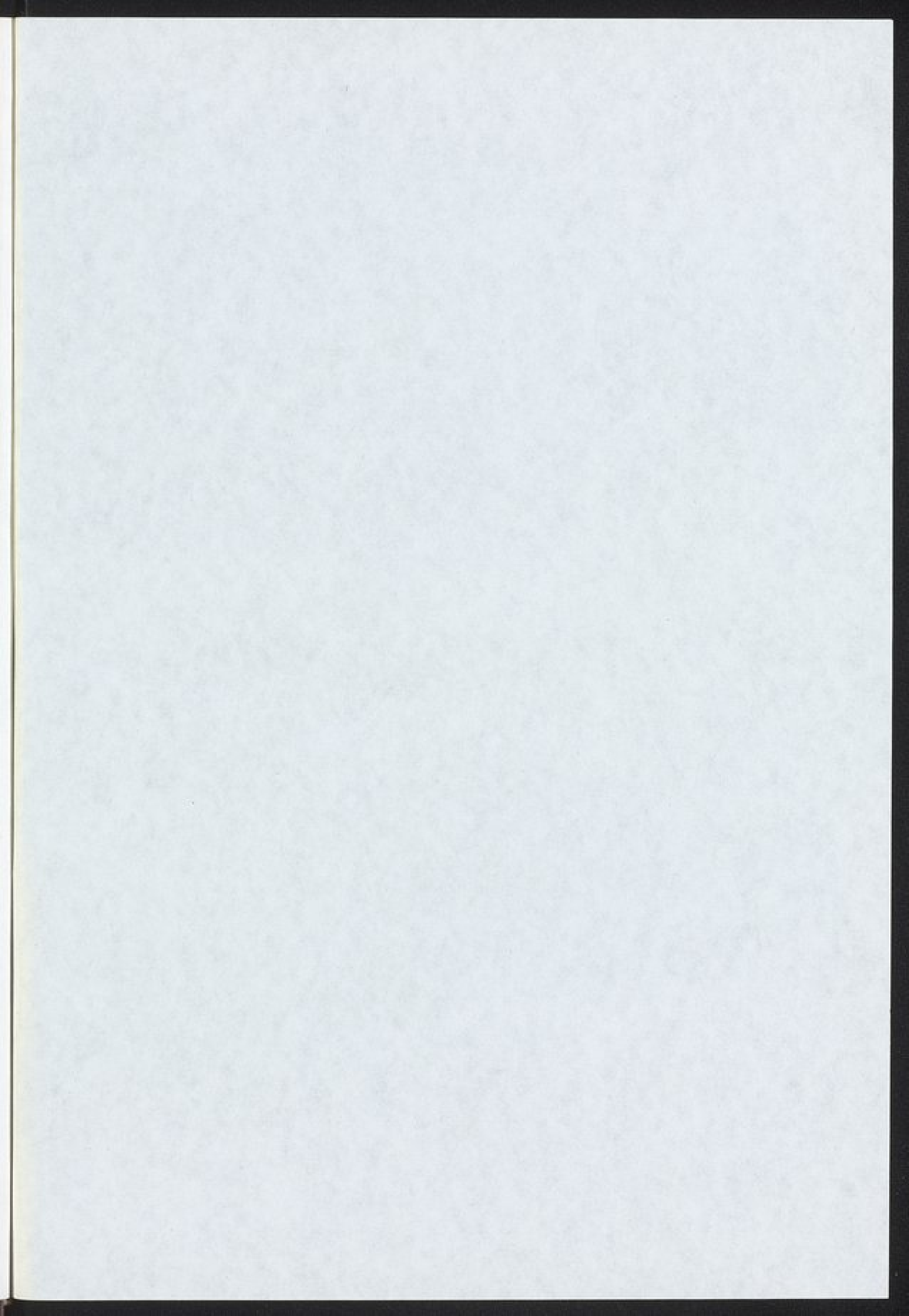
في الفصل ثلاث بصآئر:

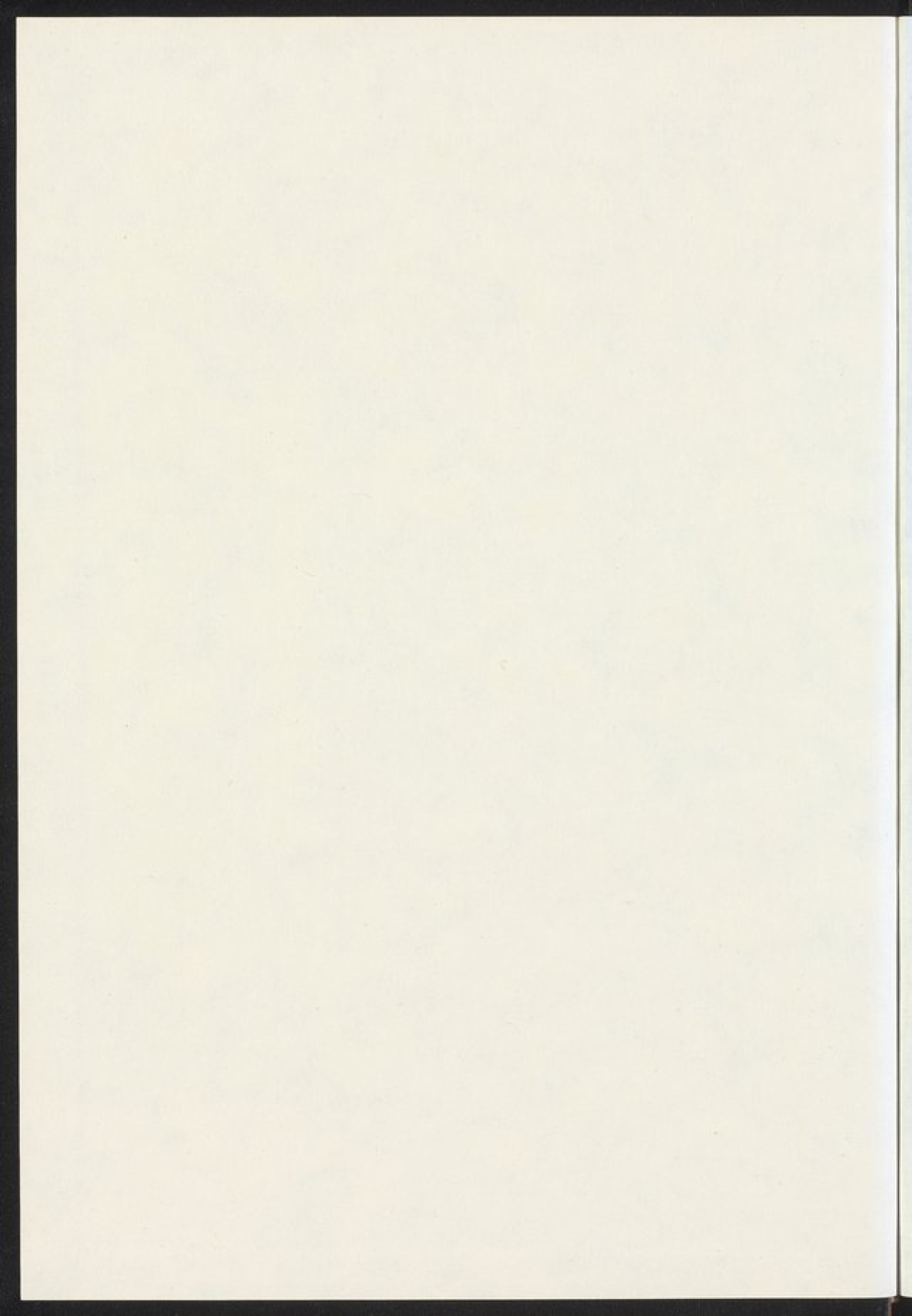
البصيرة الاولى: حول «الرّوم» و فيها ثلاثة أمور:

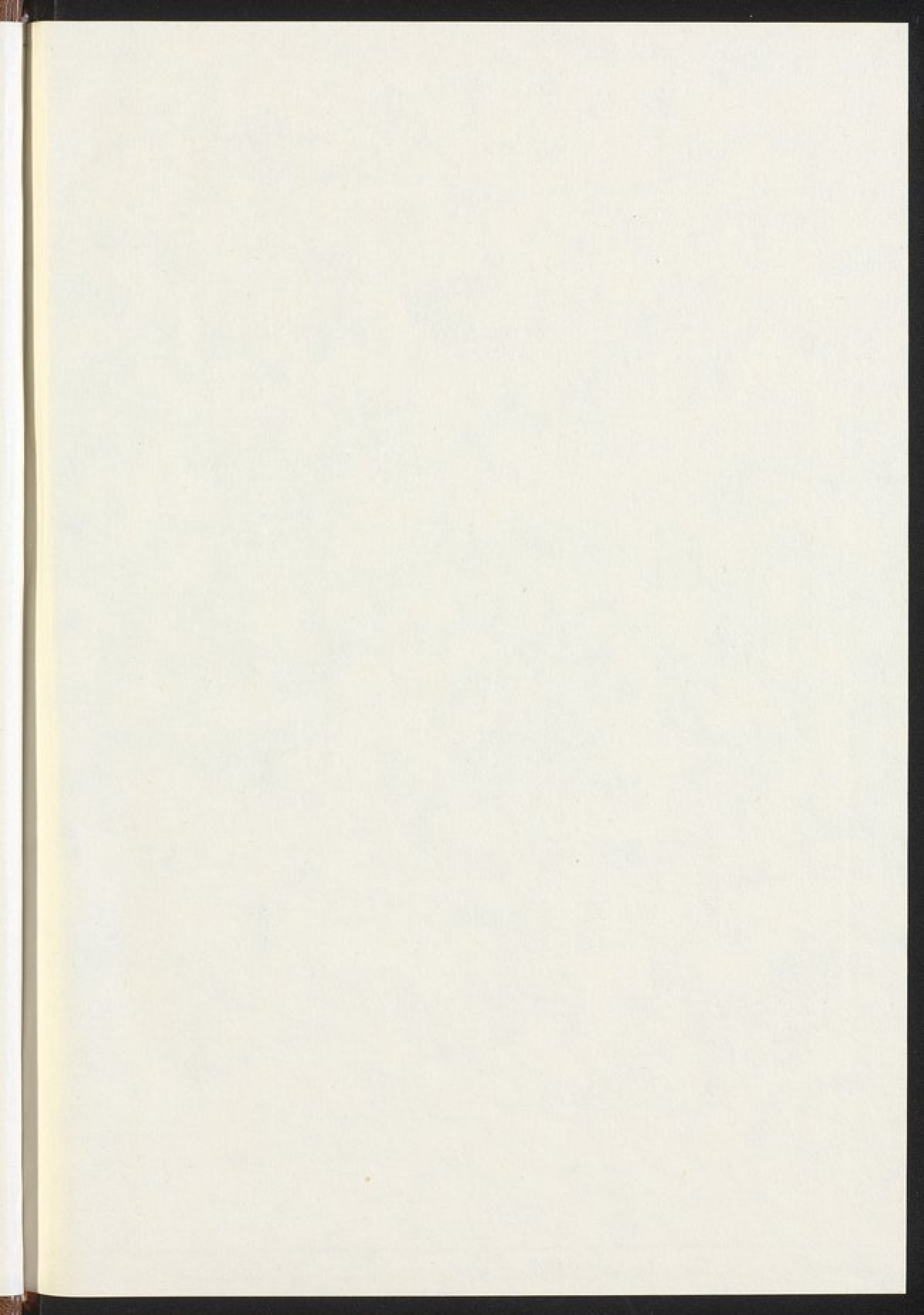
البصيرة الثّانية: حول الفطرة، و فيها سبعة عشر أمراً:

البصيرة الثّالثة: حول فدك، و فيها أربعون أمراً و ستّة عشر فصلاً:











VETUS & NOVUM
TESTAMENTUM
DEI·SUB·NUMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

